

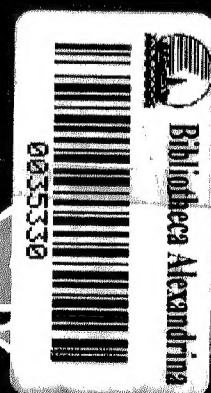
محمد حسين هيكل



حرب الثلاثين سنة

الجزء الأول

ألفان



محمد حسنين هيكل

الجزء الأول

سنوات الفليان

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠٢ يو أن

تصميم الغلاف والاشراف الفنى
ماهر الدهيبي

إهداء

إلى الذين أضناهم البحث ، وعذبهم الشك ،
وأزهقوا أنفسهم ، والآخرين ، بسؤال واحد
ملك عليهم فكرهم وأعصابهم :
« أين الحقيقة ؟ »

إليهم جميعا ، خصوصا جيل الشباب الذي
يقف اليوم على حافة الضياع . . .
إليهم جميعا : محاولة .

لعلها مجرد إشارة إلى طريق أظنه مؤديا إلى
تخوم ما يبحثون عنه . . . داعيا لهم
بالسلامة وبلوغ القصد .

محمد حسنين هيكل

المحتويات

صفحة

□ مقدمة ٦

الباب الأول أهم بلد في الدنيا

□ الفصل الأول	: جسر على السويس	٣٣
□ الفصل الثاني	: النصر له مائة أب	٥٤
□ الفصل الثالث	: لغم في خليج العقبة	٧١
□ الفصل الرابع	: حالة من الفوران !	٩٦
□ الفصل الخامس	: إمبراطورية تستسلم لإمبراطورية	١٣٧

الباب الثاني معركة القرن

□ الفصل الأول	: بداية العصر الأمريكي	١٦١
□ الفصل الثاني	: العالم العربي هو الميدان !	١٨١
□ الفصل الثالث	: وراء أسوار الكرملين	٢١٥
□ الفصل الرابع	: دمشق محاصرة	٢٣٥
□ الفصل الخامس	: الاندفاع الى القاهرة	٢٥٧

الباب الثالث بوابات بغداد

□ الفصل الأول	: رسائل وقنابل	٢٨٥
□ الفصل الثاني	: الصيف الخطر !	٣١٥
□ الفصل الثالث	: العالم على حافة الهاوية !	٣٣٩
□ الفصل الرابع	: تقرير بغداد	٣٧٥
□ الفصل الخامس	: سحب عابرة	٣٩٤

صفحة

الباب الرابع مدافع حروب باردة !

٤١٧ : قاسم وانقسام !	□ الفصل الأول
٤٣٨ : حسابات جديدة !	□ الفصل الثاني
٤٥٦ : أحزان أفريقيا	□ الفصل الثالث
٤٩٢ : تحصين المواقع	□ الفصل الرابع

الباب الخامس تقاطع الطرق

٥١٥ : قلب العالم الثالث ، وسطح القمر !	□ الفصل الأول
٥٥٤ : الانقلاب - والانقلاب على الانقلاب	□ الفصل الثاني
٥٩١ : نيران متفرقة !	□ الفصل الثالث
٦١٨ : ثورة في اليمن	□ الفصل الرابع
٦٤٦ : الحرب الأهلية . . . باردة وساخنة	□ الفصل الخامس

الباب السادس على سفوح البركان

٦٧٥ : شلال يتدفق على الصخور	□ الفصل الأول
٧٠٠ : . . . ومفاجآت إضافية !	□ الفصل الثاني
٧١٩ : السحب الزاحفة	□ الفصل الثالث
٧٤٩ : عاصمة العالم الثالث	□ الفصل الرابع
٧٧٢ : الاقتراب من فوهة البركان	□ الفصل الخامس

الملحق الوثائقي

مقدمة

لعل لا أتجاوز إذا قلت في التقديم لهذا الكتاب : « إن أيامي في الفترة التي جرت فيها وقائعه كانت أشق تجربة في حياتي ، كما أن أيامي في الفترة التي حاولت فيها استعادة هذه الوقائع لكتابتها على صفحاته ، كانت أصعب مهمة حاولتها في ممارستي لمهنتي ! »

□ وكانت تجربة الحياة مع الوقائع مكلفة . وأحسبها أضافت إلى عمري سنوات لم أعشها ، وأشاعت في شعر رأسي من البياض ما كان يمكنه أن ينتظر مواعده الطبيعي في شتاء العمر ، وحين تجيء مواسم نزول الثلج على رؤوس الجبال ، ورؤوس البشر !

□ وكانت تجربة استعادة الوقائع معذبة . رغم أن هناك مدرسة في الكتابة ترى أن إعادة رواية قصة ظهرت - كما يقال ! - خاتمتها - جهد يسير . فكل-قصة معلقة بنهايتها ، وإذا كنا نكتبها بعد نزول الستار على حوادثها بما فيها مشهد الختام - إذن فإن الحكمة بأثر رجعي ليست ادعاء في غير موضعه ، بمعنى أنه من السهل تكييف الحوادث بما يتوافق مع النتائج بغير عناء لا لزوم له ، وإلا كنا نعقد الأمور بأكثر مما تحتمله طبائعها - ولم يكن ذلك اتجاهي .



وقد أستاذن في تعليق بعض الحواشي على هامش التجربتين : تجربة الوقائع ، وتجربة استعادتها .

□ إنني تحملت تجربة الحياة مع الوقائع بكل تكاليفها مؤمناً بأن الحياة لا تتجمد عند لحظة بعينها ، ثم إن عجلة التاريخ لا تكف عن الدوران ، كما تفعل عجلة ألعاب القمار ، تدور بسرعة ثم تتوقف أمام رقم يفوز بالغنيمة من راهن عليه ، بينما يخسر غيره لأن الحظ تخلى عنه ، ويمضي إلى لعبة قمار ثانية !

فالحياة لاتتجمد إلى الأبد عند لحظة ، وعجلة التاريخ لا تتوقف نهائيا أمام رقم .

وكان ذلك يقينى حتى فى اشد اللحظات قساوة وقتامة ، واطن انه اليقين الذى تمنحه قراءة التاريخ للذين يعرفون فضلها .

وربما كان ذلك ما دفعنى - دون تزيد فى القول أو تفاخر ، إلى أن أعطى كل ما فى طاقتى وأكثر - إذا كان ذلك ممكنا - لـ « جمال عبد الناصر » ولـ « أنور السادات » بعده من أجل هدف أن تواصل حركة الحياة تقدمها ، وأن تواصل عجلة التاريخ دورانها ، وهو ماحدث فعلا فى سنة ١٩٧٣ .

ولم أغير مكانى ، وهو الصحافة ، باستثناء فترة قصيرة جمعت بينها وبين العمل وزيرا للإعلام ، ثم أضيفت إلى وزارة الخارجية لفترة أسبوعين فى غياب وزيرها الأصلى السيد « محمود رياض » - وفى أوقات تداخلت فيها عناصر القتال ، وعناصر الدبلوماسية سنة ١٩٧٠ .

لم أغير مكانى - الصحافة - ولاتغيرت مكانتى - الصديق - فى هذه الفترة من الرجلين ، ولم أكن أريد غيرها ، أقل أو أكثر .

وربما كان اعتراضى على ماحدث فى اثناء مفاوضات فض الاشتباك الأول بعد حرب أكتوبر مباشرة ، ثم خلافى الذى وصل بى فى النهاية إلى السجن سنة ١٩٨١ - هو بالضبط تقديرى لحجم العطاء الذى قدمته الأمة كلها فى السنوات المشحونة بالقلق والأمل من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٣ - وخشيتى من أن الأمة قد لاتستطيع بسهولة أن تكرر معجزة عطائها ، فطبيعة المعجزة - وهى فى الحقيقة طبيعة البطولة - أنها لحظة بذاتها من الحياة غير قابلة للتكرار بلمسة على لوحة أزرار !

وأذكر أن الرئيس الفرنسي « فرانسوا ميتران » دعاني يوما إلى غداء كنا على مائدته وجدنا في مطعم « ليب » بـ « سان جيرمان » ، وناولني نسخة من كتابه « السنبلة وحب القمح » وهو يحوى طرفا من مذكراته وخواطره - وقد كتب عليها اهداءً رقيقا رحلت أقرأ سطره وهو ينتظرني ، ثم قال لى :

- « سوف تجد اسمك مرات في هذا الكتاب ، فقد تعرضت فيه لأيام كنت فيها ضيفا عليك في القاهرة . سوف تجد أيضا اسم السادات . وسوف تجدنى أتحدث عن الخلاف بينكما دون انحياز لأحكما فيه . تذكر أنك أنت الذى قمت بتقديم كلانا إلى الآخر أول مرة ، ولا أخفى عليك أن الخلاف بينكما ما زال حتى بعد كل هذه السنين الطويلة يحيرنى » .

وقلت له محاولا تجنب التفاصيل :

- « كان خلافنا فى صميمه خلافا على تقييم العطاء الذى قدمته الأمة من سنة ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ - كان تقديره أنه وقود يكفى للوصول حتى أكتوبر ١٩٧٣ - وكان تقديرى أنه وقد وصل إلى أكتوبر ١٩٧٣ يستطيع أن يندفع إلى ما وراءه ، وإلى ما بعده ، ويملك فى متناول يده بقليل من الصبر والتصميم أكثر بكثير مما قنع به وسكت عنده . »

وقال « ميتران » وهو يهز رأسه ، ويمط شفثيه على عادة الفرنسيين :

- « لعله كان يريدنا آخر الحروب فى المنطقة ، ويحلم بتحقيق السلام . . لقد سمعت منه بنفسى هذا الكلام ؟ »

وقلت :

- « وسمعتة أنا أيضا ، ولكنك تعرف أكثر منى حقائق هذا العصر ، بل وكل العصور قبله وبعده ، وهى أنه عندما يريدنا أحد

« أن تكون آخر الحروب » فمعنى ذلك أنه يعطى للآخرين فرصة أن يفرضوا عليه ما يريدون مطمئنين إلى أنه في النهاية قابل بما يعرضونه طالما أنه ليس مستعدا لما يترتب على عدم القبول . وحين تتعهد أمة بأنها لن تحارب دفاعا عن مصالحها عند اللزوم ، فالترجمة العملية لذلك أنها عطلت إرادتها حتى من قبل أن تبدأ لحظة تعارض الإرادات .

ثم أنت أول من يعرف أن السلام موازين قوة ، وأنه ليس هناك ما يحافظ عليه غيرها .

والقول بـ « نهاية الحروب » هو في شكل من الأشكال وقوع في محذور تجميد الحياة ، وتوقف عجلة التاريخ عن الدوران . وأنا لا أقول إن الحياة والتاريخ كليهما حروب ، وإنما أقول إنها صراع . وفي مجرى أى صراع فإن القوة احتمال وارد ، ولا يستطيع طرف ، ولا يملك أن ينسأه أو يتناسأه !

ثم أثرت أن أغير الموضوع وانتقل منه الى غيره !

هذا عن تجربة الحياة مع الوقائع سنة ١٩٦٧ .

□ وأما عن تجربة استعادة الوقائع وعذابها ، فإن السبب لم يكن اجترار المرارة ، وإنما كان السبب هو انتمائي إلى مدرسة في الكتابة ليست هي بالضبط تلك المدرسة التي تؤمن بأنه ما دامت نهاية القصة قد ظهرت أمامنا - إذن فإن كتابة تفاصيلها سهلة ، لأنها تقدر على تكييف سياقها مع الخاتمة التي نزل عليها الستار !

وهذا المنطق - في ظني - مشوب « بشيء من الخلط » و « شيء من الخطأ » .

« شيء من الخلط » يتأتى من عدم التفرقة في مقاييس النقد بين « العمل الأدبي » و « العمل السياسي » . في « العمل الأدبي » هناك

قصّاص أو مخرج أو رسّام تمثّل موضوعه والعصر الذي جرى فيه ،
والمناخ الذي أحاط به ، واختار أبطاله وأجناسهم وأعمارهم ، وحتى
تقاطيعهم وملامحهم ، وقرر لهم حركتهم ابتداء من مشاعرهم الدفينة إلى
مصائرهم النهائية . وهكذا فإنه حين ينزل الستار على المشهد الأخير في
الفصل الأخير يستطيع الناقد أن يبدأ مهمته ، ويصدر حكمه .

في « العمل السياسي » يختلف الأمر لأن صانع القرار في أي
صراع لا يتمثّل موضوعه ، ولا يختار أبطاله ، ولا يقرر لهم حركتهم
من المشاعر إلى المصائر .

■ أمامه صراعات يخوضها ، وهي في الغالب من صنع عوامل
تاريخية أكبر منه .

■ وهو لا يملك اختيار أبطاله في الغالب بما في ذلك الواقفين على
ناحيته من الصراع لأن طبائع حركة المجتمعات ، وسرعة
دورانها ، واحتكاكها تدفع إلى الساحة بمن تدفع دون تصميم
مسبق يخضع لخطوط مرسومة سلفاً .

■ ثم إن المسافة الطويلة من المشاعر إلى المصائر ليست من
صنعه بما فيها جريان الحوار .

وليس معنى ذلك أن شخوص « العمل السياسي » كإبطال
مأس إغريقية ، لا يملكون شيئاً من مقاديرهم بل هم مجرد دُمى على
مسرح التاريخ يتقرر مصيرها دون دخل من إرادتها - فذلك آخر شيء
أقول به ، بل لعلى واحد من المبالغين في الاعتقاد بتأثير دور الفرد
على مسار التاريخ .

كل ما أريد قوله هو أن مقاييس نقد « العمل الأدبي » تختلف
عن مقاييس نقد « العمل السياسي » .

ومن مقتضى هذا الخلاف ، فإن أدوات ومقاييس النقد لا بد لها
أن تختلف .

وفي الحقيقة فإن صانع القرار السياسى يستطيع أن يختار لحظة رفع الستار عن كلمته في حوار التاريخ ، ولا بد له أن يختارها مدفوعا بمصالح حيوية ، ومسلحا بقوى حقيقية ، ومرتكزا على حسابات تستطيع أن تواجه لحظة رفع الستار وما بعدها - لكنه وراء ذلك يجد نفسه أمام مواقف وحقائق متغيرة بالأفعال وردود الأفعال تحكم وتتحكم في تشكيل صراع إرادات .

وهكذا فإنه في حين أن نقد « العمل الأدبى » يتعامل مع صورة مكتملة - فإن نقد « العمل السياسى » - بما في ذلك الحرب - يتعامل مع حركة متلاحقة ، حتى في ظلال السلام .

وبالطبع فإن الحركة المتلاحقة ليست فوضى بغير ضوابط يرجع إليها ويقاس عليها - وإنما هناك بالقطع معايير .

وظنى أن أهم معايير الحركة السياسية هي :

حجم المصالح الدائمة - ودقة حسابات اللحظة وما وراءها -
ثم كفاءة الإدارة القادرة على معالجة المتغيرات الناشئة عن حوار -
أو صراع - الإرادات .

وربما تجاوزت وقلت إن الفكر العربى يملك تقاليد يمكن قبولها في نقد « العمل الأدبى » - لكن تقاليده في نقد « العمل السياسى » لاتزال تبحث عن نفسها ، خصوصا وأن عهده بانتاج « عمل سياسى » مستقل مازال قريبا ، وبالتحديد لم تتوافر إمكانيته إلا بعد معركة السويس سنة ١٩٥٦ - وفي أعقابها امتلك العرب فكرا وفعلا إمكانية الحوار المستقل على مسرح العالم والعصر .

تلك كلمة سريعة عن هذا « الشئ من الخلط » !



وأما عن هذا « الشئ من الخلط » فقد أكتفى بالقول بأن « العمل

السياسى « لايعرف من الأساس تلك اللحظة التى ينزل فيها الستار ، وتنطفئ بعدها الأنوار - مع المشهد الأخير فى الفصل الأخير !

فإذا كانت الحياة غير قابلة لأن تتجمد عند لحظة ، وإذا كانت عجلة التاريخ غير قابلة للوقوف الى الأبد عند رقم - إذن فإن خاتمة القصة ليست هى مانراه أمانا . وحتى إذا رأينا الستار ينزل فإنه يكون قد نزل على مشهد لا يلبث أن يرتفع بعده لتظهر وتتحرك ابتداءً منه ، واتصالا به مشاهد !

ومن هنا فلقد كان العذاب الحقيقى فى تجربة استعادة الوقائع ، هو محاولة البحث عن الحقيقة وراء المشاهد ، وربط المشاهد بعضها بالآخر والنفاذ بها الى المستقبل - حتى تتكامل الصورة .



وربما كان علىّ هنا أن أعرض بعض ما قصدت إليه - أو لم أقصد - فى هذا الكتاب :

١ - لم أقصد أن أجعله نوعا من كتابة المذكرات . ومع أننى عشت دخائل الوقائع التى يتعرض لها الكتاب ، فإننى أخرجت نفسى بالكامل من دائرة روايتها .

٢ - أبعد الأشياء عن مقاصدى أن أجعل من هذا الكتاب محاولة لـ « كتابة التاريخ » ، والحقيقة أنه محاولة لـ « قراءته » ، وهذا معنى كررته كثيرا فى وصف ما أكتبه ، ومازلت متمسكا به .

وليس من باب التواضع أن أقول إن « كتابة التاريخ » ليست صناعتى ولا أنا مدعيها ، وليس من باب التفاخر أن أقول إن « قراءة التاريخ » حقى لأنها حق كل مهتم بالشئون العامة !

ولعلى لا أتزيد إذا قلت إن « قراءة التاريخ » كانت أصعب

بالنسبة لى لأنى عشت وقائعه ، وكان على لى أقرأه بأمانة أن أضع للاختبار كثيراً مما كنت أظن أننى أعلمه ، وأن أطرح للمراجعة كثيراً مما كنت أتوهم أننى أفهمه .

ولقد اتخذت ما كنت أتصوره لدى من علم ، أو فهم كمجرد دليل يقودنى إلى مواقع البحث والتفتيش حتى تكون قراءتى للتاريخ مستوفية ومتوازنة . ولقد وجدت فى بعض الأحيان ما أريده حيث قدرت أن أجده ، وفى أحيان أخرى اكتشفت أن اتجاهى يحتاج إلى إعادة تصحيح وإعادة ضبط .

٣ - وعلى وجه التأكيد فقد قصدت إلى بذل كل جهد ممكن ، لى أجعل قراءتى موثقة ، وكان اعتقادى بعد كل أنهار الخبر التى سألت على تلال الورق فى السنوات الأخيرة - أن الناس لم يعودوا مستعدين لتقبل ما يلقى إليهم مهما كانت مصادره .

ولقد قال بعضهم إنهم « كانوا هناك » - عندما كانت الحوادث تصنع ، وفى بؤرة صناعتها - وأحسب أنهم لم يكونوا هناك ! وقال بعضهم إنهم « كانوا هناك » - لكنهم عندما رويوا تحدثوا عن أنفسهم وما قالوه ، أو ما ظنوا أنهم قالوه . أو ما تمنوا لو أنهم قالوه !

وربما أن بعضهم كانوا فى بؤر الحوادث ، لكن مشاعرهم حكمت رؤاهم ، وهذا إنسانى ! ومن ثم جنح الوصف ، وقاه الموصوف !

ومع ذلك ، فالنتيجة فى أقل القليل محيرة ، فالروايات المتعارضة والمتضاربة ألغت بعضها بعضاً ، وتولت إحداها نفى الأخرى ، كما أن وقائع التاريخ تحولت إلى معارك سياسية ، ثم إن دروسه أصبحت حالة من الضياع لا يستطيع أحد فيها أن يعثر على دليل !

وأزعم أنه كان في استطاعتي أن أقول « إننى كنت هناك »
ورأيت بعينى وسمعت بأذنى ، وشاركت في حوار الحوادث ، ثم
يصدقنى كثيرون يعرفون أننى « كنت بالفعل هناك » ، ولكننى عدت
بعد ذلك فأشفقت على نفسى - وربما على الناس - فلقد أصبح الشك
هو القاعدة والتصديق صعب المنال . ولقد كان من هنا أننى ذهبت
في توثيق هذا الكتاب إلى حد يتجاوز المعروف والمألوف . والواقع
أننى قصدت أن أتجنب ضمير المتكلم تماما . ولم الجأ له إلا في ثلاثة
مواقف ، أو أربعة كان مستحيلا أن يستقيم حديثها بغيره . أثرت -
عامدا - أن تكون الوثائق هي ضمير المتكلم !



ولقد تكون المناسبة الآن ملائمة لكى أبدى ملاحظة على حجم
ونوع التوثيق في هذا الكتاب . ولابد أن أقرب بالعرفان فيه لـ « ظرف » ولـ
« فضل » :

● أما « الظرف » فهو أننى كنت بالفعل هناك رائيا وسامعا
وطرفا في الحوار ، وهذه حقيقة لا أخفيها ولا اعتذر عنها .

ولأننى كنت أتمنى أن أكتب « القصة » في يوم - من الأيام - قارئاً
للتاريخ - فلقد كان من هنا أننى لم أترك ما مر أمامى يضيع ، وإنما
حاولت أن أسجله موثقاً ، ولم يكن هذا سرا احتفظت به لنفسى ، بل إننى
أشهرته حين وضعته ضمن « أسبابى » الرسمية لتقديم استقالتي من
وزارة الإعلام غداة إعلان نتيجة الاستفتاء على انتخاب « أنور
السادات » رئيسا للجمهورية . وفي رده علىّ بقبول الاستقالة (ولعلها
الاستقالة الوحيدة في تاريخ الوزارات المصرية الحديثة التى نشر نصها ،
ونص الرد عليها كاملين على الملأ) - أشار الرئيس « السادات » بدوره
إلى هذا « السبب » عارفا به ، ومؤكدا له .

ولا أتصور أن ذلك يحمل مظنة أى نوع من أنواع الاحتكار

للحقيقة ، فما أتيح لي كان متاحا لغيري في مثل ظروفي ، وكان الفارق الوحيد أن الكتابة في يوم من الأيام كانت - بحكم المهنة - في خواطري ، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لغيري ، وإنما طراً فيما بعد لسبب أو لآخر .

وفي كل الأحوال ، فقد تعمدت الإشارة بوضوح إلى حيث توجد الوثائق متاحة ولا تزال للراغبين والطالبين .

هذا عن « الظرف » !

● وأما عن « الفضل » - وهو حجم ونوع التوثيق - فقد يلحظ قارئ هذا الكتاب أن التوثيق له من مصادر أجنبية ، لا يقل اتساعاً وتنوعاً عن التوثيق من مصادر عربية ، ولم تكن لي فيه ميزة أنني « كنت هناك » - وكان الفضل فيه لعدد من الإخوة والأصدقاء لم يدخروا جهداً ، ولا وقتاً لكي يتعقبوا موضوعات اهتمامي في مكانها من مجموعات أوراق رؤساء الدول ، وملفات وزارات الخارجية ، وحتى في تقارير عديد من أجهزة المخابرات في أوروبا وأمريكا ، ولقد تحملوا في سبيل ذلك الكثير بما فيه مشاق إجراءات استعمال قانون حرية المعلومات في الولايات المتحدة ، وهو ليس طريقاً مفتوحاً للمرور بدون عوائق ، وإنما هو باب تقف عليه تعقيدات مقصود منها أن تصد وتعطل !

وإذا كنت اتخرج من ذكر أسماء هذا العدد من الإخوة والأصدقاء ، فمرجع ذلك أنني لا أريد أن أتسبب لأى منهم في إحراج هو في غنى عنه .



وإذا قيل إنني انتفعت بـ « ظرفي » فهذا صحيح ، ومع ذلك فقد كان كثيرون غيري في نفس « الظرف » وانتفعوا به حين كتبوا ، وبينهم رؤساء للوزارات « السيد كمال حسن علي » بل ورؤساء للجمهورية

(الرئيس « أنور السادات ») - هذا فضلا عن وزراء للخارجية ، وقواد للجيش ، وسفراء .

وإذا قيل إننى انتفعت بـ « فضل » إخوة وأصدقاء تحمسوا لما أعمل - فهذا أيضا صحيح ، ولقد نسبته إلى أصحابه عارفا بجميلهم ومقدرا .

ولست أعتذر لا عن « الظرف » ولا عن « الفضل » ، فليس فى أحدهما ما يبرر الاعتذار إذا كان الهدف هو طلب الحقيقة ، وأن تكون كل حقيقة بوثيقة ، حتى أستطيع أن أتقدم إلى طلب التصديق مرتاحا ومطمئنا بعد عذاب طويل فى البحث والتدقيق .

ومع ذلك فلعل لا أتجاوز إذا قلت إن الوثائق لم تجعل مهمة هذا الكتاب أكثر سهولة ، وإنما بالعكس جعلتها أكثر صعوبة ، فالالتزام بالوثائق قيد من حديد ، ثم أن حجمها وتنوع مصادرها اقتضى جهدا يكفينى فى الإشارة إليه أن أقول إننى اضطررت لقراءة وتحليل ومقارنة أكثر من ستة آلاف وثيقة لم أستعمل منها مباشرة غير أقلها ، وفصلا عن ذلك ، فقد كان على أن أختار بحيث تتصل وحدة الحديث والحوادث من خلال الوثائق قبل أى عنصر آخر !



انتقل إلى قضية أخرى أظن أن هناك ضرورة لطرحها ، وهى شرح مقصدى من هذا الكتاب ، وموقعه بالضبط على خريطة عمل . وأعتقد أنه لابد أن أبدأ من البداية :

□ أولا - إن لى رأيا ورؤية مؤداهما أن هناك مرحلة بأكملها هى المرحلة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٨٥ - نستطيع أن نسميها حرب الثلاثين سنة . وهذه العقود الثلاثة هى الفترة الزمنية التى شهدت صعود ثم تراجع الحركة الثورية العربية ، وقد بدأت سنة

١٩٥٥ بظهور مقاومة عربية شاملة قادتها القاهرة ضد مخططات الغرب في السيطرة على المنطقة تحت اسم حلف بغداد ، ثم تحت أسماء ومسميات أخرى تواردت بعده . ثم انتهت هذه الحقب الثورية الثلاث عندما استباح الغرب لنفسه حق النزول لاحتلال عاصمة عربية هي بيروت ، وبدعوى إنقاذها من احتلال إسرائيل وصل بالفعل إلى قلبها ، وكانت تلك هي نهاية حرب الثلاثين سنة ! (ولعلها تثبت أنها كانت في نفس الوقت بداية حرب جديدة من نوع جديد) .

□ ثانيا - إن هذه الفترة - حرب الثلاثين سنة - شهدت ثلاث ذرى عالية لحركة التاريخ في المنطقة تمثلت في ثلاث معارك رئيسية هي معركة السويس (١٩٥٦) - ومعركة سيناء (١٩٦٧) - ومعركة العبور (١٩٧٣) - كلها معارك في حرب واحدة ، والمعارك المسلحة دائما - عندنا وعند غيرنا من الشعوب - هي ذرى الصراع عند أقصى درجات سخونته .

وهكذا فلقد بدأت سلسلة عن حرب الثلاثين سنة ، كان أولها كتاب « ملفات السويس » - عن المعركة الأولى (وقد صدر سنة ١٩٨٦) في الذكرى الثلاثين لها .

والآن على صفحات هذا الكتاب أجدنى أمام المعركة الثانية ، وهي معركة سيناء سنة ١٩٦٧ ، وأصلى في خشوع داعيا وراجيا أن أتمكن من كتابة المعركة الثالثة في هذه الحرب ، وهي معركة العبور (١٩٧٣) .

□ ثالثا - إن المعركة التي أتعرض لوقائعها في هذا الكتاب ، وهي معركة سيناء (١٩٦٧) هي أكثر المعارك الثلاث غموضا ، وأشدّها تعقيدا ، والغريب أنها المعركة التي تعرض لها القائلون بأكثر مما تعرضوا لأي معركة غيرها ، والحاصل أنهم حولوها من ميدان في حرب متصلة إلى ساحة من ساحات التأثير النفسى والسياسى المقصود لذاته بصرف النظر عما جرى وكان . والنتيجة

أن الناس أصبحوا في حيرة من أمر هذه المعركة ، وأشدّهم حيرة أجيال الشباب .

وربما من هنا أننى وجدت نفسى مطالبا بدرجة معينة من التفصيل فى الرواية والتوثيق تصورته وحده قادرا على الكشف والجلء ، وكان ذلك ما اضطررنى إلى أن أقسم هذا الكتاب عن معركة ١٩٦٧ إلى جزئين . أولهما وهو الذى أقدم له الآن يمد الجسور إلى ساحة المعركة تحت عنوان « سنوات الغليان » ، والآخر يصل بها إلى الأيام الستة المشهودة من يونيو سنة ١٩٦٧ ويكون عنوانه - إن شاء الله - هو : « الانفجار » !

ولقد دفعنى إلى ذلك حقيقة أن معارك الحروب لا تندلع فجأة من وسط السكون ، ولا تطل برأسها من فجوة مجهولة أو مظلمة ، وإنما هى من قديم ظاهرة لمحها المشرعون العظام للإمبراطورية الرومانية ، وصاغوها قانونا أو شبه قانون Historia Non Facit Sabbatum - أى أن التاريخ لا ينقطع فعلة !



وليس مد الجسور إلى ذرى الحوادث بدعة فى محاولة تقصى الحقائق وجلائها وكشفها ، وعلى سبيل المثال ، فليس فى استطاعة أحد أن يكتب عن معارك الحرب العالمية الأولى دون أن يتعرض لظهور ألمانيا الموحدة على يد « بسمارك » ، وهزيمة فرنسا أمامها فى حرب السبعين من القرن الماضى ، ثم ما يتبع ذلك من دخول ألمانيا إلى سوق المطالبة بالمستعمرات (مؤتمر برلين ١٨٧٨) - ودون أن يتعرض لظهور الدور الأمريكى فى السياسة العالمية على يد « تيودور روزفلت » - ودون أن يتحدث عن ظهور اليابان بعد انتصارها على روسيا فى بحار الشرق الأقصى سنة ١٩٠٥ - فضلا عن الجسور المباشرة إلى هذه الحرب ، وبينها انهيار الإمبراطورية العثمانية الذى اشتهر باسم « المسألة

الشرقية » ، بل وحتى اغتيال الأرشيدوق « فرديناند » ولى عهد النمسا
وقرينته فى مدينة سيراييفو اليوجوسلافية ! .

وبنفس المنطق ، فليس فى استطاعة أحد أن يكتب عن معارك
الحرب العالمية الثانية دون أن يتعرض لقيام الثورة البلشفية فى روسيا ،
واستيلاء الفاشية على إيطاليا ، وسيطرة النازية على ألمانيا ، ووقوع
اليابان تحت حكم العسكريين ، ودخول الولايات المتحدة لإرث
إمبراطوريات الغرب التقليدية ، وهى بريطانيا وفرنسا (فضلا عن
الجسور المباشرة إلى هذه الحرب ، مثل قيام « هتلر » بضم النمسا ،
 واجتماع ميونيخ بين « هتلر » و « موسولينى » و « تشمبرلين »
و « دالاديه » ، واحتلال ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا ، ومطالبتها بأجزاء من
بولندا ، وتوقيع معاهدة عدم الاعتداء بين « ستالين » و « هتلر ») .

وفى مثال قريب منا وشهير ، فإن أحدا لم يستطع أن يكتب معركة
السويس (كل من كتبوا) إلا وكان الطريق إليها بادئا على الأقل من
قيام ثورة ٢٣ يوليو - إلى أزمة الأحلاف العسكرية - إلى أزمة كسر
احتكار السلاح - إلى أزمة سحب العرض الغربى بالمساهمة فى بناء السد
العالى - إلى أزمة تأميم قناة السويس - إلى ما تلا ذلك من اجتماعات
لندن حتى اجتماعات سيفر .

وهكذا كل معركة فى التاريخ . لكن بعضهم يؤثر رواية معركة
سنة ١٩٦٧ باعتبارها وقائع تلك الأيام الستة من شهر يونيو سنة
١٩٦٧ ، وبعضهم يبدؤها من يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ مع ظهور
الحشود الإسرائيلية أمام سوريا - أما قبل هذا اليوم أو ذاك فلم
يكن هناك شئ ، وفجأة جاءت القارعة !

وليس هذا صحيحا ، ولا يمكن أن يكون ، فإن الجسور إلى
المعارك جزء لا يتجزأ منها ، كما أن الطرق إلى وقائع التاريخ الكبرى
قطعة من نسيجها !

وبغير ذلك تصبح صراعات الأمم وحروبها أساطير وحكايات ، ويتنازل التاريخ عن أن يكون حركة تدافع قوى إنسانية هائلة - لكي يتحول إلى شبه مغامرات فردية : رصاص يرد على رصاص ، ومدافع تصرخ أمام مدافع ، ودبابات تتناطح مع بعضها في الصحارى أو في الوديان .

□ رابعا - وربما أن ما زين لى أسلوب التفصيل الدقيق هو اعتقاد يملكنى بأن حروبنا لم تنته بعد رغم مقولة « نهاية الحروب » . لقد انتهت حرب الثلاثين سنة بذراها الشهيرة التي احتدمت فيها معارك السلاح سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ - لكن الصراع مازال يدور ، وسواء أراد بعضنا ، أو أبوا ، فالمنطقة الآن في حرب جديدة من نوع جديد .

فهنالك معارك حقيقية تجرى في الخليج وحول شواطئه ، وفي لبنان وعلى أطرافه - وهى معارك زادت في كلفتها المادية والبشرية عن كلفة حرب الثلاثين سنة من أولها إلى آخرها ثلاثين مرة ، ولو أخذنا معيار الضحايا الإنسانية فقط لوجدنا أن ضحايا حرب الثلاثين سنة كانوا حوالى ثلاثة وثلاثين ألف ضحية في كل المعارك الثلاث ، وعلى جانبى القتال (١٢٠٠ ضحية على الجانبين في معركة السويس ١٩٥٦ - ١٥٦٠٠ ضحية في معركة سيناء سنة ١٩٦٧ من الجانبين - ١٦٣٠٠ ضحية في معركة العبور سنة ١٩٧٣ من الجانبين)^(١) - بينما وصل ضحايا حرب الخليج حتى الآن إلى ٩٢٥٠٠٠ ضحية من الجانبين !

هناك أيضا معارك حقيقية في جنوب لبنان (ضحاياها قرابة

(١) لم أضف إلى الحساب ضحايا حرب الاستنزاف (١٩٦٧ - ١٩٧٠) وقد وصلوا على الجانبين إلى ٤٦٠٠ - غير قرابة ستة آلاف من العمال المصريين أعطوا حياتهم في عملية بناء قواعد حائط الصواريخ الشهير ، الذى كان القاعدة الحقيقية لانطلاق قوات العبور . كذلك لم أضف بالطبع خسائر حرب اليمن ، وكان عددهم اقل قليلا من خمسة آلاف ضحية

خمسة وعشرين ألفا في الجنوب وحده ، ولا يدخل في الحساب من سقطوا في بيروت أو غيرها من مدن لبنان وهم أكثر من ١١٥ ألف ضحية) - أى أن كلفة هذه الحرب تزيد بدورها - قرابة خمس مرات - عن كل كلفة حرب الثلاثين سنة التى هى موضوعى الآن !^(٢)

هناك أيضا معارك حقيقية في الضفة الغربية وغزة ، وهى معارك لم يسبق لها مثيل ، ففيها تتجرأ الحجارة على شن الحرب ضد دولة نووية !

□ خامسا - وإذا كنت أذهب إلى أن حرب الثلاثين سنة التى اكتب عنها قد انتهت ، وأن صراع المصائر الذى نخوضه مازال مستمرا - إذن فإننى لا أكتب عن الماضى ، وإنما أكتب عن الحاضر الذى مازال حيا ، ومازال ممتدا إلى المستقبل ، وهنا لا تصبح التفاصيل تزييدا ، وإنما تتحول بدورها إلى دراسة تقصد إلى استطلاع الغد وتتحرق شوقا لإطلالة عليه .

وقد أتجاوز مرة أخرى ، وأقول إن خط الصراع المستمر هو الخط الذى أركز عليه ، وهناك فيما يتصل بالتعرض للصراعات الكبرى رأيان :

● رأى يركز على الثوابت التى تنشأ بسببها صراعات التاريخ الكبرى .

● ورأى يركز على المتغيرات التى تجيء بها العوارض الظاهرة لهذه الصراعات .

(٢) الأرقام هنا معتمدة على تقارير الصليب الأحمر الدولى في جنيف . والغريب أن حجم الخسائر المادية في هذه الحروب يتناسب بشكل لافت للنظر مع حجم الخسائر البشرية - وذلك من واقع ما نقول به أدق التقارير الدولية بما فيها ما هو صادر عن الأمم المتحدة . هناك أيضا ظاهرة أخرى لافتة للنظر ، وهى أنه في توزيع نسب الخسائر بين الطرفين ، فإن حساب الخسائر البشرية باستمرار هو ٢ إلى ١ على حساب العرب ، والعكس تماما في التكاليف المادية فهى ٢ إلى ١ على حساب إسرائيل ، أى أننا ندفع تكاليف معاركنا بثلاثين من البشر وثلاث من المال ، وإسرائيل العكس ثلثين من المال وثلث من البشر !

والتركيز على الثوابت يقترب من حركة وقوانين الصراع ، وأما التركيز على المتغيرات ، فهو يجرى وراء « الحوادث » والحكايات .
وأشهد أنني منحاز إلى الرأي الأول . منحاز ضد الرأي الثاني .

وبالتالى فلقد أقول مبكرا إن روايتى للوقائع كلها محاولة لتعقب مجرى الصراع الرئيسى بين الأمة العربية ، وبين الذين تربصوا بها طوال الحقب الثلاث التى استغرقتها حرب الثلاثين سنة . وأتمنى ألا أكون متشائما إذا قلت إن الصراع مازال جاريا ، وإن تغيرت ميادينه وتبدلت مواقعه ، واختلفت أطرافه .

□ سادسا - وما دمت قد أشرت إلى التشاؤم ، فلعلى قصدت فى تعقبى لخطر الصراع فى المنطقة على صفحات هذا الكتاب أن أنبه بعض المتفائلين الذين يتصورون أن العصر النووى قد أنهى إلى الأبد « إمكانية » استخدام القوة فى الصراعات .

ولقد كنت أتمنى لو كان هذا التفاؤل فى محله وفى موضعه ، ولكنه مع الأسف تفاؤل الحالمين ، ولا أريد أن ينزلق قلمى أولسأنى فأقول إنه قعود القاعدين يريدون أن يتلمسوا فى تقدم العلم مايبرر لهم تجنب المشاق .

وعلى فرض أن السلاح النووى أنهى إمكانية الحرب ، فلعلنا لانسى أن هذه النهاية لاتتحقق إلا بالتعادل النووى ، وإلا فإن احتكار طرف لهذا السلاح وحرمان طرف آخر منه ، يعنى أنها سوف تكون حربا بالابتزاز ، وهذا أكثر أنواع الحروب مهانة وانكسارا .

وفى كل الأحوال ، فليس يحق لنا أن نغفل لحظة عن حقيقة أن الصراعات بين الأمم قائمة ودائمة ، وسوف تظل قائمة ودائمة حتى تتغير الدنيا وسكانها ، فتصبح أرضها هى الجنة وناسها هم الملائكة ، لكنه حتى يحدث ذلك فإن صراعات المصالح والأمن تؤدى لا محالة إلى الحروب . والعلم يؤدى الى اختلاف وسائل الحروب وأساليبها . والعصر

النوى قد يقنع بعض الأطراف بوضع حدود لاستعمالات القوة ، ومع ذلك فمن قال إن النار وحدها هى سلاح القوة ؟ !



هناك قضية حساسة أخرى أرى ملائما أن أتعرض لها قبل أن أفرغ من هذه المقدمة ، لهذا الكتاب الأول عن سنة ١٩٦٧ - « سنوات الغليان » .

وأتمنى فى شأن هذه القضية أن أسوق الملاحظات التالية :

١ - إن معركة سنة ١٩٦٧ لها سمة خاصة تفترق بها عن معركة السويس (١٩٥٦) التى سبقتها ، وعن معركة العبور (١٩٧٣) التى لحقتها .

وفى حين أن ماسبقها وما لحقها من معارك كانت له تضحياته ، وكانت له جوائزه التى حافظنا عليها ، أو تركناها تضيع - فإن معركة سنة ١٩٦٧ كانت تضحيات كلها بغير جوائز . ثم إن التضحيات كانت ماساوية ظاهرا وباطنا .

وبالتالى ، فإن كل طرف يحاول إزاءها أن يتهرب من مسؤوليته فى المأساة ، ويلقى اللوم فيها على غيره ، ويجد له فى ذلك مشايعين وسط كتائب الفتنة الكبرى المستبدة الآن بالعالم العربى .

ولعل ما أريد قوله فى هذه النقطة هو أننى لست متشيعا لطرف ، فأنا لا أريد أن أعطى على أحد أو أتستر على فعل . ومن الحق أن أقول إن « جمال عبد الناصر » نفسه تحمل مسؤوليته عن مأساة سنة ١٩٦٧ وتحملها كلها لم يوزعها يمينا أو يسارا - شرقا أو غربا على كل الأطراف مستثنيا نفسه .

وإذا كان ذلك ما فعله « جمال عبد الناصر » فليس لأحد بعد ذلك

حق أن يتزايد ، وإنما يكون على الذين يهتمهم درس المأساة وعبرتها أن يتبينوا ، وأن يتقصوا دوائر الحوادث ودوائر النفوس ، فهذا وحده يجعل للمأساة فائدة حين يرتفع بها من أن تكون مأتما للبكاء على الأطلال ، ليجعلها منجما مليئا بالذخائر ، وكنوز المعرفة والتجربة معا .

٢ - ومع ذلك فإن أى قارئ سوف يلحظ أن اسم « جمال عبد الناصر » شخصيا سوف يتردد على صفحات هذا الكتاب بأكثر مما كنت أقدر أو أريد ، ولقد كنت أتمنى أن لا يكون الأمر كذلك ، ولكن المشكلة أن الوثائق التى يعتمد عليها الكتاب من ملفات الغرب وخزائنه تركز كلها على اسم « جمال عبد الناصر » والحقيقة أنها تستعمله اختصارا لحركة ورمزا لتوجهه ، ولم يكن أمامى اختيار بديل !

٣ - إننى أتوقع مبكرا أن بعض ما أقوله فى هذا الكتاب ، أو بمعنى أدق ما تقول به الوثائق فى هذا الكتاب ، سوف يثير أطرافا داخل مصر وخارجها ، ولا حيلة لى فى ذلك .

إن محاولة « استعادة الوقائع » هى فى ناحية منها محاولة « لاستعادة الذاكرة » - وهذا بالفعل بعض ما قصدت إليه - خصوصا إزاء أجيال الشباب - ومطلبى فيه هو الحرص على المستقبل ، ذلك أن رجلا يفقد ذاكرته فى منتصف رحلة ، لا يمكن أن يكون قادرا على تكملتها . وذلك حال الأمم !

وربما قلت إن العصر كله هو عصر الذاكرة الواعية . عصر المعلومات وحفظها وترتيبها واستدعائها لتكون حية فى المستقبل ، وفاعلة فيه بالإدراك الإرادى .

وقد ننبه أنفسنا إلى أننا بعد سنوات قليلة لا ندخل قرنا جديدا من الزمن فقط - وإنما ندخل ألفا جديدة هى الألف الثالثة من التقويم المتعارف عليه بين عموم البشر !

ولعل تمسكى الزائد بحديث الوثائق يرجع بالتحديد إلى أننى لا أريد أن يظن ظان أننى أعطيت نفسى حقوقا لا أملكها ، وهى تسمح لى بفرض الضرائب على البعض ، وتوزيع الأرباح على البعض الآخر .

والحقيقة أننا لسنا جميعا - أقصد أمتنا العربية - فى وضع من تستحق له أرباح ، وإنما نحن جميعا فى وضع من تستحق عليه ضرائب بصرف النظر عما إذا كان مسؤولا عنها مباشرة ، أو أنه يتحملها بدون مسؤولية مباشرة تستوجبها عليه .

وإذا نظرت إلى أحوالنا العامة ، وكما هى الآن ، فلعل لا أتجاوز إذا قلت إن كلنا مسؤول وكلنا مذنب . ليس فينا أبرياء ، وليس بيننا قديسون ، ومع ذلك فهذه طبائع البشر طالما أن هذا الجنس من طينة الأرض ، وهم فى قلبها لم يهجرها بعد إلى كوكب آخر كالمرىخ أو القمر !

٤ - وربما أضفت أننى لا أقصد إلى إيقاظ أشباح الماضى النائمة . فالأشباح هائمة وليست نائمة ، ولعلى أتجاسر فى طلب الإنصاف لكل الأطراف بالقول بأننا أمة مازالت تعيش مرحلة التناحر إلى قرب الحرب الأهلية : بين المدن والقبائل ، وبين الوديان والصحارى ، وبين الأغنياء والفقراء ، وبين العقائد والمذاهب والفرق - وليس فى هذا ما يحق لنا أن نداريه أو نخجل منه ، فهو طبائع حركة تاريخية متعددة الموارىث والرؤى ، مشتتة الولاءات والنزعات ، وأحسب أن لكل منها جميعا منطقا تتحرك منه ، وهو فى حسابها مشروع وشرعى !

ولقد خاضت كل الأمم قبلنا هذه المحنة ، وحتى إلى درجة الحرب الأهلية ، بينما هى فى طريقها لتحقيق وحدتها القومية .

بريطانيا عاشت سلسلة من الحروب الأهلية ، والولايات المتحدة عاشت أشهر حرب أهلية فى التاريخ ، والثورة الفرنسية العظيمة

خاضت غمار الحرب الأهلية في طريقها إلى تأكيد مبدأ الحرية والإخاء والمساواة .

ولقد سرنا في نفس الطريق ، وكان حتما أن نسير ، ومازلنا عليه سائرون ، فتحويلات التاريخ الكبرى لا تحسمها عشر سنوات ، أو عشرون سنة ، أو ثلاثون .

وربما نتذكر أننا في بعض اللحظات رفعنا السيوف على بعضنا ، ثم أعدناها إلى أغمارها تحت ضغط ظرف أو آخر داخل أوطاننا أو خارجها - لكن التناقضات لم تحل ، وربما جازفت مرة أخرى وقلت إن هذه التناقضات أكبر من أن تحلها السيوف ، وإنما التطور التاريخي وحده هو الكفيل بها !

هـ - وبدون أن أحمل مقولة « أن التاريخ يكرر نفسه » فوق ما تحتمله - فإن المرحلة الراهنة التي نعيش فيها الآن تذكرني بعصر الفتنة الكبرى في صدر الإسلام بفارق واحد ، وهو أنها فتنة لا يجاورها حلم أموى عظيم يتجاوز مآسيها الحزينة والدامية ، بانطلاقة إمبراطورية واسعة تصل من شواطئ آسيا المظلة على بحر الصين ، إلى شواطئ الأطلنطي المظلة على أسبانيا ، وتعوض محنة المذاهب المتناحرة بعظمة الدولة القادرة .

وهكذا فإن الفتنة يقظى ، وأما الحلم ففي سبات عميق . ولعل أقول بأمانة : إن هدي من كل ما أعرض له في هذا الكتاب ليس صب الزيت على حريق الفتنة ، وإنما إضافة الزيت ، ولو حتى قطرة واحدة منه ، إلى شعلة الضوء حتى نرى كخطوة أولى أين نقف ، ولماذا نحن هنا ، وكيف السبيل إلى الخروج ؟ !



هناك أيضا مسألة اجتهادات أرى من واجبي أن أضعها تجنباً لأى التباس :

١ - سوف يلاحظ أى قارئ أن هناك تداخلا بين قصة معركة السويس ١٩٥٦ - وقصة معركة سيناء ١٩٦٧ وهى الموضوع الأساسى لهذا الكتاب . ولم يكن ممكنا تجنب مثل هذا التداخل ، لأن خواتيم قصة سنة ١٩٥٦ هى نفسها مقدمات قصة سنة ١٩٦٧ ، وإذا كان تقديرى صحيحا « بأن حياة الشجرة فى جذرها المدفون فى باطن الأرض لاتراه العيون ، فى حين أن الفروع والأوراق مجرد ظواهر مؤقتة ، عمرها ساعات أو بالكثير أيام » - إذن فالعودة إلى الجذور لم يكن منها بد ولا مفر . ولم تكن معركة سنة ١٩٥٦ - بالنسبة إلى معركة سنة ١٩٦٧ - علاقة شجرة بجذرها فقط ، وإنما كانت علاقة جنين برحم !

٢ - إننى من أنصار قاعدة فى الكتب ترى أن كل كتاب يجب أن يكون وحدة مستقلة تقرأ بذاتها منفصلة عما يسبقها ، وعما يلحقها ، مهما كان من اتصال وتسلسل السياق . ويخطر ببالي أنه يكون نوعا من الخيلاء إذا تصور أى كاتب أن كل قارئ كتاب جديد له يتحتم عليه أن يكون قد قرأ كتابه السابق ، وهكذا يسمح لنفسه أن يبدأ من حيث انتهى بالضبط دون أن يمهد ببناء جسر بين الاثنين يصل أحدهما بالآخر ويكون عذره فى ذلك محاذير التكرار .

ومع اعترافى بأن محاذير التكرار واردة ، فقد حاولت تلافى آثارها قدر ما استطعت ، وكان سبيلى إلى ذلك البحث عن وقائع جديدة ووثائق مختلفة تعبر عن حقائق كانت موجودة فى الصراع سابقا ، وظلت موجودة فيه لاحقا .

٣ - إننى أعود إلى الإلحاح على واقع أننى أقصر اهتمامى فى كل مجموعة حرب الثلاثين سنة على الصراع على الشرق الأوسط وفيه . أمهد بذلك لكى أقول بعده إننى لا أتعرض الآن للأوضاع الداخلية لأى بلد بما فى ذلك مصر - إلا فى أقل الحدود ، بمعنى أننى أتعرض للأوضاع الداخلية فى حالة واحدة ، وهى أن يكون لهذه

الأوضاع دور مباشر ، أو غير مباشر على مجرى الصراع الرئيسى
المنطقة - فيها وعليها .



ولعلى أطلت فى هذه المقدمة ، وكانت نيتى أن لا أطيل . ولكن
وجدت حقا على أن أقدم وأوضح .

ومع ذلك بقيت حقوق لابد من أدائها لأصحابها وهم كثر
وبدونهم لم يكن ممكنا أن أتشرف بتقديم هذا الكتاب إلى الذين يشرفون
أن يقرأوه .

هناك بعيدا عن مصر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى أوروبا
هؤلاء الذين كرسوا شهورا طويلة من علمهم واهتمامهم وصلاتهم لك
يحصلوا على ما طلبت من وثائق أجنبية .

وإذا كنت أوجه لهم الشكر دون أن أسميهم أمام الناس ، فعزائى
أنهم يعرفون أنفسهم كما أعرف من ناحيتى دورهم .

يجىء بعد ذلك واجب الشكر لعدد من الأصدقاء فى مكتبى
هناك الأستاذة مایسة الجمل التى أعطتنى جهدا بغير حدود
وبكفاءة منقطعة النظير ، وإخلاص أعترز به كمساعدة بحث رئيسية
إعداد مواد هذا الكتاب - رغم ظروف شخصية صعبة صادفتها .
الفترة الحرجة من صياغته .

وهناك الأستاذة جيهان عطية التى قضت شهورا ممتدة تتاب
معى مسار هذا الكتاب بابا بعد باب ، وفصلا يلى فصلا آخر ، وقامد
بذلك بحماسة وعلم وفهم .

وهناك أيضا زميلى وصديقى ورفيقي القديم الوفى الأستاذ منير
عساف الذى تولى إدخال مواد الكتاب إلى العقل الإلكتروني ، ثم توا
إخراجها فى شكلها النهائى بجلد وكفاءة .

وأخيرا وليس آخرا ، فإن دينى كبير لقسم المعلومات فى الأهرام ،
ولرئيسه الأستاذ أبو السعود إبراهيم ، وقد كانوا دائما حاضرين
وسباقين .



لدىّ بعد ذلك اعتراف بالجميل أتقدم به لصاحبه ، وهو الأستاذ
جميل مطر خبير العلاقات الدولية المشهود له ، وقد تفضل بقراءة
مخطوطة الكتاب كاملة مقتطعا بذلك كثيرا من وقت ثمين ، ومبديا
ملاحظات قيمة .



ولقد أضاف « الأهرام » إلى أفضاله علىّ فضلا متجددا .
فرئيس مجلس إدارته ورئيس تحريره الأستاذ إبراهيم نافع هو
الذى سبق إلى طلب هذا الكتاب وحقوق توزيعه فى العالم العربى من قبل
أن اخط حرفا واحدا فيه .

كذلك فإن « مركز الأهرام للترجمة والنشر » هو الذى تولى ترجمة
كل الوثائق الأجنبية التى تظهر فى الكتاب ، وقد حرصت - مرة ثانية -
على أن يقوم بها مترجموه ضمنا لحياة الترجمة ، والتزامها الموضوعى ،
وبعدها عن مظنة أى هوى يتحيز فى ترجمة الألفاظ إلى ما يناسبه ويروق
له !

ولئن كان هذا المركز هو القائم بنشر هذا الكتاب وطبعه ، فلا بد أن
أشهد أن كل الذين شاركوا فى هذا العمل تصرفوا باعتبارهم أصحاب
الكتاب من أول حرف إلى آخر حرف ، وتلك مدعاة للإعتزاز ، ولعلّى أخص
بالذكر السيدة نوال المحلاوى مديرة مركز الأهرام للترجمة والنشر ،
والأستاذ كمال السيد نائب مدير المركز ، والسيدة عفاف عبد العزيز ،
وكثيرين غيرهم لا أعرف كيف أفيهم حقهم .

كذلك أذكر بالخير الصديق الأستاذ ماهر الذهبى الذى أشرف
على إخراج هذا الكتاب ، وأضاف إليه لمسات فن وخبرة من حسن الحظ
أنها مازالت باقية فى صحافة مصر .



بقى العرفان للسيد الحقيقى والوحيد لأى كاتب ، وأعنى به
قارئه ، وأمام عطفه ورعايته يعجز كل قلم ، وينعقد أى لسان .

محمد حسنين هيكل

الباب الأول

أهم بلد في الدنيا

« كل حرب في التاريخ بقية
معلقة من حرب سبقتها ! »

[معاهدة فرساي للسلام التي انتهت بها
الحرب العالمية الأولى كانت هي بذاتها خميرة
وبذرة الحرب العالمية الثانية !

والنتائج التي انتهت إليها معركة السويس
سنة ١٩٥٦ كانت هي بذاتها مقدمات الإعداد
لمعركة سيناء سنة ١٩٦٧ !]

الفصل الأول

جسر على السويس



كان « نابليون بوناپرت » هو صاحب المقولة الشهيرة « إن مصر هي أهم بلد في الدنيا » .

ولقد صك « نابليون بوناپرت » هذه العبارة ، وفي خواطره ذلك الصراع الإمبراطورى المتأجج دائما والدامى أحيانا - بين بريطانيا وفرنسا اللتين خلت لهما الساحة الاستعمارية بعد أن جرى حصر أو تحجيم قوى سبقت إلى البحار والقارات البعيدة ، ترفع عليها أعلامها ، مقدمة لإخضاع شعوبها ونزح ثرواتها .

لقد جرى حصر وتحجيم إمبراطوريات اسبانيا وهولندا والبرتغال ، واقتصرت ساحة الصراع ، بالتالى ، على بريطانيا وفرنسا وحدهما ، وفي تلك اللحظة بدأ مؤكدا أن مصر بالتحديد أصبحت بؤرة الصراع بين الإمبراطوريتين ، فهى الدرة الغالية فى تاج الخلافة العثمانية التى تكالبت عليها كل العوامل المؤدية حتما إلى سقوط الدول وأولها غفلة السلاطين عن أداء حقوق الرعية ، وما ينجم عن ذلك فى المقابل ، وبالضرورة من سقوط عهود الولاء .

ووقع الشعب المصرى فريسة لجماعات من الجند والممالك والمشايخ ، تجمعهم نزعة الاستغلال وتفرقهم قسمة غنائمه - فى الوقت الذى كان فيه السباق الإمبراطورى يحوم حول مصر من كل الاتجاهات ، والخطر يتربص بها فى البحار القريبة ينتظر اللحظة الملائمة لكى ينقض :

● كانت الإمبراطورية البريطانية تزحف من الهند إلى شطآن الخليج العربى قاصدة عدن ، وهى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، وهدفها النهائى اجتياز هذا البحر إلى الشمال حيث نقطة اقترابه من البحر الأبيض عند برزخ السويس .

● وكانت الإمبراطورية الفرنسية التى قدرت أن يتحول البحر الأبيض ليصبح بؤرة للصراع حاسمة مع عدوها العتيد قد نقلت اهتمامها بسرعة إليه ، فراحت تضغط على شواطئ شمال أفريقيا العربية الإسلامية ، وراحت تمد بصرها من المغرب إلى المشرق وتفكر وتخطط . ثم قرر « نابليون بونابرت » أن أقصر الطرق أسرعها ، فإذا هو يعبر البحر من طولون إلى مالطا ، ومن مالطا إلى « أبو قير » - إلى الإسكندرية والقاهرة مباشرة !

وفى إطار هذه الخريطة للصراع - كانت مصر بالفعل هى « أهم بلد فى الدنيا » .

وربما لم يكن « نابليون بونابرت » يتصور - حتى فى أكثر أحلامه جموحا - أن بلاده - بعد قرن ونصف القرن وبضع سنوات - سوف تتحالف مع عدوها القديم (بريطانيا) فى مغامرة مشتركة لغزو مصر سنة ١٩٥٦ ، وأن مصر فى إطار صراع عالمى من نوع آخر وفى زمان مختلف - سوف تؤكد من جديد أنها « أهم بلد فى الدنيا » وأن شعبها الذى رآه بنفسه منهكا من استغلال الجند والمماليك والمشايخ - سوف يقف وحده فى ميدان قتال أمام غزو الإمبراطوريتين الكبيرتين .



وفىما بين معركة « أبو قير » البحرية قبل أن يبدأ القرن التاسع عشر ، وحتى معركة السويس بعد أن انتصف القرن العشرين - تغيرت خريطة القوة فى العالم ، وتبدلت الموازين ، واختلقت قوانين الحركة .

تدافعت أمواج عالية وعاتية فى البحار والمحيطات طوال مسافة الزمن بين بداية فجر القرن التاسع عشر ، وإلى ما بعد ظهر القرن العشرين :

... الحلف المقدس للملوك الذى هندس له « مترنيخ » مستشار النمسا و « كاسلرو » وزير خارجية بريطانيا ، سنة ١٨١٥ ، لكى يمسك بموازين أوروبا بعد هزيمة « نابليون » .

... ثم إعلان المانيفستو الشيوعى سنة ١٨٤٨ بتوقيع « ماركس » و « انجيلز » .

... ثم قيام الوحدة الألمانية بتخطيط « بسمارك » - وتحقيق الوحدة الإيطالية بتاج « عمانوئيل الأول » .

... ثم وصول القوة البريطانية إلى مداها فى عصر « فيكتوريا » .

... ثم انكسار فرنسا فى حرب السبعين - غفلة من « نابليون الثالث » .

... ثم خروج ألمانيا الموحدة ، وإيطاليا الموحدة كليهما إلى دور استعمارى راح يلح - وبتهديد القوة إذا لزم - على إعادة طرح التقسيم القائم للمستعمرات على نحو يكفل العدالة بين الغاصبين !

وحين أهلّ القرن العشرون كان تدافع المتغيرات فى العالم قد ازداد تعقيدا ، فقد ظهرت مع بداياته إشارات وعلامات تومىء إلى أن هذا القرن قد أصبح قرن الرأسمالية الأمريكية .

واختلط القديم والجديد ، وامتزج خطر الأفكار الزاحفة مع خطر المدافع لرابضة ، وتصادمت الحقائق البازغة مع الأمر الواقع الذى بدأ يضطرب أمام مهابة مصر من الاكتشافات العلمية والجغرافية غيرت كل الآفاق والتضاريس الاجتماعية الاقتصادية ، ولم تعد الخرائط المعتمدة من قبل قادرة على تحمل الضغوط النازلة عليها ، وبدأ أنها تتمزق ، ووقعت الحرب العالمية الأولى ، وانتهت بالسلام القلق المتوتر الذى صاغته "معاهدة « فرساي »

وكانت دولة الخلافة الإسلامية فى استانبول قد ذابت وتلاشت . فى نفس الوقت لذى تحولت فيه الشيوعية من مانيفستو وقعه « ماركس » و « انجيلز » إلى دولة فى روسيا أقامها « لينين » و « ستالين » .

وأدى سلام « فرساي » المتوتر والقلق إلى ظهور فاشستية « موسوليني » فى إيطاليا ، ونازية « هتلر » فى ألمانيا ، وعسكرية « توجو » فى اليابان ، وتهيأ المسرح حرب عالمية ثانية عام ١٩٣٩ .

وحين انتهت هذه الحرب العالمية الثانية ، كانت مواقع القوة قد انتقلت ن مكانها السابقة إلى موقعين جديدين : واشنطن ، وموسكو .

وكانت تلك واحدة من أهم وأخطر عمليات الانتقال لمراكز القوة في التاريخ ، ذلك أن عملية الانتقال الجديدة لم تكن في إطار دول أو إمبراطوريات وإنما أصبحت الدول والإمبراطوريات عقائد اجتماعية في نفس الوقت - وفوق ذلك فإن أدوات القوة المتاحة للمركزين العالميين الجديدين فتحت أبواب عصر يختلف عن كل ما سبق أن عرفته البشرية طوال تاريخها من قبل ، وهو العصر النووي بكل محاذيره ومحظوراته !



كانت الأسلحة النووية تحديا فعليا لفكرة الحرب من أساسها ، فلقد توصل الإنسان إلى استخدام قوى الطبيعة نفسها في تدمير الحياة ذاتها ، ومن ثم فهناك لأول مرة سيف لا يمكن إخراجها من غمده سواء للتلويح باستخدامه ، أو بالاندفاع إلى استخدامه فعلا - لكن هذه الحقيقة لم تكن ظاهرة بما فيه الكفاية أمام السياسة الذين يملكون قرار الحرب والسلام بقدر ما كانت ظاهرة أمام العلماء الذين يعرفون أسرار هذه الحقيقة ووقائعها .

كان العلماء الألمان هم الأسبق إلى محاولة استكشاف إمكانية تفجير الذرة ، وتنبيه « هتلر » إلى هذه الإمكانية ، ولعلها كانت سلاحه السري المرجو لتحقيق النصر ضد الحلفاء الذين تصدوا لمطامعه ، وأولهم الولايات المتحدة الأمريكية (الرأسمالية) والاتحاد السوفيتي (الشيوعي) .

وسارع عالم المانى مهاجر إلى أمريكا وهو « البرت اينشتين » إلى تنبيه الرئيس الأمريكى « فرانكلين روزفلت » لاحتمالات هذا السلاح الجديد ، وبدوره سارع الرئيس الأمريكى إلى تكليف عالم من أصل المانى أيضا وهو « أوبنهايمر » بأن يشرف على مشروع لإنتاج قنبلة ذرية تسبق قنبلة « هتلر » .

وحين تم إنتاج القنبلة الذرية الأمريكية كانت إيطاليا قد خرجت من الحرب مستسلمة ، وكانت ألمانيا النازية قد انهضت قبل أن تتمكن من إتمام صنع قنبلتها ، ثم إن اليابان كانت على حافة اليأس بعد انهيار ألمانيا إلى درجة أرغمتها على التقدم بعروض مؤداها قبول الهزيمة ، والتوقف عن القتال .

وبدا كما لو أن السلاح الذرى الجديد لن تتاح له فرصة التجربة الحية - ومع ذلك فإن الرئيس الأمريكى الذى دخل البيت الأبيض بعد وفاة « روزفلت » - وهو « هارى ترومان » - أصدر أوامره بإلقاء قنبلة ذرية على « هيروشيما » يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥ أعقبها - بعد ثلاثة أيام - قنبلة ذرية ثانية على « نجازاكي » !

وتشير الوثائق السرية للحرب العالمية الثانية إلى أن القنابل الذرية التي انقضت على اليابان لم تكن موجهة إليها ، وإنما كانت موجهة إلى الاتحاد السوفيتي قبل اليابان !

إن هذه الوثائق تشير إلى حقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية (الرأسمالية) بدأت تدرك وهي بعد في خضم الحرب ضد « هتلر » أن صراعها العالمي القادم بعد هزيمة ألمانيا - سوف يكون مع الاتحاد السوفيتي (الشيوعي) فكلاهما - إمبراطورية وعقيدة - سوف يصطدم بالآخر عما قريب في سباق على أقدار عالم ما بعد الحرب ، والصدارة فيه - وربما السيطرة .

والواقع أنه لم تمض أيام قليلة بعد انتحار « هتلر » واستسلام ألمانيا بلا قيد ولا شرط - حتى كانت طوكيو تبعث رسلا إلى سويسرا يلتقون سرا بـ « آلان دالاس » الذي كان يدير من جنيف ما سمي وقتها بـ « مكتب الخدمات الخاصة » والذي تحول فيما بعد إلى إدارة المخابرات المركزية الأمريكية - وقد سلم هؤلاء الرسل ، ومن بينهم الوسيط الدولي الكونت « برنادوت » إلى « آلان دالاس » - طلب اليابان بقبول الهزيمة ، وطلب الاستسلام .

وكان الرئيس الأمريكي « هاري ترومان » في حالة تشاور مستمر مع مساعديه ، وانقسمت الآراء بينهم :

□ فريق يرى بقبول استسلام اليابان دبلوماسيا دون استعمال السلاح النووي ، وهذه خاتمة مشرفة للحرب . . . وإنسانية !

□ وفريق ثان يطالب بإلقاء القنبلة الذرية ليس فقط كخاتمة عنيفة للحرب اللا إنسانية التي انتهت - وإنما كافتتاحية تحذير في الحرب الجديدة التي يحتمل أن تقع مع الخصم الإمبراطوري العقائدي المنافس !

رأيهم أنها أولا فرصة عملية مازالت متاحة لتجربة السلاح الجديد .

ثم أنها ثانيا فرصة متاحة لإعلان التوصل إلى سلاح نهائي تتحقق لأصحابه هيمنة على مصائر الدنيا لايمك أن يتحداها أحد .

ثم هي ثالثا رسالة إلى الاتحاد السوفيتي بأن يلزم حدودا معينة لايتجاوزها في السباق العالمي المنتظر .

وتلقت اليابان أول حصنة في درس الدمار الشامل ، ولم تكن هي المقصودة به ، وإنما شاء حظها أن تلعب فيه دور رأس الذئب الطائر لكي يتعظ غيرها !

لكن صراعات التاريخ الكبرى ليست لها دائما نهايات حكيمة ، أو تتوهم أنها حكيمة ، وذلك ما وقعت فيه الولايات المتحدة فإذا هي تخط بين الأمر الواقع الراهن ، وبين إمكانية استمراره التاريخي - وهكذا فإن الذي كان مقصودا بالدرس الأول في عصر القوة النووية لم يتعظ ، وإنما سارع ليحصل لنفسه على قنبلة ذرية هو الآخر - وتمكن من الحصول عليها واللاحق بالخصم .

ولم يكن هذا التعادل كافيا فضلا عن أن حقائق القوة النووية لم تكن بعد قد أفصحت عن كل أسرارها ، وهكذا كان لابد من اختبارات قوة بين المتنافسين الجدد . في إطار هذه الاختبارات جرت سلسلة من المواجهات بين الإمبراطوريتين الجديتين .

مواجهة أولى في البلقان بالتحديد في الحرب الأهلية في اليونان بين الملكية والشيوعية .

ثم مواجهة ثانية على تخوم الشرق الأوسط في الحرب الأهلية في إيران بين الجمهورية الشيوعية التي أقامها « جعفر بيشفاري » في أذربيجان تحت سطوة الحراب الروسية ، وبين شاه إيران « محمد رضا بهلوي » الذي احتفى بالحراب الأمريكية .

ثم مواجهة ثالثة في الشرق الأقصى دارت على أرض كوريا بين الشيوعيين ، وبين التابعين للولايات المتحدة في الجنوب .

ولم تصل هذه المواجهات الثلاث^(١) إلى نتائج حاسمة ، ربما لأنها جرت على خطوط التماس المباشر بين القوتين الأعظم في العالم الجديد بعد الحرب العالمية الثانية - وخطوط التماس بطبيعتها حساسة وقابلة للانفجار ، وبالفعل فإن آخرها وهو حرب كوريا كاد يلامس حدود الخطر حين ارتبك القائد الأمريكي في كوريا وهو الجنرال « دوجلاس ماك آرثر » بحجم تدخل الجيش الصيني في الحرب بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ، وتدفق جحافل عبر نهر « يالو » لتقلب موازين هذه الحرب . وفي لحظة عصبية اقترح « ماك آرثر » استعمال القنبلة الذرية لوقف التدفق الصيني ، وبادر الرئيس الأمريكي « هاري ترومان » إلى عزل القائد الشهير ، وهو يقول لمن حوله : « إنه ليس أحقق فقط ، ولكنه مجنون أيضا » ! ومع ذلك ، فقد كانت طبائع الصراع وحركته تقتضي البحث عن ميدان آخر

(١) كان في الحظ ان احضر هذه المواجهات الثلاث بنفسى ومباشرة كمراسل صحفى في اليونان سنة ١٩٤٧ - وفي إيران سنة ١٩٥٠ - وفي كوريا سنة ١٩٥١ .

لاختبار القوى ولممارسة السباق - وكان مثل هذا الميدان قد طرح نفسه فعلا بعد انتهاء معارك الحرب - وكان هذا الميدان هو حركة التحرر الوطني ، وثورة شعوب المستعمرات على الاستعمار القديم .

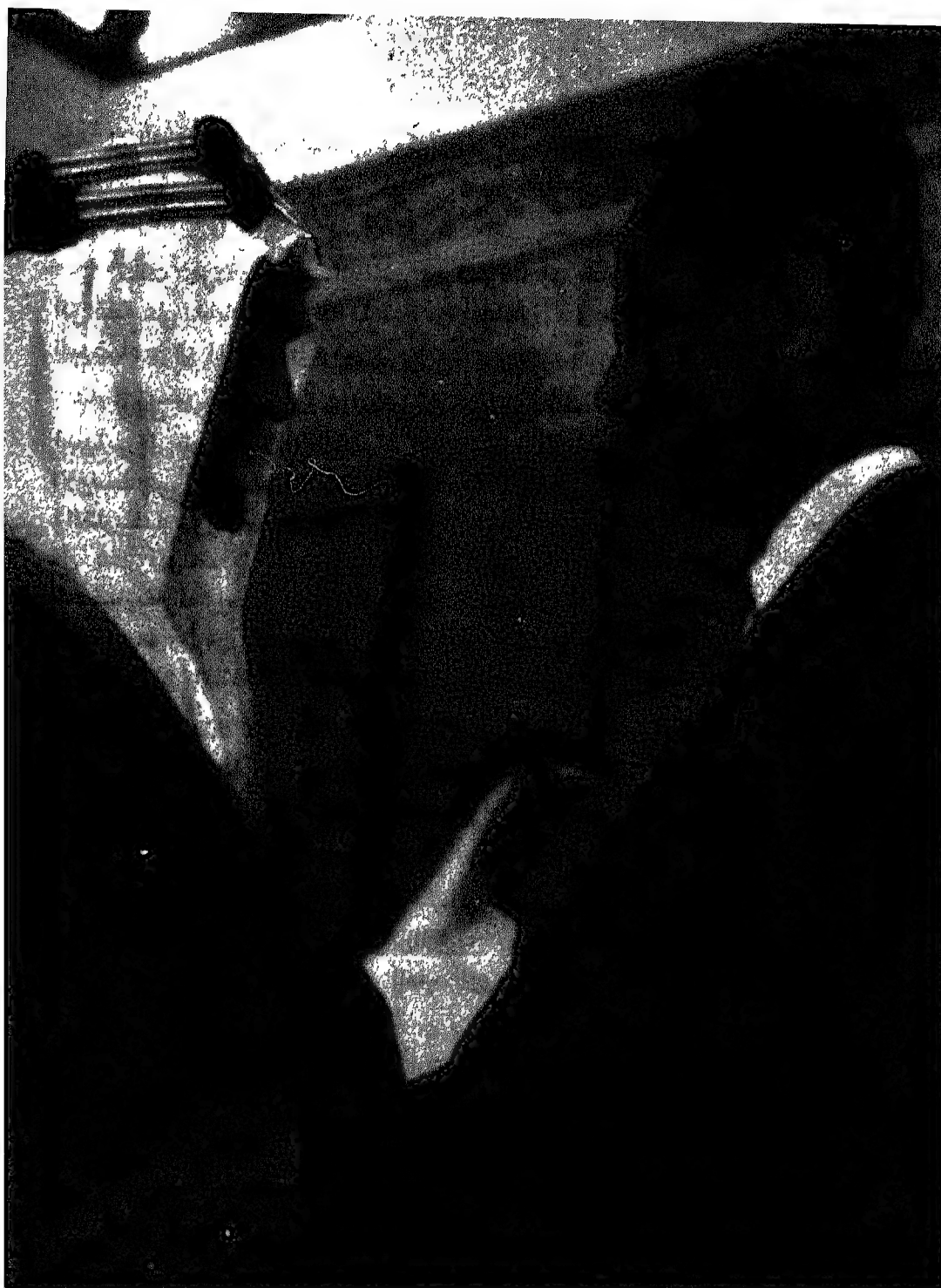
كانت حركة التحرر الوطني قد تحولت إلى تيار عارم يكتسح المنطقة الواقعة على المسافة الطويلة الممتدة من « جاكرتا » في « إندونيسيا » إلى « الدار البيضاء » في المغرب العربي .

وعلى طول هذا الخط الممتد من شواطئ المحيط الهادى - أقصى شرق آسيا - إلى شواطئ الأطلنطى - أقصى غرب أفريقيا - كانت منطقة الشرق الأوسط هي أكثر المواقع حيوية وسخونة ، وأهمية بحكم ظروفها الحضارية والتاريخية - وزاد من خطورة ذلك كله أن هذه المنطقة كانت في نفس الوقت مركز كل عقد المواصلات البرية والبحرية والجوية - ثم تضاعفت قيمة الجائزة الحضارية التاريخية الجغرافية - من حقيقة أن هذه المنطقة كانت في نفس اللحظة موطن ثروة هائلة من النفط ، فقد تأكد أنها تحتوى في باطنها على أكثر من ستين في المائة من الاحتياطيات المؤكدة لأهم مصدر من مصادر الطاقة

وإذن فهناك كنز يستحق الصراع عليه - يؤكد أحد الأطراف (الولايات المتحدة وحلفاؤها من الاستعماريين القدامى) سيطرتهم عليه - أو تنتقل السيطرة إلى الطرف الآخر فيحصل على الكنز لنفسه - فإذا لم يستطع ، فعلى الأقل يحرم خصمه من الحصول عليه .

وكان العالم العربى هو عماد الشرق الأوسط ، وكانت مصر بالتحديد هي القلب في وسطه بأحكام الجغرافيا والتاريخ ، وراح النسر الأمريكى يحوم حول آفاقها من البحر والجو ، وراح الدب الروسى يمد البصر إليها عبر السهول والصحارى .

ومرة أخرى بدا أن مصر في الخمسينات من القرن العشرين تعود لكى تؤكد وضعها كـ « أهم بلد في الدنيا » حسب تعبير « نابليون » - الشهير !



الأمير فيصل يرحب بعبد الرحمن عزام ، السيسى المصرى البارز الذى عمل أميناً عاماً للجامعة العربية ، ثم عينه الملك سعود مستشاراً خاصاً له ، وأوفده ممثلاً شخصياً له إلى واشنطن لمعالجة قضية العقبة .



ما بين السباق الإمبراطورى الأول بين بريطانيا وفرنسا عند مداخل القرن التاسع عشر فى اتجاه برزخ السويس ، وما بين سباق القوتين العالميتين الأعظم مع منتصف القرن العشرين ، واتجاه هذا السباق إلى صراع محتوم على أرض الشرق الأوسط وفى قلبه مصر - لم يكن « أهم بلد فى الدنيا » مجرد ساحة مفتوحة لسباق الإمبراطوريات وصراع القوى ، وإنما بدا أن هذا « البلد » يختلج ويتنبه ويهم بحركة تجعل منه دورا وليس مجرد أداة . ففى خضم السباق الإمبراطورى الأول ، وفى أوج تفاعلاته - قام « محمد على » بمحاولة جادة لبناء دولة عصرية فى مصر ، لكن حجم الصراع الإمبراطورى كان أقوى من المحاولة ، فإذا بشراسة الإمبراطورية تفترس محاولة الدولة العصرية فى مصر ، واستسلم « محمد على » فى معاهدة سنة ١٨٤٠ ، وتنازل عن الحلم القومى الكبير فى مقابل ولاية له ولأسرته داخل حدود مصر تضمنت شروطها ضمن ما تضمنته مطلب فتح أبواب مصر على مصراعيها للتجارة الدولية ، وكانت تلك مقدمة لها ما بعدها وقد تكفل به خلفاء « محمد على » ، حتى جاء « توفيق » فإذا هو لا يفتح الباب للسيطرة الاقتصادية والمالية فحسب ، وإنما يفتحه أيضا للاحتلال العسكرى البريطانى يقوده الجنرال « ولسلى » ، وكان الشعب المصرى لا يزال أصلب عودا من أمرائه ، وتولى بنفسه مهمة مقاومة الإمبراطورية ، ودخل ضدها موقعة بعد موقعة ، وقاسى وتحمل بدون أن ييأس ويستسلم . تفلت منه فرصة فإذا هو يصنع لنفسه فرصة بعدها ، وتضيع منه موقعة فإذا هو ينضغط ليستجمع قواه لموقعة أخرى قادمة .



إن الأسباب التى تجعل من ثورة سنة ١٩٥٢ موقعة من نوع مختلف وفريد فى التجربة المصرية لم تكن ترجع إلى شخصية رجل تاريخى شاعت له الظروف أن يتحمل مسؤولية تجسيدها ، وإنما كانت ترجع بالدرجة الأولى إلى حجم ما استجمعه الشعب المصرى من قواه ، وما اختزنه فى فترة اختمارها .

ولقد بدأت فترة الاختمار هذه فى الحقيقة بعد أن قبلت قيادات ثورة سنة ١٩١٩ أن توقع معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ولم تكن تلك المعاهدة - بما فيها أبدية التحالف

العسكري مع بريطانيا - في مستوى توقعات الشعب المصرى ، أو حتى تضحياته ، ومن ثم فقد كان واضحا أن القبول بالمعاهدة في واقع أمره عملية انضغاط لاستجماع القوة والعودة إلى الميدان من جديد .

وفي هذا الظرف اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، وطالت فترة الانضغاط ، لكن هذه الفترة لم تكن مجرد حساب سنوات لأن عمق التجربة الوطنية جعل حسابها بالعرض ، وليس بالطول وحده . كانت سنوات الحرب فترة من التاريخ غنية وزاخرة عاشتها مصر مسرحا أماميا من مسارح ذلك الصدام الإنساني الهائل الذى تطاحت فيه أفكار ومذاهب ومصالح وجيوش ، ونشأت من ذلك كله طاقات أخذ منها الشعب المصرى نصيبا هائلا من الإدراك والعمق والتصميم .

إن هذه الحرب العالمية ، وبحكم حقائق كبرى بينها استراتيجية الحرب نفسها - ربطت مصر بالعالم ربطا نهائيا ، فإذا هى تصبح جزءا عضويا منه .

كذلك حدث شيء آخر ، وهو أن ظروف هذه الحرب وآثارها أبرزت واقع انتماء مصر العربى وأكدته ، وهكذا فإن إعلان وتوقيع ميثاق إنشاء الجامعة العربية تم قبل أن تنتهى الحرب العالمية ، ثم إن هذا الانتماء العربى ترسخ أكثر وأكثر حين أضيفت إلى روابط التاريخ والجغرافيا واللغة والثقافة - تجربة عمل عربى مشترك بالنار والدم في فلسطين بصرف النظر عن النتائج العسكرية ، أو السياسية لهذا العمل المشترك .

يضاف إلى ذلك أن ملابسات جو الحرب العالمية - وسوقها السوداء - زادت من تعميق التناقضات الاجتماعية في مصر ، وانتهت والحقيقة الاجتماعية في مصر نقول إن نصفًا في المائة من سكانها يحصلون على خمسين في المائة من دخلها القومى .

ومن أثرتك الاعتبارات مجتمعة أن « الحالة الثورية » التى أحاطت بمصر بعد الحرب العالمية كانت تحتوى على شحنة من المخزونات هائلة امتزج فيها العالم وصراعاته السياسية والفكرية - والإحساس بالانتماء إلى كيان أوسع من حدود الدولة - والوعى بحقائق اقتصادية واجتماعية لها تفاعلاتها - إلى جانب اليقين المستقر بالحاجة إلى موقعة أخرى تكسر قيود معاهدة سنة ١٩٣٦ وتستكمل مطالب التحرر الوطنى .



إن حساب قوة هذه المخزونات التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية - قبل أى دور فردى - هو الذى يفسر شدة الاندفاع المصرى الذى انفجر بثورة

١٩٥٢ ، والواقع أنه في مدى يقاس بالشهور بعد وقوع الثورة كانت مصر تشهد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية كبرى مضت تلاحق بعضها بسرعة تكاد تخطف الأبصار .

وكانت الأمة العربية كلها تراقب ما يجري على ضفاف النيل مندهشة في بداية الأمر ، ثم مأخوذة به ومعجبة ، ولاحت ظاهرة كانت لها فيما بعد تداعيات هائلة . بدا أن الفكرة العربية كانت في المنطقة روحا هائمة تبحث عن جسد ، فلما جرى ما جرى في مصر بدا وكأن الروح العربية الباحثة عن جسد وجدت في مصر أملاها المنشود . ثم تجلى نوع من التوحد بالمعنى العاطفي والنفسي بين مصر وأمتها العربية . كان هذا التوحد يفتقر إلى القواعد الأساسية للوحدة - اقتصادية وسياسية وعسكرية - لكن أحدا لم يلتفت إلى القواعد ، فقد كان ما يبدو للعيون كافيا في تلك الحالة من الفوران التي اجتاحت أرض الأمة كلها .

وتسارع إيقاع الحوادث .

● في الوقت الذي كان فيه الأسد البريطاني يتراجع تحت ضغط الثورة المصرية - إذا بالنسر الأمريكي الذي كان يحوم حول آفاق المنطقة قد نزل على مصر ، وحش يحاول أن يخطف الفريسة من وحش آخر ، إمبراطورية جديدة تطمع في إرث إمبراطورية قديمة ، واستغلت مصر هذا التناقض بين الجديد والقديم في محاولتها لخلع مواقع السيطرة التي جثمت على صدرها سبعين سنة !

● لم تكن مصر غافلة عن المطلب الأمريكي الذي ما لبث أن راح يلح عليها في نقطتين :

□ الانخراط في معسكره الدولي المعادى للاتحاد السوفيتي ، تحت اسم الدفاع عن الشرق الأوسط ، وكان الادعاء الأمريكي أن الخروج البريطاني من المنطقة سوف يخلق فيها فراغا ينفذ منه ، أو ينجذب إليه الاتحاد السوفيتي ، وعندما وجدت الولايات المتحدة أن فكرة الفراغ في الشرق الأوسط ليست مقنعة بما فيه الكفاية لشعوب كافحت طويلا من أجل استقلالها غيرت الاسم ولم تغير المسمى ، أصبح المطلوب حلفا عسكريا خاضعا للولايات المتحدة ، لكن اسمه يمكن أن يصبح « الحلف الإسلامي » تحت ادعاء أن الدين الإسلامي يعادى الشيوعية ، ولم تأس الولايات المتحدة الأمريكية حين ووجهت بمنطق أن الدين الإسلامي هو بالدرجة الأولى دعوة إلى الحرية ترفض التبعية مهما كان الطاغوت المستكبر !

□ اما النقطة الثانية في المطلب الأمريكي فقد كانت عقد صلح مع إسرائيل

تبدأ به مصر ، ثم تقدمه إلى بقية الأمة بالغواية ، أو بالضغط بدعوى أن الشرق الأوسط يجب أن يكون في سلام مع نفسه قبل أن يتفرغ لاحتتمالات الحرب ضد الاتحاد السوفيتي ، ولم تكن الثورة المصرية على استعداد لقبول هذا المنطق عن اقتناع بأن العدل هو المقدمة الطبيعية للسلام في الشرق الأوسط ، وأن الصلح مع الخطر القابع في قلب أرض الأمة ، والذي استولى بالفعل على جزء منها في فلسطين ، والذي يتواصل تهديده باستمرار لبقية أرضها - هو ضرب من المستحيلات ، فالخطر المائل أولى بالمواجهة من الخطر البعيد . أى أن الشر الواقع ، له الأسبقية في المواجهة على الشر المحتمل ، وكل شيء غير ذلك خلط للأولويات وتبديد للجهود يستحيل قبوله .

● وراحت إسرائيل تبذل جهودها لإنجاح مخطط السيطرة الجديد الذي وجدته متوافقا مع تصورات أمنها .

ولجأت إسرائيل إلى أكثر من سبيل :

□ كانت هناك محاولاتها للاتصال بالقيادة الثورية الجديدة تعرض صلحا معها - ووجدت الباب موصدا .

□ ثم كانت هناك محاولاتها لعرقلة الجلاء البريطاني عن عصر قبل التوصل إلى صلح - وتمكنت مصر من إحباط هذه المحاولة .

□ وأخيرا جاء الدور على الابتزاز باستخدام القوة المسلحة ، وتكررت الغارات الإسرائيلية على خطوط الهدنة سواء في غزة ، أو على الحدود المصرية ، وأطلقت مصر قوات من الفدائيين شقوا طريقهم إلى العمق الإسرائيلي ، وردوا على الرصاص بالرصاص .

وهرعت إسرائيل إلى الإمبراطوريتين القديمتين بريطانيا وفرنسا تطلب منهما السلاح الرادع للحركة القومية العربية التي أصبحت القاهرة مقلها المؤثر في المشرق والمغرب من العراق إلى المغرب حيث البقايا الباقية من النفوذ البريطاني والفرنسي .

واستجابت بريطانيا بحدود - من رواسب ثقة كانت مازالت لديها ، وأما فرنسا فقد كانت استجابتها بغير حدود لأن اليأس من موقفها خصوصا في الجزائر دفعها على طريق الشوك إلى نهايته !

وبدأ السلاح يتدفق على إسرائيل .

● وردت مصر ، وكان لابد أن ترد ، فقررت أن تحصل على السلاح من حيث تستطيع الحصول عليه ، وهكذا تمت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي ،

وأعلنت في شهر سبتمبر ١٩٥٥ ، وبهذه الخطوة اقتربت منطقة الشرق الأوسط من حافة الخطر .

والحقيقة أنه بعد إعلان الصفقة بأيام - وبالتحديد في شهر أكتوبر ١٩٥٥ - أصدر رئيس وزراء إسرائيل وقتها « دافيد بن جوريون » توجيهها إلى رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي « بأن يكون جاهزا لمعركة مع مصر تشن في أقل من سنة وقبل أن تتمكن مصر من استيعاب ما لديها من سلاح جديد » .^(٢)

ولم يكن « بن جوريون » وحده في هذا التصور لاحتامية معركة عسكرية مع مصر قبل أن ينقضى عام واحد ، وإنما شاركته في التصور أطراف أخرى . فرنسا اليائسة أولا ، ثم بريطانيا المترددة ثانيا .

وأما الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كانت جعبتها لا تزال ملأى بوسائل أخرى .



وأهلت سنة ١٩٥٦ والولايات المتحدة تجرب وسائلها واحدة بعد الأخرى ، وبالتفكير الأمريكي ، فقد كان منطق الصفقات هو أول ما عرض نفسه على سياسة الولايات المتحدة ، وكان أساس هذه الصفقات هو مشروع السد العالي الذي تحول بالفعل الى رمز للمستقبل في مصر .

□ كانت الصفقة الأولى تقديم عرض بمساعدة مصر في بناء السد العالي ، وبمنطق أن تكاليف بناء السد العالي تفرض على مصر تخصيص مواردها له - فإذا كان ذلك تحتم عليها أن توقف صفقات شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي ، وإذن فالصفقة هي وقف السلاح - في مقابل البدء في بناء السد العالي .

□ والصفقة الثانية - ومنطقها متصل بالصفقة الأولى - هي شروط أكثر سخاء في بناء السد العالي في مقابل الصلح مع إسرائيل ، بمفهوم أن من يقصدون إلى البناء يتحتم عليهم نبذ الحرب . ووصلت الولايات المتحدة في هذه الصفقة إلى حد أنها قدمت مشروعا مكتوبا « لعقد » صفقاتها حملة مبعوث خاص من الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » وكان هذا المبعوث هو مستر « روبرت أندرسون » وزير الخزانة الأمريكي .

(٢) مذكرات موسى ديان عن معركة سيناء .

كلتا الصفقتين رفضت في القاهرة (٣)

وتحوّل منطق الصفقات إلى منطق المؤامرات ، وكان تقدير الرئيس « دوايت ايزنهاور » للمواجهة يبدأ من التسليم بأن الحرب المسلحة ضد مصر تنطوي على مخاطر معنوية وسياسية وعسكرية لا يصح قبولها إلا كملجأ أخير .
والمواجهة السلمية تقتضى وسائل أخرى لتحقيق أهداف الحرب دون إشعال نيرانها .

كان تقدير الرئيس الأمريكى أن يكون هناك تصاعد يزداد خطوة بعد خطوة حتى يتم القضاء على الدور المصرى المتعاظم وقتها .

■ الخطوة الأولى هي عزل مصر ، فالواضح أن القاهرة في قيادتها للحركة القومية التى ارتفع مدها في العالم العربى - تعتمد على عاصمتين عربيتين غيرها : دمشق والرياض - دمشق لها وهجها المعنوى ، والرياض عندها بريق الذهب .

وهكذا فإن عزل مصر يتأتى عن طريق الاستيلاء على دمشق بالانقلاب ، وإبعاد الرياض بالتخويف من خطر القومية العربية المتعاونة مع « الشيوعية الدولية » !!

■ الخطوة الثانية هي عقاب مصر ، فعندما يتم الاستيلاء على دمشق بالانقلاب ، وعندما يتم إبعاد الرياض بالتخويف - فإن مصر سوف تصاب بالشلل من وطأة الحصار ، وحينئذ يجرى سحب عرض المساهمة في مشروع السد العالى ، وهكذا فإن القاهرة لاتفقد أصدقاءها فقط ، وإنما تفقد أملها أيضا .

■ الخطوة الثالثة هي القتل موجها إلى « جمال عبد الناصر » بالذات باعتباره « موقظ الفتنة » و « محرك التمرد » !



يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ أعلن وزير الخارجية الأمريكى « جون فوستر دالاس » سحب العرض الأمريكى بالمساعدة في بناء السد العالى .

(٣) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس عن مهمة أندرسون في مصر في اوائل سنة ١٩٥٦ وما حمله معه من وثائق كان مفروضا على جمال عبد الناصر أن يوقعها الجزء الرابع - الفصل الثالث - الصفحات من ٣٨٧ الى ٣٩٣ .

ويوم ٢٦ يوليو رد « جمال عبد الناصر » بإعلان تأميم شركة قناة السويس مع توجيه حصيلة إيراداتها لبناء السد العالى .

وجن جنون بريطانيا وفرنسا ، وانضمت إليهما إسرائيل ، ووقع الثلاثة معا اتفاقية « سيفر » التى جمعت الثلاثة معا فى عملية مشتركة لغزو مصر .

تهجم إسرائيل من سيناء يوم ٢٩ أكتوبر .

وتلحقها بريطانيا وفرنسا بالهجوم على منطقة القناة عند بورسعيد يوم ٣١ أكتوبر .

ويتم حصار الجيش المصرى بين فكى كماشة ، ولا يعود أمام القاهرة غير أن تطوى أعلام الثورة العربية ، وترفع الأعلام البيضاء قبولا بالاستسلام !

وكانت المفاجأة أن أعلام الثورة بقيت على سارياتها ولم تترك مكانها لأعلام بيضاء ، وعاش الشعب المصرى أروع أيامه وتحركت وراءه أمة عربية بأسرها ، وتحرك رأى عام عالمى واسع على امتداد القارات ، واهترت موازين دولية بل وكادت تنقلب رأسا على عقب .

وقفت الولايات المتحدة ضد العدوان الثلاثى فى الأمم المتحدة ، فقد وجدت لها فرصة سانحة لتصفية الامبراطوريات القديمة العاجزة عن حماية نفوذها - ومن ناحية أخرى كان على الولايات المتحدة أن تسير اندفاع شعوب العالم العربى إلى تأييد مصر ، وتعاطف الرأى العام العالمى مع شعبها الذى وقف وحده يقاتل فى معركة متعددة الجبهات ، سياسية واقتصادية ونفسية وعسكرية .

وفى مساء يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ وجه الاتحاد السوفيتى إنذاره الشهير ضد أطراف العدوان ، وأضاف تأثير هذا الإنذار إلى بقية العوامل الحاسمة فى مسار معركة السويس .

وحين اضطر أطراف العدوان الثلاثة إلى التسليم بفشل الغزو ، والتوقف عن القتال ، والقبول بهزيمة هدفهم - كان العالم كله قد عبر جسرا على السويس ، ودخل إلى أرض مختلفة .

□ خرج الشعب المصرى من المعركة وقد ازدادت ثقته بنفسه ، واشتد يقينه بأن أحلامه ليست بعيدة عن متناول عزمته ، وثبت لديه أن الشجاعة فى قبول تحدى الموت تستطيع أن تكون هى نفسها الشجاعة المطلوبة لقبول تحدى الحياة .

□ أضافت التجربة كثيرا إلى عمق عملية التوحيد بين مصر وأمتها العربية ، فقد رأت الأمة كلها رأى العين ما يستطيع عملها الموحد أن يحققه ، فعندما تم نسف خط أنابيب البترول عبر سوريا ، وتوقف تدفق النفط إلى البحر الأبيض من موانئ سوريا ولبنان بعد أن توقف هذا التدفق قبل أيام من قناة السويس بعد إغلاقها - انهار الجنيه الاسترليني - وبانهيار اقتصاد الإمبراطورية بعد عجز قواتها المسلحة تم حسم المعركة .

□ أدى الانتصار العربى فى مصر إلى روح جديدة اجتاحت أفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى جانب آسيا ، ولم يكن « هارولد ماكميلان » - رئيس وزراء بريطانيا الذى خلف « أنتونى ايدن » الذى اضطر إلى الاستقالة - مبالغا حين قال : « لقد هبت رياح التغيير » - وبالفعل فإن رياح التغيير بدأت هبوبها ، فاستقلت غانا وغينيا ومالى ، وكانت غيرها من دول أفريقيا على طريق الاستقلال - حدث هذا وكانت الثورة فى كوبا قد تشجعت ، فنزلت من جبال « سيرا مايسترا » لكى تدخل منتصرة إلى العاصمة « هافانا » .

□ نزل الستار رسميا ونهايا على العصر الإمبراطورى التقليدى ، وصدقت تماما مقولة السياسى الأمريكى الشهير « دين آتشيسون » : « إن بريطانيا أضاعت إمبراطورية ولم تعثر على دور » . وفى نفس الوقت قال الكاتب البريطانى الكبير « مالكولم ماجريدج » : « إن ايدن ليلة السويس بدا كأنه رجل محترم ضبطه بوليس الآداب عاريا فى بيت مشبوه مع غانية لعوب . . . كان يستطيع أن يغامر فى الليل ولكن ليس مع فرنسا » !

كان مشهد الإمبراطوريتين غداة السويس محزنا ، ومهينا !

□ أثبتت الزاى العام العالمى فاعليته ممثلة بالأمم المتحدة ، إذا كان هناك شعب يملك قضية عادلة ، ويملك - وهذا هو الأهم - إرادة القتال فى سبيلها ويرضى بتحدى الموت حتى يتأكد احترام الحياة ، والواقع أنه لسنوات بعد السويس استطاعت الأمم المتحدة أن تتحوّل من مجرد مسرح للحرب الباردة ، ومجرد ساحة للخطابة تنفس كرب أصحابها - إلى قوة حفاظ على السلام الدولى لها مسؤولياتها ، ولديها ما يكفى من الاحترام والمهابة للوفاء بهذه المسؤوليات .

□ دخلت الولايات المتحدة إلى الشرق الأوسط من الباب الكبير ، ذلك أنها أيام الحرب العالمية الثانية ، وحتى أيام معركة السويس كانت تحاول الدخول من الأبواب الجانبية ، أو من النوافذ أحيانا ، فهي لم تكن راغبة في أن تقتحم على حلفائها مناطق نفوذهم جهارا نهارا - وفي نفس الوقت فإنها لم تكن قادرة على ترك هذه المنطقة الحيوية في أيد ترتعش بالشيخوخة أو الضعف .

وعندما هزم هؤلاء الحلفاء في السويس - وجدت الولايات المتحدة نفسها معفاة من أى حرج ، بل إن هؤلاء الحلفاء الذين كانوا يضيّقون ذرعا بجهودها من وراء ظهورهم راحوا هم أنفسهم يتوسلون إليها أن تدخل إلى الشرق الأوسط ، وأن تأخذ أموره في أيديها حتى لا تنهزم مصالح الغرب في المنطقة كلها بعد أن انهزم بعض أطرافه في السويس .



كان الإنذار السوفيتي واحدا من أهم العناصر التي ظهرت في السويس . وربما يختلف كثيرون في تأثيره المباشر على تطورات المعركة ، وما إذا كان هو العامل الفاعل في توقف القتال في الدقيقة التي توقف فيها - أو أن المعركة كانت منتهية من قبله ، وبالتالي فإن دوره لم يزد على تأكيد حقيقة أمر واقع تقرّر سلفا من قبله .

إن هذه النقطة شغلت كثيرين من الباحثين ، بل وشغلت كثيرين من الذين كانوا شركاء في إدارة معركة السويس ، وكان بينهم وزير الدفاع الفرنسي الذي قال لـ « شيمون بيريز » مدير وزارة الدفاع في إسرائيل وقتها :

- « إن الروس يقومون بعملية تهويش » . « ايزنهاور » قال لـ « ألفان » سفيرنا في واشنطن الذي قابله أمس إن « الإنذار الروسى جد ويجب أن تأخذه كذلك » - لكنى اعتقد أن « ايزنهاور » يبالغ ، فلا يمكن للولايات المتحدة أن تقبل ضرب باريس ولندن بالصواريخ النووية - ذلك معناه حرب عالمية ثالثة .

وسكت وزير الدفاع الفرنسى قليلا ثم استدرك قائلا :

- « لكنى مع ذلك لا أستطيع أن أضمن شيئا »^(٤)

وبالتأكيد فإن هذا الذى قاله الوزير الفرنسى كان ينطوى على منطق له دواعيه

(٤) مذكرات شيمون بيريز (رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس صفحة ٥٥٨ و ٥٥٩)

من حقائق القوة وصراعاتها - ومع ذلك فإن عنصر الشك الذى عبر عنه فى استدراكه للحديث مع « شيمون بيريز » كان كافيا لإحداث أثره .



ولقد يستمر الجدل حول هذه النقطة العملية ، ولكن الذى لا يختلف عليه أحد هو الأثر الاستراتيجى للإنذار السوفيتى سواء كان هدفه عمليا ، أو كان هدفه نفسيا . وسواء كان مجرد تهوئش وهذا ظن ، أو موقف حزم وهذا بدوره ظن آخر .

إن الأثر الاستراتيجى تحقق فى الحالتين ، فقد كانت أول مرة يجرى فيها - بعد الحرب العالمية الثانية - تهديد بسلاح نووى فى إطار أزمة عالمية مفعمة بالتوتر .

إن هذا الأثر الاستراتيجى كان هو الذى أدى مباشرة إلى ظاهرة تعدد مراكز القوة النووية - ذلك أنه إذا ساور الحلفاء فى أى معسكر ظل من الشك فى أن القوة الرئيسية فى تحالفهم - الولايات المتحدة فى الغرب والاتحاد السوفيتى فى الشرق - لاتستطيع تحمل الخطر النووى دفاعا عن الآخرين - إذن فإن الآخرين يتحتم عليهم أن يكون لهم رادع نووى مستقل .

كان هذا هو المنطق الذى استند إليه « ديجول » فيما بعد لبناء قوة نووية فرنسية مستقلة - « قوة الضرب » كما كان يسميها - وكان منطقها أن أى رئيس أمريكى لن يقبل بتعريض « نيويورك » أو « واشنطن » للإبادة النووية دفاعا عن « باريس » أو « مارسيليا » . إنه يستعمل الرادع النووى إذا كان الخطر موجها إلى « نيويورك » و « واشنطن » فقط ، وليس إذا كان الخطر موجها إلى « باريس » أو « مارسيليا » . فى الحرب النووية لايقا تل طرف من أجل طرف آخر ، فحين يكون احتمال الإبادة واردا لا يستطيع تحمل المخاطرة غير المعرضين لها مباشرة وليس هناك أى ضمان آخر .

واتجهت فرنسا إلى صنع قوتها النووية المستقلة ، وفى سبيل ذلك تخلت عن الجانب العسكرى من حلف الأطلسى وطلبت إلى قيادته أن تخرج من باريس . نفس الشيء حدث فى الصين إزاء الاتحاد السوفيتى .

وكان معنى ذلك أن المعسكرين انقسما من الداخل ، وتعددت المراكز فيهما - بل وظهرت أسباب للتناقض داخل إطار كل معسكر .

وعندما اتجهت فرنسا إلى رادع نووى مستقل وجدت ألمانيا الغربية - وهى قلب

مشكلة الأمن الأوروبي - أنها لا تستطيع الوقوف ساكنة ، وإنما عليها أن تتحرك - فإذا حدثت مواجهة في قلب القارة ، فإن أرض الأمة الألمانية - غربا أو شرقا - سوف تكون ميدانها .

وهكذا بدأت ألمانيا سياسة التوجه نحو الشرق .

وبالتوازي مع ذلك ، فإنه حين أصبحت الصين قوة نووية - أحست الهند أنها لا تستطيع - وبصرف النظر عن كل تعاليم « غاندي » - أن تحرم نفسها من السلاح النووي إذا كان في مقدورها الوصول إليه ، وكان « نهر » تلميذ « غاندي » هو الذي استدعى الأستاذ « بهابها » أستاذ الطاقة النووية في الهند ليقول له : « إنني سوف أصلي لروح « غاندي » وأطلب منها المغفرة ، لكن الهند يجب أن يكون لها خيارها النووي » .

أهم من ذلك كله بالنسبة للمنطقة ذاتها أن إسرائيل بدأت تفكر نوويا .

بدأت لها مخاطر الحرب في المستقبل كبيرة ، وأن تدور هذه الحرب بالأسلحة التقليدية ضد الحصار العربي المستحكم حولها ، فهذا احتمال مكلف إنسانيا ، وبدرجة لا تستطيع مواردها البشرية احتماله - فضلا عن التكاليف المتصاعدة للأسلحة التقليدية - في حين أن توفير رادع نووي مرة واحدة يحل الإشكال بطريقة اقتصادية أسلم وأسرع .

وكان « دافيد بن جوريون » - خلال الاتصالات السابقة على اجتماع « سيفر » الذي تم فيه إعداد وتوقيع مؤامرة العدوان الثلاثي - قد استغل رغبة فرنسا الحارقة إلى دور إسرائيل في فخ سيناء - فإذا هو يطلب « مفاعلا ذريا صغيرا » لإسرائيل .

وبعد أن توقف إطلاق النار على جبهة القناة ، وذهب « شيمون بيريز » إلى لقاء مع « جى موليه » رئيس وزراء فرنسا الذي وجد عليه واجب طمأنة إسرائيل بعد أن خاب فخ السويس - إذا به « شيمون بيريز » يثير موضوع « المفاعل الذرى الصغير » الذي طلبه « بن جوريون » في « سيفر » - قائلا له .

- « **هنا** ياسيدى رئيس الوزراء ، إن إسرائيل تريد مفاعلها الصغير » .^(٥)

(“ Et bien Monsieur le Premier Ministre, Israel veut son petit reacteur ”)

(٥) رواية « كريستيان بينو » وزير خارجية فرنسا الذى حضر المقابلة ، كما ان تقريراً للسير « باتريك دين » الذى كان ممثلاً لبريطانيا في لجنة التنسيق السياسى بين دول العدوان الثلاثى ، اكدها في تقرير معلومات قدمه لوزير الخارجية البريطانى .

وهز « جى موليه » رأسه موافقا .



إن التداعيات بعيدة الأمد للسويس لم تتوقف عند حد الانتشار النووي بتعدد المراكز ، وإنما تجاوزت هذا المنظور الأفقى إلى منظور آخر رأسى نشأت عنه آثار بعيدة فى عمق « الحالة العالمية » التى سادت من وقتها .

وإذا كان من السهل رصد ما جرى على المنظور الأفقى من انتشار وتعدد المراكز النووية من واشنطن وموسكو ولندن وباريس وبكين ودلهى وتل أبيب إلى آخره - فإن المنظور الرأسى ، بالعمق ، قضية أشد تعقيدا .

والحقيقة أنه بعد الإنذار السوفيتى ، فإن العالم ليلة ٦ نوفمبر ١٩٥٦ وجد نفسه واقفا على حافة الهاوية النووية ، ومهما قيل فى أنه كانت هناك شكوك فى إمكانية الانتقال بالإنذار السوفيتى من مرحلة التلويح إلى مرحلة التصريح ، ومن ثم إلى مرحلة التنفيذ ، فإن البشرية كلها لم تكن مستعدة لاختبار النوايا إلى النهاية .

كان التلويح كافيا فتوقف الجميع ، ثم استداروا راجعين بخطاهم بعيدا عن الحافة المظلمة .

إن البشرية أيقنت ساعتها أنها لا تستطيع فقط مواجهة اليقين النووى ، وإنما هى أيضا لا تستطيع مواجهة الشك النووى ، وكان هذا معنى يؤدى بدوره إلى معان .

أولها أن الحرب العالمية أصبحت مستحيلة بين الكبار ، فإذا كانوا هم من أطرافها - إذن فإنها بالقطع سوف تكون نووية ، حتى وإن لم تبدأ كذلك ، فالحرب بين الكبار ، وإن بدأت بالأسلحة التقليدية مكتوب عليها فى مرحلة من المراحل أن تنقلب نووية ، لأن أحدا من الطرفين لن يقبل الهزيمة أمام الآخر ، وفى يديه إمكانية لم يستعملها .

ومن هنا - وهذا هو المعنى الثانى - ظهرت نظريات الحرب المحدودة ، ذلك أن الصراعات الدولية لن تتوقف لمجرد استحالة الحرب العالمية ، فالأسباب الاقتصادية والسياسية والإنسانية التى تؤدى إلى الحرب مازالت باقية ، ثم إنه لا يمكن حبس أو تجميد تفاعلات هذه الصراعات ، فإذا كانت السيطرة على إدارة هذه الصراعات يجب أن تظل محسوبة ولا يفلت زمامها ، فإن إطار الحرب يجب أن يكون محددا لى يكون محدودا ، وأول ضمانات التحديد ألا تنشب الحرب بين الكبار مباشرة ، وإنما تنوب عنهم أطراف أخرى يقفون هم وراءها دون اضطرار إلى المواجهة المباشرة ، وعواقبها غير المحدودة .

وترتب على ذلك - وهذا هو المعنى الثالث - أن الحروب الإقليمية اكتسبت ضراوة جديدة ، فلقد انتهز الكبار فرصة الصراعات المحلية لكي يصبوا فيها خلافاتهم ، ويجربوا في ساحاتها أسلحتهم ، ويكسبوا ويخسروا في أجواء يمكن ضبط درجة حرارتها عند حد أقصى لاتزيد عنه ، خصوصا وأن مفاتيح الوقود - إمدادات السلاح التقليدي المتطور - تكاد تكون احتكارا لهم . وفي هذه الأجواء اشتعلت نيران الحرب « المضبوطة » على خط عريض من الهند الصينية إلى القرن الإفريقي ، ومن أفغانستان إلى أنجولا .

واستوجب ذلك - وهذا هو المعنى الرابع - أن سباق الأسلحة النووية بكل تكاليفه لم يعد ممكنا تركه إلى ما لانهاية ، فليست هناك فائدة ترجى من تخزين سلاح نووى يستطيع تدمير العالم ألف مرة ، فمرة واحدة تكفى ، ومن اللافت للنظر أن الرجل الذى وضع اسمه على إنذار السويس - « نيكيتا خروشوف » - كان هو الرجل الذى تمكن مع الرئيس الأمريكى الذى خلف « دوايت ايزنهاور » مباشرة فى البيت الأبيض - وهو « جون كيندى » - من توقيع أول معاهدة للحد من التجارب النووية - وهكذا بدأت المسيرة الطويلة نحو تحديد الأسلحة النووية ، والتطلع إلى نزع السلاح النووى .

خلال كل هذا الذى كان يجرى بالعمق على مستوى القرار الرسمى الدولى ، كانت جماهير شعوب العالم تختلج حتى الأعماق بمشاعر راحت ترتقى بنفسها يوما بعد يوم حتى وصلت بالمشاعر إلى مستوى الإرادة .



وكانت السويس نقطة التحول الفاصلة ، بها انتهت مرحلة ، وبعدها بدأت مرحلة أخرى فى التاريخ المعاصر .

كانت مصر لاتزال « أهم بلد فى الدنيا » على حد مقولة « نابليون » رغم أن الخريطة السياسية للعالم اختلفت ، وتبدلت موازين القوى ، وتغيرت قوانين الحركة .

الفصل الثاني

النصر له مائة أب



لعصور طويلة في التاريخ السياسي للبشرية اختلط مفهوم الحرب بمفهوم القتال ، وكان ذلك أمراً طبيعياً ، فعلى امتداد قرون من الزمان كانت الحرب فعلاً هي القتال !

على طول هذه العصور والقرون كانت الحرب صناعة الملوك ، وقوادها أمراؤهم أو فرسانهم ، وجنودها من المحترفين أو المرتزقة الذين اتصفوا بالإقدام والاندفاع ، وبرعوا في عملية الذبح والقتل !

وعندما وقعت الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر تغيرت أشياء كثيرة في التاريخ السياسي للبشرية ، وامتد التغيير إلى مجالات كثيرة بينها على وجه التأكيد مجال الحرب ، ذلك أنه منذ لحظتها بدأ التمايز بين الحرب والقتال ، فالثورة الفرنسية في مواجهة حصار الملوك لها لم تكن تستطيع أن تعتمد على الأمراء أو الفرسان ، فهؤلاء كانوا رجال الملك ، ولا كان في استطاعتها أن تعتمد على المحترفين أو المرتزقة ، فالوارد لم تكن متوفرة لديها لشراء سيوفهم - وبالتالي فإن هذه الثورة لم يكن لديها ما تعتمد عليه غير الشعب ، ومن يومها ظهر جيش « المواطنين المتطوعين » للدفاع عن الثورة والوطن ليحل محل جيش الملوك والأمراء والفرسان والمحترفين والمرتزقة !

ولم يكن جيش « المواطنين » الذين تطوعوا لملاقاة زحف جيوش الملوك - مهياً

للقتال ، ولا كان خبيراً بالمدافع والسيوف ، لكنه كان يملك سلاحاً آخر هو الانتماء إلى فكرة ، والإيمان بها والاستعداد للتضحية في سبيلها .

من يومها - وأكثر من أى يوم سبق - أصبحت الحرب صراعاً أوسع من ميادين القتال . وحين صك « كلاوزفيتز » أعظم أساتذة الحرب الحديثة عبارته الشهيرة التى قال فيها : « إن الحرب صراع بين إرادات ، طرف يريد أن يفرض إرادته على طرف » - فإنه كان يعبر عن الحقيقة الأبدية الأزلية في قضية الحرب . وحين أضاف « كلاوزفيتز » فيما بعد عبارته الشهيرة الأخرى التى قال فيها : « إن الحرب هي ممارسة للسياسة بوسائل أخرى » فإن طبيعة هذه الحقيقة كانت تزداد جلاء - لكن عندما أضاف رئيس وزراء فرنسا في الحرب العالمية الأولى إلى قاموس المعرفة السياسية عبارة شهيرة ثالثة قال فيها : « إن الحرب مسألة أخطر من أن تترك للجنرالات » كانت تلك كلمة شبه نهائية في قضية الحرب . لقد أخذ كثيرون هذه الجملة عن « كليمنسو » على أساس أنها تعبير لاذع عن رأى له في العسكريين ، لكن التعبير كان ينطوى على ما هو أكثر ، وكان في صميمه يرسم خطاً فاصلاً بين القتال والحرب . القتال وظيفة الجنرالات ، وأما الحرب فإنها صراع أشمل يديره القادة الذين تقع عليهم مسؤولية مصائر الشعوب والأمم .

ولقد جاءت الحرب العالمية الثانية ، فإذا هي تضع الخطوط والفواصل محددة وحادة بين الحرب والقتال ، فلقد أصبحت الحرب مجهوداً شاملاً أكبر من ميدان القتال ، مجهوداً شاملاً في حشد الموارد ، وفي التخطيط السياسى والاقتصادى والاجتماعى والعلمى والثقافى أهم بكثير من حشد الجيوش ، ومن دبابات تتصادم مع دبابات ، ومن مدافع ترد على مدافع ، ومن طائرات تسابق طائرات ، ومن طاقة نيران تواجه طاقة نيران !

وبصفة عامة ، فلقد كان يمكن لأى مراقب لمسار الحرب العالمية الثانية أن يقول إن الألمان وحلفاءهم خصوصاً في اليابان كانوا أبرع في القتال ، ولكن الإنجليز وحلفاءهم ، وخصوصاً الأمريكيين والروس كانوا أقدر على الحرب ، ولم يكن النصر النهائى في هذا الصراع العالمى الهائل من نصيب الأبرع في القتال ، وإنما كان من نصيب الأقدر على الحرب .

وفي الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ترسخت أكثر وأكثر هذه الخطوط والفواصل بين الحرب والقتال - أكدت الحقائق السابقة واللاحقة أن « الحرب صراع إرادات » - وأن « الحرب ممارسة للسياسة بوسائل أخرى » - وأن « الحرب ليست مسؤولية جنرالات » - يضاف إلى ذلك أيضاً أن الدول

الكبرى أصبحت في نفس الوقت عقائد ، وهكذا فإن الصراع بينها أصبح في العقول والنفوس والأفكار كما هو على الأرض والبحر والجو ، ثم إن تكنولوجيا السلاح النووي والفضاء أضافت إلى هذه الحقائق ظاهرة في منتهى الغرابة وهي أن الحرب يمكن أن تدور بغير قتال . تناقض حتى في الألفاظ : حرب مستغنية عن القتال !



وبمقتضى الحقائق الجديدة في العالم ، فلقد كانت مصر هي الطرف الذي انتصر في السويس ، ففي صراع الإرادات كانت هي الطرف الذي استطاع الآخرون أن يفرضوا إرادتهم عليه ، وكانت هي الطرف الذي مارس السياسة بكل الوسائل حتى يحتفظ بجائزة الحرب ، وهي « قتل السويس » في يده دون أن يقدر الآخرون على انتزاعها من يده طوال مراحل الصراع كلها ، ثم إن الصراع لم يترك على مسؤولية الجنرالات إلا بالقدر الضروري لأهداف الحرب بمعناها الحقيقي وهنا تتداعى - بالتسلسل المنطقي للمعاني - آثار لها قيمتها .

بين الآثار أنه عندما كانت فكرة الحرب مختلطة بفكرة القتال ، فإن النصر كما في العادة ينسب إلى قائد مقاتل يتوج رأسه بأكاليل الغار - والأمثلة كثيرة في التاريخ القديم .

وعندما تحقق الفصل بين الحرب والقتال فإن نسبة الانتصار إلى قائد بعينه أصبحت نوعاً من المجاز ، أو ربما من الرمز للزعماء السياسيين الذين تحملوا مسؤوليات إدارة صراعات التاريخ العظمى ، فهم الذين ألهموا شعوبهم ، وهم الذين عبأوا مواردها ، وهم الذين بنوا تحالفاتها ، وهم في النهاية الذين أعدوا للقتال حين كان القتال ضروريا كعنصر من عناصر الصراع بما في ذلك أنهم هم الذين اختاروا الجنرالات المقاتلين على جبهات النار المتعددة .

والمجاز قد يعبر ، كما أن الرمز قد يختزل الواقع بقصد السهولة واليسر - لكن التحليل الدقيق لابد من أن يقصد إلى ما وراء المجاز ، وإلى ما وراء الرمز - وهم يتضح فارق كبير بين تحقيق النصر في القتال وتحقيق النصر في الحرب .

في القتال يكون النصر من صنع طرف واحد - قائد بجيشه المقاتل

وفي الحرب يكون النصر من صنع أطراف كثيرين شاركوا جميعاً بجهد شامل في تحقيقه .

وهكذا فإنه إذا كان انتصار السويس قد نسب إلى « جمال عبد الناصر » من باب المجاز والرمز ، فلقد كان ذلك تقديرا لإدارته الشاملة لصراع الحرب الكبير - لكن التحليل الدقيق كفيل بأن يظهر أن أطرافا عديدين شاركوا معه في تحقيق مطالب النصر والتمكين منها .

ولقد كانت جماهير الشعب المصرى أول هذه الأطراف ، ثم كانت جماهير الأمة العربية بعد ذلك طرفا ثانيا ، وكان الرأى العام العالمى ممثلا في الأمم المتحدة طرفا ثالثا ، كما أن القوتين الأعظم - الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة - طرف رابع وخامس بصرف النظر عن الأهداف أو المقاصد المباشرة وغير المباشرة .

بمعنى أوضح وأدق ، فلقد شارك في تحقيق النصر ، أو التمكين منه كل من شارك في « منع العدوان الثلاثى من فرض إرادته على مصر » لكى تتخلى خاضعة عن قناة السويس كخطوة أولى لها ما بعدها !

إن هناك قولاً شائعاً بأن « الهزيمة يقيمة ، والنصر له مائة أب » ، والقول صحيح من ناحية إنسانية ، فكل فرد أو كل طرف يحب أو يتمنى ، أو حتى يختلق دوراً لنفسه في قصة انتصار ، في حين أن كل فرد أو كل طرف يحاذر أو يتجنب ، أو حتى يتهرب من دور لنفسه في قصة هزيمة .

وفي الأزمنة الحديثة فإن ما كان قولاً شائعاً أصبح أمراً مؤكداً ، وفي السويس كواحدة من ذرى صراعات العالم الكبرى في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كان الأمر يقينا .

شارك في تحقيق النصر أو التمكين منه أكثر من طرف تفاوتت أهمية أدوارهم واختلفت درجاتها .

كان للنصر بالفعل أكثر من أب . فيهم من شارك في صنعه ، وفيهم من ساهم في التمكين منه !



إن تحديد الأطراف التى تشارك في أى انتصار ، أو في التمكين منه ليس مسألة تتعلق بما انقضى من مراحل الصراع ، وإنما تتعلق بما هو قادم من هذه المراحل - ذلك لأن الأطراف لا تكتفى بمجرد الزهو بالنتائج ، وإنما هى أيضا تتوقع بعده أن تحصل على جزء من الثمار ، وهذه طبائع الأشياء وضرورتها ، ثم إن تلك نقطة بالغة الأهمية في تقصى أطوار الصراع الذى دار في العالم العربى وعلى مقاديره من

معركة السويس وحتى معركة سنة ١٩٦٧ - وهى ثانى المعارك الكبيرة فى حرب الثلاثين سنة .

إن كل طرف من الأطراف التى اشتركت فى تحقيق انتصار السويس أو التمكين منه كانت لديه مطالبه ، وكانت هذه المطالب المختلفة باختلاف الأطراف هى التى حكمت مراحل الصراع التالية لمعركة السويس وصاغت شكل الحوادث - ذلك أن كل طرف بعد النصر راح يطالب باستحقاقاته ، وسواء كانت هذه الاستحقاقات شرعية وصحيحة ، أو متوهمة ومدعاة - فإن المطالب المختلفة للأطراف والمتناقضة أحيانا - كانت هى بداية المشاكل لسنوات تالية .

وعلى هذا الأساس ، فإنه يصبح من اللازم مبكرا - تحديد الأطراف التى شاركت فى تحقيق النصر ، أو التمكين منه - شرعا وصدقا ، أو توهمت ذلك وادعته ، وأكثر من ذلك ، فقد يكون مناسبا فى نفس الوقت إلقاء بعض الضوء ولو بسرعة على المطالب والمستحققات للأطراف . . . فلقد كانت تلك هى الخمائر الأولى للتراكم المتفجر الذى هز المنطقة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ .



■ كانت جماهير الشعب المصرى أول هذه الأطراف ، والحقيقة أن دورها كان صنع النصر وليس مجرد التمكين منه فقط ، وكما أظهرت « ملفات السويس »^(١) فإن الحملة البريطانية - الفرنسية على مصر كانت تقوم على أساس فرضية رئيسية استخلصها رئيس الوزراء البريطانى - وقتها - « أنتونى ايدن » من خبرته الشخصية بمصر ، وقد اعتمد فيها على عدة مصادر بينها : أنه بالتخصص مستشرق ، ثم أنه كوزير دولة للشؤون الخارجية سنة ١٩٣٦ تفاوض مع الزعماء المصريين لعقد معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ثم أنه كوزير للخارجية البريطانية مع « ونستون تشرشل » ابتداءً من سنة ١٩٤٠ وحتى فترة ما بعد الحرب تعامل مع الأوضاع فى مصر عن قرب بحكم أن مصر كانت مسرحا من أهم مسارح الحرب . وكان فى ظن « أنتونى ايدن » أن هذه الخبرة الشخصية مضافا إليها تقديرات بعض مستشاريه وبينهم من خدموا - أو بمعنى أصح حكموا - فى مصر تهيؤه أكثر من غيره لمواجهة لحظة الحسم فى هذه المستعمرة السابقة التى استفحل أمرها فى نظره فتجاسرت على قيادة ثورة قومية عربية عامة ضد سيطرة الإمبراطورية البريطانية فى المشرق .

كانت محصلة ما توصل إليه « أنتونى ايدن » أن الشعب المصرى سوف ينهار

(١) يرجى مراجعة كتاب ملفات السويس لمحمد حسنين هيكى الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر ، نوفمبر سنة ١٩٨٦ .

عند توجيه الإنذار البريطانى - الفرنسى إلى مصر يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، وسوف يتخلل عن إرادته تماما إذا بدأ القصف الجوى على بلاده ، كما هو مقرر وفق اتفاقية « سيفر » السرية مع فرنسا وإسرائيل - يوم ٣١ أكتوبر - ثم إنه إذا بدأت العمليات العسكرية على الشواطئ المصرية مع إنزال القوات المتحالفة ، فإن الشعب المصرى سوف يخرج الى شوارع المدن المصرية يحرق ويدمر ويبحث عن قيادة جديدة توقع وثيقة استسلام .

ولكن ما فكر فيه « أنتونى ايدن » وانتظره لم يحدث ، وما حدث بالفعل كان عكسه ، فلقد قاوم الشعب المصرى ، وأصر على المقاومة ، وكانت هذه المقاومة ذاتها هى التى فتحت الطريق أمام بقية العناصر المؤثرة على الموقف بما فيها الإنذار السوفيتى على سبيل المثال . وتشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية إلى برقية شفرية موجهة لوزير الخارجية « جون فوستر دالاس » من موسكو بتوقيع سفيره فيها « بوهلين » وهى تحمل رقم ٣٢٨٨ وتاريخها المسجل عليها هو ٥ نوفمبر ١٩٥٦ (الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر) - وقد جاء فى هذه الوثيقة بالنص ما يلى :

« إن خطورة الموقف تدعونى إلى الاعتقاد أنه من الخطر أن نتصور أن الاتحاد السوفيتى سوف يكتفى بالموقف الدعائى ، إزاء تطورات الحوادث فى مصر .
إن المقاومة المصرية للغزو استمرت حتى الآن أكثر من اسبوع ، ومن اعتبار طول هذه المدة أساسا ، فانا لا اظن أن السوفيت يمكنهم البقاء بعيدا عن التدخل . »

وكانت مطالب الشعب المصرى واستحقاقاته بعد النصر الذى حققه صموده قبل أى عامل آخر - مطالب واستحقاقات صحيحة وشرعية ، فهذا الشعب كان يطلب حريته من الاستعمار ، وكان يبحث عن هويته ومكانه فى العالم ، ثم إنه كان ينشد العدل الاجتماعى داخل وطنه ، ولقد منح قبوله ورضاه للنظام الثورى الذى قام فى مصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - على هذه الأسس الثلاثة ، وبالفعل بدا له أن النظام الذى قبل به وارتضاه يفى بمبررات شرعيته وموجباتها ، فلقد توصل بعد كفاح إلى اتفاق يودى إلى جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس ، ثم دخل مع بقية أمته العربية فى نضال عنيف ضد قوى السيطرة ، ثم بدا يمارس عملية تحول اجتماعى وسياسى داخل الوطن أدت الى إسقاط النظام القديم للملكية والسلطة ، ثم بدا يرى أن مجرد إعادة توزيع الثروة بالإصلاح الزراعى لا تكفى ، وإنما لابد لتحقيق العدل من طموح إلى التنمية يضاعف من قاعدة الثروة ويواكب محاولات إعادة توزيعها ، وفى هذا المجال أصبح مشروع السد العالى تجسيدا حيا لطموح التنمية . وكانت معركة

السويس - بما فيها تأمين شركة القناة - هي في واقع الأمر السد العالي يتصدر زحفا هائلا إلى آفاق التنمية ، وفتح الكهرباء والتوسع في استصلاح الأراضي .

كان السد العالي - وبما يرمز له - هو مطلب الشعب وفي تلك اللحظات لم يكن السد العالي مجرد مشروع عم لأمل عريض وممتد إلى سنوات قادمة ، بل إن السد العالي معركة السويس أصبح واحدا من المصادر المتجددة لشهر



■ ■ وكانت الأمة العربية هي الطرف الثاني في تحقيق أساليب دخولها مع الشعب المصري إلى ساحة المعركة .

في البداية كان التأييد سياسيا بالمؤتمرات والمظاهر ثم تصاعد التأييد بعد ذلك عمليا إلى حد الهجوم على والفرنسية ومراكز الاستعلامات الأمريكية ، وإشعال الحر ثم بلغ التصاعد ذروته عندما قررت مجموعة من الضباط نسف خطوط أنابيب البترول العابرة للأرض السورية في المتوسط ، وكانت هذه الضربة الحاسمة ضمن أهم العوامل الم لأنه فضلا عن توقف تدفق نفط الشرق الأوسط تقريبا ، فإن المرة واحدة في أسواق المال العالمية .

وتروى الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ه الرئيس « شكري القوتلي » رئيس الجمهورية السورية ، و « موس » سفير الولايات المتحدة في دمشق ، وعلى أثر هذا الأمريكي إلى وزير خارجيته رسالة شفوية رقمها ٦٣٦١ وتاريخ (الساعة ٤٨ : ٩ مساء) جاء فيها :

« في الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم ذهبت لمقابلة الرئيس رسالة الرئيس ايزنهاور (بعد إعلان وقف إطلاق النار في القتلى ، وإنما اندفع فيما يشبه الخطابة العنيفة يصب والفرنسيين ، وفي نفس الوقت أبدى تقديرا للروس ، وفيما أمله أن نلتزم بالمبادئ التي يتحدث عنها الرئيس ايزن

وقد سمحت لنفسى أن أقول للرئيس القوتلي إنه ما دمنا نتحد نرى أن العرب قد أضعفوا موقفهم المبدئي حين تقاعسوا عن

من جانب الروس ضد شعب هنجاريا ، وانه كان الاولى بهم لكى يستقيم موقفهم المبدئى ان يعارضوا التدخل بالقوة في بودابست مثلما عارضوا التدخل بالقوة ضد بورسعيد .

وعندما فرغت مما قلت كان القوتلى مستنارا ، فانفجر في وجهى قائلا : « إننا منذ اعقاب الحرب العالمية الاولى نتصدى لمخططات الصهيونية التى تهدد كياننا ، بينما انتم واصدقاؤكم تعطونها من وسائل تهديدنا ما يجعل خطرنا غير محصور . لا تكلمونا عن المبادئ . وعندما يكون وجودنا مهددا ، وبلادنا في خطر - فلتتهمد خمسون بودابست . » !

وإذا كان الأمل في العدل هو مطلب الشعب المصرى واستحقاقه بعد انتصار السويس - فإن « الحلم » بوحدة الأمة على أى شكل من الأشكال كان هو مطلب الشعوب العربية واستحقاقها بعد النصر .

كانت شعوب الأمة العربية « تحلم » بالوحدة ، لكن حلمها لم يكن محددا . كانت ترى في نفسها ومن حولها امكانيات قوة ، ولكن هذه الإمكانيات تهدر نفسها وراء سدود من حدود مصطنعة رسمها الاستعمار ، وكانت تلك إلى حد كبير حقيقة ، وإن لم تكن كل الحقيقة ، ذلك ، لأن حقيقة الوحدة - وحتى ضرورتها - لا تستطيع أن تحجب وجود خصائص وظروف اجتماعية واقتصادية لا بد من أخذها في الاعتبار ، ثم إن الحدود حتى وإن كانت مصطنعة خلقت وراءها بتراكم السنين ومستجداتها أمورا واقعة يصعب نسيانها أو إنكارها .

وفي نشوة ما بعد النصر ، وفي غمرة مطالبه واستحقاقاته ، فإن « الحلم » كان سيد الموقف ، ثم إن غلالته الأسطورية نزلت على خريطة التضاريس المتنوعة والمتعددة في أشكالها وأحجامها ، وغطت عليها .

وفي حين كانت الجماهير العربية تهتف في عواصم عربية عديدة قائلة : « بدنا الوحدة باكر باكر » ! - كان مثقف سياسى مرموق مثل الأستاذ « ميشيل علق » مؤسس حزب البعث يقول « لا ينبغي لمشاكل الوحدة أن تعطلنا ، الوحدة خلقة ، وهى تستطيع أن تحل مشاكلها بنفسها » .

إن « الحلم » أخذ كثيرين في سحره ، وحين تفاعل « الحلم » العربى مع « الأمل » المصرى فإن النتيجة تحولت إلى طاقة هائلة مشحونة لا يستطيع أحد ان يقف في طريقها وإلا جرفته ، وربما صعقته .



■ ■ كانت الأمم المتحدة هي الطرف الثالث في التمكنين من النصر ، وكان مجمل أحوالها في تلك الأيام من منتصف الخمسينات يسمح لها بأن تكون على نحو أو آخر شبه تعبير عن الضمير العالمي .

إن الأمم المتحدة منذ إنشائها - وربما إلى الآن - مرت بثلاثة أطوار .

● في البداية كانت الأمم المتحدة ساحة للمواجهة بين القوتين الأعظم - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - وكانتا حليفتين في الحرب ، وبعد انتهائهما أصبحتا متنافستين على عالم السلام ، فكلتاها تطلب الأولوية في قيادة مستقبله تحت ظل السلاح النووي الذي فرض على الساحة الدولية احتمالات يصعب اختبارها ، أو استجلاء أسرارها !

في ذلك الطور من حياة الأمم المتحدة أصبحت هذه المنظمة الدولية خشبة مسرح لا يقف عليها إلا اثنين من الكبار ، وأما الباقون جميعا فهم على مقاعد المتفرجين يراقبون ويتابعون مدركين أنهم ليسوا قادرين على الاشتراك في الحوار ، فقضاياهم معقدة وتكاليفه غالية .

ولسنوات ممتدة كان مسرح مجلس الأمن - وهو الجهاز الرئيسي للأمم المتحدة - حوارا بين وزير الخارجية الأمريكي « دين اتشيسون » (في عهد الرئيس « هاري ترومان ») وبين السفير « أندريه فيشنسكي » المندوب السوفيتي الدائم (في عهد الزعيم « جوزيف ستالين ») ، وتبارى الاثنان بل وتناطحا في قضايا هامة مثل أزمة « أذربيجان » في إيران ، وأزمة الحرب الأهلية في اليونان ، وأزمة الحرب الكورية والهند الصينية، في الشرق الأقصى .

كان الحوار وكانت المواقف في ساحة مجلس الأمن حkra على « اتشيسون » من ناحية ، و « فيشنسكي » من ناحية أخرى ، وأما بقية المندوبين ، فقد كان عليهم متابعة الحوار بنوع من الاهتمام أو الانبهار أحيانا ، وفي أحيان أخرى بنوع من التسلية أو التندر .

ولأسبوع بأكمله في الأمم المتحدة تقريبا كانت كل الوفود مشغولة بإعادة رواية حوار بين « فيشنسكي » و « اتشيسون » .

تكلم « اتشيسون » مرة في موضوع كوريا ، ووقف « فيشنسكى » يرد عليه فإذا هو يقول له .

- « إننى أعلم أن وزراء الخارجية الأمريكية لا يكتبون خطاباتهم التى يلقونها هنا بأنفسهم ، وإنما يكتبها لهم سكرتيرهم .

وهكذا فإننى عندما أرد على ماقاله المستر اتشيسون هنا لا أوجه حديثى إليه ، وإنما أوجه حديثى إلى سكرتيره الذى كتب له ما قاله أمامنا الآن . »

ثم راح « فيشنسكى » يرد على « اتشيسون » بقوله . « إن سكرتيرك يامستر اتشيسون أخطأ حين كتب لك كذا وكذا ، وسكرتيرك يامستر اتشيسون كتب لك كذا وكذا . وقد أخطأ ، وسكرتيرك يامستر اتشيسون . . . » إلى آخر الخطاب .

كل هذا ووجه وزير الخارجية الأمريكية يحتقن بالغضب ، ويزداد احتقاناً مع كل عبارة توجه القول لـ « سكرتيره » .

ثم ختم « فيشنسكى » كلامه قائلاً : « إن لدى نصيحة أوجهها لوزير الخارجية الأمريكية ، وهى أن عليه من الآن فصاعدا أن يكتب ما يريد أن يقوله بنفسه حتى يستطيع أن يتحقق من مصادر القول ويراجعها . »

وجلس والمتفرجون جميعا معجبون به طربا ومفتونون .

وجاء الدور على « اتشيسون » فإذا هو يقف ليقول :

- « إن لدى رجاء إلى المندوب السوفيتى ، وهو أن يلجأ إلى أحد لكى يكتب له ما يقول أمامنا هنا لأنه حين يتكلم من وحي تفكيره يقول كلاما لا رابطة فيه ولا منطق . نعم إن لدى مساعدين شاركونى فى التفكير ، وأما هو فكعادة الديكتاتوريين فى الاتحاد السوفيتى يأمر ويفرض آراءه الفجة منفردا وبالقوة ! »

ومرة ثانية صفق المتفرجون !

● وجاء الطور الثانى فى حياة الأمم المتحدة فى أعقاب مؤتمر باندونج ، حين استطاعت مجموعة الدول الآسيوية والإفريقية المستقلة أن تتصدى لقيادة حركة التحرر الوطنى ، وأن تدخل إلى ساحة الأمم المتحدة حاملة معها آمالها واحلامها فى نظام دولى جديد .

وكانت الرياح مواتية لدخول هذه القوة الثالثة إلى ساحة الأمم ، من ناحية لأن حلبة الصراع بين القوتين الأعظم انتقلت من قضية الأمن الأوروبى إلى التنافس على

النفوذ في العالم الثالث ، ومن ناحية أخرى لأن استحكام العقد بين القوتين الأعظم خلق نوعا من الشلل في فاعلية الأمم المتحدة ، واستطاع سكرتيرها العام الجديد وهو « داج همرشولد » أن يستغله لتعزيز هيبة المنظمة الدولية ، وذلك عندما حاول أن يجعل من هذه المنظمة حكما بين القوتين الأعظم وليس مجرد ساحة للمواقف والعبارات الحادة بينهما .

وكان معنى ذلك أن القوة الثالثة التي دخلت لتأكيد نفسها في المجال الدولي مستعدة ، ثم إن المسرح الدولي ذاته كان مستعدا لها . جاهزا ومهيأ . وفي هذا الطور وقعت أزمة السويس ، ثم جرت معركتها .

● ثم جاء الطور الثالث بعد ذلك في حوالى منتصف الستينات - وقد جرت معركة سنة ١٩٦٧ في إطاره ، ومازال العالم فيه حتى الآن - وهو طور فقدت فيه الأمم المتحدة فاعليتها عندما تحققت ديمقراطيتها ، وتجاوزت هذه الديمقراطية حدود المقبول من القمة الدولية . ولقد حدث ذلك عندما تفتحت أبواب الأمم المتحدة لعضوية كيانات مستقلة بالجملة - فإذا صوت بلد مثل كوستاريكا يتساوى مع صوت بلد مثل أمريكا !

عندما أسست الأمم المتحدة كان عدد أعضائها أقل من خمسين دولة ، ووقت السويس كان عدد أعضائها أقل من مائة دولة ، وفيما بعد زاد عدد الدول الأعضاء على مائه وخمسين ، وكان الكل يحاول أن يتكلم بغير دراية ، وأن يتدخل في غير شأن ، وأن يتحدث لمجرد إثبات الوجود ، وكان الوفاق الدولي بين القوتين الأعظم على الأبواب ، وهكذا قررتا معا أن تأخذا أكثر القضايا حساسية وأهمية إلى خارج الأمم المتحدة .

لكن هذا الطور من حياة الأمم المتحدة كان - زمن السويس - احتمالا لم يجرىء وقته بعد .



أيام السويس - إذن - وفي أعقاب انتصارها ، وأطرافه ، ومطالبهم واستحقاقاتهم ، كانت الأمم المتحدة في الطور الثانى من حياتها ، وهو طور الحيوية والفاعلية بفضل دخول قوة عالمية ثالثة إلى ساحتها ، وبفضل رجل ذكى - « داج همرشولد » - تولى سكرتاريته العامة .

وفي مناخ الأزمة والحرب - ١٩٥٦ - ملكت الأمم المتحدة قدرة غير عادية على الحركة والتصرف ، وقد اكتسبت هذه القدرة طاقة مضافة من حقيقة أن القوتين

الأعظم - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - كل منهما لأسبابه - وقفنا معا ضد العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر .

وفي هذه الأجواء لم تصبح الأمم المتحدة - بما فيها الجمعية العامة ومجلس الأمن - أداة قول فحسب ، وإنما أصبحت أداة فعل أيضا - بل إنها لأسباب موضوعية متعددة أصبحت أداة الفعل الدولي الرئيسية في الأزمة ، وميدان حركتها الجماعية المؤثرة .

ولقد كانت التكاليف المنوطة بـ « داج همرشولد » في تلك الملايسات واسعة ، وكان من جانبه على استعداد لتوسيعها أكثر ، ولعله تصور في بعض اللحظات أن الأمم المتحدة تستطيع أن تمثل دور حركة عالمية لها حق فرض قراراتها فوق سيادات الدول الأعضاء .

ولقد وجد نفسه - في جو أزمة دولية عاصفة - مكلفا بعدة مسؤوليات :

● عليه أن يوجه عمليات تطهير قناة السويس ، وإعادتها إلى الملاحة العالمية .

● وعليه أن يتوصل مع الحكومة المصرية إلى وضع نظام يكفل حرية الملاحة في القناة لأعلام كل الدول بغير تمييز .

● وتحت تصرفه في نفس الوقت قوات طوارئ دولية تتلقى الأوامر منه ، وهي مسؤولة عن فصل القوات المتحاربة ، وعن التمرکز في مواقع تكفل لها المحافظة على السلام .

كانت هذه تكاليفات « داج همرشولد » ، وكانت بنفسها مطالب الأمم المتحدة واستحقاقاتها - ولم تكن مصر تنازع في هذه المطالب والاستحقاقات ، ولكنها كانت تريد في إطار سيادتها المستقلة لا تتجاوزها ، وكان رأى مصر أن تطهير القناة مسؤوليتها ، وأن تنظيم الملاحة فيها خاضع لضرورات أمنها ، وأن قوة الطوارئ الدولية ليست جيشا فاتحا ، وإنما هي تحت ولايتها حتى وإن كانت القوة الدولية ترفع علم الأمم المتحدة .

وهكذا فإنه في الوقت الذي تصور فيه « همرشولد » دوره كمسؤول لحكومة عالمية - فإن مصر أصرت على حصر دوره في إطار إجراءات تنفيذية لنصوص وروح قرارات الأمم المتحدة .

ولقد استطاعت السياسة المصرية في ذلك - بمزيج من المرونة والحزم - أن تتفادى صداما مع سكرتارية الأمم المتحدة كان كفيلا بتعقيد المواقف بأكثر مما هي

معقدة بظروفها ، وساعدت على ذلك صداقة بين وزير الخارجية المصرى المقترح الدكتور « محمود فوزى » وبين سكرتير عام الأمم المتحدة الذكى « داج همرشولد » ولحق ذلك اتساع نطاق الصداقة ليشمل « جمال عبد الناصر » و « همرشولد » أيضا - إلى جانب أن مصر كانت قد استطاعت حشد عدد كبير من الدول العربية والآسيوية والإفريقية وغير المنحازة الى جانبها ، ووراء تفسيراتها لقرارات الأمم المتحدة .

وصحيح أنه أمكن تفادى الصدام بين تصورات الأمم المتحدة - كما تمثلها سكرتيرها العام - وبين تصورات مصر ، وصحيح أن نوعا من التعاون الودى حل محل امكانية الخلاف - لكن بعضا من المطالب والاستحقاقات المترتبة على دور الأمم المتحدة فى التمكين من النصر ظل معلقا لسنوات طويلة .



■ ■ وكان الاتحاد السوفيتى هو الطرف الرابع فى التمكين من النصر - وبدوره كانت له مطالبه ومستحقاته .

كان الاتحاد السوفيتى قد شهد تغييرات عميقة بعد وفاة « جوزيف ستالين » (١٩٥٣) ، ولقد خلفه « مالنكوف » لفترة قصيرة ، ثم ظهرت على القمة فى الكرملين (١٩٥٤) قيادة ثلاثية تضم « فورشيلوف » رئيسا للدولة و « بولجانين » رئيسا للوزراء و « خروشوف » سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى . لكن المؤكد أن القوات المسلحة السوفيتية بقيادة المارشال « زوكوف » كانت وراء الكواليس مؤيدة ومساندة للزعامة الجديدة فى عهد تزايدت واستحكمت فيه ضرورات السباق الذى اتسعت ميادينه بين القوتين الأعظم فبدأت تمتد إلى أقاصى الأرض ، وتتطلع إلى أبعاد الفضاء .

ومع ظهور القوة الثالثة فى « باندونج » ، وبروز حركة التحرر الوطنى كدور دولى مؤثر تسعى القوى العظمى إلى اجتذابه والتأثير عليه - كان الاتحاد السوفيتى يبحث عن فرصة للخروج من العزلة والنفوذ بعيدا وراء حدوده إذا استطاع .

وعلى امتداد أرض القوة الثالثة ، فإن مايجرى في الشرق الأوسط كان الأكثر إثارة وإلحاحا على الاهتمام ، فإذا ما أضيف إلى ذلك أن الشرق الأوسط هو الجوار المباشر - على الأرض - للاتحاد السوفيتي ، كما أنه الجوار المباشر - عبر البحر الأبيض - لأوروبا الغربية - إذن فإن أنظار الاتحاد السوفيتي كان محتما أن تلتفت إليه قبل غيره ، وكان ذلك تقديرا صحيحا في محله وفي وقته تماما .

وفي قلب الشرق الأوسط ، فإن الأمة العربية - وفي طليعتها مصر - بدت في حالة فوران ثوري لاشك فيه ، فهي تشهد تغيرات سياسية وتحولات اجتماعية وتوجهات دولية بالغة الأثر ، وبالغة الأهمية في نفس الوقت .

وفي اللحظة التي التفت فيها الاتحاد السوفيتي إلى العالم العربي - فقد كان الاستعمار التقليدي على وشك أن يطرد من المنطقة ، وكانت السيطرة الأمريكية ما زالت عاجزة عن الدخول إليها في أعقاب لإرث تركته ، وكان واضحا أن المنطقة مقبلة على تفاعلات عنيفة - وبدا أن مصر هي المفتاح الرئيسي لها .

كانت مصر قد تمكنت من إزاحة الاحتلال العسكري لضفاف قناة السويس ، ثم وقفت أمام مخططات الأحلاف الأمريكية ، وعندما جرى إرهابها بواسطة القوة المسلحة الاسرائيلية راحت تبحث عن السلاح حيث تجده ، وعندما قام « جمال عبد الناصر » بطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي كان الرد عنده في ظرف أسابيع .

وانقلبت موازين المنطقة ، وحاولت الولايات المتحدة إعادة « شرائها » بعرض المساعدة في تمويل السد العالي - رمز آمال الشعب المصري - لكن محاولة الشراء فشلت لأن « جمال عبد الناصر » كان مصرا على أن تدفع مصر ثمنا ماليا - وليس ثمنا سياسيا - لبناء السد العالي . وهكذا قام « دالاس » بسحب العرض الأمريكي ، ورد « جمال عبد الناصر » بتأميم قناة السويس . ودار الصراع في المنطقة والعالم سياسيا ، ثم تحول إلى صراع عسكري بالتواطؤ الثلاثي ، وصمدت مصر وحدها في ساحة القتال ، ووراءها احتشدت كل طاقات الأمة العربية ، وكل تأييد القوة الثالثة ، وكل مناصرة الرأي العام العالمي ممثلا في الأمم المتحدة .

وفي لحظة من اللحظات كانت الأنظار كلها على موسكو تنتظر منها موقفا - وليس مجرد كلمة - في هذه الأوقات الحرجة والحاسمة .

وفي يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ - حزم الاتحاد السوفيتي أمره ، واتخذ موقفا بالانذار السوفيتي الشهير .

إن ذلك الإنذار السوفيتي مازال حتى اليوم مثار أبحاث ودراسات مطولة تحاول استقصاء دواخله ، لكنه مهما كان من أمر كل هذه الأبحاث والدراسات ، فليس هناك شك لدى أحد أن الإنذار - في الوقت الذي صدر فيه وفي المناخ العالمي الذي اكتنفه - أحدث أثرا سياسيا لا يقبل الجدل .

● من ناحية فإن هناك من يقول - والقول صحيح - إنه إزاء مخاطر الأسلحة النووية ، فإن أيا من القوى التي تملكه لاتتجاسر على استعماله إلا دفاعا عن نفسها .

● ومن ناحية أخرى فإن هناك من يقول - والقول صحيح - إن القوى العظمى في هذا العصر تعتبر أن قوتها الحقيقية هي مهابتها ، فإذا هدد طرف بأبعد من حدود استعداداته لقبول المخاطر - فإن أمره سوف ينكشف كنمر من ورق ، وحينئذ يفقد كل شيء .

وعلى أي حال ، فإن الذي لا يستطيع أن ينكره أحد هو أن الإنذار السوفيتي كان - وبصرف النظر عن الاحتمالات العسكرية - عنصرا سياسيا مؤثرا في معركة السويس .

إن الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » شك على الفور في جدية الإنذار السوفيتي ، وكذلك تشكك في جديته « أنتوني ايدن » رئيس الوزراء البريطاني و « جى موليه » رئيس الوزراء الفرنسى ، وحتى « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل - لكن مشكلة الأسلحة النووية أنها قضية لاتحتمل الشكوك . وإزاء الأسلحة النووية ، فإن حالة الشك في حد ذاتها تستوجب الحذر والمراجعة لأن المخاطر المحتملة تفوق كل طاقات الاحتمال .

وربما كان ذلك بالفعل ما حدث .

وربما كان من الحق أن يقال إن « جمال عبد الناصر » نفسه ساورته الشكوك في عزم الاتحاد السوفيتي على استعمال الأسلحة النووية ، بل لقد وصلت به الشكوك إلى حد أنه أثار الموضوع مع الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » في لقاء بينهما بعد سنتين تماما من توجيه الإنذار (٢).

قال « جمال عبد الناصر » في ذلك اللقاء ، وصاغ قوله في عبارة ودية تستفسر دون أن تستنكر :

(٢) مذكرة عن الاجتماع الخاص الذى عقده « جمال عبد الناصر » مع « نيكيتا خروشوف » في استراحة الزعيم السوفيتي خارج موسكو يوم ٢ مايو سنة ١٩٥٨ محفوظة في أرشيف منشية البكرى .

- « بالطبع أننا قدرنا موقفكم لكنى لا أخفى عليك أنتى يومها ، وبعد أن قرأت نص الإنذار تساءلت فيما بينى وبين نفسى : هل يعقل أن يكون الاتحاد السوفيتى مستعدا بالفعل لتوجيه صواريخه النووية الى لندن وباريس ؟ لقد كان ذلك فى ظنى كفيلا بأن يفرض على الرئيس الأمريكى أن يتدخل بأسلحته النووية ضد الاتحاد السوفيتى لأن ساعتها لن يكون الموضوع هو لندن وباريس وحدهما ، وإنما هو الغرب كله معرض للدمار . »

ورد « خروشوف » بـ « أنهم كانوا جادين بالفعل فى الإنذار ، وإلا لما غامروا بتوجيهه » .

ولعله أحس أن هذا الرد العام لا يكتفى لإقناع محدثه ، فأضاف بطريقة غامضة :

- « لماذا يتصور بعض الناس أن عقاب بريطانيا وفرنسا على العدوان لا يتحقق إلا بضرب لندن وباريس ؟ . . . لقد كانت هناك أهداف أخرى مباشرة فى تنفيذ العدوان يمكن توجيه ضربة محدودة إليها . »

وكان الانطباع الذى أخذه « جمال عبد الناصر » هو أن « خروشوف » يلمح إلى أن الاتحاد السوفيتى كان فى تخطيطه - إذا لم تحدث استجابته لانذاره - أن يوجه ضربة إلى أساطيل الغزو .

وبعد المقابلة تساءل « جمال عبد الناصر » والشكوك ما زالت تساوره « هل يمكن أن ذلك كان تخطيطهم فعلا ؟ وإذا كان ذلك صحيحا ، فكيف السبيل الى تنفيذه مع العلم أن توجيه ضربة نووية إلى أساطيل الغزو كان من شأنه أن تؤثر الضربة تأثيرا مباشرا على بورسعيد وما حولها من منطقة القناة ، وفيها وقتها حوالى المليون من المدنيين المصريين ؟ »

وبقيت إجابة السؤال معلقة ، ولعلها لا تزال كذلك حتى الآن - ومع ذلك فإن أحدا لا يساوره شك - وقتها والآن - فى أن الإنذار أدخل على الأقل عنصر شك غير مقبول فى موقف كان بأكمله مستعصيا على القبول .

وربما زاد من الشك أن الاتحاد السوفيتى لم يتوقف عند حد توجيه الإنذار يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ وإنما أتبع ذلك بخطوات عملية ، ففي يوم ٧ نوفمبر - أى بعد الإنذار بيومين - قام الاتحاد السوفيتى بتحركات عسكرية دفع فيها بأعداد كبيرة من القوات البرية والجوية نحو الشرق الأوسط ، ووصفت جريدة « نيويورك تايمز » الصادرة فى ٩ نوفمبر هذه التحركات بأنها « أحداثت قرعا فى أوروبا الغربية » .

ولم تمض أيام حتى أصدر رئيس الوزراء السوفيتي « بولجانين » بيانا قال فيه بالنص : « إن الاتحاد السوفيتي يستطيع الاستيلاء على أوروبا الغربية كلها دون حاجة الى استخدام صواريخ أو قنابل ذرية » ، ثم اقترح مشروعا للسيطرة على الأسلحة النووية من ست نقاط ختمه بقوله : « إن العالم كله أمام خيار أن يقبل المشروع السوفيتي ، أو يواجه حربا عالمية ثالثة لم تشهد البشرية مثيلا من قبل لأهوالها وفضاعتها » !

وهكذا فإنه حتى بعنصر الشك النووي وحده أصبح الاتحاد السوفيتي طرفا في منع العدوان من فرض إرادته ، وبحكم أنه أصبح طرفا ، فقد كانت له بالطبع مطالبة واستحقاقاته - وهكذا ، فلقد كان السؤال الأكثر غموضا بعد السويس هو :

- « ما هي مطالب الاتحاد السوفيتي واستحقاقاته ؟ وكيف بالضبط ؟ !



■ ■ وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الطرف الخامس .

الفصل الثالث

لغز في خليج العقبة



بين كل الأطراف الذين شاركوا - بصرف النظر عن الدوافع والأسباب - في منع العدوان الثلاثي من فرض إرادته - كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الطرف الأكثر إلحاحا ، والأبرز حضورا على سياحة الصراع فور سكوت المدافع على جبهات السويس ، وكانت لذلك أسباب بعضها سابق على المعركة وبعضها استجد مع اشتعال نيرانها .

● الولايات المتحدة كانت قد دخلت لأول مرة الى الشرق الأوسط - والعالم العربي - من الأبواب الواسعة بعد الحرب العالمية الثانية .

● الولايات المتحدة كانت بعد الدخول الأول ، قد استطاعت مزاحمة المصالح البريطانية - الفرنسية القديمة في بترول الشرق الأوسط ، والحصول لنفسها على نصيب الأسد فيه !

● الولايات المتحدة أصبحت هي الصديق « الكبير » للأسر والنظم التقليدية في المنطقة ، والتي بدأت تواجه عواصف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية .

● القوى الوطنية الجديدة في العالم العربي لم تكن بعد قد تعاملت مباشرة مع الولايات المتحدة . وفي صراع هذه القوى ضد الإمبراطوريات التقليدية المسيطرة - فإنها ظنت أن الولايات المتحدة قد تكون عوناً لها ضد

الاستعمار ، وكان هذا الظن يصدر أحيانا عن حسن نية تبرىء الولايات المتحدة وطن الثورة العظيمة ضد الاستعمار من تهمة ممارسته - وأحيانا أخرى كان يصدر عن فهم يرى أمامه إمبراطورية تحاول إرث إمبراطورية ، ومع ذلك فلم يكن يرى بأسا من استغلال تناقضات يحقق بها هدفا حالا ، وإن كان يعرف أنه سوف يواجه بعدها تعقيدات مؤجلة .

إلى جانب هذه العوامل - ونتيجة لكثير منها - فإن الولايات المتحدة كانت هي الطرف الدولى الأقدر على الحركة فى تلك الظروف على ساحة المنطقة ، فبريطانيا وفرنسا فى الحضيض بعد هزيمتهما فى المعركة ، والاتحاد السوفيتى وافد جديد على الساحة العربية ، وبرغم كل ما حاول تقديمه لحركة التحرر العربى - ابتداء من مواقفه فى الأمم المتحدة ، إلى صفقة السلاح مع مصر ، إلى إنذار السويس - فإن كتلا اجتماعية وسياسية كبيرة فى العالم العربى كانت تنظر إليه بريبة ، بل وتناصبه العداء ولا تمنع من أن تجعل من أوطانها قواعد لحصاره فى الحرب الباردة - وحتى الساخنة .

وعندما أضيف الى ذلك كله موقف الولايات المتحدة الظاهر من العدوان على مصر ، والذي بدا أنه على حد قول « ايزنهاور » « يضع المبادئ قبل الأصدقاء » - إذن فإن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت فور وقف إطلاق النار « اللاعب الدولى الرئيسى » فى الساحة - بل إن الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » تملكه الاعتقاد بأنه « مهندس الأزمة » - فهو أمام منطقة حيوية تفككت مفاصلها ، وليس هناك غيره الآن يتولى إعادة تركيبها على النحو الذى يلائم المصالح الأمريكية .

ولم يكن هناك سر فى أهداف « ايزنهاور » ، فمنذ امتنعت مصر عن دخول أحلاف الغرب العسكرية ، ومنذ رفضت عقد صلح مع إسرائيل ، ومنذ بدأت تشتترى السلاح من الاتحاد السوفيتى ، ومنذ اعتذرت عن مقايضة بناء السد العالى بحريتها فى الحركة السياسية ، ومنذ أمتت شركة قناة السويس - كانت أهداف « ايزنهاور » بمنتهى الوضوح والدقة ، وكما تظهرها يومياته^(١) المكتوبة بخطه فى خزائن مكتبته بـ « آيبيلين » - ولاية كنساس - محددة على النحو التالى :

١ - إخراج الاتحاد السوفيتى من المنطقة قبل أن يتمكن من تثبيت مكانته ونفوذه فيها .

(١) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس صفحات ٣٥٩ و ٥٠٤ و ٥٧٦ و ٥٧٧ .

- ٢ - تعزيز المصالح الأمريكية الاقتصادية والعسكرية بكل الوسائل ،
وفي مقدمتها دعم مراكز الولاء التقليدي للغرب على الأرض العربية .
- ٣ - حصار المراكز الثورية الجديدة في العالم العربي وإسقاطها .
- وبالنسبة لهذا الهدف الأخير - فإن « ايزنهاور » - ومن قبل معركة السويس -
كان قد حدد طرق الاقتراب منه بثلاث وسائل محددة :^(٢)

١ - انتزاع الملك « سعود » ملك المملكة السعودية من العلاقة مع
« جمال عبد الناصر » ، وكان « ايزنهاور » يعتقد أن التعاون بين الثروة
السعودية ، والثورة المصرية في مقاومة حلف بغداد - يعطى للحركة القومية
في العالم العربي تأثيرا فعالا وقويا . وكان « ايزنهاور » يدرك أن عداء الملك
« سعود » لحلف بغداد وتعاونيه في هذا المجال مع « جمال عبد الناصر » -
يرجع أساسا الى التناقض بين الأسرة السعودية الحاكمة في الرياض ،
والأسرة الهاشمية الحاكمة في بغداد - وعلى هذا الأساس فقد بدا له أنه
يستطيع إقناع السعوديين بأن التناقض الاجتماعي بين الثروة والثورة
أخطر وأعمق من العداء القبلي القديم .

٢ - الفصل بين القاهرة ودمشق ، ذلك أن دمشق بحكم دورها في القلب من
الحركة العربية كانت تشكل مع القاهرة محورا له جاذبية خاصة ، ولم يجد
« ايزنهاور » ولا كل مستشاريه وسيلة لتحجيم دور دمشق - والتأثير بالتالي
على القاهرة - غير وسيلة الانقلاب ، وبالفعل فإنه في الشهور الأخيرة من
سنة ١٩٥٥ والشهور الأولى من سنة ١٩٥٦ كانت هناك أكثر من جهة
تتسابق على تدبير انقلاب عسكري في دمشق : وكالة المخابرات المركزية
الأمريكية تدبر ، وحكومة « نوري السعيد » في العراق تشارك ، وتركيا
تشجع ، وعناصر أخرى أقل شأنا - وإن لم تكن أقل تصميمًا - تتسلل ،
ولعلها لم تكن مصادفة أن أخطر محاولات الانقلاب من الداخل في سوريا -
وهي المحاولة التي تزعمها سياسي سوري معروف في ذلك الوقت وهو السيد
« ميخائيل اليان » - جرى الترتيب لوقوعها يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ متوافقة
مع بداية الهجوم الإسرائيلي في سيناء كبدائية لتنفيذ خطة فتح الباب للغزو
البريطاني - الفرنسي !

٣ - تصفية مركز « جمال عبد الناصر » عن طريق العزل السياسي ، وعن

(٢) رجاء مراجعة الوثائق في ملحق كتاب ملفات السويس صفحة ٥٧٦ و ٥٧٧ .

طريق الحصار الاقتصادي ، وعن طريق القتل إذا أصبح القتل لازما في وقت من الأوقات .

وفي المحصلة النهائية ، فإنه يمكن أن يقال إن خلاف الولايات المتحدة مع حلفائها الغربيين - بريطانيا وفرنسا - وبعدهم إسرائيل ، لم يكن خلافا حول الهدف ، وإنما كان الخلاف حول الوسائل .

وبالطبع ، فإن السياسة الأمريكية لاتقبل أن يتصرف الآخرون بدون إذنها ، كما أنها كانت تريد الوسائل في يدها ، وليس في يد غيرها حتى تجيء النتائج منطقيا لحسابها ، وليس لطرف آخر غيرها ، وبدعوى أنها الآن مركز القيادة الذي لاينازع في مطالب الغرب الرامية الى السيطرة على الشرق الأوسط بما فيه العالم العربى .



إن الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية في هذه الفترة تلقى أضواء تكفى وحدها لإظهار وإثبات نوايا السياسة الأمريكية ومقاصدها في هذه الفترة ، ومن ثم قد يصبح مناسبا عرض بعض هذه الوثائق التى يحتويها الملف "J. E." الخاص بمصر .

● ● ● هناك وثيقة تدعو الى الاستغراب يحتويها الملف ، وهى فى الواقع تقرير عن حديث خاص دار على العشاء بين وزير الخارجية الأمريكى « جون فوست دالاس » وبين الصحفى الأمريكى الأشهر « جيمس رستون » رئيس القسم الخارجى فى جريدة « نيويورك تايمز » ، وكان « رستون » موضع ثقة « دالاس » - الذى كان حريصا على أن يضعه فى الصورة باستمرار .

ولتشير الوثيقة على وجه التحديد إلى الطريقة التى وصل بها هذا التقرير إلى يد الخارجية البريطانية ، لكنه يحمل تأشيرة مكتوبة من الوكيل الدائم للخارجية السير « ايفون كيركباتريك » ترجو من رئيس الوزراء « أنتونى ايدن » ووزير الخارجة « سلوين لويد » أن يقرأه بعناية .

والحقيقة أن التقرير يستحق القراءة باهتمام ، فهو لايتعرض فقط لملايساء معركة سنة ١٩٥٦ ، وإنما يحتوى على إشارات يمكن فهمها أكثر على ضوء ما حدث فيما بعد فى معركة سنة ١٩٦٧ - فضلا عن أنه إطلالة دقيقة على التفكير الأمريكى تلك الأيام .

يبدأ التقرير كما يلى بالنص : (٣)

(٣) ترجمة الوثيقة قام بها مركز الأهرام للترجمة والنشر

» خاص

راى مستر دالاس فى التحرك الانجليزى الفرنسى .

وقد ابداه فى عشاء خاص مساء يوم الثلاثاء ٣٠/١٠/١٩٥٦ مع جيمس رستون المحرر بجريدة نيويورك تايمز . والعبارات الموضوعية بين قوسين هى كلمات دالاس بنصها كما سجلها رستون ، اما الباقي فبعبارة رستون القريبة من النص . وكانت الملاحظات الاصلية اكثر ارتباطا بتسلسل الحوار واكثر طولاً وتحوى تكراراً . وقد اعيد تنظيم هذا المستخلص تحت رؤوس الموضوعات التى تعرض لها دالاس .

■ القول بسوء النية .

١ - قال دالاس إنه استمر طوال ثلاثة اشهر يحاول إقناع البريطانيين والفرنسيين بعدم استخدام القوة . وأنه عندما كان يقابل لويد وبينو شخصياً كما حدث فى اجتماع الأمم المتحدة ، كانا يبديان اقتناعهما ، ولكن الأمور تتغير بمجرد عودة كل منهما إلى عاصمته .

(من المؤسف أن هناك بعض العناصر فى مجلس الوزراء البريطانى ممن يتعاطفون معنا تماماً ايدوا استخدام القوة على طول الخط) .

٢ - خلال الأسابيع القليلة الأخيرة كان هناك « تعقيم كامل » على ذلك النوع من المعلومات التى اعتاد البريطانيون والفرنسيون تزويد حلفائهم الأمريكيين بها .

وقال دالاس : (لقد أرسلت برقيات فى الأسبوع الماضى إلى السفيرين فى لندن وباريس لمحاولة اختراق هذا التعقيم ، ولكنهما لم يحصلوا إلا على معلومات قليلة ، وحتى ما حصلوا عليه كان مضللاً تماماً . وحتى اللحظة الأخيرة مباشرة أعطينا بريطانيا وفرنسا انطباعاً بأنهما سوف يلتقيان بفوزى^(٤) فى جنيف)

■ القول بالتواطؤ مع إسرائيل :

١ - استشهد دالاس بما يلى :

(أ) (الاستبعاد المفاجئ للملحق العسكرى الأمريكى فى القدس من جانب زميليه البريطانى والفرنسى فى يوم السبت ، وهو اليوم الذى تمت فيه التعبئة العامة فى إسرائيل بينما هم فى العادة يعملون فى تعاون وثيق للغاية معنا .

(ب) (الإشارة إلى السويس فى البيان الإسرائيلى الأول رغم أن ذلك لا يتصل فى شىء بتدمير قواعد الفدائيين المصريين ، وهو العذر الذى أعلنته إسرائيل لهجومها على مصر .

(٤) الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرية ، وكان همرشولد قد اقترح عقد اجتماع بحضوره فى المقر الأوروبى للأمم المتحدة يشارك فيه وزير خارجية مصر ، ووزير الخارجية البريطانى ، ووزير الخارجية الفرنسى لمواصلة بحث الموقف ، وتحدد لهذا الاجتماع مبدئياً يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

٢ - قال دالاس إن الهدف الحقيقي لإسرائيل كان الاستيلاء على جزء من أراضى الأردن^(٥) . (وقد اقنعهم البريطانيون بالا يفعلوا ذلك في هذه المرحلة وإن يستعصوا عنه بـ . .) - وقطع دالاس كلامه ثم مضى قائلا (وعندئذ هاجم الإسرائيليون ، وقاموا بهجوم مخادع في اتجاه القناة ، وكان ذلك لإعطاء بريطانيا وفرنسا ذريعة للتدخل) .

٣ - وربما تكون أهداف إسرائيل الأساسية (تقطيع اوصال الأردن وحصول إسرائيل على الأجزاء التي تريدها منه)^(٦) .

٤ - يتوقع دالاس أن القوات الإسرائيلية لن تلبث أن تنسحب من مصر (فقد ذهبت إلى السويس للتمويه ، وبمجرد أن تدخل القوات البريطانية والفرنسية ستخرج إسرائيل) .

■ دالاس والإنذار :

١ - (إن الإنذار البريطاني الفرنسي لمصر واحد من اقصى الإنذارات التي قدمت في أي زمان ، لأنه حتى إذا قبلت شروطه ، فستبقى القوات الإسرائيلية فوق أراضى مصر)

٢ - ولم تكلف بريطانيا وفرنسا بتوجيه الإنذار بدون التشاور مع الولايات المتحدة ، بل إنهما حاولتا في يومى الاثنين والثلاثاء^(٧) أن تقنعا الولايات المتحدة بتأجيل تقديم مشروع قرارها بوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل إلى الأمم المتحدة بدون أدنى إشارة إلى دوافعهما في ذلك .

■ دالاس وعبد الناصر .

١ - (إن سياسة عبد الناصر كفيلة بأن تهزم نفسها بنفسها ، فهو وطنى طائش مفتوح العينين بجرأة وحشية ، وأنا أكرهه ، ولكننا لسنا بحاجة إلى دحره بهذه الطريقة ، ومن الأفضل أن يتصدى له جيرانه ، وقد شرعت إيران بالفعل في مواجهته ، وأخذ السعوديون في التحول عنه ، وسلطان المغرب يتنافس معه على قيادة العالم العربى ، وليبيا لا ترتاح إليه ، وهناك إمكانية لإقامة تحالف بين الأردن والعراق لمعارضته) .

٢ - إن الولايات المتحدة تريد أن تكسر عبد الناصر تماما كما تريد ذلك بريطانيا وفرنسا ، ولو استمر الضغط الإقتصادى والسياسى لمدة ستة لأودى به . لكن البريطانيين والفرنسيين كانوا حريصين على الخلاص منه تماما (قليل الكريسماس) .

(٥) يرجى ملاحظة هذه الإشارة المبكرة الى نوايا إسرائيل تجاه غزو وضم أجزاء من الأردن باعتبار أن ذلك هدفا رئيسيا لإسرائيل .

(٦) إشارة مبكرة ثانية وشديدة الوضوح الى مطامع إسرائيل في الضفة الغربية .

(٧) الاثنين والثلاثاء ٢٩ و ٣٠ أكتوبر .

٣ - كانت الولايات المتحدة على استعداد للنظر في مقاطعة القناة ، وكذلك كان الفرنسيون ، لكن البريطانيين لم يقبلوا ذلك لأنه سيكلفهم ١٠٠ دولار في مقابل كل دولار يخسره عبد الناصر .

■ دالاس والنتائج العامة للعملية :

١ - إنها مأساة كبرى ، أنه في الوقت الذي انكشف فيه الاستعمار والامبريالية الروسية في هنجاريا - يتصرف الإنجليز والفرنسيون مرة أخرى بمنطق استعماري وامبريالي سافر .

٢ - إن الإنجليز والفرنسيين عليهم أن يفهموا أنهم لا يستطيعون أن يكونوا قوة عظيمة إلا إذا كانت لديهم الوسائل الكافية لغرض سيطرتهم .

٣ - إن الازمة سوف تؤثر على حلف الأطلسي ، ولم يعد في وسعنا الآن أن نعتمد اعتمادا كبيرا على قوة أوروبا الغربية .

٤ - قال دالاس إنه يتوقع أن تتعرض خطوط الأنابيب للتخريب ، ويتوقع نتيجة لذلك حدوث ضغط شديد على الفرنك والسترليني ، فهم يقامرون بكل شيء على تصور بقاء قناة السويس مفتوحة رغم الحرب ، وعلى استمرار تدفق البترول في خطوط الأنابيب عبر البحر المتوسط ، وهذه مقامرة يائسة ، وإذا أخفقت فلست أرى وسيلة لإنقاذهم .

■ رأي ايزنهاور :

١ - إن ايزنهاور أبدى رايه لإيدن وموليه (بقوة وشدة لايتصورهما احد) . فهو كرجل عسكري يعتقد أنه ليس من المستطاع من الناحية العملية الاستيلاء على القناة بدون الاستيلاء أيضا على القاهرة والإسكندرية ، وفي اعتقاده أن البريطانيين توصلوا الى هذا الاستنتاج قبل جلائهم عن قاعدة قناة السويس ، فهم لا يملكون القوات الكافية لتأمين هذا الهدف إزاء عناد المصريين ، وهو لا يستطيع أن يفهم كيف يريدون أن يعودوا ، ويضعوا أنفسهم في نفس الموقف بعد أن خرجوا لنفس السبب » .



●●● تجيء بعد ذلك في نفس الملف "J.E." - من الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية - وثيقة ثانية تتحدث عن مرحلة تالية من الصراع .

ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية - فور إعلان وقف إطلاق النار على جبهات السويس - تحركت بسرعة لضرب الحديد وهو ساخن ، فحاولت ترميم الجسور مع حلفائها الذين تأمروا على غزو مصر من وراء ظهرها ، ثم راحت تحاول تأمين بعض مصالحهم من منطق إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

وبدأت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تحاول استغلال ضباب الرؤية الناشء عن دخان المعارك لكى « تخطف » لحلفائها بعض مايعوضهم عن الكارثة التى حلت بهم : جربت أن تعطيهم دورا فى تطهير قناة السويس ، ودورا فى إدارتها المستقبلية .

وكانت مصر متنبهة تماما برغم سخونة الموقف وضباب القتال ودخانهِ ،

وفى هذا المناخ التقى وزير الخارجية البريطانى « سلوين لويد » مع وزير الخارجية الأمريكية « جون فوستر دالاس » فى باريس ، ودار بينهما حوار ترويه هذه الوثيقة الثانية ، وهى على شكل تقرير عن هذا اللقاء فى باريس كتبه « سلوين لويد » لمجلس الوزراء البريطانى .^(٨)

وكانت بعض الفقرات فيه لافتة للنظر وبينها :

● قال وزير الخارجية البريطانى سلوين لويد إنه يشعر بالقلق لأن « الحكومة البريطانية لم تتلق أية تأكيدات بشأن القضايا التى تهمها لأن الحكومة المصرية رفضت مشاركة المعدات البريطانية - الفرنسية فى تطهير القناة ، كما رفضت مناقشة أى أمر يتعلق بمستقبل إدارة قناة السويس » .

● قال وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس : « إن رد فعلنا تجاه غزو مصر لم يكن راجعا الى أى حب للمصريين إلا أن الولايات المتحدة لم تكن ترى كيف كان يمكن للنظام العالمى أن يستقر لو أنها اغمضت عينها » .

● قال وزير الخارجية البريطانى : « إن إرغامنا على الانسحاب ضيع من أيدينا كل الأوراق التى كان يمكن استعمالها فى الضغط على مصر لتحقيق حد أدنى من طلباتنا » .

● قال وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس : « ليس دقيقا أننا أرغمناكم على الانسحاب من مصر . لقد ترتب كثير من النتائج السيئة على تصرفات بريطانيا وفرنسا ، ومن المحتمل أن تعالج الأمور على نحو أفضل بعد الانسحاب » . وأضاف دالاس : « إنه ليس من سياسة الولايات المتحدة استرضاء عبد الناصر أو التودد إلى العرب ، وهى بالتاكيد لا تثق بحكومة مصر ، وهى مستعدة للضغط على عبد الناصر لتسوية بعض المشاكل ، وقد يكون لحكومة الولايات المتحدة قدر من التأثير على عبد الناصر فى الوقت الحاضر ، ولكن هذا التأثير سوف يتناقص لأن عبد الناصر سوف يلمس بنفسه

(٨) النص الرسمى لمحضر الاجتماع منشور بكامله فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب برقم (١) .

أن دافع الولايات المتحدة إلى الوقوف ضد التدخل البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي لم يكن صادرا عن حبها له ، وأن الحكومة الأمريكية على أى حال ستمارس أقصى ضغط ممكن على عبد الناصر خلال الأيام القليلة القادمة » .



كان التفكير الأمريكى تجاه بريطانيا وفرنسا واضحا .
 إن لندن وباريس تصرفتا من وراء ظهر واشنطن - بادعاء أنهما من القوى العظمى - ولقد تخلت عنهما ، وكلاهما كان عليه أن يفهم الدرس .
 ولقد كانت الولايات المتحدة تريد أن ترث دورهما الإمبراطورى فى الشرق الأوسط - بما فيه مصالحهما البترولية - وقد تحقق ذلك بحماقتهم قبل أى عامل آخر - ولم يكن لدى الولايات المتحدة دموع كثيرة تذرفها على الشמוש الغاربة .
 وربما كان فى مقدور الولايات المتحدة أن تساعدتهما - بقصد الحفاظ على حلف الأطلسى فى أوروبا - لكن هناك حدودا لهذه المساعدة . الولايات المتحدة سوف تحاول - وقد حاولت - لكنها لن تدخل فى صدام مع العرب ، لكى تحصل لبريطانيا وفرنسا على بعض الحطام من بقايا معركة السويس .
 أما التفكير الأمريكى من الشريك الثالث فى العدوان وهو إسرائيل ، فقد كان أكثر تعقيدا !

كان مبعث التعقيد فيه يعود إلى عدة اعتبارات :

١ - التعاطف الأمريكى العام مع إسرائيل لأسباب تاريخية وسياسية ونفسية متعددة .

٢ - النفوذ الواصل للعناصر اليهودية والصهيونية فى المجتمع الأمريكى ، وسيطرة هذه العناصر على بعض المراكز الحاكمة كمراكز الإعلام والمال والفنون .

٣ - التعهدات الرسمية الأمريكية لإسرائيل ابتداء من اعتراف الرئيس « هارى ترومان » بها قبل دقائق من إعلان قيامها رسميا كدولة في منتصف شهر مايو ١٩٤٨ - إلى تعهد الرئيس الذى خلفه وهو « دوايت ايزنهاور » بضمان أمنها . ولم يكن ممكنا على الأمد الطويل ضمان الأمن الإسرائيلي وصيانتة إلا بالتوصل الى صلح بين العرب وإسرائيل « ببشارة » تحقيق السلام فى الأرض المقدسة ، أو بفرض هذا الصلح قسرا بدون الحاجة إلى « بشائر » إذا واصل العرب وعلى رأسهم مصر ، عنادهم ورفضوا الاعتراف بالدولة الصهيونية

يضاف إلى ذلك عنصر تمتد ضروراته الى أوسع من حجم إسرائيل ، ذلك أنه إذا كان « ايزنهاور » يحلم بتنظيم حلف عسكرى فى الشرق الأوسط يستكمل حصار الاتحاد السوفيتى - فإن هذا الحلم لم يكن يستطيع حتى من الناحية العملية أن يستغنى عن إسرائيل . فإذا كان الاستغناء عن إسرائيل مستحيلا من الناحية العملية إذن فإن الصلح بين العرب وإسرائيل ضرورى ، فلا يعقل أن يقوم تنظيم دفاعى باشتراك أطراف متحاربة مع بعضها .

وكان الرئيس « ايزنهاور » فى السنة الأولى لرئاسته للولايات المتحدة قد أصدر توجيهها رئاسيا بإنشاء مجموعة عمل تابعة لمجلس الأمن القومى أطلق عليها الاسم الرمضى « مجموعة ألفا » عهد برئاستها الى المستر « فرانسيير راسل » ، وكلفها بمهمة « إنشاء سياسات واتخاذ خطوات تنفيذية تؤدى إلى تحقيق الصلح بين العرب وإسرائيل » .

وفى ملابسات السويس سنة ١٩٥٦ كان التفكير الأمريكى فى حالة سيولة تبحث عن أشكال للمستقبل لم تتحدد بعد معالمها .

بالنسبة لبريطانيا وفرنسا كانت المسائل محددة - بمطالب الإرث الإمبراطورى

وبالنسبة لإسرائيل لم تكن كذلك - فإلى جانب كل الاعتبارات الخاصة فى العلاقات بين واشنطن وتل أبيب ، فإن « السويس » طرحت ظواهر تستحق التأمل والدرس ، أهمها أن « إسرائيل تستطيع أن تقوم فى المنطقة بدور عند اللزوم » .

إن بريطانيا وفرنسا اكتشفتا هذا « الدور » مبكرا ، ولعله كان فى التفكير البريطانى منذ زمن بعيد ، وأما الولايات المتحدة فإنها لم تلتفت إليه بالقدر الكافى وإن كان هناك بعض من تنبهوا قبل غيرهم ، وكان بينهم على سبيل المثال الكولونيل

« ي . ب . ارشيبالد » الملحق العسكري الأمريكي الذى سافر بطائرة خاصة إلى إسرائيل فور قيام الدولة واعتراف « ترومان » بها .

إن الكولونيل « ارشيبالد » كتب فى تقرير رسمى له مودع فى مركز الوثائق القومى الأمريكى بولاية « ماريلاند » ومؤرخ فى أول نوفمبر ١٩٤٨ - يقول :

« إن إسرائيل بلد صغير ، ولكن له امكانيات عسكرية كبيرة ، واعتقادى ، ن إسرائيل هى الجواد الذى يجب أن نراهن عليه مستقبلا لأن الظروف سوف تضعنا باستمرار فى حالة قلق مع العرب » .

وفى ملابسات « السويس » سنة ١٩٥٦ كانت امكانيات إسرائيل العسكرية موضع اهتمام أكبر من مستوى ملحق عسكري أمريكى فى سفارة تل أبيب سنة ١٩٤٨ - فهذه المرة كان الاهتمام على مستوى رئاسة هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية المسلحة .

كان « ايزنهاور » عسكريا بتجربته كلها قبل دخول البيت الأبيض ، وفى أوقات الأزمات فإن أقرب المعلومات والتقديرات إلى عقله كانت تلك الصادرة عن جهات عرفها من قبل واختبرها ، ثم إنها تجيئه بلغة يألّفها ويفهمها . وفى أول نوفمبر ١٩٥٦ كان أمام « ايزنهاور » على مكتبه فى البيت الأبيض تقرير كتبه الأميرال « آرثر رادفورد » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية ، وكان التقرير يتحدث عن حالة الجيش الإسرائيلى بعد الحجم الهائل من التسليح الذى أغدقته عليه فرنسا وبريطانيا استعدادا لمعركة السويس . وجاء فى الصفحة الثانية من هذا التقرير ما يلى بالنص :

« وتقرر لجنة المعلومات والتقديرات الخاصة أن جيش الدفاع الإسرائيلى لديه الوسائل ، كما أنه يمتلك المقدرة ، على تحقيق الأغراض التالية :

- (١) احتلال الضفة الغربية للأردن .
- (ب) اختراق الحدود السورية إلى درجة تهدد العاصمة دمشق .
- (ج) اختراق الحدود المصرية والنفوذ إلى عمق سيناء ، والبقاء فيها إلى فترة تعتمد بالدرجة الأولى على تأمين وسائل المواصلات والإمداد .
- (د) فك قبضة الحصار المصرى على خليج العقبة وفتح الطريق إلى إيلات .
- (هـ) الاحتفاظ بالسيطرة الجوية على أرض معركة فى مواجهة القوات المصرية التى لم تتح لها الفرصة لاستيعاب سلاحها السوفيتى الجديد .
- (و) القيام بعدد من هذه العمليات فى وقت واحد حتى فى مواجهة تنسيق عربى مشترك .



كان تقرير الأميرال « رادفورد » مثيرا لاهتمام الجنرال « ايزنهاور » - ربما بأكثر من أى شئ وضع على مكتبه فى تلك الفترة . والأفكار ما زالت تروح به وتجىء .

□ هو مضطر من ناحية الى أن يطلب من إسرائيل أن تنسحب من الأراضي التى احتلتها نتيجة للتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا ، فما دامت هذه هى القاعدة التى تنطبق على الإمبراطوريتين - فليس مقبولا تطبيق غيرها على الشريك الثالث الصغير وهو إسرائيل .

هناك أيضا « اعتباراته » إزاء الأسر الحاكمة المعتدلة فى العالم العربى وهو يريد استمالتها .

□ من ناحية أخرى ، فإن « الدور » المحتمل لإسرائيل ظاهر ، وقد وضع للاختبار العملى فى « السويس » ، لكن البريطانيين والفرنسيين لم يحسنوا استعمله ، أو هم استعملوه فى الوقت الخطأ بالطريقة الخطأ ، ومع ذلك فإن الممارسة الخاطئة ليس من شأنها أن تسقط امكانية القوة المتاحة فى حد ذاتها خصوصا مع كل ما توافر لإسرائيل ، وأصبح فى يدها فعلا دون أن تتكلف الولايات المتحدة من أمره ثمنا ماديا فادحا على خزائنها ، أو ثمنا معنويا مكلفا أمام أصدقائها العرب .

اتصالا بذلك ، فإن الدور الإسرائيلي بدا حيويا عندما راحت القواعد العسكرية للغرب فى المنطقة تتعرض للعواصف بعد السويس ، فقد ذابت القاعدة الراسخة على ضفتى القناة ، وأصبحت قاعدة « الزرقاء » فى الأردن مهددة ، وقاعدة « الحبانية » فى العراق يلفها ضباب .

ونتيجة لتضارب الأفكار فى هذه المرحلة - تضاربت تصرفات .

ففى يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٦ كان المندوب الأمريكى الدائم فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك يزأر فى الجمعية العامة بمطلب الإصرار على انسحاب قوات الدول الثلاث المعتدية ، مسائرا فى ذلك اتجاها كاسحا فى الجمعية العامة تتصدره مجموعة الدول الآسيوية الإفريقية .

وفى اليوم التالى مباشرة وصل إلى تل أبيب السناتور الأمريكى الشهير « جاكوب جافيتس » يحمل رسالة شخصية من « ايزنهاور » إلى « بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل جاء فيها - كما يذكر التقرير رقم ٢٧٦ / ١٠٧٣ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية - ما نصه : « إن الرئيس ايزنهاور لا يتعجل انسحاب إسرائيل من الأراضي التى احتلتها فى سيناء وقطاع غزة ، والعودة الى ما وراء حدودها » .

ولم يكن ذلك تضارباً في القرارات بقدر ما كان حالة سيولة في الأفكار . أفكار ما زالت تروح وتجيء . لم يستقر لها بعد قرار .

كان لابد للمستقبل أن يتخذ أشكالا تلائم نفسها مع الحقائق والضرورات المستجدة ، فالعمل السياسي بين مهامه أن يجعل الخطوط المتوازية تتقاطع ، أو تتلاقى عند نقطة معينة ، وبدا أن هذه النقطة تقترب مع منتصف شهر نوفمبر ١٩٥٦ وتستعد لتتخذ مكانها على الخريطة السياسية للمنطقة . ومثل أى نقطة على خريطة ، فقد كانت ملتقى خطين ، بالطول وبالعرض .

● الخط الأول : كيف يمكن مع ضرورة انسحاب إسرائيل شأنها شأن غيرها من أطراف العدوان الثلاثي أن تنسحب ثم لا تعتبر مهزومة في نفس الوقت مثلهم ؟

● والخط الثاني : كيف مع ضرورات انسحاب أطراف العدوان الثلاثي جميعاً ألا تعتبر مصر منتصرة خصوصاً إزاء إسرائيل ؟

وبدأت الخطوط المتقاطعة على الخريطة السياسية للمنطقة تقترب يوماً بعد يوم من نقطة التقائها ، ومن ثم بدأت الخطوط توحى بالخطط دون أن يعنى ذلك بالضرورة أنها مؤامرة تم تدبيرها وإبرام تفاصيلها بليل ثم بدأ التنفيذ .

إن التاريخ يعرف المؤامرة لكنه من الصعب تحكيم المؤامرة دائماً في تفسير وقائع التاريخ ، والذي يحدث في العادة دون حاجة الى ترتيبات خفية في الظلام هو أن التقاء طرفين أو أكثر على أهداف محددة يخلق اتجاهات متوافقة فيما بينهما تؤدي الى اتفاق ، وأحياناً فإن أجواء الاتفاق في النهاية قد تصل الى أبعد من نوايا الأطراف في بدايته ، فالحركة الذاتية للمصالح المتوافقة قادرة على أن تحقق من أسباب التعاون والعمل المشترك ما يفوق أى خطط مسبقة مكتوبة على الورق ، أو موهورة بأختام التوثيق .

والأرجح أن هذا ما حدث في العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في تلك الفترة القلقة من نهاية سنة ١٩٥٦ وحين وضعت النطف الجنينية لكثير مما تخلق وتكون فيما بعد سنة ١٩٦٧ .



ولعل الوثائق السرية للحكومة الإسرائيلية أن تكون أفضل المصادر جميعا لبيان الطريقة التي تقاطعت فيها الخطوط المتوازية والتقت في تلك الظروف ، ومن حسن الحظ أن هذه الوثائق السرية أتاحت كاملة لرجل واحد هو البروفيسور « مايكل بريشر » الذي كتب تقريرا ضافيا عن عملية صنع القرار الاستراتيجي والسياسي في إسرائيل ، وكان « دافيد بن جوريون » بنفسه هو الذي وضع هذه الوثائق السرية تحت تصرف البروفيسور « بريشر » .

وتروى الوثائق السرية الإسرائيلية قصتها كاملة على النحو التالي

● في ١١ نوفمبر (بعد أسبوع تقريبا من إعلان وقف إطلاق النار على جبهات السويس) كتب السفير الإسرائيلي في واشنطن « آبا ايبان » - تقريرا الى رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » قال فيه :

« علمت أن « كابوت لودج » (المندوب الأمريكي الدائم في الأمم المتحدة) لم يكف طوال هذا الأسبوع عن إبداء ضيقه لوزير الخارجية « دالاس » بشأن خطابكم امام الكنيسة يوم ٨ نوفمبر . ومن رأى « لودج » أن هذا الخطاب جاء مستغفرا لكل الدول الآسيوية والإفريقية التي استغلت ما جاء فيه لإظهار إسرائيل بصورة عدوانية^(٩) .

وقد كان الرأى السائد في وزارة الخارجية هو أن إسرائيل لا يحق لها أن تسيء الى نفسها بإظهار التشدد ، والمطالبة بالحدود القصوى التي يصعب تنفيذها إزاء إصرار الأغلبية الساحقة في الأمم المتحدة »

● وفي ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ كتبت وزيرة الخارجية الإسرائيلية « جولدا مائير » التي كانت تشرف بنفسها على إدارة الجهد الإسرائيلي الدبلوماسي في الأمم المتحدة تقريرا إلى رئيس الوزراء تقول له فيه :

« جاء وكيل وزارة الخارجية الأمريكية « روبرت مورفي » للقائى ، وكان معى سفيرنا في واشنطن « آبا ايبان » . وقد أبدى لنا « مورفي » وجهة نظر مؤداها أننا نستطيع الحصول على المطالب الحيوية لأمننا إذا نحن قصرنا طلباتنا على نزع سلاح

(٩) كان دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل قد قال في خطبه امام الكنيسة إن اهداف إسرائيل الثلاثة من معركة سيناء قد تحققت بالكامل : (١) تدمير القوات المسلحة المصرية (٢) تحرير سيناء التي هي جزء من الوطن اليهودي (٣) وفرض حرية الملاحة في خليج سليمان (العقبة) وفي قناة السويس .

سيناء ، وفي مقابل ذلك فإن الولايات المتحدة سوف تكون على استعداد لأن تقدم لنا الضمانات الكافية لعدم عودة الظروف إلى ما كانت عليه قبل القتال ، وبما يفيد صراحة أن خليج العقبة سوف يفتح أمام الملاحة الإسرائيلية .

ومن رأى « مورفي » ، أن بقاء قوات جيش الدفاع في المواقع الحالية امر يصعب قبوله في الأمم المتحدة ، لكن انسحاب إسرائيليا من سيناء لا ينبغي أن يعنى عودة القوات المصرية إليها .

وفي الأيام القليلة التالية توالى برقيات « جولدا مائير » و « آبا ايبان » على « بن جوريون » تحمل إليه انطباعات وزيرة الخارجية ، والسفير في واشنطن نتيجة لقاءات بينهما ، وبين عدد من كبار الساسة والدبلوماسيين المشاركين في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وكانت هذه البرقيات بمثابة لقطات سريعة وكاشفة :

● « قال لنا كريستيان بينو إنه احس من كابوت لودج ان الإدارة الأمريكية توافق على بقاء القوات الإسرائيلية في غزة .

وكان ليستر بيرسون (وزير خارجية كندا) متعاطفا ، بينما أبدى لونز (وزير خارجية هولندا) استعدادا لتأييد مطالبنا . أما لانج (وزير خارجية النرويج) فقد كان ودودا ، ولو أنه بدا متحفظا . الغريب هو موقف سلوين لويد ، فقد قال بحماقة رغم معرفته بكل ماتم الاتفاق عليه في سيفر إنه من المستحسن أن يظل قرار التقسيم هو أساس التسوية . »

● وفي ٢٢ نوفمبر كتب « ايبان » منفردا برقية الى « بن جوريون » عن مقابلة له مع السكرتير العام للأمم المتحدة « داج همرشولد » قال له فيها :

« لقد بدا همرشولد وكأنه يتوسل إلى ألا تنسحب قوات جيش الدفاع من غزة بسرعة ، وإلا حدث فراغ مفاجئ . »

● وفي اول ديسمبر ١٩٥٦ بعث « دافيد بن جوريون » إلى « جولدا مائير » بتعليمات صادرة عن لجنة الدفاع والأمن في مجلس الوزراء جاء فيها .

« إزاء الضغط الشديد من ايزنهاور ، فقد اتخذنا قرارا بسحب قوات جيش الدفاع ثلاثين ميلا إلى الشرق من قناة السويس ، ولكننا نطلب منك وكذلك من آبا ايبان في واشنطن ألا يصدر عنكما ما يشير بشكل مباشر أو غير مباشر الى خطوط الهدنة ، فنحن لاننوى الانسحاب إليها . »

● وفي ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ أبرق « دافيد بن جوريون » الى « آبا ايبان » :
« إننا نريدك ان تكون على علم بالمطالب التي لاتنوى إسرائيل ان تتنازل عنها مهما كانت الضغوط :

١ - لابد من نزع سلاح كل المنطقة الشرقية من سيناء .

٢ - سوف تبقى القوات الإسرائيلية في شرم الشيخ حتى نحصل على ضمانات عملية بحق الملاحة الحرة في مياهه .

٣ - إن إسرائيل لن تسمح بعودة الإدارة المصرية الى غزة . »

● وفي ٢٩ ديسمبر ١٩٥٦ اشتركت « جولدا مائير » مع « أبا اييان » في كتابة تقرير يضم ملخصا لمقابلة جرت بينهما وبين « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكي :

« إن دالاس كان في مزاج طيب ، وحتى عندما تحدث عن ضرورة انسحاب قوات جيش الدفاع من سيناء استجابة لإلحاح الأمم المتحدة ، وتهدة لخواطر العرب والمسلمين ، فإن لهجته كانت بالنصح وليس بالضغط ، وقد اتفق معنا تماما وإلى أبعد حد على النقاط التالية :

- ضرورة نزع سلاح مناطق سيناء الشرقية
- ضرورة بقاء غزة تحت إدارة الأمم المتحدة ، فلا يعود إليها الحكم المدني المصري ، ولا أية قوات مسلحة مصرية .
- ضرورة حصول إسرائيل على حقها في المرور البريء من قناة السويس وخليج العقبة . »

وكانما أراد « بن جوريون » ان يثبت نتائج التفاهم الذي توصلت إليه « جولدا مائير » و « أبا اييان » مع « دالاس » فإذا هو في ٢٣ يناير ١٩٥٧ يتقدم الى الكنيسة بطلب اعتماد مجموعة من الاسس لتكون إطارا للتحرك الإسرائيلي لها قوة التشريع بحيث يعرف العالم الخارجي مدى تصميم حكومته وحدود التزامها ، وأقر الكنيسة لـ « بن جوريون » بما طلب :

١ - تبقى قوات جيش الدفاع على خط داخل الحدود المصرية السابقة يمتد من الساحل الشمالى حتى شرم الشيخ ، وذلك حتى يتحقق لإسرائيل مطلبها في الملاحة في قناة السويس وفي خليج العقبة .

٢ - يمكن لمراقبين من الأمم المتحدة ان يعودوا الى قطاع غزة ، ولكن لا تعود الى القطاع تحت أى ظرف من الظروف إدارة مصرية ، ولا قوات مسلحة من مصر .

٣ - لابد ان تفرض الأمم المتحدة نزعا للسلاح في النصف الشرقى من سيناء .

وتحركات السياسة المصرية ، وبدأت ساحة الصراع وكأنها لعبة جبارين بأذرع حديدية - من يلوى ذراع من ؟ وتقدمت مجموعة الدول الآسيوية الإفريقية بمشروع قرار للأمم المتحدة تطالب فيه بفرض عقوبات على إسرائيل .

وفي يوم ٢٦ يناير ١٩٥٧ التقى « أبا اييان » مع « روبرت مورفي » وكيل وزارة الخارجية الأمريكى ، وبعد المقابلة كتب الى « دافيد بن جوريون » برقية يقول له فيها : « إن مورفي قال لى بحضور شيلواح (الوزير المفوض بالسفارة الإسرائيلية في واشنطن ، وكان منتدبا في نيويورك مع الوفد الإسرائيلي) إن الضغط الآسيوى شديد للغاية في الجمعية العامة ، وإسرائيل على حق في الإصرار على مطالبتها في

خليج العقبة ، ولكن بقاء قواتها في شرق سيناء وغزة سوف يعطى سببا دائما للإثارة ضدها في الأمم المتحدة » .

وفي يوم ٣ فبراير ١٩٥٧ كتب « ايزنهاور » خطابا سريرا الى « دافيد بن جوريون » يقول له فيه « إن الأمل يحدوني في أن تقرر إسرائيل سحب قواتها بدون تأخير لامبرر له » .

وفي يوم ٨ فبراير ١٩٥٧ رد « بن جوريون » على « ايزنهاور » بخطاب جاء فيه : « إن إسرائيل ترفض كل أساليب الضغط مهما كان مصدرها » .

ثم عزز « بن جوريون » خطابه إلى « ايزنهاور » بتعليمات تنطق بالعناد : « هناك مسائل يجب أن يكون واضحا انها ليست الآن - ولا في المستقبل - موضوع مفاوضات

- ١ - ليس قابلا للتفاوض أن يقع انسحاب لقوات جيش الدفاع قبل الحصول على ضمانات كافية لحرية الملاحة الإسرائيلية في القناة والمضائق .
- ٢ - وليس قابلا للتفاوض أن تكون هناك عودة مصرية الى قطاع غزة .



وبدا كأن أزمة لايريدها أحد على وشك أن تتعقد بين الإدارة الأمريكية وبين إسرائيل ، وهكذا شهدت الأيام الباقية من شهر فبراير ١٩٥٧ جهودا مكثفة شارك فيها عدد كبير من أعضاء الكونجرس الأمريكي ، وقيادات اتحادات العمال ، وعدد من زعماء اليهود ، وكان هدف الجميع تفادي الأزمة . ونتيجة لهذه الجهود تقرر أن تجرى اتصالات مكثفة بين « أبا اييان » وبين وزير الخارجية الأمريكي « جون فوستر دالاس » ، وأن تعقد هذه الاجتماعات سرا في بيت « دالاس » .

واستمرت الاجتماعات يوما بعد يوم وشارك فيها عدد من الخبراء على الناحيتين ، وكان الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » على اتصال بمجراها ببلغ بالتليفون يوما بيوم عن تقدمها حيث يكون - حتى في ملاعب الجولف ، أو على ظهر يخته الرئاسي في نهر البوتوماك .

ويروى « أبا اييان » في مذكراته إنه كان في اجتماع مع « دالاس » في بيته واتصل الرئيس « ايزنهاور » بوزير خارجيته تليفونيا ، وطال الحديث بالتليفون بينهما حتى أنه هوو « شيلواح » - الذي كان معه في بيت دالاس - استهلكا بالكامل زجاجة من الكونياك الفرنسي الفاخر كان وزير الخارجية الفرنسي « بينو » قد أهداها الى نظيره الأمريكي !

وهكذا اقتربت الخطوط وتلاقت . تحولت الخطوط الى خطط مؤداها ببساطة أن يكون هناك انسحاب إسرائيلي ، وفي مقابل ذلك لا تكون هناك عودة مصرية إلى الأوضاع التي كانت قبل نشوب القتال .

وتم التوصل إلى مذكرة تفاهم تقرر انسحاب إسرائيل من سيناء وغزة ، وتقرر في نفس الوقت مسؤولية الولايات المتحدة عن ضمان تحقيق ما تطالب به إسرائيل سواء في عدم عودة مصر إلى غزة ، أو في الملاحة البريئة في قناة السويس وخليج العقبة . وجاء في مذكرة التفاهم بالنص مايلي :

« إن الولايات المتحدة تؤمن بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية ، وفي نفس الوقت فإن الولايات المتحدة تؤمن بأن قطاع غزة ينحتم أن تكون له ترتيبات خاصة يتفق عليها مع السكرتارية العامة للأمم المتحدة .

وفيما يتعلق بحرية الملاحة في الممرات المائية ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أنه في غيبة قرارات قاطعة مثل حكم من محكمة العدل الدولية ينص على العكس ، فإن الولايات المتحدة تؤمن بضرورة فتح الممرات المائية امام ملاحة جميع الدول بغير تمييز ، والولايات المتحدة سوف تمارس حقوقها في الملاحة البريئة في هذه الممرات ، وتعتبر أن هذا حق لها ولغيرها من الدول ، وسوف تضم جهودها إلى جهود كل القوى الأخرى الراغبة والمستعدة لضمان هذه الحقوق » .



وعلى أرض الواقع ، وبصرف النظر عن الأوراق الحافلة بمذكرات التفاهم ، كان سباق الإرادات يمارس حركته ، وفي بعض اللحظات كانت تطورات الحوادث السريعة تكاد تحبس الأنفاس :

وانسحبت القوات الإسرائيلية من شرق سيناء ، وتقدمت إليها قوات الطوارئ الدولية ، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى وصلت قوات الجيش المصري ودخلت المنطقة .

وانسحبت القوات الإسرائيلية من قطاع غزة ، وتقدمت إليه قوات الطوارئ الدولية ، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى وصل إلى غزة حاكم مصرى عام مسؤول عن الإدارة المدنية للقطاع ، ومعه طلائع قوات مصرية .

وفيما بعد أصدرت مصر من جانب واحد إعلانا عن حرية الملاحة في قناة السويس ، وكان الإعلان المصري يمارس حقوق السيادة المصرية في منع الملاحة الإسرائيلية على أساس قيام حالة الحرب بين مصر وإسرائيل .

وكان « بن جوريون » غاضبا ثائرا يتصور أنه خدع وغرر به .

وفي نفس الوقت ، فإن الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » بدا متضايقا ومحرجا يشعر بالضغط عليه من كل أصدقاء إسرائيل في الكونجرس ، وفي مقدمتهم « ليندون جونسون » الذي واجه « ايزنهاور » في اجتماع مغلق - أشار إليه « ايزنهاور » في مذكراته - قائلا : « إنك ضغطت بشدة على إسرائيل واستعملت معها أسلوبا مزدوجا أدى الى توريطها » . (١٠)

وفي هذا المناخ المغمم بالتوتر والحساسية أصدر « ايزنهاور » توجيهها رئاسيا بتاريخ ١٥ مارس ١٩٥٧ - جاء فيه مايلي :

« إن الولايات المتحدة لابد لها أن تتأكد من أن قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة مكلفة بالحيلولة دون أى عرقلة للملاحة في مياه الممرات .

ولابد أن يكون واضحا أن هذه القوات لا تنسحب من مواقعها إلا بإذن من السكرتير العام للأمم المتحدة .

ولابد أن يكون واضحا أن السكرتير العام للأمم المتحدة لا يستطيع التصرف بإصدار مثل هذا الإذن إلا بعد الرجوع إلى الجمعية العامة ، لكي تكون أمام الأمم المتحدة فسحة وقت كافية لبحث الآثار التي يمكن أن تترتب على مثل هذا الإجراء .

ويتعين على الولايات المتحدة في مثل هذه الحالة إذا وقعت أن تتشاور مع الدول البحرية صاحبة المصلحة (مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا ومجموعة الدول الاسكندنافية) بقصد اتخاذ كل مايلزم لتأمين الملاحة في الممرات .

وفي هذه الحالة أيضا فإنه يصبح من الصعب منع إسرائيل من ممارسة حقها المشروع في الدفاع عن مصالحها وأمنها . »



كان « ايزنهاور » قد شارك في ممارسة ضغط لاشك فيه على إسرائيل ، لكن دافعه إليه لم يكن راجعا الى حب لمصر أو حرص عليها :

كان من ناحية يخشى أن يتجدد القتال ، وتجد إسرائيل نفسها فيه وحيدة ضد القوة المصرية التي تزايد إمدادها وحشدتها ، وضد المساندة السوفيتية المتشجعة

(١٠) كان انشط هؤلاء الشيوخ في المطالبة بكافة « حقوق » إسرائيل « ليندون جونسون » زعيم الاقلية الديمقراطية في مجلس الشيوخ ، وقد روى « آبا ايبان » في مذكراته ان « جونسون » قال له : « إننا قادرون على تعطيل كل شيء للإدارة في الكونجرس إذا هم لم يستجيبوا بجد لطلباتكم » . وقد شاعت المقادير ان يكون « جونسون » هو الرئيس الأمريكي الجالس في البيت الأبيض أثناء معركة سنة ١٩٦٧ .

برصيد معنوى وسياسى حققته خلال الأزمة ، وفى مواجهة غضب لاشك فيه من الرأى العام العالمى ممثلا فى الأمم المتحدة ، وبشكل لم يسبق له نظير . . .

ثم إن تجدد القتال بين مصر وإسرائيل وحدها (بعد اضطراب بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب) - كان كفيلا بتوسيع نطاقه مما يؤدى إلى احتمال اشتراك دول عربية أخرى فيه . . .

فإذا اضطرت الولايات المتحدة إلى مساندة إسرائيل - وقد تضطر بعهد حمايتها وبضغط أصدقائها فى الكونجرس - إذن فإن الولايات المتحدة قد تجد نفسها متورطة فى حرب ضد العرب جميعا تؤثر على مصالحها ، وربما فى حرب عالمية تؤثر على أمنها !

وفى كل الأحوال فإن « ايزنهاور » كان يعتقد - بناء على ما لديه من تصورات ! - أن الأوضاع فى مصر مهيأة لتغيير - فإذا تحقق انسحاب إسرائيل بدأت تفاعلاته من الداخل . وعدم انسحابها هو الذى يمسك بهذه التفاعلات .

والواقع أن مطلبه الحقيقى من إسرائيل كان أن تترك له الفرصة ليتحرك على ساحة واسعة لكى يحقق هدفه - وهو نفس هدفها ، وبأسلوبه هو وليس بأسلوبها (وكان ذلك بالضبط هو موضع خلافه مع بريطانيا وفرنسا من قبل إسرائيل)

وإذن فإنه ضغط من أجل الانسحاب - ولدوافعه .

ثم أعطى إسرائيل تعهدات لم يستطع الوفاء بها سواء فى قناة السويس أو فى سيناء أو فى غزة ، ثم توقف فى الخندق الأخير !

وهكذا فإن السياسة الأمريكية التى لم تستطع أن تفى لإسرائيل بما تعهدت لها به كله - تحصنت فى الخندق الأخير ، وهو قضية الملاحة فى خليج العقبة ، وقدمت لإسرائيل من الضمانات الموثقة والمكتوبة ما جعل الخليج فى نهاية الأمر حقل الغام !



إن الوثائق المصرية عن هذه الفترة لا تحتوى على إجابة كافية لسؤال هام يطرح نفسه إزاء هذه التطورات وهو :

« إلى أى مدى كانت السياسة المصرية على علم بهذا الذى تم بين الولايات المتحدة وإسرائيل بما فى ذلك التعهدات الأمريكية القاطعة بشأن خليج العقبة ؟ »

ومن استقراء ظواهر الحال ، فقد بدا أن السياسة المصرية استقرت على خيار يعطى للملك « سعود » ملك المملكة العربية السعودية مهمة مواصلة بحث هذه القضية مع الإدارة الأمريكية ، وكان هو أكثر المتحمسين لهذا الخيار على أساس عدة اعتبارات :^(١١)

□ أولها : أن جزر « صنافير » و « تيران » التى كانت مصر تمارس منها سلطة التعرض للملاحة الإسرائيلية فى الخليج - هى جزر سعودية جرى وضعها تحت تصرف مصر بترتيب خاص بين القاهرة والرياض .

□ والثانى : أن خليج العقبة والبحر الأحمر بعده هو طريق الحج الى الأماكن الإسلامية المقدسة التى تتحمل المملكة العربية السعودية مسؤولية حمايتها .

□ والثالث : أن المملكة العربية السعودية تربطها - نتيجة لحجم المصالح - علاقة خاصة بالولايات المتحدة تسمح لها بأكثر مما هو متاح لغيرها .

وبالفعل فإن الملك « سعود » نشط لهذه المهمة ، فأثارها مع الرئيس « ايزنهاور » أثناء زيارته لواشنطن فى الشهور الأولى من سنة ١٩٥٧ ، ثم عاود الإلحاح برسائله على « ايزنهاور » طوال النصف الأول من هذه السنة .

ولقد بلغ من حماسة الملك « سعود » لهذه المهمة أنه أوفد إلى واشنطن ممثلاً خاصاً له ، هو السياسى المصرى البارز « عبد الرحمن عزام » (باشا) الذى كان من

(١١) رجاء التكرم بمراجعة الوثائق الخاصة بهذه النقطة فى كتاب ملفات السويس ، وهى فى الملحق الوثائقى لذلك الكتاب تحت رقمى ٢٤٠ و ٢٤١ .

قبل أميننا عاما للجامعة العربية ، ثم أصبح مستشارا خاصا للبلاط الملكى السعودى بعد انتهاء خدمته فى الجامعة العربية .

ويحتوى ملف الشرق الأوسط فى مجموعة أوراق « ايزنهاور » الخاصة المودعة فى المكتبة الخاصة به فى « آبيلين » بولاية « كنساس » - على عدة وثائق لها أهمية خاصة فى شأن الاتصالات التى دارت بين الملك السعودى ، والرئيس الأمريكى عن خليج العقبة (١٢).

وتكشف هذه الوثائق أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تواجه الملك « سعود » بتعهداتها السرية لإسرائيل ، ولكنها راحت تراوغ بغية كسب الوقت ، وحتى تغطى التطورات المستجدة على إلحاح الملك « سعود » فى قضية خليج العقبة ، أو تفتتد حماسته لها فينسأها !

ولقد وصل الأمر بـ « ايزنهاور » إلى حد أنه اقترح على الملك « أن تعرض السعودية قضية خليج العقبة على محكمة العدل الدولية - وعلى ضوء حكمها فى الموضوع نتفاوض بشأن ما يمكن اتخاذه من ترتيبات » !

وتسترعى الانتباه فى هذه الفترة مذكرة أملاها الرئيس « ايزنهاور » بنفسه وهى محفوظة فى أرشيفه الخاص ، والأرجح أن الذى كتبها أحد مساعديه فى مجلس الأمن القومى ، جاء فيها ما يلى :

« مذكرة بحديث مع الرئيس »

قال لى الرئيس إنه تذكر شيئا من حديثه مع الملك سعود عندما كان الملك فى واشنطن ، وبالأذات فإن الرئيس تذكر نقطتين :

١ - أن الملك اثار موضوع سلامة الحجاج إذا ما كانت للإسرائيليين حرية استخدام خليج العقبة ، وقد رددت عليه (أى الرئيس) بأننى لا أتصور أن إسرائيل يمكن أن تعرض للحجاج المسالمين المسافرين بالبحر الى مكة .

٢ - أن الملك طلب منى (أى الرئيس) الاتفاق على اسم شخص موثوق به فى السعودية لكى يكون حلقة اتصال لتبادل الرسائل السرية بينى وبينه

..... (١٣)

(١٢) ثلاث وثائق من هذه المجموعة منشورة بنصوصها الكاملة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت أرقام (٢) و (٣) و (٤) ، وهى « مذكرة تفاهم » ، توصل إليها عزام (باشا) مع وزارة الخارجية الأمريكية ، ثم نص خطابين من ايزنهاور إلى سعود .

(١٣) جرى حذف بقية سطور هذه المذكرة لدواعى حماية أسماء الأشخاص حتى عندما تم رفع حظر السرية عن هذه الوثيقة بمقتضى قانون حرية المعلومات .

ولقد كان « ايزنهاور » يعرف منذ الدقيقة الأولى أنه لا يواجه الملك « سعود » وإنما يواجه « جمال عبد الناصر » وراءه ، وكانت مشكلته إخراج الملك من القضية برفق لكي يتفرغ بعد ذلك لمواجهة الزعيم المصرى وبغير رفق !



في أثناء ذلك كله لم تكن إسرائيل ساكنة ، كان الغيظ يستبد بها ، وفي نفس الوقت فإن قدرتها على الفعل كانت عاجزة ، والنتيجة الغريزية لهذا التناقض أنها راحت تسعى بالدس في كل مكان ، وذهب السفير الإسرائيلي في لندن الى مقابلة مع الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية السير « ايفون كيركباتريك » الذى كتب تقريراً عن المقابلة بعث به الى « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية يحمل رقم ١٠٧٤/٢٥٨ ج . أ . - جاء فيه بالنص :

« ١ - اعطانى السفير الإسرائيلي مجموعة تقارير إسرائيلية عن الموقف الداخلى في مصر .

٢ - بإيجاز شديد ، فإن عبد الناصر انتهز فرصة انسحاب قواتنا وصوره لشعبه على أنه نصر عسكري وسياسي كبير ، وهو يستخدم ذلك لصالحه في جميع البلاد العربية ويقصد إضعاف مركز أصدقاء الغرب في المنطقة ، وبينهم نوري باشا (السعيد) .

وكان من رايه أنه لابد أن تثبت أن مصر اضطرت الى تقديم بعض التنازلات ، فذلك سوف يضعف مركز عبد الناصر خصوصاً وأن الوضع الاقتصادي في مصر أخذ في التدهور ، والأخطاء والانتقادات في ازدياد .

٣ - أبدى السفير الإسرائيلي بعض الملاحظات غير الودية عن السياسة الأمريكية ، وقال لى إنه تناول الغداء أخيراً مع السير ويليام هيلي (رئيس تحرير جريدة التايمز) الذى رسم له صورة كئيبة عن الأحوال في أمريكا ، فالراى العام فيها غير مطلع على المعلومات ، وهو يندفع وراء عواطفه ولا يلتزم بأحكام العقل . وقال لى السفير الإسرائيلي أيضاً إن الرئيس ايزنهاور يعيش في برج عاجي ، وأن آثار جروح الحرب الكورية لم تلتئم بعد ، وأنه يخشى أن تكون أمريكا قد شرعت في التخلي عن أوروبا واتجهت الى الانعزال .

وكان السفير يشعر بقلق شديد من تقرير أطلعه عليه السفير الإسرائيلي في واشنطن مؤداه أن نهرو ينوى في زيارته المقبلة أن يستخدم نفوذه لإعادة العلاقات بين أمريكا وعبد الناصر ، وأن ذلك من شأنه الوقعة مع حلف الأطلسي وأطرافه الأوروبيين الكبار .

٤ - لقد علقت على كلام السفير الإسرائيلي بأن الاحتمالات التي اثارها قد تحدث ، ولكن الولايات المتحدة سوف تكتشف - إذا تركت نهرو يلعب بخيالها - ان حلف الاطلنطى قد تبخر بين يوم وليلة ، واصبح روحا بلا جسد مثل جيزيل في الفصل الثانى من الباليه المشهور .

إمضاء

ا . ك .

وفي هذا التقرير ، فإن عبارة واحدة لفتت نظر وزير الخارجية « سلوين لويد » وهى العبارة التى وردت فى البند الثانى منه عن « ضرورة إثبات أن مصر اضطرت إلى تقديم بعض التنازلات » .

وفي اليوم التالى ، وفى اجتماع لرؤساء الإدارات فى وزارة الخارجية البريطانية ، طرح « سلوين لويد » سؤاله الذى تنبه إليه من تقرير السير « ايفون كيركباتريك » : « كيف يمكن إثبات أن مصر اضطرت الى تقديم بعض التنازلات ؟ » - وكانت الإجابة التى توصل إليها البحث هى أن موضوع الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة هو النقطة المعلقة من آثار معركة السويس ، وأنه إذا فشلت جهود الملك « سعود » فى إقناع الرئيس « ايزنهاور » بحلها على نحو يتلاءم مع المطالب العربية ، فإن مجموعة من الاحتمالات يمكن أن تطرأ ، فيما أن يختلف « سعود » مع « ايزنهاور » وفى هذه الحالة فإن « ايزنهاور » سوف يوجه لومه وغضبه إلى « عبد الناصر » - وإما أن يسكت « سعود » عن إلحاحه ، وفى هذه الحالة فسوف يدب الخلاف بينه وبين « عبد الناصر » .

ومن تلك الأيام سنة ١٩٥٧ وحتى معركة سنة ١٩٦٧ ظل موضوع خليج العقبة حجة رئيسية فى الحرب النفسية لإثبات « أن مصر اضطرت الى تقديم بعض التنازلات » ، ولم يقتصر استعمال هذه الحجة على الذين « اكتشفوها » واقترحوها واستعملوها ، وإنما جرت فيما بعد على السنة كثيرة !



كانت تلك الأيام من بداية سنة ١٩٥٧ نهاية مرحلة ، وبداية أخرى من مراحل الصراع على الشرق الأوسط وفيه .

وكان الستار على المسرح يهتز متأها للارتفاع عن مشاهد أخرى شديدة الإثارة .

وكان الأبطال قد تغيروا .

الآن أصبحت الولايات المتحدة هي اللاعب الأساسي نيابة عن الغرب بعد
أن افلت شمس الإمبراطوريتين القديمتين .

والآن كانت الولايات المتحدة على اعتقاد بأنها لم تأخذ مطالبها من انتصار
السويس ولا استحقاقاتها في انتصاره ، ولعل قوة تعهداتها لإسرائيل في شأن
خليج العقبة كانت تعكس حجم تبرمها بما لم تحصل عليه ، وربما كان في
تفكيرها أنها ستفرضه على شكل ضرائب طالما لم يقدم لها على شكل أرباح .

وارتفع الستار على مشهد جديد .

الفصل الرابع

حالة من الفوران !



كانت مصر ذاتها هي المشهد الجديد الذى ارتفع الستار عليه في بداية المرحلة الجديدة .

كانت لا تزال وفقا لتعبير « نابليون » الشهير : « أهم بلد في الدنيا » - لكن « شيئا ما » كان قد أضيف إليها ، فهي لم تعد كما بقيت لأكثر من ألفى سنة - منذ سقوط الإمبراطورية الفرعونية - لعبة في الصراع الدائر على المنطقة وإنما أصبحت طرفا فيه ، بل لعلها أصبحت الطرف الأصيل تجاه القوى الخارجية الطامعة في السيطرة والهيمنة . ثم إنها لم تعد كما كانت أيام الإمبراطورية راکعة أمام فرعون إله ، وإنما أصبحت شعبا موحدا يمسك مصائره في يديه ويشعر بالثقة في قدرته على اختيار انتماءاته وولاءاته ، وأهدافه ووسائله .

صحيح أن مصر بدأت تتنبه منذ عصر « محمد علي » الذى حاول تأسيس دولة حديثة في مصر إلا أن « محمد علي » لم يكن مصريا ، وكذلك كان حلمه عثمانيا (أن يصبح خليفة في استانبول أو صدرا أعظم على الأقل) ، ولعل مصر وشعبها كانا مجرد معابر يمشى عليها عابدا من حيث جاء أكثر قوة وأرفع شأنًا وأعلى منزلة . وعندما انتهت أحلامه وانحصرت في ولاية مصر وحدها ملكته الحسرة فضاغ عقله ومات .

ولا يقلل ذلك من شأن « محمد علي » فهو شخصية تاريخية تستحق الاحترام ، كما أنه من الصعب الحكم على رجل تاريخي خارج ظروفه وخارج زمانه .

وصحيح أن مصر استيقظت مرة أخرى بالثورة التي قادها « أحمد عرابى » فى أواخر القرن التاسع عشر ، والتي تواصلت على نحو أو آخر مع الثورة التي قادها « سعد زغلول » فى أوائل القرن العشرين - إلا أن هذه الفترة الجياشة انتهت بسيادة سلطة تمثل تحالف الاحتلال البريطانى والقصر الملكى وكبار ملاك الأراضى من المصريين الذين كانوا عماد الأحزاب السياسية التي تولت الحكم رسميا - وشكليا - بدستور سنة ١٩٢٣ ، وفى ظل هذا الدستور برزت طبقة النصف فى المائة التي كانت تحصل وحدها على خمسين فى المائة من الدخل القومى الذى يتولد من عمل وعناء الملايين من أبناء الشعب المصرى .

وصحيح أيضا أن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تمردت على هذا التحالف الثلاثى الحاكم والمستغل - إلا أن هذه الثورة بدت ظاهرة غير عادية وغير مألوفة ، فقد كان مجيئها من حيث لا تجيء الثورات بالطبيعة ، ومن حيث تجيء الانقلابات بالمغامرات أو بالمؤامرات .

ولقد راحت ثورة سنة ١٩٥٢ تعطى إشارات تومىء إلى جوهر أصيل فيها وذلك عندما فرضت وطبقت الإصلاح الزراعى ، وأعلنت النظام الجمهورى ، واعتمدت برنامجا سريعا للإنتاج والخدمات ، ثم تمكنت من إنهاء الاحتلال البريطانى والتصدى بعده - مع بقية أمته العربية - لمخططات الأحلاف العسكرية الأجنبية ، والإقدام على كسر احتكار السلاح ، والرفض الكامل للصالح مع إسرائيل ، والطموح إلى مشروع عملاق مثل مشروع السد العالى - إلا أن هذه الإيماءات كلها مع أصالة جوهرها لم تحقق لها شرعية كاملة .

كانت الشرعية فى ذلك الوقت مرتبطة بالوجود فى السلطة ، وكانت سلطة وطنية بكل قراراتها - لكن ذلك لم يكن كافيا كأساس ثابت لشرعية كاملة . وربما يمكن القول إن شرعية الفترة ما بين يوليو ١٩٥٢ ويوليو ١٩٥٦ - كانت شرعية بالقبول والترقب فى نفس الوقت .

قبول بقرارات يوافق عليها الشعب ، وإن لم يشترك فى صنعها . ثم انتظار لما بعد كل قرار يترقب ما سوف يليه ، وهل يتسق أو يتناقض ؟ وبعد معركة السويس تغيرت الصفة الشرعية للحكم ، كما تغيرت أشياء كثيرة فى مصر ، وفيما حولها وفى العالم .

إن معركة السويس لم تكن معركة قرار ، وإنما كانت معركة إرادة شارك فيها الشعب ، وكان هو الفعل والطاقة ، المحرك والوقود ، فى نفس الوقت .

لقد كان « جمال عبد الناصر » هو الذى أصدر قرار تأميم قناة السويس - لكن الذى خاض صراع الإرادات الذى تلاه كان شعبا بأكمله .

وحين انجلى دخان المعركة وبخارها - فقد كانت هناك قيادة وشعب فى نفس الساحة ، وفى ذات الخنادق ، وفى هذه اللحظة حققت ثورة ٢٣ يوليو شرعيتها الكاملة إذ تحولت إلى قبول عام يستند إلى عقد اجتماعى وسياسى عمقته التجارب ، وصهرته وصاغته نيران المعركة .

كان حدث ٢٣ يوليو فى بدايته « قوة » من الجيش خرجت استجابة لنداء . ثم تحولت « القوة » إلى « سلطة » - اكتسبت « بعض الشرعية » من قرارات لها معانيها ودلالاتها .

وفى السويس تحولت « السلطة » إلى « شرعية حقيقية وكاملة » لها عقدها الاجتماعى والسياسى مع جماهير منحتها ثقتها بغير تعليق على شرط بين قرار وقرار .



خلال عملية التحول من « قوة »^(١) إلى « سلطة » ، ومن « سلطة » إلى « شرعية قبول وترقب » ، ومن « شرعية قبول وترقب » إلى « شرعية عقد اجتماعى وسياسى كامل » - جرت تحولات واضحة فى تركيب القمة فى مصر .

(١) لكى تكون حدود التعبيرات المختلفة واضحة ، فإن هذا الفصل من الكتاب يعتمد التفرقة بين مجموعة من المعانى كالقوة والسلطة والشرعية والقانونية :

● فالقوة تعنى إمكانية التأثير على المجتمع مع اختلاف تعدد أسباب هذا التأثير ، ومن ذلك فإن حزبا سياسيا يستطيع أن يكون قوة ، وكذلك تستطيع أن تكون جريدة نافذة التأثير قوة ، بل إن فردا يملك مكانة خاصة فى مجتمعه قوة

● والسلطة تعنى السيطرة على جهاز الحكم بما له من أدوات وتنظيمات يمكن عن طريقها للقوة السياسية أن تصدر قرارات لها صفة الإلزام فى المجتمع

● والشرعية أن تكون القوة المسيطرة على السلطة موضع رضا طوعى من المحكومين يقبلون ما يصدر عنها معتقدين أن دوافعه الأساسية هى خدمة مجموعهم حتى وإن لم يتوافق مع فكر أو مصالح بعضهم .

● والقانونية هى القواعد والحدود والإجراءات التى تنظم عملية التزام المجتمع بما يصدر من قرارات ، وإلزام أفرادها إذا لم يلتزموا من ذات أنفسهم بوسائل فرض طاعة السلطة ابتداء من القضاء إلى البوليس إلى الجيش .

ومعنى تلك التحديدات كلها أنه يمكن تصور قوة بغير سلطة (حزب معارض له قواعد وجماهير مثلا) - كما أنه يمكن تصور سلطة بغير شرعية (استيلاء بالقسر والغصب على الحكم مثلا) - كما أنه يمكن تصور قانون يطاع دون أن يكون له سند شرعى (قوانين تصدرها سلطة احتلال أجنبى مثلا) .

في بداية عملية التحول كانت على القمة السياسية في مصر مجموعة من الرجال والشباب لم يزدوا على عشرة أطلق عليهم وقتها وصف « مجلس قيادة الثورة » - لكنه كان واضحا منذ اللحظة الأولى أن واحدا بالذات بينهم كان له وضع خاص أشبه بما يصفه التعبير اللاتيني الشهير الذي يصف رجلا بأنه « الأول بين متساوين » (Primus inter pares) ، وبالفعل فإنه كان الأول ، وبالفعل فإنه كان بين متساوين يعترفون له بالسبق في التنظيم (تنظيم « الضباط الأحرار ») وبالقيادة في هذا التنظيم ورئاسته (اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار) - لكن الوصول من مواقع القوة إلى مواقع السلطة كان محتملا أن يؤدي بتمايز الأداء وتحمل المسؤوليات إلى ترتيب آخر . وبالفعل فإن تجربة مرحلة القوة والسلطة كانت بمثابة امتحان إنساني عسير .

والذي حدث هو أن نتائج هذا الامتحان الإنساني العسير جاءت أيضا لصالحه ففكرا وفعلا .

منذ اللحظة الأولى واجه وحسم في قضية تبدو لأول وهلة وكأنها خلاف على اللفظ . فلقد كان فهمه لما حدث فجر ٢٣ يوليو أنه : « ثورة » - وكان هناك آخرون يتخوفون من المعنى ، ويقلقهم وقع اللفظ في حد ذاته ، وجرى عرض أوصاف بديلة مثل وصف « الوثبة » و « النهضة » و « الحركة » وغيرها - وصمم على رأيه ولم يكن تصميمه تفضيلا للفظ على لفظ ، وإنما كان اعتقادا راسخا بجوهر المضمون المعبأ داخل اللفظ .

وكان هو الذي ضبط للتغيير في توجهات السلطة - بوصلته الاجتماعية وزاويته العربية ومحاور حركته الإسلامية ، والإفريقية - الآسيوية .

وكان هو الذي أدار حوار جبهة المقاومة وحوار مائدة المفاوضات في نفس الوقت لتحقيق الجلاء ، وقاد عملية نقل سياسة مصر الخارجية من علاقة ثنائية وحيدة ومقصورة على بريطانيا وحدها ، أو على بريطانيا والولايات المتحدة وحدهما ، إلى علاقات مع العالم كله ، ثم عملية رفض الأمة العربية كلها لسياسة الأحلاف ، ثم عملية كسر احتكار السلاح .

وفي مقدمات المعركة ، فقد كان مشروع السد العالي مطلبه ، وتأميم قناة السويس رده ، وهكذا فإنه حين نشب القتال كانت المسؤولية عليه ، ولقد أدرك عندما رفعت المدافع رؤوسها أن المسؤولية وإن كانت عليه - إلا أنها حرب الشعب والأمة ، وليست حرب القيادة سواء كانت له أو لمجلس الثورة .

وهكذا كانت مهمته الأولى تعبئة إمكانات الشعب والأمة . ولقد توجه

بنداء المقاومة إلى الشارع وتحدث إليه من منبر الأزهر ، ووزع قرابة نصف مليون قطعة سلاح على المواطنين^(٢) .

وتقدم تقارير القيادة البريطانية في بورسعيد شهادات ناصعة على دور الشعب^(٣) في المعركة وتأثيره الكبير على نتائجها^(٤) .

وكان هو الذي تولى في نفس اللحظة مهمة التواصل بين الشعب المقاتل في مصر ، وبين الأمة المساندة لشعبها المقاتل وراء الحدود ، وحين تم نسف خط أنابيب البترول في سوريا ، فإن هذا العمل الكبير بنتائج تحول إلى رمز حي لقدرة على ربط الجسور وفتح الطرق .



هكذا حينما توقف القتال ، فإن الرجل « الأول بين متساوين » لم يعد متساويا معهم .

لقد كان الأول بين متساوين من أول الثورة ، وفي الامتحان الإنساني العسير لتجربة القوة والسلطة فإن مكانته تأكدت وتعززت ، وخلال المعركة فإن التغيير الكمي في دوره تحول بطريقة كيفية لم يتحسب لها طرف ، ولم يسع لها بالقصد أحد ، والواقع أنها كانت ، بحجم مسؤولياتها ومخاطرها ، أكبر من أى حساب وأخطر من أى قصد .

وهكذا فإنه أصبح في لحظة النصر « أولا » بغير منازع ، و « أكبر » بغير خلاف ، وحين سطعت الأنوار بعد الإظلام ، فلقد بدا وحده تقريبا في دائرة الضوء وفي مركزها تماما .

تغيرت قواعد القوة ، ثم تغيرت مواقع الشرعية .

لم يعد مجلس قيادة الثورة هو المجال الذي تهيم حول أجوائه فكرة الشرعية ، وإنما تجسدت الشرعية - ولو لفترة من الزمان - في رجل واحد .

ولم يعد الضباط الأحرار هم قاعدة قوة « جمال عبد الناصر » وإنما تغيرت القاعدة ، وتخطت هذا الإطار وتجاوزته .

(٢) في نفس الوقت كان بعض السياسة القدامى من العهد السابق يتصلون ببعضهم ويتأهبون لعقد اتفاق مع الإنجليز تحت شعار « إنقاذ مايمكن إنقاذه » .

(٣) وثائق وزارة الدفاع البريطانية - ملف القيادة المشتركة للحلفاء في حملة السويس .

(٤) وثائق وزارة الدفاع البريطانية - ملف القيادة المشتركة للحلفاء في حملة السويس .

ولم تعد القوات المسلحة هي الموطن الذي نمت وتكونت فيه البؤرة الثورية ، وإنما ذابت البؤرة تماما في شرعية وطنية وقومية ، غلبة وكاسحة .

ولم يكن هذا النوع من الشرعية اختراعا جديدا في التاريخ ، وإنما كان ظاهرة رصدتها كثيرون من كبار المفكرين في العلوم السياسية والاجتماعية ، وفي مقدمتهم « ماكس فيبر » الذي فرق بين ثلاثة أنواع من الشرعية ، فرأى أن هناك شرعية تقليدية (مصدرها قبل أو ديني) - وهناك شرعية دستورية قانونية (تجد فرصتها عندما تصل المجتمعات إلى درجة من التوازن بين مصالح الطبقات تسمح بها) - ثم إن هناك شرعية ذات طابع خاص بين الاثنين هي شرعية الرجل الواحد (في مراحل التحولات الكبرى ، وحين يظهر على المسرح رجل يتمتع بجاذبية وثقة تجعله في لحظة من اللحظات رمزا لآمال شعب أو أمة ، وقادرا على التعبير عن هذه الآمال والسعى لتحقيقها) .

إن كل تطور عميق ، وكل تغيير كبير - هو بمثابة تساؤل تاريخي ، وكل تساؤل لابد له أن يعثر على إجابة لنفسه ، وكان « جمال عبد الناصر » بالتأكيد مطالباً بالرد على هذه المكنة التي تحققت له عند الشعب والأمة ، وسواء كان واعيا أو غير واع بهذا الحوار بينه وبين الظروف المستجدة - فإنه أجاب ، أو بمعنى أدق استجاب .

وهكذا فإن إحساسه بالمسؤولية بدأ يتطور ويتغير .

واعيا - أو غير واع - لم تعد مسؤوليته أمام الضباط الأحرار ، ولا أمام مجلس الثورة ، وإنما أصبح يحس مسؤوليته تجاه الشعب والأمة مباشرة ، فهم الآن قاعدة قوته وسلطته ومصدر شرعيته .

وكان معنى ذلك ببساطة أن هناك الآن عقدا سياسيا واجتماعيا جديدا : دولة يتجدد بناؤها .

وبما أن المعركة كانت - وراء ساحات القتال - ميدان نضوج وبروز قوى شعبية رفضت منطق « إنقاذ ما يمكن إنقاذه » - واندفعت إلى الصمود والمقاومة والتقدم - فإن الدولة المتجددة كان لابد لها أن تؤسس نفسها على هذه القوى التي نضجت وبرزت واندفعت ، وعلى مطامحها وآمالها .

ولقد كانت طبيعة « جمال عبد الناصر » تتيح له قبول وتحمل تبعات العقد السياسي والاجتماعي الجديد ، ففي سنوات السلطة السابقة على المعركة - كان قد حافظ على معدنه الثوري . وعلى ولائه الطبقي ، وهكذا فإن توحده

السياسى مع الجماهير أثناء المعركة عززه توحده الاجتماعى مع الجماهير بعدها .



يتداعى من هذا الوضع خاطر ملح :

- « هل كان « جمال عبد الناصر » مهياً لمهمة تجديد بناء دولة تقوم على شرعية مؤسسة على عقد سياسى واجتماعى يختلف عما كان قبله ؟ »

إن هذا الخاطر يستحق شيئاً من إطالة النظر .

وبداية - فإن التعليم المنظم الذى تلقاه « جمال عبد الناصر » كان كافياً ، فلقد درس فى الكلية الحربية ، ثم تخرج من كلية أركان الحرب ، وأصبح مدرسا للتاريخ ، ثم مدرسا للاستراتيجية .

يلى ذلك أن التحصيل الثقافى الذى تمكن منه كان هو الآخر كافياً - فقد أتاحت له الدراسة والتدريس بعض الأبواب التى يستطيع بالدخول منها أن يوسع مداركه ، وأن يهتم بقضايا لا تتصل مباشرة بعمله .

يتصل بهذا أن التجربة العملية التى أتاحت له كانت بدورها كافية ، ففى فترة التدريس ، ثم فى فترة الإعداد للثورة ، ثم فى السنوات الأربع ما بين سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٥٦ وهى سنوات القوة والسلطة - تعرف وتمرس على فنون التعامل مع الرجال والظروف .

ومن باب الأمانة والموضوعية ، فإن من الحق أن يضاف إلى هذا كله شهادة يعترف بها أصدقاء « جمال عبد الناصر » وأعداؤه ، وتلك هى أنه كان يملك شهية مفتوحة بغير حدود للمعرفة عن طريق الأوراق والناس والحوادث .

وهناك سؤال يطرح نفسه عن ماهية الاستعداد المطلوب للعمل السياسى ؟

وأى إجابة دقيقة عن هذا السؤال سوف تجد أن العمل السياسى عند أرقى درجاته هو الاستعداد لاستيعاب آمال الناس ، والقدرة على التعبير عنها ، والبحث عن الوسائل الممكنة لإدارة مواردهم الإنسانية والعملية لتحقيق تنفيذها .

أى أن السياسة شىء لا يتصل بالضرورة بالدرجات العلمية ، ولا بالقدرة على الإبداع الثقافى ، ولا بطول مدة التمرس الإدارى ، وبالطبع فإن تنفيذ مطالب العمل

السياسى يحتاج إلى الثلاثة - لكن الإرادة السياسية هي التي تحدد المطالب أصلا ،
وتعبر عنها بمقدار صدق تمثيلها للناس ، وبحكم قدرتها على تعبئة طاقاتهم وراءها .

وعلى طول التاريخ كله ، فإن السياسة وبناء الدول والامبراطوريات لم يكونوا من
أعلام الفلسفة أو الفكر ، أو الخبرة الإدارية الطويلة .

وفي العصر الحديث ، فإن الثلاثة الكبار الذين قادوا أكبر صراع خاضته
الإنسانية على رأس أكبر إمبراطوريات عرفها التاريخ لم يكونوا من أعلام الفلسفة ، أو
أساتذة الفكر ، أو أصحاب الخبرة المتخصصة ، فـ « فرانكلين روزفلت » في الولايات
المتحدة بدأ محاميا ، و « ستالين » في الاتحاد السوفيتى بدأ عامل صلب ،
و « ونستون تشرشل » في بريطانيا العظمى بدأ صحفيا .

وعند موقع القيادة في الولايات المتحدة الآن^(٥) « رونالد ريجان » (بدأ
ممثلا) ، وفي بريطانيا « مارجريت ثاتشر » (بدأت كيميائية) ، وفي الاتحاد السوفيتى
« ميخائيل جورباتشوف » (بدأ زراعيا) .

ومهما يكن فإنه في تلك اللحظة الفريدة من حياة مصر كان « جمال
عبد الناصر » مهيا بشواهد التاريخ ، وبحقائق الأمور ، بل وبواقع ما كان لديه
فعلا - لمهمة تجديد بناء دولة - بشرعية عقد سياسى واجتماعى جديد .

ولكن كيف ؟ وما العمل ؟



في التصدى لمهام تجديد بناء الدولة - كانت قضية الانتقال من قواعد القوة
والسلطة والشرعية السابقة على المعركة إلى القواعد الجديدة التي صنعتها المعركة -
هي أكثر القضايا حساسية ودقة فضلا عن أن خطوط الانتقال كانت متعددة
ومتوازية :

من قاعدة مجلس قيادة الثورة إلى دائرة أوسع .

(٥) وقت إعداد هذا الكتاب للنشر في صيف سنة ١٩٨٨

من قاعدة تنظيم الضباط الأحرار إلى إطار أكبر .

من قاعدة القوات المسلحة كموطن نشأ فيه التنظيم التأسيسي إلى امتداد الوطن كله .

وبالنسبة لمجلس الثورة ، فقد كان تركيز الشرعية الجديدة في الرجل الذي لم يعد «أولا بين متساوين» فقط ، وإنما أصبح «أولا على الإطلاق» - قضية معبأة بمشاعر إنسانية يمكن فهمها . وبصفة عامة ، فإن عملية الانتقال تمت بقدر كبير من السلاسة واليسر . ومن باب الاحترام للحقيقة والتاريخ ، فإن تلك المجموعة من الرجال والشباب - تصرف في ظروف شائكة بكثير جدا من الحرص والوعى . وربما ساعد على ذلك أن سنوات التجربة العملية في القوة والسلطة أجرت نوعا من الفرز الطبيعي المتفق مع شخصية كل منهم واستعداداته ، ورؤيته لنفسه وللحقيقة الموضوعية .

كان أولهم «عبد الحكيم عامر» ، وكان وضعه هو الأكثر تعقيدا ، فقد كان الأقرب شخصيا إلى «جمال عبد الناصر» وكان المسؤول المؤتمن على القوات المسلحة سياسيا وعسكريا - لكن المعركة وظروفها ألقت ظلالة من الشك على قدراته ، فتحت حرارة نيران القتال وبروقه ورجوعه اندفع «عبد الحكيم عامر» إلى تبني نظرية القتال إلى آخر رجل وإلى آخر طلقة في سيناء ، واختلف معه «جمال عبد الناصر» الذي كان من رأيه الانسحاب من سيناء وتجميع القوات المسلحة غربها لمواجهة العدو الرئيسي المتمثل في الغزو البريطاني الفرنسي ، فضلا عن أن البقاء في سيناء أمام خطر إنزال بريطاني فرنسي في بورسعيد معناه السماح بقطع الجيش المصري إلى شطرين : شطر في سيناء معزول عن قواعده ، وشطر على القناة محروم من مقدمته الضاربة . وفي زحام التطورات وحتمية الاستجابة لمتغيراتها بحسم ، فإن «جمال عبد الناصر» نحى «عبد الحكيم عامر» جانبا - تقريبا - وراح يقود الجيش - عمليا !

وحين انتهى القتال كان «عبد الحكيم عامر» شبه معتكف في بيته نصف معترف بخطئه ، ونصف غاضب لكبريائه ، والواقع أن الرجل كانت له ميزات شخصية جذابة - أبرزها قدرته على خلق روح الأسرة في المناخ الذي يعيش فيه - لكن الجيش كان يحتاج إلى روح الفريق أكثر من حاجته إلى روح الأسرة . وعلى أي حال ، فإن «جمال عبد الناصر» بعد تجربة المعركة تمسك ببقاء «عبد الحكيم عامر» بل ورفع رتبته العسكرية حيث لم يكن هناك داع للترفيه ، وإن كان «جمال عبد الناصر» قد تصور أنه بذلك يعيد لصديقه كامل ثقته بنفسه آملا أن مستقبل الأيام والتجارب كفيل بإتاحة فرصة تعوض وتستكمل (٦).

(٦) تكفلت التجارب بإثبات العكس ، وكان ذلك واحدا من أكبر أخطاء «جمال عبد الناصر» .

كان هناك اثنان غير « عبد الحكيم عامر » برزا في مجال العمل التنفيذي : « زكريا محيي الدين » في مجال الأمن الذي يعرف للأمن مضمونه الاجتماعي ودوره السياسي إلى جانب شخصية قوية ومتوازنة - و « عبد اللطيف البغدادي » في مجال القدرة التنظيمية وكفاءة الإنجاز السريع لما يكلف به من مهام إلى جانب جاذبية إنسانية تمكنه من العمل وسط فريق .

وكان هناك اثنان ظهرا في مجال العمل الشعبي وال جماهيري : « حسين الشافعي » و « كمال الدين حسين » وكان لكل منهما مجاله وتأثيره .

ثم كان هناك ثلاثة ابتعدوا عن مجال العمل العام : « جمال سالم » (لأسباب شخصية) - و « حسن ابراهيم » (اختار أن يتفرغ للأعمال الحرة) - و « صلاح سالم » (تخرج موقفه لدواع متعددة ، واختار أن يتجه إلى الصحافة)

وأما التاسع وهو « أنور السادات » فقد توارى في الظل (ينتظر مستقبلا كان وقتها في علم الغيب) .^(٧)

وعلى هذا النحو فقد كان اندماج مجلس قيادة الثورة في دائرة الشرعية المستجدة مهمة ممكنة . بقى القادرون على العمل التنفيذي وزدات مسؤولياتهم ، وبقي المهياؤون للعمل الشعبي وال جماهيري ، وأصبح الحكم عليهم للناس ، وابتعد الذين كان لهم أن يبتعدوا ، وتوارى في الظل من أثر الظل !

□ ولم تكن قضية تنظيم الضباط الأحرار بهذه الدرجة من السلاسة واليسر ، فقد كانت المجموعة أكبر ، وبالطبع أكثر تعرضا لمختلف التأثيرات .

كان بينهم صف على استعداد لتحمل المسؤوليات بجدارة وامتنياز ، ويرمز لهذا الصف رجال من أمثال « ثروت عكاشة » الذي أثبت أنه أهم وزير للثقافة عرفته مصر ، و « مجدى حسنين » الذي قام بدور ريادى في سياسة تعمير الصحراء ، و « وجيه أباطة » الذى لمع إداريا كمحافظ في أكثر من موقع - وغيرهم وغيرهم .

وكان هناك آخرون في هذا الصف تحملوا وحققوا ، وإن لم تقع عليهم الأضواء بشكل مكثف .

لكن هذا الصف كان وراءه صف آخر يختلف تركيبه ومزاجه ، فبعضهم فيه من أول القصة شدهم تنظيم الثورة كمغامرة ، والبعض تملكتهم نوازع السلطة بعد القوة ، وآخرون استطاع المجتمع القديم بمغرياته

(٧) كان « خالد محيي الدين » عضوا مؤسسا في تنظيم الضباط الأحرار ، وكان من أكثر قادته نشاطا وحيوية ولقافة ، وقد قضت الظروف أن يبتعد عن عضوية مجلس الثورة من قبل المعركة بسنتين لخلافات فكرية .

أن يجذبهم وانحصر هدفهم في حياتهم ، فإذا هم يحاولون تغيير الإطار الطبقي الذي عرفوه ليلحقوا أنفسهم بإطار طبقي غيره تصوره أرقى وأعلى ، وأصبح حال بعضهم أزمة حقيقية فلا هم بقوا على الأرض ، ولا هم اكتسبوا أجنحة للطيران في الأجواء التي حاولوا التحليق فيها .

وكانت تلك كلها مشاكل فتحت ثغرات إلى مشاكل ، فهؤلاء كان محتما أن يخرجوا من الجيش ضمن سياسة عامة تقررت بالنسبة لكل الضباط الأحرار حتى يتأكد الانضباط في صفوفه ، وكان هناك أيضا عدد كبير من الضباط تقررت أفضلية تركهم لصفوفه لاعتبارات متعددة بعضها يتعلق بالانضباط ، وفيها ما يتصل بتقدير أن كفاءتهم قد تكون أنفع خارج الصفوف ، ولأن خروج هؤلاء جميعا لم يكن له أن يبدو للناس ، ولا لهم ، وكأنه نوع من العقاب - فقد كان لابد من البحث لهم عن وظائف وأعمال ومهام في الترتيبات الجديدة بعد المعركة (٨)

□ وكانت قضية الجيش صعبة . قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الجيش شكلا ومظهرا ، وبعد حرب فلسطين فرضت الضرورات تغيير النظرة إليه ، لكن الملك كان يعتبره منطقة نفوذ له ، وبعد الثورة تفككت وأصر الضبط والربط فيه ، فقد علت سلطة شباب الضباط الذين شاركوا في الثورة وتنازلت سلطة قادتهم الذين كانوا بعيدين عن التنظيم ، فضلا عن أن الصراع بين مجلس قيادة الثورة وبين اللواء « محمد نجيب » كاد يقحم الجيش في ميادين التحزب ، ثم جاءت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي مفاجأة لما ألفه الجيش وتعود عليه من أنواع المعدات ومدارس التدريب ، وبينما الجيش يحاول أقلمة نفسه على الأوضاع الجديدة جاءت المعركة ووقع القتال ، ثم كشفت تجربة النار أن الجيش في حاجة إلى بناء نفسه بناء حديثا بالغ الجد والصرامة .

ومن ناحية ، فلم يكن هناك شك لدى أحد في أن الجيش - على نحو أو آخر - مازال قاعدة القوة الرئيسية للنظام مهما كان من شأن التغييرات التي يمكن أن تطرأ على فكرة الشرعية - والجيش كذلك حتى في أعرق الديمقراطيات ، فهو أهم أدوات السلطة والشرعية - لكنه من ناحية أخرى ، فإن الجيش يجب أن يتحول إلى أداة مقاتلة للدفاع عن الوطن الذي هو مهمته الرئيسية .

وربما كان أصعب القرارات في ذلك الوقت ، هو القرار الذي قضى بأن يتوجه قادة الجيش الجدد إلى الاتحاد السوفيتي لكي يجلسوا على مقاعد الدراسة

(٨) خرج من الجيش إلى وظائف مدنية (سياسية أو إدارية) في الفترة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٧ حوالي ثلاثمائة وثمانين ضابطا - كان بينهم ٤٢ من الأعضاء في تنظيم الضباط الأحرار .

من جديد ، يتعلمون عقائد القتال المناسبة لنظم أسلحتهم الجديدة لكي يتمكنوا من قيادة قواتهم في معارك المستقبل . ولقد كان سهلا إرسال بعثات من شباب الضباط لكن هؤلاء حين يعودون كان محتما أن يصطدموا بالرتب الأعلى لاختلاف درجات العلم ، وأيضا لاختلاف عقائد الحرب - ولم يكن ذلك مطلوبا .

كل هذه كانت معضلات مطروحة للحل ، وربما كانت الحلول التي عرضت نفسها سليمة ، لكنه عند التنفيذ العملي لهذه الحلول كان الواقع أكثر خشونة ووعورة .



كانت المهمة التالية لإعادة ترتيب قواعد القوة والسلطة هي النظر في أحوال الجهاز الإداري للدولة ، فالشرعية خصوصا إذا تركزت - ولو مؤقتا - في رجل واحد ترتب بتجدد أهداف المجتمع واتساعها ، ثم بحسن تنفيذها . وكان جهاز الدولة في حالة يرثى لها .

لقد أعيدت صياغة جهاز الدولة في أواخر القرن التاسع عشر بتوجيه وتصميم الاستعمار ، وتعلم هذا الجهاز ضمن ما تعلم عادة الاستعلاء على الناس ، ولعله لم يكن يحتاج فيها إلى علم جديد ، فالاستعلاء الإداري ميراث فرعونى وسلطانى قديم !

وعندما انتقل الإشراف على جهاز الدولة جزئيا إلى سلطة حكومات الأحزاب الممثلة لكبار الملاك في مصر - تعرض هذا الجهاز الإداري للدولة إلى حالة تمزق في الولاءات . فالشعب مغيب ، ولعبة السلطة كر وفر بين السفارة البريطانية والقصر الملكى ومجموعة الأحزاب المتصارعة فيما بينها ، والممثلة لنفس الطبقة اجتماعيا .

ثم لحقت حالة عدم الاستقرار بحالة تمزق الولاء - لأن الأحزاب المتصارعة بدأت تختار رجالها في قلب الجهاز الإداري ، ثم ينتقل الحكم من حزب إلى حزب ، فإذا بالتغييرات في هذا الجهاز تتوالى محكومة باعتبارات لا علاقة لها بالأداء .

وكانت النتيجة أن جهاز الدولة في مصر فقد دوره كمؤسسة .

كثرة التغييرات أزعجت كثيرين من نجومه أثروا الهجرة إلى العمل الاقتصادى ، خصوصا عندما اتسع مجال تأسيس الشركات خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي أعقابها .

ثم إن كثرة التغييرات بدورها دفعت إلى السطح بأكثر العناصر استعدادا لأن تطفو على السطح .

كذلك فإن كثرة التغييرات أدت تحت السطح إلى صراعات داخلية في كل جهاز يتمنى أصحابها بدورهم أن تتاح لهم الفرصة للظهور على السطح ، والسباحة مع التيارات المتشابهة .

هذا الوضع أدى إلى نتائج خطيرة ، أولها أن جهاز الدولة فقد ذاكرته المؤسسية .

وفي تلك الظروف اكتشف « جمال عبد الناصر » واقعة أصابته بدهشة شديدة ، فقد تبين له أن مصر ظلت تدفع لتركيا أصل وفوائد قرض على الجزية التي كانت تقدمها للخلافة العثمانية حتى سنة ١٩٥٥ .

كانت علاقة مصر بالخلافة قد انتهت رسميا من سنة ١٩١٤ بإعلان الحماية البريطانية على مصر ، لكن جهاز الدولة الإداري ظل يدفع - بالعادة ، أو بالسيان - استحقاقات الجزية العثمانية من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩٥٥ بدون حق وبدون أساس ، وفي هذه الفترة دفعت مصر بالذهب مبلغا مقداره ٢٣١٧٤٩٨٤ جنيها .

وحين طلب « جمال عبد الناصر » مذكرة عن الموضوع جاءه الرد^(٩) بأن مصر دفعت فعلا ، ودفعت بغير حق ، وأنها تستطيع مطالبة تركيا بما أخذته وتضيف عليه فوائد بواقع خمسة في المائة سنويا وهو سعر الفائدة العالمي السائد وقتها ، ثم يكون لها أن تنتظر من تركيا رد المبلغ وفوائده وقد أصبح على هذا الأساس أكثر من سبعين مليون جنية^(١٠) . وكان « جمال عبد الناصر » يدرك في أعماقه أن تركيا لن ترد شيئا ، ومع ذلك أشار بضرورة المطالبة . ولم تدفع تركيا بالطبع .

وكان ذلك مجرد نموذج ١

والحقيقة أن مشكلة الجهاز الإداري على كل المستويات كانت تسبب أرقا لـ « جمال عبد الناصر » وهو يحاول تجديد بناء الدولة في تلك الأيام .

ولقد تصور أن إصلاح الأمر ممكن في بداية الثورة عن طريق تطهير الجهاز الحكومي ، لكن التطهير أثبت أنه مجرد تكرار على نطاق أوسع لما كانت تقوم به الأحزاب من هزات قبل الثورة ، ذلك أن محاولة التطهير تحولت إلى فرصة لعناصر تحاول إزاحة عناصر ، وجماعات تريد أن تطفو على السطح بدلا من جماعات .

(٩) تقرير من وزارة الخارجية برقم ٦/٣٤٢/١١٥

(١٠) بقيمة النقود الآن يصبح هذا المبلغ قرابة ألف مليون دولار

ولم تكن تلك الأحوال مستغربة على « البيروقراطية » المصرية - فهي وريثة الكهنوت المصرى الفرعونى القديم ، فقد تواكبت نشأة البيروقراطية المصرية مع نشأة الزراعة فى مصر ، ثم تعاقبت الدول غازية أو فاتحة ، وكان الجهاز البيروقراطى على استعداد لمسايرتها جميعا واسترضائها واحدة بعد واحدة ، بل كان على استعداد لاستيعاب قوتها وامتصاص طاقتها وجعلها دواما فى حاجة إليه .

وفى بداية الثورة كان الجهاز البيروقراطى ينظر إلى الحكام الجدد من الضباط نظرة حذر واتقاء للشر ، فقد بدت السلطة فى أيديهم بدائية وعنيفة خصوصا وأن مصادر هذه السلطة توحدت وتركزت ، ولم تعد كما كانت من قبل مرنة بحكم تعدد مصادرها (الإنجليز والقصر والأحزاب) .

ومع ذلك ، فإن الجهاز البيروقراطى على نحو أو آخر ساورته الشكوك فى قدرة السلطة الجديدة على الاستمرار ، فهؤلاء « الضباط لم يتهياوا للمقاعد التى جلسوا عليها » ، والنظام الملكى قد تسنح له فرصة ، والأحزاب قد تعثر على فجوة ، والإنجليز قد لا يجلون ، وإذا جلاوا فقد يعودون مع استمرار احتكاك النظام الجديد بهم فى المنطقة .

ومع نتيجة المعركة - فإن البيروقراطية المصرية بدأت تدرك أن النظام الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والذى راح يعيد صياغة شرعيته فى أواخر سنة ١٩٥٦ - باق معها إلى زمان طويل - لكن الموروث تظل له الغلبة على المكتسب .

وبطريقة ما فإن البيروقراطية المصرية التقليدية كانت تشعر أن النظام الجديد لا يوليها ثقته ، وأنه يخشى على أماله من سراديبها ، كما أنه يتوجس من خبرتها الطويلة فى استيعاب الموجات الوافدة .

ولقد رآته منذ البداية يحاول تجنب طريقها فينشئ مجلسا أعلى للانتاج يتولى تنفيذ المشروعات بعيدا عنها ، ويفعل نفس الشئ فى مجال الخدمات بمجلس أعلى لها أيضا . . . وكانت هذه الثقة المتأرجحة بين قيادة الدولة وجهازها الإدارى - ومحاولة الدوران حولها بطرق بديلة أو موازية - مشكلة حقيقية !



وكان الحل الذى وجده « جمال عبد الناصر » لهذه المشكلة التى بدت له مزمنة . ومستعصية هو التوجه إلى الجامعات يضح منها دما جديدا إلى الجهاز البيروقراطى التقليدى .

تصور « جمال عبد الناصر » - وكان التصور صحيحا إلى حد كبير - أن الجامعات هي موطن العلم ، فإذا ما أضيفت إلى العلم خبرة التنفيذ مع قليل من الصبر - فإن النتائج قد تكون مبشرة . وفي شهور قليلة من نهايات سنة ١٩٥٦ وبدايات سنة ١٩٥٧ انتقل من الجامعات والمعاهد العليا أكثر من ألف رجل بما لديهم من علم وفكر إلى ساحة العمل التنفيذي .

كان تصور التوجه إلى الجامعات قد طرح نفسه في الواقع قبل المعركة بشهور ، وذلك في الوزارة الأولى التي رأسها « جمال عبد الناصر » بعد انتخابه رئيسا للجمهورية في يونيو ١٩٥٦ ، وهي الوزارة التي دخلها الدكتور « عزيز صدقي » والدكتور « مصطفى خليل » والمهندس « سيد مرعي » والدكتور « عبد المنعم القيسوني » - وعندما طرح هذا التصور ، فقد كان ذلك من باب التجربة ، ويعد المعركة فإن نجاح التجربة مالم يثبت أن حولها إلى شبه قاعدة .

وهنا أيضا لم تكن المهمة سهلة . فقد كان لابد - أولا - من إقناع القيادات الجديدة القادمة من الجامعات إلى قمم العمل التنفيذي بفكر الثورة أساسا ، والثورة ليست مجرد إدارة لما هو قائم ، وإنما حلم يسعى لتحقيق ما يجب أن يقوم باستعمال طاقة الجهد الوطني إلى مداها .

وكان لابد - ثانيا - من تمكين هذه القيادات الجديدة من فرصة مفتوحة لاختيار مساعديهم ، ونقل فكر الثورة كما فهموه إليهم ، وخلق روح فريق بينهم ، ثم تحريك طموحاتهم في اتجاه خطة تستطيع ملامسة الحلم .

وكان لابد - ثالثا - أن تتاح لهذه القيادات الجديدة امكانية دراسة مجالات اختصاصهم للتعرف على كل المتاح إلى نهاياته ، فأسهل الأشياء تعريف المتاح بالاعتماد على تقديرات البيروقراطية القديمة ، وهي بدورها لاتستطيع تخطي الحدود التي عرفت من قبل ، وإذا حدث ذلك فهو العقم .

كانت تلك مشاكل عملية ، وفي نفس الوقت كانت هناك مشاكل ذاتية ، أولعها نفسية .

ذلك أن هؤلاء القادمين الجدد كان يمكن أن يتصادموا مع العسكريين المهاجرين إلى العمل السياسي في السلطة سواء من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، أو من تنظيم الضباط الأحرار ، فهؤلاء العسكريون يعتبرون أنفسهم أكثر أهلا للثقة ، والقادمون الجدد يعتبرون أنفسهم أكثر استحقاقا بالعلم والخبرة ، وكان تفكير « جمال عبد الناصر » أن تجربة العمل المشترك في تنفيذ حلم وطني طموح سوف تحقق مزجا واندماجا

بين الفريقين ، فيصبح أهل الثقة من أهل الخبرة ، ويصبح أهل الخبرة من أهل الثقة^(١١) .

كانت هناك مشكلة أخرى محتملة ، وهي أن التنافس قد يقع بين القادمين الجدد وبعضهم خصوصا وأن طبائع الأشياء تحرض صاحب كل اختصاص على أن يتصور بحق أو بغير حق أن اختصاصه هو الأولى بالرعاية ، والأحق بالنصيب الأكبر من الموارد .

وبصفة عامة ، فإن النتيجة كانت مقبولة ، وإن كانت بعض المحاذير فيما سبق كله ، قد استحالت تفاديا .



كانت هناك فجوة أخرى قائمة وهي فجوة الفكر والثقافة .

فالفكر والثقافة دائما طلائع الثورات .

وكان عقل مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وإلى منتصف القرن العشرين يقف حائرا ومترددا أمام تيارين في الفكر والثقافة :

□ أولهما : التيار الدينى بأصوله الراسخة المتمثلة فى الأزهر العتيد .

□ وثانيهما : هو التيار الليبرالى الذى ترجم عن أوروبا الغربية ، ونسى نفسه عاشقا متيما بما ترجم .

كان التيار الأول مأخوذا بالتراث ، وكان التيار الثانى مأخوذا بالتجديد .

وكان التراث الذى وجده أصحاب التراث هو ما أبقته الأيام بعد العصور المملوكية والعثمانية - ولم يكن هذا صالحا للعصور الجديدة المتغيرة . وبنفس المقدار فإن التجديد الذى حصل عليه أصحاب التجديد لم يزد كثيرا عن جهد الترجمة - ولم يكن ذلك كافيا للواقع الاقتصادى الاجتماعى . ولم يستطع التياران إيجاد لغة مشتركة بينهما إلا من خلال الاستثناء ، وليس من خلال القاعدة .

(١١) كل النظم السياسية فى العالم لها حق الاستعانة « بأهل الثقة » من انصارها باعتبارهم الاقدر على فهم سياساتها وتنفيذها . فالرئيس الأمريكى مثلا له الحق فور توليه مسؤوليته فى حوالى ألفى منصب يستطيع أن يشغلها بتعيينات سياسية ، ويدخل فى هذا الإطار أكثر من ربع السفراء الأمريكىين فى عواصم العالم المختلفة ، وبالذات فى العواصم الكبرى مثل لندن وموسكو وبكين وباريس وغيرها .

وأصبح الفكر والثقافة في مصر خطين متوازيين لا يلتقيان إلا فيما ندر ، ومن الحق أن يقال إن الإمام الشيخ « محمد عبده » وجيل الرواد من أمثال « طه حسين » و « أحمد أمين » و « أمين الخولي » قاموا بمحاولات شجاعة للوصول لقيت بعض النجاح في وقت من الأوقات ، ثم غلبتهم الضغوط من الناحيتين .

ولقد أضيف إلى هذين التيارين - شبه تيار ثالث لم يقدر له أن يتقدم كثيرا ، وهو تيار الفكر الماركسي الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية ، والذي حدث أن هذا التيار كان بعيدا تماما عن التربة الوطنية والقومية ، وقد جاءها غريبا ، وعندما بدا أنه يتخلص من غربته ويتأقلم كانت مصادره ومنابعه نفسها تجف ، والعصور تتجاوزها .

والواقع أن التيارات الثلاثة كلها - بما لها وما عليها - لعبت دورا هاما في الحالة الثورية التي سادت مصر قبل الثورة ، لكن هذه التيارات جميعا وقفت أمام الحدث الجديد - الباحث عن حلم غير محدد - عاجزة ، وقصارى ما كان في جهدها هو أن تسايه ، أو أن تداريه إلى حد أو آخر . ولم تكن المسيرة أو الإدارة هما الدور الصحيح للفكر والثقافة ، فكلاهما كان يتعين عليه أن يقود . ومع ذلك فالقيادة الفكرية والثقافية لا تحدث اصطناعا أو اختلاقا . وهنا ظهرت الفجوة .

ولقد كانت المحاولات لتجسيدها ساذجة في بعض الأحيان .

سعى بعض الضباط إلى الجامعات ليصبحوا من « الدكاترة » - في نفس الوقت الذي سعى فيه بعض « الدكاترة » إلى مراكز السلطة لكي يصبحوا من « الضباط » .

وتحمس بعضهم يبحث عن عقائدين يلقتونهم ألفاظا مستحدثة عن « الثورة » و « التفاعل الثوري » و « مصالح كل الجماهير » ، إلى آخره . ثم إن البعض الآخر ممن لم يستطيعوا - أو لم يشاءوا - تحصنوا وراء المتاريس القديمة يحاربون معاركهم بدرع الدين وسيفه .

وكانت تلك أزمة حقيقية أدت إلى خلط شديد ، وكان واقع الحال في مصر يساعد عليها ، فالعقل المصرى ينوء تحت ثقل كبير جدا من التراث ، والضمير المصرى ينوء تحت ثقل كبير جدا من التاريخ - كل هذا والجغرافيا المصرية فقيرة شحيحة إلى درجة البخل !

ومع ذلك ، فقد كان النظام الثورى مندفعاً على طريق التجربة ، وكان الأمل أن الاندفاع ، والاحتكاك بقوى العصر سوف يحقق المعجزة ، كما أن حركة التبادل الحى مع هذه القوى قد تحدث مزيجاً من كل النافع فى التراث وفى الجديد وفى الفكر التقدمى والمتقدم فى العالم تكون منها صياغة خلاقة لفكر خصب وثقافة مزدهرة . ولقد كان الفتيل موجوداً ، والزيت موجوداً ، وقد تجيء من الاحتكاك بالعصر وبحركة التبادل الحى مع قواه شرارة يشع بعدها الضياء وينتشر .

ومن باب الإنصاف ، فإن شيئاً من هذا حدث خصوصاً فى مجالات الفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى ، وربما كان التعبير فى هذه المجالات أسهل ، وربما أيضاً - من باب العدل - أن التعبير فى هذه المجالات كان أبعد عن الصدام مع سلطة بدت فى عجلة من أمرها وجلال بخاطرها أن تغيير المجتمعات يستطيع القفز فوق مراحل التطور .

ومع ذلك بدا أن قوة الآمال قد تستدعى قدرة تحقيقها !



ولقد اتصلت بذلك قضية أخرى حيوية وهى قضية الديمقراطية ، وكانت هذه القضية شاغل مصر قبل الثورة . ولقد اكتشف « جمال عبد الناصر » - خلافاً مع تصورات خطرت له قبلها - أن الديمقراطية لم تكن نظام مصر قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . صحيح أنه كانت هناك أحزاب متعددة ، لكن هذا التعدد كان فى واقع الأمر يمثل طبقة واحدة هى طبقة كبار الملاك .

فى أيديهم الثروة ، ومعنى ذلك أن فى أيديهم السلطة .

ولقد تغيرت تصوراتهم عندما أتيت له أن يطل على المجتمع المصرى من الداخل ، ولقد تيقن من أن الأحزاب هى الطلائع السياسية للطبقات ، وبما أن الواقع كان يشير الى أن مصر كانت طبقتين : طبقة من الملاك ، وطبقة من المحرومين - إذن فإن الحكم فى مصر فى الواقع كان لحزب واحد يمثل طبقة واحدة تتنازع داخله جماعات متفرقة تنتمى إلى نفس الطبقة .

وإذا كان مطلوباً أن تكون هناك ديمقراطية حقيقية ، فإن هذه الديمقراطية لا تستطيع أن تنمو إلا بنمو طبقات المجتمع كلها بما يسمح بإيجاد توازن بينها تعيش الديمقراطية على حركته وتزدهر بتفاعلاته .

وكانت بعض توجهات الثورة قد أزاحت كثيراً من الامتيازات الطبقيّة القديمة ، وكان قانون الإصلاح الزراعى أهم هذه الخطوات . ولم يكن الإصلاح الزراعى

اخترعا توصل إليه « جمال عبد الناصر » أو توصلت إليه الثورة ، بل إنه كان مطلبا مكبوتا في المجتمع المصرى نادى به كثير من المفكرين ، بل وتمناه بعض من تمرسوا بمسؤوليات الحكم والسياسة في مصر قبل الثورة بكثير .

وفي يوم من الأيام عثر « جمال عبد الناصر » في ملفات مجلس الوزراء على وثيقة اثار اهتمامه .

كانت الوثيقة خطابا بخط يد « اسماعيل صدقى » (باشا) الذى تولى رئاسة الوزارة في مصر اكثر من مرة في العهد الملكى .

كان الخطاب موجها من رئيس الوزراء « اسماعيل صدقى » (باشا) إلى وزير الشؤون الاجتماعية في وزارته وهو « عبد الجليل أبو سمرة » (باشا) وكان نص الخطاب كما يلي :

« رئاسة مجلس الوزراء^(١٢)

في ١٦ أبريل ١٩٤٦

حضرة صاحب المعالي وزير الشؤون الاجتماعية

إن البحث الذى تقوم به اللجنة العليا لمقاومة الفقر والمرض والجهل يستدعى اول ما يستدعى وضع التشريع الذى ينظم الإصلاح الزراعى ، وهو الإصلاح الذى يشمل اثره ثلاثة ارباع سكان القطر واكثريتهم ممن يرزحون تحت احمال المرض والفقر والجهل ، وقد قامت صفوة من الباحثين الاجتماعيين واستعرضوا في الزمن الاخير اوضاع الريف المصرى من الناحية الاقتصادية ، وهى المتصلة بمعظم متاعب الفلاحين ، وانتهوا إلى حصر العلاج في وسائل قليلة العدد ، ولكنها قوية الاثر تتلخص فيما ياتى :

(١) نشر الملكية الصغيرة التى تحقق حدا ادنى لحياة اسرة ريفية عادية ، والتى تسمح بتكوين طبقة ثابتة من صغار الملاك الزراعيين هى دعامة قوية من دعائم المجتمع .

(٢) حماية الملكيات الصغيرة من التقسيم الذى ينزل بها عن الحد الأدنى اللازم لتحقيق مستوى معيشة مقبول ، ويحول دون استثمارها استثمارا اقتصاديا صالحا ، وهو ما يدعو إلى تحريم التجزئة المترتبة على البيع والإرث .

(٣) تقييد الملكيات الكبيرة ، وله وسائله المعروفة من قصر الارض الزراعية على من يتعهدا ، ووضع حد أعلى للملكية الواحدة ، وفرض ضريبة تصاعدية على هذه الملكيات الخ .

(٤) تنظيم الإيجار والعمل الزراعى كى يوزع ربح الأرض توزيعا عادلا بين

(١٢) صورة لخطاب صدقى (باشا) في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب صفحة ٧١٢ تحت رقم ٥ .

المشاركين في تكوينه ، وينال كل « قسطا من الرزق يسمح بحياة مقبولة . وهذا مما يدعو لوضع سعر للإيجار على أساس سليم . وحد للمساحة . وتعيين للزمن بحيث يشعر المستاجر بما يشبه مزايا الملكية - أما حماية العمل الزراعى فهو متشعب الاطراف والنواحى ، ويستدعى اول ما يستدعى الحيلولة دون إشباع مطامع اصحاب العمل بربط الأجور على أساس قانون العرض والطلب الذى كان السبب فى الفاقة المنتشرة بين عمال الريف فى القرى المكتظة بالسكان .

اود ان تعرض هذه المسائل وغيرها مما يتعلق بسكان الريف ومنهم سكان العزب - الذين لهم شأنهم الخاص من النواحى الصحية والاجتماعية والاقتصادية بل والتعليمية - على اللجنة العليا . ولكن بعد ان تنال قسطها من بحث وزارة الشؤون الاجتماعية (وقد كانت بحسب ما علمت محل الدراسة من هذه الوزارة) حتى إذا ما اقرت اللجنة العليا المبادئ الأساسية للإصلاح قامت باقتراح التشريعات التى توفر له التنفيذ - واكون سعيدا لو جاءنى من معاليكم ما يطمئننى على ان الموضوع حائز لعنايتكم واهتمامكم .

(إمضاء)

اسماعيل صدقى

والواقع ان « جمال عبد الناصر » اهتم بهذه الوثيقة ، وأطلع كثيرين من زملائه عليها ، وهو يقول : « لقد كان انطباعى عن صدقى (باشا) انه من غلاة الرجعيين ، ومن واجبى ان اراجع نفسى ولا أظلمه » .

والآن كان الإصلاح الزراعى فى تفكير الدولة المتجددة أكبر من مجرد حل لمشاكل الجهل والفقر والمرض ، وإنما كان قاعدة من أهم قواعد التمكين للديمقراطية .

ولقد جاء الفوران الذى صاحب المعركة من أولها إلى آخرها ، ثم جاءت الآمال والطموحات التى أظهرتها حركة الجماهير بعدها لتقنع الجميع بأنه لا بديل عن مشاركة كل الشعب فى المرحلة المقبلة .

وكان السؤال المعضلة هو : كيف ؟

إن الديمقراطية لا تتحقق بمجرد فوران الجماهير ، لأن الآمال لا تتحقق بمجرد العواطف ، وإنما تتحقق الديمقراطية وتتحقق الآمال المعلقة عليها بتنظيم وإدارة حركة الجماهير .

وكانت الثورة من قبل قد أنشأت تنظيما باسم « هيئة التحرير »^(١٣) ، لكن ظروف إنشاء هذا التنظيم كانت دفاعية فى أعقاب اختفاء « الوفد » والصدام مع

جماعة الإخوان المسلمين . والآن حان الوقت لكي يصبح التنظيم السياسى أداة فعل مستقبلى ، وبدأ التفكير فى تنظيم جديد باسم « الاتحاد القومى » . ولم تكن المهمة سهلة ، فقد كان الطابع الرسمى يفرض منطقه بقوة الواقع على التنظيم الجماهيرى - ثم إن شرعية « جمال عبد الناصر » كانت تصل مباشرة إلى الناس وتنقل مباشرة عنهم دون حاجة إلى أسلاك أو قنوات ، وساعدت على ذلك أكثر تكنولوجيا الاتصال (الإذاعة والتليفزيون فيما بعد) ، ثم إن قوة الجهاز الحكومى مع مرحلة التأهب لخطط طموحة فى مجالات التنمية أخذت موقع الصدارة .

ومرة أخرى فإن الشرعية الفوارة التى نضجت وبرزت من تجربة النار - بدت قادرة على تخطى الواقع وتجاوز عقباته حتى تتلاحم المواقع والجبهات - لكن هذا التلاحم يحتاج وقتا ، كما يحتاج مناخا .



هدف الشرعية الجديدة - وهدف جهاز السلطة وجهاز التنفيذ والتنظيم الشعبى إذا قام وراءها - هو الهدف الثابت للعمل السياسى على طول الأزمنة والعصور ، وهو هدف تغيير المجتمعات : إدارة مواردها وتعبئة طاقاتها لصنع غد لها أفضل من يومها ومن أمسها .

وعندما بدأ « جمال عبد الناصر » مسلحا بشرعيته الجديدة المستمدة بالدرجة الأولى من آمال مستقبلية عبرت عنها حركة الجماهير فى ظروف المعركة - فقد استهول بعض ما بدا له ، لم تكن مصر مجرد طبقات أفقية وإنما كانت كتلا رأسية فى نفس الوقت ، وأكبر كتلة فيها لم تكن لها ، وإنما للغرباء عنها !

كان قد واجه استغلال المصرى للمصرى حسب تعبير « مكرم عبيد » (١٤) -

(١٤) ابرز سياسى قبطى فى المرحلة الواقعة بين ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ ، وكان سكرتيرا عاما للوفد المصرى ، وتولى وزارة المالية عدة مرات ، وانفصل عن الوفد بتأثير غوايات القصر ، والى حزب الكتلة ، وكان من اذكى الساسة المصريين قبل الثورة ، ومن اكثرهم تقدما فى فكره ، واكثرهم مقدرة على التعبير عن نفسه كتابة وخطابة .

وذلك بقانون الإصلاح الزراعى . كانت ملكية الأرض هى ما رآه فاضحا وقتها وتصرف حياله .

وفيما يتعلق بالسيطرة الأجنبية ، فقد كان الاحتلال العسكرى هو الصورة الفاضحة فيما رآه وواجهه بالمفاوضات والحرب . والآن وبعد معركة السويس ، فإنه بدأ يرى صورة أخرى لحقيقة السيطرة لم تكن واضحة بالكامل أمامه من قبل . كان يعرف أن هناك مصالح أجنبية كبيرة فى مصر ، ولكنه لم يتصور حجمها كما كشفت عنه الوقائع ، وكان تأميم قناة السويس هو بداية الكشف الجلى ، ثم جاءت معركة السويس فإذا الحقيقة كلها عارية أمام عينيه .

وبدأ يتصرف بقوة وحزم حتى قبل أن يتوقف إطلاق النار على جبهة القتال . وراحت أصداء التصرفات التى تترى فى القاهرة تطرق أسماع العاصمة البريطانية ، وتسجلها وثائق الخارجية البريطانية - ملفات القسم المصرى . أولها فى الملفات تقرير يقول :

« سرى »

J.E. 1015 / 77 رقم

لقد عاد المستر ارنست كوبر ، وهو رئيس شركة برايس ، ووترهاوس ، بيت وشركاهم ، وهى شركة محاسبية قانونية فى القاهرة ، وقد قدم تقريراً إلى القسم المصرى جاءت فيه المعلومات التالية :

(١) لقد استولى المصريون على شركة حلوان بورتلاند للأسمنت ، وهى فرع لشركة تائل سيمنت التى يملكها الدانماركيون ، ولقد طرد المصريون كل الموظفين الأجانب ، واستولوا على الشركة .

(ب) استولى المصريون على شركة ضاحية هليوبوليس (مصر الجديدة) التى تملكها مجموعة مالية بلجيكية ، وقد قاموا بطرد كل مديريها الإنجليز والفرنسيين واليهود ، وأظهر المصريون أنهم لن يدفعوا تعويضات .

(جـ) استولى المصريون على شركة ترام القاهرة ، وهى مملوكة لمجموعة بلجيكية .

(د) استولى المصريون على ما يقارب ١٢٠ شركة كبيرة يملك الرعايا الأجانب حصصا كبيرة فيها ، وبينها شركة شل للبترول .

(هـ) استولى المصريون على شركة مولارد للشرق الأوسط ليمتد ، وهى شركة بريطانية ، وذلك بوسائل ملتوية ، وهذه الشركة وإن كانت بريطانية فى إدارتها إلا أنها هولندية فى ملكيتها .

(و) ألغى المصريون ترخيص العمل لثلاث من شركات المحاسبين القانونيين

البريطانيين العاملين في مصر ، وبينهم شركة برايس ، ووترهاوس ، بيت وشركاهم . ويبدو أن ناصر قد تجاوز حدود الانتقام من المصالح البريطانية ، فهو الآن ينقض على المصالح الفرنسية والهولندية والبلجيكية والدانماركية ، وهو ينتهز فرصة الأزمة لكي يكسر العمود الفقري للمصالح الغربية في مصر ، ومن المؤكد أنه سيواصل ضرباته ليكسر الطبقة العليا المالكة في مصر . إن الموقف في :
منتهى الفوضى ، وبالتأكيد فإن هناك تأثيرات شيوعية في الموضوع .

(الإمضاء)

ت . س . تال

« ١٩٥٦ / ١١ / ٢٦ »

وقد أشر وكيل وزارة الخارجية البريطانية بما يلي :

« لابد أن نثير حملة دعائية حول هذا الاستيلاء بالقوة على المصالح الغربية ، ولابد أن نلاحظ أن يكون تركيز الحملة بعيدا عما أصاب الرعايا البريطانيين بحيث ينصب كله على غيرهم من الأجانب ، ولكي لا نكون بمثابة من يعلن عن ضعفه » .

ثم يلحق بالتقرير الأول تقرير ثان :

« سري »

رقم J.E. 1015 / 78

جاء إلى القسم المصري بوزارة الخارجية اليوم المستر ج . ج . الكسندروف رئيس شركة رالي إخوان في الإسكندرية ، وهي من أكبر شركات تصدير القطن ، وادلى لنا بالمعلومات التالية .

١ - إن كل الشركات الأجنبية التي يعرفها في الإسكندرية قد تم الاستيلاء عليها بما في ذلك شركات تصدير القطن ، وشركات التأمين ، وشركات الملاحة ، وكافة شركات النشاطات التجارية الأخرى .

٢ - إن المصريين الذين دخلوا للاستيلاء على شركته واجهوه بجد كامل لأصولها ، وقد وجهوا إليه الاتهام بأنه هزّب بعض أموالها عن طريق السفارة البريطانية في القاهرة .

٣ - استولى المصريون على شركة باسيلي وشركاه لتجارة الأخشاب ، وهي أكبر الشركات العاملة في تجارة الأخشاب في مصر . وصاحب الشركة باسيلي باشا لبناني الأصل ، والبريطانيون لا يملكون في أسهمها أكثر من ٢٠٠٠ جنيه ، ومع ذلك استولى المصريون على الشركة بالكامل .

٤ - يبدو للمستر الكسندروف أن المصريين يستولون على كل ما تصل إليه أيديهم من الأصول الأجنبية في الشركات الصناعية ، أو التجارية ، أو المالية التي تصل إليها أيديهم .

٥ - يبدو للمستتر الكسندروف أن المصريين يريدون لهذه الشركات التي استولوا عليها أن تواصل عملها كالمعتاد ، وقد تمكن الإخوة رالى اصحاب الشركة من الاتصال بكل عملائهم في الخارج ليخطرهم أنهم لم يعودوا الآن مسيطرين على فرعهم في الاسكندرية ، ويطلبون منهم التصرف على هذا الاساس .

(الإمضاء)

ت . س . تال

« ١٩٥٦ / ١١ / ٢٦ »

ومالبت مصدر هذا التقرير الأخير أن أضاف إليه ملحقا :

« سرى »

رقم J.E. 1015 / 79

جاء إلى الإدارة المصرية اليوم مرة أخرى المستتر الكسندروف ، وادلى بالمعلومات التالية :

١ - إن المصريين استولوا على اقطان في شركته تساوى مليون جنيه ، وقد رفضوا الاعتراف بديون لشركته والتزامات إزاء البنوك بينها نصف مليون جنيه للبنك البلجيكي .

٢ - استولى المصريون على بورصة العقود للقطن ، واحتلوا كل بيوت السمسة العاملة بها .

٣ - احتجز المصريون كل الأقطان التي كانت في طريقها إلى الموانئ المصرية للتصدير للخارج .

٤ - سوف يجد حكام مصر الجدد انفسهم في صدام مع كبار مصدري القطن المصريين مثل فرغلى باشا الذين سوف يراودهم الخوف عندما يجدون انفسهم بمفردهم مع الوحش الذى دخل عليهم في السوق .

٥ - ادلى الكسندروف ببعض المعلومات السياسية التي سمعها قبل أن يغادر الإسكندرية ، وبينها أن ناصر أطلق النار بنفسه على الماريشال صدقي والأميرال عزت ، وأنه القى بعبد الحكيم عامر في السجن . كما قال لنا تعبيرا عن شعور عامة الشعب المصرى إن احد سائقى التاكسى قال له معلقا على الحوادث : « نحن لا نريد من هؤلاء الضباط شيئا . نريد منكم الثلاثة قروش التي تعطونها لنا كل يوم وهى تكفينا » .

ويحتوى نفس الملف J.E. 1015 بعد ذلك على مجموعة من التقارير المشابهة قدمها المستر فيفيان جونز مدير البورصة الملكية لعقود التأمين ، والمستر ابيتسون مدير بنك أيونيون ، والمستر جون ماكناب رئيس إدارة شركة ايسترن للدخان . وكان

أهم ما أضافه هذا الأخير أن المحلات التجارية لعدد كبير من اليهود المقيمين في مصر ، وبينها محلات داود عدس وشيكوريل وهانو وشملا وأوروز دى بك قد تم الاستيلاء عليها .



في هذه الفترة استرد الشعب المصرى كل ما سلب منه بالنهب المنظم الأول الذى تعرض له في تاريخه الحديث ، وهو النهب الذى جرى على طول الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين ، واسترد أيضا كل ما سلب منه في حماية الامتيازات الأجنبية التى ظلت تحاصره حتى وقع « مصطفى النحاس » (باشا) اتفاقية إنهاء الامتيازات الأجنبية في « مونترو » على أن الضرر كان قد وقع ، ففضلا عما تم نزحه من ثروة مصر إلى خارجها ، فإن ما بقى فيها كان معظمه تحت السيطرة الأجنبية فيما عدا ملكية الأرض الزراعية التى كانت قبضة الأجانب قد ارتخت عنها لأسباب كثيرة أهمها أن الريف المصرى بدأ يظهر نوعا من التمرد .

ولقد كانت السيطرة الأجنبية على القطاع الصناعى والتجارى والمالى وقطاع المقاولات شبه محكمة ، وإذا اتخذت عضوية مجالس إدارة الشركات مقياسا للاستدلال ، فقد كان نصف مقاعد مجالس إدارة الشركات للأجانب ، وكان الربع للجماعة التى أطلق عليها وصف « المتصرين » ، وأما الربع الباقى فقد كان متاحا للمصريين ومعظمهم من الباشوات الذين يتصدرون المجالس شكلا دون أن تكون لهم علاقة بأعمالها موضوعا . وبالنسبة فإن الهياكل الإدارية العليا لكل هذه الشركات (وبينها البنوك ، وشركات التأمين والملاحة ، وتجارة الصادرات - خصوصا القطن - والواردات على اختلاف أنواعها ، والمشاريع الإنشائية الكبرى كصاحية مصر الجديدة ، ومصانع الأسمنت والسكر والزيوت والصابون ، واستخراج البترول وتكريره ، وتوليد الكهرباء وبيعها في القاهرة والإسكندرية ، وشركات الفنادق الكبرى إلخ إلخ) - كانت كلها حكرا على الأجانب .

وحين يتطلع أى دارس الآن إلى هذه الفترة يتأملها فقد يستطيع أن يتوصل إلى الاستنتاج بأن تطورات المسائل كانت ترتبها منطقيا تمهد مقدماتها لنتائجها خطوة بعد خطوة ، بمعنى أن جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس - قاعدة السيطرة العسكرية - كان مؤكدا أن يؤدى منطقيا إلى تأميم شركة قناة السويس ، ثم إن تأميم شركة قناة السويس - وهى قلعة السيطرة الاقتصادية - كان يجب أن يؤدى منطقيا بدوره إلى استرداد بقية المصالح المنهوبة التى تغطى معظم مناحى النشاط والحياة في مصر . لكن المنطق بأثر رجعى سهل ، وأما وقتها فإن تلاحق التطورات لم يكن سريعا

فحسب وإنما كان محفوفًا بالمخاطر أيضا ، وفي أقل القليل فإنه كان يحتاج إلى أعصاب من حديد .

على أن هذه التطورات المتلاحقة السريعة والخطيرة في نفس الوقت - ترتبت عليها نتائج أكثرها إيجابى لكن بعضها كان سلبيا .

على الجانب الإيجابى ، فإن نجاح المصريين في إدارة قناة السويس صاحبه نجاح لا يقل عنه أهمية في إدارة معظم المصالح التي تم استردادها من مخالب النهب ، وأمكن في معظم الأحيان لعملية الانتقال من الإدارة الأجنبية إلى الإدارة المصرية أن تتم بنجاح . ولقد كانت هذه المصالح على أى حال هى الركيزة الأساسية لقيام القطاع العام الذى لايزال حتى هذه اللحظة أهم قوى الانتاج في مصر .

أما النتائج السلبية ، فقد كان ظهورها بذورا مبكرة لمشاكل سوف تنمو فيما بعد وتتفاقم .

● كانت أولى هذه النتائج السلبية أن الرأسمالية المصرية الوليدة حاولت أن تشتري بعض المصالح الأجنبية المستردة ، ومن ذلك أن « أحمد عبود » (باشا) وهو أغنى رجل في مصر قبل الثورة حاول أن يشتري شركة الفنادق المصرية ، وكانت مملوكة للبلجيك قبل استردادها - ولقد رفض طلبه بعد فترة من التفكير والتردد . وكان منطق « جمال عبد الناصر » في الرفض أنه إذا اشترى « عبود » (باشا) شركة الفنادق المصرية - إذن فإن آخرين غيره سوف يتقدمون لشراء شركات أخرى . والمستعدون لشراء هذه الشركات سوف يكونون مثل « عبود » (باشا) من الأغنياء - وإذن فمعنى ذلك أن كل ما تم من إجراءات سوف يؤدي إلى جعل الأغنياء المصريين أكثر غنى ، وبالتالي تجعل الفقراء أشد فقرا ، وليس هذا هو المقصود من استرداد المصالح الأجنبية المنهوبة .

ونتيجة لرفض طلب « عبود » (باشا) فإن الرأسمالية المصرية الوليدة بدأت تتوجس خيفة ، فلقد فهمت بوضوح أن توسعها ليس مطلوبا ، وإذا كان الأمر كذلك فإن حصر نشاطها وارد !

● نتيجة أخرى سلبية هى أنه باسترداد هذه المصالح الأجنبية كلها ، فإن مصر شهدت عملية خروج للأجانب على نطاق واسع منها ، والحقيقة أنه في تلك الظروف خلت فجأة قرابة عشرة آلاف وظيفة من



من الشركات الأجنبية المستردة ، لأن ذلك
ذلك هو المقصود من استعادة المشروعات
بجواره محمد نجيب .

وظائف الإدارة العليا في الشركات من جميع الأنواع ، وأدى ذلك إلى
طرح مشكلة عويصة .

كان ضروريا أن يحل مديرون من المصريين بدلا من المديرين الأجانب ،
وكان السؤال : كيف يمكن اختيارهم ، وما هي المقاييس ؟

إضافة إلى ذلك ، فقد كان لابد من تقرير مرتبات ومكافآت المديرين
المصريين الجدد - وكان السؤال : هل يحصلون على مرتبات من كانوا
قبلهم في وظائفهم أو تخفض المرتبات والمكافآت ، وعلى أى أساس ؟

وكانت القضية ملحة وعاجلة ، والقيادة السياسية العليا للعمل الوطنى فى شغل عنها بذبول القتال المسلح ، والمعارك السياسية الزاحفة فى أثره - وجرى البت على عجل .

وفى ظرف شهور معدودة تقدم آلاف من العسكريين والمدنيين إلى مناصب ومواقع كانت فى انتظارهم ، وحدث خلط حين فهم بعض هؤلاء أنهم فى مناصبهم ومواقعهم الجديدة بحكم الاستحقاق ، وليس بحكم التكليف بمهمة اجتماعية ، وساعد على هذا الخلط أنهم حصلوا على نفس المرتبات والمكافآت التى كانت مخصصة من قبل لمناصبهم ووظائفهم ، وكانت الدعوى أنه ليس من العدل تخفيض مخصصات العمل لمجرد أن شاغله أصبح مصريا !

● نتيجة سلبية أخرى ، وهى أنه بسبب نزوح هذا العدد الهائل من الأجانب عن مصر - فإن المساكن ، بعد المناصب والوظائف - أصبحت خالية ، وكانت هذه المساكن بالطبع فى أرقى أحياء القاهرة . وهكذا فإن التقدم إلى المناصب والمواقع ، ما لبث أن تبعه زحف منظم على المساكن أيضا .

ولقد حدث فى كثير من الأحيان أن الصعود الاجتماعى الجديد ، بالوظيفة والسكن ، تزامن مع صعود مناسب له فى الحالة العائلية ، وكان فى ذلك كله ما يدعو إلى التطير !

وهكذا فإنه من المفارقات الغريبة أن لحظة ثورية فريدة فى تاريخ مصر شهدت البذور الأولى لظهور « طبقة جديدة » - كان مقدرا لها فيما بعد أن تقوم بدور بالغ الضرر على الثورة خصوصا وأن هذا الدور وقعت ممارسته من داخلها ، وأحيانا بنفوذها وهيبته .

إن مثل هذه الظواهر حدثت فى كل الثورات ابتداء من الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وحتى الثورة السوفيتية وغيرها من الثورات ، وإن كان المفروض أن اللاحقين يتعلمون من دروس التاريخ السابقة . والواقع أن جمال عبد الناصر « ما لبث أن تنبه إلى نمو طبقة جديدة ، وحاول بالفعل تصفية مشكلتها لكنه حين فعل كانت الامتيازات الجديدة قد عمقت آثارها ، والنتيجة أن الذين دفعتهم الثورة إلى عوالمهم الجديدة لم يكونوا على استعداد للتنازل ، وإنما كان استعدادهم أقرب إلى تغيير ولاءاتهم !

ومهما يكن ، فإنه فى ظروف الفوران التى كانت مصر تعيشها فى تلك الأيام بدت هذه المشكلة محصورة ، وبدا حلها سهلا - ولم يكن ذلك صحيحا !



وعندما يعيش شعب أو أمة في حالة الفوران - فإن هذه الحالة يمكن أن تكون بشائر فرصة.. كما أنها في نفس الوقت يمكن أن تكون نذر قلق . فحالة الفوران في حد ذاتها حالة سيولة ، والفرصة فيها أن الشعب - أو الأمة - يكون في مزاج يتمكن معه من أن يعيد صياغة أفكاره وقيمه ، وعلى الجانب الآخر ، فإن حالة الفوران يمكن أن تصل إلى داعى القلق ، فالسيولة يمكن أن تتحول إلى فوضى يتفكك معها التماسك الوطني ، وتتأثر وحدة قواه .

ولقد كان مجمل التطورات العسكرية والسياسية ، الاقتصادية والاجتماعية ، وما صاحبها جميعا من مشاعر وآمال وتطلعات - أن مصر في حالة فوران ، حالة سيولة .

وكانت إحدى المهام الأساسية للشرعية الجديدة في تلك الأوقات هي تعظيم امكانيات الفرصة التي تلوح بشائرها ، والتقليل من دواعى القلق الذى تلوح دواعيه .

وعلى المستوى السياسى ، فإن قوة الشرعية الجديدة بدت غير قابلة للتحدى ثم إن الساحة بدت مفرغة من غيرها ، فالأحزاب القديمة ذابت تقريبا ، ثم إن الجماعات التي رفعت رأسها منتهزة فرصة الغزو « لإنقاذ مايمكن إنقاذه » ما لبثت أن خفضت رؤوسها خصوصا حين جاءت الحوادث بعكس ما توقعته ، فقد خرج النظام الثورى من معركة النار قويا و متمكنا !

وعلى المستوى الاجتماعى ، فإن الطبقات المسيطرة بدت أضعف من أن تكون تحديا حقيقيا للنظام على الأقل في المرحلة الراهنة . ومع رحيل عناصر السيطرة الاقتصادية الأجنبية ، فإن شريكها المصرى الأصغر والأضعف كان في شغل بمخاوفه الداخلية عن أى مواجهة لنظام بدا في عنفوان قوته .

وعلى المستوى العملى ، فإن الثغرات التي نشأت عن التحولات الكبرى في قواعد القوة والسلطة وأجهزة الدولة والحكم - وحتى بؤادر ظهور طبقة جديدة - لم تكن تشكل في ذلك الوقت مخاطر يمكن أن يكون لها شأن يذكر .

وكان « جمال عبد الناصر » يؤمن أن حالة الفوران التي صنعتها ظروف المعركة لابد أن تصل بتفاعلاتها إلى تحقيق تماسك أكبر في الوحدة الوطنية ،

فهذه الوحدة الوطنية هي أول الضرورات المطلوبة لتحقيق التقدم والحرية والعدل التي هي المطلب الدائم للشعب المصري ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الوحدة الوطنية هي الدرع المطلوبة لصد كل محاولات التدخل الخارجي . وقد كان ثابتاً في يقينه بأن القوى المعادية التي حاولت بالغزو الخارجي لن تكف عن المحاولة ، وسوف تتجه إلى الغزو الداخلي بديلاً عن الغزو العسكري .

وكان « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكية يطرح بالفعل شعار « الغزو من الداخل » ، وفي مواجهة هذا النوع من الخطر ، فإن الوحدة الوطنية هي خط الدفاع الأول عن كل مكتسبات النصر وجوائزه .

ويسجل محضر لمجلس الوزراء عقد برئاسة « جمال عبد الناصر » في ٥ فبراير ١٩٥٧ - وهو اجتماع بدأ في الخامسة بعد الظهر ، واستمر إلى منتصف الليل - قوله بالحرف :

« لابد أن ننتبه إلى أن هناك الآن حملة مضادة موجهة إلينا تركز على تخويف الناس ، وهدفها هو ضرب الوحدة الوطنية .

وأنا طلبت أن توزع عليكم تقارير عن الاستماع السياسي لما تقوله الإذاعات العلنية للدول المعادية سواء من محطات إذاعاتها العلنية ، أو من محطات الإذاعة السرية التي تمولها .

نناقش هذا الموضوع في الجلسة القادمة بعد أن تكونوا اطلعتم على هذه التقارير ، وإن كنت أود أن أقول لكم بعض الملاحظات تأخذونها في اعتباركم وانتم تطلعون على هذه التقارير .

□ أولاً - هناك تركيز على وصفنا بالشيوعية ، وطبعاً هم يستغلون حقيقة أن سلاحنا الذي حاربنا به والذي يجيء إلينا الآن لاستعواض خسائرننا في المعركة هو بأكمله من الكتلة الشرقية . وطبعاً يستغلون أيضاً مساندة الاتحاد السوفيتي لنا .

□ وثانياً - تلاحظون أنهم يحاولون وصف مركزنا في العالم العربي على أساس أنها إمبراطورية فرعونية جديدة يبنونها جمال عبد الناصر لحساب نفسه .

□ وثالثاً - وهذه نقطة مهمة ، فهم بالجمع بين الشيوعية والفرعونية يحاولون التشكيك في عقيدتنا الإسلامية . إذا كنا فراعنة فنحن عبدة أصنام ، وإذا أصبحنا شيوعيين فنحن ملحدون . هذا نوع من الحملات لابد أن نأخذها جداً .

□ ورابعاً - فانا لاحظت أن بعض الإذاعات خصوصاً الموجهة من فرنسا تخاطب إخواننا الأقباط ، وتحاول أن تستدل من أناشيد المعركة ، مثل نشيد الله أكبر ، على أننا ناس متعصبين وإنما قاتلنا في المعركة بالدروشة .

كلها كما ترون « نغمات » تؤدي إلى النيل من الوحدة الوطنية ، وهذه مسألة لا تنفع في علاجها أوامر أو قوانين ، وإنما هي مسألة يعالجها العمل السياسي ، ولا بد لنا جميعا أن نفهم أن واجب العمل السياسي هو خلق وتعميق التفاهم بين قوى المجتمع . لأن قوى المجتمع إذا تصادمت مع بعضها لجأت فئات منها إلى الاتصال بدول أو جهات أجنبية ، وهذا يسهل الاختراق في الداخل ويفتح له الباب .

وأنا لست من أنصار أن نستهن الآن بشيء وإلا أخطانا في حق البلد وحق الثورة أنا أعرف أن انتصارنا في المعركة أعطانا جميعا ثقة زائدة في أنفسنا ، وأصبحنا نتصور أننا نستطيع أن نواجه أي تحد ، وأنا أذكر من هذه الثقة الزائدة بالنفس . أنا أوافق على الثقة بالنفس فهذا ضروري . ولكن الثقة الزائدة غرور « يودي في داهية » !



وفي الوقت الذي كان فيه « جمال عبد الناصر » يتحدث إلى مجلس الوزراء بهذه المخاوف التي ساورتها - كانت هناك بالفعل عناصر مصرية تتصل بجهات ودول أجنبية . وكان بعض هذه العناصر بلا قيمة تذكر ، إلا أن بعضها الآخر كان يمكن أن يكون مصدر أخطار محتملة .

□ في هذه الفترة مثلا تمكن « أحمد عبود » (باشا) من ترتيب لقاء مع أحد أصدقاء الرئيس الأمريكي « دوايت أيزنهاور » .

وفي الملف الخاص بمصر في محفوظات البيت الأبيض الأمريكي لسنة ١٩٥٧ وثيقة سرية تحتوي على ملخص لما دار في هذا اللقاء ، وهي عبارة عن ورقة تحمل عنوان « مذكرة عن محادثة تليفونية^(١٥) بين الرئيس ووزير الخارجية » ، والظاهر أن « أيزنهاور » بعد أن سمع من صديقه عن مقابلته لـ « عبود » (باشا) اتصل من مكتبه في البيت الأبيض بوزير الخارجية « جون فوستر دالاس » الذي كان في مكتبه بوزارة الخارجية بنيويورك ، وتحدث معه في عدد من الموضوعات ، وبينها حديث صديقه مع « عبود » (باشا) .

والملاحظ أن الوثيقة لا يظهر فيها تاريخ يوم محدد بالذات ، وإن كانت تحمل إشارة إلى التوقيت الذي جرت فيه المكالمات ، وهو الساعة الخامسة وعشرون دقيقة بعد الظهر :

(١٥) تسجل كتابة كل لقاءات رؤساء الجمهورية في الولايات المتحدة ، وكل ملاحظاتهم إلى مساعديهم ، وكل محادثاتهم التليفونية - لكي تكون الملفات كاملة .

« سال الرئيس وزير الخارجية عما إذا كان قد سمع عن مصرى اسمه عبود (باشا) وهو رجل اعمال نشيط في مجال الملاحة البحرية وصناعة السماد ، وقال الوزير إنه سمع عنه ، وقال الرئيس إن عبود (باشا) كان هنا وقابل صديقه . . . (اسم الصديق محذوف من الوثيقة) وقدم إليه تقريراً عن الأحوال في مصر ، ويظهر أن عبود كان يتصور أن في إمكانه مقابلته (أى الرئيس) أو وزير الخارجية . إن عبود يقول : إنه التقى بناصر قبل سفره من مصر ، وإنه يريد أن يكون صديقاً لنا إذا كانت هذه الصداقة لا تؤدي إلى إهانة له ، وإن ناصر على استعداد للقطيعة مع الاتحاد السوفيتي إذا نحن ساعدناه ، وهو قلق من علاقته مع الاتحاد السوفيتي . ويظهر أن موقف ناصر سيء للغاية ، وأن علينا أن نقرر إذا كنا نريد ناصر أو ننوي أن نتخلص منه . وقال : إن ناصر اضطهد شخصياً لعدة سنوات ، واستولى على بعض مصانعه ، وكان شرساً للغاية في معاملته لكنه الآن يبدى بعض النوايا الطيبة . ويظهر أن عبود معجب جداً بالإنجليز ، ولكنه يكره الفرنسيين ، ويعتقد أننا وحدنا نستطيع أن نقوم بدور كبير . وسال الرئيس وزير الخارجية عما إذا كان يريد مقابلة عبود بنفسه ليسمع منه مزيداً من التفاصيل عن الأوضاع في مصر إذا كان لديه الوقت .»

لم يكن اتصال « عبود » (باشا) بصديق « ايزنهاور » عدائياً ، ولكنه في نفس الوقت كان من النوع المبطن بالإيماءات التي يمكن تفسيرها على هوى سامعها ! في نفس الوقت كان الأستاذ « محمود أبو الفتح »^(١٦) وبقية أشقائه يتحركون لحساب فرنسا بالدرجة الأولى الآن . قبل أن تبدأ المعارك حاولوا إلصاق أنفسهم بالإنجليز متصورين أنهم الطرف الأرجح في التواطؤ الثلاثي ، لكن بريطانيا كان لديها آخرون غير إخوان « أبو الفتح » وبدت غير مهتمة بهم .

وتقدم الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية صورة حية لمحاولات « محمود أبو الفتح » مع بريطانيا ، وقد بلغت قمته في عريضة قدمها « محمود أبو الفتح » باسم « لجنة مصر الحرة » إلى رئيس الوزراء البريطاني « أنتوني ايدن » وهي تحمل رقم ٣١١ - ١١٨٨٣٢ - ١١٧٣٦٤ .

ويلاحظ أن العريضة الموجهة إلى رئيس الوزراء البريطاني قدمت إليه في السفارة البريطانية في واشنطن ، وكان « ايدن » في زيارة رسمية وقتها - بداية سنة ١٩٥٦ - للولايات المتحدة الأمريكية - وقد جاء في العريضة ما يلي :

(١٦) صحفي مشهور بدأ في « الاهرام » ، وشارك في تأسيس جريدة المصري ، وانفرد بملكيتها فيما بعد ، وانتقل من الصحافة إلى الاعمال ، وكون ثروة كبيرة من تجارة الورق في ظروف الحرب العالمية ، وأصبح من اصحاب الملايين ، وقادته مصالحه إلى أن أصبح أحد ادوات مخطط العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي (رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس صفحة ٢٩٨) .

« إن كتاب هذه الرسالة طلبوا من احد اصدقائهم في شهر يونيو الماضي ان يقدموا إليكم معلومات وخلفيات عن الديكتاتورية العسكرية الشيوعية التي تحكم مصر ، ومنذ ذلك الوقت فإن الخطر الشيوعي على مصر زاد وتجاوز كل الحدود ، وهكذا فإننا نجد انفسنا امام واجب الكتابة إليكم مرة أخرى حول هذا الموضوع . إن في مصر الآن حكومة بوليسية كاملة ، وإن الغرب يمكن ان يواجه في هذا البلد الهام بموقف معقد مثل الذى نشأ في جواتيمالا . ولما كانت مصر تمارس نفوذا كبيرا في المنطقة المحيطة بها فإن الخطر الشيوعي من مصر يمكن ان يمتد الى ما حولها ، مما يهدد مصالح الغرب الحيوية في المنطقة . »

ثم مضت عريضة « محمود أبو الفتح » الى « ايدن » بعد ذلك فامتدت إلى حجم ثمانى صفحات ، ثم انتهت بالعبرة التالى نصها :

« إن بريطانيا والولايات المتحدة تصرفان الآن ملايين الدولارات للحصول على صدقات هشة في المنطقة ، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة وبريطانيا تستطيعان بجزء بسيط من هذه الاموال ان تساعدوا اصدقاءهما على خلق اداة كفاء ، وقادرة للدعاية التي يمكن ان تحمى مصالحهما في المنطقة . »

ثم جاء توقيع « أبو الفتح » بخطه على هـذـه الخاتمة الملتوية والمهينة (١٧).

والغريب ان ناشيرة وكيل وزارة الخارجية الذى احال إليه مكتب رئيس الوزراء عريضة « محمود أبو الفتح » - جاءت لتوصى برفض طلباته باعتباره شخصا غير موثوق فيه .

وعندما يئس « محمود أبو الفتح » من بريطانيا باع نفسه بالكامل للمخابرات الفرنسية . ويشير تقرير سرى للمخابرات المصرية إلى معلومات حصل عليها احد « المندوبين » المكلفين بمتابعة نشاط إخوان « أبو الفتح » وقد تمكن من الاتصال بهم جميعا ونفذ إلى دوائرهم - وجاء في تقريره مايلى :

« - تتركز اتصالات محمود أبو الفتح الآن في الـ D.S.T. الفرنسية Département de Services Territoires ، وهو مستشارهم في شؤون الشرق الأوسط ، ويحمل

(١٧) نشرت النص الكامل لهذه الوثيقة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٦ ، وقد دفعنى إلى ذلك في الواقع ان نصوص هذه الوثيقة تحمل صورة كاملة لفكر وحركة ما كان يسمى بالمعارضة المصرية في الخارج ، والتي كان لها اصدقاء في الداخل ، والتي عادت الآن إلى ممارسة دورها في مصر معتمدة على ضعف ذاكرة الناس ، وعادت لتردد نفس الكلام القديم بأسلوب مختلف وفي ظروف متغيرة !

ومن سوء الحظ ان هذا النوع من الناس تكررت نماذجه بين الصحفيين من ذلك الجيل (راجع كتاب « بين الصحافة والسياسة » لمحمد حسنين هيكل) .



محمود أبو الفتاح : أوصت تاشيرة وكيل الخارجية البريطانية برفض طلبه بمساعدة أصدقاء أمريكا وإنجلترا « على خلق أداة كفاء وقادرة للدعاية يمكن أن تحمي مصالحهما في المنطقة » . ومن ثم توجه أبو الفتاح للمخابرات الفرنسية ، وعقد صفقات تجارية مع إسرائيل .

جواز سفر وتحقيق شخصية *Titre de Voyage et d'Identité* صالحا لجميع البلاد لمدة خمس سنوات ، وهو جواز سفر فرنسي تمنحه فرنسا للأجانب في حالات خاصة .

□ استطاعت السلطات الفرنسية أن تعطي محمود أبو الفتاح عقد تملك شقة في عمارة فيكتوريا بمونت كارلو ، وهي أفخم وأضخم العمارات في أوروبا ، وشقة محمود أبو الفتاح تقع في بلوك (د) في الدور الثالث ورقمها (٣٣٢) وقد قال لي محمود أبو الفتاح : إنه سيطلب بالجنسية الموناجسك (جنسية إمارة موناكو) حيث يخول قانون إمارة موناكو لكل من يملك شقة في الإمارة أن يحصل على جنسية الموناجسك بعد مضي عام من إقامته الدائمة فيها . والعمارة التي سكنها محمود أبو الفتاح مملوكة للمقال المعروف « انتوان بادرون » وهو في الوقت نفسه يشغل منصب قنصل لبنان في موناكو ، وله نشاط واسع سياسي وتجاري ، وله صلات بإسرائيل . وقد تسلم محمود أبو الفتاح عقد تملك شقة عمارة فيكتوريا في نوفمبر ١٩٥٦ بعد تامين شركة قناة السويس . ويملك محمود شقة أخرى في جنيف في العمارة رقم (٥٧) شارع ستاند في الدور الخامس ، كما أنه يحتفظ بجناح خاص في فندق سكريب في باريس .

□ لم ينجح محمود أبو الفتح في تحقيق صلات وثيقة مع المخابرات البريطانية ، وإن كانوا قد قدموا إليه سيارة رولز رويس هدية ، ومصدرى في هذا الخبر هو المستر كلنتون جرين المدير العام لدائرة المخابرات الأمريكية في لندن الذى اتصل بمحمود أبو الفتح ليؤجر له رخصة جريدة المصرى تمهيدا لإصدار الجريدة في بيروت .

□ يشرف محمود أبو الفتح على محطة إذاعة « مصر الحرة » ومركزها في نيس ، وهى تبث إذاعاتها على محطة أوروبا رقم (١) للراديو والتليفزيون ، ولها مكتب سرى في نيس وهو غرفة في فندق « روهل » الكبير الواقع بطريق روضة الإنجليز في نيس ، ويساعده في عمل المحطة اشقاؤه حسين وأحمد كما يتعاون معهم المسيو موران من رجال المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) . ويقوم بالتنسيق بين الجميع (« إدوار سابليه ») الصحفى الفرنسى المعروف ، والذى يعمل في نفس الوقت مستشارا للشؤون العربية في المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) وهو صديق شخصى لمحمود أبو الفتح ، وعمل من قبل مراسلا لصحيفة المصرى في باريس .

□ قام محمود أبو الفتح بعقد صفقات تجارية مع إسرائيل بالاشتراك مع شقيقه حسين أبو الفتح ، وقد سافرا معا إلى هامبورج بألمانيا واشترى صفقة صفح صدرها لإسرائيل ، واستوردا بدلا منها شحنة من موالح الـ « جريب فروت » ، وقد علمت بتفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من إيرفنج براون ، كما حصلت على معلومات إضافية عنها من مصدر الفاكهة الجزائرى « صلاح بوقليطة » .



لم تكن اتصالات « أحمد عبود » (باشا) أو غيره من نفس المواقع الاجتماعية - مثيرة للقلق ، والحق أن الرجل حاول أن يدارى فيما يقول ، وفى كل الأحوال فقد كانت مصالحه تنبئ عن مكنون صدره حتى قبل أن يفتح فمه بكلمة واحدة ، وكان لديه الذكاء ليدرك ذلك ، فحاول توصيل رسالته إلى من يهمه رأيهم - وتدخلهم إذا أمكن - بأسلوب مبطن .

ولم تكن اتصالات « محمود أبو الفتح » - أو أصحابه من نفس الاتجاه - مثيرة للقلق أيضا ، ولقد كان أسلوب خطابهم المكشوف واستعدادهم للعمل بلا محاذير أو ضوابط من أى نوع يتكفل وحده بوضعهم في المكان الذى ارتضوه لأنفسهم .

كانت الاتصالات الداعية للقلق فعلا من عناصر أخرى لها مصادر حقيقية للتأثير والنفوذ ، وبين هذه العناصر الأخرى كان هناك عنصران على وجه التحديد يستحقان الاهتمام لأن مواقفهما التبتست على نحو أو آخر بأهم الرواسى في حياة الشعب المصرى وهو الدين : الإسلامى والمسيحى على السواء .

□ على الناحية الإسلامية كان هناك عنصر جماعة الإخوان المسلمين ، وكانت علاقته قد تعددت بتنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة وبعدها . ووصلت الحدة في العلاقات بين الجانبين إلى حد محاولة اغتيال « جمال عبد الناصر » بواسطة شاب من الإخوان ، وإلى حد حل جماعة الإخوان المسلمين بقرار من مجلس الثورة .

كان الإخوان المسلمون يريدون السلطة (ولم يكن في هذا بأس إذا كانوا على استعداد لأن يتقدموا للناس كتنظيم سياسى له برنامج أكثر تفصيلا من مجرد مقولة أن « الإسلام دين ودولة »)^(١٨) - ولكنهم في تلك الأوقات لم يكونوا على استعداد لذلك ، وأحس نظام ثورة ٢٣ يوليو - صوابا أو خطأ - أن ما يريده الإخوان هو أن يتسلموا منه السلطة أو يقيموا من أنفسهم أوصياء عليه - ووقع الصدام وترتب على الصدام ثارات أخذت طابعا دمويا لسوء الحظ .

وخرج كثيرون من الإخوان المسلمين إلى المهجر وتعددت مسالك فرقهم ، فقد كان هناك من آثروا السكينة في مهاجرهم ، وكان هناك من نشطوا إلى الدعوة ، وكان هناك آخرون قبلوا بعلاقات مع أطراف دولية وعربية لا يعرفون على وجه اليقين أبعادها ، فلقد تصوروا أنهم في تحالف من أجل الإسلام ، ولم يمدوا البصر إلى ما وراء ظواهر الأمور ، ولم يسألوا أنفسهم عن طبيعة هؤلاء الذين تحالفوا معهم ، وما هي حقيقتهم ، وما هي مقاصدهم البعيدة المدى^(١٩) .

ولقد أخذ النظام في مصر هذه التحالفات مأخذ الجد ليس لفاعلية أطرافها وأهميتهم - ولكن لأن المجال الذى اختاروه لمعركتهم كان بطبيعته نافذا إلى الأعماق .

وفي إطار هذا المجال جرى افتعال معارك وهمية بين القومية العربية وبين الإسلام ، ومعارك وهمية بين التحول الاجتماعى وبين التقاليد الإسلامية ، ومعارك وهمية أخيرا بين الاستعداد للتعامل مع الاتحاد السوفيتى كدولة عظمى وبين الاستعداد لقبول اتجاهه للإلحاد . والذى حدث فعلا هو أنه أمكن حصر هذه المعارك الوهمية ، وساعد على ذلك أن الحقائق كانت واضحة : نتائج التعاون مع الاتحاد السوفيتى - سواء فى السلاح أو فى التصنيع أو فى السد العالى - كانت للأمة ولم تكن عليها ، فى حين أن نتائج مساعدات الطرف الآخر الذى كان يدعى التحالف مع أطراف عربية وإسلامية - كانت ضد الأمة وعليها .

(١٨) استفاد الإخوان المسلمون من الدرس فيما بعد فعادوا فى منتصف الثمانينات إلى العمل السياسى ، واكتشفوا صيغة ملائمة لذلك .

(١٩) اتصالات الدكتور سعيد رمضان وهو صهر الأستاذ حسن البنا ظلت لسنوات طويلة تثير الاستغراب ، ولا أريد فى هذا الفصل من الكتاب أن اتطرق إليها بتفصيل أكثر .

وبرز دعاة إسلاميون يتصدون للفتنة ، وكان من حسن الحظ أن « الأزهر » وهو قلعة الإسلام الحصينة قام بدوره بتوجيه مشايخ أجلاء من طراز الشيخ « محمود شلتوت » وغيره .

لكن بعض الغبار ظل معلقا في الأجواء .

□ على الناحية المسيحية كانت هناك تعقيدات أيضا ، وإن كان خطرها أقل لسبب هام ، وهو أن الفتنة على الناحية الإسلامية كان يمكن أن تقع عند قاع المجتمع ، أى بين الجماهير العادية - وأما على الناحية القبطية ، قد كانت العناصر التى أثارت المشكلة على القمة الطبقية للمجتمع .

إن الكنيسة القبطية كانت طوال تاريخها كنيسة الفلاحين ، وكانت الكنيسة حريصة وواعية فهى التى تصدت من قرون طويلة للكنائس المسيحية الأوروبية ورفضت منطقتها وسيطرتها ، وفى العصر الحديث كانت هى التى تصدت للإرساليات التبشيرية الأوروبية والأمريكية وطوقت نشاطها .

وكان لورد « كرومر » - حاكم مصر الشهير فى أوائل عصر الاستعمار البريطانى - صادقا عندما قال : « إنه لم يلحظ فى مصر فارقا بين قبطى ومسلم سوى أن أحدهما يصلى لله فى كنيسة ، بينما الآخر يصلى لله فى مسجد » .

لكنه فى بداية عصر الاستعمار ظهر مايمكن أن يسمى بـ « الأرستقراطية القبطية » فى نفس الوقت الذى ظهر فيه مايمكن أن يسمى بـ « الأرستقراطية المسلمة » . ولم تكن هناك فى مصر أرستقراطية بالمعنى المعروف فى أوروبا مثلا ، فكل الأسر التى ظهر غناها مع ملكية الأرض كانت جميعا على الناحيتين من ظواهر أواخر القرن التاسع عشر^(٢٠) - ولم يعرف لأى من هذه الأسر إسهام حضارى سابق - أو لاحق - فى حياة الشعب المصرى^(٢١) .

ولقد كانت بوادر الشقاق التى ظهرت فى مصر مع أوائل القرن العشرين صراعا على الوظائف ، وفرص الغنى بين عناصر هذه الطبقة الناشئة على قمة المجتمع المصرى بمن فيه من مسلمين وأقباط ، وعندما استطاعت قيادة ثورة

(٢٠) رجاء مراجعة كتاب الاستاذ جبرائيل باير عن ملكية الأرض الزراعية فى مصر .
(٢١) يقتضى الإنصاف استثناء أربع شخصيات بالتحديد ساهمت فى تشجيع بعض المجالات الحضارية وهم : الأمير « عمر طوسون » الذى أعطى رعاية لا شك فيها لبعثات وأبحاث ، ثم « محمد محمود خليل » (بك) الذى قدم قصره ومجموعته الفنية النادرة للامة ، ثم الدكتور « على إبراهيم » (باشا) الذى اهدى إلى متحف الفن الإسلامى عددا من روائع مقتنياته ، وأخيرا السيدة « هدى شعراوى » التى تولت تشجيع بعض المواهب الفنية الأصيلة .

سنة ١٩١٩ - و « سعد زغلول » بالذات على رأسها - أن تتفادى احتمالات إشكال طائفي يستغله الاحتلال البريطاني ويعتبره دعوة للبقاء - فإن ذلك تحقق بتوافق على شبه صفقة تقريبا . فالعناصر المسلمة من الطبقة « الارستقراطية » كانت على استعداد لأن تترك « امتيازات أكثر في الثروة » للعناصر المثيلة لها من الأقباط في نفس الطبقة .

وعندما سادت في مصر حالة ثورية استحكمت من فترة الحرب العالمية الثانية إلى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فإن هذه الحالة استوعبت جماهير مصر كلها دون تفرقة بين الأديان - ولكن تساؤلا لاح حين قامت الثورة وتبين أنه ليس بين أعضاء مجلس قيادتها عضو قبطي . وواقع الأمر أن مثل هذه التوازنات لم يكن لها محل داخل تنظيم ثوري ينشأ في ظروف مصر أوقاتها .

ثم زاد حجم المشكلة عندما اختار النظام الثوري في مصر أقباطا للعمل معه من خارج الطبقة القديمة ، ومع أن هذا كان نفس ما تصرف به حيال المسلمين ، فإن المحاولات لتصوير الأمر على غير وجهه الصحيح زادت إلحاحا .

وحين بدأ التفاعل بين مصر وبين أمتها العربية - أضيف إلى المشكلة تعقيد الخلط بين القومية والدين .

وعندما بدأت عملية استرداد المصالح الأجنبية في أجواء معركة السويس وبعدها بدا أن الخسائر على الناحية القبطية أكبر منها - نسبيا - على الناحية الإسلامية ، وكان هذا إلى حد ما صحيحا في ظاهره لأن المصالح الأجنبية كانت تمارس التفرقة ، وتحاول تعميق أثارها لكي تكون أداة صالحة للاستغلال في الوقت المناسب .

وكان السؤال الذي يجب أن يطرح وقتها هو : أي المسلمين وأي الأقباط ؟ والحقيقة أنه في عملية تصفية آثار السيطرة الأجنبية على مصر من أولها إلى آخرها ، أضيرت طبقة بالذات وتعرضت امتيازاتها للضياع ، وكانت هذه الطبقة قمة المجتمع بمسلميه وأقباطه ، وبحجم وجود عناصرها في تركيب هذه القمة .

ولقد كان داعى القلق هو أن تحاول بعض العناصر الطبقيّة القبطية إشاعة توجسها إلى الجماهير القبطية لكن « كنيسة الفلاحين » تقدمت لأداء دورها في عهد الأنبا « كيرلس » السادس ، وفي هذا الوقت أيضا بدأت محاولة جادة لتجديد شباب « كنيسة الفلاحين » وكانت هذه المحاولة هي التي جاءت بعد ذلك بسنوات بالبابا « شنودة » الثالث على قمة الهرم الكنسي القبطي .

ومع ذلك فإن بعض الأسر الظاهرة في « الارستقراطية » القبطية المصرية راحت مثل مثيلاتها من بعض الأسر الظاهرة في « الارستقراطية » المسلمة تمد أبصارها إلى الخارج ، فإذا اتصالات نشيطة بفرنسا ، وإذا اتصالات بالفاتيكان ، ثم بمجلس الكنائس العالمي .

وكانت فرنسا مستعدة ، وكان هناك بعض الاستعداد في الفاتيكان .

وتحتوى التقارير السرية لبعض وزارات الخارجية في أوروبا على معلومات حافلة بالدلالات ، وعلى سبيل المثال^(٢٢) هناك تقرير في ملفات وزارة الخارجية كتبه البروفيسور « ايلي جيتزبرج » وهو يحمل رقم ١٠٥٣/٧٦ في ملف مصر سنة ١٩٥٧ .

والتقرير مقدم إلى المستر « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية بعد رحلة قام بها كاتبه إلى مصر ، ومنها توجه إلى الفاتيكان - وجاء في إحدى الفقرات من تقريره مايلي :

« رقم ١٠٥٣/٧٦ »

البروفيسور ايلي جيتزبرج

لقد قابلت في روما الكاردينال سيران الذي تعرفون انه ليس فقط كبير الكرادلة بل هو ايضا المسئول عن الكنائس الشرقية . وقد يهتمكم بوجه خاص ان تعرفوا انه كان راغبا في استقبالي لانه قام في اعتقادي في الفترة الاخيرة بإعادة تقييم للأوضاع في الشرق الأوسط وأفريقيا ، وانه لم يعد يطبق المخاطر التي تتعرض لها المسيحية من جراء توسع حركة القومية العربية . ولقد حدث تحول ملحوظ في الجو المحيط بالفاتيكان في روما ، فقد انتهى خبراء الفاتيكان العاملين مع البابا إلى ان القومية العربية بوجه عام وحليفها الإسلام تمثل خطرا على الكنيسة ، ولا يمكن ان تكون حليفا محتملا بحكم ان العرب والفاتيكان معا يطالبون الآن بتدويل القدس . إن البابا لم يغير رايه في تدويل القدس ، ولكنه الآن أصبح يخشى على المسيحية من تيار القومية العربية .»

وفي تلك الفترة شاعت دعوات وطبعت نشرات تنادى بأن مصر « فرعونية » وكانت هذه لعبة محفوفة بالمخاطر ، فإن العودة الى الفرعونية كانت ببساطة تعنى نزع الإسلام ، وهو في أقل القليل أربعة عشر قرنا تمثل المكون الحضارى لروح مصر ، كما هى الآن ، وبكل من يعيش على أرضها من مسلمين وأقباط .

(٢٢) لأن هدف هذا الكتاب ليس إثارة النزعات او الحزازات ، فإنه يغفل كثيرا من الوثائق التي تحتوى على أسماء ووقائع ، ومثل ذلك لضرورة له في سياق شرح الأوضاع التي واجهت الشرعية الجديدة في مصر بعد معركة سنة ١٩٥٦ .

وكانت الكنيسة في الماضي وفي الحاضر أكثر إدراكا من الطبقة ، فقد كانت هي التي اختارت اللغة العربية لغة للصلوات . واللغة هي الوعاء الحضارى للشعوب والأمم .

ولقد تعامل « جمال عبد الناصر » مع البطريرك القبطى بنفس الأسلوب الذى تعامل به مع شيخ الأزهر ، فقد كان لكليهما الحق في مقابلته في أى وقت يشاء ، وكلاهما له أن يطلب ما يراه . وحين طلب الأنبا « كيرلس » السادس أن تساهم الدولة في بناء الكاتدرائية الكبرى في القاهرة لكي تكون مقرا لائتلاف برئاسة الكنيسة القبطية كانت مساهمة الدولة حاضرة .

ومع ذلك فقد ظل هناك من يهرولون إلى باريس والفاتيكان - تماما كما كان بين المسلمين من يجرون إلى لندن وواشنطن !

وشئ من ذلك كان يمكن تفسيره ، وإن كان من الصعب تبريره ، فجماعات هذه الطبقة من المسلمين والأقباط تعودت أن تعيش بالقرب من أوروبا الغالبة ، ولقد اطمأنت إلى هذا الوضع واستراحت فيه ، وأن تنقطع الصلات على النحو الذى انقطعت به في ظروف السويس ، وما بعدها مباشرة - فإن الخوف كان احتمالا واردا كما أن المحاولات لوصول ما انقطع عن طريق مسالك فرعية أو تحتية كان يمكن اعتبارها نوعا من البحث العصبى عن الأمن . وكانت عقدة الموضوع هي معرفة الحدود التى لاينبغي تجاوزها ، ثم الوقوف عندها وليس بعدها بخطوة واحدة . ومن الحق أن يقال إن الأغلبية توقفت حيث كان لابد أن تتوقف ، ولكن مجموعات قليلة هنا أو هناك عبرت فوق الخطوط الحمراء ومشت وراءها عارفة أو جاهلة !

وكانت لذلك آثاره فيما بعد .



وفي المحصلة النهائية لصورة مصر بعد المعركة ، فإنه يمكن أن يقال باطمئنان إن هذه القوة الجديدة التى ظهرت في المنطقة بدت مقبلة على الحياة مستعدة لمسؤولياتها ، حاملة بمستقبل جديد ، مستعدة للعمل وللتضحية في سبيله ، منطلقة من وراء حدودها الضيقة متصلة بأمتها العربية ، خارجة مع أمتها العربية كلها إلى عالمها الواسع تشارك في صنع مصائره .

ومع ذلك كله فقد كانت هناك ثغرات . وكانت تلك طبائع الأشياء . فليس يعقل أن يتحول وطن من وضع التبعية إلى وضع الاستقلال الكامل ، وعلى نحو غير مسبوق في تاريخ الأمم المستقلة - بدون عقبات .

كانت هناك ثغرات لكن الأمل كان قويا في أن تستطيع الممارسة العملية لتحقيق مطالب التقدم والحرية والعدل - من سد كل هذه الثغرات حتى وإن حاولت قوى متعددة أن تستغل هذه الثغرات للنفاز .

والحقيقة أن « جمال عبد الناصر » كان يرى هذه الثغرات ، ولعله كان كمدرس سابق للاستراتيجية يتعامل معها وفق نظريات « ليدل هارت » : الاختراق ، والتقدم ، والالتفاف ، والتطويق ، وترك الجيوب المحاصرة في المؤخرة تستسلم حين يستحكم حولها طوق الحصار .

الفصل الخامس

إمبراطورية تستسلم لإمبراطورية



كان الاسم الرمزي الذي اختاره أطراف العدوان لعملياتهم المشتركة ضد مصر هو « الفرسان » ولعلمهم استوحوه من عنوان قصة « دumas » الشهيرة : « الفرسان الثلاثة » ، وقد كانوا بالعدد ثلاثة : بريطانيا وفرنسا وإسرائيل . . .

ومن المهم بالنسبة لتطورات المستقبل الذي كان آتيا بعد المعركة إلقاء نظرة على أوضاع هؤلاء « الفرسان » في أعقاب فشلهم « الباهر » في تحقيق أهدافهم وفرض إرادتهم ، ولعل هذه النظرة أن تكون أصوب إذا بدأت بالأصغر متناهية إلى الأكبر حتى وإن كان هذا الترتيب في حسابات القوة مؤقتا - والسبب أن حسابات المستقبل القريب بعد المعركة شارك فيها الأطراف طبقا للواقع السائد وقتها ، وهكذا فإن البدء بحالة إسرائيل بعد المعركة يصبح هو المنطقي والعمل . . .

ولقد خرجت إسرائيل من المعركة في حالة من الإحباط والاكتئاب شديدة .

كان ظنها أنها أوفت نصيبها في « فخ السويس » : بدأت القتال في الموعد المحدد له بمقتضى اتفاقية « سيفر » ، ودفعت قواتها في اتجاه قناة السويس حتى تعطى لبريطانيا وفرنسا غطاء لتدخلهما ضد مصر بدعوى حماية القناة -

ثم إن قواتها أصبحت في النهاية وحدها في شبه جزيرة سيناء بعد قرار مصر بالانسحاب لمواجهة قوة الغزو الرئيسية البريطانية والفرنسية - ثم إنها تحملت تضحيات لاشك فيها أثناء القتال العنيف الذي دار مع القوات المصرية قبل صدور أمر الانسحاب .

ومع ذلك فإن الفارسيين الكبيرين - في حلف الفرسان الثلاثة - توقفوا عن القتال يوم ٧ نوفمبر ، ثم اضطروا إلى إعلان رضوخهما لقرار الانسحاب - ومعنى ذلك أنها وحدها المعرضة للضغط الدولي ، ولقوة مصر بعده إذا هي تشبثت بالبقاء في الأراضي التي دخلتها في ظرف بدا لها وكأنه حلم رائع من أحلام القاريخ .

إلى جانب ذلك ، فقد كانت لهجة الإنذار السوفيتي الموجهة لها - خلافا للهجة الإنذار الموجهة إلى بريطانيا وفرنسا - تحمل ليس فقط طابع التهديد ، وإنما طابع الإهانة أيضا ، فقد أشار الإنذار إلى « أن بقاء إسرائيل نفسها كدولة يمكن أن يكون موضع شك » !

وفي ذروة الأزمة - بدا لها أن الولايات المتحدة قد تعهدت لها بضمان حد أدنى من مطالبها ، وظنت أنها تستطيع الاعتماد على هذا الضمان . لكن المطالب ضاعت واحدا بعد الآخر .

كان المفروض أن يتم نزع سلاح النصف الشرقي من سيناء - ولم يحدث . وكان المفروض أن لا تعود إلى قطاع غزة إدارة مصرية أو قوات عسكرية مصرية - ولم يحدث .

وكان المفروض أن تحصل على حق مرور سفنها في قناة السويس بمقتضى ترتيبات دولية تفرض على مصر - ولم يحدث .

وكان المفروض أن تفتح الممرات البحرية أمامها في خليج العقبة - لكن هذا المطلب بدوره بدا مُعْرَضاً ، لأن مصر عهدت بهذه القضية إلى المملكة العربية السعودية بما لها من صلات خاصة مع الولايات المتحدة . وكان من المحتمل أن ينجح المسعى السعودي - ومعنى ذلك أنه بدوره مطلب آخر قد يضيع !

وهكذا كان المناخ في إسرائيل كله كثيبا وداعيا للانقباض !



تشير ملفات لجنة الأمن والدفاع في مجلس الوزراء الاسرائيلي - خصوصا ما أتيح منها بأمر من رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » للبروفيسور « مايكل

بريشر» - إلى أن صناع القرار في إسرائيل تلك الفترة كانوا يشعرون بوحدة موحشة أحسوا معها أن العالم يتخلى عنهم - مع إحساس في نفس الوقت بأن عليهم التخلي سريعا عن هذه المشاعر، وإلا فإن « الدولة في خطر » .

وبعد شهور من البحث المكثف والتفكير العميق توصلت السياسة الإسرائيلية إلى مجموعة خطوط :

١ - إن الجيش الإسرائيلي - بفضل ما أتيج له من إمداد فرنسي وبريطاني قبل المعركة واثناءها - مازال يمثل أقوى قوة ضاربة في المنطقة^(١) . ومن الآن فصاعداً ، فإن هذا الجيش لابد له أن يحصل على أولوية مطلقة في موارد إسرائيل . وكانت فرنسا على إستعداد لتوريد السلاح حتى بعد المعركة ، وربما كان ذلك في جزء منه إصراراً على حماقة العناد إلى جانب أمل في أن تستطيع إسرائيل أن تكون رادعا للحركة القومية العربية ، وبالأذات بالنسبة لامتداد هذه الحركة إلى شمال أفريقيا وفي الجزائر بالتحديد .

٢ - التركيز في القوة الإسرائيلية على الطيران ، فهو السلاح القادر على الحركة الخاطفة في أحوال المفاجآت ، وهو سلاح يتطور بسرعة ، وتزايد طاقته بكثافة من النيران يمكن نقلها في دقائق إلى أرض « العدو العربي » وإلى أعماقه البعيدة ، فضلا عن أنه سلاح لا يحتاج إلى حشد بشري كبير لامتلكه إسرائيل التي كان تعدادها في ذلك الوقت لا يزيد على مليونين ونصف المليون من البشر . ولقد كلف « شيمون بيريز » و « موشى ديان » بالحصول من فرنسا على خطط عمليات القيادة الجوية المشتركة التي قامت بتوجيه الضربة الجوية الأولى إلى مصر ، وكانت فرنسا مستعدة ليس فقط لتسليم الخطط ، ولكن لتسليم خرائط العمليات ذاتها .

٣ - إحاطة الجيش الإسرائيلي بهالة أسطورية تستند إلى تقدمه السريع في سيناء (مع إغفال حقيقة أنه لم يتقدم فعلا إلا بعد انسحاب القوات المصرية بأمر قياداتها) - لتكون من هذه الهالة الأسطورية في حد ذاتها قوة ردع نفسية تفرض الخوف في نفوس الأعداء من قبل أن يتحركوا ، وتقعدهم عن الحركة إذا فكروا فيها ، وتهز أعصابهم إذا تحركوا فتورثهم التردد الداخلي (وقد أشار الجنرال « تسفى تسور » الرئيس السابق لأركان الحرب الإسرائيلية إلى هذه المسألة ، وأبدى تخوفه منها لأنها قد تؤدي إلى ثقة متزايدة بالنفس واستهانة بالآخرين ، ثم إنها قد تؤدي إلى

(١) كلن هذا هو نفس تقدير هيئة أركان الحرب المشتركة في الولايات المتحدة طبقا لتقرير رئيسها الاميرال « رادفورد » وقد سبقت الإشارة إلى نصه في ص ٨١ .

خلق مؤسسة عسكرية تؤثر على روح إسرائيل المدنية ، وتحولها إلى مجتمع حامية عسكرية يبدد سلاحه في أوهام القوة !) .

٤ - ضرورة البحث عن حليف دولي قوى يحل محل فرنسا الأكثر إخلاصا ، وإن كانت أقل قوة - وبريطانيا التي كانت باستمرار موضع تساؤل وشك بسبب روابطها التقليدية مع القبائل الحاكمة في أجزاء متعددة من الوطن العربى .

وكان الاختيار الطبيعى هو « الولايات المتحدة » ، ولكن الولايات المتحدة كانت في ذلك الوقت رغم تعاطفها الشديد مع إسرائيل ، ترسم لنفسها سياسة عربية طموحة تحل بها محل الامبراطوريتين القديمتين - بريطانيا وفرنسا - وقد بدا بعد المعركة أن سقوط نفوذهما ووجودهما في المنطقة مؤكد ومحقق .

ومع ذلك فإن الضرورات هي الضرورات ، فليس هناك بديل للولايات المتحدة خصوصا إذا دب الخلاف بين هذه الامبراطورية الصاعدة ، وبين حركة القومية العربية التي بدت قوة كاسحة على الأرض العربية .

وإذن فالانتظار والترقب ، ووضع قواعد لجسور المستقبل .

٥ - وكان الجسر الرئيسى هو يهود الولايات المتحدة ، ويهود العالم عموما ، وهكذا فإن مسلك الاستعلاء الذى كانت الدولة اليهودية تمارسه إزاء الهيئات اليهودية الأمريكية والعالمية من قاعدة أنهم أثروا الحياة في التيه على العودة إليها ، واكتفوا بضريبة المال بديلا عن ضريبة الدم ، وبالتالي فليس لهم أن يشاركوا في رسم سياستها - راح يتواضع كثيرا ويظهر ليهود العالم أن دولتهم الموعودة تضع مصيرها أمام أعينهم بعد أن تخلى الكبار في العالم عنها - وكانت تلك فترة نوع من شبه الاندماج بين الحركة اليهودية في العالم ، وبين الدولة اليهودية في فلسطين .

وتشهد الطفرات التي طرأت على حجم المساعدات اليهودية لإسرائيل على هذه الحقيقة ، ففي حين أن ما تلقته إسرائيل من يهود العالم كان سنة ١٩٥٦ في حدود مائة مليون دولار ، فإن هذا المبلغ وصل سنة ١٩٥٧ الى خمسمائة مليون دولار .

٦ - ومد « دافيد بن جوريون » بصره إلى أبعد ، فعلى هامش تقرير أعدته وزارة الخارجية الإسرائيلية عن احتمالات التعاون مع الولايات المتحدة ، بما فيه إمكانيات الحصول على سلاح أمريكى - كتب « دافيد بن جوريون » تأشيرة قال فيها :

« ماذا عن المانيا الغربية ؟ إنهم دفعوا لنا تعويضات لكن هذا لا يكفى للتعويض عن جرائمهم ضد شعبنا أيام النازى . وهم الآن دولة قوية مرة أخرى ويصنعون سلاحا متطورا . اليس هذا مصدر آخر للسلاح يستحق الدرس ؟ » !!

ولم يكن « بن جوريون » واهما أو حالما كما تأكد فيما بعد . لقد تمت دراسة هذا الاحتمال ، وبعد سنتين وفي اجتماع عقد في فندق « والدورف استوريا » في نيويورك كان مستشار ألمانيا الغربية « كونراد اديناور » على استعداد لأن يسمع طلبات « بن جوريون » من الأسلحة الألمانية ، وكان على إستعداد كذلك - لأن يستجيب !

٧ - اعتبار القوة النووية هدفا أساسيا في الضرورات الاسرائيلية ، فهذه القوة ضمان أخير إذا عزت واردات السلاح التقليدي في يوم من الأيام ، ثم إن هذه القوة لا تحتاج إلى حشود بشرية في ميدان القتال يمكن أن تكلف إسرائيل تضحيات بالدم لا قبل لها بها ، فضلا عن أن السلاح النووي أرخص في التكلفة على المدى البعيد من سباق الأسلحة التقليدية ، فوجود سلاح نووى - حتى وإن استحاله تطويره إلى المستوى الأرقى في العالم - سلاح رادع حتى في أشكاله البدائية .

وكانت فرنسا قد أبدت استعدادها لتقديم مفاعل نووى لإسرائيل تقررته إقامته في منطقة « ديمونة » في صحراء النقب ، والآن أصبح موقع هذا المفاعل محط الآمال ومعقد الرجاء في تأمين المستقبل .

وحتى يتم إنشاء المفاعل ، فقد أقامت إسرائيل على عجل وحدة للأبحاث النووية في معهد « وايزمان » - أهم معاهد العلوم والتكنولوجيا في إسرائيل - وتوجهت بالدعوة إلى كل العلماء اليهود بأن يهرعوا إلى الوطن الموعود ليضيفوا علمهم إلى عوامل أمنه بل وبقائه . وكان أبرز الذين ذهبوا سرا في ذلك الوقت الدكتور « ادوار تيللر » وهو عالم أمريكي من أصل هنجارى شارك في صنع القنبلة الهيدروجينية ، وقد بقى « تيللر » سنتين كاملتين وراء جدران معهد « وايزمان » !

كانت هذه الوقائع لا تزال - في ظروف ما بعد المعركة - خبيئة في طوايا الغيب .



في ظروف ما بعد المعركة كان الطرف الثاني فوق إسرائيل - في سلم الضعف - هو فرنسا . والحقيقة أن « شكل » فرنسا بعد المعركة كان اغرب الاشكال جميعا . بدت فرنسا وكأنها مضاربة بحالة من « البارانونيا » وهو مرض نفسى يورث أصحابه تناقضا في التصرفات ، وتضاربا في المواقف يرتفع بحدتها ، ويهبط بها في ثوان بتأثير وساوس داخلية تستبد بالاعصاب .

وتكشف وثائق وزارة الخارجية الامريكية والبريطانية عن نماذج من السلوك الفرنسى في تلك الظروف ، وكلها يدعو إلى التساؤل فعلا عما إذا كانت هناك في باريس حكومة تفهم ما يجرى حولها ، أو تحدد في وسطه ما تريد ؟

برقية رمزية من السفير الأمريكى في باريس المستر « ديلون » إلى « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكى .

» رقم ١٥٨٠

١٢ نوفمبر ١٩٥٦ الساعة ٩،٢٥ م

ابدى لى موليه (رئيس الوزارة الفرنسية) ضيقه من إنعدام التنسيق بين القوى الغربية الكبرى ، وكان دليله في ذلك رفض الرئيس ايزنهاور لدعوة الحكومة السويسرية إلى إجتماع قمة خماسى (يضم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا تضاف إليهم الهند ممثلة بنهر ، ويكون إشتراكها فيه نيابة عن العالم الثالث) .

وقال لى موليه إن بريطانيا وفرنسا رحبتا بالفكرة ، وأن الدلائل تشير إلى أن بولجانين يتقبلها ، كما أن نهر لايمنع فيها - وأن الذى يدهشه هو رفض ايزنهاور للفكرة من أساسها .

وقال لى موليه إن الفكرة في الواقع لم تنشأ من الحكومة الفرنسية ولكن صاحبها هو المسيو منديس فرانس (رئيس وزراء فرنسا السابق الذى تمكن من حل مشكلة الهند الصينية) . وإن منديس فرانس بعث بأحد انصاره الشبان وهو المسيو هرنيو^(٢) الى برن لكى يقترح على الحكومة السويسرية أن تأخذ هى زمام المبادرة ، وتطرح هى فكرة الدعوة إلى مؤتمر قمة .

(٢) أصبح فيما بعد وزيرا للدفاع في حكومة الرئيس فرانسوا ميتران الاشتراكية .

وكان رأى رئيس الوزراء أن هذا الاجتماع ضرورى بقصد التنسيق بين الحلفاء الغربيين الكبار ، وإلا فإنهم سوف يواجهون هزيمة سياسية شاملة في الشرق الأوسط لا تقل فداحة عن كارثة ميونيخ التى استسلم فيها الغرب أمام هتلر ، ثم دفع الثمن غاليا بالحرب العالمية الثانية .

وقد ظلت كلمة ميونيخ هى الكلمة التى شاعت في حديث موليه طوال مدة لقائنا .

(التوقيع)

« ديللون »

« تقرير من السير ايفون كيركباتريك^(٣) »

رقم ٧٢ / ١٠١٥

١٥ نوفمبر ١٩٥٦

(١) قال لى المسيو جازييه إنه يريد أن يبحث معنى مسألة النظام المصرى الجديد الذى يتعين إقامته عندما يسقط ناصر . وقال إنه فهم أننا نتجه إلى صالح تشكيل حكومة من الوفد . ولكن الحكومة الفرنسية ترى أن ذلك خطأ لأن الأمور تتطلب حكومة مصرية جديدة تقوم على عناصر تقدمية .

(٢) قلت إننى لا اعتقد أننا نختلف في أهدافنا ، فنحن أيضا نرغب في إقامة حكومة ديمقراطية وتقدمية في مصر . ولكن الشيء المهم أن نتخلص من ناصر لأن أولويات المسائل لها الأولوية . ونحن لانعتقد أن هناك الآن في مصر أى شخص أو جهة تقدمية يمكن لها أن تشكل معارضة متجانسة تقوم بقلب نظام ناصر . ونحن نتصور أن الوفد هو الوحيد الذى يستطيع ذلك .

(٣) قال المسيو جازييه إنه يظن انه يستطيع أن يفهم موقفنا ، فنحن من أنصار الوفد ، ليس على أساس عقائدى ، ولكن لأننا نعتبر الوفديين هم اقرب العناصر التى يمكن أن تنجح في إسقاط ناصر . وقد امنت على فهمه ذلك قائلا : إن ذلك بالضبط موقفنا .

(التوقيع)

« ايفون كيركباتريك »

وفي اليوم التالى توجه المسيو « جازييه » إلى مقابلة رئيس الوزراء البريطانى « أنتونى ايدن » وتحدث إليه في حضور السير « ايفون كيركباتريك » والكومندر

(٣) صورة من التقرير في الملحق الوثائقى لهذا الكتاب ص ٨٠١ رقم (٧) وللانصاف فليس هناك في الوثائق دليل على أن قيادة الوفد في مصر ، وبالذات مصطفى النحاس (باشا) - كانت على علم بنوايا وخطط بريطانيا .

« نوبل » ثم أُنضم إليهم بعد قليل وزير الدفاع البريطاني « أنتوني هيد » وفي هذا الاجتماع - وطبقا لتقرير صادر عن رئاسة مجلس الوزراء موجه إلى وزير الخارجية للعلم والإحاطة - فإن المسيو « جازيه » أثار مع « ايدن » كل الموقف في الشرق الأوسط برمته ، وجاء في الصفحة الخامسة من هذا التقرير ما نصه :

« إن المسيو جازيه قال لرئيس الوزراء إن الحكومة الفرنسية منهيكة الآن في إعادة النظر في كل أوضاع الشرق الأوسط بعد سقوط ناصر الذي تشير كل معلوماتهم في القاهرة إلى أن نظامه على وشك الانهيار . وطبقا لما نقله المسيو جازيه ، فإن الحكومة الفرنسية ترى أن سوريا قد أصبحت عميلا للاتحاد السوفيتي ، وقد يكون من المناسب الآن السماح للحكومة العراقية بالاستيلاء على سوريا ، كما كانوا يرغبون دائما . »

وإذا تم ذلك ، فقد يكون من الضروري تقديم تعويض لإسرائيل في مقابل ظهور دولة عربية جديدة وقوية .

وفي هذه الحالة ، فإن المملكة الأردنية يمكن أن تزول من الوجود حتى يتسنى لإسرائيل أن تحصل على أجزاء من الضفة الغربية للأردن^(٤) .

وقال جازيه أيضا إن الحكومة الفرنسية ترغب في أن تكون على علم بسياساتها ، وهم يرحبون بأي مقترحات لنا في هذا الصدد . »

وفي يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ أقام السفير البريطاني في باريس السير « جلادين جيب » غداء عمل للوزير الفرنسي « جوكس » حضره معه المسيو « دو بروي شانيل » ودارت فيه مناقشات لخصها الوزير المفوض البريطاني في سفارة باريس المستر « بيت » - في تقرير إلى وزارة الخارجية جاء فيه ما يلي :

« إن سعادة السفير أعطى للجانب الفرنسي معلومات عما حوته برقية السير ايفون كيركباتريك بتاريخ ١٦ نوفمبر بشأن ما فعلته الحكومة البريطانية ونواياها للإساءة لسمعة ناصر إن مسيو جوكس أبدى تقديره لجهودنا ، واقترح النقاط التالية لخطوط الدعاية الفرنسية والبريطانية ضد ناصر .

(أ) إن قيادة القوات المتحالفة هي التي قضت على سلاح الطيران المصري ، وإن هذا الجهد كان منفصلا تماما عن عمل الجيش الإسرائيلي .

(ب) إن ناصر قد هزم هزيمة ساحقة ، ولم يعد في استطاعته أن يتظاهر بأنه الزعيم الطبيعي للمجموعة العربية ، وإن « الخلافة » التي كانت القاهرة تطمح إليها بين المسلمين لم تعد أمامها فرصة .

(٤) نلاحظ الإشارات المتكررة للضفة الغربية في مطالب إسرائيل .

(ج) إن ناصر تصرف في الازمة كلها من اولها إلى آخرها كدمية في يد الاتحاد السوفيتي .

(د) إن ناصر فتح باب الشرق الأوسط للاتحاد السوفيتي . وهذا معناه انه مكن للنفوذ الروسى في منطقة بالغة الحساسية بالنسبة لمجموعة الدول الإفريقية الآسيوية ومجموعة باندونج .

(هـ) إن استراتيجية ناصر هي إستراتيجية طاغية . وهو لم يحاول الدفاع عن الأراضى المصرية ، وإنما سحب القوات مثل أى حرس بريطورى الى مشارف العاصمة لكى تحمى شخصه .

ثم انتقل الحديث إلى سوريا ، وقال المسيو « دو بروى » إن سوريا مفتاح الموقف في الشرق الأوسط ، والاتحاد السوفيتي يحاول الحصول على هذا المفتاح ، ولا بد من تغيير الأوضاع في سوريا ، ولكن المشكلة أن الحكومتين البريطانية والفرنسية لاتستطيعان أخذ المبادرة في هذا الموضوع بعد عملية السويس ، ولهذا فإن رأى وزارة الخارجية الفرنسية فيما يتعلق بسوريا هو التعاون مع الولايات المتحدة في خطة إسقاط النظام الحالى في سوريا ، وإقامة حكومة بديلة ، وأنه ليس هناك في هذا الصدد سوى احتمالين ، إما أن يعود الشيشكى بانقلاب إلى السلطة ، وإما أن يدخل العراق بقواته لاحتلال سوريا وضمها إلى العراق .



كانت الحكومة الفرنسية في باريس مستغرقة بالكامل في عوالم من الوهم صنعتها لنفسها ، فقد كانت منهمكة في التخطيط للشرق الأوسط بأكمله وكأنها تحاول أن تدير بصرها عن الهزيمة الساحقة التى لحقت بها في مصر .

والهرب إلى الأوهام ظاهرة طبيعية ، وحجم الأوهام التى يستغرق فيها أى طرف يتناسب في العادة مع إحساسه الدفين في أعماقه بحجم ما لحق به ، وما تمنى أن يداريه عن الآخرين ، وأن يخفيه في نفس الوقت عن وعيه .

لكن فرنسا ما لبثت أن استيقظت على ما يشبه لسعة قطعة من الجمر ، فقد بدأت الولايات المتحدة تتحرك في شمال أفريقيا بادئة من تونس .

كانت الولايات المتحدة على علاقة قديمة بالزعيم التونسى « الحبيب بورقيبة » وكان القنصل الأمريكى في تونس هو الذى تولى تهريبه من العاصمة الفرنسية قبل أن تلقى القوات الفرنسية القبض عليه . ولجأ « بورقيبة » الى مصر .

ولم يكن لقاءه الأول مع مصر مرضيا له ، ولم يكن يكف عن رواية قصة مجيئه إليها لاجئا ، وظل يردد لها حتى أواخر أيام حكمه .

ولم يكن « بورقيبة » يخفى أن القنصل الأمريكى هو الذى رتب له الهرب ، وأنه أعطاه مبلغا من المال يصرف منه حتى يصل إلى القاهرة^(٥) ، وأنه نصحه أن يسعى لمقابلة السيد « عبد الرحمن عزام » (باشا) الأمين العام للجامعة العربية . وجاء « بورقيبة » إلى مصر ، ويبدو أن إقامته فيها لم تكن على هواه ، بل إنها أصابته بعقد متشابكة .

وقضى « بورقيبة » سنوات في مصر ثم تفاوض مع فرنسا وعاد ، ولكن الولايات المتحدة بدأت من وراء ظهر فرنسا ترتب علاقاتها به .

ثم كانت المفاجأة سنة ١٩٥٧ وإذا بباريس تتلقى خطابا من الرئيس « ايزنهاور » موجه إلى رئيس الوزراء الفرنسى « جى موليه » يقول فيه :

« إن الحكومة الفرنسية وعدت الرئيس بورقيبة بإمداد تونس بالسلاح الذى يكفل لها إمكانية الدفاع عن نفسها في ظروف صعبة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا - وحتى الآن فإن الحكومة الفرنسية لم تف بما وعدت تونس به . إننا نخشى أن يحاول الرئيس بورقيبة الحصول على الأسلحة من مصادر شرقية ، وفي نيتي إذا لم تف الحكومة الفرنسية بوعودها أن تقوم الولايات المتحدة بتقديم بعض الأسلحة إلى الحكومة التونسية . »

ويكتب السفير الأمريكى في باريس أن رئيس الوزراء الفرنسى قال له : « إن الرئيس ايزنهاور يهددنا . إنه يضع المسدس قرب جبهتي ، ويقول لي إما أن تقدموا السلاح لبورقيبة - وإلا » . ثم يضيف : « إنني لا أستطيع أن أتصرف تحت التهديد » .

(٥) كان « بورقيبة » يروى قصة مجيئه إلى مصر (وقد سمعتها منه بنفسى عدة مرات) على النحو التالي : « وصل إلى مرسى مطروح وهناك أمسك به أحد ضباط الحدود المصريين ، وسأله عن اسمه وعن هويته ، وذكر له « بورقيبة » اسمه وقدم له تذكرة مرور أعطاها له القنصل الأمريكى في تونس ولم يقتنع ضابط الحدود المصرى ، وقرر احتجاجا « بورقيبة » حتى يتمكن من سؤال القاهرة ، وكان مما ضايق الزعيم التونسى أن الضابط المصرى تندر على غرابة اسمه ، وحاول « بورقيبة » أن يشرح له أن « بورقيبة » تصغير لاسم « بورقيبة » وإذا بالضابط المصرى يقول له ساخرا إن الاسم مازال مثيرا للضحك . وتضيق الزعيم التونسى وسأل الضابط : « ألم تسمع اسمي من قبل أبدا ؟ » وأكد له الضابط المصرى أنه لم يسمعه ، وانفجر « بورقيبة » يقول له « إنني سعد زغلول تونس » وإذا بالضابط المصرى يقول : « تفضل إلى الحجز يا سعد زغلول » .

واتصل الضابط بقيادته في القاهرة ، واتصلت قيادته بـ « عزام » (باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية الذى طلب إذا - « بورقيبة » بالدخول إلى مصر ، وتولى سلاح الحدود نقل « بورقيبة » ، الذى وصف مشاعره عند الوصول إلى القاهرة بقوله : « توقعت أن تقابلنى الجماهير على الصفين باللورود والرياحين هاتفة بحياتى ، ولكنى دخلت القاهرة في سيارة حرس حدود ، ثم قضيت الليلة في قيادة السلاح نائما على مكتب لانه لم يكن هناك سرير لي » .

ولم يكن رئيس وزراء فرنسا يدرك ساعتها أنه مهدد ، وأن التهديد الزاحف نحوه ليس من مسدس أمريكي ، وإنما من مدافع فرنسية وجهها القائد العام الفرنسي في الجزائر الجنرال « شال » حين أعلن تمرده على باريس .

وسقطت الجمهورية الرابعة كلها . وتقدم إلى الساحة رجل الساعة في فرنسا : الجنرال « شارل ديغول » يعلن قيام الجمهورية الخامسة .

وخرجت فرنسا مؤقتاً من لعبة الصراع على الشرق الأوسط في الإطار الذي كانت تدور فيه وقتها ، لأن رجل الساعة الجديد كان يفكر في إطار آخر .



الإمبراطورية البريطانية - ثالث الفرسان وأكبرهم في مؤامرة السويس -
ظاهرة فريدة في التاريخ ولعلها من أكثر مصادقاته استحقاقا للدراسة في نشوء الإمبراطوريات وزوالها ، فالشعب البريطاني يملك مواهب إنسانية تستحق التقدير والاحترام ، ولكنه لا يملك الوسائل الإمبراطورية أو مواردها البشرية والاقتصادية ، وبالتالي العسكرية ، ثم إن موقعه الجغرافي على خريطة العالم يباعد بينه وبين مواقع السيطرة المتحكممة ، أو القدرة على التحكم ، كما كان الحال بالنسبة للإمبراطورية المصرية القديمة ، أو الإمبراطورية الرومانية في العصور القديمة ، أو إمبراطوريات الامويين والعباسيين في العصور التالية لظهور قوة الإسلام .

ولعل قيام الإمبراطورية البريطانية يرجع - ضمن عوامل أخرى بالطبع - إلى عبقرية استغلال الفرص السانحة في التاريخ ، فقد كانت الظروف التي نمت فيها هذه الإمبراطورية واستفحل أمرها ترجع بالدرجة الأولى إلى انشغال القوى الأخرى المرشحة للإمبراطورية بمشاكلها الداخلية وثوراتها الفكرية والاجتماعية ، وحروبها مع جيرانها ومنافسيها ، واستنزافها لنفسها - فإذا ببريطانيا قبل أن يتنبه الآخرون تسود على قارات بأكملها ، وتسيطر على أقدار بحار من البشر يكاد يصل عددهم إلى

أكثر من مائة مرة عدد سكان المركز المسيطر ، كان هذا دون أن تدخل حربا حقيقية تتأكد من خلالها سيادتها المطلقة على العالم .^(٦)

وربما كانت هناك ثلاثة عوامل بالتحديد ساعدت وساندت أولها اضطراب بريطانيا إلى استيعاب أسرار البحار بحكم عزلتها كجزيرة ، والثاني أن ما حصلت عليه من النهب الاستعماري الأول تصادف مع بداية عصر البخار ، ومن ثم ساعد على بناء قاعدة صناعية ، وأما الثالث فقد كان التمرس بفنون بناء التحالفات والتوازنات المؤقتة والدائمة ، وهو ما عبر عنه « دزرائيلي » رئيس وزرائها في ذروة العصر الفيكتوري بقوله : « إن بريطانيا ليست لها صداقات دائمة ، وإنما لها مصالح دائمة » .

وهكذا فإن الإمبراطورية البريطانية بدأت تفقد مركزها في أواخر القرن التاسع عشر بطريقة شبيهة آلية عندما بدأ ظهور القوى المرشحة طبيعيا للدور الإمبراطوري بحكم اتساع الموارد البشرية والاقتصادية ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا .

ولقد استطاع التحالف مع الولايات المتحدة أن ينقذ الإمبراطورية في الحرب العالمية الأولى ، ولما تكررت القصة في الحرب العالمية الثانية لم يعد في مقدور أحد إنكار الحقائق ، وإن ظل الاعتراف بها صعبا على الذين عنتهم الحقائق مباشرة وتعنيهم ، وأولهم على وجه التأكيد سياسة الإمبراطورية وأساطينها . ولعل أشهرهم وهو « ونستون تشرشل » كان أصدقهم في التعبير عن واقع الحال ، وعن صعوبة الاعتراف به في نفس الوقت ، وذلك حين كتب لصديقه « فرانكلين روزفلت » الرئيس الأمريكي الذي شاركه ثم تصدر بعده لقيادة الحرب العالمية الثانية يقول له :

« إن صاحب الجلالة الملك لم يخترني رئيسا لوزرائه لكي أشرف على تصفية الإمبراطورية »

ولم يكن أى قدر من المكابرة يجدى أمام حقائق التاريخ وضروراته ، فقد كانت عملية تصفية الإمبراطورية تجرى فعلا ، وكانت أكبر خطوة على هذا الطريق هي اضطراب حكومة العمال برئاسة « كليمنت أتلي » وفي أعقاب الحرب العالمية مباشرة إلى التسليم باستقلال الهند . ومع ذلك فإن « تشرشل » عندما عاد إلى الحكم كان لا يزال يكابر ، وتسجل المحاضر السرية لمؤتمر برمودا الذي عقد على مستوى القمة بينه وبين

(٦) من المفارقات الغربية في تاريخ الإمبراطورية البريطانية أنها لم تدفع بالدم ثم قيامها ، ولكنها دفعت بالدم ضرائب تصفيتها من خلال حربين عالميتين (١٩١٤ - ١٩١٨) ثم (١٩٣٩ - ١٩٤٥) .

الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور »^(٧) حجم الاسى الذى كان يشعر به « تشرشل »
إزاء ضياع الإمبراطورية .

كان الحديث كما تروى الصفحة العاشرة من محضر الاجتماع الخاص المغلق
بين « ايزنهاور » و « تشرشل » يدور حول مصر . وإذا « تشرشل » يقول فجأة :

« إن الإمبراطورية البريطانية هى أعظم ظاهرة عرفها التاريخ . وبصرف النظر عن
كل ما يقوله الآخرون ، فإن « الاستعمار » رسالة إنسانية تستحق عرفان البشر
جميعا وتقديرهم لفضلها . وإنه لمن السخف أن يفكر أحد فى منح الاستقلال لشعوب
لا تستطيع ، وليست مؤهلة لإقامة حكومات مستقلة » .

ثم استطرد وصوته يتهدج (طبقا لوصف المحضر) :

« إن التاريخ سوف يسجل أن بريطانيا تخلصت عن واجبها فى الهند ، وأن هذه كانت
أكبر حماقة ارتكبت خلال العقد الأخير . إننى لن أعيش شخصا لكى أرى النتائج
التي سوف تترتب على هذه المأساة ، ولكن هناك غيرى حول هذه المائدة سوف
يعيشون ليروا حجم الكوارث والأحزان التي تنتظر العالم الغربى نتيجة لتراجع
الإمبراطورية » .



كان « تشرشل » لا يزال حيا حين تحولت الإمبراطورية الى حطام فى معركة
السويس ، ومن المبالغة أن يقال إن مصر هى التى حطمت الإمبراطورية البريطانية فى
السويس ، ومع ذلك فإنه ليس من قبيل المبالغة أن يقال إن مصر هى التى وجهت
الضربة القاضية إلى الإمبراطورية فى السويس .

وربما كان أكثر ما سهل على مصر توجيه ضربتها القاضية الى الإمبراطورية هو
أن الساسة والقادة الذين ألت إلى أيديهم المسؤولية فى لندن كانوا غير قادرين على
الاعتراف بالحقائق الجديدة ، ولقد كانت أمامهم لكنهم كانوا خائفين من النظر إليها
واستخلاص معانيها .

إن قراءة مجموعة المحاضر السرية لاجتماعات مجلس الوزراء البريطانى طوال
سنة ١٩٥٦ - قبل المعركة وبعدها - تقدم صورة بائسة لأوهام القوة ، حين يفكر
الأطراف بأكثر مما تحتمله قدراتهم ، ويخططون بأوسع مما تصل إليه إمكانيات القوة
المتاحة لهم خصوصا إذا كانوا قد فقدوا أيضا - ضمن ما فقدوه - براعة صنع
التحالفات والتوازنات ، ونسوا الحكمة القائلة بأن « الصديق السئ ليس عنده

(٧) مؤتمر القمة فى برمودا - شهر ديسمبر ١٩٥٣ .

ما يقدمه غير التوريط - وكان هذا بالضبط ما حدث لبريطانيا من صداقة فرنسا وإسرائيل خلال رسم خطط التواطؤ في السويس^١



وتقع المعركة ، ثم تنتهى . ويعقد مجلس الوزراء^(٨) اجتماعا يوم ٩ يناير ١٩٥٧ الساعة ٥ مساء في مقر رئيس الوزراء ١٠ داوننج ستريت .

قال السير « أنتوني ايدن » (رئيس الوزراء) - « إنه يأسف إذ يضطر لإبلاغ زملائه أنه غير قادر على الاستمرار في الاضطلاع بمسؤوليته ، فبعد فترة الراحة التي حصل عليها قبل الكريسماس بناء على نصيحة الأطباء ، كان يأمل أن يسترد عافيته بما يسمح له أن يواصل عمله لفترة طويلة إلا أنه وجد أنه بحاجة إلى استشارة طبية أخرى . ووصل الأطباء الأربعة الذين استعان بهم إلى رأى إجماعى مؤداه أن صحته لم تعد تمكنه من الاستمرار في تحمل عبء العمل كرئيس للوزراء . وقد قرر على أساس ذلك أنه ليس أمامه بديل عن الاستقالة ، وأنه قد أبلغ الملكة بما استقر رأيه عليه عندما قام بزيارة قصر « ساندرينجهام » في اليوم السابق . وأنه سيقدم استقالته الى جلالة الملكة رسميا عند استقبالها له بقصر « بكنجهام » في وقت لاحق من نفس المساء . . »

وكان أمام المجلس جدول أعمال مهين ، فقد عرض عليه « ماكميلان » تفاصيل الحالة الاقتصادية التي وصلت إليها بريطانيا نتيجة للمعركة ، وإذا هي تتطرق الى خفض نفقات تكاليف العلاج الطبى بما فى ذلك ضغط تكاليف الإنفاق على مستشفيات الأمراض العقلية !

وفي اليوم التالى عهدت الملكة إلى « هارولد ماكميلان » وزير الخزانة مع « ايدن » - بأن يتولى رئاسة الوزارة الجديدة .

وكان أول ما طلبه رئيس الوزراء الجديد تقريراً عن شخصية « جمال عبد الناصر » فهو يريد أن يعرف أكثر عن الرجل الذى يتحتم عليه الآن أن يواجهه .

وكان السير « همفرى تريفلان » السفير البريطانى فى مصر وقت وقوع العدوان قد فرغ لتوه من إعداد تقرير طلبه منه وزير الخارجية « سلوين لويدي » (الذى بقى فى نفس منصبه مع « هارولد ماكميلان ») .

وليس هناك شك فى أن السير « همفرى تريفلان » كان من أذكى الدبلوماسيين

(٨) محضر هذه الجلسة منشور بالكامل فى الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (٨) ص ٨٠٢ .

البريطانيين في زمنه ، ولكنه من الواضح أنه تحت ضغوط الأحداث ، وفي الظروف الحرجة بعد المعركة راح يداور في إبداء رأيه كتابة في « جمال عبد الناصر » ، ولعله وقع في الخطأ التقليدي لبعض الدبلوماسيين حين يكتبون لرؤسائهم ما يريد هؤلاء الرؤساء أن يسمعوه خصوصا إذا كانت الكتابة في مناخ عداوة وصل إلى حالة الحرب فعلا .^(٩)

ويأتى تقرير « همفري تريفلان » عن شخصية « جمال عبد الناصر » في الوثيقة رقم ٩٧ / ١٠١٥ .

ويمضى على النحو التالى :

« سيدى

□ الرسالة التالية التى تحوى بعض الأفكار عن شخصية جمال عبد الناصر هى خلاصة ما استكملته في القاهرة .

□ لقد سبق لرئيس الوزراء ، ولكم ، ولوزير الدولة لشئون الحرب ، ولوزير الخارجية ، وبعض الأشخاص ممن سيطلعون على هذه الرسالة ، أن عرفوا عبد الناصر لفترة أطول مما عرفته . غير أن عبد الناصر شخصية معقدة ، وقد تغير تغييرا كبيرا في السنوات الأخيرة . وقد يكون من المفيد أن أسجل بعض الملاحظات التى تحوى إنطباعاتى عنه ، وهى مستمدة من لقاءاتى المتعددة معه في الفترة بين أغسطس ١٩٥٥ ويونيو ١٩٥٦ . وحتى خلال فترة اتصالاتى المتعددة معه لاحظت بعض التدهور في حالته . وقد أخبرنى أشخاص ممن عرفوه خلال بضع سنوات أنه قد تغير في الفترة الأخيرة تغييرا ملحوظا الى الأسوأ .

□ وتتمثل قوته أساسا في الثقة الكاملة بالنفس ، ودرجة عالية من المرونة ، والشجاعة ، والسيطرة على الأعصاب ، والاستعداد لاقتحام المخاطر الكبيرة ، والمهارة التكتيكية الكبيرة ، والارتباط العنيد بأهدافه الأصلية . وجانب الضعف الأساسى لديه هو الافتقار إلى التعليم والخبرة بالعالم

□ تجلت مهارته التكتيكية وكفاءته التنظيمية وقدرته على الصبر ، بأجلى صورة ، في أنشطته الثورية وفيما تلا ذلك من علاقاته مع اللواء نجيب ، وأعضاء مجلس الثورة الجامحين . وقد كان في المحيط الذى يتألف معه تماما في الأيام الأولى السابقة للثورة وبعدها . فهاتان هما مرحلتا حياته اللتان يجب أن يطيل الحديث عنهما . فإنشاء شبكة من العناصر الموالية في المنظمات المعادية ، والسرية الكاملة التى من الواضح أنه يعشقها لذاتها ، والتحضير الطويل الذى كان من المقرر أصلا أن

(٩) إن الذى يدعونى إلى هذا الاستنتاج هو معرفة وثيقة بالسير (اللورد فيما بعد) « همفري تريفلان » ولقاءات طويلة معه استمرت إلى ما بعد اعتزاله وفرغه للعمل رئيسا لمجلس أمناء المتحف البريطانى . وكانت آراؤه وذكريات تجربته مع « جمال عبد الناصر » أشد ما تكون اختلافا عن هذا التقرير .

يستمر حتى سنة ١٩٥٥ ، ثم التنفيذ السريع للخطة في النهاية ، والمناورات الملتوية لجعل اللواء نجيب يفرط في الاعتداد بنفسه حتى يمكن سحقه بلا مخاطرة ، كانت هذه هي الموضوعات التي حدثني عنها ساعات طويلة باستمئاع غير أننا نخطئ إذا رسمنا صورة منظم المؤامرات الصبور الهادئ الذي لا يفقد أعصابه أبدا . فعبد الناصر يفقد أعصابه أحيانا ، ويتخلى عن هدوئه وصبره بصورة غير متوقعة . وقد حدثت حالات كثيرة من هذا القبيل حتى بعد مجيئى إلى القاهرة . ففى خريف ١٩٥٥ ، يقال إنه لولا تدخل زكريا محيى الدين لقم اتخاذ تدابير متعجلة وغير مدروسة ضد الولايات المتحدة ، نتيجة لتوقعات عبد الناصر بشأن الرسالة التي حملها اليه جورج آلن عن صفقة الأسلحة الشيوعية . وفى ربيع ١٩٥٦ اتخذ عبد الناصر قرارا متعجلا وغير حكيم بالاعتراف بحكومة الصين الشيوعية ، لم يكن كما يبدو إلا نتيجة للمخاوف التي غذاها لديه الروس بأن تقوم الأمم المتحدة بفرض حظر على توريد الأسلحة . وخطاب عبد الناصر فى مسطرده عقب سحب العرض بتمويل السد العالى ، وأجزاء كثيرة من خطاب ٢٦ يوليو الشهير الذى أعلن فيه التاميم ، هى نماذج واضحة على فقدده لأعصابه ونيطرته على نفسه ، مما كان سببا فى أضرار شديدة أصابته . ولكنه أردف ذلك بإبداء قدرة غير متوقعة على الصبر خلال الشهور التالية ، كان سببها الاعتقاد بأن الغرب يتحين فرصة يبرر بها التدخل بالقوة المسلحة .

□ ولا اظن أنى بحاجة إلى القول بأنه لا يلتزم الصدق دائما . فهو عندما يكون مطمئنا إلى أن الحقيقة لن تكتشف ، لا يتردد فى الكذب المباشر ، كما فعل مع المسيو بينو فى القاهرة عندما قال : إن المصريين لم يعودوا يدرّبون الثوار الجزائريين ، او يمدوهم بالسلاح . وهو كثيرا ما يلجأ إلى إستخدام الحذف أو الإيحاء حتى لا يكون هناك شئ ثابت ضده ، ويحرص على ألا يقول شيئا يمكن أن يثبت فيما بعد أنه لم يكن صحيحا . فعلى سبيل المثال ، فقد نفى لى أنه يهاجم مواقفنا فى عدن والبحرين ، بأن قال . إنه ليست لديه منظمة فى أى من البلدين ، تاركا لى أن استنتج أنه لا يساعد أعداءنا فى تلك المناطق بغير ذلك من الوسائل . ومن عاداته الأخرى المألوفة أن يعلن على الملأ أشياء يعرف أنها ليست صحيحة ، مثل القائمة الفرنسية بالأسلحة البريطانية التي قيل إنها وردت إلى إسرائيل^(١٠) ، وقد استخدمها فى ١٩٥٥ فى وقت إعلان صفقة الأسلحة الشيوعية . ومن أساليبه أيضا أن يذكر قاعدة عامة مثل القول بأنه لا يهاجم المواقع البريطانية فى الشرق الأوسط ، ثم يبرر أو يستثنى هجمات بعينها فى مناطق محددة ، مثل العرض الذى قدم للأردن بدعوى أنه سمع أن البريطانيين يهددون بسحب دعمهم لها ، او يبرر حملات الدعاية بأنها ناتجة عن عدم تنفيذ المسؤولين فى الإذاعة لسياسته المعلنة ، او أنها نتيجة لخطأ فى الإبلاغ .

(١٠) إن الوثائق تثبت أن كل الأمثلة التي استعملها « تريفلان » فى التدليل على خداع « عبد الناصر » كانت هى الخداع وليس العكس . والغريب أن « تريفلان » كان يكتب وهو يعرف الحقيقة ويكتب أيضا لمن يعرفون الحقيقة ، لكنه يظهر أن فنون الدبلوماسية تغلب أصحابها حتى على أنفسهم !

□ وهو متفوق في حيك المؤامرات ، ومن اوضح خصائصه الشك والاسترابة . وذلك امر يعترف به ببساطة . وقد حاولت يوما ان اقنعه بأنه يستطيع ان ينجز قدرا اكبر اذا ما أبدى قليلا من الثقة بالآخرين ، ولكنه قال إنه غير قادر على ذلك ، وذكر أنه تأمر في الخفاء لفترة طويلة بحيث أصبح يفكر بالأسلوب التأمري ، وأنه شديد الشك في كل إنسان . وريته تمتد إلى رجاله أنفسهم . وقد أخبرني أن العملاء الأجانب لا يستطيعون أن يحصلوا على شيء من الدائرة المباشرة المحيطة به لأنه لا يكتب أبدا شيئا بخط يده . وقال إن الدكتور فوزي هو الشخص الوحيد الذي يثق به في وزارة الخارجية ، وأن نحو نصف العاملين في الخارج من وزارة الخارجية ليسوا موالين للنظام . وقد زادت هذه العادة المتأصلة فيه من صعوبة تعاملنا معه .

□ وعبد الناصر ، سواء بوعي ، أو بغير وعي ، يعاني من انفصام واضح في الشخصية ، وهي حالة عقلية يبدو أنها تتملك عددا من المصريين ، كما أنها منتشرة في الأنحاء الأخرى من العالم العربي . ويبدو أنه لا يدرك ، أو يتظاهر بأنه لا يدرك ، أن بعض الجهات يمكن أن تقارن بين صوته وأن تحكم عليهما معا . ففي بداية مارس مثلا ، أخبركم بأنه لن يهاجم المواقع البريطانية خارج مصر . ولكن لم تكد تمضي أيام قليلة حتى انضم إلى الملك سعود ورئيس سوريا في تقديم عرض علني للأردن لمنحها دعما يحل محل الدعم البريطاني ، ويهدف بوضوح إلى تعويض مركز بريطانيا في الأردن . ولم يمض أسبوعان على زيارتك حتى كانت دعايته في الإذاعة قد عادت إلى مهاجمة مواقعنا . وبعد أسابيع قليلة كان يذكر لأحد المراسلين الأمريكيين أنه لم يصدقكم عندما ذكرتم له أننا لانحاول فصل السودان عن مصر . وفي أثناء احتفالات الجلاء كان يعد بصداقة بريطانيا ، ويعلم في نفس الخطاب أن سياسته هي تحرير العالم العربي من المغرب إلى بغداد ، وهو يعلم تماما أن معنى ذلك تصفية مواقعنا السياسية الخاصة في المنطقة . ولو كان هذا المسلك لا يصدر إلا عن مناورات تتسم بالنفاق من جانب سياسي بارع ، لكان من الأيسر التعامل مع عبد الناصر ، لكن انطباعي أنه وإن كان عبد الناصر يميل إلى أن يظهر غير ما يبطن ، فإنه كان يستطيع أن يحقق نجاحا أكبر في التوفيق بين صوته إذا كان على وعي تام بالتناقض بينهما . ويبدو أن حججه كانت تمضي بينه وبين نفسه على النحو التالي : الحرية والاستقلال مطلبان سليمان . إنجاز الوحدة العربية واجب ضروري . والإسراع باستقلال الأراضي الخاضعة لبريطانيا ، وزيادة نفوذ مصر وقوتها في العالم العربي هو تطبيق لهذين المبدأين . فإذا سقطت خلال ذلك التأكيدات التي يعطيها لنا فإنها خسائر لها ما يبررها وتستلزم منا التفهم لا الإنكار .

□ وهو لا يخفى أنه نهاز للفرص . ومن عباراته الماثورة أن يقول : « الواقع أنه ليست لدى خطة » . ويرى الغرب فيه ، وله كل الحق ، دكتاتورا طموحا مخادعا متعطشا للسلطة ، وعلى استعداد لاستخدام أي شكل من أشكال الخداع لتحقيق أهدافه . وهو بالتأكيد مدرك تماما لهدفه في الاحتفاظ بقوته ومضاعفتها على حساب

الغرب سواء داخل مصر أو خارجها وقد ركز بالتدريج كل سلطات الحكم بين يديه . ولكن يبدو في الوقت نفسه انه مقتنع بأنه مبعوث العناية الإلهية لإيقاظ القومية العربية وفي اعتقادي أنه متدين حقا ومؤمن بالقدر . ولديه فكرة غير ناضجة بأنه مكلف برسالة مقدسة ، وأن الله القادر تعالى اختاره حاميا « لقافلة الحرية » . ألم ينقذه الله القادر من القتل مرتين ، مرة من أن يكون قتيلا في الاسكندرية ، ومرة من أن يكون قاتلا ؟ ولعلكم تذكرون الحكاية الغربية التي يرويها في « فلسفة الثورة » عن محاولة القتل التي قام بها ، والآخر الذي تركته في نفسه صرخات زوجة الرجل الذي كان سيصبح الضحية وقد وصف لي يوما بالتفصيل هذه الواقعة ، وكيف أنه قضى الليلة كلها يصلي لله شكرا لأنه لم يقتل الرجل . ولم تكن تلك نوبة هستيرية ، بل شعرت في ذلك الوقت بأن إعتقاده بتدخل قوة عليا كان صادقا ومخلصا . ومن الأضواء الجانبية الطريفة على شخصيته أن الشعور بأنه كان مخطئا من الناحية الأخلاقية في محاولته للقتل لم تمر بذهنه على الإطلاق .

□ وفي المجموع فإنه دكتاتور ثوري عدواني ، يخلق المتاعب في كل أنحاء الشرق الأوسط بدلا من أن يحذو حذو بطله القديم المتزن ، مصطفى كامل ، ويعمل على إقناع الدول الكبرى بأنه مهتم بتنمية بلده أكثر من إهتمامه بالمغامرات الخارجية . ويبدو أن وسائله المفضلة هي تهريب الأسلحة ، ووضع الخطط المحكمة للتخريب ، وخلق متاعب لاتنتهي يستخدم فيها كل وسائل الخداع . ويبدو أنه عاجز تماما عن ممارسة ضبط النفس بقدر معقول . وقد طلبت من نهر أن ينصحه قبل كل شيء بالتزام قدر من الهدوء وعدم التعجل ودفع الأمور طوال الوقت ، ولكن ليس هناك ما يوقف حركته المستمرة وميله الدائم الى المغالاة والإفراط ، مما زج به وببلاده الى المازق الحاضر . وقد صحب ذلك إستعداد للمخاطرة يصل إلى حد الاستهتار . وقد قالت لي السيدة عبود ، تلك المرأة الاسكتلندية القوية ، في وقت مبكر عند وصولي إلى هنا : « إن ذلك الشاب له شجاعة الشيطان » . وفي شهر مايو الماضي قال لي : « إنكم لاتستطيعون أن تمارسوا معنى سياسة البوارج الحربية كما فعلتم مع فاروق . فليس لدى عرش ولا منصب وراثي ولا ثروة » . وفي أكتوبر كان يتباهى بقوله : « إنه إذا هوجم ، فإنه سيفعل ما فعله شمشون ، ويدمر أعمدة المعبد . وأنه أستعد لمقابلة الهجوم بتشكيل منظمة فدائية ستقوم ، خلال أربع وعشرين ساعة ، بقتل أى رئيس للجمهورية ، أو رئيس للوزراء تنصبه بريطانيا . وفي التحليل الأخير فإن خصائصه الغالبة هي خصائص المقامر والمغامر .

□ وإننى أرسل صورا من هذه الرسالة إلى ممثلى جلالة الملكة في واشنطن وباريس ، وإلى الضباط السياسى الملحق بقوات الشرق الأوسط في قبرص . ويشرفنى ياسيدى ان اكون خادمكم المطيع .

(توقيع)

همفرى تريفلينان

ويبدو أن تقرير السير « همفري تريفلان » عن شخصية « جمال عبد الناصر » لم يعط « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء الجديد شيئاً يمكن أن يتخذه أساساً لرسم سياسة جديدة ، وهكذا بدأ يسأل عن « احتمالات التغيير » في مصر ، وراح الخبراء الذين يعرفون مصر ويستطيعون التنبؤ بمجريات الأمور فيها يكتبون تقاريرهم للعرض على رئيس الوزراء .

وكان أهم هؤلاء الخبراء هو المستر « جارفى » الذى عمل طويلاً مساعداً للمستشار الشرقى فى السفارة البريطانية ، ثم رأس لجنة التنسيق الخاصة بين وزارة الخارجية وإدارات المخابرات السرية - وكتب « جارفى » تقريراً عن احتمالات التغيير فى مصر برقم ١٠١٥ / ١١٦ جاء فيه :

« ١ - لانتعتمد الآراء الواردة فى هذه المذكرة على أكثر من المعرفة الظاهرة بالشؤون المصرية ، بالإضافة إلى الشواهد التى أمكن جمعها من الأفراد الذين غادروا مصر .

٢ - هناك عناصر ثلاثة يتوقع أن تعمل على انحلال النظام الثورى فى مصر :
(١) فقد القوات المسلحة المصرية لمكانتها ، نتيجة للهزيمة فى سيناء وضعف الأداء فى بورسعيد .

(ب) الخلل الاقتصادى الذى أعقب انسداد قناة السويس ، وتوقف معظم المواصلات البحرية والجوية ، ونقص التجارة الخارجية ، وتعطل برنامج التنمية الاقتصادية ، وصعوبة تصدير القطن ، وعلى الأخص زيادة العجز فى الوقود البترولى .

(ج) توزيع الأسلحة بالجملة على المجندين ناقصى التدريب المحققين بجيش التحرير الوطنى .

٣ - هناك قدر معين من الدلائل على انتشار السخط ، لكنها كلها تقريباً تتصل بالأقليات (الأقباط وغيرهم من المسيحيين) وبالطبقات المتعلمة ذات النزعة الغربية من سكان المدن . وقد كان هؤلاء يشكون من عبد الناصر منذ سنوات ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً فى هذا الصدد ، وهم لا يجدون الشجاعة على فعل شيء فى الوقت الحاضر إلا إذا جاءت المصادفات بظروف ملائمة ، وهم فى الأغلب يفضلون عودة حكومة من الباشوات .

٤ - يروى مصدر يمكن الاطمئنان إليه أن أحد ضباط الطيران الموالين للنظام قام بعضيان ضد عبد الناصر ولكن يبدو أن هذا الضابط يمثل حالة منعزلة ، وأنه ذو مشاعر قوية نحو الغرب رغم ارتباطه القوى بالنظام ، وقد لقى - فى حدود علمنا - بعض المتاعب مع النظام بعد اتهامه بمسائل تتصل بالنزاهة خلال الشهور الثمانية عشر الأخيرة .

٥ - كانت هناك احتمالات في بداية العملية لنشوء معارضة سياسية بقيادة واحد أو أكثر من الساسة القدامى ، تلقى بعض التأييد من جانب العسكريين . وهناك روايات تتردد بكثرة عن وقوع عصيان بين بعض الضباط في ذلك الوقت ، ولكنها قد تكون غير اساس . ومع توقف العمليات العسكرية ضد مصر ، فإننى أتوقع أن يعود أصحاب تلك المغامرة (أيا كانوا) الى جحورهم انتظارا لفرصة أفضل . ومن شأن تشديد قبضة سلطات الأمن العسكرى بما يتجاوز بكثير حدود عملها المعتاد أن يجعل وقوع شيء من ذلك - في الوقت الحالى - امرا أكثر صعوبة .

٦ - ليس هناك من يقطع بما إذا كان البلد في حالة اختفاء عبد الناصر سيعود الى السياسات الحزبية القديمة ، أو سيظهر نظام أكثر ميلا إلى اليسار ، أو نظام إسلامى أكثر رجعية . وإذا جاء التغيير بعد فترة طويلة من العسر الاقتصادى والتفكك المطرد للدولة ، فإن هذا الاحتمال سيكون أكثرها ترجيحاً .

٧ - لا علم لى بحدوث شيء يغير ما ذكرته السفارة في القاهرة في الشتاء الماضى من أن أى ثورة ناجحة ضد عبد الناصر تتطلب تأييد جزء كبير (ليس من الضروري أن يكون الأغلبية) من القوات المسلحة ، ولاسيما الجيش ، ولابد لهذه الثورة من السيطرة على الجهاز الإدارى الذى يدار من وزارة الداخلية . وليس فيما سمعته من اللاجئين العائدين في الشهر الماضى ما يدل على أن شيئاً من هذه الشروط يمكن أن يتحقق على الفور . ورغم أنه من المرجح أن يزداد الوضع الاقتصادى في مصر سوءاً (في غياب المعونة الخارجية) مما يؤدى الى البطالة وانتشار السخط ، فإننى لم أرا أو اسمع شيئاً يدعو للاعتقاد بان اختفاء النظام يمكن أن يحدث في وقت قريب .

(توقيع)

ت . و . جارفى

١٤ ديسمبر ١٩٥٦ «

واتجه رئيس الوزراء الجديد إلى بحث إمكانيات العمل السرى ضد مصر وضد « جمال عبد الناصر » ، وقد روى « بيتر رايت » الذى كان نائباً لرئيس جهاز الخدمة السرية البريطانى المعروف باسم M.I.5 - أنه في واقع الأمر لم يكن لدى الأجهزة السرية كلها بما فيها M.I.6 وهو الجناح الهجومى للمخابرات البريطانية خارج الحدود - ما تستطيع تقديمه لرئيس الوزراء .

لقد حاولت كل الأجهزة أن تعمل من قبل ضد « عبد الناصر » ونجحت في بعض الاشياء ولم تنجح في أهمها .

نجحت مثلاً في حل شفرة وزارة الخارجية المصرية ، ونجحت في وضع عدد من السفارات المصرية وبينها سفارتها في لندن تحت التسمع ، ولكن ما حصلت

عليه كان قليلا ، ولعل أهمه - طبقا لما يقوله « بيتر رايت » - هو الحصول على نسخة من رسالة كتبها السفير المصري في موسكو ، وأرسلت نسخة منها للعلم إلى سفارة لندن جاء فيها « إن الاتحاد السوفيتي يقوم بتعبئة قواته الجوية استعدادا لمواجهة مع بريطانيا » .^(١١)

ولكن الأهم هو أن كل أجهزة العمل السرى البريطانية لم تنجح في أداء المهمة الرئيسية التي كلفت بها وهي اغتيال « جمال عبد الناصر » وتصفيته جسديا ، وقد ذكر « بيتر رايت » أن « جهاز M.I.6 وضع خطة لاغتيال « جمال عبد الناصر » عن طريق نوع من غاز الأعصاب ، وخطة أخرى لاستعمال أنواع من السموم ، كذلك وضعت خطة اشترك فيها ضابط مصري على صلة بالانجليز لضرب « ناصر » بالرصاص ، ولكن الخطط كلها لم تنجح . »

وقد أوضح « بيتر رايت » أن فرص العمل في مصر غير متاحة لسبب رئيسي واحد وهو أن « عناصر » المخابرات البريطانية في مصر كلها جرى اعتقالها عندما انكشف أمرها ، واستطاع جهاز الأمن المصري أن يعثر على مقر تنظيمها الخفى وهو « وكالة الأنباء العربية » التي كانت غطاء شرعيا لهذه العناصر . وكان المسئول الأول عن هذه العناصر هو المستر « جيمس سوينبورن » نائب رئيس هذه الوكالة ويساعده المستر « جيمس زارب » ، وكان أهم أعوانه فيها عدد من البريطانيين العاملين في شركة « شل » وشركة « برودنشيال » للتأمين ، كما كان بينهم قسيس هو الأسقف « جونسون » راعى الكنيسة الانجليزية المطلة على النيل عند نهاية شارع « ماسبيرو » .^(١٢)

بدا أن طرق بريطانيا كلها مسدودة في الشرق الأوسط ، فبدون القضاء على مركز مصر وبدون الخلاص من شخص « جمال عبد الناصر » - فإن الأمور تبدو مستحيلة .

(١١) صفحة ٨٥ من كتاب « صائد الجواسيس » الذى كتبه « بيتر رايت » الوكيل السابق لإدارة المخابرات البريطانية M.I.5 والذى ثارت من حوله ضجة كبرى عندما حاولت السيدة « مارجريت ثاتشر » رئيسة وزراء بريطانيا منع نشره بحجة المحافظة على الاسرار .

(١٢) كتب اللواء « محمد شكرى حافظ » رئيس العمليات بالمخابرات العامة المصرية كتابا هاما في هذا الموضوع تحت عنوان « جمال عبد الناصر والمخابرات البريطانية » وكانت معلومات هذا الكتاب صحيحة وكاملة التوثيق .

وتوصل « هارولد ماكميلان » الى نتيجة محزنة ولكنها بغير بديل وهى تنازل بريطانيا عن موقعها الخاص فى الشرق الأوسط الى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى مؤتمر « برمودا » الذى عقد بين الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » وبين رئيس الوزراء البريطانى « هارولد ماكميلان » جرت عملية التسليم والتسلم ، ولعلها كانت أول مرة فى التاريخ تحدث فيها مثل هذه العملية رسميا وتسجل على ورق وتوقع وتختتم .

وتسجل وثيقة فريدة من ملفات وزارة الخارجية الأمريكية هذا المشهد الغريب فى التاريخ بعنوان :

- « اتفاق على تخفيض الالتزامات البريطانية وراء البحار »
- ١ - إن الرئيس الأمريكى يعبر لرئيس الوزراء البريطانى عن فهمه للضرورات التى تدعو الحكومة البريطانية إلى تخفيض اعبائها فى الشرق الأوسط ، وهو يتعاطف مع رغبة هذه الحكومة فى جعل التزاماتها فى المنطقة متوازنة مع مواردها الاقتصادية والعسكرية
 - ٢ - إن الرئيس قد اخطر رئيس الوزراء البريطانى بان الولايات المتحدة لن تستطيع تحمل كل الاعباء البريطانية التى ترى الحكومة البريطانية أنها مضطرة الى التخلّى عنها ، ولهذا فإن الولايات المتحدة تأمل فى ان تواصل الحكومة البريطانية إخطار الحكومة الأمريكية بخطتها فى المستقبل .
 - ٣ - إن الرئيس سوف يتخذ الترتيبات التى تكفل استمرار التشاور مع الحكومة البريطانية فى المسائل والحالات التى يتعين فيها استطلاع رأى الحكومة البريطانية ، وسوف يكون ذلك موضع الاعتبار .
 - ٤ - إن الرئيس يعرب عن امله فى ان الحكومة البريطانية سوف تقوم بتخفيضات تدريجية ومنقاة بما يناسب المصالح الغربية بصفة عامة ، ويتفق مع مطالب الامن الضرورية للسلامة المشتركة . »

وكان « ماكميلان » على استعداد للقبول ، وكان له طلب واحد فى المقابل وهو أن تحصل بريطانيا على دعم مالى عاجل قيمته ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى .

وبنهاية الإمبراطورية البريطانية فى المشرق ، وبانتهاء دور فرنسا فيه قبلها - كان الطريق قد انفتح لفصل جديد من الصراع على الشرق الأوسط وفيه .

الولايات المتحدة - بدلا من بريطانيا وفرنسا - ضد حركة القومية العربية الصاعدة بقيادة « جمال عبد الناصر » .

والولايات المتحدة مباشرة ضد الاتحاد السوفيتى الذى كان يتقدم الى المنطقة باعتباره الصديق الأهم لحركة القومية العربية الصاعدة .

الباب الثاني

معرفة القرن

هناك « لعبة أمم » حقيقية -
لكن موازين القوة هي التي
تحركها ، وليس تسلسل
الجواسيس !

الفصل الأول

بداية العصر الأمريكي



وأخيرا تحقق للولايات المتحدة الأمريكية ما سعت إليه خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها - وهو أن تصبح المسؤول الأول والأخير والقوة الوحيدة المعتمدة من الغرب كله لحماية مصالحه في الشرق الأوسط وصيانة أمنه ، ولم تكن الإمبراطوريات الغربية القديمة - بريطانيا وفرنسا - قابلة لهذا الوضع أو راضية عنه - لكن هزيمتهما في السويس لم تترك لأيهما مجالاً للمكابرة ، ولم يعد هناك مفر من الاستسلام بالكامل للقيادة الأمريكية .

كان الرئيس الأمريكي « فرانكلين روزفلت » هو الذي بدأ (من سنة ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥) مخطط إزاحة الإمبراطوريات القديمة المسيطرة على الشرق الأوسط لكي يتحقق الإرث للإمبراطورية الجديدة البازغة في الغرب ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية^(١).

وفي عهد خلفه الرئيس « هاري ترومان » (من سنة ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢) تباطأ الزحف الأمريكي على الشرق الأوسط لأن أوروبا عادت لتصبح ميدان الصراع العالمي الرئيسي ، فقد كانت تلك سنوات المشكلة الألمانية ، ومشروع « مارشال » لإعادة

(١) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس - الجزء الأول - الفصل الثاني (نسط ونفوذ ١) الصفحات من ٤٢ إلى ٦٠ .

إنعاش أوروبا الغربية إقتصاديا ، ومبدأ « ترومان » للأمن المشترك ، ومشكلة برلين ولن تكون السيطرة عليها وهى قلب أوروبا تماما .

وأحيانا كان الشرق الأقصى ينافس أوروبا كمسرح ثان - وليس ثانويا - وذلك بقيام الحرب الكورية وتطوراتها التى أدت إلى ظهور الصين الشعبية كقوة كبرى فى آسيا .

وأما الشرق الأوسط ، فقد كان منطقة صراع مؤجل ، وكان أهم ما حدث فيه تلك الفترة هو إقامة إسرائيل التى تبعتها الحرب العربية الإسرائيلية الأولى سنة ١٩٤٨ . وفى الواقع فإن عملية إقامة إسرائيل لم تجر بالصراع العالمى وإنما جرت بنوع من التوافق ، فقد شاركت القوتان الأعظم بنفس المقدار تقريبا فى إقامة الدولة الاسرائيلية على حساب الوطن الفلسطينى . بل إن هذا الحدث لم يكن صراعا بالمعنى الحقيقى حتى على المستوى الإقليمى لأن النظم الحاكمة فى العالم العربى وقتها لم تكن طليقة .

وعندما انتهت رئاسة « هارى ترومان » فى آخر سنة ١٩٥٢ كانت الموازين فى أوروبا قد جرى ضبطها على نحو أو آخر . وكانت الحرب الكورية قرب نهايتها .

وعندما تولى الرئيس « دوايت ايزنهاور » رئاسة الولايات المتحدة يوم ٢٠ يناير ١٩٥٣ بدا أن الزحف على الشرق الأوسط يوشك أن يستأنف من جديد . فقد كان بموارده الاقتصادية ، ومواقفه الاستراتيجية ، وممراته المائية والجوية أهم غنائم الدنيا فى حين أن بقية مسارح الصراع العالمى (أوروبا والشرق الأقصى) كانت قضايا أمن أو ردع ، أو وضع حدود وموازين ومناطق نفوذ .

كانت القوة الأمريكية وقتها فى الذروة معززة بانتصار كامل فى الحرب العالمية الثانية ، وباحتكار للأسلحة النووية شبه مطلق ، وبموارد اقتصادية صناعية وزراعية ومالية بدت غير قابلة للنفاذ .

وكان الرئيس الأمريكى فوق قمة هذا الهرم الضخم من القوة رجلا يختلف عن غيره من الرجال .

ويروى الرئيس « ترومان » فى يومياته^(٢) المودعة فى المكتبة الوطنية المعروفة باسمه فى « ميسورى » مشهد لقاء بينه وبين « ايزنهاور » تم يوم ٢١ نوفمبر ١٩٥٢ - أى بعد أسبوعين من إعلان نتيجة انتخابات الرئاسة التى فاز فيها « ايزنهاور » مرشح الحزب الجمهورى على منافسه « ادلاى ستيفنسون » مرشح الحزب الديمقراطى .

(٢) الكراسى السابعة ، صفحة ٨٦ - من هذه اليوميات .

يقول « ترومان » :

« دعوت ايك (ايزنهاور) إلى لقائي في البيت الأبيض . أردت أن أشرح له أحوالنا العامة واتجاهاتنا السياسية في العالم ، وأن أطلع على ما يلزم إطلاعه عليه من الأسرار حتى يكون لديه الوقت الكافي للتفكير والتشاور مع مساعديه عندما يدخل إلى البيت الأبيض ليمارس الحكم .

أردت أيضا أن أعطيه فكرة عن اختصاصات ومسؤوليات الرئيس .

« ايك » لم يكن يعرف الكثير عن حقائق الأمور وقد حاولت بامانة أن أقول له كل شيء ، كل ما يجري ورايى فيه ونصائحي إذا أراد أن يأخذ بها .

استمع لي « ايك » وأنا اتحدث وبدأ لي مأخوذا بما يسمع ، وأخيرا نطق وقال لي :

سيدى الرئيس لم أكن أتصور المسائل على هذا النحو ؟

لم أكن أتصور أن الرئيس الأمريكى يملك مثل هذا القدر من القوة غير المسبوق في التاريخ .

يظهر أن لديه من السلطة أكثر مما كان للإسكندر الأكبر ، ولقيصر ، ولجنكيز خان ، ولنابليون ، وللويس الرابع عشر كلهم مجتمعين !



وبدا « ايزنهاور » بمنطقة الشرق الأوسط ، فقد كانت هى المنطقة التى عرضت نفسها عليه كمسرح رئيسى لاستئناف الزحف الامبراطورى الذى بدأه « روزفلت » .

كان « روزفلت » وهو يحاول برفق أن ينتزع ميراث بريطانيا وفرنسا قد ركز على ثلاثة بلدان قابل ملوكها على ظهر الطراد الأمريكى « كوينسى »^(٣) فى مياه البحيرات المرة بقناة السويس ، فى أثناء عودته من مؤتمر يالطا فى شهر فبراير ١٩٤٥ ، وهم : الملك « فاروق » ملك مصر ، والملك « عبد العزيز آل سعود » ملك العربية السعودية ، والامبراطور « هيلاسلاسى » ملك إثيوبيا .

أما « ايزنهاور » سنة ١٩٥٣ ، وعند توليه الرئاسة ، فلم يكن فى حاجة إلى الرفق ، وهو يقترب من منطقة الشرق الأوسط ، ويحدد أهدافه فيها ومطالبه منها . تغيرت الأمور كثيرا عما كانت عليه فى محاولة « روزفلت » سنة ١٩٤٥ .

من ناحية تعزز النفوذ الأمريكى إلى حد الاحتكار فى السعودية وإثيوبيا . ففى السعودية اكتملت سيطرة « أرامكو » على مصادر البترول السعودى ، وازداد

(٣) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس - الجزء الاول - الفصل الثانى (نبط و نفوذ) الصفحات من ٤٢ إلى ٦٠ .

الالتصاق السياسى بين واشنطن والرياض . كما وصل النفوذ الأمريكى إلى درجة الاحتكار أيضا فى إثيوبيا بعد أن تصادم « هيلاسلاسى » مع البريجادير « لاش » البريطانى الذى كان يرأس البعثة العسكرية البريطانية فى أديس أبابا منذ تحرير إثيوبيا من الإيطاليين سنة ١٩٤١ وقد انتهى هذا الصراع بمشهد غريب ، ذلك أن الإمبراطور الإثيوبى الذى وجد البريجادير البريطانى يتصرف وكأنه هو الإمبراطور الحقيقى - تشجع بمساندة الولايات المتحدة ، وقرر أن « يتصرف » مرة واحدة ، وإلى الأبد مع البريجادير « لاش » ، وهكذا دعاه إلى القصر وعنفه ، وتعالى البريجادير « لاش » يرد على الإمبراطور وكأنه ند له ، وإذا الإمبراطور يستدعى حرسه ، ويقول للبريجادير المذهول : « إننى أعرف أن « لاش » بالانجليزية تعنى الكرياج ، وسوف أجعلك الآن تعرف تماما ما هو معنى اسمك »^(٤) ، ثم أمر الحرس بتزع بنطلون البريجادير وبجلده بالكرياج حتى يعود إلى صوابه ، ولم يتمزق جلد « لاش » فى موضع حساس من جسمه فحسب ، وإنما تمزق فى نفس اللحظة ما تبقى من النفوذ البريطانى فى القرن الإفريقى !

من ناحية أخرى كانت هناك تغييرات ، فقد راحت إسرائيل التى كانت بدايتها توافقا غربيا شرقيا - تنجذب الى الغرب - فرنسا وبريطانيا أولا ، ثم الولايات المتحدة بضرورات الأشياء بعد ذلك .

ومن ناحية ثالثة ، فإن الملك « فاروق » الذى أرسى معه « روزفلت » أسس تفاهم مصرى أمريكى فى لقاء البحيرات المرة - فقد عرشه وحلت محله على قمة السلطة فى مصر مجموعة من الضباط يرأسها أحدهم وهو برتبة « كولونيل » ، وقد كانت هذه السلطة الجديدة فى مصر تتصدى للإمبراطورية البريطانية وتحاول بحذر أن تقترب من الولايات المتحدة الأمريكية - لكن الموقف فى مصر بالنسبة لـ « ايزنهاور » كان مائعا فى البداية ، ثم ما لبث أن أخذ طريقا ينذر بالخطر بعد رفض مصر الانضمام الى أحلاف الغرب ، ثم شراؤها للسلاح من الاتحاد السوفيتى ، ثم تأميمها لشركة قناة السويس ردا على قرار أمريكى بسحب عرض المساهمة فى تمويل السد العالى .

وزادت نذر الخطر عندما رفض « جمال عبد الناصر » التسليم بأن الدور الأمريكى كان له الإسهام الأكبر فى ردع العدوان الثلاثى على مصر فى معركة سنة ١٩٥٦ - وبالتالي رفض أن يؤدى لهذا الدور مطالبه ومستحقته كما يراها « ايزنهاور » لنفسه .

والواقع أن « جمال عبد الناصر » كان يعترف بأهمية الدور الأمريكى فى إفشال

(٤) مقابلة أجريتها مع الإمبراطور « هيلاسلاسى » فى أديس أبابا فى شهر مايو ١٩٦٣

عدوان سنة ١٩٥٦ - لكنه رده إلى أصوله باعتباره خلافا بين حلفاء الغرب في الأساليب ، وليس خلافا في الأهداف ، ومع أن مصر استفادت من خلاف الأساليب إلا أن الحذر عليها واجب من التقاء الأهداف .

ولم يكن تقدير « جمال عبد الناصر » بعيدا عن الحقيقة ، فالوثائق الأمريكية عن هذه الفترة كلها تظهر بوضوح^(٥) الخطوط التالية :

١ - مصر هي العقبة الوحيدة الباقية أمام مخطط السيطرة الأمريكية المطلقة على الشرق الأوسط ، فهي تعارض الأحلاف الغربية ، وأولها حلف بغداد ، ثم إنها ترفض الصلح مع إسرائيل ، وهو المقدمة الضرورية لتأمين مصالح الغرب فيها .

٢ - إن مصر تتشجع في موقفها المعارض للمخطط الأمريكي بتحالف مع سوريا ، وهي المركز الفوار للقومية العربية - وبمساعدة لها من المملكة العربية السعودية ، وهي أكبر الأثرياء في العالم العربي ، والمبرر الأكبر لمساندة السعوديين هو عداؤهم التقليدي للهاشميين الذين انعقد لهم في ذلك الوقت لواء حلف بغداد الموالي للغرب .

٣ - إنه إذا استحال استمالة « جمال عبد الناصر » إلى جانب الغرب ، وإقناعه أو إرغامه على وقف التعامل مع الاتحاد السوفيتي - فإن السبيل الوحيد هو ضرب الثورة المصرية ، والقضاء على « جمال عبد الناصر » ، وتحقيق ذلك بعزله عن الملك « سعود » بالوقية ، وبانتزاع سوريا من صفه بالانقلاب ، ثم الخلاص منه شخصيا ، ولو بالقتل إذا اقتضى الأمر .

وكان القتل قد بدا يدخل في السياسة الدولية كسلاح معتمد ومقبول في عالم طرات عليه حقائق كانت في جوهرها تعبيراً جديداً عن أفكار سابقة طرحها « ماكيافيللي » في القرن الخامس عشر حين نادى في رسالته الشهيرة « الأمير » - بالفصل الكامل بين القوة ، وبين الأخلاق عند ممارسة الصراع السياسي !

(٥) رجاء مراجعة كتاب « ملفات السويس » ، صفحة ٤٣٧ و ٤٣٨ .



كان الجنرال « دوايت ايزنهاور » وجها لوجه مع هذه الحقائق المستجدة على السياسة الدولية منذ اليوم الأول لدخوله الى البيت الأبيض، ولعله التقى ببعضها من قبل أثناء عمله كقائد عسكري أعلى لقوات الحلفاء المنتصرة ضد « هتلر » في الحرب العالمية العظمى الثانية ، ثم بعد ذلك أثناء توليه منصب القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا عقب تحقيق النصر :

أولى هذه الحقائق أن هناك الآن سلاحا ليس له سابقة في التاريخ ، أى السلاح النووى ، وهو سلاح يستحيل استعماله في القتال لأن قدرته على الدمار شاملة ، وإمكانية وصوله إلى أهدافه أفدح مما يستطيع تحمله طرف مقاتل ، مع العلم بأن الطرفين المرشحين للقتال به في صراعهما للسيادة على العالم ، وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - كلاهما توصل إلى أسرارها ، وتمكن من أساليب نقله واستعماله .

وهكذا فإن البشرية لأول مرة تملك سلاحا لا يستطيع طرف أن يلجأ إليه ، أو يهدد باللاجوء إليه إلا أن يكون ذلك بالخطأ غير المقصود في الحسابات السياسية أو الحسابات التكنولوجية ، وقد كان هذا الخطأ غير المقصود هو ما يخشى منه « ايزنهاور » عندما تلقى نص الإنذار السوفيتى إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مساء يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ بتوقيت واشنطن .

ويسجل الكولونيل « أ . ج . جودباستر » السكرتير العسكرى للرئيس « ايزنهاور » في مذكرة سرية مودعة في مكتبة « ايزنهاور » في « آبيلين » بولاية « كانساس »^(٦) ردة فعل « ايزنهاور » إزاء الانذار السوفيتى على النحو التالى

« دخل هوفر (نائب وزير الخارجية الأمريكية) وسلم الرئيس مذكرة بولجانين ، وتعليق بوهلن (السفير الأمريكى فى موسكو) عليها . وقراها الرئيس كلمة كلمة ، وقدم له هوفر ردا أعدته وزارة الخارجية مقترحة إصداره عن البيت الأبيض . وابتدى الرئيس وجهة نظره ، ومؤداها أن ما يخشى منه أن الروس يرون أن موقفهم

(٦) الصندوق رقم ٤ فى مجموعة الاجتماعات الخاصة فى مكتب الرئيس « ايزنهاور » وتاريخ التقرير هو ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

في الدول التابعة لهم في أوروبا الشرقية تردى كثيرا نتيجة لتدخلهم المسلح ضد الثورة في المجر ، وهم الآن على استعداد لأي مغامرة مجانية .

ثم أبدى الرئيس رايه بأن الروس لا يمكن أن يكونوا على استعداد لمواجهة نووية مع الولايات المتحدة - وهي في تقديره لعبة قمار يائسة .

ولاحظ المستر « فلجر » (أحد المستشارين القانونيين للرئيس) أن مذكرة بولجانين تعرض على الولايات المتحدة التعاون في العمل المباشر من خلال الأمم المتحدة ، وعقب الرئيس بقوله « إن مندوبينا في الأمم المتحدة لابد أن يقولوا لمندوبي الدول العربية : هل تريدون السوفيت في الشرق الأوسط لكي يفعلوا معكم ما يفعلونه الآن مع المجر » .

ثم قال الرئيس إن الأمر يقتضى دعوة مجلس الأمن القومي بكامل هيئته لبحث الموقف .

ولاحظ المستر هوفر أن البريطانيين والفرنسيين ليس في وسعهم أن يتوقفوا عن القتال قبل أن يسقط ناصر ، وأن السؤال الذي تطرحه مذكرة بولجانين الآن هو « من يجب أن يذهب أولا : ايدن أو ناصر ؟ » ثم اضاف هوفر : « إن مركز ناصر الآن مهتز » .

(ثم تجيء فقرة محذوفة بعد ذلك في مذكرة « جودباستر » - والمفارقة أن لها تكملة في أوراق « هوفر » نفسه إذ أورد في مذكرة له تعقيبا على اجتماعه بالرئيس قدمها إلى وزير الخارجية جاء فيها « إن الرئيس قال إن مشكلة ناصر يمكن مواجهتها فيما بعد وبوسائل أخرى ، وأما الآن فافطن أنه من الأفضل عدم الانسياق في لعبة القمار مع بولجانين حتى ولو أدى الأمر إلى أن يخرج ايدن أولا ثم يلحقه ناصر فيما بعد »)



وكانت الحقيقة الثانية وجها لوجه مع « ايزنهاور » أن الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية انفردت بظاهرة تختلف عن كل ما أعقب الحروب قبلها في التاريخ .

كل حرب من قبل كانت مقدماتها حالة تعبئة عامة استدعت فيها الأطراف كل مواردها البشرية لحمل السلاح .

وكل حرب من قبل شهدت في أعقابها حالة تسريح عامة قامت فيها الأطراف بـ « فك » حشودها الجرارة من البشر الحاملين للسلاح كي تعود أغلبيتهم الساقطة إلى حياتها المدنية العادية - كما كان حالها من قبل - تاركة للدولة جيشها النظامي عند الحد الأدنى الضروري .

كل الحروب من قبل سبقتها حالة التعبئة العامة ، ولحققتها حالة التسريح العامة إلا الحرب العالمية الثانية - انتهت المعارك ومازالت هناك جيوش كبيرة ، وقوات مسلحة تواجه بعضها على نفس المواقع التى توقف عنها القتال الكبير .

وكانت الأسباب واضحة :

□ السلاح النووى لم يدع لأحد فرصة يتوهم فيها أن التعبئة انتهت ، والتسريح جاء أوانه ، فهذا السلاح النووى موجود وشبحه منتصب عند حافة الأفق !

□ ثم إن اندلاع الحرب الباردة بين عقائد مسلحة جعل التربص قائما والمفاجآت محتملة .

□ والخوف من المفاجآت المحتملة دفع إلى سباق فى السلاح النووى والتقليدى لأن كل طرف من الأطراف يخشى أن يتمكن الطرف الآخر من الحصول على ميزة عليه تعطيه تفوقا يغريه بالإقدام على المغامرة .

□ وأوروبا لا تستطيع أن تواجه الاتحاد السوفيتى وهو امامها على الأرض إلى الشرق من القارة الأوروبية ، وهكذا يجب أن توجد الولايات المتحدة الأمريكية بقواتها فى القارة .

هذه العوامل كلها أدت إلى حلفين متقابلين فى أوروبا - حلف الأطلسى فى الغرب ، وحلف وارسو ردا عليه فى الشرق - أى أكثر من ثلاثمائة فرقة على جانبى الخطوط فى أوروبا المقسمة سياسيا وعقائديا وعسكريا ، وفوقها على الناحيتين ظلال نووية كئيبة .

كانت لهذا الوضع تداعيات بالغة الأهمية :

جيوش ضخمة باقية فى حالة السلام - مؤسسة عسكرية تتزايد قوتها ونفوذها - مصالح نامية ومتشعبة أصبحت حياتها هى « صناعة وتجارة » الأمن القومى ! - علاقات بين السياسة والسلاح تتوثق روابطها بعيدا عن ميادين القتال .

والمشكلة أن هذا كله لابد له أن يتحرك - لكنه فى نفس الوقت لا يستطيع أن يمارس حركته أمام بعضه غربا وشرقا وبأسلوب العمل المباشر .

وربما كان أكبر أخطاء « ايدن » فى معركة السويس هو نسيانه لهذه المشكلة ، وقد كانت أهم « موعظة » بعث بها « ايزنهاور » الى « ايدن » فى

اللحظات العصبية للسويس هي قوله على التليفون لـ « هارولد ماكميلان » وزير الخزانة البريطاني لكي ينقلها لـ « ايدن » :

« قل لانتوني على لساني إنه مادام قد تصرف وحده خارج حلف الاطلنطي ، فليس من حقه أن يلجأ إلى حماية مظلة هذا الحلف عندما تتعقد الأمور معه ! »



وأخيرا كانت الحقيقة الثالثة الماثلة أمام « ايزنهاور » هي تزايد دور أجهزة العمل السري ، فقد بدت بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي إطار القيود المفروضة على حركة الجيوش بحكم الموازين الحساسة للقوى ومخاطر الأسلحة الجديدة - وسيلة متاحة ومباحة للعمل المباشر على الأجندة ووراء خطوط المواجهة المستحيلة .

وكان نشاط « المخابرات الأمريكية » قد اتسع فترة الحرب العالمية الثانية بمقدار اتساع دور الولايات المتحدة في هذه الحرب - كما أن مجالات نشاطها تنوعت .

كان هناك - أولا - مجال الحصول على المعلومات العسكرية الصرفة - وكان أهم مصدر لهذه المعلومات هو فنون التقاط إشارات الجيوش المتحاربة بما تحتويه من خطط وتقديرات وتوجيهات وأوامر ، وفك شفراتها ، وقد أنشئ جهاز كبير في الولايات المتحدة لهذا المجال تحول بعد الحرب إلى وكالة الأمن القومي .

وكان هناك - ثانيا - مجال الحصول على معلومات سياسية عن مسار الحرب وأحوال أطرافها - وكان أهم جهاز لهذه المعلومات هو مكتب الخدمات الخاصة ، وكان مقره في سويسرا ، وكان المسؤول عنه هو « آلان دالاس » وقد تحول هذا الجهاز بعد الحرب ، وفي عصر الرئيس « ترومان » ، إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وكان هناك - ثالثا - مجال تحليل المعلومات المتاحة كلها ، والوصول إلى معانيها الحقيقية ودلالاتها المستقبلية لكي تدخل كعنصر مؤثر في صنع القرار السياسي ، وإلا فإن حصيلة المخابرات تصبح مجرد قصص وحكايات مثيرة في حد ذاتها لكنها ليست مؤثرة على مجرى الحوادث .

وفي ظروف الحرب استطاع هذا المجال أن يجند خيرة عناصر المفكرين في الولايات المتحدة ، فقد كانت خدمتهم الوطنية في إطاره أفيد ألف مرة من حمل السلاح .

وعندما يتذكر أى باحث مدقق أن خيرة المفكرين السياسيين والاقتصاديين في الولايات المتحدة من أمثال « كينيث جالبرايت » (أشهر الاقتصاديين الأمريكيين) و « آرثر شلزنجر » (واحد من أكبر أساتذة التاريخ) و « ماك جورج باندى » (ألمع أساتذة العلوم السياسية) فضلا عن رجال من أمثال « هنرى كيسنجر » و « وإيت روستو » و « زبجنيو برجينسكى » - كانوا جميعا في المخابرات الأمريكية في مجال الدراسة والتحليل - لتأكد له إلى أى مدى امتزجت تجربة المخابرات بتجربة صنع القرار السياسى في واشنطن !

إن هؤلاء جميعا بعد الحرب أصبحوا مستشارى الأمن القومى للرؤساء في البيت الأبيض ، ووزراء للخارجية ، ومسؤولين تركوا بصماتهم واضحة على القرار الأمريكى ابتداء من الخمسينات وحتى الثمانينات .



ومع أن وكالة الأمن القومى N.S.A. كانت أكبر أجهزة المخابرات الأمريكية حجما وأكبرها نصيبا في الاعتمادات المادية ، فهي مكلفة الآن بالتقاط كل إشارة تمرق في الأجواء وفي الفضاء ومن أعماق البحار ، وكل حديث تليفونى في العالم ، وكل رسالة شفرية مع حلها وتحليلها - إلا أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A. كانت هى الأكثر شهرة والأقوى فعلا ، فقد تحولت بعد الحرب العالمية الثانية ، وبقرار من الرئيس « ترومان » إلى جهاز لـ « صنع وتنفيذ السياسات » أى أنها وسيلة العمل المباشر وأداة القوة الفاعلة على الأرض ، للسياسة الأمريكية خلال العقود الأخيرة ، وحتى هذه اللحظة .

ولقد بدأ العصر الذهبى لوكالة المخابرات المركزية مع إدارة « ايزنهاور » تقريبا ، فإن الجنرال الذى دخل إلى البيت الأبيض كان يعرف بحكم خبرته العسكرية في الحرب وقيادته لحلف الأطلنطى بعد الحرب أن الأسلحة النووية قد جعلت ممارسة القتال مستحيلة - وإذن فلا بد للصراع - أى للحرب من أن تعبر عن نفسها بوسائل أخرى خفية حتى لا تتأثر إلى درجة الخطر موازين حساسة .

أضيف إلى هذا العنصر الذاتى لدى « ايزنهاور » عنصر آخر إضافى ، وهو أنه اختار « جون فوستر دالاس » وزيرا لخارجيته ومنحه صلاحيات واسعة في إدارة السياسة الأمريكية .

و « جون فوستر دالاس » هو الشقيق الأكبر لـ « آلان دالاس » .

« جون » مسؤول - كوزير للخارجية - عن إدارة سياسة الولايات المتحدة

الخارجية ، و « آلان » - كمدير لوكالة المخابرات المركزية - مسؤول عن تنفيذ اهداف هذه السياسة على الأرض وعمليا ، وفي المواقع التي انتقل اليها الصراع بين القوتين الأعظم ، وميدانها هو العالم الثالث وفي قلبه بالتحديد الآن - الشرق الأوسط الذي هو مقر ومستقر وموطن أهم المصالح الأمريكية الاقتصادية والسياسية والأمنية .

هكذا برؤية الرئيس الذاتية للأمر ، وبالعلاقة الحميمة الى درجة الإخوة بين وزارة الخارجية وإدارة المخابرات المركزية - تداخلت الاختصاصات وتكاد تكون امتزجت في فترة معينة من تاريخ الشرق الأوسط .



وحين قام الرئيس « دوايت ايزنهاور » بتحديد أهداف سياسته في الشرق الأوسط - فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أصبحت بشكل شبه تلقائي هي أداته الرئيسية في تنفيذ هذه السياسة تعاونها وزارة الخارجية الأمريكية - وليس العكس !

كانت الوكالة في السنة الأولى من حكم « ايزنهاور » قد حققت له انتصارين بارزين :

انتصار في « جواتيمالا » تمكنت فيه من إسقاط حكم الكولونيل « أربينيز » الذي قام بعد توليه السلطة بمقاومة مصالح « شركة الفواكه المتحدة » وهي أكبر الشركات العاملة في أمريكا اللاتينية . ولم يسقط حكم « أربينيز » فقط ، ولكنه صفى جسديا أيضا .

ثم انتصار في « إيران » تمكنت فيه الوكالة من إسقاط نظام « محمد مصدق » الزعيم الوطني الذي تصدى لامتيازات البترول البريطانية ، ورفض التنازل عنها ببساطة للشركات الأمريكية ، وفي الوقت الذي خاف فيه شاه إيران من ثورة « مصدق » وهرب من طهران - فإن ممثل الوكالة في الشرق الأوسط وهو « كيرميت

روزفلت « تمكن من قيادة انقلاب مضاد للثورة عاد به الشاه إلى العرش ، ودخل بعده « مصدق » إلى السجن !

وجاء الدور على مصر .



لم يكن « كيرميت روزفلت » غريبا على مصر ، فقد كان هو الذى انتدب بعد لقاء « روزفلت » بالملك « فاروق » سنة ١٩٤٥ ليكون حلقة وصل مع « أحمد محمد حسنين » (باشا) رئيس الديوان الملكى وقتها . وعندما قتل « حسنين » (باشا) في حادثة سيارة على كوبرى قصر النيل سنة ١٩٤٦ - انتقل اتصال « كيرميت روزفلت » إلى عدد من الصحفيين الموظفين بالقصر أو العاملين لحسابه ، وبينهم « كريم ثابت » (باشا) المستشار الصحفى للملك .

كان « كيرميت روزفلت » بالمهنة الأصلية مدرس تاريخ ، ثم تحول إلى العمل في المخابرات في ظروف الحرب ، فقد اختارها مثل غيره من طبقته^(٧) من هيئات التدريس في الجامعات . وكان الغطاء الذى أعطى لـ « كيرميت » هو غطاء المراسل الصحفى في الشرق الأوسط ، وتحت ستاره كان يمارس عمله الحقيقى .

وبعد الحرب كتب « كيرميت » كتابا عن المنطقة باسم « بترول العرب وسياساتهم » والتحق لعدة شهور بشركة الخليج للبترول التى كان لها النصيب الأكبر في امتيازات نفط الكويت - لكن الاهتمام بالشرق الأوسط ما لبث أن استدعاه مرة أخرى للخدمة في الوكالة ، حيث تولى الاشتراك في العمليات الجانبية لانقلاب « حسنى الزعيم » وهو انقلاب تلاقى فيه مطالب السياسة مع مطالب شركات البترول . السياسة تريد وضعا ثابتا في سوريا بعد الهزة الكبرى لمعركة سنة ١٩٤٨ التى انتهت بقيام إسرائيل ، والشركات تريد امتيازات لمده خطوط أنابيب لنقل البترول عبر سوريا .

وفي الشهور الأولى من سنة ١٩٥٢ ظهر « كيرميت روزفلت » في مصر ثلاث مرات يمكن الآن رصدها ، وفيها التقى بعدد من أقطاب القصر وأقطاب الوفد وكبار الساسة البارزين على الساحة وقتها مثل « على ماهر » (باشا) و « نجيب الهلالى » (باشا) وكان شديد الاهتمام بوزير الداخلية مع كلا الرجلين وهو « مرتضى المراغى » (باشا) ويظهر أنه توسم فيه مستقبلا يجعل منه رجل الساعة في تلك الفترة .

وتكفل قيام الثورة يوم ٢٣ يوليو بوضع حد لخطط هذا المستقبل المتوهم ! وعلى

(٧) كان عم والده هو « تيدى روزفلت » الذى كان رئيسا للولايات المتحدة في مطلع القرن العشرين ، وقد قدمت عائلة روزفلت رئيسا آخر لأمريكا هو فرانكلين روزفلت الذى قاد بلاده في الحرب العالمية الثانية .

أى حال فإن « كيرميت روزفلت » لم يلبث أن عاد إلى مصر بعد الثورة لأول مرة في شهر أكتوبر ١٩٥٢ وكان يحمل جواز سفر دبلوماسيا يصف عمله بأنه « مساعد خاص للرئيس » - وكان ذلك هو الوصف الذى يطلق على طبقة معينة من رجال وكالة المخابرات المركزية .

كانت الوكالة - فى تركيبها الداخلى - مجتمعا طبقيا بالفعل .

● على قمته عدد من أبناء العائلات الكبيرة الذين أدوا مثل « كيرميت » خدمتهم الوطنية فى إطار المخابرات ، ومعظمهم من الذين أتيحت لهم فرصة العمل مباشرة مع « آلان دالاس » فى عصر مكتب الخدمات الخاصة فى سويسرا . كان هؤلاء هم المكلفون بالاتصال بالملوك والقادة ، وكانوا يطلقون عليهم وصف « أعضاء النادى » ، وفى الغالب فإن مهامهم كانت مساندة العروش (كما حدث فى إيران) أو إعداد الانقلابات (كما حدث فى أكثر من بلد فى أمريكا اللاتينية) .

● تحت القمة كانت هناك الطبقة التى أطلقوا عليها وصف « الكشفية » ومعظمهم من أبناء العائلات المتوسطة والمهنيين السابقين ، وهؤلاء كانت مهمتهم إقامة العلاقات ، وتنظيم الشبكات ، وترتيب مهام جمع المعلومات من مصادرها ، وفى الواقع فإن معظم هؤلاء وجدوا الغطاء العملى لنشاطهم فى السلك السياسى ، حتى أن لجنة « تشرش » فى الكونجرس اكتشفت عندما تولت التحقيق فى نشاط المخابرات أن أكثر من عشرين فى المائة من الدبلوماسيين الملحقين بالسفارات الأمريكية فى الخارج هم من رجال المخابرات .

● وكان القاع فى الوكالة يضم الطبقة الثالثة ، وهى طبقة الرجال المكلفين ، أو الذين يمكن تكليفهم بالعمليات مباشرة ابتداء من سرقة أو تزوير الأوراق والمستندات ، ووضع أجهزة التصنت والاستماع ، وحتى جرائم الخطف والقتل ، وكان الوصف الشائع لهذا النوع من الرجال هو أنهم قسم « الخداع » أو « التضليل الإعلامى » أو « الألعاب القذرة » - طبقا لنوع التكاليفات التى تصدر إليهم .



وربما أمكن القول - رغم ما فى القول من تناقض - إن طبقة القمة فى وكالة المخابرات المركزية كانت إلى حد كبير متفتحة التفكير . فاتصالاتها فى وطنها ومباشرة مع مستويات صنع القرار (البيت الأبيض - الخارجية) . كما أن اتصالاتها خارج

وطنها سياسية أيضا في الغالب . وكان نصف عملها خفيا ونصفه الآخر ظاهرا . وكان النصف الخفى بعيدا قدر ما هو ممكن عن مستوى « الألعاب القذرة » - وبالتالي فإن أفراد هذه الطبقة كانوا من نوع يمكن له أن يعيش وأن يتحرك في أجواء متحضرة ، ووفق قواعد مقبولة للسلوك بعيدة إلى حد كبير عن التشوهات المهنية التى تلحق بأفراد الطبقة الثانية أحيانا ، وأفراد الطبقة الثالثة دوما .

إن كل مهنة في الدنيا تؤثر على أصحابها بطبيعتها بمقدار ما أن أصحابها يؤثرون فيها بقدراتهم ، ولعل مهنة العمل السرى من أكثر المهن المؤثرة على الذين يحترفونها . والتأثير يزداد بمقدار سرية العمل .

والذى يقرأ كتاب « صائد الجواسيس » لـ « بىتررايت » الذى حاربته السيدة « مارجريت ثاتشر » الى اللحظة الأخيرة بذريعة عقد السرية بين رجل المخابرات ، وبين جهازه مما يحرم عليه إذاعة أى شيء عن خبرته وخدمته إلا بتصريح مكتوب - يشعر إلى أى مدى تؤثر مهنة المخابرات فى أصحابها . فهى مهنة توقف الإحساس بالوهم لدى المشتغلين بها . تجعلهم يرون أخطارا لا وجود لها ، لأن وجود مثل هذه الأخطار هو فى حد ذاته مبرر وجودهم . بعد الوهم هناك تجسيد الوهم ، فوجود خطر يتطلب على الفور إيجاد مصدر تلقى عليه ذنوبه وأوزاره . ثم إن الحياة مع الوهم تورث حالة من الشك الدائم فى كل الأشياء وكل الأشخاص . وحالة الشك الدائم بدورها تخلق إحساسا بالخطر الداهم الذى لابد من توقيه ، والرد عليه قبل وقوعه إذا أمكن . ولقد كان مثل هذا التفكير هو الذى دعا عناصر من المخابرات البريطانية إلى هوس الاعتقاد أن رئيس وزراء بريطانيا العمالى الشهير « هارولد ويلسون » هو عميل للاتحاد السوفيتى ، ثم تصل من هذا الاعتقاد إلى ضرورة إزاحته عن منصبه ، ولو حتى بانقلاب فى أعرق الدستوريات البرلمانية وهى بريطانيا . ووصل الأمر بمجموعة من ضباط M.I.6 إلى حد أنهم تدارسوا فى اعتقال « هارولد ويلسون » وكل مجلس وزرائه ، ووضعهم تحت التحفظ على الباخرة « كوين مارى » بعد تحويلها إلى سجن مؤقت ريثما يتم تطهير بريطانيا من « أعوانهم الشيوعيين العملاء » !

مهنة المخابرات أيضا تعلم أصحابها دروسا بالغة السوء بينها اختراق القانون فى حماية السلطة ، فالذى يتجسس ويتصنت ويفتش ويغتال عند اللزوم يخرق القانون معتمدا على حماية مكفولة له ، ومع الأيام تصبح حدود القانون خطوطا وهمية يتجاوزها الناس حتى دون أن يتنبهوا !

فوق ذلك فإن العمل السرى بطبيعته يؤدى الى استئراء نوع من الفساد الجامح . فالعمليات السرية تقتضى مصادر للتمويل سرية . كما أنها تقتضى

سلطات هي الأخرى سرية . ومع وجود تمويل سرى وسلطة سرية خصوصا إذا طالت مدة البقاء في المنصب السرى - وكثيرا ما يحدث ذلك لأن الخبرة المكتسبة تصبح داعيا إلى طول البقاء - فإن النتيجة كوارث محققة ، وقد تكررت الظاهرة في كل أجهزة المخابرات في العالم .^(٨)

العمل السرى إضافة إلى ذلك كله يعطى أصحابه إحساسا زائدا بالأهمية ، فهم يعرفون الآخرين ظاهرا وباطنا ، ويرونهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم ، وهذا يخلق لديهم - شاعوا أو لم يشاعوا - شعورا بالاستهانة بالآخرين ، ورغبة كامنة في التنكيل بهم لأنهم يظهرون للناس في رأيهم - على غير حقيقتهم - لكن الحقيقة كلها ملك للعمل السرى وحده ، فهو المطلع وهو القادر !!

واحتياج الدولة الحديثة للمعلومات ، وتردد الدولة الحديثة أمام احتمالات الحرب ، يجعل أجهزة المخابرات على كل المستويات هي الجهاز الأثير لكل الأنظمة شرقا وغربا من أبواب السلطة العليا في أي وطن ، فهي العين التي ترى في الظلام ، ثم إنها الذراع التي تضرب في الظلام أيضا !^(٩)

كان « كيرميت روزفلت » من الطبقة الأقل تأثرا بهذه التشوهات المهنية ، وهكذا فإنه كان مقبولا في أوساط العمل السياسى العربى ، بما فيها مصر قبل الثورة ، وتجدد هذا القبول في مصر بعد الثورة ، وحتى بعد أن عرف « جمال عبد الناصر » يقينا بالهوية الحقيقية لـ « كيرميت روزفلت » وبأن وصف « مساعد خاص للرئيس » وهو الوصف المسجل على جواز سفره ليس إلقانا يغطى وجه الحقيقة .

ولابد من الإقرار بأن « كيرميت روزفلت » شارك بدور في عملية توجيه قدر من الضغط على الحكومة البريطانية لكي توقع على اتفاقية الجلاء ، ويمكن أن يقال إنه كان مقتنعا بأن مصر يمكن أن تفكر جديا في الانضمام إلى حلف غربى في الشرق الأوسط إذا تحقق جلاء الانجليز أولا من قاعدة قناة السويس .

(٨) ظل ادجار هوفر رئيسا لوكالة المباحث الفيدرالية الأمريكية أكثر من أربعين سنة ، ولقد تمكن من تطويع كل الرؤساء الأمريكيين الذين تعاقبوا على البيت الأبيض طوال هذه الفترة - بعضهم أراد استغلال معلوماته ، وبعضهم الآخر خاف أن يستغل هو معلوماته ، والنتيجة أربعون سنة كاملة على قمة واحد من أكبر أجهزة الأمن في أقوى بلد في العالم ، ثم تكشف بعد ذلك أن الرجل حالة عقلية ونفسية قريبة من حافة الجنون .

(٩) تعرضت كل أجهزة المخابرات في العالم تقريبا لهذه العوارض بما فيها الـ C.I.A. الأمريكية والـ K.G.B. الروسية والـ S.D.E.C.E. الفرنسية ، ولعل هذه الأعراض من أكبر أسباب انحرافات جهاز المخابرات المصرى في بعض الأحيان رغم أن هذا الجهاز قام بكثير من الخدمات للأمن القومى .

ودخل « كيرميت روزفلت » معركة حامية في كواليس وكالة المخابرات المركزية حول تقدير الموقف في مصر .

كانت هناك داخل الوكالة مدرستان :

● اولاهما يمثلها « كيرميت روزفلت » وهى ترى « أن الثورة المصرية هى « شكل المستقبل في العالم العربى » وأن الرهان على « جمال عبد الناصر » يمكن أن يكون استثمارا مفيدا للمصالح الأمريكية من حيث أن توجهاته قد تلتقى معها في مستقبل الأيام ، فهو معاد للاستعمار التقليدى (بريطانيا وفرنسا) وهو معاد للشيوعية (روسيا) في نفس الوقت . ومن ثم فإن على الولايات المتحدة أن تتفهم دوافعه ، وأن تساعد في حدود معينة ، ووفق اشتراطات تتحدد مرحلة بعد مرحلة . »

● وأما المدرسة الثانية ، فقد كان يتزعمها قطب آخر من أقطاب الوكالة هو « جيمس انجلتون » ، وكان « انجلتون » يرى « أن الضمان الوحيد لمصالح الولايات وأمنها في الشرق الأوسط مرهون بإسرائيل ، والتعاون معها وتقويتها لى تصبح الأداة الضاربة للنفوذ الأمريكى في المنطقة خصوصا بعد زوال الاستعمار التقليدى وقواعده العسكرية الظاهرة » . وكان « انجلتون » قد تعاون في أوروبا مع اليهود ، وكانت التنظيمات اليهودية في أوروبا الشرقية أهم مصادره في المعلومات عن أحوال الاتحاد السوفيتى . وكانت الوكالة قد تنبّهت مبكرا - حتى من أيام الحرب - الى هذا المصدر ، وحصلت على إعتمادات طائلة للعمل المشترك اطلق عليها اسم « الصندوق الإسرائيلى » وكان « انجلتون » هو المشرف عليه .

وفي الفترة من أوائل سنة ١٩٥٣ إلى أوائل سنة ١٩٥٥ - كانت مدرسة « كيرميت روزفلت » تبشر بإمكانية نجاح تقديراتها ، فقد كان « جمال عبد الناصر » يقاوم الانجليز بضراوة ، ويختلف مع الأمريكيين برفق ، ويكتفى بمقولة إنه لا يستطيع أن يفكر في قضية الأحلاف إلا بعد جلاء الاحتلال البريطانى ، ونهاية الاستعمار في مصر .



وجاءت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتى في سبتمبر ١٩٥٥ صدمة لـ « كيرميت روزفلت » ومدرسته ، واستدعاه « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية في حضور شقيقه « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية يسأله تفسيراً

وإيضاحا لما جرى ، ثم يطلب إليه أن يطير على الفور إلى القاهرة ليقنع « جمال عبد الناصر » - أو يهدده - بالتراجع عن الصفقة^(١٠).

ولم ينجح « كيرميت روزفلت » في مهمته ، لكنه لم يتخل بالكامل عن فكرته ، فقد ظل على إعتقاد بأن هناك « عملية إنقاذ » محتملة للموقف إذا أمكن إتمام صفقة مقايضة السد العالي بعقد صلح بين مصر وإسرائيل يفتح الطريق لحلف عسكرى يضم الشرق الأوسط كله - بما فيه إسرائيل - ضد الاتحاد السوفيتى .

كان « كيرميت روزفلت » يستعين باثنين من المساعدين له فى القاهرة ، وكلاهما كان داخل السفارة الأمريكية تحت الغطاء الدبلوماسى التقليدى ، أولهما « جيمس ايكلبرجر » الذى كان يشغل منصب الوزير المفوض فى السفارة الأمريكية بالقاهرة ، والثانى « مايلز كوبلاند » الذى عمل لبعض الوقت ملحقا بها .

وكان كلاهما فى القاهرة فى تلك الأيام ، لكن « كيرميت » كان فى واشنطن يتابع التطورات المتلاحقة :

استوعبت واشنطن صفقة الأسلحة السوفيتية لمصر مع الإصرار على إعتبارها بكل الوسائل صفقة واحدة غير قابلة للتكرار . وتوصلت واشنطن إلى فكرة مقايضة السد العالي بالصلح مع إسرائيل تمهيدا لإقامة الحلف العسكرى الغربى المسئول عن أمن المنطقة بأكملها ، وتقرر أن يقوم وزير الخزانة « روبرت أندرسون »^(١١) بحمل المشروع إلى « جمال عبد الناصر » وعرضه عليه :

وكان « كيرميت روزفلت » متحمسا . ومن واشنطن كتب إلى مساعده « جيمس ايكلبرجر » خطابا جاء فيه :^(١٢)

« عزيزى ايك »

إن « معركة القرن »^(١٣) قد بدأت بالفعل كما لابد وانك استنتجت ، وسوف تبين الأسابيع القليلة القادمة والأشهر التى تليها ، ما إذا كنا نستطيع أن نرسم طريقا

(١٠) رجاء مراجعة تفاصيل رحلة كيرميت روزفلت ، ومقابله لجمال عبد الناصر فى القاهرة فى كتاب ملفات السويس صفحة ١٧٨ و ١٧٩ .

(١١) رجاء مراجعة تفاصيل مهمة أندرسون ونتائجها فى كتاب ملفات السويس - الجزء الرابع - الفصل الثالث - الصفحات من ٣٨٧ الى ٣٩٣ .

(١٢) تمكن احد ضباط المباحث المصريين من دخول شقة ايكلبرجر فى عمارة البدر اوى بالزمالك - وعثر على الخطاب ضمن اوراق اخرى وتمكن من التقاط صور له ولجموعة الاوراق الأخرى .

(١٣) وصل روزفلت فى تقديره لأهمية حركة الحوادث وقتها الى حد تسميتها « معركة القرن » والحقيقة ان المعركة كانت قريبة إلى هذه الدرجة من الخطورة ، فقد كانت معركة السيادة والسيطرة على الشرق الأوسط

يحقق مصالح كل من الولايات المتحدة والعرب ، وإن نحصل على التأييد لهذا الطريق »

ثم يتطرق الخطاب إلى عرض التيارات المؤثرة في واشنطن ، ثم يطل إلى أهم نقطة فيه ، وهي الواردة في الصفحة الثالثة منه :

« والآن اود ان اوجه إليك ، وإلى هانك (هنرى بايرون - السفير الأمريكى فى القاهرة وقتها) سؤالاً جوهرياً .

إن كل جهودنا ، وبالتأكيد كل نجاحنا يعتمد على افتراض أن ارتباط مصر الحالى بالسوفيت ليس أكثر من حل مؤقت من جانب ناصر . ونحن نبلغ الجميع أننا مازلنا نعتقد أن النية الأساسية لناصر هي أن يجد صيغة للتعاون مع الغرب ، فهل مازال ذلك صحيحاً ؟

لقد شعرنا بالانزعاج للأنباء التى جاءت أخيراً عن قبول بعض المقربين من ناصر للخط السوفيتي ، وإنهم مقتنعون بأن هدف السوفيت في العالم العربى لا يعدو أن يكون الإيحاء بالثقة وكسب الأصدقاء . ويكفى أن تتصور ما يمكن أن يفعله ذلك في « المناطق الهشة » مثل سوريا والعراق ، وما يمكن أن يصيب مكانة مصر نتيجة لذلك .

يجب أن نظل قادرين على إبقاء المراجع العليا هنا مقتنعة بأن ناصر لن يتسامح أبداً مع هذا العرض الساذج للدوافع السوفيتية . وأن يكون في وسعنا إعطاء تأكيدات بأن ناصر لا يطلب منا أن نتقاسم صداقة مصر مع الاتحاد السوفيتي على قدم المساواة ،

أكون شاكراً لو تلقيت تعليقكم في أقرب وقت .

ك . ر .



وجاء « روبرت أندرسون » مبعوثاً من الرئيس « ايزنهاور » الى « جمال عبد الناصر » بعرض مقايضة السد العالى بالصلح مع إسرائيل ، ورفضه « جمال عبد الناصر » . ولم يكن هذا الرفض صدمة كبيرة للحكومة الأمريكية ، فلقد أرادت العرض بالدرجة الأولى كاختبار للنوايا - خرجت بعده بنتيجة محققة هي اعتبار « جمال عبد الناصر » عدواً في المنطقة يتحتم حصاره وعزله والخلاف معه - وإلا فإن الشرق الأوسط بأسره معرض للخطر .

وأما بالنسبة لـ « كيرميت روزفلت » فإن فشل الافتتاحية الأولى في « معركة القرن » كان صدمة كبيرة ، ولم يكن قلقه على مصر ، وإنما على وضعه هو في وكالة المخابرات المركزية وعلى نفوذه ، فرجال هذه الوكالة - شأنهم شأن رجال أى

مؤسسة - يكبرون أو يصغرون بصحة تقديراتهم ، وترتفع مراكزهم أو تهبط بمقدار ما يتحقق نجاح أو فشل هذه التقديرات ، وربما كان أكثر ما ضايق « كيرميت روزفلت » أن « جمال عبد الناصر » قرر بعد معركة السويس أن خط الاتصالات الثانى مع الولايات المتحدة لابد من إغلاقه ، والتعامل من خلال الخط الأول وحده ، وهو خط السفارات فى واشنطن والقاهرة - وكانت هذه هى الضربة القاضية ، ومع أن « جمال عبد الناصر » كان يحس بأزمة « كيرميت » من وجهة نظر إنسانية إلا أن الخطوط المبدئية أصبحت واضحة ومحددة .

ولقد كان باديا أن نجم « كيرميت روزفلت » إلى أقول فى وكالة المخابرات المركزية ، وكذلك نجم مجموعته .

والنجوم لا تنطفىء مرة واحدة فى العادة كأنها شمعة عصفت بها الريح ، وإنما يخفت ضوءها ويشحب . . . ثم يتلاشى أمام النظر ثانية بعد ثانية إلى أن يغيب - وهذا ما حدث لـ « كيرميت روزفلت » تماما .

ظهر بعد ذلك فى عدد من المسارح التى تنقلت بينها الأحداث فى الشرق الأوسط .

ظهر فى بيروت يحاول أن يساعد فى عملية تدبير انقلاب فى سوريا ، وكانت عملية متشعبة تتضمن بين بنودها إنشاء وتقوية شبكة إعلامية فى بيروت تتولى شن الحرب النفسى على دمشق ، ووراءها القاهرة . وكانت هذه العملية تتم بتنسيق أمريكى - بريطانى ، تشارك فيه أطراف عربية خصوصا من أعضاء حلف بغداد ، أو الموالين باطنا لهم !

ثم ظهر « كيرميت » فى عمان أثناء الصدام الذى دار فيها خلال شهر مارس سنة ١٩٥٧ والذى كان فى حقيقته تمهيدا للأرض فى الأردن لمرحلة تالية من « معركة القرن » !

ثم ظهر فى الرياض يلتقى بالأمير « فيصل » ولى العهد . . . وعاد إلى واشنطن ، ثم خبا آخر شعاع ، وترك « كيرميت روزفلت » وكالة المخابرات عائدا إلى شركة « جوف » للبترول مستشارا لمجلس الادارة .

وترك الوكالة بعده مساعدا « ايكليجر » و « كوبلاند » ، فقد افتتحا مكتبا للاستشارات التجارية شركة بينهما فى بيروت اعتمادا أو استغلالا لصلات سابقة مع شركات البترول وغيرها من المصالح الأمريكية فى المنطقة ، ثم انفضت الشركة ، ودار « مايلز كوبلاند » بعد ذلك على المراكز التى عرفها فى خدمته السابقة بما فيها

القاهرة ، وفي البداية كانت هناك رغبة في مساعدته عن فهم لما حل بمجموعة « كيرميت » كلها ، ثم تبدل الموقف بعد أن تبين أن « كوبلاند » يبحث عن صفقة يبيع فيها أى شيء لأى مستعد للشراء فى أى سوق .^(١٤)

(١٤) وبالفعل فقد وجد « مايلز كوبلاند » مشترى لبضاعته ، وهكذا كتب ونشر كتابا بعنوان « لعبة الأمم » ، المح فيه - تلميحا وليس تصريحاً - إلى أن المخابرات المركزية الأمريكية كانت تعرف مسبقا بثورة يوليو ، وأنها كانت على صلة بها على نحو أو آخر ، ولم يكن ذلك بالقطع صحيحا باعتراف « مايلز كوبلاند » نفسه الذى فتكلل مراسلاته التى كتبها بإظهار الخلل فى شخصيته . وعلى أى حال ، فإن هذا الكتاب لم يلبث أن أصبح الذخيرة الاثيرة لدى كل من يريدون الهجوم على ثورة يوليو . بحسن - أو سوء - نية !

وقد فكرت فى وقت من الاوقات فى نشر ملف مراسلات « مايلز كوبلاند » مع عدد كبير من الشخصيات المصرية التى عرفها اثناء عمله فى مصر حتى يستريح ويهدأ هؤلاء الذين اتخذوه مصدرا معتمدا ومرجعا ! وبالفعل قدمت هذا الملف الى مركز الاهرام للترجمة والنشر لترجمته الى اللغة العربية ، وقام المركز بالترجمة الكاملة لنصوص قرابة مائتى صفحة ، وكنت انوى نشر الملف كاملا ، ثم غيرت رأيى لأن كل امر من الامور لابد أن تظل له نسبته الصحيحة إلى حجم الاحداث وقيمتها ، ومع ذلك فإننى انشر فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب قائمة بمجموعة رسائل « مايلز كوبلاند » وهذه القائمة كفيلة وحدها بإلقاء كل الاضواء على الحقيقة .

* نماذج من رسائل « مايلز كوبلاند » منشورة بنصوصها كما ترجمها « مركز الاهرام للترجمة والنشر » - فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت ارقام ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ صفحات ٨١١ ، ٨١٤ ، ٨١٧ و ٨٢٠ .

الفصل الثاني

العالم العربي هو الميدان !



كان « كيرميت روزفلت » مصيبا إلى أبعد مما خطر له وهو يكتب لـ « جيمس ايكلبرجر » عن « معركة القرن » التي توشك أن تبدأ . لقد وضع في هذا التعبير - ربما دون أن يقصد - خلاصة شعوره وفكره وتجربته كمدرس تاريخ ، وكاتب ومسؤول كبير في إدارة المخابرات المركزية الأمريكية .

كانت فعلا « معركة القرن » ، فهي فصل آخر من فصول الصراع المتصل والمستمر للسيطرة على الشرق الأوسط ، والعالم العربي في قلبه . معركة قديمة جديدة ، سابقة ولاحقة ، اتخذت لنفسها أسماء عديدة منذ بدأت : المسألة الشرقية يوما ، وإرث رجل أوروبا المريض يوما آخر ، والسباق إلى الاستيلاء على ولايات الخلافة العثمانية يوما ثالثا - وكانت الأوصاف كلها تدل على نفس الموصوف وذاته : من يملك هذه المنطقة الواقعة في قلب العالم ، ومن يمسك بأيديه مصيرها ؟

كان هذا الصراع من الأسباب الرئيسية طوال تاريخ الامبراطوريات القديمة والجديدة لما احتدم بينها من حروب حتى جاء القرن العشرون الذي أصبحت الحروب فيه عالمية ، وكان مصير الشرق الأوسط مطروحا أثناء الحروب ، وبينها وبعدها . . . في الحرب العالمية الأولى سقطت الخلافة ، ما بين الحربين الأولى والثانية قامت الامبراطوريتان الاستعماريتان القديمتان بتقسيمها بينهما وفق اتفاقية « سايكس

بيكو» ، وفي إطار هذا التقسيم الذي حصلت فيه بريطانيا على حصة الأسد أعطت لليهود وعد « بلفور » في فلسطين ، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تقدمت الولايات المتحدة تطلب الإرث الإمبراطوري لنفسها . وفي اللحظة التي تصورت فيها الولايات المتحدة أن الإرث آل لها وقعت ثورة ٢٣ يوليو ، وما تبعها من تحولات كبرى ظهرت خلالها حركة قومية عربية مركزها القاهرة . وابتعدت الغنيمة عن اليد المستعدة للإمساك بها . ابتعدت . تأخر وصولها إلى طلابها لكنها لم تضع تماما ، وهكذا بدا .

لم يكن « كيرميت روزفلت » مخطئا في الوصف ، ولا في التصور الذي استوحى منه الوصف وإن أفلتت منه بعض التفاصيل ، فقد ظن أن « معركة القرن » سوف تبدأ مع سنة ١٩٥٦ وأن هدفها هو استمالة مصر بما فيها « جمال عبد الناصر » .

ولكن « معركة القرن » في الواقع بدأت سنة ١٩٥٧ ، ثم إن وقائع الأحداث سنة ١٩٥٦ غيرت من هدفها في تخطيط « ايزنهاور » ، فلم يعد هذا الهدف هو استمالة مصر بما فيها « جمال عبد الناصر » كما قدر « كيرميت روزفلت » أو كما تمنى - وإنما أصبح هدفها « الاستيلاء على مصر بغير جمال عبد الناصر » .

كانت مصر لا تزال في إطار تلك الحقبة من الصراع : « أهم بلد في الدنيا » !



لا تتغير سياسات الدول العظمى - التي يتركز قرارها على مؤسسات - مرة واحدة من النقيض الى النقيض ، وإنما يحدث التحول تدريجيا وتتغير التوجهات ببطء . ولا تقع الحركة من مسار الى آخر على شكل زوايا حادة ، وإنما على شكل منحنيات واسعة . وسياسة أى دولة عظمى في هذه الحالة تكاد تشبه المناورة الواسعة في عرض البحر لبأخرة عملاقة تبدأ تغيير سياستها بتقليل سرعتها ، ثم تبدأ في الدوران وعيون ربانها على خرائطه الملاحية حتى يضبط مقدمته على الخط الجديد لطريقه وسط جبال الموج .

ومثل هذه الحركة ليست طبيعية فحسب ، وإنما هي الطبيعة ذاتها ، فبين النهار والليل فترة يتداخل فيها النور والظلمة وهي فترة الغسق . وبين الليل والنهار فترة مماثلة تتداخل فيها الظلمة والنور وهي فترة الفجر .

وكان ذلك في الأرجح شكل الحركة في البيت الأبيض والجو الذي تدور فيه .

كان « ايزنهاور » يحاول تغيير مسار سفينة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط مدركا أن مطالب الولايات المتحدة ومستحققاتها - كما تتصورها - لن تصل إلى يدها بوجود « جمال عبد الناصر » ودوره في المنطقة وتأثيره في العالم

بعد معركة السويس . وكان من الطبيعي أن تكون الحركة بطيئة . وكان يرى الظلام قادما لا محالة ، لكن التوقيت كان لا يزال بعد في مرحلة الغسق .

وربما كانت محاولة تتبع الأوراق التي اطلع عليها الرئيس « ايزنهاور » في هذه الفترة خير وسيلة لمتابعة تفكيره . ومن الواضح طبقا لمجموعة أوراقه أنه كان يعرف ما يريد لكن التحركات لم تكن حادة ، وكذلك الأضواء متداخلة . ومن الخطأ - طبقا لأوراقه - وصف موقفه بالتردد ، وربما كان الصحيح وصف موقفه بأنه يريد أن يستوثق من اتجاهات حركته ومن موقعه على الخريطة الملاحية لساحة الصراع . وبالتأكيد فإنها أثار تجربته الطويلة كقائد لجيوش هائلة تزحف من مختلف الاتجاهات تحت أعلام مختلفة نحو هدف واحد .

والراجح أن ترتيب الأوراق في ملفات أزمة الشرق الأوسط في ذلك الوقت كان هو نفسه ترتيب عرضها على الرئيس ، ومن ثم فإن سياق تفكيره مائل تماما في تتابع الأوراق وترقيمها .

وهناك ظاهرة يمكن ملاحظتها في أوراق « ايزنهاور » ، كان الشيء الوحيد الذي يكتبه بخط يده هو يومياته ، وأما ما عدا ذلك ، فلم يكن يكتب شيئا سوى بعض العلامات : علامة استفهام مرة . علامة تعجب مرة أخرى . إشارات بحروف مرة ثالثة . وأما غير العلامات والاشارات ، فقد كان يملأ ملاحظاته وتوجيهاته على أحد مساعديه ، وتصدر على شكل مذكرة من الرئيس الى الجهة التي يعينها الأمر في كل حالة .

في هذه الفترة تظهر مجموعة الأوراق التالية واحدة وراء الثانية :

● تقرير استماع ملتقط من إذاعة القاهرة ، والتقرير يشير إلى أن لهجة الإذاعة المصرية أصبحت شيوعية بالكامل - على حافة التقرير علامة استفهام والواضح أن صاحبها هو « ايزنهاور » !

تليه برقية شفرية من السفير الأمريكي في القاهرة يقول فيها :

« بالإشارة إلى البرقية رقم ١٢٠٤ تأكدنا ان ما قاله لنا ناصر صحيح . فقد كشفت المراجعة الدقيقة للأشرطة التي قدمها مكتب الاستماع عن وجود اختلافات مادية اساسية عن ترجمة قسم الاستماع المحلى بالسفارة ، ويبدو ان النشرة الملتقطة موضوع البرقية رقم ١٢٠٤ كانت مفبركة بالكامل لذلك اطلب منكم عدم الالتفات لها . وانا اتصور ان هذه الاخبار المختلفة جزء من مؤامرة اوسع ربما كان الشيوعيون وراءها لتشويه صورة ناصر في اعين الغرب . وفي نيتي ان اطلب تعاون السلطات المصرية معنا في تحقيق دقيق لمعرفة جلية الامر ، وسوف اوافي الوزارة باى تطورات . » (على حافتها بخط « ايزنهاور » علامة تعجب !)

● تقرير بريطاني المصدر (بمقتضى التعاون البريطاني - الأمريكي لتبادل المعلومات) والتقرير بتوقيع السير « تشابمان أندروز » الخبير بشؤون مصر ، والذي خدم فيها سنوات طويلة وزيرا مفوضا في السفارة البريطانية بالقاهرة ، ثم نقل بعدها سفيرا في بيروت لأنها أصبحت مركز معلومات أفضل . وفي هذا التقرير يقول السير « تشابمان أندروز » :

« إن سفير المملكة العربية السعودية السابق (الشيخ حافظ وهبة) موجود الآن في جنيف . وقد اتصل من هناك بعمرى باشا (السفير المصرى السابق في لندن) ليقول له إنه عائد لثقه من القاهرة ، وأنه وجد فيها مقاومة سرية كبيرة لناصر . لكن عناصر المقاومة المصرية ، والملك سعود يعتقدان كلاهما أننا إذا سمحنا لناصر أن ينجح ، فستكون تلك نهاية حركة المقاومة المصرية ونهاية النظام الملكى في المملكة العربية السعودية . وأضاف السفير أن الملك سعود يزداد قلقا وعصبية نتيجة لازدياد نفوذ ناصر وخطورته . ومن النقاط المحددة التى أشار إليها ظهور صور ناصر بشكل يدعو للانزعاج في محلات الحلاقين وغيرهم في المملكة العربية السعودية » !

● برقية من « ريموند هير » السفير الأمريكى في مصر برقم ٧٤٣٥ جاء فيها :

« اثرت مع ناصر في لقائى به اليوم موضوع التحركات السوفيتية السياسية في المنطقة ، وكان رده : « ليس لك أن تقلق في هذا الموضوع . إننا كافحنا طويلا لننتخلص من السيطرة الأجنبية ، ولا ننوى أن نكرر تجاربنا » ثم أضاف قائلا : « نحن لانتق بآى من القوى الكبرى » .

وقال لى بعد ذلك : « إن نفوذ بريطانيا وفرنسا قد انهار في المنطقة ، ولما كانت مصر تريد أن تكون لها علاقات طيبة مع الغرب ، فإن هذه العلاقات سوف تكون بالضرورة مع الولايات المتحدة ، ولكن المشكلة التى سوف تواجهنا في هذا الصدد هى مدى ارتباط سياسات الولايات المتحدة ببريطانيا وفرنسا وإسرائيل » !

● مذكرة عن إجتماع في مكتب « ايزنهاور » حضره بعض الوزراء والخبراء الى جانب « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والأميرال « رادفورد » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية ، وقد كتب المذكرة الكولونيل « جود باستر » السكرتير العسكرى للرئيس ، وجاء فيها :

« بدأ الرئيس الاجتماع قائلا إن الهدف منه هو محاولة بلورة سياساتنا في الشرق الأوسط ، فالخطى السياسية يجب أن تتوافق تماما مع مصالحنا المالية والبترونية . ونحن لسنا هنا الآن لاتخاذ قرارات ، ولكن للتفكير والدرس . وقدم المستر هوغر (مساعد وزير الخارجية) ورقة للرئيس قائلا إنها مشروع ورقة عمل ، وهى لاتزال ورقة أولية تحتاج إلى كثير من الترتيب والصقل ولكنها تتضمن بعض الخطوط . تناول الرئيس الورقة ، وبدأ يقرأ بعض ما فيها للمجموعة ويعقب عليه أحيانا .

أكد الرئيس إنه واثق من شعوره بأنه لابد لنا أن نعمل على « بناء » شخصية الملك سعود ليكون الشخصية الرئيسية التي تقود منطقة الشرق الأوسط، ومن الضروري أن يقتنع العراق وإيران بأهمية هذا الدور .

وقال الوزير همفري (وزير التجارة) إن الولايات المتحدة لابد أن تؤسس علاقاتها مع العرب المستعدين للتعاون معها . وتسأل الوزير روبرتسون عما إذا كان الوقت مناسباً لانضمام الولايات المتحدة رسمياً إلى حلف بغداد لأن ذلك سوف يطمئن العراق وإيران ، كما أن السعودية الآن يمكن أن ترحب بهذه الخطوة . وعقب الرئيس معترضاً بأن « انضمامنا إلى حلف بغداد هو ما تريده بريطانيا الآن ، وهذا سوف يؤثر في نفوذنا على العرب .

وأكد المستر آلان دالاس (مدير المخابرات المركزية) أن « الموقف يسوء بشكل خطير في العراق ، وأن نوري السعيد قد لا يستطيع البقاء طويلاً » ودارت المناقشة حول ما يمكن عمله لتقوية مركز نوري ، واستقر الرأي على دعمه ببعض المساعدات العسكرية ، وخصوصاً أجهزة الرادار ، وربما بعض الوحدات الجوية الأمريكية ، بالإضافة إلى بحث إصدار بيان سياسي يظهر التأييد لحلف بغداد . وتسأل الرئيس عما إذا كان هناك شخص يمكن إرساله إلى العراق لمساعد على ترتيب الأحوال هناك ، ثم أضاف إنه يستحسن أن يتم ذلك من خلال السعودية .

● برقية شفرية من السفير الأمريكي في السعودية . « وادزورث » برقم ١٠١١٣ جاء فيها :

« قابلت الملك سعود ، وهو شديد الإصرار على طلباته التي قدمها لنا عن الأسلحة . وقد قال لي إنه يريد أن يلتقي بالرئيس أيزنهاور ويتحدث معه عن « أشياء كثيرة » ثم الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية » وقال لي الملك بلهفة : « إن هناك أشياء كثيرة لا يمكن كتابتها في الأوراق ، ولا يمكن إرسالها في البرقيات » .

إن الملك كان شديد العجلة لمقابلة الرئيس ، وقد فهمت منه أنه سوف يركب الطائرة إلى إيطاليا ، ومن هناك سوف يستقل إحدى البواخر التابعة لشركة الأمريكان اكسبورت : إما البخرة كونسيتيوشن ، أو البخرة إندبندانس ، بحراً إلى نيويورك . وعندما قلت له إنني ما زلت في انتظار وصول دعوة له من أعلى المستويات قال لي : « انقل ما قلته لك الآن إلى حكومتك » !



بعد هذه المجموعة من الأوراق ، وما تحتويه من إشارات سريعة إلى اتجاهات - تجيء في أثرها مجموعة تالية توضح أن المسألة انتقلت خطوة أكثر في اتجاه اتخاذ سياسة واضحة الاتجاه تصدر عنها قرارات محددة - بعضها يحمل نذراً مبكرة لبروق ورمود مازالت عند الآفاق بعيدة .

مجموعة الأوراق التالية كلها تقديرات موقف صادرة عن إدارة المخابرات المركزية الأمريكية ، والظاهر أن الأمور عادت مرة أخرى الى مسؤوليتها ، وكانت من جانبها على إستعداد للحزم والحسم وبشكل لايقبل اللبس . ففى التقرير الأول من هذه المجموعة وعنوانه « تقرير مخابرات على مستوى الأمن القومى : احتمالات الاستقرار فى مصر وتأثيراتها على السياسة الخارجية » - ورد فى البند الأول منه مايل بالحرف :

« من الواضح أن نظام ناصر سوف يبقى مسيطرا على الأمور فى مصر لسنوات قادمة إلا إذا حدث أحد أمرين :

(أ) اغتيال

(ب) هزيمة ساحقة أمام إسرائيل » .^(١)

والواقع أن كلمات هذا البند الأول من تقرير المخابرات المركزية الأمريكية لم تكن تحتاج إلى إضافات تلحقها ، أو تفصيلات تضاف إليها ، فقد كان الوقت مبكرا بعد لما هو أكثر من تحديد هدف نهائى واضح .

وفى العادة فإن هذه هى النقطة التى تبدأ أى استراتيجية . فهى تبدأ بتحديد هدفها النهائى ، ثم تحاول بعد ذلك تلمس السبل الى تحقيقه عن طريق تحويله إلى سياسات يمكن تحويلها بدورها الى خطط تنفيذية تتكفل بترجمة الهدف إلى حقائق واقعة .

إن هذه العملية هى الممارسة اليومية للسياسة فى تحقيق أهدافها . فالأهداف التى لا تستطيع تحويل نفسها إلى سياسات تظل مجرد أحلام يقظة - أو نوم ! - ثم إن السياسات التى لا تستطيع ترجمة هدفها الى خطط تظل مجرد نوايا - طيبة أو سيئة - ثم إن الخطط التى لاتتخذ لنفسها خطوات تنفيذية على أرض الواقع تظل مجرد حبر على ورق .

والأهداف والسياسات والخطط تعيش كلها فى حركة التاريخ وليس خارجها ، بمعنى أنها لاتنشأ وتعيش وتنمو فى أنابيب اختبار معزولة ومعقمة ، وإنما هى حياة فى وسط الحياة متأثرة بما حولها مستجيبة لتفاعلاته متكيفة مع تطوراتها .

ومؤدى هذا أن الأهداف النهائية لطرف من الأطراف فى أى صراع - وعندما يتم تحديدها - لاتمشى مباشرة إلى مقاصدها ، وإنما هى تتقدم وتتأخر ،

(١) صورة من مذكرة المخابرات المركزية الأمريكية منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٣)

وتبطيء وتسرع ، وقد تلف من حول هدفها ، وقد تبدو مبتعدة عنه في بعض الأوقات - لكن تلك كلها مقتضيات ظروف وملابسات تفرضها طبيعة الحياة السياسية في أجواء تتغير درجات حرارتها واتجاهات الرياح السائدة فيها من يوم إلى آخر .

إن الهدف الاستراتيجي لا يتغير في العادة ، وإنما تختلف أساليب الاقتراب منه وفق حركة علاقات القوى صعودا ونزولا ، واستغلالا للفرص السانحة أو الثغرات التي قد تنكشف على غير انتظار .

وهكذا فإن تحقيق الهدف النهائي لأي استراتيجية هو في حقيقة امره حوار مع الحوادث والأطراف والزمن !



مجموعة أوراق « ايزنهاور » - مرة أخرى - ترسم صورة لهذه العملية المعقدة ، وهي الرحلة من تحديد الهدف إلى تحقيق تنفيذه في ظل أجواء متغيرة . خطوات تتلمس سبيلها . تبحث عن محاور لحركتها . تفتش عن رجال وعن فرص .

وفي أوراق « ايزنهاور » في بداية سنة ١٩٥٧ ثلاث وثائق تستطيع فيما بينها أن تعطي صورة عن الحالة الفكرية في دوائر صنع القرار الأمريكي عند مستوى القمة .

□ مذكرة بتقدير معلومات مخابرات كتبها ووقعها « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وهي موجهة إلى وزير الخارجية ، ويلاحظ أن نسخة منها أرسلت في نفس الوقت إلى الأميرال « رادفورد » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية - وقد جاء فيها مايلي :

« مذكرة تقدير معلومات مخابرات

رقم ت س ١٥٨٧٣٤

١ - بدراسة وتحليل تقارير المخابرات بشأن التطورات في الشرق الأوسط نورد في هذه المذكرة ما انتهينا اليه من حيث الموقف الذي يواجهنا الآن في هذه المنطقة .

(١) بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية من مصر ظهر فراغ في القوة في هذا البلد ، والواقع أن القوات العسكرية الوحيدة في مصر هي الجيش المصري وقوامه حوالي ٩٠,٠٠٠ جندي بمعدات كبيرة وبعض الطائرات التي تم تعويضها .

(ب) إن ناصر باقى فى السيطرة على الحكومة المصرية ، وعلى ما تبقى من قواتها المسلحة ، وهو مازال يمارس نفوذا كبيرا على القوات العسكرية ، وعلى وحدات التخريب فى سوريا والأردن والسعودية ، وكان من شأن التحركات الدبلوماسية والسياسة الأخيرة انه أعاد بناء هيئته وثقته بنفسه ، وهو يتلقى من موسكو تشجيعا سوريا ووعودا بمعونة مالية . وطالما باقى ناصر فى السلطة ، فسوف يحاول إحباط أى سياسة يعتبرها معادية لمطامحه خصوصا إذا ما اقتنع بأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية سيؤيده فى تصرفاته ، وبأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتخذ أى إجراء فعال مضاد له .

(جـ) أما فى سوريا ، فالوضع خرج إذ من الجائز أن يحدث فيها انقلاب شيوعى ناجح ، ولاسيما إذا ما استطاعت موسكو تسريب منظمات سوفيتية شديدة المراس زائدا نواة من القوة العسكرية يفترض أن تتألف فى غالبيتها من طائرات واطقم طيران . وربما أسفرت الإطاحة بالحكومة السورية ، أو حتى زيادة الضغوط السوفيتية على الحكومة الحالية ، عن قيام سوريا بدعوة موسكو لإرسال قوات إلى سوريا لحمايتها من إسرائيل ظاهريا . ومن شأن هذا أن يحيل سوريا إلى قاعدة عمليات سوفيتية فى المنطقة تعضيدا لمصر . . ومن هنا فإن سوريا تمثل فراغا ثانيا فى القوة . وربما تحرك السوفيت ملئها بصورة سافرة أكثر مما هو الحال فى مصر . أما الأردن ، فهو مستهدف بالمثل ، ولكنه أقل إغراء للسوفيت من الناحية الجغرافية .

(د) إن المذكرة السوفيتية للولايات المتحدة (عبارة محذوفة) وتورط الهيبة السوفيتية تورطا عميقا مع ناصر والعرب زائدا الوعود بمساعدات عسكرية توحى بأن السوفيت ربما يحاولون القيام بعملية سورية وربما مصرية .

٢ - نقوم الآن بالتركيز على دعم الإمكانات الخاصة بمخابراتنا فى المنطقة (سطور محذوفة) ونحن نقدر أى توجيه بالنسبة لأى إجراءات أخرى ترغبون فى قيام وكالة المخابرات المركزية بها مساندة لاية تحركات سياسية وعسكرية تفكر الولايات المتحدة فيها .

(توقيع)

الان دالاس

المدير

□ مذكرة أعدتها « مجموعة عمل » تابعة لمجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض لعرضها على الرئيس - جاء فيها مايل :

« من الواضح ان الحكومة المصرية الحالية لاتريد تقديم مساهمتها اللازمة لتسوية المنازعات القائمة الآن فى الشرق الأوسط وفقا لمبادئ العدل والقانون الدولى ، وسوف تكون لذلك عواقب رهيبه لامعدى عنها :

١ - استخدام القوة من جانب إسرائيل : فإزاء عجز الأمم المتحدة بصورة فعالة عن تسوية نزاعات المنطقة طبقا لمبادئ الميثاق - فإنها لن تعود قادرة على الحيولة دون استخدام الأطراف المتنازعة للقوة في سبيل تحقيق التسوية . وفي ظل هذه الظروف ، يحتمل ان تستأنف إسرائيل استخدام القوة ضد مصر ، ولا سيما فيما يتعلق بقطاع غزة ، وربما بصورة اوسع .

٢ - استخدام القوة في خليج العقبة : لأن الملاحة في الخليج لا يمكن تركها تحت رحمة قرار مصرى - فإن الأمم البحرية قد يكون عليها ان تقرر استخدام القوة للابقاء على مضايق تيران وخليج العقبة مفتوحة ، لاعتقادها بان هذا حق صريح لها .

٣ - بدائل للسويس : لا ريب أن الأمم التي تتوقف اقتصادياتها الى حد كبير على المرور من الشرق الى الغرب ستلجأ كتدبير سياسى إلى التعجيل بايجاد بدائل عن قناة السويس ، وهو ما قد يعنى استخدام اموال حكومية على اساس غير تجارى ، وربما تمثلت هذه البدائل في خط انابيب شمالي (عبر تركيا) او ناقلات ضخمة تستطيع تفادى قناة السويس ، او خط انابيب كبير يمر عبر اسرائيل مع الاعتماد بصورة اكبر ، ولو مؤقتا على بترول نصف الكرة الغربى ، والتعجيل بتطوير الطاقة الذرية في اوروبا الغربية .

٤ - إجراءات اقتصادية ضد مصر : لابد من الإبقاء على إجراءات اقتصادية ضد مصر من نوع ما طبق أخيرا ، وقد يكون من المطلوب اتخاذ إجراءات أخرى اشد تصل إلى درجة العقوبات .

٥ - الإدانة المعنوية لمصر : لابد من توجيه إدانة عامة لمصر من الراى العام العالمى المستنير ، ولابد من وضع الحكومة المصرية الحالية في التاريخ بوصفها خائنة لا للأمال المشروعة للشعب المصرى وحسب بل كذلك لجميع الأمم العربية . «

□ برقية من الرئيس « دوايت ايزنهاور » إلى « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الذى كان يحضر اجتماعا لوزراء خارجية حلف الأطلسي في باريس جاء فيها : (٢)

« فوستر :

.....
.....

أمل ان يفهم اصدقائنا في منطقة حلف شمال الأطلسي بصورة واضحة انه ليست لدينا أية نية للوقوف مكتوفي اليدين نتفرج على الجناح الجنوبى للمنظمة وهو ينهار انهيارا تاما بسبب تغلغل الشيوعيين إلى الشرق الأوسط ، ونجاحهم هناك في

(٢) النص الكامل لبرقية ايزنهاور إلى دالاس منشور في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٤) صفحة

حين اننا لانعمل شيئا إزاء هذا . وإنى لوافق من انهم يعرفون اننا نرى ان لناصر
تائيرا شريرا في المنطقة . كما اعتقد باننا وإن كنا نشاطر البريطانيين والفرنسيين
آراءهم في ناصر الى حد كبير - فخلافا الوحيد معهم انهم اختاروا الوقت السيء
والأسلوب السيء للإقدام على تدابيرهم التصحيحية . واهم من كل شيء في نظري هو
ان يرى اصدقائنا في أوروبا كما نرى نحن ضرورة الشروع سرا ، وعلى مستوى
أركان الحرب في وضع سياسات ، وخطط تستطيع دول الغرب بمقتضاها ان تعمل
سوية على جعل الشرق الأوسط آمنا من التغلغل السوفيتي . وليس يخالجنى اى
شك في انه سيكون من المتعين علينا في قابل الايام ان نكون رأس الحربة في هذا
القبيل .

ويحدوني اعتقاد مستمر - كما أظن بأنه يحدوكم - ان يكون بين الإجراءات التي
يتعين علينا اتخاذها ان نقيم منافسا عربيا لناصر ، والاختيار الطبيعي هو على
ما يبدو نفس الرجل الذي طالما تحدثت أنت وأنا عنه^(٣) .

فالذا استطعنا تنصيبه باعتباره الشخص الذي يستحوذ على خيال العالم العربي ،
فإن بقاء ناصر لن يدوم طويلا .

توقيع
ايزنهاور



ما الذي يمكن استخلاصه من هذا كله ، في هذا التوقيت من بدايات سنة

١٩٥٧ ؟

إن الوثائق ناطقة بمجموعة من الحقائق لا يحتاج استخلاصها إلى جهد
كبير :

١ - أن معركة « القرن » تدور رحاها الآن بالفعل وهدفها استعادة
وتثبيت سيطرة الغرب (الولايات المتحدة بالذات) على المنطقة .

(٣) الملك سعود هو الشخص المقصود ، كما يتضح من يوميات ايزنهاور (رجاء مراجعة كتاب ملفات
السويس - الجزء الخامس - الفصل العاشر - صفحة ٦٠٣)

٢ - وأن المطلب الأول لها الآن هو تصفية الوضع الثورى فى مصر . لأن هذا الوضع الثورى يهدد بأحد أمرين من وجهة النظر الأمريكية : أن تستطيع مصر تكتيل تيار قومى عربى قادر يمنع تحقيق الحلم الامبراطورى الأمريكى - والأمر الآخر هو أن مصر فى محاولتها سوف تفتح الباب لدور سوفيتى على الأقل لكى توازن به المخطط الأمريكى - وهذا محظور لأبد من التصدى له .

٣ - ثم إنه إذا أريد إحباط المشروع القومى المصرى بغير الوسائل المسلحة المباشرة التى قد تؤدى إلى صدام عالمى (كما فعلت بريطانيا وفرنسا فى معركة السويس) - فإن وسائل العمل غير المباشر هى الحل الممكن والمأمون .

٤ - أن أهم وسائل العمل غير المباشر هو السعى لعزل مصر فى العالم العربى ، ولما كان جزء كبير من العالم العربى معزولا بالفعل عن مصر وهو الجزء المتمثل فى حلف بغداد بروابطه وفروعه فى عواصم عربية متعددة - إذن فإن التركيز ينبغى أن يكون على حلفاء مصر فى العالم العربى وأولهم فى ذلك الوقت السعودية وسوريا : السعودية بأخذها من مصر ، وبناء شخصية الملك « سعود » كمنافس ، أو خصم لـ « جمال عبد الناصر » بدعوى تخويفه من الشيوعية ، ، وسوريا بالانقلاب الداخلى بعد أن ثبت أن أى وسيلة غيره لا تفى بالمطلوب !

٥ - قد تسنح فرص للاغتيال (وهى مرهونة بظروفها وتحت مسؤولية أجهزة أخرى مهياة لها) .

٦ - هناك أخيرا الاحتمال الوارد فى البند الأول من مذكرة المخابرات الأمريكية الخطيرة وهو : الهزيمة العسكرية المصرية الساحقة أمام إسرائيل !

وإذن فإن العالم العربى هو بنفسه ، وبذاته ميدان المراحل الأولى من معركة « القرن » .

هو وليس أى ميدان غيره !



وكان هذا « الميدان » الذى بدأ إعداده للمراحل الأولى من معركة « القرن » ميدانا من أصعب الميادين بشريا وحضاريا وتاريخيا وواقعا لكل أنواع المعارك المتصورة ، أو المخططة .

ولعل الرؤية الأمريكية لهذا « الميدان » كانت موروثة عن الرؤية البريطانية التقليدية له . وكانت الرؤية البريطانية التقليدية له أن الصراع الى درجة الحرب الأهلية فيه ممكنة بسبب تناقضات عنيفة فى قلب هذا العالم العربى بين القبائل والمدن ، وبين الصحارى والوديان ، وبين التقليدى والجديد ، وبين الدين والقومية ، وبين الفقر المدقع والغنى الفادح ، وبين الراضين بالنفوذ الأجنبى والمعتمدين عليه وبين الرافضين له والثائرين ضده ، ثم استجذت على هذه التناقضات المتشابهة كلها تناقضات طارئة سببها قيام إسرائيل ، ثم تدفق البترول وتراكم فوائضه ، وأخيرا العلاقة مع الاتحاد السوفيتى وإمكانية التعامل معه ، أو ضرورة مقاطعته والتكتل مع الغرب ضده .

وإلى حد ما فإن هذه الرؤية كانت صحيحة فى خطوطها العريضة - لكن الذى لم يتنبه له أحد بالقدر الكافى هو أن ظهور مشروع عربى قومى تقوده مصر يستطيع عن طريق تعبئة جماهير الأمة العربية الواسعة أن يغطى على هذه التناقضات ، ولو لبعض الوقت .

وقد كان ذلك هو الوضع فى بداية سنة ١٩٥٧ ومن آثاره أن بدت شبه حالة من اختلاط المواقف والآراء ، والتردد بين الإقدام والإحجام .

وكتب وكيل وزارة الخارجية البريطانية خطابا^(٤) موجهها إلى السفير البريطانى فى بيروت يقول له فيه :

« عزيزى جورج »

تلقينا تقريراً غير مباشر عن آراء أعرب عنها مؤخرا اللواء فؤاد شهاب (قائد الجيش اللبنانى) ونكون شاكرين لو إبدىتم تعليقاتكم عليها .

إن اللواء شهاب يعتقد أن غزو مصر قبل شهر دفع ناصر إلى التعقل ، فقد أدرك الآن أنه لا يستطيع أن يقوى الجيش المصرى بدرجة تكفى لمواجهة إسرائيل . وكذلك أدرك أنه ليس من المجدى الاعتماد على روسيا إلى هذا الحد . ولهذا ينبغي لنا أن نصح علاقاته مع الغرب ، ولا سيما الولايات المتحدة . وعلى هذا فإن اللواء شهاب يدعو إلى أن نعمل من أجل تعاون ناصر مع الغرب ، فلو سقط ناصر الآن فإن اسمه وسياسته سوف يبقيان ذكرى حية ، أما إذا تعاون مع الغرب فإنه يستطيع

(٤) الوثيقة رقم ج ١٠٧١ / ٥ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية .

أن يؤثر على سوريا والأردن من أجل مناهضة الشيوعية أكثر من أي شخص آخر .
إن اللواء شهاب أبدى أمله في أن تقوم الولايات المتحدة بمساعدة ناصر ، وأن تقدم
له بوابر على حسن نواياها كان تعيد إلى مصر سفيرها السابق فيها هنري بايرود ،
وقد كان موضع ثقة ناصر . يعتقد اللواء شهاب أيضا أن شارل مالك (وزير خارجية
لبنان) يخالف هذه الآراء ، وفي اعتقاده أن شارل مالك لم يعد يعرف اتجاهات الرأي
العام اللبناني . »

ومن بيروت كتب السفير البريطاني « جورج ميدلتون » إلى وزارة الخارجية
البريطانية برقية شفوية^(٥) ليقول :

« إن رئيس الجمهورية كميل شمعون أبلغه أن الموقف الداخلي في مصر أخذ في
التدهور ، ومكانة ناصر تتراجع لصالح المتطرفين بل إن ناصر قد يتحول إلى نجيب
آخر . وقد وزعت الأسلحة الصغيرة بأعداد كبيرة للغاية ، وبدون تمييز على
الأهالي ، ووقعت مناوشات مسلحة بين الفدائيين والإخوان المسلمين . والعداء
للأجانب يزداد ، ويتخذ شكلا معاديا للمسيحيين بصفة عامة ، وبالتالي فليست هناك
فائدة من التركيز على ناصر شخصيا لأن الموقف خطر ، وإذا أصبحت مصر
شيوعية ، فمن المؤكد أن سوريا سوف تسلك نفس الطريق ، وعندئذ يصبح الموقف
في الشرق الأوسط خطيرا . »

وقال السفير البريطاني في برقيته إنه يتشكك في معلومات « كميل شمعون » عن
« ناصر » وأنه قال له :

« لكي يصبح « ناصر » نجيبا آخر فيجب أن يكون هناك « ناصر » آخر . وكان
تقدير « ميدلتون » أن « ناصر » مازال هو العدو برغم تفاؤل كميل شمعون ! »

ومن بغداد - عاصمة الحلف الغربي المعول عليه - كتب السفير البريطاني
السير « مايكل رايت » برقية إلى وزير الخارجية البريطاني يقول له فيها :

« قال لي نوري باشا - عندما لقيته الليلة - « إنه تحدث مع الملك وولي العهد
وغيرهما بشأن الموقف من ناصر ، وتشير المعلومات المتوافرة لديه أن مصر تواجه
الآن كثيرا من الصعوبات الاقتصادية وغيرها ، وقد سمع أيضا أن ناصر يواجه
نوعا من الشقاق ، أو على الأقل الاختلاف في الرأي بين مؤيديه . وخلص نوري إلى
أنه قد يكون من المفيد جس نبض ناصر في حالته الحاضرة ، والتعرف على ما إذا كان
ملتزما بشكل لا رجعة فيه بالتعاون مع الروس ، أم أن هناك فرصة لجذبه نحو
التعاون مع البلدان العربية المعادية للشيوعية ومع الغرب » .

وأضاف نوري : « إن الخلاف بين الدول نادرا ما يستمر بلا نهاية ، وإذا كان في
الوسع دفع ناصر أو المحيطين به إلى الاستفادة من التجارب الأخيرة ، وتغيير
سياستهم والأخذ بسياسة العمل بالتعاون مع العراق ضد الشيوعية ، ومن أجل

(٥) الوثيقة الرمزية OTP رقم ١٥١٣ .

حل المشكلة الفلسطينية - فإنه ليس من الحكمة التفاوض عن هذه الامكانية . وعلى ذلك فإن هناك رسالة تعد الآن لإبلاغها إلى القاهرة من توفيق السويدي عن طريق السفير المصري في بغداد لمعرفة ما إذا كان ناصر على استعداد لمقابلته بوصفه شخصية مستقلة تحظى بثقة الحكومة العراقية ولا تمثلها . فإذا جاء رد ناصر بالموافقة ، فسيكون توفيق السويدي مستعدا للسفر إلى القاهرة واستكشاف الموقف . أما إذا كان الرد بالرفض ، أو إذا وجد السويدي عند التثائه بناصر أنه لا سبيل إلى تحقيق تقدم ، فستكون حكومة العراق قد عرفت على الأقل حقيقة الموقف ولن يلومها أحد في المستقبل ، ولن تلوم نفسها لأنها لم تحاول » .

وأضاف نوري : « إنه يبدو لأول وهلة أن الأمريكيين يستطيعون أيضا أن يلعبوا دورا ، ولذا فإنه بعث اليوم برسالة إلى واشنطن عن طريق القائم بالأعمال الأمريكي يقترح فيها أن يقوم سفير الولايات المتحدة في القاهرة أيضا بمحاولة لجس النبض ، وطلب مني إبلاغكم بما سبق . وهو يعتقد أن سوريا الآن تدور في فلك مصر ، وأن مصر تدور في فلك روسيا السوفيتية . وآه إذا كانت هناك فرصة لكسر الحلقة أو إضعافها في مصر ، فإن ذلك سيكون مفيدا » .

ووصلت برقية السير « مايكل رايت » إلى مكتب رئيس الوزارة البريطانية الذي علق عليها بتأشيرة موجهة إلى وزير خارجيته قال فيها بالحرف :

« اطلعت على برقية السير مايكل رايت عن آراء نوري بشأن الوضع الحالي لناصر . اقترح نوري بأن تبذل محاولة لجذب ناصر إلى التعاون مع البلاد العربية المعادية للشيوعية اقترح لم يكن متوقعا . واعترف بأنه يبدو لي لأول وهلة اقتراحا غير حكيم ، وأشعر بشيء من القلق لأنه بادر بإبلاغ فكرته إلى الأمريكيين . إن أي محاولة من جانب نوري والأمريكيين لمساعدة ناصر في التغلب على متاعبه الداخلية الحالية لن تكون لها نتيجة غير زيادة المتاعب في المستقبل ، ولن يلبث ناصر أن يخادع الغرب مرة أخرى ، وأن يخادع نوري أيضا ، ومن الأفضل تركه ليسقط إذا كان هناك احتمال لذلك » .



ولم يكن الرئيس « دوايت ايزنهاور » في واشنطن في حاجة إلى انتظار آراء اللواء « شهاب » أو تقديرات « كميل شمعون » من بيروت ، ولا كان لديه الوقت . لسماع وسأوس أهم أصدقاء الغرب في المنطقة وهو « نوري السعيد » من بغداد - كان قد بدأ يحزم أمره ، ويستقر على تحركات عملية على ساحة الشرق الأوسط أعلنها تحت اسم « مبدأ ايزنهاور » الذي تقدم به إلى الكونجرس الأمريكي في أوائل عام ١٩٥٧ .

كان « ايزنهاور » أيامها في حالة نفسية تتسم بمسحة عدوانية ظاهرة لعل سببها الدفين في أعماقه إحساسه بأن مدة رئاسته الأولى من سنة ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ لم تحقق تقدما يذكر على كل الجبهات ، وخصوصا هذه الجبهة التي تدور عليها « معركة القرن » وهي جبهة الشرق الأوسط .

ولقد سقطت الامبراطوريات التي كانت تمسك في قبضتها بإرث الخلافة العثمانية - لكن المشكلة أن هذا الإرث لم يصل إلى المطالب عنوة - وبصرف النظر عن الحق - وهو الامبراطورية الأمريكية .

وفي رؤية « ايزنهاور » فإن هذا « الإرث » كان معلقا في الفضاء . ذلك أن « فراغ القوة » الذي نشأ في الشرق الأوسط تتحرك فيه حركة عربية قومية حاشدة ، ولكنها « عاطفية » ، وهي تحت قيادة « جمال عبد الناصر » لا تبدو له مضمونة ، فهي تتحدث عن « استقلال حقيقي » يمكن أن يكون ضارا بمصالح الولايات المتحدة .

كانت تلك - على نحو أو آخر - رؤاه كما تبدو من يومياته ، وقد كتب بخط يده في يومياته في صفحة اليوم الأول من سنة ١٩٥٧ - وكانت رئاسته الثانية (حتى آخر سنة ١٩٦٠) على وشك أن تبدأ - يقول :

« لا بد أن نخوض الحرب الباردة بروح قتالية . لا بد أن نمارس في ظل السلام منطق التجنيد والتعبئة - ونحن هذه المرة لانجند ونعبيء فرقا وجيوشا ، ولكن نجند ونعبيء شعوبا وأمما لكي تقف في خطوطنا ، وليس في خطوط الشيوعيين » .



وفي نفس هذا اليوم الأول من سنة ١٩٥٧ ورغم جو الإجازة والاحتفالات برأس السنة - وجه « ايزنهاور » الدعوة إلى ثلاثين عضوا من أعضاء الكونجرس ، ودعا معهم اثنين وثلاثين شخصية من كبار المسؤولين في إدارته - لكي يجتمعوا سويا معه لمناقشة ما رآه « ايزنهاور » أخطر تحديات مدة الرئاسة الجديدة والسنة الجديدة ، واستمر الاجتماع أربع ساعات كاملة ، من الثانية بعد الظهر حتى السادسة مساء .

وبدأ « ايزنهاور » الاجتماع بقوله : « إنه دعا إلى هذا الاجتماع الاستثنائي والموسع لأنه ينوئ أن يتقدم بعد أيام إلى الكونجرس بمشروع قانون يعطيه سلطات استثنائية لمواجهة الأحداث الطارئة في الشرق الأوسط . »

ثم شرح « ايزنهاور » أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية والحوية في الصراع العالمي ، وكان مجمل حديثه تأكيدا جديدا لمقولة إن السيطرة على الشرق الأوسط هي فعلا « معركة القرن » .

واستعرض « ايزنهاور » بسرعة مجمل الأحداث العاصفة التي شهدتها السنة الماضية (١٩٥٦) في الشرق الأوسط ، ثم خُص إلى أن الاحتمالات القادمة في هذه المنطقة تقتضى أن يكون الرئيس الأمريكى على استعداد لمواجهةها على الفور وبكل الوسائل ، ثم استطرد « ايزنهاور » قائلا طبقا لمحاضر الاجتماع (٦) :

« إذا حدث عدوان سوفيتى على الشرق الأوسط ، فليس هناك بديل أمام الولايات المتحدة سوى أن تتحرك بسرعة لكي تواجههم بدلا من أن تنتظر حتى تفقد هذه المنطقة للروس . إن أى سيطرة سوفيتية على الشرق الأوسط تعنى الكارثة المحققة لنا ولأوروبا التي تعتمد على بترول الشرق الأوسط .

وأهمية تفويض من الكونجرس لى كى اتصرف تكمن بالدرجة الأولى في أنه إخطار للعالم كله بأننا جاهزون للحركة إذا لزم الأمر . وأنا أعد أننى بقدر الإمكان سوف أتبع أسلوب المشاورات الدستورية مع الكونجرس ، لكنى أرجوكم أن تتذكروا أن الحرب في الأزمنة الحديثة مسألة ساعات فقط ، وأنا أتمنى من صميم قلبى أن لا تضطرنى الأحداث إلى استعمال التفويض الذى أطلبه منكم . »

وأبدى عدد من أعضاء الكونجرس الحاضرين ، وفي مقدمتهم « راسل » و « رايبورن » عددا من التحفظات ، فقد قال « راسل » إنه « من الأفضل التزام القواعد الدستورية ، وإن موقف الولايات المتحدة سوف يصبح أقوى إذا توجه الرئيس بما يطلبه من الكونجرس أولا بأول مع تصاعد احتياجاته . فعندما يرى

(٦) صفحة ٣٨١ في التاريخ المعتمد لحياة الرئيس « ايزنهاور » ، الذى اعده المؤرخ « ستيفن آمبروز » ، الذى نشر سنة ١٩٨٤ .

« الآخرون » أن هناك توافقا بين « السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية » سوف يجدون فعلا أمريكا موحدة . ورد « ايزنهاور » ردا له معنى حين قال :

« هذا النوع من التصرف الاجرائي مفهوم إذا كان الروس سوف يحركون جيوشا نظامية الى الشرق الأوسط لكن ما أخشى منه هو العدوان من الداخل على أى بلد عربى » .

وسئل « ايزنهاور » عما يعنيه بـ « العدوان من الداخل » وقال إنه يقصد الانقلابات والثورات . وسأله السناتور « رايبورن » قائلا : « إن المنطقة مليئة بانظمة وطبقات متحكمة فاسدة ، فهل تخوض الولايات المتحدة الحرب في كل مرة يطمح فيها شعب إلى تغيير اوضاعه ؟ »

ورد « ايزنهاور » قائلا : « المسألة هي هل نحن قادرون على حماية اصدقائنا أم لا ؟ هل هؤلاء الاصدقاء يستطيعون الاعتماد على حمايتنا أم لا ؟ » وقال السناتور « راسل » : « إنك تريد أن تتصرف في اجواء السلام وفق قوانين الحرب » .

ورد « ايزنهاور » : « إننا نواجه خطرين في وقت واحد ، الغزو من الخارج والغزو من الداخل ، وسوف نكون حمقى إذا قاومنا احدهما دون أن نقاوم الآخر - في هذه الحالة نسمح لأنفسنا بالهزيمة أمام الخطرين معا وفي نفس الوقت » .

كان « مبدأ ايزنهاور » بالتحديد يتركز في مطلبين عمليين :

١ - الموافقة على تخصيص ٤٠٠ مليون دولار معونة إضافية - غير اعتماد المعونة العادية - يستطيع الرئيس أن يتصرف فيها منحة بقرار منه لأى دولة مستعدة للتعاون مع الولايات المتحدة .

٢ - تفويض الرئيس باستعمال كل وسائل القوة الأمريكية - بما فيها استخدام القوة المسلحة - دون الرجوع إلى الكونجرس ضد أى عدوان على أى دولة معرضة للعدوان في المنطقة « من طرف آخر تحت السيطرة الظاهرة ، أو المستترة للاتحاد السوفيتى » !

وفي يوم ٥ يناير عقد الكونجرس اجتماعا استثنائيا يعرض عليه الرئيس ايزنهاور « مبدأه » للشرق الأوسط ، وبعد جلسات طويلة ومناقشات وبعد التعديلات صوت الكونجرس لصالح الرئيس بالتفويض الذى طلبه ، وكانت نتيجة التصويت ٧٢ - ١٩ . واتخذ « ايزنهاور » بعد ذلك خطوتين :

□ دعا عددا من اصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة العربية إلى لقائه في واشنطن^(٧) .
 □ ثم بعث بصديقه « جيمس ريتشاردز » رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب إلى المنطقة لكي يعرض « مبدأ ايزنهاور » على كل دولها !



كانت القاهرة تتابع ما يجري من حولها ، قريبا وبعيدا ، وتصفي بأذان مفتوحة وعيون يقظة ، وكان إحساس « جمال عبد الناصر » إن معركة جديدة قد بدأت . لقد انتهت معركة العدوان ، وانسحبت قواته دون أن تستطيع فرض إرادتها على الشعب المصري - لكن الصراعات الكبرى ليست بهذه البساطة . إن مصر انتصرت هذا صحيح ، ولكنه انتصار في جولة ، والجولة بعدها جولات ، والجولات مشاهد في معارك ، والمعارك فصول في حرب ، والحرب صراع مستمر في عالم تتحكم فيه موازين قوة ، وليس موازين عدل .

كانت تصورات ما زالت متأثرة بخلفيته العسكرية ، وكانت تعبيراته عن هذه التصورات على نفس النهج .

وفي أوائل شهر أبريل ١٩٥٧ ، وكانت إسرائيل قد انسحبت من قطاع غزة ، وعادت إليه الإدارة المصرية والقوات المصرية - أحس « جمال عبد الناصر » أن معركة السويس قد وصلت إلى نهايتها ، وقرر لأول مرة أن يمنح نفسه إجازة لثلاثة أيام يفكر فيها مستقبليا ، فقد كان تلاحق الحوادث والتطورات ، وضرورات الاستجابة والحوار والمواجهة معها قد استغرقت بالكامل شهورا متصلة . . . شاقة ومضنية .

(٧) ذهب الملك سعود إلى واشنطن في أواخر شهر يناير سنة ١٩٥٧ في هذا الاطار ، وبعده ذهب الامير عبد الاله ولي عهد العراق ، وهناك اقنعه ايزنهاور بان الوقت قد حان لعقد صلح بين السعوديين والهاشميين بمنطق ان كليهما الآن يواجه نفس الخطر (عبد الناصر) ، كما قام الرئيس الحبيب بورقيبة بزيارة رسمية لواشنطن في شهر ابريل ١٩٥٧

وكان إطار تصوراته وتعبيره عنها على النحو التالي (٨).

« إننا انتصرنا في معركة السويس ، وهذه مسألة ليست موضع شك ، لكن كل انتصار يحتاج إلى تعزيز ، وإلا فإنه معرض للخطر . وقواعد العسكرية تعلمنا أننا نعزز النجاح ولا نعزز الفشل . إذا لم يتعزز أى نجاح ، فإن مراحل الصراع القادمة قد تخطفه من أيدينا ، ولذلك فإن علينا الآن تحديد مصادر الخطر

بريطانيا وفرنسا ليس منهما خطر الآن ، فقد خرجتا من المعركة بهزيمة كبيرة سوف تظل آثارها تتداعى ، وفي الفترة القادمة فلسنا أرى مخاطر كبرى من ناحيتهما .

الخطر من القوتين الكبيرتين . الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ليست هناك إشكالات كثيرة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى الآن ، وهم يتصورون أن لهم حقوقا علينا وهذا صحيح ، ولكننا أعطيناهم فرصة لم يكونوا يحلمون بها في العالم الثالث الذى خرجوا إليه كقوة مساندة لحركات التحرير ، وليس عندنا ما نعطيه لهم أكثر من ذلك . ولست أعرف تماما مدى ارتباطهم بالشيوعيين العرب على مستوى التحركات اليومية ، لكننى لاحظت أن عددا من الشيوعيين في مصر قد نشطوا مستغلين فرصة وجودهم في الحرس الوطنى والمقاومة الشعبية ، وحاولوا التنفيذ بتنظيماتهم إلى بعض النقابات وفي أوساط الطلبة ، وقد اعتقلنا عددا منهم وسوف يقدمون للمحاكمة ، وأنا انتظر رد فعل الاتحاد السوفيتى . والحقيقة أننى لا أريد مشاكل معهم لكننا على استعداد لهم إذا تصوروا أن موقفهم منا أثناء المعركة يمكن أن يكون حماية للشيوعيين المصريين أو العرب . لا أتمنى خلافا معهم الآن ، وأتمنى أن لا يدفعونا إليه بغير داع ، وإذا فعلوا فلن يكون أمامنا خيار لا أتوقع مشاكل في الغالب ، فليست لديهم أدوات للعمل ضدنا غير الأحزاب الشيوعية ، وهذه أمرها ميسور ، والتصدى لها لن يكون صعبا ، فهى ليست على درجة من القوة يخشى منها ، ولن أتردد في مواجهتهم بدواعى مجاملة الاتحاد السوفيتى ، وإلا كنت أسمح لبعض الأطراف باللعب في الجبهة الداخلية ، ثم إننى إذا ترددت ، فمعنى ذلك أننى أعطى حجة لدعاوى الأمريكيين وأصدقائهم الذين يشنون علينا الآن حملة تدعى أننا أرتميها في احضان السوفيت .

الخطر الحقيقى إذن من الولايات المتحدة .

الولايات المتحدة تتصور أنها قامت بدور في هزيمة العدوان ، وهذا صحيح ، وقد أخذوا مستحقاتهم حين أتيح لهم أن يقولوا للعالم كله أنهم في وقت أزمة وقفوا ضد أصدقائهم انتصارا لمبادئهم - قالوا ذلك وكرروه في الجمعية العامة ، وكانت له آثاره الطيبة بالنسبة لسمعتهم وهذا يكفيهم ، مع ذلك فانا واثق أنه ليس كافيا من وجهة نظرهم .

(٨) مجموعة أوراق محمد حسنين هيكل عن تفاصيل لقاء طويل مع جمال عبد الناصر اتصل خمس ساعات مساء يوم ٤ إبريل ١٩٥٧ في استراحة القناطر .

هم يريدون السيطرة على المنطقة ، ونحن العقبة امامهم .
علينا ان نسال انفسنا الآن : ما هى اسلحتهم تجاهنا ؟

□ أولا - الحرب النفسية ، وهم يشنونها الآن علينا فعلا ، وليس امامنا دفاع غير ان تكون جماهيرنا على علم بما نفعله ، وان تشارك بنفسها في فعله ، ثم ان نشرح وجهة نظرنا باستمرار امام الامة العربية ، ونكون جاهزين طوال الوقت للرد على اية ادعاءات يثيرونها ضدنا .

□ ثانيا - الحرب الاقتصادية ، وهم ايضا يشنونها ، وهذه مشكلة ولكنها ليست صعبة ، وقد طلبت من الجريتيلى^(٩) والقيسونى دراسة إمكانات وضع اقتصادنا على مستوى اقتصاد الحرب ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لمواجهة الحصار الاقتصادى .

□ ثالثا - « الغزو من الداخل » وهذا تعبير دالاس ، وهم يمارسونه ضدنا فى السر رغم انهم يتهموننا نحن علنا باننا نمارسه فى المنطقة ضد اصدقائهم . وليست لديهم فرصة للنجاح فيه معنا ، ولقد جربوا وجرب الانجليز والفرنسيون قبل المعركة واثناها وبعبدا وفشلوا . وما لم يتحقق فى جو المعركة وإرهاب القوة الذى تعرضنا له لن ينجح بعد انتصارنا .

□ رابعا - ما تحاوله الولايات المتحدة الآن فى المنطقة هو محاولة عزل مصر عن بقية العالم العربى ، وهذه معركة لا نحتمل خسارتها . إذا خسرتها خسرتنا أقوى اسلحتنا ، وهو إمكانية امة بأسرها ، ثم إننا إذا خسرتنا المعركة فى العالم العربى سهل عليهم بعدها ان يتقدموا لضرب مصر فى عقر دارها .

□ خامسا - ما الذى يتبقى لهم بعد ذلك : سلاح الاغتيال ، وهذه مسألة لا نستطيع ان نعتمد فيها إلا على الله مع أخذ كل الاحتياطات الواجبة . إذا وجد قاتل مصمم على القتل حتى ولو ضحى بحياته ، فليست هناك إجراءات أمن تستطيع منعه من تحقيق هدفه . المسألة ان المستعد للتضحية بحياته ليقتل لا يمكن أن يكون ماجورا . واعتقادى ان الولايات المتحدة لا تستطيع فى هذه الظروف ان تعثر على رجل مستعد للقتل إلا إذا كان قاتلا ماجورا .

بعد سلاح الاغتيال يظل هناك سلاح الارهاب ووسيلته إسرائيل . واعتقادى ان إسرائيل بعد كل ما جرى لها فى معركة السويس - تحتاج إلى وقت لتعيد فيه بناء قواتها على مستوى المعركة القادمة ، وتعيد أيضا بناء تحالفاتها الدولية . بن جوريون لا يتحرك إلى مغامرة بغير أن يطمئن إلى وجود قوة كبرى وراءه . هو بنفسه قال ذلك وكرره ، ودرس السويس نموذج عملى فى التطبيق .

(٩) الدكتور على الجريتيلى ، وكان واحدا من المبع الخبراء الاقتصاديين ، وكان جمال عبد الناصر يريد نائبا لرئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية ، واعتذر الدكتور الجريتيلى وفاء لصدافته للدكتور عبد الجليل العمري الذى تولى هذا المنصب فى اوائل الثورة ، وبرغم اعتذاره عن المناصب فإن جمال عبد الناصر كان يحترم آراء الدكتور الجريتيلى ويثق فى علمه .

الحليف الوحيد القوى المحتمل لإسرائيل هو الولايات المتحدة . علاقتهم بإسرائيل تقليديا نعرفها . وسوف يحاولون في المرحلة القادمة زيادتها وتعميقها ، ومازقهم هنا انهم بمقدار ما يظهرون الى جانب إسرائيل بمقدار ما يبتعدون عن الأمة العربية التي هي مجال معركتهم الجديدة ضدنا .

هذا كله على الجانب الدفاعي . وانا لا اومن بالدفاع . إن الهجوم خير وسيلة للدفاع نظرية صحيحة - وهكذا فإن اماننا ان نحدد اين نهاجم ؟

لا اعتقد اننا في حاجة إلى ان نكون عدوانيين ، لكى يهاجم طرف فليس ضروريا ان يكون عدوانيا .

اول جبهة يمكن ان نهاجم منها هي جبهتنا الداخلية . ان يكون عملنا في الداخل نموذجا يشد ويجذب بقية شعوب الأمة العربية إليه .

السد العالي . بناء السد العالي سوف يكون هو البرهان . إذا نجحنا في بنائه فمعناه ان انتصارنا حقيقي ، وانا استطعنا تعزيزه . السد العالي هو الاختبار ؟ كيف نبني السد العالي ؟ من يساعدنا بالخبرة ؟ امريكا بالقطع مستحيل ؟ روسيا ليست متاكدا ؟ هذا سؤال لابد ان نجيب عليه .

في مجالات تطوير الزراعة ، التصنيع ، الخدمات ، استرداد المصالح الأجنبية المغتصبة . استمرار التمكين للعدل الاجتماعى ، وإعادة توزيع الثروة - هذه كلها جبهات هجومية . تقوى خطوطنا في داخل حدودنا ، وتجعل لدعوتنا قيمة خارج الحدود . عندما نرى ان السعودية أصدرت قانونا بتحريم العبودية لأول مرة كرد فعل للثورة الاجتماعية في مصر ، فلا بد ان ندرك اننا نفعل شيئا هاما .

لابد ان نكون على اتصال بكل القوى العربية التقدمية ، وان نقيم جبهة شعبية عريضة : اماننا حزب البعث في سوريا ، آراؤهم طيبة ومشكلتهم انهم اضطروا إلى مسابقة الانقلابات العسكرية المختلفة في سوريا ، فقد وجدوا ذلك طريقا أسرع الى التغيير ، وهذا اساء لهم . هناك ايضا قوى كثيرة غير البعث . هناك قوى وطنية غير منظمة في احزاب وحجمها اكبر من كل التنظيمات في الحقيقة ، ولابد ان تكون مصر معهم شرط وجود تنسيق لا نتورط بغيره في ازمات لا لزوم لها . هناك قوى كثيرة معنا ، ونحن نحتاج إلى فرز . مشكلتنا في هذه القضية اننى استطيع ان اتحكم فيمن أختار ، ولكنى لا استطيع ان اتحكم فيمن يختارنى . هناك بعض من قد يختاروننا الآن ، ويرفعون اعلامنا ، ولكن تصرفاتهم يحتمل ان تسيء إلينا .

هناك بعد ذلك قضية القوات المسلحة ، وعلينا ان نعيد بناءها وفق تجربتنا في السويس . لقد كان اتجاهى إلى تغيير كل قيادات الاسلحة . القوات البرية والطيران والبحرية . لكنى ترددت من ناحية لأن عبد الحكيم (عامر) يعتقد ان ذلك ماسا بكرامته وكرامة الجيش . من ناحية أخرى ، فقد وجدت اننى اذا غيرت القيادات الآن ، فمعنى ذلك اننى اعترف ضمنا بانها لم تكن على المستوى المطلوب في المعركة ، وهذا يقوى الادعاء الذى يروج الآن بان انتصار السويس كان انتصارا

سياسيا وهزيمة عسكرية ، وهذا غير صحيح ، ولكنها ضمن محاولات الحرب النفسية الموجهة إلى ثقة الناس بالجيش وثقة الجيش في نفسه

وجدت أيضا أنه من الظلم أن أحكم على قيادات القوات المسلحة بالارتباك الذي ظهر في تصرفاتهم في المعركة ، فقد كان حجم « العدو » أكبر مما يمكن أن يتصوره خيال أى واحد فيهم . أقصى ما تصوره هو هجوم تشنه إسرائيل ، ولكن أن يجدوا أنفسهم فجأة أمام غزو بريطاني - فرنسي - إسرائيلي ، فهذا كثير عليهم ، ويجب أن نكون منصفين .

هناك مجالات لابد أن ندخل إليها

إسرائيل تفكر ذريا ، ولابد لنا نحن الآخرين أن نفكر مثلهم . طلبت حصرا لكل خبرائنا في الطبيعة النووية ، وعرفت أن هناك عالما كبيرا بينهم لديه كل المؤهلات^(١٠) ، ونحن نحتاج إلى مفاعل نووى ولابد أن نحصل عليه .

لابد أن نتمكن من صنع سلاحنا بما فيه الطائرات عندنا مصانع سلاح على نطاق محدود ، وقد وضعنا برنامجا لبناء صناعة سلاح . الطائرات قضية أكثر تعقيدا ، ولابد أن نتعاون فيها مع أحد . أفكر في الهند أو يوجوسلافيا .

أيضا هناك الصواريخ . هناك علماء ألمان يتخاطفهم العالم بما فيه الولايات المتحدة ، وقد حاول بعضهم جس النبض معنا وقد قلت إننا نرحب . هناك واحد بالذات اتصل بنا ، ويظهر أنه شارك بشكل كبير في صنع صاروخ « ف ٢ » وقد وافقت على قدومه إلى هنا

ليست المسألة هي أن نتمكن من صنع صواريخ أو طائرات ، المهم أن هذه المجالات هي تكنولوجيا المستقبل ، ولابد أن نتيح للمصريين التعرف عليها والتخصص فيها ، وهذا عندي أهم من سرعة إنتاج الطائرات أو الصواريخ .

هناك أيضا مسألة الأسلحة الكيماوية . وأنا أعرف أنها ممنوعة ، ولكننا لابد أن نملك سلاحا رادعا إذا سبقتنا إسرائيل في مجال الذرة ، وسوف تجد كثيرين يساعدونها فيه . يقولون إن الأسلحة الكيماوية هي السلاح النووى للفقراء . واطن أن القول صحيح .

قبل هذا كله فنحن نحتاج إلى معلومات ، وقد وضعت خطوطا عريضة لإنشاء جهاز مخابرات على نسق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وأنا أريده جهازا قادرا على جمع المعلومات وتحليلها ، وعلى تأمين محاولات الاختراق الداخلى ، فقد وجدنا أن الانجليز والفرنسيين ، وكذلك إسرائيل لهم شبكات واسعة في مصر ، ويجب أن نواجه ذلك كله .

وأنا لا أريده جهازا مكتبيا أو بوليسيا ، ولكنى أتصوره جهازا قادرا على اختراق

(١٠) كان يقصد وقتها استاذ الطبيعة النووية الدكتور « محمد النادى » .

إسرائيل . وأيضا أريد أن يكون مستواه العلمي قادرا على فك شفرات البلاد التي تهمننا تحركاتها . إننا قطعنا تسوطا لا بأس به في هذا الاتجاه ، ونحن الآن نكف عدا من الشفرات تعطينا معلومات لها قيمة .

كل هذه مجالات عمل للمستقبل ، وأما المعركة التي سوف تفرض نفسها علينا بسرعة ، بل إنها فرضت نفسها فعلا ، فهي المعركة على قلب العالم العربي وفكره ومشاعره وتوجهاته

إنهم خرجوا الآن بمبدأ ايزنهاور . وهذا المبدأ موجه الى إدعاء محاربة الاتحاد السوفيتي . ولسنا نحن الذين سنحارب المعركة ضد الاتحاد السوفيتي . هم يريدوننا في حظيرتهم لا أكثر ولا أقل . وايزنهاور بعث بممثل خاص له إلى المنطقة ، وهو يدور على كل العواصم العربية ولايجيء إلينا . قالوا لسفيرنا في واشنطن : « إذا أردتم أن يجيء « ريتشاردز » إليكم فوجهوا دعوة إليه » . وقلت إننا لن نوجه دعوات إلى أحد ، ونحن لا نريد أن نأخذ مساعدات أو نقطع على أنفسنا تعهدات . نحن لا نرى أن الاتحاد السوفيتي الآن هو الخطر علينا ، الخطر هو إسرائيل . ولو كان مبدأ ايزنهاور موجه إلى كل المخاطر التي تواجه الشرق الأوسط لدعوانه لنحدثه في الخطر الإسرائيلي . على فرض أن الاتحاد السوفيتي خطر الآن ، فهناك خطر داهم يسبقه هو خطر إسرائيل . لا نستطيع أن ننظر إلى الخطر بعين واحدة ، ومن الضروري أن ننظر بعينين . السفير الأمريكي هير كان عندي ، وحاول أن يسألني رأيي في مبدأ ايزنهاور ، وقلت له عيبه أنه « مبدأ أعور » ينظر بعين واحدة . رد على قائلا إنه على فرض صحة رأيي فإن « حالة العور » أفضل من « حالة العمى » ، وقلت له : « لا » . ولم أشأ أن أزيد لأنني اتخايت بحث الموضوع كله في هذا الوقت . سوف نضطر إلى إبداء رأينا ، ولكني قلت للدكتور فوزي (وزير الخارجية) إن سياستنا الآن هي الصمت . نحن نحتاج إلى وقت لكي نهضم كل تجارب المعركة . خير ما نفعله الآن أن نعد قوانا ثم ننتظر . والحقيقة أنه ليست لدى شبكوك في أن مبدأ ايزنهاور هو أول محاولة عملية لعزل مصر . يأخذون العالم العربي كله إذا استطاعوا معهم ، ثم يتركون مصر وحدها ، وأنا أراها محاولة أمريكية لتكرار عملية حلف بغداد بطريقة أشد مكررا وخبثا ، ومع ذلك أؤثر أن أترك الأمور تشكل نفسها ، ونختار نحن بعد ذلك لحظة تدخلنا . هناك البعض عندنا يقولون لي . « ما الضرر في أن ندعو ريتشاردز ، فهو يحمل في حقييته مساعدات مالية وعسكرية نحتاج لها » وقلت لهم : « لا تتعبوا أنفسكم ليس لنا في حقيقة ريتشاردز أي شيء . كل شيء عنده له شروطه ، والمسألة هي ما إذا كنا مستعدين لقبول شروط الولايات المتحدة ؟ إذا كنا سنفعل ، فلماذا تحملنا كل هذه المكايه لرفض شروط الانجليز والفرنسيين ؟ » !

إن ايزنهاور بالطبع يستعمل حكاية الخطر السوفيتي والشبيوعي لأنه يريد غطاء مقبولا في أمريكا . لا يستطيع أن يقول لهم إنه يريد محاربة القومية العربية . يريد محاربة مصر وسوريا وشعوب بلاد عربية أخرى لاتريد الخضوع للسيطرة .

لا يستطيع ان يقول هذا بالطبع ويقول « الشيوعية » و « التسلسل الشيوعي » و « فراغ القوة » . حكاية الذئب والحمل تتكرر مرة أخرى . طبعاً يركزون على سوريا ، والدور بعدها علينا . السيطرة هي المطلوبة ، وليس مواجهة خطر شيوعي يبالغون فيه . »

كانت هذه أفكار « جمال عبد الناصر » وبنفس تعبيراته وقتها .



ولم تلبث الأيام أن جاءت بالبرهان العملي على صحة ما فكر فيه وعبر عنه . فقد بعث إليه صديقه « جواهر لال نهرو » ب خطاب يعرب فيه عن قلقه من « مبدأ ايزنهاور » ، وكان اهتمام « نهرو » بخطة « ايزنهاور » الجديدة مبعثه باكستان التي اتضح أن « مبدأ ايزنهاور » ينطبق عليها ، وقد زارها « جيمس ريتشاردز » مبعوث « ايزنهاور » ومعه حقيبته بما فيها من مساعدات مالية وعسكرية .

وكتب « جمال عبد الناصر » براهيه إلى « نهرو » ، وكان رايه أنه لا يوافق على مبدأ « ايزنهاور » من أساسه ، وتقديره أنها محاولة جديدة لعزل مصر وموجهة إليها بالتحديد قبل أى طرف آخر . ورد « نهرو » بأنه كتب إلى « ايزنهاور » بشأن مخاوفه مما يمكن أن تحصل عليه باكستان من أسلحة بالذات نتيجة لخطة الجديدة . ورد « ايزنهاور » على « نهرو » وبعث الرئيس الهندي إلى صديقه في مصر صورة من رد « ايزنهاور » عليه ، وكان فيه البرهان قال « ايزنهاور » في خطابه لرئيس وزراء الهند « جواهر لال نهرو » :

« عزيزي رئيس الوزراء

لسنوات طويلة - فإن دولا كثيرة في المنطقة كانت تساورها المخاوف من احتمالات العدوان ، وقد وصلت بها هذه المخاوف احيانا إلى درجات من الانفعال الذي يصل إلى حد الهستيريا . ولقد وجدت حكومتى أنه من الضروري مساعدة هذه الدول على تجاوز هذه الحالة .

ولابد ان أقول لك إننا لم نفكر على الإطلاق في ان واحدة من هذه الدول المعنية ، او مجموعة منها تستطيع او حتى تتحمل برامج تسليح كبيرة . وعندما نتحدث عن مساعدتها عسكريا ، فإن ما نعنيه في حقيقة الامر هو ان تساعد هذه الدول على بلوغ درجة من القوة توفر لها قدرا معقولا من الأمن ضد العصيان الداخلي او التخريب ، مع قدر من امكانية المقاومة إلى حد ما ضد العدوان الخارجي .

وإذا كان قد لفت نظرك ما قلته للكونجرس الأمريكى عندما طلبت تفويضه لمساعدة هذه الدول من ان الهدف هو مقاومة العدوان الشيوعي ، فإننى قلت ذلك لمجرد طماننتهم إلى اننا مستعدون وجادون في مساعدتهم على حفظ استقلالهم . والحقيقة

اننى اعتقد ان مجرد إعلاننا لذلك سوف يقلل - او يزيل - أى احتمال للعدوان الخارجى . »

ثم استطرد « ايزنهاور » يقول لـ « نهرو » :

« وقد لا اكون فى حاجة إلى ان اؤكد لك انه ليس هناك أى احتمال جدى فى ان تستطيع أى دولة مستفيدة بسياستنا الجديدة ان تشن أى عمليات حربية بدون موافقتنا لأن حصولها على اسلحة أمريكية يعنى اعتمادها إلى درجة كبيرة على إمدادنا لها بالذخائر وقطع الغيار ، وإمكانات الصيانة التى نستطيع وحدنا توفيرها . وكل هذا سوف يتم حجبها ومنعه فى اللحظة التى يتصرف فيها أى طرف بسلاحنا خارج الاهداف التى نوافق عليها . »

وكانت هذه الفقرات من خطاب « ايزنهاور » إلى « نهرو » أكثر من كافية بالنسبة لـ « جمال عبد الناصر » ، ومع ذلك كان قراره : الانتظار ومراقبة التطورات ، وعدم التسرع إلى ردود فعل سابقة لأوانها !



يقول الرئيس « ايزنهاور » فى يومياته^(١١) : « إن مبعوثه الخاص إلى الشرق الأوسط زار كلا من : لبنان وليبيا وتركيا وإيران والعراق وإسرائيل والمغرب وباكستان والسعودية والسودان وتونس ، لكنه امتنع عن زيارة ثلاثة بلدان فى المنطقة هى : مصر وسوريا والأردن . وهو لم يزور مصر وسوريا لأن « المناخ السياسى لم يكن مواتيا » - وأما الأردن فهو لم يزوره لأن أزمة سياسية معقدة وقعت فيه أثناء استعداده لزيارته » !

ومن اللافت للنظر أن مصر فى هذه الفترة استقبلت زائرا غربيا اسمه « ا . م . جرينود » جاءها يحمل خطابات توصية إلى « جمال عبد الناصر » من الرئيس « ايزنهاور » ومن عدد من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب وفى الكونجرس ، وحكام الولايات ، ورؤساء النقابات - يرجونه فيها استقبال المستر « جرينود » والاستماع

(١١) صفحة ١٩٣ و ١٩٤ .

« بعطف » الى مقترحاته . وقابله بعض المسؤولين والصحفيين^(١٢) المصريين ، وقدم نفسه إليهم باعتباره « رئيس لجنة الشرق الأوسط للتسوية السلمية » ، وكان يحمل معه مشروعا كاملا لشراء قناة السويس وإدارتها ، وتحمل المشاكل العملية التي تقتضيها ضمانات حرية الملاحة . وكان الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية بين المسؤولين الذين قابلهم « جرينوود » ، ودخل الرجل إلى مكتب وزير الخارجية قائلا له .

« هل تريدون ألفى مليون دولار نقدا تواجهون بها مشاكلكم المالية ؟ »

ورد عليه الدكتور « فوزى » باسم : « هذه كفى مبسطة لك . »

ورد « جرينوود » بسرعة : « ولكن عليك أن تسلمنى القناة أولا »

وانتهت القصة قبل أن تبدأ ، وقضى « جرينوود » في مصر بعدها شهرا كاملا ينتظر مقابلة « جمال عبد الناصر » ليسلمه التوصيات المكتوبة التي حملها معه ، ولم يتحقق له ما يريد ، وترك ما معه في ظرف مغلق معنون باسم « رئيس الجمهورية المصرية » .

ولم يستطع أحد في القاهرة أن يقطع بشيء في هذه القصة الغريبة ، وكان ظاهرا بكل الشواهد أنها عرض مسرحى جانبي ، وأما العرض المسرحى الحقيقى فقد كان بطله « جيمس ريتشاردز » الذى لم يجرى إلى مصر - وكانت صور ما يجرى عليه ، وأصدااء الأصوات المتبادلة فوق خشبته - تصل إلى القاهرة .

كانت كل الدول العربية التى زارها « ريتشاردز »^(١٣) مستعدة لقبول « مبدأ ايزنهاور » ولكنها جميعا كانت مترددة في إعلان قبولها تحسبا لمعارضة مصر وسوريا وكانت المعارضة المصرية قد بدأت تظهر وتتصاعد مع كل محطة يتوقف فيها « ريتشاردز » ، وكانت المعارضة السورية على الذروة منذ أول لحظة

وبلغت حساسية الموقف إلى درجة أن الرئيس اللبناني « كميل شمعون » الذى استقبل المستر « ريتشاردز » في مكتبه في بيروت أصيب بحالة من التوتر الشديد في اليوم التالى ، فدعا السفير الأمريكى في لبنان إلى مقابلته ، وطلب « إرسال وحدات من الأسطول الأمريكى السادس بسرعة إلى قرب الشواطئ اللبنانية كمظاهرة تأييد

(١٢) كنت أحد الذين قابلوا المستر جرينوود واستمعوا إليه ، وقد أرسل إلى خطابا يبدى فيه ضيقه من اننى لا استمع إليه باهتمام ، ولا أساعده على إحباط مخططات دالاس الميادية لمصر . ونص الخطاب منشور في الملحق الولاى لهذا الكتاب تحت رقم (١٥) صفحة ٨٢٦

(١٣) حدث لبس فيما يتعلق بالسودان ، فقد ذكر ريتشاردز في تصريح على أن حكومتها وافقت على مبدأ ايزنهاور ، ولكن وزارة الخارجية السودانية أصدرت تصريحا في اليوم التالى نالضت فيه فهمه لموقفها .

لحكومته ، كما طلب شحن بعض الأسلحة على الفور إليه لأن السوريين يستعرضون سلاحهم السوفيتى بطريقة مستفزة هذه الأيام » .^(١٤)

وعندما توجه السفير « ريتشاردز » إلى زيارة تركيا لم تكن للتعليمات التى حملها معه^(١٥) صلة بالأهداف المعلنة لـ « مبدأ ايزنهاور » وإنما كانت جميعا متصلة بالأوضاع الداخلية لبلدان الشرق الأوسط ، وفى مقدمتها من وجهة نظر السياسة الأمريكية « البحث فى تحسين وتقوية وتدعيم العلاقات بين تركيا ، وبين كل البلدان العربية التى يمكن أن تكون مستعدة لذلك . وكذلك تحسين وتقوية وتدعيم العلاقات بين تركيا وإسرائيل » !

وفى أثناء زيارته لليبيا كان عليه أن يعلق المساعدة الأمريكية على شرطين هما : « ابتعاد ليبيا تدريجيا عن مصر ، وبالتالى عن الاتحاد السوفيتى ! ثم السماح للولايات المتحدة بقواعد وتسهيلات عسكرية على أراضيها بما فى ذلك عقد اتفاقية تضمن وتنظم وجودا عسكريا أمريكيا على الأراضى الليبية »^(١٦) .

وفى السعودية كانت مهمة السفير « ريتشاردز » أن يهدىء من نشاط الملك « سعود » فى تحمل مسؤولية قضية خليج العقبة ، فلقد أحست واشنطن بالقلق لأن الملك بدلا من مناقشة القضية عن طريق الخطابات السرية مع الرئيس « ايزنهاور » راح تحت ضغوط متعددة المصادر يصدر بيانات متشددة ، فقد أعلن الملك « سعود » يوم ٩ أبريل ١٩٥٧ « إن المملكة تحذر من أنها سوف تضطر إلى ضرب البواخر الاسرائيلية التى قد تمر بخليج العقبة » .

وفى اليوم التالى نقلت وكالات الأنباء من الرياض « أن السعودية احتجت على الولايات المتحدة لأن إحدى الناقلات الأمريكية مرت من الخليج تحمل شحنة بترول لإسرائيل » .

ثم نقلت وكالات الأنباء بعد ذلك من الأمم المتحدة يوم ١١ أبريل « أن السعودية أبلغت الأمم المتحدة أنها سوف تمنع مرور أى بواخر إسرائيلية من خليج العقبة » !

ويوم ١٢ أبريل كان « ريتشاردز » قد وصل إلى السعودية ، ولا تحتوى ملفات وزارة الخارجية الأمريكية على وثائق كثيرة عن السعودية لأن معظم شؤون العلاقات

(١٤) برقية شغرية من السفارة الأمريكية فى بيروت برقم ٢٥٦٧ بتاريخ ٢٦ أبريل الساعة ٩ مساء .

(١٥) تقرير مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض رقم ١/٥٧٠٣ بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٧ .

(١٦) مذكرة كتبها المستر راونترى مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط .

معها من اختصاص مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض^(١٧) ، ولكن البيان المشترك الذي أذيع على العالم بعد زيارة « ريتشاردز » أجمل نتائج الزيارة حين أعلن « أن البلدان يعلنان عزمهما على مقاومة النشاط الشيوعي ، والاستعمار في شتى صوره ، واستعدادهما لمناهضة أية أخطار تهدد السلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط » !



وفجأة انفجر لغم تحت « مبدأ ايزنهاور » ومهمة « ريتشاردز » وكان انفجاره بنفس الأسلوب الذي انفجر به اللغم قبلها تحت « حلف بغداد » ومهمة المارشال « تمبلر » ، وفي نفس الموقع وهو الأردن . وكان الأردن بحكم موقعه على أطول خطوط المواجهة مع إسرائيل ، وبحكم الوجود الفلسطيني الكثيف بين سكانه من ناحية ، وبحكم دقة الظروف الحرجة المحيطة بسلطة الحكم فيه من ناحية أخرى - مهياً أكثر من غيره لانفجار اللغم .

والحقيقة أن ظروف الفرع الحاكم من الأسرة الهاشمية في عمان تستحق النظر الطويل في تحليلها ، والحذر الشديد في تناول سياساتها ، فقضيتهم ذات جذور ضاربة في أعماق التاريخ العربي والإسلامي ، ثم إن فروعها القريبة والراهنه تمتد الى مواقع شديدة الحرارة والسخونة .

وفيما يتعلق بالجذور فقد يمكن ملاحظة العوامل التالية :

١ - إن أسر الأشراف ، وبصرف النظر عن تسلسل الانساب وملابساته - تصورت منذ فجر التاريخ الاسلامي أن لها حقاً ، وأن البقية من المسلمين تنازعها فيه ، وكان هذا سبباً للخلاف والفتن . ولقد كانوا منذ البداية يستحون من المطالبة جهراً بما يظنونهم حقاً لهم ، وهكذا فقد كان أسلوبهم المختار هو التلميح بدلا من التصريح ، والتمنى بأن يسبقهم الآخرون الى المطالبة لهم بما يتحرجون من طلبه لأنفسهم . وفيما بعد بقيت هذه الحيرة متوارثة عبر الأجيال .

٢ - إن العروش الهاشمية لم تظهر إلا في العصر الحديث ، وكان ظهورها مرتبطاً بصراع الامبراطوريات الأوروبية على الخلافة العثمانية ، وحين ظهر « الشريف حسين » في مكة ليتفاوض مع

(١٧) بمقتضى إعلان خاص أصدره الرئيس ايزنهاور بتاريخ ٢ مارس ١٩٥٣ تطبق احكام « قانون الامن المشترك » على السعودية (نص القرار في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٦) صفحة ٨٢٩ .

الانجليز في شأن العالم العربى بعد الحرب - فإن ما حدث في اوائل التاريخ الاسلامى تكرر على نحو ما في اواخره ذلك ان كثيرين نازعوا الاسرة الهاشمية في دعوى الخلافة ، وكان ذلك موقف أسرة « آل سعود » التى لم تلبث ان استولت على الحجاز نفسه ، واخرجت منه بقايا الهاشميين ، كما كان ذلك موقف أسرة « محمد على » في مصر التى راودتها بسند « الأزهر » - احلام خلافة إسلامية .

ولم يستطع الانجليز ، وربما لم يكن في نيته اصلا أن يفوا بوعودهم لـ « الشريف حسين » الذى مات مقهورا . ولقد حاولوا تعويض ابنائه بعرش لـ « فيصل » في سوريا لم تلبث فرنسا أن أزاحت عنه ، واستبدل عرش دمشق بعرش في بغداد لفرع « فيصل » وبعرش في عمان لفرع « عبد الله » ، ولم تكن العلاقات بين الفرعين ودية ، ولا كانت علاقتهما معا ببقية العالم الاسلامى والعرب سهلة أو سلسة .

٣ - ومنذ بدايات الصراع العربى الإسرائيلى ، وبعد وعد بلفور المسنود بالانتداب البريطانى على فلسطين كان العرش الهاشمى في عمان طرفا في اتصالات ومخططات صعبة ووعرة ، وكان الملك « عبد الله »^(١٨) في الظروف التى أدت الى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وبعدها كمن يعيش داخل كسرة البندق معرض للضغط من جانبين وربما ثلاثة .

الحركة العربية الشعبية الهادرة في مطالبتها الحق من ناحية ، وإسرائيل العدوانية الكاملة فيما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية بالذات) من ناحية أخرى ، ومن الناحية الثالثة ضغط القوى الكبرى - وأولها بريطانيا - الرغبة في الوصول إلى تسوية للمشكلة الفلسطينية دون أن يعنيها من الذى يدفع الثمن .

وحاول الملك « عبد الله » - وكانت له طموحاته ومطالبه الخاصة - وناور (والحديث هنا محاولة للتحليل والتقصي ، وليس للتحقيق والمحكمة) لكن الظروف كانت أقوى منه وانطبقت كسرة البندق ، وجرى اغتيال الملك « عبد الله » على أبواب المسجد الأقصى في القدس

(١٨) عرفت الملك عبد الله عن قرب في ظروف حرب فلسطين عندما كنت مراسلا مقيما في عمان بسبب قربها من ميادين القتال ، وقد قضيت أياما طويلة في صحبته ، وفي حوارات طويلة معه ، وكنت أشعر من كرمه في وقته مع صحفى مصرى شاب انه يتشوق إلى اعتراف عربى بدوره وبصعوبة هذا الدور . وكانت أزمة « عبد الله » الحقيقية ترجع إلى اعتقاده انه « ملك بلا مملكة في حين يرى من حوله ممالك بلا ملوك » وكان هذا نص تعبير سمعته منه وقتها ونشرته في حينه .

وبجانبه حفيده الملك « حسين » وكان وقتها في السادسة عشرة من عمره .

٤ - وآل العرش الهاشمي في عمان إلى « طلال بن عبد الله » ثم انتقل منه الى « حسين بن طلال » وكانت حركة كسارة البندق قد ازدادت شدة وعنفا . كانت تلك فترة الفوران الثوري في العالم العربي ، ثم إنها كانت فترة تقدم الولايات المتحدة إلى دور امبراطوري في الشرق الأوسط تحصل به على إرث الامبراطوريات الاستعمارية التقليدية . وكان الملك « حسين » موزعا بين شبابه وظروفه ، فشبابه كان يدعو إلى الاتصال بالحركة القومية العربية ، وظروفه كانت تشده إلى إبقاء صلاته مع دول الغرب الكبرى - بريطانيا ثم الولايات المتحدة - قوية ووثيقة لأن ذلك في تقديره كان المانع الوحيد لإسرائيل أن تستكمل دعاوى « أرض إسرائيل » بالاستيلاء على الضفة الغربية للأردن ، وربما الضفة الشرقية أيضا ، ولقد أدى هذا التوزع بين الشباب والظروف إلى مشاكل كبيرة وتعقيدات عسيرة - لكن مهارة الملك في المناورة السريعة ، مع تجربته المباشرة في رؤية حركة كسارة البندق على عتبات المسجد الأقصى - وفرت فسحة من الوقت كافية لمرور العواصف .

ولقد كان « جمال عبد الناصر » يفهم هذه الظروف ، وإن كان غيره من أقطاب الحركة الثورية لم يكونوا على استعداد لفهمها . ولعل من هنا أن علاقة « جمال عبد الناصر » مع الملك « حسين » ظلت متصلة^(١٩) وإن شهدت فترات من التوتر والحدة على الجانبين . وكان « جمال عبد الناصر » يقول : « إن الملك حسين كراكب الدراجة يتحتم عليه أن يتحرك باستمرار وإلا وقعت دراجته » - وكان هذا إلى حد كبير وصفا صحيحا .

وعندما وقعت تجربة الضغط على الأردن للانضمام إلى حلف بغداد في خريف سنة ١٩٥٥ ، وقام « أنتوني إيدن » رئيس الوزارة البريطانية بإيفاد رئيس أركان حرب الامبراطورية المارشال « تمبلر » - استجاب الملك للثورة الشعبية التي اندلعت في الأردن ترفض حلف بغداد . ولعله أدرك من يومها أن الدور البريطاني في المنطقة وصل إلى مداه . وفي أوائل سنة ١٩٥٦ كان يقود عملياته الشهيرة - مع مجموعة من ضباطه المقربين - ضد الجنرال « جلوب » (باشا) قائد الجيش الأردني رمز الوجود البريطاني الظاهر في الأردن .

(١٩) لسنوات ظلت صورة جمال عبد الناصر في مكانها في غرفة نوم الملك حسين ، كما ظلت صورة الملك حسين في صالون الاستقبال في بيت جمال عبد الناصر .

وعندما وقعت معركة السويس في خريف سنة ١٩٥٦ كان الملك « حسين » متحمسا لدخولها ، وكان « جمال عبد الناصر » هو الذى اتصل به على تليفون مفتوح مساء يوم الاثنين ٣٠ أكتوبر يرجوه « أن لا يتدخل في المعركة لأن إسرائيل متربصة بالضفة الغربية والقدس » ، وحين حاول الملك أن يضيف شيئا قال له « جمال عبد الناصر » : « إننى أعرف أن قلبك معنا ، وأنا لا أريد أكثر من ذلك الآن » وانتهى الحديث التليفونى وكلا الرجلين يعرف تماما ما يقصده الآخر

وفي ربيع سنة ١٩٥٧ ، وكان ضغط الولايات المتحدة على أشده لفرض « مبدأ ايزنهاور » الذى حمله ممثله الخاص « جيمس ريتشاردز » ، تصور البعض في الأردن أن الضغط الأمريكى تصعب مقاومته ، وساعد على ذلك التصور أن كل عناصر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التى كانت تعمل من قبل في القاهرة وغادرتها بعد معركة السويس الى بيروت - انتقلت الآن بقضها وقضيضها وبكل أسلحتها ووسائلها الى عمان .

كان السيد « سليمان النابلسى » رئيسا للوزراء في الأردن وقتها ، وأحس بالضغط الموجهة إلى وزارته ، ووقف في اجتماع علنى يوم ٦ أبريل ١٩٥٧ يقول بالنص :

« إننا نعرب لنا مبادئنا القومية المستمدة من طبيعتنا وتقاليدنا ، ولسنا في حاجة إلى من يقودنا »

ووصل في حديثه إلى « مبدأ ايزنهاور » وإذا هو يقول :

« إنهم يتحدثون عن الفراغ ، ولكن هذا الفراغ لا يوجد إلا في عقول الذين يتحدثون عنه ، والدفاع عن الأمة العربية لا يمكن أن يقوم به غير أبناء الأمة العربية »

وفي يوم ١١ أبريل أقيمت وزارة « سليمان النابلسى » وعهد إلى السيد « حسين الخالدى » بتأليف وزارة جديدة ، ولكن كل الأحزاب الأردنية رفضت التعاون معه ، وأصدرت بيانا تعتبر فيه « أن وزارته الجديدة عملية تمهيد لقبول مبدأ ايزنهاور » .

وتعذر تشكيل وزارة « الخالدى » واعتذر في اليوم التالى عن قبول التكليف الذى صدر إليه ، وجرى اختيار السيد « عبد الحليم النمر » يوم ١٣ أبريل لتشكيل وزارة جديدة قبلت الأحزاب الوطنية الأردنية أن تشارك فيها بشروط ،

كان التوتر على أشده في الأردن ، وبوادر الغليان تتصاعد

وفجأة تقرر العدول عن تشكيل وزارة برئاسة « عبد الحليم النمر » والإعلان عن تكليف السيد « سعيد المفتى » بتأليف وزارة جديدة ، وكان ذلك يوم ١٤ أبريل

وفي يوم ١٥ أبريل تألفت وزارة أردنية شبه قومية برئاسة السيد « حسين الخالدي » اشترك فيها السيد « سليمان النابلسي » والسيد « سعيد المفتي » .
خلال هذه التقلبات السريعة كلها حدثت الواقعة بين الملك وبين بعض ضباطه المقربين ممن تحركوا معه في عملية طرد « جلوب » (باشا) وتصفية النفوذ البريطاني في الأردن .

وهرب اللواء « علي أبو نوار » أبرز هؤلاء الضباط - وكان قد أصبح قائد للجيش الأردني - إلى سوريا ، ومن هناك بعث باستقالته ، وأعلن في عمان عن تعيين اللواء « علي الحيارى » خلفا له ، ولم تمض غير ساعات حتى كان اللواء « علي الحيارى » بدوره يترك منصبه ، ويهرب إلى دمشق ، ومن هناك يبعث باستقالته .
كانت دمشق هي الجمرة المتأججة وسط حقل الألغام العربي .
ودخلت قوات الجيش العراقي إلى الأراضي الأردنية .

وأعلن الرئيس « شكري القوتلي » رئيس الجمهورية السورية وقتها أن هناك احتمال صدام عسكري بين القوات السورية ، والجيش العراقي الذي دخل إلى شمال الأردن « بدعوى ردع إسرائيل في حين أن سبب دخوله الحقيقي هو المساعدة في السيطرة على الأوضاع ، وفتح الطريق أمام مبدأ ايزنهاور » .
وكانت واشنطن تشدد ضغوطها لا تريد أن يحدث لـ « مبدأ ايزنهاور » في عمان ما حدث فيها - قبل عام تقريبا - لـ « حلف بغداد » ، وكانت الرياض نهبا لمشاعر متناقضة تؤيد « مبدأ ايزنهاور » في السر ، ولا تستطيع أن تجهر بتأييده في العلن .
وطار الرئيس « القوتلي » من دمشق إلى مكة ليقابل الملك « سعود » في رحاب الكعبة ، ويستحلفه كما قال « بأن يمنع وقوع فتنة عربية كبرى » . وطار الملك « حسين » إلى مقابلة مع الملك « سعود » وعاد إلى عمان ليقول في مؤتمر صحفي :

« إن الأردن لن ينفرد وحده باتخاذ أي سياسة ، وأنه لا تسوية للنزاع مع إسرائيل إلا بعد حل مشكلة مليون لاجئ فلسطيني » .

ووصل « مبدأ ايزنهاور » إلى نفس الطريق المسدود الذي وصل إليه « حلف بغداد » ، وفشلت تحركات الأسطول الأمريكي السادس في شرق البحر الأبيض المتوسط في التخويف ، كما فشلت من قبل مهمة المارشال « تمبلر » رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية في الضغط .



ولم يكن « ايزنهاور » في واشنطن على استعداد للتسليم بأن « موقعة عمان » هي نهاية مبدئه أو مشروعه لحل أزمة الشرق الأوسط ، لكنه كان يدرك ان حقائق الموقف تفرض عليه عدم دفع الأمور إلى أكثر من ذلك في اللحظة الراهنة .

وتوضح يومياته في تلك الفترة أنه كان معجبا بجرأة الملك « حسين » ومرونته ، كما أنه بدا ضيق الصدر بالملك « سعود » وما رآه من « عجزه عن الظهور في الأوقات التي يتحتم فيها على الناس أن يقفوا ويعلنوا ما يرونه صوابا ، ويدافعوا عنه » ، وتظهر مراسلاته الداخلية مع وزير خارجيته « جون فوستر دالاس » أنه لم يعد مستعدا لتلقي إشارات الملك « سعود » في شأن خليج العقبة ، فقد كتب في توجيهات رئاسية الى وزير خارجيته يقول له :

« إن ما افهمه هو ان ما يهيم الملك سعود في القضية برمتها هو موضوع عدم التعرض للحجاج المسلمين من جانب إسرائيل ، وهذه مسألة نستطيع ان نقدم فيها للملك كل التطمينات والضمانات . وقد حان الوقت لكي يركز سعود كل جهده على خطر الشيوعية الدولية » .

وفي نفس الوقت كتب « ايزنهاور » رسالة شخصية إلى الملك « سعود » يقول فيها :

« إن احداث الأردن تبين لكل من يريد ان يرى مدى الاخطار التي يتعرض لها بلد مستقل بسبب عملاء الشيوعية الدولية . وقد اوضحنا عزم الولايات المتحدة الراسخ على دعم استقلال البلدان الحرة في الشرق الأوسط وسلامة اراضيها » (٢٠)

وتكشف يوميات « ايزنهاور » إلى جانب ذلك أن إعجابه الخفى بـ « جمال عبد الناصر » مازال كامنا ، فقد لاحظ في يومياته بسرعة « أن نجم عبد الناصر مازال يعلو ، وسعود غير قادر على التصدي لجاذبيته ، ولا بد من الاعتراف مهما كان ذلك مريرا بأن « رجلنا » (يقصد الملك « سعود ») لا يملك مزايا الرجل الآخر الذي اختار جانب الشيوعية الدولية (يقصد « جمال عبد الناصر ») التي توشك الآن ان تحكم قبضتها على أصدقائه في سوريا . »

وتظهر أوراق « ايزنهاور » في هذه الفترة أن أفكاره راحت تحوم في محاولة لاستكشاف بدائل أخرى ، ففي مجموعة الأوراق الخاصة ، وبعد شهر قليلة مذكرة عن حديث مع الامير « فيصل » ولى عهد المملكة العربية السعودية جرى في مكتب

(٢٠) الرسالة تضمنتها برقية بتاريخ ١١ مايو ١٩٥٧ موجهة من وزارة الخارجية إلى مكتب اتصالات السفارة الأمريكية بالظهران ، وكان رقمها هو ٤٧٤ .

الرئيس في البيت الأبيض ورقمه ٦٤٧٢ في هذه المجموعة ، وتحمل الوثيقة في أعلاها أربعة حروف بخط « ايزنهاور » O.K. - D.E. - أى أن « ايزنهاور » وافق على المحضر ، ثم وضع الحرفين الأولين من اسمه وقد ورد في محضر الاجتماع بالحرف ما يلي :

« أبدى الرئيس سعاده باستقبال الأمير فيصل ، واستذكر لقاءه السابق معه سنة ١٩٥٣ ، وأعرب عن أمانيه بنجاح العملية الجراحية التي أجريت للأمير واستفسر منه عن خطته للمستقبل

ورد الأمير شاكرًا للرئيس ترحيبه ، وقال إنه ينتظر تقارير أطبائه قبل أن يقرر موعد عودته الى السعودية .

وقد أبدى الرئيس قلقه العميق من التطورات الجارية في الشرق الأوسط وعلى وجه الخصوص في سوريا . ثم قال : « إن الولايات المتحدة حريصة على أن تتمكن دول المنطقة من تنمية توافق بينها تحقق به أمانها .. لكننا لا نريد أن نرى السوفييت يتأريخهم القاسى في فرض سيطرتهم يحصلون على مواقع حاكمية في بلدان الشرق الأوسط » .

وقال الأمير « فيصل » : « » .

وإذا بالوثيقة تضع نقاطا سوداء على كل ما قاله في هذه الجلسة بنصوص الأحكام التى تنظم إذاعة الوثائق الأمريكية حتى بمقتضى قانون حرية المعلومات إذا كان ما تحتويه هذه الوثائق حساسا الى درجة تؤثر في الأمن القومى الأمريكى مستقبلا ، أو تؤثر على أمن وسلامة الأشخاص المعنيين بما جاء في الوثيقة !

وكانت « معركة القرن » في طريقها الآن إلى سوريا

الفصل الثالث

وراء أسوار الكرملين



ولم يكن هناك حتى هذه اللحظة خطر على الشرق الأوسط لا من الاتحاد السوفيتي ، ولا من الشيوعية الدولية ، كما كان الإيحاء بدعاوى الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » ووزير خارجيته « جون فوستر دالاس » .

من ناحية لم تكن المنطقة معرضة له عمليا أو عقائديا ، ومن ناحية أخرى فلم يكن الاتحاد السوفيتي مستعدا لها سياسيا أو عسكريا .

من ناحية المنطقة ، فقد كانت القوى الأكثر نفوذا وسلطة هي القوى التقليدية المحافظة ، وكان نسيج العلاقات الاجتماعية ، ونسق مجموعة القيم المؤثرة فيها - أشد ما يكون تناثريا وبعدا عن الشيوعية . وحتى القوى الجديدة فى العالم العربى ، فى المدن والمراكز الصناعية ، لم تكن تعرف الكثير عن الاتحاد السوفيتي ، ولا الكثير عن الفكر الشيوعى ، وقد كان معظم ما تعرفه - وبسبب المتاح من أدوات الاتصال الثقافى - يعتمد على مصادر غربية وكله يستدعى التشكك ولا يستدعى الثقة ، ثم إن العناصر الصاعدة إلى السلطة ضمن هذه القوى الجديدة - لم تكن مرتبطة عقائديا ، وكان الطابع الأغلب على فكرها وتصرفها هو الطابع العملى الذى يبحث عن حلول سريعة لمشاكل كبيرة متراكمة . وحتى الأحزاب الشيوعية التى نشطت إلى العمل فى بعض بلدان

الشرق الأوسط - والعالم العربى فى قلبه - لم تزد على أن تكون بؤرا محاصرة مضغوطة فى نطاق العمل السرى تحت الأرض .



كان الاتحاد السوفيتى خارجا للتو من تجربة عميقة وعنيفة طرحت وفرضت عليه شواغل أهم من الشرق الأوسط . وفى واقع الأمر فإن هذه الشواغل كانت تلامس مشكلة التجربة السوفيتية ذاتها . إن الشيوعية قامت فى روسيا المتخلفة نسبيا على عكس فرضيات «ماركس» التى ذهبت إلى أن الشيوعية مرحلة تالية ، وليست سابقة على المرحلة الرأسمالية . ولم تكن روسيا وقت الثورة البولشفية قد بلغت المرحلة الرأسمالية ، وإنما كانت بعد عند بدايتها . وعندما رأى «لينين» أن الفرصة سانحة لاستيلاء الشيوعيين على السلطة لتطبيق نظرياتهم ، فقد بدا أن الحل الوحيد هو الفرض بقوة الحزب الذى تحول فى الواقع إلى قوة الدولة . ومع استمرار التجربة تحت قيادة «ستالين» فان بيروقراطية الدولة كان عليها أن تقوم فى واقع الأمر بمهام حزب الثورة .

وقد أضيفت إلى هذه الحقيقة الواقعية حقيقة ثانية ، وهى توجه «ستالين» خلافا مع «تروتسكى» إلى سياسة بناء الشيوعية فى بلد واحد ، فالثورة العالمية المستمرة بدت لـ «ستالين» دربا من الأوهام المستحيلة ، وعندما قرر أن يركز على بناء الاتحاد السوفيتى ، فإنه ما لبث أن وجد نفسه أمام تكاليف مادية وإنسانية غالية ، ولم يتردد أمام هذه التكاليف ، وكانت النتيجة عصرا طويلا من الإرهاب اقترن باسم «ستالين» وطبع عصره . ومع أن «ستالين» تمكن من بناء الصناعة الثقيلة فى الاتحاد السوفيتى ، واستطاع فرض رأيه فى الزراعة الجماعية ، فإن الثمن الذى دفعته الشعوب السوفيتية كان باهظا فى تكاليفه حتى على الشخصية السوفيتية .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وأثقالها وتضحياتها المخيفة . وفقد الاتحاد السوفيتى مساحات كبيرة من أراضيه المزروعة ، وجرى تدمير معظم مراكزه الصناعية الكبيرة . وانتهت الحرب والجيش السوفيتية المنتصرة بقيادة المارشال «جوكوف» تدخل «برلين» وتذكر مخبأ «هتلر» . لكن الاتحاد السوفيتى المنتصر عسكريا كان اقتصاديا واجتماعيا فى حالة بالغة الحرج . وعاد «ستالين» يحاول إعادة بناء ما دمرته الحرب . وكانت الأساليب هى نفس الأساليب وأشد ، وكانت التكاليف هى نفس التكاليف وأعلى .

ومع بداية الحرب الباردة - فور انتهاء الحرب الساخنة - اضطر الاتحاد السوفيتى أن يعطى أولوية متقدمة للقوة العسكرية ، فقد وجدها أقرب الطرق إلى

تحقيق أمنه ، وضمان دوره في التوازن العالمي الجديد ، وطلب المساواة في القوة مع الولايات المتحدة الأمريكية. وبالفعل ، فإن الاتحاد السوفيتي استطاع تجديد وتطوير قوته العسكرية بعد الحرب ، ثم ما لبث أن لحق بالولايات المتحدة فكسر احتكارها للقنبلة الذرية ، ولحق بها في صنع القنبلة الهيدروجينية . ثم راح يركز في ميدان الصواريخ ، ويحقق فيها قفزات واسعة .



وحيث مات « جوزيف ستالين » (٥ مارس ١٩٥٣) فقد كان لابد أن تحدث بعد اختفاء سلطته الأسطورية - تقلصات على القمة في الكرملين تمتص وتستغرق اهتمام القيادة التي انتقلت إليها خلافته . كانت سلطة « ستالين » الأسطورية قد كادت تخنق أنفاس الحزب تحت ثقلها ، كما أنها كانت قد حولت المحيطين به من أعضاء المكتب السياسي إلى مجرد ظلال لا وزن لها ولا تأثير . واحتل مقعد القيادة على عجل تلميذ « ستالين » المخلص وخليفته المنتظر ، وهو « جورجي مالينكوف » . لكن الانتقال لم يكن ممكنا إتمامه بهذه السهولة ، وهذه البساطة . فبعد اختفاء « ستالين » بالموت اختلجت الحركة في المكتب السياسي ، وانتقل النبض منها خافتا وضعيفا إلى بقية تنظيمات الحزب . وحدثت - وكان لابد أن تحدث - تفاعلات فكرية وذاتية لم يعد ممكنا تعطيلها . وهكذا سقط « مالينكوف » وأذيع بعد سقوطه بيان بأنه (أى « مالينكوف ») « اعترف » أمام المكتب السياسي بـ « أنه غير كفء » لرئاسة الوزارة ، وأن فهمه لمشاكل الزراعة مغلوط كما أن فهمه لمشاكل الصناعة غير كاف ، و « أنه بناء على ذلك يطلب إعفائه من المسؤولية » - وأصدر المكتب السياسي قرارا يعهد فيه إلى « مالينكوف » بتولى منصب وزير القوى الكهربائية ، ثم ما لبث أن عزل عن هذا المنصب أيضا مكتفيا بإدارة محطة كهربائية واحدة على تخوم سيبيريا .

وماهى إلا أسابيع أخرى حتى أعلن المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي عن تصفية أقوى رجل في الاتحاد السوفيتي بعد « ستالين » وهو « لفرنتى برييا » وزير البوليس والأمن الداخلي . ولم يذكر المكتب السياسي في بيانه كيف جرت تصفية « برييا » لكن التفاصيل التي تسربت بعد ذلك كشفت عن أن « برييا » حوكم بواسطة زملائه من أعضاء المكتب السياسي ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم استدعى إلى قاعة اجتماع المكتب السياسي جنرال من الجيش السوفيتي كلف بتنفيذ الحكم فوراً ، ونفذ بالفعل في حجرة مجاورة .

وبدا في سنة ١٩٥٥ أن نجما جديدا يصعد إلى القمة في الكرملين بسرعة وحيوية وهو « نيكيتا خروشوف » ، ومع ذلك فإن « خروشوف » كاد يسقط من حالق

بعد قليل حين رأى بعض الأقوياء في المكتب السياسى من أمثال « مولوتوف » و « كاجانوفيتش » أن السكرتير العام الجديد بدأ يتجاوز حدوده . وعقدوا بالفعل جلسة لمحاكمته أرادوا عزله بعدها . وكان من ضمن التهم التى وجهوها إليه شهادة أدلى بها وزير الخارجية السوفيتية فى ذلك الوقت ، وهو « ديمترى شبييلوف » الذى قال أمام المكتب السياسى : « إن خروشوف لا يصلح بحكم تصرفاته أن يكون زعيما للاتحاد السوفيتى ، وأنه يكاد يذوب من الخجل مرات بسبب تصرفات خروشوف ، ومن أمثلة هذه التصرفات أنه - أى شبييلوف - حضر اجتماعا بين خروشوف ورئيس جمهورية فنلندا وطوال الاجتماع كان خروشوف لا يكف عن هرش صدره ، وتحت إبطيه ، وكان ملابسه الداخلية مملوءة بالقمل والبراغيت » .

لكن « خروشوف » استطاع أن يقلت من حصار الاتهامات والمؤامرة مستعينا بنفوذ حليفه فى الجيش ، وهو الماريشال « جوكوف » بطل الحرب العالمية الثانية .

ولم تكد تمضى ثلاثة شهور حتى وجد « خروشوف » أن عليه التخلص من « جوكوف » بصرف النظر عن دينه له . ف « جوكوف » يستند على قاعدة الجيش وهذه القاعدة تمثل قوة حقيقية ، وبالتالي سلطة حقيقية ، واستطاع « خروشوف » أن يستميل إلى جانبه عددا من ماريشالات الاتحاد السوفيتى بينهم « كونييف » و « سوكولوفسكى » و « روكوسوفسكى » و « أنطونوف » و « مالينوفسكى » و « فاسيلفسكى » . وتمكن بمساندة هؤلاء جميعا من مواجهة الماريشال « جوكوف » الذى اضطر إلى تقديم استقالته ، ونشر باسمه بيانا فى جريدة « برافدا » يقول فيه : « لقد اكتشفت الآن لأسفى البالغ أننى ارتكبت أخطاء جسيمة فى القوات المسلحة . فلقد حاولت عرقلة العمل السياسى للحزب فى صفوف الجيش ، وإن أعترف بأخطائى أمام المكتب السياسى ، فإنى أعترف أيضا بحق الحزب فى تقويم هذه الأخطاء » .



هكذا يمكن القول دون مبالغة بأنه فى الوقت الذى احتدمت فيه جبهة الصراع فى الشرق الأوسط لم يكن الاتحاد السوفيتى مستعدا للمنطقة سياسيا ، أو جاهزا لها عسكريا . كانت التفاعلات الدولية تستغرق قيادته ، وقصارى ما كان يفرض نفسه عليها فى ذلك الوقت هو جبهة أوروبا وجبهة الصين بحكم استمرار الأوضاع الناشئة فى ظل معارك الحرب العالمية الثانية .

إن ذلك لا ينفى بالطبع أنه كانت هناك نظرة سوفيتية لمنطقة الشرق الأوسط ، واهتمام عام بأحوالها والتطورات المثيرة التى كانت تحدث على أرضها نتيجة للصراع

بين حركة القومية العربية ، وبين الامبراطورية الأمريكية المتحفزة على إرث الامبراطورية القديمة .

والحقيقة أن الاهتمام السوفيتي بالمنطقة كان قائماً وكامناً بحكم حقائق الجوار الجغرافي ومطالبها ، وأولها مطلب الوصول إلى المياه الدافئة في الخليج والمحيط الهندي ، وهو مطلب بدأ يلح منذ أيام « بطرس الأكبر » .

ولقد جرب الاتحاد السوفيتي في مؤتمر « يالطا » أن يحصل على نصيب في الشرق الأوسط ، لكن رياح الحرب الباردة مالبثت أن عصفت باتفاقية « يالطا » ، وحاول الاتحاد السوفيتي بوسائل أخرى في إيران وفي اليونان في النصف الثاني من الأربعينات ، ولم يصادفه النجاح ، ثم قنع بالانتظار بعد ذلك معترفاً بأن مجمل الأوضاع في الشرق الأوسط لا يعطيه مجالاً كبيراً للحركة ، فالعناصر التقليدية حاكمة ، والبنى الاجتماعية ضعيفة ، والأحزاب الشيوعية شظايا مبعثرة ومطاردة .

وفي كل الأحوال ، فإن التفاعلات الداخلية فيه كانت تستغرقه عن العمل في ميادين جديدة خارج أوروبا والصين .

وعندما بدأت رياح الثورة العربية تهب بعد يوم ٢٣ يوليو في مصر ، فإن الانطباع الأول للاتحاد السوفيتي لم يكن موافياً بل وكان عدائياً ضدها - ثم بدأت التطورات تلتفت أنظار البعض فيه خصوصاً عندما احتدمت المعركة في المنطقة ضد « حلف بغداد » ، فقد كانت هذه المعركة تنطوي على عناصر تهم الاتحاد السوفيتي مباشرة ، وتمس صميم أمنه .

وفي الفترة من قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ، وحتى آخر الخمسينات ، فإن توجهات الاتحاد السوفيتي نحو المنطقة لم تزد على قراراتين استراتيجيتين لا ثالث لهما :

□ أولهما : القرار بتزويد مصر بالسلاح ، ولعل الهدف الرئيسي فيه كان إخراج الغرب .

□ والثاني : هو القرار بتوجيه إنذار إلى أطراف العدوان الثلاثي وقت السويس ، ولم يصدر هذا الإنذار إلا بعد أن كان العالم كله قد وقف بالكامل ضد العدوان في الأمم المتحدة وخارجها .

لكن صدور هذين القرارين الاستراتيجيين ، ثم مجمل التطورات التي تلاحت بعد ذلك فرضت نفسها على الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي بدا فيه أن الأمور في الكرملين ، وعلى قمة القيادة السوفيتية بدأت تستقر لصالح « نيكيتا خروشوف »

وبقية ثلاثى القمة معه : المارشال « فورشيلوف » رئيس الدولة ، والمارشال « بولجانين » رئيس الوزراء - إلى جانبه هو كسكرتير عام للحزب الشيوعى السوفيتى وأول الأمناء للجنة المركزية .



هكذا فى ذلك الصيف الحار من سنة ١٩٥٧ وحين راح « ايزنهاور » و « دالاس » يطلقان صيحات النذير والتحذير من خطر الاتحاد السوفيتى والشيوعية الدولية - كان الاتحاد السوفيتى بالكاد على وشك أن يضع لنفسه خطوط سياسة شرق أوسطية ، وعربية واضحة المعالم . والواقع أن هذه الفرصة لاستعادة الاهتمام ، وإعادة التقييم ، ورسم سياسات جديدة ، وجدت نفسها بالمصادفات التاريخية أمام قوة رئيسية واحدة قادرة على الفعل ، وهى قوة حركة التحرر الوطنى الممثلة بحركة القومية العربية النشيطة وقتها على طول المنطقة وعرضها . لقد ثبت أنها وحدها الأقدر على التصدى للاستعمار ومعنى ذلك التصدى للغرب . كما ثبت أنها وحدها الأقدر على تحريك أوسع الجماهير ، وإيقاظ هممها وتحويل طاقاتها إلى تيار عارم متدفق - وليس فقط تجنيد بعض الأعضاء فى السر كما تفعل الأحزاب الشيوعية . وقد أثر هذا الوجود الحى والقوى لحركة الثورة العربية على التشكيل الأولى لسياسة سوفيتية جديدة تجاه المنطقة - لكن هذا التلاقى لم يحدث ، ولم يكن له أن يحدث بطريقة ميكانيكية ، فقد كانت المسائل ما زالت تحتاج إلى الكثير من التفكير الأعمق والتجريب المباشر . لكن جسورا جرت إقامتها فى هذه الفترة .

واللافت للنظر أن القوى الثورية فى المنطقة ، وفى مقدمتها الثورة المصرية راحت تحاول الرد على صيحات « ايزنهاور » و « دالاس » بالتشدد فى مواجهة الشيوعيين ، ومطاردتهم ومحاكمتهم . وعلى سبيل المثال ، فإنه فى آخر شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ قامت السلطات المصرية بضبط تنظيم شيوعى واعتقال أعضائه . ومع ذلك ففى يوم ١٠ أكتوبر ١٩٥٧ وقف « نيكيتا خروشوف » فى اجتماع علنى فى موسكو يقول :

« إن جمال عبد الناصر ليس شيوعيا بل إنه يضع كل الشيوعيين المصريين فى السجن ، ونحن نتعاون معه لأنه زعيم وطنى يقاوم الاستعمار بكل أشكاله » .

وكان « ايزنهاور » و « دالاس » مصممان على ترديد نفس الصيحة المنذرة بخطر الاتحاد السوفيتى والشيوعية الدولية . وجرت محاولات بائسة للبحث عن دليل . وتكشف وثيقة لوزارة الخارجية البريطانية برقم ١٥/١٠٢٤ - أن أكبر خبراء

وزارة الخارجية البريطانية في مسألة التغلغل السوفيتي كتب تقريراً لوزير الخارجية يقول فيه : « إنني لا أرى بموجب كل ما لدينا من معلومات أن هناك دليلاً يؤكد تغلغل الاتحاد السوفيتي ، أو أي من الدول الدائرة في فلكه في الحياة الاقتصادية في مصر » . ومع ذلك فإن وكيل وزارة الخارجية البريطانية في ذلك الوقت السير « ايفون كيركباتريك » أضاف إلى البرقية تأشيرة بخطه قال فيها : « أوافق على أن هذا صحيح ، ولكنني اتساءل : اليس بوسعنا أن نفعل شيئاً بالشواهد التي توحى بأن ناصر :

١ - يعتمد على مشتريات السوفيت من القطن المصري .

٢ - يسمح لعدد من خبراء الكتلة السوفيتية بالوجود في المصانع المصرية (على سبيل المثال هناك ٨٠ خبيراً وعاملاً تشيكياً في مصانع الخزف والصيني ؟)

(إمضاء)

ايفون كيركباتريك «

ولما كان الافتعال واضحاً في مثل هذه المحاولات اليائسة ، فإنها لم تحقق أي قدر من النجاح ، والحقيقة أن مصر والاتحاد السوفيتي كليهما لم يكن قد استطاع من ناحيته أن يرسم لنفسه سياسة ثابتة تجاه الآخر . كانت هناك لقاءات ، وكانت هناك اتصالات ، وكانت هناك خطوات عملية بعضها يصل إلى المستوى الاستراتيجي . لكن هذا كله لم يكن قد تم بعد تأسيسه على قواعد مستقرة . كان معظمه تعبيراً عن اهتمام ، وحوار سريعاً مع حوادث تقتضى ردود أفعال لا تستطيع الانتظار حتى ينتهى بناء الطرق والجسور التي تمشي وتتحرك عليها الخطط والسياسات .

وبدا أن هناك حاجة إلى لقاء مباشر على مستوى القمة أو قريبها تكون الفرصة متاحة فيه لحوار مباشر وصريح .



يوم ٥ أكتوبر ١٩٥٧ ذهب السفير السوفيتي في القاهرة « ديمتري كيسيليف » إلى مقابلة الرئيس « جمال عبد الناصر » يحمل إليه مجموعة من صور أول قمر صناعي في العالم « سبوتنيك » الذي أطلقه الاتحاد السوفيتي (في اليوم السابق ٤ أكتوبر) إيذاناً ببداية عصر الفضاء . كان إطلاق أول قمر صناعي إلى الفضاء انتصاراً سوفيتياً لا يحتمل الشك في مجال العلوم والتكنولوجيا ، وكان إطلاقه مفاجأة كبرى ظهر معها أن الاتحاد السوفيتي قد قفز خطوة هامة إلى الأمام سبق بها الولايات المتحدة الأمريكية .

وانتهز « كيسيليف » الفرصة فقال للرئيس « جمال عبد الناصر » إن القيادة السوفيتية تتمنى لو استطاع أن يزور الاتحاد السوفيتي قريباً ، ويشارك في احتفالات الثورة السوفيتية في عيدها الأربعين بعد شهر واحد (أى أوائل نوفمبر) - ورد « جمال عبد الناصر » بأنه « كان يتمنى أن يلبي الدعوة ، ولكن أمامه في مصر شواغل كثيرة تقيد ، فضلاً عن أن الحملة الأمريكية والغربية التي تركز على سوريا تجعله يفضل البقاء لمتابعة التطورات ، ولكنه سوف يفكر في إرسال ممثل خاص له يشارك في الاحتفالات » . وأبدى « كيسيليف » ملاحظة مؤداها « إنه يقترح بصفة شخصية أن يختار الرئيس ممثله في الاحتفالات على مستوى عال لأن القيادة السوفيتية تريد بحث العلاقات المصرية السوفيتية على مستوى يليق بأهميتها المتزايدة » . ورد عليه « جمال عبد الناصر » قائلاً : « لقد خطر في ذهني الآن أن أرسل إليكم عبد الحكيم عامر » . وأبدى « كيسيليف » حماسه للاختيار .

والحقيقة أن « جمال عبد الناصر » كان على استعداد لتلبية الدعوة والسفر إلى موسكو لو أن ذلك كان في استطاعته ، وكان يشعر برغبة في أن يعرف أكثر عن الاتحاد السوفيتي ، فلقد سمع كثيراً وتناقض ما سمعه مع بعضه ، وكان تقديره لصفقة السلاح السوفيتي كبيراً ، وكذلك كان تقديره للإنذار السوفيتي ، ثم جاء إطلاق القمر الصناعي فزاد من اهتمامه بأن يرى بنفسه ، وأن يسمع مباشرة .

وصحيح أن شواغله في مصر كانت تقتضي بقاءه في القاهرة ، كما أن الضغوط المتزايدة على سوريا كانت تحتم بقاءه في المنطقة قرب الحوادث - لكن



عبد الحكيم عامر يضحك لتعليق ابداه خروشوف ، وذلك في اول زيارة له لموسكو
لمناقشة الامور العسكرية وجس النبض بشأن السد العالى

هذه الاسباب الظاهرة لم تكن كل شيء ، وإنما كانت هناك أسباب أخرى أولها أن « جمال عبد الناصر » لم يكن يريد لزيارته الأولى إلى الاتحاد السوفيتي أن تكون رحلة تقديم شكر على صفقة الأسلحة وعلى إنذار السويس أو رحلة تقديم طلبات ، فقد كان يريد عقد صفقة سلاح ثانية ، والحصول على قرض للتصنيع إلى جانب جس النبض في مشروع السد العالى ، وثانيها أنه وجد أن ظهوره شخصيا في موسكو مع توقيت الضغط على سوريا بكل الدعاوى التي يرددها الغرب قد يتخذ ذريعة ضمن ذرائع الدعاية الغربية ، وثالثها أنه كان يؤثر الحذر دائما ، ويفضل استكشاف المواقع قبل الدخول إليها ، ولعلها آثار تعليمه العسكرى .

وكان « جمال عبد الناصر » يثق ثقة كاملة في السفير المصرى في موسكو وقتها وهو الأستاذ « محمد عوض القونى » ويعتبره أكفء سفير مصرى تعامل معه ،

كما أن « القونى » كان على علاقة طيبة بالقيادات السوفيتية ، ومع ذلك قدر « جمال عبد الناصر » أن مناسبة سفر وفد مصرى على مستوى عال إلى موسكو سوف تتيح فرصة مركزة لتبادل الآراء على أعلى المستويات حتى بالنسبة لـ « القونى » نفسه

وتم تشكيل الوفد المصرى وكان وفدا عسكريا صرفا ، فقد رأى « جمال عبد الناصر » أن الطابع العسكرى للوفد سوف يخفى بعض المهام التى كلف بها « عبد الحكيم عامر » وأولها جس النبض بشأن السد العالى ، حتى إذا فرض وتردد السوفيت إزاء ضخامة المشروع ظل فى الإمكان إبقاء السبل مفتوحة على أبواب أخرى .

وهكذا ضم الوفد إلى جانب المشير « عبد الحكيم عامر » كلا من الفريق البحرى « سليمان عزت » واللواء طيار « جمال عفيفى » واللواء « حافظ اسماعيل » واللواء « عبد العزيز مصطفى » وعدد آخر من المساعدين والمرافقين .

كان الوفد برئيسه مهيا لتمثيل مصر فى العيد الخمسين للثورة السوفيتية .

وكان مهيا بتشكيله العسكرى لبحث صفقة سلاح جديدة .

وفوق ذلك ، فقد كان « عبد الحكيم عامر » مكلفا بالاتفاق على حجم قرض معقول لبرامج التصنيع ، فإذا ما تم الاتفاق عليه سافر إلى موسكو الدكتور « عزيز صدقى » وزير الصناعة بادئا من إطار الاتفاق إلى تفاصيل مشروعاته .

وأما بالنسبة للسد العالى ، فقد كان التكليف إلى « عبد الحكيم عامر » بأن يسأل فقط عن مدى الاستعداد السوفيتى دون الدخول فى تفاصيل .

وفى أول نوفمبر وصل « عبد الحكيم عامر » إلى موسكو مستقلا طائرة سوفيتية خاصة من طراز « تى ١٠٤ » وكان هذا الطراز من الطائرات الكبيرة النفاثة فى ذلك الوقت معجزة طائرة^(١)

(١) شاعت فى الظروف أن اكون المدنى الوحيد الذى يسافر مع هذا الوفد العسكرى ، فقد دعانى الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى لقائه يوم ٢٨ أكتوبر وفاجانى بقوله :
« هل لديك استعداد للسفر إلى موسكو مع عبد الحكيم ؟ »

ثم شرح لى مهمة الوفد ورئيسه ، وأضاف : « إننى أتمنى لو أنك تمكنت من الذهاب ، فانا أريد رؤية سياسية لاتجاهات السوفيت نحونا ، وسوف تسنح لك الفرصة مع الوفد لكى ترى كل شيء . عبد الحكيم كما تعرف سوف يكون مستغرقا فى مهامه الرسمية إلى جانب المراسم ، ثم إنه بطبيعته لا يستطيع إستعادة التفاصيل » .
وأضاف ضاحكا : « من مشكل عبد الحكيم أنك لو سألته عن قصة سيدنا يوسف لرد عليك بانها « قصة صبية تاه ثم لقوه » - وليس هذا ما أريد معرفته .

إن الاتحاد السوفيتى قوة عظمى ، ونحن سنتعامل معهم لسنوات طويلة قادمة ، وفى مسائل حيوية بالنسبة لنا ، وسوف يفيدنى كثيرا أن اسمع منك حين تعود وبالتفاصيل . أريدك أيضا مع عبد الحكيم . ولا تنسى أنها فرصة لك أيضا كصحفى . »

يوم أول نوفمبر ١٩٥٧ كان « عبد الحكيم عامر » في موسكو ، وأول ارتباطاته فيها دعوة على العشاء في مقر وزارة الدفاع السوفيتية . ووجد نفسه محاطا بكل النجوم من مارشالات الاتحاد السوفيتي الذين قادوا أكبر الجيوش في أخطر معارك الحرب العالمية الثانية .

في أول نوفمبر - نفس اليوم - أذيعت في القاهرة الأحكام الصادرة عن المحكمة العسكرية العليا في قضية الشيوعية ، وأعلنت الأحكام بالفعل على ١٨ متهما تراوحت مدد العقوبات المحكوم بها عليهم ما بين ٦ و ١٢ سنة .

وكان التوقيت بطبيعة الحال مقصودا . ويبدو أن « جمال عبد الناصر » أراد به إعلانا للعالم له دلالة في يوم وصول « عبد الحكيم عامر » إلى موسكو - من ناحية - ومن ناحية أخرى - اختبارا مبكرا ومباشرا لردود الفعل السوفيتية ، ورسالة لها معناها حتى وإن بدت غير دبلوماسية .

وبرغم ذلك ، فإن « عبد الحكيم عامر » في موسكو كان يسبح في الأضواء الباهرة للدبلوماسية السوفيتية عند أعلى مستوياتها .

في اليوم التالي لوصوله إلى موسكو كان مدعوا إلى حفل عشاء كبير أقيم في قاعة « كاترين العظيمة » وهي أفخم قاعات الكرملين بأعمدتها الرخامية البيضاء الشاهقة ، وجدرانها وسقفها المغطاة بالذهب ، وثرياتها التي لم يبدع أساطين الفن في أوروبا أجمل منها ولا أروع .

وعندما دخل « عبد الحكيم عامر » إلى قاعة « كاترين » كان محط الأنظار بالفعل ، وكان ذلك راجعا بطبيعة الحال إلى أنه دخل في هذه اللحظة ممثلا لمجد السويس . وأقبل عليه كبار المدعوين يتسابقون إلى مصافحته ، وكان المشهد مثيرا للاهتمام . وأقبل « ماوتسى تونج » قائد الثورة الصينية يصافحه ، ويظل ممسكا بيده وهو يقول له : « قل للرئيس ناصر إننى أريد أن أراه ، وإننى معجب بكفاحه وصلابته في سبيل استقلال بلاده وحريتها ، فأنا أحب جميع الذين يحبون حريتهم » . ثم أمسك « ماوتسى تونج » بكتف « عبد الحكيم عامر » وقال له : « إننى سعيد أن وزير حربى مصر شاب إلى هذه الدرجة ، فالجهود العسكرية اليوم يقتضى جهدا لا يقدر عليه غير الشباب ، وأريد أن أقول لك نصيحة من صديق أكبر منك سنا » ، وسكت « ماوتسى تونج » لحظة ، ثم استطرد قائلا : « عبد الحكيم

= وردت بانه ليس في حاجة إلى هذا كله لاقتناعي بالسفر إلى موسكو ، وإننى جاهز من الآن للرحلة . وهكذا جرى ضمي إلى الوفد الرسمي في اللحظة الأخيرة ، وكانت تلك مفاجأة للسوفيت ، وقد أحسست حتى من السفارة السوفيتية في القاهرة أن السوفيت في حيرة بسبب ظهورى المفاجيء مدنيا وحيدا ضمن وفد عسكرى !

عامر» : « جنرال عامر لاتدخر جهدا في الاستعداد ، وفي تدريب جنودك ، لئلا يتروككم ولا تتصوروا أنهم سوف يسكتون عنكم بل هم سوف يطاردونكم إلى آخر الأرض » . وفي هذه اللحظة اقترب « هوشى منه » من الاثنين ، وهو يسحب في يده الأسقف « هيليت جونسون » وكان معروفا بأفكاره التقدمية حتى أطلق عليه وصف « الأسقف الأحمر » .

وقال « هوشى منه » لـ « عبد الحكيم عامر » : « لقد كنا نتابعكم ساعا بساعة ، وكانت قلوبنا معكم ، وقد أحسبنا بفخر عندما رفضتم الإنذار البريطاني الفرنسي ، وقررتم المقاومة مهما كانت التضحيات . إن الذى يحسب التضحيات أمام نداء الحرية سوف يجد نفسه يخسر الاثنين - حريت وتضحياته - بغير قتال » .

لم يكن « خروشوف » قد التقى بعد بـ « عبد الحكيم عامر » وأقبل السفير « سيمونوف » وكيل وزارة الخارجية السوفيتية يربت على كتف « عبد الحكيم عامر » يستأذنه في كلمة ، ثم يهمس في أذنه بأن « خروشوف » يريد أن يراه بعد أن يفرغ من حديثه مع « مارتسى تونج » و « هوشى منه » . وبعد دقائق توجه « عبد الحكيم عامر » إلى حيث يقف « سيمونوف » ومعه السفير « محمد القونى » والسفير « نيكولاى تساتيتسيف » ثم تحرك الثلاثة نحو باب القاعة حيث كان « خروشوف » ينتظر في أحد الأركان . وهمس « سيمونوف » في أذن « عبد الحكيم عامر » قائلا : « هل لاحظت . . . سفير فرنسا وسفير إسرائيل كلاهما يتابع كل سكة وكل حركة تقو بها » . وكان « خروشوف » قد مد يده لـ « عبد الحكيم عامر » مرحبا ، ثم احتضنا وقبله والأضواء كلها مسلطة عليهما وكذلك الأنظار . وقال « خروشوف » : « يبدو أننا لن نستطيع أن نتحدث طويلا في هذا الجو . إننى تركتك في أول يوم لزيارتك إلى العسكريين لكنى لا أنوى أن أتركك معهم طويلا ، لقد فهمت أن الرئيس ناصر كلفك أن تبحث معنا عددا من المسائل ، وأريد أن أعرف منك رؤوس موضوعاتها حتى نستطيع أن نقرر من يمثلنا في التفاوض بشأنها معك » . ورد « عبد الحكيم عامر » بسرعة : « إننى مكلف بثلاثة أنواع من المسائل : سياسية . اقتصادية - عسكرية » . ورد « خروشوف » قائلا : « حسنا . سوف أقول لك من الآن من سيتحدث معك في كل مسألة » .

□ في المسائل السياسية سوف يكون حديثك معى ومع بولجانين (رئيس الوزراء) ومع جروميكو (وزير الخارجية) .

□ وفي المسائل الاقتصادية سوف يكون حديثك مع ميكيان (نائب رئيس

الوزراء للشؤون الاقتصادية) وبيروفكين (المشرف العام على العلاقات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتى) .

□ وفي المسائل العسكرية سوف يكون حديثك مع الماريشال مالمينوفسكى (وزير الدفاع) والماريشال سوكلوفسكى (نائبه) . «

وتساءل « خروشوف » : « هل هذا كاف ؟ » ، وتولى الاجابة نيابة عن « عبد الحكيم عامر » السفير المصرى « محمد عوض القونى » الذى قال لـ « خروشوف » : « إن هذا أرفع مستوى يمكن أن يتفاوض فيه الاتحاد السوفيتى مع أى دولة أخرى ، ونحن شاكرون لهذا الاهتمام » .

□

وكان الاهتمام بالفعل غير مسبوق فى علاقات الاتحاد السوفيتى بأى دولة أخرى .

فى المسائل العسكرية لم يطل النقاش . فقد تمت الموافقة على طلبات « عبد الحكيم عامر » وجرى توقيع عقد لصفقة سلاح جديدة .

وفى المسائل السياسية بدا أن الاتحاد السوفيتى يتفهم دور مصر فى العالم العربى ويقدر عاليا مقاومتها للاستعمار وأحلافه ، ويؤكد استعداداه لمساندة مواقفها على النحو الذى تقرره هى وتختاره .

وفى المسائل الاقتصادية كان « عبد الحكيم عامر » يحمل معه مشروع السنوات الخمس الأولى للتصنيع . وقد فوجئ بان الجلسة المخصصة لبحث المسائل الاقتصادية لم تقتصر على « ميكويان » وحده ، وإنما جاء معه كل من « خروشوف » و « بولجانين » . وعرض « عبد الحكيم عامر » تفاصيل المشروع قائلا : « إنه بالفعل مشروع طموح لكن الاستقلال الاقتصادى هو الوسيلة الوحيدة التى تراها مصر لتحقيق ثلاثة أهداف فى نفس الوقت : أن تقدر على مواجهة الحصار الاقتصادى الذى يحاولون فرضه عليها - وأن تواجه مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية الحقيقية بما فيها زيادة عدد السكان - وأن تأخذ دورها الطبيعى كدولة قوية فى المنطقة » . وقال « عبد الحكيم عامر » : « إن مصر لاتحتاج إلى منح ولا إلى هبات ، وإنما هى تريد مصانع وتريد أن تدفع ثمنها بشروط محتملة . فهى تريد أن تدفع بالتقسيط ، وتريد أن يبدأ الدفع بعد أن تبدأ هذه المصانع فى إنتاجها فعلا » .

وعرض « خروشوف » استعداد الاتحاد السوفيتي للمساهمة بـ ٥٠ مليون جنيه في مشروع الخطة بفائدة قدرها ٢,٥٪ مع فترة سماح مدتها خمس سنوات ، ومع تقسيط المبلغ على مدى ١٢ سنة بعد انتهاء فترة السماح . ثم توجه « خروشوف » إلى « عبد الحكيم عامر » بسؤال قائلا : « هل تعتقد أنه إسهام معقول ؟ » ورد « عبد الحكيم عامر » قائلا : « إنه لم يجيء إلى الاتحاد السوفيتي ليساوم ، وإن مصر طلبت فعلا ما هي في حاجة إليه ، وإنها لا تريد أن يتحمل أصدقاؤها أكثر مما يطيقون » ثم أضاف : « إنه في كل الأحوال سوف يتصل بالرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة » .

وكان هناك اجتماع آخر في الصباح بداه « خروشوف » بسؤال « عبد الحكيم عامر » : « ماذا قال الرئيس عبد الناصر عن عرضنا أمس ؟ » ورد « عبد الحكيم عامر » قائلا : « لقد كلفني أن أوجه إليكم شكره » . وابتسم « خروشوف » وقال : « يظهر أنه غير راض تماما عما فعلناه هنا . نحن نريدكم أن تشعروا أننا نقدر مشاكلكم ، ونريد أن نطمئن إلى أنكم راضون تماما عن هذه المهمة التي جئت من أجلها إلى موسكو » .

وفي المساء تولى « خروشوف » إبلاغ « عبد الحكيم عامر » بأن القيادة السوفيتية قررت رفع مساهمتها في خطة التصنيع الأولى إلى ٧٠٠ مليون روبل أي ٦٢ مليون جنيه . وأبدى « عبد الحكيم عامر » تأثره ، ثم أضاف : « الحقيقة أن هذا التجاوب من جانبكم يستحق التقدير ، وقد كنت أريد أن أطرح موضوعا آخر للمناقشة ، ولكني سوف أطرحه الآن كمجرد رأس موضوع لمجرد التفكير فيه ، وليس لاتخاذ قرار عاجل ، وأقصد به مشروع السد العالي . إن مشروع السد العالي كما تعرفون هو الآن محور نضالنا بعد معركة قناة السويس ، ونحن نتصور أن بناءه هو الهدف الرئيسي لنا في المرحلة القادمة » .



ولم تكن الأمور تحت السطح بهذه البساطة البادية عليها . فالعلاقات بين القوى ليست عواطف أو مجاملات ، وإنما هناك وراء العواطف والمجاملات نوايا ومقاصد تتحين الفرصة لكي تتحسس طريقها ، ولا تريد أن تكشف عن سرها بسرعة قبل أن تتأكد من مواقع أقدامها . ولقد كانت هناك مجموعة من الإشارات تلفت الانتباه :

١- كان هناك الاهتمام المتزايد من جانب العسكريين السوفيت . فحفاوتهم البالغة بضابط مصري شاب ، واستعدادهم لأحاديث

مستفيضة معه حول موقع الشرق الأوسط وخطورته الاستراتيجية ،
وأهمية المحيطات والممرات المائية التي تحيط به - كانت تنبىء باهتمام
يتخطى اللحظة الراهنة .

٢ - كانت هناك حادثة فرضت نفسها بسرعة ، ثم أمكن تدارك آثارها
بطريقة أسرع . فإثناء حفل عشاء بدا أن السفير « نيكولاى
تسائيتسيف » قد احتسى من أقذاح الـ « فودكا » ما كان أقوى من
سيطرته على لسانه ، فإذا هو يقول للواء « حافظ اسماعيل » عضو
الوفد ، ولعدد من العسكريين الواقفين معه : « أنتم تتكلمون عن
الحياة وعدم الانحياز وهذا لن يجديكم . لابد لكم أن تختاروا ، وإذا
اخترتم جانبنا ، فإننا قادرون على حل جميع مشاكلكم » . وفوجيء
« حافظ اسماعيل » كما فوجيء الملحق العسكرى المصرى الذى كان
يقف معه ومع « تسائيتسيف » . وسارع « حافظ اسماعيل » فأبلغ
« عبد الحكيم عامر » بما سمع ، فقام بدعوة السفير « القونى » إلى
مقابلته ونقل إليه ما جرى ، وكان رأى السفير « القونى » أنه لا يمكن
السكوت على هذه الملاحظة ، وأنه سوف يثيرها مع « سيمونوف »
ويطلب إيضاحا عنها . وفعل « القونى » ما تعهد به ، وتلقى الإيضاح
المطلوب بالاعتذار عن ملاحظة « تسائيتسيف » وإلقاء مسؤوليتها على
« حمى الفودكا » ، ثم تأكد الاعتذار فى اليوم التالى حين تقرر سحب
« تسائيتسيف » من عضوية الوفد السوفيتى .

لكن ملاحظة « تسائيتسيف » ظلت بعد ذلك إشارة تستحق التأمل
والدرس .

٣ - وكان هناك إلى جانب ذلك هذا الفيض من الحفاوة والمبالغة فى
الإطراء ، وكان يمكن أن يعزى هذا الفيض إلى كرم المشاعر وحدها ،
وبالتأكيد فقد كان فيه الكثير من كرم المشاعر ، ولكن كرم المشاعر الزائد
فى السياسة الدولية حرى بأن يلفت الأنظار خصوصا فى العلاقات بين
قوة عظمى وقوة صغيرة - فلقد دعى « عبد الحكيم عامر » مثلا إلى
الوقوف يوم الاحتفال بعيد الثورة على شرفة مقبرة « لينين » جنبا إلى
جنب مع قادة الاتحاد السوفيتى ، وضيوف من أمثال « ماو تسى تونج »
و « هوشى منه » ، كما أن « خروشوف » دعاه إلى بيته على فنجان شاي
مع أسرته قائلا له إنه يعتبره مثل ابن له تماما . ولما كان هذا أول لقاء

بينهما ، فإن هذه العواطف بدت موضع تقدير من ناحية ، وموضع تدقيق من ناحية أخرى .

وللإنصاف ، فلعل الاتحاد السوفيتي أراد بهذه الحفاوة كلها أن يؤكد أهمية علاقاته مع مصر ، وأن يفتح أبوابا على مصاريحها حتى تكون الطرق سالكة عندما يستقر على تخطيط سياسى شامل للمنطقة التى بدا له من أول لحظة أن مصر تلعب فيها دورا بالغ التأثير ، وتقود فيها حركة تتعدى حدودها ، وتلفت الأنظار إليها كظاهرة فريدة فى السياسة الدولية فى ذلك الوقت .

ومن الواضح أن حذر الاتحاد السوفيتي فى علاقاته مع مصر ، وحرصه على مراعاة الحدود التى وضعتها لسياستها المستقلة لم تكن خافية على الغرب . ويوضح تقرير لوزارة الخارجية البريطانية^(٢) أن السفير البريطانى فى موسكو استطاع أن يقدر على وجه سليم حقيقة الوضع ، فقد كتب إلى وزير خارجيته تقريراً بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٥٧ جاء فيه : « ليس هناك شك فى أن السوفيت يراعون مشاعر مصر الوطنية والقومية ، ويحاذرون من أى إشارة يمكن أن تسيء إليها . ومن المؤكد أن العلاقات الوثيقة بين الطرفين لن تسفر عن أى تغلغل شيوعى فى مصر ، بل إن الحزب الشيوعى سوف يظل ممنوعا ، كما أن أقطابه سوف يظلون فى السجن . ولن يحاول الاتحاد السوفيتي التدخل لصالحهم ، ولن يكون للشيوعيين دور فى العلاقات المصرية السوفيتية . ومن الواضح أن الكرملين يظهر بكل الوسائل أنه لا يرغب فى فرض عقائده السياسية على الآخرين » .

(٢) التقرير رقم ١٢٥٤٣٥ فى مجموعة ملفات وزارة الخارجية البريطانية



ولعل خير وسيلة لاستكشاف معالم التفكير السوفيتي بشأن مصر ، وبشأن الشرق الأوسط في هذه الفترة هي العودة إلى نصوص حوار جرى في أثناء هذه الزيارة مع الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » .^(٣)

● سألت « خروشوف » عن سياسة الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط ، فأجاب : « إن سياسة الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط وأهدافه لا تختلف عن سياسته وأهدافه في أي منطقة أخرى غير الشرق الأوسط . ولكن الشرق الأوسط بسبب ظروفه يمثل جزءا هاما وحساسا من أحداث العالم الآن . ذلك أن شعوب هذه المنطقة تكافح في سبيل استقلالها . بعضها استطاع تحرير نفسه ، وبعضها مازال يواصل معارك التحرير . بعضها حقق استقلاله ، وبعضها أخذ استقلالا ظاهريا تدعيه حكومات لا تمثل في الواقع امانى شعوبها . وهذه الحكومات تمارس سياسة هي في حقيقة الأمر سياسة الاستعمار . وبسبب هذه الظروف كلها ، في هذا المكان ، في هذا الوقت من التاريخ - يعلق الاتحاد السوفيتي أهمية كبرى على كفاح شعوب المنطقة ، وسياسته في هذا هي أن يساهم في تدعيم الاستقلال السياسى والاقتصادى للدول المستقلة حتى يضمن استقلالها ، وأن ينصر الذين يكافحون من أجل استقلالهم حتى يصلوا إلى هذا الاستقلال كاملا . »

● وسألت « خروشوف » عما إذا كانت هناك قاعدة معينة تحكم علاقاتهم مع دول المنطقة ، وكلها تتبع أنظمة إجتماعية وسياسية تختلف عن نظام الاتحاد السوفيتي ، وأجاب خروشوف : « صدقنى إن الاتحاد السوفيتي يرتب سياسته على أساس العقيدة « اللينينية » في التعايش السلمى ، ونحن نعتقد أن تعزيز التعايش السلمى بيننا ، وبين الآخرين مهما اختلفت نظمهم الاجتماعية والسياسية هو الطريق الوحيد لصيانة السلام . »

● وسألت « خروشوف » عن رأيه في أسباب التوتر في الشرق الأوسط ، فقال :

(٣) أجريت هذا الحديث مع « نيكيتا خروشوف » يوم السبت ١٦ نوفمبر ١٩٥٧ في الساعة الثانية عشرة ظهرا في مكتبه بالدور العاشر من مبنى مقر اللجنة المركزية . وقد امتد لساعتين كاملتين ، ونشرت نصوصه الكاملة في وقتها في عدد « الاهرام » الصادر يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر ١٩٥٧ .

« إن الأسباب الحقيقية للتوتر - كما نراها - أن الاستعمار اضطر تحت ضغط شعوب المنطقة إلى التسليم بتنازلات لهذه الشعوب ، ولكنه مازال يحاول إبقاء زمام السيطرة الفعلية في يده . خذ بريطانيا مثلا ، وبريطانيا في هذا الموضوع لها تجربة كبيرة . إن بريطانيا تدعى أن سياستها هي منح المستعمرات استقلالها تمشيا مع أمانى الشعوب ، ولكن هذه تصريحات مكشوفة ، إنها اضطرت للتراجع بعض الشيء لأنها لم تستطع أن تستمر في فرض سيطرتها بالوسائل التقليدية ، وبريطانيا لا تريد أن تسلم ، لهذا فهي تلجأ إلى وسائل أخرى : أولها على سبيل المثال أن تبدو في الظاهر كمن يحاول الاستجابة لمطالب الشعوب بينما تعمل في الواقع على استبقاء مراكز نفوذها . وإحدى الوسائل في هذا السبيل هي خلق الحكومات الخائنة لشعوبها المرتشية من المستعمرين . يريد الاستعمار بذلك أن يوهم الشعوب أنها تحكم نفسها بأبنائها . بينما الواقع القائم يقول لنا إن الاستعمار هو الذى يحكم .

إن الاستعمار يريد أن يبقى في مواقعه ، لكى يواصل استغلاله للموارد الطبيعية في المنطقة ، والشعوب تريده أن يخرج ، وقوة الاستعمار وقوة الشعوب في معركة حامية من أجل هذا السبب . إن الشعوب تريد حكومات تعكس إراداتها ، وهذا آخر ما يريده الاستعمار بدليل أنه عندما قامت في بعض هذه الدول حكومات تمثل شعوبها تمثيلا حقيقيا ، كما حدث في مصر وسوريا ، فإن حقد الاستعمار عليها وحربه ضدها لا يعرف حدا يقف بعده . إن الاستعمار في حقه يلجأ إلى كل سبيل : يلجأ إلى الشك ، يلجأ إلى إرسال جواسيس ، يلجأ إلى نشر الإشاعات ، بل يلجأ إلى القتل ، وصدقنى إن ترسانة الاستعمار مليئة بأنواع كثيرة من السموم .

خذ مصر ، إن مصر تملك في أرضها قناة ، هي قناة السويس ، التى تعتبر أهم نقطة في المواصلات بين أوروبا وآسيا وأفريقيا . والاستعمار يريد إبقاء سيطرته على هذه المنطقة ، لهذا فهو يريد أن تكون في مصر حكومة موالية يختارها وينتقيها على هواه . ويصل الأمر إلى حد أن تتكاتف دول الاستعمار جميعها في الهجوم على مصر . وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التى أعلنت في الظاهر عدم رضائها عن هجوم حلفائها على مصر كانت معهم في المؤامرة ، وإنما كان هناك نوع من توزيع أدوار الرواية على الممثلين . ولقد فشلت الرواية - أعنى فشلت المؤامرة - وبقيت الحكومة المصرية الوطنية التى كان الاستعمار يريد الخلاص منها . ولقد كانت الخطة أن يتم القضاء على هذه الحكومة الوطنية بينما الأمم المتحدة تناقش مشكلة العدوان ، وكان التقدير أن لا تنتهى هذه المناقشة إلا وتكون في مصر حكومة موالية مستعدة للتسليم . وهكذا لابد أن

أقول : إن مقاومة الشعب المصرى وحكومته كانت العامل الأول فى إحباط المؤامرة ، ولكنى أيضا لا أريد أن أكون متواضعا إلى الحد الذى أتغافل معه عن الدور الذى قام به الاتحاد السوفيتى فى سبيل إحباط خطة العدوان .

ولقد كان قصدنا أن نكشف أمريكا حين عرضنا عليها - قبل أن نوجه إنذارنا للمعتدين - أن تشترك معنا باسم الأمم المتحدة فى عمل مسلح لوقف العدوان على مصر . إن أمريكا رفضت ، وكنا نعرف أنها سوف ترفض ، ولكن قصدنا كان أن نكشف حيلتها ، ونفضح دورها فى المؤامرة . ولقد افترض هذا الدور الأمريكى وانكشف ما كان خافيا من أمره بعد أن فشل العدوان على مصر ، فلقد خرجت الولايات المتحدة علنا تحاول أن تساعد حلفاءها فى ما لم يستطيعوا وحدهم القيام به . وكانت تساعد بطريقة غريبة . كانت تساعد على طريقة حبل المشنقة حين يساعد المشنوق ! أعلنت الولايات المتحدة فجأة مبدأ ايزنهاور الذى يدعى نظرية ملء الفراغ فى الشرق الأوسط . وكنت فى دهشة من حكاية هذا الفراغ الذى يريدون ملأه فى الشرق الأوسط . أين هو هذا الفراغ ؟ إن الشرق الأوسط منطقة مزدهمة بالسكان ، ثم إنه المنطقة التى نشأ فيها الجنس البشرى وحبا إلى الحضارة ، ثم هو منبت الثقافات .

كان المعنى الوحيد لإعلان هذا المبدأ من جانب ايزنهاور هو أن أمريكا لاتعترف بحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وتعتقد بأن هذه الشعوب يجب أن تظل تحت الوصاية ، وصايتها طبعا . ولجات الولايات المتحدة إلى أساليب جديدة وحديثة ومبتكرة ، ولكن القفزات البيضاء فى يد القاتل لاتستطيع تخفيف الألم عن الضحية . وهنا لم تكن الولايات المتحدة تعمل لضمان مصالح بريطانيا وفرنسا ، وإنما كانت تعمل لضمان مصالح احتكارات البترول . إنهم يريدون الغنى بأى شكل وأى وسيلة ، ورائحة البترول بما تشيعه حولها من أحلام - تفقد أعضابهم . ولما وجدوا أن الخطة ضد الهدف الأول وهو مصر لم تنجح تحولوا إلى هدف ثان ، وهكذا بدأت عملية سوريا . »

● وسألت « خروشوف » عن معلومات الاتحاد السوفيتى عما يجرى فى سوريا والضغط الواقعة عليها ، وما إذا كان لديهم ما يثبت المؤامرة ضد سوريا . وقال خروشوف : « لدينا معلومات كاملة^(٤) ونحن واثقون من دقتها ، وسوف أطلعك

(٤) اتضح فيما بعد أن الاتحاد السوفيتى كانت لديه معلومات كاملة عما يجرى ضد سوريا . وكان الجاسوس الأشهر ، كيم فيلبى ، هو الذى نقل المعلومات إليهم من بيروت ، وقد حصل عليها من « ولبور ايفلاند » ، مندوب المخابرات الأمريكية فى سوريا ، وكان « كيم » - وهو ابن المستشرق « فيلبى » - قد وصل إلى أن أصبح نائب مدير المخابرات البريطانية ، وفى نفس الوقت فقد كان يعمل لحساب السوفيت ، وكان رجلهم الحقيقى قرب قمة جهاز M.I.6.

على ملخصها . إنهم دبّروا مؤامرات للاستيلاء على سوريا من الداخل ، وعندما لم تنجح هذه المؤامرات رأت الولايات المتحدة أن تدفع الأردن والعراق إلى مهاجمة سوريا . وكان تصورهم أن ذلك لو حدث - فإن الولايات المتحدة الأمريكية تبدو بعيدة بينما ينحصر الأمر في نطاق دول عربية تتقاتل مع بعضها . ولقد تبين أن تنفيذ المؤامرة ضد سوريا على هذا النحو مستحيل . وأريد أن أحدد لك نقطة هامة ، وهي أن مبعث الاستحالة هنا لم يكن رفض حكومة الأردن وحكومة العراق القيام بما طلب منهما ، ولكن كان مبعث الاستحالة أن كلا من الحكومتين وجدت أنها لا تستطيع ضمان جيشها في مثل هذه الحالة . ولقد قالت هاتان الحكومتان هذا الكلام بصراحة للحكومة الأمريكية ، وقالتا إنهما تخشيان في مثل هذه الظروف أن تنضم قواتهما إلى الناحية الأخرى . وفي هذا الوقت عرضت إسرائيل إستعدادها لتنفيذ المهمة ، ولكن الولايات المتحدة منعت إسرائيل من الهجوم لأنها وجدت أن ظهور إسرائيل على المسرح سيكون دافعا إلى تكتل جميع الشعوب العربية . وهنا اتجه تفكير الولايات المتحدة إلى تركيا ، وكانت وجهة نظرها أن تركيا دولة مسلمة ، وسوريا دولة مسلمة . وعلى هذا النحو فإن هذا الوضع كان يضمن للولايات المتحدة أن تظل بعيدة عن خشبة المسرح بينما الدول الإسلامية تتقاتل مع بعضها . إن أمام الأتراك الفرصة كاملة ليروا أن الآراء التي تجيئهم من أصدقاء عبر الأطلنطي ليست دائما آراء ناضجة . ولقد وجهنا إنذارا للحكومة التركية ، ولعلها تكتشف أن الإله الأمريكي الذي تعبده ليس قويا إلى الحد الذي تتصوره . إن تركيا جار لنا ، ونحن نريد أن نعيش معها في صداقة وهدوء . وكذلك فنحن نريد من تركيا أن تعيش مع بقية جيرانها في صداقة وهدوء . إن صداقة القوى عقل ، وأما صداقة الضعيف ففيها وحدها يبدو حسن النوايا وحسن الأخلاق . »

الفصل الرابع

دمشق محاصرة



كان الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » محقا ودقيقا إلى أبعد مدى في الصورة التي عرضها عن الأخطار المحدقة بسوريا بعد أن اتجهت إليها عواصف المؤامرة التي تمكنت مصر من صدّها ، وإرغامها على التراجع في معركة السويس المنتصرة . ولعل « خروشوف » وهو يرسم تفاصيل الصورة كان يملك من الوثائق السرية التي حصلت عليها المخابرات السوفيتية ما يعزز روايته عن كل ما كان يجري في الخفاء .

إن الوثائق السرية للحكومة السورية والحكومة العراقية ، وكذلك الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية تكاد تتماشى حرفا بحرف مع الخطوط التي وردت في الصورة كما رسمها « خروشوف » .

في البداية كانت المؤامرات وهدفها الغزو من الداخل على حد تعبير « دالاس » . وكانت أشهر المؤامرات هي ما عرف باسم « قضية الدندشي » التي انكشفت وثائقها بالكامل بعد سقوط حلف بغداد . لقد بدأ انكشاف المؤامرة في الواقع قبل سقوط حلف بغداد ، ودارت بشأنها محاكمات في دمشق استمرت طوال عام ١٩٥٧ ، لكن الشكوك ظلت تساور البعض في أن ما عرض من أدلة الاتهام في هذه المحاكمات كان « مصنوعا » بقصد الدعاية السياسية ، حتى جاءت الوثائق الأصلية بعد سقوط حلف بغداد لتؤكد أن ما ظهر في محاكمات دمشق قبلها كان مجرد لمحة مبكرة من الحقيقة .

منذ وقت مبكر - قبل السويس وحتى من قبل ثورة سنة ١٩٥٢ - كانت سوريا هي البؤرة الفوارة للصراع على الشرق الأوسط وفيه . كانت هي قلب العالم العربي في نفس الوقت الذي كانت القاهرة هي موقع القوة فيه . وإذا كان ضرب موقع القوة هو الهدف النهائي ، فإن الاستيلاء على القلب ظل قبل كل المواقع وبعد كل المواقع مطلبا دائما .

وبصرف النظر عن تواصل موجات التاريخ العربي القديم ، فإن التاريخ الحديث يثبت أن الصراع على أقدار المنطقة كان هو نفسه الصراع على مصائر سوريا .

بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ - وفي الوقت الذي دخلت مصر فيه عصر الدوامات الثورية - ظلت سوريا تقوم بوظيفة القلب في الحركة العربية العامة التي لسعتها نار الهزيمة ومخاطر قيام دولة إسرائيل . وإلى جانب ذلك ، فقد كانت هناك مخاطر إضافية تتعلق بسوريا على وجه التحديد .

□ أولها : أن مصالح البترول الأمريكية - شركة « أرامكو » بالتحديد - راحت تراها أقرب طريق للأنابيب يحمل بترولها إلى الشرق الأوسط .

□ وثانيها : أن الهاشميين كانوا يرون لأنفسهم حقا فيها ، وإن تضاربت المشروعات المعبرة عن هذه الحقوق ، ففي حين أن رجل العرش الهاشمي في بغداد - « نوري السعيد » - كان يراها جزءا من مشروع الهلال الخصيب - فإن الجالس على العرش الهاشمي في عمان - الملك « عبد الله » - كان يراها جزءا من سوريا الكبرى .

□ وثالثها : أن قيام لبنان وبرز دور بيروت على شاطئ البحر الأبيض كقاعدة خلفية لعمليات البترول ، وكمركز تسمع ومتابعة ونشاط سياسي ودعائي - كان معرضا ومكشوبا أمام أية قوة تحكم في دمشق .

وفي فوران ما بعد هزيمة سنة ١٩٤٨ دخل الصراع على سوريا مرحلة حادة وعنيفة . ما هي إلا شهور بعد انتهاء معارك حرب فلسطين حتى وقع في سوريا أول انقلاب عسكري من سلسلة كان مقدر لها أن تتصل وتتلاحق لسنوات قادمة . كان الانقلاب بقيادة اللواء « حسنى الزعيم » رئيس أركان حرب الجيش السوري . ومنذ البداية كان واضحا أن هناك أيدي خفية وراء الانقلاب . فقد كانت أبرز منجزات « حسنى الزعيم » الذي نصب نفسه رئيسا لسوريا بعد عزل رئيسها الشرعى « شكرى القوتلى » - هي أن وقع اتفاقية « التابلاين » وهي شركة أمريكية قامت من باطن شركة « أرامكو » لنقل البترول عبر خط أنابيب يخترق سوريا إلى البحر .

ولم تمض إلا شهور أخرى حتى قام انقلاب مضاد قاده اللواء « سامى الحناوى » وكان واضحا أن هذا الانقلاب بصرف النظر عن الدعاوى جاء مواليا لبغداد سواء في ذلك الحكومة العراقية ، أو شركة بترول العراق البريطانية التي لم تكن متحمسة لمشروعات شركة « أرامكو » لنقل البترول بالأنابيب عبر البحر الأبيض .

ولم تمض شهور حتى لحق بالانقلابيين انقلاب ثالث قاده اللواء « أديب الشيشكلي » الذى أثبت لبعض الوقت قدرة على المناورة والحركة بين خطوط متعارضة . ولم يكد « أديب الشيشكلي » يستقر في الحكم طويلا ، ويعيد ترتيب الأوضاع في سوريا حتى تعرض حكمه لهزات أدت إلى سقوطه . وكان السبب الرئيسى في هذه الهزات أن مجموعات من الضباط الشبان أحسوا أن الجيش السورى في كل هذه الانقلابات يستخدم إما لتحقيق مآرب خارجية ، وإما لتحقيق مآرب ذاتية تتصل بأحلام قادة هذه الانقلابات .

ولم يكن هناك فكر واحد يجمع أمانى هذه المجموعات من شباب الضباط السوريين ، وإنما كانت اتجاهاتهم موزعة بين ولاءات تفتقد إلى بؤرة واحدة تجمعها أو إلى هدف واحد تطمح إليه . ولقد كانت الأغلبية بين هؤلاء الضباط بالقطع متحمسة للتوجه القومى العربى الذى أصبحت القاهرة مركز ثقله خصوصا بعد السويس . ثم إن جماعات مؤثرة بين هؤلاء الضباط كانت على صلة بحزب البعث العربى الاشتراكى ، وكانت دمشق هى مهد منذ قام بتأسيسه الأستاذ « ميشيل عفلق » . كما أن جماعات أخرى من الضباط الشبان كانت على صلة بواسطة ارتباطاتها العائلية التقليدية ببغداد ، ثم بقيت قلة من هؤلاء الضباط الشبان شدها الفكر الماركسى في ذلك الوقت ووجدت فيه « الصيغة العلمية » للثورة الاجتماعية ، وكان الحزب الشيوعى السورى وقتها تحت قيادة ثورى حركى نشيط وهو الأستاذ « خالد بكداش » .

والحقيقة أن الجيش في تلك الفترة أصبح بوتقة لكل الصراعات السياسية ، وارتفعت قيمة الأحزاب بقدرتها على التأثير في الجيش . كما تعلق نفوذ أى سياسى سورى بمدى صلاته بضباط القوات المسلحة . وكان من شأن هذا الوضع أن يحدث مفارقات غريبة ومخاطر في نفس الوقت يصعب حساب نتائجها . فقد كان بروز دور الضباط على هذا النحو معناه أن اختلاف الآراء يمكن أن يتحول في أى وقت إلى تحركات ألوية وكتائب ، ومدافع ودبابات .

وكانت مصر والسعودية - والصداقة في ذلك الوقت بين الملك « سعود » و « جمال عبد الناصر » في عصرها الذهبى - تدركان معا أهمية سوريا . واستطاع الاثنان معا الاتفاق على خطة للعمل يعود بها الرئيس « شكرى القوتلى » إلى رئاسة سوريا كما كان قبل بدء مسلسل الانقلابات العسكرية ، وكان التصور أن هذه العودة

سوف تضى على سوريا بعضا من الاستقرار يمكنها من المساهمة بدورها في محور القاهرة - دمشق - الرياض ، والذي كان هو بنفسه جبهة التصدى لمقاومة محاولات السيطرة تحت اسم « حلف بغداد » .

وبعد السويس ، ومع بداية طرح « مبدأ ايزنهاور » وبداية افتراق الطرق بين « جمال عبد الناصر » الذي رفض « مبدأ ايزنهاور » والملك « سعود » الذي كان على استعداد لقبوله بدعوى توجهه إلى « مقاومة الشيوعية الدولية » - اشتد الضغط مرة أخرى على سوريا طبقا لمخطط « ايزنهاور » الشهير ضد « جمال عبد الناصر » والذي يستهدف « أخذ الملك سعود بعيدا عن جمال عبد الناصر » و « الاستيلاء على دمشق ولو حتى بالانقلاب » - وبذلك يتم عزل مصر وحدها ، ويتحقق هدف العدوان الثلاثي بوسائل أخرى غير وسيلة الغزو من الخارج .



كانت بداية المؤامرات تلك المؤامرة التي رتبها عميل لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية وهو « ويليام ولبور ايفلاند » مع السياسي السوري « ميخائيل اليان » . ولم تفلح هذه المؤامرة لأنها توافقت مع ملابسات العدوان الثلاثي على مصر .

ولم تتوقف خطط التآمر بهذا الفشل الأول ، وما لبث أن ظهر في بيروت مسئول آخر من المخابرات المركزية الأمريكية هو المستر « كاسن » وبدأ يجرى اتصالات أولية مع « عبد الكريم الدندشى » وهو صحفى سوري كان عضوا ظاهرا في حزب التحرير السوري الذي أنشأه « أديب الشيشكلي » في فترة حكمه . واستطاع « الدندشى » أن يرتب لاتصالات مع عدد كبير من الساسة السوريين بينهم عدد من رؤساء الوزارات وأعضاء مجلس النواب ، وبينهم السيد « مأمون الكزبرى » وعدد من كبار ضباط الجيش ، وبدأ الإعداد لانقلاب عسكري كان الهدف منه الخلاص من كتلة الضباط الشبان المتوجهين بمشاعرهم إلى الثورة المصرية ، والمتأثرين بشخصية « جمال عبد الناصر » وأبرزهم في ذلك الوقت العقيد « عبد الحميد السراج » الذي كان رئيسا للشعبة الثانية (المخابرات في الجيش السوري) . وكانت جريمة « عبد الحميد السراج » في نظر هؤلاء أنه هو الذى فكر ورتب لعملية نفس خطوط أنابيب البترول العابرة لسوريا فور بدء العدوان على مصر . ولقد كان الضيق بـ « عبد الحميد السراج » متناسبا بالطبع مع النتائج الضخمة التى ترتبت على نفس خطوط أنابيب البترول . وبدا واضحا أن الخلاص من « عبد الحميد السراج » أصبح موضوع الصراع المباشر .

وتشير وثائق « محاكمة الدندشى » إلى أن السفير العراقى فى بيروت وقتها « عبد الجليل الراوى » وملحقه العسكرى العقيد الركن « صالح السامرائى » أصبحا أهم أركان المؤامرة بالتعاون مع عدد من السياسيين والضباط السوريين ، ومع رجال المخابرات المركزية . وتروى الوثائق أن « عبد الكريم الدندشى »^(١) رتب للمستتر « كاسن » مقابلة مع السيد « مأمون الكزبرى » السياسى السورى المعروف والوزير السابق^(٢) ، ودار الحديث بينهما حول امكانيات تغيير الأوضاع فى سوريا . وفى الحوار بينهما قال المستتر « كاسن » لـ « الكزبرى » : « إنه اختاره من بين السياسيين السوريين كلهم ليشرح له وجهة نظر أمريكا ، وهى أن سوريا أخطر نقطة فى الشرق الأوسط ، وتخشى أمريكا من تسرب الشيوعية إليها ، وترغب أن تعالج الأوضاع فيها بأيدى السوريين أنفسهم حتى لا تضطر أمريكا إلى استعمال أيد غير سورية فى معالجة الأوضاع . وإنه - أى « الكزبرى » - محل ثقة أكثر الأحزاب السياسية ، وفى استطاعته المساهمة مع أمريكا فى تنفيذ سياستها ، وإنه مستعد لتقديم كل الامكانيات له حتى يتقوى هو وحزبه » . ورد « الكزبرى » بأن « أمريكا صديقة العرب ، وأنه على استعداد للتعاون معه ولكن امكانياته ضئيلة » . ورد المستتر « كاسن » طبقا لنصوص وقائع المحاكمة بأن « الولايات المتحدة مستعدة لأن تقدم له الامكانيات التى يطلبها » . ورد « مأمون الكزبرى » بقوله : « إن السيارة تمشى بمقدار ما يوضع فيها من البنزين » . وأبدى « كاسن » أنه فهم المقصود من هذه الجملة ، وتواعد مع « الكزبرى » و « الدندشى » (الذى كان يحضر معهما المقابلة) على أنه سيعود إليهما فى اليوم التالى . وعاد إليهما فعلا ، وسلم « الكزبرى » رزمة من البنكنوت تحتوى على ٣٠ ألف ليرة ، وتعهد بدفع ألف ليرة شهريا لمساعدة جريدة يصدرانها للدعوة لآرائهما .

ثم رتب « الدندشى » مقابلة للمستتر « كاسن » بعد ذلك مع سياسى سورى آخر هو السيد « لطفى الحفار » ، وكان رئيسا للوزراء من قبل . فى بداية المقابلة قال « كاسن » للسيد « لطفى الحفار » ما نصه (طبقا لوقائع المحاكمة) : « إن حكومة الولايات المتحدة تعتبر أن لطفى الحفار مستشارها السياسى فى سوريا ، وإنه لشرف كبير لأمريكا أن تتعاون مع شخصية قوية مثله ، وإنها على استعداد لأن تضع كل الامكانيات المطلوبة تحت تصرفه لإيقاف « النشاط الشيوعى » فى البلاد . » ورد « لطفى الحفار » بنفس الأسلوب الذى رد به « الكزبرى » من قبل : « إن أمريكا حبيبة للعرب لولا موقفها من قضية فلسطين ، ومع ذلك فهو مستعد

(١) ص ٥ من اعترافات « عبد الكريم الدندشى » كما وردت فى ملفات محاكمته .

(٢) أصبح السيد « مأمون الكزبرى » فيما بعد أول رئيس للوزراء بعد الانقلاب ضد الوحدة وقيام حكم الانفصال فى سوريا .

للتعاون معها لأنه يكره الشيوعية . ثم قال « إنه يعقد دائما اجتماعات مع رؤساء العشائر والتجار ليخلق حركة قوية لمقاومة الشيوعية » . ثم أضاف : « إنه سيخبره في اجتماع قادم بحجم المساعدات الأمريكية التي يطلبها للمهدف المشترك » ، إلا أن المستر « كاسن » ، أخرج كيسين بهما ٩٠ ألف ليرة سلمها لـ « لطفى الحفار » وقال إنها لبدء العمل ، ثم انصرف .

وقد ظهر في وقائع المحاكمة أن « كاسن » قال لـ « الدندشي » في أحد اللقاءات بينهما إن الأمريكان اتفقوا مع السعوديين على استمالة عدد من الضباط المواليين لمصر ، وإن الملك « سعود » متضايق من أن صورة « جمال عبد الناصر » توضع الآن في كل مكان في سوريا بدلا من صورة « شكري القوتلي » رئيس الجمهورية ، وحتى من صورته هو . وكان هذا كله يجري بالتوازي مع خطط رتبها السفير العراقي في بيروت « عبد الجليل الراوي » وملحقه العسكري العقيد « صالح السامرائي » وعدد من كبار السياسيين العراقيين . وتضم وثائق المحاكمة صورة خطاب كتبه السيد « فاضل جمالي » (وزير خارجية العراق) الذي قصد إلى لبنان ، واجتمع بعدد من السياسيين السوريين الضالعين في هذه المؤامرات كلها في فندق « الجبل الأخضر » في « برمانة » . وقد وجه تقريره إلى السيد « نوري السعيد » وجاء فيه ما يلي :

« اشواق واحترامات وبعد »

فقد اجتمع عندي السيد صبري العسلي رئيس وزراء سوريا ، ومعه السيد ميخائيل اليان بحضور احمد مختار باشا ، ودام الاجتماع إلى الواحدة ليلا ، وها أنا الخص لفخامتكم الوضع على الوجه التالي :

١ - الجيش السوري هو مصدر عدم الاستقرار ، وضعف الحكومة إزائه يجعله سيد الموقف .

٢ - الجيش السوري يخشى الاقتراب من العراق وتحقيق اتحاد بين العراق وسوريا لأنه يتصور أن العراق سيجرد الضباط من سلطاتهم .

٣ - الوزارة السورية الحالية ضعيفة وغير متجانسة .

٤ - السعوديون يدبرون خطة لإحداث انقلاب لصالحهم .

معالجة الموقف .

١ - استعرضنا إمكان إرسال جيش عراقي ، فلم نجد إمكانا لذلك ، فلا توجد اتفاقية بين سوريا والعراق لمجيء الجيش العراقي لحفظ النظام الداخلي ، ولا توجد أكثرية وزارية تجرؤ على القيام بهذه الاتفاقية حتى ولو كانت سرية . ولا توجد

امكانية في الوقت الحاضر لإحداث أى تقارب بين الجيشين العراقي والسورى ولو بغرض التدريب والمناورات لأن الجيش السورى لا يطمئن لذلك . ولا يمكن استغلال أى عدوان إسرائيلي على سوريا لأن ذلك قد يؤدي إلى صراع دولي تكون الغلبة فيه لإسرائيل .

٢ - إذا كان لا يمكن إرسال جيش عراقي ، فيجب العمل على كسب الجيش السورى وتكثيله إلى جانب إصدقائنا ، وهؤلاء لا يتوقعون مساعدات مالية كبيرة . »



وفي ربيع ١٩٥٧ بدا أن الحوادث تتسارع في سوريا . فقد زاد نشاط مجموعة من ضباط الجيش السورى بقيادة المقدم « أمين النفورى » وهو من أنصار « أديب الشيشكلي » ، وتمكنت من فرض بعض التغييرات في قيادة الأركان العامة للجيش السورى كان أبرز معالمها تعيين « النفورى » نفسه مساعدا لرئيس الأركان . ثم أعدت هذه المجموعة من مركز القوة الذى بلغته في القيادة العسكرية السورية حركة تنقلات بين كبار ضباط الجيش كان أهمها نقل « عبد الحميد السراج » من رئاسة الشعبة الثانية (المخابرات) وهو الموقع الذى كان يستطيع أن يكشف منه حركة كل المؤامرات الموجهة إلى سوريا - إلى منصب آخر خارج سوريا كلها كملحق عسكرى في إحدى العواصم الأوروبية . وأحس عدد من الضباط الوطنيين من مجموعة « عبد الحميد السراج » ومن المجموعات الموالية لحزب البعث بخطر هذه العملية . وكان رأيهم أن إبعاد « عبد الحميد السراج » هو مقدمة لتصفية مجموعات الضباط الوطنيين في الجيش السورى تهيدا لاستيلاء العناصر المتعاونة مع الولايات المتحدة على مراكز القوة في الجيش ، وبالتالي على سوريا .

وتكشف التقارير السرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية^(٣) عن أن هذه الوكالة كانت على صلة مباشرة بالتطورات المتلاحقة داخل الجيش السورى في ذلك الوقت . فيقول التقرير : « في اجتماع استمر طوال اليوم قامت مجموعة النفورى بإعداد قائمة بأسماء بعض الضباط الذين يشغلون مواقع هامة بقصد نقلهم من أماكنهم . وتعتبر هذه القائمة في مجموعها بداية متواضعة لإبعاد الضباط اليساريين عن مراكز القوة . ولم تكن عمليات النقل تمثل استبعادا تاما لليسار ، ولكنها تمثل ما اعتقدت مجموعة النفورى أنها تستطيع أن تحققه كبادرة . وكان أهم ما في القائمة استبعاد المقدم عبد الحميد السراج ، وهو رجل اليسار القوى من موقعه المؤثر في الأركان العامة . والسراج هو صاحب أكبر تأثير يسارى على

(٣) التقرير رقم ٣١٠/١٠ تحت عنوان « تقرير عن الموقف في سوريا » .

الحكومة . وقد وضع رئيس الأركان - اللواء توفيق نظام الدين - توقيعه على قائمة التنقلات . وفي نفس اللحظة نشب صراع داخلي عنيف . ويظهر أن المقدم السراج لا يبدى مقاومة تذكر لنقله ، وهو شيء يدعو إلى الدهشة ، ولكن الضباط اليساريين المنظمين المنتمين إلى حزب البعث الاشتراكي العربي رفضوا تنفيذ النقل ، ولقوا تأييدا من جانب مجلس الوزراء الذي تسيطر عليه مجموعة من البعثيين وحلفائهم من المستقلين . والمشكلة أن هؤلاء الضباط يشغلون مراكز متحركة في الوحدات المدرعة السورية في معسرى قطنة وقابون ، وكلاهما على أطراف دمشق .

ومن الواضح أن الرئيس القوتلي بتأثير السعوديين يؤيد حركة التنقلات ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا إزاء الاختلاف الكبير في مجلس الوزراء . وإذا أقدم الرئيس القوتلي على إقالة الحكومة الحالية ، وأتى بحكومة أخرى غيرها مستعدة لتأييد نقل الضباط اليساريين ، فلن يكون أمام هؤلاء الضباط إلا أن يقبلوا الهزيمة ، أو أن يقوموا بانقلاب عسكري مضاد عنيف . ولا ينبغي أن يتخذ رئيس الجمهورية هذه الخطوة إلا عندما تكون قوات النفوري مستعدة لمواجهة مسلحة مع اليساريين .

وتبين معلوماتنا أن التيار ربما يتحول لغير صالح اليساريين . ويقال إن القوتلي يرغب في تشكيل وزارة جديدة برئاسة مأمون الكزبري .

ويبدو أن عملية « أمين النفوري » كانت أكبر مما بدا على السطح منها ، فقد كان « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يتابعها بنفسه إلى درجة أنه كتب بشأنها تقريراً بتوقيعه قدمه إلى الرئيس « دوايت أيزنهاور » وإلى وزير الخارجية الأمريكية « دالاس » . وتصادف أن كان الرئيس ووزير خارجيته يحضران مؤتمر القمة في « برمودا » وطلب « آلان دالاس » من « كريستيان هيرتر » مساعد وزير الخارجية إرسال تقريره إلى هناك ، وقد جاء في هذا التقرير ما نصه :

« إن الموقف ما زال غامضا في سوريا ، ويبدو أن أغلبية في مجلس الوزراء تتخذ موقف التأييد للسراج في حين أن الرئيس القوتلي يبدو حازما على غير عادته في تأييد الكولونيل نفوري^(٤) (مساحة مشطوبة لا يمكن أن يزيد عدد كلماتها على ثلاث - ثم يستأنف تقرير « آلان دالاس ») ونحن لا نعتقد أن هذه القضية سوف يجري حسمها بواسطة المدنيين ، ولكن في الغالب بالمجموعة التي يطلق عليها وصف الضباط الشوام بقيادة الكولونيل قباني . وإمام هذه المجموعة ثلاثة طرق يمكن أن تتبعها

(٤) من الغريب أن « أمين النفوري » اشترك فيما بعد في وزارة الوحدة ، وكان ذلك بمنطق تمثيل الكتل في الجيش السوري

(١) إنها قد تقف على الحياد ، ولكن هذا يكون في الواقع في صالح السراج . ونحن نعتبر هذا خطرا حقيقيا ، ونأمل أن تتمكن المجموعة من مواصلة الضغط الكافي لاتباع الطريقين الآخرين .

(ب) إنهم قد يحاولون فرض رجالهم على قمة القيادات العسكرية ، وفي هذه الحالة سوف تكون لديهم فرصة للنجاح في طرح أية حلول وسط يرونها ، ومن وجهة نظرنا فإن هذا لا يبدو أمرا غير مرغوب فيه .

(ج) وهم قد يلقون بتأييدهم لصالح النفوري ، وهناك مبرر للأمل في أن هذا سيكون قرارهم . وهناك شواهد تشير إلى أن بعض قادة مناطق الحدود يبدون رغبتهم في تصفية العناصر اليسارية في الجيش .

إمضاء

الآن دالاس

مدير

وأظهر سياق الحوادث بعد ذلك أن ما توقعه تقرير المخابرات المركزية الأمريكية لم يتحقق ، فقد استطاعت مجموعات الضباط الوطنيين على اختلاف انتماءاتهم الحزبية والفكرية أن تحبط مخطط السيطرة على قيادة الجيش السوري ، وتوقفت قائمة التنقلات حتى بعد أن وقعها رئيس أركان حرب الجيش (الذي أرغم على تقديم استقالته ، وكاد رئيس الجمهورية « شكرى القوتلى » يستقيل هو الآخر ثم عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة) وبقي « عبد الحميد السراج » في موقعه في المكتب الثانى .

وفي هذا كله كانت القاهرة - و « جمال عبد الناصر » فيها - هي قبلة كل العناصر الوطنية في الجيش السوري ، وكان هذا التوجه يلقي استجابة كاسحة في الشارع السوري ، وبدأ حديث الوحدة مع مصر يقوى في دمشق ، ويزداد قوة مع كل يوم ، فلم يعد هذا المطلب أملا قوميا فحسب ، ولكنه أصبح أيضا ملاذا للأمن ضد كل مؤامرات الغزو من الداخل .



فشلت مؤامرات الانقلاب من الداخل ضد سوريا ، وبدأت على الفور محاولة غزوها من الخارج ، وبدأ أن ذلك هو الحل الوحيد للاستيلاء على قلب الحركة العربية القومية في دمشق ، وكانت الوسيلة لذلك بالطبع هي استخدام نفس حجة استيلاء « الشيوعية الدولية » على سوريا ، وتكليف دول حلف بغداد بغزوها لإنقاذها من « براثن السيطرة » عليها ! وكان معنى ذلك أن العراق وتركيا عليهما الآن أن يستعدا لعمل مسلح ضد سوريا . وبدأ حشد الجيوش وتوالت التحركات والمناورات العسكرية على الحدود السورية العراقية ، والسورية التركية . وتكررت الاجتماعات بين القيادات في بغداد وأنقرة لدراسة الأوضاع والتأهب لإصدار قرار . ولم تكن إسرائيل بعيدة عما يجري .

وتتكفل وثائق الخارجية الأمريكية بإعطاء صورة كاملة ومفصلة عن دخائل ما كان يرتب لسوريا في ذلك الوقت .



في يوم ٢٠ أغسطس كتب وزير الخارجية « جون فوستر دالاس » مذكرة سرية^(٥) يشرح فيها الخطوط التي استقرت عليها وزارته بالتعاون مع إدارة المخابرات المركزية التي يديرها شقيقه « آلان دالاس » وكان نص هذه المذكرة كما يلي :

« وزارة الخارجية

واشنطن

٢٠ أغسطس ١٩٥٧

سرى

مذكرة إلى الرئيس

البيت الأبيض

في موضوع سوريا ، اعتقد أنه من المهم أن تتجنبوا الإدلاء بأى تصريح ، أو تلميح يفهم منه أنكم وصلتم إلى قرار بأن سوريا أصبحت الآن « تحت سيطرة الشيوعية الدولية » بالمعنى المقصود في القرار الخاص بالشرق الأوسط . ومن الناحية

(٥) صورة من المذكرة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب رقم (١٧) صفحة ٨٣١

الأخرى ، فلنلتجنب أى تصريح بانكم تعتقدون أنها ليست تحت تلك السيطرة .
فما زال الموقف غير واضح . والرقابة صارمة . وسفارتنا تحت الحصار من الناحية
العملية ، ولا نستطيع حتى الآن أن نصدر حكما سياسيا واضحا بشأن مدى
التغلغل الشيوعى .

ولمعلوماتكم الخاصة ، فإن السفير موسى ، الموجود حاليا في واشنطن ، يرى أنه من
المحتمل ألا يكون التغيير كبيرا بقدر ما يبدو على السطح ، وأن التحول إلى اليسار
ليس كاملا حتى الآن .

واعتقد أنه من المهم ألا تقولوا شيئا يشجع إسرائيل مثلا على افتعال حادث مع
سوريا ، اعتمادا على نظرية أننا حكمنا بأن سوريا خاضعة للسيطرة الشيوعية .
ونحن من الناحية الأخرى نريد أن نحافظ بحرية اتخاذ مثل هذا القرار في ظروف
معينة . ونريد الآن أن تبقى الحكومة السورية غير متأكدة من نوايانا .

واقترح أن يكون الخط الذى نتبعه هو أن الاتهامات التى وجهت إلى الولايات
المتحدة في الآونة الأخيرة كانت ستلنا تستخدمه العناصر المعادية للغرب ،
والموالية للسوفيت لتعزيز سيطرتها على الحكومة . وهناك دلائل على أن ما يجرى في
سوريا يسير وفقا لنمط كلاسيكى خطر . فالسوفيت يبدؤون بتقديم الوعود ، ثم
بتقديم المساعدة ، العسكرية أو الاقتصادية ، أو كليهما . ومن خلال هذه المساعدة
يعملون على أن يسيطر أشخاص موالون للسوفيت على أية مواقع كانت . والنتيجة
الأخيرة المرجوة هي أن يسقط البلد تحت سيطرة الشيوعية الدولية ، ويدور في
الفلك السوفيتى ، وتدار مصالحه من موسكو . ويجرى ذلك كله وراء ستار من
الاتهامات الكاذبة بأن هناك آخرين يتآمرون ، ومن أمثالهم الولايات المتحدة .

ونحن لا نعرف حتى الآن إلى أى مدى ذهبت سوريا في هذا السبيل ، ولكن لا شك في
أن ما حدث بالفعل مؤشر على الخطر ، ويجب أن يكون إنذارا للآخرين ممن تعمل
الأساليب السوفيتية على جذبهم .

وقد أصبح الشرق الأوسط كما نعرف هدفا أساسيا للتطلعات الشيوعية في الآونة
الأخيرة . وقد استغل الشيوعيون السوفيت والصينيون كل فرصة متاحة ، لبث
التفرقة ، وعدم الاستقرار في المنطقة . ونحن نتابع التطورات الجارية في سوريا
بقلق إذ أنها تمس سلم المنطقة ، وهدوءها ، ورخاءها .

توقيع

جون فوستر دالاس ،



وفي اليوم التالى ٢١ أغسطس ١٩٥٧ اتخذ « دالاس » خطوة جديدة على طريق
الإعداد للتدخل العسكرى ضد سوريا ، فقد رأى أن يكون حلفاء الولايات المتحدة

الأوروبيين على علم بنواياها ، وهكذا كتب الرسالة الشفوية^(٦) التالية إلى « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية :

« إلى السفير في لندن

رجاء تسليم الرسالة الشخصية التالية من وزير الخارجية إلى وزير الخارجية البريطاني

عزيزي سلوين

إننا نشعر بقلق شديد للأحداث الجارية في سوريا ، واعرف انها تسبب لك القلق أيضا . ويبدو لنا أنه ليس هناك أمل في التصحيح من الداخل ، وعلينا أن نفكر في الامكانيات الخارجية التي تتمثل في القلق الشديد الذي تشعر به الدول الإسلامية التي لها حدود مشتركة مع سوريا . وقد يلزم أن نكون مستعدين لتحمل قدر من المخاطرة الجدية تجنباً لمخاطر وأخطار أكبر فيما بعد . ونحن نولي هذا الأمر أشد الاهتمام ، وسنكون في حاجة - بغير شك - إلى تبادل الرأي معكم غدا ، أو يوم الجمعة .

المخلص

فوستر



وفي اليوم التالي ٢٢ أغسطس ١٩٥٧ ارتفع مستوى التشاور من وزراء الخارجية إلى القمة ، وبرقم ١٥٠٩ تحت عنوان « تصرف رئاسي » (Presidential handling) كتب « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكية إلى رئيس الوزراء البريطاني « هارولد ماكميلان » رسالة^(٧) جاء فيها بالنص ما يلي :

« عزيزي هارولد

بعد دراسة الموقف دراسة وافية مع الرئيس قررنا أن نطلب من لوى هندرسون وهو وكيل الأول أن يعجل بزيارته المقترحة لبعض سفاراتنا ، وأن يضع انقرة على رأس القائمة . وسوف يتيح له ذلك بالإضافة إلى أعماله العادية أن يحصل في تركيا على معلومات مباشرة عن موقف بعض جيران سوريا من التطورات الجارية هناك . وقد علمنا أن العراقيين ، وربما الأردنيون سيكونون هناك في ذلك الوقت ، وسوف يتصل لوى بسفيركم في انقرة .

وقد أرسلت أمس رسالة شخصية إلى بن جوريون أعرب فيها عن الأمل في أننا

(٦) صورة من الرسالة الشفوية في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب رقم ١٨ ص ٨٣٤

(٧) صورة من الرسالة كاملة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب رقم ١٩ ص ٨٣٦

نستطيع ان نتصرف مفترضين انه لن يتخذ إجراء يربط المسألة السورية^(٨) بجوانب النزاع العربى الاسرائيلى ، ففى رأى ان هذا شرط لا غنى عنه حتى يمكن الوصول إلى حل بناء تحت رعاية عربية وإسلامية .

كما بعث الرئيس رسالة إلى الملك سعود يعرب فيها عن الأمل فى أن يستخدم الملك - بوصفه حامى الأماكن الإسلامية المقدسة - نفوذه الكبير لمنع تركز العقيدة الشيوعية الملحدة فى أحد المراكز الرئيسية فى العالم الإسلامى .

ويسرنى أن أعرف رأيكم فى هذا الموقف ، واعتقد أنه من المهم ألا تمتنع إسرائيل فقط عن التدخل فى التطورات المحتملة فى سوريا ، بل وأن تمتنع عن ذلك الدول الغربية أيضا . ويكفى أن يعرف جيران سوريا أنهم سيلقون منا كل تأييد معنوى لآى تدبير دفاعى يرون أن عليهم اتخاذه .

المخلص

فوستر



وكان « بن جوريون » أول من استجاب ، وفى نفس اليوم كما تظهر برقية سرية صادرة من سفارة الولايات المتحدة فى تل أبيب بتوقيع السفير « باكستر » موجهة إلى « جون فوستر دالاس » ، وجاء فى البرقية^(٩) ما يلى :

« قال لى بن جوريون الذى قابلته فى مكتبه بتل أبيب بعد ساعة من تسلم برقيتكم إنه يستطيع أن يعطى بسرور التأكيدات المطلوبة إذا كانت الحكومة الأمريكية تعنى أنها تريد تأكيداً بأن إسرائيل لا تعتزم أن تكون البادئة بالمتاعب مع سوريا . وأعرب عن شكره الحار لرغبة الوزير فى تبادل الآراء معه بشأن سوريا . وابدئ النقاط التالية :

١ - إنه يشاطر الولايات المتحدة القلق من التطورات الجارية فى سوريا لأنه فى رأيه يستحيل التمييز بين « سوريا وروسيا » ، فإسرائيل هى الهدف النهائى للأسلحة التى تتدفق من الاتحاد السوفيتى على سوريا ، وإن كان من الممكن أن يقال نظرياً إن هذه الأسلحة تهدد لبنان أو دولاً عربية أخرى .

وهو يود أن يعرف ما ستفعله الحكومة الأمريكية إذا تعرضت إسرائيل لهجوم من روسيا عن طريق سوريا .

وقال إن الصحف السوفيتية التى لا تنشر أبداً شيئاً بدون غرض كانت بشعة فى الهجوم على إسرائيل فى الآونة الأخيرة ، واستشهد على ذلك بأنباء تقول إن إيلات قد

(٨) كانت إسرائيل تعارض دوماً فى دخول قوات عراقية إلى سوريا أو الأردن تحت أى ظرف خشية أن يؤدى ذلك إلى زيادة القوة العربية على خطوطها .

(٩) نص البرقية فى الملحق الوثائقي لهذا الكتاب رقم ٢٠ ص ٨٣٨

سلمت للولايات المتحدة لتجعل منها قاعدة بحرية على خليج العقبة ، وإن فرنسا وإسرائيل تستعدان للهجوم على سوريا .

كما استشهد بن جوريون في حديثه معى بملاحظة يبدو أن حكومته تتوجس منها بشكل خاص إذ أن السفير السوفيتى أبراموف قال لعضو المابام حزان في اثناء لقاء بينهما ما نصه : « إن المدن الإسرائيلية لم تعرف بعد معنى التعرض للقذف بالقنابل » .

(راجع رسالة ايبان إلى وكيل الوزارة هيرتر في ٢٥/٧/١٩٥٧)

٢ - وقال بن جوريون : « إن المطلوب هو تحرك أمريكى قوى على غرار التحركات التى أوقفت السوفيت عند حدهم ، كما حدث مؤخرا عندما اقترب الاسطول الأمريكى السادس من الشواطىء الشرقية للبحر الأبيض المتوسط تاييدا للأردن ، والتصريح الأمريكى الذى سبق ذلك لتأييد فورموزا » .

٣ - وقال بلهجة عتاب معتدلة : « إن سوريا تتلقى من روسيا كميات هائلة من الأسلحة تشكل خطرا على إسرائيل أكثر من أى بلد آخر . وبينما تقوم الولايات المتحدة بتزويد لبنان والمملكة السعودية والعراق بالأسلحة ، فإنها ما زالت تمنع الأسلحة عن إسرائيل تنفيذا - فيما يبدو - لقرار الأمم المتحدة الصادر ٢ نوفمبر (١٩٥٦) - وإن كان لماذا ، لست أدري » ؟

وتمضى برقية السفير الأمريكى في إسرائيل بعد ذلك لتصل إلى البند الخامس الذى روى فيه السفير نقلا عن « بن جوريون » قوله : « إنه يرحب بوجه خاص بأن يفهم ماذا يعنى بعبارة « حل بناء » . » ثم أضاف السفير إلى مقابلته مع « بن جوريون » إضافة من عنده قال فيها :

« تعليق : ربما كانت الطلاقة التى تكلم بها بن جوريون بعد قراءته للرسالة مباشرة دليلا على أنه اعطانى خلاصة مركزة لتفكير الحكومة الإسرائيلية الذى وصلت إليه بعد أيام متوالية من المتابعة المستمرة للأوضاع في جارتها الشمالية . وقد دار حديثنا بلهجة معتدلة وبغير انفعال . ولكنه كان يردد كثيرا عبارة « نحن قلقون ، قلقون للغاية » . وقد قال لى : إننا سنلقى ردا رسميا على رسالة وزير الخارجية في المستقبل القريب ، عندما تكون الفرصة قد اتاحت له لمناقشة الموضوع مع ايبان الذى كان ينتظر في الغرفة المجاورة عندما غادرت المكتب بعد محادثتنا التى استمرت عشرين دقيقة .

واتفقتنا على اننا سترد على أسئلة الصحفيين بأن المقابلة تمت بناء على طلبى لناقش الأمور الجارية ذات الاهتمام المتبادل . فإذا سئلنا عما إذا كانت سوريا بين موضوعات المناقشة ساجيب بأن بلدينا يهتمان بطبيعة الحال بالتطورات في سوريا .

إمضاء
باكستر

وصل « لوى هندرسون » إلى المنطقة ، وقام بزيارات لبيروت وعمان وبغداد ، ثم توجه إلى استانبول . وطوال الوقت كان يدلى بأحاديث عن مهمته يقول فيها إنه يقوم بمهمة تقصى حقائق عن الأحوال في سوريا . وفي يوم ٢٦ أغسطس دعا الرئيس « جمال عبد الناصر » السفير الأمريكى « ريموند هير » إلى لقائه^(١٠) ، وقال له إنه لا يفهم مبررا لهذه الحملة ضد سوريا ، وأن مهمة « لوى هندرسون » في المنطقة تثير تساؤلات تدعو إلى الشك والريبة . وأنه فهم من تصريحات « لوى هندرسون » أن المبعوث الأمريكى مكلف بمهمة لتقصى الحقائق في سوريا ، فإذا كان ذلك صحيحا « فإننى لا أفهم لماذا لا يتوجه مباشرة إلى دمشق ، ويرى بنفسه ما يجرى هناك ، ويبحث على الطبيعة ما يريد أن يعرفه » . ثم قال الرئيس إنه على استعداد لأن يكفل حسن استقبال « لوى هندرسون » في دمشق ، وبأن يضمن له مقابلة كل من يريد مقابلتهم في العاصمة السورية لأنه ليس من المعقول أن يكون هدفه « إذا كان ذلك هدفه حقيقة » أن يتقصى الحقائق في سوريا ثم يدور في كل العواصم المحيطة بها دون أن يقصد إلى العاصمة المعنية بالأمر بالدرجة الأولى . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » إنه يخشى أن هناك خططا لغزو سوريا بدعوى « الشيوعية المحلية » و « الشيوعية الدولية » . ومع أنه يستطيع أن يؤكد بناء على معلوماته - وهى وثيقة ومباشرة - أنه ليس هناك ما يبرر مثل هذه الادعاءات إلا أنه كان يفضل أن يتعرف « هندرسون » على الحقائق بنفسه . ثم قال « جمال عبد الناصر » للسفير الأمريكى : « إننى قرأت تقريرا من سفارتنا في إحدى العواصم التى زارها هندرسون ، وعرفت أن هندرسون طرح على أحد الوزراء الذين قابلهم في هذه العاصمة أربعة أسئلة عن السلاح الذى تشتريه سوريا من الاتحاد السوفيتى ، وعن عدد الخبراء السوفيت فى سوريا ، وعن الظروف التى تحيط بالموالين للغرب فى سوريا ، وعما إذا كان معنى ذلك أن سوريا تقترب أكثر مما يجب من روسيا ؟ » . وأضاف « جمال عبد الناصر » : « إن هذه الاسئلة كلها لم تكن فى حاجة إلى كل هذه الضجة التى ترافق مهمة هندرسون . فسوريا تشتري السلاح من الاتحاد السوفيتى كما اشترته مصر من قبل لأنه لم يكن متاحا لها أن تشتريه من غيره . أما التضييق على الموالين للغرب فى سوريا ، فمن الغريب أن يطرح هذا التساؤل ، فالطبيعى أن تضيق سوريا على كل الموالين لجهات أجنبية . ومن الطبيعى أن سوريا تريد الموالين لسوريا وليس للغرب أو للشرق . » ثم أضاف « جمال عبد الناصر » إن من شأن هذا

(١٠) مذكرة عن لقاء « جمال عبد الناصر » و « ريموند هير » محررة بتاريخ ٢٧ أغسطس ، وهى بخط الدكتور « محمود فوزى » وأصلها مودع بارشيف وزارة الخارجية ، وتوجد صورة بالالة الكاتبة ومعها مذكرة إرفاق بتوقيع الدكتور « فوزى » موجودة فى أرشيف منشية البكرى .

المناخ كله أن يخلق في المنطقة حالة من القلق ، فإذا أضيفت إلى هذه الحالة كل هذه البيانات عن حشود عسكرية ومناورات وخطط للتدخل المسلح ، فإن الموقف يمكن أن يكون خطيرا ، ويمكن أن تترتب عليه أزمة لا تقل عن أزمة السويس في عنفها . ثم ختم « جمال عبد الناصر » هذا اللقاء قائلا للسفير : « إننى أريد أن يكون الرئيس ايزنهاور على بيئة كاملة من أن مصر لا تستطيع أن تقف ساكنة إزاء هذه المخاطر المحيطة بسوريا » .



وفي ٢٨ أغسطس كانت الحكومة الإسرائيلية قد فرغت من دراسة الموقف ، وكلفت « أبا ايبان » وزير الخارجية بإبلاغ السفير الأمريكى « باكستر » برأيها في الموقف ردا رسميا على رسالة « دالاس » . وكتب السفير الأمريكى برقية^(١١) عن المقابلة (رقم ١٩٩ - ٢٨ أغسطس - الساعة الثامنة مساء) جاء فيها :

« بناء على طلب الجانب الاسرائيلى توجهت اليوم إلى وزارة الخارجية لمناقشة المسائل المتعلقة بسوريا بحضور هيرتزوج ، وكوماى ، وشلواح الذى يشغل الآن وظيفة أنشئت حديثا كمستشار لوزير الخارجية لشؤون التخطيط ورسم السياسات . وعندما قلت إننى أرحب بهذه الفرصة للاستماع إلى آرائهم لأن الدراسات الجارية حاليا للموقف فى واشنطن لم تصل بعد إلى جديد يمكن نقله إلى حكومة إسرائيل ، فقد ذكروا لى أنهم لا يتلقون منا تفاصيل كافية عن خططنا . وذكروا أن هذا لا يشجعهم ، وأضافوا إلى ذلك عدم تفاؤلهم بالنسبة لاحتمالات المستقبل . فهم يرون أن الوقت أهمية خاصة . فكل يوم يتأخر فيه التعبير عن رد فعل قوى وإيجابى من جانب الولايات المتحدة - بوصفها زعيمة للعالم الغربى - يزيد من الاحتمالات الخطرة للتغاضى والانتظار على التهديد الذى تمثله سوريا . فإذا لم تكن هناك دلائل على أن هناك خطوات يجرى بحثها للتحرك بسرعة من أجل عكس اتجاه الأحداث فى سوريا - فقد يؤدى ذلك إلى قبول النظريات الخطرة التى تود سوريا والكرملين نشرها . »

ثم روى السفير الأمريكى أن « شلواح » تدخل فى الحديث ، وقال له : « إن الموقف فى سوريا شبيه بما حدث فى مصر سنة ١٩٥٥ عندما حاول الغرب أن يقلل من أهمية صفقة الأسلحة التشيكية بناء على اعتقاد ثبت الآن خطأ بأنه ما زال فى وسع الغرب أن يتعامل مع عبد الناصر ، وأن اتخاذ موقف قوى إزاء الصفقة التشيكية ربما يؤدى إلى الإسراع بدفعه إلى المعسكر السوفيتى . إن الحكومة الإسرائيلية تعتقد أن القول بأن عبد الناصر يشعر بالقلق من أحداث سوريا هو نوع من خداع النفس ، وربما أنه يحاول أيضا إعطاء هذا الانطباع لخداع الدبلوماسيين الغربيين الذين يقابلونه . »

(١١) النص الكامل للبرقية فى الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢١ ص ٨٤٠

واستطرد السفير الأمريكي يقول في برقيته . « لقد ذكرنا لى ان خبراء الشؤون العربية في الحكومة الاسرائيلية يرون ان تحول سوريا إلى بلد يدور في الفلك السوفيتي أسهل بكثير من تحول مصر . ورغم أن ناصر أداة طيعة للسوفيت ، فإنه يصر على أن يعملوا من خلاله ، ثم أن لديه سيطرة قوية على جميع العناصر في الحكومة المصرية . أما في سوريا فهناك حركة شيوعية قوية وخلاياها على استعداد لتولى جميع الوظائف ، والعمل في جميع المستويات الحكومية . وإذا لم يحدث شيء لمنع هذا ، فيجب أن نتوقع تطهيرا يجرى خطوة بعد خطوة ، ويسفر عن قيام « هنجاريا » أخرى لا يكون الغرب قادرا على التحرك ضدها . لكن الحكومة الاسرائيلية ترى أنه ما زال هناك بعض الوقت الذى يمكن فيه تقديم مساعدة للعناصر السورية المعارضة وتشجيعها على العمل ، وأن ذلك إذا تم بسرعة وبتأييد علنى أو سرى من جانب الولايات المتحدة وأصدقائها في المنطقة - يمكنه إنجاز المطلوب بغير الاضطرار إلى حرب واسعة ، وبدون استخدام للقوة المسلحة . »



ويثور الآن سؤال بالغ الأهمية وهو :

ما الذى كان مساعد وزير الخارجية « لوى هندرسون » يسمعه في العواصم العربية التى زارها مبعوثا خاصا في إطار مهمته « لتقصى الحقائق » ؟

إن أهمية هذا السؤال لا تتصل فقط بالشكل الذى اتخذته تطورات الحوادث في تلك الأيام ، وإنما تتصل أيضا - وهذا هو الأهم - بانعكاساتها على تطورات الحوادث في أيام قادمة .

مرة أخرى نتحدث الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ، وربما كان أوضحها في التعبير تقرير واحد مطول بعث به « لوى هندرسون » في ثلاث برقيات شفرية متوالية من بيروت في أعقاب اجتماعاته في العاصمة اللبنانية مع رئيس الجمهورية « كميل شمعون » ومع وزير الخارجية « شارل مالك » - ويبدو أن « لوى هندرسون » كان يرسل تقريره تباعا على أجزاء لأن واشنطن كانت في عجل من أمرها .

أرسلت البرقية الأولى^(١٢) في ٤٣ : ٥ من مساء يوم ٢٨ أغسطس ١٩٥٧
كما يلي :

« وزارة الخارجية

سرى جدا - من بيروت - إلى وزير الخارجية

الرقم : ٥٦٣ (الجزء الأول من ثلاثة)

من هندرسون إلى الوزير :

(١) وصلت إلى بيروت ١١ صباحا . قابلني السفير هيث في المطار ، واخذني مباشرة إلى وزارة الخارجية حيث استقبلنا وزير الخارجية مالك ، ثم قمنا بزيارة قصيرة لرئيس الوزراء سامي الصلح ، وبعدها انتقلنا لمقابلة الرئيس شمعون لمحادثة أكثر تفصيلا .

(٢) شرحت لمالك أن من أغراض زيارتي للشرق الأوسط أن أناقش سفراءنا ، وأن اتحدث مع أعضاء الحكومات الصديقة في الشرق الأوسط حول المشاكل الناشئة عن التطورات الأخيرة في سوريا . وقد تبادلت الرأي في استانبول مع رئيس وزراء تركيا ، ومع الملك حسين ، والملك فيصل ، وولي عهد العراق وغيره من القادة العراقيين . وإنني مستعد لناقش معه آراء حكومتنا ، ولكنني أكون شاكرا لو اعطاني قبل ذلك آراءه بشأن التأثير المحتمل للتطورات الجارية في سوريا على لبنان .

(٣) قال مالك وهو يقرأ من مذكرات معدة سلفا : إن هناك ثمانى نقاط يريد أن يبدئها بشأن الحالة في سوريا .

(١) الموقف خطير للغاية ، ويتطلب أن تتشاور جميع البلدان العربية والغربية المعنية ، وأن تتصرف بطريقة موحدة .

(ب) إذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للعراق ، والأردن ، وتركيا ، ولبنان ، وإلى حد ما المملكة العربية السعودية ، وجميعها لا توافق على النظام السوري الحاضر ، وإذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للولايات المتحدة ، ودول الغرب الرئيسية غير قادرة على الوصول إلى حل للمشاكل السورية ، فلا بد أن هناك ضعفا مخيفا في العالم الغربي .

(جـ) إن الاقتحام الشيوعي في سوريا هو نمو طبيعي لسنوات من التحضير الشيوعي ، وهو جزئيا نتيجة لمبدأ أيزنهاور . وأضاف بين قوسين إن هذا النبات كان سيصل إلى مرحلة الازدهار على أي حال ، ولكن مبدأ أيزنهاور عجل بالعملية .

(د) إن الرد المناسب على هذا التطور الشيوعي في سوريا حتمي وملح .

(١٢) صورة من برقية « هندرسون » الأولى في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٢ صفحة

جميعهم تقريبا - عن الانزعاج للأحداث الجارية في سوريا . وكانت زيارتنا لرئيس الوزراء أقرب إلى زيارة المجاملة ، ولم يذكر فيها شيء له أهمية سياسية .

(٦) ثم أخذنا مالك لمقابلة الرئيس شمعون فشرحت للرئيس مرة أخرى الغرض من زيارتي للشرق الأوسط ، وطرحت عليه آراءنا ، وقلقنا بشأن الوضع في سوريا .

(٧) قال الرئيس إنه يوافق تماما على تقديرنا للموقف وأن ما يجري الآن في سوريا إنما هو المرحلة الأخيرة مما كان جاريا منذ سنتين . وأنه حذرنا في ١٩٥٥ من أن سوريا تتحول إلى منصة عسكرية وسياسية للسوفيت . ويستطيع المرء أن يقول الآن إنه لم يعد هناك وجود لحكومة سورية ، فالرئيس القوتلي مجرد من السلطة ، والبلد الآن في يد مجموعة من العسكريين ، هم بدورهم تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي . وهذا الوضع مصدر للقلق الشديد ، ولا سيما في لبنان ، والأردن . وقد تلقى للتو رسالة من الملك حسين يعبر فيها عن الانزعاج للموقف . وقد تحدث بالأمس مع وزير خارجية العراق الذي يرى الموقف خطيرا بالمثل . والسفير السعودي الذي عاد لتوه من الرياض يقول : إن الملك سعود يشعر أيضا بالقلق الشديد . غير أن الرئيس لم يشر إلى جزء من الرسالة التي حملها السفير السعودي معه ، والذي كان مالك قد ذكره لنا في أثناء محادثتنا السابقة . ووفقا لما قاله مالك ، فإن السفير السعودي ، بعد أن أشار إلى ما أبداه الملك من اشمئزاز من السياسات السورية الحالية ، ذكر مع ذلك أنه من الخطأ أن يحاول جزء من العالم العربي أن يعزل سوريا ومصر . وقال الرئيس شمعون إن الحقيقة أن الملك سعود يخشى إذاعة القاهرة التي إذا هاجمته يمكن بسهولة أن تخلق له المتاعب ، بل وربما تشعل ثورة . ونظرا لوجود عدد كبير من الضباط والمعلمين والفنيين المصريين ، فإن لمصر تأثيرا كبيرا على المملكة السعودية . وأكد الرئيس أن المشكلة التي تواجهنا لا تتعلق بسوريا وحدها ، فالحقيقة أن السوفيت يحاولون الاستيلاء على العالم العربي .

« هيث »



وفي الساعة السابعة و ٢٩ دقيقة من صباح ٢٩ أغسطس ١٩٥٧ بعث « هندرسون » بالجزء الثالث والأخير^(١٤) من تقريره إلى « دالاس » مستكملا فيه بقية حديثه مع « كميل شمعون » ، وكان نص برقيته كما يلي :

« (٨) ربما لا يكون النظام المصري مواليا للشيوعية ، ولكنه يلعب في الواقع لعبة الشيوعيين . والموقف في اليمن قد أصبح خطرا حقا . وقد ذكر السفير السعودي أن الملك سعود نبه الإمام مؤخرا إلى وصول أسلحة سوفيتية . وأن المبعوث الخاص الذي أرسله الملك سعود إلى الإمام بهذا التحذير ذكر أنه شخصا

(١٤) صورة من الجزء الثالث من برقية « هندرسون » في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٤ صفحة

راى ١٠٠ طائرة سوفيتية فى اليمن ، واسلحة لم يتم تفريغها من صناديقها . وذكر الرئيس ان اليمنيين يحتاجون إلى مائة سنة ليتعلموا قيادة هذه الطائرات . وقد لاحظ مبعوث الملك السعودى وصول عدة مجموعات من الفنيين السوفيت . وحتى إذا كان هذا التقرير عن شحنات الأسلحة السوفيتية مبالغاً فيه ، فإن الوضع يدعو للانزعاج ، خاصة وأن الروس لابد أنهم يعتزمون إحضار طيارين سوفيت ، أو طيارين دربههم السوفيت لقيادة تلك الطائرات .

(٩) أن الأعمال الشيوعية الهدامة الموجهة من سوريا بدأت تصبح ملموسة بالفعل فى لبنان . وأن حرس الحدود يعتقلون باستمرار شبانا لبنانيين عائدين من سوريا ، وقد حملهم الضباط السوريون منشورات هدامة وذخائر . وأن هذه العملية كانت تجرى منذ عدة شهور لكنها زادت بدرجة كبيرة فى الأسابيع الأخيرة . ويبدو الآن أنها أصبحت نشاطاً منظماً بعناية . والشبان اللبنانيون المعنيون هم عملاء لسوريا ، ومن الواضح أنهم ليسوا من الشيوعيين العاملين . كما أنهم لا يعملون على ابتلاع سوريا للبنان فى الوقت الحالى ، ولا يطلب منهم السوريون غير الإطاحة بالحكومة اللبنانية الحالية ، وإقامة حكومة أخرى تتبع خطى سوريا فى السياسة الخارجية . وعند ذلك تدخل مالك قائلاً إنه إذا لم تتخذ خطوات قوية دون إبطاء ، فإن العالم الحر سيفقد لبنان والشرق الأوسط ، كما فقد الصين من قبل .

(١٠) قال الرئيس شمعون إن الكارثة ستقع إذا لم يوضع حد للتطورات الجارية فى سوريا . فإما « أن تصبح أقوياء ، وسوريا أضعف ، أو أن ننهار » . ثم أعرب كل من الرئيس ومالك عن الأمل فى ألا يكون معنى البيان الصحفى الذى أدلى به الرئيس فى ٢١ أغسطس بشأن سوريا ، أن تعتقد الولايات المتحدة أن بلدان الشرق الأوسط يمكن أن تتعايش مع سوريا ذات الاتجاه الشيوعى . وأكدت لهما أنه لا يمكن استخلاص شيء كهذا من بيان الرئيس .

(١١) وقلت إنه من الواضح أن حكومتينا تتفقان تماماً على أن استمرار وجود النظام الحالى فى سوريا يشكل خطراً على الشرق الأوسط ، وعلى السلام العالمى . وسألت عما إذا كانت لديه اقتراحات لوقف الاتجاهات الحالية فى سوريا . وقلت إنى لا أتوقع منه أن يقدم اقتراحات محددة فى محادثتنا الأولية ، وأننا يمكن أن نناقش الأمر فى مقابلة ثانية . وسألت عما إذا كانت لديه تعليقات يريد أن يبيدها فى الوقت الحالى .

(١٢) قال الرئيس إنه يود أن يناقش معنا هذا الأمر فيما بعد .

« هندرسون »

هيث (السفير الأمريكى فى بيروت) «



وعاد « لوى هندرسون » إلى واشنطن يمضى فيها أسبوعا واحدا ، ثم يعود إلى المنطقة متوجها رأسا إلى استانبول ليحضر اجتماعا للمجلس الوزاري لحلف بغداد ، ولم يقتصر الاجتماع على وزراء الخارجية وحدهم ، وإنما حضره أيضا وزراء الدفاع مصطحبين رؤساء هيئة أركان الحرب لقواتهم المسلحة ، وخبراءهم العسكريين .

وبدأت الحشود العسكرية التركية تتجمع في اتجاه حلب .

وبدأت حشود عراقية تتجمع في اتجاه الحسكة ، ودير الزور .

وإضافة إلى ذلك بدأت واشنطن تعلن عن شحنات سلاح عاجلة تحملها الطائرات على جسور جوية طائفة بسرعة إلى العواصم العربية التي يقال إن الخطر السوفيتي وخطر الشيوعية الدولية يوشك أن يدهمها ، وأن يقتحم عليها أبوابها . وكانت مسرحية الجسور الجوية الحاملة للسلاح صخباً إعلامياً صارخاً ، وله يكن ذلك هو الخطر ، وإنما الخطر ما وراء هذا الصخب من تهيئة وإعداد على جبهات أخرى .

كانت دمشق محاصرة ، والعاصفة تتجمع على وشك الهبوب عليها نارا ودما !

الفصل الخامس

الاندفاع إلى القاهرة



كانت الأحوال السياسية في سوريا هشة من قبل أزمة دمشق المحاصرة في بداية خريف سنة ١٩٥٧ . ثم جاءت ظروف الحصار الذي راح يحيط بدمشق خطوة بعد خطوة ، فإذا بالأحوال فيها تصبح مدعاة لقلق شديد برغم الواجهة المتحدية والمعاندة التي كانت عاصمة الأمويين تواجه بها الحوادث .

من قبل كان مجمل الظروف التي مرت بها سوريا قد أوصلها إلى حالة من الارهاق شديدة . كانت هناك ظروف الانسلاخ عن الخلافة العثمانية ، ثم الحرب العالمية الأولى وما جرى فيها على أرض سوريا ، ثم معاهدة « سايكس بيكو » التي خصت فرنسا بالانتداب عليها ، ثم محاولة تنصيب « فيصل الأول » ملكا على سوريا ، ثم دخول الجيش الفرنسي وإخراج « فيصل » وتنفيذ صك الانتداب ، ثم استمرار الحكم الفرنسي فترة ما بين الحربين العالميتين وما ثار ضد هذا الحكم من انتفاضات شعبية تسعى للاستقلال ، ثم قيام الحرب العالمية الثانية وما توالى خلالها من أحداث مست سوريا مساسا مباشرا ، وأولها استسلام فرنسا مع بقاء جزء كبير من مستعمراتها تحت سيطرة حكومة « فيشي » الموالية للنازي ، ثم الغزو البريطاني لسوريا ، ثم مناورات الجنرال البريطاني « سبيرز » الذي كان يريد إخراج فرنسا من المشرق ، وكانت تستهدف أن تحل بريطانيا محل فرنسا ، وقد أدت هذه المناورات - إلى جانب حيوية القوى الوطنية في سوريا - إلى استقلال سوريا سنة ١٩٤٥ .

ولم تتح لسوريا فرصة كافية لتدعيم استقلالها الجديد لأن الصراع الصهيوني حول دمشق إلى قاعدة رئيسية لعمليات المقاومة الشعبية المسلحة ضد المخطط الصهيوني في فلسطين ، ثم جاءت حرب ١٩٤٨ وما انتهت إليه من إيجاب، وشعور بالمرارة بلغ أشده في دمشق بحكم موقعها ودورها وارتباطها الوثيق بالمشروع القومي العربي . ولم يكد صوت الرصاص يتوقف في حرب فلسطين حتى وقع في سوريا أول انقلاب عسكري بقيادة اللواء « حسنى الزعيم » ، ولحقت به سلسلة من الانقلابات الكبيرة تخللتها ولحقتها سلاسل من الانقلابات الجزئية الصامتة أحدثت تغييرات هامة تحت السطح أمكن رصدها ، وإن لم ينتج عنها أثر الزلزال الذي تحدثت الانقلابات العسكرية الكاملة والصاخبة .

وطوال السنوات القليلة التي أعقبت الانقلاب على « أديب الشيشكلي » في بدايا سنة ١٩٥٤ وحتى سنة ١٩٥٧ حين تحول اتجاه العاصفة في الشرق الأوسط إلى دمشق - كان الجيش السوري هو الساحة الرئيسية للصراعات ، وكانت هذه الصراعات قد حولته في الواقع إلى كتل^(١) تتألف أحيانا وتتنافر أحيانا ، وتكاد تصل في تنافرها إلى حد الصراع المسلح ، وكانت لبعض هذه الكتل بطبيعة الحال ارتباطات حزبية في الداخل تؤدي إلى ارتباطات على الساحة العربية تؤدي إلى عاصمتين بالتحديد : الرياض وبغداد - استمرارا للصراع بين السعوديين والهاشميين ، وقد أصبحت دمشق الآن ميدانه . كذلك كانت لبعض هذه الكتل ارتباطات اجتماعية واقتصادية تؤدي بدورها إلى عاصمة أخرى هي بيروت التي أصبحت وقتها عاصمة توجيه ، وإدارة الحرب الباردة في المشرق العربي . وكانت لحزب البعث العربي الاشتراكي بدوره كتلة من ضباط الجيش يعلنون بصراحة انتسابهم إليه ، وعضويتهم في لجنته العسكرية . إلى جانب ذلك ، فقد كانت هناك مجموعات أخرى من الضباط يتجهون بأفكارهم إلى أحلام قومية عامة وغير محددة ، ولكنها جميعا تتطلع بشكل أو آخر نحو القاهرة .

(١) برزت في الجيش السوري في هذه الفترة التي سبقت الوحدة مع مصر ست كتل رئيسية :
 أولا : ظهر عبد الحميد السراج كقوة فردية لا ينتمى إلى أي حزب أو جماعة .
 ثانيا : كتلة البعث ، وكان من أبرز عناصرها في الجيش مصطفى حمدون - عبد الغنى قنوت - بشير صادق - حسان حيدة - جمال الصوفي .
 ثالثا : كتلة حزب التحرير (الشيشكلي) وشملت جماعة من الضباط المناهضين للكتلة البعثية . وتزعم هذه الجماعة أمين النفوري ، ومن أعضائها جادو عز الدين - أحمد عبد الكريم - وحسين حيدة (شقيق حسان حيدة) .
 رابعا : تاراجحت بين الكتلة البعثية ، وجماعة النفوري كتلة رابعة تزعمها طعمة العودة الله وأحمد الحنيدى .
 خامسا : كتلة دمشق وتزعمها أكرم الديري .
 سادسا : كتلة عفيف الجزى وقد كان تعاطفها مع اليسار .

وربما كانت الشخصية الرئيسية في دمشق في تلك الفترة هي شخصية العقيد « عبد الحميد السراج » رئيس الشعبة الثانية في الجيش السوري (المخابرات) فقد كانت أزمة نقله هي الأزمة التي بدأت منها العاصفة الجديدة على سوريا في صيف سنة ١٩٥٧ ، وكان بقاءه في منصبه برغم هذه الأزمة إضافة زادت من قوته سواء بحكم موقعه في الشعبة الثانية ، أو بحكم الهالة التي أحاطت به بعد الأزمة ، أو بحكم أنه أصبح في ذلك الوقت مفتاح الأبواب إلى القاهرة . والحقيقة أن « عبد الحميد السراج » بحكم مسؤوليته عن الأمن في الجيش السوري أصبح في نفس الوقت مسؤولاً عن أمن سوريا ، وكان رأيه أن أمن سوريا الوطني يتصل اتصالاً مباشراً بالقاهرة التي أصبحت مركزاً رئيسياً لقيادة المشروع القومي العربي ، والتي برز فيها « جمال عبد الناصر » كقائد قومي للأمة العربية في ظروف ما بعد السويس .



ومع بدء مهمة « لوى هندرسون » في الشرق الأوسط ، ومع طوافه بالعواصم المحيطة بدمشق ، ومع عمليات التهديد المتصاعدة بحشد الجيوش وإجراء المناورات العسكرية ، وشحن السلاح بالطائرات إلى العواصم المتربصة والمنحرفة للانقضاض - بدا أن الصراع على سوريا وفيها يوشك أن يدخل في مرحلة حاسمة .

كان يمكن اعتبار ما يجري الآن - بداية خريف سنة ١٩٥٧ - عملية تمهيد للغزو ، وكان المقدر أن يجيء الغزو نفسه إذا تهيأ المسرح وتم إعداده - في ظرف ثلاثة شهور .

كانت عملية التمهيد للغزو هي العملية التقليدية التي تستهدف إفقاد الطرف المرشح للغزو توازنه بما يؤدي به إلى التخبط في تصرفاته فتحل به الفتنة الداخلية والتفكك ، أو أن يرتكب من الأخطاء تحت وطأة العصبية ما يسهل على الغزاة مهمتهم إذ يفتح لهم من الثغرات ما يمكنهم من النفاذ منه . وفي علوم السياسة الدولية ، فإن هذه العملية يطلق عليها وصف Destabilization وترجمته الحرفية « الإخلال بالتوازن » أو « الخلطة » ولكن معناه يتعدى هذا الوصف المحدود الذي توحى به الألفاظ .

وكانت الأوضاع في سوريا - كما سلف القول - جاهزة لهذه العملية تماماً !

والحقيقة - أن هذا النوع من العمليات - التي توجه إلى أي طرف بقصد إفقاده لتوازنه - قادرة على أن تعطى لنفسها حركة ذاتية . فهذه العمليات تبدأ بالتحديد ضد طرف يشعر بوطأة الحصار ، وعندما تبدأ الخطوة الأولى فيها فإن الطرف المعرض

لهذه العملية يستجيب لها برد الفعل الذى يجىء بالطبع محكوما بكل الظروف التى هى بدورها متحركة فيه .

إن كل موقف يخلق تداعياته الصادرة عن توزيع مراكز القوة ومواقع الضعف فى بنيانه ، وهكذا تبرز وقت الأزمة بعض المزايا ، وتتضخم بعض المساوىء ، وتفتح ثغرات إلى أوسع مما كانت عليه ، وتطراً مطامح ومطامع تداعب أحلام آخرين كانوا بعيدين عن بؤر الصراع ، ولكن دوامته الدائرة بسرعة الآن وفى مناخ التوتر تشدهم إلى الحركة السريعة للتطورات واحتمالاتها .

وربما كان أوضح ما أسفرت عنه عملية إفقاد التوازن Destabilization أو الخلخلة فى سوريا فى ذلك الوقت ، هو بروز دور الحزب الشيوعى السورى



كان الحزب الشيوعى السورى من أقدم وأنشط الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى ، وكان رئيسه « خالد بكداش » من الشخصيات الحركية المشهود لها بالذكاء . لكن حجم الحزب كان محصورا بحكم أوضاع سوريا الاجتماعية بما فيها سيطرة القوى التقليدية والعشائرية والطبقية على مختلف أوجه الحياة والنشاط فيها

وإلى جانب ذلك ، فإن الحزب الشيوعى السورى كان واقعا فى الأزمة العامة للحركة الشيوعية الدولية - إزاء حركة التحرر الوطنى التى قادتها عناصر تنتمى إلى الطبقة المتوسطة (الكبيرة أو الصغيرة) .

كانت الحركة الشيوعية الدولية فى عصر « ستالين » ترفض دور هذه الطبقات المتوسطة بدرجاتها المختلفة ، وفى العالم العربى فإنها لم تكن ترى فيها غير طبقة تدعى بالقومية العربية بينما مقصدها الحقيقى هو البحث عن أسواق متسعة لنشاطها الاقتصادى الذى يرتبط بمصالح الاستعمار الرأسمالى العالمى ، ومن هنا فإنها اعتبرت إسرائيل موقعا تقدما وسط بيئة رجعية ومتخلفة .

وبعد وفاة « ستالين » ، وبعد ما حدث فى مصر ضد الاستعمار ابتداء من إجلاء الانجليز عن قاعدة قناة السويس ، وحتى كسر احتكار السلاح والتصميم على بناء السد العالى - فإن الاتحاد السوفيتى بدأ يراجع نفسه . وعندما قام « خروشوف » و « بولجانين » بزيارة إلى « بورما » يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٥ فإن كليهما عاد إلى موسكو بأفكار جديدة عن حركة التحرر الوطنى التى تقودها الطبقة المتوسطة فى بلدان العالم الثالث ، وبمقتضى هذه الأفكار فإن حركة التحرر الوطنى أصبحت فى رأى موسكو قوة تقدمية معادية للاستعمار وممثلة لطموحات شعوبها ، وقد عبر وزير

خارجية الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت « ديمتري شيبيلوف » عن هذه النظرة الجديدة بقوله لجريدة برافدا : « إن الحركة الوطنية في مصر قامت ضد الاستعمار ، وفي مجال التحولات الاجتماعية بتحقيق منجزات هائلة عجزت عنها الأحزاب الشيوعية طوال تاريخها ، وسوف تعجز عنها طوال عمرها ، وإن جمال عبد الناصر محق في وضع الشيوعيين في بلاده في السجن لأنهم متحجرون لا يحسنون متابعة حركة التاريخ » !

إن هذه التغييرات في المواقف انعكست بالطبع - وكان لابد أن تنعكس - على مواقف الأحزاب الشيوعية العربية ، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي السوري الذي وضعته تطورات الحوادث في الشرق الأوسط - كما وضعت سوريا - في مهب العاصفة .

ولقد تأثر هو الآخر بمثل ما تأثرت القوى الأخرى غيره بعملية إفقاد التوازن أو الخلخلة - وبدوره فإنه استجاب لها بردود أفعال متلاحقة صنعت حركتها الذاتية ، ويمكن لنظرة متأنية على هذه الحركة الذاتية لردود الأفعال أن تلقى الضوء على ما حدث لقوى أخرى غير الحزب الشيوعي السوري .

● كانت العاصفة التي هبت على سوريا في ذلك الوقت تتذرع بسيطرة الشيوعيين ، ومن ثم الشيوعية الدولية على سوريا - كوسيلة لإعطاء مبرر للحصار والغزو .

● نتيجة لهذا أن الأضواء سلطت على الحزب الشيوعي السوري قبل غيره من القوى الظاهرة على المسرح السياسي السوري في ذلك الوقت .

● ترتب على ذلك أن وكالات الأنباء والصحف راحت تتابع نشاط السيد « خالد بكداش » وتسعى إلى إجراء أحاديث معه ، ومن ثم ظهر دوره بأكثر من حقيقة قوته .

● توافق ذلك مع إنذارات سوفيتية^(٢) صدرت في ذلك الوقت تحذر أطراف الحصار والغزو من عواقب تصرفاتهم - وكان صدورها طبيعيا ومطلوبا - ولكن ذلك بدوره أدى إلى زيادة التركيز على الحزب الشيوعي السوري ، وعلى رئيسه « خالد بكداش »^(٣).

(٢) تكررت الإنذارات السوفيتية في ذلك الوقت إلى تركيا ، كما تحركت بعض وحدات الاسطول السوفيتي في البحر الأبيض في اتجاه شواطئ سوريا تحذيرا للأطراف من أجواء مشحونة بالتوتر .
(٣) يلاحظ أن مكتب الاستعلامات التابع للسفارة الأمريكية في القاهرة وزع نشرة مؤرخة بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٥٧ عنوانها « بكداش الذي تلقى التدريب في موسكو هو الزعيم الشيوعي الأول في سوريا » ، وجاء فيها ما نصه :

● وبمنطق العمل السياسي ، فإن الحزب ورئيسه « خالد بكداش » انتهز الفرصة وراح كلاهما يصدر البيانات ويدلى بالأحاديث والتصريحات لمواجهة الظرف ، وكان ذلك النشاط في حد ذاته إحياء بأن لاثنتين دورا في الحياة السياسية السورية يسبق أية أدوار أخرى .

● وبزيادة هذه الإحياءات ، فإن الجماعات السياسية الباحثة عن دور والطافية على السطح بدأت تتصور أن الحزب الشيوعي هو إحدى صور المستقبل المحتمل وخياراته الممكنة في سوريا . خصوصا وأنه راح يتصدر ما بدا أنه مقاومة وطنية للحصار والغزو المحتمل ، وهكذا انجذبت جماعات إليه ومن ضمنها بعض ضباط الجيش ، وكان الاسم البارز بينهم هو اللواء « عفيف البزري » .

● في المحصلة أصبح الحزب الشيوعي السوري مهتما بما يجري في الجيش السوري ، وراح يطمح إلى أن تكون في صفوفه كتلة مؤثرة ضمن الكتل المؤثرة .

● وهذه المحصلة أدت بالحركة الذاتية إلى أن ظهور الحزب الشيوعي السوري على المسرح تحت هذه المساحة من الضوء أعطى مبرا للمنادين بالحصار والغزو ، أي أن ما بدا بالادعاء راح يحقق نفسه إلى درجة ما مع الواقع بمنطق المثل العربي القائل « تخيل فخال » .

ثم تدخل الحوادث من دورة تقود بالتداعي إلى دورة ثانية .

أي أن الخطر الذي كان مدهوما بالدعاية أصبح خطراً محتملاً بالادعاء .

وبدوره ، فإن الخطر الذي تحول من دعاية إلى ادعاء بدأ يزيد من درجة العصبية في دمشق ، وراح يرفع مخاطر الاحتكاك بين كتل متناثرة لها هي الأخرى حركتها الذاتية بردود الأفعال !

وارتفعت درجة الحرارة حول دمشق وفيها .

= « كان تغفل موسكو السياسي في بعض مناطق الشرق الأدنى الذي ظهر أخيرا في نولى القوات العسكرية الموالية للنفوذ في سوريا - يتركز منذ زمن طويل في نشاط عميلها خالد بكداش . وبكداش الذي تلقى التدريب في موسكو منظم شيوعي محنك ومهيج جعل من قيادته في دمشق محور الدعاية البعثية والمؤامرات . وتاريخ بكداش كشيوعي صريح في ولائه لموسكو يقارن بتاريخ هوشي منه الزعيم الشيوعي في فيتنام الشمالية الذي ظهر بمظهر الزعيم القومي حتى استولى على السلطة . »



وكان « جمال عبد الناصر » في القاهرة وعيناه على دمشق يتابع ما يجرى باهتمام يشوبه التخوف والقلق . وضاعف من أسباب تخوفه وقلقه أن إسرائيل أقدمت مرة أخرى على مناورتها التقليدية . يكون العالم العربى مشغولا بتهديد خارجى يثير أزمة داخلية - فإذا هى تتحرك بسرعة لتخطف لنفسها فى وسط الزحام غنيمة . وفى هذه الظروف وسوريا تحت التهديد وعواصم عربية عديدة تساعد هذا التهديد ، وتعطيه الحجج والأسانيد - دخلت القوات الاسرائيلية فاحتلت منطقة « جبل المكبر » فى القدس لكى تحكم الحصار حول المدينة القديمة .

وفى يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٧ قرر « جمال عبد الناصر » أن يتكلم عن الأزمة وملابساتها ، فأدلى بحديث صحفى للأهرام^(٤) نقلته الإذاعة المصرية على كل موجاتها ، ونقلته أيضا وكالات الأنباء إلى عواصم العالم :

« إننى اتابع تطورات الموقف فى سوريا ، واتساءل :

■ هل انحازت سوريا حقيقة إلى المعسكر الشيوعى كما تدعى السياسة الأمريكية ؟

والجواب هو النفى قطعاً .

■ هل يمكن أن تكون المسألة أن امريكا تتصور - بغض النظر عن صحة هذا التصور أو بطلانه - أن سوريا انحازت إلى المعسكر الشيوعى ؟

والجواب على هذا أيضا بالنفى قطعاً .

إن الولايات المتحدة الأمريكية لديها من إمكانيات العلم بحقائق الأوضاع فى سوريا ما يسمح لها أن تعرف كل الدقائق والتفاصيل ، ولقد قابلت بنفسى من المسؤولين الأمريكيين من يعرف زعماء سوريا جميعاً ، ومن التقى بهم واحداً واحداً ، وتحدث إليهم بلغتهم الأصلية العربية

(٤) حديث مع « محمد حسنين هيكل » نشر على الصفحة الأولى من عدد « الأهرام » الصادر صباح يوم ٩ سبتمبر

وعاش في بلادهم يدرس ويراقب عن كثب ، وليس معقولا أن يصل الخطأ في الحكم إلى مثل هذه الدرجة التي توحى بها تصرفات السياسة الأمريكية ، وإذن لا يتبقى إلا أن تكون المسألة خطة مرسومة مدروسة تنفذ تفصيلا بعد تفصيل . »

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » :

« إن الهدف الحقيقي للسياسة الأمريكية تجاه سوريا هو تحويل الأنظار عن الخطر الإسرائيلي ، واختراع أخطار أخرى غيره ينشغل بها اهتمام العرب . لقد كان الإجماع العربي أن إسرائيل هي خطر حقيقي على الأمة العربية ، وحاولت الولايات المتحدة بشتى الوسائل أن تجر العرب إلى صلح مع إسرائيل ، فلما فشلت هذه الوسائل جاء دور الوسيلة الجديدة وهي : خلق أخطار بديلة حتى ولو كانت أخطارا صناعية حتى يتفتت الإجماع العربي وتتفرق قواه .

ما أن كدنا نفرغ من معركة السويس وآثارها حتى بدأت نغمة الخطر الشيوعي ، ثم بدأ التركيز على مصر وسوريا ، ثم اتجهت كل قوى الضغط مرة واحدة إلى دمشق ، ثم أقيمت بضعة ملايين من الدولارات تطبيقا لمشروع ايزنهاور لتكون بمثابة الطعم الذى يلقي للصيد ، هذا في نفس الوقت الذى تجرى فيه عملية التخويف جنبا إلى جنب مع عملية الإغراء . وهكذا بدأ تخويف الملوك والرؤساء العرب من الخطر الشيوعي ، وأن هذا الخطر محقق قريب ، وأن هذا الخطر أنشب مخالفه بالفعل في بلد من بلادهم ويوشك أن ينقض منها على غيرها ما لم يتصدوا له ويخرجوا لقتاله ، ولم تكن السياسة الأمريكية فقط هي التي تحاول أن تحقق غاياتها في جو هذه الأزمة المصطنعة - وإنما لحقتها إسرائيل ، وهكذا وقف بن جوريون أمس ليقول إن الخطر الذى يواجه إسرائيل هو مصر وسوريا ، وليقول أيضا إن إسرائيل تريد فتح المجال للهجرة إليها حتى يصبح عدد سكانها اليهود ضعف عددهم الآن . واليوم يمضى بن جوريون إلى خطوة أبعد ، فيأمر قواته باحتلال جبل المكبر بالقدس .

ثم لا يوجد في العالم العربى من يرى في هذا كله نذيرا بالخطر . لماذا ؟ - لأن السياسة الأمريكية استطاعت تحويل المعركة ، فأصبح الخطر الآن في نظر الذين انطلت عليهم الخدعة - قادما من سوريا ، والهجوم

المنتظر منها ، والعدو المتربص فيها ! أليست هذه هي الحال التي نراها من حولنا ؟ »

واستطرد « جمال عبد الناصر » :

« ولناخذ مثلا عملية تزويد بعض الدول العربية الموالية للغرب بالسلاح ولنتأمل جوانبها ، فهناك ظاهرتان تسترعيان الانتباه في هذه العملية :

□ الظاهرة الأولى : هي السرعة المسرحية التي يتم بها إرسال هذا السلاح إلى الدول الموالية للغرب ، وهذه السرعة المسرحية في الواقع تركز تأثيرها على عملية تخويف الملوك والرؤساء وربما الشعوب أيضا ، والإيحاء المقصود من السرعة هو أن الأمر عاجل وخطير ، وأن السلاح لا يستطيع أن ينتظر السفن ، ولهذا يجب أن تنطلق به الطائرات .

□ والظاهرة الثانية : أن هذا السلاح الذي يتم نقله بهذه الطريقة المسرحية بالطائرات لا يمكن بطبيعته أن يكون سلاحا ثقيلًا يصلح للمعارك الحربية ، فالسلاح الذي ينقل بالطائرات لا يمكن أن يزيد عن أن يكون بعض السيارات والمعدات اللاسلكية ، وبعض المدافع الخفيفة والأسلحة الصغيرة ، فإذا لم يكن هذا السلاح صالحا لميدان القتال ، فما هو الميدان الذي يمكن أن يستخدم فيه ؟

والرد الوحيد الذي أجده على هذين السؤالين هو أن هذا السلاح موجه إلى الجبهات الداخلية في البلاد التي يرسل إليها بالطائرات ، فهو إذن ليس موجها إلى أي عدو من الخارج ، وإنما القصد الحقيقي منه هو السيطرة على الداخل ، وكسر شوكة القومية العربية والقضاء عليها إذا كان ذلك في نطاق المستطاع . ولم يكن أحب إلي من أن تعطى أمريكا لمن تشاء من الدول العربية أسلحة ثقيلة ، وبكميات مؤثرة توفر لها مقتضيات الدفاع عن نفسها في ميدان قتال حقيقي ، ولم أكن لأرى في ذلك عيبا ، بل كنت أراه مدعاة للفخر ، فلقد حاولت بنفسى طويلا أن أقنع السياسة الأمريكية بأن تباع سلاحا لمصر مع أنها تقدمه مجانا لإسرائيل ، ولكنني اكتشفت أنني كنت أطلب المحال ، وكانت أمريكا على استعداد لأن تعطينا سلاحا يمكن استخدامه ضد الجبهة الداخلية ، ولم يكن ذلك السلاح الذي أريده وإنما كنت أريد سلاحا فعلا يستطيع

أن يدافع بكفاءة عن حدود أوطاننا . وينبغي علينا أن نتذكر امرين ونحن ندرس خطط السياسة الأمريكية الجديدة ضد سوريا :
الامر الأول - أن الخطة ليست جديدة ، بل الحقيقة أنها امتداد للخطة الاستراتيجية القديمة ، وإن كانت قد وجدت لنفسها الآن توجها تكتيكيا جديدا .

والامر الثاني - أن الخطة كما يبدو من دراستها لا تتجه إلى سوريا وحدها ، وإنما هدفها الأصلي هو القومية العربية كلها .

لقد اختبرت السياسة الأمريكية خبرة مباشرة خلال خمس سنوات كاملة ، والنتيجة التي توصلت إليها هي أن السياسة الأمريكية تجاه العرب تسعى إلى تحقيق ثلاثة أهداف :

- ١ - تصفية الصراع العربي الإسرائيلي على أساس الامر الواقع .
- ٢ - فرض تنظيم عسكري يخدم المصالح الأمريكية وحدها .
- ٣ - أن تتحول الدول العربية جميعها إلى منطقة نفوذ سياسى دولى للولايات المتحدة الأمريكية . «



ولم يكتف « جمال عبد الناصر » بإعلان آرائه في الأزمة ، وإنما كان عليه إلى جانب ذلك أن يتصرف عمليا . وهكذا طلب إلى العقيد « عبد الحميد السراج » رئيس الشعبة الثانية (المخابرات) في الجيش السوري أن يجرى إلى القاهرة للقاءه ، وأن يصطحب معه اللواء « عفيف البزرى » رئيس أركان الجيش السوري الذى راجت من حوله أقاويل التعاطف مع الحزب الشيوعى السورى .

ووصل الاثنان إلى القاهرة ، وقابلهما « جمال عبد الناصر » مساء يوم ١١ سبتمبر (بعد أيام من حديثه للأهرام) . وبدأ « جمال عبد الناصر » يسمع من الاثنين تقريرهما عن الأوضاع العامة في سوريا ، ثم راح يوجه أسئلة حول مواقف الأحزاب السياسية ، ثم انتقل من ذلك إلى الكتل في الجيش وتكويناتها وانتماءاتها الحزبية والسياسية . ثم انتقل إلى دور الحزب الشيوعى السورى ، وهنا توجه بحديثه بالدرجة الأولى إلى اللواء « عفيف البزرى » مضيفا أنه سمع عن تعاطف اللواء « البزرى » مع الشيوعية ، وأن هذا إذا صح يخلق وضعاً خطيراً أبسط ما فيه أنه يعطى لأصحاب الحملة ضد سوريا مصداقية في حربهم النفسية ضد سوريا . وكان رد اللواء « البزرى » أنه متعاطف مع كل القوى المعادية



عبد الناصر
وعبد الحميد السراج

للاستعمار ، وإذا بدا أنه يخص الحزب الشيوعي السوري بمعاملة خاصة ، فإن ذلك مبعثه أن الإنذارات التي يوجهها الاتحاد السوفيتي إلى القوى الاستعمارية تحدث تأثيرا كبيرا في نفسية الشعب السوري إذ تجعله يشعر أن هناك قوة عظيمة تقف وراءه وتسانده ، وهو يتصور أنه إذا وقع غزو ضد سوريا فإن الاتحاد السوفيتي يستطيع على نحو ما فعل في معركة السويس أن يشارك في ردع العدوان . وكانت وجهة نظر « جمال عبد الناصر » أنه مع كل صداقة العرب للاتحاد السوفيتي ، فإن علينا جميعا ألا ننسى أنه « ليس بمقدور أي دولة عظيمة أن تغامر بحرب نووية من أجل الآخرين . وأن الدعم السوفيتي السياسي مهم بشرط أن نعي تماما أن مسؤولية القتال في النهاية تقع علينا وحدنا » .

واستمر الحوار لبضع ساعات ، وكان أهم ما فيه بعد ذلك أن « جمال عبد الناصر » أبدى تخوفه من وجود كتل في الجيش يتحكم قوادها في معسكرات مسلحة تحت ضغوط نفسية شديدة مما قد يخلق مجالا للاحتكاك بين هذه الكتل يؤدي - ولو بسوء الفهم - إلى نقل الخلافات السياسية إلى صراعات مسلحة .

واقترح إنشاء مجلس يضم قادة هذه الكتل ، ويجتمع دوريا بحيث يكون في مقدور كل منهم أن يتعرف على نوايا الآخرين ، وأن تكون من ذلك وسيلة للاتصال تحول دون اصطدامهم ببعضهم في الظلام لأن ذلك إذا حدث سوف يؤدي بسوريا إلى حرب أهلية تحقق لقوى العدوان ما تريد دون أن تضطر هذه الدول إلى إطلاق رصاص واحدة . وقال « عبد الحميد السراج » إن هذا الاقتراح كان موضع تفكير بالفعل ، وأنهم قبل أيام قليلة جربوا عقد اجتماع موسع يضم ٢٤ ضابطا من كل الاتجاهات . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن هذا الاجتماع يجب أن يتكرر ، وأن يصبح أطرافه مؤسسة مؤقتة حتى تنجلي الأوضاع .

وانتقل الرئيس « جمال عبد الناصر » بعد ذلك إلى مناقشة توزيع القوات السورية على الجبهات المحتملة للتهديد ، ثم طرح للبحث تقريرا للمخابرات العسكرية المصرية عن الحشود التي تواجه سوريا على الحدود مع تركيا والعراق . وبدأ واضحا من المناقشة التي دارت بعد ذلك عن الاحتمالات العسكرية أن توزيع القوات السورية غير كاف ، خصوصا وأن قادة الكتل العسكرية في الجيش مصريون على الاحتفاظ لكل منهم ببعض قواته قرب العاصمة حتى يحتفظ بدوره السياسى وقدرته على التأثير فيه .



وفي اليوم التالى قام « جمال عبد الناصر » بدعوة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى الاجتماع به . وطرح عليهم أفكاره عن الأوضاع في سوريا ، ثم أضاف إلى ذلك اقتراحا طلب إليهم دراسته .

كان تفكيره على النحو التالى :

١ - إن سوريا تواجه تهديدا عسكريا لا شك فيه ، وأن بروز هذا التهديد يخلق في دمشق حالة من العصبية يمكن أن تؤدي إلى تصرفات غير محسوبة تفتح ثغرة لخطط العدوان .

٢ - إن الجيش السورى في حالته الراهنة سواء بحجم قواته ، أو بدرجة انقسام الكتل فيه ، أو بتعدد مصادر التهديد أمامه يشعر بوحدة شديدة تساعد حالة العصبية السياسية العامة .

٣ - إن الجيش السورى والشعب السورى معا لا يصح أن يتركا في هذه الظروف تحت توهم أن النصير الوحيد المرتجى لهم في حالة تحقق العدوان هو الاتحاد السوفيتى واية إنذارات سياسية تصدر عنه . وأن هذه الإنذارات قد تشجع أقوالا وأفعالا غير مسؤولة دون أن يكون عليها التزام محدد في حالة الخطر .

٤ - إن الأمة العربية كلها تتابع ما يجرى في سوريا بقلق لا يجد سبيلا إلى طمانينة يتأكد معها توازن التصرفات .

وكان اقتراح « جمال عبد الناصر » بعدها - وتنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك الخاصة بين مصر وسوريا - هو أن تطورات الموقف ربما تحتم على مصر أن تقوم بإرسال قوات مصرية إلى هناك ، وأن ذلك في حد ذاته سوف يخلق شعورا بالاطمئنان في سوريا ، ثم إن وصول مثل هذه القوات من ناحية أخرى يلاشى تأثير انقسامات القتل بين الضباط في دمشق ، إلى جانب أنه إعلان للأمة العربية وللعالَم أن سوريا لن تقف في أى معركة محتملة وحدها .

وفي صباح ١٤ سبتمبر حضر اللواء « عفيف البزرى » اجتماعا مع اللواء « عبد الحكيم عامر » شارك فيه عدد من أعضاء هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، وبحثوا احتمالات التهديد على سوريا ، وخلصوا في اجتماعهم إلى مجموعة من النقاط أهمها :

١ - أن إسرائيل ما زالت هى العدو الأساسى ، وأن الخطط العسكرية الدفاعية لمصر وسوريا ينبغي أن تعد لمواجهة خطرهما .

٢ - أنه ليس من المرجح أن تستطيع تركيا تحريك قواتها ضد سوريا لأن معنى ذلك أنها تكشف جبهتها الطويلة مع الاتحاد السوفيتى .

٣ - أنه ليس من الضرورى حشد قوات عسكرية كبيرة على حدود سوريا مع أى دولة من الدول العربية الموالية للغرب لأن هذه الحكومات مهما بالغ حكامها في ولائهم للغرب لا يستطيعون مواجهة شعوبهم ، ولا إصدار الأمر لجيوشهم بالتوجه لقتال الجيش السورى . وأنه على فرض أن أى جيش عربى اتجه إلى حدود سوريا ، فلا ينبغي مواجهته بالسلاح .

ومع ذلك فلا بد من التحوط لكل الاحتمالات .

وفي أواخر شهر سبتمبر كانت هيئة أركان حرب القوات المصرية قد أعدت خطة للعمل ، وفي يوم ١٣ أكتوبر ظهر أمام ميناء « اللاذقية » في شمال سوريا اسطول مصرى يضم بضع ناقلات للجنود وثلاث مدمرات ، ونزلت إلى الشاطئ منها قوات مصرية تشكل في مجموعها لواءين كاملين تصحبهما أسلحتهما الثقيلة من المدفعية والمدافع . وحين أذيع نبا نزول قوات من الجيش المصرى إلى سوريا كانت

الأصدقاء في دمشق مدوية ، وكانت الأصدقاء في العالم العربي مثيرة ،
وكانت موازين القوى في الشرق الأوسط قد اختلفت



لم تكن آثار وصول الجيش المصرى إلى سوريا مقصورة على دمشق ، ولا على غيرها من العواصم العربية فقط ، وإنما كانت هذه الآثار تحمل إلى العالم حقائق استراتيجية جديدة في موازين القوى في الشرق الأوسط :

● من ناحية كان معنى هذه الخطوة أن كلا من مصر وسوريا قد أصبحتا جبهة عسكرية واحدة لأول مرة منذ أيام « صلاح الدين » و « محمد على » .

● ومن ناحية ثانية ، فإن هذه الجبهة الواحدة كانت تسيطر وراء خطوطها على كل ممرات البترول في المنطقة ، أى قناة السويس في مصر ، وخطوط نقل أنابيب البترول في سوريا .

● ومن ناحية ثالثة ، فإن ثقل حركة القومية العربية الذى كان يرتكز على القاهرة قد اتسع بشكل هائل ، فامتد ليشمل سوريا أيضا . وترتب على هذا مباشرة أن الضغط الذى كان واقعا على أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة قد ازداد في وزنه وفي تأثيره بطريقة درامية .

وفي المحصلة النهائية ، فقد كان معنى ذلك أن مشروع « ايزنهاور » من أساسه قد تلقى ضربة قاضية ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل الذى يمكن للولايات المتحدة وأصدقائها في المنطقة أن يتقبلوه بسهولة .

[ولعل « جمال عبد الناصر » أراد أن يفتح نفسا لبعض البخار المضغوط ، فقد طلب منى صباح اليوم التالى أن أتجه إلى مقابلة السفير الأمريكى « ريموند هير » وأن أبلغه رسالة منه (الرئيس « عبد الناصر ») مع رجاء إبلاغها إلى الرئيس « ايزنهاور » خلاصتها : « ارفعوا أيديكم عن سوريا » . وكان مجمل رسالة « عبد الناصر » إلى « ايزنهاور » بعد ذلك هو « أنه إذا كانت الولايات المتحدة تخشى الشيوعيين فعلا في دمشق ، ولا تتخذ ذلك كذكة لأهداف أخرى - فإن خير ما تستطيع أن تفعله الآن هو أن ترفع يدها عن سوريا ، فاستمرارها في الضغط على هذا النحر الغليظ لن يكون له أثر إلا دفع سوريا إلى المجهول . ثم إن سوريا لن تسقط للشيوعية الدولية أو لغيرها من القوى في العالم ، وإن هذه ليست في كل الأحوال مسؤولية الولايات المتحدة ، وإنما هى مسؤولية الحركة القومية العربية » .]

وفي كل الأحوال ، فإن المواقف المستجدة راحت تفرض حركتها الذاتية بالأفعال وردود الأفعال ، فنزول القوات المصرية في سوريا خلق حالة من الفوران في العالم

العربى ، وفى سوريا على وجه التحديد ، وفى مواجهة هذا الفوران فإن القوى التى كانت ترتب وتدبر للعدوان على سوريا راحت تشدد ضغوطها ، وفى هذا المناخ المشحون ارتفعت الأصوات المطالبة بالوحدة بين مصر وسوريا .



ولم تكن المطالبة بالوحدة بين مصر وسوريا فكرة جديدة . فلقد بدأ طرحها منذ المعركة ضد حلف بغداد ، وبعد معركة السويس فإن الإلحاح عليها بدأ يشتد يوما بعد يوم خصوصا فى مواجهة أخطار مشتركة بين البلدين .

وفى أواخر سنة ١٩٥٦ طرح الرئيس « شكرى القوتلى » مشروعا لاتحاد فيدرالى تحت اسم « الدول العربية المتحدة » يضم مصر وسوريا كنواة ، ويكون بابه مفتوحا لانضمام أية دولة عربية أخرى ترغب فى ذلك .

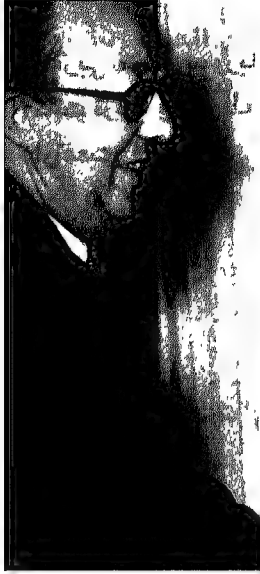
وفى فبراير سنة ١٩٥٧ وفى أثناء المناقشات المحتدمة حول مشروع « ايزنهاور » طرح السيد « صبرى العسلى » رئيس وزراء سوريا على « جمال عبد الناصر » اقتراحا بإقامة وحدة بين مصر وسوريا .

وفى شهر يوليو سنة ١٩٥٧ ، وخلال معركة الضغط الشديد على سوريا ، اتخذ مجلس الوزراء السورى قرارا بطلب إقامة اتحاد فيدرالى مع مصر .

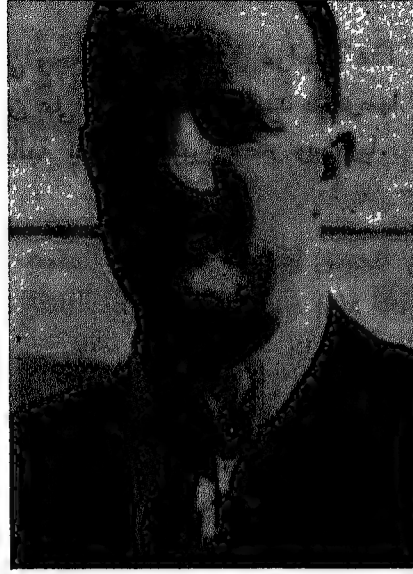
وفى أثناء زيارة وفد برلمانى مصرى برئاسة « أنور السادات » لسوريا فى شهر نوفمبر ١٩٥٧ وفى أعقاب نزول الجيش المصرى فى اللاذقية - اتخذ البرلمان السورى قرارا بإعلان إرادته فى الوحدة بين البلدين ، وأعقب ذلك زيارة وفد برلمانى سورى إلى مصر ، وفى حضوره اتخذ مجلس الأمة المصرى قرارا بالاستجابة لرغبة البرلمان السورى بالوحدة .

كان الجو معبأ بنداءات الوحدة ، وبالذعوة إليها باعتبارها أملا مرتقبا ، وتأمينا ضروريا للبلدين فى مواجهة خطر مشترك .

وأحس « جمال عبد الناصر » أن العجلة تدور بأسرع مما كان مستعدا له . وفى



كيسيليف



كبرميت روزفنت



روبرت أندرسون

بداية شهر يناير ١٩٥٨ قرر إيفاد مبعوث خاص هو اللواء « حافظ اسماعيل » إلى دمشق لكي يقوم بنقل وجهة نظره إلى المجلس العسكري الذي يضم زعماء الكتل في الجيش السوري . وكانت نداءات الوحدة قد بدأت تصل إليهم ، وراحوا بدورهم يندفعون في تيارها . وكانت وجهة نظر « جمال عبد الناصر » تتلخص في أنه يوافق على الوحدة بين مصر وسوريا ، ولكنه يرى أن هذه قضية أخطر بكثير من مجرد إجراء يتخذ لمواجهة أزمة طارئة معينة ، وأن الوحدة لكي تقوم على أساس سليم ينبغي أن يجري الإعداد لها بعناية ، وفي تقديره أن هذا الإعداد يقتضي فترة لا تقل عن خمس سنوات . وكان الاتجاه الواضح بين أعضاء المجلس العسكري هو أنه في الظروف الحالية ، فإن البدء بالوحدة قد يكون أدعى للسلامة على أن تحل المشاكل الضرورية لمرحلة الإعداد في أثناء قيام دولة الوحدة وفي ظلها .

وكانت الأمور في دمشق تتحرك بسرعة ، فإن وصول القوات المصرية إلى سوريا ، ووجود خطة عسكرية مطروحة للدفاع عن حدودها إزاء مخاطر متعددة المصادر - فرض إجراء تحركات واسعة النطاق لتشكيلات الجيش السوري ، ولم يكن قادة الكتل المتنازعة في الجيش السوري على استعداد لتنفيذ هذه التحركات التي كان من شأنها تجاوز انقسامات الكتل وتربصها ببعضها .

وعقد المجلس العسكري الممثل لكل الكتل في الجيش السوري اجتماعات متواصلة ، وكانت المخاوف الذاتية تغالب الخطر المائل وضروراته ، وتأزم الموقف

واشتدت درجة حروجه إلى الحد الذي دعا بعض قادة الكتل إلى إعلان حالة الاستنفار في وحداتهم التي تواجه بعضها البعض ، وأكثر من ذلك فإن بعض قادة هذه الكتل قضوا ليالي بأكملها ساهرين داخل وحداتهم مخافة أن تسبقهم كتلة أخرى إلى حركة مفاجئة . ثم تنادى الجميع إلى اجتماع لحل الموقف الشائك والدقيق بينهم ، وتداعياته المحتملة والخطرة على الأمن الوطنى لسوريا ، والأمن القومى بصفة عامة - وإذا بالرأى الغالب بينهم أن أحدا منهم لا يستطيع أن يطمئن إلا بتسليم مقاليد الأمور جميعا إلى « جمال عبد الناصر » فهو وحده القادر على الفصل بين الأطراف المتعارضة ، والتي استحكمت الشكوك بين بعضها البعض . ولم ينفذ الاجتماع إلا وقد طلب المشاركون فيه إعداد طائرة خاصة تحملهم إلى القاهرة لمقابلة « جمال عبد الناصر » لكى يمسك بنفسه بزمام الأمور ، ويتولى حسم المواقف ، ويقبل بوحدة فورية بين البلدين تنقل إليه مسؤولية المصائر وتحمله وحده تبعة توجيهها .

وكان الوقت منتصف الليل في دمشق !



كانت طائرة الوفد العسكرى السورى فوق مطار القاهرة في الساعة الثانية من منتصف الليل يوم ١١ يناير ١٩٥٨ . وكان ركبها أربعة عشر ضابطا من أعضاء المجلس العسكرى^(٥) ، وكانوا يحملون معهم مذكرة بطلب الوحدة الشاملة الفورية وقعوا عليها جميعا قبل سفرهم من دمشق ، وانتهت إلى القول بالنص : « إن القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة السورية ، شعورا منها بمسؤوليتها القومية ودورها التاريخى ووفاء منها للشعب العربى في سوريا الذى حملها مسؤولية الدفاع عن بقائه وسلامته لتعلن أن كل وحدة لا تنبنى على الأسس السابقة الذكر - ليست إلا تحالفا بين جيشين تابعين لدولتين منفصلتين ، ذلك أن متطلبات الدفاع وسلامة الأمة وحفظ كيائها في عصرنا الحاضر تقتضى دمج الشعوب العربية المتحررة في كيان واحد لتساهم في تحرير بقية الوطن العربى ، وتقوم بواجبها لصون السلم العالمى .

كما تعلن القيادة العامة باسم جميع القوات المسلحة أنها على أتم استعداد لتحمل جميع الواجبات الدفاعية التى تقتضيها الوحدة الفورية ، وتعتبر نفسها منذ الآن ملزمة بتنفيذ كل ما تتلقاه من أوامر وتوجيهات تعطى إليها من القيادة العامة الموحدة مهما ترتب على هذا التنفيذ ، وفي الوقت نفسه

(٥) المجلس بكامل هيئته يتكون من ٢٤ عضوا .

تحمل كل حكومة أو فئة تتهاون في تنفيذ هذه الوحدة خطورة ونتيجة عملها تجاه الشعب العربي بأسره ، وتجاه الأجيال العربية الصاعدة . »

وأحدث وصول طائفة الوفد إلى مطار القاهرة ونزول هذه المجموعة من الضباط السوريين منها ارتباكاً في مطار القاهرة ، وجرى الاتصال على عجل باللواء « عبد الحكيم عامر » ، وكان فجر يوم ١٢ يناير قد بدأ في الطلوع ، وأشار « عبد الحكيم عامر » على أعضاء الوفد بأن يتوجهوا إلى قصر « الطاهرة » لكي يناموا فيه بضع ساعات للراحة ، وبعدها فإنه سوف يكون مستعداً للقائهم .

كان « جمال عبد الناصر » في أسوان في صحبة ضيفه « أحمد سوكرانو » رئيس جمهورية « اندونيسيا » والذي كان يقوم بزيارة رسمية إلى مصر في ذلك الوقت واتصل « عبد الحكيم عامر » بالرئيس « جمال عبد الناصر » في أسوان ، وطلب « عبد الناصر » من « عبد الحكيم عامر » أن يقابلهم ، وأن يستمع إليهم ، ثم يخبرهم أنه - أي الرئيس - سوف يقابلهم فور عودته من أسوان .

والتقى اللواء « عبد الحكيم عامر » يوم ١٤ يناير بمجموعة الضباط السوريين الأربعة عشر واستمع إليهم مطولاً ، ولم يبد رأياً فيما سمع مكتفياً بالقول بأن الرئيس سوف يسمعهم ، ويتحدث إليهم برأى مصر فيما يطرحوه .

وفي اليوم التالي ١٥ يناير ، وفي الساعة الثامنة مساءً استقل أعضاء الوفد سيارات وضعت تحت تصرفهم متوجهين من قصر « الطاهرة » إلى بيت « جمال عبد الناصر » في منشية البكرى . وجلسوا في نصف دائرة حوله ومعهم « عبد الحكيم عامر » وبدأوا بتقديم المذكرة المكتوبة التي حملوها معهم من دمشق موقعة من كل أعضاء المجلس العسكري بطلب الوحدة الفورية . وأمسك « جمال عبد الناصر » بالمذكرة ، ووضعها تحت منفضة على مائدة أمامه قائلاً لهم : « إن الموضوع أخطر من أية أوراق أو مذكرات . وأنا سمعت من عبد الحكيم ملخصاً عما تحتويه هذه المذكرة ، ولن أقرأها أمامكم الآن وإلا كنا نقفز إلى النتائج دون أن نتحرى مقدماتها وأسبابها » . ثم أضاف : « إنني أرسلت لكم وجهة نظري في موضوع الوحدة ، وأننا لسنا مستعدين لها قبل خمس سنوات ، ولا أعرف ما الذي استجد خلال الأسبوعين الأخيرين بما يدعوكم الآن إلى المطالبة بالوحدة الفورية ؟ » .

وبدأوا يتكلمون^(٦) .

(٦) المحضر الكامل لوقائع الاجتماع في الملف رقم ٣٧٤ (شؤون عربية) الذي كان محفوظاً في أرشيف منشية البكرى ، وهو مكتوب بخط اليد ، وفي الأرجح أن كاتبه هو أحد كبار الضباط المصريين من هيئة أركان الحرب الذين كانوا يقومون بدور ضباط الارتباط مع الوفد العسكري السوري .

وصفوا حالة الفرقة بينهم ، وقد أدت إلى إعلان حالة الاستنفار الدائمة في الشكنات لأن كلا منهم يتوجس من الآخر « والبلد يمكن أن تضيق فيما بينهم » . ثم وصفوا حالة الانقسام بين الأحزاب السورية التي توزعت اتجاهاتها السياسية إلى درجة توشك أن تحدث فتنة ، ثم تحدثوا عن تسلل بعض الشيوعيين إلى أعصاب حساسة داخل سوريا ، وعن نشاط خالد بكداش الذي حول حى الأكراد في دمشق إلى قلعة مسلحة لا يجسر على الاقتراب منها غريب .

ثم تحدثوا عن أسلحة تقوم أجهزة الأمن في حلف بغداد بتفريغها عبر الحدود إلى سوريا في نفس الوقت الذي تتكاثر فيه الحشود العسكرية على الحدود التركية والعراقية مدفوعة بتحريضات أمريكية سافرة .

ثم تحدثوا عن الشخصيات السورية السياسية « المتهاكة » في رأيهم ، وأن كلا منهم قد باع نفسه لعاصمة عربية ، أو أجنبية تدفع له الأموال الطائلة بما يؤدي إلى أن سوريا أصبحت وطنًا معروضًا للبيع .

كان « جمال عبد الناصر » يصغى باهتمام . وحين أحس أنهم قد أفرغوا همومهم أمامه بدأ يتكلم قائلاً :

« لابد أن أقول لكم إن كل ما سمعته منكم لا يبرر قيام وحدة ، فما ذكرتموه جميعاً لا يخرج عن كونه أسباباً سلبية ، وهذه الأسباب السلبية سوف تكون عبئاً على الوحدة أكثر مما تكون قوة دافعة لها » . ورد أحدهم قائلاً : « ولكن الشعب في سوريا كله يطلب الوحدة ، والوحدة هي المطلب الدائم بالنسبة للشعب السوري ، والوحدة مع مصر بالذات هي التيار الكاسح في سوريا الآن » .

وتدخل ضابط آخر من بينهم يقول : « إن الناس في سوريا يحسون أنهم مقبلون على الوحدة ، وأن مصر تصدهم . ومجلس النواب السوري اتخذ قراراً بالوحدة مع مصر ، ولكن مجلس الأمة المصري لم يستجب ، وإنما ظل أسابيع طويلة متردداً ومحجماً دون أن يجيب عملياً على النداء الموجه إليه من المجلس النيابي السوري . وبأمانة فإن هذا وضع جرح للمشاعر الشعبية في سوريا » .

ورد « جمال عبد الناصر » قائلاً : « إنني لست في حاجة إلى أن أؤكد لكم أنني وحدوي بمشاعري وتفكيري ، لكن الوحدة ليست عملاً سهلاً . ولست أخفى عليكم أننا بدأنا بالكاد بعد معارك عنيفة ضد الاستعمار نوجه كل طاقتنا لبناء مصر ، وأمل في بناء مصر هو أن تكون قاعدة قوية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لنضال بقية الشعوب العربية . إن أمل أن نجعل من

مصر نموذجا لامكانيات العمل الوطنى ، وبرغم ما فى ذلك من مشقة فاعتقادى أن هذا هو طريقنا الوحيد ليس فقط لتطوير مصر ، ولكن للوحدة أيضا . فعندما نجعل من مصر بلدا نواة لامكانيات التطور العربى - فإن ذلك سوف يكون له أثره فى تدعيم الدعوة إلى الوحدة عمليا وواقعا وإيجابيا . وقاطعه أحد الضباط قائلا : « سيادة الرئيس . تريد أن تعمل لمصر وتترك سوريا التى علقت آمالها على مصر وعليك . أنا أقول وأمرى إلى الله إنك بذلك تتخلى عن دعوة القومية العربية من أجل مصر وحدها » .

وابتسم « جمال عبد الناصر » ثم قال لمحدثه : « ما دمت قد أثرت أن تتكلم معنى بهذه الصراحة ، فلا بد لى أن أبادلك القول بمثلها . فإذا تكلمنا بوضوح ، فلا بد لى أن أقول لكم إننى أعرفكم جميعا ، وأعرف حسن مقاصدكم ، ولكن لى سؤال واحد محدد يلج على منذ أن بدأت تتكلمون ، وسؤالى هو : ما هى صفتكم التى تبيح لكم أن تتحدثوا معنى فى هذا الأمر ، وأنتم غير مسؤولين سياسيا ؟ وسؤال آخر : هل تعرف الحكومة فى دمشق أنكم سوف تتحدثون معنى عن الوحدة ؟ وإذا كانت تعرف ، فلماذا لم يوضع الأمر فى إطاره السياسى الشرعى الصحيح ؟ وإذا كانت الحكومة لا تعرف ، فمن حقى إذن أن ألج على سؤال وهو من أنتم وما هى صفتكم ؟ - هل يعرف الرئيس شكرى القوتلى بما جئتم تحدثوننى فيه ؟ » ورد أحد الضباط قائلا : « إننا بعثنا أمين النفورى (أحد أعضاء المجلس العسكرى ونائب رئيس هيئة أركان حرب الجيش) إلى شكرى القوتلى ليخبره بأننا هنا ، وليحيطه علما بالسبب الذى جئنا من أجله وهو يمثل رأى الجيش ، وليس أمام شكرى القوتلى إلا أن يقبل ، فهو لا يستطيع أن يعارض أى شىء نطلبه » . ومد « جمال عبد الناصر » يده وأمسك بالمذكرة التى كان قد وضعها تحت المنفضة على المائدة ، وقال : « متأسف . إننى لا أستطيع أن أقبل هذه الأوضاع ، وأنا أعرف أنكم تمسكون بأيديكم بزمam القوة الحقيقية فى سوريا . ولكنى من ناحيتى لا أقبل فى مثل هذه الأمور أن أتحدث ، أو أبحث إلا مع حكومة مسؤولة شرعيا ودستوريا » .

وساد الصمت . ثم قطعه أحد الضباط بقوله : « سيادة الرئيس . هل تعطينا وقتا نتصل بالحكومة ؟ سوف نبعث إذا وافقت برسول منا بالطائرة إلى الحكومة يعرض عليها الموقف ويستطلع رأيها ، وسنبقى نحن هنا حتى يعود الرسول برأى الحكومة الرسمى . ولا نريد أن نمشى من هنا إلا ونحن نعرف قرارك إلى أين بالتحديد » .

ودعاهم « جمال عبد الناصر » إلى الانتقال معه إلى مائدة العشاء ، وأن يتحدثوا معه فيما يشاءون إلا موضوع الوحدة .

وفي الفجر قامت طائرتهم من القاهرة متوجهة إلى دمشق . وفي عصر اليوم ذاته عادت الطائرة ، وعليها الأستاذ « صلاح البيطار » وزير الخارجية السورية ممثلاً رسمياً للحكومة في دمشق..



كانت دمشق في حالة ارتباك شديد . فقد فوجئ الرئيس « شكري القوتلي » عندما علم بسفر الضباط إلى القاهرة ، واطلع على مذكرتهم بطلب الوحدة . وكان تعليقه الأول أن هذا انقلاب عسكري سافر على السلطة . ثم تمالك أعصابه بعد قليل ليقول إنه هو أول المطالبين بالوحدة ، وأنه في خطابه يوم إعلان الاستقلال كان هو القائل وهو يرفع العلم السوري بأنه يتمنى أن يعيش إلى اليوم الذي يرفع فيه علم الوحدة فوق علم الوطن . ثم بدأ يهدأ أكثر ، ويقول إنه هو الذي كان يجب أن يسافر إلى القاهرة ، وأن يبحث الموضوع مع « جمال عبد الناصر » . وأبدى الرئيس « القوتلي » بعد ذلك ارتياحه عندما علم بما دار بين « جمال عبد الناصر » وبين الضباط الذين سافروا إلى القاهرة ، وكيف أن « جمال عبد الناصر » أصر على أنه لا يستطيع أن يبحث الأمر إلا مع الحكومة الشرعية المسؤولة في دمشق .

ولقد أدرك الرئيس « القوتلي » بالتأكيد أن زمام الموقف قد أفلت من يده ، وأنه ليس في وسعه غير أن يساير اتجاه الحوادث أو يتنازل عن الرئاسة ، وفي هذه الحالة فإنه سوف يضع نفسه في موقف المعارض لمطلب الوحدة . وهكذا وافق على سفر وزير الخارجية الأستاذ « صلاح البيطار » رغم أن علاقاته بحزب البعث الذي يحتل فيه « صلاح البيطار » موقعا قياديا كانت مفعمة بالشكوك التي تصل إلى حد الكراهية .

ولم يلتق الأستاذ « صلاح البيطار » بـ « جمال عبد الناصر » يوم وصوله إلى القاهرة . فإن « جمال عبد الناصر » كان يريد قبل مقابلة الممثل الرسمي للحكومة السورية أن يبحث القضية المطروحة بتأن وهدوء . كان يدرك منذ اللحظة الأولى أن الظروف تفرض عليه أن يقبل شكلا من أشكال الوحدة . فعدم القبول كان يعنى في هذا المناخ احتمال دفع سوريا إلى انفجار من الداخل لا يمكن تطويق نتائجه لا على مستوى الجيش السوري ، ولا على مستوى الشعب الذي بدأ يعرف بما يجري في القاهرة ، وراحت مظاهراته العارمة تجتاح كل المدن السورية بلا استثناء منادية بالوحدة ، ومردة هتافا واحدا : « بدنا الوحدة باكر باكر . . . »

وفي يوم ١٦ يناير كان مجلس الأمة المصري يقيم احتفالاً بذكرى إصدار دستور ١٦ يناير ، وأقام السيد « عبد اللطيف البغدادي » مأدبة عشاء دعا إليها مجموعة الضباط السوريين الموجودين في القاهرة وقتها ، ومعهم الأستاذ « صلاح البيطار » . وأحدث وجودهم في احتفال المجلس جوا ملتها من الحماسة ، وحين دخل « جمال عبد الناصر » إلى مبنى المجلس ليشترك في الاحتفال فوجيء بأن المجلس كله قد تحول إلى مظاهرة عارمة تطالبه بالوحدة . وتقدم الأستاذ « صلاح البيطار » من الرئيس « جمال عبد الناصر » يقول له : « لقد جئت ممثلاً للحكومة السورية أحمل طلباً رسمياً منها بإقامة دولة الوحدة » . وكان هذا على مسمع من الجميع . وانفجرت القاعة حماسة إلى درجة أن كثيرين فيها أجهدوا بالبكاء وانتابت بعضهم نوبات هستيرية ، فإذا صراخهم يتعالى بطلب الوحدة فوراً . واستطاع « جمال عبد الناصر » تهدئة المشاعر بأن قال لـ « صلاح البيطار » وللمجموعة الضباط الذين أحاطوا به بأنه سوف يجتمع بهم غدا ، لكنهم أصروا على أن يجتمعوا به في نفس الليلة ليسمعوا قراره لأنه من الضروري بالنسبة لهم أن يعودوا إلى وحداتهم ، وإلا فإن حماسة الموقف قد تتولد منها شرارة في جو ملتهب بالعاطفة . وانتهى العشاء قيل منتصف الليل بقليل ، وتوجه « عبد الناصر » إلى بيته ووراء رتل من السيارات يقل وزير خارجية سوريا والممثل الرسمي لحكومتها ، وأربعة عشر ضابطاً سورياً يمثلون الكتلة المتحركة في الجيش السوري والحاكمة فعلاً في دمشق ، وعدداً من المسؤولين المصريين .

وفي الساعة الثانية عشرة والربع بعد منتصف الليل كانوا جميعاً جالسين حول « جمال عبد الناصر » في صالون بيته . في نفس الموضع التي كانوا فيها قبل ليلتين تماماً . ولم ينتظر بعض الضباط حتى يجلس الكل على مقاعدهم ، وإنما بادر أحدهم بالقول : « سيادة الرئيس . إنك رفضت أن تستمع إلينا ، وطلبت الرأي الرسمي للحكومة . وقد جاء وزير الخارجية يحمله » . وبدأ « صلاح البيطار » دون انتظار يقول كلمته : « إن الحكومة السورية تريد إتمام الوحدة كمطلب شعبي وقومي دائم ، وكطريق لا بديل غيره إلى استقرار سوريا » . ومضى « صلاح البيطار » يشرح ما لديه . فعرض لحديث طويل عن ضرورة الوحدة ومطلبها . ثم تحدث عن الظروف العربية والدولية والداخلية التي تجعل اللحظة مناسبة تماماً « للفعل الوحدوي » على نص تعبيره لأنه أصبح فوق كونه حلماً ضرورة مصير .

وبدأ « جمال عبد الناصر » يبدى بعض التحفظات . وتدافع أربعة عشر ضابطاً سورياً إلى الحديث يعرضون كل ما لديهم من حجج وآراء ، و « جمال عبد الناصر » يناقش ويرد ، وفي الساعة الخامسة والربع صباحاً نظر في ساعته ، وقال : « إن الفجر

قد طلع فعلا ونحن هنا ما زلنا نتكلم . واضن اننى الآن مطالب بأن اقول لكم رأىى
النهائى . وسكت الجميع وتعلقت أبصارهم به ينتظرون ما بدا لهم أنه حكم مصير .
وقال « جمال عبد الناصر » :

« إننى مستعد لقبول المبدأ . وأنا اقبله تحقيقا لمطلب الشعب السورى ،
وبصراحة لأننى أخشى على سوريا أن تضيع . ولكن لدى ثلاثة شروط ، وأنا
أعرف مقدما أن بعضها صعب ، ولكنها بالنسبة لى لا تقبل أنصاف حلول

- ١ - أن يجرى استفتاء شعبى على الوحدة فى مصر وسوريا حتى يقول
الشعبان فيهما رأيهما الحر ، ويعبران عن إرادتهما واختيارهما
- ٢ - أن يتوقف النشاط الحزبى السورى ، وأن تقوم كل الأحزاب
السورية دون استثناء بحل نفسها .

٣ - أن يتوقف تدخل الجيش فى السياسة توقفا تاما ، وأن ينصرف
ضباطه إلى مهامهم العسكرية ليصبح الجيش أداة دفاع وقتال ، وليس
أداة سلطة فى الداخل وسيطرة . ومعنى هذا « على المكشوف » أن كل
قادة الكتل وأولهم أعضاء المجلس العسكرى جميعا عليهم أن يخرجوا
من صفوف الجيش ليستغلوا بالسياسة لأنهم بالفعل مشتغلين بها .
هذه هى شروطى .

وسكت وساد الصمت عدة ثوان . وأحس « جمال عبد الناصر » أنهم جميعا
مأخوذون بالمفاجأة ، وأنه من المناسب أن يواصل حديثه تفصيلا ليعطيهم وقتا لتمالك
الأعصاب ، وهكذا استطرد ليقول :

« إننى أعلم أنكم ستوافقون على شرط الاستفتاء الشعبى ، لكن الشرطين
الثانى والثالث فى اعتقادى لا يقلان أهمية عن شرط الاستفتاء . إن الأخ صلاح
البيطار هنا معنا وهو ممثل لحزب البعث . وحزب البعث من أكبر الأحزاب
السورية . ثم من ناحية أخرى أنتم هنا ١٤ ضابطا تمثلون كتلا مختلفة فى
الجيش ، وهذه الكتل أقرب إلى أن تكون أحزابا مسلحة منها إلى تشكيلات
عسكرية . وسؤالى هو لصلاح البيطار أولا : هل حزب البعث على استعداد لأن
يحل نفسه ويوقف نشاطه الحزبى ؟ ثم سؤالى لكم ثانيا : هل تقبلون الابتعاد
عن السياسة والخروج من الجيش ، وهل يقبل ذلك بقية زملائكم ؟ إن ما أقوله
لكم هو ما فعلته فى مصر حتى مع الذين خرجوا معى ليلة ٢٣ يوليو ليقوموا
بالثورة . لقد قلت لهم جميعا إنه باشتراكهم فى الثورة قاموا بعمل سياسى ، وهو

عمل سياسي وطني يستحق التقدير ، ولكنهم بعده لم يعودوا صالحين لنظم الجيش وتقاليدته ولضرورة تسلسل القيادة فيه حتى تظل له كفاءته القتالية .

إن الذين كانوا معي في اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار خرجوا معي من الجيش ، وأصبحوا وزراء سياسيين ، والذين شاركوا في عملية الثورة طلبت منهم أن يبتعدوا عن الجيش ، وأن يبدأوا أدوارا جديدة في الحياة المدنية » .

وكان « جمال عبد الناصر » قد نقل رسالته كاملة ، فتوقف وسأل : « هذا ما أرى ، فهل أنتم على استعداد له ؟ »

وتحمس بعض الضباط قائلين : « إنهم يفعلون ما يأمرهم به الرئيس » .
وقال السيد « صلاح البيطار » : « إنه سوف يعود في شأن ما سمع إلى قيادة حزب البعث » .

وقال « جمال عبد الناصر » : « لقد طلع نور الصباح فعلا ، فاذهبوا الآن وحاولوا أن تفكروا ، ولكن ناموا أولا قبل أن تفكروا وخذوا وقتكم في التفكير » .



كانت الحوادث طوفانا لا يقدر على احتجازه سد أو خزان ، وجرت الحوادث تتدفق أمواجا بعد أمواج .

سافر معظم الضباط إلى دمشق ، وهناك لم تتوقف مناقشاتهم ساخنة ملتهبة في بعض الأحيان - وفي نهاية المطاف قبلوا بشروط « جمال عبد الناصر » وقاموا بإيفاد « عبد الحميد السراج » لإبلاغه بتصميمهم على أنهم يقبلون بما يشاء في سبيل الوحدة الشاملة ، وكان رأى « عبد الحميد السراج » أن الموقف لم يعد فيه خيار ، فإما الوحدة بين مصر وسوريا ، وإما الطوفان !

وسافر « صلاح البيطار » واجتمعت قيادات حزب البعث ، وجرت مناقشات أشبه بمبارزات السيوف - ثم أعيدت السيوف إلى أغمادها تسليما بأنه لا حل آخر غير الوحدة - أو انهيار سوريا .

وفي الحقيقة فإن أحدا - مهما كانت هواجسه وتحفظاته - لم يكن في مقدوره أن يتلكأ فضلا عن أن يعترض ، فقد خرج زمام الحوادث من دور الحكم والأحزاب ، ومن المعسكرات والثكنات ، وأصبح الزمام في الشارع - في شوارع كل مدينة وقرية في سوريا .

وكان الرئيس « شكري القوتلي » هو أول من وجد التعبير الصحيح عن الوضع في الشارع السوري ، ففى بداية اجتماع لمجلس الوزراء عقد في القصر الجمهوري يوم ٣٠ يناير جلس « شكري القوتلي » على مقعده ، ثم راح يردد الآية الكريمة : « قضى الأمر الذي فيه تستفتيان » وراح يكررها مرة بعد أخرى .

وفي اليوم التالي كان يركب الطائرة من دمشق في طريقه إلى القاهرة . ويوم أول فبراير كان من نصيب رئيس الوزراء السوري « صبري العسلي » أن يعلن الاتفاق على أسس الوحدة بين مصر وسوريا .

وفي يوم ٥ فبراير انعقد في القاهرة اجتماع لمجلس الأمة المصري ، وفي دمشق اجتماع لمجلس النواب السوري (تغيب عن الجلسة نائب سوري واحد هو السيد « خالد بكداش » زعيم الحزب الشيوعي السوري الذي رفض أن يحل نفسه ، وغادر دمشق قبل إعلان الوحدة بيوم واحد متوجها إلى صوفيا عاصمة بلغاريا) . واتخذ المجلسان قرارا بالموافقة على طرح أسس الوحدة لاستفتاء عام يجري يوم ٢١ فبراير مع ترشيح « جمال عبد الناصر » رئيسا لدولة الوحدة التي اتخذت لنفسها اسم « الجمهورية العربية المتحدة » .

وجرى الاستفتاء ، وكانت نتيجته موافقة كاسحة على إقامة دولة الوحدة ، وعلى انتخاب « جمال عبد الناصر » رئيسا لها .

ووصل « جمال عبد الناصر » إلى دمشق لأول مرة في حياته يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٨ - رئيسا منتخبا لبلد لم تطأه قدماء من قبل ، وكان وصوله واستقباله في دمشق مشهدا من التاريخ العربي لا ينسى وإن ابتعدت بعده السنين . . .

وكتب السيد « عدنان مندريس » رئيس وزراء تركيا إلى وزير الخارجية الأمريكية « جون فوستر دالاس » يقول : « إن تطورات الموقف في حاجة إلى إعادة تقدير . فلقد نمت أمس ، وعلى حدودى الجنوبية دولة تعدادها ستة ملايين ، واستيقظت صباح اليوم ، وعلى حدودى الجنوبية دولة تعدادها ستة وثلاثون مليونا » .

ولم تكن دمشق محاصرة ، وإنما كانت دمشق على موقف الهجوم !

الباب الثالث

بوابات بغداد

« أسراراً غامضة أقل ،
وإدراكاً واعياً أكثر - تلك
أول ضمانات الصحة
النفسية لأي شعب
أو أمة »

الفصل الأول

رسائل وقنابل !



كان المجلس الوزارى لحلف بغداد مجتمعاً فى أنقرة على مستوى رؤساء الحكومات فى نفس اليوم الذى طار فيه الرئيس « شكرى القوتلى » إلى القاهرة ، ومعه رئيس وزرائه « صبرى العسلى » الذى قدر له أن يلقى بيان إعلان الوحدة بعد ذلك بيومين فى القاهرة . وبدأت أخبار الحوادث الجارية فى دمشق والقاهرة تقرر أسماع وأبصار المجتمعين فى أنقرة ، وفى مقدمتهم « جون فوستر دالاس » وزير خارجية الولايات المتحدة الذى أثر أن يحضر الاجتماع بنفسه عندما تقرر أن توضع الخطط النهائية للزحف على سوريا .

كان على المجتمعين فى أنقرة أن يوقفوا اجتماعاتهم ، وأن يعيدوا ترتيب أفكارهم من جديد لمواجهة ما قد تسفر عنه التطورات المتلاحقة فى القاهرة ودمشق . واتصل « جون فوستر دالاس » يوم ٣٠ يناير ١٩٥٨ تليفونيا بنائبه فى واشنطن المستر « كريستيان هيرتر » وتباحث معه فى آخر التطورات ، ثم وجه إليه بعض التعليمات . وفى ٣٠ يناير ، وبعد مكالمته مع « دالاس » الذى كان لا يزال فى أنقرة كتب المستر « كريستيان هيرتر » مذكرة إلى الرئيس « ايزنهاور » فى البيت الأبيض جاء فيها بالنص ما يلى :



حلف بغداد في انقرة قلقهم الشديد من النتائج
«سري» ، أي ليس ان سرب حتى وحدة مصر وسوريا .

« سري^(١) »

مذكرة للعرض على الرئيس

في اثناء اجتماع حلف بغداد الذي عقد في انقرة ، والذي انتهى للتو - اعربت الوفود الحاضرة عن قلقها الشديد للنتائج الخطيرة التي يمكن ان تترتب على الوحدة المقترحة بين مصر وسوريا . واعلن نوري السعيد رئيس الوفد العراقي ان الذي يحرض على الوحدة هم الروس وناصر ، وان الهدف الاخير هو السيطرة على العالم العربي . ووافق الاثراك والايروانيون والبريطانيون على ان الوحدة امر خطير ، واقروا ما ذكره العراقيون من ضرورة مقاومتها ، والسؤال هو : كيف ؟

ووافق وزير الخارجية (يقصد دالاس) على ان الوحدة خطرة ، وان هناك احتمالا كبيرا بان تكون مؤيدة من الروس ، وانها اذا تحققت فسيكون هناك خطر كبير لابتلاع الاردن ولبنان ، وتعريض العراق والمملكة العربية السعودية للخطر ، وان الامر لن يكون مجرد سيطرة ناصر بل سيطرة السوفيت . و اضاف الوزير ان الولايات المتحدة تود ان تساعد اصديقاءها العرب في هذا الموضوع ، ولكن من

(١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الامريكية - الملف (ر) بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٥٨ .

الصعب عليها أن تفعل ذلك إذا لم يكن هناك موقف موحد من جانبهم . واقترح أن تحاول العراق تنسيق موقف كهذا مع لبنان والأردن والمملكة العربية السعودية وقال : إن الولايات المتحدة على استعداد لأن تبعث برسائل إلى هذه البلدان الثلاثة تحثها على التعاون في ذلك مع العراق . ووافقت الدول الأخرى الحاضرة في اجتماع انقرة على أن تبعث برسائل مماثلة .

واقترح علينا الوزير (يقصد دالاس أيضا) أن تكون مخاطبتنا مع المملكة العربية السعودية في صورة رسالة منكم إلى الملك .

توقيع

كريستيان هيرتر

القائم بأعمال الوزير

وصباح أول فبراير ١٩٥٨ استجاب الرئيس « ايزنهاور » لاقتراح وزير خارجيته « جون فوستر دالاس » كما نقله إليه « كريستيان هيرتر » نائب الوزير ، فكتب إلى الملك « سعود » خطابا شخصيا نصه كما يلي :^(٢)

« سرى »

صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

يا صاحب الجلالة

نظرا للقيمة الكبيرة التي استخلصها من الفرص التي اتاحت لي مسبقا للتشاور معكم بشأن التطورات في الشرق الأوسط ، فأني أسمح لنفسى بمخاطبتكم في موضوع الخطط التي أعلن عنها للتو بهدف إقامة وحدة بين مصر وسوريا يقال إنها ستتخذ اسم الجمهورية العربية المتحدة . ومعلوماتنا عن هذا التطور وعن القوى الخفية وراءه لم تستكمل بعد . بل إن المعلومات التي وصلتنا متضاربة إلى حد ما . ومع ذلك فمن الواضح لنا أن الوحدة المقترحة ستكون لها آثار خطيرة على الدول العربية الأخرى التي تجمعنا بها علاقات ودية .

ولكننا لكي نتمكن من اتخاذ قرار بشأن ما إذا كنا نستطيع أن نساعد اصدقاءنا العرب ، نحتاج إلى أن نعرف آراءهم ومواقفهم . وقد فهمت أن حكومة العراق تعزمت التشاور مع حكومة جلالته ، ومع حكومتى الأردن ولبنان في الموقف الذى يمكن اتخذه . واعتقد أن هذا التشاور سيكون بناء . وأمل أن ترحبوا بجلالتكم بإطلاع هذه الدول العربية على آرائكم ومشورتكم في هذا الخصوص .

(٢) ملفات الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية - الوثيقة رقم ١٢٠٦٥ د .

وإنى مهتم اشد الاهتمام بآراء جلالكم في هذا الموضوع . واطلع لان اتلقاها
في اقرب فرصة ممكنة .
حفظكم الله ورعاكم .

صديقكم المخلص
دوايت ايزنها



لا تشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية أو البيت الأبيض إلى
الرئيس « ايزنهاور » تلقى رداً من الملك « سعود » على هذه الرسالة الموجهة
والحقيقة ان الملك « سعود » كان مشغولاً عن رسائل « ايزنهاور » بشأن الو
بين مصر وسوريا - بما هو اهم . فقد كادت المواجهة المباشرة بينه وبين « ج
عبد الناصر » تنفجر ، وإن يحدث انفجارها دوايت في المنطقة وفي العالم
ولكى يكون السجل أميناً ، فإن العلاقة بين الرجلين كانت قد بدأت با
ممتازة حينما أدى « جمال عبد الناصر » فريضة الحج سنة ١٩٥٤ والتقى لأول
بطريقة رسمية بالملك « سعود » الذى خلف والده الملك « عبد العزيز » على العرش
مرحلة كان دخل البترول فيها قد بدأ ينقل السعودية إلى عوالم الغنى الباذخ . ويدا
القول على نحو ما إن العلاقة بين البدوي الملك ، والضابط الرئيس وصلت إلى د
حميمة منذ اللقاء الأول . فقد كان كلاهما يتوسم في الآخر خيراً . ف « ج
عبد الناصر » كان يؤمن بأن الملك عربى شهم ، كما أن الملك بدوره كان يؤمن
« جمال عبد الناصر » رجل شجاع وقوى ، وكان كلاهما يدرك أهمية العلاقات
السعودية ومصر ، وقد فتح كلاهما قلبه للآخر إلى درجة أن « جمال عبد الناصر
لقاء بينهما في مكتب الملك ، وبعد أن انتهت المحادثات الرسمية بينهما - قال : «
يريد أن يتحدث معه حديثاً خاصاً يفتح له فيه قلبه » . ورحب الملك . و
« جمال عبد الناصر » : « إن الناس يتحدثون كثيراً عن الطريقة التى تصرف
اموال البترول ، وخصوصاً في بناء القصور وما تحتويه من مظاهر البذ
وهو - أى جمال عبد الناصر - يرى أن دخل البترول على هذا النحو يضع
لا طائل وراءه في حين أن التقدم العلمى سوف يؤدي إلى أن يفقد البترول قدا
كمصدر للطاقة بعد أن تحل الطاقة النووية محله ، قبل نهاية القرن . وإن
الضرورى استغلال هذه الفترة ، أو عصر البترول لاعادة بناء المملكة العر
السعودية من دخله بناء سليماً بحيث تظل للبترول فائدته الباقية ، والدا
حتى بعد انتهاء عصره » .

وكان الملك يهز رأسه موافقا ، وقد سأل « جمال عبد الناصر » قائلا : « وبماذا تشير على ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » قائلا له : « رأيى - وسامحنى فى صراحتى - أنه بدلا من بناء القصور ، فإن الأولى تكريس الأموال للصرف على بناء المصانع والمدارس والمستشفيات » . وطال الحديث بينهما فى هذا الموضوع . وعندما انتهى اللقاء ، وخرج الاثنان من مكتب الملك إلى الردهة التى كان ينتظر فيها الأمراء والوزراء ورجال الدولة - إذا بالملك « سعود » يقول للجميع : « هل تعلمون ماذا قال لى أخى ؟ » ثم روى الملك تفاصيل ما أشار به عليه « جمال عبد الناصر » . ثم أضاف بعد أن انتهى من تلخيصه للحديث : « هذا كلام صديق ، وصديقك من صدّك لا من صدّك » .

واستمر التعاون بين الرجلين وثيقا ولصيقا لعدة سنوات فى مواجهة مخططات حلف بغداد . ومع أن هذه المخططات كانت معبرة عن اتجاهات السياسة الأمريكية ، فإن عداء الملك للهاشميين الذين تصرفوا ، وكأنهم دعاة حلف بغداد وأصحابه - بدا أقوى من علاقته الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية .

وعندما جاءت مقدمات معركة السويس ومضت ، وخرج منها « جمال عبد الناصر » قائدا قوميا بارزا فى المنطقة - فإن شيئا ما فى مشاعر الإخوة والصداقة بين الاثنین راح يتغير . ولعل الملك تضايق من صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتى . ولعله أيضا تضايق من أن الحملة ضد حلف بغداد اتجهت ضمن ما اتجهت إليه إلى الهجوم على الملوك دون تمييز . ولعل الملك تضايق كذلك من قرار تأميم قناة السويس الذى طرح على الساحة قضية الامتيازات التى يحصل عليها الغرب فى المنطقة كلها بما فيها مصادر البترول . ولعل الغيرة بعد ذلك وجدت طريقها إلى قلبه بسبب المكائنة التى تحققت لـ « جمال عبد الناصر » بعد انتصار السويس .

ولقد كان هناك من يستغلون هذه الاعتبارات كلها ، ويحرّضون الملك على تضخيمها لأهداف سياسية أرادوها . فلقد كانت تلك هى الفترة التى قرر فيها « أيزنهاور » على نحو ما تظهر مذكراته ومجموعات أوراقه أن « سعود » هو الرجل الذى يتعين على الولايات المتحدة أن تساعد وتهيئه لمنافسة « جمال عبد الناصر » فى المنطقة ، وليتولى قيادة العالم العربى بعد إسقاط « جمال عبد الناصر » .

وطوال الفترات الحرجة من سنة ١٩٥٦ كانت القاهرة تتلقى أنباء عما يجرى فى

القصر الملكي في الرياض ، وعما يقال فيه همسا في مجالس الملك « سعود » ، وربما كان هذا هو السبب الذي دفع « جمال عبد الناصر » لأن يقوم بزيارته إلى الدمام للالتقاء بالملك « سعود » رغم الظروف الحرجة التي أعقبت تأميم قناة السويس^(٣) . ولكن هذه الزيارة وإن بدت ناجحة على السطح ، فإنها لم تكن كذلك فعلا لأن الضغوط والحساسيات كانت أعمق وأبعد أغوارا . وبعد الزيارة بدأت القاهرة تسمع أن الملك « سعود » يشكو من بعض التصرفات المصرية . وكلف « جمال عبد الناصر » وفدا مصرية على مستوى رفيع بالسفر إلى السعودية لمقابلة الملك ، وسماع ما قد يكون لديه ، وتصفية المسائل معه على أي نحو يرتضيه . وكان الوفد مكونا من اللواء « عبد الحكيم عامر » والسيد « أنور السادات » والسيد « على صبرى » . والتقى بالملك ، وقال له « عبد الحكيم عامر » : « إن الرئيس عبد الناصر يستحلفك بالله ، وبحق ما بينكما أن تفتح لنا قلبك ، وأن تصارحنا بأى خطأ ترى أننا وقعنا فيه » . واستجاب الملك قائلا إنه لن يخفى شيئا « تحت العباءة » ثم عرض شكاويه من مصر ، وكان أهمها قضيتين :

□ الأولى : أن بعض المدرسين المصريين العاملين في السعودية يتحدثون ضده بما يعنى أنه غير سياسته إزاء مصر .

□ والثانية : أن ضباط البعثة العسكرية في الرياض يقولون كلاما لا يصح لهم أن يقولوه عن اتفاقية قاعدة الظهران التي كانت موضع مفاوضات بين الحكومة السعودية ، وبين الحكومة الأمريكية .

وأرسل « عبد الحكيم عامر » برقية من الرياض إلى « جمال عبد الناصر » في القاهرة بما سمعه الوفد المصرى من الملك « سعود » ، ورد « جمال عبد الناصر » على الفور ببرقية لـ « عبد الحكيم عامر » قال فيها بالنص^(٤) : « انقلوا إلى الملك سعود على لساني أنه مفوض بكل سلطات رئيس جمهورية مصر ، وله أن يبعد عن السعودية أى مدرس مصرى ، وأى ضابط مصرى يصدر عنه ما لا يرضيه . ونحن لن نغضب من ذلك ، ولن نعتب لأن العلاقات بين البلدين أكبر من تصرفات كل الأفراد » . وأبلغ الملك ببرقية الرئيس ، وقال لأعضاء الوفد المصرى أمام كبار رجال حاشيته « إن صدره قد انشرح » .



(٣) رجاء مراجعة تفاصيل هذا اللقاء في كتاب ملفات السويس - الصفحات من ٥٠٧ إلى ٥١٠ .
(٤) نص البرقية في أرشيف منشية البكرى في الملف رقم « ٣ » وعنوانه « مراسلات مع الملك سعود » ، وتوجد نسخة من البرقية في القيادة العامة للقوات المسلحة . كما توجد نسخ في أرشيف وزارة الخارجية .

وأحست القاهرة بارتياح لكن هذا الارتياح لم يقدر له أن يدوم طويلا . فقد كانت تفاصيل ما جرى في المفاوضات حول قاعدة الظهران يثير قلقها . كان الأمير « فيصل » هو المفاوض الرئيسى عن الجانب السعودى فى بداية المفاوضات . ووصل الأمير « فيصل » إلى اتفاق مؤداه تجديد اتفاقية القاعدة لمدة خمس سنوات مقابل إيجار قدره ٥٠٠ مليون دولار تدفع بواقع ١٠٠ مليون دولار فى السنة على أن يكون استعمال القاعدة مقصورا على تسهيل نزول الطائرات الأمريكية وإقلاعها ، وتموينها وصيانتها . ثم اقترح السفير الأمريكى أن يكون دفع الإيجار السنوى بمعدل ١٠٠ مليون دولار كل سنة يدفع نصفها نقدا ، ويدفع النصف الثانى على شكل أسلحة أمريكية للجيش السعودى . ولكن الأمير « فيصل » طلب دفع المبلغ كله نقدا بحيث يكون للسعودية مجال أوسع للاختيار . وتعثرت المفاوضات ، ولجأ السفير الأمريكى الذى كان يرأس جانب بلاده فى المفاوضات إلى الملك مباشرة ، فأصدر الملك أمره بقبول الاقتراح الأمريكى . وفوق ذلك قبل الملك بشروط ثلاثة علقت على مبيعات الأسلحة الأمريكية وفقا لهذا الاتفاق ، وكانت هذه الشروط :

١ - أن يكون اختيار وتحديد أنواع السلاح الذى تشتريه السعودية من اختصاص وزارة الدفاع الأمريكية .

٢ - أن لا يستعمل هذا السلاح ضد إسرائيل .

٣ - أن تتولى بعثة عسكرية أمريكية تحديد أماكن تجمع هذا السلاح ، والإشراف على التدريب به .

وأضيف إلى الاتفاقية فى آخر لحظة ملحق خاص تتعهد فيه الحكومة الأمريكية « بحماية العرش السعودى ضد أى خطر يتهده من الخارج أو من الداخل » .^(٥)

وكان الأغرب من ذلك كله أن الملك رأى أن يتم دفع المقابل النقدي فى اتفاقية القاعدة إليه مباشرة فى حساب خاص باسمه فى أحد البنوك الألمانية . وتلقت القاهرة معلومات بأن الجزء الأول من التحويلات المالية باسم الملك أحدث ارتباكاً فى البنك الألمانى الذى تلقاه من الولايات المتحدة^(٦) ، فقد رأى مديره : « أن المبلغ ضخم ، وأنه لا عهد للبنك بمثله فى الحسابات الشخصية وغير التجارية ، ومن ثم فإنه من

(٥) مذكرة من وزارة الدفاع الأمريكية محفوظة ضمن مجموعة أوراق الرئيس ايزنهاور فى مكتبته بابلين .

(٦) تقرير من السفارة المصرية فى جدة عن حديث السفير المصرى مع احد امراء الاسرة نقلا عن وقائع تحقيق أجرى فى هذا الموضوع بأمر من الأمير « فيصل » فى شهر مايو ١٩٥٨ .

الضرورى أن يحصل البنك على خطاب من وزير المالية السعودى حتى يتم الايداع وفقا للاجراءات القانونية والمالية .

وتحقق ذلك بالفعل ، فأرسل وزير المالية السعودى خطابا بهذا المعنى للبنك الذى لم يكتف بذلك ، وإنما طلب توقيع الملك شخصيا أمام خبراء التوقيعات ، وسافر الملك فى رحلة إلى « بادن بادن » بحجة الاستشفاء ، وكان القصد الحقيقى هو التوقيع على الأوراق أمام خبراء فى التوقيعات .



وزادت الشكوك فى القاهرة حينما عرف أن الملك فى أثناء وجوده فى « بادن بادن » قابل سرا بعض المصريين من رجال العهد الملكى السابق ، وأن أحاديث دارت بينهم حول إمكانيات إحداث انقلاب فى مصر ، وأن بعضهم وبينهم السيد « مرتضى المراغى » وزير الداخلية فى أواخر عهد « فاروق » عادوا من بادن بادن إلى بيروت ، وبدأوا يتحدثون فى مجالسهم عن إمكانية تغيير الأوضاع فى مصر !

وفى ربيع سنة ١٩٥٧ ، وكان الملك « سعود » قد زار عمان بعد الحوادث التى جرت فيها بسبب محاولات ضمها إلى مشروع « ايزنهاور » ، تلقت القاهرة معلومات بما كان يقوله الملك فى العاصمة الأردنية ، وبينه قوله : « إن الجماعة فى مصر مصبحين أو ممسين » . ومعناها أن النظام فى مصر قد لا يرى شروق الشمس أو غروبها فى أى يوم . وكان هذا كله يثير الدهشة فى القاهرة ، ثم تبددت الدهشة ليحل محلها شعور بالأسف حينما طلب ضابط مصرى هو العقيد « عصام خليل » مقابلة اللواء « عبد الحكيم عامر » ليقول له إن أحد أصدقائه من الضباط السابقين ، وهو من أنسباء الأسرة المالكة السابقة اتصل به ، وحاول تجنيده لاجراء انقلاب عسكرى فى مصر ، وأنه سلمه مبالغ من المال وصلت إلى أكثر من ١٦٢٠٠٠ جنيه استرلينى . وقام الضابط بتسليم المبلغ إلى اللواء « عبد الحكيم عامر » . وانكشف السر . وأحس الذين يعنيههم الأمر فى السعودية بأن القاهرة قد عرفت بكل شئ ، وهكذا طار الشيخ « يوسف ياسين » مستشار الملك إلى القاهرة يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥٧ وطلب مقابلة الرئيس « جمال عبد الناصر » ونفى له أى دخل للملك فى الموضوع ، وعرض عليه الرئيس « جمال عبد الناصر » وثائق العملية بما فيها شهادة « عصام خليل » وكان رد الشيخ « يوسف ياسين » أنها محاولة مدبرة بعناية للوقية بين الصديقين . وخلال المناقشة أبدى الشيخ « يوسف ياسين » ملاحظة مؤداها أن الملك

« سعود » هو الذى له الحق أن يغضب لما يشعر به من جفاء مصر نحوه . وطالبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بدليل على ما يقول ، وبدأ الشيخ « يوسف ياسين » يروى قصصا بدت مستغربة على « جمال عبد الناصر » . قال : « إن الملك عاتب لأن الرئيس رفض وساطة الملك سعود لديه في موضوع طلاق السيدة ناريمان صادق (زوجة الملك فاروق الثانية) من زوجها الحالى الدكتور ادهم النقيب » . وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك كتب خطابا شخصيا إلى الرئيس بعد أن لجأت إليه السيدة ناريمان طالبة عونه - يرجوه فيه أن تتدخل الحكومة المصرية لإقناع ادهم النقيب بأن يطلق ناريمان صادق ، ولكن الرئيس رد على الملك قائلا إنه كان يسعده أن يلبي أى طلب له ، ولكنه في هذا الظرف لا يستطيع لأن قضية الطلاق منظورة أمام المحاكم ، ولا تستطيع الحكومة المصرية ولا رئيسها أن يتدخل في قضية منظورة أمام القضاء » . وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك بعد أن تلقى رد الرئيس كان تعليقه بالضيق هو « لو أراد أن يكرمنى لفعلا » . » ورد « جمال عبد الناصر » على الشيخ « يوسف ياسين » قائلا : « هل سمعت عن حكومة متمدنة في العالم تملك حق التدخل في قضية احوال شخصية أمام المحاكم تمس علاقة رجل بزوجه ؟ » وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك عاتب أيضا لأن بعض الصحف المصرية نشرت أن الملك اعطى للسيدة ناريمان صادق ١٠٠ ألف جنيه استرليني » . ورد « جمال عبد الناصر » قائلا : « إنه يذكر الخبر الذى نشر لكنه يذكر أيضا أن الصحف المصرية التى نشرته نقلته عن صحف بيروت التى سبقت إليه في وقت كان الملك فيه يقوم بزيارة رسمية للبنان » . وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك غاضب أيضا لأن الصحف المصرية نشرت تفاصيل قصة زواجه من فتاة لبنانية عمرها ١٧ عاما ، كما نشرت تفاصيل عن هدايا زادت قيمتها على نصف مليون جنيه استرليني قدمها الملك لزوجته الشابة » . ورد « جمال عبد الناصر » قائلا : « إنه يذكر هذه الحادثة أيضا ، ويذكر أن الصحف المصرية نشرتها نقلا عن وكالات الأنباء والصحف الأمريكية ، فلماذا يغضب الملك من مصر ، ولا يغضب من أمريكا ؟ »

ويبدو أن « جمال عبد الناصر » تضايق من مسار المناقشة ، فوقفها بحزم قائلا للشيخ « يوسف ياسين »^(٧) : « إننى لا أرى فائدة من مواصلة النقاش على هذا النحو ، وأنا أرجو أن تذهب للملك وتنقل إليه أننى لا أعمل بسياسيين

(٧) مذكرة بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٥٧ عن المقابلة مودعة في أرشيف منشية البكرى في جزء « شؤون عربية » رقم ٤١٢/سعودية .

ولا بوجهين . قل له إن هناك مؤامرة على مصر وأنه كان بشكل ما وراءها . وقل له إن المستندات لدينا تثبت أن الأموال التي أعطاها المراهي للضابط المصري عصام خليل هي أمواله ، وأنا لا أرتضى لنفسى أن أنافق . فانا أصادق من أصادقه علنا ، وإذا عارضت عارضت في العلن » . وأضاف : « إنه سوف يتحدث بعد أيام (يوم ٢٣ ديسمبر في عيد النصر في بورسعيد) وأنه سوف يذيع كل تفاصيل الموضوع لكي يكون الشعب على علم بالحقائق » . ورد الشيخ « يوسف ياسين » بأنه يشعر أن الموضوع أكبر منه ، وأنه سوف يقترح على الملك أن يبعث بشقيقه وولي عهده الأمير « فيصل » لكي يصفى كل شيء مع الرئيس . وأضاف إلى ذلك رجاءه بأن يتمهل الرئيس ، ولا يذيع شيئا عن الموضوع قبل وصول الأمير « فيصل » . وعاد الشيخ « يوسف ياسين » في نفس اليوم إلى الرياض ، وفي اليوم التالي تلقت السفارة السعودية في القاهرة برقية من الرياض نصها : « الأمير فيصل يحضر طرفكم في أيام - أخطروا السيد علي صبرى في الرئاسة » .

ويوم ٢٣ ديسمبر ، وفي احتفالات عيد النصر في بورسعيد القى « جمال عبد الناصر » خطابه ، وأذاع تفاصيل المؤامرة ، ولكنه لم يذكر شيئا عن السعودية ، أو أى دور لها في المؤامرة . فقد أثر أن ينتظر وصول الأمير « فيصل » .



ووصل الأمير « فيصل » والتقى به الرئيس « جمال عبد الناصر » يوم ٣ يناير ١٩٥٨ وشرح له كل تفاصيل المؤامرة ، وكانت الدهشة بادية على الأمير « فيصل » وهو يسمع ، وكان تعليقه قرب نهاية المقابلة : « فخامة الرئيس . طال عمر ك إلا يحتمل أن تكون هذه كلها دسائس لافساد ما بينك وبين الملك سعود ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » : « إننى أتمنى أن تكون كذلك . لكن الوثائق التى وجدتها أمامى لم تترك لى مجالا لهذا الظن » . ثم أضاف : « ومع ذلك فما رأيك أن أطلب إعداد ملف كامل يحوى كل ملفات التحقيق ووثائقه لكي تطلع عليه بنفسك ثم تقول لى رأيك ؟ »

وتلقى الأمير « فيصل » في اليوم التالى ملفا كاملا بوقائع التحقيق ووثائقه . ثم التقى بالرئيس « جمال عبد الناصر » مرة ثانية يوم ١٣ يناير ، وقال في المقابلة إنه يرجو أن يأذن له الرئيس بالسفر بالملف إلى السعودية ، وأنه سوف يعود إليه بعد أيام قليلة . وسافر الأمير « فيصل » ثم عاد مرة أخرى ، والتقى مع « جمال عبد الناصر » يوم ٢٢ يناير . ثم التقاه مرة رابعة في نفس الشهر يوم ٣٠ يناير . وكان اقتراحه على



سلم الرئيس عبد الناصر للامير فيصل عند لقائه به ملفا كاملا عن وقائع التحقيق
في قضية تدبير انقلاب في مصر التي تثبت ان سعود كان وراءها بشكل ما .

الرئيس قبل أن يسافر هو « رجاء أن يتكتم دور الملك « سعود » في الموضوع ، وإن يترك له فرصة يعالج فيها الموقف كله ، وأنه على أى حال سوف يسمع منه قريباً . وقبل أن يغادر الأمير « فيصل » مكتب الرئيس « عبد الناصر » في اللقاء الرابع بينهما في شهر واحد - يوم ٣٠ يناير - قال له : « إننى أريد يا فخامة الرئيس أن أسالك سؤالاً واحداً ، وهو هل أنت مستعد لاستقبال سعود هنا ؟ إننى سوف أرتب الأمور على نحو يرضيك ، لكنى أريد أن أضمن أنك في النهاية سوف تكون مستعداً لمقابلته ، والصفح عنه إذا ما ثبت أن ذلك كله جرى بعلمه . » ورد « جمال عبد الناصر » بأنه « سوف يكون في هذه الحالة على استعداد لأن يركب هو الطائرة ، ويذهب للقاء الملك سعود في الرياض بشرط حضور الأمير فيصل معهما لأنه - أى جمال عبد الناصر - ما زال يأمل أن يخرج البلدان بسياسة واحدة لسياستين » .

وسافر « فيصل » إلى السعودية ، ولفترة طويلة لم يسمع منه « جمال عبد الناصر » شيئاً - ولكنه سمع من الملك « سعود » .



كانت خطوات إتمام الوحدة بين مصر وسوريا تأخذ طريقها المرسوم والمقرر في الأيام الأولى من شهر فبراير ١٩٥٨ ، وكان موعد الاستفتاء عليها بين الشعبين المصرى والسورى قد تقرر ، وإذا بالعراق والأردن يسبقان إلى إعلان اتحاد بين البلدين تحت اسم « الاتحاد الهاشمى » - كدولة اتحادية فيدرالية واحدة تضم العرشين الهاشميين في بغداد وعمان . وبدا أنه كان مقصوداً لتوقيت إعلان هذا « الاتحاد الهاشمى » أن يتم سابقاً لقيام « الجمهورية العربية المتحدة » بين مصر وسوريا - ومع ذلك فإن « جمال عبد الناصر » رحب بقيام هذا الاتحاد ، واعتبره على حد قوله في برقية تهنئة بعث بها إلى الملك « فيصل » ملك العراق : « إن الاتحاد العربى الهاشمى الذى وحد اليوم ما بين العراق والأردن هو خطوة مباركة للأمة العربية كلها باعتباره تقريباً ليوم الوحدة الشاملة بين كل العرب » . ومع أن وكالات الأنباء نقلت من القدس المحتلة رسائل جاء فيها أن إسرائيل استشيرت في شأن هذا الاتحاد - بواسطة لندن وواشنطن - ووافقت عليه ، فإن « جمال عبد الناصر » لم يغير رأيه في أن مجرد تحقيق خطوة وحدوية بين العراق والأردن ، وبصرف النظر عن الملابس هو خطوة إلى الأمام . وحتى إذا كانت إسرائيل قد وافقت كما تقول رسائل وكالات الأنباء^(٨) بهدف أن يتمكن هذا

(٨) برقية وكالة اليوناييتد برس رقم ٤٥ ليوم ١٦ فبراير تحت عنوان « إسرائيل والاتحاد العراقى الأردنى » .

الاتحاد الهاشمي من مواجهة « الجمهورية العربية المتحدة » بطريقة فعالة ،
فإن الأهم من ذلك كله هو أن خطوة وحدوية تحققت .

في نفس هذا اليوم ١٦ فبراير سمع « جمال عبد الناصر » من الملك « سعود » .
فقد دعا الملك سفير مصر إلى مقابلته^(٩) ، وقال له في حضور الشيخ « يوسف ياسين »
إنه يريد منه أن ينقل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » الرسالة التالية :

« جاء إلى عندنا هنا قبل عدة أيام باش اعيان (يقصد السيد برهان الدين باش
اعيان وزير خارجية العراق) وتوفيق السويدي (السيد توفيق السويدي باشا
السياسي العراقي البارز) وسمير الرفاعي (كان رئيسا لوزراء الأردن) - وقابلوني
بحضور الشيخ يوسف ياسين ، وابلغوني رسالة من فيصل ملك العراق ، وحسين
ملك الأردن ، والأمير عبد الله ، وعرضوا على الانضمام إلى الاتحاد العراقي الأردني
على أن اكون أنا المتصرف في كل شيء ، فقط يحتفظ كل منهم بمركزه في بلاده .
وصارحتهم بأن الاستشارة امانة ، ولذلك فإنني لا انصحهم بهذا الاتحاد ،
ولا استطيع أن انضم إليهم لأن سياستى عربية واتضامن من أجلها مع الجميع ،
ولا استطيع أن أساهم في انقسام العرب ، كما لا استطيع الانضمام إليهم حتى
لا اجد نفسى اعمل مع الانجليز الأمر الذى يشكل استحالة مادية - انتهت رسالة
الملك » . إمضاء : السفير . »

وفي تلك الأيام الحاسمة افتعلت الحكومة السودانية التى كان يرأسها السيد
« عبد الله خليل » وكان من أشد الموالين للغرب أزمة مع مصر . فقد بعث بقوات
سودانية لاحتلال منطقة « حلايب » على الحدود بين مصر والسودان . وكانت المنطقة
مصرية وفق ما تقول به الخرائط المعتمدة ، ولكن السيد « عبد الله خليل » قال إن لديه
خرائط أخرى حصل عليها تثبت أن المنطقة سودانية . وجرى بحث في القاهرة في كيفية
مواجهة ما وقع ، وكان هناك رأى بدفع قوات مصرية إلى المنطقة . ورأى « جمال
عبد الناصر » أن الموضوع كله مؤامرة موحى بها من وكالة المخابرات المركزية
الأمريكية على الأرجح لافساد مناخ الوحدة بين مصر وسوريا - والتي كانت
اجواء العالم العربى تموج بها في تلك الأيام . وكان رأيه : « إنه سوف يكون
مشهدا غريبا أن تتقاتل قوات مصرية وسودانية على قطعة أرض في نفس الوقت
الذى تقوم فيه مصر بعمل وحدوى كبير مع سوريا ، وإننا لا يجب أن نستسلم
للاستفزاز » . كان الاستفتاء الشعبى على الوحدة على وشك أن يجرى في البلدين ،
وفي يوم الاستفتاء ذاته توجه السفير السعودى في القاهرة إلى مقابلة الدكتور « محمود

(٩) تقرير من السفارة المصرية في الرياض بتاريخ ١٦ فبراير (ملفات وزارة الخارجية المصرية وارشيف منشبة
البحرى) .

فوزى « وزير الخارجية ، وسلمه رسالة من الملك « سعود » ، وأشر عليها الدكتور « محمود فوزى » بخط يده بما نصه :

« إلى السيد الرئيس

سلمنى السفير السعودى هذه الرسالة مساء اليوم ذاكرا انها وصلت إليه بعد الظهر .

« ١٩٥٨/٢/٢٢

مع التحية والاحترام .

وكان نص الرسالة كما يلى :

« برقية واردة من جلالة الملك سعود

حضرة السيد الرئيس الأخ جمال عبد الناصر حفظه الله

علمت بقلب ملؤه الاسى والحزن نبا الخلاف الذى نشب بين البلدين الشقيقين مصر والسودان . وليقيني انه يحز في نفس السيد الرئيس ما يحز في نفسى ، وفي نفس كل مسلم عربى ان تصل ذروة الخلاف في هذا الأمر إلى هذا الحد الذى يشمت بنا الأعداء أجدهم من واجبى في هذا الموقف ان اتقدم برجاء ملؤه الإشفاق لسيادة الأخ الرئيس ، كما اتقدم بمثله لحكومة السودان لتحكيم الروية لحل المشكلة بينهما ، وإخواننا في البلدين والله الحمد لهم في حصافة الراى والإخلاص الوطنى الإسلامى العربى ما يحملهما على التأسى ، وابتهل إلى الله ان يصفى على هذا الخلاف البرد والسلام والأمان ، وإنى على تمام الاستعداد لبذل أى مسعى قد يراه إخواننا في البلدين لحل هذه المشكلة التى تقلق كل مسلم وعربى . حفظكم الله وابقاكم .

إمضاء

سعود

واتصل الرئيس « جمال عبد الناصر » بالدكتور « محمود فوزى » يقول له : « إن الرجل يحاول أن يعرض وساطته بيننا وبين السودان في الوقت الذى يتوسط فيه شقيقه بيننا وبينه » . ثم طلب إليه أن يتصل بالسفير السعودى ، ويدعوه لمقابلته ويبلغه أن الأزمة بين مصر والسودان تم تطويقها ، وأنها لم تعد في حاجة إلى وساطات مشكورة من جانب أحد من الإخوان العرب .

وكان تقدير « جمال عبد الناصر » أن الملك في حالة ارتباك ، وأنه يحاول أن يغطى ارتبائه بهذا النوع من الرسائل سواء عن الاتحاد الهاشمى ، أو عن الأزمة مع السودان . ولكن تقدير « جمال عبد الناصر » كان خاطئا لأن الملك الذى تصوره مرتبكا كان يتحرك بأقصى همة ونشاط .



تم الاستفتاء على الوحدة وأعلنت نتيجته يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٨ وانتخب « جمال عبد الناصر » رئيسا للدولة الجديدة .

ووصل « جمال عبد الناصر » إلى دمشق يوم ٢٤ فبراير ، وتوجه من المطار إلى بيت « شكرى القوتلى » وصحبه معه إلى قصر الضيافة الذى أعد لاقامته . وبدأت جماهير دمشق وجماهير سوريا تزحف إلى القصر وتحيطه ببحر عارم من البشر . وظهر « جمال عبد الناصر » على شرفة القصر يتحدث لأول مرة مع الشعب الذى انتخبه رئيسا له دون أن يلتقى به مباشرة ووجها لوجه . وتكرر ظهوره على الشرفة ، وتكررت خطباته للجماهير فى ذلك اليوم أكثر من عشرين مرة . وفى نهاية يوم حافل بالمشاعر الجياشة دخل « جمال عبد الناصر » إلى غرفة النوم المعدة له يلتقط أنفاسه متصورا أن أمامه ساعات يستريح فيها قبل أن يبدأ يوما جديدا فى دمشق ، خصوصا وأنه كان قد عرف أن وفود كل أقاليم سوريا قد بدأت مسيرات شعبية عارمة تشق طريقها إلى دمشق .

وصحبه إلى غرفة نومه السيد « عبد الحميد السراج » يقول إن لديه موضوعا يريد أن يطلعه عليه . وسأله « جمال عبد الناصر » وهو يخلع ملابسه ويستلقى مرهقا على الفراش : « ألا ننتظر للصباح ؟ » وقال « عبد الحميد السراج » : « فخامة الرئيس أنا أعرف أنك مرهق ، ولكنى أريد توجيهك فى الموضوع الذى أريد عرضه عليك لأنه لا يقبل الانتظار » . وسأله « جمال عبد الناصر » : « هل يضايقك أن أسمعك وأنا مستلق على السرير ؟ » ورد « عبد الحميد السراج » : « سيدى . إننى أريدك أن تستريح ، ولم أكن لأشغلك بهذا الذى سأقوله لولا خطورته » . ثم راح « عبد الحميد السراج » يروى تفاصيل ما لديه ، قال وهو يخرج مجموعة أوراق من جيب سترته الداخلى ويضعها على مائدة صغيرة بجوار السرير ، وقد أتى بمقعد جلس عليه قريبا :

« إن الملك سعود له صهر اسمه أسعد إبراهيم ، والملك متزوج من ابنته التى أنجبت له ابنا هو الأمير خالد ، وأسعد إبراهيم هذا اتصل بى عن طريق وسيط هو النائب عزيز عياد ، وعرض على مبلغ مائة مليون جنيه استرلينى إذا أنا قمت بانقلاب يحول دون قيام الوحدة بين مصر

وسوريا قبل إعلان نتيجة الاستفتاء ، وكان العرض ان يدفعوا لنا
عشرين مليون جنيه استرليني مقدما على ان يدفع الباقي بعد نجاح
الانقلاب لكي يساعد على إصلاح الأحوال . . . ومعنى هنا كل الوثائق
والمستندات » .

ونهض « جمال عبد الناصر » من فراشه ، وأخذ مقعدا في مواجهة
« عبد الحميد السراج » وطلب إليه أن يبدأ القصة من أولها ، وأن يطلعه على وثائقها
ومستنداتها ، وراح يسمع . ولنصف ساعة كان « عبد الحميد السراج » يتكلم دون
مقاطعة .

قال « عبد الحميد السراج » : (١٠)

« إن حكاية الملك سعود مع الشعبة الثانية (المخابرات العسكرية التي
كان يرأسها عبد الحميد السراج طوال السنوات الثلاث السابقة على
الوحدة) قصة طويلة . ويظهر أنهم كانوا يتصورون أننا العقبة التي
تقف أمام مخططاتهم كلها وتقوم بكشفها . ولهذا فإنهم بعد أن يئسوا
من مختلف المحاولات قرروا التوجه مباشرة إلى الشعبة الثانية .

إن الملك سعود دعانى لمقابلته مرة حينما زار دمشق قادما من بادن بادن
وكان في طريقه إلى بيروت . وقد قال لى في هذا اللقاء إنه يعتبرنى مثل ابن له ،
وأنه يسألنى إذا كنت أريد شيئا . ووجدتها فرصة ملائمة لأقول له :
يا جلالة الملك سامحنى إذا أخطأت في حديثى إليك ، فهذه أول مرة أتحدث
فيها مع ملك ، وطلبى منك أننى سوف أرجوك أن لا تصدق كلام الذين
يذهبون إليكم ، ويقولون لكم إنهم يستطيعون أن يفعلوا كذا وكذا في سوريا .
إن هؤلاء لا يقدرّون على شيء ، وأنتم تدفعون لهم أموالا طائلة ، ولدىّ كشف
بأسمائهم جميعا ، كما أن لدىّ بيانا بالمبالغ التي حصلوا عليها منكم . إن
هؤلاء الناس يضحكون عليكم ، وهم لا يستطيعون أن يقدموا أو يؤخروا .
إننى أفهم أنك تريد أن تحارب الهاشميين . وإذا كنت تريد ذلك ، فإن
ضمانتك هى الجيش السورى ، والجيش السورى هو الذى يحمى سوريا ،
والشعب في سوريا فقير وهو لا يستطيع أن يعطى لجيشه كل ما يحتاج إليه .
فإذا كنت تريد أن تساعد حقيقة فما نتمناه منك هو أن تقدم مساعدة
للجيش : كتيبة دبابات ، أو سرب طائرات أفيد من كل الأموال التي

(١٠) كنت مع « جمال عبد الناصر » في قصر الضيافة ، وقد سمعت بالقصة منه . وفيما بعد رجوت السيد
« عبد الحميد السراج » أن يعيد روايتها لى كما رواها للرئيس أمام جهاز تسجيل والتفاصيل المذكورة هنا
وكذلك السياق منقولة عن تفرغ لهذا التسجيل

تصرفونها في السر على الذين يقولون لكم إنهم يمنعون تحقيق أحلام الهاشميين في دمشق .

وفوجيء الملك سعود وقال لى : « إننى كنت أسألك عما إذا كنت تبغى شيئا لنفسك ، ولم أكن أسألك عن الجيش السورى » . وقلت له : « يا جلالة الملك إن الجيش السورى هو الذى يهمنى ، ونحن مستعدون أن نقيم لك تمثالا في كل معسكر إذا ساعدت » . ولم يبد على الملك أنه استراح لما قلت له ، ولم يسفر لقاؤنا عن شيء . ولكنه دعانى إلى أن أزوره في الرياض في يوم من الأيام . وقلت له إننى على استعداد لأن أستجيب للدعوة في أى وقت يتفضل فيه بتوجيهها .

وبعد شهر ، وفي ذروة أزمة الحشود التركية ضد سوريا ، فوجئنا برسالة من الملك يدعونى فيها أنا واللواء عفيف البزرى (رئيس أركان حرب الجيش السورى) إلى مقابله في الرياض . واستغربنا توقيت الدعوة . وطلب منا شكرى القوتلى أن نذهب ولوليلة واحدة . وراح اللواء البزرى يتصل بسلاح الطيران ويطلب تخصيص طائرة لسفرنا ، ثم راح يدرس خط مسار الطائرة التى تحملنا إلى الرياض ، وتأخرنا عن الموعد المقرر ثم تحدد موعد السفر عند منتصف الليل ، وقبل أن أخرج من مقر الشعبة الثانية متوجها للمطار أبلغت أن وكالات الأنباء العالمية نقلت برقية من الرياض تقول فيها : « إن السيد فطين زورلو رئيس وزراء تركيا قد وصل فجأة إلى الرياض » . واكتشف المستور أمانا ، وأصبح واضحا أن هدفهم هو الجمع بيننا وبين الأتراك تحت رعاية الملك سعود . وطلبت إلغاء الرحلة ولم نذهب .

وبعد أن أعلن الاتفاق على إقامة الوحدة بين مصر وسوريا طلب النائب عزيز عياد أن يقابلنى . وقابلته ، وقال لى إن صهر الملك سعود وهو أسعد ابراهيم يريد أن يقابلنى . وأحلته إلى ضابط في الشعبة الثانية لكى يستطلع ما عنده ، وطلبت أنا معلومات عنه وعرفت منها أنه والد زوجة الملك المعروفة بأم خالد ، وأن الملك تزوج أبنته وأصبح الرجل بعد ذلك من أصحاب الملايين . وأغرب ما أظهرته المعلومات التى جاءتنا عنه أن الرجل قبل أن يتزوج الملك من ابنته كان متهما ومحكوما عليه في قضية سرقة حمار .

ثم رأيته بعد ذلك ، وجلست معه لكى أعرف بنفسى ما عنده لأن كلامه مع ضابط الشعبة الثانية الذى كلفته باستطلاع ما عنده كان مبهما وغامضا .

وعندما قابلته راح يتكلم في أمور عامة ، ثم خُص إلى أن الملك سعود حريص جدا على سوريا والشعب السوري عزيز عليه . وسألني عما إذا كان لديّ مانع في أن أذهب إلى الرياض ، ولو سرا لمقابلة الملك لأنه يريد أن يفرضي إليّ - وهو يعتبرني ابنا له - بأشياء هامة . وقلت له إن الظروف لا تسمح لي بمغادرة دمشق ، فإذهب أنت واسأل الملك فيما يريد ، فنحن نقدر آراءه ونصائحه ونحترم حرصه على سوريا وشعبها . وذهب الرجل وعاد قبل أيام قليلة من الاستفتاء . والتقيت به ، ورحت استدرجه لكي يقول لي كل ما عنده . وبدأ يحدثني عن حرص الملك على سوريا وشعبها مرة أخرى ، وعن أن الاستقلال الذي تحقق لهما جاء بعد جهاد عنيف ، وأنه لا يصح التفريط فيه بسهولة . وأن هذا الذي يجري تحت اسم الوحدة هو محاولة من عبد الناصر لإقامة إمبراطورية مصرية . وقلت له : « شو بيريد الملك ؟ » وشرح لي ما يريد الملك ، وقلت له إن الأمور بيدنا ، وليست في يد غيرنا ، ولكن أي عمل يقتضي ترتيبات . فقال لي إن الملك على استعداد لأن يساعد ماديا وسياسيا على تحقيق الهدف . ثم راح يعرض مائة مليون جنيه استرليني يسلم لنا منها عشرون مقدما والباقي بعد نجاح الانقلاب قبل إتمام الوحدة . ثم أضاف أن الملك يضمن لنا « أن السفير الأمريكي سوف يقدم لنا اعترافه بنظامنا فور اعلان الانقلاب ، وكذلك اعتراف كل الدول الصديقة للولايات المتحدة . وبعد يومين عاد أسعد ابراهيم وسلمني شيكا^(١١) بمبلغ مليون جنيه استرليني مسحوبا من البنك العربي المحدود في الرياض على بنك ميدلاند في لندن . وكان مدفوعا لحامله (شيك رقم ٨٥٩٠٢/٥٢) ، ثم عاد بعد ذلك بشيك بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه استرليني مسحوبا من البنك العربي المحدود في الرياض على بنك ميدلاند في لندن (شيك رقم ٨٥٩٠٣/٥٨) ، ثم عاد بشيك آخر بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه استرليني مسحوبا من البنك العربي المحدود في الرياض على بنك ميدلاند في لندن (شيك رقم ٨٥٩٠٤/٥٩) . وسألت أسعد ابراهيم عن بقية المبالغ ، فقال هذه ٢ مليون جنيه والباقي عندما يحدث شيء ، ولم تكن الشيكات التي سلمها لي بـ ٢ مليون جنيه وإنما بمليون و ٩٠٠ ألف فقط . وابتسم وكان عليّ أن أفهم أنه اختصم لنفسه مائة ألف جنيه استرليني عمولة . وقلت له إننا لا نستطيع أن نتحرك الآن لأن الاستفتاء سوف يجري غدا والجيش مستنفر ، وهذا هو أسوأ وقت يمكن أن نتحرك فيه ، وعلى أي حال فلا بد أن

(١١) صور فوتوغرافية للشيكات الثلاثة ، وإشعارات الإيداع منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٥ صفحة ٨٤٨

تثقوا بنا ، وأنتم تعرفون أن الشعب الثانية في يدها كل شيء في أى وقت . وأخرج من جيبه رسالة قال لي إنها موجهة من الملك إلى ، وكان مضمونها أن الملك في كل الظروف لن يتخلى عنا إذا مشينا معه كما لم يتخل والده الملك عبد العزيز عن شكرى القوتلى . ثم سألتني عما إذا كنا نستطيع فور وقوع الانقلاب أن نسلمهم عددا من اللاجئين السياسيين السعوديين ؟ وأعطانى قائمة بأسمائهم ، ثم عاد يكرر أن السفير الأمريكى سوف يكون جاهزا لتقديم اعتراف بلاده بالانقلاب فور حدوثه . «

وتوقف « عبد الحميد السراج » في روايته ليسلم لـ « جمال عبد الناصر » الذى كان يسمع مبهوتا مجموعتين من الوثائق :

□ مجموعة لصور الشيكات وأذونات الدفع المتعلقة بها .

□ ومجموعة من إشارات تحركات الطائرة الملكية السعودية الخاصة التى وضعت تحت تصرف « أسعد ابراهيم » والتى كانت تنتقل ذاهبة قادمة من دمشق إلى الرياض وبالعكس عدة مرات كل يوم . ثم عاد إلى استئناف روايته للوقائع ، فقال :

« الحقيقة أننى بعد أن تسلمت الشيكات كنت أريد أن أتأكد أن قيمتها سوف تنتقل إلى حوزتنا فعلا ، وكنت في بيتى مساء ليلة أول أمس أفكر في الموضوع ، ثم تذكرت أن جارى في الدور الأسفل من البيت هو السيد واصف كمال وهو مدير البنك العربى المحدود في دمشق (وهو البنك الذى تمت عن طريق فرعه في الرياض عملية سحب الشيكات على بنك ميدلاند في لندن) . ونزلت إليه أطرق بابه ، وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وأيقظته من النوم ، وقلت له إن لدى شيكات وأنا أخشى أن يتدخل أحد لايقاف دفع قيمتها ، ولذلك فأنا أريد إتمام التحويل الآن . وكان الرجل في حيرة من أمره لا يدري كيف يستجيب لما طلبت منه في هذه الساعة من الليل . وأخذته إلى فرع البنك العربى المحدود في دمشق ومعى بعض الضباط ، واستدعينا في نفس الوقت بعض معاونيه ، وأولهم نائب مدير البنك الذى استطاع للحق أن يستوعب الموقف بسرعة . وهكذا في أول ساعة من الصباح كانت عملية سحب المبلغ من بنك ميدلاند برقيا وإيداعه باسمى في حساب في سويسرا قد تمت . «

وتوقف « عبد الحميد السراج » عن روايته للرئيس الذى كان يتفحص الشيكات ولا يصدق ما يسمعه ، ثم قدم للرئيس ايصالات بإتمام الإيداع في حساب باسمه فتح في البنك العربى المحدود في سويسرا تحت رمز (ع . س . -

أى عبد الحميد السراج) . وكان أول سؤال وجهه « جمال عبد الناصر » لـ « عبد الحميد السراج » بعد أن أكدت له الوثائق حقائق ما سمع : « هل يعرف شكرى القوتلى ؟ » وقال « عبد الحميد السراج » إنه لم يذكر الموضوع لأحد على الإطلاق . وفيما عدا ثلاثة من ضباط شعبته الموثوقين ومدير البنك العربى المحدود فى دمشق ونائبه ، فإن أحدا فى سوريا كلها لا يعرف شيئا . »



وطلب الرئيس من « عبد الحميد السراج » أن يروى القصة لـ « شكرى القوتلى » . وأبدى « عبد الحميد السراج » مخاوفه من أن يقوم « شكرى القوتلى » بإبلاغ السعوديين بانكشاف المؤامرة . وقال له الرئيس « جمال عبد الناصر » : « إن شكرى القوتلى رجل عاقل ، وأنت دائما سىء الظن به . وعلى أى حال فإن شكرى القوتلى سوف يجىء إلئى فى الصباح ، وسوف أطلب منك أن تحكى له كل شيء أمامى » .

ولم ينم « جمال عبد الناصر » بقية الليل ، وإنما تزاممت الخواطر والذكريات فى مخيلته ، ولعله فهم وقتها لماذا لم يتلق ردا من الأمير « فيصل » بعد آخر مرة التقاه فى القاهرة . وكان « فيصل » قد وعده بأن يرد عليه ، وأن يجىء له بالملك « سعود » ليتكاشفا فى كل ما بينهما^(١٢) .

وفى الصباح جاء « شكرى القوتلى » لتناول الافطار مع « جمال عبد الناصر » ، وفوجئ بوجود « عبد الحميد السراج » ، وفوجئ أكثر عندما قال له الرئيس : « إن لدى عبد الحميد شيئا ، وأريد أن أسمع رأيك فيه » . وأعاد « عبد الحميد السراج » رواية قصته على « شكرى القوتلى » وسلمه صور الشيكات . وأمسك « شكرى القوتلى » بالشيكات يقلبها بين أصابعه ، ثم نظر إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » وقال له : كيف نتأكد أن هذه الشيكات صحيحة ، وأن التوقعات عليها أصلية ؟ « وتضايق « عبد الحميد السراج » وقال « للقوتلى » : « سيدى هذه ايصالات إيداع المبالغ فى حسابات باسمى فى سويسرا ، وهى حوالى ٢ مليون جنيه استرلينى ، وأبى مات على حصيرة لم يترك لى أبيض ولا أحمر » . وراح « شكرى القوتلى » يضرب كفا بكف ويقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

(١٢) فيما بعد عرف « جمال عبد الناصر » من الأمير « فيصل » أنه نقل للملك « سعود » بالفعل كل ما سمعه من « جمال عبد الناصر » وعرض عليه فكرته فى إجراء مكاشفة ومصالحة بين الاثنين ، ولكن الملك « سعود » اكتفى بالرد عليه قائلا : « أبشر أبشر » ولعله كان ينتظر سماع أنباء من دمشق

وبعد الظهر عاد « عبد الحميد السراج » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يحمل إليه نص برقية مرسلة من السفارة السعودية في دمشق إلى الديوان الملكي في الرياض ، وكان نصها : « تأكد أن البناية مفشوشة » . وأضاف « عبد الحميد السراج » أن كلمة « البناية » كانت هي الاسم الرمزي لعملية الانقلاب ، ومن المؤكد أن « شكري القوتلي » أبلغ السفارة لكي ينبه الملك إلى أن الموضوع قد انكشف .

ولم يكن هذا هو كل شيء فقط مع « عبد الحميد السراج » وإنما كانت معه أيضا تفاصيل مؤامرة أخرى أعدها « أسعد إبراهيم » بالاتصال مع أحد ضباط الطيران ، وقد وعده بأن يعطيه نصف مليون جنيه إذا قام بضرب طائرة « جمال عبد الناصر » في الجو إذا جاء إلى دمشق بعد الاستفتاء (ولم تكن المؤامرة الكبرى للانقلاب قد نجحت) .

وبعد أقل من ساعة كان « جمال عبد الناصر » في شرفة قصر الضيافة في دمشق يروى للجماهير المحتشدة في ساحته ، والمزدحمة حتى سفوح جبل « قاسيون » تفاصيل القصة كلها وأسرارها . ولم تصل الحقيقة إلى الجماهير التي سمعته وحدها ، وإنما وصلت في نفس الوقت إلى كل أطراف الأمة العربية ، وإلى كل أركان الدنيا بما فيها السعودية .



كانت إذاعة تفاصيل المؤامرة ، وأسرارها بمثابة قنبلة انفجرت في الرياض . وهرع بعض الأمراء الشباب إلى القصر الملكي ، وعرفوا أن الملك ليس في العاصمة ، وإنما هو في قصره في المدينة المنورة . وكان الأمير « طلال »^(١٣) هو أول من تمكن من الاتصال بـ « سعود » في قصره بالمدينة . وسأله ما إذا كان قد سمع ما أذيع للترمن

(١٣) رواية الأمير « طلال » للرئيس « جمال عبد الناصر » عندما التقاه فيما بعد ، وهي بنصوصها الكاملة مكتوبة بخط السيد « سامي شرف » ومودعة في أرشيف منشية البكري ضمن ملف عنوانه : « السعودية - مؤامرة الملك سعود - فبراير ١٩٥٨ - رقم ٤ » .

دمشق ؟ ورد عليه الملك بقوله : « لا تنزعج وتوجه إلى في المدينة » . ودخل الأمير « طلال » إلى القصر في المدينة ليجد أن نائب أميرها « عبد الله السديري » جالس مع الملك ، وكان الملك يسأله : « هل صدق أهل المدينة ما قاله الحاسدون في دمشق ؟ » وسكت نائب أمير المدينة لم يجب . وكان الصمت في حد ذاته إجابة كافية . وحاول الأمير « طلال » أن يستطلع رأى الملك في الموضوع ، ولكن الملك راح يتحدث عن رحلة صيد قام بها إلى البروعاد منها قبل ساعات . وأحس « طلال » أن الملك يراوغه ، فقال له منفعلا : « بالله يا طويل العمر أن تبيض وجوه آل سعود . لو تركنا ما أذيع بغير رد لسودت الفضيحة وجوهنا ، وإحنا لا نمثل فردا ولا اثنين ، ولكن إحنا خمسة آلاف من آل سعود ، واين نذهب بوجوهنا ؟ »

وتصنع الملك ابتسامة ، ثم قال له « طلال » : « ابشر ابشر ، ما يخالف ، ولا تنزعجوا » .

وفي الصباح استقل الملك طائرته قاصدا إلى الرياض ، ولم ينزل في مطارها العام ، وإنما نزل في مطار خاص قرب القصر . ودعا مستشاريه ، ولم يكد مجلسهم ينعقد حتى دخل عمه الأمير « عبد الرحمن آل سعود » وكان وقتها يعتبر عميد الأسرة بحكم كونه شقيق مؤسس المملكة ، وأكبر الأمراء سنا . وأمر الملك بالقهوة ، والصمت سائد في المجلس لا يقطعه إلا قول الملك « كيف حالك ؟ كيف حالك ؟ » يوجهها إلى كل واحد من الجالسين أمامه . ثم قام الملك واتجه إلى مكتبه ، ودعا إليه مستشاريه الشيخ « يوسف ياسين » والسيد « جمال الحسيني » . ونهض الأمير « عبد الرحمن » واقفا يقول للشيخ « يوسف ياسين » : « إلى أين تذهبان بال سعود يا يوسف ؟ » ثم يضيف : « إلى الأرض الحضيض إلى جهنم والله » . قالها وانصرف .

وصدر عن الديوان الملكي بعد قليل بيان نصه : « إن جلالة الملك أصدر قرارا ملكيا بتكوين لجنة عليا للتحقيق في هذا الأمر لاطهار معميته ومقاصده ، وستنشر الحكومة هذا التحقيق فور الانتهاء منه » .

ثم أذيع قرار ملكي بتعيين لجنة تحقيق تضم كلا من اللواء « سعيد العزي » مدير الاستخبارات ، والسيد « رشدي ملحس » وهو لبناني يعمل مستشارا للملك ، والسيد « عبد الله بن عدوان » وكيل وزارة المالية .



واعتكف الملك في قصره لا يقابل أحدا ، ولا يأذن لأحد بالدخول عليه . ولكن أخبار القلق الذي استبد بأمرء الأسرة كانت تصل إليه . وبدأت سلسلة من

التصرفات الهوجاء ، فقد تم القبض على السيد « مصباح كنعان » مدير فرع البنك العربى المحدود فى الرياض . وجيء به مكبلا بالحديد إلى مقابلة مع الملك لم يحضرها إلا الشيخ « محمد سرور الصبان » وزير المالية . وقال « مصباح كنعان » أمام الملك : « إن البنك لم يفعل إلا ما أمر به ، وأن فى حوزته توقيع الشيخ « محمد سرور الصبان » نفسه على إذن التحويل ، كما أن عنده توقيع « معتوق حسنين » رئيس مؤسسة النقد ، وكذلك عنده خطاب خاص من ديوان الملك بالاذن بالتحويل . » وسأله الشيخ « سرور الصبان » : « هل سمعت ما أذيع من وثائق فى دمشق ؟ كيف تسمحون بتسليم هذه الوثائق لأحد ، ومفروض أن تراعوا فى أعمالكم السرية المطلقة » . وحاول « مصباح كنعان » أن يدافع عن نفسه . وأمر الملك بإخراجه ، وأمر بإغلاق فروع البنك العربى المحدود فى المملكة كلها ، واقترح عليه الشيخ « محمد سرور الصبان » تأجيل هذا الأمر حتى لا يهز السوق المالية . ولكن السوق المالية كانت قد اهتزت فعلا ، فقد سارع بعض الأمراء تحسبا لاجراءات قد تتخذ ضد البنك العربى المحدود إلى سحب أموالهم منه . فقد سحب الأمير « طلال » مليونين من الجنيهات ، وسحب الأمير « عبد المحسن » والأمير « سعد » كل منهما نصف مليون جنيه . وتوالت طلبات السحب من البنك ، فقررت إدارته إغلاقه لمدة يوم حتى تتمكن من تدبير أرصدة للراغبين فى السحب . ولكن زحام الراغبين فى السحب تحول أمام البنك إلى شبه مظاهرة ، ثم توترت الأعصاب حين جاءت قوة من الحرس الملكى ، وفتحت لها أبواب البنك اضطرارا ، فإذا هى تدخل لتصادر كل ما لدى البنك من ملفات وأوراق .

وبلغ إلى مسامع الملك أن بعض الأمراء الشبان بدأوا يتطاولون عليه . فبعث أحد مستشاريه ليقول للأمير « عبد الله الفيصل » (الابن الأكبر للأمير « فيصل ») إن الملك لا يريد فى المملكة فى الوقت الحاضر . وكان الأمير « فيصل » نفسه بعيدا عن الرياض ، واتصل به ابنه « عبد الله الفيصل » يستشيريه فيما أبلغ به . ورد الأمير « فيصل » ببرقية مفتوحة ، ولعله قصدها جاء فيها : « إن عبد الله الفيصل ليس ابنى ، وإنما هو رعية من رعايا مولانا الملك سعود . ويمكنه أن يطرده من المملكة دون الرجوع إلى أحد » .

ولكن المشكلة لم تكن مقصورة على الأمير « عبد الله الفيصل » وإنما بدأت تمس كل أفراد الأسرة الذين تكررت اجتماعاتهم ، وأصبحت فى واقع الأمر اجتماعا

واحدا^(١٤) مستمرا يدخلون ويخرجون منه وهم حيارى لا يعرفون ما العمل ؟ وقرروا إرسال برقية إلى الأمير « فيصل » يطلبون إليه القدوم إلى الرياض ليحسم الموقف . ورد الأمير « فيصل » ببرقية قال فيها : « ليس لى من الأمر شيء ، فكيف تحملوننى التبعة ؟ الأحسن أن تتصلوا بالملك - فيصل » . وذهبوا إلى الأمير « عبد الرحمن » عم الملك ، وطلبوا إليه أن يتدخل لأن الشعب فى المملكة يغلى . واستجاب لهم الأمير « عبد الرحمن » وذهب إلى الملك ، وتحدث معه بلهجة قاسية لم يسمعها منه قبلا . وبدأ « سعود » يتهاوى ، وقال لعمه : « بماذا تشير على ؟ » ورد عليه الأمير « عبد الرحمن » بقوله : « استمع إلى نصيحة إخوتك وأبناء عمومك وخذ الأمر بالشدّة ليظهر الحق ، وادع أخاك فيصل ليتعاون معك ، فهو جدير بتحمل المسؤولية » . ورد الملك بأن الأمير « فيصل » غاضب عليه . وقال الأمير « عبد الرحمن » : « ادعه وقل له الحقيقة ، وأخلص له النية ، ولكل امرئ ما نوى » . وأملى الملك فى حضور الأمير « عبد الرحمن » على مستشاره الشيخ « يوسف ياسين » برقية جاء فيها : « توجه إلينا فى الرياض - سعود » . وبعد ساعة جاء الرد من الأمير « فيصل » وكان نصه : « طال عمرك صحتى لا تتحمل السفر الآن . وحينما تنهى الظروف سأشد الرحال - فيصل » . ورد الملك ببرقية قال فيها : « نحن فى حاجة إليك ، فتوجه إلينا والله يرفعك - سعود »

ووصل « فيصل » وطلب لقاء الملك وحده . ولم يعرف أحد ما دار بينهما ، وتوجه الأمير « فيصل » وعقد اجتماعا حضره كل أمراء « آل سعود » الموجودين فى الرياض يومها ، وروى لهم ما حدث بينه وبين الملك باختصار شديد ، ثم أطلعهم على ورقة بتوقيع الملك يخول فيها للأمير « فيصل » جميع سلطات الملك ليعالج كل القضايا الداخلية والخارجية للمملكة .

وصباح اليوم التالى ظهرت جريدة « النيويورك تايمز » بأول التفصيلات عن التطورات الأخيرة فى المملكة ، وكانت عناوينها « سعود يسلم الحكم إلى أخيه فيصل - فيصل هو الرجل القوى فى المملكة الآن » .

ونقلت وكالة « اليوناييد برس » من لندن برقية جاء فى مقدمتها : « صرحت المصادر البريطانية المطلعة اليوم بأن تنازل الملك سعود عن سلطاته لأخيه الأمير فيصل يعتبر ريشة جديدة فى قبعة جمال عبد الناصر » . وسجلت أسهم شركات البترول هبوطا شديدا فى أسعارها ، وأصدر الأمير « فيصل » بصفته

(١٤) مجموعة تقارير السفارة المصرية فى جدة خلال شهر مارس ١٩٥٨ - وأصولها جميعا فى أرشيف وزارة الخارجية ، وقد حصلت السفارة على نسخ البرقيات المتبادلة فى الأزمة بين الملك والأمير « فيصل » من مكتب اتصالات القصر مباشرة ١

رئيسا لوزارة جديدة تشكلت في السعودية بيانا ناشد فيه الشعب السعودي أن يؤيد حكومته ، وأذاع راديو مكة بيانا قال فيه : « إن حكومته الجديدة أصبحت مسؤولة عن الشؤون الداخلية والخارجية والمالية ، وأنه هو الآن المسؤول عن القوات المسلحة السعودية » . وحين دخل الأمير « فيصل » إلى مقر رئاسة الوزارة بعد إذاعة بيانه كان في انتظاره حشد من أفراد الأسرة يصفقون له ويحيونه .



وكان الرئيس « ايزنهاور » في واشنطن يتابع ما يجرى في المنطقة ، وقد أحس أن الأمور في الشرق الأوسط تأخذ اتجاها آخر غير ما قصد إليه حين كتب للملك « سعود » يطلب إليه أن يتشاور مع العراق والأردن ولبنان ، لكى يقوموا جميعا بالتنسيق فيما بينهم لمواجهة قيام الوحدة بين مصر وسوريا وظهور دولة جديدة كبرى في المنطقة تحت اسم « الجمهورية العربية المتحدة » .

كانت تصرفات « سعود » التي انكشفت بهذه البساطة وتحولت إلى فضيحة مدوية صدمة كبرى بالنسبة للسياسة الأمريكية . والمؤكد في كل الأحوال أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عن الاتصالات والمشاورات والتحركات التي جرت في الرياض ، وانتهت بتنازل الملك « سعود » عن سلطاته لأخيه الأمير « فيصل » .

وفي بعض اللحظات بدا ضيق « ايزنهاور » بالتطورات في الشرق الأوسط - شديدا يغلبه كلما حاول أن ينحيه عن أفكاره . وقد دعا مساعده العسكرى البريجادير « جودباستر » وأمله مذكرة جاء فيها^(١٥) :

« إننى حتى هذه اللحظة لم افهم ماذا حدث في الشرق الأوسط . إن كل ما قرأته لم يجعلنى مهيا للتطورات التي جرت . فهل كنا على علم بها ام اننا فوجئنا مثل الآخرين ؟ لقد كانت سياستنا كما اعرف هي انتزاع سوريا بعيدا عن مصر ، وعزل ناصر بواسطة أخذ سعود من جانبه - فإذا نحن نفاجأ بالعكس تماما . ناصر يستولى على سوريا بالكامل ، ثم يقوم هو بعزل سعود - إننى أريد تقريراً عن الكيفية التي تم بها ذلك .

توقيع - أيك »

وظل السؤال معلقا حتى كتب السفير « رينهاردت » (خبير بالشرق الأوسط ، وقد أصبح فيما بعد سفيرا للولايات المتحدة في مصر) تقريراً قدمه إلى « جون أ .

^١ (١٥) مجموعة اوراق « ايزنهاور » وكذلك مجموعة وثائق الخارجية الامريكية .

كالهون « مدير السكرتارية التنفيذية للبيت الأبيض لكى يضعه تحت نظر الرئيس عله يجيب عن سؤاله الحائر المعلق . وفي هذا التقرير كتب السفير « رينهاردت » بالنص : (١٦)

« من الناحية التاريخية درجت جميع الفئات السياسية العربية إلى الجعجعة بمبدا الوحدة العربية ، ولكن لم يرتض أى منها التضحية بمطامحه الخاصة في سبيل تحقيقها . وقد اتخذ حزب البعث العربى الثورى من الوحدة العربية ملمحا جوهريا من ملامح برنامجه السياسى عندما انشئ سنة ١٩٤٢ . وقام الحزب بعد ذلك بإنشاء فروع له في لبنان والأردن وسوريا والعراق . وبعد الاطاحة بالديكتاتور السوري الشيشكلي في عام ١٩٥٤ وما تلا ذلك من عودة الحياة البرلمانية في سوريا ، اندمجت الشعبة السورية من حزب البعث مع الحزب الاشتراكي العربى السوري ، وهو جماعة يسارية راديكالية تضم عناصر من الطبقة المتوسطة السفلى ، ومن صغار ضباط الجيش . وعرف التنظيم الناشئ عن هذا الاندماج بحزب البعث العربى الاشتراكي ، واشتهر في سوريا ايضا باسم « البعث » . ومنذ عام ١٩٥٤ فصاعدا أخذ هذا التجمع الجديد ، معتمدا اعتمادا شديدا على تأييد من يعطفون عليه من ضباط الجيش السوري ، يظفر شيئا فشيئا بالهيمنة على الخصوم السياسيين الطيعين الجبناء في جميع أنحاء سوريا . وادت الأنشطة السوفيتية المتزايدة في المنطقة بما في ذلك الشحنات الضخمة من الأسلحة إلى مصر وسوريا ، وازدياد هيبة السوفيت بعد مغامرة السويس الانجليزية الفرنسية الاسرائيلية المجهضة - أدت لفترة ما إلى هذا الائتلاف الجديد بين حزب البعث والجيش للتعاون معا (سطور محذوفة في التقرير ، ثم يمضى نضه بعد ذلك إلى القول) وذلك عندما تبين ان الانتخابات البلدية المقرر إجراؤها في أوائل عام ١٩٥٨ قد تسفر عن هزيمة يلحقها الشيوعيون بالحزب . ومن هنا قرر ائتلاف البعث والجيش السعى إلى الاندماج مع مصر فورا على أمل أن يعطيه ذلك الحماية التى توفرها زعامة الرئيس ناصر ، مما يهيئ للبعث فرصا اكبر لزيادة قوته .

وفي يناير ١٩٥٨ عقد الضباط العسكريون السوريون غير الشيوعيين ، ووزير الخارجية السوري البعثى اجتماعات درامية مع ناصر في القاهرة توسلوا إليه فيها أن يقبل اندماج البلدين ، وكان هذا التطور مفاجأة للمصريين . وفي بادىء الأمر رفض ناصر النداءات السورية - غير انه كان من أشق الأمور عليه أن يقاوم نداء يستند إلى العقيدة الأصلية للفكر السياسى العربى الا وهى الرغبة العارمة في الوحدة العربية . ومن ثم وافق المصريون على إنشاء الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن وفقا لشروطهم هم ، وليس لشروط الائتلاف السوري بين البعث والجيش . إن زعماء البعث توقعوا أن تكون لهم الهيمنة على الحكومة في سوريا ، ولعلمهم فكروا في أن تصبح ايدولوجية البعث اساسا لنظام ناصر الثورى ، كما أن ضباط الجيش السوري افترضوا أنهم في وضعهم المدنى الجديد يستطيعون الاحتفاظ

(١٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الامريكية .

بقوتهم العسكرية ، والأرجح ان كلا من الفريقين سوف يلجج لعدم تحقيق مطالبه

ولم يكن في هذا التقرير ما يكفى لمواجهة قلق « ايزنهاور » على النتيجة التى آلت إليها المخططات الأمريكية فى المنطقة ، ولعلها من هنا أن تقرير السفير « رينهاردت » لم يظفر منه إلا بعلامة استفهام خطها على هامشه . ثم كان طلبه بعد ذلك هو إعادة تقدير الموقف ، ودراسة إمكانيات العمل المتاحة فى الظروف المستجدة .



وعقدت اجتماعات مشتركة بين خبراء وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية ، ودعى بعض المهتمين من وزارة الدفاع ، ودارت مناقشات لمدة يومين كاملين فى قاعة خاصة بوزارة الخارجية فى واشنطن . ثم جلس « جون فوستردالاس » وشقيقه « الان دالاس » يناقشان المحصلة ، واتفق رأيهما على أنه قد يكون من الضروري التقدم إلى « ايزنهاور » بتوصية لاجراء بعض الملاءمات مع خطوط مسار السياسة الأمريكية ، فهى « كما هى الآن على مسار صدام مكشوف مع حركة القومية العربية التى يبدو أن نجمها فى صعود » . ووافق « ايزنهاور » على المبدأ ، ولكنه أشار بالآ يكون من شأن أية ملاءمات جديدة أن تظهر للآخرين وكأنها توجهات سياسية جديدة ، وأن يكون ذلك مفهوما جيدا لكل المسؤولين الأمريكيين فى واشنطن وفى المنطقة .

وكلف « جون فوستردالاس » وزير الخارجية الأمريكية مساعدته « ويليام راونترى » بإبلاغ توجيه سرى إلى جميع سفراء الولايات المتحدة فى المنطقة ، وكان نصه كما يلى :

« سرى للغاية (١٧) »

توجيه رقم : ٢٢٧٩

تسجيل : ١٨ أبريل ١٩٥٨

خاص ولعلم رؤساء البعثات الأمريكية فى الشرق الأوسط وحدهم

سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة

١ - إن وزارة الخارجية تؤكد أن الاهداف الأساسية لسياسة الولايات المتحدة فى علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة ، باقية من غير تغيير .

إنها تؤكد من جديد أن ازدياد نفوذ مصر يتعارض مع القرار المشترك للكونجرس عن

(١٧) صورة من النص الكامل للوثيقة منشورة فى الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٦ صفحة ٨٥٠ - وهذه الوثيقة لها ظرف خاص ، فقد جرى الحصول على صورة لها بعد الثورة العراقية مباشرة ، ومن مصدر داخل السفارة الأمريكية فى بغداد ، ولهذا فإن اسم السفارة الأمريكية فى بغداد ظاهر عليها

الشرق الأوسط ، ويؤدي إلى تقوية القومية العربية ويشجع الاتجاهات المضادة للغرب ، وبالتحديد الاتجاهات المضادة لأمريكا ، في الشرق الأوسط وفي أفريقيا ، ثم هو يؤثر على هيبة حلف بغداد ، الذي يعتبر حلقة هامة في شبكة الدفاع عن العالم الحر ، ويمس بالضرر موقف إسرائيل ومصالحها ، الأمر الذي لا تستطيع الولايات المتحدة أن تتجاهله .

٢ - إن وجود السيطرة على مواصلات نقل بترول الشرق الأوسط إلى أوروبا ، سواء عن طريق قناة السويس ، أو عن طريق أنابيب البترول المتجهة إلى البحر الأبيض - تحت السيطرة الفعلية للقاهرة ، يعرض المصالح الأمريكية في المنطقة لخطر أكيد ، فإن ذلك يجعل الجمهورية العربية المتحدة الآن في وضع يمكنها من ممارسة ضغط على الولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية ، وهذا الاحتمال يمكن أن يتحول إلى سلاح مخيف في يد الرئيس ناصر .

٣ -

٤ - وفي الظروف الحالية ، فإن متابعة الأسلوب السابق تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، لن يؤدي إلا إلى مضاعفة سخط العرب ، ودفعهم إلى أحضان السوفيت ، وهذا يتطلب بعض التغييرات في أسلوب متابعة سياستنا ، ومن هنا تجيء مسألة « تخفيف » علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولا يتضمن الأمر إعادة تقدير أساسى لسياستنا ، وإنما هناك تحول تكتيكى مؤقت لفرضه الضرورة ، وعليه فإن الإفراج عن أرصدة مصر من الدولارات المجمدة في الولايات المتحدة ، وتخفيف بعض القيود المفروضة على التجارة ، وبعض الخطوات الأخرى ، تجرى دراستها في الوقت الحاضر .

وإذا نجحنا في أن نقنع ناصر بأن الولايات المتحدة ، قد وطدت نفسها على حكمه ، وأنها الآن على استعداد للاستجابة لبعض شروطه ، فإن النتيجة الحتمية لذلك ستكون فتورا في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والكتلة السوفيتية .

وإن احتمال نجاح تطور على هذا النحو موجود ، ويستدل عليه من تصريحات صادرة عن مصر - بينها تصريحات من ناصر نفسه - بما معناه أن الصلات القريبة بين مصر وروسيا قد استمدت جذورها من رفض الغرب أن يتفاوض مع مصر على أساس الشروط المصرية ، وهكذا فإن تحسنا في العلاقات بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة ، يمكن أن يؤدي - على المدى البعيد - إلى إثارة الشكوك في الكرملين ، ثم إلى إضعاف العلاقات العربية السوفيتية إن لم يؤد إلى قطعها تماما .

٥ - يتحتم أن تظل جهودنا متجهة إلى مهاجمة فكرة الوحدة بين مصر وسوريا ، ولا يجب أن تتوقف جهودنا لايجاد فاصل بين البلدين ، وينبغي أن يظل ذلك من أبرز أسس سياستنا في المنطقة .

وهناك قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته ، كما أن هناك قوى خارجية يمكنها في

أى لحظة ملائمة أن تتدخل ، وينبغي تدعيم هذه القوى من غير كلل ، وينبغي أن نذكر دائما أن أى تفسخ في الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر ، وإنما سوف يجعل من السهل أيضا محاربة القومية العربية ، في أى شكل تتخذه في الشرق الأوسط .

٦ - وسوف تكمل جهودنا بالنجاح أكثر إذا أمكن عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى العالم العربى ، وبالنسبة لهذه المهمة ، فإن ممثلى الولايات المتحدة ، سواء في الأقسام الدبلوماسية ، أو في أقسام الاستعلامات والدعاية في العالم العربى ، عليهم أن ينشروا الاعتقاد العام بأن الجمهورية العربية المتحدة تشكل خطرا مباشرا على كل الحكومات العربية .

وفي البلاد الملكية علينا أن نشرح بقوة أن تدعيم الجمهورية العربية المتحدة قد يؤدى إلى سقوط حكم جميع البيوت الحاكمة ، كما أنه في الجمهوريات يمكن بث الخوف من ابتلاع القاهرة لهذه الجمهوريات .

وفي النهاية ينبغي انتهاز كل فرصة لتقوية الاتحاد العراقي الأردنى الذى سوف يستمر في الحصول على تأييد الولايات المتحدة ضد الاتحاد السورى المصرى .

٧ - إن هذا المنشور يقدم تصورا عاما لبعثات الولايات المتحدة الدبلوماسية في الشرق الأوسط ، وتلقى كل بعثة منها بالذات تعليمات مفصلة تناسب مكانها .

توقيع

راوفترى



وعلى الأرجح فإن هذا التردد والتخبط بين الحقيقة والتعبير عنها ، وبين السر والعلن ، كان يعكس مشكلة قوة عظمى من قوى العصر فاجأتها حوادث لم تكن مستعدة لها ، ومن ثم راحت ترتجل وتصطنع في انتظار أن تمكنها الظروف ، وتتيح لها مناخا أكثر ثقة واستقرارا تستطيع فيه أن تعيد رسم سياستها والتعبير عنها في تناسق وانسجام .

وربما كان خير ما يشرح الحالة النفسية للسياسة في تلك الفترة من التردد والتخبط أنها راحت تفكر في مشاريع وحدوية لا تخطر بعقل عاقل .

وتكشف إحدى وثائق مجلس الأمن القومى^(١٨) أن لجنة تنسيق العمليات والسياسات التابعة له اقترحت أن تسعى الولايات المتحدة إلى إقامة دولة وحدة بين إيران وباكستان !

(١٨) الوثيقة رقم ٥٧٠٣/١ من ملفات مجلس الأمن القومى ، وهى بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٨ .

وكان رأى اللجنة أنه إذا كانت الوحدة ممكنة بين مصر وسوريا وليس بينهما حدودا جغرافية ، فإمكانياتها أكثر بين إيران وباكستان لأن لهما حدودا مشتركة !!



وتحتوى يوميات « ايزنهاور » (وهى مودعة فى مكتبته فى أبيلين - كانساس) على إشارات فى ذلك الوقت تظهر حيرة « ايزنهاور » إزاء الطريقة التى يمكن للولايات المتحدة أن تتصرف بها إزاء « جمال عبد الناصر » .

ويكتب « ايزنهاور » بخط يده فى يوم ١٠ مايو :
« إن امامى خططا كثيرة للخلاص من ناصر تقدمها لى المخابرات . وامامى تقارير مختلفة ومتضاربة عن نواياه ، فهم يقولون إن لديه جدول أعمال محددا للسيطرة على الشرق الاوسط بلدا بعد بلد تماما كما كان « هتلر » . وهم يؤكدون أنه ليس شيوعيا ، ولكنه إذا استولى على الشرق الاوسط كله ، فإن الشيوعيين سوف يسيطرون على منابع البترول » .

ثم يستطرد « ايزنهاور » :
« إن فوستر (دالاس) يعتقد ان بإمكاننا إذا اتبعنا سياسة ذكية ان نستطيع استمالته إلى ناحيتنا ، ولو لحصر ضرره على مصالحنا ، وقد وافقت وقلت لفوستر : على شرط ألا يبدو وكأننا نلحق حذاء ديكتاتور » .

والحقيقة اننى لا اعرف بعد كيف ينوى « فوستر » ان ينفذ سياسته هذه الذكية التى يتحدث عنها ، فقد اردنا عزل ناصر عن سوريا ، فإذا هو يأخذها بالكامل فى يده ! »

ويمضى « ايزنهاور » .
« إن القومية العربية حركة وطنية راديكالية ، ومثل هذه الحركات لها جاذبية ، وإذا اقترنت جاذبية الفكرة برجل يمثلها ، ويملك نفس القدر من الجاذبية الشخصية ، فمن المؤكد أنه يستطيع اكتساح الاقطاعيين الذين يحكمون فى البلدان الأخرى ، وأن يحرض شعوبهم على الثورة ضدهم ، وهذا يعطى الفرصة لـ « خروشوف » ليخنق الغرب ! »

ويصل « ايزنهاور » إلى بيت القصيد ، فيقول :
« لابد ان نجد وسيلة لتطبيق سياستنا فى مكان ما من العالم العربى ، ومن المحتم ان نثبت للجميع ان مبدا ايزنهاور له قوة على الفعل » .

ثم يصل « ايزنهاور » إلى القول :
« إن لبنان قد يكون فرصتنا لاثبات ان مبدا ايزنهاور قادر على الفعل ، ومع ان لبنان بلد لا يملك نفطا ولا جيشا ، فإنه يملك تجربة ديمقراطية معرضة الآن للخطر بسبب التحديات التى تواجهه (الرئيس اللبناني كميل) شمعون ! »

الفصل الثانى

الصيف الخطر !



كان « جمال عبد الناصر » قد ترك أفراح الوحدة في دمشق ، وعاد إلى القاهرة مدركاً أن مرحلة جديدة من الصراع على الشرق الأوسط ، وفيه توشك أن تبدأ . لقد انتهت مرحلة باءت فيها بالفشل كل مخططات الغرب ، وعلى رأسه الولايات المتحدة . وكان الفشل صارخاً . وكان تقديره أن الذين تلقوا هذا الفشل لن يقبلوا به كنتيجة نهائية للصراع مهما كان ما يتظاهرون به . ومن ثم فإن المرحلة الجديدة من هذا الصراع سوف تكون بالغة الخشونة ، وبدرجة تتناسب مع حجم الفشل الذى منوا به .

ولعله من هنا أراد فى هذه الفترة أن يستكشف إمكانيات السوفيت بطريقة مباشرة وعميقة . كان يرى أن الولايات المتحدة هى التى تقود المرحلة القادمة من المواجهة ، ويخطط جديدة . فهى حتى الآن ، ومنذ أن تصدرت لقيادة التحالف الغربى ، كانت فى الشرق الأوسط تفكر وتتحرك وتعمل محكومة بمواريث الاستعمار التقليدى - البريطانى الفرنسى - الذى انهار فى السويس . وأما الآن ، وخصوصاً بعد ما حدث فى سوريا وانتهى إلى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، فهى على وجه اليقين سوف تعطى نفسها بداية جديدة لا علاقة لها بما سبقها ، ثم إن هذه البداية سوف يكون عليها فى مراحلها الأولى أن تعوض النكسات التى تلقتها فى كل من دمشق والرياض .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان « جمال عبد الناصر » يدرك أن الأمور مع السوفيت تحتاج إلى مناقشات صريحة^(١) خصوصا بشواهد الموقف الذي اتخذه الحزب الشيوعي السوري من الوحدة . فهذا الحزب لم يكتف بهرب رئيسه « خالد بكداش » من جلسة التصويت على الوحدة خروجا على الاجماع العام ، وإنما راح من « صوفيا » يصدر بيانات متواصلة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وضد كل الأطراف التي ساعدت على إقامتها بما فيها حزب البعث . ووصل الأمر بالحزب الشيوعي السوري إلى أنه وصف حزب البعث بأنه « عميل مأجور لبنك مصر » على أساس تصور ارتآه الحزب الشيوعي السوري مؤداه أن النظام في مصر كله « واجهة للمصالح البورجوازية التي تملك بنك مصر » . وإضافة إلى ذلك فإن « جمال عبد الناصر » كان يشعر أن الاتحاد السوفيتي يشعر بضيق يحاول بكل الجهود إخفائه والتغطية عليه بسبب التناقض الواضح بين أفكار ثورة ٢٣ يوليو وبين التنظيمات الشيوعية ، وما نتج عن ذلك من ضبط لبعض التنظيمات الشيوعية واعتقال لأعضائها ، وصدر أحكام من المحاكم في حقها . وهكذا استجاب لدعوة سوفيتية قائمة ، ووصل إلى موسكو فعلا في أول زيارة رسمية له في أواخر شهر أبريل ١٩٥٨ .

والواقع أن جدول أعمال المباحثات الذي حمله « جمال عبد الناصر » معه في رحلته إلى موسكو كان مستوحى بالكامل من مؤتمر سري عقدته الأحزاب الشيوعية العربية في صوفيا(*) ، واتضحت منه خطوط سياساتها للمرحلة المقبلة . كانت المقررات البسرية لهذا المؤتمر تقوم على ثلاث فرضيات وجدها « جمال عبد الناصر » من وجهة نظره خاطئة ، وأكثر من الخطأ فإنها كان يمكن أن تصبح خطيرة إذا تبناها الاتحاد السوفيتي كسياسة له بناء على نصيحة أصدقائه المقربين من الشيوعيين العرب . كانت هذه الفرضيات الثلاث على النحو التالي :

١ - إن الصلح مع إسرائيل لا بد منه لأنه الطريق إلى توحيد كل جهود المنطقة ضد المصالح الاستعمارية الغربية .

٢ - إن الوحدة العربية دعوة رومانسية عاطفية ، وأنه مهما قيل عن تأثيرها العاطفي والمستقبلي لا يمكن في الظروف الحالية إلا أن تكون وسيلة لفتح أسواق أكبر أمام البورجوازية العربية .

٣ - إن الأحزاب الشيوعية يجب أن يتم الاعتراف بها ، وأن تتمكن هذه الأحزاب من تحقيق تعاون بينها على مستوى المنطقة كلها . (وكانت هذه

(١) نشرت جريدة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي خبر إقامة الوحدة بين مصر وسوريا في إحدى صفحاتها الداخلية ، وكان حجم الخبر الذي هز الشرق الأوسط هو ثلاثة عشر سطرا فقط !
(*) منشور عن مقررات الاجتماع وزع في بيروت ونشرته الصحف الشيوعية فيها

الفرضية الأخيرة على تناقض مع ما سبقها لأنها تقوم على التسليم بأن هناك أساسا حقيقيا لوحدة العمل السياسي في العمل العربي .

وعلى مائدة المفاوضات في الكرملين ، وفي مواجهة « خروشوف » و « بولجانين » قال « جمال عبد الناصر » إنه يريد أن يطرح مجموعة من القضايا السياسية العامة ، وبعدها يمكن أن ينتقل البحث إلى مسائل التعاون الثنائي بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . وكانت القضايا الثلاث هي بالتحديد ما استوحاه من مقررات مؤتمر الأحزاب الشيوعية العربية .

(١) إسرائيل - (٢) الوحدة العربية - (٣) الأحزاب الشيوعية في العالم العربي .

وطالت المناقشات وتشعبت ، وثار في بعض الأحيان نقض خلاف محددة . وحدثت مشاكل بسبب عملية الترجمة من الروسية إلى العربية . وقد كان الزعماء السوفيت مصريين على أن يتكلموا دائما بلغة بلادهم ، كما أن « جمال عبد الناصر » إزاء ذلك رأى أن يستعمل اللغة العربية . ولم يكن هناك سوى مترجمين سوفيت معظمهم من خريجي معهد الدراسات الشرقية . وربما كانت لغتهم بالكتابة على الورق مقبولة ، ولكنها في الحوار المتبادل كانت تفتقر إلى كثير من الدقة والوضوح .

ومن جانبهم ، فإن السوفيت حاولوا اختبار مدى التماسك بين الأعضاء المصريين ، والأعضاء السوريين في وفد الجمهورية العربية المتحدة . كما أنهم راحوا يشدونهم إلى محاورات يستهدفون منها استكشاف ما إذا كان إلحاحهم على الوحدة قضية اقتناع بعيد المدى ، أو أنه ضغوط الظروف .

وعلى أية حال ، فإن الزيارة كانت في أقل القليل فرصة يسمع فيها كل طرف الطرف الآخر مباشرة ، ويستنتج مما سمعه مما يشاء له ذكاؤه أن يستنتجه . ومع أن المراسم الاحتفالية - وقد بلغت درجة عالية من الحفاوة والتكريم - سادت كل أيام الزيارة - فإن الفرصة كانت متاحة للتعارف عن كثب . كما أن حرارة الزيارة فتحت الطريق بسهولة للاتفاق على مسائل العلاقات الثنائية ، وكان أبرزها أن « جمال عبد الناصر » طلب دراسة مشروع السد العالي جديا ، وإبلاغه بما إذا كان الاتحاد السوفيتي على استعداد للمشاركة في تنفيذه . وكذلك حدث نفس الشيء بالنسبة لخطة التصنيع في دولة الوحدة الجديدة ، وقد بدت للسوفيت شديدة الطروح . وأخيرا فقد كانت هناك مسألة التعاون في مجال الطاقة الذرية ، وكان الواضح أن السوفيت لديهم بعض التساؤلات عن نشاط العلماء الألمان في مصر في مجال صناعة الطائرات والصواريخ . وقد رد « جمال عبد الناصر » على هذا التساؤل بقوله : « إنكم أنتم هنا

في الاتحاد السوفيتي ومنافسيكم هناك في واشنطن تسابقتكم على
وإذا كنا قد استطعنا ان نقنع بعضهم بالذهاب إلى مصر ، فإن
كان الّا نتخلف عن تكنولوجيا الطيران والصواريخ ، فقد كان هذ
الأولى » .

وفي اليوم الأخير للزيارة سأله خروشوف : « لماذا يتعجل العو
ولماذا لا يأخذ إجازة أسبوع على الأقل في أحد منتجعات البحر الأ
مثلا » - ورد « جمال عبد الناصر » « إننى كنت أتمنى ، ولكن الحر
تتداعى تطوراتها ، وقد تلقيت وأنا هنا عنكم بالفعل تقارير عن
لبنان ، وكالعادة فإن الغرب يتهمنا ، وأحسب أننا مقبلون على
ولم يكن مخطئاً في تقديراته . ولم يكن بعيداً - كما تثبت ال
يدور في فكر « ايزنهاور » .

كان استقراء الوقائع يثبت مرة أخرى ، أنه ليس أقل أ
وثائقها .



لم يكن « ايزنهاور » يرسم خططا في الفراغ حينما اختار لبنان
مبدأ « ايزنهاور » ، وإنما كان لبنان مهياً بالفعل لحوادث الفصل ١١
الحار الذى توقعه « جمال عبد الناصر » وهو ما زال بعد في مو
إن العاصمة اللبنانية « بيروت » كانت قد تحولت في سنوات ،
لقاء ومواجهة بين كل التيارات الفعالة ، والمؤثرة في الصراع الكبير
العربى والشرق الأوسط . وفي الفترة اللاحقة لمعركة السويس مباشرة
مركزا رئيسيا لعمليات المخابرات والحرب النفسية والمؤامرات وتجار
جانب أنها كانت من قبل ذلك فعلا قاعدة خلفية لنشاط شركات الب
أمواله .

وحين قامت الجمهورية العربية المتحدة بالوحدة بين مصر وسوريا ، فإن الموازين الدقيقة والحساسة التي كانت حركتها تمسك بالعناصر المتنافرة والمتناقضة في لبنان بدأت تختل . وبدأ الشرر يتصاعد من احتكاك كتل هذه العناصر بعضها ببعض .

وكانت أبرز دواعي الاحتكاك أن الأغلبية الإسلامية التي رضيت أن تعيش في لبنان تحت حكم أقلية مارونية - بدأت تشعر أن قيام الجمهورية العربية المتحدة إلى شرق لبنان ، ومن حوله قد أعطاها بعدا وسندا تستطيع أن تطمئن إليه في مواجهة أوهايم راودت بعض الزعماء الموارنة في سلخ لبنان عن انتمائه العربي ، وإلحاقه بأوروبا عبر البحر المتوسط .

وفي الفترة التي قضاها « جمال عبد الناصر » في دمشق كانت مواكب القاصدين من بيروت إليها لا تنقطع عبر الجبال والوديان . وقدرت وكالات الأنباء - « رويتر » و « الأسوشياتد برس » - عدد اللبنانيين الذين قصدوا إلى بيروت في هذه الفترة التي لم تزد على أسبوعين بأكثر من نصف مليون لبناني (وهذا معناه أن نصف لبنان في الواقع شارك في مواكب الرحلة إلى دمشق) . وللانصاف ، فإن بعض الظواهر في المناخ بدت جامحة ، فإن قيام الوحدة أطلق العنان لتطلعات مكبوتة طال كبته ، إلى جانب أنه كان من بين السوريين كثيرون لم ينسوا بعد أن لبنان كان سنجقا سوريا . بل إن الرئيس « شكري القوتلي » خطب في أحد الوفود في ذلك الوقت يقول : « إن على لبنان أن يفكر الآن في الالتحاق بالجمهورية العربية المتحدة » . وكان هذا أكثر مما تحتمله طبائع الأمور في بيروت ، خصوصا وأنه كانت هناك قوى كثيرة تحاول إشعال النار على رؤوس الجبال على الطريق بين بيروت ودمشق .

كان كل اللاعبين بالنار - هواة ومحترفين - قد ذهبوا إلى بيروت بالأمر أو بالتطوع .

ذهبت كل عناصر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية العاملة في المنطقة . وتدفقت اعتمادات مالية من مصادر مختلفة على كل وسائل الاعلام وغيرها من أدوات الحرب المعنوية والنفسية في بيروت . حتى أن تقريراً للمخابرات اللبنانية وصل إلى يد اللواء « شهاب » قائد الجيش اللبناني في ذلك الوقت - قدر كمية الأموال التي أقيمت في السوق السياسية بمبلغ خمسين مليون دولار خلال مدة شهرين اثنين (٢) .

(٢) تقرير اللواء « فؤاد شهاب » ، تقرير تفصيلي ، والمعلومات التي وردت فيه شاملة ، وقد اطلع عليه السفير « عبد الحميد غالب » ، ونقل عنه فقرات طويلة في تقرير للسفارة المصرية من بيروت ، ولا توجد منه - حسب =

وشهدت بيروت في ذلك الوقت أيضا توسعا في نشاط جماعة « مصر الحرة » التي أسسها « محمود أبو الفتاح » (بمساعدة المخابرات الفرنسية) وراحت تكثف دعاياتها ضد الجمهورية العربية المتحدة . ومن بيروت مضت هذه المنظمة تحرر مواد إذاعتها الموجهة إلى مصر . وكان من أغرب ما أذيع على موجاتها في ذلك الوقت مجموعات من التعليقات جاء في عناوين بعضها : « الشعب يساق الآن في الشوارع ليهتف بالوحدة » - و « الشرباصي (وزير الأشغال) والباقوري (وزير الأوقاف) يسافران إلى سوريا كمنذوبين عن « جمال عبد الناصر » لبحث إمكانية استيعاب أرض سوريا ، والترتيبات المعيشية لمليون مصري مهاجر » - و « الوحدة مازالت حبرا على ورق ، ومع ذلك بدأت معركة الاستغلال » (٣).

كان واضحا من كثرة عدد اللاعبين بالنار أن المعركة التي توشك أن تبدأ ليست دفاعا عن بيروت ، ولكن هجوما على دمشق .



وبدأ تطاير الشرر .

في ٢٨ مارس ١٩٥٨ بدأت بعض العناصر من قرى الجبل تتحرش بالمواكب المتوجهة إلى دمشق سواء باعتراضها بحواجز الطرق ، أو بإلقاء الحجارة عليها ، ثم تطور الأمر إلى إطلاق النار في الهواء تخويفا وإرهابا . ثم جرت - وكان لابد أن تجرى - مصادمات . وانتشر نطاق المصادمات ، ثم راجت في بيروت على الأثر أخبار بدت مستغربة ، فقد شاع أن الرئيس « كميل شمعون » الذي أوشكت مدة رئاسته على الانتهاء يفكر في ترشيح نفسه مرة أخرى للرئاسة خلافا لنصوص الدستور اللبناني الذي يقصر رئاسة الجمهورية على مدة واحدة لكل رئيس . ثم جرى الهمس بأن هناك اتصالات تجرى لتعديل الدستور حتى تتحقق لـ « كميل شمعون » مدة رئاسة ثانية . وكان مبعث الاستغراب في هذا كله أن مسألة تعديل الدستور للسماح للرئيس بمدة ثانية كانت هي نفسها النقطة التي تحطم فيها حكم الرئيس اللبناني الذي سبق « كميل شمعون » وهو الشيخ « بشارة الخوري » . وفي فترة هذه الأزمة

= علمي - غير نسخة واحدة في أرشيف المخابرات العامة المصرية ، ويبدو أن اصل التقرير احيل إليها بكامله لتكملة معلوماته ومتابعتها ، والتقرير يحمل تاريخ ١١ يوليو ١٩٥٨ .

(٣) تقرير استماع صادر عن مصلحة الاستعلامات في مصر ، وكذلك تكرر التقاطه وورد في تقرير للمخابرات العامة تحت عنوان « النشاط المضاد - إذاعات موجهة في الفترة من مارس إلى يوليو ١٩٥٨ » .

كان « كميل شمعون » نفسه من أكثر المعارضين لتمديد فترة رئاسة الجمهورية ،
والآن كان بنفسه يكرر خطأ سلفه .

كانت حجة « كميل شمعون » وأنصاره أن الموقف سنة ١٩٥٨ يختلف عن أى
موقف سابق . فقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتأثير قيامها على القوى الإسلامية
في دمشق سوف يجعل هذه القوى تتشجع مما يهدد المركز الخاص للمسيحيين
الموارنة في لبنان . وهكذا فإن « كميل شمعون » في تقدير نفسه ، وفي تقدير أنصاره
كان أمام هدف أسمى من مصلحته الشخصية ، فقد كان عليه الآن إنقاذ مسيحيي
الشرق . وبالفعل فقد كاد يحولها إلى نوع من الحروب الصليبية ، وفي نفس الوقت إلى
تحرش سافر ومكشوف ضد الجمهورية العربية المتحدة بلغ مداه يوم ١٥ أبريل
بالقبض على خمسة من حرس الجمارك السوريين بحجة أنهم دخلوا الأراضي اللبنانية
في أثناء مطاردة مع جماعة من المهربين !

وفي مواجهة الاضطرابات التي اشتعلت في قرى الجبل على الطريق من بيروت
إلى دمشق ، ثم انتقلت عداواها إلى بيروت ذاتها - كتب « كميل شمعون » رسالة إلى
الرئيس ايزنهاور يسأله فيها « عما إذا كان يستطيع أن يعتمد على مبدأ ايزنهاور
لتحقيق الحماية للبنان المعرض الآن للخطر » ؟^(٤)

واستجاب « ايزنهاور » دون أن يرد كتابة أو صراحة ، وإنما أصدر الأمر إلى
بعض قطع الأسطول الأمريكي السادس بالتحرك إلى شرق البحر الأبيض المتوسط .

ولم يحدث تحرك الأسطول تغييرا أساسيا في الأزمة اللبنانية التي راحت تشتد
عندما تأكد أن « كميل شمعون » يعمل بالفعل لتجديد مدة رئاسته . ثم أدلى
« شمعون » بحديث إلى إحدى الصحف الفرنسية يقول فيه : « إننى لا أريد تجديد
مدة رئاستي ، ولكنني إذا لم أتأكد من وجود رئيس بعدى قادر على تحمل المخاطر
الجديدة المحيطة بلبنان ، فسوف أستجيب لنداء الواجب » . وأحدث هذا التصريح
ضجة كبرى بين قوى المعارضة الوطنية على مستوى الأحزاب ، وعلى مستوى
الصحف . وأصدر الرئيس « شمعون » أمره باعتقال صحفي من أشد المعارضين
لتعديل الدستور وتجديد فترة الرئاسة ، وهو الأستاذ « نسيب المتن » . وجرى
تظاهرات واحتجاجات تقرر بعدها الإفراج عنه ، وعاد ليواصل حملته ، ولكنه لم
يستطع أن يستمر فيها أكثر من ثلاثة أيام ، ففي ٨ مايو ١٩٥٨ جرى اغتياله ضربا
بالرصاصة . ولم يظهر فاعل توجه إليه التهمة . وثارت ثائرة أحزاب المعارضة ، واتسع
نطاق عملها ليشمل كل القوى الشعبية في لبنان ، وكان منطق الجميع « أن لبنان

(٤) برقية شغرية من السفير الأمريكي « مكلينتوك » إلى وزارة الخارجية . وهي ضمن مجموعة وثائق وزارة
الخارجية الموجودة في مكتبة الرئيس « ايزنهاور » في آبيلين - كلنسلس .

بتركيبته الدقيقة لا يستطيع أن يتحمل الاغتيالات . ثم كان طلب القوى الوطنية بعد ذلك ضرورة أن يستقيل « كميل شمعون » وأن تتألف حكومة أمن وطني تتولى المسؤولية إلى حين موعد إجراء انتخابات الرئاسة الجديدة ، وكان المفروض أن يحل هذا الموعد بعد ثلاثة شهور .

ورفض « كميل شمعون » وانحازت إليه كل العناصر المسائرة لاتجاهاته ، وبينها حزب « الكتائب » الذى حشد ميليشياته المسلحة - وفي مواجهة ذلك قام الزعيم اللبناني « كمال جنبلاط » بحشد الميليشيات الدرزية في جبال الشوف . وبدأ لبنان على حافة الحرب الأهلية . وفي نفس الوقت ادعى « كميل شمعون » أن عددا من مواطني الجمهورية العربية المتحدة السوريين المقيمين في لبنان يشتركون في إثارة الاضطرابات ، وهكذا صدر قرار بإبعاد ألف وأربعمائة سوري من لبنان !

ومرة أخرى كتب « كميل شمعون » رسالة إلى الرئيس « ايزنهاور » يسأل فيها عن احتمال مساعدته وفقا لـ « مبدأ ايزنهاور » . وفي هذه المرة لم يكن طلبه مقصورا على إجراء مظاهرة بقطع الأسطول الأمريكى السادس في الشواطئ اللبنانية ، وإنما كان طلبه هو نزول قوات أمريكية فعلا إلى بيروت لحفظ الأمن فيها .



وصلت رسالة « كميل شمعون » إلى واشنطن يوم ١١ مايو ١٩٥٨ . وبعد يومين - أى يوم ١٣ مايو - دعا « ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى عقد في المكتب البيضاوى في البيت الأبيض ، وحضره مع « ايزنهاور » كل من « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية ، ومساعد « كريستيان هيرتر » - عن الجانب الدبلوماسى - وعن الجانب العسكرى كل من الجنرالات « تويننج » و « جرونتر » من هيئة أركان الحرب المشتركة إلى جانب الجنرال « جودباستر » المساعد العسكرى للرئيس والمستر « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

كان « ايزنهاور » في بداية الاجتماع متضايقا لأن نائبه « ريتشارد نيكسون » الذى كان يقوم بزيارة رسمية لفرنزويلا قد قوبل بمظاهرة عدائية اعتدى عليه فيها بالضرب . وعندما أمكن إنقاذه من المظاهرة امتلأت شوارع العاصمة الفنزويليا « كاراكاس » بمظاهرات قطعت طريق « نيكسون » إلى المطار خارجا من فنزويلا واضطر « ايزنهاور » إلى إصدار الأمر بتحريك كتيبة من جنود البحرية على عجل بالطائرات لكى تفتح طريق « نيكسون » من الفندق الذى كان يقيم فيه إلى المطار

« كان « ايزنهاور » عندما دخل لاجتماع مجلس الأمن القومى قد عرف لتوه أن « نيكسون » قد تمكن من مغادرة « كاراكاس » دون حاجة إلى معونة القوات الأمريكية

التي كانت قد وصلت بالفعل إلى قاعدة « جوانتانامو » في كوبا . ومع أنه اطمأن على أحوال نائبه في الرئاسة ، فإن ملابسات الحادث كلها جعلته في مزاج سيئ . بالفعل من قبل أن يبدأ في مناقشة رسالة « كميل شمعون » .

وتشير مجموعة أوراق « ايزنهاور » إلى أن الاجتماع بدأ ببعض الملاحظات التي أبداه الرئيس عما جرى لنائبه في فنزويلا ، ثم انتقل إلى جدول الأعمال . وطلب « ايزنهاور » من « آلان دالاس » أن يبدأ بعرض الموقف في لبنان . وراح « آلان دالاس » يقرأ الرسالة الموجهة من « كميل شمعون » إلى الرئيس « ايزنهاور » وكانت قد وصلت إلى واشنطن عن طريق المخابرات المركزية الأمريكية . وفي صلب الرسالة كان « كميل شمعون » يسأل مرة أخرى عما إذا كانت الولايات المتحدة على استعداد لمساعدته عسكريا تطبيقا لمبدأ ايزنهاور ، وعما إذا كانت مستعدة للتعاون في ذلك الهدف مع البريطانيين والفرنسيين الذين أبدوا لـ « كميل شمعون » استعدادهم لمساعدته .

وطبقا ليوميات « ايزنهاور »^(٥) التي كتبها بخط يده ، فإنه أبدى على الفور عددا من الملاحظات :

□ أولها - أن « كميل شمعون » هو الذي تسبب في الأزمة بسعيه لترشيح نفسه مرة أخرى لرئاسة الجمهورية مخالفا لأحكام الدستور.^(٦)

□ والملاحظة الثانية التي سجلها « ايزنهاور » كانت قوله : « لماذا الفرنسيون ، وما هي ضرورة فرنسا في الموضوع مع أن الكراهية ضدها في العالم العربي حادة وعنيفة » . وأضاف « ايزنهاور » في هذه الملاحظة : « إنني أفهم اشتراك البريطانيين ، فما زال لهم أصدقاء في المنطقة ، وأما فرنسا فمسألة أخرى » .

□ ثالثا - تساءل « ايزنهاور » : « لماذا لا يستطيع كميل شمعون أن يعتمد على قائد جيشه اللواء شهاب في السيطرة على الموقف خصوصا في بيروت ؟ »



(٥) صفحة ٤٦٤ من الكراسة الثانية من مجموعة الأوراق .

(٦) في مذكراته المنشورة بعنوان « هجوم السلام » ، وفي صفحة ٢٦٥ من هذا الكتاب كتب « ايزنهاور » يقول بالحرف . « عندما سمعت أن كميل شمعون يريد تعديل الدستور لكي يتيح لنفسه فرصة أخرى في الرئاسة كنت مقتنعا بأنه أقدم على خطأ سياسي ، وكان رأيي أن عليه بسرعة أن ينفي أية نوايا لديه في هذا الصدد » .

وفي المكتب البيضاوى فى أثناء اجتماع مجلس الأمن القومى طلب « ايزنهاور من وزير خارجيته أن يبدى رأيه فى طلب « كميل شمعون » . وشرّد « دالاس » فى تفصيلات تاريخية وسياسية طويلة أوقعت « ايزنهاور » فى حيرة خصوصا عندما قال « دالاس » إن « جزءا مؤثرا من عدااء كميل شمعون للجمهورية العربية المتحدة أنها قاطعت شراء التفاح اللبنانى ، وهكذا أصبح هناك فائض فى السوق من هذا التفاح حجمه ٢٠ ألف طن » . وطلب إليه « ايزنهاور » أن يقصر كلامه على طلب التدخل العسكرى . وهنا أبدى « دالاس » بعض شكوكه حول الأساس القانونى الذى يمكن أن يرتب عليه نزول قوات أمريكية أو أمريكية بريطانية فى لبنان ، إلى جانب أنه أبدى مخاوفه من ردود الفعل لدى الشعوب العربية ولدى الاتحاد السوفيتى .

والتفت « ايزنهاور » إلى « آلان دالاس » مدير المخابرات ، وطلب سماع رأيه ، وأبدى « آلان دالاس » رأيا مؤداه أنه يفضل العمل المستتر على العمل المكشوف لأن العمل المكشوف يمكن أن يستفز ردود فعل يصعب تقديرها . كما أنه إذا بدأ يصعب الرجوع عنه حتى وإن تأكد فشله خصوصا بالنسبة لقوى عظمى . ويبدو أن « ايزنهاور » نفذ صبره ، فقد أبدى ملاحظة قال فيها : « إذا تصرفنا فهناك مخاطر ، وإذا لم نتصرف فهناك مخاطر ، وظنى أن عدم التصرف أخطر مهما كانت العواقب » . ثم التفت إلى الجنرال « توايننج » وطلب منه إخطار وزارة البحرية بالاستعداد للتدخل ، والاتصال بلندن لتنسيق الجهود مع وزارة الحربية البريطانية بقصد القيام بعمل مشترك فى لبنان .

وفى اليوم التالى يبدو أن الصورة تغيرت بعد لقاء بين السفير الأمريكى « روبرت ماكلينتوك » وبين اللواء « فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبنانى . وفى هذا اللقاء طبقا لتقرير كتبه السفير « عبد الحميد غالب » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى بيروت - فإن « ماكلينتوك » قال اللواء « فؤاد شهاب » : « إذا لم يتدخل الجيش اللبنانى لمواجهة الاضطرابات فى بيروت ، فإن الأسطول السادس سوف يقوم بنفسه بهذه المهمة » (٧) .

ولم تعد هناك حاجة إلى تدخل عسكرى مباشر أمريكى ، أو أمريكى بريطانى - ولكن « ايزنهاور » كان يشعر أن الأزمة قد تتجدد فى أى وقت ، وهكذا طلب من « دالاس » وضع التطورات المحتملة فى لبنان على قائمة جدول أعمال مؤتمر قمة كان مقررا عقده مع « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا فى الأسبوع الثانى من شهر يونيو ١٩٥٨ .

(٧) تقرير من السفير « عبد الحميد غالب » ، السفير المصرى فى بيروت بتاريخ ١٥ مايو ، واصله فى ملفات وزارة الخارجية المصرية . وهناك صورة منه مودعة فى أرشيف منشية البكرى .

وعندما قرأ « جمال عبد الناصر » تقرير السفير « عبد الحميد غالب » من بيروت ، وعرف بتفاصيل اللقاء بين السفير الأمريكي « ماكلينتوك » وقائد الجيش اللبناني اللواء « فؤاد شهاب » - رأى أن الموقف يقتضيه أن يتحرك لأن الأزمة قد تتجدد في أى وقت . وتحرك في ثلاثة اتجاهات :

١ - بعث برسالة شخصية إلى البطريرك « بولس المعوشي »^(٨) يقول له فيها : « إن أكثر ما يخشاه في لبنان هو أن تتحول أزمة تجديد مدة رئاسة الجمهورية إلى حرب أهلية بين المسيحيين والمسلمين في لبنان ، وأنه يعتبر نفسه مسؤولاً عن كل عربى مسيحى بنفس مقدار مسؤوليته عن كل عربى مسلم . وأنه إلى جانب ذلك يعتبر أن الدم الذى يراق في شوارع بيروت وغيرها من مدن وقرى لبنان أغلى من مطامح أى فرد . ثم ناشد البطريرك أن يبدى رأيه بما يكفل سلامة وسلام لبنان » . وذهب السفير « عبد الحميد غالب » إلى مقابلة البطريرك « المعوشي » وسلمه رسالة « جمال عبد الناصر » . وفى اليوم التالى أعلن البطريرك أنه لا يوافق على تعديل الدستور لأن تعديله فتنة تهدد لبنان بالانقسام .

٢ - وكان اتجاه التحرك الثانى نحو الفاتيكان . وقام السيد « حسين عزيز » وكيل وزارة الخارجية بدعوة القاصد الرسولى (سفير الفاتيكان في القاهرة) وأبلغه رسالة مؤداها : « أنه لا ينبغي أن يساورهم قلق على المسيحيين في الشرق ، وأن بعض ما يحدث الآن لا علاقة له بإخوة الوطن التقليدية بين المسلمين والمسيحيين في العالم العربى ، ونحن نريد أن يتذكر البابا أن المنطقة التى تعيش فيها الأمة العربية هى مهبط كل رسالات السماء » .

٣ - ثم كان الاتجاه الثالث للتحرك هو أن الرئيس دعا السفير الأمريكى في القاهرة « ريموند هير » إلى مقابلة معه ظهر يوم ٢٠ مايو ١٩٥٨ وأثار معه وقائع ما جرى ويجرى في لبنان . وقال السفير^(٩) : « إن الولايات المتحدة

(٨) قام بنقلها إليه السفير « عبد الحميد غالب » الذى بعث إلى القاهرة ببرقية عن لقائه مع البطريرك « المعوشي » وتاريخ هذه البرقية هو ٢٨ مايو ١٩٥٨ ، وهناك نسخة منها في أرشيف وزارة الخارجية ، كما توجد مجموعة من ثلاث نسخ في أرشيف منشية البكرى .

(٩) مذكرة عما دار في المقابلة أملاها الرئيس « جمال عبد الناصر » بعدها على السيد « سامى شرف » الذى كتبها بخطه ، وهى مودعة في أرشيف منشية البكرى ، وقد طبعت بعد ذلك على الآلة الكاتبة وأرسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية ، وإلى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وإلى إدارة المخابرات العامة - كذلك يكمل هذه المذكرة تقرير بعث به السفير الأمريكى « ريموند هير » إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو ضمن مجموعة أوراق « أيزنهاور » في الملف الذى يحمل عنوان « الانزال الأمريكى في لبنان » .

تتحمل التزامات معينة إزاء الحكومة اللبنانية . ثم استطرد يسأل الرئيس « عبد الناصر » : « ألا تستطيعون بنفوذكم الشخصى التدخل لدى الجبهة المعارضة فى لبنان لانهاء الأزمة ؟ » . ورد « جمال عبد الناصر » فقال بالنص ما يلى : « إذا كانت الحكومة الأمريكية تتصور أن هناك خطة مرسومة بين المعارضة اللبنانية وبيننا فهذا التصور خطأ . إن الحكومة الأمريكية فيما أرى تتجاهل العوامل الحقيقية للأزمة فى لبنان ، وفى رأى أنها مسؤولة قبل غيرها عما يحدث فى هذا البلد الآن . إن التدخل الحقيقى فى أزمة لبنان جاء من ناحيتكم انتم (يقصد حكومة الولايات المتحدة) ، فقد ألقيتم بثقلكم مع فريق وضد فريق . الحقيقة ان الحكومة الأمريكية تتجاهل التطورات الموجودة بأسرها . إن المنطقة كلها تحكمها نزعة ترفض أن تقبل الخضوع وتثور على السيطرة . ولقد نسيت الحكومة الأمريكية هذا كله فى لبنان ، ونسيت أيضا أن لبنان بالذات له أوضاع خاصة . وأن هذه الأوضاع تحتم أن يكون الشعب اللبنانى بأسره متماسكا مترابطا . وفى هذا الوضع ما الذى يمكن أن نفعله مع المعارضة ؟ - أعود فأكرر لك أنه إذا كانت الحكومة الأمريكية تتصور أن هناك اتصالات بيننا وبين المعارضة فى لبنان فهذا تصور خاطئ ، وإذا كانت تتصور أننا نستطيع أن نتدخل لدى المعارضة أو نضغط عليها ، فذلك إمعان فى الخطأ . إن زعماء المعارضة فى لبنان قادة مسؤولون ، ومسؤوليتهم أولا وأخيرا أمام الشعب الذى يقودونه . »

واستطرد « جمال عبد الناصر » يقول للسفير « ريموند هير » :

« أما التزاماتكم تجاه حكومة كميل شمعون فانا أعرفها . وليس هذا ما يعنينى فى المشكلة من أولها إلى آخرها . إن الذى يثير قلقى فى الأزمة كلها هو هذه الدماء التى تسيل . إننى أكره سفك الدماء ، وأظنكم تعرفون ذلك . وتقديرى للموقف أنه إذا سارت الأمور على هذا النحو ، فسوف يتعذر على الإطلاق إيجاد حل للمشكلة . إن النتيجة ستكون بعد ذلك مزيدا من الضحايا ، ومزيدا من سفك الدماء ، ومزيدا من الأحقاد بين أبناء الوطن الواحد ، وهذا ما لا أريد حدوثه مهما كانت الظروف . لذلك تجدنى من هذا الاعتبار وحده على استعداد بغير تردد أن أقوم بأى جهد تسمح به الظروف . ولكن المشكلة ليست سهلة وجهدى فيها محدود . ذلك لأن حكومة لبنان أدخلتني طرفا فى المعركة من أول يوم ، وأؤكد لك أنه لو لم تكن حكومة لبنان قد اهتمتني لكنت حاولت أن

أعرض وساطتي . وأظنك ترى معي أنى لم أعد أستطيع أن أفعل ذلك لأن حكومة لبنان اتهمت الجمهورية العربية المتحدة بغير دليل ، وصدقتم أنتم » .

وواصل « جمال عبد الناصر » كلامه قائلاً : « إننى قرأت تصريحاً لوكيل الخارجية الأمريكية « ويليام راونترى » أمام لجنة الاعتمادات فى الكونجرس ، وقد اتهم الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل فى أزمة لبنان ، وأنا أسألك الآن : « إذا كانت لديكم أدلة تؤكد هذا الذى يقوله « راونترى » فانا أريد أن أسمعها » .

ولم يعلق السفير بكلمة ، وإنما كان يكتب نقاطاً بما سمعه . واستطرد « جمال عبد الناصر » يقول :

« والآن علينا أن نسأل أنفسنا ما العمل ؟ والحل الوحيد الذى أتخيله الآن هو أن نحاول معاً أنتم ونحن أن نقوم بجهد مشترك Joint Approach بقصد إيجاد حل للأزمة الدامية - هذا إذا كنتم على استعداد » .

ومضى « جمال عبد الناصر » يقول :

« إن تصوراتى على النحو التالى : أنتم أصدقاء لأحد طرفى النزاع وهو الحكومة اللبنانية ، ونحن أصدقاء للطرف الآخر فيه وهو المعارضة الوطنية فى لبنان . فإذا وافقتم على أن نقوم بهذا الجهد المشترك ، فنحن على استعداد لأن نتصل مع زعماء المعارضة فى لبنان ، وننقل إليهم أية مقترحات قد تؤدى إلى حل الأزمة . وسؤالى المحدد لك هو : « هل الحكومة الأمريكية على استعداد لأن تشترك معنا فى محاولة لوقف إراقة الدماء ؟ » إنكم تتحملون مسؤولية خطيرة فيما يحدث لأن تدخلكم السافر مع فريق ضد فريق هو الذى أوصل الأزمة إلى ذروتها الحادة الحالية . »

وسكت « جمال عبد الناصر » ينتظر تعليق السفير الأمريكى الذى قال : « إن ما سمعته منكم الآن بالغ الأهمية ، وسوف أنقله فوراً إلى واشنطن ، ولكنى أريد أن أستفسر منكم عما إذا كانت هناك فى تصوركم حلول تفصيلية محددة ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » قائلاً :

« لا اظن أنه من الصعب الوصول إلى حل إذا خلصت النيات . ومن متابعتى لمجريات الحوادث في بيروت ، فإننى أرى أن هناك كتلة ثالثة بدأت تؤكد دورها بين موقف المعارضة الوطنية ، وموقف الحكومة اللبنانية . ولقد عرفت أن هذه الكتلة الثالثة تقترح الآن أن يتولى رئاسة الجمهورية شخص محايد يثق فيه الجميع ، ويكون عليه أن يوقف القتال ، وأن يتيح الفرصة أمام الأطراف لكي تتفاهم . ولقد فهمت من كل ما يصلنى أن هناك شبه قبول عام أن يتولى اللواء شهاب هذه المهمة ، فهو مسيحي مارونى مرموق ، ثم إن تصرفاته في الأزمة جعلته موضع رضا من أطراف كثيرة ، ثم إن موقعه كقائد للجيش اللبناني يسهل مهمته - ومع ذلك فهذه كلها تفاصيل . »



ووصل تقرير « ريموند هير » إلى واشنطن ووجد طريقه إلى مكتب « ايزنهاور » في البيت الأبيض ، وقدمته اليه سكرتيرته « آن ويتمان » . وقرأه بإمعان ، ثم التفت إليها وقال^(١٠) : « كيف يمكن لأحد أن ينقذ بلدا من قاداته ؟ سعود ضعيف ، وكنا نعتمد عليه ولكنه لم يثبت أى كفاءة . وشمعون كان في استطاعته أن يطرد شهاب ، ويعين جنرالا آخر ياتمر بأمره لكنه تردد ولم يفعل ، والآن فإن شهاب مرشح لخلافته . ناصر وحده هو الذى يعرف ما يفعل ، وسواء اختلفنا معه أو اتفقنا ، فلا بد أن نسلم بأنه زعيم حقيقى . »

كان « كميل شمعون » يرى تدافع التطورات ، وقد وجدها في غير صالحه ، وقرر استباقها ، فأعلن يوم ٢١ مايو أنه لا ينوى ترشيح نفسه لمدة رئاسة ثانية ، ثم قرر في نفس الوقت أن تقدم حكومته شكوى في الأمم المتحدة يتهم فيها الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل في شؤون لبنان ، وإرسال متسللين وأسلحة عبر حدوده لاثارة الاضطرابات فيه . وبدأت مناقشة الشكوى فعلا في الأمم المتحدة ، وقررت الأمم المتحدة تكليف سكرتيرها العام « داج همرشولد » بتشكيل قوة مراقبة تتوجه إلى منطقة الحدود بين لبنان ، والجمهورية العربية المتحدة لتتحري ما يجرى هناك على الطبيعة ، وتقدم تقريرا إليه (« همرشولد ») يعرضه على مجلس الأمن . وسجل « ايزنهاور » في يومياته بعد صدور هذا القرار ملاحظة هامة قال فيها : « لقد اثار استغرابى أن وفد ناصر في الأمم المتحدة لم يعترض على إرسال قوة مراقبين إلى حدود بلاده ، وهذا معناه أنهم واثقون من أنفسهم » .

(١٠) نشرت « آن ويتمان » كتابا بعنوان « يوميات البيت الأبيض » وقد وردت شهادتها عن هذا التقرير ، وقد روت فيه ما سمعته من « ايزنهاور » تحت العنوان الفرعى ليوم . ١٥ يونيو ١٩٥٨ .

وفي يوم ٨ يونيو ١٩٥٨ كان « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء البريطانى يقوم برحلته المرتقبة إلى واشنطن لاجتماع على مستوى القمة بينه وبين الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » . وكان اللقاء الأول بينهما يوم ٩ يونيو ، وكان مخصصا بالكامل للشرق الأوسط . وتظهر الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية تفاصيل ما جرى فى هذا الاجتماع^(١١) .

تمضى الوثيقة على النحو التالى :

« وزارة الخارجية

مذكرة عن محادثات بين المملكة المتحدة ، والولايات المتحدة الأمريكية ٩ يونيو ١٩٥٨

الموضوع : المعونة العسكرية للعراق ولبنان والأردن .

المشاركون :

من الولايات المتحدة : الرئيس - وزير الخارجية - ألان دالاس - السفير ديلون - السفير رينهاردت - السفير البريك - السفير راونترى - المستر سبراج من وزارة الدفاع - الجنرال قوايننج - الجنرال جودباستر .

عن المملكة المتحدة : رئيس الوزراء - السفير كاشيا (السفير البريطانى فى واشنطن) - السير نورمان بروك (وكيل وزارة الخارجية البريطانية) - السير باتريك دين (مساعد وكيل الخارجية) - اللورد هود - الوزير المفوض ويل موريس - المستر فريدريك بيشوب . «

ثم جاء فى المذكرة بعد ذلك ما يلى :

« طلب الرئيس إلى وزير الخارجية دالاس أن يشرح الموقف فى الشرق الأوسط . وتكلم الوزير ، فأبدى انشغاله الكبير بالمشكلة التى تواجه الغرب وهى المحافظة من ناحية على حكومات موالية فى المنطقة ، ومن ناحية أخرى عدم استثارة قوى القومية العربية ، وتطرق إلى أن هذه المشكلة أصبحت حادة فى لبنان لأن الصدام هناك قد بدأ فعلا . ثم أوضح أننا أكدنا للبنانيين منذ حوالى ثلاثة أسابيع أننا سنبحث بقوات مسلحة لمساعدتهم فى بلادهم فى ظروف معينة ، وذلك فى المقام الأول لحماية المواطنين الأمريكيين ، ولكن ذلك سيتم أيضا لتحقيق تدعيم الحكومة الحالية . ومنذ ذلك الوقت ، فقد أصبح يعتقد بأن الوضع يتحسن بصورة تجعل إرسال قوات عسكرية أمريكية إلى لبنان أمرا غير ملح . ولكننا فكرنا منذ فترة قريبة

(١١) رغم أنه جرى الحصول على هذه الوثيقة بمقتضى قانون حرية المعلومات ، فإن وزارة الخارجية الأمريكية سلمت هذه الوثيقة فى النهاية وقد حذفت منها فقرات كثيرة بدعى أنها تمس الأمن القومى حتى نهاية القرن الحالى !

حتى يوم الاثنين الماضي في احتمال إرسال قوات على عجل . وعلى أى حال فالصورة ليست واضحة لنا . وأشار الوزير إلى أن التعاون بين قواتنا العسكرية المختلفة ، وبين سفرائنا (البريطانيين والأمريكيين) كانت عوناً طيباً . وفي اعتقاده أنه يتعين علينا التعجيل بإرسال طائرات إلى لبنان والأردن . وقال إننا في وضع طيب من حيث ما نسلمه إلى لبنان من دبابات واسلحة صغيرة .

وتدخل الجنرال « تويننج » قائلاً إن هناك طلباً قد وصل حالا للحصول على ذخيرة خاصة وعلى ناقلة بحرية للجنود . وقال إن في وسعنا الشروع في توريد طائرات « هوكر هنتر » إلى لبنان والأردن بإرسال خطاب نوايا إلى لندن في خلال اسبوع^(١٢) . ثم قال الجنرال « تويننج » إن الحكومة العراقية تريد طائرات على وجه السرعة . وكان لدينا سرب من طائرات (اف ٨٦) في جنوب فرنسا ، ولكننا اضطررنا إلى سحبها في شهر أغسطس الماضي لأن بقاءه حيث كان يكلفنا مليون دولار في الشهر . والعراق يريد بعض هذه الطائرات بسرعة ، وقد خصصنا له ١٥ طائرة لكننا لا نستطيع إرسال شيء منها الآن ، وأسباب ذلك أن المطارات في العراق في حالة سيئة ، كما أنه لا توجد تسهيلات صيانة ، ثم إن العراقيين لم يتدربوا على استخدامها ، وكذلك فإن قطع الغيار لها موجودة هنا في الولايات المتحدة . وعلى أى حال فقد يكون في وسعنا إرسال ما بين ٤ و ٦ طائرات إلى العراق في غضون ثلاثة أسابيع .

وقال المستر ماكميلان (رئيس وزراء بريطانيا) إنهم في انتظار طلب للحصول على طائرات ، وهم لم يتلقوا طلبات حتى الآن . وسأله الوزير عما إذا كانوا يستطيعون تحويل ثمانى عشرة طائرة هوكر هنتر - ١٢ للأردن و ٦ للبنان - في ظرف ثلاثة شهور ؟ ورد المستر موريس بأنه قد يكون من الممكن إرسال ثلاث طائرات إلى كل بلد في غضون ٦ أسابيع من التقدم بالطلب (وتدفع الولايات المتحدة الثمن) .

وأبدى الوزير ملاحظة جاء فيها (فقرة محذوفة) أن أبلغه بان الحصول على هذه الطائرات مهم . واعتقاد الوزير أن إرسال هذه الطائرات يخلق تأثيراً نفسياً طيباً حتى ولو لم تكن لها قطع غيار . وقال الرئيس (ايزنهاور) إن من الأهمية القصوى إرسال من ٤ - ٦ طائرات (فقرة محذوفة) .

وعلق الوزير بان سرعة التصرف مهمة من زاوية سياسية ، وهى أن نبين بجلاء أننا نؤيد العراق لأنه هو القوة الحقيقة التى تدعم لبنان والأردن (فقرة محذوفة) .

وقال الرئيس : إن المسألة مهمة ، وهى اختبار عملي لامكانيات التعاون البريطانى الأمريكى .

وأبدى الجنرال تويننج اعتقاده بأن تدريب العراقيين على الطائرات التى تصلهم

(١٢) طائرات هوكر هنتر تنتج في بريطانيا ، ولكن الولايات المتحدة هى التى تشتريها لتسليمها إلى بلدان الشرق الأوسط المعنية ضمن برامج المساعدة العسكرية .

يمكن أن يقوم به خبراء أمريكيون ، فوافق الرئيس على ذلك (فقرة محذوفة) .

ثم قال الرئيس للجنرال تويننج إن عليه أن يبعث رجاله إلى العراق في أسرع وقت ممكن (فقرة محذوفة) .

وقال الرئيس إنه بالنظر إلى الأهمية النفسية لتأييد الاتحاد العربي الهاشمي إزاء الجمهورية العربية المتحدة ، فإن على الجنرال تويننج وزملائه في المملكة المتحدة أن يعملوا معاً على توريد هذه الطائرات بسرعة .

وأشار الوزير إلى أن التعاون بين العسكرية البريطانية والأمريكية على مسرح العراق لم يجر بطريقة سلسة . وقال الرئيس إن من الضروري التحدث بصورة جدية إلى بعض من رجالنا حول هذا الموضوع . ثم استدعى الرئيس الجنرال تويننج الذي كان قد غادر الاجتماع ، وطلب منه التأكد من أن تعاونه مع البريطانيين وثيق وكامل في المجال العسكري . واتفق على أن يتم التعاون في توريد المعدات العسكرية للعراق ولبنان والأردن من خلال بعثات عسكرية في الميدان ، وبالتنسيق مع الأميرال « ديني » رئيس البعثة البريطانية للاتصالات المشتركة في واشنطن . »



وفي يوم ١٥ يونيو بعث « كميل شمعون » إلى الرئيس « أيزنهاور » بطلب رسمي بإرسال قوات أمريكية إلى لبنان فوراً لأن الأمن يتدهور نتيجة لتدخلات سافرة من الجمهورية العربية المتحدة . ودعا « أيزنهاور » إلى اجتماع طارئ لمجلس الأمن القومي في البيت الأبيض . وانعقد الاجتماع فعلاً في الساعة الخامسة وعشر دقائق في المكتب البيضاوي . واستمر اجتماعه حتى الساعة السابعة إلا الربع . ويكتب « أيزنهاور » في يومياته يومها ما نصه :

« إن شمعون طلب تدخل قواتنا . ولا أعرف كيف كان في مقدوري إرسال بحارة الأسطول إلى بيروت قبل أن يقدم همرشولد تقريره إلى الأمم المتحدة . لم تكن نحن الذين ذهبنا إلى مجلس الأمن ، ولكنه هو الذي اختار أن يذهب . ولا أظننا نستطيع أن نتدخل طالما أن الأمم المتحدة لم تقل كلمتها بعد التحقيق الذي كلفت به . ثم ما هو المطلوب من تدخلنا ؟ هل نتدخل لحساب رجل هو الآن سجين في قصره ، أو في فندق لا أعرف ، ثم ما هو مدى تدخلنا المطلوب ؟ لقد كنت أقول للإنجليز والفرنسيين عندما تدخلوا في السويس إنهم يجب أن يعرفوا هدفهم من التدخل ، وأن يقرروا مدى تدخلهم ، وأنا لا أريد أن أتورط فيما كنت أحذر الآخرين منه . »



وفي يوم ١٨ يونيو وصل « داج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة بنفسه إلى بيروت ، والحقيقة أن حكومة الولايات المتحدة كانت تستعجله ليذهب . وفيها عقد عدة اجتماعات مع كبار ضباط فريق المراقبين التابع للأمم المتحدة . واستمع منهم ، وخرج بنتيجة مؤداها : « أن فريق المراقبين لم يجد دليلا واحدا يدين الجمهورية العربية المتحدة بأى عمل من أعمال التسلل أو تهريب الأسلحة » . والتقى « همرشولد » في نفس الليلة في بيروت بالسفير الأمريكى « ماكلينتوك » وأفضى إليه بانطباعه الأول . وقال له « ماكلينتوك » ما مؤداه أنه يثق بـ « ناصر » أكثر من اللزوم . ورد عليه « همرشولد » بقوله : « مهما كان رأى الآخرين ، فإنى أتحدث مع ناصر بصراحة كاملة فى كل ما يخطر لى ، وأقول له دوما : « إنه لم يعدنى بشيء إلا وقام بالوفاء به » وأنا أريد أن يبقى السجل باستمرار على هذا النحو . »^(١٣)

وفي اليوم التالى أقام رئيس وزراء لبنان حفل غداء تكريما لـ « داج همرشولد » وبعد الغداء فوجئ « همرشولد » بدخول كعكة كبيرة مغطاة بالكريمة البيضاء ، وقد كتب عليها بالسكر وبلون أحمر وباللغة الفرنسية : « أيتها الأمم المتحدة انقضى لبنان » . والتفت « همرشولد » يقول لرئيس الوزراء اللبنانى بالفرنسية أيضا : « سيدى الرئيس : إننى لا أستطيع قبول هذه الدعوة لأن لبنان وحده هو الذى يستطيع أن ينقذ لبنان »^(١٤) . وكانت الإشارة ذات معنى ، ولكن « همرشولد » فوجئ بعدها بحملة فى بعض الصحف اللبنانية ضد فريق الأمم المتحدة تتهمه بأنه يغمض عينيه . ثم تلقى من مقر الأمم المتحدة فى نيويورك تقريراً عن خطاب للسيد « فاضل الجمالى » رئيس وزراء العراق يدعوفيه الأمم المتحدة إلى إرسال قوات للبنان تتصدى عمليا للعدوان الواقع عليها !

وعاد « همرشولد » إلى نيويورك بعد أن زار عددا من العواصم العربية ، فقد كان عليه أن يقدم تقريره إلى الأمم المتحدة . وفى نفس يوم وصوله إلى نيويورك تلقى خطابا من رئيس وزراء إسرائيل الذى كان متحمسا لتدخل عسكري أمريكى فى لبنان يؤدى إلى احتكاك عسكري مباشر مع الجمهورية العربية المتحدة - يقول له فيه : « إننى أصارحك القول بأنك تتخلى عن لبنان وتتركه وحيدا لمؤامرات الجمهورية العربية المتحدة . إننى لا أعرف أية تأكيدات تلقيتها من رئيس الجمهورية العربية المتحدة حينما اجتمعت به ، ولكنى أعرف أن هناك أسلحة ومسلحين

(١٣) مذكرات السير « برايان أوركهارت » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهو دبلوماسى بريطانى مرموق (صفحة ٢٦٩) .

(١٤) مذكرات مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة السير « برايان أوركهارت » (صفحة ٢٧٠)

وذخائر تتسرب عبر الحدود السورية إلى لبنان . وإننى لاتسائل عما إذا كنت بعلم أو بغير علم لست شريكا^(١٥) في ميونيخ أخرى في الشرق الأوسط^(١٦) » .



وكانت الحملة الصحفية على « همرشولد » تزداد شدة وعنفا يوما بعد يوم في أوائل شهر يوليو ، وقد شاركت فيها بالنصيب الأوفر الصحافة الأمريكية ، والصحافة البريطانية على جانبي الأطلنطى . وكان « همرشولد » يشعر بضيق لا يخفيه ، فقد كان يعرف بتجربته أن هذه الحملة وراءها « توجيهات رسمية » . وقد كتب إلى « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطاني خطابا شخصيا^(١٧) قال فيه : « إننى لم أكن اتوقع شيئا أفضل مما لقيت بالنظر إلى النظريات الغليظة التى راجت في أعقاب أزمة السويس عندما قيل إن ناصر قد استغفلى ، أو أننى كنت عميلا له ، مع أنى أعتقد أن نتائج الترتيبات المختلفة التى تمت مع مصر خلال هذه الأزمة ، والتى كنت مسؤولا عنها كان يجب أن تقنع هذه الصحف (فى لندن ونيويورك وواشنطن) بأنها كانت على خطأ طوال الوقت . ومع ذلك فإن هذا كله لا يهم ، وسوف يظل اعتقادى بأن الخط المستقيم سوف يبدو ملتويا أمام هؤلاء الذين انصرفوا عنه » .

وفى يوم ٧ يوليو توجه « همرشولد » إلى واشنطن وتناول الغداء مع « دالاس » وزير الخارجية الأمريكى ، وإذا بـ « دالاس » يحمل تحت ذراعه ملف قدمه إليه قائلا : « إنه يضم تقارير كاملة ومفصلة عن عمليات التسلل من الجمهورية العربية المتحدة إلى لبنان » . وقام « همرشولد » بتقليب بعض الصفحات فى الملف ، ثم قال لـ « دالاس » إن هذه كلها تقارير ليس لها مصدر ، ولم تخضع لأى نوع من التحقيق ، وهولا يستطيع أن يعتمد عليها . وراح « دالاس » يصارحه « بأن الولايات المتحدة واقعة تحت ضغط عنيف من العراق وتركيا وإيران وإسرائيل للتدخل فى لبنان . وأكثر من ذلك فإن الجنرال « ديجول » الذى كان قد عاد إلى السلطة قبل ذلك بقليل^(١٨) بعث إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا يقول لهما إنه إذا كان فى نيتهما التدخل عسكريا فى الشرق الأوسط ، فإن فرنسا يجب أن يكون لها دورها » .

(١٥) المصدر نفسه ، وبين جوريون هنا يشير إلى استسلام الحلفاء الشهير فى ميونيخ امام « أدولف هتلر » سنة ١٩٣٨ .

(١٦) المصدر السابق (صفحة ٢٧٣) .

(١٧) المصدر السابق (صفحة ٢٧٤) .

(١٨) عاد ديجول إلى السلطة بعد انقلاب الجنرالات الفرنسيين فى الجزائر يوم ١٣ مايو ١٩٥٨ وقد دعوه إلى الامساك بدفة الحكم ، وظل صامتا ليومين لاح خلالهما ان فرنسا مهددة بحرب اهلية ، وخرج ديجول يوم ١٥ مايو ببيان صحفى يقول فيه : « إننى فى خدمة فرنسا . إننى وحدى لا أنتمى لأحد ، وبالتالي أنتمى للجميع » .

كان « همرشولد » يشعر بالضغط التي يتعرض لها « دالاس » لكنه لم يكن يستطيع أن يجعل من فهمه لموقف « دالاس » مبررا يدفعه إلى الاخلال بنزاهة الأمم المتحدة . وهكذا فإنه علق على ما سمعه من وزير الخارجية الأمريكي قائلا : « إنني اعتقد أن ناصر كان مخلصا عندما عبر لي عن عدم رغبته في ضم لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة » .

وكانت العاصفة الكبرى لهذا الصيف الحار على وشك أن تهب . وكانت عودها وبروقها على وشك أن ترى في سماء بغداد .



بينما كانت أنظار الكل مركزة على ما يجري في بيروت لم ينتبه كثيرون بالقدر الكافي إلى ما كان يجري في عاصمة حلف بغداد التي كانت قد أصبحت في الوقت نفسه عاصمة الاتحاد الهاشمي الذي أنشئ لمواجهة قيام الجمهورية العربية المتحدة .

والملاحظة الغربية على مجموعة الوثائق الأمريكية في تلك الفترة أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت طوال سنة ١٩٥٧ مهتمة بإجراء تقديرات عن احتمالات المستقبل في بغداد . وقد كتب مديرها « آلان دالاس » مذكرة إلى وزارة الخارجية أشار فيها إلى الصعوبات التي أضيفت إلى أثقال الحكومة العراقية نتيجة للتواطؤ البريطاني الفرنسي مع إسرائيل في معركة السويس . وجاء في هذا التقرير ، وفي البند الثالث منه ما نصه : « تشير معلوماتنا إلى انتشار السخط في الجيش العراقي ولا سيما بين الضباط الشباب ، وقد أشيع أن أربعين ضابطا على الأقل قد اعتقلوا . وقد ذكر مدير العمليات العسكرية في الجيش العراقي للملحق العسكري الأمريكي أنه « إذا صدرت أوامر للجيش بحماية نظام نوري السعيد ، فإنه يشك في أن الجيش سوف يقبل إطاعة هذه الأوامر » .

ثم جاء في البند الخامس من هذا التقرير ما نصه : « إن تقارير سفيرنا في بغداد السفير كولمان قد رددت أكثر من مرة في الفترة الأخيرة أن نوري السعيد يبدو باستمرار مجهدا ومشغولا » .

ثم جاء في البند السادس من نفس المذكرة « إنه إذا لم يحدث تغيير أساسي في العراق ، فإن مركز الحكومة العراقية سوف يضعف كثيرا ، وإذا أسقطت حكومة نوري السعيد فإن الحكومة الجديدة سوف تجد نفسها أمام ضغوط لا تستطيع تحملها » .

ويبدو أن « آلان دالاس » ظل مشغولا بالعراق لشهور بعد ذلك ، فقد شكل مجموعة أمن موسعة لاعداد تقدير مخابرات مفصل عن الأحوال في العراق شاركت في وضعه هيئات متعددة منها إدارة المخابرات بوزارة الخارجية . ومساعد رئيس الأركان العامة ، ومدير مخابرات الجيش ، ومدير مخابرات الأسطول ، ومدير مخابرات سلاح الطيران . وقد انتهوا جميعا إلى تقرير عنوانه « نظرة على مستقبل العراق » وكان ملخصه : أن هناك فرصة للاحتفاظ بالاستقلال السياسي الحالي في العراق طالما أن « نوري السعيد » يمارس نشاطه سواء كرئيس للوزراء ، أو كمركز قوة لتوجيه سياسات من وراء الستار .

ثم أشار التقرير إلى أن الخطر الأكبر على العراق سوف يجيء من « الضغوط الهدامة من جانب مصر وسوريا ضد تحالف الملوك الثلاثة فيصل وحسين وسعود » . ثم أشار التقرير في بنده الأخير للجيش العراقي ، ولم يتوقع منه خطرا . وقد جاء في البند الخاص بالجيش ما يلي : « إن القوات العسكرية العراقية التي يبلغ عددها نحو ٦٥ ألف جندي قادرة على المحافظة على الأمن الداخلي . وربما تكون قادرة على الدفاع عن البلد في وجه هجوم من جانب أى من الدول العربية المجاورة . غير أن قدرة القوات المسلحة العراقية محدودة في الدفاع ضد قوة كبيرة . وإذا ما دعى الجيش العراقي للمساعدة في عمليات تجرى خارج بلاده ، فسوف يواجه مشاكل خطيرة في الامداد والتمويل . وربما يعجز عن إبقاء أكثر من فرقة واحدة في مسرح العمليات خارج حدود بلاده بدون الاضرار بقدرته على المحافظة على الأمن الداخلي^(١٩) .

ثم لا يبدو بعد ذلك أن هناك تقديرات جديدة للموقف في العراق ، ومن المحتمل أن اهتمام وكالة المخابرات قد توجه إلى بؤر أخرى للتوتر في الشرق الأوسط .



كانت هناك أشياء كثيرة تجرى تحت السطح في بغداد . وفي بعض اللحظات فإن ما كان يجرى تحت السطح ظهر كإشارات فوقه . كان يمكن لأى عين مدربة وخبيرة أن تلمح ، وتحاول على الأقل استكشاف ما وراءه ولو لمجرد الاطمئنان . ولكن هذه

(١٩) تقرير المخابرات رقم ٢٩٢ وهو صادر عن وكالة المخابرات المركزية الامريكية .

الاشارات بانث ، ثم اختفت دون أن يرصدها أحد من الذين كان يجب أن يعينهم أمرها .

ولقد عرف « جمال عبد الناصر » على سبيل المثال أن هناك تنظيما في الجيش العراقى يطلق على نفسه اسم « الضباط الأحرار » . وكان السيد « عبد الحميد السراج » وزير الداخلية في الاقليم السورى لدولة الوحدة هو مصدر معلوماته . فقد وصل « عبد الحميد السراج » إلى لقاء مع « جمال عبد الناصر » في أوائل شهر مايو ١٩٥٨ وقال للرئيس : « إن اثنين من الضباط العراقيين العاملين ضمن الكتائب العراقية الموجودة في الأردن قد اتصلوا به ، وسألوه عما إذا كانت الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لمساندتهم إذا ما قاموا بثورة في العراق » . وقام « عبد الحميد السراج » بتسمية هذين الضابطين بأنهما العقيد الركن « عبد الكريم قاسم » والعقيد الركن « عبد السلام عارف » . وسأله « جمال عبد الناصر » عما إذا كان يعرفهما من قبل ؟ ورد « السراج » بأنه يسمع عنهما من التقارير التي تجيئه من بغداد ، ولكنه لم يلتق بهما إلا أخيراً بناء على طلبهما ، وفي نقطة على الحدود السورية الأردنية . وقال « عبد الحميد السراج » إن الضابطين العراقيين سألوه عن ظروف إجراء انقلاب في العراق ، وعن إمكانيات نجاحه ، وعن القوى العربية والدولية التي يمكن أن تساعد . ثم طلب « عبد الحميد السراج » من الرئيس توجيهه فيما يمكن أن يرد به عليهما ذاكرا أنه على موعد معهما في الأسبوع القادم وكان رد « جمال عبد الناصر » محددا في عدة نقاط :

١ - أن الذى يريد أن يقوم بعمل وطنى لا يسأل أحدا في الخارج عن الطريقة التى ينفذ بها هدفه ، فكل وطنى أدرى بالظروف التى يواجهها ، وليس هناك نموذج قياسى متعارف عليه يرسم الخطوات لأحد .

٢ - أنه من الخير للضابطين ولزملائهما إذا كانوا جادين أن يحتفظوا بأسرارهم لأنفسهم ، وإلا انكشف تنظيمهم وتمت تصفيته قبل أن يقدم على الخطوة الأولى في عمله .

٣ - أن موقف الجمهورية العربية المتحدة المبدئى على أى حال واضح في مساندة كل عمل يهدف إلى تحسين أوضاع أى شعب عربى سواء كان ذلك عن طريق التطور ، أو عن طريق الثورة .

ثم كان توجيه « جمال عبد الناصر » أن يظل على اتصال بالضابطين دون أن يكون هذا الاتصال مكثفا ، أو ظاهرا بحيث يبقى على علم بالتطورات دون أن يستطيع أحد أن يمسك عليه أنه كان متورطا فيها على نحو أو آخر .

والتقى « عبد الحميد السراج » بعد ذلك في الموعد المقرر بكل من « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » ونقل إليهما ما سمعه . وراح كلاهما يروى له بعض التفاصيل عن تنظيم « الضباط الأحرار » في العراق مما دعا « عبد الحميد السراج » أن يبعث بعد ذلك برسالة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يقول فيها إنه يبدو أن الموضوع الذى تحدث فيه معه في لقائهما الأخير جدى ، وأنه يمكن أن يؤدى إلى تطورات هامة .



كان تنظيم الضباط الأحرار بالفعل كما وصفه « عبد الحميد السراج » عملا جديا . وقد قدر له بالفعل أن ينجح رغم أن بعض المعلومات قد تسربت عن خطته إلى أطراف سياسية في العراق مما كان يمكن أن يؤدى إلى كشفه قبل التوقيت المناسب - لكن تحول الأنظار كلها إلى الأزمة اللبنانية أصاب أذانا كثيرة بالصمم ، وعيوننا كثيرة بالعمى - فلم تسمع ولم تر .

كان التنظيم يضم قرابة مائة ضابط ، وبينهم من كانت لهم صلة بالأحزاب . وقد قام بعض هؤلاء بالفعل بإبلاغ أحزابهم بخطة الثورة قبل تنفيذها فعلا يوم ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨ .

والواقع أن ثلاثة أحزاب ، وهى « حزب البعث العربى الاشتراكى » فى العراق و « الحزب الشيوعى العراقى » و « الحزب الوطنى الديمقراطى » أبلغت جميعها بموعد الانقلاب يوم الجمعة ١١ يوليو ، أى قبل موعد تنفيذه بثلاثة أيام . ولقد تصرف كل حزب منها وفقا لخطته وتوقعاته فى المستقبل . ومن اللافت للنظر أن الحزب « الشيوعى العراقى » أعد وطبع بيانا قبل الثورة موجها إلى جماهير الشعب العراقى يدعوها فيه إلى اقتحام ساحة العمل الثورى ، وقد جاءت فى هذا البيان فقرة تحت الجماهير على « تجنب إبراز شعارات مبهمة أو متطرفة ، أو تلك التى تمجد هذا الزعيم أو ذاك من قادة الحركة الوطنية ، أو العربية على حساب طمس شعاراتنا الأساسية ، والتقليل من شأن نضال الجماهير الشعبية والجبهة الوطنية » . وبالطبع فقد كانت هذه الملاحظة تحذيرا مبكرا من الدعوة إلى أى وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، ومن التوجه إلى « جمال عبد الناصر » . ومن الواضح أن الحزب حتى فى تلك اللحظات المبكرة كان يستذكر تجربة « الحزب الشيوعى » فى دمشق .

وعند منتصف ليلة ١٤ يوليو بدأ اللواء العشرون ينفذ خطة الاستيلاء على بغداد ، كما وضعها كل من « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » ، وكانت أول خطوة فيها هى الاستيلاء على معسكر الرشيد ، واعتقال رئيس أركان حرب الجيش الفريق « محمد رفيق عارف » ، ثم التوجه لاحتلال قصر « الرحاب » والقبض

على أفراد الأسرة المالكة ، والتوجه إلى إذاعة بغداد لاحتلالها وإذاعة البيان رقم «١» .

وشهدت الحديقة الأمامية لقصر « الرحاب » أعنف مشاهد الثورة وأكثرها دموية . فقد كانت الأسرة الملكية كلها تبئت فيه تلك الليلة لأن الملك « فيصل » وولي عهده الأمير « عبد الاله » كان مقررا أن يسافرا في الصباح إلى أنقرة لحضور اجتماع على مستوى القمة لدول حلف بغداد . ويبدو أنهما قررا تسهيلا لاجراءات السفر أن يبيتا في نفس القصر ، وأن يخرجوا معا في الصباح متوجهين إلى المطار . وهكذا فإن قوات الانقلاب التي توجهت إلى قصر « الرحاب » ما لبثت أن اكتشفت أن الجميع داخله . وقام أحد الضباط الثائرين بتوجيه إنذار إلى الضابط المكلف بالحرس الملكي ليلتها . ثم جرى على الأثر وفي الساعة السادسة والربع إطلاق النار على القصر ، وكان الأمير « عبد الاله » أول من استيقظ فاتصل بقائد الحرس يسأل عما جرى ، ثم أصدر إليه أمرا أن يحاول كسب الوقت حتى تتحرك نجدات من قيادة الجيش إلى فك الحصار حول قصر « الرحاب » . وأحس ضباط الثورة بالمنورة ، فبدأوا بإطلاق قنابل مدفع مضاد للدبابات على جدران القصر . واقتنع الحرس الملكي أنه لا فائدة من استمرار المقاومة ، ودخل أحدهم إلى الأسرة المالكة وأبلغ أفرادها الذين كانوا قد تجمعوا مأخوذين بالمفاجأة في الدور الأول بأنه ليس هناك مفر غير الاستسلام . وخرجوا جميعا إلى ساحة القصر المؤدية إلى حديقته الأمامية يتقدمهم الملك « فيصل » يليه الأمير « عبد الاله » وبعده الملكة « نفيسة » والأميرة « عبدية » والأميرة « هيام » قرينة الأمير « عبد الاله » وتبعهم بعض خدم القصر . ولم يتمالك أحد الضباط الثائرين نفسه ، فإذا هو يوجه مدفعه الرشاش إليهم ويقتلهم جميعا باستثناء الأميرة « هيام » التي أصيبت بجراح خطيرة ، ولكنها لم تفارق الحياة . ونقلت الجثث في إحدى سيارات القصر إلى مقر قيادة الثورة في وزارة الدفاع ، ثم قامت بعض الجماهير في الشوارع بإيقاف موكب الجثث ، واستطاعت انتزاع جثة الأمير « عبد الاله » وعلقتها على بوابة وزارة الدفاع .

وكان السيد « نوري السعيد » قد هرب من بيته المطل على نهر « دجلة » عندما سمع صوت إطلاق الرصاص . وقد تنكر في ملابس سيدة عراقية ، ولم يلبث هاربا غير ساعات ، ثم انكشف أمره حين حاول الوصول إلى بيت بعض أصدقائه ، وقتل في الطريق العام . ونقلت جثته هو الآخر إلى وزارة الدفاع . وفي الساعة السادسة صباحا كانت إذاعة بغداد تذيع البيان رقم «١» ثم تتبعه بعد ذلك بموسيقى عسكرية توقفت بعد قليل لكي تبث نبأ مقتل أفراد الأسرة المالكة .

واهتزت عواصم كثيرة في العالم بتأثير المفاجأة . وكانت الهزة إلى حد الصدمة في بعضها .

الفصل الثالث

جمال على حافة الهاوية !



كان « جمال عبد الناصر » في جزيرة « بريوني » اليوجوسلافية في تلك الساعات المبكرة من صباح ١٤ يوليو ١٩٥٨ . وحين أذيع البيان الأول للثورة من راديو بغداد في الساعة السادسة صباحا ، فإن فارق التوقيت وهو ساعة كاملة كان يشير إلى الخامسة صباحا أى أن الفجر لم يكن قد طلع بعد . وكان « جمال عبد الناصر » ما زال بعد نائما في فيلا « بريونكا » التي نزل فيها ضيفا على الرئيس « تيتو » الذي كان بدوره يقيم في فيلا مجاورة هي فيلا « بيانكا » .

كان « جمال عبد الناصر » يلبي دعوة لزيارة يوجوسلافيا ، وقد أرادها مزيجا من العمل والراحة ، فمن ناحية كان « تيتو » يرى أن من الضروري للدول غير المنحازة أن تنسق جهودها أكثر ، وأن تتحول دعوتها من ثلاثي يضم مصر والهند ويوجوسلافيا إلى تجمع أوسع لكل الراغبين في الحفاظ على سلام العالم ، وعلى حقهم في تطور سلمى يتمكنون في ظلاله من إعادة بناء أوطانهم بالتعاون مع آخرين يتفقون معهم في الرأى والوسائل .

ومن ناحية أخرى ، فإن « جمال عبد الناصر » كان يشعر أنه في حاجة إلى قسط

من الراحة ، وقد تصور بعد أن هدأت الأمور قليلا في لبنان أن الفرصة قد تكون مهيأة لاجازة يستريح فيها أياما ، وأن تسافر معه السيدة قرينته^(١) .

وهكذا اختار أن يسافر إلى يوجوسلافيا بطريق البحر ، واستقل الباخرة « الحرية » من الاسكندرية متوجها إلى « دوبروفنيك » المطلة على ساحل الأدرياتيكي وسط المنطقة المعروفة بالشاطئ « الدالماسي » والتي كانت المصيف الأجمل في عصر إمبراطورية « آل هابسبرج » (الامبراطورية النمساوية الهنجرية) .

وكان الرئيس « تيتو » في انتظاره على رصيف ميناء « دوبروفنيك » وكان برنامج اليوم الأول يشتمل على عرض لمسرحية « هاملت » لـ « شكسبير » يجرى تمثيلها تحت أبراج قصر قديم من قصور الامبراطورية حولته وزارة الثقافة اليوجوسلافية إلى مسرح طبيعي للعروض الكلاسيكية .

ولم تكن رحلة البحر كما تخيلها « جمال عبد الناصر » هدوءاً وصفاءً ، وإنما بدأت مشاكلها من أول يوم . فمن اليوم الأول كان « جمال عبد الناصر » غير قادر على أن ينفصل عما كان يشغله في القاهرة طوال الأزمة اللبنانية ، وهكذا فإن غرفة الاسلكي على الباخرة « الحرية » والتي كانت زودت بشفرة خاصة أرسلت وتلقت في اليوم الأول من الرحلة ٦٢ برقية (غير الخدمة الكاملة لثلاث من وكالات الأنباء) . وقد كانت بينها برقية بالذات أرسلت إليه من القاهرة سببت له كثيرا من القلق إذ أنها احتوت على معلومات مفادها أن حكومة السودان برئاسة « عبد الله خليل » قد أجرت اتصالات مع عدد من الحكومات الأفريقية على حوض النيل لكي تبلغها أنه إزاء إصرار مصر على المضي قدما في بناء السد العالي ، فإن الحكومة السودانية « قررت أن لا تعتبر نفسها ملزمة باتفاقية مياه النيل » . وقد كان تعقيب « جمال عبد الناصر » على هذه البرقية عندما قرأها : « يظهر أن المشكلة القادمة أمامنا هي الجنوب في السودان . انتهينا من لبنان في الشمال ، واختاروا الآن جبهة أخرى أقرب إلينا وأشد حساسية » . ثم بعث إلى القاهرة بتعليمات مفادها أن رأيه « عدم المبالغة في رد الفعل ، وانتظار عودته من يوجوسلافيا لأن خطورة الموضوع تفرض علينا الاقتراب منه بمنتهى هدوء الأعصاب . إننا فوتنا عليهم فرصة إثارة خلاف مع السودان بسبب حلايب ، وموضوع مياه النيل أهم من حلايب ، والواضح أن هدفهم استفزازي إذ يظهرون لنا أنهم قادرون على مضايقتنا في أخطر ما يمس حياتنا ، وهو مياه النيل » .

وكان الموضوع شاغله طوال اليوم ، بدأ يشعر بالقلق من حجم نشاط وكالة

(١) كان الوفد الذي صاحب الرئيس « عبد الناصر » والسيدة قرينته على الباخرة « الحرية » مكونا من الدكتور « محمود فوزي » والسيدة قرينته و « محمد حسنين هيكل » والسيدة قرينته .

المخابرات المركزية الأمريكية في الخرطوم ، ثم إن شعوره بالقلق كان أشد تجاه المعلومات التي تؤكد أن المخابرات الاسرائيلية (الموساد) تلعب دورا مؤثرا في نشاط الحركات الانفصالية في جنوب السودان ، وكان الواضح أن ما يجري في السودان شماله وجنوبه هو بدايات خطة جديدة للعمل هناك بعيدا قرب منابع النيل !

وفي اليوم الثاني للرحلة أبلغت إحدى المدمرتين اللتين كانتا تصحبان « الحرية » عبر البحر الأبيض بأن بعض قطع الأسطول الأمريكى السادس تقترب من القافلة المصرية ، وتطلب معلومات عن ركبها ومقصدتها . وكان اتجاه قائد المدمرة التي تلقت الرسالة ألا يريد على تساؤلهم بدعوى السرية . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن السرية لا داعى لها لأن الرحلة معلنة ، ووكالات الأنباء في العالم كله تتابعها . ثم إن العلم المرفوع على الباخرة « الحرية » وهو مرئى أمام أية محاولة للاستطلاع - هو علم رئاسة الجمهورية العربية المتحدة . وبعد ساعات أرسلت إحدى المدمرتين المرافقتين لـ « الحرية » إشارة إليها تقول إن غواصة مجهولة تتابع مسيرة القافلة ، وأن قيادتها تقترح إطلاق بعض قذائف الأعماق لابعادها . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن مثل ذلك لا داعى له .



وطاف « جمال عبد الناصر » بعد نزوله في « دوبروفنيك » بعدد من الجمهوريات اليوجوسلافية ، واهتم بالجمهوريات ذات الكثافة السكانية الاسلامية . ثم وصل في ختام رحلته إلى « بريوني » للقاء أخير مع « تيتو » . وكان الترتيب أن يغادرها صباح يوم ١٥ يوليو عائدا إلى الاسكندرية .

وفجر يوم ١٤ يوليو كانت أجهزة اللاسلكى مفتوحة لتلقى أية رسائل ، كما أن محطة الاستماع عليها كانت تتابع كل إذاعات العالم ، وكان ذلك تطبيقا لترتيبات معلومات خاصة قصد منها أن يكون رئيس الجمهورية العربية المتحدة على اتصال بكل التطورات المحتملة ، فرغم أن الموقف العام في المنطقة بدا هادئا إلا أن الكل كان يدرك أن المفاجآت قد تنفجر في أى لحظة . ولقد كان من ضمن استعدادات الطوارئ أنه كانت هناك طوال الوقت طائرة خاصة من طراز « إليوشن ١٨ » تنتقل مع « جمال عبد الناصر » حيث يذهب بحيث يستقلها عائدا إلى القاهرة في أى لحظة إذا ما اقتضت مفاجآت الظروف مثل هذه العودة على عجل .

وفي الساعة الخامسة وعشر دقائق اتصل بى - وكنت مقيما في فندق بريوني - السيد « حسن صبرى الخولى » - وكان هو مسؤول الاتصالات على الباخرة « الحرية » في هذه الرحلة ، وأبلغنى أن محطة التقاط الاذاعات على « الحرية »

التقطت إذاعة بغداد قبل دقائق ، وسجلت منها بيانا عن قيام ثورة في العراق وغادرت الفندق القائم على رصيف الميناء سريعا متوجها إلى الباخرة ، والتقاني السيد « حسن صبرى الخولى » وفي يده الاشارة الملتقطة من إذاعة بغداد ، وسألنى ما إذ كان ضروريا إيقاظ الرئيس على الفور وإبلاغه ما حدث ، وكان اقتراحى عليه أن نتأكد من النبأ قبل إيقاظ الرئيس ، فمن المحتمل أن يكون هناك خطأ فى الموجات خصوم وأن تقرير الاستماع لم يكن يحوى نص بلاغ كامل لأن الالتقاط كان مشوشا واقتרכת الاتصال بمطار دمشق لمعرفة ما إذا كانت لديه معلومات . ورد مطار دمشق بأنه أبلغ بأن مطار بغداد مغلق . وبعد دقائق قطعت هيئة الاذاعة البريطانية من لندن إرسالها العادى ، وأذاعت أول خبر يقول إن « انقلابا عسكريا حدث فى العراق وأن النظام الملكى قد سقط فيها ، وأعلن قيام نظام جمهورى » .

ولم يعد هناك مجال للشك أو للانتظار .



كانت فيلا « بريونكا » التى يقيم فيها الرئيس تبعد دقيقتين بالسيارة عن شاطئ البحر . وحملت معى الاشارة الملتقطة الأولى من إذاعة بغداد ، ورد بر المراقبة فى مطار دمشق ، ونص الخبر الأول الذى أذاعته لندن ، وتوجهت إلى فيلا « بريونكا » . وقال لى الضابط المكلف بنوبة الحراسة أمام جناح الرئيس ليلتها إذ لا يعرف كيف يوقظه دون ازعاج . ورجوته أن يتركنى أحاول . وتقدمت من باب غرفة نومه وطرقت الباب طرقا خفيفا عدة مرات . وفى ثوان كان « جمال عبد الناصر » يفتد الباب بنفسه ، ويخرج إلى مرتديا بيجامته إلى الصالون الملحق بغرفة نومه . ورويت لى ما حدث . وتناول مجموعة الأوراق التى كانت فى يدي ، وراح يقرأها ويدقق كلماتها ، وكأنه يحاول أن يستشف ما وراء الحروف . وكان تعليقه الأول هو أن قيام الثورة فى بغداد سوف يقلب المنطقة رأسا على عقب ، وأن الساعات القليلة القادمة قد تشهد أخطارا داهمة لأن الغرب - والولايات المتحدة فى مقدمته - قد يتصرفون جميعا بحالة من الجنون يصعب تقدير عواقبها .

وكان تعليقه الثانى هو استعادة كل ما سمعه من « عبد الحميد السراج عن الضابطين اللذين اتصلا به ، وقد تذكر اسميهما على الفور : « عبد الكرى قاسم » و « عبد السلام عارف » .

ثم كان تعليقه الثالث بعد ذلك أنه لابد من إعلان حالة التأهب القصوى لى الجمهورية العربية المتحدة ، وقام إلى التليفون الموضوع على مكتب فى ركن من الصالون وطلب توصيله بـ « عبد الحكيم عامر » فى القاهرة . وكان إتما

الاتصال صعبا للغاية . فالخطوط فيما يبدو كانت مرتبكة ، واستطاع بالكاد أن يسمع صوت « عبد الحكيم » من القاهرة ، وأن يبلغه بقراره بإعلان حالة الطوارئ القصوى ، ثم يطلب إليه متابعة كل الاشارات التى سوف تصدر عن الباخرة « الحرية » . ثم دخل غرفة النوم بهدوء حتى لا يوقظ السيدة قرينته وعاد منها بحقيبة أوراقه ، وأخذ منها كراسة نزع بعض أوراقها ، وراح يكتب عليها بخط يده بيانا باسم الجمهورية العربية المتحدة استغرق أربع ورقات كان ختامه : « إن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقا لميثاق الضمان الجماعى العربى ، وإن أى عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة » .^(٢)

واستدعى « جمال عبد الناصر » أحد الضباط ، وكلفه بتوصيل البيان الذى كتبه إلى السيد « حسن صبرى الخولى » لكى تقوم محطة الارسال على ظهر « الحرية » بالابراق به إلى القاهرة حتى يذاع على الفور ، ثم أتبعه برسالة ثانية طلب إرسالها إلى القاهرة أيضا ، وفيها يطلب أن تقوم إذاعات القاهرة ودمشق طوال اليوم بنقل كل ما يصدر عن إذاعة بغداد أولا بأول ، وأن يبدؤ من هذه الاذاعات تأييد الجمهورية العربية المتحدة الكامل للثورة فى العراق . وأخيرا بعث إلى دمشق والقاهرة يطلب اجراء اتصالات عاجلة بكل الوسائل المباشرة مع القيادات العراقية الجديدة ، والتعاون معها إلى أقصى الحدود فيما تطلبه ، وفى نفس الوقت كتب مجموعة من « النصائح » طلب إيصالها إلى بغداد ، وكان أهمها تكرار التعهد باستمرار تدفق النفط العراقى إلى أسواقه ، والتأكيد على استقلالية الثورة العراقية عن كل الأطراف بما فيهم الجمهورية العربية المتحدة ، وعدم التسرع بإبداء اتجاهات وحدوية حتى لا تتورث ثورة الغرب ضد الثورة فى مرحلة التعرض الأولى للخطر .



وفى الساعة السابعة والنصف صباحا اتصل الرئيس « تيتو » من فيللا « بيانكا » التى كان يقيم فيها ، وقال لـ « جمال عبد الناصر » : إنه أبلغ بما جرى فى العراق ، وأنه يعتقد أن الشرق الأوسط مقبل على ساعات عصيبة ، وأنه على استعداد لأن يجيء الآن وعلى الفور إذا كان الرئيس مستعدا لاستقباله . وتذكر « جمال عبد الناصر » فى هذه اللحظة فقط أنه كان لا يزال يرتدى البيجامة ، وأسرع إلى

(٢) صورة من البيان بخط « جمال عبد الناصر » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٧ صفحة ٨٥٢٠ وقد كنت احتفظت بالأصل الذى كتب فى حضورى معى ، ثم سلمته فى القاهرة لمكتب الرئيس بعد أن احتفظت بصورة منه فى مجموعة أوراقى .

ارتداء ملابس له لكى يستقبل الرئيس « تيتو » ، كما طلب استدعاء الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية للتوجه إلى فيلا « بريونكا » .

وجاء الرئيس « تيتو » ولحقه الدكتور « محمود فوزى » ، ثم وصل وزير الخارجية اليوجوسلافى « بوبوفيتش » يحمل معه بعض البرقيات التى تلقتها وزارة الخارجية اليوجوسلافية خلال الساعتين السابقتين . وانتقل الاجتماع موسعا على هذا النحو إلى غرفة المكتب بالدور الأول من فيلا « بريونكا » . وكان أول شيء قاله « جمال عبد الناصر » هو قراره بأن يعود إلى مصر على الفور . وطلب إخطار قائد طائرة الطوارئ المرافقة له بالاستعداد للسفر إلى القاهرة فى ظرف ساعتين . واعترض الرئيس « تيتو » على الفور قائلا : « إن الطائرة الاليوشن سوف تستغرق فى رحلتها إلى القاهرة ثمانى ساعات ، وقيام طائرة وحيدة من طراز اليوشن ١٨ بعبور البحر الأدرياتيكي من مطار بولا المواجهة لبريوني ، ثم عبور البحر الأبيض المتوسط فى اتجاه مصر هو مخاطرة لا يمكن القبول بها ، خصوصا وأن الخلاص من طائرة وحيدة فوق البحر يمكن أن يكون عملية سهلة لأى قوة راغبة فى اصطياها ، خصوصا وأن المعلومات التى ترد الآن كلها تشير إلى تحركات جوية كبيرة تجرى فوق منطقة البحر الأبيض المتوسط » . وكان رأى « تيتو » أن العودة بالباخرة أسلم . فلا يمكن لأى قوة مهما بلغت حماقتها أن تهاجم قافلة تضم عدة قطع : « الحرية » والمدمرتين المصريتين المرافقتين لها ، ثم إنه عندما فكر فى الصباح توقع أن يقرر الرئيس قطع زيارته ليوجوسلافيا ، واستقر على أن تنضم اثنتان من المدمرات اليوجوسلافية إلى القافلة لتعزيز الحراسة . وهكذا فإن أى قوة سوف تتردد عدة مرات قبل أن تعرض للتعرض لخمس قطع بحرية تشق أمواج البحر مجموعة واحدة . وفكر « جمال عبد الناصر » قليلا ، ثم اتفق مع « تيتو » فى رايه . ومع أنه كان يقدر أن الملاحة بأقصى سرعة قد تستغرق أكثر قليلا من يومين ، فقد تصور أنه سوف يستطيع فى كل الأحوال من فوق ظهر الباخرة « الحرية » وبواسطة محطاتها اللاسلكية أن يظل على اتصال بالحوادث ، وأن يتمكن من إبلاغ وجهات نظره فيها إلى المسؤولين فى القاهرة ودمشق .

واتصل الرئيس « عبد الناصر » بالقائد البحرى المصرى المسئول عن القافلة ، وهو الفريق البحرى « ناشد » وطلب إليه أن تكون الباخرة « الحرية » والمدمرات المرافقة لها مستعدة للإبحار فى أقرب لحظة ممكنة .

ثم راح يناقش كل احتمالات تداعى الموقف مع الجالسين معه فى غرفة المكتب ، وأولهم الرئيس « جوزيب بروز تيتو » .



كان الرئيس « ايزنهاور » قد تناول عشاءه مع زوجته « مامى » فى الساعة السابعة مساءً بتوقيت واشنطن ، ومعهما بعض الأصدقاء المقربين . وبعد العشاء انتقل « ايزنهاور » مع هؤلاء الأصدقاء إلى قاعة اللعب فى البيت الأبيض . ولدة ساعتين راحوا يلعبون « البريدج » . ثم نهض الرئيس « ايزنهاور » متوجهاً إلى جناحه الخاص وأوى إلى فراشه ، وكانت الساعة العاشرة والنصف بتوقيت واشنطن . وبعد ساعة من النوم ، أى فى الحادية عشرة والنصف بتوقيت واشنطن - أى الساعة السادسة والنصف بتوقيت بغداد - دق التلفزيون بجوار سريريه ، وكان المتحدث هو مستشاره « شيرمان آدمز » يبلغه بحدوث ثورة فى العراق أدت إلى إنهاء النظام الملكى ، وإعلان الجمهورية . وأضاف « شيرمان آدمز » إلى هذا النبأ قوله معلقاً : « لابد أن يكون هذا من صنع الكولونيل ناصر أيضاً » . وطلب « ايزنهاور » دعوة مجلس الأمن القومى للاجتماع به فى مكتبه فوراً ، وأنه سينضم للاجتماع فى ظرف نصف ساعة .

وعندما دخل « ايزنهاور » مكتبه مع منتصف الليل بتوقيت واشنطن كانت هناك مجموعة كبيرة من البرقيات قد وضعت أمام المقعد المخصص له على مائدة الاجتماعات ، وراح « ايزنهاور » يقلب أوراقها ، ويطلع بسرعة على ما فيها ، والكلى من حوله صامت ينتظر رأيه .

وقال « ايزنهاور »^(٣) إن الوضع خطير ، وأن الولايات المتحدة سوف تكون مطالبة بالتصرف فيه بحيث لا يخطئ أحد فى فهم نواياها . ثم طلب أن تكون القواعد البرية والجوية والبحرية فى أوروبا الغربية جاهزة للعمل بمقتضى حالة الطوارئ القصوى . واستفسر من الجنرال « تويننج » عن درجة الاستعداد ، وعن القوات الجاهزة للتدخل السريع إذا ما تطلب الأمر ذلك . ثم طلب أن تنعقد مجموعة عمل تضم وزارتى الخارجية والدفاع ، وتنضم إليهما أجهزة المخابرات فى الجيش والأسطول والطيران إلى جانب المخابرات المركزية ، ثم أن يكونوا جاهزين بأية توصيات قد تكون لديهم فى ظرف ست ساعات . واستغرق الاجتماع ٤٥ دقيقة عاد بعده « ايزنهاور » إلى غرفة نومه على أن يعود

(٣) مذكرة عن الاجتماع كتبها الكولونيل « جودباستر » المساعد العسكرى للرئيس « ايزنهاور » ، وهى محفوظة فى مكتبته بآبيلين - كنساس - ضمن ملف « الإنزال فى لبنان » .

إلى الاجتماع بمجلس الأمن القومي في الساعة السابعة صباحا بتوقيت واشنطن قائلا إنه هو الآخر يريد أن يعطى نفسه فرصة يفكر فيها في خطواته خلال الساعات المقبلة . وأضاف قائلا : « إن الحساب أماننا بالدقائق والساعات ، وليس بالأيام والأسابيع » . وغادر قاعة الاجتماع ، والكل حول المائدة يحسون على حد تعبير « جون فوستر دالاس » بأن « الدنيا واقفة على حافة الهاوية » .

استيقظ « ايزنهاور » - كما كتب في يومياته - في الساعة الخامسة والربع لكى يجهز نفسه لاجتماع مجلس الأمن القومي المقرر له الساعة السابعة صباحا . وقد تناول افطاره وحيدا ، وفي أثنائه قرأ ملفا أعده له مساعده العسكرى « جودباستر » بما استجد خلال الساعات الفائتة . وكان الملف يحوى التقرير الأولى لمجموعة العمل التى واصلت اجتماعاتها أثناء نوم « ايزنهاور » - وحتى الفجر ، وكذلك بعض التقارير الواردة من سفارات الولايات المتحدة في المنطقة ، إلى جانب رسالتين شخصيتين وجههما الملك « سعود » على عجل إلى « ايزنهاور » ، ثم أخيرا رسالة من « كميل شمعون » يطلب فيها التدخل الفوري للقوات الأمريكية وإلا انهار الوضع كله في لبنان .

وكان نص تقرير مجموعة العمل الخاصة طبقا للوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية على النحو التالى :

« مذكرة إلى الرئيس »

الموضوع : مجموعة العمل بشأن العراق . هارى وروكويل .

المشتركون - من الخارجية : الوزير جون فوستر دالاس - روكويل (من إدارة مخابرات الخارجية) - السفير هندرسون - السفير مورفى - السفير رينهاردت - السفير ماك كومبر - الوزراء المفوضون سانجر وماتوا وجرون .

من العسكريين : الجنرال تويننج (هيئة الأركان المشتركة) - كوارلس وسبراكو (من مخابرات الجيش) .

من وكالة المخابرات المركزية : آلان دالاس (مدير الوكالة) - نورمان بول (رئيس العمليات الخاصة) .

□ نص التقرير

ناقشت المجموعة الآثار المحتملة لتدخل الولايات المتحدة عسكريا في المنطقة ، كما ناقشت أيضا الآثار التى يمكن أن تترتب على عدم التدخل . واهتمت اللجنة بصفة خاصة بطلب شمعون للتدخل في لبنان باعتبار أن ذلك طلب رسمى يعطى أساسا قانونيا للتدخل ، كما أن التدخل في لبنان يمكن أن يتم بدون مقاومة ، وهو ما يرجح أن يكون لبنان هو الاتجاه الأول لأى عمل عسكرى . وقد طلب المستر هارى

(مخابرات وزارة الخارجية) وايدته في ذلك الجنرال تويننج أن تكون أول خطوة هي وقف تسليم طائرات أف - ٨٦ وغيرها من المعدات المرسلة للعراق على الفور، فهذه المعدات صدر الأمر بشحنها، ومن المحتمل أن ينفذ أمر الشحن تلقائياً، وبدون اعتبار للظروف الطارئة. واحيط المجتمعون علماً برسالتى الملك سعود الوردتين في برقيتى السفارة الأمريكية في جدة تحت رقم ٤٦ و ٤٧.

(هناك فقرة محذوفة من التقرير^(٤))، ولكن يوميات «ايزنهاور» تكشف عنها إذ تشير إلى أن الملك «سعود» طالب في البرقية الأولى بالتدخل العسكرى الأمريكى سريعاً في الشرق الأوسط، وإلا «انهيار كل شيء». والثانية يقول فيها الملك إنه إذا لم تتدخل الولايات المتحدة عسكرياً في الموقف، فإنه لن يكون أمامه - مضطراً - غير «أن ينتقل إلى صف الجمهورية العربية المتحدة».

وكان هناك اتفاق عام على التدخل العسكرى لأن الامتناع عن التدخل سوف يترتب عليه ما يلي:

١ - استيلاء ناصر على المنطقة بكاملها.

٢ - أن نفوذ الولايات المتحدة سوف يضيع لا في الدول العربية وحدها، ولكن في المنطقة كلها بشكل عام. وسوف تصبح القواعد الأمريكية في الشرق الأوسط كلها معرضة للخطر.

٣ - سوف يصبح الاعتماد على تعهدات الولايات المتحدة بتقديم المساعدة عند الحاجة موضع شك في جميع أنحاء العالم.

ورأى الجنرال تويننج أنه في هذه الظروف ليس أمامنا بديل غير التدخل.

(فقرة محذوفة)^(٥)

وقد قرر الجنرال تويننج أن الأسطول الأمريكى السادس بدأ يتحرك بالفعل إلى شرق البحر الأبيض المتوسط، وأن قيادته لديها خطط معدة للانزال على الشواطئ اللبنانية، وهى جاهزة لانزال أول كتيبة بعد اثنتى عشرة ساعة من إصدار الأمر. وتساءل المستر كوارلس عما إذا كان مناسباً إيجاد مظلة من الأمم المتحدة تجرى تحتها عملية التدخل العسكرى بحيث يكون هناك غطاء معنوى مناسب لها، وانضم إليه ماك كويمر مضيفاً أن مثل هذا الغطاء المعنوى قد تكون له أهميته بالنسبة لرد فعل الكونجرس، مضيفاً إلى ذلك أنه من المحتمل أن بعض الدوائر السياسية في العالم قد تتجه إلى القول بأن تدخل الدول الغربية في الموقف في لبنان والعراق، سوف يكون شبيهاً بالتدخل البريطانى الفرنسى في السويس سنة ١٩٥٦.

(٤) حذفت من هذا التقرير - عند الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات - فقرتان.

(٥) هذه هي الفقرة الثانية المحذوفة من التقرير عند الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات، والأرجح أنها تتعلق بعمل المخابرات وإدائها في المنطقة، وقد حذفت باعتبارها حتى هذه اللحظة تعرض الأمن القومى الأمريكى والمتعاونين معه في المنطقة لخطر قائم.

وقال السفير رينهاردت إن نطاق التدخل الغربي هو الذى سيحدد طبيعة ونطاق الفعل السوفيتى . واتفق معه المستر هندرسون فى ذلك ، كما علق الوزير (دالاس) بأنه يوافق على أن التدخل ينطوى على خطر نشوب حرب عالمية . ورأى السيد هندرسون : « إننا يجب أن نواجه هذا الخطر الآن كما نواجهه فى أى وقت آخذ كما أن علينا أن نتقبل أن هناك جزءا من العالم غير الشيوعى لن يقف منا موديا فى البداية على الأقل . »

وقد قرأ « ايزنهاور » تقرير مجموعة العمل ، ووجد أن كبار مستشاريه ينتهوا إلى توصيات محددة يوجهونها إليه ، وإنما رأوا نظرا لخطورة القرار يعرضوا أمامه مناقشاتهم ، وأن يتركوا له استخلاص ما يريد بحكم مسؤوله السياسية والدستورية عن قيادة « الأمة » خصوصا وأن الأمر يمكن أن يؤدى نشوب حرب عالمية .



فى الساعة السابعة تماما كان « ايزنهاور » يدخل إلى مكتب « ريتش نيكسون » نائب الرئيس ، ثم يلحق به على الفور أعضاء مجلس الأمن القومى ال كانوا ينتظرونه فى مكتب سكرتيرته « آن ويتمان » . ويسجل أحد مساعدى الرئيس وهو المستر « كاتلر » فى مذكراته أنه حينما دخل المكتب ونظر إلى « ايزنهاور » أده على الفور بأنه « أمام رجل فى منتهى هدوء الأعصاب والارتياح ، وأدرك على الفور أول نظرة أن « ايزنهاور » قد وصل إلى قراره . » وكان إحساس « كاتلر » صده فيما يبدو ، فإن « ايزنهاور » كتب فى مذكراته فى ذلك اليوم^(٦) : « فى هذا الص دعوت مجموعة مستشارى إلى اجتماع فى مكتبى لكى أؤكد للمرة الأخيرة أن احتمالات الموقف قد تم بحثها . كما أن آخر المعلومات الدقيقة متوافرة لد وقد كان ذلك يوما بداته وأنا أعرف ما ينبغى على أن أفعله فيه . كنت مقننا أمام ضرورة التدخل فى الشرق الأوسط . لقد جاء الوقت الذى يتحتم فيه أن نتدخل ، وبالذات فى لبنان لكى نمنع تردى الموقف إلى حالة من الفوشاملة . وكان هناك عنصر آخر فى تقديرى ، وهو أن حياة الرعايا الأمريكيين لبنان قد تكون فى خطر . »

وكان « ايزنهاور » فى حالة صفاء ذهنى مختلط بشيء من الحماسة لما اس عليه من قرار ، فقد كتب فى يومياته فى ذلك الوقت بالنص :

« لقد فكرت أن ارتدى بدلتى العسكرية القديمة ، وقلت لمامى (زوجة

(٦) صفحة ٢٧٠ من مذكرات « ايزنهاور »

ابحثى عن ملابسى العسكرية لكى أجرب واحدة منها ، وأتأكد من أنها ما زالت على مقاسى » .



ويروى « ايزنهاور » فى مذكراته^(٧) أنه طلب من « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية أن يبدأ بعرض ما عنده من مستجدات . ورد « آلان دالاس » قائلا :

« إن المعلومات المتوافرة لدينا تؤكد أن الانقلاب تم بواسطة عناصر موالية لناصر . وإن كنا لا نملك حتى الآن معلومات توضح لنا صلة ناصر بهم ، وما إذا كان هو شخصا وراء الانقلاب . وهناك حظر تجول الآن فى بغداد الأمر الذى تصعب معه فرصة جمع معلومات دقيقة . وقد بلغنا أن حوالى خمسين ضابطا من الضباط المواليين للغرب قد أحيوا إلى التقاعد . وليست لدينا معلومات عن القوات خارج بغداد ، ومن المحتمل أن توجد فى مكان ما قوات موالية للملكية . ولما كان اختفاء الملك فيصل ورئيس وزرائه نوري السعيد قد حرم مثل هذه القوات الموالية للملكية - على فرض وجودها - من قيادة توجيها ، فإن الملك حسين كما علمنا باعتباره الرجل الثانى فى الاتحاد الهاشمى يظن أنه يستطيع أن يعطى هذا التوجيه . وقد أصدر بالفعل أوامر إذا عنتها عمان إلى وحدات الجيش العراقى التى تصورها موالية للملكية ، ولكننا لا نعرف إلى أى مدى يمكن أن يتحقق مثل هذا الأمر . والمعلومات لدينا من إسرائيل أن رئيس الوزراء دافيد بن جوريون فى حالة هياج شديدة ، وأنه قد ينتهز الفرصة مدفوعا ببعض المتشددى إلى احتلال الضفة الغربية للأردن^(٨) . ومن المحتمل أن يكون مصير الكويت معلق فى الميزان . وفى لبنان أبلغنا كميل شمعون أن الموقف ينذر بأسوأ العواقب ، وقال لسفيرنا إنه إذا لم نتدخل عسكريا نحن وبريطانيا ، فإن كل شئ سوف يضيع . إن شمعون يشعر بمرارة شديدة لأننا لم نسانده حتى وقعت الكارثة ، وقد تعارك مع قائد جيشه اللواء شهاب ، وطلب إليه إما أن يقاتل ، وإما أن يترك منصبه » .

ويستكمل « ايزنهاور » فى مذكراته روايته عن تقرير « آلان دالاس » فيقول : « إن آلان دالاس قال لنا أيضا إن الملك سعود فى حالة قلق شديد ، وهو يطلب من دول حلف بغداد أن تتدخل عسكريا فى بغداد ، وإلا فإنه مهما كان شعوره بالذل سوف يضطر إلى الرضوخ للجمهورية العربية المتحدة . وقد ختم دالاس كلامه إلينا قائلا . « إن الوقت قد حان للعمل » . »

ويروى « ايزنهاور » بعد ذلك أن « جون فوستردالاس » وزير الخارجية توجه إليه بالسؤال قائلا : « ألا تريد أن تسمع تقريرنا السياسى للموقف ؟ » وأحس

(٧) صفحة ٢٧٠ من مذكرات « ايزنهاور »

(٨) إشارة أخرى إلى تصميم إسرائيل على احتلال الضفة الغربية للأردن .

« ايزنهاور » بخرج لأنه اهتم بسماع رأى المخابرات ولم يعط الفرصة لوزارة الخارجية . ورد قائلا : « فوستر بالطبع أريد سماعك . والآن أريد منك أن تعطينا تحليلك لاحتمالات تدخلنا في لبنان ، وكيف يمكن أن يكون رد فعل السوفيت » . ورد « فوستر » بقوله إنه « يعتقد أن السوفيت سوف يقومون بإحداث بعض الضجيج ، وبعض إشارات التهديد الموجهة ضد تركيا وإيران بالذات ، ولكنهم لن يذهبوا إلى أبعد إلا إذا تصوروا أن نتائج قيام حرب عالمية في هذا الوقت قد تكون مواتية لهم ، وإن كان لا يعتقد أن السوفيت يريدون مثل هذا الاختبار لقوتهم إزاء قوتنا ، خصوصا إزاء تفوقنا عليهم في القاذفات » . وأضاف « فوستر » أنه « إذا تدخلت الولايات المتحدة عسكريا في لبنان ، فإن رد الفعل العربى هو الذى يجب أن يحسب حسابه ، فقد نتعرض لحملة سياسية ، وقد يكون هناك خطر على خطوط أنابيب البترول ، وقد تقفل قناة السويس في وجه بواخرنا . وأنه من سوء الحظ أن الملك سعود الذى يرغب في تدخلنا لا يستطيع أن يفعل شيئا لمساعدتنا ، ثم إن البريطانيين سوف يجدون أنفسهم مضطرين إلى إعادة احتلال الكويت لحماية بترولهم » .



وجاء الدور على « ايزنهاور » ليعطى قراره ، وبدأ يقول وفقا لما كتبه في يومياته الخاصة :

« لقد وصلنا الآن إلى مفترق الطرق . فمنذ سنة ١٩٤٥ وسياستنا تقوم على ضرورة الوصول إلى منابع البترول ، وضمان سيطرتنا عليها بدون أية عوائق من جانب أى طرف . وأن يتحقق ذلك سلميا إذا أمكن . والآن فإن علينا أن نناضل لكي نمنع ناصر من السيطرة على هذه الموارد ، وإلا أعطيناه المال والنفوذ والقوة التى يتمكن بها من تدمير العالم الغربى . لقد كان علينا في نقطة ما على الطريق أن نواجه هذه المشكلة ، وقد وصلنا إلى هذه النقطة الآن » .

ثم التفت « ايزنهاور » ناحية الجنرال « توايننج » قائلا له : « Go Ahead » أى « ابدأ في التصرف » . وخرج الجنرال « توايننج » من قاعة الاجتماع لكي يتصل تليفونيا بالبنتاجون ، وينقل قرار الرئيس بالتدخل العسكرى .



ودق جرس التليفون على المكتب ، وكان « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا على التليفون . ودارت بين الاثنين محادثة يسجلها تقرير خاص في ملفات البيت الأبيض جرى حذف فقرات عديدة منه عندما تم الحصول على نصه وفقا لقانون

حرية المعلومات . لكن الأجزاء غير المحذوفة (مع الإشارة إلى مواضع الحذف) كقيلة بإظهار فحوى المحادثة التليفونية وتوجهات أطرافها .

□ ايزنهاور : لديكم كل المعلومات ، وتقارير المخابرات عن العراق . وكيف أن ما حدث يؤدي إلى تفاقم الوضع في لبنان . وقد طلب منا الرئيس شمعون أن نتدخل وقررنا تنفيذ الخطة . وهذا لمعلوماتكم الخاصة الشديدة السرية (فقرة محذوفة)

■ ماكميلان : (كل تعليقه على ما سبق من كلام ايزنهاور محذوف)

□ ايزنهاور : (كله محذوف)

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور : طبعاً . ولكم أن تعلموا أنه فيما يتعلق بنا ، فليس في وسعنا اعتباراً من هذه اللحظة أن نهتم بأى شيء يجري في أى مكان آخر من العالم . إن الوضع هناك لا يستطيع أن يتحمل أكثر من ذلك .

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور : والآن لحظة واحدة فقط حتى لا يكون هناك أى سوء فهم (فقرة محذوفة)

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور : حسناً الآن . سأقول لكم طبعاً إننى لست راغباً في المضي إلى أكثر . لقد استعرضنا الموقف الآن ، وناقشنا ما يمكن أن يكون عليه رد فعل الكونجرس في الموقف ، وإذا كان علينا أن نخطط الآن لعملية أكبر تواصل الطريق إلى نهايته ، وتمتد إلى سوريا والعراق - إذن فنحن نبتعد عن أى شيء في سلطتي القيام به دستورياً بغير قرار من الكونجرس . إن هناك مشاكل أمامنا في الكونجرس في تبرير ما نعزم القيام به دون الرجوع إليهم^(٩) .

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور : في هذه اللحظة سيستغرق الأمر لا أعرف على وجه التحديد

(٩) توحى هذه العبارة بالطبع بفحوى العبارات المحذوفة من قبل في حديث الرئيسين . فمن شبه المحقق أن « هارولد ماكميلان » اقترح على « ايزنهاور » عملاً عسكرياً مشتركاً لا يتوقف عند حدود لبنان ، وإنما يمتد إلى سوريا (الجمهورية العربية المتحدة) والعراق .

الوقت المقرر لوصول القوات إلى هناك ، لأن هناك ارتباطا بين صدور الأوامر وساعات توقيت العمليات بعدها . وأنا لا أرغب في إعطاء أى معلومات على الخطوط المفتوحة^(١٠) .

■ ماكميلان : طبعاً - والآن هل ستوجه خطاباً للأمم ؟

□ ايزنهاور : نعم . وهذا موضوع سرى جداً . إننا سوف ندعو إلى جلسة عاجلة لمجلس الأمن . وسأوجه إذاعتي إلى الأمة بعد انعقاد هذا المجلس .

■ ماكميلان : غدا ؟

□ ايزنهاور : حسناً . ربما .

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور : لم نكن نعرف ما هى آخر التقارير .

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور : الذى أفكر فيه الآن كما يلى : إذا تطور الموقف بحيث أصبحنا أمام أحد احتمالين : إما التخلي عن جميع مصالحنا القومية ، أو تدميرها - فسيكون على أن أذهب إلى الكونجرس ، وأطلب سلطة للتصرف . وفى وسعنا فهم هذا القدر الآن والاتفاق عليه
(فقرة محذوفة)

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور : أنا لا أعرف فى هذه اللحظة متى نحتاج إلى قواتكم ، ولا فى أى مكان ، فالموقف متحرك بسرعة ، وعلى أى حال ، فلا بد من جعلهم على أهبة الاستعداد ، وأيا كان ما يحدث بعد ذلك فسوف نتصرف وفق ما نفهمه الآن .

■ ماكميلان : علينا أن ندعو إلى هذا كله علناً . فالمشكلة برمتها هى ما يجب أن يهمنى الآن . علينا أن نتعامل مع الخطر ككل .

□ ايزنهاور : طبعاً . اعتباراً من هذه اللحظة فهذا هو الوضع ، ولسنا نعرف بعد ما سوف تتطور إليه الأمور . وأعتقد أن من السبىء لى ولك أن نتحدث على التليفون حول هذه الاحتمالات الضخمة .

(١٠) المحادثات التليفونية بينهما كانت تجرى عن طريق تليفون خاص مزود بجهاز Scrambler وهو يحولها إلى نوع من الشفرة ، ولكنها مثل أى شفرة يمكن كسرها .

- ماكميلان : ماذا تنوى أن تفعله بشأن حديثك للامة ؟
- ايزنهاور : كلا . ليس الليلة بالقطع . هذا موضوع سرى جدا .
- ماكميلان : سأكتب إليك الآن رسالة تفصيلية وستصلك في ظرف ساعة أو ساعتين . فهناك أشياء كثيرة لا أستطيع أن أقولها على التلفون .
- ايزنهاور : نعم . افعل ذلك ، واعط تعليماتك لسفيركم هنا أن يحملها فوراً إلى فوستر .
- ماكميلان : سأكتب الآن فوراً . وسيصلكم في ظرف ساعة ، وسوف يسلم إلى فوستر .
- ايزنهاور : أما بقية الاحتمالات ، فسنظل على اتصال بشأنها ، وأنا أعرف أننا سوف نفتتح صندوق كل الشرور ، ولكن علينا أن نفتحه ، وإلا فإن البديل مواجهة كارثة كاملة .
- ويضيف تقرير البيت الأبيض عن تسجيل المحادثة التلفونية في نهايته ملاحظة تقول : « إن الرئيس التفت إلى وزير الخارجية في ختام المحادثة التلفونية مع رئيس الوزراء البريطانى وقال له (عبارة محذوفة) وأضاف الرئيس إنه اتفق مع ماكميلان على أشياء كثيرة . واستطرد الرئيس ، فقال إنه حاول أن يقول لماكنيلان إنه - أى الرئيس - لا يستطيع أن يتخذ وحده قراراً بهذا الحجم بغير الرجوع إلى الكونجرس » .
- وكانت صناديق الشر كلها على وشك أن تفتح مرة واحدة .



كانت الموسيقى تدق والأعلام تزفرف مع نسيمات الريح حينما وصل « جمال عبد الناصر » إلى رصيف جزيرة بريونى ، واستقل من هناك قارباً مع المارشال « تيتو » متوجهاً إلى الباخرة « الحرية » الواقفة في عرض البحر متأهباً للرحيل ، ومن

حولها أربع مدمرات حربية : اثنتان ترفعان علم الجمهورية العربية المتحدة ، واثنان ترفعان علم يوجوسلافيا .

ومن المفارقات أن هذا التوقيت في يوجوسلافيا كان متفقا تماما مع محادثة « ايزنهاور » و « ماكميلان » بتوقيت واشنطن . ولكن أحدا من البحريين في المياه الصافية الزرقاء المحيطة بجزيرة بريوني لم يكن يعرف أن صناديق الشراكها على وشك أن تفتح . كان تقديرهم جميعا أن هناك مخاطر شديدة ، ولكن حجم هذه المخاطر واتجاهات الخطر الكامن فيها لم يكن محددا بالقدر الكافي .

كانت الأزمة التي دفعت العالم إلى حافة الهاوية موضوع الحديث الدائر بين « جمال عبد الناصر » و « تيتو » وهما معا في القارب السريع الذي راح يجرى فوق الموج متجها إلى الباخرة « الحرية » . وعندما صعدا إليها جرت مراسم وداع سريعة ، ثم تعانق الرئيسان وداعا ، ونزل الماريشال « تيتو » إلى القارب عائدا إلى بريوني ، وأطلقت قطع القافلة البحرية صفاراتها تحية له واستعدادا للرحيل .

كان الغروب بألوانه الرائعة قد بدأ ينفذ إلى السماء في هذه المنطقة من شمال البحر الأدرياتيكي . ووقف « جمال عبد الناصر » على جسر الباخرة « الحرية » - ومعه الدكتور « فوزي » وأنا - يتأمل مهرجان الغروب . وعلى وجه التأكيد فإن إلحاح الأزمة كان يفرض نفسه على كل المشاعر والأفكار . وابتعد شاطئ بريوني ، ودخل « عبد الناصر » من سطح الباخرة إلى غرفة المكتب في الجناح الرئيسي عليها ، وراح يقرأ البرقيات التي تجمعت ولم يطلع عليها في الفترة التي استغرقها الانتقال من فيللا « بريونكا » إلى الباخرة « الحرية » .

وتحول الجناح الرئيسي على الباخرة « الحرية » إلى شبه غرفة عمليات . ففي ساعات قليلة كان مكتب الاتصالات الشفرية على الباخرة قد تلقى أو أرسل ١٧٢ برقية شفرية - كأن الباخرة كانت في مجراها على أمواج الأدرياتيكي في حوار متصل لا ينقطع مع القاهرة ودمشق .



وأشرق فجر ١٥ يوليو بتوقيت البحر الأبيض المتوسط والقافلة البحرية ما زالت تتجه جنوبا في مياه الأدرياتيكي بأقصى سرعة ، والتقدير أنها سوف تخرج منه إلى البحر الأبيض المتوسط في ظرف ساعات قليلة . وكانت الباخرة « الحرية » ما زالت تعمل كمركز قيادة عائم . ومع أول بشارات الصباح تلقى مكتب الاتصالات الشفرية على الباخرة أول إشارة عن نزول القوات البحرية الأمريكية إلى الشواطئ اللبنانية قرب بيروت . ومع أن بوارد العاصفة بدأت تهب على البحر الأبيض ، فإن القافلة راحت بأقصى سرعتها تشق طريقها إليه .

ومع الغروب - وبعد نهار حافل بزحام المشاكل والمشاكل - أقبل قائد الباخرة « الحرية » يطلب مقابلة الرئيس « عبد الناصر » ليقول له إن الضابط البحرى الكبير المكلف بقيادة مدمرات الحراسة اليوجوسلافية يقترح مراعاة حالة إطفاء كامل على كل قطع القافلة بما فيها « الحرية » . وأضاف إن هذا القائد أبلغه أنهم رصدوا بعض محاولات الاستطلاع الجوى . ونزل الليل وقطع القافلة كلها كأنها كتل من الظلام تجرى على سطح البحر المظلم . وفى الساعة التاسعة مساء بدأت المدمرة اليوجوسلافية التى تحمل رقم ٦٢ تبعث بإشارات بالأضواء تقول « نطلب توقف القافلة - نريد إرسال قارب إلى الباخرة الحرية يحمل رسالة هامة من الرئيس تيتو إلى الرئيس عبد الناصر » . وفوجئ الواقفون على سطح « الحرية » بقارب بمجداف يسرى فى ظلام الليل من المدمرة إلى « الحرية » . وكان تعطيل اليوجوسلاف أنهم اختاروا هذه الوسيلة تأكيدا للأمن لأن أصوات محركات القوارب السريعة يمكن رصدها بأجهزة « السونار » ومن مسافات بعيدة . وبعد دقائق كانت رسالة « تيتو » أمام « جمال عبد الناصر » وكان نصها كما يلي :

« من الرئيس تيتو إلى الرئيس ناصر - أناشدكم أن لا تتقدموا فى البحر إلى أكثر من الحد الذى وصلتم إليه الآن - الخطر شديد بعد التطورات الأخيرة - احتمالات مواصلة السفر بالبحر لم يعد يمكن تأمينها - أرجوكم العودة إلى أقرب ميناء يوجوسلافى - قد يكون فى إمكاننا تدبير طائرة عظيمة السرعة تعود بكم إلى وطنكم - أرجو أن ألقى ردا على الفور - تيتو » .

كان الدكتور « محمود فوزى » وأنا فى المكتب الذى يعمل منه « جمال عبد الناصر » على الباخرة « الحرية » - عندما قرأ رسالة « تيتو » . وقد ناولها للدكتور « محمود فوزى » ثم وصلت إلى - وكان واضحا أن الرئيس يطلب رأينا . ودارت مناقشة استغرقت بضع دقائق ، ثم قال « جمال عبد الناصر » : « إننى أظن أن تيتو يريد أن يستعير من الروس طائرة تى يو ١٠٤ الجديدة ، وهى تستطيع أن تقطع المسافة من بريونى إلى مصر فى ثلاث ساعات » . وانتهت المناقشة السريعة و « جمال عبد الناصر » يملى ردا على « تيتو » نصه :

« من جمال عبد الناصر إلى الرئيس تيتو - فهمت وجهة نظركم - قررت أن أعود - انتظر معلومات إضافية - جمال » .

وبعد ساعات قليلة جاء قارب آخر على الموج من المدمرة ٦٢ إلى الباخرة « الحرية » وكان يحمل رسالة أخرى من « تيتو » لـ « عبد الناصر » نصها :

« من الرئيس تيتو إلى الرئيس عبد الناصر - اتخذت كل الترتيبات - اقترح عودتكم إلى بريوني - ستكون في مطار بولا طائرة عظيمة السرعة تنتظركم - إذا وافقتم أرجوكم أن تتركوا الباخرة الحرة لأنها بطيئة ، وأن تنتقلوا إلى إحدى مدمراتكم لتصلوا إلينا في ظرف ثمانى ساعات - أعرف أن مكتب الاتصالات والشفرة على الحرة مهم لكم في هذه الظروف - طلبت من البحرية اليوجوسلافية أن تضع تحت تصرفكم طائرتين حربيتين من طائرات الانزلاق على الماء ليكون من ذلك خط مواصلات دائم بينكم وبين الباخرة الحرة طوال ساعات رحلتكم بالدمرة السريعة إلى بريوني - أتطلع بشوق إلى أن أراك مساء اليوم - تيتو » .



كان مكتب الاتصالات والشفرة على الباخرة « الحرة » يتلقى الخدمة الصحفية ثلاث من وكالات الأنباء (هى وكالة رويتر والاسوشيتد برس ووكالة الأنباء الفرنسية) . وبدأت أجهزة الاستقبال تتلقى فيضا من رسائل هذه الوكالات ، وكلها تشير إلى إعلان حالة الطوارئ في كل القواعد الأمريكية في البحر الأبيض وأوروبا الغربية . وكانت هناك إشارات لا يمكن أن يخطئها أحد في تحركات القوات البريطانية برا وبحرا على القوس الممتد من جبل طارق إلى عدن . وكان هذا السيل من برقيات وكالات الأنباء ينقل إلى « جمال عبد الناصر » في نفس الوقت مع البرقيات الشفوية القادمة من القاهرة ودمشق . وكان « جمال عبد الناصر » يقرأ هذا كله باهتمام ، وفي بعض اللحظات بدا أنه منشغل بفكرة تجول في خواطره . وفوجئنا - الدكتور « محمود فوزى » وأنا - بالرئيس يقول لنا إن لديه فكرة تلح عليه منذ تلقى رسالة « تيتو » الأولى عن مخاطر العودة بالبحر ، وعن الطائرة عظيمة السرعة التى يمكن أن تنقله إلى القاهرة في ظرف ثلاث ساعات . ثم راح الرئيس يفضى بفكرته إلينا ، ومؤداها أنه خطر بباله أن يذهب بالطائرة السريعة إلى موسكو في زيارة سرية يلتقى فيها بالقادة السوفيت لكي يتعرف مباشرة على نواياهم في حالة ما إذا تفاقمتم الأزمة ووصلت إلى حد استعمال القوة المسلحة . وكان تقديره أن دخول الولايات المتحدة إلى منطقة العمل المسلح يصنع موازين تختلف عما كان عليه الحال في وقت السويس ، وأن من الضروري لنا أن نعرف مبكرا نوايا السوفيت حتى تكون حساباتنا على أساس سليم . وأنه لا يعتقد والأحوال على هذه الدرجة من الخطورة أن تبادل الرسائل يكفى ، وإنما لابد من التعرف على الحقائق وجها لوجه . وكان سؤاله بعد ذلك عن رأينا في اقتراحه . ورجاه الدكتور « محمود فوزى » أن يعطينا مهلة

نتدبر الأمر معا ، ونعود إليه بعد ذلك برأينا . وكان رد « جمال عبد الناصر » :
« هذا حقا ، فانا قضيت الساعات الماضية أقلب هذا الاقتراح من جميع
جوانبه » .

وخرجنا - الدكتور « محمود فوزى » وأنا - إلى جسر الباخرة نطوف حوله ونفكر
والحوار بيننا يلاحق أفكارنا . كانت هناك اعتبارات تؤيد رأى « جمال عبد الناصر »
وكانت هناك محاذير تدعو إلى التروى . وكانت مهلة الوقت المتاحة للتفكير محددة ،
وهكذا عدنا إلى المكتب الذى يجلس فيه الرئيس ، وعرضنا أمامه وجوه الأمر على
اختلافها ، وقال له الدكتور « فوزى » : « إن الكفتين متساويتان ، واعتقد أنك
وحدك بحكم مسؤوليتك تستطيع الترجيح بينهما » . وبقي « جمال
عبد الناصر » صامتا لدقيقة بدا وكأنها زمنا طويلا ، ثم كان قراره بعد ذلك « أن
نتوكل على الله ونذهب » .



مرة أخرى تحولت الكابينة التى أعدت لـ « جمال عبد الناصر » على ظهر
المدمة المصرية « الناصر » إلى مركز قيادة .

كان السفير اليوجوسلافى فى موسكو قد طلب موعدا عاجلا مع الزعيم
السوفيتى « نيكيتا خروشوف » وأبلغه السفير برسالة من « تيتو » تتضمن
سؤالا يقول : « إن المارشال تيتو يسألكم هل من الممكن أن تضعوا طائرة نفائة
من طراز تي يو ١٠٤ تحت تصرف الرئيس عبد الناصر لى يعود بها إلى القاهرة
فورا نظرا لاستحالة تقدمه عبر البحر الأبيض المتوسط بسبب مخاطر أزمة
الشرق الأوسط خصوصا بعد تدخل الولايات المتحدة عسكريا فى لبنان ، إن
الـ « تي يو » تستطيع قطع المسافة من مطار بولا إلى القاهرة فى ثلاث ساعات ،
وهذه مسافة تعرض مقبولة فضلا عن أن كل الأطراف التى اشتد غضبها فى
البحر الأبيض سوف يفكرون مرات قبل أن يهاجموا طائرة سوفيتية على فرض
أنهم اكتشفوا حقيقة ركابها » . وكان رد « خروشوف » على السفير هو قوله :
« دعنى أصحح معلوماتك . طائرتنا الـ « تي يو ١٠٤ » معجزة علمية ، وهى
قادرة على قطع المسافة من بولا إلى القاهرة فى ساعتين فقط » . ثم أضاف
« خروشوف » أنه سوف يأمر بقيام الطائرة من موسكو فورا لتقلع إلى مطار بولا
فى ظرف عشر دقائق . وبعث السفير اليوجوسلافى فى موسكو بنتائج مقابلته مع
« خروشوف » إلى الرئيس « تيتو » وكانت برقيته أمام « جمال عبد الناصر » فى
كابينة المدمة « الناصر » فى أقل من نصف ساعة . وقراها « جمال عبد الناصر »
ثم قرر أن يبعث عن طريق « تيتو » برسالة مباشرة منه إلى « خروشوف » وكان

نصها : « إننى اقترح قبل أن أعود إلى القاهرة أن التقى بكم فى أى مكان يناسبكم - إننى الآن فى طريقى عائداً إلى بريونى ، وأمل عندما أصل إليها أن أجد رداً منك ينتظرنى - جمال عبد الناصر » .

وصلت المدمرة « الناصر » إلى مياه جزيرة بريونى ، وتوجهت بناءً على رسالة تلقتها بعيداً عن الميناء - نحو خليج عند الطرف الشرقى لها . وهناك التقاها قارب سريع نقل ركابها^(١١) إلى الشاطئ ، وكانت تقف على رصيفه مجموعة من السيارات حملت الجميع إلى فيلا « بيانكا » مقر إقامة الرئيس « تيتو » .

كان « تيتو » واقفاً على بابها ينتظر الرئيس ، وكان معه أربعة من مساعديه هم نائبه « كارديل » وزير داخلية « رانكوفيتش » ووزير خارجيته « بوبوفيتش » ووزير حربيته الجنرال « جوشنيك » . وجلس الفريقان لاستعراض شامل ودقيق لآخر تطورات الموقف . وكانت أهم الأخبار المستجدة أن قوات بريطانية قد نزلت فى الأردن بالطائرات ، ولعل أكثر ما لفت النظر فى تفاصيل هذا الخبر المستجد هو أن الطائرات البريطانية عبرت المجال الجوى لإسرائيل فى طريقها من قبرص إلى مطار عمان . وبدا ذلك خطراً إضافياً على موقف كان فى الأصل مثقلاً بالمخاطر . ودعى الجميع بعد ذلك إلى عشاء سريع ، فقد كانت الطائرة الـ « تى يو ١٠٤ » السوفيتية جاهزة للانطلاق إلى موسكو فى أى وقت . كان « خروشوف » قد اقترح أن يلتقى بـ « جمال عبد الناصر » فى موسكو لأنه أراد هو الآخر أن يكون قريباً فى لحظات الأزمة من كل أجهزة القيادة السوفيتية السياسية والعسكرية .



كانت خطوة « ايزنهاور » التالية هى الالتقاء بقيادات الكونجرس ، فقد كان يعرف أنه إذا نزلت القوات فى لبنان قبل أن يتحدث إلى أعضاء الكونجرس ، فإنه سيواجه مشكلة كبيرة . ولعله أيضاً كان يحتاج إلى وضع الكونجرس فى الصورة حتى إذا طرأت ظروف تفرض اتساع نطاق التدخل كان طريقه ممهداً . وبالفعل فإنه وجه

(١١) الرئيس « جمال عبد الناصر » والدكتور « محمود فوزى » والسيد « حسن صبرى الخولى » مسؤول الاتصالات على الباكسة « الحرية » - وأنا

دعوة عاجلة إلى قيادات الكونجرس (زعماء الأغلبية في المجلسين ، وزعماء الأقلية ، ورؤساء اللجان) ، وكان عددهم ٢٢ عضوا . وقد التقى بهم في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر . وقد كتب في يومياته عن هدفه من الاجتماع يقول .

« لقد كانت لي ثلاثة أهداف من اجتماعي بهم في هذه اللحظات المصيرية . الهدف الأول : أن أخطرهم ، وأن أشرح لهم دواعي قراري بالتدخل العسكري في لبنان - والثاني : أن استطلع منهم أية آراء إضافية عن الموقف قد تكون غائبة عني أو عن مساعدي - وثالثها : أن أحسس اتجاهات الكونجرس في حالة ما إذا كان علينا توسيع نطاق العمليات » .

وفيما يتعلق بنتائج الاجتماع ، فقد كتب « ايزنهاور » في يومياته يقول .

« لقد استمعوا إلى باهتمام واستوضحوني في عديد من النقاط ، وكان إلحاحهم باديا على نقطتين : أولاهما احتمال رد فعل لدى السوفيت ، والثانية هي الذرائع القانونية التي سوف نغطي بها تدخلنا العسكري في لبنان . وقد سألني السناتور فولبرايت في إحدى اللحظات بحدة عما إذا كان تدخلنا على هذا النحو في لبنان يعني أننا نشترك في حرب أهلية لبنانية ، وما إذا كان ذلك موقفا صحيحا ؟

ولقد أحسست أنهم يعارضون أي اشتراك للبريطانيين معنا في العملية لأن مثل ذلك قد يستدعي أشباح السويس . كذلك أحسست أنهم على وجه القطع لن يقبلوا بتوسيع نطاق العمليات إلى أبعد من لبنان إلا إذا كان هناك ما يستدعي ذلك فعلا شريطة أن أحصل على تفويض دستوري بذلك من الكونجرس » .



وانشغل « ايزنهاور » بعد ذلك في إعداد بيان يوجهه للأمم فور إخطاره بأن عمليات الانزال قد بدأت فعلا . ويكتب « ايزنهاور » في يومياته أن أصعب نقطة واجهته هي اختيار التعبير الذي يصف به عملية الانزال ، فلم يكن يريد استعمال كلمة « تدخل » Intervention أو أى كلمة مشابهة يمكن أن يكون لها أثر سيئ على الرأي العام العالمى . واستدعى أحد مستشاريه القانونيين وبعد مناقشة معه استقر على استعمال كلمة « تمركز » Stationed . واستدعى مستشاره الصحفى « جيمس هاجرتى » وأملاه نص بيان كتبه لكى يذاع فور ورود أول أنباء عن بدء عملية الانزال . وجاءته أول الأخبار عن بدء العملية وكانت مطمئنة ، فقد أبلغه الجنرال

« تويننج » أن طلائع وحدات البحرية نزلت إلى الشاطئ قرب بيروت ، وأن قائد الجيش اللبناني اللواء « شهاب » كان بنفسه في استقبالها ، ومعه السفير الأمريكي في بيروت « روبرت ماكلينتوك »^(١٢) . ثم جاء إليه الجنرال « تويننج » بأخر تقديرات هيئة أركان الحرب المشتركة ، وكان مؤداها أن القوات الأمريكية التي ستنزل إلى الشاطئ حتى فجر الغد سوف يكون تعدادها ١٤٣٥٧ جندياً - ومع أنه لا توجد حتى هذه اللحظة أية دلائل على إمكانية حدوث مقاومة لها ، فإن هيئة أركان الحرب المشتركة ترى أن تكون هناك خطة للتعزيز السريع إذا تغيرت الصورة في أي وقت . وكان اقتراح هيئة أركان الحرب هو إصدار أمر إنذارى إلى القوات الجوية الأمريكية في أوروبا وأمريكا ، وبالأذات قوات الضربة الأولى والتي يبلغ عدد طائراتها ١١٠٠ طائرة . وكانت توصية « تويننج » مختلفة عن اقتراحات هيئة أركان الحرب المشتركة ، فقد كان رأيه أن صدور أمر إنذارى إلى مثل هذه القوة الكبيرة قد يدفع السوفيت إلى افتراض وجود خطط أمريكية أوسع مما هو مقدر الآن ، وبالتالي فإن ردود فعلهم المبنية على استنتاج خاطئ قد تدفعهم إلى تصرفات تؤدي إلى أفعال لا لزوم لها الآن .

وفكر « ايزنهاور » لبضع دقائق ثم قال : « إنه يوافق على تقدير أركان الحرب المشتركة ، ولكنه لا يفعل ذلك من منطلق عسكري ، وإنما من منطلق سياسي حتى يعرف السوفيت أننا جادون فيما نفعل » . وناقشه الجنرال « تويننج » في أن « السوفيت قد يتمكنون في بضع ساعات من حل إشارات العمليات فيتبينون حدودها ، ويتصورون بعد ذلك أننا « نحاول تهويشهم » - وذلك قد يدفعهم إلى المغامرة بقصد كشفنا . »

ورد « ايزنهاور » بملاحظة لها معنى ، وقد وردت ملاحظته بالحرف في يومياته حيث قال : « إن هدفي ليس تخويف الروس . فالروس سوف يعرفون حقيقة موقفنا هذه اللحظة بوسيلة أو بأخرى - إن هدفي الحقيقي هو ناصر الذي يتصرف فيما يبدو لي تحت ظن أننا لن نتدخل مخافة الصدام مع السوفيت . وذلك يعطيه حرية في الحركة غير محدودة ، ولا بد أن نحاول إيقافه عند حد لا يتجاوزه » .

ويلفت النظر أن « ايزنهاور » سأل الجنرال « تويننج » عما إذا كانت القوات التي نزلت في لبنان قد أخذت معها أية إمكانيات نووية ؟ وقال الجنرال

(١٢) كانت تعليمات ايزنهاور إلى الجنرال تويننج عدم إخطار احد من المسؤولين اللبنانيين بموعد الإنزال بما فيهم الرئيس كميل شمعون ، ولكن طبائع الأمور وطبائع لبنان معا جعلت تنفيذ هذا الأمر نوعاً من المستحيلات .

« توابننج » : « إن هذه القوات قد صحبت معها كتيبة مدفعية صواريخ من طراز « ليتل جون » المزودة برؤوس نووية . ورد « ايزنهاور » بأن « هذا احسن » .

وكانت رسائل « ماكميلان » الموعودة إلى « ايزنهاور » قد وصلت إلى « جون فوستردالاس » وزير الخارجية ، وقد حملها إليه لورد « هود » السفير البريطاني في واشنطن . وكتب وزير الخارجية الأمريكية مذكرة إلى الرئيس عن هذه الرسائل ، وبعث بالملف كله إلى « ايزنهاور » . وكان نص مذكرة « دالاس » كما يلي : (١٣)

« الرئيس - البيت الأبيض »

عزيزي الرئيس . جاعني اللورد هود يحمل رسالتين واردتين لكم من هارولد ماكميلان ، وهما مرفقتان بهذه المذكرة ولا بد انكم ستطلعون عليهما .
..... (فقرة كبيرة محذوفة)

بالنسبة للنقطة الواردة في الفقرة ٤ اعلاه بشأن ما إذا كنا نريد ان يشترك البريطانيون معنا في إنزال القوات إلى لبنان ، لقد قلت للورد هود إننا خططنا لهذه العملية منفردين ، ونفضل تنفيذها كما خططنا لها ، ونحن نفضل أن لا يشترك البريطانيون فيها - فهذا يوافقنا أكثر .

وفيما يتعلق بطلب الأردن تأكيداً باننا سنتقدم لمساعدته ، فإنني اخبرت اللورد هود بأن هذه مسألة جديدة تماماً ولا يشملها تخطيطنا العسكري الحالي ، ولذا فإنني لا أرى في الوقت الحاضر اننا نستطيع ان نعطي الملك حسين التأكيد الذي طلبه ، ولا ان نقبل ما اقترحه البريطانيون من حثه على طلب الضمان فوراً . ومع ذلك فإننا سوف ندرس هذا الأمر على وجه السرعة هنا في وزارة الخارجية ومع العسكريين » .

وقرر « ايزنهاور » أنه من المستحسن أن يتصل هو تليفونيا برئيس الوزراء البريطاني « هارولد ماكميلان » . وكتب « ايزنهاور » في يومياته عن هذا الاتصال التليفوني يقول ما نصه : « إن ماكميلان أبلغني أنه تلقى طلباً بالمساعدة العاجلة من شمعون وحسين ، وقلت له إننا تصرفنا فعلاً فيما يتعلق بطلب شمعون ، وقواتنا بدأت نزولها فعلاً في بيروت . ورد على ماكميلان ضاحكاً بقوله : « إذن فانت تواجهني بسويس أمريكية » . وقلت له : « إننا لا نريدهم معنا في لبنان ، وإنه من الأفضل الآن أن يرتب نفسه للتحرك إلى الأردن بقوات مظليين » . ثم أضفت قائلاً له : « إنه لا ينبغي أن يظهر أننا متواطئون معاً » . ثم وعدته أن نقدم له أية مساعدات في الامداد والتموين ، ثم أكدت عليه مرة أخرى : « إننا

(١٣) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٥٨ .

لا نريد البريطانيين معنا في عملية لبنان . ثم أكدت له أن عليه أن يكون واثقاً من أننا لن نتخلى عن حليف لنا . ولكن طلبات ماكميلان تبدو لي غير معقولة ، فهو يريد منا الآن أن نقوم بتنظيف كل المنطقة مرة واحدة خلال عملية مشتركة كثيفة لا تكتفى بلبنان وحدها أو الأردن ، وإنما تمتد إلى العراق وسوريا . إن مثل هذه الخطط تثير مخاوفي ، فأنا أريد أن أحدد تدخلنا ولا أسعى إلى تصعيده ، وقد رفضت طلب ماكميلان بحزم .



وفي مساء هذا اليوم - ١٥ يوليو - أفضى « ايزنهاور » ليومياته الخاصة بالعوامل التي كانت تتنازع في هذه الساعات الحرجة ، فكتب يقول متأملاً :

« هذه أول مرة في مدة رئاستي الجأ فيها إلى استعمال قواتنا المسلحة ، والحقيقة أنني افعل ذلك بمشاعر مختلطة . فانا لا أريد أن أعود إلى دبلوماسية المدافع *Gunboat Diplomacy* ، والحقيقة أنني لا أرى أن لبنان معرض لتهديد خطير فشمعون قد أعلن فعلاً أنه لن يعدل الدستور ، ولن يسعى إلى تجديد مدة رئاسته . كما أنني لا أملك دليلاً على اشتراك الروس أو المصريين فيما يجري في لبنان ، أو فيما وقع في العراق . ولست أرى أن هناك مصالح حيوية لنا معرضة في هذين البلدين . وإذن فلن أحشد هذا الاستعراض الكبير للقوة ؟ بالتأكيد فهو غير موجه للسوفيت ، ففي استطاعتهم أن يعرفوا ما هو أكثر مما يجري على السطح . بالطبع إن الهدف الحقيقي هو ناصر . إن ناصر لابد أن يغير سياسته ، فهو يبدو لي مقتنعاً بأن الولايات المتحدة بسبب تقاليدها الديمقراطية لا تستطيع أن تتحرك بسرعة وحزم لحماية مصالحها الحيوية . إنني في الغالب أريد بما أفعله الآن أن أعطيه مادة للتفكير بينما هو يحاول تحقيق حلمه بتوحيد البلاد العربية . »

ومن اللافت للنظر أن المؤرخ الأمريكي « ستيفن أمبروز » الذي قام بمراجعة يوميات « ايزنهاور » بنصوصها الكاملة ، أضاف عندما بلغ هذه النقطة في دراسته عن تفكير « ايزنهاور » - عبارة لها رنين خاص . فقد ذكر « أمبروز » عند هذه النقطة :

« من الواضح أن القاعدة الرئيسية لسياسة الغرب في المنطقة هي العمل على إبقاء الدول العربية ضعيفة ومقسمة ومعتمدة على الغرب . »



ويبدو أن « ماكميلان » لم ييأس ، فقد قرر إرسال وزير خارجيته « سلوين لويد » إلى واشنطن على عجل . وبينما هو يطير فوق الأطلنطي يعبره من لندن إلى واشنطن طرأت مشكلة بشأن نقل قوات المظليين البريطانيين من قبرص إلى الأردن . فلم يكن هناك طريق تسلكه هذه القوات - مع استبعاد أجواء الجمهورية العربية



الدبابات الأمريكية تنزل على شواطئ لبنان يصحبها ١٦٠٠٠
من الجنود الأمريكيين المزودين بأحدث الأسلحة .

المتحدة في مصر وسوريا - إلا العبور في الأجواء الجوية الاسرائيلية . واتصلت
الحكومة البريطانية فيما يبدو بالحكومة الاسرائيلية تطلب موافقتها ، لكن رئيس وزراء
اسرائيل « دافيد بن جوريون » أصر على أن الطلب البريطاني يجب أن يعززه طلب
أمريكي لأنه - أي « بن جوريون » - لدغ بما فيه الكفاية من البريطانيين في أثناء
عمليات السويس .



وفي الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم الخميس ١٧ يوليو ١٩٥٨ كان « سلوين لويد » في البيت الأبيض ، ويرافقه اللورد « هود » . وكان على موعد مع الرئيس « ايزنهاور » الذي طلب اشتراك وزير خارجيته « دالاس » في الاجتماع . وجرى عرض كل جوانب الموقف . وكتب « جون فوستر دالاس » للسجلات مذكرة عن هذا الاجتماع جاء فيها بالنص :^(١٤)

« إن وزير الخارجية عرض امام الرئيس ما ناقشه مع وزير الخارجية البريطاني لويد في اجتماعهما قبل ذلك . وقد اتفقا على انه من الضروري على بريطانيا والاردن الآن إلقاء بيان في مجلس الامن بشأن الاستجابة البريطانية لما طلبه الملك حسين من مساعدة عسكرية ، وانهما يتصوران معا انه لا داعي لادراج الموضوع في اعمال مجلس الامن حتى يمكن تفادي اى مناقشة مع مصر في هذا الصدد .

وقد أبدى الرئيس استغرابه من حالة الجماهير العربية التي استولى عليها ناصر بهذا القدر الكامل . ولاحظ الرئيس اننا اخفقنا في القيام باى جهد له قيمة في توزيع المعلومات وبث الدعاية في البلاد العربية . وبالتأكيد فإننا لم نساعد اصدقاءنا بالقدر الكافي في هذا المجال . وقال الرئيس لابد ان نكون أكثر ذكاء في فهم حقيقة ان القومية العربية لا تتعارض مع العالم الحر ، ولكننا لا نفهم ذلك بالقدر الكافي بينما استطاع الشيوعيون ان يتبنوا مفهوم القومية العربية ، وقاموا بعمل افضل في كسب عقول الشعوب العربية . وقد اشار وزير الخارجية (دالاس) إلى اننا نبذل جهودا كبيرة لإنشاء محطة إذاعة قوية في قبرص ، ولكن هذا المشروع يتعثر رغم انه بدا منذ سنتين . وتذكر الرئيس ان السفير هيث كان قد اخبره ان هناك محطة إذاعة قوية جاهزة لنقلها فوراً إلى المملكة العربية السعودية لو امكن الحصول على موافقة الملك سعود .

..... (فقرة محذوفة) .

وقد ذكر سلوين لويد ان رئيس الوزراء هارولد ماكميلان طلب منه ان ينقل إلينا عرفانه بتأييد الولايات المتحدة لهم في عملية الأردن ، وهم يقدرون اية مساعدات نستطيع تقديمها لهم ، ولكنهم ما زالوا على اعتقادهم بضرورة توسيع نطاق العملية وجعلها جهداً مشتركاً بيننا وبينهم ، فذلك يجعل العملية نوعاً من الردع الفعال . واثار الرئيس إلى ان الولايات المتحدة لا تتمتع مثل بريطانيا بمزايا حكومة برلمانية تساندها أغليبيتها في اى قرار تتخذه ، على عكس الواقع في النظام الرئاسى الأمريكى ، والذي يفرض على الرئيس ان يتعاون خطوة بخطوة مع الكونجرس . وقد قال الرئيس إنه من هذه الاعتبارات فإن عملياتنا في البحر الأبيض المتوسط كان لابد من تقديمها كعملية مقتصرة على لبنان . ومع ذلك فإن من المؤكد اننا سنقف مع

(١٤) وثائق وزارة الخارجية الأمريكية (مجموعة شهر يوليو ١٩٥٨) .

البريطانيين كتفا بكتف . ولكن كما كان الحال في عملية « تورش »^(١٥) ، فقد عرضت فرص كان من الخير فيها توزيع الجهد ، فيختص كل طرف من الحلفاء بمهمة .

وجرى حديث موجز عن تحركات القوات البريطانية داخل عمان ، ولم تكن هناك إلا معلومات قليلة . وكذلك كانت المعلومات قليلة عن وجود مؤامرة ضد الملك حسين دفعته إلى طلب القوات . وقد ذكر الوزير أنه تم الاتصال به في الساعة الثانية صباحا لأن الاسرائيليين اصرروا على أن تؤيد الطلب البريطاني قبل أن ياذنوا للقوات البريطانية بعبور أجوائهم إلى عمان ، وأنه وافق على تقديم تعزيز أمريكي للطلب البريطاني .

وقد ذكر سلوين لويد أن البريطانيين نقلوا ٢٢٠٠ جندي من جنود المظلات إلى عمان ، وأنهم سوف يحتفظون في المؤخرة بمجموعة لواء احتياطي . وهم لم يرغبوا في إرسال عدد أكبر من القوات بسبب مشكلة التمويل الذي يتعين نقله جوا .

وذكر الوزير أنه تحدث مع سلوين لويد حول مشكلات الخليج الفارسي ، ومنشات البترول الغربي هناك ومطالب تأمينها ، وقد اتفقا على إحالة هذا الموضوع إلى اللجنة المشتركة للخبراء . وفي اعتقاد سلوين لويد أنه بصرف النظر عما يمكن أن يقوله الخبراء ، فهناك مواقف لابد من التمسك بها . فلبريطانيا قوات في البحرين ، واتفاقية مع شيخ الكويت للدفاع عن هذه المنطقة . وذكر الوزير (دالاس) أن السفير هيث يعتقد بأن الملك سعود قد يرحب بوجود عسكري ما في مطار الظهران يمكن استخدامه عند الضرورة .

وطرح الرئيس أهمية زيادة قوة إيران وتركيا . ففي هذين البلدين من الروح المعنوية أكثر مما يوجد في أي مكان آخر من الشرق الأوسط . وأضاف الرئيس إنه يتعين أن يكون لدى إيران ١٢ فرقة في وضع جيد ، والترتيب بعد ذلك لاضافة فرقتين أخريين . وقال إنهم يريدون بناء قواتهم العسكرية بسرعة أكبر ، ولابد أن نحاذر . فإذا زادت قوتهم عن الحد الذي تستطيع قيادتها أن تتحكم فيه ، فإن مؤسستهم العسكرية ممكن أن تتمزق من الداخل^(١٦) .

وفي نهاية الاجتماع عاد سلوين لويد فائرا مع الرئيس آمال بريطانيا في احتمال الاشتراك في عملية أوسع . ولم يعطه الرئيس أي تشجيع ، ولكنه قال له أن يطمئن لأننا لن نرضى أن يصبح البريطانيون في ورطة وحدهم .

(١٥) الاسم الرمزي لحملة الحلفاء في شمال افريقيا لتحريرها من حكومة « فيشي » الموالية للألمان . وقد كان « ايزنهاور » نفسه هو قائدها ، وكانت الحملة أمريكية بالدرجة الأولى ، وكانت مشاركة البريطانيين فيها بالضغط على الألمان من جبهة أخرى هي جبهة تونس التي كان يقودها المارشال البريطاني « الكسندر » .

(١٦) كان ايزنهاور في هذه النقطة بعيد النظر إلى حد كبير كما ثبت فيما بعد عند سقوط النظام الملكي في إيران .



فجر يوم ١٧ يوليو هبطت الطائرة التى كانت تقل « جمال عبد الناصر » فى مطار « فينوكوفو » ، وطلب إليها برج المراقبة فى المطار أن تتوجه إلى نهاية أحد الممرات البعيدة ، ثم تتوقف هناك . ونزل « جمال عبد الناصر » ومعه ركبائها الثلاثة ليجد ثلاثة مستقبلين فى انتظاره وهم « ميكويان » نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ، والجنرال « سيروف » رئيس هيئة المخابرات السوفيتية الـ K.G.B. ، ومعهما « سوبوليف » المترجم الاخصائى فى اللغة العربية . واتجهت بهم السيارات إلى ضاحية « كاليتشوها » ودخلت إلى ساحة قصر صغير تحيط به الأشجار العالية من كل جانب . ونظر « ميكويان » إلى ساعته ، وقال للرئيس « جمال عبد الناصر » : « إن الساعة السادسة صباحا الآن ، وأنتم بالتأكيد تحتاجون إلى بعض الراحة ، وسوف يجيئكم الرفيق نيكيتا خروشوف الساعة العاشرة تماما » . ثم انصرف « ميكويان » . ولم يكن هناك متسع لأى راحة بحكم تدافع حركة الحوادث ، وضرورات الاستعداد لها بما فى ذلك الترتيب لاجتماع « جمال عبد الناصر » مع « نيكيتا خروشوف » الذى تقرر إتمامه بعد أربع ساعات . وطلب الرئيس إلى الدكتور « محمود فوزى » وأنا أن نجلس معا لوضع تصور لما يمكن أن يثار مع « خروشوف » . وبدأت أمامنا لأول وهلة مشكلة الاتصال بالسفير المصرى فى موسكو « محمد عوض القونى » ، فإن القاهرة كانت قد أخطرت بطريقة سرية بتحويل كل رسائلها الشفوية إلى الرئيس على السفارة فى موسكو . ولما كانت هناك شفرة خاصة للرسائل طوال هذه الرحلة ، فقد كان مؤكدا أن السفارة فى موسكو الآن فى موقف محير لأنها بدأت فجأة تتلقى رسائل بشفريات لا تملك مفاتيحها . وكانت إجراءات الأمن تفترض ألا يعرف أحد بوجود « جمال عبد الناصر » فى موسكو فى هذه الساعات . وهكذا قام المترجم « سوبوليف » - وكان قد ظل فى قصر الضيافة ليقوم بمهمة الاتصال مع السلطات السوفيتية فى حالة ما إذا اقتضى الأمر داعيا لمثل هذا الاتصال - بإبلاغ وزارة الخارجية برغبة الوفد المصرى فى مجيء السفير « القونى » إلى قصر الضيافة بأى وسيلة يختارونها .

وبالفعل اتصل وكيل الخارجية السوفيتية بالسفير « القونى » فى بيته ، وكانت الساعة السادسة والربع صباحا ، وقال له : « إنه مطلوب بصفة عاجلة لتلقى رسالة هامة فى وزارة الخارجية . ولما كانت الوزارة تعرف أن سائق سيارته لم يحضر بعد فى هذا الوقت من الصباح المبكر - فإن الوزارة سوف تبعث إليه بسيارة خاصة تنقله إلى

مقرها . ونزل السفير « القونى » بسرعة ليجد سيارة من وزارة الخارجية فى انتظاره ، وقد أسدلت الستائر السوداء على نوافذها . ودخل إليها ، وإذا هى تنطلق بأقصى سرعة فى اتجاه آخر يعرف بحكم خبرته بتخطيط موسكو أنه لا يؤدى إلى وزارة الخارجية . وحاول أن يستفسر من السائق ، ولكن السائق لم يرد عليه إلا بكلمة « خراشو » أى حسنا . ولعدة دقائق اعتقد السفير « القونى » أنه تعرض لعملية خطف ، ولم يكن أمامه ما يفعله والسيارة تنطلق به خارجة من موسكو إلا أن يقبع فى مكانه ساكنا ، وينتظر ما تجيء به المقادير . وبعد رحلة حافلة بالقلق دخلت السيارة المقلّة له إلى قصر الضيافة فى « كاليتشوها » ونزل منها السفير « القونى » وتصادف وقتها أن كان الدكتور « محمود فوزى » وأنا جالسين على أريكة فى الحديقة نناقش الموقف ، ونسجل خواطرنّا على ورق لكى نكون مستعدين لاجتماع مع الرئيس قبل اللقاء مع « خروشوف » .

وكانت دهشة السفير « القونى » بالغة ، خصوصا عندما عرف أن « جمال عبد الناصر » بنفسه موجود داخل قصر الضيافة .



وفى الساعة العاشرة جاء « خروشوف » . وتحولت غرفة المائدة إلى قاعة اجتماع . وبدأ « خروشوف » يتحدث ، فأبدى سعادته بأن « جمال عبد الناصر » قرر لقاءه قبل أن يتوجه إلى المنطقة ، وأنه طلب طائرة سوفيتية سريعة لتنقله إلى هناك ، ثم أضاف : « الحقيقة أننى كنت فى غاية الدهشة عندما سمعت أنكم على ظهر باخرة صغيرة تتقدمون ببساطة نحو البحر الأبيض . إن هذا البحر ملىء الآن بكثيرين لا يتمنون الخير لكم . وبالتأكيد فقد كان يسعدكم أن يجعلوا منكم وجبة شهية لبعض أسماكهم » . وأقبل أحد الخدم بكأس ملاء بالفودكا ووضعها أمام « خروشوف » ، ودق « خروشوف » على المائدة قائلاً لرئيس الخدم : « ارفع هذا من أمامى » . ثم التفت إلى « جمال عبد الناصر » يقول له : « حينما تكون معى فأنا لا أشرب أبدا . أنا أعلم أنك مسلم متدين ، وأنا أحترم عقيدتك » . ثم التفت إلى الناحية التى كان يجلس فيها الدكتور « فوزى » وأنا ، وقال لنا : « لقد كان يسعدكم أن يواجهوه وحده فى البحر الأبيض . فهم يعرفون أنه أصبح رمزا لكفاح العرب ، ولهذا فإن المعركة الدائرة اليوم أصبح محورها هذا الشاب ودوره » . قالها « خروشوف » وأشار إلى « جمال عبد الناصر » . ثم ملاً كوبا أمامه بالمياه المعدنية وقال : « إننى أشرب نخب كفاح الشعوب العربية ، ونخب انتصار العرب ، ونخب قائد العرب » . ثم مضى « خروشوف » يقول : « أنا لا أتكلم عن الغيب ، ولكنى أومن بمنطق التاريخ . لقد انتهى الاستعمار ، وانتهى عهد الامبراطوريات ، وأنا أرى أمامى هزيمتهم

كاملة . إنهم لا يرون أنفسهم على حقيقتهم ويتمسحون بعبارات « عن الديمقراطية ، ويتعلقون بأذيال ادعاء الدين » . ثم وصل « خروشوف » إلى ضلّاب الحوادث حين قال : « إن ثورة العراق كانت مفاجأة لهم ، لقد سقط حلف بغداد ، فهل يتصور أحد الآن حلف بغداد بغير بغداد ؟ أو أن بغداد أصبحت فجأة ضد حلف بغداد ؟ لقد حذرتهم طويلا . عندما كنا في لندن أنا وبولجانين قال لي ايدن : « إذا تأكد لنا أن بترولنا في الشرق الأوسط معرض للخطر ، فسوف ندخل الحرب » . وقلت لايدن يومها : « استعمل عقلك . ماذا سيفعل العرب ببترولهم غير أن يبيعوه لكم ؟ - إن الاتحاد السوفيتي ينتج من البترول أكثر من حاجته ، فهو إذن ليس طامعا ، وليس مشتريا لبترول الشرق الأوسط ، وإنما أنتم في الغرب المشتري الوحيد » . « وضحك » خروشوف « ثم استدرك قائلا : « ولكن المشتري غير اللص ، وهم لا يريدون شراء البترول ، وإنما يريدون سرقة . والمشكلة الآن هي أنهم يعتقدون أن ثورة العراق تهدد البترول » .

وهكذا مهد « خروشوف » بنفسه للموضوع الذي يطرح نفسه للمناقشة ، وهو ثورة العراق وتداعيات الموقف بعدها . كان السفير « محمد القونى » قد سارع إلى إعداد ترتيبات لإرسال البرقيات الشفوية الواردة من القاهرة إلى قصر الضيافة . كما أن الجنرال « سيروف » (مدير المخابرات) الذى كان قد جاء فى صحبة « خروشوف » أيضا (مع « ميكويان » ومع وزير الخارجية « جروميكو ») كان يحمل معه ملفا بأخر التطورات عما يجرى فى الشرق الأوسط . وبعد استعراض المعلومات من مصادرها المتعددة جرى بحث كل الاحتمالات . وطال اللقاء إلى موعد الغداء ، ثم اتصل بعده إلى المساء ، وكان ملخص وجهة نظر « جمال عبد الناصر » من ناحية :

« ان الموقف خطير ، وأن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد أن تضاعف من خطورته ، وأنها سوف تبذل كل جهدها للسيطرة على ردود أفعالها لأنها لا تقبل أن تعرض السلام العالمى للخطر . وأنه عندما يعود إلى المنطقة - اليوم - فإنه سوف يبذل كل جهده لتهدئة أعصاب كل الأطراف لكنه يشعر أن بعضهم يدفع الأمور إلى مناطق خطيرة » .

وبدا تشوق « خروشوف » شديدا لمعرفة أية تفاصيل قد تكون لدى « جمال عبد الناصر » عن القيادة العراقية الجديدة (وكانت قد برزت بالفعل ثلاثة أسماء هى : « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » - وبعدهما كان هناك اسم اللواء « نجيب الربيعى » الذى عين رئيسا لمجلس السيادة) .

وقال « خروشوف » لـ « جمال عبد الناصر » صراحة : « الواضح أنهم رجالك ؟ » .

ورد « جمال عبد الناصر » على « خروشوف » بأنه بهذا السؤال يقع في نفس الخطأ الذي يقع فيه الغرب حين يتصور أنه وراء كل حدث يجري في أي وطن عربي . ثم قال لـ « خروشوف » إنه « لا يعرف أحدا من هؤلاء القادة الذين تتردد أسمائهم في معرض الثورة العراقية ، ولم يلتق في حياته بأحد منهم » .

ثم قال لـ « خروشوف » : « إذا كنت أنت بتجربتك الكبيرة في الثورة تسألني هذا السؤال ، فإن ايزنهاور ودالاس معهما العذر عندما يوجهان إلى الاتهام بأنني « مدبر الثورات » في العالم العربي » .



وراح « جمال عبد الناصر » يعطى لـ « خروشوف » فكرة عامة عن القومية العربية ، وعن الحالة الثورية في الأمة العربية في الظروف الراهنة ، وخلص في هذه النقطة بأن قال : « لقد كان هناك مخزون محبوبس من الآمال والتطلعات لدى كل شعب عربي ، فلما بدا أن الثورة المصرية قادرة على فتح الطريق تدافع كل المخزون والمحبوس من الطاقات - تيارات وحركات عارمة بغير ترتيب من أحد وبغير تخطيط » .

ثم قال « جمال عبد الناصر » لـ « خروشوف » : « إنني أول من يساوره القلق في بعض الأحيان نتيجة لتدافع الحوادث ، فهذا التدافع ليس فقط أكثر مما تحتمله أعصاب الغرب بل إنه في نفس الوقت أكثر مما نستطيع نحن تحمل مسؤوليته ، ولكن المشكلة « أننا لا نستطيع أن نصد عفوية الجماهير ولا حقها المشروع في تكسير أغلال التبعية » .

وسأله « خروشوف » عما إذا كان « ينوى ضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » بأن استعمال كلمة « ضم » دليل على أنه فشل في التعبير عن آرائه بالنسبة لحركة القومية العربية . وأبدى « خروشوف » ملاحظة مؤداها أن « التنظيم » هو الذي يحل المشاكل التي أثارها « الرئيس » حول حركة القومية العربية . ورد « جمال عبد الناصر » بأن فكرة « التنظيم » مازالت تبحث لنفسها عن إطار في الواقع العربي ، ومع ذلك فإذا كان « التنظيم » ممكنا في إطار مشروعية دولة واحدة فإنه صعب على النطاق العربي العام ، مع أن ذلك هو النطاق الفعلي لحركة التفاعلات الجارية في العالم العربي كله . ثم قال : « إنني حرصت دائما على أن لا يكون لنا تنظيم خارج حدود الدولة ، ومع ذلك فقد اتهمنا بذلك دون أن نكون قد مارسناه ، فكيف إذا كنا مارسناه بالفعل ؟ » .

ثم عاد « جمال عبد الناصر » إلى سؤال « خروشوف » عن العراق والجمهورية

العربية المتحدة ، وكان رأيه : « كما قلت لك ، فأنا لم ألتق بالقيادات الجديدة للعراق ، وإن كنت أتوقع أن يحدث ذلك بعد عودتي إلى المنطقة ، ولكن شعوري الآن هو الاستعداد لأكبر قدر من التعاون والتنسيق بغير وحدة ، فنحن ما زلنا نحاول حل مشاكل الوحدة بين مصر وسوريا » . وأضاف « جمال عبد الناصر » ملاحظة ذات معنى قال فيها : « ومن سوء الحظ أن أصدقاءكم الشيوعيين السوريين لا يجعلون حل هذه المشاكل سهلا ، وإنما هم يعقدونها بأكثر مما هي معقدة » . وفهم « خروشوف » مغزى الملاحظة ، فرد على الفور بـ « إنهم لا يتدخلون بين العرب وبعضهم ، وأنهم لم يفتحوا فهم بكلمة فيما يحدث للشيوعيين في مصر ، أو لما حدث لهم في سوريا » .

ثم قال « جمال عبد الناصر » : « فيما يتعلق بالموقف الراهن ، فإنني أراه في حاجة إلى أعصاب ، وأنا أرى أعصاب الغرب » فالتة » . وبصراحة فإنني أفهم قلقهم ، فالمنطقة تبدو أمامهم كشلال يتدفق ، ومهما كان رأيي في سياساتهم السابقة واللاحقة في المنطقة ، فأنا على استعداد لأن أرى أن العصبية التي يتصرفون بها لها ما يبررها ولو جزئيا . ولكني لا أعرف كيف تتطور الأمور » .

ثم قال : « إنه أرسل فعلا إلى قادة الثورة العراقية بنصيحته أن يحرضوا على استمرار تدفق النفط العراقي إلى الغرب حتى لا يخلقوا لأنفسهم مشكلة لا مبرر لها ، فهم في كل الأحوال - على حد تعبير خروشوف - لن يشربوا بترولهم وإنما هم يريدون بيعه » .

ثم أضاف : « إنه مع هذا كله أراد أن يعرف مباشرة موقف الاتحاد السوفيتي في حالة ما إذا أصر الآخرون على التصعيد دون مبرر حقيقي أو قانوني أو أخلاقي » .

وكانت وجهة نظر « خروشوف » أن « جمال عبد الناصر » مصيب فعلا في تقديره أن الأمر يحتاج إلى أعصاب من حديد . وإلى أعصاب باردة . وأن الذي سينتصر في المواجهة الجارية الآن في الشرق الأوسط هو الذي يستطيع أن يضع أعصابه في ثلاجة . وأضاف « خروشوف » أن « معلوماتهم تؤكد أن الولايات المتحدة لا تنوى توسيع نطاق العمليات لأنهم يعرفون أنهم إذا فعلوا فإن العالم العربي كله ضائع منهم لا محالة . ومع أن بعض أصدقائهم يحاولون توريطهم فيما هو أكثر ، فإن ايزنهاور يعلم من الحقائق المحتملة لآى مواجهة نووية بيننا وبينهم ما يكفي ليلزم جانب الحذر . نحن أيضا نلزم جانب الحذر ، وأريد أن يكون ذلك واضحا أمامكم . فليس هناك في العالم سياسى يستطيع أن يأخذ على ضميره أن يعرض شعبه لأهوال حرب نووية . ولذلك فيجب أن تبنوا موقفكم

على أساس أنها مواجهة سياسية ، وليست عسكرية ، ولا يجب أن تكون عسكرية . وهى مواجهة أعصاب بأعصاب . وأنتم أرحتمنى كثيرا حينما وصفتوها بذلك « الوصف الصحيح » .

ثم أضاف « خروشوف » أنهم « حتى من قبل أن يصل الرئيس عبد الناصر إلى موسكو أصدروا الأوامر لقواتهم للقيام بتحركات ومناورات لحلف وارسو في منطقة البلقان وفي مواجهة تركيا . والهدف من هذه التحركات ليس عسكريا ، ولكن الهدف هو التأثير النفسى وليس أكثر » .

كانت المواقف تتحدد ، وزوايا الصورة تزداد وضوحا أكثر فأكثر حين جاء الجنرال « سيروف » ومعه خطة لعودة « جمال عبد الناصر » إلى المنطقة . وكان رأى « سيروف » أن الأسلم هو أن تتجنب الطائرة بكل الوسائل طريق البحر الأبيض ، وأن تتجه من موسكو إلى القوقاز ، وتعبّر فوق إيران ، ثم فوق العراق إلى دمشق . ثم قال : إنه بعث إلى سفير الاتحاد السوفيتى في طهران بتعليمات لطلب مقابلة الشاه بصورة عاجلة لكى يطلب منه إذنا بمرور طائرة سوفيتية خاصة عبر الأجواء الإيرانية . وبالفعل فإن السفير السوفيتى اتصل بقصر « المرمز » في طهران ، وطلب مقابلة عاجلة مع الشاه فوراً لأن معه رسالة من « خروشوف » لا تستطيع الانتظار إلى الصباح .

وهكذا مضت ساعات المساء في انتظار رسالة من طهران عن لقاء الشاه مع السفير السوفيتى ، وفي هذه الفترة فتح « جمال عبد الناصر » موضوع إسرائيل ، وكان رأيه . « إن إسرائيل عنصر في الموقف يصعب حساب حركته ، فهم بعد الثورة في العراق سوف يحسون أكثر بوطاة الحصار العربى عليهم إذ يجدون أن حلقاته توشك أن تتصل » .

وكان رأى « خروشوف » أن « المشكلة الحقيقية هي البترول وموارد الشرق الأوسط ، فهذا هو الاعتبار الذى يؤدى إلى شعور الولايات المتحدة بالتهديد » . وكان رأيه أن « إسرائيل هي مجرد أداة لسياسة الغرب يستعملها إذا أحس بالخطر » .

ثم قال « خروشوف » : « إن الغرب يهددكم بقدرته على أن يستغنى عن بترول الشرق الأوسط بالطاقة الذرية ، وأنا أرى في ذلك وهما ، واعتقادى أنه للخمسة والعشرين عاما القادمة فإن الحياة في الغرب سوف تتوقف على البترول العربى ، وأنه عرف أن الانجليز لديهم برنامجا يقضى بالاعتماد على المحطات النووية في احتياجاتهم من الطاقة بنسبة ٤٠٪ خلال عشر سنوات ، وأنه يرى في ذلك وهما كبيرا ، فلربع قرن قادم على الأقل ليس هناك بديل عن البترول العربى ،

وإن كان الاتحاد السوفيتي لا يحتاج إليه لأنه ينتج الآن سنويا أكثر من مائة مليون طن (سبعمائة مليون برميل) . »

ثم دارت مناقشات حول الأوضاع العالمية ، وأخيرا جاءت برقية السفير السوفيتي في طهران ، ومؤداها « أن الشاه وافق على طلب مرور الطائرة دون أن يسأل عن ركابها ، وأنه وافق بغير تردد ، وكان الارتياح باديا عليه عندما عرف أن هذه هي حدود الموضوع الذي دعا السفير السوفيتي إلى مقابلته على هذا النحو العاجل » .

وعند منتصف الليل كان « جمال عبد الناصر » يعود من « كاليثوها » إلى مطار « فينوكوفو » ويتوجه إلى نهاية الممر الذي تقبع فيه الطائرة التي خصصت له ، وتصعد الطائرة إلى الجو ، وتنطلق بأقصى سرعة في اتجاه الجنوب . وقد هبطت للتزود بالوقود في مطار « صوفيا » قبل الفجر حتى تتمكن من مواصلة الرحلة إلى دمشق بغير توقف . وفي مطار « صوفيا » كان هناك حشد من القوات الجوية التابعة لحلف « وارسو » وكان واضحا أن هذا الحشد جزء من حرب الأعصاب التي تجرى بين القوتين الأعظم من حول الشرق الأوسط الذي كان يعيش واحدة من أخطر أزماته .

وفي ضحى يوم ١٨ يوليو عبرت طائرته فوق بغداد ، وأطل من نافذتها على العاصمة العراقية ، وبعث ببرقية تحية إلى « عبد الكريم قاسم » ثم وصل إلى دمشق بعد الظهر بقليل ، وفي عصر اليوم ذاته كان واقفا يتحدث إلى بحر من الجماهير احتشدوا في ساحة قصر الضيافة . وكان حديثه للجماهير دعوة إلى العقل حرصا على سلام العالم . وكانت إذاعة موسكو تذيع بيانا مؤداه أن جيش القوقاز وقوامه نصف مليون جندي يقوم بمناورات ضخمة على حدود تركيا وإيران .

ولعل الاعلان الواسع عن هذه المناورات لم يكن موجها إلى الولايات المتحدة بقدر ما كان موجها لتركيا ، ذلك أن الحكومة التركية راحت تتصرف بانفعال شديد إلى درجة أن « الباي ميشيل » الوزير المفوض الاسرائيلي في أنقرة وقف في حفل دبلوماسي يقول صراحة : « إن الولايات المتحدة سوف تتكفل بصيانة استقلال لبنان ، وإن بريطانيا سوف تتكفل بحماية الأردن ، وأن إسرائيل وتركيا عليهما الآن أن تتكفلا معا بسوريا » ! !



كان « جمال عبد الناصر » و « ايزنهاور » في سباق على الأصدقاء في هذه الساعات التي بدأت فيها المواجهة تأخذ طابعا سياسيا .

كتب « جمال عبد الناصر » وهو ما زال بعد في يوجوسلافيا رسائل إلى رؤساء الدول الافريقية الآسيوية ، وبالذات هؤلاء الذين يشاركونه نفس الاتجاه السياسى ، وفي مقدمتهم « نهرو » و « سوكارنو » و « أونو » و « شوين لاي » . ومن المفارقات أن « ايزنهاور » كان يكتب في نفس اللحظة إلى كل من « نهرو » و « سوكارنو » و « أونو » - ولم يكتب لـ « شوين لاي » بالطبع .

وبلغ السباق على الأصدقاء أشده . وكان ضمير العالم هو جائزة هذا السباق التي تستطيع ترجيح كفة طرف على طرف . وكتب السفير الأمريكى في الهند « الزورث بانكر » تقريراً عن مقابلته لـ « نهرو » جاء فيه ما يلى : (١٧)

« اتاح لى تقديم رسالة الرئيس إلى نهرو الفرصة لى اشرح لرئيس وزراء الهند خلفية الاجراءات التى اتخذتها الولايات المتحدة فى لبنان واسبابها . وفى البداية كان نهرو شديد الانزعاج بصورة واضحة . بعد ساعة وربع الساعة من حديثنا فى بيته بدأت اعصابه تسترخى . وراح يسمعى بجدية شديدة . وكان هدوءه غير مشوب باى انفعال . ولا اشك فى أنه يكن للرئيس ايزنهاور احتراماً كبيراً لشخصه ولولائه الصادق لقضية السلام . ولكن من الواضح أن نهرو لا يتفق مع تقييمنا للأحداث التى تجرى على مسرح الشرق الأوسط ، فهو يعتقد أن القومية العربية قوة عارمة ينبغى أن يحسب لها كل حساب لفترة طويلة مقبلة ، وأن على الدول العربية فى المنطقة أن يكون لها حق اختيار سياساتها دون أى تدخل اجنبى . وفيما يتعلق باهم النقاط التى برزت فى هذا الحديث ، فسيرسل تقرير واف عنها اليوم فى الحقيقة إلى المستر بارتلت فى لجنة الأمن ، ولكن النقاط المهمة هى .

١ - أن نهرو يرقب إنزال قوات عسكرية فى أى مكان بقلق شديد ، وموقف حكومة الهند يتلخص فى أنه يتعين سحب القوات الأجنبية بأسرع ما يمكن .

٢ - أن نهرو قد اطلع بعد عودته من « الله اباد » على بيان الرئيس فى الكونجرس وخطابه فى الاذاعة ، وكان رايه أن أى محاولة من جانبنا للبقاء على نورى السعيد

(١٧) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الامريكية - البرقية رقم ١٣٥٤٣ بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٥٨ - الساعة ٩،٤٨ صباحاً .

لا جدوى منها لأن نظامه كان يفتقر إلى الشعبية ، ثم إن شمعون شخص غير مرغوب فيه .

٣ - كان رأى نهرو أن نزول قواتنا في لبنان واحتمال دخولها في اشتباكات عسكرية في ذلك البلد هو وضع مؤسف يعطى للشيوعيين الفرصة لشن حملات دعائية واسعة ضدنا .

٤ - بالرغم من انتقاد نهرو وشكوكه ، فإن نصيحته لنا هي أن نعمل من خلال الأمم المتحدة ، وليس بواسطة التظاهرات العسكرية »



وكان « خروشوف » في حلبة السباق أيضا ، فقد كتب إلى شاه إيران يقترح عليه لقاء بينهما . ولعله كان يريد تحييد أو تخويف أصدقاء الولايات المتحدة بنفس الدرجة التي كان « ايزنهاور » يحاول بها تحييد أو تخويف أصدقاء الجمهورية العربية المتحدة .

ومن طهران يكتب السفير الأمريكي « ويلز » تقريراً عن مقابلة له مع الشاه يجيء فيه :^(١٨)

« قال لي الشاه إن السفير السوفيتي جاء إلى مقابله ، وقدم له دعوة لمقابلة خروشوف في منطقة على الحدود السوفيتية الإيرانية حيث يتهايا لهما معا الاستمتاع برحلة صيد . وابتسم الشاه وهو يستعيد هذه العبارة ، ثم علق بقوله : « ليس في هذه المنطقة صيد » ثم أضاف أنه أبلغ السفير السوفيتي بأنه سيبحث الدعوة في ضوء مصالح إيران . ثم قال لي الشاه بجدية : « إنه يريد مشورة واشنطن فيما إذا كان مناسباً أن يعقد هذا الاجتماع مع خروشوف » وهو شخصياً يشك في إمكان الخروج من هذا الاجتماع بشيء كبير ، ولكن إذا أحست الولايات المتحدة بأن مثل هذه المحادثات تخدم أي غرض نافع - فهو يرحب بمعرفة آرائنا من حيث الكيفية والسبب . وقد قال لي حسين علاء (رئيس ديوان شاه إيران) على حدة إن الشاه أخبر السفير السوفيتي بأنه بدلاً من عقد اجتماع بين خروشوف وبينه (أي الشاه) فلعل من الأفضل لخروشوف أن يستخدم الشاه نفوذه مع ناصر الذي هو السبب الرئيسي في كل متاعب المنطقة . لكن الشاه في حديثه معي لم يشير إلى هذه النقطة . وقد ناقشت مع الشاه بعد ذلك البرنامج العاجل الذي يستهدف تقوية الامكانات العسكرية لإيران ، والذي بعثم به إلى . وقد طلب الشاه أن أناقشه مع الجنرال هدايت » .

(١٨) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية - البرقية رقم ١٤٠٣٧ بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٥٨ - الساعة ٢٠،٤٧ بعد الظهر .

الفصل الرابع

تقرير بغداد



عندما وقف « جمال عبد الناصر » يخطب أمام الجماهير المحتشدة أمام قصر الضيافة مساء يوم ١٨ يوليو - كانت المفاجآت التي وقعت في الأيام الأربعة السابقة ، والتي انقلبت بها الموازين في المنطقة - قد تحولت إلى حقائق واقعة . خف أثر المفاجأة بعض الشيء ، وأفسح مكانه لنوع من الحيرة والتخبط تجلى في تصرفات أطراف كثيرة .

من ناحية كانت رحلة « جمال عبد الناصر » السرية إلى موسكو قد بدت أمرا غير قابل للتصديق في عدد من العواصم الغربية ، وأولها لندن التي وقف فيها المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية ليقول : « إن وزارة الخارجية البريطانية تشك في أن هذه الرحلة وقعت بالفعل ، وأنها تعتبر أن الأنباء التي راجت عنها هي نوع من حرب الأعصاب » . وعندما أكد « عبد الناصر » بنفسه في خطابه من شرفة قصر الضيافة بدمشق أنه كان في موسكو بالفعل ، وأنه التقى بـ « خروشوف » وتباحث معه طوال نهار يوم ١٧ يوليو - كانت الدهشة واضحة في لندن ، ومعها التساؤل عما دار في اجتماع « عبد الناصر » و « خروشوف » وقد طرح هذا التساؤل في الوقت نفسه عنصرا من القلق حول ما يمكن أن يكون الاتحاد السوفيتي قد قطعه على نفسه من تعهدات .

وكانت واشنطن بدورها في حالة حيرة ، ولم يجد الرئيس « ايزنهاور » ما يعلق

به على الزيارة سوى تصريح أصدره « جيمس هاجرتي » مستشاره الصحفي ، وقال فيه : « إن الولايات المتحدة تعتبر أن مصر مسؤولة مباشرة عن سلامة جنود البحرية في لبنان » . ورد « جمال عبد الناصر » بعد ذلك في خطاب ثان من شرفة قصر الضيافة قائلا : « إنه لا يعرف كيف يكون مسؤولا عن سلامة قوات غزت بلاد دولة ليست له فيها سلطة » .

ودعا « بن جوريون » إلى اجتماع للجنة الأمن القومي والدفاع في مجلس الوزراء ، وطرح فكرة أن الوقت مناسب لتوجيه ضربة عسكرية إلى سوريا ، ولقى معارضة في ذلك من « جولدا مائير » التي كان رأيها أن أى تحرك عسكرى إسرائيل في هذا المناخ الدولى يمكن أن يجيء بمضاعفات ينقلب أثرها على إسرائيل . وكان تقديرها أن ذروة الأزمة قد فاتت ، وأنه من الواضح أمامها حرص القوتين الأعظم على تجنب الصدام المباشر بينهما ، وبالتالي فإن أى مغامرة إسرائيلية قد تجد نفسها مواجهة بلوم أمريكى شديد لا تستطيع تحمله في الأوضاع الراهنة . وكانت هناك أغلبية في لجنة الأمن القومي والدفاع تؤيد وجهة نظرها .



مساء يوم ١٨ يوليو كان « جمال عبد الناصر » مشغولا مع وفد عراقى على مستوى عال يمثل النظام العراقى الثورى ، وقد توجه هذا الوفد إلى دمشق عندما أذيع نبأ وصول « جمال عبد الناصر » إليها . كان الوفد العراقى مكونا من العقيد الركن « عبد السلام عارف » نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ، والأستاذ « صديق شنشل » وزير الارشاد القومى فى الحكومة الجديدة ، والسيد « محمد حديد » وزير المالية ، والسيد « عبد الجبار جومرد » وزير الخارجية .

كان « جمال عبد الناصر » قد استطلع آراء عدد من مستشاريه قبل أن يلتقى مع الوفد العراقى الذى دعى لتناول العشاء معه ، وكان أهمهم السيد « عبد الحميد السراج » وزير داخلية الاقليم السورى الذى قام بتجميع كم هائل من المعلومات عن الثورة العراقية بما فى ذلك الأطراف التى شاركت فى الترتيب لها ، والرجال الذين يتولون قيادتها ، والاتجاهات العامة التى تؤثر فى سياساتها . وقد خرج نتيجة لما سمع بنتيجة مفادها أن الثورة تواجه أوضاعا قلقة بسبب تضارب كبير بين الأطراف ، والرجال ، والتوجهات .

ثم استطلع « جمال عبد الناصر » آراء الأستاذين « ميشيل عفلق » زعيم حزب البعث ، والأستاذ « صلاح البيطار » نائبه الذى كان فى نفس الوقت وزيرا للدولة فى مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة . وكان الأستاذ « ميشيل عفلق » بحكم

إيمانه المطلق بقضية الوحدة العربية من أنصار انضمام العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ووصل إلى حد القول : « إنه كان يود لو أن الرئيس جمال عبد الناصر نزل في بغداد بالطائرة ظهر اليوم ، ولم ينزل في دمشق ، فقد كان وصوله إلى بغداد في حد ذاته كفيلا بخلق تيار مؤيد للوحدة لا يستطيع أحد أن يتصدى له أو يعطل حركته » . وكان « جمال عبد الناصر » يرى رأيا يختلف ، وقد قال للأستاذ « ميشيل عفلق » : « إنه يظن أن نزوله في بغداد صباح اليوم » كان كفيلا بخلق حساسيات لا داعي لها . فإن الذين قاموا بالثورة وحققوا بها انتصارا لا شك فيه - كان يمكن أن يضايقهم أن يزاحمهم أحد في مجد يومهم الذي يعيشون فيه . والحقيقة والانصاف كلاهما يفرضان ترك هذا اليوم لأصحابه الذين عرضوا حياتهم من أجله دون أن ينازعهم في ذلك أحد » . ثم شرح « جمال عبد الناصر » للأستاذين « ميشيل عفلق » و « صلاح البيطار » بعض ما سمعه من « عبد الحميد السراج » عن الأوضاع في بغداد . وأمن الأستاذ « ميشيل عفلق » على صحة هذه المعلومات ، ومع ذلك كان واضحا إصراره على رأيه . وقال « جمال عبد الناصر » إن « الوحدة بين مصر وسوريا تواجه حتى هذه اللحظة كثيرا من العقبات والحساسيات ، وأننا إذا أضفنا إليها واقع الحال في العراق ، فسوف نجد أنفسنا أمام تعقيدات لا حل لها » . وكان تعليق الأستاذ « ميشيل عفلق » على ذلك هو قوله : « إن الوحدة خلاقة ، وأنها كفيلة بأن تحل مشاكلها بنفسها » . وعلق « جمال عبد الناصر » بقوله : « إن مثل هذا القول مقبول من الناحية النظرية ، ولكنه عند التجربة العملية أشد صعوبة » .



كان العشاء مع الوفد العراقي مناسبة عامرة بالجماسة ومشاعر الزهو بانتصار كبير على المستوى القومي . وبعد أن فرغ العشاء كان « جمال عبد الناصر » على موعد مع الأستاذ « صديق شنشل » الذي كان صديقا قديما لـ « جمال عبد الناصر » بحكم انشغاله الطويل بالعمل العربي القومي . وقد روعى أن لا يتم هذا اللقاء في قصر الضيافة حتى لا يسبب حساسية للآخرين من أعضاء الوفد . وعندما تم هذا اللقاء بدأ « جمال عبد الناصر » بأن قال لـ « صديق شنشل » إن « ما حدث في بغداد^(١) كان بالنسبة له أشبه ما يكون بالأحلام مستحيلة التحقيق » . وفوجئ « جمال عبد الناصر » بالأستاذ « صديق شنشل » يقول له : « على المستوى القومي نعم

(١) مجموعة أوراق « محمد حسنين هيكل » - مذكرات عن اجتماعات « جمال عبد الناصر » بالوفد العراقي . وقد حضرت عددا من هذه الاجتماعات ، وكتبت عن تفاصيلها ملخصا من ٢٦ صفحة في دمشق بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٥٨ .

يا سيادة الرئيس ، ولكنه على مستوى الوطن العراقي يمكن أن يتحول إلى كابوس ثقيل . . وبدأت الدهشة على وجه « جمال عبد الناصر » فرغم كل ما سمعه من « عبد الحميد السراج » فإن ما يقوله « صديق شنشل » الآن يبدو له أسوأ مما تصور . ومضى « صديق شنشل » يقول « إن على رأس الثورة العراقية الآن رجلين ، أولهما نصف مجنون ، والثاني نصف عاقل ! »

كان نصف المجنون في تقدير « صديق شنشل » هو اللواء « عبد الكريم قاسم » رئيس مجلس قيادة الثورة ، وكان نصف العاقل في تقديره أيضا هو العقيد « عبد السلام عارف » . وراح « صديق شنشل » يروي لـ « جمال عبد الناصر » تفاصيل التفاصيل عن الظروف التي قامت فيها الثورة ، وكيف أنه كانت هناك مجموعات تتسابق إلى القيام بها منذ جرى تأسيس دولة الوحدة بين مصر وسوريا في شهر فبراير . ثم كيف أن « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » انفردا بالعمل في الأيام الأخيرة ، وأن ذلك أحدث خلافات كبيرة داخل المجموعات . ومن خلال هذه التفاصيل بدأ « جمال عبد الناصر » يدرك أنه كان على حق في الآراء التي أبدأها في أثناء مناقشته مع الأستاذ « ميشيل عفلق » قبل ساعات قليلة . وحتى قرب الفجر كان « جمال عبد الناصر » يسمع ويسمع ، وتزداد مخاوفه لحظة بعد لحظة على الثورة العراقية ، خصوصا وقد شعر من خلال ما سمعه من الأستاذ « صديق شنشل » أن التوتر قائم حتى في العلاقات بين « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » نفسيهما . وقبل أن يفترق الرجلان مع مطلع الفجر قال « جمال عبد الناصر » لـ « صديق شنشل » : « إنني قبلت بالوحدة مع سوريا لظروف تعرفها ، ولقد تصورت أننا نستطيع أن نقوم بخطوة كبيرة إلى الأمام ، ثم ندعم الخطوط ونسد الثغرات على مهل . ولكن ذلك لم يحدث فلا تزال خطوطنا طويلة ومكتشفة حتى الآن ، ثم إن الثغرات ما زالت مفتوحة ومعرضة ، وبرغم كل محاولاتي فلا بد أن اعترف لك أننا لم ننجح بالقدر الذي تصورته أو تمنيته ، وأنا لا أريد أن أحمل تجربة الوحدة بين مصر وسوريا بتبعات كل هذه المتناقضات القائمة في بغداد الآن . ولهذا فسوف تجدني على استعداد لأن أقوم بكل عمل من شأنه تدعيم ثورة العراق ، ومن شأنه فتح آفاق التعاون الممكن بين البلدين ، ولكني أرجوكم أن لا تطالبوني بأى خطوة وحدوية الآن » . وقال الأستاذ « صديق شنشل » إن « هذا رأيه بالفعل ، وأنه جاء إلى دمشق عازما على أن يصارح « جمال عبد الناصر » به من منطلق قومي ، وأنه لو كان قد وجد لديه اتجاها آخر لنصحه بعكسه لأن الوحدة بين مصر وسوريا معرضة للغرق في الموج الخضم الذي يغمر بغداد الآن - رغم إيمانه الكامل بحقيقة الوحدة العربية » .

وفي الصباح الباكر كان « عبد السلام عارف » على مائدة الافطار مع « جمال عبد الناصر » وكان حديثهما صريحا ، وقد وجد فيه « جمال عبد الناصر » ما يؤيد مخاوفه - فإن « عبد السلام عارف » قضى أكثر من ربع ساعة يشكون من « عبد الكريم قاسم » وكيف أنه حاول بعد نجاح الثورة أن يفرض نفسه قائداً أوحدها ، ويحجب الآخرين مستغلا في ذلك مجموعة من الضباط الذين بهرهم وجود اسمه رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، في حين أن ذلك كان في رأى « عبد السلام عارف » ترتيبا شكليا ضمن قيادة جماعية كان ضروريا أن يتفق عليها لتحمل مسؤوليات قيادة الثورة العراقية - ولكن « عبد الكريم قاسم » انتهز فرصة النجاح الأولى لقوات الثورة ، وبدأ ينسب كل شيء إلى شخصه . وكان رأى « عبد السلام عارف » أن التركيبة الوطنية للعراق بوجود السنة والشيعة والأكراد تسبب وضعاً يستحيل معه انفراد « عبد الكريم قاسم » بقيادة الثورة والحكم .

وانضم بقية أعضاء الوفد العراقي إلى « جمال عبد الناصر » و « عبد السلام عارف » ومنذ اللحظة الأولى قال لهم « جمال عبد الناصر » : إنه على استعداد لتوقيع أى اتفاق مع النظام الثوري في العراق لكنه ليس متحمسا لأى عمل وحدوى في هذه الظروف .

كان بالفعل يشعر أن الخطوط طالت ، وأن الثغرات مفتوحة ، وأن أمن الحركة القومية العربية يحتاج إلى التدعيم والتركيز أكثر مما يحتاج إلى الاتساع والانتشار .



وكان في ذهن « جمال عبد الناصر » في تلك الساعات خاطر واحد ملح ، وهو وثائق حلف بغداد الموجودة في مقر الحلف في العاصمة العراقية ، فقد كان يدرك أن هذه الوثائق كفيلة بأن تعطيه صورة دقيقة عن عقل الغرب ومخططاته ، وكلها تحمل إجابات عن أسئلة كان تواقا إلى استكشاف خباياها لكي يستطيع رسم سياسته في المنطقة للمرحلة المقبلة . وقد قام بتكليف العقيد « عبد المجيد فريد » الذي عينه يومها ملحقا عسكريا في بغداد بأن يحاول الحصول عليها بأى وسيلة ممكنة . ونجح « عبد المجيد فريد » في مهمته بأكثر مما كان يقدر أحد ، فقد تمكن في غمار الفوضى التي كانت تسود بغداد عقب نجاح الثورة من دخول مقر الحلف . ثم استطاع أن يملأ حمولة طائرة كاملة بهذه الوثائق ويرسلها إلى دمشق ، ثم إلى القاهرة . وأطل « جمال عبد الناصر » على عقل حلف بغداد ومخططاته من الداخل ، وغاص ساعات طوالا في سراديب وثائق حلف بغداد .



يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٨ دعا الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومي عقد في المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض في الساعة العاشرة صباحا . وكان الهدف من الاجتماع طبقا لجدول أعماله يتكون من بند واحد هو بحث الوضع العالمي على ضوء التطورات في الشرق الأوسط . وقد بدأ « ايزنهاور » هذا الاجتماع بقوله : « إنني أريد أن أفهم كيف استطاع ناصر أن يلهب حماسة جماهير جاهلة في الشرق الأوسط ضدنا على هذا النحو ، وكيف استطاع « خروشفوف » أن يلعب على الحصان الرابع ، وأن يحقق هذا الفوز في العالم الثالث بعد سنتين اثنتين من غزوهم لهنجاريا » . ثم أضاف إنه يريد أن يعرف أكثر عن هذه الحركة المسماة بـ « القومية العربية » . وكالعادة طلب « ايزنهاور » من « آلان دالاس » مدير المخابرات المركزية الأمريكية أن يكون أول المتكلمين . وقال « آلان دالاس » طبقا للمحاضر السرية لمجلس الأمن القومي^(٢) : « إننا يجب أن ننظر إلى القومية العربية باعتبارها فيضانا يتدفق بقوة ، وإننا لا نستطيع أن نقاومه ، وإنما نستطيع فقط أن نضع بعض شكاثر الرمل حول المواقع التي ننوي الدفاع عنها » . وقد وافقه « ايزنهاور » على الفور وبحماسة ، وأضاف « ايزنهاور » طبقا لنفس المحضر إلى ذلك قوله : « لو لم تكن إسرائيل لكان في إمكاننا وضع سياسة فعالة لنا في المنطقة ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا باستمرار هو كيف يمكن أن نتخذ موقفا متعاطفا مع العرب بدون أن نوافق على تدمير إسرائيل ؟ » ثم أبدى ملاحظة بدت فيها مخاوفه حين قال : « لو أن هدف سياستنا الوحيد هو المحافظة على بعض العروش إذن فإن المستقبل أمامنا ميؤوس منه حتى على المدى القريب » .

وأحس « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية بأن « ايزنهاور » في تردده البادى الآن قد يؤثر على تحركات السياسة الأمريكية ، ولذلك تدخل قائلا بالحرف : « لا ينبغي لنا أن نبالغ في قوة القومية العربية والوحدة العربية ، فالوحدة بين مصر وسوريا حتى الآن لا تزال هشة ، ولا يمكن اعتبار الوحدة العربية حركة دائمة » . واختلف معه « ايزنهاور » قائلا : « إنه يرى أن هناك أساسا لحركة

(٢) أوردها ستيفن أمبروز في صفحة ٤٧٤ بالحرف نقلا عن مضبطة اجتماع مجلس الأمن القومي بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٨ .

القومية العربية ، وعلينا إما أن نتعاون معها ، وإما أن نحاول تغييرها ، وإما أن نقوم بمزيج من الأمرين » . ثم أضاف « ايزنهاور » أنه حاول بكل جهده أن ينسق مع الملك « سعود » ولكن محاولته لم تسفر إلا عن نتائج هزيلة ورد « جون فوستر دالاس » قائلا : « إن هذه السياسة على الأقل أعطتنا فسحة سنتين كاملتين في المنطقة لكي نمنع تحولها إلى الشيوعية » . ورد « ايزنهاور » بأن الموضوع كله يبدو له شديد التعقيد ، وأنه يحتاج إلى بحث معمق .

وفي اليوم التالي - ٢٤ يوليو - أملى « ايزنهاور » على أحد مساعديه وهو المستر « روبنسون » مذكرة إلى « جون فوستر دالاس » وزير خارجيته عن « ناصر » وعن حركة القومية العربية . ورد « دالاس » عليه يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٨ بمذكرة^(٣) نصها كما يلي :

« إلى الرئيس : البيت الأبيض

عزيزي الرئيس

لدئى مذكرتكم ، وهى تحتوى على افكار تثير الاهتمام ، وإن كان لا يوجد بينها ما لم نمنع التفكير فيه فعلا . ولقد ورد فيها تساؤلكم عن « كيف نستطيع أن نهز ناصر ليتحرر من اعتقاده بأن أصدقاءه الوحيدين هم السوفيت » ؟

إن الأصدقاء في عرف ناصر هم هؤلاء الذين يساعدونه على تحقيق مطامعه . وتشمل هذه المطامع على الأقل بتر اطراف إسرائيل ، والاطاحة بالحكومات الحالية في لبنان والأردن والمغرب وتونس وليبيا والسودان والمملكة العربية السعودية ، الخ ... واستبدالها بأذنابه . ولأن الاتحاد السوفيتى متحرر من أى ارتباطات والتزامات سابقة في المنطقة - ففي وسعه أن يساعد ناصر ، بل هو يساعد فعلا على تحقيق هذه الأهداف المتهورة اعتقادا منه بأنه سيكون الوريث في آخر المطاف . وأما نحن فلا يسعنا أن نساعد بشرف في هذه الأمور ، وبالتالي لا يسعنا أن نكون أصدقاء له كما هو شأن السوفيت .

وطبيعى أن ناصر يسعده أن يحصل على معونات منا ، وعلى معونات من الاتحاد السوفيتى في نفس الوقت ، ولكننى أخشى أن يقوده هذا إلى مجرد المضى في طريقه دون الاعتدال في مطامعه ، وهو ليس شخصا من النوع المعتدل كما أنه ليس مهتما بتعزيز ما لديه ، وإنما يهيمه المضى من نجاح سياسى إلى نجاح سياسى آخر ، وهذا هو ما يجعل المشكلة شديدة الصعوبة .

ونحن أساسا نتعاطف تعاطفا كليا مع القومية العربية إذا كانت تعنى وحدة بناءة منتجة للشعوب العربية . ومما يؤسف له أن القومية العربية من ماركة ناصر لا تلقى إلى هذا على ما يبدو ، وهو لم يعمل إلا القليل لتحسين احوال الشعب

(٣) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٨ .

المصري ، وهو لم يعمل شيئاً في سوريا ، وهو يميل إلى طلب سلسلة لا نهاية لها من اسباب النجاح السياسي ، ولكن دون ان يتوقف لتعزيزه تعزيزاً بناءً .

المخلص

جون فوستر دالاس «



وتشير الوثائق السرية الأمريكية في هذه الفترة إلى نشاط محمود يحاول أن يعيد رسم سياسة أمريكية تواجه المستجدات الطارئة في المنطقة ، فتقوم باستبقاء الاتجاهات الرئيسية فيها وتدخل على ممارستها أية تعديلات تفرضها الظروف :

● دعا « ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومي ، وجاء في التقرير^(٤) الذي كتبه المستر « جوردون جرای » عن وقائعه بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٨ : « بحث المجلس الوضع في الشرق الأدنى استناداً إلى :

(أ) تقرير شفوي موجز قدمه الوزير « دالاس » من وجهة النظر الدبلوماسية .

(ب) تقرير شفوي موجز من الجنرال « تويننج » من وجهة النظر العسكرية للولايات المتحدة .

(جـ) تقرير شفوي موجز من « آلان دالاس » من وجهة نظر المخابرات .

(د) تقرير مقدم منى (« جوردون جرای » مساعد خاص للرئيس) عن نتائج مناقشات هيئة التخطيط بشأن طرق التصرف المحتملة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية بهدف الحيلولة دون ظهور الولايات المتحدة علناً بمظهر المعارض للقومية العربية ، وكيف يمكن أن نواجه الادعاءات المعادية لنا في الشرق الأدنى » .

وقد وردت في هذا التقرير فقرة كبيرة محذوفة من كلام « آلان دالاس » مدير المخابرات المركزية ، ومن الراجح أنها تتعرض لبعض العمليات السرية التي يجري إعدادها أو تنفيذها .

● توجيه رئيس بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٥٨ وقع عليه المستر « كارل هار » المساعد الخاص للرئيس ، وقد حوى في البند الخامس منه توجيهاً من الرئيس بتكثيف الدعاية

(٤) مجموعة أوراق « ايزنهاور » في مكتبته بأبيلين - كانساس - وقد اشير على التقرير بان سبع نسخ فقط منه قد جرى توزيعها .

الاعلامية والنفسية في الشرق الأوسط ، وبضرورة التنسيق في هذا الصدد بين وكالة الاستعلامات ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

ثم جاء في البند السادس من نفس التوجيه الرئاسي ما نصه :

« بالنظر لحقيقة أن الحكومة الجديدة في العراق تملك في حوزتها مجموعة كبيرة من الوثائق المتعلقة بحلف بغداد ، وبالنظر إلى أن هذه الوثائق يحتمل وقوعها في أيد معادية للولايات المتحدة - فإن هناك ضرورة لمواجهة احتمال تسربها ، وكيف يمكن الرد على تأثيرات مثل هذا التسرب . هذا مع العلم بأنه قد يكون من الأفضل (فقرة محذوفة ، وعلى الأرجح فإن ايزنهاور يطالب باسترداد هذه الوثائق بأي وسيلة ممكنة) .

● في ٢٩ يوليو بعث « ايزنهاور » برسائل^(٥) طمأنة إلى رؤساء كل من تركيا وإيران وباكستان يقول فيها : « إنه يعرف أسباب قلقهم بشأن الخطر السوفيتي على الشرق الأوسط ، ولكننا لا نملك حتى هذه اللحظة أى دليل يجعل لهذا القلق أسبابا حقيقية ، وعلى أى حال فإن الاجراءات الحاسمة التى قامت بها الولايات المتحدة في لبنان والمملكة المتحدة في الأردن كفيلة بأن تظهر لأصدقاء الغرب مدى الحزم الذى يمكن أن يواجه به أى تهديد .

● وفى آخر يوم من شهر يوليو ١٩٥٨ كان على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن تقدم للرئيس « ايزنهاور » بناء على طلبه تقدير موقف كامل للوضع في الشرق الأوسط ، وقد كتبه « آلان دالاس » تحت عنوان « تقرير مخابرات خاص - مقدم إلى الرئيس - عن القومية العربية كعامل من العوامل المؤثرة في الشرق الأوسط - مقدم من المدير (مدير الوكالة ، أى « آلان دالاس ») »^(٦) . واللافت للنظر مرة أخرى أن نصف الصفحة الأولى محذوفة بالكامل رغم الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات . وعلى الأرجح فإنها عادت لتكرار ما ورد في تقديرها العام للموقف من قبل من أنه ليس هناك إلا أحد حلين : إما إغتيال « عبد الناصر » وإما فرض هزيمة ساحقة عليه بواسطة إسرائيل . ولعل الأمر في هذا التقرير كان أكثر تفصيلا مما ورد في التقرير الأول^(٧) .

(٥) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الامريكية تحت رقم ٧٩٤ - يوليو ١٩٥٨ .

(٦) تقرير مخابرات خاص برقم ٢٧٤ موقع من « آلان دالاس » ، وعلى صفحته الاولى إشارة إلى ان الرئيس « ايزنهاور » اطلع عليه بتاريخ ٢ اغسطس ١٩٥٨ .

(٧) رجاء مراجعة نص التقرير المنشور على صفحة ١٨٦ والذى توجد منه صورة وثائقية في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٣) صفحة ٨٢٢

وبعد ذلك امتد التقرير إلى ثلاث عشرة فقرة ، وقد جاء في الفقرة السادسة مثلاً . « لقد ثبت أن لفكرة الوحدة العربية قوة هائلة وجاذبية شديدة في كافة أنحاء العالم العربي تقريبا ، وأن لها قوة دفع لا ينتظر أن تفقدها في المستقبل القريب ، إلا أننا لا نعتقد أن توحيد الدول العربية ودمجها في « إمبراطورية » مركزية موحدة ممكن في المستقبل المنظور (!!) فهناك في المنطقة ظروف وأوضاع سوف تتحرك ضد النجاح النهائي لاقامة دولة عربية مركزية ثم إن هناك عوامل معادية لقبول « التفوق » المصري ، وهى تعيد إحياء « الخوف » من « الاستعمار المصرى » وربما لا يقبل كثير من صانعى الثورة العراقية أن تكون القاهرة هى المصدر النهائي والوحيد للسلطة في شؤون العراق . وقد يحدث نزاع بينهم وبين الناصريين »

واستطرد البند السابع في مذكرة « آلان دالاس » يقول :

« ٧ - غير أننا نعتقد أن العوامل المختلفة المؤدية إلى الفرقة في المنطقة سوف تختفى لبعض الوقت نتيجة للجاذبية العاطفية القوية لحركة الوحدة العربية ، وخاصة إذا استمر وجود بعض أجزاء من العالم العربى تحت سيطرة الدول الغربية أو نفوذها ، وفوق ذلك فإن وجود إسرائيل سيستمر في إحداث تأثير توحيدى قوى بين العرب »

ثم مضى البند الثامن من مذكرة « آلان دالاس » ليقول :

« ٨ - وقد اكتسب ناصر مكانته كبطل وطنى عربى شعبي نتيجة لسلسلة من الأحداث أحرز فيها ، أو بدا على الأقل أنه أحرز فيها ، انتصارات للقومية العربية ضد معارضيه ، مثل نجاحه في الحصول على أسلحة سوفيتية ، وتأميمه لشركة قناة السويس ، واستعادته لمكانته بعد الهجوم الاسرائيلى البريطانى الفرنسى في أواخر ١٩٥٦ ، والوحدة مع سوريا . كما أنه عزز نفوذه في المنطقة عن طريق استخدام البارع والقاسى للأعمال الهدامة والدعاية . وهذه هى الأسلحة الطبيعية لحركة ثورية ، ومن المستبعد أن يتخلى ناصر عن استخدامها . »

« ٩ - ومع ذلك ورغم قوة ناصر ومكانته ، فإن سيطرته على حركة الوحدة العربية الراديكالية ، داخل مصر ، وبدرجة أقل في سوريا - ليست سيطرة مطلقة . وفيما يتعلق بالشؤون الداخلية لكل دولة على حدة في المنطقة ، فإن سلطته ليست كاملة ، وهناك مجال واسع للخروج على إرادته . وفي اعتقادنا أن نفوذه يعتمد على « الجاذبية العاطفية » لبرنامج ، وعلى شخصيته ، وعلى كفاءة دعايته أكثر مما يعتمد على أى تنظيم ياتمر بأمره سواء كان سريا أم علنيا . »

ثم جاء البند العاشر ليقول :

« ١٠ - ومع ذلك فإننا نعتقد أنه من الضروري في كافة الأمور العلمية النظر إلى

ناصر ، والجماهير الوطنية العربية ككل واحد لا يتجزأ فقد توحد هو بوضوح مع اعظم انتصارات القومية العربية بحيث لا ينتظر أن يناقسه أحد إلا إذا تعرض لسلسلة من الهزائم المتوالية^(٨) »

ثم جاء البند الحادى عشر ليتحدث عن أهداف « عبد الناصر » قائلا :

« ١١ - نعتقد أن موقف ناصر وأهدافه هى فى جوهرها كما أعلنها بنفسه . فهو يعتزم القضاء على جميع بقايا المواقع الأجنبية المتميزة ، ووضع موارد العالم العربى بالكامل تحت تصرف القوى الوطنية العربية ، وهو يهدف إلى توحيد العالم العربى قاطبة وراء سياسة خارجية مشتركة ، وبرنامج مشترك للتحديث والتنمية والإصلاح . ونعتقد أن ناصر فى سعيه لتحقيق هذه الأهداف سيستمر فى استخدام وسائل الدعاية والنشاط الهدام ، ومساعدة القوى المحلية للقومية العربية . ولا نعتقد أن لدى ناصر برنامجا محددا ، أو خطة مفصلة للدولة العربية الموحدة التى يعمل لإقامتها . ونعتقد أنه سيكون راغبا فى تجنب الصدام المباشر مع القوة التركية ، أو الاسرائيلية ، أو الدول العربية التى تعارضه . »^(٩)



فى احتفالات عيد ٢٣ يوليو ١٩٥٨ ، وفى خطاب عام ألقاه « جمال عبد الناصر » فى احتفال كبير أقيم فى ميدان الجمهورية - أعلن « جمال عبد الناصر » أن الجمهورية العربية المتحدة تريد أن تكون أداة سلام ، ولا تقبل أن تكون أداة عدوان . ثم طلب من العالم فى خطابه أن يعترف باستقلال العالم العربى ، وأن يحترم رغبة شعوبه فى عدم الانحياز . وأضاف : « إننا لا نريد الحرب الباردة ، ولا نريد سياسة التكتلات ، ولقد سئمنا عمليات التهديد التى تضع منطقتنا كل يوم على حافة الهاوية » . ثم توجه بنداء إلى دول الغرب يدعوها فيه إلى أن تفتح عيونها ، وترى الحقائق وتتعترف بها . ثم أيد دعوة كان « خروشوف » قد وجهها لعقد مؤتمر عالمى على مستوى القمة داخل إطار الأمم المتحدة .

(٨) نلاحظ الإشارات المتكررة إلى أن الحل النهائى هو هزيمة ساحقة أو سلسلة من الهزائم المتوالية !

(٩) الصفحة الثالثة من هذا التقرير ، وهى تضم هذه البنود ، منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت

كان « جمال عبد الناصر » يشعر بعد كل ما جرى في المنطقة أن الخطوط طويلة ، وأن الثغرات مفتوحة ، وأن الحركة القومية العربية تحتاج أكثر ما تحتاج الآن إلى عملية تعزيز للمواقع التي وصلت إليها . وهكذا راح يحاول بأقصى جهد ضبط درجة الحرارة في المنطقة ، وتخفيف حدة التوتر فيها .

وكتب خطابا بخط يده إلى الأمير « فيصل » ولى عهد السعودية بعث به من الاسكندرية بتاريخ ٢٧ يوليو ١٩٥٨ جاء فيه بالنص ما يلي (١٠)

« عزيزى الأمير فيصل ،

أقدم لسموكم الملكى خالص تخطى وتقديرى وبعد

فإن الذى حفزنى أن ابادر بالكتابة إليكم الآن هو الموقف المتنازم الذى وصلت إليه الحالة في الشرق العربى ، وهو أمر يعرض المنطقة التى تعيش فيها امتنا إلى أخطار داهمة يتعين علينا جميعا أن نبذل كل جهد لوقف خطرهما وردهما .

وتقديرى للموقف الآن أنه يفرض علينا أن نلتقى بأسرع ما يمكن في اجتماع على مستوى عال يحضره كل من يتيسر حضورهم من رؤساء الدول العربية . ونحن نستطيع أن نجعل من مثل هذا الاجتماع إذا تم عملا بناء نساهم به في تطوير الحوادث . والواقع أننا لا نملك كدول عربية أن نترك أمورا تمس اقدارنا في يد الدول الكبرى وحدها لكى تتولى حلها بأسلحتها ، أو بمصالحها على أحسن الفروض . وليس هذا هو الدافع الوحيد الذى يجعلنى أرى اجتماعنا أمرا لازما ، وإنما هناك عوامل أخرى عديدة - أولها أن نتولى نحن في هذه الظروف الخطيرة رسم الطريق أمام شعوبنا على أساس جماعى يستند على الحق الذى يتمسك به صاحبه ، ويستند كذلك على الرغبة في السلام . وثانيها - أن الراى العام العالمى ينتظر منا والمشكلة في أرضنا أن لا نكتفى بمجرد السلبية ، بل يتعين علينا أن نحاول إيجابيا حل أمور نحن أخبر بها من غيرنا . وثالثها - أن العالم العربى الآن كما ترون سموكم تجتاحه عواطف ومشاعر ضخمة انطلقت من عقالها ، وإن من واجبنا أن نحاول بكل ما في طاقتنا أن نجند هذه العواطف ، وننظمها لتكون قوة دافعة بناءة . ورابعها - أن نحاول بقدر ما نستطيع أن نفوت الفرصة على من تحدثه نفسه بالعدوان متعللا بأن الحركة القومية العربية تهدد مصالحه ، فيروح يبحث عن ذريعة يتعلل بها أمام الراى العام العالمى .

إن هناك - يا صاحب السمو - اعتبارات أخرى كثيرة لم يتسع لى المجال لتفصيلها ، فاكثفت بموجزها لأنى أرغب أن تصل إليك رسالتى في أسرع وقت ممكن . ومهما يكن من أمر ، فإننى على استعداد لأن ألقى أية اقتراحات ترون إحاطتى علما بها . وإنى لأرجو أن تتيح لى هذه الفرصة لقاء معكم ، ولو شاء جلالة الملك سعود أن

(١٠) أرشيف منشية البكرى ، وأرشيف وزارة الخارجية ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة ، وأرشيف المخابرات العامة .

يتفضل بالحضور فلعلها أن تكون فرصة تصفو فيها النفوس وتسكن - وإنى لأرجو
أن أراكم في خير صحة وعافية . وفقنا الله جميعا وقوانا والهمنا رشده وصوابه إنه
ولى التوفيق .

جمال عبد الناصر

ورد الأمير « فيصل » مقترحا أن يكون الاجتماع بينه وبين الرئيس « جمال
عبد الناصر » ثنائيا لأن هناك أمورا بين المملكة وبين الجمهورية العربية المتحدة
« يلزم تصفيتهما » في اجتماع مكتوم . وبعد أيام كان الأمير « فيصل » في القاهرة
والتقى بـ « جمال عبد الناصر » ثلاث مرات ، ثم أصدر تصريحاً قبل سفره قال فيه
إن الفترة السابقة « كانت سحابة صيف وانقشعت » .



وأصدر « همرشولد » من مقر الأمم المتحدة تقريره عن شكوى « كميل
شمعون » بأن الجمهورية العربية المتحدة تدفع بمخربين وأسلحة إلى لبنان ، وكان
التقرير يبرئ الجمهورية العربية المتحدة من كل ما وجه إليها بشأن التسلسل
أو تهريب السلاح .

وقبل أن يذاع هذا التقرير كانت انتخابات رئاسة الجمهورية في لبنان قد
أسفرت عن انتخاب اللواء « فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبناني رئيساً للجمهورية .
وكان هذا هو اقتراح « جمال عبد الناصر » الذي عرضه من قبل على السفير الأمريكي
« ريموند هير » في مقابلتهما يوم ٢٠ مايو ١٩٥٨ .^(١١)

وكان أول ما فعله الرئيس اللبناني الجديد هو أن كتب خطاباً إلى « جمال
عبد الناصر » جاء فيه بالنص :

« سيادة الأخ الرئيس »

من دواعي اغتباطي الشديد أن تكون أول رسالة أكتبها بعد وقوع اختيار مواطني
اللبنانيين على شخصي للقيام بمهام رئاسة الجمهورية ، هي التي أوجهها إلى
سيادتكم .

وإذا كنت أرى هذه الفاتحة وليدة الأمر الطبيعي أكثر مما هي وليدة الصدفة ،
فإنني لأجد فيها رمزا عفويا لما أرجوه من عهد جديد بين الجمهورية العربية
المتحدة الشقيقة ولبنان .

(١١) رجاء مراجعة وقائع هذه المقابلة ، وقد سبقت روايتها في صفحة ٣٢٥ من هذا الكتاب .

لقد قامت الجمهورية الشقيقة بخطوات إيجابية للمعاونة على تصفية الجو بينها وبين لبنان ، وإنى وكل من امكنه ان يطلع على الوقائع كما اطلعت لعرف في هذه الخطوات رغبتكم وتدخلكم الشخصى ، ونسجل فيه فضلكم الكبير « (١٢)

وقبل أن يصدر تقرير « همرشولد » رسميا ، وإن كانت اتجاهاته الرئيسية قد عرفت قبل إذاعته - قرر الرئيس « شهاب » أن يكون أول إجراء تتخذه حكومته هو سحب شكواها ضد الجمهورية العربية المتحدة قبل أن يصدر في شأنها أى قرار . وتقدم السيد « محمد أحمد محبوب » وزير خارجية السودان يعلن باسم الدول العربية رغبتها المشتركة في شطب الشكوى اللبنانية (التى قدمها « كميل شمعون ») من جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد قال في مستهل كلامه أمام الجمعية ، والدكتور « محمود فوزى » وزير خارجية مصر جالس بجواره : « إن العالم العربى ليست فيه خلافات ، وحتى إذا ظهرت فيه خلافات ، فإن الجامعة العربية هى المكان الذى تحل فيه وليس أى مكان غيرها » .

وترتب على شطب الشكوى اللبنانية أن بدأ « جمال عبد الناصر » يرتب للمطالبة بانسحاب القوات الأمريكية من لبنان ، والقوات البريطانية من الأردن . واستدعى إلى مقابلته السفير الأمريكى فى القاهرة « ريموند هير » وأبلغه أن بقاء هذه القوات يخلق حالة من التوتر لا مبرر لها . وبعد ثلاثة أيام عاد إليه « ريموند هير » ليقول له : « إن مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط « روبرت مورفى » موجود فى المنطقة ، وقد زار بغض دولها ، وكان مترددا فى المجئ إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن واشنطن تسأل الآن « إذا كان فى وسع الرئيس أن يقابله ؟ » وأبدى « جمال عبد الناصر » ترحيبه بمجئ « روبرت مورفى » وقال له « ريموند هير » إنه تابع مقابلات « مورفى » فى بغداد ، وقد تلقى عنها تقريرا كاملا . ونظر إليه « ريموند هير » متسائلا ، ولعله كان يسأل نفسه فيما « إذا كان الرئيس يعرف أكثر مما صرح به » . ولم يصف « جمال عبد الناصر » شيئا آخر .



كانت التقارير التى تلقاها « جمال عبد الناصر » من بغداد تشير كلها إلى أن السفير الأمريكى فى بغداد « جون جالمان » أفاق من صدمة وقوع الثورة ، ثم راح يفتح مسالك مع النظام الجديد .

(١٢) النص الكامل للرسالة بتوقيع الرئيس فؤاد شهاب منشور فى الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٩ صفحة ٨٦ - والأصل موجود فى أرشيف منشية البكرى - كما توجد نسخ على الآلة الكاتبة فى أرشيف وزارة الخارجية ، ووزارة الحربية ، وهيئة المخابرات العامة .

كان أول تقرير بعث به إلى واشنطن تقريراً^(١٣) يتحدث عن أن الثورة التي نجحت كانت مصادفة الواحد في المليون - فلم يكن لها في الواقع أى فرصة للنجاح «لولا مصادفات لم تكن في حسبان أحد» . ولعل «جالمان» كان بذلك يغطى على فشله في توقع الثورة . ثم توالت تقاريره بعد ذلك على واشنطن تشير إلى أنه تمكن من لقاء «عبد الكريم قاسم» الذي أكد له أن العراق لا يفكر في الانضمام للجمهورية العربية المتحدة ، وأنه يفضل أن يحتفظ بدوره المستقل في المنطقة . ثم أضاف «جالمان» في تقريره أن «عبد الكريم قاسم» قال له بلهجة ذات معنى إنه «ليست علينا وصاية من أحد خارج العراق» . ثم تكررت لقاءات «جالمان» بـ «عبد الكريم قاسم» كما تكررت بعدد من المقربين إليه إلى الحد الذي دعا «جالمان» لأن يكتب إلى واشنطن بتاريخ أول أغسطس قائلاً بالحرف : «إننى أستطيع أن أجد في عبد الكريم قاسم منافساً لناصر أكثر مما أرى فيه صديقاً له» . وطار «روبرت مورفي» إلى بغداد ليقابل «عبد الكريم قاسم» وليعلن من هناك اعتراف الحكومة الأمريكية رسمياً بالجمهورية العراقية !

وبعدما وصل «مورفي» إلى القاهرة ، والتقى به «جمال عبد الناصر» في اجتماع دام أربع ساعات ، وخرج «مورفي» من الاجتماع ليعلن «أن الولايات المتحدة تعترف بحركة القومية العربية ، وتحترم دوافعها» وأن هذه هى سياسة «ايزنهاور» الجديدة !



وأمل «ايزنهاور» بنفسه بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٥٨ مذكرة عن لقائه بسفير الجمهورية العربية المتحدة الدكتور «مصطفى كامل» عندما جاء ليقدم له أوراق اعتماده سفيراً جديداً للجمهورية العربية المتحدة في واشنطن^(١٤) . وقد جاء فيها ما يلي :

« مذكرة عن مناقشة

اثناء تقديم أوراق الاعتماد إلى الرئيس ايزنهاور بواسطة سفير الجمهورية العربية المتحدة .

دارت بحضور الرئيس ، وسفير الجمهورية العربية المتحدة مصطفى كامل ، وروبرت كوريجان القائم بأعمال رئيس البروتوكول في البيت الأبيض .

(١٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية (أغسطس وسبتمبر ١٩٥٨)

(١٤) نص المذكرة موجود ضمن أوراق «ايزنهاور» كما توجد منه نسخة في مجموعة وثائق وزارة الخارجية .

» في مناسبة تقديم أوراق اعتماده قال السفير للرئيس إن لبلاده ثلاثة اهتمامات رئيسية هي :

١ - الحرية في الداخل

٢ - رفض التدخل الأجنبي

٣ - إسرائيل

وقال السفير إنه لن يتكلم كثيرا عن المسألة الأخيرة . وأبدى الرئيس ملاحظة قال فيها . إن من الحماقة الادعاء بأن مشكلة إسرائيل لا وجود لها . على أنه ما دام لا السفير ولا هو مسؤولان عن الوضع الحالي - فمن الواجب عليهما ، وعلى السياسة في البلدين أن يعملوا معا متعاونين وبذكاء في سبيل الاهتداء إلى حل منصف لمشكلة إسرائيل .

وقال السفير إن شعب بلاده وشعوب المنطقة لا يريدون إلا الحرية والعدل بعد أجيال من الظلم والقهر ، وأن الرئيس ناصر صادق النية في رغبته في علاقة ودية مع الولايات المتحدة ، وتعاون طيب معها . وأن أمانى ناصر والشعوب العربية إنما هي بعد كل شيء - أمانى صيغت على غرار مبادئ الحرية التي تقوم عليها الديمقراطية الأمريكية .

وقال السفير إن الرئيس ايزنهاور ينظر إليه في الجمهورية العربية المتحدة لا باعتباره مجرد رئيس للولايات المتحدة بل للعالم الحر بأسره ، ونحن جزء منه^(١٥) . وقال إنهم يؤمنون بالله ، وأن الشيوعية غريبة بالنسبة لهم ، كما كانت غريبة عن المسيحيين . وأشار إلى أن الشيوعية محظورة في مصر ، وأنها أزيحت جانبا في سوريا أيضا بعد اتحادها مع مصر .

ولاحظ الرئيس أن الولايات المتحدة تعتنق مبادئ الحرية وتقرير المصير ، وبالتالي فهي تؤكد كل شيء قاله السفير . وأضاف الرئيس أن حق تقرير المصير ينبغي السعى إليه بطريقة سلمية ، وهو لا يرى أى فائدة إيجابية يمكن تحقيقها من الإذاعات الموجهة لشعوب بلاد مثل ليبيا وتونس والسودان تحرضهم على التمرد ضد الولايات المتحدة الأمريكية ، وتصفها بأنها دولة استعمارية . وأشار الرئيس إلى أن الولايات المتحدة لم تحاول إضافة ميل إلى الأراضى التي تسيطر عليها على طول هذا القرن . بل على العكس ، فقد منحت للفلبين استقلالها ، ومع ذلك فهي لا تزال تتحمل عبء مساعدتها .

وقال السفير إنه يقدر موقف الولايات المتحدة . ثم أشار بأسف إلى أن بلاده تتعرض لحملة من المبالغات ، وأنصاف الحقائق يجرى تكرارها كل يوم في هذه

(١٥) كانت هذه آراء الدكتور « مصطفى كامل » شخصا ، وقد خلط بينها وبين الآراء الرسمية ، وهذه مشكلة يقع فيها كثيرون من السفراء . ولم ترد هذه الفقرة في التقرير الذى بعث به الدكتور « مصطفى كامل » عن مقابلته لـ « ايزنهاور » ولكن مذكرة « ايزنهاور » عن اللقاء هي التي كشفت عنها .

البلاد . وقال للرئيس إنه « كجندى » يستطيع أن يقدر أننا نستطيع وضع المدافع في أيدي الناس ، ولكنهم لن يطلقوها إلا إذا كان لديهم سبب . ثم قال السفير إنه عاش عشر سنوات في العراق ، وقد تركها منذ تسع سنوات ، وهو يعرفها ظاهرا وباطنا ، وأكد أن النظام السابق على الثورة كان نظاما قمعيا ومعاديا لأمال الناس ، وقال إنه قبل أن يغادر القاهرة التقى مع سفير الولايات المتحدة فيها ، وقد تحدثا معا بالصدفة عن العراق ، ولم تكن الثورة قد وقعت بعد^(١٦) ، وقد سأل السفير الأمريكى عما إذا كان يتوقع ثورة في العراق ، وكان رده وقتها أن الثورة يمكن أن تقع في أى وقت . وبالتالي فإنه لم يفاجأ بما حدث في بغداد عندما سمع به لأول مرة على سطح الباخرة التى كان يستقلها عبر الاطلنطى إلى نيويورك .

وطالب السفير بمزيد من الفهم للمشاعر العربية ، وأبدى تطلعه إلى فترة طويلة من الصفاء في العلاقات بين البلدين . »



وجاء « همرشولد » إلى المنطقة ليمهد لانسحاب القوات الأمريكية من لبنان ، والقوات البريطانية من الأردن . ووقعت أزمة عابرة بينه وبين « جمال عبد الناصر » . ففى اجتماعه الأول به أثناء هذه الزيارة قال « همرشولد » إنه نظرا لوجود مشاكل معقدة تتولاها الأمم المتحدة في المنطقة كمسألة الترتيب للانسحاب ، فإنه اقترح على الدكتور « فوزى » فكرة أن يقوم بتعيين سفير فوق العادة له لدى الحكومة المصرية بقصد تسهيل الاتصالات ، وأن الدكتور « محمود فوزى » طلب إليه أن يثير الموضوع مع الرئيس لأنه وحده يستطيع البت فيه . ورفض « جمال عبد الناصر » هذا الاقتراح قائلا - « همرشولد » : « إن بيننا بالفعل وبين الأمم المتحدة سفير هو ممثلنا الدائم في الأمم المتحدة ، ولا أعرف لماذا نريد أن نخلق وضعاً فريداً لا سابقة له بيننا » . وحاول « همرشولد » أن يعرض اقتراحه تفصيليا ، وبادره « جمال عبد الناصر » بقوله : « مهما قلت لى ، فأنا لا أريد في القاهرة مندوبا ساميا للأمم المتحدة أو لغيرها »^(١٧) .

وبدأ « همرشولد » يرتب لاجراءات الانسحاب ، وقد تمت بالنسبة للقوات الأمريكية بغير مشاكل ، وأما بالنسبة للقوات البريطانية في الأردن ، فقد امتدت

(١٦) كان السفير « مصطفى كامل » بعد أن تسلم أوراق اعتماده من القاهرة قد قضى إجازة في سويسرا ، ثم سافر بالبحر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وانتظر فترة من الوقت قبل أن يستقبله الرئيس « ايزنهاور » ويتلقى منه أوراق اعتماده . وفي هذه الأسابيع كانت كل التطورات الكبيرة في المنطقة قد توالى وتداومت .

(١٧) محضر اللقاء كما كتبه الدكتور محمود فوزى الذى شارك فيه بنفسه توجد منه نسختان . إحدهما في أرشيف منشية البكرى ، والثانية في وزارة الخارجية ، وتوجد عليها تاشيرة بخط الدكتور محمود فوزى تطلب إرسال مضمون المحضر إلى الوفد الدائم للجمهورية العربية المتحدة في نيويورك .

المشاكل من أول يوم إلى آخر يوم في عملية الانسحاب . ففي البداية قالت الحكو-
البريطانية إنها ترغب في سحب القوات عن طريق الأجواء المصرية . ووافقت الحكو
المصرية . وطالبت الحكومة البريطانية بتأليف لجنة مشتركة مصرية - بريطانية
لوضع الترتيبات ، ورفض « جمال عبد الناصر » قائلاً إن الأمر لا يحتاج إلى ترتيبات
وكل ما يحتاجه هو إخطار بمواعيد مرور الطائرات من أجواء الجمهورية العربية
المتحدة . ولم تقبل الحكومة البريطانية ، وفضلت ما دام الأمر كذلك أن تجرى عملا
الانسحاب عن طريق الأجواء الاسرائيلية .

وبعد أن تمت عملية الانسحاب البريطاني وقع حادث تسبب فيه سوء الفهم
وسوء التنظيم معا . ذلك أن « همرشولد » اقترح فتح الأجواء السورية أمام الطيرا
الأردني . وكانت هذه الأجواء قد أغلقت بعد نزول القوات البريطانية في عمان
ووافقت الجمهورية العربية المتحدة على فتح الأجواء طبقاً للقواعد المقررة من الاخط
عن مواعيد عبور الطائرات . وقد وقع الحادث الذي تسبب فيه سوء الفهم ، وسوء
التنظيم عندما قرر الملك « حسين » بعد عدة أيام من إتمام الانسحاب أن يسافر إلى
أوروبا بالجو ، ودخلت طائرته إلى المجال السوري دون إخطار عن مواعدها ، ودو
إخطار عن شخصية ركبها . وقامت بعض المقاتلات السورية باعتراضها ، وقا
قائدها وهو طيار بريطاني إن هذه المقاتلات حاولت إرغامه على النزول في مطار دمشق
وأنه استطاع أن يعود بمعجزة بطائرته إلى مطار عمان . وأساء فهم الموضوع ، وجر
تصويره وكأنه محاولة موجهة ضد الملك شخصياً . وتقدم رئيس وزراء الأردن « سمير
الرفاعي » بشكوى إلى الأمم المتحدة ، وقام « همرشولد » بتكليف مساعده السفير
« سبينيلى » بتحقيق الواقعة ، واكتشف « سبينيلى » حقيقة أن طائرة الملك لم تخطأ
بميعاد مرورها فوق الأجواء السورية ، ولا بشخصية ركبها . وبعث « سبينيلى » إلى
« همرشولد » بتقرير يوضح الحقيقة ، وكتب « همرشولد » إلى الدكتور « محمود
فوزى » رسالة يقول له فيها : « إننى أعلم من وجهة نظر قانونية وعملية أن
الجمهورية العربية المتحدة لا تتحمل أية مسؤولية عن الحادث ، ومع ذلك فإن
الأمر يمكن معالجتها بطريقة رقيقة إذا كان في وسع الرئيس عبد الناصر أن
يبعث بكلمة طيبة للملك حسين » (١٨) .



(١٨) مذكرات السير « برايان اوركهارت » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وقد وردت في فصل عنوان
« مزيد من الدبلوماسية الوقائية »

وفي يوم ٢٣ أكتوبر تم توقيع اتفاقية المرحلة الأولى من مشروع السد العالى ، وقد قدم الاتحاد السوفيتى لمصر قرضا بمبلغ ٤٠٠ مليون روبل للمساهمة فى تنفيذ المشروع ، وبفائدة قدرها ٢,٥ ٪ ومع فترة سماح قدرها ست سنوات حتى يبدأ السد فى إعطاء فوائد المرحلة الأولى بتخزين المياه ، وعلى أن يكون السداد بعد ذلك على أقساط ممتدة لاثنى عشر عاما . ووقف « جمال عبد الناصر » يعلن أنه أمر بالبدء فورا فى تنفيذ المشروع الذى تتجسد فيه آمال الشعب المصرى فى التنمية ، والذى خاضت فى سبيله أعظم معاركها .

الفصل الخامس

سحب عابرة



لفترة وجيزة في خريف سنة ١٩٥٨ كانت السماء في المنطقة خالية من الضباب الكثيف الداكن ، ولم تكن هناك إلا بعض السحب العابرة تحيط بأطرافها أشعة الشمس الساطعة ، وكان الجو أشبه ما يكون بحالة ما بعد العاصفة .

وبالتأكيد فلقد كانت هناك مجموعة عوامل ساعدت على ظهور هذا الطقس :

● كل الأطراف كانت في حاجة إلى فرصة تسترد فيها أنفاسها بعد تسابق محموم بين الحوادث والرجال .

● وكل الأطراف كانت تحاول استيعاب ما جرى بتفاصيله ودروسه المستفادة .

● وكل الأطراف كانت تستعد لمرحلة جديدة تعرف مقدما أنها على الطريق ، فالصراع على المنطقة وفيها لا يمكن أن يتوقف بطبائع الأمور .

● وكل الأطراف كانت تدرس تصرفاتها في المعركة ، وتبين أين مواقع الضعف في خطوطها ، وكيف تستطيع تقويتها قبل أن تتحرك الرياح من جديد .

● وكل الأطراف كانت تحاول أن تتعرف على شكل المعارك القادمة ، وكيفية الاستعداد لها في ظروف من موازين متغيرة .

وفي هذه الفترة بدت ثلاث ظواهر بالتحديد تلفت النظر .

١ - إن الولايات المتحدة نقلت حركاتها من القلب إلى التخوم . ففي فترة إعادة دراسة لأوضاع القلب كان مهما أن تتأكد من سلامة التخوم ، وهكذا انتقل الاهتمام الأمريكي ، ولو مؤقتا نحو إيران وتركيا ، ونحو شمال غرب أفريقيا ، ونحو السودان .

٢ - إن التقدير العام للجميع كان يؤكد أن دبلوماسية القوة المسلحة ، بما فيها تحريك الأساطيل ، وإنزال القوات على الشواطئ ، وغيرها من نفس النوع - هي ألعاب خطيرة يمكن أن تستدعي ردود فعل أكثر خطورة ، وقد تقود إلى مواجهات لا يريدها أحد .

ومن ناحية أخرى ، فإن الخوف من المفاجآت على نمط ما جرى في بغداد كان شبحا يؤرق مضاجع كثيرة ، فقد يتكرر مرة أخرى حيث لا يتوقع أحد . وتفاعل هذين العنصرين معا أدى إلى التفكير أكثر في العمل السري ووسائله وأدواته في الظروف الجديدة .

٣ - إن إسرائيل راحت تظهر وكأنها أكثر الأطراف شعورا بالقلق ، فظهور حركة القومية العربية على هذا النحو ، والاستعداد الأمريكي للتعامل مع هذه الحركة مع استمرار علاقاتها الوثيقة مع الاتحاد السوفيتي - كل هذا خلق في إسرائيل حالة من الاحساس بالحصار لا بد من كسره .

كانت خطوط المواجهات السابقة ، قومية وعقائدية وعسكرية ، تبدو في حالة اهتزاز وسيولة ، وكان هذا كله يخلق أوضاعا قد تؤثر على رؤى المستقبل ، وخطته وشكله العام لسنوات مقبلة .

وتحت الهدوء الظاهري - كان الكل يفكر ، ويخطط ، ويهم بالحركة .



طوال شهر أغسطس ١٩٥٨ تكررت اجتماعات مجلس الأمن القومي الأمريكي برئاسة الرئيس « ايزنهاور » ، وقد لوحظ في هذه الاجتماعات أن مدير وكالة الاستعلامات الأمريكية كان يحضرها لأول مرة على قدم المساواة مع مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وأضيف إليهما مدير وكالة التعاون الاقتصادي الدولي .

وفي جلسة للمجلس صدق الرئيس « ايزنهاور » على محضرها بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٨ - بدا مؤكدا أن المجلس يعود إلى مناقشة السياسة الأمريكية في

الشرق الأوسط من الأساس^(١) . وقد جاء في هذا المحضر ما نصه : « ناقش المجلس بعض القضايا الأساسية الناشئة عن الحالة في الشرق الأوسط على أساس القائمة التي أعدها مجلس التخطيط التابع لمجلس الأمن القومي ، وذلك على أساس مذكرة أحييت إليه بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٥٨ » . وقد حذف من محضر الجلسة عند الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات كل ما تلى هذا البند ، ومن الواضح أنه يتعرض لخطط عمليات سرية .

وفي ١٩ أغسطس عقد المجلس اجتماعا آخر استكمل فيه بحث الموقف في الشرق الأوسط ، وناقش فيه بالتفصيل بندين يتعلقان بالموقف في الشرق الأوسط : أولهما خاص بتعزيز القواعد الأمريكية العسكرية في المغرب ، والثاني خاص بالسودان . وكان المسؤول الذي تولى عرض موضوع السودان هو « آلان دالاس » وقد قام بمناقشته فيه « جوردون جرائ » المساعد الخاص للرئيس الذي قال - كما يظهر في الصفحة الثانية من محضر وقائع هذا الاجتماع - إنه « من الضروري بذل كل الجهود للمحافظة على استقلال السودان » . وقد علق الرئيس « ايزنهاور » على هذه المناقشة بقوله : « إن مجلس الأمن القومي يجب أن يكون جاهزا يستطيع أن يتحرك بسرعة لمواجهة أى طارئ » .

وفي جلسة بتاريخ ٢٥ أغسطس أبدى الرئيس « ايزنهاور » في أثناء اجتماع آخر لمجلس الأمن القومي ضيقه من أن بعض الزعماء المحليين في الشرق الأوسط يحاولون انتهاز الفرصة لكي يلعبوا أدوارا هـى في رأيه أكبر من حجمهم . وقال إنه تلقى خطابا من الرئيس التونسي « الحبيب بورقيبة » يطلب منه فيه تركيز المساعدات الأمريكية في العالم العربى على تونس ، لكي يجعل منها « فاترينة عرض » في العالم العربى لما تستطيع الولايات المتحدة أن تقدمه لأصدقائها . كما أنه طلب كذلك أن يضع الرئيس « ايزنهاور » بالاشتراك معه ترتيبا لعقد مؤتمر على مستوى القمة سنويا بينهما . وعلق « ايزنهاور » في الاجتماع بقوله : « إن بورقيبة يريد أن يكون وحده وكيلنا المعتمد في العالم العربى » . وقال إنه سيرد عليه ، وبالفعل فإن وثائق مكتبة « ايزنهاور » تشير إلى أن الرئيس « ايزنهاور » كتب إلى « بورقيبة » بتاريخ ٣١ أغسطس خطابا يقول فيه بالحرف : « إننا مضطرون بسبب اتساع مسؤولياتنا إلى مساعدة كثيرين من أصدقائنا على صيانة أمنهم في وجه تهديدات خارجية ، وهذا دفعنا إلى توزيع مساعداتنا رغم أننا كنا نتمنى أن نتمكن من تركيزها على عدد قليل من الدول .

(١) منذ اصدر الرئيس « ايزنهاور » قراره التنفيذى رقم ٥٨٠١ حول ضرورة سيطرة الولايات المتحدة على منابع البترول ، وحول ضرورة إقامة تنظيم عسكرى في المنطقة يواجه الاتحاد السوفيتى ، وتشترك فيه إسرائيل جنبا إلى جنب مع الدول العربية .

وأنا مستعد أن أسلم معكم إلى أن مساعداتنا لتونس كانت متناثرة . ولقد كنا نتمنى أن نختر عددا قليلا من الدول نركز عليها لكي نجعل منها « فاطرينات للغرب » فهذه فكرة تروق لنا ، ولكن تنفيذها قد يؤدي إلى حرمان كثيرين من مساعدات كانوا يحتاجون إليها . ثم أضاف « ايزنهاور » قائلا . « وأنا أسلم معكم بأن هناك حاجة إلى مشاورات مباشرة دورية بيننا . ولكني أخشى أن يؤدي ذلك إلى التأثير في وسائلنا المؤسسية التي تعتمد عليها في التعاون الدولي » .

وخلال شهر سبتمبر ١٩٥٨ تكررت اجتماعات مجلس الأمن القومي التي تركز على إيران . وفي اجتماع للمجلس بتاريخ ١٦ سبتمبر أبدى الرئيس « ايزنهاور » قلقه على أساس التقارير التي قرأها أخيرا من أن هناك « تخوفا » من أن تأخذ الأحداث في إيران نفس الاتجاه الذي أخذته من قبل في العراق ، وهو وضع لابد من تجنبه لأنه يمثل خطورة كبرى . وطلب الرئيس « ايزنهاور » من لجنة تنسيق السياسات أن تعد تقريرا خاصا عن الأوضاع في إيران .

وبتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٥٨ قدمت اللجنة تقريرها عن الأوضاع في إيران تحت رقم ٥٧٠٣/١ ، وقد جاء في هذا التقرير أنه « مع أن الأحوال العامة تبدو هادئة ومستقرة على السطح في إيران ، فإن هناك شكوكا بدأت تطل برأسها . ولقد ساعدت زيارة الشاه الأخيرة للولايات المتحدة على دعم حكم الشاه ، ولكن الملاحظ أن الثورة الناجحة في العراق قد شجعت عناصر المعارضة السياسية مع عناصر من المثقفين ، وعناصر من الطبقة المتوسطة ، وإن هؤلاء قد يستطيعون أن يجذبوا إلى صفوفهم عددا من ضباط الجيش الشبان ، وإن هذا التحالف يستطيع عن طريق المطالبة بإصلاحات داخلية واسعة أن يؤدي إلى ضغوط شديدة على الجبهة الداخلية في إيران » .

ثم استطرد التقرير في بنده السادس ليقول : « إن الشاه حاول استيعاب هذه التحركات بإنشاء حزبين سياسيين مصطنعين . ومن الظاهر أن وجود هذين الحزبين لا يستند إلا على نفوذ هيئة « سافاك » (المخابرات الإيرانية) . ثم ناقش التقرير بعد ذلك الاحتمالات والعمليات المعتادة التي يمكن القيام بها إذا حدث « أ - أن سقط نظام الشاه ، و ب - أن قام نوع من التمرد على حكمه لا يقوم به الشيوعيون ، أو ج - إذا قام الشيوعيون بهذا التمرد » .



وطوال شهر سبتمبر ١٩٥٨ كانت الثورة الجزائرية هي الموضوع العربى الملح على « جمال عبد الناصر » ، فقد كان تصوره أن نجاح الثورة في الجزائر ، وقيام حكومة جزائرية وطنية مستقلة يمكن أن يضيف إلى القوة العربية مَدَدًا لا يستهان به . وكان تصوره الاستراتيجى أنه بالجمهورية العربية المتحدة في القلب ، وبالجمهورية العراقية الجديدة إلى الشرق ، وبدولة جزائرية مستقلة في المغرب العربى ، فإن الأمة العربية تكون قد حصلت على ثلاث ركائز أساسية تشمل المنطقة كلها من شواطئ الخليج العربى إلى شواطئ المحيط الأطلسى .

والحقيقة أنه بعد الهزيمة الفرنسية في معركة السويس - فإن « جمال عبد الناصر » كان يشعر أن استقلال الجزائر لم يعد بعيدا . ولقد شجعه على هذا الاعتقاد سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وقيام الجنرال « ديغول » بتأسيس جمهورية فرنسية جديدة هي الجمهورية الخامسة . ومع أن عودة « ديغول » إلى السلطة جرت عن طريق انقلاب عسكري قامت به قوات الجيش الفرنسى في الجزائر مما كان يشير إلى أن الحكومة الجديدة التى يرأسها « ديغول » سوف تكون تحت رحمة المؤسسة العسكرية الفرنسية - إلا أن « جمال عبد الناصر » كان يرى أن حقيقة قيام الجيش الفرنسى في الجزائر بانقلاب عسكري هي دليل لا يحتمل الشك على أن هذا الجيش لم يعد قادرا على القتال ضد الثورة الجزائرية .

كانت مساعدات مصر للثورة الجزائرية قد بدأت من قبل اندلاع نيرانها ، وعندما اندلعت هذه الثورة في أول نوفمبر ١٩٥٤ لم يكن تحت قيادتها أكثر من ألفى متطوع . ومع استمرار الثورة ، وزيادة الدعم المصرى ، ثم العربى لها كانت الثورة الجزائرية الآن موجودة على أرض المعركة بأكثر من مائة وعشرين ألف مقاتل .

كانت القيادة الحقيقية للثورة الجزائرية ، وعلى رأسها « بن بيللا » موجودة في السجون الفرنسية منذ جرى اختطاف زعمائها قبل أيام من معركة السويس - ومع ذلك فإن « جمال عبد الناصر » شجع قيام حكومة جزائرية في الخارج تتولى مواجهة الظروف المستجدة في فرنسا بعد انقلاب الجنرالات الفرنسيين^(٢) ضد حكومة

(٢) كان قائد الانقلاب العسكرى الفرنسى في الجزائر هو الجنرال « سالان » وقد كان هو نفسه إبرز مهندسى عملية التواطؤ الثلاثى في معركة السويس .

الجمهورية الرابعة في باريس . وبالفعل فقد تألفت حكومة جزائرية مؤقتة في المنفى ، وتم إعلان تأليفها في ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ .

وفي البداية كان « ديجول » يتصرف على نحو يختلف عما تصوره « جمال عبد الناصر » ، فقد بدا وكأنه رهينة في أيدي جنرالات الانقلاب يفرضون عليه استمرار القتال واتخاذ موقف متشدد تجاه الثورة الجزائرية - ولكن « جمال عبد الناصر » كان يرى أن الحقائق سوف تؤكد نفسها فوق كل مظاهر التشدد والاتجاه إلى العنف .

وفي هذه الفترة استطاعت الثورة الجزائرية أن تنتقل معركتها إلى فرنسا ذاتها . فقد قامت فرق من الثوار بالتسلل إلى فرنسا ، وتمكنت من إشعال النار في أربع مدن فرنسية بينها « مارسيليا » ، وأعلنت حالة الطوارئ في فرنسا ، وفي ظرف أسبوع كانت السلطات الفرنسية قد اعتقلت أو احتجزت للتحقيق ٢٠٠ ألف جزائري .

وسافر « ديجول » إلى الجزائر ليدرس حقائق الموقف على الطبيعة بنفسه ، وقابله المستوطنون الفرنسيون بمظاهرة عاصفة اضطرت إزاءها أن يعلن أن الجزائر سوف تظل فرنسية إلى الأبد ، ولكنه عندما عاد إلى باريس أعلن أنه سوف يتقدم بمشروع لحل الأزمة يمكن الجزائريين « المسلمين » من تقرير مصيرهم في ظرف أربع سنوات .

ومن القاهرة أعلن أقطاب الحكومة الجزائرية المؤقتة أنهم يرفضون مشروع « ديجول » ، وقد وقف السيد « فرحات عباس » في مؤتمر صحفي في القاهرة يعلن هذا الرفض ، وإلى جواره نائبا رئيس الوزراء في الحكومة المؤقتة : « كريم بلقاسم » و « عبد الحفيظ بوصوف » .

وكان رأى « جمال عبد الناصر » وشاركه فيه ملك المغرب الملك « محمد الخامس » أن الحكومة الجزائرية المؤقتة تستطيع أن تقبل عرض « ديجول » للتفاوض دون أن يكون ذلك القبول مشروطا بالمشروع الذي طرحه « ديجول » . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن التفاوض بين الثورة الجزائرية ، وبين الحكومة الفرنسية الجديدة يعنى ضمنا اعتراف « ديجول » بشرعية الثورة الجزائرية كممثل شرعى للشعب الجزائرى ، وأن ذلك في حد ذاته كفيلا بإسقاط الادعاء الفرنسى بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا .



وفي أواخر شهر سبتمبر وجد « جمال عبد الناصر » نفسه مضطرا إلى تحويل اهتمامه من الغرب (شمال أفريقيا - الجزائر) إلى الجنوب في السودان ، فما أن كاد

يعلن نبا الاتفاق بين مصر وبين الاتحاد السوفيتى على تمويل المرحلة الأولى من مشروع السد العالى ، حتى فوجئت القاهرة بأن حكومة الخرطوم التى كان يرأسها السيد « عبد الله خليل » تعلن إسقاط اتفاقية مياه النيل ، وتضيف إلى ذلك أنها سوف تنفذ مشروعاً جديداً لبناء سد على النيل فى منطقة « الرصيرص » - ولم تكن لدى القاهرة أية اعتراضات على تنفيذ مشروع « الرصيرص » ولكنها كانت ترى أن تنفيذ المشروع يجب أن يتم بتنسيق بين مصر والسودان ، وأن يكون فى حدود اتفاقية مياه النيل ، ذلك لأن أى إخلال باتفاقية مياه النيل كفىل بأن يشجع قوى أخرى عند منابع النهر على تنفيذ مشروعات للسحب من مياهه دون أى تنسيق بين دول حوضه . وأحست القاهرة أن موقف حكومة السودان ينطوى على منطق سياسى أكثر مما يعتمد على حقائق اقتصادية . هذا فضلاً عما يمكن أن يصيب الشعب المصرى من أضرار حقيقية إذا أسقطت أحكام اتفاقيات مياه النيل . وكان مما أثار الشكوك أكثر أنه فى وسط المناقشات الدائرة بين القاهرة والخرطوم أعلن فى واشنطن فجأة أن بعثة من البنك الدولى سوف تسافر إلى الخرطوم للتفاوض فى تمويل سد « الرصيرص » . وكان هذا كله ينطوى على مخاطر واسعة ، ثم إنه يقود البلدين إلى احتمالات صدام لا شك فيه .

وكتفت القاهرة معارضتها السياسية ، وكانت وجهة نظرها أن مصر والسودان كليهما معرض للخطر إذا ما أسقطت اتفاقية مياه النيل . وكان الإحساس العام على نحو أو آخر أن الحكومة البريطانية هى الطرف الذى يحرص فى الخرطوم على كسر اتفاقية مياه النيل . وركزت القاهرة على هذه النقطة من منطق أن إسقاط الاتفاقية سوف يضر بمصالح مصر والسودان معا لأنه سوف يطلق يد بريطانيا فى مستعمراتها الأفريقية عند منابع النيل فى التصرف بمياهه على أى نحو يروقها .

وأحدثت معارضة مصر أصداء واسعة فى السودان ، فإن الجماهير السودانية التى كانت متعاطفة تقليدياً مع مصر ، والتى ازداد تعاطفها مع القيادة المصرية للحركة القومية العربية العامة - كانت معبأة على الآخر . وسارت مظاهرات عارمة فى الخرطوم ، وامتألت الأجواء بالحديث عن تواطؤ الحكومة السودانية مع قوى فى الغرب تستهدف بعثرة الصف العربى . وزادت حركة انتقال الوفود بين القاهرة والخرطوم ، وبدأ واضحاً أن هناك قوى كبيرة فى السودان تعارض أى وقعة بين البلدين مهما كانت أسباب ذلك أو ذرائعه .

ووجد السيد « عبد الله خليل » رئيس الوزراء السودانى أنه لم يعد فى

مقدوره مواجهة الموقف الشعبى المتفجر فى السودان ، فإذا هو يقرر تسليم السلطة إلى القوات المسلحة السودانية .

وصباح يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ أعلن فى الخرطوم أن الفريق « ابراهيم عبود » قائد الجيش السودانى قد تولى زمام السلطة فى السودان ، وألف مجلسا أعلى للحكم يضم كبار قادة القوات المسلحة . وكتبت جريدة « نيويورك تايمز » الأمريكية تعلق على أحداث الخرطوم قائلة : « لقد كان من الأصوب دعوة الجنرالات ليتفضلوا بتسليم السلطة قبل أن يقوم الكولونيلات بتسليمها دون أن يدعوهم أحد » .

وتحركات القاهرة بسرعة ، وكانت أول بلد يعترف بالنظام الجديد فى السودان . وكتب « جمال عبد الناصر » رسالة إلى الفريق « ابراهيم عبود » يقول له فيها : « إن مصر على استعداد لكل عمل يهدف إلى توثيق الروابط بين البلدين والحكومتين والشعبين » ، ثم عرض القيام بمفاوضات جديدة بين البلدين بهدف إعادة الاحترام إلى اتفاقية مياه النيل ، وإعادة توزيع الفائض الذى يوفره مشروع السد العالى بينهما لخدمة المشروعات الحيوية لمصالح الشعبين .

وفى اليوم التالى أصدرت الحكومة السودانية الجديدة تصريحاً تلاه اللواء « أحمد عبد الوهاب » نائب رئيس وزراء السودان ، وجاء فيه : « إن الأسباب التى كانت تحول دون الاتفاق مع القاهرة زالت بزوال النظام القديم » .

كان الحكم الجديد الذى جاء إلى السلطة من خارج إطار الحياة السياسية التقليدية فى السودان غير راغب فى معركة مع مصر ، فقد كان يحتاج إلى مساندتها لكى يتمكن من تدعيم سلطته . وفى نفس الوقت ، فإن هذا الحكم بدأ يرى حقيقة ما يجرى عند منابع النيل سواء ما كانت تقوم به بريطانيا فى مستعمراتها الافريقية ، أو ما بدأت إسرائيل تنشيط إليه فى جنوب السودان رغبة فى فصله عن الشمال حتى يتحقق لها مطلب أن ترى منابع النيل وقد انسلخت عن الاطار العربى الكبير .



وفجأة انتقلت الزوابع إلى الغرب مرة أخرى ، ولكنها هذه المرة كانت فى تونس ، فإن الرئيس التونسى « الحبيب بورقيبة » بعد فترة من التردد قرر أن تنضم تونس إلى الجامعة العربية . وانهقد اجتماع لمجلس الجامعة يوم ١١ أكتوبر ١٩٥٨ تقرر فيه قبول عضوية تونس ، وبدأت وفود الدول العربية إليه تشارك فى الحفاوة بمندوبيها . وفرجىء المجتمعون بالمندوب التونسى يقف ويقول إنه سوف يتلوي بياناً بأمر من الرئيس « بورقيبة » ، وإذا بهذا البيان يمتلىء بالهجوم على مصر بادعاء أنها نصبت نفسها قائدة للأمة العربية دون تفويض من أحد ، وأنها تتكلم فى المحافل الدولية

وتتصرف باسم العرب جميعا دون أن تستشيرهم ، ثم إنها تتدخل في شؤونهم الداخلية . وتحول الاحتفال بتونس إلى أزمة خصوصا عندما قرر مجلس الجامعة شطب أقوال المندوب التونسي من محضر الجلسة . وفي اليوم التالي أذاعت الحكومة التونسية بيانا شرحت فيه أسباب خلافها مع القاهرة ، وجاء فيه : إن مصر قد منحت حق اللجوء السياسى إلى الزعيم التونسي « صالح بن يوسف » الذى كان نائبا سابقا لـ « بورقيبة » وزعيما بارزا للحزب الحر الدستورى ، « وأن مصر بمنحها حق اللجوء السياسى لصالح بن يوسف الذى حكم عليه بالإعدام فى تونس إنما تتدخل تدخلًا سافرا فى الشؤون الداخلية التونسية . وبناء عليه ، فإن الحكومة التونسية قررت مقاطعة الدورة الحالية للجامعة العربية » .

ويوم ١٥ أكتوبر أعلنت وزارة الاعلام التونسية أن تونس قررت قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة . ولوحظ أن إذاعة باريس بثت نبأ قطع العلاقات قبل ساعة من إذاعة البيان الرسمى التونسى . وقرر الأمين العام للجامعة العربية السيد « عبد الخالق حسونة » (باشا) أن يسافر إلى تونس لبحث الموقف . وعقد اجتماعا طويلا مع الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية قبل سفره إلى العاصمة التونسية . وقال له الدكتور « محمود فوزى » : « إننا لا نفهم هذا الموقف من « الحبيب » ونعتقد أن وراء الأكمة ما وراءها . ومعلوماتنا أن « صالح بن يوسف » كان لاجئا فى مصر مع « بورقيبة » وأنه عندما اختلف معه بعد الاستقلال رفض العودة إلى تونس ، وقرر البقاء حيث كان (أى فى القاهرة) . ولم يحصل على إذن جديد للالتجاء إلى مصر ، وإنما هو يمارس نفس الحق الذى كان له مع الرئيس « الحبيب بورقيبة » ، والرئيس « بورقيبة » لابد له أن يعرف أن حقوق الالتجاء السياسى إلى مصر مصونة ومقدسة ، ولو كنا سمحنا بأى مساس بها لكان « بورقيبة » نفسه أول من أضير أيام الاستعمار الفرنسى . وعلى أى حال فنحن فى غنى عن عواصف فى الفناجين . وقد طلب إلى الرئيس « عبد الناصر » إبلاغك بأن تتحرى من « بورقيبة » شخصا عن أية أسباب للشكوى لديه ، وأنت مفوض هناك فى حلها على أى نحو تراه مهندئا لخواطره » .^(٣)

وسافر السيد « عبد الخالق حسونة » إلى تونس ، وقضى فيها يومين ، وعاد إلى القاهرة والتقاء الدكتور « محمود فوزى » مرة أخرى ، وسمع منه وزير الخارجية

(٣) مذكرة كتبها الدكتور محمود فوزى بخط يده ، وبعث بها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، وهى موجودة فى أرشيف منشية البكرى فى ملف عنوانه « تونس » رقم ٥ .

المصرية تفاصيل ما دار بينه وبين الرئيس التونسي ، وانطباعات « حسونة » (باشا) نفسه عن اللقاء . كان ملخص الموضوع في رأى « حسونة » (باشا) أنه نفسى قبل أى اعتبار آخر ، فالرئيس « بورقيبة » فيما يبدو كان يطمح بعد قيام الثورة العراقية ، واختفاء « نورى السعيد » (باشا) من الساحة أن يصبح هو رجل الغرب في المنطقة . ويبدو أنه طلب تفويضا من الغرب بأن يكون مسؤولا عن توحيد خطوط السياسة العامة في شمال أفريقيا ، ولم يلق استجابة كافية ، وهذا فيما يبدو ضايقه . وهو يتصور نفسه رجل الدولة الحقيقى في العالم العربى ، ولا يجد من الآخرين اعترافا كافيا بهذا التصور ، ثم إنه (أى « بورقيبة ») يعتقد أن « صالح بن يوسف » يتآمر لقتله . وقال الدكتور « محمود فوزى » إن « قضية صالح بن يوسف قضية يسهل حلها ، فنحن نستطيع تحديد نشاطه السياسى حرصا على العلاقات مع تونس طالما هو في القاهرة » . ورد « حسونة » (باشا) قائلا إنه « إذا كانت هذه القضية يمكن تسويتها ، فهناك قضايا أخرى تصعب تسويتها » . ثم روى « حسونة » (باشا) كيف أنه في أثناء مناقشته مع « بورقيبة » اشتكى له « بورقيبة » من أن بعض الصحف في العالم العربى تصف « جمال عبد الناصر » بأنه « عملاق » . وأضاف « بورقيبة » أنه يعتبر ذلك تعريضا به لقصر قامته « فمعناه أنني قزم ، وأن الباقين كلهم أقزام ، وجمال عبد الناصر وحده هو طويل القامة وهامته أعلى منا جميعا » . ثم أشار « عبد الخالق حسونة » (باشا) إلى أن « بورقيبة » شكى له من أن هناك ضباطا مصريين تسللوا إلى تونس ، وهم يحرضون بعض ضباط الجيش التونسى ضده . ورد الدكتور « فوزى » على ذلك بأن رجا « حسونة » (باشا) أن يبعث إلى « بورقيبة » بأن « الحكومة المصرية تخوله الحق في القبض على مثل هؤلاء الضباط إن وجدوا وتقديهمهم إلى المحاكمة » . وكانت القضية أعمق كما أحس « حسونة » (باشا) ، ولعل « جمال عبد الناصر » أراد أن يواجهها على طريقته ، فقد وقف في مدينة المنيا يومها يخطب أمام جماهير حاشدة ويقول : « إن لواء القومية العربية ليس معقودا لجمال عبد الناصر ، وإن الحركة القومية العامة أكبر من أى فرد ، وإن قيادتها الحقيقية هي جماهير الشعب العربى في حين أن جميع الأفراد إلى زوال » .



في لندن كان « هارولد ماكميلان » ما زال يشعر بخيبة الأمل لأن الرئيس « ايزنهاور » لم يستجب لاقتراحاته في أثناء ثورة العراق بتوسيع نطاق العمليات ، وتحويلها إلى جهد مشترك بين الولايات المتحدة وبريطانيا . فقد اقترح « ماكميلان » وقتها - كما أشارت الوثائق من قبل - ألا تقتصر العملية على إنزال أمريكي في لبنان ونزول بريطاني في عمان ، وإنما يتم استغلال جو الأزمة لتطهير كل منطقة الشرق الأوسط بالزحف على سوريا والعراق أيضا مما كان كفيلا في تقديره بإسقاط النظام في مصر أيضا . كان « ماكميلان » يشعر بشيء من المرارة لأن « ايزنهاور » لم يستجب له ، ولو أنه استجاب لكان « ماكميلان » قد حقق ما عجز عنه « ايدن » في السويس . كانت الفرصة في رأيه متاحة لتعاون أمريكي - بريطاني يستعيد النفوذ الغربى في العالم العربى ، ويوطد أركانه ، لكن « ايزنهاور » تردد وترك الفرصة تضيق .

وكتب « ماكميلان » إلى « ايزنهاور » يقول له :^(٤)

« إن اصدقاءنا في إسرائيل يشعرون الآن بمزاج سوداوى ، فهم يجدون أننا تخلينا عنهم ورحنا ندغدغ اعصاب ناصر . ولقد اقترح مندوبهم في لجنة التنسيق بيننا وبينهم عندما كنا نرتب سحب المظليين من عمان أن نتركهم يحتلون الضفة الغربية للأردن^(٥) لأن ناصر سوف يستولى على الأردن كله في يوم من الأيام ، وابدنا لهم أننا لا نستطيع بالقطع أن نشارك في مثل هذا الاجراء أو نسمح به . وعلى أى حال ، فإننى اعتقد أن اصدقاءنا في هذا البلد (يقصد إسرائيل) يستحقون منك عناية أكثر ، وإلا فإن النظارة السوداء التى يضعونها على عيونهم قد تدفعهم إلى التصرف على انفراد . »

وكان « ماكميلان » قد بدأ من ناحيته يعتنى بهؤلاء الأصدقاء في إسرائيل ، ولعله لم يجد بديلا لهم في تلك الظروف التى سادت المنطقة وقتها ، وكانت طلبات « بن جوريون » محددة « سلاح ... سلاح ... ومزيد من السلاح » كما قال بنفسه للسفير البريطانى في إسرائيل !

وسافر « شيمون بيريز » في أواخر شهر أغسطس ١٩٥٨ إلى لندن ليعقد صفقة سلاح بريطانى بلغت قيمتها ٥٠ مليون جنيه . وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٨ أذاعت وزارة

(٤) يوميات « ايزنهاور » في مكتبته بابلين (كانساس) - وثائق الصندوق رقم ٦ .

(٥) مرة أخرى إسرائيل واحتلال الضفة الغربية !

الخارجية البريطانية بيانا رسميا أعلنت فيه أن الحكومة البريطانية قررت أن تسلم لاسرائيل غواصتين حمولة كل منهما ٧١٥ طنا ، وأن الغواصة الأولى منهما سوف يتم تسليمها يوم الخميس ٩ أكتوبر في « بورتسماوث » حيث يقام احتفال يشارك فيه سكرتير وزارة الدفاع الاسرائيلية (شيمون بيريز) .



ولكن ما يجرى في الخفاء كان أكثر مما يجرى إعلانه ، ففي ذلك الوقت وقبل أن يتولى الجنرال « ديجول » السلطة تمكنت الحكومة الاسرائيلية من الاتفاق مع الحكومة الفرنسية على رفع طاقة مفاعل « ديمونة » . وكان « شيمون بيريز » هو الذي وقع نيابة عن إسرائيل هذا الاتفاق مع الحكومة الفرنسية ، وبمقتضاه ارتفعت طاقة مفاعل « ديمونة » من ٥٠٠٠ كيلووات إلى ٢٤٠٠٠ كيلووات حرارى ، كما قامت فرنسا بتسليم إسرائيل كمية من اليورانيوم الطبيعي إلى جانب معدات للتبريد باستعمال الماء الثقيل . وكان ذلك يسمح لاسرائيل في يوم من الأيام بتحويل البلوتونيوم المحترق إلى قنابل ذرية .

وبعد توقيع هذا الاتفاق ظل « شيمون بيريز » في باريس يتابع وقائع الانقلاب الذى أدى إلى سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وقيام الجمهورية الفرنسية الخامسة بقيادة « ديجول » . وعندما استقرت الأمور حصل على موافقة النظام الجديد في باريس على صفقة طائرات من طراز « سوبر ميستير » لاسرائيل كانت المفاوضات بشأنها قد تمت مع النظام السابق ، وكان عددها أربعين طائرة تسلم في مدى أربعة وعشرين شهرا . وصرح « شيمون بيريز » فيما بعد لوكالة رويترز بأن « إسرائيل في العادة لا تتحدث عن صفقات السلاح التى تعقدها ، لكنها تجد نفسها أمام وضع خطير بعد أن ثبت أن المقاتلات السوفيتية الجديدة من طراز « ميغ ١٧ » متفوقة على الطائرات الاسرائيلية من طراز « ميستير » التى تباعها فرنسا لاسرائيل منذ سنة ١٩٤٥ وإن اسرائيل على هذا النحو مطالبة بتجديد سلاحها الجوى ، وهو عماد قوتها الضاربة » .



وفي واشنطن كانت هناك علامات تدعو إلى إمعان النظر ، ففي المناخ الذى بدا فيه أن الحكومة الأمريكية تراجع موقفها تجاه حركة القومية العربية شعر جناح المخابرات المركزية الأمريكية المندى بالتركيز على مصر ، وفي مقدمة صفوفه « كيرميت روزفلت » - بشيء من الانتعاش ، فقد تصور هذا الجناح في الظروف الجديدة أن الجو ملائم له الآن لكى يظهر على الجناح الآخر المندى بالتعاون مع إسرائيل إلى آخر المدى ، والذي يتصدر صفوفه « جيمس أنجلتون » .

كانت الولايات المتحدة قد استجابت لرغبة مصر في الاستفادة بالقانون رقم ٤٨٠ الخاص ببيع فائض محصول القمح الأمريكي^(٦) . واعتبر « كيرميت روزفلت » أن هذه الاستجابة قد تعطيه فرصة لفتح أبواب في القاهرة ، واقترح تكليفه بالسفر إليها لجس النض . وبالفعل كتب « كيرميت روزفلت » إلى الدكتور « أحمد حسين » سفير مصر السابق في واشنطن يقول له إن هناك احتمالا كبيرا في زيارة يقوم بها إلى القاهرة . وسأله عما إذا كان يلمح في الجو علامات مواتية . وبعث الدكتور « أحمد حسين » برسالة « كيرميت روزفلت » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » مرفقة بخطاب منه ، وكان تعليق « جمال عبد الناصر » أنه يفضل في الظروف الحالية أن تكون للاتصالات مع الولايات المتحدة قناة واحدة ، وهي القناة الرسمية عن طريق وزارتي الخارجية في البلدين . ثم طلب من الدكتور « أحمد حسين » أن يكتب إلى « كيرميت روزفلت » بما معناه أنه « إذا أراد المجيء إلى القاهرة في زيارة خاصة ، فسوف يلقي فيها كل ترحيب ، وأما إذا أراد لزيارته أن تكون غير ذلك ، فقد يكون من الأنسب التعامل بالوسائل الدبلوماسية العادية » .

ولم تكن هناك حاجة لإرسال هذا الرد لـ « كيرميت روزفلت » فقبل أن يكتب إليه الدكتور « أحمد حسين » بما سبق كان « كيرميت روزفلت » يبعث إليه برسالة يقول له فيها إن رحلته إلى القاهرة قد تأجلت إلى أجل غير مسمى .

ولقد تبين فيما بعد بالفعل أن جناح « أنجلتون » المنادى بالتعاون مع إسرائيل قد حقق انتصارا مؤكدا في واشنطن .

فقد وقعت ظاهرة نادرة ما تحدث في السياسة الأمريكية إذ نشرت جريدة « نيويورك تايمز »^(٧) وغيرها من كبريات الصحف الأمريكية في أوائل أكتوبر أنباء تتحدث عن صفقات سلاح تعقد بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، وأن هذه الصفقات تقررت بعد عدة رسائل متبادلة بين « دافيد بن جوريون » و « دوايت ايزنهاور » ، وقد بدأت هذه الرسائل يوم ١٦ يوليو ، أي بعد يومين من ثورة العراق . وفي الرسالة الأولى بينهما أبدى « بن جوريون » حاجة إسرائيل الشديدة إلى « رادع » قوى يحمي أمنها من مخاطر تيار الوحدة العربي الذي يندفع كالشلال . ورد عليه « ايزنهاور » بأنه « يستطيع أن يؤكد له أن الولايات

(٦) كان الرئيس « جمال عبد الناصر » قد طلب إلى أن اسال السفير الأمريكي عن مدى إمكانية الاستفادة مصر بهذا القانون ، وقد قابلت السفير بالفعل يوم ٨ ديسمبر ١٩٥٨ وناقشت الأمر معه ، وجاء الرد من واشنطن بالموافقة في اليوم التالي مباشرة ، وكانت الصفقة الأولى في الاستجابة لهذا الطلب بحجم ٨٠ ألف طن ، وبعد ذلك تولى الدكتور « عبد المنعم القيسوني » مهمة مواصلة عمليات توريد القمح .
(٧) جريدة « نيويورك تايمز » عدد يوم ٢ أكتوبر ١٩٥٨ - الصفحة الأولى .

المتحدة الأمريكية تعلق أهمية كبرى على سلامة وازدهار دولة إسرائيل ، وأن تلك سياستها الثابتة لا تحيد عنها . »

وعندما نشرت النيويورك تايمز أنباء هذه الرسائل أضافت إليها أن الولايات المتحدة التي لم تكن بين موردي السلاح لإسرائيل وجدت أخيراً ضرورة لتقديم بعض الأسلحة الدفاعية ضد الطائرات إلى هذا البلد .

وفي اليوم التالي صرح المتحدث رسمي باسم وزارة الخارجية بأن ما حصلت عليه إسرائيل من الأسلحة هو قليل نسبياً relatively few - ثم كانت الظاهرة التي لا تحدث كثيراً في السياسة الأمريكية ، وهي أن رؤساء تحرير الصحف الكبرى دعوا إلى مقابلة وزير الخارجية الذي نقل إليهم رجاء الرئيس أن يمتنعوا اختصارياً عن نشر أخبار أية صفقات سلاح أمريكي لإسرائيل لأن ذلك يضر بالأمن الأمريكي . وفي نفس الوقت كانت السفارة الإسرائيلية في واشنطن تعزز لدى رؤساء التحرير طلب الرئيس إليهم بالكتمان ، وبأن يتركوا المصالح المشتركة للبلدين تنمو بالطريقة المناسبة إزاء أخطار تهددهما معا في منطقة خطيرة من العالم .

وتوقفت صحف الولايات المتحدة كلها عن متابعة الموضوع ، وأشارت مجلة « يو . اس . نيوز أند وورلد ريبورت » إلى أن ذلك التوقف تم بناء على « نصيحة » !



ويلفت النظر في ذلك الوقت أن الرئيس « جمال عبد الناصر » تلقى رسالة من الرئيس « تيتو » بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٥٨^(٨) قال له فيها :

« لقد طرأ أمر أريد إخطاركم به . فقد زارني في بلجراد المستر ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودي العالمي ، وهو كما قلت لكم يوماً صديق قديم لي . وقد أبلغني جولدمان برغبته ، ورغبة المجلس اليهودي العالمي في إقامة جسر اتصال مع الجمهورية العربية المتحدة ومعكم ، لأنه يشعر أن إسرائيل الآن تعاني من وحدة موحشة شاعرة أن أصدقاءها التقليديين لا يقبلون عليها بعد أزمة الصيف هذا العام كما كانوا يفعلون من قبل . وإنما هم يتعاملون معها كمن يتعامل مع ابن غير شرعي ، يساعدونها في الخفاء ، ويتابعون عن الظهور معها في العلن . وقد ذكر لي جولدمان أنه بات يخشى على إسرائيل من نفسها ، فقد بعث له بن جوريون يطلب

(٨) اصل الرسالة باللغة اليوجوسلافية ، ومعها ترجمة غير رسمية باللغة العربية مودع في أرشيف منشية البكري ، وقد أرسلت صورة منه إلى كل من وزارة الخارجية ، وإدارة المخابرات العامة بمذكرة وقعها السيد «سامي شرف» بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٥٨ .

منه القيام بحملة لجمع ٥٠٠ مليون دولار تقدم لإسرائيل مرة واحدة لأمر يتصل بتعزيز أمنها . وذكر لى جولدمان أنه يخشى أن يكون ما يقصده بن جوريون بهذه العبارة المائعة هو الدخول في برنامج نووى غالى التكلفة ليس من الناحية المادية ، وإنما من الناحية المعنوية . وذكر لى جولدمان أنه مدفوع في الإفضاء إلى بما أفضى بحرصه على إسرائيل ، وأنه يخشى أن إسرائيل قد تضع روحها في سبيل ما تتصور أنه حماية لأمنها . وذكر لى في النهاية أن رغبة يهود العالم في تحقيق نوع من السلام مع العرب قد يعطيهم الحجة المطلوبة لرفض الإلحاح الإسرائيلي . « وقال « تيتو » في ختام رسالته لـ « جمال عبد الناصر » إنه رأى إبلاغه بكل ما سمع تاركاً له حرية التصرف ، وإذا كان له أن ينصح كصديق ، فهو يقترح عدم ترك يد « جولدمان » الممدودة معلقة في الهواء . »

واستدعى « جمال عبد الناصر » السفير اليوجوسلافي ، وأبلغه برد شفوى مؤداه أنه « يقدر حرص الرئيس تيتو على إبلاغه بما سمع كما أنه يقدر نصيحته ، والمشكلة كما يراها هي أن يتمكن جولدمان ، ومعه يهود العالم من أن يجيئوه بخريطة رسمية معتمدة تقرر فيها إسرائيل أين حدودها النهائية ، وما إذا كانت مستعدة لتنفيذ قرار التقسيم . وأما بغير ذلك فإنه يخشى أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تجد نفسها في مفاوضات مع إسرائيل عن طريق المجلس اليهودى العالمى ، وعلى أساس الأمر الواقع ، وهو ما لا يستطيع قبوله . »



في هذه الأجواء التى اندفعت فيها الأطراف المختلفة إلى استيعاب دروس الحوادث ، وإلى التأهب للمرحلة القادمة ، وإلى التحسب للمفاجآت التى يمكن أن تجيء على غير انتظار - كانت درجة الحرارة مناسبة تماماً لزيادة دور وأهمية أجهزة العمل السرى .

وفى حين أن جناح « أنجلتون » فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أكد أسبقية دوره مرة أخرى ، فإن جهاز الـ M.I.6 وهو المخابرات البريطانية كان - بتهور المسئول عن عملياته ، وهو « جورج يونج » - يكتف نشاطه فى المنطقة مركزاً على بعض النقاط الحساسة فيها .

والحقيقة أن هذه المرحلة شهدت بداية سباق تحت الأرض بين أجهزة العمل السرى ليس في الولايات المتحدة وبريطانيا وحدهما - وإنما في إسرائيل وفرنسا والاتحاد السوفيتى وتركيا وإيران ، بل وجنوب أفريقيا التى بدأت ترى توجه عدد من زعماء حركات التحرر الوطنى فى القارة السوداء إلى القاهرة التى علا نجمها بسرعة ، ومن ثم قررت « جوهانسبرج » متابعة نشاطهم فيها .

وقرب نهاية سنة ١٩٥٨ كان هناك جهازان جديداً للمخابرات فى المنطقة قدر لهما فيما بعد أن يلعبا أدواراً بالغة الأهمية فى عملية صنع الحوادث فى العالم العربى .

كان أولهما هو جهاز المخابرات العامة المصرى الذى أعيد تأسيسه فى إطار حديث بعد حرب السويس ، وكان سنة ١٩٥٨ قد استكمل تشكيلاته سواء بالنسبة للمخابرات (أى جمع المعلومات فى الخارج) ، أو للأمن القومى (أى مواجهة النشاط الخارجى الموجه إلى الداخل) - وقد قام على رئاسته السيد « صلاح نصر » .

وكان الثانى هو جهاز المخابرات العامة السعودى الذى أقامه الأمير « فيصل » رئيس وزراء المملكة العربية السعودية بعد أن تولى السلطة بتفويض كامل من الملك « سعود » فى أعقاب فضيحة الرشوة فى سوريا لمنع قيام الوحدة ولضرب طائفة « جمال عبد الناصر » .

وقد عهد الأمير « فيصل » إلى صهره السيد « كمال أدهم » برئاسة هذا الجهاز . وكان لقبه الرسمى فى البداية أنه « المستشار الخاص » للأمير « فيصل » (والملك « فيصل » فيما بعد) .

وكان جهاز المخابرات المصرى قد استوحى تنظيماته ، وأساليب عمله من عدد من الأجهزة المماثلة ، وبينها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وهيئة الـ « كى . كى . بى » السوفيتية ، إلى جانب جهاز المخابرات فى ألمانيا الغربية .

أما جهاز المخابرات السعودى ، فقد ركز على نموذج وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكانت الطرق مفتوحة أمامه ...



ومن ناحية عامة ، فإن عمل هذه الأجهزة - بما فيها جهاز المخابرات المصرى - كان خدمة مطلوبة لبلادها ، وفى مصر فإن هذا الجهاز أصبح ضرورة على المستوى القومى خصوصاً مع اتساع مسئوليات الأمن العربى ، وامتدادها على مساحات واسعة من العالم .

وللانصاف ، فإن هذا الجهاز أدى خدمات ضخمة ، وقام بأدوار تحسب له في مجالات جمع المعلومات وتدقيقها وتحليلها ، كما استطاع تحقيق نتائج يشهد لها في مجالات التجسس على مصر ، وقد أعطيت لهذا الجهاز كل الوسائل التي طلبها ، والتي وجدها ضرورية لعمله سواء من ناحية الاعتمادات ، أو من ناحية تسهيلات العمل .

وفي وقت من الأوقات كان لجهاز المخابرات المصرى أكثر من خمسين « عنصرا » داخل إسرائيل !

كما أنه في وقت من الأوقات كانت لهذا الجهاز سلطات في الاستطلاع والبحث والتحقيق راحت تتسع بمقدار اتساع نطاق الأمن القومى .

لكن المشكلة التي طرأت بعد ذلك أن جو الفوران الذى ساد في العالم العربى في النصف الثانى من سنة ١٩٥٨ انعكس على جهاز المخابرات العامة ، وأفرز ظاهرة تجاوز لم يكن هناك ما يدعو إليها في عمله ، وضاعف من تفاقم هذه الظاهرة أن التعاون بين هذا الجهاز ، وبين القيادة العامة للقوات المسلحة ، وهى المسؤولة عن توجيه نشاط الملحقين العسكريين المصريين في العالم - راح يتجاوز حدوده المرسومة ، فقد تصور هؤلاء أن نجاحهم في العالم العربى مثلا مرهون باتصالات يقومون بها مع الضباط الشبان في البلاد التى يعملون فيها ، أو مع الأحزاب والجماعات السياسية المتعاطفة مع القاهرة .

وكانت هذه نقطة تحول ضارة . إذ تصور كثيرون من مسؤولى المخابرات والملحقين العسكريين أن نجاحهم يقاس بما إذا كانوا يستطيعون جذب عناصر ، عسكرية أو مدنية ، تعقد صلاتها معهم ، وتحسب نفسها بعد ذلك على الجمهورية العربية المتحدة .

وقد أحدث هذا الوضع خلطا شديدا في المهام خصوصا عندما بدأت بعض العناصر التي يجرى الاتصال بها في استغلال صلاتها بممثلى القاهرة بمقدار ما بدا لها أن ممثلى القاهرة يستغلون صلاتهم بها .

وهنا بدا أن العمل العربى العام في جزء هام منه ينتقل من مجال النشاط السياسى المفتوح إلى مجال العمل السرى المكتوم ، وهو جو ينتج بالتأكيد آثارا غير صحية ، وقد ساعد عليه أن الاختصاص بشؤون اللاجئين انتقل في معظمه إلى إطار المخابرات .

وكان جهاز المخابرات السعودي في بداية عمله يحاول أن يجد لنفسه طريقا يسترشد به ، ويمشى على آثاره . وكان رئيسه السيد « كمال أدهم » ذكيا وطموحا ، ثم إن صلته المباشرة بولي العهد (الملك فيما بعد) جعلت سلطاته نافذة إلى جميع المجالات متخطية لكل الحدود ، خصوصا في ظل طبيعة تركيب السلطة في المملكة .



ولم تكن القوى الدولية والاقليمية ، والأجهزة الرسمية ، هي وحدها التي تحاول أن تجد لنفسها مواقع على خرائط المستقبل - وإنما كان ذلك أيضا هو وضع التجمعات السياسية الداخلية ، وفي مقدمتها الأحزاب على اختلاف انتماءاتها العقائدية . ولم يكن ظاهرا في الساحة يومئذ غير ثلاثة تجمعات سياسية منظمة .

أولها - الاتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة ، وكان تنظيما ضعيفا شأنه في ذلك شأن كل التنظيمات الرسمية التي يتم تشكيلها لاحقا للسلطة ، وليس سابقا عليها .

ثم كان هناك بعد ذلك حزب البعث العربي الاشتراكي ، وكان هذا الحزب وقتها يواجه مشكلة عويصة ، فمشاركته في إقامة الوحدة بين مصر وسوريا أدت إلى قبوله بحل نفسه - ولكنه حل نفسه في سوريا وحدها ، وبقيت تنظيماته في غيرها من البلاد العربية ، وبالذات في العراق والأردن ولبنان . وكان هذا الوضع مبعث حرج شديد للحزب ، كما أنه أدى به إلى مواقف أثرت على أفكاره وحركته وتنظيماته .

وكانت هناك بعد ذلك الأحزاب الشيوعية العربية ، ومع أنها كانت في إطار اتجاه عقائدي واحد ، فقد كانت هناك خلافات في توجهاتها - هذا مع أن حقائق الأمور فرضت عليها جميعا في النهاية أن تضطر إلى اتخاذ نفس المواقف . وفي هذه الأوقات من نهاية سنة ١٩٥٨ كانت الحركة الشيوعية في المنطقة تحاول بكل الوسائل أن تعطي نفسها حرية في الحركة ، ووصلت بها دعاوى هذه الحرية إلى مزالق بالغة الخطورة . كان الذي يتصدر لقيادة الحركة الشيوعية العامة في البلاد العربية هو الحزب الشيوعي السوري ، وكان هذا الحزب برئاسة « خالد بكداش » قد خرج من سوريا بعد تجربة الوحدة شاعرا بمرارة شديدة . ففي بعض اللحظات قبل قيام الجمهورية

العربية المتحدة تصور هذا الحزب أنه أقرب ما يكون إلى مواقع التأثير في دمشق ، وإذا بموجة كاسحة من القاهرة تجرفه بالكامل خارج سوريا . ومضى يبحث عن وسيلة لاسترجاع ما ضاع منه ، ولكن الاحساس بالفشل والمرارة يستطيع أن يغير قواعد العمل السياسى وموازينه ومعاييره ، وهكذا فإن الحزب الشيوعى السورى فى هذه الفترة لم يكن فى خلاف فكرى أو سياسى مع الجمهورية العربية المتحدة فقط ، وإنما كان فى حرب ضدها بكل وسائل الحرب .

إن تاريخ الحزب الشيوعى السورى ، كما أن تاريخ الأحزاب الشيوعية العربية كلها ، لا يؤهلها على وجه اليقين للقيام بدور قيادى فى أى مجتمع من المجتمعات العربية . وفى تلك الظروف فإن الحزب الشيوعى السورى نجح فى شىء واحد ، وهو أن يجر جميع التنظيمات الشيوعية فى المنطقة وراءه إلى حرب ضد الجمهورية العربية المتحدة . ومع أن هذه كانت معركة خاسرة لهم منذ اللحظة الأولى ، فإن الأوهام قادتهم إلى دخولها على تصور أن علاقات الجمهورية العربية المتحدة الوثيقة بالاتحاد السوفيتى ، خصوصا بعد عقد اتفاقية المرحلة الأولى من السد العالى ، سوف تكون قيما على حركتها ومجالا فسيحا أمامه .

لم يكن للأحزاب الشيوعية العربية جميعا - بما فيها الحزب الشيوعى السورى - رصيد جماهيرى ترتكن إليه ، فقد نشأت منذ البداية فى رعاية شخصيات غامضة معظمها من اليهود الفرنسيين ، أو الإيطاليين . ثم تورطت فى حلقات متصلة من الأخطاء بدأت من الولاء الأعمى لستالين إلى التقدير الأعمى لمعنى قيام إسرائيل . فحتى بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ظلت الأحزاب الشيوعية تتصور أن إسرائيل قوة تحديث فى المنطقة قادرة على تطويرها ، ودفعها إلى المستقبل . ومع أن بعضها تحدث عن أهمية الوحدة العربية ، فقد كان ذلك مجرد استجابة لمشاعر الجماهير أكثر منه تعبيرا عن إيمان بحقائق تاريخية .

وللحقيقة ، فإن الحزب الشيوعى المصرى خرج لفترة من الفترات على هذه القوالب الجامدة ، خصوصا بعد أن عقدت كل التنظيمات الشيوعية المصرية المتناحرة اجتماعا سريا تحت رعاية الحزب الشيوعى الإيطالى ، فوحدت صفوفها وحاولت توحيد اتجاهاتها ، وخرجت بتحليل صحيح لحركة الوحدة العربية صدر فى منشور بتوقيع « الرفيق خالد »^(٩) سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى وقتها جاء فيه :

(٩) كان اسم « الرفيق » خالد اسما كوديا للدكتور « فؤاد مرسى » الذى أصبح فيما بعد وزيرا للتأمين فى عهد الرئيس « أنور السادات » وفى الحقيقة فإن اثنين من المفكرين المصريين البارزين وهما الدكتور « عبد العظيم انيس » والأستاذ « محمود أمين العالم » كان لهما الاسهام الأكبر فى تعريف التجمعات الشيوعية المصرية باهمية البعد القومى العربى .

« إن الوحدة العربية حقيقة نضالية مشروعة تستند على مقومات التاريخ المشترك ، والنضال المشترك ، والأرض المشتركة ، والتكوين النفسى المشترك ، واللغة الواحدة ، والتراث الخاص بها » . وفى الوقت الذى كان فيه الحزب الشيوعى السورى مصمما على أن القومية العربية هى مطامع طبقة بورجوازية نامية نحو أسواق جديدة - فإن الحزب الشيوعى المصرى كان يراها حركة وطنية معادية للاستعمار . لكن هذا الموقف المستقل للحزب الشيوعى المصرى لم يستطع أن يواصل انفرادة بالرؤية والتحليل ، فما لبث بعد قليل فى خريف سنة ١٩٥٨ أن وجد نفسه مضطرا إلى العودة للدخول فى نفس الموقع مع بقية الأحزاب الشيوعية العربية التى راحت تحت زعامة « خالد بكداش » تخوض حربها ضد دولة الوحدة .

كان « خالد بكداش » بعد أن هرب من سوريا عند إعلان الوحدة قد توجه إلى صوفيا ، ومن عاصمة بلغاريا ترددت نداءاته وبياناته ضد الجمهورية العربية المتحدة . وعندما وقعت الثورة فى العراق ، وبدأ الحزب الشيوعى السورى ينشط فى الساحة السياسية فى بغداد - توجه « خالد بكداش » إلى العاصمة العراقية ، وأعطته أجواء بغداد فى ذلك الوقت فرصا واسعة للعمل مالمبث أن استغلها هو ، واستغلها غيره . وكانت لعمليات الاستغلال هذه آثار واسعة وعميقة تتخطى بكثير قوة الحركة الشيوعية فى المنطقة ، وتأثيرها على الناس أو على الحوادث . فقد دفعت المنطقة مرة أخرى إلى مزلق خطيرة ، وأحدثت شرخا غائرا فى الوضع العربى العام .

الباب الرابع

مدافع حروب باردة!

« أسهل الاختيارات هو
موقف التبعية وأصعبها
موقف الاستقلال
موقف التبعية اختيار مريح
مرة واحدة طول العمر
وموقف الاستقلال اختيار
مرهق كل يوم إلى آخر
العمر »

الفصل الأول

قاسم وانقسام



كان « عبد الكريم قاسم » شخصية من أغرب الشخصيات التي ظهرت على مسرح السياسة العربية الحديثة . ولعل الأستاذ « صديق شنشل » ، لم يخطئ كثيراً عندما وصفه مبكراً في دمشق بأنه نصف مجنون . ولقد بدت تصرفاته منذ اللحظات الأولى مثيرة للجدل ، فقد شاع فيها نوع من الانقسام يصعب تحليله أو تعليقه . فمنذ اليوم الأول بدأ يشكو من أن هناك قوى تحاول أن تجره إلى وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، أو إلى اتحاد . والحقيقة أن أجواء بغداد كانت مفعمة بالانتظار بعد الثورة ، فقد كانت هناك جماهير عريضة تتمنى الوحدة ، وظهرت في مواجهتها دعوة تنادى إلى الاتحاد . ولم يكن « عبد الكريم قاسم » يريد أيّاً من الاتجاهين ، ولعل هذه هي النقطة الوحيدة التي شارك فيها « جمال عبد الناصر » الذي راح يرى أن نشوب معركة حامية في بغداد بين القائلين بالوحدة ، والقائلين بالاتحاد هو افتعال لمعركة وهمية ليس هناك ما يقتضيها الآن ، لأن هناك أولوية يجب أن تسبقها ، وهي تأكيد وحدة الثورة العراقية ، وتدعيم مسيرتها نحو أهدافها .

وبدا « عبد الكريم قاسم » وكأن كل ما يعنيه هو تدعيم سلطته الشخصية بحيث ينفرد وحده بالسلطة في العراق ، وقد اختار لنفسه في ذلك الوقت لقب « الزعيم الأوحد » ، وادى ذلك الوضع إلى مضاعفات سيئة على القمة العراقية . وبعث « جمال عبد الناصر » في ذلك الوقت برسالة إلى « عبد الكريم قاسم » ، يطمئنه فيها إلى أن

الجمهورية العربية المتحدة ليس لها حزب ، وليس لها رجال يحسبون عليها في بغداد ، وأن كل ما يهتمها هو تثبيت الحكم الوطنى في بغداد ، وتدعيم قوته . ورد « عبد الكريم قاسم » شفويا بما مؤداه أن مشكلته هى أن « عبد السلام عارف » ينسب الثورة لنفسه لأنه هو الذى قام بتنفيذها في بغداد في الوقت الذى كان هو (عبد الكريم قاسم) لا يزال بعد خارج العاصمة ، وأن كون « عبد السلام عارف » هو الذى قام بالتنفيذ لا ينفى حقيقة أنه هو (عبد الكريم قاسم) القائد الحقيقى للثورة .

وبعد أقل من شهرين اثنين من قيام الثورة ، أى في يوم ٥ سبتمبر ١٩٥٨ جرت حادثة تثير الدهشة في بغداد . كان مجلس الوزراء العراقى مجتمعاً ، وكان « عبد الكريم قاسم » يرأس اجتماعه وكان إلى جانبه « عبد السلام عارف » نائبه ونائب القائد العام للقوات المسلحة . وفي وسط الاجتماع استأذن « عبد الكريم قاسم » وخرج وغاب لمدة نصف ساعة ، ثم عاد إلى قاعة الاجتماع مرة أخرى ، واتصلت أعمال المجلس إلى منتصف الليل ، ثم انفض الاجتماع . وانصرف « عبد السلام عارف » مع غيره من أعضاء مجلس الوزراء متوجهاً إلى سيارته ، وإذا بسائق السيارة يسأله مندهشاً عما حدث « لأن إذاعة بغداد أعلنت قبل ساعة أنك أعفيت من منصب النائب العام للقوات المسلحة ؟ » وذهل « عبد السلام عارف » ولم يركب سيارته ، وإنما عاد إلى مبنى المجلس حيث وجد « عبد الكريم قاسم » يتحدث مع بعض الوزراء . وسأله « عبد السلام عارف » أمامهم جميعاً عن النبأ ، وإذا بـ « عبد الكريم قاسم » يبكى بالدموع ، ويقول لـ « عبد السلام عارف » إنه غلب على أمره ، وأن قواد الفرق الأربعة في الجيش العراقى اجتمعوا وقرروا ضرورة تخليه « عبد السلام عارف » ، وأنه هو (عبد الكريم قاسم) توسل إليهم لكي يعدلوا عن قرارهم ولكنهم صمموا عليه ، وتحت ضغطهم لم يكن أمامه مفر من أن يوافق ، ثم كان لابد أن يذاع النبأ ، وأن هذا كله حدث في الفترة التى خرج هو (عبد الكريم قاسم) فيها من الاجتماع ثم عاد إليه بعدها . وسأله عبد السلام عارف « لماذا لم يقل له بعد أن عاد إلى قاعة الاجتماع ولماذا لم يخطر المجلس بما حدث ؟ » وكان رد عبد الكريم قاسم « أن قلبه لم يطاوعه » .

ولم تمض غير أيام قليلة حتى طلب « قاسم » من « عارف » أن يغادر العراق إلى أوروبا لبعض الوقت « حتى يستطيع تهدئة الأمور » . وسافر « عبد السلام عارف » ثم عاد بعد أسبوع ، فإذا هو يعتقل في مطار بغداد ، ويوضع في السجن . وبدأ « عبد الكريم قاسم » بعدها يلمح في مجالسه إلى أن « عبد السلام عارف » كان يريد أن يفرض عليه أوضاعاً لا يريدها ، وأن لديه الوثائق التى تثبت ذلك . وذهب بعض الوزراء القوميين ، وفي مقدمتهم الأستاذ « صديق شنشل » يستفسرون من

« عبد الكريم قاسم » عن أسباب ما فعل ، وقال لهم إن السفير البريطاني السير « مايكل رايت » أبلغه خمس مرات « بأن يأخذ حذره من « عبد السلام عارف » . ثم إن « عبد القادر اسماعيل » زعيم الحزب الشيوعي العراقي ذكر له أيضا أن « عبد السلام عارف » يتآمر مع بعض الضباط على عزله ، والمناداة بوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة . بل إن بعض الوزراء من الجمهورية العربية المتحدة من العسكريين السوريين حذروه من أن المصير الذي يعد له هو أن « يصبح المواطن الثاني في الجمهورية العربية المتحدة ، كما أصبح « شكري القوتلي » المواطن الأول فيها »^(١) ، بل إنهم حذروه من المصير الذي « انتهوا هم أنفسهم إليه ، فقد وجدوا أنفسهم بعد الوحدة وزراء بلا قوة سياسية في حين أنهم كانوا وهم ضباط في الجيش أصحاب القوة السياسية كلها »^(٢) .

وعندما وصل هذا كله إلى القاهرة كان همها الأول ليس أن تدافع عن أحد ، وإنما أن تؤكد لعبد الكريم قاسم أن ما يفكر فيه هو أبعد الأشياء عن نواياها . ووقف « جمال عبد الناصر » في خطاب عام يقول : « إن عبد الكريم قاسم هو قائد ثورة العراق وزعيمها ، وإن القومية العربية ، والوحدة العربية يتحققان تماما بالتضامن المخلص والصادق » . لكن وساوس « عبد الكريم قاسم » ظلت تحكمه ، وكانت بالتأكيد تناسب مزاجه النفسى .



وذهب بعض الوزراء القوميين إلى « عبد الكريم قاسم » وقالوا له إن « جمال عبد الناصر » أعلن عن نواياه ، وأنه على وجه التأكيد لا يطلب ولا يريد وحدة لسنوات طويلة مع العراق . وقال « عبد الكريم قاسم » إن لديه وثيقة تثبت العكس ، وأبرز لهم من درج مكتبه ورقة تحوى برقية صحفية حاول صحفى أمريكى أن يبعث بها إلى جريدته في نيويورك . وكان النص العربى للبرقية يقول :

« يتزايد الشعور بالفزع هنا من احتمال قيام انقلاب او ثورة اخرى في العراق . وقد علمت من اوثق المصادر ان ناصر يؤيد الاتجاه المعارض لقاسم ، وقد أيدت المخابرات الأمريكية والبريطانية ذلك . وتملك سفارة الولايات المتحدة أدلة قاطعة على أن المصريين يساندون الثائر القديم « رشيد على الكيلانى »^(٣) بالمال والسلاح ضد قاسم »

(١) كان « شكري القوتلي » بعد زوال صفته الرئاسية بقيام دولة الوحدة قد منح لقب « المواطن الاول » في الجمهورية العربية المتحدة .

(٢) ذكر اللواء عبد الكريم قاسم اسم السيد أمين النفورى على انه الرجل الذى تطوع له بهذه النصيحة .

(٣) كان من أبرز زعماء العراق في العصر الحديث ، وقد تولى رئاسة الوزارة أكثر من مرة ، وقاد ثورة سنة ١٩٤١ في العراق . وكانت ثورة ١٤ يوليو في العراق بعد قيامها قد اعتبرت بطلا قوميا ، ومنحته ارفع الأوسمة .

ثم مضت البرقية على هذا النحو .

وفوجيء الذين كانوا يتحدثون مع « قاسم » بهذا الدليل الواهي ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وقال أحدهم لـ « قاسم » إنه « من الواضح أن هذه البرقية موحى بها من السفارة البريطانية ، أو السفارة الأمريكية ، أو أنها على وجه التأكيد موجهة لأعصابه أكثر مما هي موجهة إلى قراء صحيفة هذا المراسل في نيويورك » . ثم كانت مفاجأتهم أكثر عندما علموا من « عبد الكريم قاسم » أنه بناء عليها أصدر أمرا بالقبض على « رشيد على الكيلاني » . وعندما تبدت دهشتهم قال لهم « قاسم » إن لديه ما هو أكثر ، فلقد جاءه السفير البريطاني السير « مايكل رايت »^(٤) في الساعة الثانية صباح اليوم (٦ ديسمبر ١٩٥٨) وقابله في وزارة الدفاع ، وأبلغه برسالة عاجلة من لندن نصها : « إن المخابرات البريطانية وصلتها معلومات تؤكد أن رشيد على الكيلاني يدبر لانقلاب ، وأنه يتصل ببعض الضباط في الجيش ، وأن مالا وسلاحا قد وُضعا تحت تصرفه ليقوم بانقلاب يفتح الطريق لانضمام العراق في وحدة ، أو اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة » .

وكانت الدهشة تستبد بالجالسين معه ، ولم يجد ما يقوله سوى أن يعلق بقوله : « لقد تبين لي أن ما يسمى بثورة رشيد على الكيلاني كان خيانة كبرى لمصلحة الاستعماريين والصهاينة » . واحتد أحد الوزراء ، وقال لـ « عبد الكريم قاسم » إنه « يستهول صدور هذا الكلام منه عن رشيد على الكيلاني ، وإذا كانت ثورة رشيد على الكيلاني التي حاربت الانجليز عميلة للاستعمار ، فماذا نقول عن أحوالنا الراهنة ، ونحن حتى الآن لم نخرج من حلف بغداد ، ولا استطعنا إخراج الانجليز من قاعدة الحبانية . ثم تستمع أنت الآن لدسائس السفير البريطاني مايكل رايت الذي كان موجودا في العصر الملكي » . ورد « عبد الكريم قاسم » بأن السير « مايكل رايت » سوف يغادر العراق قريبا ، وقد عرض عليه عند لقائه أمس اسم السفير المرشح لكي يخلفه ، وهو السير « همفري تريفيليان » (الذي كان سفيرا لبريطانيا في مصر حتى معركة السويس) وهذا معناه أن الانجليز يراقبون النشاط المصري ، ويتوقعون منه شرا في العراق .



وعندما وصل هذا كله إلى القاهرة دعا « جمال عبد الناصر » سفير العراق في

(٤) تقارير السفير المصري في بغداد السيد « أمين هويدي » حافلة بالوقائع والتفاصيل ، وكذلك تقارير السيد « عبد المجيد فريد » الملحق العسكري في بغداد يومئذ ، والجزء الأكبر من أصول هذه التقارير موجود الآن في جهة واحدة ، وهي أرشيف هيئة المخابرات العامة

القاهرة السيد « فائق السامرائي » إلى مقابلته ، وأبلغه رسالة^(٥) منه طلب إليه أن يبعث بها إلى « عبد الكريم قاسم » . وكان مضمونها « أن هناك محاولة لخلق خلاف لا مبرر له بين جمهورية العراق ، والجمهورية العربية المتحدة ، وهي في الحقيقة عملية مقصود بها عزل العراق . وأن الرئيس جمال عبد الناصر لا يستطيع أن يراقب ما يجري الآن ويكتفى بمتابعته والسكوت عليه ، وأنه يفكر طويلا فيما يمكن عمله ، وهو لا يجد وسيلة غير أن يحاول بنفسه لقاء الرئيس عبد الكريم قاسم ليحدثه بكل ما في قلبه . والرئيس على استعداد لأن يذهب إلى بغداد إذا أراد عبد الكريم قاسم ذلك . وهو على استعداد للقاءه ووالترحيب به في دمشق أو القاهرة إذا رغب في ذلك ، وستكون فرصة له أن يلمس بنفسه تقديرنا له ، واعتزازنا بثورة العراق . وإذا لم يكن يريد إتمام الاجتماع في بغداد ، أو في دمشق ، أو في القاهرة ، فليكن اللقاء في أي بقعة يختارها على الحدود العراقية السورية » . ولم يتلق « فائق السامرائي » ردا على الرسالة ، وإن كانت التطورات في العراق قد بدأت تتكفل بتقديم الرد .

بدأت حملات اعتقالات واسعة بين الضباط العراقيين ، فقد اعتقل كل هؤلاء الذين عرفت عنهم توجهاتهم العربية الخالصة ، وبينهم معظم الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ١٤ يوليو ، كما جرت اعتقالات لأعداد كبيرة من المدنيين المهتمين بالشؤون العامة ، وبينهم أعضاء كثيرون من حزب البعث العربي الاشتراكي . وجرت استقالات بالجملة من الوزراء القوميين ، وبينهم الأستاذ « صديق شنشل » وزير الارشاد ، والسيد « ناجي طالب » وزير الشؤون الاجتماعية ، والدكتور « عبد الجبار جومرد » وزير الخارجية ، والسيد « بابا علي الشيخ محمود » وزير المواصلات والأشغال ، والدكتور « محمد صالح محمود » وزير الصحة ، والأستاذ « حسين جميل » . ثم لحق بهم في تقديم استقالته السيد « فائق السامرائي » سفير العراق في القاهرة .

ثم أعلن « عبد الكريم قاسم » ذات صباح أن الثورة في خطر ، وأنه يرى تأليف جيش للمقاومة الشعبية يتولى حمايتها . وكان هذا يخلق وضعاً خطيراً لأنه ينطوي على تشكيك في الجيش ، وبالفعل فإن عددا من الضباط توجهوا إلى مقابلة « عبد الكريم قاسم » وشرحوا له محاذير وجود جيش شعبي مسلح في مواجهة جيش وطني منظم .

(٥) كتب السيد فائق السامرائي خطابا لعبد الكريم قاسم يتضمن رسالة جمال عبد الناصر ، وبعث بنسخة منه إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر لكي يتأكد من أنها موافقة تماما لما سمع ، والنص هنا منقول عنها ، وأصله موجود في أرشيف منشية البكري في ملف يحمل عنوانه « السيد فائق السامرائي - مراسلات شؤون عربية - رقم ٣١٤٥ ب »

وبدا واضحا من تعاقب الحوادث أن الحزب الشيوعي الذي استطاع اختراق الجيش بتجنيد أعداد محدودة من الضباط قد وجد فرصته في الجيش الشعبي ، حتى وصل إلى السيطرة شبه الكاملة عليه .

وراح الجيش الشعبي يرتكب حماقات وجرائم لا حدود لها ، فقد أعطى نفسه حق القبض على الناس ، وحق تفتيش البيوت والمكاتب ، وحق عقد المحاكمات الشعبية على الآراء والأقوال ، حتى وإن كانت في مجالس خاصة . وقد وصف السيد « فائق السامرائي » في كتاب استقالته أحوال العراق بقوله في نصها « إن ما يجري في العراق لا يمكن إلا أن يكون تمهيدا لإعلان حكم شيوعي مطلق ، وأنه يريد أن يكون سفيراً لحكومة تحترم نفسها ويحترمها الناس ، ويرفض أن يكون سفيراً لعصابة حمراء في طريقها إلى السيطرة على العراق » .



كان كل ما استطاعت دسائس الغرب وسفراؤه في بغداد تحقيقه في العراق هو دفع « عبد الكريم قاسم » إلى أحضان الأحزاب الشيوعية . ويبدو أن ذلك لم يكن يهمهم في قليل أو كثير ، لأن العدو الرئيسي كان لا يزال متمثلاً في الحركة القومية العربية التي يمكن أن تشكل في الشرق الأوسط حاجزا قويا ضد مطامع السيطرة الغربية .

وابتداء من أواخر ١٩٥٨ بدأ « جمال عبد الناصر » يلمح في خطابه العننية إلى مخاطر سيطرة الشيوعيين على بغداد ، ويرى فيها تهديدا على الفكرة العربية لا يخدم غير مصالح الاستعمار . ولفتت هذه المواقف نظر « ايزنهاور » فيما يبدو ، فقد كتب في يومياته يوم ١٢ ديسمبر يقول .

« يبدو أن الأمور تتوتر بين ناصر وبين الشيوعيين ، ولكنني اتساءل عما إذا كان يملك حرية وقدرة التصرف على مواجهة عملاء الاتحاد السوفيتي ، بنفس الدرجة من القوة التي حارب بها أصدقاءنا في المنطقة . ليس إمامنا غير أن ننتظر لنرى » .

ثم ظهرت مخاوف « ايزنهاور » من الوضع في الشرق الأوسط عموما بطريقة أوضح عندما بدأ يتلقى التقارير عن تغلغل الشيوعيين في بغداد . ثم أقلقه أن زعماء حزب « تودة » (الحزب الشيوعي الإيراني) بدأوا يظهرون في العاصمة العراقية جنبا إلى جنب مع زعماء الأحزاب الشيوعية العربية ، وعلى رأسهم جميعا « خالد بكداش » . ثم تزايد شعوره بالقلق على إيران .

وقرر « ايزنهاور » أن يبعث بـ « ويليام راونتري » مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط إلى المنطقة لكي يتحرى الأمور على الطبيعة . وسافر

« راونترى » وعاد ليشترك في اجتماع لمجلس الأمن القومى ، ثم يقابل الرئيس « ايزنهاور » بعد الاجتماع في الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق صباح يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ ، وقد حضر مقابلته مع الرئيس كل من نائب الرئيس « ريتشارد نيكسون » ووزير الخارجية الجديد « كريستيان هيرتر »^(٦) . وتحتوى مجموعة أوراق « ايزنهاور » على مذكرة^(٧) عن هذا الاجتماع وقع عليها الميجور « جون ايزنهاور » ابن الرئيس « ايزنهاور » وكان قد انتدبه للعمل في مكتبه في البيت الأبيض . وقد جاء فيها بالنص :

« قال المستر راونترى إنه احتفظ ببعض تفاصيل اجتماعه مع ناصر ، ولم يعرضها في الاجتماع العام لمجلس الأمن القومى بسبب دقة التفاصيل . وبصفة عامة فإن حديثه مع ناصر كان مشجعا ، وقد برز فيه ما يلي :

(أ) إن ناصر يبدى قلقا حقيقيا إزاء التغلغل الشيوعى في الشرق الأوسط .

(ب) إن ناصر قضى جزءا طويلا من المقابلة في شرح اخطاء الولايات المتحدة في التعامل مع الشرق الأوسط .

(جـ) إن ناصر كان شديد التأثير باستجابتنا السريعة لما طلبه من الحبوب بموجب القانون ٤٨٠ ، وقد أبدى تقديره بحقيقة أن وزارة الخارجية ابلغته بالموافقة على طلبه خلال اربع وعشرين ساعة من تقديمه .

(د) إن ناصر قرر العمل في العراق ، فهو يرفض النفوذ الشيوعى المتزايد على قاسم ، ويدهشه أن قاسم يرفض الالتقاء به .

(هـ) يعتقد المستر راونترى بأن في وسعنا الاطمئنان إلى أن ناصر قادر على مواجهة التغلغل الشيوعى في العراق ، وقد استشهد برأى سمعه من السفير الأمريكى ريموند هير في القاهرة يفيد أن حرص ناصر على عدم الانحياز في توجهاته القومية العربية ، واعتزازه باستقلالها يجعل منه قوة قادرة على الوقوف في وجه السيطرة الشيوعية في العراق ، ولكن ناصر سوف يحاذر في اندفاعه لأنه لا يزال يرى الخطر الأكبر على القومية العربية من المصدر الاسرائيلى .

وعندئذ قال الرئيس (ايزنهاور) « هل يعنى ذلك أن ناصر يريد منا أن ندفع له على حساب إسرائيل ثمنا لمقاومته للشيوعية في العراق ؟ » واعترف المستر راونترى بأنه أشار إلى هذا عدة مرات باعتباره مشكلة خطيرة ، ولكنه كان ينحى الموضوع جانبا دون أن يوصى بإجراء معين .

(٦) كان « جون فوستر دالاس » قد تعلل بسوء حالته الصحية وقدم استقالته ، وقبلها الرئيس « ايزنهاور » قبل ذلك بعدة اسابيع . والحقيقة أنه استقال بسبب فشل كل سياساته في الشرق الأوسط .

(٧) مذكرة عن مقابلة « ويليام راونترى » مع الرئيس بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ وهى بنوقيع الميجور « جون ايزنهاور » .

وابدى الرئيس رابا ملخصه (فقرة محذوفة) . وعلى اى حال فإن فى وسع ناصر أن يتصدى للشيوعيين بأفضل مما تستطيع الولايات المتحدة . وابدى مخاوفه من أن يطلب ناصر منا أن نتخذ مواقف معادية لإسرائيل .

..... (فقرة محذوفة) .

ثم عاد المستر راونترى إلى موضوع العراق ، وقال إن احتمالات الوحدة بينه وبين الجمهورية العربية المتحدة غير واردة ، وفى رأيه أن لدى ناصر من المشكلات ما يكفى فى سوريا . ثم أشار إلى أن هناك ثلاث مجموعات رئيسية فى العراق هى : الشيوعيون - القوميون الممالئون لقاسم - وثالثا القوميون الذين يريدون الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

وقال المستر راونترى إن جهد المجموعات القومية هو الذى يستطيع أن يقاوم التغلغل الشيوعى (عبارة محذوفة) . وقد توجه نائب الرئيس (نيكسون) بسؤال إلى المستر راونترى عما إذا كان يمكن التوفيق بين ناصر وبورقيبة ؟ ورد راونترى على هذا بقوله . « إن ناصر مقتنع اقتناعا كاملا بأن بورقيبة يعمل لحسابنا ، وإننا طلبنا منه دخول الجامعة العربية لكى يقوم بمهمة إغراق السفينة ، ولا أظن أن ناصر مستعد لأن يتزحزح عن رأيه . »



وفى شهر فبراير ١٩٥٩ انعقد فى موسكو المؤتمر الواحد والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى ، ودعيت كل الأحزاب الشيوعية العربية إلى المشاركة فى احتفالات المؤتمر ، وكان ذلك شيئا مألوفا ، ولكن الذى بدا خارجا عن المألوف هو أن زعماء الأحزاب الشيوعية العرب ، وعلى رأسهم « خالد بكداش » أعطوا أماكن متميزة فى قاعة المؤتمر ، كما تهيات لهم الفرصة لكى يلقوا بخطابات من على منصاته جاءت حافلة بالهجوم على الجمهورية العربية المتحدة لأنها تحل الأحزاب الشيوعية العربية كتنظيمات ، كما أنها تعادى الشيوعية كعقيدة ، وإلى جانب ذلك ، فإنها تطاردهم إلى داخل العراق ، وتحرض عليهم وتحاصر نشاطهم الديمقراطى ، وأن هذا كله يضع حكامها فى صف « الفاشست » و « الهتلريين » . كذلك بدا غير مألوف أن الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » دعا « خالد بكداش » إلى الوقوف بجواره على منصة

المؤتمر حيث التقطت لهما صور تذكارية نشرت إحداها بجريدة « برافدا » . وكان معنى هذا بوضوح في القاهرة ودمشق أن القيادة السوفيتية ممثلة في « خروشوف » قد وجدت أن الفرصة مناسبة لكي تقف علنا مع الشيوعيين العرب .

ولم تكن هذه مفاجأة كاملة ، فقد بدا للقاهرة ودمشق من الأيام المبكرة لثورة العراق أن القيادة السوفيتية تتصور - بكل هذا الحشد من الشيوعيين العرب الذين تسابقوا إلى بغداد بعد الثورة - أن أمامها في العراق جائزة كبرى تستطيع أن تحصل عليها ، وأن تعوض بها ما فاتتها تحقيقه في مواقع أخرى من قبل .

ويبدو أن الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » كان يقدر أن احتياج الجمهورية العربية المتحدة للسلاح السوفيتي ، ولتمويل السد العالي سوف يكون قيذا على حركتها . وأضيف إلى ذلك أيضا أن القاهرة كانت قد وضعت لنفسها برنامجا نوويا طويل المدى ، وكانت الخطوة الأولى فيه هي إقامة مفاعل نووي . وقد فوَّح الاتحاد السوفيتي في إمكانية بيعه إلى مصر ، وأبدى استعدادا طيبا لبحث الموضوع . ومن مجمل هذه العوامل قدر « خروشوف » أنه يستطيع أن يعطى تشجيعه العلني للشيوعيين العرب مطمئنا إلى وجود موانع موضوعية، تمسك بأية محاولة للرد على تشجيعه .

وكان « جمال عبد الناصر » قد أحس مبكرا أن « خروشوف » يتحفز إلى تأييد الشيوعيين العرب ، خصوصا وأن عددا من الأحزاب الشيوعية خاصة في الصين والبنان ، كانت تتهمه بأنه يقف مع البورجوازية العربية ضد الطبقة الكادحة العربية ، بسبب مطالب الاتحاد السوفيتي باعتباره واحدة من القوتين الأعظم ، بصرف النظر عن العقائد وأصحابها . وكان الموقف الذي يستغل ضده باستمرار هو تخليه عن الشيوعيين العرب .

وعندما كان « جمال عبد الناصر » يقوم بزيارته الرسمية لموسكو في أبريل ١٩٥٨ فإنه من جانبه فتح هذا الموضوع مع « خروشوف » وكان يشعر أنه في حاجة إلى شرح وجهة نظره إلى القيادة السوفيتية بعد كل ما جرى في سوريا . وفي ذلك الوقت حاول « خروشوف » مناقشة مواقف الشيوعيين العرب ، ولكنه في النهاية أبدى تفهمه ، خصوصا عندما قال له « جمال عبد الناصر » إن المحتوى الحضاري لفكرة القومية العربية هو محتوى إسلامي ، كما أن الشعوب العربية متمسكة بأديانها ، وأن أية دعاوى تتجه إلى الالحاد لا مستقبل لها على الإطلاق في العالم العربي .

وفي شهر سبتمبر ١٩٥٨ وكان السيد « محيي الدينوف » عضو المكتب السياسي يقوم بزيارة لمصر ، وكان الخلاف مع الشيوعيين قد بدأ مع محاولتهم لبسط نفوذهم في

بغداد والانتها بالسيطرة عليها - أعاد « جمال عبد الناصر » شرح موقفه ، وقال إنه يخشى أن يؤدي ذلك إلى الاساءة للعلاقات العربية السوفيتية ، وأنه يتمنى لو استطاع الطرفان بحكمة أن يتجنبا التورط في نزاع لن يستفيد منه غير الاستعمار .

وبعد عودة « محيي الدينوف » بأيام إلى موسكو تلقى « جمال عبد الناصر » خطابا شخصيا من « نيكيتا خروشوف » كان نصه^(٨) كما يلي :

« عزيزى الرئيس جمال :

استمعت توا بكثير من الارتياح إلى الرفيق محيي الدينوف الذى حدثنا عن زيارته لمصر وعن محادثاته معكم ، ومع المشير عامر ، وغيره من أصدقائكم . ومن الواضح أن الرفيق محيي الدينوف مفتون بكم ، فلم يعد له من حديث إلا عن الجمهورية العربية المتحدة ، وقد تأثر إلى أبعد حد بكل ما رآه وسمعه في بلدكم .

واعترف باننى كنت أستمع إليه بسرور بالغ ، وبشئ من الحسد وهو حسد مفهوم بطبيعة الحال ، فإن ظروفى لم تسمح لى للأسف بزيارتكم قبل محيي الدينوف . ثم خطرت لى فكرة أود أن أعرضها عليك . ليس الوقت الحالى مناسباً لكم للوفاء بوعدهم بالحصول على فترة من الراحة على شاطئ البحر الأسود سواء في القرم ، أو على ساحل القوقاز ؟ إذا كان ذلك يناسبك الآن ، فسيكون من دواعى سعادتى أن ألك ، وأن نقضى فترة الراحة معا . ففى عزمى أن أنتقل هذه الأيام من القرم إلى الساحل في القوقاز حيث الجو أكثر دفئا . فإذا رغبت في ذلك وسمحت ظروفك ، فأنى ادعوك للحضور إلينا مع أسرته وأصدقائك ، وجميع من تريد أن يحضروا معكم . وقد لاحظ محيي الدينوف الذى يكن لكم مشاعر الصداقة الأخوية انكم تعملون بلا هوادة غير مبالين بصحتكم ، وانكم في أشد الحاجة إلى الراحة . إن كل من يعمل بإخلاص يحتاج إلى الراحة ويستحقها . وانت كسبت الحق في هذه الراحة بشرف .

وإنى أسمح لنفسى بأن أتوجه إليكم الآن بهذا الاقتراح لأنى عندما تحدثت معكم آخر مرة ، ودعوتكم لقضاء فترة من الراحة مع أسرته في بلدنا كانت إجابتكم أن الوضع ملتهب بدرجة تجعل من غير المستصوب أن تغادروا بلدكم . وكانت الاعتبارات التى رأيتموها صحيحة في ذلك الحين . أما الآن فلم يعد لتلك الاعتبارات وجود ، وهو أمر يسعدنا جميعا . فالامبراليون أعداء السلام قد منوا بهزيمة جديدة في الشرق الأدنى ، وكان عليهم أن يبتلعوا دواء مرأ تمثل في ثورة العراق التى ترتب عليها اتساع جبهة التحرر الوطنى المناهضة للامبريالية والاستعمار .

وفي تقديرنا أن الوضع الدولى يتطور الآن لصالح البلدان المناضلة من أجل السلام والاستقلال الوطنى ، وذلك من دواعى غبطتنا وغبطتكم .

(٨) النص الكامل للخطاب موجود في أرشيف منشية البكرى في الجزء الثالث من مجموعة ملفات مكونة من ثمانية أجزاء عنوانها « مراسلات مع القادة السوفيت » وقد أرسلت نسخة من هذا الخطاب إلى كل من وزارة الخارجية ، والقيادة العامة للقوات المسلحة .

ولن أثقل عليك بالحديث في هذه المسائل تفصيلا ، وإن كنت أمل أن التقى بك في المستقبل القريب ، كى نتحدث في جميع القضايا التى نرى مناقشتها ومن الواضح أن لديك الكثير منها ، كما أن لدينا من ناحيتنا ما نود أن نناقشه معك

وارجو أن تتقبل الشكر الصادق على الاستقبال الودى الحار الذى لقيه مبعوثنا محبى الدينوف منكم شخصيا ، ومن رجال دولتكم ، واسمح لى أيضا أن أعبر عن الامتنان القلبى للتمنيات الطيبة والتحيات التى بعثتم بها عن طريق الرفيق محبى الدينوف لشخصى ، ولزملائى ، وللشعب السوفيتى .

وإنى لأشد على يدك - مع فائق الاحترام .

نيكىتا خروشوف «

وأدرك « جمال عبد الناصر » من العبارات الأخيرة في هذا الخطاب أن موضوع الشيوعيين العرب يلح على « خروشوف » وأن هذا الموضوع بالذات هو الموضوع الذى يود خروشوف أن يناقشه معه ، كما ورد في هذه الفقرة من خطابه .

وفي شهر أكتوبر كان « عبد الحكيم عامر » على موعد لزيارة موسكو لبحث المرحلة الأولى من السد العالى ، ولجس النبض في احتمال حصول مصر على مفاعل نووى من الاتحاد السوفيتى ، كما أنه كانت هناك صفقة أسلحة متطورة جديدة لأبد من التفاوض عليها . وحمل « عبد الحكيم عامر » معه إلى موسكو ردا من « جمال عبد الناصر » على خطاب « خروشوف » جاء فيه قول « جمال عبد الناصر » إنه « في الوقت الراهن لا يستطيع السفر خارج الجمهورية العربية المتحدة ، وأنه يسعده أن يعزز له دعوته السابقة لزيارة مصر ، وأن جو مصر في هذه الفترة أكثر دفئا من سواحل القوقاز » . وعاد « عبد الحكيم عامر » من موسكو ، وقد أجيب إلى كل ما طلب ، وحمله « خروشوف » خطابا مكتوبا منه إلى « جمال عبد الناصر » قال في الفقرة الأخيرة منه : « إنى أقبل مع عظيم الامتنان دعوتكم ، وأود صادقا أن أقوم بهذه الرحلة في المستقبل القريب إلا أن اقتراب موعد المؤتمر الواحد والعشرين للحزب يمنعنى من تحقيق هذه الرغبة في الوقت الحاضر » .

ورد « جمال عبد الناصر » على خطاب « خروشوف » بخطاب كتب مسودته بخط يده^(٩) .



وجاء المؤتمر الواحد والعشرون للحزب ، وبدأت الوفود المدعوة تصل إلى

(٩) صورة من مسودة الخطاب بخط « جمال عبد الناصر » منشورة في الملحق الوثائقى لهذا الكتاب صفحة ٨٦٢ تحت رقم ٣٠ .

موسكو ، وفي مقدمتها الأحزاب الشيوعية العربية . وكالعادة ، فإن عددا من زعماء هذه الوفود كتبوا - ونشرت لهم صحيفة « برافدا » وغيرها مقالات في تهينة الحزب السوفيتي بمؤتمره الواحد والعشرين . وكان « خالد بكداش » واحدا من الذين نشرت الصحف السوفيتية مقالاتهم ، ولوحظ أن مقال « بكداش » تضمن تعريضا بالجمهورية العربية المتحدة ، وبسياساتها في معاداة الشيوعية ، وأن هذا في رايه عداء للديمقراطية نفسها ، وللتقدم الاجتماعي . ثم تناثرت في بعض الصحف السوفيتية تعليقات على كتابات الشيوعيين العرب ، وكلها تؤيد وجهة نظرهم ، وتطالب بفتح الطريق أمامهم لكي يمارسوا نشاطهم الديمقراطي والاجتماعي بغير قيود .

وقبل انعقاد المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي بيومين ، كان السفير السوفيتي في القاهرة « ديمتري كيسيليف » على موعد مع الرئيس « جمال عبد الناصر » لكي يستأذنه في السفر إلى موسكو لحضور المؤتمر بوصفه عضوا في مجلس السوفيت الأعلى . وانتهز « جمال عبد الناصر » هذه الفرصة لكي يتحدث إلى السفير بأقصى قدر من الصراحة طالبا منه أن ينقل كلامه إلى « خروشوف » ، وقال « جمال عبد الناصر » (١٠) :

« إنني أثرت أن أتحدث إليك شفويا ولا اضع ما سوف أقوله لك على ورق في خطاب مكتوب للرئيس خروشوف ، لأن الموضوع الذي أريد أن اكلمك فيه حساس ، وأنا أريد علاجه بغير الطريق الرسمي . إنني والحكومة في الجمهورية العربية المتحدة نشعر بالقلق إزاء بعض الظواهر التي تتبدى في علاقاتنا هذه الأيام . فالمقالات التي يكتبها خالد بكداش وأمثاله لا تهمنا ، فقد كانوا ينشرون مثلها واسوا في الصحف العراقية ، وفي صحيفة الحزب الشيوعي اللبناني في بيروت ولكن ظهور هذه المقالات الآن في الصحف السوفيتية ، وبينها صحيفة « برافدا » وهي الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي السوفيتي يثير لدينا شكوكا نفضل أن نطرحها عليكم مباشرة ، خصوصا وأن الأمر لم يقتصر على كتابات الشيوعيين العرب ، وإنما أضيفت إليه تعليقات صدرت عن الصحف السوفيتية ذاتها . وأنا لست مستعدا أن أقبل مقولة إن الصحافة عندكم حرة تنشر ما تشاء ، فانا أعرف من واقع الحال أن الأمور على عكس ذلك ، وأن ما يصدر في الصحف السوفيتية لا يمكن أن يتم إلا بموافقة سياسية رسمية ، وتعبيرا عن اتجاهاتها . لقد كنا نرفض مثل هذا من الغرب ، وحتى عندما كانوا يتعللون أماننا بحرية الصحافة فقد كنا لا نقبل

(١٠) طلب الرئيس قبل اجتماعه بالسفير تسجيل وقائعه ، وكان يطلب ذلك في بعض المقابلات الهامة التي لا يشترك فيها غيره ويكون من الضروري حفظ تفاصيلها لسجلات الدولة ، وقد جرى تفريغ هذا الشريط الذي تحدث فيه « جمال عبد الناصر » إلى « كيسيليف » باللغة الإنجليزية ، ووضع أصل التفريغ ضمن الملف الثالث من « مراسلات مع القادة السوفيت » في أرشيف منشية البكري ، وقد أرسلت نسخ منه إلى القيادة العامة للقوات المسلحة

دعائهم رغم أننا نعرف أن صحافتهم بالفعل لا تخضع بالضرورة ، أو بالكامل لمؤثرات الدولة في بلادهم . وإذا صدقت ما ينشر في الصحف السوفيتية ، وليس أمامي غير أن اصدق ، فهذا معناه أن الاتحاد السوفيتي يغير سياسته الآن تجاه حركة التحرر الوطني . وأكثر من ذلك فإنه يتدخل في صميم أمورنا الداخلية .

وقد نكون مفرطين في الحساسية ، وقد يكون هذا صحيحا ، فنحن بلاد لم تحصل على استقلالها إلا منذ سنوات معدودات ، وغيرتنا على هذا الاستقلال تجعلنا أحيانا مفرطين في سوء الظن بأى كلمة نعتبرها ماسة به . ولهذا فانا أخشى أن نجد أنفسنا مضطرين لأن نستنتج مما نقرا ما يلزم استنتاجه ، وهذا بدوره سوف يؤدي إلى ردود من جانبنا . وإذا كنتم تتصورون أن حاجتنا إلى السلاح ، ورغبتنا في بناء السد العالي سوف تمنعنا من الرد ، فإنكم تقعون في خطأ كبير . ولو أن تلك طبيعتنا لما كان هناك داع لكل هذه المعارك التي دخلناها ضد القوى الاستعمارية والأمبريالية . فنحن لم ندخل هذه المعارك لأننا نكن لهم كراهية خاصة ، وإنما دخلناها لأننا نحب استقلالنا وحريتنا . وإذا بدأت ردود الأفعال من جانبنا ، ثم توالى من جانبكم ، فلست أعرف إلى أين تصل الأمور ؟ »

كان « كيسيليف » يكتب ما يسمع ، ولم يقل شيئا غير إنه سوف ينقل ما سمع كاملا ، وأميننا إلى « خروشوف » .



وبعد يومين اتصل مستشار السفارة السوفيتية بمكتب الرئيس ، وأبلغ أن لديه رسالة مكتوبة من « خروشوف » إلى « جمال عبد الناصر » . ودعى مستشار السفارة لمقابلة السيد « على صبرى » وسلمه رسالة « خروشوف » باللغة الروسية ، ومعها ترجمة غير رسمية باللغة العربية ، وكان نصها كما يلي^(١١) :

« عزيزى السيد الرئيس

فهنا من حديثكم مع السفير السوفيتي قبل سفره إلى موسكو ، ومن غيره من الأحاديث ، بالإضافة إلى ما تنشره صحف الجمهورية العربية المتحدة ، أن الأحداث المعروفة التى وقعت مؤخرا أدت إلى قلق حكومة الجمهورية العربية المتحدة وقلقكم شخصا ، بشأن احتمالات تطور العلاقات بين بلدينا . كما أثرت تساؤلات عن موقف الاتحاد السوفيتي من حركة التحرر الوطني العربية ، وهل لم يطرأ عليه تغيير . وفي رأينا أنه يجب أن يكون هناك وضوح كامل بيننا بشأن هذه المسائل الهامة .

(١١) اصل الرسالة باللغة الروسية ، وترجمتها غير الرسمية باللغة العربية في أرشيف منشية البكرى ضمن الملف الثالث من « مراسلات مع القادة السوفيت » . وقد أثرت نشر نصها كاملا في متن الكتاب ، وليس ضمن ملاحقه الوثائقية لأنها ترسم الصورة كاملة ، وتملا ثغرات كثيرة من اسباب الخلاف العربى - السوفيتي .

تعرفون يا سيادة الرئيس انه قد قامت بين دولتنا علاقات طيبة ، وكان لذلك دوره الكبير في الدفاع عن سلم بلدان الشرق وامنها . حدث ذلك مثلا في ايام السويس ، وفي الايام التي كانوا يعدون فيها للعدوان على سوريا . ففى وقتها تحرك بلدانا معا لصد الهجوم المشترك من جانب قوى المستعمرين على حرية الشعوب العربية ، تلك الحرية التي احرزتها بالكثير من الجهود والتضحيات . كما ان التعاون الوثيق بيننا ساعد على تقويض الوضع الاحتكارى الذى طال عليه الامد لرؤوس الاموال الاجنبية في الحياة الاقتصادية لبلدان الشرق الاوسط . ونحن نشعر باغتياب صادق للنهضة التي يشهدها الاقتصاد الوطنى لهذه البلدان .

وقد قام هذا التعاون المثمر رغم اننا نعتنق ، كما يعرف الجميع ، آراء ايدىولوجية مختلفة . وعندما كنا نناقش المسائل المشتركة التي تجمع بيننا في النضال من اجل السلم ، وضد قوى الامبريالية والاستعمار ، كان من الطبيعى ان نسعى في الاتحاد السوفيتى الى عدم التركيز على الخلافات الايدىولوجية القائمة . لكنكم رايتم في بورسعيد ان هناك ضرورة لابداء رأيكم في هذه المسائل ايضا . والزمن ذلك بان نعبر عن رأينا داخل مؤتمر حزبنا . ومن الواضح ان كلا منا بقى على رايه ، وليس في ذلك شىء غير متوقع .

وقد كانت الخلافات الايدىولوجية قائمة بيننا من قبل ايضا . ومع ذلك استطاع بلدانا ان يتعاوننا بنجاح ، على نحو ما نتعاون الآن مع بلدان كثيرة اخرى يختلف نظامها الاجتماعى عن نظامنا . وإذا نظر المرء الى الوضع الحالى نظرة واقعية ، فمن السهل ان يرى ان من يعادون قيام العلاقات الودية بين الاتحاد السوفيتى ، والجمهورية العربية المتحدة يريدون الآن ان يستغلوا خلافاتنا الايدىولوجية . فاعدائنا المشتركون من المستعمرين يبحثون عن اى ثغرة ينفذون منها لدق اسفين بيننا ، ولافساد ما بيننا من علاقات طيبة .

ونحن نزيح جانبا كل ما تبغنا به الدول الغربية من افتراءات ضد حكومة الجمهورية المتحدة ، واود ان اخبرك يا سيادة الرئيس مخلصا ، ان هذه الدسائس من جانب الامبرياليين لا يمكن ان تؤثر علينا او تغير موقفنا الودى من الجمهورية العربية المتحدة ، وان الدول الغربية لن تنجح في العثور على تلك الثغرات في ناحيتنا . ولذا فإنهم يبحثون عنها ، وسيستمرون في البحث عنها ، في الصحافة في المقام الاول ، خاصة وانهم يرون انكم فتحت لهم الباب في ميدان الكفاح ضد « الشيوعية الدولية » . ولكننا نود ان ندع هذه المسألة جانبا ، فالجميع يعرفون جيدا ان الكفاح ضد الشيوعية دائر منذ مائة عام ، ولا شك في انكم تعرفون اية نتائج حققها هذا الكفاح حتى الآن . ولكنى على اى حال لست بحاجة إلى الافاضة في هذا الموضوع .

ولما كنت اعرفكم كقائد سياسى منذ سنوات طويلة ، فإنى اعرب عن الامل في الاينجج الامبرياليون في العثور على تلك الثغرة في ناحيتكم ايضا ، لكيلا يحبطوا وحدة شعوب بلدينا في النضال ضد الاستعمار . وهل هناك اى اساس لان يقال إن

الجمهورية العربية المتحدة ، وغيرها من الدول العربية ، لم تعد تتعرض للخطر من جانب الدول الامبريالية التي تعمل اليوم ، كما كانت تفعل في الماضي ، على شحذ خناجرها للجهاز على حرية البلاد العربية واستقلالها ؟

هل يمكن تصور أن مهمة النهوض باقتصاد تلك الدول ، وهي مهمة صعبة ، والقضاء على الآثار المفزعة للاستعمار ، قد انجزت ، وأصبحت من ذكريات الماضي ؟ هل يمكن القول بأنه لم تعد هناك الآن ضرورة لوحدة القوى المناهضة للامبريالية من أجل إنجاز المهام المتعلقة بالنضال ضد الاستعمار ، والتي لا تقل اليوم تعقيدا عما كانت عليه بالأمس ، وفي مقدمتها ضرورة وحدة العمل بين دول الشرق المستقلة ، والاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى ؟

في اعتقادنا أن الوضع اليوم يتطلب ، على العكس ، تعزيز هذه الوحدة ، وتشديد حملتنا المشتركة على الاستعمار والامبريالية . وأقول صراحة إن خطر قوى الامبريالية عليكم اليوم أكبر من خطرنا علينا ، لأن الاتحاد السوفيتي وصل إلى درجة من التقدم تتيج له أن يدرج في خطته القومية أهدافا لا تقدر عليها حتى أكثر الدول الرأسمالية تقدما من الناحية الاقتصادية في العالم . ولكننا لا نخفي أن من مصلحتنا أن تضعف القوى الاستعمارية ، فهي ليست عدوة لحركة التحرر الوطني في بلدان الشرق وحدها ، بل هي عدوة أيضا للدول الاشتراكية ، ولو كان ذلك لسبب واحد هو عدااء تلك القوى للسلام .

ونحن نعرف جيدا أن الدوائر الحاكمة في الدول الغربية لا تتورع عن استخدام أية وسيلة للوقية بين الاتحاد السوفيتي ، والجمهورية العربية المتحدة . وفي مقدورهم أن يطلعوك على وثائق عن « أنشطة الشيوعية العالمية » يكونون قد اصطنعوها بأنفسهم ، فباعهم طويل في هذا الميدان ، وهم ينفقون عليه أموالا طائلة ، وفي الولايات المتحدة جيش كامل من الاخصائيين الذين يعملون لنشر المعلومات الكاذبة والمضللة بين الساسة ، والرأي العام في مختلف البلدان . وهدفهم الأساسي من ذلك هو إفساد العلاقات بين الدول التي تقف سياستها السلمية عقبة في طريقهم ، وخاصة إذا إتصل الأمر بالعلاقات بين دول الشرق المستقلة ، والبلدان الاشتراكية . وإذا أعطاهم المرء أصبعا فلن يلبثوا أن يقطعوا الذراع كلها .

ونحن نعرف أن هناك أنباء تنسب إلى مصادر يوجوسلافية نشرتها مؤخرا الصحف البريطانية والفرنسية عن محاولة دبرت للاعتداء على حياتكم ، وذكر في هذا الصدد تلميحا باسم الاتحاد السوفيتي . وهم بينما يلجأون إلى هذه الأكاذيب التي تهدف بوضوح إلى صرف انظاركم إلى اتجاه خاطيء ، لا يشيرون بحرف إلى أن محاولة الاعتداء على حياتكم كانت تعدها المخابرات الفرنسية والاسرائيلية ، وهم يعلمون بذلك

وهم يقدمون إليكم معلومات عن « تغفل النفوذ الشيوعي » في اليمن عن طريق الخبراء السوفيت ، تماما كما حاولوا إفزاز زعماء اليمن بالحديث عن ميول الرئيس

عبد الناصر « المؤيدة للشيوعية » ، وبالحديث عن مهمة خاصة مزعومة قام بتنفيذها الخبراء السوفيت الذين دعتهم حكومة الجمهورية العربية المتحدة للمعاونة في إقامة مختلف المشروعات .

وقد أثبتت التجربة ان عملاء الامبريالية يعملون في الجانبين من أجل تحقيق اهدافهم الانانية القدرة ، ولما كانت الجمهورية العربية المتحدة (وانتم شخصاً بوصفكم قائدها) لا تزال تمثل قذى في عين الامبريالية ، فإنهم يريدون بكل وسيلة ان يعزلوكم عن البلدان الأخرى المعادية للامبريالية حتى يتمكنوا من الانفراد بكم والقضاء عليكم فيما بعد .

اما نحن في الاتحاد السوفيتي ، والحكومة السوفيتية فقد ايدناكم ونؤيدكم بإخلاص في نضالكم العادل ضد الاستعمار ، ومن أجل استقلال الجمهورية العربية المتحدة وحقوقها المشروعة . وموقفنا منكم ومن البلد الذي تقودونه لا يتغير نتيجة لظروف سياسية مؤقتة عابرة ، او لأسباب عارضة .

ونحن شخصياً نعرفكم قائداً بارزاً لحركة الشعوب العربية من أجل التحرر من نير الاستعمار . وقد كان لنضال الشعب المصري والشعوب العربية الأخرى من أجل الاستقلال الوطني ، والتحرر من النير الاستعماري دوره الكبير في النهضة العارمة لحركة التحرر الوطني لشعوب آسيا وإفريقيا . وقد حظى هذا النضال بالاحترام والعطف والتأييد العميق من جانب الشعب السوفيتي ، والشعوب الأخرى المحبة للسلام . وايدنا نحن هذا النضال بكل إخلاص في الماضي ، ونؤيده في الحاضر وسنؤيده في المستقبل .

وقد تلقينا بارتياح ما ذكرته للسفير السوفيتي من ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة لن تحيد عن سياسة الصداقة مع الاتحاد السوفيتي . ويسعدني أن لاحظ ان التعاون الأخوي والروابط الاقتصادية والثقافية بين الاتحاد السوفيتي ، والجمهورية العربية المتحدة متينة وتزداد تطوراً . ونحن من جانبنا عازمون على دعم هذه الروابط وتوسيعها رغم ما هو معروف بصفة عامة من ان الاتحاد السوفيتي وشعوبه يواجهان الآن مهام داخلية هائلة لتنمية الاقتصاد الاشتراكي ، وبناء الشيوعية

وقد أتيحت لنا الفرصة في اثناء وجودك في موسكو لاجراء محادثات صريحة وحميمة ، تبادلنا فيها الآراء حول شتى الشؤون الدولية ، والأحوال الداخلية في بلدنا . ولم نتردد في توضيح أن من مصلحتنا ان تزداد الجمهورية العربية المتحدة قوة ، وأن تتطور بروح جديدة شابة ، وأن يتضاعف دورها كعنصر هام في السلام ، والاستقرار والرخاء في الشرق الأوسط .

وفي هذا الصدد ، لعلكم تذكرون اني اعربت أيضاً عن اعتقادنا بأنه حدث بعض التعجل في الوحدة بين مصر وسوريا ، فلم تؤخذ في الاعتبار بدرجة كافية جميع السمات الخاصة لكل من البلدين اللذين تجرى الوحدة بينهما . ولقد أعربنا عن

راينا ، وحاولنا بإخلاص وبروح الود ، ان نساعد في قضية بناء الدولة الجديدة ، ومنع ظهور صعوبات في المستقبل . ويبدو لنا ان هذه الحقيقة لم تلق الاهتمام الكافي في ذلك الحين . لكنكم الآن ترون ان ذلك التعجل ترتبت عليه نتائج غير سارة كان في الوسع تجنبها . والخبرة التي اكتسبها عدد من الدول ، والاتحاد السوفيتي من بينها ، تثبت ان في الوسع ازالة الاسباب المؤدية إلى ظهور مثل هذه الصعوبات ، وذلك بمراعاة السمات الخاصة بتطور كل من الاقليمين اللذين تتألف منهما الجمهورية العربية المتحدة .

اما عن الموقف من الشيوعيين في الجمهورية العربية المتحدة ، فإن الاتحاد السوفيتي لم ولن يتدخل في الشؤون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة ، رغم انكم يا سيادة الرئيس ، عندما سلكتكم سبيل التقارب بين بلدينا ، كنتم تعرفون طبعا اننا شيوعيون ، واننا لا يمكن ان نتعاطف مع سياسة الكفاح ضد الشيوعية ، فهي سياسة نعتبرها خاطئة تاريخيا ، ولا جدوى من ورائها . ولذا فليس في هذا شيء جديد ، سواء من جانبكم أو جانبنا .

وإنى اتفق معكم فيما اعربتم عنه من الأمل في ان تزداد متانة العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . واود ان اذكر في الختام ان ما تضمنته هذه الرسالة من تعبير صريح عن راينا ، إنما يهدف إلى زيادة التفاهم بيننا ، وتعزيز علاقاتنا الودية في النضال المشترك ضد الاستعمار ، ومن أجل تدعيم السلام والأمن في الشرقين الأدنى والأوسط .

موسكو في ١٩ فبراير ١٩٥٩ .

المخلص

ن . خروشوف «



وهكذا فإنه عندما ظهرت صور زعماء الأحزاب الشيوعية العرب مع « خروشوف » ومع غيره من القادة السوفيت بدا الأمر خارجا عن المألوف ، بل وبدا منذرا بالشر لأن هذه الصور لم تلبث أن أعقبتها حفلات أقيمت تكريما للشيوعيين العرب ، وقد وقف « خروشوف » في إحداها خطيبا ، وراح يهاجم سياسة الجمهورية العربية المتحدة علنا . وبدا الأمر وكأنه يقوم بحملة مركزة لتأييد الشيوعيين العرب

وتحريضهم ، ولم يكن هؤلاء في حاجة إلى مزيد من التحريض ، فقد أصبح صوتهم بغداد أعلى الأصوات ، وبدأت المحاكمات الاستثنائية تصدر أحكام إعدام بالجملة مئة مئة من القادة الوطنيين ، وطالت حبال المشانق حتى التفت حول أعناق مئات المدنيين ، كما أصبحت طوابير الإعدام رميا بالرصاص مصيرا يتربص كل يوم بمئة من العسكريين !

وعندما جاءت رسالة « خروشوف » الأخيرة التي سلمها مستشار السفار السوفيتية إلى السيد « على صبرى » وأضيفت محتوياتها إلى الصورة العامة للموقف بين البلدين - أصبح الأمر لا يحتمل الصمت من وجهة نظر « جمال عبد الناصر » وقرر أن يرد علنا على « خروشوف » ، واختار أن يرد من شرفة قصر الضيافة في دمشق التي قصد إليها في مناسبة الاحتفال بالعيد الأول لقيام الجمهورية العربية المتحدة .

وتحدث « جمال عبد الناصر » عن تاريخ الكفاح من أجل الوحدة العربية ، وممر أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية ، ثم وصل إلى ما جرى في إطار المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، وقال إنه لا يخفى أن هناك خلافات عقائدية بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتي ، بل إنه يعلنها لكل من يسمع ، فلكل بلد نظامه الاجتماعي الخاص ، ولكل بلد عقائده التي يؤمن بها ونحن لا نتدخل في عقائد الآخرين لكننا نرفض أن يفرض الآخرون عقائدهم علينا . وإذا كنا نعترف بمساعدات الاتحاد السوفيتي لنا - ونحن نعترف به ونسئل - فإننا لا نجد في هذا مبررا على الإطلاق للتخلي عن عقائدهم . وقال إن هناك مراسلات بينه وبين « خروشوف » وأنه ما زال يأمل أن يستطيع الطرفان احتواء الخلاف بينهما حتى لا تشتم القوى الاستعمارية في الغرب ، وهو بالطبع تريد الوقعة بيننا وبينهم . كما أن هناك جماعات من الانتهازيين العرب يهتمهم أن تسوء العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتي . والقضية بالنسبة لنا أكبر من أن تكون قضية إمداد سلاح ، أو معونات اقتصادية ، أو بناء سد عال عند أسوان ، وأنه وهو يطرح موضوعات الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتي علنا على جماهير الشعب ، فإنه يفعل ذلك لكي يعرف السوفيت وغيرهم أن شعب الجمهورية العربية المتحدة يؤيده في التمسك باستقلاله الوطني وباختياره العقائدي . وقال إنه يريد أن يكون مفهوما أن لنا أصدقاء بين الشيوعيين ، وأولهم الرئيس « تيتو » والرئيس « خروشوف » نفسه ، وبالتالي فنحن لسنا في حرب مقدسة ضد الشيوعية ، وإنما نحن متمسكون بمبادئنا ، كما أننا لم نحاول أن نقنعهم بها ، أو نصدرها إليهم .

وقام « جمال عبد الناصر » بعد ذلك بجولة واسعة في محافظات سوريا ، وتحدث في أكثر من موقع . وفي حلب قال « جمال عبد الناصر » يوم ٢٦ فبراير : « نحن لا نستلهم الوحي ، ولن نستلهمه من أى عقيدة غير عقائدنا » . وفي اللاذقية يوم أول مارس قال « جمال عبد الناصر » : « نحن لسنا مستعدون لقبول التبعية لأى طرف في الغرب أو في الشرق » . وفي جبل العلويين يوم ٣ مارس قال « جمال عبد الناصر » إن « الشيوعيين العرب يلعبون دور الطابور الخامس في خدمة الاستعمار سواء كانوا يعرفون ذلك ، أو يجهلون » .

وفي يوم ٨ مارس ١٩٥٩ تمردت الفرقة الثانية العراقية في الموصل بقيادة العقيد « عبد الوهاب الشواف » ، ودار قتال شديد بينها ، وبين قوات يسيطر عليها الشيوعيون ، واستطاع ممرض ينتمى إلى الحزب الشيوعى أن يطلق الرصاص على العقيد « عبد الوهاب الشواف » ويقتله . وبعدها استبيحت محافظة الموصل كلها لعملية من الارهاب لم يسبق لها مثيل وصلت إلى قتل الناس بالمئات في الشوارع ، وإلى إرغام بعض الذين أيدوا تمرد « الشواف » من المدنيين على حفر قبورهم قبل إطلاق الرصاص عليهم ، وإلقاء جثثهم في القبور التى حفروها ، كما أن عشرات جرى شنقهم في أعمدة النور في الشوارع .

ووقف « جمال عبد الناصر » يوم ١١ مارس في ساحة الجلاء في دمشق ليتحدث عن الارهاب الشيوعى في بغداد ضد القوميين العرب ، ووصف الشيوعيين لأول مرة بأنهم « عملاء للأجانبى ، ولا يتحركون إلا بتعليمات » .

وكان الارهاب في الموصل على قدم وساق . وتدفق عشرات الألوف من أهالى الموصل إلى محافظات سوريا القريبة منهم لاجئين من المجازر الارهابية . وأعلنت إذاعة بغداد أنه جرى إعدام أربعة وخمسين عسكريا ومدنيا في الموصل بدون محاكمة لأن جرائمهم كانت واضحة ، ولا تحتاج إلى تحقیقات أو محاكم .

ويوم ١٦ مارس جرى في موسكو احتفال بتوقيع اتفاقية للمساعدة الفنية والمالية بين الاتحاد السوفيتى والعراق . واختار « خروشوف » أن يلقي في هذا الاجتماع خطابا ينتقد فيه فكرة القومية العربية ، ويبدى رأيه بأن القومية ليست أساسا للوحدة ، وإنما الأساس هو وحدة الطبقة العاملة في العالم . ثم انتقد سياسة « جمال عبد الناصر » واتهمه بأنه « يتصرف بأسلوب أحرق ، وأن رأسه ساخن ، وهو يتصور أنه يستطيع أن يفرض سياسته على العالم » . ثم انتقد « خروشوف » لأول مرة سياسة عدم الانحياز قائلا إنها سياسة ذات وجهين ، وانتهز فرصة هجومه على عدم الانحياز ، وأشار إلى الرئيس « تيتو »

وهو أحد زعمائها بأسلوب خارج قال فيه : « إن تيتو يعطينا خده لنقبله ، ويعطى مؤخرته للرأسماليين الغربيين » .

ورد « جمال عبد الناصر » على « خروشوف » في نفس اليوم ، ومن داخل المسجد الأموي الكبير في دمشق قائلا : « إن دفاع خروشوف عن الشيوعيين في بلادنا أمر لا يمكننا قبوله ، وهو يعتبر تحديا لاجماع الشعب في وطننا » . ثم قال : « إننا لن نبيع بلادنا لا بملايين الدولارات ، ولا بملايين الروبلات . وإن خروشوف حر فيما يقول ويفعل في الاتحاد السوفيتي ، أما نحن فلسنا تحت وصاية أحد » . وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة ، وحضر يوم ٣٠ مارس احتفالا أقامته القيادة العامة للقوات المسلحة في معسكر الهاكستيب بمناسبة انتهاء تدريب الفرقتين الثالثة والرابعة ، ووقف « جمال عبد الناصر » يخطب أمام مئات من ضباط الجيش قائلا : « إننا نريد صداقة الاتحاد السوفيتي ونرفض سيطرته » . ثم أضاف : « إن الشيوعيين يشنون حربا مسعورة ضدنا تسانداهم في ذلك قيادة الاتحاد السوفيتي ، وبذلك فإن هذه الأحزاب أثبتت أنها ليست إلا عميلا لقوة كبرى » .

وكانت طاحونة الارهاب ما زالت تدور في بغداد ، ووصل الأمر إلى حد قيام بعض الشيوعيين بالدخول على « عبد السلام عارف » في سجنه حيث كان مقيدا بالسلاسل ، وضربوه بالخناجر حتى أثخنوا جسمه بالجراح .

وكانت المشادة العلنية بين « جمال عبد الناصر » و « خروشوف » قد تحولت إلى مبارزة علنية وقف العالم أمامها مندهشا ومأخوذا^(١٢) كأنه يتابع مباراة مثيرة ، ولكنها لم تكن مباراة في الرياضة ، وإنما كانت صراع إرادات من طراز مثير .

وحين أصدرت بعض التنظيمات الشيوعية السرية في مصر بيانا تؤيد فيه موقف الاتحاد السوفيتي في المشادة العقائدية مع مصر رد « جمال عبد الناصر » بحملة اعتقال لعدد من أفراد هذه التنظيمات .

وتلقى « جمال عبد الناصر » من موسكو بعض الرسائل من طلبة البعثات

(١٢) وصلت المشادة بين الزعيمين إلى ذروتها في ٢٠ ابريل ١٩٥٩ حيث تبادلوا أطول رسالتين متبادلتين بينهما ، وقد شرح كلاهما قصة الخلاف وأسباب سوء الفهم من أولها إلى آخرها ، وكانت اللهجات حادة والتهجمات عنيفة ، وقد أثرت بسبب طول الرسالتين أن انشر رد « عبد الناصر » ، لأنه يحوى الرسالتين معا ، فقد أورد فيه نصا بنص فقرات من رسالة « خروشوف » ورده عليها ، وبذلك فإنها الرسالة التي تتضمن القصة كلها ، وهي على صفحة ٨٢٥ برقم ٣١ في الملحق الوثائقي - وقد كان السفير السوفيتي « ديمترى كيسيليف » هو الذي حمل رسالة « خروشوف » إلى « عبد الناصر » ، كما أن السفير « محمد عوض القوي » هو الذي حمل رد « عبد الناصر » على « خروشوف » .

الدراسية المصرية في الجامعات السوفيتية يشكون فيها من سوء المعاملة التي بدأوا يلقونها فجأة حتى في عنابر النوم . وكان أشد ما أثاره في ذلك الوقت خطاب من دارسة مصرية للطبيعة النووية قالت فيه إنها تجد نفسها مرغمة على النوم في غرفة تضم ثلاث شابات غيرها من جنسيات مختلفة ، لكنهن جميعا من الشيوعيات المقاتلات ، وقد وصلن في تعاملهن معها إلى حد نبذها وإهانتها بدعوى أن مصر غيرت سياساتها ، وتركت المعسكر التحرري ، وانضمت إلى أعدائه . ثم شكت من أن غرف النوم تقع في عنابر مختلطة للجنسين . وقد أطلعنى الرئيس « جمال عبد الناصر » على هذا الخطاب وغيره من خطابات الدارسين المصريين بموسكو ، وكلها تطفح بالشكوى ، وقال لى إنه يريد فى هذا الموضوع بالذات أن يرد بطريقة موجعة ، وسألنى أن أتوجه إلى مقابلة السفير الأمريكى « ريموند هير » وأن أسأله « إذا كانت الولايات المتحدة تستطيع أن تجد على الفور أماكن فى الجامعات الأمريكية لهؤلاء الدارسين المصريين فى الجامعات السوفيتية » . وكان رأيه أن السوفيت فى حاجة إلى أن يفهموا أن مصر ليست رهينة لدى طرف . وبالفعل فقد قابلت السفير الأمريكى وناقشت معه الموضوع . وسألنى عن عدد الدارسين الذين نطلب توفير أماكن لهم فى الجامعات الأمريكية - مع العلم بأن الفترة الدراسية للربيع قد بدأت بالفعل فى كل الجامعات الأمريكية . وقلت إن عددهم حوالى المائتين ، وأمسك « هير » رأسه بيديه مقزوعا من العدد ، وقال إن الأمر يحتاج إلى قرار على أعلى مستوى فى الولايات المتحدة ، وأنه سيكتب فيه ليس فقط إلى وزارة الخارجية ، وإنما إلى البيت الأبيض . وعند منتصف الليل التالى اتصل بى « هير » ليقول لى إنه تلقى قبل دقيقة واحدة ردا إيجابيا على الطلب ، وأن كل القواعد سوف يجرى كسرهما ، وأن نفوذ الرئيس « ايزنهاور » نفسه سوف يجرى استعماله لدى الجامعات الأمريكية لتقبل كل هذه الأعداد فى هذا الوقت المتأخر من العام الدراسى .

ولم يمضى أكثر من أسبوع حتى كان مائتا دارس ودارسة مصريين يحزمون حقائبهم من موسكو ، ويستعدون لعبور المحيط إلى الولايات المتحدة .

وكانت حرائق الأعصاب ما زالت تشتعل على الناحيتين بين موسكو والقاهرة . (١٣)

(١٣) يلاحظ أن الطرفين بشكل ما كلنا يحرضان على عدم الوصول إلى نقطة اللاعودة رغم أن هذه النقطة لاحت فى بعض الأحيان وكانها الخطوة التالية مباشرة .

بشكل ما بقيت هناك « لمعاوية شعرة » رغم أن الضغط عليها كان ثقيلًا ، وربما كانت هذه النقطة هي التي مكنت من عقد اتفاقية المرحلة الثانية من تمويل السد العالى فى جو كانت ظواهره جميعا ضد إمكانية عقدها . فعندما ظهر أن هناك تداخلا بين بعض أعمال المرحلة الأولى والمرحلة الثانية ، كما أن هناك وفرا كبيرا يمكن تحقيقه من التنسيق بين أعمال المرحلتين - بدأت عملية استطلاع النوايا فى نهاية سنة ١٩٥٩ وفى الأيام الأولى من سنة ١٩٦٠ ، ثم عقد اتفاق المرحلة الثانية من السد العالى ، وأصبح تنفيذ هذا المشروع العملاق - عملا واحدا متصلا وممتدا .

الفصل الثاني

حسابات جديدة



في أواخر شهر مارس ١٩٥٩ انعقد مؤتمر على مستوى القمة بين « ايزنهاور » و « ماكميلان » فقد أحست الولايات المتحدة وبريطانيا أن هناك أمورا كثيرة تقتضى لقاءً مباشراً بين البلدين ، وفي مقدمتها هذه التطورات التي بدت مثيرة على مسرح الشرق الأوسط . وكان الاجتماع الذي عقد بين الرئيسين في البيت الأبيض صباح يوم ٢٠ مارس مخصصاً بأكمله للمنطقة . وقد بدأه « ايزنهاور » بقوله^(١) : « إن ما يجرى في المنطقة يستوجب أعلى درجات الاهتمام ، فالقرار الذي اتخذته ناصر بمواجهة الشيوعيين في العالم العربي في منتهى الصراحة والعلنية » . ورد « ماكميلان » بقوله : « إن ناصر في الحقيقة يحارب من أجل تأكيد زعامته على العالم العربي ، فقد فشل حتى الآن في الاطاحة بقاسم رغم كل النشاط الهدام الذي قام به ، وعلينا أن نتساءل ما إذا كان ناصر قد وصل إلى نهاية قوته السياسية . وأيا كان الأمر ، فقد ظهر أن قدراته داخل العراق محدودة . وعلى أي حال ، فقد أدت جهوده للاطاحة بقاسم من خلال الهجوم على الشيوعية العربية إلى دفعه (أي قاسم) إلى مزيد من الاعتماد الداعي للخطر على التأييد الشيوعي » . ورد « ايزنهاور » معرباً عن اعتقاده بأن « لحملة ناصر على

(١) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية - مذكرة عن محادثات « ايزنهاور » و « ماكميلان » بعنوان « الشرق الأوسط في المحادثات مع ماكميلان - واشنطن - ١٩ - ٢٣ مارس ١٩٥٩ » .

لشيوعيين العرب قيمة جوهريّة ولا بد من تشجيعها ، فهذه الحملة سوف تؤدى القطع إلى إضعاف النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط . ورد « ماكميلان » اثلا إنه « يشك في أن تؤدى حملة ناصر ضد قاسم إلى الاطاحة به » . وتوصل ايزنهاور « كعادته إلى حل وسط لخصه بقوله : « إننا نستطيع أن نتخذ موقفا ديا ومشجعا لناصر دون أن نصبح طرفا في حملته على قاسم أو نتخذ موقفا غير دى تجاه النظام العراقى الحالى » .

وقد مضت مذكرة المحادثات بعد ذلك إلى تحليل الموقف كما قدره الرئيسان ، قالت بالحرف : « إن المعركة الشاملة لناصر ضد الشيوعية العربية أدت إلى خفيف الضغوط على الدول الصديقة للغرب في الشرق الأوسط بما في ذلك أعضاء لىف بغداد . وقد تفتت التماسك السابق للشعور العربى المضاد للغرب ، ساعد على ذلك أن هناك هدوءاً نسبياً في الصراع العربى الاسرائيلى . كما تبدو بنان والسودان والمملكة العربية السعودية مشغولة بسياساتها الداخلية أحوالها الاقتصادية ، ثم إن شعور هذه الدول جميعا تجاه الولايات المتحدة و شعور طيب » .

ثم استمرت المذكرة تقول « إن الوضع في الخليج الفارسى هادىء في الوقت حالى . غير أن سعى الشيوعيين إلى السلطة في العراق قد بات مصدر هلع قوى العربية المحافظة ، وأوجد عدوا جديدا للقومية العربية في المنطقة . وقد ضى هذا بالزعماء القوميين إلى الاعتراف اعترافا ضمنيا بأن مصالحهم تتعارض مع الغرب ، كما أنه يقلل من التهديد القومى السابق لاستقرار منطقة . ومن الجائز أيضا أن يؤدى الصراع بين القوميين العرب والشيوعيين حرب إلى عرقلة العمل العربى الموحد للمطالبة بحصة ابتزازية باهظة من دخل رول الشرق الأوسط . ومن المؤكد أن التعامل التجارى مع القوميين في مسائل بترول سيكون حقيقة من حقائق الحياة علينا أن نواجهها في الخليج . ولكن حرب يدركون الآن أن إيران يسعدها دائما أن تحل محلهم باعتبارها المصدر ول للبتترول الخام ومنتجاته المكررة لأوروبا . لهذا فإننا لسنا واثقين من أن إجراء غير عادى يتخذ في الوقت الحالى من جانب الولايات المتحدة والمملكة تحدة هو إجراء ضرورى ، أو مرغوب فيه ، وإن كان من المجدى والمفيد أن اقرب عن كتب تطورات الأمور ، وأن نظل على تشاور متصل . إن خبراءنا سكريين عاكفون على التخطيط للطوارئ ، وفي اعتقاد الولايات المتحدة أنه الصعوبة الآن التكهّن بالتطورات المقبلة ، وبالتالي فليست هناك حاجة في اللحظة إلى اتخاذ أى قرار بشأن خطط الطوارئ المحتملة . »



وتطرق « ايزنهاور » و « ماكميلان » إلى مناقشة الظروف المحيطة بإسرائيل ، وقال « ماكميلان » إن « إسرائيل قد أبلغت الحكومة البريطانية بقلقها مما تعتبره ليونة جديدة في الموقف الأمريكي ، وأنها تشعر أن ناصر قد قام بعملية إلهاء بارعة للغرب ، فقد صور له (أى للغرب) أنه هو وحده القادر على التصدي للخطر الشيوعي ، وبالتالي فإنه استطاع أن يخدر أعصاب السياسة الأمريكية . وهم في إسرائيل واثقون أن ناصر لم يغير جلده ، وأنه يقوم بمناورة تكتيكية يسترضى بها الولايات المتحدة بالعداء للشيوعيين ، وفي نفس الوقت يستعمل تعاطف الولايات المتحدة الراهن معه لكي يضغط على الاتحاد السوفيتي . وفي كل الأحوال فإنه يضيف إلى قوته . وإسرائيل واثقة أنها هي التي ستواجه « غضبه » في يوم من الأيام » . ثم قال « ماكميلان » إن « إسرائيل تلج أكثر من أى وقت مضى في طلبات جديدة للسلاح . وقد تقدموا للحكومة البريطانية بطلبات ملحة للحصول على دفعة من دبابات « سنتوريون » . » وأضاف « ماكميلان » إنه « تلقى من دافيد بن جوريون عددا من الخطابات يطلب فيها دعوته لزيارة لندن لكي يعرض قضيته بنفسه » .

ورد « ايزنهاور » على « ماكميلان » بأنه « يتفهم قلق إسرائيل » كما أنه يرى دواعيه ، لكن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تدخل في هذه اللحظات في أى موضوع خاص بتسليح إسرائيل ، لأن أى حركة في هذا الاتجاه كفيلة بأن تفسد كل ما تحقق للسياسة الأمريكية بسبب التطورات الأخيرة ، وتبدده قبل أن يعطى كامل ثماره . واقتراح أن يتم تسليح إسرائيل في الوقت الراهن بواسطة الدول الأوروبية .

ولاحظ « ماكميلان » أن « فرنسا برئاسة ديغول » قد لا تدخل في أمر هذا التسليح لإسرائيل إلا من خلال « دول التصريح الثلاثي »^(٢) ، فذلك الترتيب وحده يعطى لديجول المكانة التي يريدها لفرنسا كشريك على قدم المساواة مع الأنجلو - ساكسون (أى الولايات المتحدة وبريطانيا) .

وقد وافق « ايزنهاور » على هذه الملاحظة قائلا إنه لا يمانع أن تتم الاستجابة لطلبات إسرائيل على أساس التصريح الثلاثي ، وأن هذا أفضل من صفقات ثنائية يبرز فيها دور الولايات المتحدة .

ثم أضاف « ايزنهاور » عبارة ذات معنى إذ قال : « إنهم على أى حال يحصلون من هنا على أشياء هامة جدا لهم ، وهم أول من يقدر قيمتها » .

(٢) تصريح اعلنته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥١ بتحديد كميات السلاح المرسلة إلى الشرق الأوسط ، وشكلت فيما بينها لجنة سرية لمتابعة تنفيذه .

وفي أغلب الظن أن « ايزنهاور » كان بهذه الاشارة الغامضة يشير إلى نشاط جناح « انجلتون » في وكالة المخابرات المركزية . وكان « انجلتون » في ذلك الوقت منهمكا في شراء بعض الأجهزة الدقيقة التي تحتاجها إسرائيل في مجهودها النووي . ومما يساعد على ترجيح هذا الظن أن « ايزنهاور » أضاف بعد ذلك عبارة أخرى غامضة قال فيها : « الله أعلم بهذا الذي يفعلونه مع الفرنسيين » . وتستمد هذه الملاحظة معناها الحقيقي من أن إسرائيل كانت في ذلك الوقت قد دعيت سرا لحضور تجربة نووية فرنسية في منطقة « راجان » وسط الصحراء الغربية الافريقية الواقعة تحت الحكم الفرنسي .



وتشير محاضر مجلس الأمن القومي^(٣) التالية لاجتماعات قمة « ايزنهاور - ماكميلان » إلى أن « ايزنهاور » راح يوما بعد يوم يفكر في تقوية إيران . ففي وسط انشغال العرب بالمعركة الداخلية الدائرة بين القوميين والشيوعيين كان رأى « ايزنهاور » أن الفرصة مناسبة لتعزيز الأوضاع في إيران ، فالشاه قلق من سيطرة الشيوعيين على بغداد ، وهو يطلب المزيد من المساعدات العسكرية ، ويلح كثيرا على طلبات قدمها للحصول على أسلحة متطورة . ومن ناحية أخرى ، فإن « ايزنهاور » يتفق معه ليس فقط في تقييمه للخطر الشيوعي في العراق ، وإنما هو يرى أن الفرصة فوق ذلك متاحة لجعل إيران تلعب دورا أكبر في المنطقة ، خصوصا في حالة ما إذا توقفت الصراعات العربية الداخلية . وربما كان الخلاف الوحيد بين وجهتي نظر شاه إيران ، ورئيس الولايات المتحدة يكمن في قائمة أولويات كل منهما . ففي حين أن الشاه كان يضع السلاح على رأس قائمة أولوياته ، فإن رئيس الولايات المتحدة كان يضع الإصلاح الداخلي ، وزيادة كفاءة الدعاية الإيرانية على رأس قائمة أولوياته .

وقرر « ايزنهاور » أنه قد يكون الوقت ملائما لكي يقوم بنفسه بزيارة لايران تعطى للشاه قسطا من الهيبة ، وتؤكد عمليا اهتمام الولايات المتحدة بالدور المقبل لايران .



وفي اجتماع للجنة تنسيق السياسات التابعة لمجلس الأمن القومي بعث الرئيس « ايزنهاور » بورقة تحمل توجيهات منه إلى اللجنة . وفيها قال « ايزنهاور » :^(٤)

(٣) مجموعة الاوراق السرية لمجلس الامن القومي - الوثيقة رقم ٥٨٢١/١ .

(٤) المصدر السابق .

« إن أهدافنا في الشرق الأوسط ما زال يمكن إجمالها في مطلبين :

١ - إبعاد السوفيت عن المنطقة .

٢ - استمرار تدفق البترول العربى دون عوائق .

لكن الظروف تعطينا الآن مرونة أكبر ، وأفاقا أوسع في العمل . وبصرف النظر عما تقوم به الادارات المختلفة للسياسة الأمريكية - بما فيها وكالة المخابرات المركزية - فإننا يجب أن نركز على قادة المستقبل في العالم العربى . ولهذا فإننى أريد توسيع نشاطنا الدعائى والثقافى خصوصا في أوساط الطلبة والمدرسين ، وأساتذة الجامعات والمثقفين إلى أكبر حد ممكن ، وليس ضروريا أن تلتصق جهودنا في هذه المجالات بمطالبنا المباشرة من المنطقة ، فعلينا أن نفكر فيما هو أبعد من احتياجاتنا الملحة كما نقدرها في الوقت الحاضر .

وانا أريد مرونة أكثر في اتجاهات عملنا في المنطقة . فعلينا أن نعيد دراسة توجيهاتنا السابقة التى صدرت في ظروف مختلفة . وبدون أن نتخلى عن احتياجاتنا الضرورية النهائية فإن مراجعة توجيهاتنا السابقة سوف تكشف لنا أن هناك حدودا واسعة وراءها وفرصا متاحة يتحتم استغلالها .



ولم تكن إسرائيل راضية عن المناخ الجديد الذى يسود الشرق الأوسط ، خصوصا فيما يتعلق بحالة اللبونة في العلاقات بين القاهرة وواشنطن - على حد التعبير الذى كتبه « بن جوريون » في رسالته إلى « ماكميلان » . ولم تكن بقادرة على أن ترى ما يجرى من تطورات دون أن يكون لها فيها دور أو تحصل منها على فائدة . وهكذا قررت أن تتحرك ، وتنتهز الفرصة لكى تفتح قناة السويس أمام ملاحظتها متصورة أن القاهرة قد لا تتعرض لها حرصا على عدم إفساد الشعور بالتعاطف المتنامى تجاهها خصوصا في الولايات المتحدة . فإذا ما تعرضت القاهرة لها فيما تنويه ، فإن هذا التعرض يمكن استغلاله لاثارة حملات سياسية ودعائية تعيد أجواء الشك والعداء إلى حيث كانت . وهكذا في مارس ١٩٥٩ استأجرت شركة « زيم »

الاسرائيلية باخرة عن طريق شركة أمريكية ، وهى الباخرة « ليولوت » التى يقودها الكابتن « جورج مانولس » ثم ملأتها بحمولة من الأسمنت الاسرائيلى مرسله إلى شرق أفريقيا ، وبعثت بها إلى ميناء بور سعيد حتى تمر من قناة السويس إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى . وأوقفت السلطات المصرية الباخرة ، ولم تسمح لها بالمرور ، وصادرت حمولتها . ولم تمض بعد ذلك إلا أيام قليلة حتى كانت إسرائيل تبعث بباخرة ثانية استأجرتها من الدنمارك ، وهى الباخرة « انجه توفت » وحملتها ببضائع إسرائيلية مرسله إلى سنغافورة ، ومرة أخرى منعت مصر مرور الباخرة وصادرت حمولتها أيضا .

وتقدمت إسرائيل بشكوى إلى مجلس الأمن وسط ضجة دعائية كبيرة عن إصرار مصر على فرض سيادتها على معبر دولى للملاحة البحرية . وبدأ مجلس الأمن يناقش الموضوع .

وكان رأى « جمال عبد الناصر »^(٥) أن ما تقوم به إسرائيل « خطة مدروسة ، وهى تصور أن الوقت الحالى ملائم لتنفيذها ، خصوصا بالنسبة لموقف القوى الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن . فإسرائيل تعرف أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أيدت باستمرار حقها فى استعمال قناة السويس . ومن ناحية أخرى فهى تظن أن جو الفتور الحالى بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتى سوف يمنع الاتحاد السوفيتى من استعمال حق الفيتو ضد أى قرار يصدره مجلس الأمن بتأكيد حق الملاحة لكل الدول بغير تمييز فى قناة السويس . »

وكان رأى « جمال عبد الناصر » أيضا أن إسرائيل بهذه المحاولة لا تسعى إلى الإحراج فقط ، وإنما سعيها الحقيقى هو إلى إسقاط سلاح لا تزال له أهميته فى المشكلة الفلسطينية ، ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة تمارس منع الملاحة الاسرائيلية من قناة السويس بمقتضى حالة الحرب المترتبة على الصراع العربى الاسرائيلى - فإذا استطاعت أن تسقط الآن هذا الحظر ، فمعنى ذلك أنها سلبت العرب أحد أهم أسلحتهم فى المقاطعة . ثم كان قراره بعد هذا أنه تحت أى ظرف من الظروف ، ومهما كانت النتائج لا ينبغى أن يسمح لاسرائيل بالمرور من قناة السويس . وأكثر من ذلك أعلن « جمال عبد الناصر » فى تصريح رسمى « أنه حتى إذا حصلت إسرائيل على قرار من مجلس الأمن بحققها

(٥) مجموعة محاضر جلسات الحكومة المركزية لسنة ١٩٥٩ - جلسة ١٤ إبريل ١٩٥٩ - الصفحة ٣٨

في المرور من قناة السويس ، فإن الجمهورية العربية المتحدة لن ت
هذا القرار إلا إذا نفذت إسرائيل ما يخصها من قرارات الأمم المتحدة
وأولها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لسنة ١٩٤٧ الخ
بالتقسيم ، وكذلك القرارات الخاصة بحق اللاجئين الفلسطينيين
العودة لأراضيهم ، أو تعويضهم التي صدرت سنة ١٩٥١ « .)

ولقد زادت المشكلة تعقيدا حينما سئل « داج همرشولد » السكرتير العام ل
المتحدة عن رأيه في الأزمة ، فرد بقوله « إن مجلس الأمن ليس مخولا ببحث
النزاع ، فالنزاع في حقيقته قانوني يدور حول تفسير نصوص معا
القسطنطينية ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة في قناة السويس . والمكان الطبع
لأثارته ليس مجلس الأمن ، ولكن محكمة العدل الدولية » . وانفجر غضب و
الخارجية الاسرائيلية ، وأصدرت تصريحاً تقول فيه : « إنه من الصعب
إسرائيل وعلى العالم الحرب أكمله أن يفهم حكمة هذا التصريح الصادر عن
مسؤول دولي ، فلقد كان المنتظر منه أن يوجه نصيحة بالاعتدال إلى الجمهور
العربية المتحدة ، وبدلاً من ذلك فإنه اتخذ موقفاً لا يمكن تفسيره إلا
اعتراف بالعجز السياسي الكامل للأمم المتحدة » . (٧)



وبينما مجلس الأمن لا يزال حائراً أمام الأزمة التي فرضت عليه تة
إسرائيل خطوة أخرى نحو تحقيق أهدافها . فقد بدأت تستعمل نفوذها الكبير ، و
الجماعات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية مع الاتحاد العام لل
الأمريكيين .

وكانت المفاجأة أن اتحاد البحارة الأمريكيين أصدر بياناً يقول في
« يعتبر التعرض للبواخر الدولية ولحمولتها من البضائع العابرة للمحد
عملاً عدوانياً ضد حرية الملاحة ، وأن هذا العمل لابد من مقاومته بوا
أصحاب المصلحة ما دامت الهيئات السياسية قد أثبتت عجزها
مقاومته » . وهكذا كان قراره بمقاطعة عمليات دخول البواخر المصر
الموانئ الأمريكية .

وكان واضحاً من بيان اتحاد البحارة الأمريكيين أن الأمر لن يكون مق

(٦) حديث مع الصحفي الهندي « ر كارانجيا » نشرته جريدة « بليتز » بتاريخ ٤ مايو ١٩٥٩
(٧) بيان للحكومة الإسرائيلية اذيع من راديو الجيش الإسرائيلي يوم ١١ مايو ١٩٥٩ (نقلاً عن
الاستماع لمصلحة الاستعلامات)

على البواخر المصرية فقط ، وإنما سيمتد ليشمل بواخر كل الدول العربية في نفس الوقت باعتبار أنها جميعاً تؤيد أحكام مقاطعة إسرائيل وتطبيقها في موانئها . كما أن الخطة المرسومة لهذه المقاطعة للبواخر العربية لن تقتصر على الموانئ الأمريكية وحدها ، وإنما المقرر لها أن تمتد إلى موانئ أوروبا الغربية واليابان ، وأية موانئ أخرى في العالم تستطيع نقاباتها البحرية أن تستمع إلى نداء اتحاد البحارة الأمريكيين وتستجيب له وتتعاون معه لتنفيذه .

وتصادف أن دخلت ميناء نيويورك باخرة مصرية هي الباخرة « كليوباترا » التي كانت تحمل شحنة من القطن المصري طويل التيلة مصدرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وبدأ اتحاد البحارة الأمريكيين يمارس إزاءها إعلانها بمقاطعة البواخر المصرية ، فرفض أعضاؤه تقديم خدمات الموانئ لها بما في ذلك تفريغ حمولتها .

وتوجه السفير المصري في واشنطن الدكتور « مصطفى كامل » إلى وزارة الخارجية الأمريكية لبحث الأزمة ، واقترح أن يستعمل الرئيس الأمريكي سلطاته بمقتضى إجراءات الطوارئ التي تمنحه الحق في فرض أى اعتصام عمالي إذا ما ترتب على تنفيذه إضرار بالمصالح الأمريكية . وقالت وزارة الخارجية الأمريكية إنها لا تستطيع أن تتقدم بمثل هذه النصيحة إلى الرئيس لأن مثل هذه السلطة المخولة له ترتبط بالطوارئ التي تمس أمن الولايات المتحدة القومي ، وهو أمر ليس محققاً فيما يتعلق بأزمة الباخرة « كليوباترا » .^(٨)

وظلت الباخرة « كليوباترا » أياماً طويلة على رصيف ميناء نيويورك يحيط بها طابور من أعضاء اتحاد البحارة الأمريكيين لمنع الاقتراب إليها حتى لا تلجأ القنصلية المصرية في نيويورك - وهي المكلفة برعاية أمرها - إلى أى ترتيبات أخرى لتفريغها بغير واسطة أعضاء اتحاد البحارة الأمريكيين .



وارتفعت درجة حرارة الأزمة ، فقد اجتمع اتحاد العمال العرب في القاهرة ، واتخذ قراراً بالرد يقضى بمقاطعة البواخر الأمريكية في موانئ الجمهورية العربية المتحدة . وبدأ تطبيق القرار بالفعل في الإسكندرية وبورسعيد والسويس واللاذقية . وفي اليوم التالي انضمت

(٨) تقرير من الدكتور « مصطفى كامل » سفير الجمهورية العربية المتحدة بواشنطن بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٩ واصله محفوظ في أرشيف وزارة الخارجية ، وتوجد ٦ نسخ منه في أرشيف منشية البكري ، ويبدو أنها كانت معدة للتوزيع على عدة جهات رسمية ، ولكن ذلك التوزيع لم يتم لسبب أو آخر .

إلى قرار المقاطعة إتحادات العمال في بيروت وطرابلس والعقبة والكويت والرباط وبورسودان .

وكانت أول باخرة أمريكية اقتربت من ميناء الاسكندرية عند بدء تنفيذ قرار المقاطعة العربية هي الباخرة « انتربرايز » ، وقد أبلغها وكيل شركة الشحن التي تتبعها بينما هي لا تزال عند مدخل الميناء بأن الموقف الذي ينتظرها سيئ ، وأن هناك جموعا من العمال على الرصيف المقرر رسوها عليه يحملون لافتات تقول « لاء ... لا وقود ... لا طعام ... لا شحن ... لا تفريغ ... لا خدمات من أى نوع للبواخر الأمريكية » . كما أن هؤلاء العمال يمسون بميكروفونات تنادى بأنه « لا تعاون مع أى باخرة أمريكية » . وأدارت « انتربرايز » دفتها لتفقت من المقاطعة ، لكنها لم تلبث أن وقعت تحت أحكامها في ميناء بور سعيد لأنها كانت متجهة إلى الشرق الأقصى .

وفي ميناء بور سعيد كانت أحكام المقاطعة قد نفذت فعلا على الباخرة « جون فرانكلين » ، وطبقت في السويس على الباخرة « بن شبرد » .

وفي بيروت طبقت المقاطعة على الباخرة « مولين فيكتورى » و « سانتا لوتشيا » . واضطرت باخرتان أمريكيتان أخريان هما « ستيل » و « اكسبورت لاين » إلى التراجع عن ميناء بيروت والتوجه إلى أثينا . وفي اللاذقية طبقت أحكام المقاطعة على الباخرة « مونتويك » .

وفي نفس اليوم نقلت وكالة « يونيتد برس » برقية تقول إنها « علمت أن بقية الدول العربية التي لم تشترك موانئها في تطبيق أحكام المقاطعة ضد البواخر الأمريكية سوف تستجيب لنداء الاتحاد العام للعمال العرب من القاهرة » . وكانت أبرز هذه الدول في القائمة الجديدة هي : ليبيا وتونس والمملكة العربية السعودية واليمن .

وبذلك أصبحت المقاطعة العربية للبواخر الأمريكية شبه كاملة .



وهنا دخلت الأزمة إلى أرض الشوك . ذلك أن إسرائيل استغلت الفرصة وحشدت كل أنصارها في الكونجرس ، وفي الرأي العام - فإذا مشروع قانون يقدم إلى الكونجرس بوقف شحنات القمح الأمريكى إلى الجمهورية العربية المتحدة إذا واصلت أعمال الحصار ضد الملاحة الاسرائيلية !

لم يقل الكونجرس الأمريكى شيئا عن البواخر الأمريكية ومقاطعتها ، لكنه قال كثيرا عن البواخر الاسرائيلية .



لم تكن أزمة الموانئ والبواخر ، واتحادات البحارة تنتهى - حتى فتحت إسرائيل جبهة أخرى . وكان لابد لها أن تفعل ، فإن الموقف الذى وجدت نفسها فيه بعد التطورات الأخيرة فى الشرق الأوسط كان يدفعها إلى الحركة باستمرار بحثا عن منفذ ، وإلا استحکم من حولها طوق الحصار . وكان اتجاه إسرائيل هذه المرة ومع بداية سنة ١٩٦٠ نحو إيران . وكانت طهران مستعدة لملاقاة إسرائيل فى منتصف الطريق .

وفى الواقع فإن الدولة الاسرائيلية منذ قيامها كانت تحاول أن ترسم لنفسها استراتيجية تتجاوز فيها الطوق العربى المحيط بها ، وتقفز إلى ما وراءه حيث توجد قوميات أخرى ليست عربية ، وإن كان بعضها يعتنق الاسلام . وكان بصرها مركزا منذ اللحظة الأولى على تركيا وإيران^(٩) ، خصوصا وهى تعرف أن تركيا بتأثير حركة « الشريف حسين » ضد دولة الخلافة أيام الحرب العالمية الأولى وبعدها - قد سادها شعور بالمرارة ضد العرب ، وأن هذا يعطى أرضية صالحة لمواقف تركية غير ودية تجاه العرب . وقد عبر ذلك عن نفسه بالدور الذى قامت به تركيا فى إنشاء حلف بغداد ، وفى توجيهه أنشطة لجانه خصوصا لجنة الأمن والمخابرات .

وبالنسبة لإيران فقد كانت هناك أيضا أرضية تبدو جاهزة ، وإن اختلفت تضاريسها . فالدولة الإيرانية كانت لقرون طويلة منطقة احتكاك حضارى بين

(٩) مدت إسرائيل بصورها إلى أكثر من ذلك ، فقد حاولت تطبيق هذه السياسة مع الجماعات الدينية داخل البلاد العربية ، وتصور « دافيد بن جوريون » أنه يستطيع أن يخلق جسورا مع المقاومة فى لبنان ، وقد روى وزير خارجيته « موسى شاريت » كيف أن « بن جوريون » طلب أن توجه إسرائيل جهودا أكبر نحو تمزيق لبنان ، وإقامة دولة مارونية فيه تشعر بحاجتها إلى التحالف مع إسرائيل ، وقد وصف « شاريت » هذه الفكرة بأنها « غير عملية » .

الحضارة العربية في شبه الجزيرة العربية وبين الحضارة الهندية في شبه القارة الهندية . وفي هذا الموقع ، وبأحكام الجغرافيا والتاريخ ، فإن الدولة الإيرانية أيضا كانت تشعر بحالة من شبه الحصار .

وعندما أصبح المذهب الشيعي الاثنا عشرى مذهبا رسميا للدولة الإيرانية في عهد الشاه « اسماعيل الصفوى » - في ظروف مواجهة سياسية ومذهبية ضد الامبراطورية العثمانية السنية - فإن المذهب الشيعي ، وهو مذهب أقلية بين جموع المسلمين ، أضاف إلى المزاج النفسى للدولة الإيرانية مزيدا من الشعور بالحصار . فالقومية المحاصرة بمواريتها الحضارية اعتنقت مذهباً يشعر هو الآخر بالحصار . وكان امتزاج هذين العنصرين يخلق ضغوطا شديدة على الذات الإيرانية خصوصا عندما احتدم الصراع بين إيران الصفوية ، وبين دولة الخلافة العثمانية ، ولعبت الامبراطورية البريطانية دورها في إنكاء روح هذا الخلاف وتعميق جذوره ، وكان هدفها من ذلك بالقطع هو عزل تأثير دولة الخلافة الاسلامية عن الوصول إلى جحافل مسلمى الهند الذين قامت بهم فيما بعد دولة باكستان .

واستمر الحال على نفس المنوال بعد عهد الصفويين إلى عهد أسرة « الكاجار » التى خلفتهم ، ثم استمرت نفس هذه العوامل الجغرافية والتاريخية فى التأثير على توجهات أسرة « بهلوى » التى أسسها الجاويش « رضا خان » سنة ١٩٢٢ ووضعها على عرش الطاووس بعد سقوط أسرة « الكاجار » . وقد كان « رضا خان » يتطلع باستمرار إلى « تركيا أتاتورك » ويتباعد قدر ما يستطيع عن العالم العربى ، ولم يقدم على خطبة أميرة مصرية من أسرة « محمد على » لابنه « محمد » إلا عندما أراد أن يضع نفسه فى مصاف الأسر المالكة القديمة فى منطقة الشرق الأوسط .



وبعد الحرب العالمية الثانية ، وما وقع فيها من عزل « رضا خان » وصعود ابنه « محمد رضا خان » إلى العرش بمساعدة البريطانيين ، ثم ما لحق هذا من دخول النفوذ الأمريكى لإرث النفوذ البريطانى ضمن محاولة شملت الشرق الأوسط كله - لم يكن لدى حكومة الشاه فى طهران عندما قامت إسرائيل سنة ١٩٤٨ خيار غير الاعتراف بإسرائيل اعترافا فعليا de facto وإن تمهلت بعض الشىء قبل أن تقدم اعترافها القانونى de jure . ولم يكن فى استطاعتها أن تذهب إلى أبعد من هذا لأن دولا كثيرة فى العالم فى آسيا وأوروبا رفضت الاعتراف بإسرائيل لا واقعا ولا قانونا ، وكان أولها دولة الفاتيكان - فضلا عن أسبانيا واليونان وغيرهما من الدول التى امتنعت عن التورط فى الاعتراف بإسرائيل رغم كل الضغوط الأمريكية والبريطانية التى تعرضت لها .

وفي أواخر الأربعينات كان الوجود الاسرائيلي في طهران يتقدم حثيثا ، ويحاول ان يحتل أكبر مساحة يستطيع أن يصل إليها للنفوذ والتأثير في طهران .

وعندما بدأت بؤادر الثورة الايرانية التي قادها الدكتور « محمد مصدق » ولقيت التأييد الذي لقيته من العالم العربي - بدأت الضغوط تشتد في معارضة ظاهرة نمو العلاقات الاسرائيلية الايرانية ، وبالفعل فإن هذه الضغوط حققت نجاحا كبيرا عندما تصدى لقيادتها « آية الله الكاشاني » وهو أبرز آيات الله في « قم » في تلك الأيام . وقد أعلن مكتبه في مايو ١٩٥١ أنه سئل في فتوى عن شرعية الاعتراف الايراني بإسرائيل ، ورد عليها بفتوى شرعية صادرة عن حوزته قال فيها : « إن الاعتراف بدولة إسرائيل هو تأييد لعدوان يقع على العرب المسلمين ، والمسلمين غير العرب » . وفي يوم ٧ يونيو صدر إعلان رسمي في طهران عن وزارة الخارجية الايرانية يقول بالنص : « إن وزارة الخارجية الايرانية بعثت تلغرافيا اليوم إلى قنصليتيها في تل أبيب والقدس المحتلة تبلغهما فيه أن أي وجود إيراني رسمي في إسرائيل قد أصبح منذ اليوم منحلا » . ويظهر أن « آية الله الكاشاني » لم يكن واثقا من صدق نوايا وزارة الخارجية الايرانية ، وهكذا كتب خطابا رسميا على أساس فتواه إلى وزير الخارجية الايرانية « كاظمي » يطلب منه تعهدا مكتوبا . وكتب إليه « كاظمي » خطابا برقم ٢٠٠٢ نصه :

« لخدمة الحضرة الشريفة آية الله السيد الحاج سيد أبو القاسم الكاشاني دامت بركاته - ردا على خطابكم الشريف المؤرخ بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٥١ نتشرف بعرض الآتي :

١ - لم تعترف الدولة الامبراطورية الشاهانية إلى الآن اعترافا كاملا بدولة إسرائيل (يقصد التفرقة بين الاعتراف الفعلي ، والاعتراف القانوني) .
٢ - اتخذ في الآونة الأخيرة قرار بحل القنصليات الامبراطورية في فلسطين .

٣ - لن يقبل في إيران أي ممثل من قبل إسرائيل ، وبأي صفة كانت ، او أي عنوان .

إمضاء

وزير الخارجية «

وعندما وقعت الثورة المضادة في ايران ، وجرى الانقلاب على حكومة الدكتور « محمد مصدق » الوطنية ، وعاد الشاه الهارب خوفا من الثورة من

أوروبا إلى طهران مرة أخرى ، انفتح المجال من جديد أمام إسرائيل ، فإذا بعثاتها التجارية تصل إلى طهران ، وتلحق بها بعد ذلك جماعات من الدبلوماسيين ، ورجال المخابرات . وإذا البترول الإيراني يصبح المحرك الرئيسي لاقتصاد إسرائيل ، والوقود الوحيد تقريبا لجيشها بكل أسلحته البرية والبحرية والجوية .

وتنبهت الجامعة العربية في ذلك الوقت إلى ما يجري ، وكلفت حكومة العراق ورئيسها « نوري السعيد » في ذلك الوقت بالتدخل لدى الشاه ، وهو شريكه في حلف بغداد لكي يلفت النظر إلى عواقب التعاون الإسرائيلي الإيراني النشط - على العلاقات الودية التي يجب أن تقوم بين العرب وإيران . وروى « نوري السعيد » في جلسة لمجلس الجامعة العربية سنة ١٩٥٥ أن الشاه قال له عندما فاتحه في الموضوع : « إن العرب لا يحق لهم أن يطالبونا بشيء ، فعندما توقف إنتاج بترولنا أثناء أزمة التأميم أيام مصدق انتهز العرب الفرصة ، وزادوا من إنتاج نفطهم لتعويض نقص الأسواق بسبب توقف إنتاج البترول الإيراني » .

وفي معركة السويس سنة ١٩٥٦ كانت الآلة الحربية الإسرائيلية تتحرك بالكامل اعتمادا على بترول إيراني^(١٠) . وفي ظروف الدعوة المحمومة لحلف بغداد اشتد التنسيق الإيراني الإسرائيلي ضمن المخطط الغربي العام بدعوى الدفاع عن المنطقة . ثم وصل الأمر إلى مداه عندما وقعت ثورة ١٤ يوليو في العراق ، وانهارت بذلك عمليا أية فاعلية لحلف بغداد . ووقتها أحس الشاه بأنه يستطيع أن يقنن علاقاته مع إسرائيل دون الخشية من أي حرج أو أية موانع .



ولشهور بعد الثورة في العراق بدا النشاط الإسرائيلي في إيران سافرا ومفتوحا ، ولم يعد الأمر مقصورا على التبادل التجاري بما فيه بيع البترول ، ولا على النشاط الثقافي وقد امتد ليشمل تبادل وفود صحفية وإعلامية - وإنما بدأ السلاح الإسرائيلي يصل إلى إيران ، وكانت مقدمته شحنة من المدافع الرشاشة من طراز « عوزي » وصلت في تقدير تقرير كتبتة السفارة السعودية في طهران بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٥٩ إلى ستة آلاف مدفع رشاش . وقد قام السفير السعودي في طهران بإطلاع زميله المصري السفير « محمود محرم حماد » على

(١٠) كان البترول الإيراني هو وقود الآلة الحربية الإسرائيلية في معارك سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ - رغم كل ما قاله الرئيس « السادات » - يرحمه الله - عن العرفان والوفاء لموقف شاه إيران أيام حرب العبور سنة ١٩٧٣ ، وفي الواقع فإنه كان مجرد غطاء دعائي لتسهيل تغيير السياسة المصرية تجاه الشاه محمد رضا بهلوي^١ .

فحواها ، واتفق الاثنان على ضرورة أن يقوم السفراء العرب بمسعى مشترك لوقف التعاون العسكرى بين إيران وإسرائيل ، وزادت أهمية الموضوع عندما ذكر لهما السفير العراقى فى طهران أنه علم من مصدر موثوق يعرفه من قديم أن هناك خطة للتنسيق بين أجهزة المخابرات المدنية ، والعسكرية فى البلدين .

وفى ١٠ مارس ١٩٦٠ توجه السفراء العرب فى طهران إلى مقابلة مع وزير الخارجية ، وشرحوا له مخاوفهم ، وقدموا إليه مذكرة مكتوبة بأرائهم أرفقوا بها قصاصة من جريدة « طهرانى جورنال » جاء فيها وصف « بن جوريون » بأنه « حارس السلام فى الشرق الأوسط » . ثم تعقدت الأمور حينما بدأت الوفود الاسرائيلية تشترك فى كل المؤتمرات والمناسبات العامة التى تعقد فى طهران مما كان يضطر كل الوفود العربية إلى الانسحاب من هذه المناسبات .

ثم ترددت أنباء عن اجتماعات سرية تعقد فى قصر المرمر بين الشاه ، وعدد من الشخصيات الاسرائيلية فى مقدمتها رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » والجنرال « موسى ديان » و « شيمون بيريز » المدير العام لوزارة الدفاع فى ذلك الوقت . وتجاسر السفير اليوجوسلافى فى طهران ذات مرة فى لقاء له مع الشاه ، فقال له :

« إن هناك ضيقا بين السفراء العرب الذين بلغهم أنكم تجتمعون مع بعض الزعماء الاسرائيليين » . ورد عليه الشاه قائلا : « إننى قابلت بعضهم بالفعل ، ولكنى لم أقابلهم لأسباب سياسية » . ثم أضاف الشاه مامؤداه أنه استقبل بالفعل بعض الاسرائيليين « لأسباب ثقافية لا يستطيع هؤلاء العرب تقديرها . فهؤلاء الاسرائيليون المثقفون ، والعارفون بتاريخ الحضارات لفتوا نظرى إلى أن الذكرى الـ ٢٥٠٠ لتأسيس مملكة « قورش » باني الحضارة الايرانية سوف تحل بعد سنوات قليلة ، وأن الاحتفال بهذه الذكرى قد يكون مناسبة انسانية تجمع العالم كله على الحفاوة بلحظة تاريخية مشرقة . وأنه سعد كثيرا برأيهم ، وخصص بالفعل ٢٠ مليون ريال للاستعداد لهذه الاحتفالات من الآن . »

ووصل ملخص لتقرير السفير اليوجوسلافى عن مقابلته مع الشاه إلى القاهرة فى إطار تبادل المعلومات بين الرئيسين « تيتو » و « عبد الناصر » . وكانت الأخبار قد بدأت تصل إلى القاهرة من مختلف المصادر بأن قرارا قد اتخذ بالفعل ، وعلى أعلى مستوى بين الشاه و « بن جوريون » بقصد إقامة علاقات رسمية بين البلدين يتم بها تقنين العلاقات المتسعة بينهما فى كل المجالات ، والتى بدأت تصل إلى قضايا الأمن والدفاع . ولم يكن الأمر فى حاجة إلى تخمينات ، فقد نشرت صحيفة « كيهان » وهى

المقربة من بلاط الشاه خبرا في صفحتها الأولى يوم ١٨ يوليو ١٩٦٠ تحت عنوان « إقامة تمثيل دبلوماسي بين إيران وإسرائيل » ، وجاء في صلب الخبر ما نصه : « بدأت في الأيام الأخيرة مباحثات بشأن إقامة تمثيل إيراني في إسرائيل ، وسوف يتم ذلك بمجرد إعداد الميزانية اللازمة . وقد صرح اليوم مصدر مطلع بأن موضوع إنشاء تمثيل إيراني في إسرائيل هو موضوع عادي لأنه سبق للحكومة الإيرانية أن اعترفت رسميا بإسرائيل . وليس في الموضوع تجديد إقرار إذ أن حكومة إيران أغلقت في وقت من الأوقات قنصلياتها في إسرائيل لأسباب تتعلق بالميزانية ، ولم يكن هذا مبنيا على سحب الاعتراف ، وإنما كان مرهونا بالوقت الذي تسمح فيه الميزانية بوضع الأمور في مكانها الصحيح » .

وبدا الموضوع خطيرا بالنسبة لـ « جمال عبد الناصر » لعدة أسباب :

١ - أن إسرائيل على هذا النحو تقفز فوق الطوق العربي المحيط بها إلى ما وراءه في المنطقة .

٢ - أن التعاون الإيراني الإسرائيلي قد يصبح خنجرا في ظهر الثورة العراقية التي مازالت تواجه ظروفًا صعبة تستغلها قوى أجنبية عديدة .

٣ - أن اعتراف إيران بإسرائيل اعترافا كاملا سوف يكون سابقة خطيرة ، إذ أنه يعني أن إحدى الدول الإسلامية تعترف بها اعترافا كاملا لأول مرة .

٤ - أن اعتراف دولة إسلامية بإسرائيل قد يتخذ تكاة تستند إليه دول أخرى خصوصا في أفريقيا التي حصلت بلدان عديدة فيها على استقلالها أخيرا .

وتلقى سفير الجمهورية العربية المتحدة في طهران برقية تطلب منه تقريراً تفصيلياً عن احتمالات الاعتراف الدبلوماسي الكامل من جانب إيران بإسرائيل ، وإنشاء علاقات دبلوماسية بينهما . وبعث السفير « حماد » إلى القاهرة بتقرير كامل ، وأضاف إليه ترتيب جهد مشترك بين السفراء العرب في محاولة للاحتجاج والتصدي ، وكان السفير السعودي في طهران في ذلك الوقت هو عميد السلك السياسي الأجنبي فيها . وتم الاتفاق على أن يقوم هو (أي السفير السعودي) معززا بأهمية المملكة العربية السعودية كأكبر منتج للبترول ، وبمكانته كعميد للسلك السياسي في طهران - بطلب مقابلة عاجلة مع وزير الخارجية الإيراني ، وإبلاغه بقلق الدول العربية . وتمت المقابلة بالفعل صباح يوم الأربعاء ٢٠ يوليو .

وفي مساء نفس اليوم دعا السفير السعودي زملاءه من السفراء العرب في طهران إلى اجتماع معه ليرى لهم ما دار بينه وبين وزير الخارجية^(١١) .

روى السفير السعودي أنه أثار موضوع اعتراف إيران بإسرائيل وشرح لوزير الخارجية الإيرانية عواقبه ، وكان رد وزير الخارجية عليه أن لفت نظره محتدا إلى تعرض صحف الجمهورية العربية المتحدة وصحف لبنان والعراق لشخص « صاحب الجلالة الامبراطورية الشاهانية » وأشار إلى خبر ظهر في جريدة الأهرام عن سيدة اجنبية اعطت حديثا لإحدى الصحف الفرنسية قالت فيه إنها كانت عشيقة للشاه - ثم إن جريدة الجمهورية نشرت صورة عارية للآنسة « فرح ديبا » التي خطبها الشاه لنفسه - وهو (أى وزير خارجية إيران) يسلم بأن السفارة المصرية قدمت للخارجية الإيرانية اعتذارا عن نشر هذه الصورة ، ولكن هذا الاعتذار لم ينشر في الجريدة التي نشرت الصورة^(١٢) . ثم روى السفير السعودي أيضا : « إن السفير الإيراني في القاهرة يحاول منذ اسابيع مقابلة وزير الخارجية المصرى ، ولكن طلبه لم يلق استجابة حتى الآن » . ثم أضاف السفير السعودي في روايته : « إن المشكلة هي أن حكومة سويسرا التي كانت ترعى مصالح إيران في إسرائيل ابلغته (أى وزير خارجية إيران) أنها لم تعد تستطيع مواصلة القيام بهذه المهمة لأنها تستنفد جهد كل موظفى السفارة السويسرية في إسرائيل . فقد تبين لهم أن في إسرائيل ٥٠ ألف إيراني منهم ٧ آلاف مازالوا يحملون جوازات سفرهم الإيرانية » . وقال السفير السعودي في نهاية تلخيصه لمقابله مع وزير خارجية إيران أنه (أى السفير السعودي) قال لوزير الخارجية الإيراني : « إن الدول العربية لا تستطيع قبول وجهة النظر الإيرانية كما سمعها ، وأن ما سمعه لا يوحى بالخير ، وأنه لا يتصور أن إيران تفضل إسرائيل على مائة مليون عربى » .

ثم حدث ما لم يرد سفير السعودية أن يتصوره ، وأعلن رسميا في طهران عن إعادة العلاقات مع إسرائيل ، وعلى أن هذا لا ينشئ وضعاً جديداً ، وإنما هو استئناف لحقيقة كانت قائمة من قبل !



وفي القاهرة وجد « جمال عبد الناصر » أنه لابد من توجيه تحذير عنيف إلى شاه

(١١) برقية رمزية بتوقيع السفير ، محمود محرم حماد ، سفير الجمهورية العربية المتحدة في طهران بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦٠ - أرشيف وزارة الخارجية .

(١٢) كانت الصورة التي نشرتها جريدة الجمهورية لـ « فرح ديبا » بالميوه منقولة عن مجلة « بارى ماتش » الفرنسية التي اشترتها من إحدى وكالات الأنباء التي باعته في العالم كله .

إيران . وهكذا وقف في خطاب عام ، وتحدث عن « خطورة اعتراف بإسرائيل ، وأنه بهذا الاعتراف يؤكد للعالم كله ولشعبه أنه العوبة المخابرات المركزية الأمريكية التي أعادته إلى العرش بعد الانقلاب المض ثورة مصدق ، وأن نهايته سوف تكون نهاية غيره من العملاء » .

كان رد « جمال عبد الناصر » عنيفا وموجها إلى الشاه مباشرة ، وقد أسبابه في ذلك العنف بأن هدفه الحقيقي هو أن يردع أى طرف يتصور أن به استغلال وضع تجد فيه الجمهورية العربية المتحدة نفسها في خلافات مع الأاعظم في نفس الوقت ، ويتوهم أن ذلك يمكن أن يحد من ردود فعلها تجاه أية إلى سياساتها . وأن الرد بعنف كان ضروريا لجعل آخرين في العالم الاسلامى أفريقيا يفكرون مرتين قبل أن يحذوا حذو إيران . ثم إن سلاحه الأساسى الذى عليه هو تعبئة الجماهير العربية في كل مكان . فالحديث إلى هذه الجماهير وضوحا قاطعا يختلف عن ظلال دبلوماسية المذكرات . ثم استشهد « عبد الناصر » بما تفعله ألمانيا الغربية في تطبيق مبدأ « هالشتين » على أى د العالم تعترف بألمانيا الشرقية . وبمقتضى هذا القانون فإن ألمانيا الغربية علاقاتها فوراً بأى دولة في العالم تعترف بالنصف الشرقى منها - فكيف إذ الاعتراف بعدو في حرب لا تزال مستمرة ؟

وفقد الشاه أعصابه ، وأصدرت وزارة الخارجية الإيرانية بيانا رسميا ج بالنص : « إن وكالات الأنباء الأجنبية نقلت مساء اليوم تصريحات م جمال عبد الناصر تعرض فيها للمؤسسات المقدسة في إيران . ولكن هذا الف المصرى الأحقق يشوه حقائق موقف الحكومة الامبراطورية الشاهانية تصريحات جمال عبد الناصر الغبية والشريرة والرخيصة لا تليق ب دولة ، ولكن هذا لا يدهش جلالة الامبراطور الذى يعلم أن ذلك الرجل ق السلطة على اساس غير شرعى » .

وقد أصدرت وزارة الخارجية أمرا إلى السفير المصرى في إيران بأن طهران في ظرف ٢٤ ساعة .

كان خطاب « جمال عبد الناصر » عنيفا ، وجاء رد الشاه بذيئا . والوا العلاقات بين الرجلين لم يقدر لها أن تكون طيبة في يوم من الأيام ، فقد كان متطيرا من ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، وقد زاد تشاؤمه عندما تم تأمين قناة الس بنجاح ، وقد كان في ذلك ما يذكره بمحاولة « مصدق » التى لم يكتب لها النج إيران . ثم أن الشاه كان حساسا باستمرار لحقيقة أن والده « رضا خان » ق جاویش في اسطبلات الحرس الكاجارى ليجلس على عرش الطاووس ، وبالتالي

كراهيته للثورات ، وحتى الانقلابات ، كانت ظاهرة لحالة انفصام عقلي تدعوه إلى التظاهر بعراقه الأصل وتجعله يبالغ في مراسمها عل ذلك أن يقطع صلته بالجذور وبالماضى تماما . وإضافة إلى ذلك ، فإن سقوط حلف بغداد بطريقة دموية في العراق ، ألحق به جراحا نفسية ، ومخاوف لا سبيل إلى ردها .



وكانت الولايات المتحدة تحاول أن تتنصل من تصرفات الشاه . ففي الليلة السابقة لمغادرته لطهران تنفيذا لأمر الطرد الصادر عن الشاه - حضر السفير المصري « محمود محرم حماد » حفل استقبال في سفارة الهند قصد منه أن يودع بالجملة زملاءه من السفراء المعتمدين لدى الحكومة الإيرانية . وروى السفير « حماد » في تقرير له عن يومه الأخير في طهران ما نصه :

« حضرت مساء الاثنين ٢٥ يوليو ١٩٦٠ حفل استقبال أقيمت في سفارة الهند وقابلت فيها :

□ أولا : السيد جلال عبده وزير الخارجية الإيرانية السابق ، وقد أعرب لي سرا عن دهشته لحدة تصريحات الشاه ، وأبدى أسفه لموقف بلاده من إسرائيل ، وقال لقد كان رأيه أن لا تغير إيران سياستها طالما أن إسرائيل لا تنفذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين .

□ ثانيا : انتحى بي السفير الأمريكي جانبا ، وأبدى لي دهشته من اتجاه إيران إلى الاعتراف رسميا بإسرائيل ، ثم أضاف قائلا لي : « إننى لا أعرف لماذا يخلقون لأنفسهم مشاكل جديدة في حين أن لديهم ما يكفيهم منها » . ثم أبدى لي السفير الأمريكي عبارة فهمت منها « أنه بعد ما حدث ، فإنهم قد يضطرون إلى وقف تنفيذ قرارهم . »

وكان هذا هو ما حدث فعلا ، فإن مختلف القوى الوطنية في إيران برغم ما تعانيه من كبت وقمع راحت تتحرك - حتى بالمظاهرات في جامعة طهران - وتوقفت عملية تبادل السفراء ، وإن كانت قد تحولت إلى بعثة لرعاية المصالح المشتركة .

الفصل الثالث

أحزان أفريقيا



بعض السنوات في التاريخ كبعض المواقع على الطرق - يشهد عندها الزحام وتكثر الحركة ، وتزداد احتمالات حوادث التصادم . وتلك في الغالب مواقع تقاطع الطرق !

وعلى خرائط التاريخ نقط تقاطع ، كما على خرائط الطرق .

وضحايا حوادث التصادم على نقط تقاطع التاريخ أخطر شأنا وأبعد أثرا منهم على نقط تقاطع الطرق ، ذلك أنه عندما تقع حوادث التصادم في التاريخ فإن الضحايا ليسوا مجرد أفراد ، وإنما هم أفكار وأقطار ، وأفراد أيضا ، وإن كانوا في العادة أفرادا من طراز خاص لم يكن غافلا عما دهمه ، وإنما كان فاعلا مسؤولا ولو حتى بمقدار !



وكان الجسر الذي مشيت عليه الحركة السياسية الدولية من نهاية الخمسينات إلى بداية الستينات نقطة تقاطع طرق تاريخية ، وعلى نحو يكاد يجعل الوصف مطابقا للموصوف تماما ، مما يجعله حالة نموذجية للدراسة والتحليل !

كانت القوتان الأعظم في سباق عنيف بينهما ، وهو سباق يحذر الكل من عواقبه . لكن الكل لم يكونوا قد استطاعوا بعد تقنين قواعده . وقد اشتد الخوف من

العواقب بعد معركة السويس التى أوصلت الدنيا إلى حافة الهاوية ،ولكن القوانين تحتاج إلى اتفاق وتوازن ورضا ، ولا يكفى فيها مجرد الخوف !

وكانت القوى الكبرى خصوصا بريطانيا وفرنسا قد نزلت عن عروشها الامبراطورية ، ولكنها لم تتنازل ، وهناك فارق كبير بين الاثنين ، فالنزل إكراه ، والتنازل إدراك ، والامبراطوريات لا تدرك بسهولة !

وكانت الأمم المتحدة ، وهى التجمع الدولى الذى قبله العالم نظاما لمجتمع الدول - ساحة برز فيها ضمير العالم معتمدا على أغلبية من الضعفاء تصدوا لسيطرة أقلية الأقوياء ، واستطاعوا فى السويس أن يضفوا المبادئ على درجة أعلى فوق المطامع - لكن أغلبية الضعفاء نفسها قصير وصبرها - حتى مع الانضباط - قليل ، ثم إن تباعد الظروف لا يستطيع أن يجعل منها حركة موحدة الاتجاه فى كل أزمة .

ولقد بدا بعد السويس ، واستفادة من نتائجها ودروسها ، أن هناك محاولة لتنظيم المرور على طرق التاريخ المتقاطعة .

بدأت القوتان الأعظم محاولة على مستوى القمة لبحث سباق السلاح كمقدمة للوصول إلى نوع من الوفاق ، وقام « خروشوف » بزيارة للولايات المتحدة كان يجب أن تعقبها زيارة يقوم بها « ايزنهاور » للاتحاد السوفيتى فى ربيع سنة ١٩٦٠ .

وكانت القوى الامبراطورية السابقة مشغولة بعمليات المقاومة الأخيرة قبل التصفية النهائية : فرنسا فى الجزائر - وبريطانيا فى عدن والخليج العربى .

وكانت الأمم المتحدة قد وجدت لنفسها صيغة بدت ملائمة ، فى جانب تناقش القوتين الأعظم بالأسلحة وبالعقائد - كانت السكرتارية العامة للأمم المتحدة بشخصية « همرشولد » تمارس دورا أكبر بكثير من دور الموظف الدولى الأول ، وساعده على هذا الدور أن مجموعة الدول غير المنحازة بقيادة الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة ، ومعها كوكبة من الدول المؤمنة بنفس الاتجاه تتبعها كتائب من قوى حركة التحرر الوطنى - راحت جميعا تضع قوتها بالكامل وراء مبادئ الأمم المتحدة .

وبدا فى نهاية الخمسينات أن هذه الترتيبات التى أوجدتها ظروف الممارسة الدولية قابلة للنجاح فى مهمة تأسيس نظام دولى قابل للحياة والحركة والفعل . ثم فجأة فى أوائل الستينات اختلت الموازين ، وتشابكت حركة الزحام ، وتصادمت عند تقاطع الطرق !

كانت أفريقيا هي أول نقطة تقاطعت عندها الطرق في نهاية حقبة الخمسينات ،
وبداية حقبة الستينات .

كانت خمائر السويس قد نضجت بسرعة ، وأدت إلى استقلال غانا في سنة
١٩٥٧ ثم لحقها استقلال غينيا في سنة ١٩٥٨ ، وهبت « رياح التغيير » - تعبير
« هارولد ماكميلان » - على القارة السوداء حاملة بذور الثورة والتحرر ، وما هي
إلا شهوور حتى بدأت علامات عشرين مخاضا لميلاد جديد في قلب أفريقيا .

وفي سنة ١٩٦٠ كان كل شهر تقريبا يسمع صراخ ولید أفريقي مستقل
مطالب بحقوق الحياة .

في أول يناير ١٩٦٠ أعلن استقلال الكامبيون ، وفي ٢٧ أبريل أعلن استقلال
توجو ، وفي ٢٦ يونيو أعلن استقلال بلدين في وقت واحد : مدغشقر
والصومالي الشمالي ، وفي ٣٠ يونيو أعلن استقلال الكونجو (زائير) ، وفي
أول يوليو أعلن استقلال الصومال الجنوبي ، وفي أول أغسطس أعلن
استقلال بنين ، وفي ٧ أغسطس أعلن استقلال ساحل العاج (كوت
ديفوار) ، وفي ٨ أغسطس أعلن استقلال فولتا العليا (بوركينافاسو) ، وفي
١١ أغسطس أعلن استقلال تشاد ، وفي ١٣ أغسطس أعلن استقلال النيجر
واستقلال أفريقيا الوسطى ، وفي ١٥ أغسطس أعلن استقلال الكونجو
(برازافيل) وفي ١٧ أغسطس أعلن استقلال الجابون ، وفي ٢٠ أغسطس
أعلن استقلال السنغال ، وفي ٢٢ سبتمبر أعلن استقلال مالي ، وفي أول
أكتوبر أعلن استقلال نيجيريا ، وفي ٢٨ نوفمبر أعلن استقلال
موريتانيا . . .

زحام شديد على تقاطع الطرق !



ولم تكن عمليات الميلاد الجديد المتوالية بهذه السرعة كأنها شلال يتدفق مجرد
مشهد طبيعي يخطف الأبصار بروعته ، ذلك لأن الاستعمار لم يكن مجرد قيد من
حديد ينكسر ، فإذا هي الحرية بعد العبودية ، وإنما كانت الحقائق أعقد من ذلك
كثيرا ، وأشد مدعاة للهم والقلق ، فقد كان الاستعمار يريد أن يمنح مظهر
الاستقلال ، ويريد في نفس الوقت أن يمنع جوهره ، يترك القيد الحديدي يقع
بعد كسره ، ولكنه يحتفظ بصك العبودية في جيبه ، ولم تكن صكوك العبودية
أوراقا ، وإنما كانت حقائق اقتصادية وثقافية وسياسية تربط المستعمرات التي
استقلت بعواصم السيطرة السابقة عليها ، أي أنها تفرض الاضطرار بديلا عن

القسر ، فالالاقتصاد التابع والثقافة التابعة والأمن التابع حالة من القهر أسوأ مما يصنعه العنف ، فالعنف يستدعى المقاومة في حين أن الاضطراب إلى التبعية يورث الذل !

وهكذا فإن أفريقيا غداة أيام الاستقلال أصبحت قارة حزينة ، فقد كانت قياداتها الجديدة في أعماقها تدرك الحقيقة ، وإن راحت في تصرفاتها تحاول الهرب منها بوسائل مختلفة ، فقد كان هناك من اختاروا الهرب عن طريق الأوهام العقائدية (« سيكتوري » في غينيا مثلا) - وكان هناك من اختاروا الهرب عن طريق الأحلام الذاتية (« نكروما » في غانا الذي اختار لنفسه لقب « الأوسايفو » أي المنقذ المخلص . . مسيح إفريقيا !) - وكان هناك من اختاروا الهرب من باب الاستسلام الكامل للواقع (« باندا » في مالاوي مثلا) . ومع ذلك فإن إدراك الحقائق والهرب منها أو الاستسلام لها - ليس من شأنه إيقاف تفاعلات التاريخ ، وإن كان من شأنه جعل هذه التفاعلات مؤلمة ملتهبة ودامية .

وكانت مصر طوال تاريخها جسرا بين أفريقيا وآسيا ، وكان هذا الجسر جغرافيا بمقدار ما هو تاريخي ، ثم جاء دور الثورة المصرية في دعم حركات التحرر الوطني ، وفي صنع روح باندونج ، وفي المشاركة الفعلية في تحريك رياح التغيير بما في ذلك تحملها بمسؤولية أساسية في مناصرة ثورات شمال أفريقيا ، وأولها الثورة الجزائرية . وبمجممل هذه العوامل جميعا فإن القاهرة أصبحت بعد السويس عاصمة للتحرر الإفريقي .

وهكذا كانت القاهرة من أهم نقط تقاطع الطرق في أفريقيا وتلاقيها - أو تشابكها - مع آسيا .



ومع بدايات سنة ١٩٦٠ كان « جمال عبد الناصر » يشعر أن هناك احتمالات للزحام والصدام بالذات في أفريقيا ، كما أنه كان مشتركا في عملية تشاور واسعة مع « نهرو » و « تيتو » . وكان « نهرو » أقرب إلى تفكيره في هذه الموضوعات مما كان « تيتو » . واقترح عليه « نهرو » أن يلتقيا في دلهي ، وكتب إليه يسأله إذا كان يستطيع أن يشارك معه في الاحتفال بيوم الجمهورية في الهند يوم ٢٦ يناير ، ثم يتفرغ الاثنان بعد الاحتفالات لأحاديث أفريقية . واعتذر « جمال عبد الناصر » عن هذا الموعد ، فقد علم أن هناك ضيوفا كثيرا سوف يشاركون في هذا الاحتفال ، وبينهم الرئيس « فورشيلوف » رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية . وكتب إلى « نهرو » يقترح موعدا آخر ، وفهم « نهرو » أن « جمال عبد الناصر » ليس مستعدا في الوقت

الراهن ، وفي ظروف الخلاف المشتد مع الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط أن يلتقى ، ولو بالمصادفات ، مع شخصيات سوفيتية على مستوى رئيس الدولة . وكتب إليه خطاباً^(١) شخصياً جاء فيه :

« عزيزى الرئيس ناصر

كنت وزملائى فى الحكومة الهندية نطلع إلى زيارتكم للهند ، وإلى اشتراككم فى احتفالاتنا بيوم الجمهورية فى ٢٦ يناير . وقد علمنا الآن انكم تفضلون ان تحضروا إلى الهند فى الأسبوع الأول من أبريل ، ومرحباً بكم فى الهند فى أى وقت يناسبكم . ومع ذلك فما زلت أرى انكم إذا كنتم غير راغبين فى ان تتداخل زيارتكم مع زيارة الرئيس فورشيلوف ، فإننا نستطيع ان نحقق رغباتكم . ولما كان من المرجح ان يغادر الرئيس فورشيلوف دلهى يوم ٢٧ يناير ، فهل يمكنكم ان تحضروا إلى دلهى فى ٢٧ او ٢٨ ؟

مع اطيب تحياتى .

المخلص

جواهر لال نهرو

وكان رأى « جمال عبد الناصر » أنه لا يود الذهاب بهذه السرعة فى أعقاب زيارة « فورشيلوف » لأن ذلك قد يوحى ضمناً بوجود وساطة تقوم بها الهند بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى - فى حين أن الموضوعات التى كان راغباً فى مناقشتها مع « نهرو » كانت أوسع من الخلاف مع الاتحاد السوفيتى . وعندما التقى الاثنان أخيراً فى ٦ أبريل ١٩٦٠ كان اتفاقهما منذ اللحظة الأولى على أن أفريقيا ، وما يجرى فيها ، وما سوف يجرى هو موضوع الساعة . وكانت مخاوفهما تتركز فى مشكلتين :

● **المشكلة الأولى** هى مشكلة تحول قيادات حركة التحرر السريعة الناشئة عن رياح التغيير من حركات ثورية هشة إلى دول سوف تكون بالتأكيد ضعيفة ، مما يعرضها لأزمات داخلية وخارجية قد تعرضها لأكثر مما هى قادرة على احتماله فى هذه اللحظة من تطورها .

● **والمشكلة الثانية** أن هذا الوضع سوف يكون فرصة مهيأة للاستغلال بواسطة القوتين الأعظم ، وهكذا فإن عواصف الحرب الباردة قد تؤدى إلى دمار شديد فى القارة الواقعة على عتبات الاستقلال .

(١) رسالة « نهرو » محفوظة فى أرشيف منشية البكرى ، كما توجد منها نسخة فى أرشيف وزارة الخارجية .

وعلى هامش هاتين المشكلتين أثار « جمال عبد الناصر » أزمة خلافه مع الاتحاد السوفيتى ، كما أثار « نهرو » أزمة خلافه مع الصين . وكان رأيهما معا ان حركة التحرر الوطنى بصفة عامة قد وصلت إلى « تقاطع طرق » مع الكتلة الشيوعية . فهذه الكتلة وقفت مع حركة التحرر الوطنى إلى حين تحقيق الاستقلال . وحين تحقق برزت المطامح والمطامع لأن الفريقين لم يعودا كما كانا فى السابق يواجهان نفس الخصم ، ولنفس الهدف ، وهو تصفية الاستعمار .

كذلك أثار « جمال عبد الناصر » قضية هامة رآها فى ذلك الوقت ، وهى محاولات إسرائيل للنفاذ إلى القارة .

واتصلت المناقشات ، واستمرت بين الاثنين ، ولم يكن وقت الزيارة الرسمية كافيا ، فقضايا البحث بينهما ضخمة ، واحتمالاتها خطيرة . وفى آخر يوم من أيام الزيارة وهو ٩ أبريل ١٩٦٠ مر « نهرو » على قصر الضيافة الذى ينزل فيه « جمال عبد الناصر » وترك له رسالة يفكر فى موضوعها حتى يتقابلا بعد ذلك فى موعد الوداع الرسمى ، وقد جاء فيها :^(٢)

« عزيزى الرئيس ناصر

لم نستطع ان نغطي مساحة كل ما كنا نبحث فيه من موضوعات اثناء زيارتكم هنا فألى جانب لقاءاتنا اثناء زيارتكم كان امامكم ايضا برنامج حافل بالزيارات ، وارجو الا يكون ذلك قد ارهقكم . وعلى اى حال ، فانتم لا تزالون فى عنفوان الشباب ، وممثلون بالحيوية ، ومعتادون على العمل الشاق . لكننا لم نفرغ من كل ما كنا نعتزم بحثه . وانتم تعلمون اننى سوف احضر فى الشهر القادم مؤتمرا لرؤساء حكومات « الكومنولث » فى لندن ، واتمنى ان استطيع قضاء يومين او ثلاثة فى مصر فى طريق عودتى . فإذا استطعت ان تعطينى وقتا كافيا يومى ١٥ و ١٦ مايو - وإذا كان ذلك يناسبكم - فإننى اقترح ان اتوقف فى القاهرة لنستكمل فيها ما بدأناه هنا . وإذا اذنت لى ، فإننى اريد ان اقضى ثلاثة ايام فى مصر يومين منها معك فى القاهرة ويوم ثالث اتمنى ان أزور فيه السد العالى ، وربما معابد الأقصر ، فإن ذلك يجعلنى اشعر بنبض كل من مصر التى تتطور بسرعة ، ومصر القديمة العريقة .

توقيع

جواهر لال نهرو «

(٢) نص الرسالة بخط يد « نهرو » وبتوقيعه محفوظ فى أرشيف منشية البكرى ، ويلاحظ ان هامش هذه الرسالة حوى تاشيرة بخط « جمال عبد الناصر » يطلب وضع جهاز تكيف فى الاستراحة التى سينزل فيها « نهرو » فى اسوان .

وسافر « عبد الناصر » من الهند إلى باكستان ، فقد كان حريصا في كل مرة يزور فيها الهند بروابط عدم الانحياز - أن يزور باكستان أيضا بدواعي رابطة الاسلام . وكان يعرف مقدما أنه ليس لديه كثير يناقش مع حكومة باكستان ، ولكنه كان يقصد بالدرجة الأولى أن يلتقى بشعبها . وكان أثناء زيارته للهند قد دعا سفراء الجمهورية العربية المتحدة في كل الدول الآسيوية إلى اجتماع معه في « بومباي » ، وتشكل وقائع هذا اللقاء صورة لتفكيره في تلك المرحلة . فقد بدأ حديثه (٣) مع السفراء في آسيا بقوله :

« إننى احببت أن أراكم هنا مجتمعين فانا في احيان كثيرة أراكم فرادى ، وهذه فرصة لنا جميعا كي نرى الصورة كاملة معا بحيث يخرج كل منا برؤية واضحة لقارة بأكملها لها أهميتها الخاصة بالنسبة لنا . إنكم رأيتم أثناء وجودكم هنا كيف تنظر جماهير الشعوب إلى الجمهورية العربية المتحدة ، فانا لا اعتبر أن خروج الناس لاستقبالى على هذا النحو تحية موجهة لى شخصا ، وإنما اعتبره تحية موجهة إلى النموذج الذى قدمه الشعب في بلدنا للتحرر وللبناء . والسؤال الذى أسأله لنفسى ، وأسألكم فيه الآن هو كيف نستطيع تدعيم هذا النجاح ، فنحن لا نملك ما تملكه أمريكا أو روسيا ، وانما نملك ثلاثة عناصر يجب أن نحرص عليها لتظل للجمهورية قيمتها وقدرتها على التأثير . والعناصر الثلاثة هى :

١ - الاخلاص للقضايا الافريقية الآسيوية .

٢ - الحياة في هذه القضايا والتفاعل معها .

٣ - النموذج الذى نقدمه لكل الذين يتطلعون إلينا .

كل هذه العناصر مهمة لأن قيمة أى بلد في عالم اليوم تتحدد بقدرته على الإشعاع . ولا بد أن تلاحظوا أننا نتحمل تكاليف كثيرة لنحتفظ بموقفنا المستقل . ونحن نجد ان الشرق والغرب كليهما ينظر إلينا على أننا عقبة في طريقه إلى السيطرة . وفي آسيا وفي افريقيا مجالنا الحقيقى للحركة والتاثير . إننى كنت أتمنى أن تكون لنا امكانية التاثير في أوروبا وأمريكا ، ولكنى مضطر مع الأسف إلى الاعتراف بأن إسرائيل تسبقنا في هذين الميدانين . ولقد استطعنا مواجهتها في آسيا منذ أيام « باندونج » ونحن الآن نواجهها في افريقيا ، وعلينا أن نسبها إلى أمريكا اللاتينية .

وبالطبع فإن أمريكا وروسيا كليهما يحاول عزل تاثيرنا المستقل ، ولا ينبغي أن نسمح لأنفسنا أن نعزل . فإذا تم عزلنا عالميا ، فسوف تكون الخطوة التالية هى ضربنا محليا . »

(٣) محضر الاجتماع بين « جمال عبد الناصر » وسفراء الجمهورية العربية المتحدة في آسيا كتب اصله بخط الدكتور « محمود فوزى » وقد أعيد نقله بالآلة الكاتبة على أوراق وزارة الخارجية التى احتفظت منه بنسخة ، وبعثت بالنسخة الثانية إلى الرئاسة ، وهى محفوظة في أرشيف منشية البكرى .

وأعطى « جمال عبد الناصر » الكلمة بعد ذلك للدكتور « محمود فوزى » الذى طرح على السفراء كمدخل للنقاش تفاصيل ما كان قد جرى قبله من حوار فى دلهى بين « جمال عبد الناصر » و « جواهر لال نهرو » . ثم بدأت المناقشة واتصلت ست ساعات .

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة

ولحق به « نهرو » بعد أسابيع قليلة كما اقترح .

واتصلت المناقشات بين الصديقين فى نفس الموضوعات . وكانت أعلام الاستقلال ترتفع بسرعة خاطفة فى عواصم أفريقية عديدة ، ومع ذلك فإن الصديقين المجتمعين فى القاهرة ، كانا يحاولان مد البصر إلى ما وراء أيام الأفراح العابرة ، ويخشيان مما هو قادم بعدها من أسباب الصدام ودواعيه .



وقع الصدام الكبير فى الكونجو سنة ١٩٦٠ .

كان الكونجو فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين مستعمرة من نوع غريب فى التاريخ ، فقد كانت ملكيتها ملك بلجيكا الملك « ليوبولد السادس » شخصيا . كان « ليوبولد » هو مالك الغابات ، ومالك المناجم ، ومالك سكان الكونجو جميعا عبدا له بالمعنى الحرفى للكلمة ، أى أن الملك كان بالفعل يتاجر بالبشر حتى خارج حدود مستعمرته . ولقد تسبب هذا الوضع فى حرج شديد للشعب والحكومة فى بلجيكا ، الأمر الذى أدى بـ « ليوبولد » وورثته إلى أن يحولوا ملكيتهم للكونجو إلى شركات مساهمة ، وظل هذا الوضع قائما تقريبا إلى أيام معركة السويس . ثم بدأت رياح التغيير تهب حتى ظهرت أول حركة سياسية وطنية سنة ١٩٥٩ . ويقول تقرير الأمم المتحدة الأول عن الكونجو بعد أن بدأت وقائع الصدام سنة ١٩٦٠ « إنه حتى سنة ١٩٥٧ لم يكن هناك فى الكونجو البلجيكى أى نشاط سياسى من أى نوع بواسطة سكان البلاد الأصليين . ولم تكن فكرة الاستقلال - ولو حتى كفكرة - مطروحة على الإطلاق . ووقعت أول قلاقل معادية للاستعمار سنة ١٩٥٩ » .

وبطبيعة الملكية الخاصة للكونجو على هذا النحو ، فإن ظهور القلاقل ما لبث أن تبعه تراجع سريع لأن القوى المسيطرة لم تكن حكومة لها مسؤولياتها ، وإنما كانت شركة ، أو مجموعة شركات لها مصالحها ، وهى ليست جاهزة للقمع بالقوة إزاء انتشار التمرد ، ولذلك فإن عليها أن تجد وسائل أخرى للتهدة ، واستعادة السيطرة . وذلك ماراحت تفعله ، لكن رياح التغيير كانت تهب وتفرض بهبوبها تداخلات وانقطاعات وتغييرات على الترتيبات الأصلية .

ولقد اتخذت على عجل اجراءات لاعلان نوع من الاستقلال . وجرى نوع من الترتيبات المتسعة ظهر خلاله ثلاثة رجال هم « كازافوبو » الذى تولى رئاسة الدولة ، و « لومومبا » الذى تولى رئاسة الوزارة ، و « تشومبى » الذى فضل أن يظل فى إقليمه « كاتنجا » ولا يتوجه إلى العاصمة فى احتفالات قيام الدولة الجديدة .

ولم يكن هناك من المقيمين فى الكونجو إفريقيون أو أجانب من كان مهياً لفكرة الاستقلال عاطفياً أو عملياً . وهكذا فإن ما تلا إعلان الاستقلال كان هو بالضبط ما سبقه . وعلى سبيل المثال ، فقد تحولت قوة الأمن العام التابعة لمجموعة شركات استغلال الكونجو لى تصبح جيشاً للدولة المستقلة . وكان قائدها ضابطاً بلجيكياً ، وكانت تعليماته فى اليوم الأول للاستقلال هى منشور طبعه ووزعه على جنوده يحمل جملة واحدة « بعد الاستقلال = قبل الاستقلال » . ولم يكن وحده فى هذا التصور ، وإنما كان ذلك هو التوقع العام السائد والمستقر .

ولكن المشكلة أن رئيس وزراء الكونجو « لومومبا »^(٤) كان له تصور آخر دفعته إليه أحوال القارة عموماً إلى جانب هبوب رياح التغيير عليها فى تلك الفترة . وهكذا فإنه وقف يوم الاحتفال بمراسم الاستقلال ، وفى حضور ملك بلجيكا ، وأطلق العنان لكل المخزون والمكبوت من مشاعر الاحساس بالقهر والظلم . ولم يكن حديثه صدمة للملك فحسب ، وإنما كان صدمة أكبر للبلجيك ، وغيرهم من الأجانب الذين يعيشون فى الكونجو ، ويحصلون على امتيازات استغلالها أفرادا وشركات . ومنذ اللحظة الأولى ، فقد أدرك هؤلاء أن لومومبا « ظاهرة تهوّر واندفاع » يتحتم استئصالها مبكراً ، وقبل أن تحدث تأثيراتها ومضاعفاتها .

ولقد كان التدخل بإثارة الاضطرابات سهلاً ومتاحاً ، ولم تنقضى أيام حتى كانت الحكومة عاجزة عن السيطرة على الأمن فى العاصمة وخارجها ، وزاد على عوامل الاضطراب أن « تشومبى » المسؤول عن إقليم « كاتنجا » اعتبر نفسه مسؤولاً أمام شركات النحاس والماس واليورانيوم فى « كاتنجا » وليس مسؤولاً أمام حكومة على الورق قامت فى العاصمة . وعرضت الحكومة البلجيكية أن ترسل قوات لحفظ الأمن فى الكونجو ، ولكن « لومومبا » اعتبر ذلك عودة للسيطرة ، وطلب إلى الأمم المتحدة أن تبعث إليه بقوات تصون استقلال « الكونجو » ووحدته أراضيه إزاء محاولات للتمرد والانسلاخ بلغت ذروتها فى مقاطعة « كاتنجا » التى ما لبث « تشومبى » أن أعلن استقلالها عن الحكومة المركزية ، وتعدّد الموقف أكثر حين طلب « تشومبى » قوات بلجيكية تساعده فى المحافظة على أمن المناجم فى مقاطعته ، ووصلت إليه هذه القوات

(٤) كان « باتريس لومومبا » هو الكونجولى الوحيد الذى حصل على شهادة البكالوريا ، وأكمل بعدها دراسة مناهج فى المحاسبة جعله يحصل على وظيفة فى أحد البنوك .

فعلا ، وقفزت أزمة الكونجولتفرض نفسها على القارة ، وعلى القوى المهتمة بمصائرها وثوراتها ، وبالتالي على العالم .

وقام السكرتير العام للأمم المتحدة « داج همرشولد » - بتأييد مجموعة الدول غير المنحازة ، وفي مقدمتها الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة - بتشكيل قوة دولية بدأ وصولها إلى الكونجو ، ولكن هذه القوات وجدت نفسها وسط دوامات وتيارات متصادمة متصارعة ، تشابكت فيها أطراف محلية وإفريقية ودولية تقاربت ، وتباعدت خططها ومصالحها .

وكانت بداية المشاكل خلافا بين « لومومبا » و « همرشولد » فقد طلب « لومومبا » أن تكون القوات الدولية التي ترسل إلى الكونجو كلها قوات سوداء ، أى من أفريقيا . ورفض « همرشولد » قائلا إنه لا يستطيع أن يميز في إطار الأمم المتحدة بين الأسود والأبيض والأسمر ، فمثل هذا التمييز في حد ذاته يتناقض مع روح الأمم المتحدة ذاتها .

وبعد وصول قوات الأمم المتحدة عادت المشاكل بين « همرشولد » و « لومومبا » لتطل برأسها من جديد لأن « لومومبا » تصور أن القوات الدولية لا بد أن تتلقى أوامرها منه شخصيا . وكان ذلك مخالفا لوجهة نظر « همرشولد » فقد خذ أن تتحول قوات الأمم المتحدة بهذا الوضع إلى طرف في الصراع الداخلي ، في حين أن مهمتها محددة بقرار من مجلس الأمن يلقي عليها مهمة حفظ الأمن في الكونجوله .

وعندما أعلن « تشومبي » انفصال إقليم « كاتنجا » ودعا القوات البلجيكية لمساعدته في حفظ الأمن ، اعتبر « لومومبا » أن هذا التطور يعطيه الحق في اتخاذ قرار يطلب فيه إلى قوات الأمم المتحدة أن تشق طريقها إلى « كاتنجا » حتى ولو أدى الأمر إلى اشتباكات مسلحة مع القوات البلجيكية وقوات « تشومبي » .

كانت القاهرة ودلهي وبلجراد كلها تتابع التطورات ، وتشعر أن الدول غير المنحازة عليها مهمة في تسهيل عملية الانتقال من الاحتلال إلى الاستقلال في أفريقيا بأقصى ما يمكن من السلاسة والهدوء . ولقد كان هذا هو ما دعا « جمال عبد الناصر » إلى أن يقبل اقتراحا من « همرشولد » بأن تشترك الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها دولة إفريقية في قوة الأمم المتحدة العاملة في الكونجو . وبالفعل وصلت إلى الكونجو كتيبة مظلات مصرية من خمسمائة جندي وضابط يقودها العقيد « سعد الدين الشاذلى » ، كما أن « جمال عبد الناصر » وافق على إرسال مجموعة من ضباط الاتصال المصريين ملحقين ببعثة الأمم المتحدة في الكونجو ، وكان يرأسها الدكتور

« رالف بانث » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة (وهو زنجى أمريكى) وكان رئيس ضباط الاتصال المصريين هو العميد « أحمد اسماعيل على »^(٥) .

واقترح « عبد الناصر » على « همرشولد » أن يذهب بنفسه إلى الكونجو ، وأن يحاول تذليل العقبات بهيبته كسكرتير عام للأمم المتحدة خصوصا وأن الأنباء كانت قد بدأت ترد عن نشاط محمود جبرى فى « كاتنجا » التى وصلت إليها مجموعات من رجال المخابرات المركزية الأمريكية يتقدمهم « فرانك كارلوتشى »^(٦) ، كما وصلت إليها أيضا مجموعات من كبار الرأسماليين يتقدمهم البارون « جى روتشيلد » وريث عائلة « روتشيلد » المشهورة ، و « هارى أوبنهايمر » رئيس مجموعة مناجم جنوب أفريقيا التى تملك امتيازات الماس فى « كاتنجا » . كما أن المعلومات المتسربة من هناك كانت تشير إلى خطط ومؤامرات أستطاع فيها هذا التحالف بين قوى المخابرات والمصالح الرأسمالية شراء ولاء الكولونيل « موبوتو »^(٧) قائد جيش الكونجو الذى بدأ ينقل ولاءه من الحكومة إلى جهات أخرى .

واستجاب « همرشولد » لاقتراح « عبد الناصر » وسافر إلى الكونجو ولكن علاقاته بـ « لومومبا » اتسمت بالتوتر من أول يوم . فقد كان « لومومبا » على استعداد للشك الدائم فى كل أبيض ، كما أن « همرشولد » الذى اعتبر نفسه مسؤولا عن سلامة قوات الأمم المتحدة كان مصرا على أن تحتفظ هذه القوات بمطار تسيطر عليه ضمنا لمواصلاتها مع العالم الخارجى .

ولقد كان هناك تصادم ثقافى بين الاثنين تحول إلى تصادم شخصى بين الثائر الافريقى المتحمس إلى حد العصبية ، وبين الدبلوماسى السويدى الذى حقق لنفسه مكانة دولية تتجاوز حدود وظيفته - بالدور الذى قام به فى معركة السويس . وفى بعض اللحظات بدا أن « لومومبا » يفقد أعصابه ، فقد احتد على « همرشولد » وقال له فى أثناء أحد اللقاءات إنه سوف يطرد قوات الأمم المتحدة ويطلب قوات يستطيع أن يعتمد عليها من أى مكان يراه . وكان واضحا أنه يلوح إلى امكانية دعوة قوات سوفيتية . وحاول « همرشولد » أن يلفت نظره إلى خطورة ما يقول ودلالاته ، ولكن « لومومبا » كان يشعر أن حلقات الحصار تضيق من حوله يوما بعد يوم .

وتعقدت المشاكل ، وبدأت تعقيدات تعكس نفسها على عمل قوات الأمم المتحدة

(٥) اختلف الضابطان المصريان الكبيران « أحمد إسماعيل » و « سعد الشاذلى » فى أثناء عملهما فى الكونجو ، وقد انعكس هذا الخلاف على علاقاتهما فيما بعد خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ وكان أولهما قد أصبح قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للحربية ، والثانى رئيسا لهيئة أركان الحرب

(٦) « كارلوتشى » الآن سنة ١٩٨٨ هو وزير الدفاع فى حكومة الرئيس « رونالد ريجان »

(٧) لا يزال « موبوتو » حتى هذه اللحظة ١٩٨٨ رئيسا للكونجو ، وقد قفز إلى الرئاسة بانقلاب عسكري سنة ١٩٦١ ، وهو يعتبر من أغنى الأغنياء فى العالم .

بما فيها القوة المصرية . وكتب « جمال عبد الناصر » إلى « همرشولد » رسالة قال فيها : « إنه اضطر إلى أن يطلب إلى القوة المصرية في الكونجو الامتناع عن أداء مهمة كلفتها بها قيادة الأمم المتحدة لأن هذه المهمة تخرج في رأيه عن نطاق التكليف الذى تحمله قوات الأمم المتحدة » . وكانت المهمة التى أشار لها « جمال عبد الناصر » أن القوة المصرية تلقت أمرا باحتلال مطار « ليوبولدفيل » ، كما أن قوات غانا تلقت أمرا بالاستيلاء على إذاعة العاصمة الكونجولية ومنع إذاعة بيانات معادية لمهمة الأمم المتحدة من استديوهاتها ، بدعوى أن جنود القوى الدولية يتعرضون للضرب والقتل في الشوارع من جراء التحريض السافر ضدهم من إذاعة « ليوبولدفيل » مما دعا « همرشولد » على حد قوله إلى إصدار قرار بالتدخل على هذا النحو . وقال « جمال عبد الناصر » في رسالته لـ « همرشولد » . « إن الذى أفهمه هو أن مهمة قوات الأمم المتحدة هي مهمة سياسية بالدرجة الأولى ، وأما تدخلها بمهام قتالية ، أو مهام يمكن أن تؤدي إلى قتال ، فهي مسألة لا بد من ابقائها إلى حالة الضرورة القصوى ، وعند الدفاع عن النفس فقط » . وقال جمال عبد الناصر إنه « اضطر إلى أن يعطى أمرا مباشرا للقوة المصرية خارج سلسلة القيادة الطبيعية في إطار الأمم المتحدة لأنه وجد أن القوة المصرية يمكن أن تستغل في خدمة سياسات تتعارض ليس فقط مع سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن أيضا مع روح الأمم المتحدة ابتداء من روح الميثاق إلى روح قرار إرسال قوة دولية إلى الكونجو » . ثم ختم « جمال عبد الناصر » رسالته قائلا إنه « يتمنى ألا تضطره الظروف إلى أن يصدر قرارا بسحب القوة المصرية المشتركة في أعمال الأمم المتحدة من الكونجو » .

وفي ٩ سبتمبر وصلت الأزمة إلى القمة الدولية ، وكتب « خروشوف » إلى « جمال عبد الناصر » رسالة^(٨) شخصية كان نصها كما يلي :

« عزيزى الرئيس »

تدفعنى الأنباء التى وردت في الأيام الأخيرة من جمهورية الكونجو إلى ان ابعث إليكم بهذه الرسالة الخصوصية . وكما تعرفون فإن الموقف في الكونجو يزداد تدهورا ، والسبب الاساسى لهذا التدهور هو ازدياد تدخل القوى الاستعمارية في الشؤون الداخلية لجمهورية الكونجو . وقد أصبحت قيادة القوات التى أرسلت إلى الكونجو بناء على قرار مجلس الأمن ، والتى عينها السكرتير العام للأمم المتحدة - أداة لتلك القوى في واقع الأمر . وبناء على أوامر تلك القيادة قامت القوات المذكورة في الآونة الأخيرة باحتلال وإغلاق مطار العاصمة « ليوبولدفيل » ،

(٨) أصل الرسالة مودع في أرشيف منشية البكرى تحت رقم (٤) ضمن مجموعة الملفات التى تحمل العنوان الرئيسى « مراسلات متبادلة مع القادة السوفيت » .

واستولت القوات التابعة للأمم المتحدة على محطة الإذاعة المركزية لحكومة الكونجو في «ليوبولدفيل» ، وهكذا أصبحت حكومة الكونجو لا تملك سيطرة على مطاراتها ، كما أصبح ممثلوها ممنوعون من دخول إذاعتها . كما أن أولئك الذين يدعون تمثيل الأمم المتحدة في الكونجو يقدمون على أفعال لا يمكن قبولها ، ويرتكبون تصرفات مهينة لحكومة جمهورية الكونجو ، ولشخص رئيس وزرائها «لومومبا» . ومن الواضح أن هذا كله سيؤدي إلى الاختلاف والاصطدام بين القوات التي وضعت تحت قيادتهم بناء على قرار مجلس الأمن ، وبين قوات الكونجو الوطنية .

ثم أسهب «خروشوف» في مخاطر هذا الوضع ، وختم رسالته قائلا :

«وعلى أساس هذا كله قررت الحكومة السوفيتية أن تطلب من مجلس الأمن إبعاد قيادة قوات الأمم المتحدة في الكونجو بعد أن تلطخت سمعتها ، ومن ثم فإن الحكومة السوفيتية تعتقد اعتقادا عميقا أن البلدان التي أرسلت قوات إلى الكونجو بناء على قرارات مجلس الأمن ، تستطيع أن تقدم أكبر خدمة بأن تضع قواتها العسكرية تحت تصرف حكومة الكونجو مباشرة .

وأمل يا سيادة الرئيس أن تلقى الأفكار الواردة في هذه الرسالة تفهما وقبولا لديكم ، وأرجو قبول وافر الاحترام .

إمضاء

نيكيتا خروشوف «

ولم يكن «جمال عبد الناصر» مستعدا لقبول وجهة النظر السوفيتية ، فقد كان معناها أن القوات المصرية وغيرها من قوات الدول الأفريقية العاملة في الكونجو سوف تجد نفسها طرفا في صراعات داخلية وصلت بالفعل إلى حدود الحرب الأهلية في الكونجو .

لكن «جمال عبد الناصر» من ناحية أخرى لم يكن مستعدا لقبول التورط الذي انزلت إليه قيادة الأمم المتحدة في الكونجو ، وكان رايه أن «همرشولد» معرض لضغوط شديدة خصوصا من الولايات المتحدة ، وهي ضغوط كان من الواضح أنها تستهدف التخلص من «لومومبا» وتمهيد الطريق لـ «موبوتو» . ولقد أحس «جمال عبد الناصر» بالخطر ، ورأى مقدماته الزاحفة عندما عرف أن قيادة الأمم المتحدة بدأت تضع قيودا على حركة «لومومبا» ، لأن لديها معلومات مؤكدة تؤكد وجود خطر على حياته ، وكان يقين «جمال عبد الناصر» يزداد يوما بعد يوم بأن شيئا يرتب في الخفاء لعزل «لومومبا» .

وكانت مخاوفه شديدة من أن يحدث شيء لا يستطيع منعه ، ولا يقبل الاشتراك فيه حتى بمجرد وجوده شاهدا لا يستطيع التأثير في مجرى الحوادث ، ومن هنا فإنه أعلن يوم ١٠ سبتمبر أنه قرر سحب الكتيبة المصرية من الكونجو . وبدأت الكتيبة المصرية انسحابها يوم ١٢ سبتمبر رغم إلحاح « همرشولد » على بقائها ، ونداءاته المتواصلة لهذا الغرض .

ولعل تقدير « جمال عبد الناصر » هنا كان صحيحا بأكثر حتى مما تصور

هو !



يتحدث التقرير الخاص^(٩) للجنة الكونجرس الخاصة عن نشاط المخابرات التي يرأسها السناتور « فرانك تشرش » عضو مجلس الشيوخ عن ولاية « أيداهو » في الصفحة الثالثة عشرة منه ، فيقول عن وقائع تلك الأيام بالحرف ما يلي :

« إن اللجنة تلقت أدلة مقنعة بوجود مؤامرة لاغتيال « باتريس لومومبا » . لقد كان هناك عداوة ضد « لومومبا » تتردد أصواته في المستويات العليا للحكومة ، وحتى إذا قيل إن الهدف المبدئي من إعداد ترتيبات لاغتياله بقصد مجرد تخويله ، فإن هذا في حد ذاته تولدت عنه عملية محاولة الاغتيال . إن الأدلة تشير إلى أن الرئيس « ايزنهاور » أبدى انزعاجا شديدا بشأن « لومومبا » في اجتماع لمجلس الأمن القومي بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٦٠ ، وأن « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية قد أخذ هذا الانزعاج الشديد على أساس أنه تفويض باغتيال « لومومبا » . »

(٩) التقرير رقم ٤٦٥ - ٩٤ لأعمال الدورة الـ ٩٤ للكونجرس - فصل الانعقاد الأول - كانت اللجنة إلى جانب رئيسها مشكلة من أعضاء مجلس الشيوخ التالية (سماؤهم . « جون تاور » (ولاية تكساس) - « فيليب هارت » (ولاية متشيجان) - « والتر موندل » (ولاية مينيسوتا) - « والتر هادلتون » (ولاية كنتاكي) - « روبرت مورجان » (ولاية نورث كارولينا) - « جاري هارت » (ولاية كولورادو) - « هاورد بيكر » (ولاية تينيسي) - « باري جولدووتر » (ولاية أريزونا) - « تشارلز ماثيس » (ولاية ميرلاند) - « ريتشارد شيفر » (ولاية بنسلفانيا) .

ويمضى تقرير اللجنة ، فيقول في نفس الصفحة « إن ممثل الرئيس في مجموعة العمل الخاصة بالمنبقة عن مجلس الأمن القومي بخصوص الكونجو حدد توجيه الرئيس على النحو التالي : « ضرورة اتخاذ عمل مباشر ضد « لومومبا » ولا ينبغي في ذلك الصدد التردد حيال أى أسلوب يمكن اتخاذه للخلاص من « لومومبا » . وبناء على هذا التوجيه الصريح بعث « آلان دالاس » بتعليمات إلى محطة المخابرات المركزية في الكونجو بأن « تتصرف » . »



من المؤكد في تلك الأيام أن « ايزنهاور » كان ضيق الصدر إلى حد كبير بالمحاولات التى تجرى للتمرد على سلطان الولايات المتحدة في العالم الثالث . فطبقا لنفس التقرير الصادر عن لجنة « تشرش » وفي صفحة ٧١ يتضح أن محطة أخرى صدر إليها الأمر بالتصرف المباشر ، وكانت هذه المحطة هى محطة « هافانا » عاصمة كوبا ، وكان مطلوبا منها أن تتولى تصفية « فيدل كاسترو » بكل الوسائل .

كان « كاسترو » سنة ١٩٥٨ قد وصل إلى قمة نجاحه في الثورة ضد الجنرال « باتستا » ودخل بقواته الثائرة إلى عاصمة كوبا في وقت كانت الصحافة الأمريكية فيه متحمسة له ولرفاقه ذوى اللحن الطويلة . وقد دخل « كاسترو » إلى هافانا في موكب المنتصر غطته شبكات التليفزيون الأمريكى ، كأن دخوله مشهد من أحد أفلام هوليوود . وبالفعل ، فقد كان معه في نفس سيارة الجيب المغطاة بالزهور نجم السينما الأمريكية المشهور « ايرول فلين » ، كما أن الكاتب الأمريكى الأشهر « ارنست هيمنجواى » شرع قلمه لتحويل الثورة الكوبية إلى أسطورة .

وكالعادة لم تعش أسطورة الحرية طويلا في الولايات المتحدة - فإن « كاسترو » بعد نجاح الثورة راح يؤمم الشركات الأمريكية الكبرى ، ويسترد امتيازاتها في كوبا . ثم اتبع ذلك بالمطالبة بجلاء القوات الأمريكية من قاعدة « جوانتانامو » . ثم وقع في خطيئة الاعتراف بالصين الشعبية ، وهى خطيئة لا تغفر في ذلك الوقت من وجهة نظر السياسة الأمريكية ، وزاد « كاسترو » على ذلك وقوفه في اجتماع عام أمام حشد من الجماهير ، فأمسك بوثيقة معاهدة الدفاع المشترك مع الولايات المتحدة الأمريكية المعقودة مع الجنرال « باتستا » - والتى كانت الولايات المتحدة تستند إليها في رفض الجلاء عن قاعدة « جوانتانامو » ومزقها ، وألقى ببقاياها قطعاً صغيرة من الورق طائرة في الهواء .

وصدر أمر « ايزنهاور » بالتصرف في هافانا أيضا ، كما صدر أمره بالتصرف في ليوبولدفيل .



وكان الموقف الدولى خطيرا فى هذه الفترة ، وبلغت خطورته حدا أثار المخاوف فى كل عواصم العالم تقريبا . فقد وصلت العلاقات بين القوتين الأعظم بطريقة مفاجئة إلى موقف ينذر بشرور مستطيرة لم يكن أحد على استعداد لها ، ولو حتى من الناحية النفسية .

كان العالم مهيا لاحتتمالات وفاق بين القوتين الأعظم على أثر زيارة قام بها « خروشوف » إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٥٩ . وكان لقاء القمة الدولية اقتراحا مطروحا فى الواقع فى فترة ما بعد معركة السويس مباشرة . ففى أواخر سنة ١٩٥٦ أعلن « خروشوف » أن الموقف الدولى بعد السويس يقتضى اجتماعا على مستوى القمة . واستجاب « ايزنهاور » للاقتراح على أساس أن يتم اجتماع القمة فى إطار الأمم المتحدة ، وأن يضم الأعضاء الدائمين فى الأمم المتحدة . ووافق « خروشوف » لكن مشكلة الصين أعاق تنفيذ الاجتماع ، ثم استطاعت القوتان الأعظم الخروج من المأزق بترتيب لقاء ثنائى بينهما بدأ بزيارة « خروشوف » للولايات المتحدة ، وكان مقبرا أن تتبعها زيارة من « ايزنهاور » للاتحاد السوفيتى . وكان هذا الأسلوب هو الوسيلة المعقولة التى وجدتها الدولتان الأعظم للخلاص من عائق الصين ، والتوصل من اشتراك بريطانيا وفرنسا فى اجتماع القمة ، خصوصا وأن « ايزنهاور » لم يكن يطبق الجنرال « ديجول » الذى أصبح رئيسا لفرنسا .

لكن ضغوط بريطانيا وفرنسا بعد إتمام زيارة « خروشوف » لأمريكا ، وادعاء أن القمة الدولية أصبحت حكرا على دولتين فقط أعاد اقتراح القمة رباعيا - أى بدون الصين - إلى الاهتمام العام مرة أخرى . وتم الاتفاق بعد اتصالات واسعة بين واشنطن وموسكو ولندن وباريس أن اجتماعا للقمة الرباعية سوف يعقد فى باريس حول منتصف مايو ١٩٦٠ .

وراح العالم يشعر بنوع من الانتظار المستريح ، وهو ينتظر موعد القمة الموعودة ، والتى سوف تتلوها بعد ذلك زيارة « ايزنهاور » لموسكو . كان المناخ الدولى يحمل بشائر ربيع من الانفراج .



وفجأة تنبه العالم من تفاؤله على أزمة لم يكن قد تأهب لها ، فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية يوم ٢ مايو ١٩٦٠ أنها فقدت إحدى طائراتها فوق شمال تركيا ، ثم اضاف البيان أن هذه الطائرة يحتمل أن تكون قد سقطت فى أراضى الاتحاد السوفيتى لأن الرياح على الأرجح أخرجتها عن خط سيرها . كان البيان مستغربا ، ولكنه فى ذلك الوقت لم يثر ما هو أكثر من الاستغراب حتى كان يوم ٧ مايو ، فإذا بـ « نيكيتا

خروشوف « يقف أمام اجتماع لمجلس السوفيت الأعلى ليعلم أن الطائرة التي سقطت كانت طائرة تجسس أمريكية من طراز « ي - ٢ » التي صنعتها وكالة المخابرات المركزية لأغراض الاستطلاع السرى البعيد المدى . ثم أضاف « خروشوف » أن الطائرة لم تنحرف عن طريقها بفعل الرياح ، وإنما دخلت إلى قرب « كييف » وأنها لم تسقط ، وإنما أسقطت بواسطة صاروخ سوفيتى استطاع الوصول إليها فى أجواء عالية لم تكن الولايات المتحدة تتصور أن مدى الصواريخ السوفيتية يصل إليها . وأن قائد الطائرة لم يقتل فى الحادث ، وإنما هو حى ومعافى وقد اعترف بأنه فى مهمة تجسس ، كما ظهر أن اسمه هو الكابتن « فرانسيس باورز » . وأضاف « خروشوف » أن الطيار « فرانسيس باورز » كان يحمل ضمن متاعه دبوسا مسموما لينتحر بوخزة منه إذا وجد نفسه معرضا للسقوط فى أرض سوفيتية . ثم عرض « خروشوف » على مجلس السوفيت الأعلى بعض الصور التى التقطها الطيار بعدساته القوية المصنوعة خصيصا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية - للمنشآت العسكرية السوفيتية فى المنطقة الجنوبية للاتحاد السوفيتى على طول الطريق من قاعدة « أرضروم » التركية حتى قرب « كييف » التى أسقطت طائرته قبل الوصول إليها .

وكان اعلان « خروشوف » فضيحة مدوية للولايات المتحدة . ولم يكن أمام « ايزنهاور » سوى أن يعترف ، فطلب إلى وزارة الخارجية الأمريكية أن تدفع بيانا تعلن فيه أن طائرة « فرانسيس باورز » كانت بالفعل تقوم بمهمة لجمع المعلومات السرية للتحقق من البيانات التى يقدمها السوفيت فى اجتماعات نزع السلاح الجارية فى جنيف ، وذلك قبل لقاء القمة فى باريس وبعده لقاء القوتين الأعظم بزيارة « ايزنهاور » لموسكو .

ورد « خروشوف » فى تصريح عام قائلا : « إنه يتعجب من أن ايزنهاور لديه الجراءة للتحدث عن زيارة الاتحاد السوفيتى » ، ثم أضاف : « إنه غير رايه فى ايزنهاور ، فقد كان يظنه رجلا أمينا ثم اكتشف أنه ليس كذلك ، فهو لا يستطيع أن يصف بالأمانة رجلا يتلصص على مضيفيه قبل أن يزورهم » . ثم أبدى تردده فى حكمة دعوة « ايزنهاور » أصلا لزيارة موسكو !

ورد « ايزنهاور » فى نفس اليوم قائلا : « إن عمليات جمع المعلومات هى من حقائق الحياة التى يجب أن تتقبلها الدول مهما كان رأيها سيئا فيها » . ثم أضاف : « إنه لا يزال مستعدا لزيارة موسكو ، وأنه ينوى القيام بهذه الزيارة فى موعدها المقرر » .





فرانسييس جارى باورز جالسا فى قفص الاتهام (لليمين) فى قاعة الاعمدة
فى موسكو ، فى جلسة الافتتاح محاكمته بتهمة التجسس ، وامامه محاميه .

وفى يوم ١٤ مايو وصل « خروشوف » إلى باريس لحضور مؤتمر القمة الذى كان
مقررا افتتاحه يوم الاثنين ١٦ مايو . وغداة يوم وصوله - أى يوم ١٥ مايو - أعلن
الاتحاد السوفيتى أنه « أطلق أضخم صاروخ فى العالم ، وأن الصاروخ انطلق
حاصلا معه محطة فضاء وزنها خمسة أطنان ، وأن هذه المحطة الفضائية سوف
تمر فوق باريس ، وترسل منها تحية سلام فى نفس اللحظة المقررة لاجتماع
تمهيدي بين الجنرال « ديجول » - مضيف القمة - و « نيكيتا خروشوف »
ضييفا الغاضب .

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين ١٦ مايو التام عقد الاقطاب
فى قصر الاليزيه - مقر الرئاسة فى باريس . وفور انتهاء مراسم الافتتاح
طلب « خروشوف » الكلمة ، فإذا هو يوجه إنذارا إلى « ايزنهاور » ثم
يضيف أنه إذا لم يقبل إنذاره فإنه سوف يقاطع أعمال المؤتمر ،
وسيعود على الفور إلى موسكو . وكان إنذار « خروشوف » يحتوى على
ثلاثة مطالب :

١ - الاعتذار الرسمى عن حادث طائرة التجسس .



خروشوف يضرب المائدة بيديه غاضبا في المؤتمر الصحفي الذي عقده في قصر شايفو بباريس ، والى جواره اندريه جروميكو وزير الخارجية والمارشال مالينوفسكى وزير الدفاع ، وقد استغرق المؤتمر ساعتين وعشرين دقيقة ، وحضره ٢٠٠٠ صحفى

٢ - التعهد رسميا بوقف كافة اعمال التجسس فوق الاراضى السوفيتية .

٣ - تعهد رسمى من « ايزنهاور » شخصا بمعاقبة المسؤولين عن حادث طائرة التجسس .

ثم اخرج « خروشوف » من حقيبتة بعض الصور التى التقطها « فرانسيس باورز » ووجه حديثه مباشرة إلى « ايزنهاور » قائلا له : « كيف تدارى وجهك عن هذا المشهد القبيح ؟ »

واحمر وجه « ايزنهاور » وبدأت عليه علامات غيظ شديد حاول بكل وسيلة أن يكظمه لكن احتقان وجهه كان دليلا على أنه يوشك على الانفجار . وقد رد بعصبية

قائلا : « إن رئيس الولايات المتحدة لا يعتذر عن حقيقة من حقائق الحياة » . ورد « خروشوف » موجه حديثه إلى بقية المشاركين في القمة وقال : « إذن فانا أطلب تأجيل مؤتمر القمة حتى تنتهى مدة رئاسة هذا الرجل » وأشار بأصبعه إلى « ايزنهاور » ثم استدار خارجا من الجلسة والعالم كله يحبس أنفاسه .

ولم ينس « خروشوف » وهو يخرج من القاعة أن يلتفت ناحية « ايزنهاور » ويقول له : « لقد سحبنا دعوتك إلى موسكو » - قالها وخرج من باب القاعة . وسارع « ديجول » و « ماكميلان » إلى الخروج وراءه ، ولكنهما عندما لحقا به في مقر إقامته اكتشفا أنه توجه مع الماريشال « مالمينوفسكى » إلى نزهة في غابة بولونيا . وعاد الاثنان إلى لقائه في المساء ليسمعا منه أنه إذا لم يستجب « ايزنهاور » إلى مطالبه قبل الصباح ، فإنه سوف يغادر باريس عائدا إلى موسكو في الصباح .

ولم يعتذر « ايزنهاور » وإنما أصدر من باريس قرارا بإعلان حالة الطوارئ القصوى في كل القواعد الأمريكية المنتشرة في أرجاء العالم . وكان الراى العام الأمريكى يؤيده بشدة ، فقد اعتبر أن رئيسه أهين إهانة بالغة بالأسلوب الذى اتبعه « خروشوف » في إبداء غضبه بصرف النظر عن موضوع الغضب في حد ذاته .

وصباح يوم ١٨ مايو غادر « خروشوف » باريس ، وفي المطار كان في انتظاره حوالى ألف وخمسمائة صحفى يمثلون صحافة العالم جاءوا لتغطية مؤتمر القمة . ووقف أمامهم يتحدث فقال : « إن كل الوساطات التى قام بها ديجول وماكميلان - بينه وبين ايزنهاور - قد فشلت ، فقد كان التنازل الوحيد الذى عرضه ايزنهاور هو استعدادة لوقف عمليات التجسس لمدة رئاسته التى كانت توشك على الانتهاء ، متعللا أنه لا يستطيع أن يقيد حركة الرئيس الأمريكى الذى سيخلفه في البيت الأبيض » . وعقب « خروشوف » على ذلك أمام حشد الصحفيين بقوله : « كيف يمكن أن أعقد اتفاقا لوقف التجسس لا يدوم إلا لشهور قليلة فقط . ثم كيف يمكن أن أعقده مع رجل يتسلل إلى بيتى في الظلام مثل اللصوص . لقد طلب منى عندما كنت أزوره في أمريكا أن أناديه « يا صديقى » وأنا الآن نادى على كل مرة ناديته فيها بهذا الوصف . فانا لا أستطيع أن أصف بالصديق رجلا يتصرف مثل القطة عندما تتسلل إلى المطبخ لكى تسرق بعض اللبن . » ثم أفضى للصحفيين بأنه زار « ديجول » و « ماكميلان » مودعا قبل سفره ، ولم يخطر بباله أن يودع « ايزنهاور » .



كان « جمال عبد الناصر » و « نهرو » مجتمعين يومها في القاهرة ، وقد

وصلت إليهما أنباء ما حدث في باريس . ومن قصر القبة توجه الاثنان بنداء إلى الاقطاب الأربعة يقولان فيه أن السلام العالمى فى خطر ، وأن هذا السلام ليس ملك رجلين يخطئ أحدهما ويغضب الآخر ، ويكون على البشرية كلها أن تدفع الثمن .

وراحت الحوادث تجرى بسرعة حين طلب الاتحاد السوفيتى يوم ١٩ مايو عقد مجلس الأمن فوراً لبحث الانهيار السريع فى الموقف الدولى بسبب السياسة الخرقاء للولايات المتحدة الأمريكية . ذلك أن إصرار الولايات المتحدة على استمرار عمليات التجسس فوق الأراضى السوفيتية سوف يؤدى إلى الحرب . وفى جلسة مجلس الأمن قال « همرشولد » إن وجهة نظره باستمرار أن القمم الدولية كان يجب أن تعقد فى إطار الأمم المتحدة .

وبحكم أغلبية الغرب فى مجلس الأمن - فإن المجلس رفض فى جلسة مثيرة وصاخبة مشروع قرار سوفيتى بإدانة الولايات المتحدة ، وهكذا أعلن وزير الخارجية السوفيتى الذى كان يمثل بلاده فى اجتماعات مجلس الأمن أن حكومته قررت عرض الأزمة التى أدت إلى انهيار مؤتمر القمة ، وبالتالي إلى تدهور الموقف الدولى ، على الجمعية العامة للأمم المتحدة لتفادى الفيتو الغربى . وانتهت جلسة مجلس الأمن على مشهد مخيف ، فقد أعلن « جروميكو » أن الصواريخ السوفيتية تستطيع أن تطول بالضرب أى بقعة فى العالم ، ومن ناحية أخرى أعلن المندوب الأمريكى فى مجلس الأمن أن بلاده مصممة على مواصلة الحصول على المعلومات بأى وسيلة تراها ضرورية لضمان أمنها .

وتلاحقت التداعيات ، فقد انسحب الوفد السوفيتى من محادثات نزع السلاح فى جنيف يوم ٢٧ يونيو ، وفى ٢٩ يونيو أعلن الاتحاد السوفيتى أنه سوف يجرى سلسلة من التجارب بالصواريخ الحاملة للرؤوس النووية فى منطقة مساحتها خمسين ألف ميل مربع من وسط المحيط الباسيفيكي .

ثم توالى صيحات « خروشوف » الغاضبة ، فأعلن يوم ٨ يوليو أن الاتحاد السوفيتى سوف يواصل بيع الأسلحة للدول العربية طالما أن الغرب يزود إسرائيل بالسلاح تمهيدا لاشعال حرب فى الشرق الأوسط .

وفى يوم ٩ يوليو ، وكانت كوبا تتعرض لتهديدات أمريكية واضحة ، أعلن « خروشوف » أن الاتحاد السوفيتى سيزود كوبا بالصواريخ التى تستطيع الوصول إلى الولايات المتحدة طالما أن كوبا تتعرض لتهديد أمريكى بضربها بالصواريخ .

ويوم ١١ يوليو أسقط الاتحاد السوفيتى طائرة تجسس ثانية فوق مياهه الإقليمية قرب ميناء « أركانجل » .

ويوم ٧ أغسطس أعلن « كاسترو » قبوله للصواريخ السوفيتية ، كما أعلن في نفس الخطاب تأميم جميع الممتلكات الأمريكية في كوبا .

وفي يوم ١٧ أغسطس بدأت في موسكو محاكمة الطيار الأمريكي « فرانسيس باورز » قائد طائرة التجسس . وأدلى « خروشوف » بتصريح قال فيه : « إن الواقف في القفص ليس هو فرانسيس باورز ، ولكنه دوايت ايزنهاور - فهذه هي الحقيقة » . ووقف « فرانسيس باورز » في القفص ليُدلى باعتراف كامل .

ويوم أول سبتمبر ١٩٦٠ أذاع راديو موسكو أن « نيكيتا خروشوف » سوف يحضر بنفسه دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة التي تبدأ يوم ٢٠ سبتمبر ، والتي سيعرض أمامها الاتحاد السوفيتي شكواه من المغامرات الطائشة للولايات المتحدة الأمريكية .



وبعث « خروشوف » إلى عدد من زعماء العالم يرجوهم الحضور إلى اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة لأن السلام العالمى فى خطر . وكان « همرشولد » يؤيد هذه الدعوة تعزيزا لمكانة الأمم المتحدة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لاستعادة دور الأمم المتحدة كميدان شرعى للعمل من أجل تعزيز السلام .

ومساء يوم أول سبتمبر بعث « نهرو » إلى « جمال عبد الناصر » برسالة^(١٠) يقول فيها إنه يفكر جديا فى الاشتراك فى أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة شريطة أن يتم الاتفاق على موعد محدد لمناقشة الموقف الدولى ، فهو لا يستطيع أن يظل فى نيويورك فترة طويلة .

وبعد نصف ساعة كان « جمال عبد الناصر » يتلقى رسالة من « خروشوف » يلح عليه فيها لحضور اجتماع الجمعية العامة . كما تلقى فى نفس الوقت رسالة من « همرشولد » يقول له فيها : « إن اجتماع الجمعية العامة قد يكون مناسبة لبحث

(١٠) اصل الرسالة فى ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منها فى ارشيف وزارة الخارجية .

قضايا كثيرة تهم السلم العالمى سواء فى العلاقات بين القوى العظمى ، أو فى مناطق التوتر كالشرق الأوسط وأفريقيا .

وكان « جمال عبد الناصر » يحاول دراسة موقفه ، فعلاقاته مع « خروشوف » كانت لا تزال متوترة بسبب الخلاف الذى بدأ بينهما منذ نهاية سنة ١٩٥٨ حول دو الشيوعيين فى العالم العربى . وعلى الجانب الآخر ، فإن علاقاته بـ « ايزنهاور » رغم التحسن الذى طرأ عليها كانت تشهد تقلصات شديدة بسبب الصراع العربى الاسرائيلى المستمر ، وبسبب صفقات سلاح تردد أن « بن جوريون » حصل على وع بها من « ايزنهاور » عندما اجتمع به فى واشنطن فى يناير سنة ١٩٦٠ . وفوق ذلك فإن تأييد الجمهورية العربية المتحدة لـ « لومومبا » فى الكونجو ، ولـ « كاسترو » فى كوبا - كانت تجعل مزاج الولايات المتحدة عموما مزاجا سوداويا تجاه كل الذين اتخذوا لأنفسهم موقف عدم الانحياز .

وبعث « جمال عبد الناصر » إلى « تيتو » يستطلع موقف يوجوسلافيا ، ودهش عندما تلقى ردا^(١١) من « تيتو » ظهر يوم السبت ٣ سبتمبر جاء فيه بالنص

- ١ - لم اتلق من خروشوف رسالة مماثلة لما تلقيته انت ونهرو .
- ٢ - لست متأكدا من ان حضور الرؤساء لاجتماع الجمعية العامة يمثل هذا السرعة ، وبدون إعداد ودراسة كافية يسمح بالوصول إلى نتائج إيجابية .
- ٣ - إذا ذهبنا بدعوة من خروشوف على هذا النحو ، فقد يبدو ذلك انحيازاً إلى جانب الروس .
- ٤ - لا اتوقع فى كل الأحوال خروج مثل هذا الاجتماع بقرارات جديدة ، فربما ايزنهاور على وشك أن تنتهى ، وهو لا يستطيع تقييد خلفه بأية قرارات يتخذها في نهاية مدة رئاسته .
- ٥ - أكون شاكرا لو بعثت لى بوجهة نظر نهرو ، فهو أيضا لم يكتب لى عن دعوى خروشوف له .

ويوم ٥ سبتمبر بعث « جمال عبد الناصر » برأيه إلى « تيتو » وكملخصه: (١٢)

- ١ - إن همرشولد يؤيد اجتماع اقطاب العالم فى إطار الامم المتحدة فى نيويورك .
- ٢ - إن تقديره أن الولايات المتحدة لن تترك المجال للاتحاد السوفيتى وحده ولأصدقاء يمرحون فى الجمعية العامة ، وإنها فى اللحظة الأخيرة سوف تقرر الحضور على أرجب الظنون .

(١١) اصل نص الرد فى أرشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منه فى أرشيف وزارة الخارجية .

(١٢) اصل رسالة « جمال عبد الناصر » إلى « تيتو » فى أرشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منه فى أرشيف وزارة الخارجية .

٣ - إن معلومات السفير المصري في باريس تشير إلى أن الجنرال « ديجول » مستعد للسفر إلى نيويورك حتى لا يترك الأمر للاتحاد السوفيتي وحده ، أو للقوتين الأعظم وحدهما إذا قررت الولايات المتحدة أن تحضر .

٤ - إن الفرصة في نيويورك قد تكون متاحة لاتصالات على هامش اجتماعات الجمعية العامة تصفى كثيرا من المشاكل المؤثرة في بؤر التوتر في العالم .

هـ - إنه فيما يتعلق به بالذات ، فهو يعرف مقدما أن القوى الصهيونية قد تنتهز فرصة وجوده في نيويورك إذا قرر السفر إليها ، وتواجهه بمظاهرات وأعمال عنائية ، ومع ذلك فهو يدرس جديا إمكانية الحضور ويرى فيها مزايا لا يستهان بها . »

وهكذا كان . . .



كانت نيويورك ابتداء من النصف الثاني من شهر سبتمبر ١٩٦٠ واستعدادا لدورة الجمعية العامة الطارئة للأمم المتحدة - مدينة في حالة حرب : طوارئ مغلقة ، أمن حديدي ، أعصاب متوترة ، انتظار قلق ، توجس وشك واستعداد باستمرار للأسوأ . وكانت هناك دواع يمكن قبولها لهذه الحالة ، إلى جانب مظاهر لهيستيريا لم يكن هناك ما يدعو لها .

كانت الدواعي الحقيقية أن المدينة فوجئت بانعقاد الجمعية العامة على مستوى رؤساء الدول في اللحظة الأخيرة . وكان معنى ذلك أن قرابة خمسين رئيس دولة سوف يوجدون في مدينة واحدة في نفس الوقت بكل ما يعنيه هذا الوجود ابتداء من احتفالات المراسم إلى احتمالات المؤامرات . وفي أبسط المظاهر ، فإن الفنادق لم تكن مستعدة لهذا العدد من الرؤساء والوفود المرافقين . وكان « همرشولد » دقيقا حينما قال : « إن أمامي أسبوعين كاملين من الكوابيس أولها كابوس البروتوكول » .^(١٣)

وكانت الوفود الدائمة للدول في الأمم المتحدة تعيش على أعصابها ، فهذه الوفود كان عليها أن تتحمل عبء وجود رؤساء دولها في الأمم المتحدة بكل ما يعنيه ذلك من

(١٣) لقاء مع « همرشولد » في مكتبه في الدور السادس والثلاثين من مبنى الأمم المتحدة جرى في الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٠

التزامات وترتيبات سواء بالنسبة لحضور الجلسات ، أو إعداد موضوعات المناقشة ، أو ترتيب الاتصالات بين رؤسائهم ومن يرغبون في الاتصال بهم من الرؤساء الآخرين .

وكانت الحكومة الأمريكية رغم مقولة إن هناك فارقا بين الأمم المتحدة ، وبين الولايات المتحدة - تواجه واقع أن هذا العدد من الرؤساء جميعا يحلون على أرض أمريكية . فهم لن يحبسوا أنفسهم داخل مبنى الأمم المتحدة ، وإنما هم بالتأكيد سوف يتحركون ولو بقصد إتمام اتصالاتهم في شوارع المدينة وحولها ، وكانت هذه مشكلة دعت قائد بوليس نيويورك إلى إخطار الحكومة الفيدرالية في واشنطن أنه يحتاج إلى سلطات استثنائية ، ووسائل غير عادية توضع تحت تصرفه . فترتب مرور مواكب الرؤساء في حد ذاته خلال تحركهم ، ودون أن تتصادم المواكب سوف يكون عبئا لا يمكن تحمل مسؤولياته .

وزاد العبء عندما هبط على المدينة جيش من رجال الأعمال الأمريكيين ومكاتب العلاقات العامة يحاولون الاتصال بالوفود ، فهم يجدونها فرصة لاتصالات على أعلى مستوى من أجل شراء البترول وبيع السلاح على الأقل .

وفي نفس الوقت فقد هبطت على نيويورك جيوش من أجهزة المخابرات وجدت أن هذا التجمع العالمى المنقطع النظير يمثل فرصة لا مثيل لها لاستطلاع المواقف ، وجمع المعلومات ، وقياس درجة حرارة المواقف والأزمات .

إلى جانب ذلك ، فقد كان الموقف الدولى متوترا . فمشاهد ما حدث في مؤتمر القمة في باريس كانت لا تزال صورا حية ماثلة في الأذهان . ومحاكمة « فرانسيس باورز » كانت لا تزال مستمرة . وأحداث الكونجولا لا تزال تترى وقائعها ، وكان آخرها أن « لوموبا » اختفى فجأة وبطريقة غامضة يوم ١٧ سبتمبر ، أى قبل افتتاح الجمعية العامة بعدة أيام . وصحافة نيويورك وصحافة الغرب مستثارة ومستفزة ، ولهجتها عدائية من أول سطر إلى آخر سطر في الهجوم على مجرد فكرة الاجتماع باعتبار أن الاقتراح صدر أصلا عن « خروشوف » .

كانت هذه وغيرها دواعى معقولة للحالة التى بدت عليها نيويورك في تلك الأيام من شهر سبتمبر ١٩٦٠ .

أما مظاهر الهستيريا التى لم يكن هناك ما يدعولها ، فقد تمثلت في تصرفات بدت للوهلة الأولى غير معقولة . فقد قام بوليس نيويورك بإبلاغ الأمم المتحدة ، وإبلاغ بعض الوفود أنه لا يستطيع أن يضمن أمن عدد من الرؤساء إذا هم نزلوا في الفنادق . وكان « خروشوف » هو أول هؤلاء الرؤساء وجاء بعده « جمال عبد الناصر »

ثم تلاهما « كاسترو » . وكانت وجهة نظر بوليس نيويورك أن « خروشوف » مهدد لأن الطريقة التي تعامل بها مع « ايزنهاور » اعتبرت إهانة للشعب الأمريكي بأسره ، وبالتالي فإن بوليس المدينة عاجز عن حمايته تماما لأن كثيرين قد يكونون على استعداد للتهور ضده بتصرفات لا يستطيع أن يمنعها أحد .

وكان ذلك هونفس الحال تقريبا بالنسبة لـ « كاسترو » لأن عشرات الألوف من اللاجئين الكوبيين كانوا يتربصون له ، إلى جانب أن المصالح الأمريكية التي أممها في كوبا جعلت أعداءه في نيويورك بحجم أكبر مما يستطيع بوليسها أن يسيطر عليه .

وفي حالة « جمال عبد الناصر » فقد كان الخطر أفدح . فيهود نيويورك الذين يعتبرون أن مدينتهم هي عاصمة اليهود في العالم - أعدوا عدتهم ، ورتبوا أمرهم على مواجهته بمظاهرات عدائية له في أى مكان يذهب إليه ، وهي مظاهرات قد يفلت زمامها في أى لحظة . بل وصل بوليس نيويورك إلى حد توجيه النصح لوفد الجمهورية العربية المتحدة الدائم لدى الأمم المتحدة بأن يبحث لـ « جمال عبد الناصر » عن مقر يقيم فيه خارج حدود المدينة . ومع أن ذلك كان يمثل تعرضا أكبر لخطوط سير أبعد في الذهاب والمجيء إلى اجتماعات الأمم المتحدة ، فإن بوليس نيويورك رأى أن الخطر الذى يتعرض له موكب يسير باقصى سرعة على الطرقات - أقل حدة من مقر إقامة في وسط المدينة محدد ومعروف .

وزاد على ذلك كله بالنسبة لـ « جمال عبد الناصر » أن الأوضاع في العالم العربى كانت تمر بفترة عاصفة ، فقد اغتيل رئيس وزراء الأردن السيد « هزاع المجالى » بقنبلة انفجرت في مقر رئاسة الوزراء في عمان قبل أيام قليلة من انعقاد الجمعية العامة . وكان الملك « حسين » يوجه أصابع الاتهام إلى الجمهورية العربية المتحدة ، أو بعض أجهزتها ، أو بعض أصدقائها المحسوبين عليها . وكانت الصحف الأمريكية تنتهز فرصة هذه الأوضاع في العالم العربى وتشن حملة ضارية على « جمال عبد الناصر » تتهمه بالتخريب ضد أصدقاء الغرب في المنطقة ، وتضيف إلى ذلك سلسلة من « الذنوب » التي لا تغتفر في رأيها بينها : أن دعواه بعدم الانحياز هي في واقع الأمر انحياز للاتحاد السوفيتى - كما أن معاداته لأحلاف الغرب عداء للولايات المتحدة ، إلى جانب أنه بسياسته في الكونجو ، وهي متعاطفة مع « لومومبا » وبسياسته في أمريكا اللاتينية ، وهي متعاطفة مع « كاسترو » - تضعه دون شك على رأس إثارة المتاعب في العالم كله .



وتصادف في ذلك الوقت أننى ذهبت إلى نيويورك قبل وصول « جمال عبد الناصر » إليها بعدة أيام^(١٤) . وبعد أن قضيت يوما واحدا مع الوفد المصرى الدائم في نيويورك ، وجدت مناسبا أن أذهب في اليوم التالى إلى واشنطن لاستطلاع الأجواء في العاصمة ، خصوصا وأنه كانت هناك بعض المشاكل التى يتطلب الأمر مناقشتها مع وزارة الخارجية . والتقيت في واشنطن بـ « كريستيان هيرتر » وزير الخارجية . وكانت هناك حتى هذه اللحظة مشكلة في اختيار البيت الذى يمكن أن ينزل فيه « جمال عبد الناصر » خلال اشتراكه في اجتماعات الجمعية العامة ، وبحيث يكون هذا البيت خارج حدود نيويورك ، كما طلبت سلطات الأمن في المدينة . وقال لى « كريستيان هيرتر » في معرض المقابلة إنه سمع أن « نياركوس » المليونير اليونانى وصاحب أكبر أسطول للناقلات في العالم (وهو صهر « أوناسيس ») عرض أن ينزل « جمال عبد الناصر » ضيفا عليه في « لونج آيلاند » ، كما أن شركة « وستنجهاوز » عرضت أيضا بيتا يملكه رئيس مجلس إدارتها في نفس المنطقة . وكان رأيى « أننى اعلم أن « جمال عبد الناصر » لا يرغب في النزول ضيفا في بيت أى من رجال الأعمال ، وبالذات هؤلاء الذين لهم مصالح في المنطقة » . وتعهد « كريستيان هيرتر » بأنه سوف يطلب إلى إدارة البروتوكول في وزارة الخارجية بأن تجد بيتا ملائما .

وسألنى « كريستيان هيرتر » عما إذا كنت اظن أن « جمال عبد الناصر » يمكن أن يقضى يوما واحدا في واشنطن بعيدا عن الحمى التى تعيشها نيويورك لتكون من ذلك فرصة لمحادثات هادئة بينه وبين المسؤولين في الولايات المتحدة . وكانت حجته في هذا أنه « بما أن الرئيس قد جاء إلى الولايات المتحدة ، فلا يجب تضييع المناسبة وتبديدها في هذا السيرك الذى ستشهده نيويورك » . وكان ردى « أننى لا أعرف وجهة نظر الرئيس ، ولكنى إذا جازفت برأى شخصى ، فإننى أظن أن جمال عبد الناصر يمكن أن يقبل دعوة رسمية لزيارة العاصمة لكنه لن يقبل دعوة شخصية توجه إليه من تحت المائدة » . ورد « كريستيان هيرتر » بأنهم « لو وجهوا دعوة رسمية إلى جمال عبد الناصر ، فمعنى ذلك أنهم سوف يضطرون إلى توجيه دعوات مماثلة لعشرين رئيسا على الأقل يتوقعون أن يلقوا نفس المعاملة » .

ولقد كان أكثر ما لفت نظرى في الحديث مع « كريستيان هيرتر » أنه راح يلح في السؤال عن الأحوال في سوريا قائلا إن لديهم معلومات بأن القلق في

(١٤) كنت احضر دورة دراسية في جامعة كولومبيا عن « التطورات الجديدة في عالم الصحافة » وابرق إلى « جمال عبد الناصر » بأن اقطع حضورى لهذه الدورة لكى اشارك مع الوفد المصرى الدائم في الامم المتحدة في الإعداد للمجانب السياسى من زيارته للامم المتحدة .

سوريا يزيد ، وأن هناك أسلحة مهربة كثيرة تدخل عبر الحدود ، وقد رصدوا كميات كبيرة منها تمر عن طريق منطقة « حوران » .

وفي نهاية اللقاء قال لى « كريستيان هيرتر » ملاحظتين لهما معنى : الأولى أنه يتمكن لو استطاع المحايدون أن يشرفوا حيادهم في أثناء أعمال الجمعية العامة ، فلو أنهم انحازوا كما يفعلون عادة إلى جانب السوفيت - فإن هذه سوف تكون في نظر أمريكا علاقة شر وشؤم . والملاحظة الثانية هي قوله : « إن همرشولد يملك عبقرية سياسية فذة ، ولكن الأمم المتحدة لا يمكن أن تكون دور رجل واحد - One man's show » . وأضاف أنه يعلم أن « همرشولد » يكتب مسودات كل مراسلاته بنفسه وأنه يتعشى كل ليلة في مكتبه ، وقد حذره « بانس » من هذا الجهد المضنى ، ولكن « همرشولد » رد عليه بقوله : « إن هذه هي الفائدة الوحيدة لكونه لم يتزوج في حياته » . ثم هز « كريستيان هيرتر » رأسه وقال : « إن السكرتير العام للأمم المتحدة رجل مرهق . . مرهق جدا »



وعدت إلى نيويورك في اليوم التالي لارتباط على عشاء مع « هنرى لوس » مؤسس وصاحب ورئيس تحرير مجلة « تايم » وزوجته « كلارا بوث لوس » التي كانت تعمل بالصحافة مثل زوجها حتى عينها « ايزنهاور » سفيرة للولايات المتحدة في روما . وقبل موعد العشاء بساعة واحدة اتصل بى « لوس » في فندق « بلازا » الذى كنت أنزل فيه ، وسألنى إذا كنت أمانع في أن يكون معنا على العشاء صديق له أبدى اهتماما بلقائى . وسألته عنه ، وكانت المفاجأة أنه « آلان دالاس » - وكان ردى أننى على العكس أرحب ، قمدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أصبح أسطورة باعتباره مستودعا لأسرار الدنيا ، وسوف يسعدنى أن التقى به في بيته (بيت « هنرى لوس ») .

وتحول حديث مائدة العشاء ، وما بعده إلى حوار ثنائى في الواقع بين « آلان دالاس » وبينى^(١٥) . كانت قصة اختفاء « لومومبا » فجأة هي الموضوع

(١٥) مذكرات كتبها بتاريخ ١٩ سبتمبر على أوراق فندق « بلازا » وقد ضمنتها صورة كاملة ومفصلة للقاء مع « آلان دالاس » . وقد كتبت على هامش الصفحة الأولى من المذكرات مجموعة ملاحظات شخصية جاء بينها .
● إن آلان دالاس يختلف كثيرا في ملامحه ومزاجه عن جون فوستر دالاس ، فهو بطيء في إيقاع حديثه ، ويعطى الانطباع لسامعه أنه يفكر مرتين قبل أن يقول جملة واحدة .

● إنه مريض إما بـ « النقرس » أو بـ « جلطة » في الساق لأنه بعد فترة قصيرة من بدء الحديث طلب كرسيا صغيرا لكي يمد ساقيه عليه قائلا . إنه مضطر إلى تمديد ساقيه باستمرار .

● إنه مدمن تدخين « باب » فمنذ اللحظة الأولى استاذن صاحبة البيت في أن تسمح له بتدخين البابيب مؤكدا لها أن التبغ الذى يستعمله « جميل الرائحة » !

الرئيسى فى صحف الصباح يومها ، وسألت « آلان دالاس » عما إذا كان يعرف شيئاً عن مصير الزعيم الكونجولى ، وكان رده : « إن آخر معلوماته هى أن « لومومبا » شوهد لآخر مرة وهو يحاول أن يجمع متطوعين من الجيش الكونجولى للذهاب معه لتحرير « كاتنجا » . » ثم سألتى مباشرة : « إننى لا أفهم لماذا تؤيدون « لومومبا » وهو رجل طائش يتصرف بأكبر قدر من حماقة ؟ » وقلت له صراحة : « إننا لا نؤيد « لومومبا » لشخصه ، وإنما نؤيد ما يمثله وما أصبح رمزاً له ، وهو الوطنية الإفريقية ، وإنما على استعداد لأن أسلم بأن بعض تصرفاته تبدو غير متوازنة ، ولكن ذلك لا يمكن فصله عن الموقف المشوش الذى واجهه منذ أول يوم للاستقلال . » وتوجه إلى سؤال مباشر ثان : « ما هو رأى الرئيس ناصر فى « كاسترو » وهل يعتبر نفسه صديقاً له بالفعل ؟ » وكان ردى أن « الرجلين لم يلتقيا فى حياتهما ، وربما تتاح لهما فرصة لقاء أول فى أثناء اشتراكهما فى أعمال الجمعية العامة فى نيويورك . وعلى أى حال ، فإن « كاسترو » يبدو لنا من بعيد زعيماً وطنياً يمثل روح أمريكا اللاتينية . »

وعقب « آلان دالاس » على ما قلت بملاحظة عامة قال فيها : « إن الله وحده يعلم ما الذى يمكن أن يجرى فى مبنى الأمم المتحدة خلال الأسبوع القادم . ولا بد أن خروشوف يحتفظ تحت قبعته بعدد كبير من الأرناب . » ثم استطرد : « إن هناك منذ الآن إشاعات كثيرة عن نوايا خروشوف . هناك إشاعة تقول إنه سوف يجىء معه بفرانسييس باورز (قائد طائفة التجسس التى أسقطها الاتحاد السوفيتى) ويسلمه لنا هنا كدليل على حسن نيته ، ورغبته فى فتح صفحة جديدة استعداداً للرئيس الجديد الذى سيخلف الرئيس ايزنهاور . وهناك إشاعة أخرى بأن الباخرة التى يركبها داخلا إلى نيويورك سوف تلتقط من الماء « شيئاً » مرسلاً من الفضاء عن طريق القذيفة التى بعثوا بها إلى القمر قبل أيام ، وأنا لا أعرف ماذا أو كيف ، ولكن الأجواء ملئت بإشاعات متوحشة . »

ثم انتقل إلى موضوع آخر ، فقد قال : « إن معلوماته أن السوفييت متأخرون عن البرنامج المقرر لبناء السد العالى ، وأنه إذا حدث شئ من هذا النوع ، فإن الولايات المتحدة سوف تكون على استعداد للمساعدة . » ثم مضى

= ● إن الحديث عن كاسترو وكوبا ، وعلاقة الناصر الكوبى بجمال عبد الناصر كان « لازمة » حديثه يعود إليه من خلال أى موضوع يتطرق له (ومن الواضح الآن ، وباترجمى أن عملية غزو كوبا كانت فى ذهنه ، وإن فكره كان يحوم حولها !)

يقول : « إننا نحب أن نتصور أن هدفهم هو أن يسود الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط . وأؤكد لك أنه ليست لنا مطامع في المنطقة بل على العكس ، فنحن نقدم لها الكثير من المساعدات . وأرجو أن لا تتصور أننا بلد غنى يبذر أمواله بسفاهة ، فنحن أحوج ما نكون إلى أموال المساعدات التي نقدمها للآخرين . نحن في حاجة إلى مدارس أكبر . عندنا نظام تعليم ممتاز ، ولكننا نستطيع أن نرتقى به » .

ثم انتقل إلى موضوع إقامة « جمال عبد الناصر » في نيويورك ، وقال : « إنه لا يعتقد أنه سوف تنشأ مشاكل ، وصحيح أنه يعلم أن بعض الجماعات الصهيونية ترتب لمظاهرات ضده ، ولكنه يعلم في نفس الوقت أن الطلبة العرب يرتبون لمظاهرات مؤيدة له . وقد عرف أن بعض الطلبة العرب تورطوا في اتصالات مع « لوسون » وهو زعيم مجموعة نازية في نيويورك ، وظهور مثل هذا النوع من الناس في مظاهرات مؤيدة لناصر يمكن أن يفسد كل شيء . وقد اتصل بنفسه بمدير بوليس نيويورك ، وطلب إليه أن يتصرف بأقصى حزم حتى لا تحدث مشاكل . »

ثم انتقل بحديثه إلى الأحوال في المنطقة العربية . وكما جرى مع « كريستيان هيرتر » في اليوم السابق - كان « آلان دالاس » مهتما بالأحوال في سوريا . وقد أضاف « أن الملك حسين في حالة هياج شديد بعد اغتيال رئيس وزرائه هزاع المجالي . وأنه - أي الملك - يفكر في مشروعات خيالية Up to so many fantastic ideas وهو يتهم عبد الحميد السراج بتدبير اغتيال هزاع المجالي ، أو على الأقل بالتحريض على اغتياله . »

ثم انتقل إلى السؤال عن الأحوال في العراق ، ولفت نظري وصفه للواء « عبد الكريم قاسم » رئيس وزراء العراق بأنه « لومومبا آخر بالحركة البطيئة » - Another Lumumba in slow motion .

وتدخلت « كلارا بوث لوس » لأول مرة في الحديث ، فسألت « آلان دالاس » عن صحة ما يقال « من أن الوفد الكوبي لم يعثر حتى الآن على فندق يرضى بنزوله فيه ؟ » ورد « آلان دالاس » بالإيجاب « لأن كاسترو وجماعته سوف يحولون أى فندق ينزلون فيه إلى مستودع « زباله » . » ثم التفت « آلان دالاس » ناحيتي وقال لى : « أسمع إننى لا أحب كاسترو ، ولا أعتقد كثيرا في مزاياه " I do not think much of him " . ثم أضاف : « إن هناك بعض الناس يتصورون أن إثارة المتاعب ضدنا حرفة يتعيشون من ورائها . وكاسترو واحد من هؤلاء ، ولومومبا واحد آخر منهم » . ثم استطرد : « إننا كنا نفضل أن تتولى دول أفريقيا مسؤولية مواجهة الموقف في الكونجو ، ولكننا اضطررنا إلى التدخل حينما أحسسنا أن الوقت يفوت ، وأن هذا

البلد ينهار بسبب حماقة رجل واحد . ولم نكن نريد أن يدخل الكونجو في الحرب الباردة ، ولكنه الآن في وسطها على ما يبدو ، وأحب أن أقول لك ، وأرجو أن يعرف الرئيس أنه إذا حاول الروس أن يلعبوا هناك ، فإننا سوف نلعب أيضا ، وصدقني إننا سنكون في منتهى القسوة and believe me we're going to be pretty tough .

ثم أضاف في النهاية ، وفيما بدا أنه رسالة موجهة عبرى إلى « جمال عبد الناصر » قوله : « إننى أعرف أن الرئيس ناصر متزن وعميق التفكير . وقد أصبح الآن من أقدم رؤساء دول العالم الثالث تجربة ، ولديه الآن الفرصة ليقود ، ونحن لا نعترض على قيادته ، ولا نحكم عليها بمقدار مولاتها لنا ، وإنما نريده أن يتصرف على أساس حياده الحر »^(١٦) .



ووصل « جمال عبد الناصر » يوم ٢٣ سبتمبر إلى نيويورك . وكان قد أعد خطته لما يريد إنجازه في اجتماع الجمعية العامة وعلى جوانبه . وكانت أهدافه للعمل محددة على النحو التالى :

١ - كان يريد أن يشارك في أعمال الجمعية العامة ، ويضم جهوده إلى جهود آخرين في محاولة صادقة لانقاذ السلام العالمى .

٢ - وقد خطر له أن يقترح في لقاءات يعقدها مع « تيتو » و « نهرو » ضرورة أن تقوم الدول غير المنحازة بتجميع صفوفها ، وتنسيق جهودها لكي تستطيع أن تقوم بدور احتياطي في صيانة السلم العالمى ، إذا لم تستطع القوتان الأعظم التقدم خطوات على هذا الطريق من خلال اجتماعات الجمعية العامة .

(١٦) إننى خرجت في هذا الموضوع من الكتاب عن المنهج الذى ألزمت نفسى به فيه ، وهو ان أبتعد عن التركيز على أى دور شخصي في الحوادث ، ولكن بعض المواقع تفرض عكس ذلك خصوصا عندما تكون لما رايت أو سمعت بنفسى دلالات خاصة ذات مغزى كبير على سير الحوادث ، ثم يكون من الصعب إيراد الوقائع دون نسبتها إلى مصدر واضح وصريح



شهد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة التي عقدت في سبتمبر ١٩٦٠ ، عدد كبير من أبرز زعماء العالم وقادته حينذاك في الصورة خروشوف يتحدث الى عبد الناصر الذي وقف تينو الى جواره ، في حين وقف نهرو خلف خروشوف ، وبينهما الملك الحسن الثاني



نهرو وعبد الناصر وسوكرانو في حديث ضاحك في حفل استقبال اقيم في السفارة الهندية إبان الدورة

٣ - وكان في تقديره أن يلتقى مع « خروشوف » في محاولة لتسوية الخلافات العربية السوفيتية التي مازالت تتردى رغم حرص الأطراف على عدم الوصول إلى نقطة اللا عودة .

٤ - ثم كان ظنه بعدها أن يقابل « ايزنهاور » وجها لوجه ، وأن يستطلع على أعلى مستوى نوايا السياسة الأمريكية واتجاهاتها .

وكان دوره نشيطا في اجتماعات الجمعية العامة ولافتا للأنظار ، ثم إنه اتفق مع « تيتو » و « نهرو » على التمهيد لمؤتمر موسع للدول غير المنحازة . والتقى بـ « خروشوف » لكن لقاءهما لم يسفر عن تصفية الخلافات القائمة ، وإنما تحول إلى عمليات استعراض للمواقف ، وتحديد للمسؤوليات ، ومن الذى بدأ ، ومن الذى رد - وإن التقيا في النهاية على أنه إذا لم يكن في مقدورهما أن يدفعا العلاقات إلى الأمام ، فإن الواجب عليهما أن يمنعاها من التدهور إلى أبعد مما وصلت إليه .



وكان اجتماعه مع « ايزنهاور » مفيدا ، وإن لم يتعرض لاحتمالات المستقبل لأن انتخابات الرئاسة الأمريكية كانت على وشك أن تجرى ، بل إن معركة الانتخابات كانت جارية بالفعل على قدم وساق بين « ريتشارد نيكسون » نائب « ايزنهاور » مرشحا عن الحزب الجمهورى ، و « جون كيندى » عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ماساتشوستس مرشحا عن الحزب الديمقراطى . بل إن « جمال عبد الناصر » كان في الليلة السابقة قد تابع مواجهة مباشرة بين الاثنين على شاشات التليفزيون ، وخرج منها بانطباع متعاطف مع « كيندى » ، مرجحا لاحتمالات فوزه .

وقد تم اجتماع بين « جمال عبد الناصر » و « ايزنهاور » في الجناح الرئاسى بفندق « والدورف استوريا » فى نيويورك التى جاء إليها « ايزنهاور » لحضور الجمعية العامة ، والالتقاء بزعماء العالم الذين وفدوا عليها للمشاركة فى أعمال الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة . وتسجل وثائق البيت الأبيض وقائع ما جرى فى هذا الاجتماع فى مذكرة كتبها الجنرال « جودباستر » المساعد العسكرى لـ « ايزنهاور »^(١٧) ، وقد جاء فى المذكرة بالنص ما يلى :

« بعد أن قام الرئيس بتحية الرئيس ناصر ومرافقيه ، وبعد النقاط صورة تذكارية له مع ناصر ، بدأت المناقشة بأن قال الرئيس (ايزنهاور) : « إنه اجتهد فى جعل خطابه امام الأمم المتحدة خطابا توفيقيا . وقال إنه يعتقد ان الأمم المتحدة ذات

(١٧) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية مذكرة عن اجتماع بين الرئيس ايزنهاور والرئيس ناصر (الجمهورية العربية المتحدة) - يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠ - الساعة الرابعة والذصف بعد الظهر .

اهمية بالغة في عالم اليوم ، حيث توجد بلدان كثيرة يتعين مساعدتها لتحقيق مستويات عصرية عالية من الانتاج والرفاهية الاجتماعية ، فالمعونة الثنائية ليست حلا ، والاسراف فيها يجعل العلاقة بين البلدان المانحة والبلدان المتلقية تجنح إلى أن تصبح علاقة هيمنة . وقال الرئيس (ايزنهاور) إنه يعتبر أن الأمم المتحدة هي أملنا العظيم في تسوية المشاكل بين الأمم ، وأن هذا هو الذي حدا به إلى أن يكون توفيقيا في خطابه حتى يسمح بأن تكون دورة الجمعية العامة مجدية ، وإن كان الرئيس (ايزنهاور) قد اعترف بأنه ربما لم ينجح في هذه الغاية .

وبدا الرئيس ناصر حديثه بالإعراب عن تقديره للمؤازرة التي قدمتها الولايات المتحدة للأمم المتحدة ومصر في الصراع الذي حدث في نوفمبر ١٩٥٦ . وقال إنه قدر هذه المؤازرة ، وإن كان قد عقب قائلا إن المصاعب وسوء الفهم جرت بعد ذلك على علاقاتنا . وقال الرئيس ناصر : « إن تجربة الأمم المتحدة (ولعل ناصر كان يعنى هنا التجربة مع الأمم المتحدة لأنه استخدم العبارة بهذا المعنى عدة مرات أثناء النقاش) كانت تجربة بناءة جدا » . وقال الرئيس ناصر : « إن الجمهورية العربية المتحدة آزرت نشاط الأمم المتحدة في الكونجو من بداية الأمر ولكنه دهش دهشة مزعجة لقيام الأمم المتحدة باحتلال المطارات الجوية ، ومحطات الإذاعة في الكونجو ، وهذه كلها انتهاكات لسيادة الكونجوليين » . ثم اضاف الرئيس ناصر أنه اعتبر هذه التصرفات اخطاء من جانب الأمم المتحدة ، وخطورة هذه الأخطاء أن بلدانا كثيرة كالجمهورية العربية المتحدة تعتمد على الأمم المتحدة في أمنها في عالم اليوم . والآن وبسبب مثل هذه التصرفات ، فإن الأمم الافريقية بدأت تفقد ثقتها في الأمم المتحدة . »

ثم استطرد الجنرال « جودباستر » في مذكرته عن اللقاء يقول : « إن الرئيس (ايزنهاور) رد على الرئيس ناصر بقوله : « إنه من الطبيعي أن قوات الأمم المتحدة لا تكون كافية في بعض الحالات للتوصل إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، وإن كانت الولايات المتحدة في فترة رئاسته قد حاولت بكل طريقة تعزيز عمليات الأمم المتحدة ، وتقديم العون لها في تنفيذ قراراتها » . ثم قال الرئيس (ايزنهاور) إنه يظن أن السبب في الأمر الذي أصدرته الأمم المتحدة بإغلاق المطارات في الكونجو كان منع وصول الأسلحة والخبراء السوفيت ، فقد كان إرسالهم على وشك أن يتم دون طلب من الأمم المتحدة . ولابد أن نتفق إنه عندما تتدخل الأمم المتحدة في حالات من الفوضى الشديدة - كما يحدث في الكونجو - فلا بد أن يكون لرجالها الحق في أن يقرروا بأنفسهم ما هو ضروري لصيانة النظام . وبالطبع فإنه يتصور أن الآراء سوف تختلف حول الأساليب ، على أن الحقيقة الواضحة هي أن الأمم المتحدة أيدت تصرفات همرشولد تاييدا كاملا . وقال الرئيس (ايزنهاور) إن السؤال المهم الذي يتعين علينا أن نسأله لأنفسنا على ضوء الهجوم الشديد الذي يشنه الاتحاد السوفيتي ضد الأمم المتحدة هو « هل منظمة الأمم المتحدة منظمة طيبة بصورة إجمالية أم لا ؟ » ورده هو شخصيا على هذا السؤال هو « إنها منظمة طيبة بالنسبة للأمم الكبيرة وكذلك الصغيرة . »

ومضى الجنرال « جودباستر » في مذكرته بعد ذلك عن وقائع الاجتماع يقول : « إن الرئيس ناصر أبدى اعتقاده بأن إفريقيا تتحرك بسرعة إلى الامام ، وأن هناك تغييرات ضخمة تجرى في القارة . وهو يعترض اعتراضا حازما على أى شئ من شأنه أن يجعل من إفريقيا ميدانا للحرب الباردة ، والواجب أن لا تسيطر عليها الولايات المتحدة أو روسيا أو أوروبا . وهو على وجه التحديد يعارض أى سيطرة روسية على الكونجو ، كما يعارض أى سيطرة غيرها . »

واستطرد الجنرال « جودباستر » في مذكرته ، فروى ما دار من مناقشات بين « ايزنهاور » و « جمال عبد الناصر » عن قصة صفقات السلاح منذ سنة ١٩٥٢ . ثم وصل « جودباستر » في مذكرته إلى القول : « قال الرئيس ناصر إنه منذ عام ١٩٥٢ وهو يرغب في علاقات طيبة مع الولايات المتحدة . وكان الحاجز الرئيسى الذى يحول دون ذلك باستمرار يتمثل في إسرائيل . وقال ناصر إنه طلب منا اسلحة لحماية بلاده من الهجمات الاسرائيلية فرفض طلبه ، ومع ذلك قدمت الولايات المتحدة اسلحة إلى إسرائيل . وتدخل الرئيس (ايزنهاور) عند هذه النقطة ، وقال إن ما قدمته الولايات المتحدة لاسرائيل كان مجرد اسلحة دفاعية . ورد الرئيس ناصر على ذلك بقوله إن الرئيس ايزنهاور بخبرته العسكرية الضخمة يدرك دون شك أن جميع الأسلحة لها قيمة هجومية . وسمى عددا من أنواع الأسلحة التى قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل ، وبينها المدافع عديمة الارتداد من عيار ١٠٦ مم . ثم عاد الرئيس ناصر إلى تأكيد القول بأن إسرائيل هى دائما الحاجز الذى يقف امام تحسين علاقاتنا . وقال إنه يتابع الحملة الانتخابية بين كنيدي ونيكسون ، ووجد كلاهما يتبارى في استرضاء إسرائيل ، كما انه يقرأ خطبا مهينة لكثيرين من اعضاء الكونجرس الأمريكى تؤيد إسرائيل على طول الخط . ومع فهمه لحقيقة أن الكونجرس ليس هو الحكومة ، فإنه مضطر إلى الاعتقاد بأن كليهما يعبر عن سياسات مرسومة .

ثم انتقل الرئيس ناصر إلى شحنات القمح الأمريكى لمصر ، وقال إنه ممتن لهذه الشحنات ، لكنه عندما يقف اعضاء في الكونجرس ليقولوا إن الجمهورية العربية المتحدة عليها أن تدفع ثمن القمح الأمريكى بالسماح للبواخر الاسرائيلية بعبور قناة السويس ، فإن الواجب يقتضيه أن يقول إنه سيرفض دفع هذا الثمن ، وسيرفض القمح .

ورد الرئيس (ايزنهاور) إن هذه مشكلة صعبة ومعقدة ، وعلينا أن نحاول الاهتداء إلى الحق ، وأين هو وكيف ؟ وفيما يتعلق به ، فإنه سيحاول . ثم طلب من الرئيس ناصر أن يفكر فيما إذا كان ممكنا العثور على بداية جديدة . ثم توجه الرئيس (ايزنهاور) إلى الرئيس ناصر بسؤال مباشر عما إذا كانت الدول العربية ملتزمة بتدمير إسرائيل ؟ ورد الرئيس ناصر بقوله : « إن هناك قولاً متواتراً بأن العرب يريدون تدمير إسرائيل » . ثم اضاف انه لم يصدر عنه بيان واحد بانه ينبغي تدمير إسرائيل ، او إلقائها في البحر . وإن الحل في رايه يكمن في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة .

وقال الرئيس (ايزنهاور) إنه عندما دخل البيت الأبيض بدا سياساته في العالم من منطق أن الحرب في عصرنا هذا قد أصبحت مقبولة مطلقا . ورد الرئيس ناصر بقوله إن في وسع أي شخص اليوم أن يبدأ حربا ، ولكن أي شخص لا يستطيع إنهاء الحرب على هواء . وسأله الرئيس (ايزنهاور) عن رايه في حل مشكلة اللاجئين ، وكلم منهم يمكن أن يعودوا إلى إسرائيل إذا أعطوا حرية الاختيار ؟ ورد الرئيس ناصر على السؤال الموجه إليه بقوله « إنه يعتقد أنهم جميعا سيعودون ، وعندئذ تصبح إسرائيل بلدا مختلط السكان بدلا من أن تكون مجرد بلد يهودي ، ومن شأن هذا أن يحسن الوضع في المنطقة ، ويقلل ما يشعر به العرب الآن من الخوف والكراهية » . وسأله الرئيس (ايزنهاور) كيف يمكن لإسرائيل إيواء مليون شخص إضافي داخل حدودها ؟ ورد الرئيس ناصر بقوله : « إن بن جوريون أعلن أن هدفه تهجير أربعة ملايين يهودي آخرين إلى فلسطين » . وبعد مناقشة حول العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، وصل « جودباستر » إلى الجزء الأخير من مذكرته عن اللقاء فكتب يقول :

« إن الرئيس (ايزنهاور) صرح الرئيس ناصر باننا نتطلع إلى علاقات أفضل مع الجمهورية العربية المتحدة ، ولكننا شديدو الارتياب في السوفيت ، فهم عندما يقدمون المساعدات للجمهورية العربية المتحدة يضعون في حسابهم أنهم قد يصلون بواسطتها إلى الهيمنة على المصريين . ورد الرئيس ناصر بقوله : « إن المصريين لن يبيعوا حريتهم لأحد » . وأعاد إلى ذاكرة الرئيس أنه قاطع السوفيت علنا في وقت كانت فيه علاقاته مع الغرب شديدة السوء . وهو على استعداد لتحمل علاقات سيئة مع العسكريين شرط أن تحتفظ بلاده بكرامتها . ثم قال الرئيس ناصر : « إن جون فوستردالاس سحب العرض الأمريكي بالمساهمة في بناء السد العالي ببيان مهين » . وقاطعه الرئيس (ايزنهاور) في هذه النقطة قائلا : « لقد كان ذلك سوء تفاهم بين حكومتينا » .

وتسأل الرئيس (ايزنهاور) عما سيحدث في الأردن ؟ ورد ناصر بقوله : « إنه لا يتخذ إزاء الأردن إلا إجراءات دفاعية ، وهو غير منغمس في مؤامرات مع الروس ، أو مع الولايات المتحدة ، أو مع أي طرف آخر ضد الأردن . فالمؤامرات لن تفضي إلى شيء ، وإنه لا يملك عملاء في الأردن ، أو في العراق ، أو في لبنان مع تسليمه أنه في هذه البلدان جميعا يوجد أناس يؤمنون بأفكاره ويناصرونها ، وهو لا يعرف معظمهم » . ثم أضاف : « إنه لا يقبل أن يتسع إطار الجمهورية العربية المتحدة لأي طرف جديد إذا جاء ذلك عن طريق انقلابات ، أو أعمال هدامة ، فلا رغبة له في مثل هذا الارتباط إلا إن تم من خلال إرادة تعبر عن نفسها طوعا » .

امضاء

أ . ج . جودباستر
بريجادير جنرال «

الفصل الرابع

تصنيف المواقع



في أوائل سنة ١٩٦١ كان « جمال عبد الناصر » يقوم بعملية مراجعة ، ولعل الاحساس بالحاجة إلى هذه المراجعة هو الذى دفعه إلى اختيار السفر بالبحر إلى الدار البيضاء يوم ١ يناير ١٩٦١ فى أول زيارة له للمغرب ، ولحضور اجتماع لعدد من رؤساء الدول الافريقية المستقلة الذين هالهم ما يجرى فى أفريقيا ، وتلاقت أفكارهم على ضرورة اتخاذ موقف واحد لمواجهة .

ولم تكن شواغل « جمال عبد الناصر » فى ذلك الوقت مقصورة على أفريقيا - رغم أن أفريقيا فرضت نفسها فى ذلك الوقت على المسرح العالمى الواسع .

كانت شواغله أوسع من أفريقيا ، وأكثر تعددا فى ظلالها من لون واحد .

والحقيقة أنها كانت نفس الشواغل التى ألحت عليه من قبل فى أعقاب معركة السويس ، وجعلته يحس بالحاجة إلى فرصة لتدعيم وتعزيز ما استطاعت الثورة تحقيقه أو التخطيط له منذ قيامها وإلى ما بعد السويس .

كان قد بدأ هذه المحاولة ، ثم اعترضته قضايا سوريا حين حاولت الاقلاات من الغزو بالاندفاع إلى الوحدة - ثم توزع اهتمامه بعد ذلك ما بين تصاعد آمال الحركة الثورية العربية على كل المستويات ، وانفجارها على شكل ثورة من التطلعات والتوقعات القومية والاقتصادية والثقافية ، بل وجموحها أحيانا إلى ما يسبق وسائلها وإمكاناتها

- إلى ثورة في العراق - إلى الخلاف مع الشيوعيين - إلى النزاع مع الاتحاد السوفيتي - كل هذا والصراع مع إسرائيل على أشده ، كما أن المخطط الامبراطوري الأمريكي ضاغط .

ولقد كان إحساسه بالحاجة الملحة إلى المراجعة والتدعيم والتعزيز لما تحقق ، يتصادم دائما مع إحساس مقابل بضرورة الاستجابة للتطورات التاريخية والتفاعل معها .

ولقد كانت سياسته في معظم الأحيان ، وبحكم دراسته للاستراتيجية وتأثره بمدرسة « ليدل هارت » هي : الاختراق ، والالتفاف ، ومحاصرة الجيوب ، ومواصلة التقدم ، ثم ترك الجيوب المعزولة للحصار أو الاستسلام .

لكن المشكلة أن كثرة الجيوب التي تركتها عمليات الاختراق والالتفاف والحصار ، ثم احتمال أن تتمكن هذه الجيوب من الاتصال ببعضها - يهدد أى جبهة بهجوم عليها من المؤخرة .

وكان بعد انتصار السويس قد تقدم وترك وراءه جيوبا متعددة .

وفي أواخر سنة ١٩٦٠ كان إحساسه بأن الجبهات الدولية التي يصارع ضدها قد عثرت على حليف طبيعي في الجيوب التي تركها وراءه ، والعكس بالعكس أيضا - وإذن فإنه يحتاج وفق مدرسة « ليدل هارت » إلى شيء من عمليات المراجعة والتدعيم ، ثم إنه قد يحتاج إلى تقصير بعض خطوطه ، وإلى تأمين أو تطهير بعض المواقع قريبا .

وكانت السنوات التالية التي قضاها في السلطة حتى الآن قد زادت معرفته بأحوال عالمه وتياراته ، كما زادت قريبا من آمال شعوب أمته التي أحس طبقا لما قاله « أنها أعطته أكثر مما تمناه أو حلم به » .

وبشكل ما ، فإن ضرورة المراجعة والتدعيم والتعزيز كانت تلح عليه طوال سنة ١٩٦٠ وهو يرى نفسه في خلافات مع القوتين الأعظم في ذات الوقت ، ومع أنه كان يراها اختبارات ضرورية من أجل الاستقلال الحقيقي وتأكيد - فلقد كان تقديره العام أنه ينبغي تخفيض درجة الحرارة في أكثر من موضع من مواضع الاحتكاك .

ولقد أثار الموقف الدولي قلقه باشتداد المواجهة بين خروشوف وايزنهاور ، وكذلك فإن ورطة الأمم المتحدة في الكونجو أقلقته أيضا ، فهذه الورطة أثرت في هيئة الأمم المتحدة ، وعلى مكانة سكرتيرها العام « داج همرشولد » .

ولقد أقنعه الجو الذي رآه في نيويورك في أثناء حضور اجتماعات الدورة

الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة أن رياح الحرب الباردة سوف تزداد برودة في المرحلة القادمة ، وأنه من الضروري أن تتحصن الأطراف الدولية الراغبة في صيانة أمنها واستقلالها ضد هبوب الصقيع القادم .

ولم يكن التحصين في رأيه خنادق عميقة ، ومتاريس عالية يقبع فيها ووراءها المقاتلون ، وإنما كان رأيه أن التحصين يؤدي أهدافه على أحسن وجه بالدفاع النشط واليقظ .



كان في نيويورك قد حقق تأثيرا كبيرا على قادة العالم ، وعلى جيل الزعماء الجدد الظاهرين في آسيا وأفريقيا ، كما حقق خطوات ناجحة يجوز لها أن تنسيه شواغله أو بعضها :

□ كان هو الذي اقترح على عدد من زعماء عدم الانحياز أن يتقدموا معا بمشروع قرار للجمعية العامة يدعون فيه إلى استئناف الاتصالات على مستوى القمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وهكذا اشترك معه « نكروما » و « سوكارنو » و « نهرو » و « تيتو » بتوقيع اقتراح بمشروع قرار^(١) قدم إلى رئيس الجمعية العامة نصه :

« الجمعية العامة

شاعرة بالقلق من التدهور الطارئ على العلاقات الدولية مما يهدد بأوخم العواقب

وعارفة بالأمال التي تعلقها شعوب العالم على هذه الدورة للجمعية العامة - في تمهيد الطريق نحو تخفيف التوتر

وواعية بالمخاطر التي تهدد الأمم المتحدة والمسؤوليات التي تقع عليها
تطلب : كخطوة أولى عاجلة من كل من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس مجلس الوزراء في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية أن يعيدا تجديد اتصالاتهما التي انقطعت أخيرا ، بحيث يتحقق عن طريق ذلك ما أعلنه كلا الطرفين من رغبته في حل المشاكل الدولية الكبيرة والمعلقة بوسيلة المفاوضات . »

(١) نص القرار منقول عن بيان السكرتارية العامة للأمم المتحدة (الإدارة الصحفية) برقم ب . م / ٣٨٩٥ - بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٦٠

□ وكان قد تمكن أيضا من إعادة تصحيح علاقات الجمهورية العربية المتحدة ببعض القوى الكبرى في أوروبا ، وبينها بريطانيا وفرنسا .

فقد أبدت بريطانيا رغبتها في استئناف العلاقات مع مصر ، وفتح صفحة جديدة ، وقبل « جمال عبد الناصر » مع إدراكه أن كتاب المصالح الدولية لا يعرف هذا النوع من الانقطاع بين ما كان سابقا ، وما سوف يكون لاحقا . وكان « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا (المملكة المتحدة) الذى يحضر الدورة والذى يجلس قرب مقاعد وفد الجمهورية العربية المتحدة بحكم الترتيب الأبجدي ، غير مستعد لترك مشاكل البروتوكول تؤخر رغبته في استعادة العلاقات مع البلد الذى برز باعتباره أهم قوة مؤثرة في العالم العربى ، وهكذا فإنه قرر القيام بمغامرة مباشرة .

وذهب وزير الخارجية البريطانى اللورد « دوجلاس هيوم » إلى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة الدكتور « محمود فوزى » يقول له : « إن رئيسى يفكر في أن يتقدم لمصافحة الرئيس ناصر في فترة الاستراحة في أثناء جلسة الغد ، فهل تظن أن الرئيس ناصر سوف يمد له يده ، ومن ثم يلتقيان أثناء هذه الدورة ؟ » ورد « فوزى » قائلا بطريقته : « إنه واثق أن « رئيسنا » جنتلمان ، وهو لا يترك في الهواء يدا معلقة تمتد إليه بالتحية . »

وكان أعضاء الوفد المصرى إلى الجمعية العامة ، الذين عرفوا بما دار بين اللورد « هيوم » والدكتور « فوزى » ، في حالة من الفضول الشديد ينتظرون كيف يتصرف « ماكميلان » و « كيف يفعلها » ؟

وعندما جاءت الاستراحة ، رأى الكل « ماكميلان » يناور حتى تستطيع خطواته خارجا من مقعده إلى الممر الواسع في القاعة أن تضعه وجها لوجه أمام « جمال عبد الناصر » ثم إذا هو يمد اليه يده قائلا بتواضع شديد : « إننى هارولد ماكميلان ، ويشرفنى أن أتعرف عليك ! » ورد « جمال عبد الناصر » باسمه وقائلا : « إننى جمال عبد الناصر ويسعدنى أن ألقاك ! »

ثم قام « ماكميلان » بقبول دعوة من « جمال عبد الناصر » في اليوم التالى على فنجان شاي .

□ وكان « جمال عبد الناصر » أيضا قد حقق أول اتصال مباشر بأمريكا اللاتينية ، وقوامها الثائرة ، فقد طلب « فيدل كاسترو » لقاءه ، وجاء إليه يحمل علبة من السيجار الكوبى ومحفظة من جلد التمساح ، وقال له وهو يقدمها له : « أما السيجار فأنا أعرف أنكم لا تنتجونه في مصر وأما التماسيح فأعلم أن لديكم كثيرا منها في النيل » ، ورد عليه « جمال عبد الناصر » ضاحكا بأن « مصر بالفعل فيها

خمسـة تماسيح على حد علمه ، وكلها موجودة في حديقة الحيوانات ، وبالتالى فإن المحفظة التى أعطيتها لى نادرة لأننا أيضا لا نملك تحويل خمسـة تماسيح إلى محافظ وحقائب جلدية .

ثم جلس « عبد الناصر » يتعرف على مشاكل أمريكا اللاتينية ، ويستمتع مطولا إلى تقرير عن أوضاعها ، وقد استكمل سماعه بعد ذلك عندما قام بزيارة لـ « كاسترو » فى الفندق الذى كان يقيم فيه بحى « هارلم » . وكان « كاسترو » قد أثر الانتقال إلى حى الزنوج فى نيويورك لأن الفندق الذى نزل فيه بادية الأمر اتهم الوفد الكوبى بأنه يذبح « الدجاج » وينظفه من « الریش » فى الصالونات لأنهم حريصون على طبخ طعام « كاسترو » بأنفسهم مخافة دس السم له فى طعام الفندق !!

□ كان أيضا قد التقى بالجنرال « ديـجول » الذى كانت هامته الطويلة لافتة للأنظار أثناء دخول الوفد وخروجها إلى قاعة الجمعية العامة ومنها . وقد ركز « جمال عبد الناصر » على ثورة الجزائر وضرورة الاعتراف بقيادتها ، وإطلاق سراح الزعماء الذين خطفتهم الحكومة الفرنسية السابقة ، والتفاوض معهم ومع الحكومة المؤقتة بقصد إنهاء حرب مكلفة فى الجزائر لم يعد ممكنا لها أن تعوق استقلالها . وحاول « ديـجول » أن يناقش معه بعض الشروط ، ولكن « جمال عبد الناصر » صارحه بأنه لا يملك تفويضا بالمناقشة معه . وكان أهم ما أسفر عنه اللقاء هو أن « ديـجول » وعد بفتح مسالك للاتصال المباشر ، كما أنه وافق على السماح للزعماء الجزائريين المعتقلين بتلقى مكالمات تليفونية من الخارج ، أو بإجراء مكالمات تليفونية مع الخارج ، بحيث تستطيع أطراف القيادة فى « الداخل » أن تشارك فى الحوار مع القيادة فى « الخارج » لترتيب موقف تفاوضى معقول .

□ وكان فى نيويورك أيضا قد ناقش ضرورة إنشاء تجمع إفريقى يكون مرجعا أساسيا للقارة ، وتجمع لدول عدم الانحياز يكون حلقة رئيسية فى محاولة الحفاظ على السلام . والآن كان فى طريقه فعلا إلى اجتماع إفريقى تقرر عقده فى الدار البيضاء ، واختار أن يسافر بالبحر لى تعطيه أيام الرحلة فرصة للتفكير الحر والطلاق : يحلل ويقيم ويختار بين البدائل المطروحة والضرورات الملحة ، ويرسم خطا سليما للحركة وسط بحار هائجة !

ولم يترك « جمال عبد الناصر » لشيء أن يخرجـه عن شواغله حتى عندما قيل له إن طائرة استطلاع فرنسية تحوم حول الباخرة « الحرية » وتلتقط صورا لها . وقد كان كل ما فعله أن صعد إلى سطح « الحرية » ومعه آلة تصوير التقط بها عددا من الصور لها !



كان مؤتمر الدار البيضاء الذى شارك فيه كل من الملك « محمد الخامس » ملك المغرب ، و « قوامى نكروما » رئيس غانا ، و « أحمد سيكوتورى » رئيس غينيا ، و « موديبوكيتا » رئيس جمهورية مالى إلى جانب « جمال عبد الناصر » نفسه - نقطة تحول فى العمل الإفريقى . فقد اجتمع فيه كل زعماء حركة الاستقلال فى أفريقيا ذلك الوقت ، وأرادوه تعبيراً عن إرادة إفريقية حرة لا تخضع للمحاولات التى تقوم بها الدول الاستعمارية للتحكم فى اتجاه رياح التغيير . كانت جهود الدول الاستعمارية فى ذلك الوقت تحاول أن تفرض ، أو تغرى بترتيبات تفرغ استقلال أفريقيا من جوهره ، فقد كانت هناك محاولة لتقسيم الدول الإفريقية المستقلة حديثاً إلى مجموعة فرنسية ، وإلى مجموعة أخرى بريطانية طبقاً لعلم الاستعمار الذى كان يرفرف فوق هذه الأقطار قبل استقلالها ، وعلى أساس من التأثير الثقافى الذى خلقته لهجات السيطرة باللغة الانجليزية ، أو باللغة الفرنسية . وكان ذلك فى رأى عدد من زعماء القارة توجهها خطيراً . وهكذا فإن الذين اجتمعوا فى الدار البيضاء وضعوا أنفسهم - بصرف النظر عن أية مؤثرات سابقة - فى موقع مستقل .

كان « جمال عبد الناصر » قد تحدث فى كتابه « فلسفة الثورة » عن دائرة إفريقية - ضمن دوائر ثلاث - تتحرك مصر تاريخياً فى إطارها ، والآن كانت أمامه الفرصة ليشترك فعلاً فى رسم هذه الدائرة على الأرض ، وعلى الطبيعة . وهكذا ذهب إلى مؤتمر الدار البيضاء ، وأمامه مجموعة من الأهداف يسعى لتحقيقها :

١ - أن يشارك فى سعى القارة من أجل تحقيق ذاتها والوعى بشخصيتها ، والتأكيد على خطوط مصالحها وارتباطاتها .

٢ - وقد ركز جزءاً من جهده لى يزيل التباساً تاريخياً شاع وذاع ، وكأنه مطلوب مقصود فى حد ذاته ، وهو أن العرب فى أفريقيا كانوا هم تجار العبيد فيها . وكان هذا الالتباس يخلق حساسيات شديدة فى الوقيعة بين الأمة العربية ، وبين القارة الإفريقية . وقد اكتشف « جمال عبد الناصر » على الطبيعة دور الاسلام فى أفريقيا ، ففى إحدى المناسبات على هامش المؤتمر راح « جمال عبد الناصر » مع عدد من الأقطاب المشاركين فيه يتقصى الحقيقة وراء أسمائهم ، فإذا أصل « سيكوتورى » من كلمتين : « سيك » وهى تصحيف لكلمة « شيخ » و « تورى » وهى تصحيف لكلمة « طريقة » أى أن اسم

« سيكوتورى » يعنى « شيخ الطريقة » . ثم ظهر أيضا أن اسم « سيفولا ديالو » هو تصنيف لاسم « سيف الله ضياء الله » . وأن اسم « باليو » (رئيس وزراء نيجيريا) هو في الواقع تصنيف لاسم « أبو عليوة » ، وأن الاسم الشائع في غرب أفريقيا وهو « مامادو » هو تصنيف لاسم « محمد » ، وأن اسم « أمادو سردونا » هو تصنيف لاسم « أحمد سرالدين » ، وأن اسم « موديبوكيتا » هو تصنيف لاسم « المؤدب بخيت » . كان حديث بحث عن الجذور ، وظهر أن هذه الجذور متلاقية في تربة إفريقية متصلة .

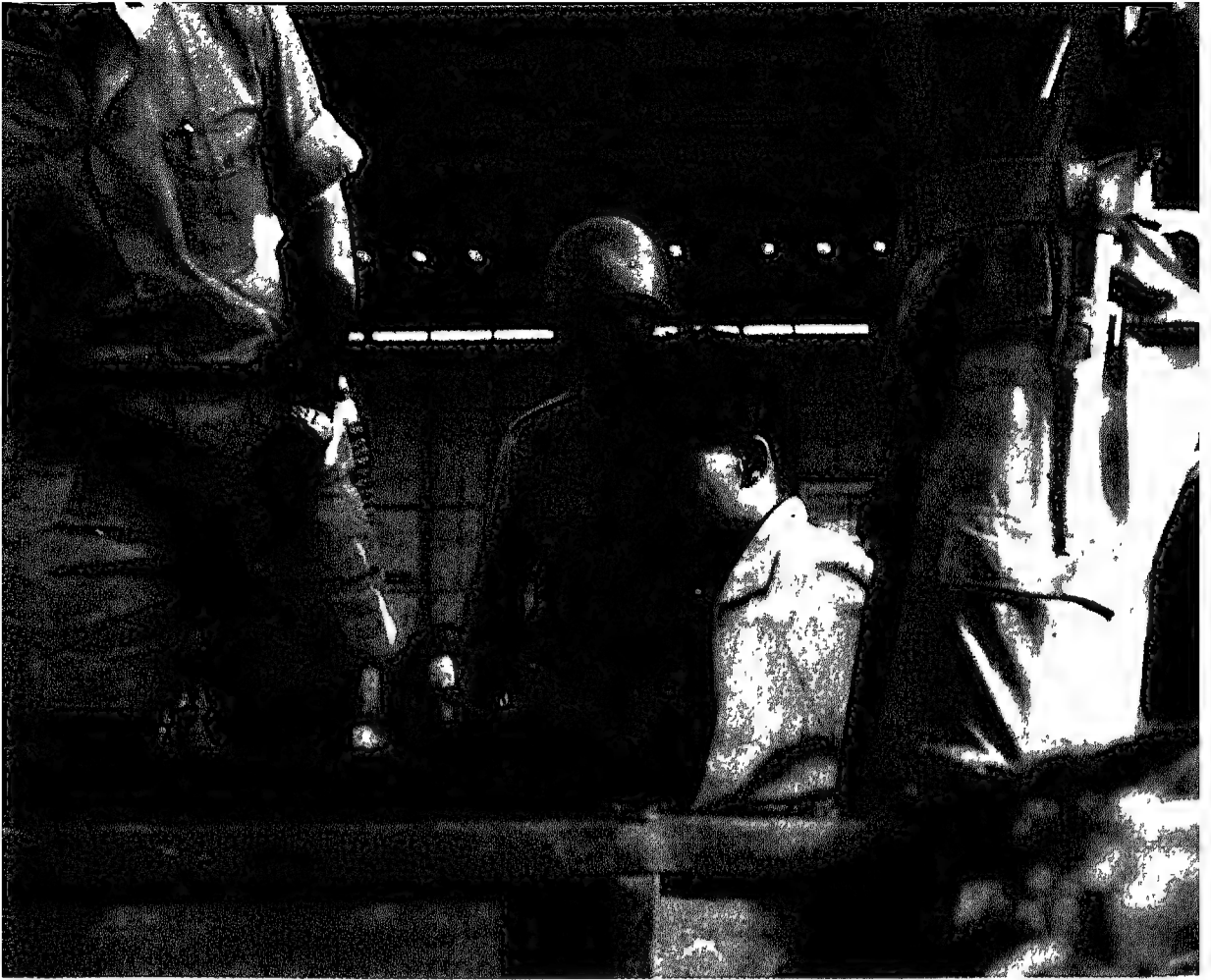
٣ - وحاول مع الآخرين أن يعثروا على كل الامكانيات المتاحة للمتعاون الاقتصادي الذي كان في رأيهم أساسا لى عمل سياسى . وقد تبينوا معا على سبيل المثال أن خطوط الطيران لا تصل إلى عواصمهم إلا مرورا بعواصم الاستعمار القديم ، ونفس الشيء بالنسبة لشبكات البرق وخطوط التليفونات . وكان عليهم أن يبدؤوا ، وكلفوا خبراءهم بأن يضعوا تصوراتهم .

٤ - وكانت أمامه مهمة أخرى علق عليها أهمية كبرى ، وهى دور إسرائيل في التسلل إلى القارة . وقد وجد أن إسرائيل ذهبت إلى القارة بأبعد مما كان يقدر ، وأن الولايات المتحدة تساعد في ذلك . وقد استطاع أخيرا أن يجد الصيغة التى تستطيع بها أفريقيا أن تتمثل خطر إسرائيل ، فقد عرضها أمام زملائه من قادة أفريقيا على أساس أنها صورة من صور الاستعمار الاستيطانى شأنها في ذلك شأن جنوب أفريقيا . وكحالة جنوب أفريقيا ، فإنها جزء لا يتجزأ من الوجود الاستعماري . وهكذا فقد كان أكثر قرارات المؤتمر دويا هو القرار الذى قال بالنص :

« يلاحظ المؤتمر باستنكار أن إسرائيل دأبت دائما على مناصرة الاستعمار كما جرى بحث للمسائل الهامة المتعلقة بأفريقيا ، ولاسيما مسائل الجزائر والكونجو والتجارب الذرية في أفريقيا . لذلك يندد المؤتمر بإسرائيل بوصفها أداة في خدمة الاستعمار بنوعيه القديم والجديد ليس فقط في الشرق الأوسط ، بل في أفريقيا وآسيا . ويدعو المؤتمر كافة دول أفريقيا وآسيا إلى الوقوف أمام هذه السياسة الجديدة التى يستخدمها الاستعمار بخلق قواعد له » .

وكان هذا القرار صدمة لإسرائيل ، ولأصدقاء لها في الغرب اعتبروا تسللها إلى أفريقيا جسرا لهم إلى قلب القارة .





طاف لومومبا بشوارع ليوبولد فيل في سيارة عسكرية مقيدا بحبل
امسك بطرفه احد الضباط ، وبعد ذلك جرى اغتياله غيلة وغدرا .

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة بعد انتهاء أعمال مؤتمر الرباط ليجد
على مكتبه برقية من « جيزنجا » نائب « لومومبا » نصها كما يلي :

« لقد علمنا من مصدر موثوق به ان رئيس وزرائنا لومومبا سيقتل هو والوزير
موبولو والرئيس كانات اكيثو ، كما علمنا ان فرقتين من جنود المظلات الامريكيتين
على استعداد للحضور ومحاصرة العاصمة للقضاء ايضا على اعضاء الحكومة .
ومما يؤيد صدق ذلك حضور قنصل امريكا متخفيا يوم ٤ فبراير ، وكذا تحليل
طائرة مجهولة . ان الخطر وشيك الوقوع ، والحكومة الشرعية تفضل اندلاع حرب
عالمية على ان تغتال غدرا . إننا نحتج بشدة على مؤامرات امريكا الاستعمارية
وحلفائها بحجة حماية مواطنيها في حالة قيام الشعب الكونجولي بثورة عندما يعلم
بقتل لومومبا والشخصيات الاخرى . نطالبكم باتخاذ موقف حازم حتى يكون العالم
على علم بما يجرى »

وتلقى الوفد المصرى الدائم فى الأمم المتحدة تعليمات بأن يقدم إلى مجلس الأمن مشروع قرار بالافراج عن « لومومبا » . وقدمه الوفد بالفعل يوم ٧ فبراير ١٩٦١ . ومساء يوم ١٢ فبراير تلقى « جمال عبد الناصر » من « اليزابيث فيل » بالكونجو معلومات تؤكد أن « لومومبا » تم قتله بالرصاص بعد أن جرى اعتقاله وهو يحاول تجميع جيش من المتطوعين يسير معه إلى تحرير « كاتنجا » . وقد ظهر أن الذى اعتقله هو الكولونيل « موبوتو » قائد قواته ، وأنه قام بتسليمه فى نفس يوم اعتقاله إلى عدوه « تشومبى » فى « كاتنجا » وفى لحظة وصوله إليها ضرب حتى الموت ، ثم رشق جسمه بالرصاص ، ثم أحرقت جثته .

وكان « جمال عبد الناصر » بنفسه هو الذى أكد للعالم رسميا نبأ قتل « لومومبا » . وأعلن « جمال عبد الناصر » أنه يضع أسرة « لومومبا » تحت حماية الجمهورية العربية المتحدة . وكتب له شقيق « لومومبا » خطابا^(٢) يقول له فيه :

« يا صاحب الفخامة

إذا كان خطابى هذا لا يحمل جميع معانى الاحترام الواجب لتقديما لشخصكم ، فارجو الا يفسر ذلك بقلّة العناية ، ولكن باننى اتعامل معكم كشقيق وراع ورجل إفريقى لم يتنازل عن روحه الافريقية . إن وقوفكم معنا ضربة لكل من ارادوا ان يوقعوا بيننا وبينكم حينما ارادوا إقناعنا ان العربى هو عدو للأسود ، وان العرب كانوا اصل فكرة الإتجار ببني البشر فى تجارة الرقيق . ولقد تاكدنا ان ذلك غير صحيح ونحن نرى امامنا ان البرتغاليين وهم شعب مسيحي كانوا هم تجار الرقيق فى بلادنا ، وكانوا يقومون بذلك بأمر من ملوكهم .

إمضاء

لويس لومومبا «

وكتبت له « بولين » زوجة « لومومبا » خطابا^(٣) تقول فيه :

« إننى امرأة لم تتعلم لأن الاستعماريين البلجيكيين حرمنوا من فرصة الحصول عليه . لكنى مع إدراكى البسيط أفهم مثل كل امرأة وطنية فى أفريقيا انكم اوفى الأصدقاء لشعوبنا . إننى بلسان امرأة - والمرأة هى موضع أسرار الرجل - أؤكد لكم اننا عرفنا الآن اصدقاءنا الحقيقيين . والله معك .

إمضاء

بولين لومومبا «

(٢) اصل الرسالة مودع فى أرشيف منشية البكرى ضمن مجموعة الملفات التى تحمل عنوان « أزمة الكونجو » .
(٣) اصل الرسالة مودع فى أرشيف منشية البكرى ضمن مجموعة الملفات التى تحمل عنوان « أزمة الكونجو » .

وكان « جمال عبد الناصر » متأثراً إلى أبعد حد بقتل « لومومبا » وقد تبادل خطابات في هذا الموضوع مع « خروشوف » و « نهرو » و « تيتو » و « همرشولد » . وكان لومه لـ « همرشولد » شديداً ، فقد اعتبر أن « لومومبا » قد قتل تحت أعلام الأمم المتحدة ، وفي وجودها ، بل إن وجودها استغل كغطاء لجريمة بشعة هزت أفريقيا . وكتب إليه « نكروما » خطاباً مؤثراً يقول فيه : « إننى أقضى ليلالى طويلة مع الدموع ، وأشعر بالنار فى قلبى كلما تذكرت أن قواتنا كانت هناك ضمن إطار الأمم المتحدة ، وأن الحرية التى ذهبنا لحمايتها قد اغتيلت على مرمى حجر منا » .

ولم يكن هناك كثير يمكن عمله ، فإن قوى الاستعمار ، وامتيازات واحتكارات الماس والنحاس واليورانيوم ، كانت تحارب معركة ضارية للاحتفاظ بكنوزها الافريقية .



بعد صدمة أفريقيا راح « جمال عبد الناصر » يركز جهده على جبهة الدول غير المنحازة ، وفى منتصف أبريل ١٩٦١ كان الرئيس « تيتو » ضيفاً عليه فى الاسكندرية ، وتحادثا طويلاً فى الموقف الدولى ، وفى ضرورة بروز دور الدول غير المنحازة لمواجهة أوضاع دولية مثيرة للتوجس والشك . واستقر رأيهما على الدعوة إلى مؤتمر موسع للدول غير المنحازة ، وكتباً خطاباً^(٤) مشتركاً من الاسكندرية بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٦١ لصديقيهما الثالث « جواهر لال نهرو » جاء فيه أنه :

« نظراً للتطورات العالمية ، وما تنذر به من أخطار زيادة التوتر الدولى إلى حد يهدد استقلال بعض البلدان كما يهدد السلام العالمى ، فقد بحثنا الحاجة الماسة إلى بذل نشاط أكثر فعالية ، وأفضل تنسيقاً من جانب جميع البلدان التى تسعى إلى تحسين العلاقات الدولية . وإذ بحثنا هذه القضايا ، فقد خطر لنا أن الوقت قد حان لعقد

(٤) أصل الرسالة مودع فى أرشيف منشية البكرى فى ملف عنوانه « مراسلات مع الرئيس جوزيب بروز تيتو ، الجزء الثالث) .

اجتماع يحضره اكبر عدد ممكن من رؤساء بلدان عدم الانحياز ، وفي رايانا ان هذا الاجتماع يجب ان يعقد في اقرب وقت ممكن ، وفي وقت يسبق تاريخ انعقاد الدورة السادسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد تلقينا في اثناء محادثتنا هنا رسالة سعدنا بها من الرئيس سوكارنو رئيس اندونيسيا وافق فيها على وجهة نظرنا . وراينا انه يمكن ان يجتمع في القاهرة مفوضون ممثلون لنا يتولون وضع جدول اعمال الاجتماع المقترح ، ويحددون مكانه وموعده .

امضاء

جمال عبد الناصر

جوزيب بروز تيتو

وأرفق « جمال عبد الناصر » « وتيتو » بهذا الخطاب قائمة بأسماء عدد من الدول التي يقترحان دعوتها إلى حضور هذا الاجتماع ، وكانت القائمة تضم الدول التالية :

أفغانستان - بورما - كمبوديا - سيلان - الهند - نيبال - اندونيسيا - اثيوبيا - غانا - غينيا - مالي - الصومال - السودان - المغرب - العربية السعودية - العراق - اليمن - البرازيل - فنزويلا - كوبا - المكسيك .

وتلقى « جمال عبد الناصر » بتاريخ ٣٠ أبريل ردا من « نهرو » ، وكان « نهرو » كعادته المثقف المطلق عاليا في كل الآفاق ، والذي يحتار في كثير من الأحيان أين ينزل على الأرض ؟

كان « نهرو » موافقا بصفة إجمالية على الفكرة لكنه طرح تصورات واسعة لتنفيذها ، وجاء في نص خطابه :

« عزيزي الرئيس ناصر

١ - اشكركم على الرسالة المشتركة التي وصلتني منكم ، ومن الرئيس تيتو ، ووافقكما تماما على انه من المرغوب فيه ان ننسق سياساتنا وأعمالنا من أجل تحسين العلاقات الدولية .

٢ - وقد فكرت طويلا في اقتراحكم ، ولدى بعض الاعتبارات التي اود طرحها عليكم .

٣ - إن مؤتمرا كبيرا كهذا الذي تفكرون فيه يجب ان يعقد عندما يكون هناك أمل مؤكد في الوصول إلى نتائج مرضية وعملية ، فلن يفيدنا كثيرا الاكتفاء بإدانة الآخرين .

٤ - كما انه من المهم اختيار وقت للمؤتمر لا يتعارض مع الجهود المبذولة لنزع السلاح .

٥ - ولما كنا نعارض الأحلاف والتكتلات العسكرية ، فينبغي ألا نعطي الانطباع بأننا نسعى إلى تكوين كتلة ثالثة حتى ولو لم يكن وراءها حلف عسكري .

٦ - ليس من السهل وضع تحديد واضح للبلدان التي تعتبر غير منحازة ، ولقد أرسلتم إني قائمة مجموعة من البلدان التي يمكن دعوتها ، ولكنني لا أرى سببا وجيها لاستبعاد بلاد مثل نيجيريا وليبيريا وليبيا وتونس والسنغال ولبنان .

٧ - وفي أوروبا يمكن أن تعتبر النمسا والسويد وفنلندا وإيرلندا بلادا غير منحازة ، وفي أمريكا اللاتينية يمكن أن تعتبر الأرجنتين وشيلي في نفس القائمة .

٨ - يمكن أن نطبق معيارا سلبيا للدول غير المنحازة فنقول إنها البلدان غير المرتبطة بحلف الأطلنطي ، أو الحلف المركزي ، أو حلف جنوب شرق آسيا ، أو حلف وارسو ، لكن هذا وحده لا يعتبر منهجا كافيا .

جواهر لال نهرو

وانعقد في القاهرة في شهر يونيو مؤتمر تحضيرى لقمة عدم الانحياز . ثم تلاه بعد ذلك مؤتمر على مستوى القمة في سبتمبر ١٩٦١ في بلجراد خرج في النهاية بندا من أجل السلام ، وكلف المؤتمر ببناء على اقتراح من « جمال عبد الناصر » اثنين من الرؤساء هما « سوكارنو » و « موديبوكتا » بتسليمه باليد إلى رئيس الولايات المتحدة في واشنطن ، ويقوم اثنان آخران هما « نهرو » و « نكروما » بتسليمه باليد إلى زعيم الاتحاد السوفيتي في موسكو .

وكلف المؤتمر رئيس وزراء الهند « جواهر لال نهرو » بصياغة نداءهم إلى القمة الدولية بالسعى إلى تحقيق السلام ، وكان « نهرو » في أحسن أحواله وهو يشرح لقمة عدم الانحياز خطوط الأفكار العريضة التي ينوئ وضعها في نداء السلام الذي كلف بكتابته ، وقد خصص من كلامه ربع ساعة تحدث فيها عن مخاطر الحرب النووية ، واستحالة قبول مخاطرها قائلا :

« إنني أعرف لأنني أعتقد أننا ننتقل من عصر كانت فيه قوة الأمم تقاس بقوة جيوشها ، وأما الآن فنحن في عصر تقاس فيه قوة الأمم باتساع علومها » .
ولعلها كانت آخر مرة في حياته وقف فيها على مسرح دولي ، وفتح قلبه وعقله ، وتكلم بهذه الحيوية .



كان معنى تأسيس حركة عدم الانحياز على هذا النحو بداية ظهور تجمع دولي يلتزم بمجموعة من المعايير ترسم طريقا لحركتها في المجال الدولي ، يعتمد مجموعة من المبادئ أهمها الابتعاد عن عقد المحالفات والاتفاقات العسكرية من أى نوع كانت ،

أو مواثيق الدفاع المشترك مع كتلة دولية أو أكثر ، وكذلك المحالفات والاتفاقات والمواثيق التي تستهدف تأييد جانب أو آخر في إطار الصراع على السيطرة في العالم . وقد وردت في نص الالتزام الذي قبلت به الدول غير المنحازة جميعا خمسة مبادئ محددة تتعهد كل دولة من الدول غير المنحازة أن تعتبرها معيارا للالتزامها الجماعي والمشارك :

١ - انتهاج سياسة مستقلة مبنية على التعايش بين الدول ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة .

٢ - التأييد المستمر لحركات الاستقلال الوطني .

٣ - الامتناع عن عضوية أى حلف عسكرى متعدد الأطراف يكون داخلا في نطاق الصراع بين الدول الكبرى .

٤ - عدم الدخول كطرف في اتفاقيات عسكرية ثنائية مع دول كبرى .

٥ - عدم السماح بقواعد عسكرية لدولة أجنبية كبرى .

كان ظهور تجمع عدم الانحياز ، وقدرة هذا التجمع على الجذب والتنسيق المشترك في المواقف بين هذه المجموعة الكبيرة من الدول ، وبعضها في داخل الأمم المتحدة أو خارجها - إنجازا بالغ الأهمية في سنوات الحرب الباردة .

ولم تكن الولايات المتحدة سعيدة أو راضية بظهور هذه القوة الجديدة حتى وإن اقتصر تأثيرها على الجوانب المعنوية والسياسية ، كما أن الاتحاد السوفيتي أيضا لم يكن راضيا ، فقد كان موضوع الصراع الحقيقي بينهما في ظل الموازين النووية هو السباق على قلوب الشعوب وعقولها ، ومحاولة كسب ولائها بكل الوسائل والأساليب . أى أن ظهور هذا التجمع ، ودوره النامي المتزايد حرم القوتين الأعظم من المجال العملى لصراعهما وللسباق بينهما على اتساع القارات كلها .



ومع كل هذه الخطوات على طريق التحصين في الخارج (على مستويات القمة في أفريقيا ، وعلى نفس هذه المستويات بالنسبة لتجمع الدول غير المنحازة) فإن « جمال عبد الناصر » كان يدرك أن الجبهة الداخلية هي الميدان الحاسم في أى مواجهة محتملة . ولقد رأى بوضوح شديد أنه مهما كانت المبادئ المعلنة ، ومهما كانت البيانات والاعلانات الصادرة عن القوى الكبرى باحترام ميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي ، ومهما كانت اللقاءات المباشرة حافلة بمظاهر الترحيب والمجاملة ، فإن هناك مطالب للدول الكبرى لا تتوقف ، كما أن هذه الدول تملك من وسائل العمل المباشر ما هو قادر على النشاط الخفى بصرف النظر عن كل ما يجرى على السطح .

ولقد لفت نظره حجم الجهد المركز من جانب إسرائيل لتجنيد عملاء لمخابراتها في مصر . وكان تجنيد هؤلاء العملاء يجرى نشيطا في بيروت ، وفي جنيف ، وفي باريس ، وفي روما .

وفيما يتعلق بالنشاط الذى كان يجرى في بيروت ، فإن الرئيس « فؤاد شهاب » رئيس جمهورية لبنان في ذلك الوقت سلم للسفير المصرى في بيروت السفير « عبد الحميد غالب » مجموعة من التقارير كتبها له المكتب الثانى للبنانى (المخابرات) وكلها تروى تفاصيل عن وقائع تحكى في الفنادق الكبرى ، وفي علب الليل عن اتصالات وخطط واسعة للعمل في الجمهورية العربية المتحدة ترسم وتدبر بقصد جمع المعلومات ، والمضى بعد ذلك خطوة إلى إنشاء شبكات للتخريب في الداخل .

وفي ٢٨ أبريل ١٩٦١ وبناء على هذه المعلومات التى قدمها اللواء « فؤاد شهاب » وأضيفت إليها تقارير للمخابرات المصرية من روما - تم القبض بالفعل على شبكة تجسس تسعى لجمع معلومات ووثائق عن أساليب تدريب الجيش المصرى على الأسلحة الجديدة التى حصل عليها من الاتحاد السوفيتى . وضبطت أفلام في مخبأ سرى ، كما تم القبض على رئيس الشبكة ويدعى « جون ليون توماس » وكان يحمل جواز سفر ألمانيا غربيا ، وقد تم القبض عليه وهو يحاول إغراء أحد ضباط الجيش الشبان بمبلغ عشرة آلاف جنيه في مقابل مساعدته في الحصول على المعلومات المطلوبة .

وفي ١١ مايو ١٩٦١ جرى القبض على شبكة شارك فيها بعض الدبلوماسيين الأتراك ، وقد بدأ تعقبهم منذ بدأوا ينشطون في سوريا ويحاولون جمع معلومات عن الضباط المصريين العاملين في القيادة العامة السورية .

وكان بين التقارير التي استرعت الاهتمام في ذلك الوقت تقرير قدمه السيد « صائب سلام » رئيس وزراء لبنان عن مؤامرة ترتب في الأردن لاغتيال عدد من الشخصيات في سوريا . وتبين أن مديري المؤامرة جندوا أعضاء من الحزب القومي السوري المنحل كمتطوعين لتنفيذ هذه العمليات في دمشق . وكان أول الأهداف المطلوبة هو « عبد الحميد السراج » الذي كان هناك اعتقاد جازم في عمان بأنه الرأس المدبر لاغتيال السيد « هزاع المجالي » رئيس وزراء الأردن .^(٥)

وتوافقت مع هذه الحوادث حادثة أخرى بُدّت غريبة ، فقد ضبطت الشرطة المصرية « زيجموند نيوجورسكي » مساعد المستشار الصحفي الأمريكي ، وهو يوزع منشورات ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وكان يلقيها بالجملة من سيارته في الصباح الباكر ، وكانت كلها تهاجم الجمهورية العربية المتحدة وسياساتها في الكونجو على أساس أن الجهد المصري مبدد في مغامرات خارجية تشغل الحكم عن العمل في الداخل . وقد ألقى القبض على مساعد المستشار الصحفي ، وتم التحفظ على سيارته التي تحمل رقم ٤٠٥٦ هيئة سياسية ، ثم أفرج عنه بعد ذلك بمقتضى حصانته الدبلوماسية - لكن الحادث بدأ مستغربا .

ومع ذلك فإن « جمال عبد الناصر » كان يعتمد سياسة للتهدئة . ووقعت في تلك الظروف حادثة سجلها في مذكراته السير « كولين كرو » القائم برعاية شئون المصالح البريطانية في فترة قطع العلاقات . وقد كتب السير « كولين كرو » يقول إنه كان يستعد لمغادرة القاهرة بعد أن تقرر نتيجة لاجتماع « عبد الناصر » و « ماكميلان » في نيويورك أن تستأنف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، لكنه لم يكن يريد أن يغادر القاهرة قبل أن يتمكن من العمل على إطلاق سراح آخر الجواسيس البريطانيين الذين اعتقلوا وحكموا قبل السويس في مصر . وكان يعتبر إطلاق سراح هذا الجاسوس الأخير وهو المستر « زارب » تصفية نهائية لبقايا مرحلة في العلاقات بين البلدين . وروى في مذكراته أنه وسطنى في إثارة هذا الموضوع مع الرئيس « جمال عبد الناصر » كإشارة ودية أخيرة نحوه قبل أن يغادر مصر .

(٥) كانت هذه المعلومات تأييدا لما قاله « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في أثناء اجتماعات الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة .



جيمس زارب يقرأ في « الأهرام » خبر الافراج عنه وسفره

وروى السير « كولين كرو » في مذكراته أنني دعوته بعدها بأيام إلى مقابلتي في « الأهرام » . وركب سيارته ليحني إلي ، ولأول مرة في حياته عرف معنى التفاوض والتشاور . فقد كان يراقب إشارات المرور وهو قادم إلي ، فإذا صادفته إشارة خضراء اعتبرها سببا للتفاوض ، وإذا صادفته إشارة حمراء اعتبرها سببا للتشاور . وحار بين الإشارات الخضراء والحمراء حتى وصل إلى مكنتي ، وفوجئ بي وأنا أقول له : « إنك طلبت هدية شخصية لك ، وقد طلب إلى الرئيس جمال عبد الناصر أن أسلمك هذا الشيك » . واحمر وجهه حرجا وعرته الدهشة . وأتني الححت عليه أن يفتح المظروف الذي يحتوي على الشيك لكي يعرف قيمته الشخصية في مصر ، وأنه حاول أن يحتج ، ولكنني واصلت إلحاحي عليه حتى يفتح المظروف ، وبعد تردد قام بفتحه ، فإذا أمام المبلغ المطلوب دفعه في الشيك اسم « زارب » ، وأنه أحس بالدموع في عينيه ، فقد أدرك لحظتها فقط أنني قدمت له الهدية التي كان يطلبها بأسلوب من المزاح كاد يحطم أعصابه . ثم روى السير « كولين كرو » في مذكراته أنه ذهب صباح اليوم التالي إلى باب سجن « طره »

وهناك سلموه آخر جاسوس بريطاني سجين في مصر ، فقام بترحيله في نف
اليوم إلى لندن ، واعتبر أن مهمته في القاهرة قد انتهت نهائى سعيدة
وكانت الواقعة صحيحة بكل تفاصيلها (وقد فعلتها مداعبة له)



ولم يكن التحصين بالأمن هو المطلب الحقيقى لـ « جمال عبد الناصر » . ف
كان يشعر على نحو ما أن الثورة تفقد قوة اندفاعها ، وأنه برغم كل ما تم في مجال
التصنيع وتوزيع الأراضى ، وإنشاء المشروعات الكبرى وفي مقدمتها السد العالمى
واسترداد المصالح الأجنبية المسكة بأعصاب الاقتصاد المصرى ، فإن هناك حلقة
ما زالت مفقودة .

وقد حدثت في ذلك الوقت واقعة لفتت نظره إلى هذه الحلقات المفقودة . ف
حدث في أوائل عام ١٩٦١ أن حكومة بلجيكا التى ضايقته سياسة الجمهورية العرب
المتحدة في الكونجو - اتخذت قرارا بقطع العلاقات السياسية مع مصر . وردت مد
بوضع الرعايا البلجيكين في مصر تحت الحراسة ، وكان عددهم حوالى ثلاثم
بلجيكى . وعندما بدأ جرد ثرواتهم في أعقاب وضعهم تحت الحراسة تبين أن ه
العدد من البلجيكين يمتلك قرابة مليون سهم في شركات تعمل في مصر في مختل
المجالات . وقد دفعه هذا إلى طلب تقرير كامل عن ملكية الأجانب في الاقتصاد
المصرى . ولشهور بعد ذلك كانت أجهزة الدولة الحساسة مجندة للبحث عن السؤ
الذى كان يلح على « جمال عبد الناصر » في ذلك الوقت وهو : « من الذى يما
مصر ؟ »

وكانت النتيجة التى توصل إليها البحث صدمة لا حدود لها . فقد تب
أن حوالى مائتى عائلة يهودية تحمل جوازات سفر بلجيكية أو إيطال
أو فرنسية أو بريطانية - وبعضها لا يحمل جوازات سفر على الاطلا
من وقت الإمبراطورية العثمانية - تملك فيما بينها مصالح عقار
أو مالية موظفة في الشركات تزيد قيمتها على خمسمائة مليون جن
بقيمة النقود في ذلك الوقت .

وكانت تلك أول نقطة على الطريق الذى أدى بعد ذلك بشهور إلى قرارات يول
الاشتراكية الشهيرة .



وعلى نحو ما فقد كان هناك إحساس عام في القاهرة بأن الأطراف الراغبة في توجيه ضربة إلى الجمهورية العربية المتحدة سوف تركز ضربتها القادمة على دمشق .

وفي عيد الوحدة الثالث ، ومن شرفة قصر الضيافة في دمشق خطب « جمال عبد الناصر » في جماهير حاشدة ، وكانت نقطة التركيز في خطابه تسترعى النظر . وكانت هذه النقطة هي أنه « لا إقليمية في الجمهورية العربية المتحدة ، وإنما هناك بلد واحد » . ثم تكرر قوله بأن الاستعمار يركز على ضرب دولة واحدة .

وفي أول مارس ١٩٦١ و « جمال عبد الناصر » لا يزال في دمشق - تمكن « عبد الحميد السراج » من ضبط مؤامرة استهدفت إلقاء قنابل على قصر الضيافة فيها . وكان مصدر المعلومات عنها هو اللواء « فؤاد شهاب » رئيس الجمهورية اللبنانية . وحين عاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة كانت في انتظاره حكاية أخرى غريبة . فقد ذهب إلى لقائه البابا « كيرلس السادس » بابا الأقباط ليروي له أن هناك راهبا سابقا في الكنيسة طرد بسبب غموض تصرفاته ، واسمه الراهب « أرمانئوس الأنطوني » وأن البابا علم أن هذا الراهب زور خطابا نسب صدوره إليه (أى إلى البابا « كيرلس ») وأن الخطاب مرسى إلى « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل . وكانت وجهة نظر البابا « كيرلس » أن الهدف من هذه العملية ليس مجرد تزوير خطاب ، وإنما هو يراها مؤامرة لإحداث فتنة طائفية تؤثر على الوحدة الوطنية . وقد تفهم « جمال عبد الناصر » وجهة نظر البابا ، ونصح به بإبلاغ النيابة العامة لكي تحقق في الأمر وتستجلى جوانبه حتى تفوت الفرصة على أى محاولة لاستغلالها . وأخذ البابا بالنصيحة .



كان السد العالي هو رمز آمال وجهود التنمية في مصر . وخلال مناقشات للحكومة المركزية لدولة الوحدة جرى الحديث ذات مرة في بداية سنة ١٩٦١ عن الحلم في بناء سد على نهر الفرات في سوريا . وطلب « جمال عبد الناصر » كل المذكرات التي سبق كتابتها عن هذا السد ، وكل الدراسات الخاصة به . وزاد اعتقاده ، وهو يقرأ الأوراق بأن هذا السد إذا أمكن تنفيذه يستطيع أن يمثل في سوريا ما كان يمثل السد العالي في مصر . وخرج المشروع من الأدرج التي كان نائما فيها لسنوات ، وأعيد بحثه . وبعد اتصالات سياسية ودبلوماسية مكثفة تم يوم ٦ يوليو توقيع عقد بتنفيذه مع ألمانيا الغربية .

وبالفعل فإن هذا السد أصبح يمثل أملا ضخما في سوريا ، فقد كان كفيلا

بتخزين ٣٠ مليار متر مكعب من المياه وراءه . وكان في استطاعته أن يضبط تصرف نهر الفرات في سوريا بمعدل ١٨ مليار متر مكعب سنويا . وبالتالي فإن أراضي منطقة الجزيرة الخصبة التي لم يكن يزرع منها غير ٣٧٪ من مساحتها أصبح ممكنا زراعتها بالكامل ببناء هذا السد . وكانت الشروط مواتية ، فقد وقع السيد « عبد اللطيف البغدادي » نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ووزير التخطيط مع « لودفيج إيرهاردت » نائب المستشار الألماني ووزير الاقتصاد قرضا بمقدار ٥٠٠ مليون مارك ألماني بفائدة قدرها ٣٪ تسدد على عشرين سنة بعد فترة سماح مدتها عشر سنوات .

وكان الغريب أن اللواء « عبد الكريم قاسم » في بغداد بدأ يهاجم مشروع بناء سد الفرات على أساس أنه عدوان على حقوق العراق في مياهه ، كما أن « دافيد بن جوريون » هاجم مشروع بناء السد بحجة أن كل موارد المياه المتاحة في المنطقة يجب أن يتم استغلالها بموجب تنظيم عام تشترك فيه كل دولها بما فيها إسرائيل .

وأضيفت إلى ترسانة المهاجمين للجمهورية العربية المتحدة في المنطقة دعوى أخرى مفادها أن سد الفرات يبنى في الحقيقة توطئة لتهجير ملايين من الفلاحين المصريين إلى منطقة الجزيرة ! وقد تكرر هذا الادعاء من إذاعات عديدة في المنطقة ، كما أصدرت به « حركة مصر الحرة » بيانا ضافيا وزعته في بيروت ، وحاولت تسريب كميات منه إلى دمشق .



وفي هذا الوقت كانت الأحزاب الشيوعية العربية لا تزال تهاجم سياسة الجمهورية العربية المتحدة في توجهاتها الوندوية والدولية ومجالات العمل الداخلي .

وحتى عندما أعلن تأميم بنك مصر والبنك الأهلي ، فقد كان تحليل بعض جماعات الشيوعيين المصريين المعتقلين في الواحات بأن ما يجري في الحقيقة هو صراع بين مجموعتين من الرأسماليين : مجموعة يمثلها « أحمد عبود » (باشا) ومجموعة يمثلها « محمد أحمد فرغل » (باشا) ، وأن السلطة العليا في الجمهورية العربية المتحدة هي في الواقع صراع بين المجموعتين . وذهبت جماعات أخرى إلى أنها رأسمالية دولة . وكانت هناك أقلية وجدت فيما اتخذ من إجراءات مؤشرا على توجه تقدمي .

وانتهز « نيكيتا خروشوف » فرصة زيارة وفد برلماني من الجمهورية العربية المتحدة برئاسة السيد « أنور السادات » فأثار مرة أخرى في لقائه معهم مسألة اعتقال

الشيوعيين في مصر ، ثم تطرق من ذلك إلى هجوم عام على سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، وعلى « جمال عبد الناصر » شخصيا . وفوجيء الوفد البرلماني بكلام « خروشوف » ، وعندما عاد إلى القاهرة روى السيد « أنور السادات » لـ « جمال عبد الناصر » تفاصيل ما حدث ، وتبين له أن الوفد الذي فوجيء بكلام « خروشوف » تخرج من الرد عليه . وطلب « جمال عبد الناصر » كتابة رد كامل على ما قاله « خروشوف » ووقعه السيد « أنور السادات » وسلم للسفير السوفيتي في القاهرة .^(٦)

كانت هناك محاولات للتحسين في الداخل والخارج ، ومع ذلك فقد ظلت هناك ثغرات مفتوحة ، ومحاولات مستميتة من اتجاهات مختلفة لتوسيع نطاق هذه الثغرات والنفوذ منها ، وتحويل الثغرات المفتوحة إلى جبهات ساخنة .

(٦) كلفني الرئيس « جمال عبد الناصر » بكتابة هذا الرد ، وقد كتبته فعلا ، وأرسل لـ « خروشوف » دون أي تغيير فيه

الباب الخامس

تقاطع الطرق

« إذا لم تتحدد قواعد
أى حوار ومقاصده ارتبك
سياقه وضاعت نتائجه ! »

الفصل الأول

قلب العالم الثالث وسطح القمر !



عندما خطا « جون و جاكلين كنيدي » خطوتهما الأولى إلى داخل البيت الأبيض في واشنطن ظهر يوم ٢٠ يناير ١٩٦١ - كان هناك شعور عام بأنه من المحتمل أن يكون العالم قد خطا معهما في نفس اللحظة إلى عصر جديد في العلاقات الدولية ! وكانت هناك مؤشرات كثيرة تومئ إلى ترجيح هذا الاحتمال ، وتعطيه حظا وفيرا في التوقعات والحسابات التي تنهمك فيها عواصم الدنيا مع كل تغيير كبير يجرى في البيت الأبيض - أو في الكرملين !

كان « جون كنيدي » حتى في المظهر شابا يبدو ممتلئا بالحيوية ، وقد قال هو في تقديم نفسه يوم تنصيبه : « إنه أول رئيس يدخل البيت الأبيض من مواليد القرن العشرين » - ثم إن زوجته « جاكلين » بدت إلى جواره شابة جميلة وأنيقة على عكس ما كانت عليه زوجات الرؤساء الذين سبقوه إلى البيت الأبيض فيما تعيه الذاكرة ابتداء من « اليانورا » روزفلت زوجة « روزفلت » - وحتى « مامى » أيزنهاور - زوجة « أيزنهاور » !

ثم إن رجال الرئيس الجديد بدوا نوعا آخر غير ما كانه رجال الرئيس الذي سبقه ، ففى حين كان رجال « أيزنهاور » من كبار رجال الأعمال والمحامين ، ومعظمهم

تجاوز الستين - فإن رجال « كنيدى » كانوا من رجال الفكر ، وأساتذة الاقتصاد والتاريخ ومعظمهم بين الأربعين والخمسين ، وكلهم بغير استثناء تقريبا على مصاف النجوم في مجالات تخصصهم مثل « ماك جورج باندى » (سياسة) ، و « كينيث جالبرايت » (اقتصاد) ، و « آرثر شيلزنجر » (تاريخ) ، و « والت روستو » (علوم اجتماعية) ، و « تشستر بولز » (قانون) - وغيرهم عشرات .

وإلى جانب هؤلاء الذين أحاطوا به في البيت الأبيض - فإن اختياراته للمناصب الرئيسية في إدارته بدت براقعة ، خصوصا في وزارة الدفاع التي عين لها « روبرت ماكنمارا » ، ووزارة الخارجية التي عين لها « دين راسك » .

كان « كنيدى » يتكلم لغة حية ، ويطرح أفكارا فوارة ، وكان التلفزيون الملون الذي بدأ عصره على أوسع نطاق هو الآخر قد وجد فيه ، وفي زوجته « جاكين » نفس مادة وعنصر النجوم ، وصنع منهما صورة باهرة تشد أى خيال . وكان لدى الاثنين استعداد للاستجابة . وهكذا فإنه عندما تمت عملية صنع رئيس للولايات المتحدة وسيدة أولى للبيت الأبيض سنة ١٩٦١ - جرت أيضا عملية ميلاد نجمين « جون : و « جاكى » !

ولقد كان عنصر الشك الوحيد في تلك الأوقات الحافلة هو : « أين « جوزيف كنيدى » والد الرئيس في هذا كله ؟ » إن « جوزيف كنيدى » العجوز كان مليونير التوت به المسالك والمقاصد ، فجمع أموالا ضخمة من الأعياب البورصة وسراديم الصفقات ، وكانت الرئاسة هي حلمه الذي لم يتحقق له ، وأصبحت رغبته الحارقة أو يحقق بأحد أبنائه ما عز عليه أن يحققه لنفسه ، وكان الشائع - وربما شبه المؤكد أن ثروة « جوزيف كنيدى » هي التي مولت الحملة الانتخابية لابنه « جون كنيدى »

وإذن فإن عنصر الشك يعود فيصوغ نفسه في تساؤل عما إذا كان المشه الرائع للشباب والجمال ، والفكر والثقافة لإدارة الجديدة يمثل صورة أصيلة أو أنها في واقع الأمر صورة مزيفة خلقتها قدرة المال حين يشتري وسائل العلاقات العامة ، فيصنع انطباعات ليست وراءها طبائع !

ويبدو أن الرئيس الجديد كان يقظا لهذه الشكوك والتساؤلات - فقد حرص ع أن يحتفظ بمسافة بينه وبين والده « جو » ، وفي الوقت الذي كان فيه الابن يسب تحت الأضواء الساطعة كان الأب حريصا على الانزواء في الظلال ، ومع ذلك ففة نسبت إليه كل البقع الداكنة التي بدت وسط الأضواء . فقد نسب إليه على سبيل المثال أنه السبب في بقاء « ادجار هوفر » مدير المباحث الفيدرالية مع الرئيس الجديد رغم أن كثيرين كانوا ينتظرون ويأملون في سقوطه بعد أكثر من ثلاثين سنة في منصب

الذى هدد منه كل الرؤساء لأنه كان يعرف عنهم أكثر مما ينبغي ، وهذا اعطاه حصانة كما قيل . كذلك بقى فى منصبه « آلان دالاس » مدير المخابرات المركزية ، وقيل إن سبب بقاءه هو نفس سبب بقاء « هوفر » . ومع ذلك فإن الأضواء شدت الجميع ، وتلكأت بقع الظل ، وإن لم يلتفت إليها الناس كثيرا فى غمرة التحفز للتغيير .



بدا كما لو أن البيت الأبيض الجديد يعمل بكامل طاقته منذ اللحظة الأولى لانتقال السلطة ، وربما من قبلها .

واختار « كنىدى » لرئاسته شعارا معبأ بالإحياءات ، وفى حين كان شعار إدارة « ايزنهاور » هو « شعار الاستقرار » - فإن شعار إدارة « كنىدى » أصبح « الحدود الجديدة ، أو الآفاق الجديدة » ، وكانت حدود العالم تتسع فعلا ببداية عصر الفضاء ، وعصر الثورة الصناعية الثانية .

وبعد أيام فى البيت الأبيض أعلن أن الرئيس الجديد على موعد مع « نيكيتا خروشوف » فى فيينا بعد شهرين .

كان السوفيت كعادتهم مع كل رئيس أمريكى جديد قد قرروا اختباره ، وكان « كنىدى » من جانبه يشعر أنه مستعد للاختبار وجاهز له ، وكانت أداة التمهيد للاجتماع بينهما قد تمت بالفعل فى أثناء اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، حين قدمت الجمهورية العربية المتحدة مشروع قرار يدعو القوتين الأعظم إلى لقاء على مستوى القمة من أجل محاولة جديدة تصون السلام العالمى . ولم يتيسر عقد هذا اللقاء بعد هذه الدعوة مباشرة لأن حادثة إسقاط طائرة التجسس « يو ٢ » وما أعقبها من صدام بين « خروشوف » و « ايزنهاور » فى باريس سبب العلاقات بين الرجلين تماما ، بحيث أضحى من المستحيل عليهما أن يحاولا ولو على الورق بالاتصالات وعمليات جس النبض والتمهيد . وعلى أى حال ، فقد كانت رئاسة « ايزنهاور » عند الغروب ، وكان الأفضل ترك الفرصة معلقة حتى يحين موعد شروق جديد . وبعد أقل من أسبوع على بدء رئاسته أعلن « كنىدى » أنه أصدر أمرا بوقف كل عمليات التجسس فوق الاتحاد السوفيتى ، ورد « خروشوف » بأن أصدر قرارا بالافراج عن اثنين من ضباط طائرة من طراز « ب ٤٧ » سقطت فوق الاتحاد السوفيتى . وبالفعل ، فقد بدأ الترتيب بين الاثنين للقاء فى فيينا فى منتصف مايو ١٩٦١ . وقد انتهى الاجتماع إلى الفشل ، فـ « خروشوف » كان ما زال عدوانيا فى مزاجه ، و « كنىدى » كان لا يزال طريا فى عوده لأن قدراته لم تكن قد استوعبت بعد حقائق القوة اللازمة لأداء دوره .



كنيدى يحيى خروشوف عند وصوله للسفارة الأمريكية في فيينا لبدء الد

وقد توصل « كنيدى » ومستشاروه حتى من قبل اجتماع ،
ن الوقت ليس ملائماً بعد في العلاقات الأمريكية السوفيتية ،
الأعظم مرحلة شقاق قبل أن تتضح المسائل لكى تفتح الطرق
وبالتالى فإن العمل دون مستوى القمة الدولية هو الآن أجد
ولقد كان ذلك ضمن توجهاتهم من قبل اجتماع « فيينا
» فيينا » ليؤكدده لهم .

والحقيقة أنه منذ البداية كان الرئيس الأمريكى
مستشاريه يرون أن العالم الثالث هو المجال المفتوح ، والمسرح
بين القوتين الأعظم ذلك لأن المسرح الأوروبى كان قد ثبت ،
وفي نفس الوقت فإن بلدان العالم الثالث التى برز دورها
والمساحة من باندونج إلى نيويورك في اجتماع الدورة الخامسة
العامة للأمم المتحدة - وتشوق شعوب هذه الأمم إلى الحري

ساحة جياشة بالآمال والطموحات تتفتح فيها فرص لكسب النفوذ ، وكسب الأصدقاء ، وبالتالي التأثير في الموازين العالمية القلقة .

وإلى جانب كسب الأصدقاء والنفوذ في العالم الثالث ، فقد كان « كنيدي » ومستشاروه يعتقدون أن هناك خللا في موازين القوة لابد من تعديله قبل التفاوض مباشرة مع الاتحاد السوفيتي ، فقد ظنوا أن الاتحاد السوفيتي يملك تفوقا في قوة الصواريخ يعطى سبقا على الولايات المتحدة . وكانت هذه هي اللحظة التي فكر فيها « كنيدي » في إرسال إنسان إلى القمر في ظرف عشر سنوات بحيث يكون من ذلك إعلانا لا يحتمل الالتباس على أن الولايات المتحدة الأمريكية قد سبقت ، أو على الأقل لحقت .

هكذا بعد شهرين من رئاسته ، أصبح أمام « كنيدي » هدفان يريد الوصول إليهما :

قلب العالم الثالث ، وسطح القمر !



كانت ثلاثة من بلدان العالم الثالث تقوم بدور المقدمة والطلية والقوة الضاربة معا وهي : الهند ، ويوجوسلافيا ، والجمهورية العربية المتحدة .

وقد اختار « كنيدي » لكل عاصمة من عواصمها سفيرا غير تقليدي يعكس اختياره اهتماما غير عادي بجعل علاقته بها علاقة مباشرة مع البيت الأبيض .

اختار « كينيث جالبرايت » سفيرا إلى الهند (و « جالبرايت » أشهر علماء الاقتصاد في الولايات المتحدة وحتى الآن) .

واختار « جون كينان » سفيرا إلى يوجوسلافيا (و « كينان » هو الدبلوماسي الذي فلسف للحرب الباردة في نظريته الشهيرة عن الاحتواء) .

واختار « جون بادو » سفيرا إلى الجمهورية العربية المتحدة (و « بادو » واحد من أبرز رجال التعليم ، وكان لسنوات قبلها مديرا للجامعة الأمريكية في القاهرة) .

وفي الفترة ما بين إعلان انتخابه في أوائل نوفمبر ١٩٦٠ وحتى توليه السلطة يوم ٢٠ يناير ١٩٦١ خصص « جون كنيدي » جلستين من جلسات « تحديد خطوط السياسة العامة » لإدارته - والتي عقدت في بيت والده على شاطئ البحر في « هيانسبورث » - لبحث العلاقات مع بلدان العالم الثالث ، وقد توصل مع مجموعة مستشاريه إلى تحديد الخطوط التالية :

١ - مع إدراك أن مساحة العالم الثالث واسعة ومتنوعة ، فإن هناك ثلاثة من البلدان المفاتيح لابد من التركيز عليها وهى : الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة .

٢ - إن التعامل مع هذه البلدان الثلاثة يجب أن يجرى ليس بمقتضى العلاقات الثنائية معها ، ولا باعتبار اتصالها بمشاكل إقليمية محددة بموقعها من العالم ، وإنما يجب أيضا مع هذين المستويين إضافة مستوى ثالث هو اعتبار دور كل منها على النطاق العالمى وفي مجال التأثير الدولى .

٣ - إن زعماء هذه البلدان الثلاثة : « نهرو » و « تيتو » و « ناصر » - وربما آخرون غيرهم مثل « سوكارنو » فى اندونيسيا ، و « نكروما » فى غانا - إذا أحسوا أنهم على صلة مباشرة مع الرئيس « كنىدى » فإن ذلك من شأنه أن يكون اعترافا أمريكيا بحقهم فى المشاركة فى أوضاع العالم بعد فترة طويلة من الإنكار الأمريكى لهذا الدور جاءت بآثار سلبية على سياسة الولايات المتحدة .

وكان التقدير الأمريكى أن جزءا من نجاح سياسة « خروشوف » فى العالم الثالث هو أنه خلق جسورا مباشرة بينه ، وبين الزعماء الجدد ، وأن هذا مايتعين على رئيس الولايات المتحدة الجديد أن يفعله .

وكانت السياسة الجديدة بغير مصاعب غير عادية فى حالة الهند و« نهرو » ، وفى حالة يوجوسلافيا و « تيتو » ، ولكنها فى حالة الجمهورية العربية المتحدة و « جمال عبد الناصر » كانت فى مواجهة صعوبات .

وقد حضر « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية اجتماعا فى « هيانسبورث » مع الرئيس الجديد ومستشاريه ، وشرح لهم مجمل الأوضاع فى مصر ، وملخصا لأحوال العلاقات معها ، وقد عقد هذا الاجتماع بشكل غير رسمى فى الحديقة الشتوية للبيت ، وليست هناك وثيقة تسجل وقائعه فيما عدا مجموعة نقاط كتبها « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى للرئيس (فى أول مرة استحدث فيها هذا المنصب) وفيما يبدو فإن « آلان دالاس »^(١) تحدث عن خطين متوازيين للسياسة الأمريكية .

(١) مقابلة لـ « محمد حسنين هيكل » مع « ماك جورج باندى » فى فندق « سميراميس » بالقاهرة مساء يوم اول يونيو ١٩٦٨ ، ومقابلة مع « آرثر شليزنجير » فى نيويورك فى شهر نوفمبر ١٩٨٦ ، إلى جانب إشارات وردت فى دراسة هامة قام بها الجنرال « مودخاى جازيت » مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية ، وهى منشورة ضمن مجموعة أوراق معهد « شيلواخ » فى القدس سنة ١٩٨٣

□ أولهما خط مساعدة « جمال عبد الناصر » في المواجهة الدائرة بينه ، وبين الاتحاد السوفيتي والشيوعية العربية .

□ والثاني خط ردع « جمال عبد الناصر » عن تحويل مصر إلى قوة استراتيجية في المنطقة تضر بمصالح الغرب فيها بمجرد دعوتها وعملها على استقلالها ، لأن الاستقلال في حالة مصر لا يمكن إلا أن يكون ضد الغرب باعتبار أن المنطقة داخلة في إطار نفوذه التقليدي .

وقد لخص « ماك جورج باندي » الموقف من مصر بقوله :

« إن عداء ناصر للاستعمار سوف ينسحب على الغرب ، وضمنه الولايات المتحدة الأمريكية .

ثم إن قيادة ناصر للحركة القومية العربية ، سوف تعبر عن نفسها في العداء لإسرائيل بالدرجة الأولى . »

وقد أضاف « آلان دالاس » : « إن تنفيذ مشروع السد العالي قد يجعل مصر تنبهر بالنموذج الشيوعي للتنمية على غرار ما حدث في الاتحاد السوفيتي والصين » .

ورد عليه « آرثر شليزنجر » قائلا :

« إننا لا ينبغي أن نفرض عليهم نموذج حياتنا ، وفي نفس الوقت فإن السوفيت لن يستطيعوا أن يفرضوا عليهم نموذج حياتهم ، والحقيقة أن كلا النموذجين ليس ملائما لهم » .

ثم ركز « آلان دالاس » على دور السعودية باعتبارها « موطن الثروة في العالم العربي » ، ثم ركز على دور إسرائيل باعتبارها « مركز قوة الردع في العالم العربي » ، ثم أوضح المشقة الكبيرة أمام السياسة الأمريكية حين يكون عليها أن تحافظ على « موطن الثروة » قريبا جدا منها ، وأن تحافظ في الوقت نفسه على « قوة الردع » في متناول يدها مباشرة .

وكانت لدى « كنيدي » ثلاثة أسئلة محددة :

● هل أن « ناصر » يمثل بالفعل موجة المستقبل في العالم العربي ؟
وكان الرد : نعم !

● هل يمكن عزل السياسة مع الجمهورية العربية المتحدة عن تفاعلات العلاقة مع إسرائيل ؟ وكان الرد : لا !

● هل نستطيع استحداث لغة في التخاطب مع الجمهورية العربية تجاوز مفردات الحرب الباردة ؟ وكان الرد : محتمل !

وعندما أثير موضوع الثورة الجزائرية ، وجد « كنيدي » في الدائرة القريبة المحيطة به رجلا متحمسا للثورة الجزائرية ، ومؤمنا بانتصارها ، وهو مستشاره الصحفي « بيير سالنجر »^(٢) الذي كان نصف فرنسي بالمولد ، وكان قد تعرف إلى كثيرين من المناضلين الجزائريين في باريس عن طريق زوجته « نيكول سالنجر » ، واستمع إليهم وتجاوز معهم ، وعرف عن طريقهم بمدى الدعم الذي تقدمه الجمهورية العربية المتحدة للثورة الجزائرية ، ومدى ارتباط زعماء هذه الثورة بالقاهرة .



كان « جمال عبد الناصر » يتابع الرئيس الجديد للولايات المتحدة باهتمام ، وكان - كما سبق القول - قد شاهد إحدى مناقشاته التليفزيونية في أثناء الحملة الانتخابية عندما كان هو نفسه في نيويورك خلال انعقاد الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة - وقد أحس بتعاطف معه بأكثر مما أحس تجاه منافسه ، وهو يومها « ريتشارد نيكسون » نائب الرئيس « ايزنهاور »^(٣) .

وقد جاءه السفير الأمريكي في القاهرة « فردريك رينهارت » يوم ١٩ يناير ١٩٦١ يحمل له رسالة وداع من « ايزنهاور » نصها كما يلي :

« البيت الأبيض - ١٩ يناير ١٩٦١ »

إنني قبل ان أترك منصبى وجدت نفسى مدفوعا إلى ان اكتب لك خطاب وداع شخصى ، فخلال السنوات التى خدمت فيها كرئيس للولايات المتحدة أسعدنى أن اتعاون معك في كثير من الأهداف المشتركة الهامة للسلام وللعدل في العالم ، وسوف اطلع دائما إلى صداقة معك برضا عميق .

خلال اتصالي بك تمكنت من ان اكسب رؤية مرضية للشخصية القومية للجمهورية العربية المتحدة ، ولجوهر قوتها وعظمتها . وسوف أظل أتابع أحوالكم باهتمام وتعاطف شديدين .

وأؤكد لك صداقتى واحترامى .

المخلص

دوايت ايزنهاور

(٢) حوارات متصلة مع « بيير سالنجر » في نيويورك وباريس والقاهرة والاقصر .
(٣) كان لسفير الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن وهو الدكتور « مصطفى كامل » رأى آخر ، وقد عبر عنه علنا ، فاتهم « كنيدي » بأنه موال لإسرائيل .

وقرأ « جمال عبد الناصر » رسالة « ايزنهاور » بينما السفير « رينهاردت » ما زال جالسا أمامه ، وحين فرغ من قراءتها كانت ملاحظته للسفير :

« لقد كانت بيننا خلافات كثيرة ، ولكنه كرجل مستقيم استطاع أخيرا أن يرى بعض اللحظات الصادقة عن ظروفنا ، ومن سوء حظنا أنه ما كاد يتعرف على الصورة حتى انتهت مدة رئاسته ، ويظهر أن هذه ستكون مشكلتنا معكم باستمرار . كل أربع سنوات علينا أن نشرح أحوالنا ولو حتى بالصدام لرئيس جديد في البيت الأبيض . »

وراح « رينهاردت » يتحدث عن الرئيس الأمريكى الجديد ، وكيف أنه أقرب سنا إليه (أى إلى الرئيس « عبد الناصر ») وبالتالي فإنه سوف يكون أقدر ، وأسرع على الفهم مما كان « ايزنهاور » .

ثم أشار « رينهاردت » إلى أنه من المحتمل أن الرئيس الجديد سوف يختار سفيراً جديداً له في القاهرة ، وأن اختيار السفير الجديد سوف يعكس توجهات الرئيس الجديد على الأرجح . ثم أبدى أنه لا يعرف بعد من هو السفير الجديد ، وأن علينا أن ننتظر لنرى .



ولم ينتظر « جمال عبد الناصر » طويلاً ليرى ، فبعد شهر واحد من دخول « كنيدي » إلى البيت الأبيض ، أى يوم ٢٠ فبراير ١٩٦١ ، بدأ « جمال عبد الناصر » سلسلة المراسلات الشخصية الطويلة ، والمباشرة بينه وبين الرئيس الأمريكى « جون كنيدي » .

وكانت القضية التى بدأ فكتب بشأنها إلى « كنيدي » هى « أزمة الكونجو » وكانت هذه المشكلة قد تفاقمت إلى أبعد من حدود الكونجو فسالت مضاعفاتها إلى أفريقيا ، ومنها إلى بقية أنحاء العالم بما أثرت به على الأمم المتحدة ، فكرة وتنظيمها وأداء خصوصاً في أوقات الأزمات ، ذلك أنه بعد مقتل « لومومبا » تقدم جيش الكولونيل « موبوتو » فقام بحل برلمان الكونجو المنتخب ، واعتقل بقية أعضاء حكومة الاستقلال ، وجرى ذلك كله تحت علم الأمم المتحدة ، وفي أثناء عملها في الكونجو .

وبدأ نص خطابه إلى « كنيدي » كما يلي :

« عزيزى الرئيس كنيدي »

لقد وجدت لزاماً على أن أكتب إليكم في هذه الظروف الدقيقة مدفوعاً بثلاثة عوامل تشغل بالى وتثير قلقى .

□ أولها : المأساة المؤلمة التى وقعت في الكونجو حتى وصل بعد الجريمة

الوحشية التي وقعت فيه باغتيال باتريس لومومبا - إلى حافة الحرب الأهلية . وهو الأمر الذى يجب تجنبه مهما كانت الظروف باعتبار ما يمكن أن ينشأ عن ذلك من أخطار على سلامة الشعب الكونجولى ، وعلى سلامة شعوب أفريقيا عموما ، وتأثير ذلك على السلام العالمى .

□ وثانيها . الموقف العصيب الذى صارت إليه أعمال الأمم المتحدة فى الكونجو ، وضياح الآمال الكبرى التى كنا نعلقها على هذه التجربة التى كانت تبدو لنا فى بدايتها سابقة مشجعة ترسم طريقا جديدا فى تطوير الدول التى لم تحصل على فرصتها فى النمو ، وتعطيها عونا رشيدا متجردا عن المطامع الاستعمارية يقودها إلى غد أفضل . وإنه لمن المهم فى هذه اللحظة أن نفرق جميعا بين الأخطاء التى ارتكبت باسم الأمم المتحدة وتحت علمها ، وبين ما تمثله هذه المنظمة بالنسبة للشعوب جميعا فى سلام قائم على العدل . وذلك أمر يتحتم معه أن نتوجه جميعا فى هذه اللحظات إلى محاولة جادة ومخلصة لإعادة الهبة والاحترام لهذه المنظمة التى تمثل فى رأينا احتمال السلام الوحيد فى جيلنا الذى نعيش فيه

□ وثالثها . فإن الصدمة التى تلقناها شعوب أفريقيا المتطلعة إلى أملها بعد ليل استعماري طويل ، لابد لها على الفور من تصحيح صادق وأمين . فإن المرارة التى تشعر بها هذه الشعوب التى تابعت بمزيج من الحزن والغضب ما حدث لاستقلال الكونجو المهدد بالضياح ، وما حدث لحكومته الشرعية ممثلة فى البرلمان ، وهى نفس الحكومة التى اخذت على عاتقها مسؤولية دعوة الأمم المتحدة لمساعدتها - هذه المرارة لا ينبغي أن تترك آثارها تدفع شعوب أفريقيا التى كانت تظن منذ أقل من عام أنها رأت النور ، إلى ظلام يائس يمكن أن تكون له أoxم العواقب .

من هذه الاعتبارات الثلاثة ، وما تثيره فى نفسى وقائعها ونتائجها ، وجدت من المستحسن فى هذه الأوقات أن اضع امامكم صورة من فكرى

ثم مضى « جمال عبد الناصر » يشرح بالتفصيل رأيه فى أزمة الكونجو ، وأزمة الأمم المتحدة ، وأزمة أفريقيا . وقد أشار فى معرض ذلك إلى مقارنة بين دور الأمم المتحدة والولايات المتحدة فى أزمة السويس ، ودورهما فى أزمة الكونجو ، واستخلص من ذلك دروسا ، واقترح حولا تفصيلية .^(٤)

وقبل أن يصله رد « كنيدي » تلقى رسالة من « نهرو » الذى كان بدوره يحاول استكشاف أمر الرئيس الأمريكى الجديد ، والذى اتاحت له فرصة لم تتح لـ « جمال عبد الناصر » ، فقد تصادف فى ذلك الوقت أن مر على دلهى كل من « افريل هاريمان » السفير المتجول فوق العادة الذى عينه « كنيدي » ممثلا له فى الأزمات الدولية

(٤) رسالة « جمال عبد الناصر » الأولى إلى « كنيدي » مودعة بأرشيف منشية البكرى ، وهناك إشارة فى أسفلها تفيد بإرسال ثلاث نسخ منها إلى وزارة الخارجية .

بصلاحيات واسعة ، وكذلك « دين راسك » وزير الخارجية الأمريكى الجديد الذى قضى فى دلهى بضع ساعات عائداً من اجتماع فى بنكوك . وقال « نهرو » فى رسالته :^(٥)

« عزيزى الرئيس ناصر

التقيت بالسيد هاريمان سفير الرئيس كنىدى مطلق الصلاحيات ، وأجريت معه احاديث طويلة . وقابلت بعد ذلك السيد دين راسك وزير الخارجية الجديد فى الحكومة الأمريكية الجديدة . وقد تناقشنا مناقشات مستفيضة فى قضايا كثيرة بينها موضوع « لاوس » والحالة فى الكونجو . وقد اوضحت لهما أن الإدارة الجديدة لابد لها كاولوية اولى أن تعتمد إلى تقوية الامم المتحدة .

ولقد أحسست إحساسا لا يداخله شك فى أن الإدارة الجديدة فى واشنطن ، وبالذات الرئيس كنىدى ، على وشك إدخال تغييرات كبيرة على السياسة الأمريكية ، وأن هذه التغييرات سوف تكون فى الاتجاه الصحيح . ولكنى لا أستطيع أن أقرر إلى أى مدى ستصل هذه التغييرات ، لكنى اعتقد أنها سوف تؤدى بشكل ما إلى تخفيف حدة التوتر الدولى . وقد شعرت بارتياح عندما فهمت من زائرى أن هناك اتجاهاً للتعامل مباشرة مع الاتحاد السوفيتى^(٦) فيما يتعلق بنزع السلاح وغيره من المسائل ، وكل هذا مفيد فى حد ذاته ، ولكن السؤال يظل قائماً عن المدى الذى يصل إليه فى النهاية .

تذكر أنك وعدتني بإرسال السيدة قرينكم وأبنائكم إلى الهند ، ونحن فى انتظارهم ، وسوف يلقون منا كل رعاية عند حضورهم .

لك احسن التحيات وافضل التمنيات .

المخلص

جواهر لال نهرو



وفى يوم أول مارس ١٩٦١ جاء رد « كنىدى » وقد جاء فيه ما نصه :^(٧)

« عزيزى الرئيس

لقد قرأت باهتمام عميق خطابك إلى بتاريخ ٢٠ فبراير بشأن الموقف فى الكونجو . وإننى لأحترم الدوافع التى حدثت بك إلى الكتابة إلى ، كما أقدر اهتمامك الكبير بتسوية الأزمة فى الكونجو فى إطار الامم المتحدة . ومنذ وصلنى خطابكم ، فلعلكم

(٥) رسالة « نهرو » تحمل ارقام 711-PMH/61 فى ملفات رئاسة مجلس وزراء الهند
(٦) لم يكن قد اعلن بعد عن اجتماع « كنىدى » و « خروشوف » الذى جرى بعد ذلك فى فيينا وفشل .
(٧) اصل هذه الرسالة فى أرشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منها فى أرشيف وزارة الخارجية .

تلاحظون أن الموقف في هذا البلد قد تحسن كثيرا عما كان عليه عندما كتبتم إلى . فقد صدر قرار من مجلس الأمن يمكن للأمم المتحدة من استعادة الهدوء السياسي ، وإمكانيات العيش الاقتصادي لهذا البلد الذي مزقته الآلام . وإنني لسعيد أن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية العربية المتحدة صوتتا جنبا إلى جنب لصالح هذا القرار فاتحين بذلك مرحلة من الفهم والتعاون المشترك للفترة القادمة .

إنني لاحظ أن حكومتينا اختلفتا في الماضي ، وما زالتا مختلفتين في الحاضر على بعض جوانب الموقف المعقد في الكونجو وفي غيره . ولكنني في نفس الوقت سعيد بأن أسباب الخلاف لم تمنعنا من إيجاد أرضية مشتركة . وإنني لسعيد باهتمامكم بدعم هبة وسلطة الأمم المتحدة وقد لاحظت في خطابكم أنكم تحدثتم عن مسؤوليات خاصة تشعر بها حكومتكم تجاه هذه المنظمة . ولعلكم لاحظتم أنني في خطاب تنصيبى رئيسا للولايات المتحدة ، وعدت بأن الولايات المتحدة سوف تعطى كل تأييدها للأمم المتحدة ، ولميثاقها . وإنني لأتطلع بالذات إلى الدول غير المنحازة واثقا أنها تستطيع أن تعطى الأمم المتحدة الدعم الذى تطلبه إن الولايات المتحدة تستطيع بمفردها أن تحمى مبادئها ومصالحها ، ولكن نظام الأمم المتحدة قائم بالدرجة الأولى لحماية أمن ومصالح الدول التى تحتاج إلى جهد جماعى . إن هذه الدول التى يهتمها بالدرجة الأولى نظام الأمم المتحدة لابد لها أن تقدم على دعمها لهذا النظام العالمى الذى يستطيع أكثر من غيره حماية أمنها وسلامتها . وأنا واثق أن حكومتكم بتأييدها لقرار مجلس الأمن ، وبمساعيها للأمم المتحدة قد قامت بدور هام وإيجابى في تدعيم قوة الحفاظ على السلام في العالم . ولقد أسعدنى أن أشعر من خلال خطابك بالتزامك الشخصى بهذه المهمة . وإنني لانتبهز هذه الفرصة لأقدم لكم تقديرى الشخصى واصلدق أمانى .

المخلص

جون كنيدي

ولم يقدر لهذه العبارات الرقيقة ، وللهذه النوايا الطيبة بالعمل على تدعيم الأمم المتحدة - أن تعيش طويلا . ففي أوائل أبريل - أى بعد أيام قليلة من رد « كنيدي » على « جمال عبد الناصر » - كانت العواصف تهب على البحر الكاريبى .



كان « آلان دالاس » قد أعد خطة لغزو كوبا عرضها على « ايزنهاور » المتحمس دائما للغزو من الداخل . وأقر « ايزنهاور » الخطة في أواخر مدة رئاسته . وعندما التقى بخلفه في البيت الأبيض « جون كنيدي » كان بين الأسرار التى أفضى بها إليه وهو يسلمه مقاليد الرئاسة - خطة غزو كوبا التى كان الاعداد لها قد سار شوطا بعيدا . وعندما دخل « كنيدي » إلى البيت الأبيض كان « آلان دالاس » في حاجة إلى تصديق جديد على الخطة من الرئيس الجديد . وناقش « كنيدي » ومستشاروه خطة

العمل المباشر في كوبا التي كانت قد راحت تطالب بجلاء القوات الأمريكية عن قاعدة «جوانتانامو» وتؤم شركات الاحتكار الأمريكية الكبرى ، وتحصل على أسلحة من الاتحاد السوفيتي .

وتشير الوثائق الى أن « كنيدي » لم يكن متحمسا لخطة غزو كوبا ، فقد بدت له غير كافية للخلاص من حكم بنى لنفسه قواعد شعبية واسعة . وراح « دالاس » يلح لإقناعه مستشهدا بنجاح المخابرات المركزية في إجهاض ثورة الكونجو ، واغتيال « لومومبا » ، وكان إصراره أن شعبية أى زعيم في العالم الثالث لا تستطيع أن تقف أمام تحد بالسلاح ، وأن الجماهير سرعان ما تغير موقفها فتسقط معبودها القديم إذا بدا لها أن نهايته أصبحت محققة . وكان « آلان دالاس » يكرر كثيرا في تلك الأيام قوله الشهير . « إن قبور الشهداء ، والنصب التذكارية التي يمكن أن تقام لهم ، ودموع العاجزين التي تذرّف تحت أقدامهم ليست قوة حقيقية » .

ويؤكد كل مستشاري « كنيدي » الذين كتبوا فيما بعد مذكراتهم (وبينهم « شليزنجر » و « سورنسون » و « سالنجر ») أن « كنيدي » ظل حتى اللحظة الأخيرة غير واثق من خطط الغزو التي أعدها « آلان دالاس » . فقد بدت له قوة شرائذ الكوبيين المنفيين من أعداء « كاسترو » والذين ارتكزت عليهم خطة الغزو - قوة مبعثرة ينقصها الهدف والإيمان ، كما ينقصها التأييد الشعبي بصرف النظر عن كميات السلاح التي وضعتها المخابرات المركزية في أيديهم ولقد أحس إحساسا غامضا بأن هدفهم الحقيقي هو أن يبدؤوا عملية عسكرية غير ناضجة ، ثم تضطر القوات المسلحة الأمريكية بعد ذلك إلى التدخل بسلاحها لكي تحميهم وتحقق لهم هدفهم بالنيابة عنهم . ولم يكن من جانبه مستعدا لأن يبدأ رئاسته باستخدام الجيش الأمريكى في عملية مسلحة لغزو كوبا . فلم يكن ذلك في سياسته ، ولا كان في مقدوره بسبب موقف السوفيت المؤيد لكوبا ، كما أنه في الوقت ذاته لم يكن يريد أن يفسد احتمالات القمة القادمة بينه وبين « خروشف » في فيينا . وتلقى تأكيدا بعد تأكيد من « آلان دالاس » بأن المهمة في متناول اليد ، وأنه ليس عليه إلا أن يأمر فتتم عملية الغزو وينتهى نظام « كاسترو » الذي جرى على تحدى الولايات المتحدة بالقرب من شواطئها مباشرة .

وطال تردد « كنيدي » وزاد الضغط عليه ، وخشى فيما يبدو أن يفشل في أول اختبار كبير للقوة تعرض له . وقال هو نفسه فيما بعد . « إن آلان دالاس وضع المسألة أمامي كما لو كانت اختبارا لرجولتي ، ومن سوء الحظ أننى قبلت منهم هذا التصوير للموقف وتصرفت على أساسه » .

وعندما بدأت المخابرات المركزية تنفذ خطتها لغزو كوبا تحقق بالضبط

ما كان « كنيدي » يخشاه . فقد فشلت قوات المرتزقة في تحقيق مهامها منذ الساعة الأولى ، واستنجدت بالجيش الأمريكي . ورفض « كنيدي » وتمكن « كاسترو » من تصفية جيوب المرتزقة التي استطاعت النزول في « خليج الخنازير » .



عندما بدأت عمليات غزو كوبا بعث « جمال عبد الناصر » ببرقية مفتوحة إلى « كاسترو » يقول له فيها : « إن الذي يتعرض له شعب كوبا اليوم جريمة ضد السلام والضمير للإنسانية ، وأن أصدقاء الحرية في العالم لن يقفوا موقف المتفرج من هذه الجريمة ضد شعب كوبا » .

كان « جمال عبد الناصر » يتابع الأحداث في دهشة من الطريقة التي يتصرف بها « جون كنيدي » فقد وجدها على عكس كل ما تصوره ، وربما تمناه ، فلقد أحس أن الرئيس الأمريكي الجديد استمرار شاب للرئيس الأمريكي الذي سبقه . كما أنه وجد في المغامرة تلاعبا مخيفا بموازين السلام . وقد لاحظ باهتمام أن الاتحاد السوفيتي وقت اشتداد الأزمة قام بإرسال أول رجل فضاء (« يوري جاجارين ») إلى خارج الغلاف الأرضي وأعاده سالما .

وعندما تلاحقت إنذارات « خروشوف » الموجهة إلى « كنيدي » والتي قال « خروشوف » في أحدها موجهها كلامه للرئيس الأمريكي : « إنك تعرض البشرية لحرب عالمية » - وجد « جمال عبد الناصر » أن مجموعة الدول غير المنحازة مطالبة بالتحرك السريع .

وكان الرئيس « تيتو » يزور مصر قادمة إليها بالبحر عن طريق الاسكندرية ، وأصبحت أزمة كوبا أول بند على جدول أعمال الرئيسين . وقد بعث إليهما « كاسترو » برسالة يقول لهما فيها . « لقد ضربنا قوات الغزو ، وقمنا بتصفية فلولها ، ولم يبق منها إلا جماعات من الشاردين في المستنقعات تركنا أمرهم للتماسيح » .

ولم يكن فشل الغزو هو الأمر الذي اقتصر عليه اهتمام « جمال عبد الناصر » و « تيتو » ، فقد كان الإقدام على العمل في حد ذاته تحديا لكل المواثيق والمبادئ وبصرف النظر عن النتائج هو الموضوع الذي ألح عليهما . وقد تعرضا له في البيان المشترك الذي صدر عن مباحثاتهما ، وأعلنا أنه يجب اتخاذ إجراءات جماعية لكي لا تتعرض الدول الصغيرة لعمليات غزو من النوع الذي تعرض له شعب كوبا .

وكما فعل « جمال عبد الناصر » في أزمة الكونجو ، فكتب مباشرة إلى

« كنيدي » - كتب « كنيدي » بدوره إلى « جمال عبد الناصر » يرد على موقفه في شأن أزمة كوبا .

وجاء في نص خطاب « كنيدي » إلى « جمال عبد الناصر » ما يأتي (٨).

« البيت الأبيض »

واشنطن

عزيزي الرئيس

٣ مايو ١٩٦١

لقد لفتت نظري رسالتكم إلى المستر كاسترو في الثامن عشر من أبريل ، وكذلك البيان الذي أصدرتموه مشاركة مع المارشال تيتو في التاسع عشر من أبريل . وإنني لأوافقكما كل الموافقة على أن الحرية والسلم والانسانية سيكتب لها النصر النهائي في كوبا . غير أن رسالتكم والبيان المشترك يشيران إلى « العدوان » و « التدخل الأجنبي » اللذين قامت بهما الإمبريالية . ومن مضمون القول وسياقه أن هذا حدث من جانب الولايات المتحدة . وقد أشرتم في رسالتكم للسيد كاسترو إلى تجربة بلادكم الخاصة في وقت أزمة السويس سنة ١٩٥٦ وإنني لأستعيد في هذا الصدد كتابكم إلى في ٢٠ فبراير سنة ١٩٦١ الذي علقت فيه تعليقا مواتيا على مسلك هذه الحكومة « خلال أزمة السويس ، عندما قامت الولايات المتحدة بتأييد المبادئ بغض النظر عن الصداقات » . ودعنيؤكد لفخامتكم أن الولايات المتحدة لا تقل ولاء لمبادئ العدالة والتحرر في الموقف الكوبي عما كانت عليه في موقف السويس . وإن تجربة حكومتكم في ذلك الوقت ينبغي أن تشكل أقوى أسباب الطمأنينة بشأن هذه النقطة . وإنني لوأثق من أن فخامتكم ستوافقون معي على أن من الأهمية بالنسبة لجميع الذين يعملون للسلم في جميع أنحاء العالم أن يفهموا المغزى الحقيقي للأحداث الكوبية الأخيرة . إن الولايات المتحدة ، وهي نفسها أمة نشأت بالعصيان على الحكم الاستعماري ليست غريبة عن آماني الشعوب الأخرى في الحرية والاستقلال .

ومضى « كنيدي » يشرح في خطابه لـ « جمال عبد الناصر » قصة نظام « كاسترو » والمقاومة الداخلية ضده ، مما استغرق صفحتين كاملتين في خطابه . ثم وصل إلى القول :

« لقد حدث فعلا تدخل في الشؤون الداخلية لكوبا فهناك قوة من خارج القارة تعادى العالم الحر . وقد حاولت هذه القوة من خلال استخدام نظام كاسترو تكثيف الحرب الباردة . ولعلكم تذكرون ما قلته للشعب الأمريكي في العشرين من أبريل من أننا لا نعتزم أن تلقى علينا محاضرات عن « التدخل » من جانب الذين تركوا

(٨) اصل خطاب الرئيس « كنيدي » موجود في أرشيف وزارة الخارجية ، وعليه إشارة تفيد أن نسخا منه قد أرسلت إلى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وإدارة المخابرات العامة .

بصماتهم بالدم على الشوارع المخربة في بودابست . إن النظام الكوبي ، برغم جهود الولايات المتحدة الصادقة للبقاء على العلاقات الودية معه قد انتهج سياسات معادية تجاه هذا البلد ، وقد تدخل هذا النظام تدخلا صارخا في الشؤون الداخلية للدول الأمريكية المجاورة ، وسعى إلى قلب حكوماتها . وفي هذه المشكلة الخاصة بنصف الكرة الغربى تتحمل الولايات المتحدة مع غيرها من أعضاء منظمة الدول الأمريكية مسؤولية خاصة . وبالتالي فإن المشكلة ليست نزاعا ثنائيا بل هى هم أول من هموم نصف الكرة الغربى كله . »

ثم ختم « كنيدي » خطابه قائلا :

« ولعل الذين ينادون بالاستقلال السياسى للأمم الحرة يطلبون النظر في الفاجعة الكوبية ، ويلوح لى أن الحقائق ليست معروفة جيدا وبالقدر الكافى في دوائر كثيرة . ولهذا وتلقاء اهتمام فخامتكم الواضح بهذه المشكلة ، رأيت أنه من المفيد أن أوضح لكم في جو من الاحترام والثقة المتبادلة قناعاتى الخاصة بشأن معنى الأحداث الكوبية الأخيرة .

المخلص

جون ف . كنيدي «

ولم يسكت « جمال عبد الناصر » ولا كان في مقدوره أن يسكت . وهكذا جلس بعد يومين من تلقيه رسالة « كنيدي » ليرد عليه . وجاء في رده بالنص ما يلي :^(٩)

« عزيزى الرئيس

لقد تلقيت باهتمام خاص خطابكم إلى بتاريخ ٣ مايو ١٩٦١ والذي دار موضوعه حول الموقف في كوبا سواء من ناحية التصريح الذى صدر عنى بتاريخ ١٨ أبريل ، وكذلك من ناحية البيان الرسمى الذى اعقبه في اليوم التالى صادرا بالاشتراك بين المارشال تيتو وبنى . وقبل أن أستطرد إلى موضوع هذا الخطاب ، فإننى أريد أن اسجل تقديري للروح التى املت عليكم أن تكتبوا إلى في هذا الموضوع . وإننى لأعتبرها بادرة طيبة من جانبكم تعزز جهود التفاهم المشترك بين شعب الولايات المتحدة وبين شعبنا . وإننى لأستأذنكم في أن اتحدث إليكم بوحى من قول رسولنا محمد : « صديقك من صدقك لا من صدقك » ذلك أننى أؤمن أنه من الزم الأشياء في الظروف التى يجتازها العالم الآن أن يجرى تبادل الراى بين الذين يعينهم مستقبه في صدق وفي وضوح . وإننى لأمهد بهذا القول لإعفاء نفسى من التقيد باللغة الدبلوماسية التقليدية في حديثي إليكم إيمانا منى بأن دقة الموقف الدولى تستلزم مواجهة الحقائق ، وأن حسن النية المستمد من المبادئ التى نؤمن بها هو دافعنا الوحيد للاهتمام بما جرى في كوبا - يضاف إلى ذلك أننى أحسست من متابعتي لحملتكم الانتخابية في الخريف الماضى حينما كنت أحضر دورة الجمعية

(٩) اصل الرسالة موجود في أرشيف منشية البكرى ، وقد أرسلت نسخة منها إلى وزارة الخارجية .

العامّة للأمم المتحدة - انكم تحاولون مواجهة المشاكل بمنطق شاب ومتحرر ،
وتتطلعون إلى ما اطلقت عليه اسم « الحدود الجديدة » .

ومضى « جمال عبد الناصر » يروى رؤيته للثورة الكوبية ، ويستذكر لقاءه مع
الدكتور « فيدل كاسترو » ثم وصل إلى القول صراحة :

« من واجبي إذن ان أقول لكم إن الانطباع الذي احسنا به في الجمهورية العربية
المتحدة ، وأحس به كثيرون في أرجاء العالم ان الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عن
الأحداث المؤسفة التي جرت في كوبا . ولم يكن الأمر بالنسبة لنا يحتاج إلى جهد
كبير ، فإن مجرد قراءة الصحف الأمريكية ومتابعتها ، بل إن متابعة التصريحات
الرسمية المنسوبة لعدد من كبار المسؤولين في حكومة الولايات المتحدة كان كافيا
ليرسم أمامنا أبعاد التدخل الأمريكي في كوبا ، بل وتفاصيل هذا التدخل إلى دقائقه
الصغيرة .

ولست أخفي عليكم أن ذلك كان صدمة كبرى للرأي العام العالمي ، ولكننا نشعر
بشرف أن علاج هذه الصدمة لا يكمن في إنكار ما حدث ، وإنما العلاج يكمن في
مواجهته بصراحة بغية تجنب تكراره . وأحب أن أؤكد لك أن موقفنا كان التزاما
طبيعيا بالمبادئ التي نؤمن بها ، ولم يكن هدفنا من هذا الموقف أن نقف ضد
الولايات المتحدة ، وإنما كان الهدف الاصيل أن نقف مع معتقداتنا النابعة من
ضميرنا الوطني .»

ثم ختم « جمال عبد الناصر » رسالته بقوله :

« إنني أرجو ان تحمل الملاحظات التي ابديتها جميعا على محلها الصحيح
باعتبارها صادرة عن إعجاب عميق بالمبادئ العظيمة التي صنع بها الشعب
الأمريكي هذا التقدم الباهر الذي وصل إليه ، وعن تقدير كبير للمسؤوليات التي
تحملونها شخصيا أمانتها تجاه الجنس البشري وأمله في سلام قائم على العدل ،
وعن رغبة مخلصه في تقوية أواصر الفهم والصداقة بين شعبينا

المخلص

جمال عبد الناصر



بدون أية مقدمات تلقى « جمال عبد الناصر » من الرئيس الأمريكى « جون كنيدي » يوم ١١ مايو ١٩٦١ خطابا يسأله فيه عن رأيه فى الحل المناسب للصراع العربى الاسرائيلى ، وتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . ويضيف « أن الوقت قد حان فى رأيه للاعتراف بالحقائق حتى تستطيع المنطقة أن تبني مستقبلها على أسس من الثقة والتعاون والمصالح المشتركة » .

كانت الرسالة تطلب إزالة التوتر فى الشرق الأوسط بإيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وهذا كل شئ ! أى أن الهدف كان تصفية آثار الأزمة دون بحث فى أسبابها وحقائقها !

وكانت تلك قفزة مفاجئة . كانت المراسلات بينهما من قبل دائرة حول أحداث الكونجو وأزمة كوبا . وفجأة قفز « كنيدي » من مجاهل أفريقيا ، ومز شواطئ الكاريبى إلى أعقد مشاكل الشرق الأوسط . ولقد كان معروفا باستمرار أن كل رئيس أمريكى جديد محكوم عليه بالاقتراب من هذه الأزمة لعدة أسباب :

□ أولها أنهم جميعا يحلمون بأن يكونوا صناع السلام فى الأرض المقدسة .

□ وثانيها أنهم جميعا معرضون للتأثير اليهودى وتوجهاته إزاء إسرائيل
□ وثالثها أنهم جميعا يتصورون ضرورة إعادة ترتيب أوضاع المنطقة إزاء الاتحاد السوفيتى ، ويريدون شعوبها وأراضيها معا تحت تصرفهم فى الصراع العالمى الكبير .

لكنه بالنسبة لـ « كنيدي » بدا أن أزمة الشرق الأوسط قد لا تقفز إلى مقدما اهتماماته بهذه السرعة ، فقد كان لديه ما يكفيه من مشاكل فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، كما أن علاقاته مع السوفيت سواء فى المجال السياسى ، أو فى مجال موازين السلاح كانت تفرض عليه أن يعطى الأولوية الأولى لعلاقته مع القوة الأعظم الثانية وكان فى هذه الأيام المبكرة من شهر مايو يستعد لاجتماعه المرتقب مع « نيكيتا خروشوف » وقد تحدد له يوم ١٥ مايو . واتصالا بذلك فقد كانت لديه مشكلة مع حلفائه الأوروبيين وأولهم الجنرال « ديجول » - وهؤلاء أزعجهم أن تتحول القمة الدولية من رباعية كما كان مقدرا - وواقعا - فى باريس قبل شهور إلى قمة ثنائية فى

فبينما بين « كنيدي » و « خروشوف » وحدهما . وأخيرا فقد كانت الأزمة الكويتية لا تزال معه بكل تداعياتها .

ومن هذه الاعتبارات كلها ، فإن ردة الفعل الأولى في القاهرة تجاه خطاب « كنيدي » بشأن الصراع العربى الاسرائيلى شابها إحساس بالاستغراب ، وثارَت تساؤلات عن هدفه الحقيقى من ذلك فى هذه الظروف . وتراوحت التقديرات . فقد كان هناك تقدير يراها محاولة لاختبار النوايا بعد الخلافات الظاهرة بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة بشأن الكونجو ، وبشأن كوبا . وكان هناك تقدير يراها محاولة لفرض تحديد المواقف قبل أن يقرر الرئيس الجديد سياساته على الأمد البعيد بالنسبة للمنطقة . كما برز تقدير يراها تكرارا لمحاولات سابقة تتصور أن الفرصة مناسبة الآن وقبل لقاء القمة بين « كنيدي » و « خروشوف » لتأكيد السيطرة الأمريكية على المنطقة ، وإخراجها من التوازنات بين العملاقين قبل أية مواجهات محتملة بينهما ، أو أية تسويات ممكنة . وكان إحساس « جمال عبد الناصر » أن « كنيدي » يتصور أن الخلاف المحترم بين القاهرة وموسكو قد يجعل موقف « جمال عبد الناصر » أكثر استعدادا للتسوية ، بغية الحفاظ على علاقاته مع الولايات المتحدة ، وتحسبا فى نفس الوقت لأية إجراءات قد يتخذها الروس بما فى ذلك وقف صفقات السلاح .



وكانت بعض التقديرات التى برزت فى القاهرة صحيحة . فقد كان هناك فعلا كما تثبت الوثائق الأمريكية عنصر « اختبار النوايا » ، كما كان هناك عنصر « تحديد المواقف » ، كما كان هناك أيضا عنصر الخلاف مع الاتحاد السوفيتى الذى اعتبره بعض مستشارى الرئيس « كنيدي » عاملا قد يكون مواتيا لدفع « جمال عبد الناصر » إلى « التعقل » .

ولكن واشنطن كانت لديها إلى جانب ذلك تقديرات أخرى ، فقد اهتمت المناقشة بين مدرستين فى التفكير والتخطيط .

● فريق يمثل « تشستر بولز » وكان رأيه « أن ناصر حتى هذه اللحظة لا يزال يمثل موجة المستقبل فى الشرق الأوسط ، وأن التعامل معه يمكن أن يؤدى إلى فوائد للسياسة الأمريكية فى المستقبل القريب على الأقل . فهو من ناحية قوة شعبية كاسحة ، وهو من ناحية ثانية عنصر مقاومة تجاه الشيوعيين والاتحاد السوفيتى لا شك فيه . ثم إنه ثالثا قيادة قادرة فى منطقة عاصفة - لا بديل لها فى المستقبل المنظور . وإذا كان هناك بديل فهو

الفوضى الشاملة التى يستفيد منها الاتحاد السوفيتى أكثر مما تستفيد الولايات المتحدة » . وكان « تشستر بولز » مع ذلك كله يرى أن نفوذ « جمال عبد الناصر » فى الحركة القومية العربية ، وبعد الوحدة مع سوريا قد زاد بأكثر مما هو مرغوب فيه - ومع ذلك فإن القضية برمتها تقتضى أقصى حالات الحذر فى معالجتها .

● وفريق آخر يمثله « ليندون جونسون » نائب الرئيس الأمريكى الذى هرعت إليه عناصر وكالة المخابرات المركزية المؤمنة بحتمية التعاون مع إسرائيل « إلى النهاية » وفى مقدمتها « جيمس أنجلتون » مساعد مدير الوكالة الذى كان من رأيه أن « ناصر » لا يمكن الاعتماد عليه ، وأن أى تعاون معه لن يكون من شأنه إلا المساهمة فى زيادة نفوذه . وكانت مجموعة « جيمس أنجلتون » فى وكالة المخابرات المركزية قد حققت لنفسها مجالا واسعا للعمل فى الشرق الأوسط ، وأعطت نفسها الحق - بالتعاون مع عدد من شركات البترول - فى العمل مباشرة فى المنطقة « لتقليص نفوذ ناصر » تطبيقا للخط السياسى التقليدى المنادى بعزل مصر عن المنطقة تمهيدا لتوجيه ضربة مباشرة إلى القاهرة ، وباعتبار أن ذلك هو وحده الكفيل بضمان المصالح الأمريكية فيها .

كانت هذه المجموعة قد وجدت فى « ليندون جونسون » حليفا قويا فى البيت الأبيض ، وأصبحت تتصور أنها تستطيع بواسطته أن تمد تأثيرها إلى أعلى مستويات صنع القرار الأمريكى . والواقع أن « ليندون جونسون » كان بالنسبة لهذه المجموعة هو الشخص المناسب فى المكان المناسب فى اللحظة المناسبة .

وقد أبدى « ليندون جونسون » فى عديد من المناسبات التى جرت فى مجلس الأمن القومى فى تلك الفترة - وكرر آراء مفادها أنه « ينبغى قص ناصر إلى حجمه الطبيعى ، وأن الفرصة الآن مواتية بسبب خلافه مع السوفيت من ناحية ، وبسبب الصراع بينه وبين عبد الكريم قاسم فى بغداد من ناحية ثانية ، وبسبب الحساسية المتزايدة ضد « طموحات ناصر » من جانب العروش التقليدية - يضاف إلى ذلك أن الأوضاع فى سوريا ، وهى الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة ، « تموج تحت السطح بقلقل وتيارات تفتح فجوات وثرغرات فى صفوف ناصر يمكن استغلالها » .



قرأ « جمال عبد الناصر » رسالة « كنيدي » عدة مرات ، وأطال التفكير فيها .
ثم كتب عليها بخط يده مجموعة تأشيرات على النحو التالي (١٠)

١ - تأشيرة موجهة إلى السيد « سامي شرف » نصها .
« سامي - ترسل نسخة سرى للغاية وشخصي إلى . بغدادى - المشير -
كمال الدين حسين - على صبرى - الدكتور فوزى - حسين ذو الفقار
صبرى - صلاح نصر - محمود رياض . ويطلب من كل منهم أن يجهز
ملاحظاته على الرسالة .

إمضاء

جمال عبد الناصر

٢ - تأشيرة موجهة إلى السيد « على صبرى » نصها .

« السيد على صبرى :

مطلوب تحليل للموقف الأمريكى كله والسياسة الأمريكية الجديدة .

إمضاء

جمال عبد الناصر

٣ - وتأشيرة ثالثة موجهة إلى السيد « سامي شرف » مرة أخرى نصها :

« سامي

يطلب من المخابرات العامة أوحاتم توزيع ترجمة لكل ما كتبه كنيدي
وما ألفه ، وتوزع على الأسماء التى سترسل إليها الرسالة .

إمضاء

جمال عبد الناصر

وكان أول رد تلقاه « جمال عبد الناصر » من الذين أرسلت إليهم صور من
رسالة « كنيدي » هو مذكرة أولية كتبها الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية

(١٠) مجموعة هذه الرسائل والمذكرات موجودة في أرشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة كاملة من الملف الذى
يحوى المجموعة في أرشيف وزارة الخارجية . تعطى هذه التأشيرات صورة حية لعملية صنع القرار السياسى في
عصر « جمال عبد الناصر » فقد كان كل قرار في السياسة الخارجية يعتمد على تقديرات أربع جهات رسمية هي :
مؤسسة الرئاسة - وزارة الخارجية - وزارة الدفاع - هيئة المخابرات العامة ، إلى جانب أى عدد من المسؤولين
أو الخبراء الذين يكون اختصاصهم متصلا بموضوع القرار . وكانت التقديرات تطلب دائما مكتوبة ، وبأى قدر
من التفصيل يراه أصحابها ، كما أنه كانت توضع تحت تصرفهم كل المعلومات اللازمة لبلورة أفكارهم .

بأسلوبه المتميز المعروف . وقد كتب الدكتور « فوزى » فى مذكرته بالحرف يقول :

« السيد الرئيس

(أ) هذه رسالة إغراء ماهرة ، ولها فى نفس الوقت وزنها غير الهين كوثيقة سياسية هادفة ، وإن فاتها التوفيق حين غالت فى ذكر فضل الولايات المتحدة ومبادئ سامية عبر عنها قادة أمريكيون قدامى وامتهنها قادة أمريكيون معاصرون ، وحين بالغت فى الترغيب عن طريق المادة ، ثم حين غضت الطرف عن طوفان المعونة الأمريكية لإسرائيل .

(ب) كان طبيعيا أن تفترض الرسالة بقاء إسرائيل

(ج) كلامها عن العودة ، أو التعويض للاجئين العرب لم يأت صريحا فى أن الخيار فى ذلك لهم .

وقد لا يكفى لازالة ما تثيره تلك المجانبة من شكوك ما جاء من إشارة لقرارات الأمم المتحدة ، إذ أن فى طيات الرسالة محاولة ماهرة لاستدراجنا إلى طريق الانزلاق والمساومة والتنازل عن الحقوق .

(د) تعمدت الرسالة ألا تذكر حقوق العرب ، وأن تقصر الإشارة على « صالحهم وخيرهم » .

(هـ) واضح أن هذه الرسالة جزء من حملة هجوم أمريكية ، قد يكون خير دفاع من جانبنا إزاءها هجوما نختار نحن وقته ونوعه ومداه وأسلوبه . ويجدر بنا فيما يتصل بالناحية الكلامية أو التفاوضية أن نركز إلى حقوق العرب ، ووجوب ردها إليهم كاملة ، ولسنا عند ذلك فى حاجة إلى التصريح بوجوب زوال إسرائيل .

كذلك تدعو الحال ، كما تدعو السليقة إلى الاحتفاظ لجانبنا بطابع الحزم والعقل ، وبالمودة المتبادلة مع كل من يمدون إلينا يدا صديقة ولا يناصرونا عداء .

(و) من المفيد معرفة ما إذا كانت قد أرسلت رسائل مشابهة إلى رؤساء دول فى منطقتنا غير الجمهورية العربية المتحدة ، والتفكير فى أن نعلم بعض الدول الصديقة العربية وغيرها بما يجرى فى المناسبة الحالية . وقد يرى التفاهم على أن ننتهج وهذه الدول خطة من شأنها الافادة من الكرة التى ألقى بها كنيدي إلى الميدان ، والمزيد من إبراز حقوق العرب ، ومن الضغط على إسرائيل ، وكشف نواياها الشريرة للعالم ، وتاليب دوله عليها .

إمضاء

محمود فوزى

« ١٩٦١/٥/١٨ »



وبعد أيام قليلة كان الدكتور « محمود فوزى » قد عرف الاجابة عن السؤال الذى طرحه فى مذكرته إلى « جمال عبد الناصر » ، وهو السؤال الخاص بما « إذا كانت قد أرسلت رسائل مشابهة إلى رؤساء دول فى منطقتنا غير الجمهورية العربية المتحدة » . والذى حدث هو أن « كنيدي » بعد أيام من رسالته لـ « جمال عبد الناصر » بعث برسائل مشابهة إلى عدد من رؤساء الدول العربية . وكتب السيد « حسين ذو الفقار صبرى » نائب وزير الخارجية فى ذلك الوقت مذكرة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » أحالها إليه الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية ، وكان نصها كما يلى :

« السيد الرئيس »

١ - نحن نعلم الآن أن الرئيس كنيدي أرسل فى الأسبوع الماضى رسائل مشابهة للرسالة التى وصلتكم إلى عدد من ملوك ورؤساء بعض الدول العربية .

٢ - ثم برز فجأة أن كنيدي قام بنشاط واسع فى هذا النطاق أدى إلى أن يقترح الملك سعود دراسة تلك الرسائل فى مجلس جامعة الدول العربية .

٣ - باطلاعى على محاضر الجلسات التى دارت حول هذا الموضوع ، وجدت أن ممثلى الدول العربية (لما قارنوا بين بعض هذه الرسائل) فطنوا إلى أن كنيدي ينوى أو يفكر فى مبادرة الدول العربية باقتراح حل لمشكلة اللاجئين داخل إطار معين محدود على أساس فكرة حل هذه المشكلة وحدها فتنهار القضية الفلسطينية من أساسها .

٤ - أما لو كان كنيدي قد قصر اتصالاته على الرسالة الموجهة لكم ، فكان يمكن الظن بأنها محاولات منه لتفهم وجهة نظرنا ، ولكن الأسلوب الذى اتبعه ينفى هذا الظن الآن ويشير إلى نية مبيتة .

٥ - وباطلاعى على محاضر جلسات الجامعة العربية وجدت أيضا أن الدول العربية مالت إلى الوقوع فى الفخ الذى نصبه كنيدي ، وخاصة إذا لاحظنا ما جاء فى أقوال بعض المندوبين وأهمها ما يلى :

(١) ماذا نقول لو جرى استفتاء ورفض اللاجئين العودة ؟

(ب) إن كنيدي وضعنا فى مازق ، فكيف الخروج منه ؟

(جـ) ماذا نقول وكنيدي يبني اقتراحاته على قرارات الأمم المتحدة ؟

(فيما يتعلق باللاجئين)

٦ - ولا شك أننا نعلم جميعا أن مداولات الجامعة لا يمكن الاحتفاظ بسريتها ، وأن هذه الروح الانهزامية ، والتى تسلم بأننا فى مازق سيكون لها اثر على تشجيع أمريكا على المضى قدما فى خططها

٧ - هذا علاوة على ما جاء على لسان بن جوريون من ان كنيدي عرض عليه اقتراحا لحل مشكلة اللاجئين ، وأن بن جوريون وجد الاقتراح معقولا .

٨ - ولذا فإنني أرى أنه يجب على الجمهورية العربية المتحدة في مثل هذه الاجتماعات عدم تشجيع هذه الروح الانهزامية ، بل المبادرة باتخاذ موقف مضاد قوى .

٩ - وأول ما يتحتم عمله هو إيجاد الوسائل التي تخرج المعركة من الميدان الذي حاول كنيدي أن يفرضه علينا (أنها قضية لاجئين) .

١٠ - واعتقد أن معالجتنا للموضوع يجب أن تتناول تكتيكا آخر على ضوء ما ظهر من أن كنيدي وسع ميدان اتصالاته في هذا الموضوع مما يوحي بأنه مقدم على خطوة ما .

إمضاء

حسين ذو الفقار صبرى «



ولم يشأ « جمال عبد الناصر » أن يتعجل في الرد على رسالة « كنيدي » فقد راح يفكر فيها على مهل ، ويتابع في نفس الوقت وبقدر ما يستطيع حركة تيارات تحتية تجرى في العالم العربى ، ويظهر منها قليل ، وكثير خاف لا تراه العيون .

وفي اليوم الأول من شهر أغسطس ١٩٦١ أى بعد قرابة ثلاثة شهور على تسلمه رسالة « كنيدي » بعث إليه برده عليها .

وفي مقدمة رده كتب « جمال عبد الناصر » بالنص (١١)

« عزيزى الرئيس جون ف كنيدي

لقد تلقيت بمزيد من الارتياح والتقدير خطابكم إلى بتاريخ ١١ مايو ١٩٦١ ، والذي تفضلتم فيه بإثارة بعض جوانب المشكلة ذات الأهمية البالغة ، والخاصة ، بالنسبة للأمم العربية على اختلاف شعوبها ، وهى - دون شك - قضية فلسطين .

وإذا كنت قد تأخرت في الرد على هذا الخطاب ، فلقد كان باعث التأخير هو إعطاؤه ما يستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتأنية .

ولعل مبعث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيت خطابكم ، كما اشرت في العبارة الأولى من هذا الخطاب ، اننى كنت من جانبى اقلب النظر في فكرة الاتصال بكم بشأن نفس هذه القضية التى اترتم في خطابكم بعض جوانبها

(١١) اصل الرسالة واجزاء كثيرة منها بخط « جمال عبد الناصر » موجودة في أرشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منها في أرشيف وزارة الخارجية .

ولقد كان فكرى فى الاتصال بكم يرتكن على مجموعة من العوامل :

□ أولها . أن ما تم بالفعل من تبادل المراسلات بيننا فى عدد من مختلف المشاكل العالمية كان واضحا فى دلالة على أنكم تحاولون فتح أبواب التفاهم - وإبقائها مفتوحة - بينكم وبين عدد من الشعوب الأخرى التى تولى قضايا السلام اهتمامها الأول ، حفاظا على هذا السلام وصونا للجنس البشرى مما يهدده من أخطار

□ ثانيا . أن قضية فلسطين ، وما تفرع عنها من مشاكل هى ، بجانب كونها من القضايا الرئيسية التى تمس السلام العالمى مباشرة فى عصرنا ، فهى فى الوقت نفسه ذات اتصال وثيق بالعلاقات ما بين شعبينا ، وأحب هنا أن أضيف أننى لا أربط احتمالات التفاهم بيننا بضرورة التقاء وجهات نظرنا فى هذه المشكلة على نحو كامل التطابق ، وإنما الذى أقوله هو أنه من الأمور الحيوية فى هذا الصدد أن تكون لدى كل منا صورة واضحة للحقيقة ، بقدر ما يمكن أن يبدو منها إنسانيا من وراء ضباب الزمان ، ودخان الأزمات .

□ ثالثا : أننى تابعت باهتمام كل مرة تعرضتم فيها لهذه المشكلة سواء فيما القيم من خطابات فى الكونجرس حين كنتم تمثلون ولاية ماساشوسيتس ، أو ما صدر عنكم خلال حملة انتخابات الرئاسة ، ولست أخفى عليكم أننى قبل أن يصلنى خطابكم كنت - من تأثير فكرة الاتصال بكم فى موضوع فلسطين - أحاول أن استشف صورة لموقفكم منه خلال سطور كتابكم عن استراتيجية السلام . ولقد كان إحساسى بما قرأت عنكم مباشرة ، أو بما نسب إليكم فى هذا الموضوع - يجعلنى أعتقد أن هناك زوايا كثيرة فى المشكلة تستحق مزيدا من الضوء .

على أنى برغم هذا كله تصورت أنه ربما كان المناسب أن أرجىء الاتصال بكم فى هذا الأمر باعتبار ما كان يواجهكم من مشاكل ضخمة ذات طابع ملح ، وعاجل فى الميدان الدولى .

ومن هنا - كما قلت لكم - أثار ارتياحى انكم أخذتم المبادرة ، وكتبتم لى فى بعض زوايا الموضوع الذى كان بودى أن أحدثكم من جانبى فى صورته الكاملة كما نراها هنا على الناحية العربية . ولست أريدا أن أملأ هذا الخطاب بالوثائق ومعانيها ، والقرارات وأحكامها ، فذلك كله قد يكون له مجاله ، وإنما أنا هنا أحاول أن أنقل إليكم تصورنا العام للمشكلة واسمح لى أن أؤكد لك أن هذا التصور لا يقوم على أساس عاطفى ، وإنما ما حدث ماديا هو أساسه الوحيد . »

ثم مضى « جمال عبد الناصر » بعد ذلك فى خطابه الذى استغرق سبع عشرة صفحة كاملة يشرح لـ « كنيدي » كل مراحل تطورات القضية الفلسطينية ، وارتباط مصر بها فى إطار انتمائها العربى القومى ، كما تعرض لكل اتصالاته بهذا الشأن مع الحكومة الأمريكية .^(١٢)

(١٢) النص الكامل لرسالة جمال عبد الناصر لـ كنيدي منشور فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٣٢

ودعا « كنيدى » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى جرى فيه عرض رد عبد الناصر « على رسالته . كان واضحا لجميع الحضور أن « جمال عبد الناصر » يقبل بتسوية للصراع العربى الاسرائيلى على أساس أن القضية الفلسطينية مجرد قضية لاجئين . وكان الرأى الغالب فى نهاية مناقشات طويلة أنه من للسياسة الأمريكية أن تتحرك فى الشرق الأوسط فى هذه الفترة بعيدا عند تطورات الأحوال فى المنطقة « قد تخلق ظروفًا تفرض عليه أن يتعقل أكثر فى لمواقفه » . وبالتالي فإن على الولايات المتحدة أن تركز جهودها أو بمعنى أصح بعيدا عن القاهرة ، ثم تعود إليها فيما بعد فى ظروف أكثر ملاءمة . وكان ع المخابرات المركزية الأمريكية أن تصنع ، أو تساهم فى صنع هذه الظروف ملاءمة . ويروى « جيمس أنجلتون » أنه فى هذا المناخ حصل على أول تفويض له بالعمل والتصرف والتنسيق مع أى طرف يراه مستعدا وقادرا .

وكانت قرون الاستشعار فى إسرائيل يقضى ومتحفزة ١

والغريب أن ذلك كله كان بالتحديد تقدير « جمال عبد الناصر » وهو يتابع ساحة عربية بدت له حافلة ومعبأة على الآخر .



فى صيف سنة ١٩٦١ كانت القوى التى تنادت بالهجوم على الجمهورية المتحدة تضم فرقا شتى لا يجمعها غير العداء لدولة الوحدة . وسواء كان هناك مخطط بين هذه الفرق ، أو أن الهدف المشترك جمعها معا بغير تنسيق مخطط كان ما يلفت النظر أن مواقع الهجوم كانت دائما هى نفس المواقع .

كان التركيز باستمرار على مجموعة من الادعاءات أظهرها :

- امتناع الجمهورية العربية المتحدة عن التصدى الفورى با، لمحاولات إسرائيل تحويل مياه نهر الأردن .
- « الديكتاتورية الناصرية » التى لا تستهدف غير الـ لسيطرتها !

- « التسلط الفرعوني » الذى يمسك بأقدار سوريا تحت دعوى الوحدة العربية !
- « سلب أموال الناس » بادعاء التحول الاشتراكى بما صحبه من قرارات التأميم !
- « زج الأبرياء فى السجون وتعذيبهم داخل أسوارها »
- « الابتعاد عن الدين والاقتراب من الالحاد » بالتركيز على مشاكل الدنيا ، وإهمال العالم الآخر .

وكان التوجه فى كل هذه الادعاءات يركز بصفة أساسية على سوريا باعتبار أنها الجبهة الأضعف فى دولة الوحدة . والغريب أن الفرق التى تجمعت للهجوم حوت خليطا متنافرا ضم الملكيين والشيوعيين ، وجمع لفترة من الوقت على الأقل بين الملكيين والسوفيت !



والواقع أن الحركة على هذه الخطوط جميعا بدأت مبكرا ، ومن قبل صيف ١٩٦١ . ففى أواخر سنة ١٩٥٩ كانت جماعة « مصر الحرة » قد نقلت نشاطها إلى بغداد . وتقدم تقارير الاستماع إلى إذاعة بغداد نماذج مريبة لخطوط الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة من مواقع متعددة :^(١٣)

- فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالحرف : « إن الذين يسكتون على تحويل مياه الأردن هم المسؤولون عن ضياع حقوق العرب . واول هؤلاء المسؤولين هم حكام القاهرة » !!
- وفى ١٢ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالحرف . « إن حكام الجمهورية العربية المتحدة يساومون فرنسا على شعب الجزائر الصامد ، وهم يبيعون الثورة فى مقابل تسهيلات مصرفية مع بنوك فرنسا باتفاقية حصلت فيها القاهرة على ٢٣ مليون جنيه » !!
- وفى ١٨ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا أخرج فيه بالنص « فى القاهرة ودمشق ترتكب الجرائم ، وتهدد الأنفس البريئة ، وتمثل المهازل الدامية ، وتحاك المؤامرات ضد الأفراد وضد الشعوب . وفى القاهرة وقبل أكثر من عام كان الصنم الأكبر يحملق بعينه صوب العراق المتحرر » !!
- وفى ١٩ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص . « إنهم

(١٣) تقارير استماع صادرة عن وزارة الإرشاد القومى .

يحشرون المئات من شعبنا في السيارات السوداء مخترقة شوارع القاهرة والاسكندرية والاسماعيلية إلى سجون الفيوم والقلة ، وإلى السجن الحربى الرهيب « !!

● وفى ٢١ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقاً جاء فيه بالنص : « إن النهج الناصرى في سوريا العربية ليس إلا مظهراً من مظاهر القضاء على حرية وانطلاق الشعب السورى . إن الديكتاتور المصرى حل الأحزاب الوطنية السورية ، وألغى حرية التفكير ، وأنهى إرادة السوريين لكى يفرض عليهم كلاباً وجواسيس يكتمون أنفاسهم » !!

● وفى ١٥ يناير ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقاً جاء فيه بالنص : « هؤلاء الفراغنة الأقزام جاءوا اليوم ليبشروا باستعمار جديد ، وليعيدوا أمجاد الفراغنة الغابرين باسم القومية العربية » !!

● وفى ١٩ يناير ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقاً آخر جاء فيه بالنص : « إن سوريا تعاني أزمة اقتصادية طاحنة . ولم يجد ديكتاتور القاهرة حلاً إلا أن يعقد مع أمريكا اتفاقية تحصل سوريا بها على ١٥٠ ألف طن قمح وشعير ، وهو أمر يدعو إلى الأسف » !!

● وفى ١٥ نوفمبر ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقاً جاء فيه . « إن هناك مهزلة تجرى في سوريا ، فقد جرى تخفيض رواتب ضباط الجيش السورى ، وتمت تسريحات شملت ١٥٠٠ ضابط من أخلص الضباط الوطنيين » !!

● وفى ١٦ يناير ١٩٦١ أذاع راديو بغداد تعليقاً جاء فيه بالنص : « وغدا .. غدا القريب نطهر سوريا من جرائم الفاشست والحكام الخونة ... ارفع يدك عن سوريا يا جمال ... ارفع يدك أيها الجلالد عن الشعب السورى ... الموت والخزى والعار يا جمال ... ارفع يدك يا سلطان الاحتكارات عن ولاية سوريا » !!



وكان الملك « سعود » يتحرك بأسلوب آخر ، فبعد فترة صمت أعقبت انكشاف المحاولة الفاشلة لرشوة « عبد الحميد السراج » حتى يقوم بانقلاب على الوحدة في فبراير ١٩٥٨ - تلقى « جمال عبد الناصر » رسالة غريبة من الملك « سعود » جاء فيها بالنص ما يلى (١٤).

(١٤) اصل الرسالة موجود في أرشيف منشية البكرى ، وقد ارسلت صور منها الى وزارة الخارجية ، ووزارة الإرشاد القومى ، وإدارة المخابرات العامة ، وتوجد صورة من هذه الرسالة والتاثيرات المرفقة بها في الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٣٣ صفحة ٩٠٠

« من سعود بن عبد العزيز آل سعود
إلى حضرة صاحب الغمامة السيد جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة حفظه الله
حضرة الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

أرجو لسيادة الأخ موقور الصحة والعافية ، وأن يديم المولى علينا نعمه ويوفقنا لما
فيه الخير والصالح إنه سميع مجيب .

راجعني كبار المشايخ والعلماء في البلاد بخصوص ما اطلعوا عليه جميعا في
الصحف المصرية من وجود فكرة لدى بعض الأوساط في مصر لتلحين القرآن
العظيم على بعض الآلات الموسيقية وانغامها وأفادوني أنه حصل لهم اضطراب
وتشويش عظيم من ذلك خوفا من أن تحدث هذه الخطوة ثغرة كبيرة في الدين . لقد
دعاني هذا الحادث لما فيه من خطورة أن أراجع سيادة الأخ ، وألفت نظره راجيا
منه لما أعلم فيه من حصافة الرأي ، وصدق العقيدة أن يعمل بنفوذه الكبير على منع
هذا الأمر الذي لا يأتي منه إلا التفرقة والشقاق بين المسلمين في مشارق الأرض
ومغاربها ، والذي نحن في غنى عنه . إنني اعتقد بأنكم توافقوني بأن أعداء
الاسلام والعروبة سيجدون في هذا المجال مرتعا خصبا لبث سمومهم القتالة ، وهي
فرصة ذهبية لا يجدونها في كل وقت ، وبالأخص في الدور الذي نجتازه نحن العرب ،
ولذلك فإنني لأرجو مخلصا بأن نكون جميعا ممن يحافظ ويدافع عن قدسية كتاب
الله ، ويحرص على كرامته من أي عبث يراد به ، وإنني لمطمئن بأنه سوف لا ينال
أحد منه شيئا . وقد وعد وهو اصدق الواعدين ، وقال في تنزيله الحكيم « إنا نحن
نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وفي انتظار ما يطمئن خاطر في هذا الخصوص .

أخوكم

سعود السعود

وكان واضحا أن الملك « سعود » يريد أن يتصيد شيئا . فإن الجريدة التي
نشرت هذا الخبر في أربعة سطور ما لبثت في اليوم التالي أن كذبت وأعتذرت عنه . وقد
تم ذلك بالتأكيد قبل أن يقوم « المشايخ والعلماء » بمراجعة الملك .

وكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » على غلاف رسالة الملك تأشيرة قال فيها :
« على صبري : هل ترى الرد على هذه الرسالة أو إهمالها - الرد يكون أن هذه
المعلومات خاطئة ، ويرسل له البلاغ الرسمي المرفق - أو عدم الرد » .

وكتب « على صبرى » : « أرى أن أسلم السفير السعودى صورة من التكذيب
الرسمى ليرفعه هو لسعود ، ولا داعى للرد » .

وأضاف « جمال عبد الناصر » إلى ذلك تأشيرة جديدة بخط يده جاء فيها :
« أوافق ، وأرى أن تسلم له الجريدة التى نشرت التكذيب .

جمال » .



وفى ديسمبر سنة ١٩٦٠ كانت العلاقات قد توترت بين الأمير « فيصل » وبين
الملك « سعود » الذى تنازل له عن رئاسة الوزارة فى ظروف انكشاف المؤامرة على
الوحدة ، واستحكم الخلاف بين الاثنين .

واستطاع الملك أن يضم إليه بعض الأمراء ، واستعاد سلطته من الأمير
« فيصل » وشكل وزارة جديدة برئاسته فى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٠ ، واحتدم الصراع
بين الأخوين !

وبعث الأمير « فيصل » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » رسالة يقول له فيها
إنه فوجئ بأن اللواء « أديب الشيشكلى » قد وصل إلى السعودية ضمن محاولات
لإحداث قلق فى سوريا . وأنه أمر بطرده من المملكة .

ويبدو أن الملك « سعود » عرف بأمر هذه الرسالة . وهكذا أوفد ممثلا خاصا له
هو الشيخ « سرور الصبان » ليقابل « جمال عبد الناصر » حاملا رسالة من الملك . ولم
يتمكن « جمال عبد الناصر » من استقبال الشيخ « سرور الصبان » الذى وجد طريقه
فى النهاية إلى السيد « أنور السادات » وكان رئيسا لمجلس الأمة وقتها . وتسلم السيد
« أنور السادات » رسالة الملك ، ومعها مجموعة من الوثائق تثبت براءته من موضوع
« أديب الشيشكلى » وأرفقها بخطاب منه بعث به إلى المشير « عبد الحكيم عامر »
راجيا تقديم الملف كله للرئيس .

وجاء فى خطاب السيد « أنور السادات » الذى كتبه بخطه ما يلى : (١٥)

« سيادة المشير

اتصل بى الشيخ سرور الصبان وقابلنى اليوم ٨ يناير ١٩٦١ وسلمنى المظروف
المرفق طيه ، وهو عبارة عن الرسالة الشفوية التى كان الملك قد أرسلها من قبل

(١٥) اصل الرسالة ومرفقاتها فى أرشيف منشية البكرى ، وقد أرسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية ، ووزارة
الدفاع ، ووزارة الإرشاد القومى ، وإدارة المخابرات العامة .

وتفصيل موضوع الشيشكلي ، وهو يطلب باسم الملك إبلاغها للرئيس مع اخلص
تحياتي وتسليمي .

المخلص

« أنور السادات »

وكانت رسالة الملك المرفقة بالنص ما يلي .

« سبق أن اتفقت مع سيادة الأخ وأخذنا فيما بيننا وعد شرف بأن لا يعمل احد منا
ضد الآخر مهما كانت الظروف والأحوال . بل يجب أن نكون متعاونين في المصلحة
العامة وعلى ما يعود بالنفع على بلادنا . وأن من يسمع عن الآخر يخبره حالا بما
وصل إليه ضد أخيه حتى نقطع خط الرجعة على من يريد الفساد بيننا . وإنني
أحب أن أؤكد لكم بأنني على وعدى ولن أحنث - لا في الحاضر ولا في المستقبل . وإنني
مطمئن كل الاطمئنان إلى سيادة الأخ بأنه واثق من وعدى له . وأنا منذ شهرين وأنا
أسمع أنه في^(١٦) بعض من يريد الاصطياد في الماء العكر بيني وبين سيادتكم ، وأن
هؤلاء الناس ربما يوحون لفخامتكم بأمور القصد منها التشويش بطريق مباشر ،
أو غير مباشر . وقد تواترت الأخبار لدينا في هذا الموضوع ، وأنا على ثقة بأنه
لو كان لتلك الأخبار صدق لدى سيادتكم لأرسلتم لي من ينبئني بذلك حسب
الاتفاق . ولكن مع ذلك حرصا مني على أن تسير أمورنا على ما اتفقنا عليه أحببت
أبعث إليكم هذه الرسالة لأؤكد لفخامة الأخ بأنني لازلت ولن أزال على وعدى ، وأمل
أنه إذا حصل لدى سيادتكم أى التباس بسبب ما ينقل لكم من أهل السوء ، وممن
لهم مقاصد خبيثة أن تسالوني عن صحة ما نسب . وأنا كما وعدتكم كسعود
ابن عبد العزيز ساقول لكم الحقيقة . وعرفت مما نسب أنه أرسل لكم معلومات عن
موضوع الشيشكلي وأن مجيئه إلى المملكة كان بناء عن رغبتى ، وأنه طرد من البلاد
بأمر جهات أخرى ، وهذا خلاف للواقع تماما . فالواقع هو حسب ما جاء في
المخابرات البرقية بيننا وبين المذكور والسلطات المحلية في جدة وهذه المخابرات مع
الرسول ، وهذا ما أحببت إشعار سيادتكم به لأدلل على صدق نواياي ، وحتى
لا يجد أهل السوء مجالا للتلاعب بيننا .

سعود السعود «

وكانت هناك مجموعة برقيات رسمية مع رسالة الملك .

١ - برقية من « أديب الشيشكلي » إلى الملك (رقم ٢٠٠٦) من جدة :

« صاحب الجلالة الملك سعود المعظم

وصلت جدة صباح اليوم الاثنين قادما من البرازيل وحلت في فندق « الكندره »
بغية المثل بين يدي جلالتيكم . أرجو صدور أمر جلالتيكم الملكى بما يلزم . أدامكم
الله ذخرا .

أديب الشيشكلي «

(١٦) هناك أخطاء لغوية وإملائية واردة في الرسائل وقد تركت كما هي طبق الاصل .

٢ - برقية من الملك « سعود » إلى محافظ جدة الشيخ « عبد الرحمن السديري » :

« عبد الرحمن السديري .. جدة »

وصلتنا برقية من اديب الشيشكلي يذكر انه وصل جدة ، ويطلب مقابلتنا . وانتم ما عرفتمونا عن وصوله . وانتم حالا اجعلوا (كذا في الأصل) عليه رقابة وامنعوا عن التجول . وقله يقول لك سعود إن وصولك ليس له أى مبرر ولكن اقل ما نعمل معه حالا يرجع من حيث أتى . ومن قبل جوازه السعودى اسحبوه منه . وسلموه للخارجية . واعطوه ورقة مرور .

« سعود »

٣ - برقية من الشيخ « عبد الرحمن السديري » إلى الملك « سعود » :

« جلالة مولاي الملك المعظم »

برقية جلالكم . حالا اعتمدنا امر جلالكم فيما يختص باديب الشيشكلي ونفذناه . وجعلنا عليه مراقبة قوية . وطلبنا منه تسليم الجواز السعودى ، فامتنع عن تسليم الجواز مفيدا انه يحمل سمة العودة وسمة الإقامة في البرازيل حيث تقيم عائلته وحيث هناك بيته وعياله ، ولا يستطيع العودة بدون مطلقا . وإن كان لابد من سحب جوازه ، فإنه يقسم بشرفه إعادة الجواز فور وصوله إلى البرازيل . وقد الزمناه بتسليم الجواز منتظرين امر جلالكم . اطال الله بقاءكم .

الخادم

« عبد الرحمن السديري »

٤ - برقية من الملك « سعود » إلى محافظ جدة الشيخ « عبد الرحمن السديري » :

« من قبل امتنع اديب الشيشكلي عن تسليم الجواز السعودى ، وقسمه بشرفه بإعادة الجواز السعودى عند وصوله إلى البرازيل باطل . فاديب قد سبق أن اقسام بشرفه بان يعيد الجواز ولم يعيده حسب وعده فانتم نفذوا (كذا في الأصل) الامر واستلموا (١) منه الجواز السعودى على كل حال بدون أى مراجعة منكم واعطوه ورقة مرور وسفروه حالا .

« سعود »

٥ - برقية من الشيخ « عبد الرحمن السديري » إلى الملك « سعود » :

« جلالة الملك المعظم »

حسب امر جلالكم أبلغنا اديب الشيشكلي ضرورة تسليم الجواز السعودى وقد

استلمناه بالفعل وسلمنا له ورقة مرور بعد سحبه بالفعل . ولم نتأخر عن تسفيره
إلا لعدم وجود الواسطة وحالا توجه بورقة مرور أدام الله بقاكم .

الخادم

عبد الرحمن السديري »



ويبدو أن الملك كان يريد أن يطمئن إلى أن رسالته ووثائقه وصلت إلى « جمال
عبد الناصر » فاستدعى السفير « حافظ أبو الشهود » سفير الجمهورية العربية
المتحدة إلى مقابله وقضى معه ساعة كاملة ، وكتب السفير « حافظ أبو الشهود »
تقريراً إلى القاهرة وردت فيه النقاط التالية : (١٧)

- ١ - استقبلني الملك سعود في مكتبه بالرياض وانفرد بي لمدة ساعة .
- ٢ - طلب إبلاغ السيد الرئيس أنه ما زال على عهده « والله على ما نقول شهيد » .
- ٣ - ذكر أن اناساً نفعيين هدفهم المنفعة الذاتية يسعون إلى الدس والوقيعة ، وقد عرفهم ولن يهيب لهم فرصة العمل قط
- ٤ - أبدى جلالتة دهشته مما قيل لنا بأن سمو الأمير فيصل هو الذي قام بطرد
أديب الشيشكلي ، بينما الحقيقة أن سموه لم يكن يعلم بأى شيء عن الموضوع حتى
أبلغه الملك بنفسه بما جرى .
- ٥ - قال لي إنه يفخر بأنه حكم ٤٠ عاماً اكتسب منها الخبرة والتجربة ، وتعود على
سرعة البت ، وبهذا فإنه أنهى موضوع الشيشكلي في يوم واحد .
- ٦ - استوضحت من جلالتة عن الأخبار التي راجت عن مقابله لعبد الكريم
قاسم ، وأجاب بأن قاسم طلب منذ شهرين الاجتماع بجلالتة ولكنه رفض ، ثم طلب
مرة أخرى في هذه الأيام ، فرفض جلالتة « بزوق » كما قال (كذا في الأصل) .
- ٧ - أكد أنه منع الصحف من التعرض لأخيه فيصل ذاكراً أنه وإن كان فيصل
غاضباً الآن « فمسيره أن يرضى يوماً ما » .
- ٨ - تفاخر بأن الوزراء الجدد يجدون في أعمالهم ، ويتواجدون في مكاتبهم من
الساعة الثالثة صباحاً بالتوقيت العربي
- ٩ - ختم المقابلة بقوله : « تستطيع أن تحضر إلى الرياض في أى وقت تشاء ،
وتبلغني بما تريد ، ويصلك الرد في الحال » .



وفي شهور صيف ١٩٦١ كانت هناك زيادة ملحوظة في رسائل الملك « سعود »
إلى « جمال عبد الناصر » ، فقد توالى هذه الرسائل في أعقاب بعضها ، وفي بعض
الأحيان وصل معدلها إلى رسالة كل يوم . وكانت لبعض هذه الرسائل أسباب

(١٧) اصل التقرير موجود في أرشيف وزارة الخارجية ، وقد أرسلت نسخ منه إلى رئاسة الجمهورية .

صحيحة ، ولكن بعضها الآخر بدأ مقصوداً في حد ذاته كوسيلة لزيادة معدلات الاتصال .

كان السبب الصحيح الواضح في تلك الأيام هو الأزمة التي تعرضت لها دولة الكويت التي حصلت على استقلالها ، وتقدمت بطلب الانضمام إلى عضوية الجامعة العربية وسط ترحيب من العالم العربي كله لم يخرج عنه إلا اللواء « عبد الكريم قاسم » الذي أعلن في بغداد يوم ٢٥ يونيو ١٩٦١ أنه سوف يصدر مرسوماً جمهورياً باعتبار الكويت قضاءً عراقياً تابعاً للواء البصرة . وأعلنت الكويت يوم ٢٦ يونيو حالة الطوارئ ، وحشدت ما كان لديها من قوة على حدودها لمواجهة أي تحركات عسكرية مفاجئة معلنة أنها سوف تدافع عن استقلالها . وأعلن « جمال عبد الناصر » أن الجمهورية العربية المتحدة ترفض منطق الضم بين البلدان العربية . وهي إذ توافق على مبدأ الوحدة ، فإنها ترى أن الشرط الأساسي لتحقيقها هو شرعية صدورها عن إرادة شعبية لا شك فيها . وأما منطق الضم والغزو ، فليس أمام كل المؤمنين بالوحدة إلا مقاومته ، ولو بالقوة عند الاقتضاء .

وأعلن « عبد الكريم قاسم » فرض حصار على الكويت يشمل المياه والموارد الغذائية أيضاً . ووجد العالم العربي نفسه في مواجهة أزمة تضاف إلى أزماته ، خصوصاً وأن « عبد الكريم قاسم » أبلغ « عبد الخالق حسونة » (باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية بأن حكومته سوف تنسحب من الجامعة إذا قبلت الكويت عضواً فيها .

وبدأت رسائل الملك « سعود » تتوالى . ففي يوم ٢٧ يونيو ١٩٦١ بعث إلى « جمال عبد الناصر » بخطاب جاء فيه : « إننا نعتد عليكم في رفق هذا الفتق الذي لا يستفيد منه إلا أعداء العرب راجياً أن تروا رأيكم السديد الذي يحول دون هذا الأذى » .

وبينما القاهرة تعلن استعدادها لإرسال قوات إلى الكويت للحفاظ على استقلاله ، قامت إسرائيل بحشد قواتها على حدود سوريا . وفي يوم ٢٩ يونيو ١٩٦١ بعث الملك « سعود » إلى « جمال عبد الناصر » يقول له : « علمنا اليوم نبأ الحشود الصهيونية التي تجمعت على خطوط الهدنة في الاقليم الشمالي ، وتتبعنا هذه الأنباء ببالغ القلق والاهتمام ، ونرجو التفضل بإخبارنا بالطريقة التي ترونها بحقيقة الحال ، وهل تقدرون أن هذه الحوادث مقدمة لأعمال واسعة النطاق من جانب العدو حتى نتخذ للأمر عدته » .

وفي ٣٠ يونيو ١٩٦١ بعث الملك « سعود » برسالة مطولة إلى « جمال عبد الناصر » أشار فيها إلى التوتر أمام الخطوط السورية ، وإلى أزمة الكويت ، ثم

أضاف في نهايتها : « ونحن كما تعلمون فخامتكم نتشاور وإياكم دواما في مثل هذه الظروف . ومن أجل هذه الغاية رأينا أن نوقد إلى فخامتكم وزير خارجيتنا ابراهيم السويل ليطالعكم على آرائنا ، وليقف على ما يكون لكم من رأى في الموقف على خطوط الهدنة في الاقليم الشمالى ، وفي الوضع بالنسبة للخطر الذى يتعرض له الكويت من تهديدات يثيرها اللواء عبد الكريم قاسم .

والله نسأل أن يجنب العرب شر أنفسهم ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل . »

وفي ٢ أغسطس ١٩٦١ بعث الملك « سعود » برسالة إلى « جمال عبد الناصر » يحيطه فيها علما ببقاء له تم مع الملك « حسين » في الرياض قبلها بأيام . وجاء في رسالة الملك « سعود » بالنص :^(١٨)

« أريد أن أحيط فخامتكم علما بالمحادثات التى دارت بيننا وبين الملك حسين في زيارته الأخيرة في المملكة ، وهى كما يلي :

□ أولا - أبدى الرغبة في التحدث إلينا تأييدا للاخاء والصداقة وتوحيداً للجهود .

□ ثانيا - أشار إلى أنه يراود من لجنة الخبراء^(١٩) لفلسطين اتخاذ مواقف تساعد على فصل الضفة الغربية عن الأردن .

□ ثالثا - أبدى ملاحظاته على بعض ما ورد في مقررات القيادة العسكرية (للجامعة العربية) .

□ رابعا - تكلم عن موضوع الكويت فقال إنه كان من أول المعترفين بالكويت ، وأرسل وفدا للتهنئة ، وأن ما قام به عبد الكريم قاسم كان مفاجئا له . وأنه مع اعترافه بالكويت واستقلاله وتهنئته له لم يشأ أن يقف موقفا قاسيا من عبد الكريم قاسم حتى لا يزيد من استفزازه وخشى من عاقبة من ورائه ، وأنه عمل على الاتصال به لعله يجد طريقا معه لتوحيد الصف العربى ، كما أنه سعى لديه لعقد اجتماع على مستوى عال لبحث القضية ، فأبدى عبد الكريم قاسم أنه لا فائدة من هذا الاجتماع في الوقت الذى تقف فيه الدول العربية موقفها المعارض للعراق ، وأنه

(١٨) النص الكامل لرسالة الملك « سعود » موجود لدى أرشيف وزارة الخارجية ، فقد جرى تبادل هذه الرسائل جميعها بالطريق الدبلوماسى .

(١٩) لجنة الخبراء لفلسطين كانت لجنة مننقة عن الجامعة العربية ، وكانت تحاول التقدم بتوصيات عن أهمية وجود كيان فلسطيني يمثل الشعب الفلسطيني مع التسليم بأن الضفة الغربية وديعة تحت مسؤولية السيادة الهاشمية الأردنية إلى حين حل مشكلة فلسطين برمتها

مصر على المطالبة بالكويت وذكر الملك حسين بأن دخول الكويت للجامعة العربية ، وحتى وجود قوات عربية تحل محل القوات البريطانية فيه لا يمكن أن يحل المشكلة ، ولابد من إيجاد تفكير في وضع حل يكون العراق طرفاً فيه حتى يمكن أن يحل الأمر بشكل يطمأن له . وتساءل عما إذا كان بالإمكان عمل اتحاد بين الكويت وبعض الدول العربية ليساعد في الأمر ، كما أشار بصورة خاصة إلى عتابة على الكويت لأن الأردن لا يحظى من الكويت بمعاونة وهو في خط الدفاع عن الأمة العربية ، بينما الملايين من أموال الكويت مودعة في خزائن البنوك البريطانية .

وقد أجابناه بأن موقف قاسم كان موقفاً مفاجئاً لنا أيضاً ، ولم يسعنى عند أول لحظة سمعته إلا أن أبادر بربط مصيرنا بمصير الكويت نظراً للعهد الذي بيننا وبين الكويت من الإباء والأجداد . وكذلك العهد بيني وبين الأخ الشيخ عبد الله السالم . »

وقد أشر « جمال عبد الناصر » بخطه على الرسالة قائلاً . « يرد عليه بالشدة على إخطارنا ، ويبلغ عن موقفنا من فلسطين والكيان الفلسطيني ، وأننا لا يمكن أن نستهدف فصل الضفة الغربية . »



كان الملك « حسين » بدوره قد بدأ وكثف رسائله إلى القاهرة . ففي يوم ٣ فبراير ١٩٦١ وكان يوافق يوم الثامن من رمضان ١٣٨٠ هـ . بدأ أن الملك « حسين » قرر فتح صفحة جديدة مع « جمال عبد الناصر » فبعث إليه دون أية مقدمات بخطاً شخصي طويلاً بداهة بقوله : « نبعث لسيادتكم بأطيب تحياتنا وأصدق تمنياتنا ونحن نتفياً ظلال شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن الكريم » . ثم مضى الملك « حسين » يقول : « وتحت تأثير هذه الذكرى المقدسة ، وما تحييه القلوب المؤمنة من معان زاهرة بالخير والأمل والتصميم نكتب لسيادتكم » . مضى الملك « حسين » يقول . « ويهمني يا سيادة الأخ أن تدركوا حقيقة الأسباب التي حدثت بنا لكي نكتب إليكم ، وتتفهموا الروح الصادرة التي أملت بها ، فقد يعلم الله كنا وما زلنا قادرين على مقابلة الخير بالخير ، والمعروف بالمعروف كقدرتنا إلى دفع الشر إذا فرض علينا بمثله . وقد أعزنا الله في هذه الحدي بالجرأة في الحق ، وفي الدفاع عن أمتنا ، وفي أداء واجبنا نحوها » . ثم مضى يقول : « ونحن وإن كنا في هذه الرسالة ننظر بعين الأمل إلى المستقبل المرتج لا يفوتنا أن نؤكد حقيقة إيماننا بأن الشعب العربي والأمة العربية ما كانا ولن يكونا في يوم من الأيام ملكاً للحسين بن طلال ، أو لجمال عبد الناصر » .

طالت رسالة الملك بعد ذلك عدة صفحات .

كان « جمال عبد الناصر » مرتاحا إلى مبادرة الملك ، وقد رد على رسالته يوم ١٣ مارس ١٩٦١ . وعاد الملك يوم ٢ أبريل فكتب إلى « جمال عبد الناصر » يقول ما نصه : « تلقيت بعميق الشكر والتقدير رسالة سيادتكم المؤرخة بتاريخ ١٣ آذار (مارس) ١٩٦١ . وبقينا يا سادة الأخ أن ورودها ، وما فاضت به من مشاعر أخوية ، وما تضمنته من تجاوب خير مع رغبتنا الصداقة في لقاء أشقائنا على صعيد المحبة بدل الجفاء ، والخير بدل الشر ، والثقة بدل الشك ، كل ذلك قد غمرني بالسعادة والأمل » . ثم طالت رسالة الملك بعد ذلك إلى عشر صفحات ، وأضاف إليها بخط يده قبل توقيعها بإمضائه كلمة « أخوكم الوفي المخلص » ثم وقع بإمضائه : الحسين بن طلال .

ولاحظ « جمال عبد الناصر » أن رسالة الملك المستفيضة تعرضت لكثير من أحداث الماضي ، ومع أنه كان مرتاحا إليها أيضا نفس ارتياحه إلى الرسالة الأولى ، فقد فضل أن يكون رده عليها مختصرا . وشرح وجهة نظره في اختصار رده بقوله بالنص : « لست أخفى على جلالته أنني خشيت أن يبدو تبادل الرسائل بيننا وكأنه مساجلة في الآراء والمواقف ، وهو الأمر الذي أشعر أنه يقلل من الفائدة الإيجابية البناءة لهذه الرسائل . وفي الحقيقة فإنني كنت قد اعتبرت أن دائرة التبادل الفكرى بيننا قد تمت ، ونقلت إلى كل منا لمحات من الدوافع المحركة لسياسة الآخر واتجاهاتها . ولم أكن أنوى أن أثقل عليكم برسالة جديدة . ولكنى عندما أحسست سواء عن طريق ما نقلته إلينا سفارتنا في عمان ، أو عن طريق تصريحات بعض المسؤولين في حكومتكم - أنكم تنتظرون ردا سريعا جديدا مني - بادرت فاستدعيت القائم بأعمال سفارتنا في عمان لمقابلتي كي يحمل لجلالته هذا الرد » . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » قائلا : « ثم يبقى أخيرا يا صاحب الجلالة ما أشرت إليه في ختام رسالتكم الأخيرة من رغبتكم في الاجتماع بى - وإنى لأرحب كل الترحيب بالمشاعر الكريمة التى تملئ عليكم هذه الرغبة ، مؤمنا أن هذا الاجتماع سوف يسهم في خدمة الأمة التى نوؤمن بشرف العمل من أجلها ، ونؤمن أن لها المستقبل العزيز » .



وفي صيف سنة ١٩٦١ أيضا تجددت بطريقة أعنف حملة الاتحاد السوفيتى والأحزاب الشيوعية العربية ضد الجمهورية العربية المتحدة . ووصلت هذه الحملة إلى مداها عندما وقف « خروشوف » في أحد خطابه ضمن احتفالات أول مايو فتحدث عن أن الشيوعيين العرب ، وهم المناضلون الحقيقيون من أجل الاستقلال السياسى والاجتماعى يوضعون في السجون والمعتقلات في الجمهورية العربية

المتحدة ، وأن هذا يعنى ببساطة أن البورجوازية المصرية الحاكمة معادية للتطور الطبيعي للتاريخ .

وبدأت جريدة « برافدا » الناطقة الرسمية بلسان الحزب الشيوعى السوفيتى تنشر تفاصيل هذه الفضائح التى قالت إنها جرت فى سجون الجمهورية العربية المتحدة . فقد نشرت « برافدا » أن زعيما شيوعيا شهيرا هو السيد « فرج الله الحلو » قد قتل بواسطة وضعه على « خوازيق » فى سجن المزة فى دمشق . وبعث « جمال عبد الناصر » ببرقية إلى « عبد الحميد السراج » يسأل فيها عن الموضوع ، وكانت المفاجأة أن « عبد الحميد السراج » بعث من دمشق يقول إن الموضوع من أوله إلى آخره ملفق لأن « فرج الله الحلو » توفى فى بيروت قبل سنتين من قيام الوحدة ، وأن نعيما مستفيضا له نشر فى جريدة الحزب الشيوعى اللبنانى ، كما أن بياننا رسميا من الحزب عن وفاته صدر عن أمانة سر الحزب الشيوعى اللبنانى فى حينه . فكيف يأتى ذلك مع ما جاء فى جريدة « برافدا » يوم ٩ مايو ١٩٦١ ؟

ولم تسكت « برافدا » وإنما انتظرت يومين لتعلن أن زعيما شيوعيا آخر هو السيد « رياض الترك » قتل فى سجون الجمهورية العربية المتحدة . وكانت المفاجأة أن صحف لبنان نشرت صورا ، وأجرت أحاديث مع « رياض الترك » ظهر منها أنه ما زال حيا يرزق ، وما زال يمارس نشاطه فى بيروت . ونشرت الصحف المصرية نقلا عن الصحف اللبنانية صورا وأحاديث مع السيد « رياض الترك » ، ومع ذلك فإن الحملة لم تتوقف رغم أن نائب وزير الخارجية المصرى استدعى السفير السوفيتى فى القاهرة ، ولفت نظره إلى هذا التورط الذى وقعت فيه « برافدا » ووقعت فيه بعدها إذاعة موسكو . (٢٠)



ولقد بلغت دهشة « جمال عبد الناصر » من الاتحاد السوفيتى ، ومن الأحزاب الشيوعية العربية ذروتها فى شهر يوليو سنة ١٩٦١ ، ومن الموقف الذى اتخذه جميعا إزاء صدور قرارات يوليو الاشتراكية الشهيرة فى الجمهورية العربية المتحدة . فقد كان موقفهم آخر موقف يتوقعه .

كانت قرارات يوليو فى رأيه خطوة بالغة الأهمية فى التطور الاقتصادى والاجتماعى فى الجمهورية العربية المتحدة . فقد كانت هذه القرارات فى

(٢٠) كان الرئيس « جمال عبد الناصر » يعرف أننى على علاقة صداقة مع « ساتياكوف » رئيس تحرير « برافدا » وقد اتصل بى يومها ، وسألنى إذا كان « الأهرام » يستطيع أن يبعث بالراديو صورة لـ « رياض الترك » إلى جريدة « برافدا » ، وفعلت ذلك على الفور ، ولم اتلق ردا من « ساتياكوف » ، وكانت هذه هى المرة الوحيدة فى علاقتنا التى امتنع فيها عن الرد على رسالة وجهتها إليه .

تقديره تعديلا أساسيا في موازين العلاقات الاجتماعية ، كما أنها كانت بداية مرحلة جديدة في التنمية ، فضلا عن أنها بما أكدته من حقوق التأمينات الشاملة ، ومشاركة العمال في إدارة المنشآت وفي أرباحها جاءت بوضع جديد من الديمقراطية الاجتماعية اعتبر نموذجا في العالم الثالث كله . وإلى جانب هذا ، فإن هذه القرارات أضافت فكرتين وجد فيهما « جمال عبد الناصر » حلا لمشكلة الطبقة الجديدة التي بدأت تظهر بعد الثورة . ففكرة منصب واحد للرجل الواحد قضت على تطلع كثيرين إلى مناصب كثيرة - ومصادر للدخل متعددة - في نفس الوقت ، كما أن وضع حد أعلى للمرتبات تحدد بخمسة آلاف جنيه سنويا خلق نوعا من العدل بين الحدود الدنيا والحدود العليا للدخل .

ومع ذلك فإن الأحزاب الشيوعية العربية راحت تهاجم هذه القرارات في صحفها ومنشوراتها ، وانتقلت حملة الهجوم بعد ذلك إلى صحف وإذاعات الاتحاد السوفيتي ، وكان مجمل رأى الشيوعيين أن القرارات الاشتراكية هي لصالح الطبقة المتوسطة ، ثم أنها تركز رأسمالية الدولة ، كما أنها لا تحقق سيطرة البروليتاريا على وسائل الانتاج ، وأخيرا فإن إجراءاتها كانت تقصد إلى تخفيف الضغط عن الطبقات المستغلة ، وليس لتصفية هذه الطبقات !

وربما كانت أهم الوثائق في هذه الفترة تعليق مطول كتبه « جمال عبد الناصر » بخط يده لى يذاع ردا على حملة الهجوم التى شنّها الشيوعيون على قرارات يوليو الاشتراكية . فهو في هذا التعليق المطول ، وضمن رده شرح في واقع الأمر رؤيته الكاملة لحركة الثورة العربية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والانسانية ، كما كان يتصورها^(٢١) .

(٢١) نظرا لأهمية هذا الرد كوثيقة ، ولأنها مكتوبة بخط يد « جمال عبد الناصر » فقد وجدت مناسبا نشر فقرات مطولة منها في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٣٤ صفحة ٩٠٢ . وكان الرئيس « جمال عبد الناصر » قد بعث إلى بصورة منها قبل إذاعتها ، وطلب رأيي فيها ، وبالطبع فقد احتفظت بهذه الصورة ضمن مجموعة أوراقى .

الفصل الثاني

الانقلاب والانقلاب على الانقلاب



فجريوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ استيقظ « جمال عبد الناصر » على أكبر صدمة وجهت إلى الحركة الثورية العربية منذ بدأت مسيرتها منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى تلك اللحظة . فقد دق جرس التليفون بجوار فراشه في الساعة الخامسة وعشر دقائق ، وجرى إبلاغه بأن هناك حركة انقلابية قامت بها عناصر من الجيش السوري في دمشق ، وأن إذاعة دمشق قد سقطت بالفعل في يد الانقلابيين ، وأنهم أعلنوا منها البيان رقم واحد . وارتدى « جمال عبد الناصر » ملابسه بسرعة ، ونزل إلى مكتبه ليواجه يوما صعبا وحافلا . واكتشف بعد قليل أن مكتبه ليس هو المكان الذي يستطيع منه متابعة الحوادث دقيقة بدقيقة ويتصرف بما تقتضيه تطوراتها . واهتدى إلى أن المكان المناسب لهذه المهمة في هذا اليوم الشاق هو مبنى إذاعة القاهرة الذي يستطيع منه أن يتابع إذاعة دمشق ، وأن يكون في نفس الوقت على صلة بكل أجهزة الدولة المكلفة بمتابعة التطورات أيضا .

والحقيقة أن « جمال عبد الناصر » لم يكن ينبغي له أن يفاجأ بما وقع في دمشق ، فقد كانت الآفاق حافلة بالذعر توحى كلها وتشير إلى أن شيئا ما يرتب ضد العاصمة الشمالية للجمهورية العربية المتحدة ، وأن القوى

المعادية للثورة العربية داخل المنطقة وخارجها قد ركزت جهودها على عاصمة الأمويين العتيدة . ولكنه مهما قيل عن ضراوة المؤامرات من الخارج ، فإن أى مؤامرة من الخارج لا يمكن أن يكتب لها النجاح إلا إذا اعتمدت على عوامل داخلية يمكن استغلالها سلاحا لتوجيه ضربة المؤامرة . وربما كان ممكنا إيجاد أعداء لـ « جمال عبد الناصر » من وجهة نظر انسانية وعملية ، ولكنه من وجهة نظر سياسية وتاريخية يتحمل نصيبه من أخطاء شارك فيها كثيرون .

وربما كانت أبرز أخطاء « جمال عبد الناصر » فى مسؤولية الانفصال الذى وقع صر وسوريا فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ - هى

١ - أنه وقع فى خطأ الاعتماد على مسلمات قديمة سابقة تكونت لديه فى مراحل متقدمة ، ولم يعد إلى مراجعتها ما بين وقت وآخر لى يتأكد من استمرار صحتها وصدقها .

٢ - أنه قبل بتجربة الوحدة مع سوريا من نفس الأوضاع التى كانت قائمة فى سوريا عند إعلان الوحدة . وهكذا فإن التناقضات التى ساعدت على إنهاء الوجود المستقل للدولة السورية ظلت هى نفس العوامل المهددة لدولة الوحدة بعد قيامها - فمجموعات الضباط والأحزاب السياسية التى عجزت عن استبقاء الدولة السورية حتى انتهاء الظروف الموضوعية للوحدة - بقيت هى نفسها بكل تناقضاتها هى العناصر الحاكمة فى دمشق بعد دولة الوحدة . ولم يكن مجرد قيام الجمهورية العربية المتحدة قادرا بالفعل أو بالواقع على فتح صفحة جديدة فى التاريخ . وإنما ظلت الصفحة التى فتحت بعد الوحدة اتصالا منطقيا بالسياق الطبيعى مع الصفحة التى سبقتها .

٣ - أن التفكير والعمل وفق مدرسة « ليدل هارت » (أى الاختراق والتقدم وتطويق الجيوب فى المؤخرة - وهو الأسلوب الذى اتبعه « جمال عبد الناصر » فى كثير من المواقف) كان لابد أن يعقبه تطهير لهذه الجيوب التى تركت فى الخلف خصوصا إذا كانت هذه الجيوب واقعة بالجغرافيا بعيدا عن المركز - وكان هذا ما لم يحدث بالضبط فى تجربة الوحدة . فقد تقدم بسرعة ، واخترق وطوق وترك جيوبا كبيرة لما بعد ، ولم يعد إليها لى يعالج خطرهما ، وإنما راح يواصل تقدمه وهى فى مؤخرة خطوطه تؤدى دورها ، وتؤثر بالتأكيد على حركته .

٤ - أن واحدة من أهم المشاكل التي واجهها في سوريا ، وإلى حد كبير في مصر هي مشكلة أى نظام يسمح لأماله أن تتعدى وسائله . وبهذا فإنه يجد نفسه معتمدا في دفع التطور على أجهزة الدولة ، فإذا هي تقوم بدور لم تنتهيا له ، وقد حدث شيء من ذلك في سوريا ، وتصرف عدد من الضباط المصريين الذين أحاطوا بالمشير « عبد الحكيم عامر » وبقيادته في دمشق في قضايا لم ينتهياوا لها .

٥ - أن « جمال عبد الناصر » وقع في محذور يقع فيه كثيرون غيره من الثوريين إذ يعتمدون على الجماهير بطريقة تكاد تكون غيبية ، ناسين أن الجماهير مهما كانت حماسها لا تستطيع أن تفعل شيئا أمام قوة السلاح . كما أن هناك فترات في تاريخ الشعوب يحدث فيها أن تتمكن قلة من المغامرين من أن تجر وراءها كتلا من الغافلين .

٦ - أن « جمال عبد الناصر » أحب سوريا على وجه اليقين ، لكنه لم يستطع النفاذ إلى قلب تركيباتها الخاصة ، ومن ثم فإنه وإن وصل إلى عواطفها لم يتمكن من التخاطب مع عقلها ، وربما قاس في دمشق بمعيار ما كان يعرفه في القاهرة . ولم تكن أداة القياس صالحة للحالتين ، وربما أيضا أن حركة المدن وجماهيرها أخفت عنه حركة الصحراء وقبائلها وعشائرها .



كان هناك آخرون شاركوا بنصيب أكبر في التمهيد لما وقع ، وفي التمكين له . ولعل أبرز الظواهر التي يمكن رصدتها في هذا الصدد :

١ - إن مجموعة القادة العسكريين في الجيش السوري قبل الوحدة ظلوا على ارتباطهم السابق بأحلامهم الشخصية ، وبارتباطاتهم الحزبية والاجتماعية . والغريب أن بعضهم كان ينتمى إلى حركات وسياسات شاركت في التآمر على سوريا . فقد كان بينهم على سبيل المثال عدد من أنصار « أديب الشيشكلي » وممن وردت أسماءهم صراحة في مؤامرة « الدندشي » التي تمت باشتراك بغداد وأنقرة تحت رعاية وتوجيه المخابرات المركزية الأمريكية ^(١) . وقد أصبح من هؤلاء وزراء في أول حكومة تشكلت لدولة الوحدة .

٢ - إن حزب البعث السوري اعتبر نفسه شريكا أساسيا في إقامة الوحدة . ومن ناحية نظرية ، فقد كان ذلك صحيحا ، وأما من الناحية العملية ، فإن الظروف

(١) رجاء مراجعة التفاصيل في صفحة ٢٣٨ من هذا الكتاب .

التي تمت فيها الوحدة كانت في واقع الأمر إعلانا صريحا بأن حزب البعث السوري لم تكن له القدرة على توجيه دفعة الأمور في سوريا .

٣ - وترتب على ذلك أن كثيرين من الضباط ، ومن الأحزاب والتجمعات السياسية أعطوا لأنفسهم حقوقا ، أو انتظروا لذواتهم آمالا في إطار دولة الوحدة - لم يكن هناك ما يبررها . ولقد أحس هؤلاء جميعا بعد قيام دولة الوحدة أنهم في حقيقة الأمر فقدوا نفوذهم القديم في سوريا ، ولم يستبدلوه بشيء في الجمهورية العربية المتحدة .

٤ - إن الضغوط والمؤامرات التي أحاطت بسوريا في الفترة الحرجة من سنة ١٩٥٥ - ١٩٥٨ خلقت إحساسا حادا بضرورات الأمن . ومن نتيجة ذلك أن أجهزة الأمن بما فيها جهاز المباحث والمكتب الثاني زادت من نفوذها ومن سيطرتها ؛ وكان ذلك بدعوى المحافظة على سوريا . ولكن عمل هذه الأجهزة ودورها لم يتوقف ، ولم يلائم نفسه للظروف الجديدة بعد قيام دولة الوحدة .

٥ - إن انتقال مركز الحكم إلى القاهرة خلق حالة من الفراغ في دمشق ، ولم تكن دمشق معتادة على هذا الفراغ فضلا عن أنه أصبح الآن ممتلئا بأصدقاء ما يحدث في القاهرة ، وفي معظم الأحيان فإنه كان يصل مشوها ومشوشا .

٦ - إلى جانب ذلك ، فقد كانت الجماهير في حالة فوران خلال قيام دولة الوحدة . ولم يكن كافيا أن تكون الاستجابة لهذا الفوران بعمليات البناء الاقتصادي أو التحول الاشتراكي وحدها . وكانت الجماهير في سوريا تعيش وتنام بالسياسة ، وفجأة ساد نوع من الملل والرتابة ، وعلى نحو ما فإن العنصر الوحيد الذي حافظ على حركة فورانه بين القطرين أصبح زعامة « جمال عبد الناصر » . ولم يكن ذلك كافيا لأنه ليس بمقدور رجل واحد أن يكون جسرا وحيدا يربط ما بين بؤرتي حركة طموحة على هذا النحو ، خصوصا إذا كان التاريخ يقرب والجغرافيا تباعد .



وبدأت المتاعب منذ وقت مبكر ، ولعلها بدأت في اليوم التالي لقيام الوحدة . فقد وضح أولا أن هناك خلافات كبيرة بين حزب البعث السوري ومجموعة الضباط المنتمين إليه ، وبين السيد « عبد الحميد السراج » وكتل من الضباط متشعبة له . ولم يكن « جمال عبد الناصر » الذي لا يعرف ما فيه الكفاية عن أوضاع سوريا الداخلية قادرا على ترجيح أحد الاتجاهين في الخلاف ، ووجد نفسه مضطرا إلى محاولة التوفيق بين اتجاهين متناقضين .

وزاد على ذلك أن كل بقايا القوى السياسية السورية كانت على خلاف مع حزب البعث ، كما أن الجيش السوري كان يحتوى على أكثر من كتلة غير كتلة البعث وكتلة « السراج » . وهكذا فإن الوضع الداخلى في سوريا بعد الوحدة كان في أعماقه يمثل هشاشة وضعه قبل الوحدة ، وكل ما زاد عليه هو قشرة صلبة خارجية يصنعها القبول العام لزعامة « عبد الناصر » وشخصيته القوية .

وفي هذا المناخ وجدت القوى المعادية لحركة الثورة العربية وللجمهورية العربية المتحدة فرصتها للعمل ، وهكذا جرت اتصالات ورتبت تحركات ، ودفعت أموال ، وجهزت خطط لتحسين جميعها فرصة الانقضاض ، عارفة أن تداعى الأمور سوف يعطيها في أى وقت فرصة ملائمة لضربة تأمل أن تكون قاضية .



وفي شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ أحس « جمال عبد الناصر » بشكل واضح أن التناقضات الداخلية السورية توشك أن تعكس نفسها على الأمن القومى للجمهورية العربية المتحدة . وتجلى ذلك بوضوح في أثناء مناقشة للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة لمشكلة قيام إسرائيل بتحويل مياه نهر الأردن .

كانت عملية قيام إسرائيل بتحويل مياه الأردن جارية منذ أوائل الخمسينات ، ومن قبل قيام دولة الوحدة بكثير . وكانت الولايات المتحدة في محاولاتها لتحقيق صلح بين العرب وإسرائيل على أساس التعاون على الأرض في المصالح المشتركة بين الأطراف في الشرق الأوسط ، قد اقترحت مشروعا لتقسيم مياه الأردن بين العرب وإسرائيل ، يذهب بين ما يذهب إليه إلى إقامة هيئة عليا مشتركة بين العرب وإسرائيل للتعاون في اقتسام مياه الأردن . ورفض العرب وبينهم مصر هذا المشروع الذى تقدم به « أريك جونسون » المبعوث الخاص للرئيس « إيزنهاور » . وعلى الفور بدأت إسرائيل في تنفيذ مشروعها الخاص للاستفادة من مياه الأردن . وكانت المشروعات الإسرائيلية لاستغلال مياه نهر الأردن قد أوشكت على الانتهاء قبل قيام الوحدة . ولم يكن باقيا من أعمالها إلا أجزاء قليلة تجرى كلها بقرب المنطقة المجردة من السلاح على الناحية الإسرائيلية من خطوط الهدنة .

وفي أثناء مناقشة المشكلة في اجتماع للحكومة المركزية يوم الثلاثاء أول ديسمبر ١٩٥٩ - بدأ عدد من أعضاء الوزارة من الطرف السوري يطالبون بمنع إسرائيل بالقوة المسلحة من تنفيذ المرحلة الأخيرة من تحويل مياه الأردن . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن الوقت الراهن ليس مناسباً للعمل العسكرى ، وأنه ربما كان الأجدى أن تسارع الجمهورية العربية المتحدة من الناحية العربية إلى إقامة

مشروعات على نهر الأردن تستفيد من مياهه قبل أن تصل هذه المياه إلى المشروعات الإسرائيلية . كان ذلك في رأيه يحقق هدفين في نفس الوقت : تجنب الهجوم المسلح على إسرائيل لوقف مشروعاتها ، وفي نفس الوقت إلغاء أى قيمة لهذه المشروعات لأن العرب سوف يحصلون على المياه قبل وصولها إلى الإسرائيليين . فإذا أرادت إسرائيل أن تبادر هي إلى الهجوم كان العرب أمام حرب دفاعية يستطيعون الصمود فيها ، ثم إن العالم كله سوف يرى وجهة نظرهم ويقف معهم إزاء عدوان واقع على أراضيهم بينما هم يمارسون حقهم المشروع في الدفاع عن النفس .

واحتدمت مناقشات ، وكان رأى السيد « أكرم الحوراني » : « أرى منع إسرائيل من تنفيذ مشروعاتها بالقوة . مع إثارة القضية في مجلس الأمن على أنها قضية تهدد الأمن والسلام في الشرق الأوسط . مع توضيح موقفنا أمام الرأى العام العربى »^(٢) . ورد عليه الرئيس « جمال عبد الناصر » بقوله : « إن المشروع الإسرائيلي الذى ينفذ اليوم يقع جنوب المنطقة المجردة داخل إسرائيل ، وهذا يحرمانا من المبرر القانونى للحرب ، فقد كنا دائما نقول إنه لا يحق لهم دخول المنطقة المجردة بمقتضى اتفاقية الهدنة » . ورد السيد « أكرم الحوراني » قائلا : « المبرر أن لنا حق في هذا النهر ، ولا يمكن أن تأخذ إسرائيل هذه المياه منفردة ، وتحرم الدول المعنية منها وهى لبنان وسوريا والأردن ، والعملية عبارة عن سرقة واغتصاب »^(٣) . وسأله « جمال عبد الناصر » : « وما هو تطور الحرب كما تتصور ؟ » ورد السيد « أكرم الحوراني » قائلا : « عندما نقف في وجههم ، فإن مجلس الأمن لن يسمح بقيام حرب في الشرق الأوسط فنعود إلى المفاوضات ونأخذ حقنا ولا نترك إسرائيل تغتصبه لأن هذه كارثة »^(٤) . وعلق « جمال عبد الناصر » بقوله : « قبل الكلام عن الحرب يجب أن نكون متأكدين أننا يمكن أن نكسب المعركة العسكرية ، إن الحرب كما نعلم جميعا هى استكمال السياسة بالطرق العسكرية ، ولكي ندخل الحرب يجب ألا ندخل حربا خاسرة . ولهذا فإنى اقترحت مشروعا عربيا لاستغلال مياه الأردن حتى نعطي أنفسنا الفرصة للاستعداد » .

وتدخل السيد « صلاح البيطار » في المناقشة ، فقال : « نستطيع أن نشير الموضوع الآن في الأمم المتحدة ، وعندما نقول إننا سنستخدم القوة ، فإننا لن

(٢) محضر الاجتماع الخامس عشر للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة المنعقد يوم الثلاثاء اول ديسمبر ١٩٥٩ - صفحة ١٩ .
(٣) المحضر السابق - صفحة ٢١ .
(٤) المحضر السابق - صفحة ٢٢ .

نستخدمها بالفعل ، ولكنها سبيل أن تتدخل الدول ويتحرك الرأي العام ، ولكن لا يجوز السكوت على هذا الوضع لأن إسرائيل ستخلق بين الحين والآخر مشاكل جديدة وسيكون موقفنا فيها ضعيفا . وأنا أرى أننا مضطرون لإحداث أزمة حتى يقف الرأي العام العالمى بجانبنا فى قضية فلسطين ، أما إذا انتظرنا لحين تنفيذ إسرائيل لمشروعاتها ، فسوف نعتبر بعد ذلك معتدين أمام العالم . ولن تقبل الدول قيام حالة من الحرب بيننا وبين إسرائيل قد تؤدي إلى حرب عالمية . ذلك لأن العالم كله يتجه فى الوقت الحاضر إلى مشروعات التنمية ، ولا يرغب فى إشعال نار الحرب» (٥) .

وفى الجلسة التالية للحكومة المركزية ، وقد عقدت يوم السبت ٥ ديسمبر ١٩٥٩ تقدمت لجنة فرعية شكلت لبحث الموضوع بتقرير تضمن اقتراحا « بالقيام بأعمال « شبه عسكرية » ، بمعنى أن نحول دون إتمام هذا المشروع بقدر المستطاع ، فنضعهم باستمرار تحت حالة من عدم الاستقرار بالنسبة للجزء الذى لم يتم تنفيذه بعد» (٦) . وتساءل « جمال عبد الناصر » فى بداية المناقشة قائلا : « ليست هناك عمليات بالقوة المسلحة يمكن تسميتها بعمليات شبه عسكرية ، لأن كل فعل سوف يقابله عمليات انتقام ، وتتصاعد العمليات وتتطور » . وقال السيد « أمين النفورى » (وزير المواصلات) : « يجب أن تشعر إسرائيل والدول التى تستخدم إسرائيل أننا مستعدون للقتال ، واعتقد أن لدينا من القوة ما يكفى للحيلولة دون أية مفاجآت ، أو أية عمليات انتقامية . يضاف إلى ذلك تسليح قطاع غزة واللاجئين ، ولا مانع من رفع قسم من قوة الطوارئ الدولية حتى تشعر إسرائيل بتصميمنا على القتال . واعتقد أنه بواسطة الاستعدادات الموجودة حاليا من الناحيتين العسكرية والمعنوية سيكون المجال واسعا أمام الجمهورية العربية فى وقفها أمام إسرائيل . فيجب أن نجعل إسرائيل فى موقف الدفاع ، ونشعرها بأننا مصممون على منع هذا التحويل بكل قوة ، ولا نخشى أية تطورات منها بل العكس يجب أن تكون طريقتنا عدم جعل إسرائيل تشعر بالاستقرار حتى نجعل بقية اليهود الموجودين فى أوروبا فى موضع شك من استقرار هذه الدولة . والأسلحة الحالية العسكرية والبشرية تمكنا من محاربة إسرائيل ، ومن هو وراء إسرائيل » . (٧)

وسأله « جمال عبد الناصر » : « من هم الذين تقصدهم بعبارة الذين وراء إسرائيل ؟ » ورد السيد « النفورى » : « أقصد إنجلترا وفرنسا » . وقال « جمال عبد الناصر » : « لا أظن أن إنجلترا سوف تجازف بالدخول ضدنا عسكرياً فى حرب

(٥) المحضر السابق - صفحة ٣٤ و ٣٥ .

(٦) محضر الاجتماع السادس عشر للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة المنعقد يوم ٥ ديسمبر ١٩٥٩ - صفحة ٧ .

(٧) المحضر السابق - صفحة ١١ .

مسلحة ، ولكن فرنسا يمكن أن تجازف بسبب تأييدنا للثورة الجزائرية » . ورد السيد « أمين النفورى » قائلاً : « إن فرنسا لا تستطيع أن تجازف ضدنا ومع إسرائيل بأكثر من تسعين طائرة . ولاشك أننا يمكن أن نقف ضد فرنسا أو غيرها من ناحية الطيران . ولا يمكن أن تصمد ٩٠ طائرة فرنسية أكثر من يومين » . ورد « جمال عبد الناصر » بقوله : « إننى لا أستطيع أن آخذ حسابات الطيران بهذه البساطة ، فالطيران سوف يلعب الدور الحاسم فى أى معركة مقبلة . إن من يملك التفوق الجوى يكون قد كسب المعركة تقريباً » .^(٨)

وطالت المناقشات فى موضوع العمل العسكرى ، وتدخل « جمال عبد الناصر » فى النهاية لحسم المناقشة ، وقال . « لابد أن أقول لكم رأى بكل صراحة ، ورأى أنه كلما تأخرت المعركة كلما كان ذلك أفضل لنا . لابد قبل المعركة أن تتوفر لدينا كفاية ذاتية من السلاح . ونحن الآن نصنع العربات المدرعة ، وقد بدأنا فى إنتاج محركات الدبابات . وبالنسبة للطائرات ، فإن أمامنا عدة سنوات لكى نستطيع إنتاج الطائرات المقاتلة بمحركات ، كذلك سنبدأ فى إنتاج المدافع المضادة للطائرات وغيرها . وهدفنا ألا يكون اعتمادنا على أحد فى اللحظة الحرجة . ولهذا فإننى اعتبره نوعاً من المغامرة أن نجعل إسرائيل اليوم تفرض علينا وقت المعركة ، هناك فارق أساسى بيننا وبين إسرائيل ولا بد أن تلاحظوه ، وهو أن إسرائيل تستطيع أن تتواطأ مع آخرين ، أما نحن فإذا انحزنا إلى دولة كبرى فقدنا استقلالنا . ولذلك فرأى النهائى ما يلى :

إذا قامت إسرائيل بأى عمل فى المنطقة المجردة من السلاح فعلياً إيقافها بالقوة . أما فى غير هذه الحالة ، فإن رأى هو أن نحرّمها من المياه بواسطة مشروعات عربية ، لكى نحفظ فى أيدينا بتوقيت المعركة لا يفرضه أحد علينا » .

والراجع أن هذا النوع من المناقشات على أعلى مستويات الدولة جعل « جمال عبد الناصر » يفكر ويطلق التفكير ، فقد أحس أنه يصدر عن منطق تسجيل المواقف ، ولا يصدر عن منطق التخطيط لمستقبل دولة أو أمة .



دارت هذه المناقشات كلها فى بداية شهر ديسمبر ، وفى يوم ٢٣ ديسمبر أى بعد ثلاثة أسابيع كانت الجمهورية العربية المتحدة تحتفل بعيد النصر فى بورسعيد . وسافر أعضاء الحكومة المركزية من المصريين والسوريين مع « جمال عبد الناصر »

(٨) المحصر السابق - صفحة ٢٥ .

بالقطار إلى بورسعيد لحضور الاحتفالات . وتناولوا طعام الإفطار معا أثناء الذهاب وتناولوا طعام العشاء معا في القطار أثناء العودة بعد الاحتفالات .

وفي اليوم التالي فوجيء « جمال عبد الناصر » بخطاب استقالة من السيد « مصطفى حمدون » الذي كان وزيرا للإصلاح الزراعي في الإقليم السوري ، وهو نفس الوقت من أبرز الضباط المنتمين إلى حزب البعث . ثم لم تمض إلا ساعات حتى كانت مفاجأة « عبد الناصر » أشد ، فقد تلقى استقالة من السيد « صلاح البيطار » تلتها استقالة من السيد « أكرم الحوراني » . والغريب أنه في هذه الاستقالات ، وإد الاتصالات التي أعقبتها بما فيها لقاءات بين « جمال عبد الناصر » وبين الثلاثة لم يرد ذكر مباشر ، أو غير مباشر لقضية الحرب ، وإنما كانت الأسباب متصلة بقضايا أخرى .

كان المشير « عبد الحكيم عامر » وقتها في دمشق ، وقد أراد « جمال عبد الناصر » أن يحيطه علما بما يجري في القاهرة . وكتب إليه بخط يده في هذه الفترة خمس رسائل مطولة ترسم بطريقة دقيقة وكاملة وقائع تلك الأيام ورؤية « جمال عبد الناصر » وآراءه فيها^(٩) . والواقع أن صفحاتها جميعا صورة حية وناطقة بمشاكل دولة الوحدة ، وتعميقاتها من البداية إلى النهاية .

● كانت أولها رسالة بتاريخ السبت ٢٦ ديسمبر (١٩٥٩) وقد استغرقت ثمانية صفحات من أوراق مكتب الرئيس ، وقد شرح فيها تفاصيل لقاء بينه ، وبين وزير الإصلاح الزراعي في سوريا (بعثي) وهو السيد « مصطفى حمدون » .

● وكانت الرسالة الثانية بتاريخ الأحد ٢٧ ديسمبر (١٩٥٩) وقد تضمنت تفاصيل لقاء « جمال عبد الناصر » بالسيد « أحمد قنوت » وهو أيضا ضابط سابق من أعضاء حزب البعث .

(٩) تعتبر هذه المجموعة من الخطابات المكتوبة بخط يد « جمال عبد الناصر » من أهم وثائق تلك المرحلة . وقد اتاحت لي الفرصة للحصول على صور منها في أثناء مناقشة مع المشير « عبد الحكيم عامر » في بيته في شهر أغسطس سنة ١٩٦٧ . وكنت قد وجدت نفسي على غير إرادة مني وسيطا في العلاقات المتأزمة بينه ، وبين « جمال عبد الناصر » في ذلك الوقت . وكنت في أثناء نقاش ساخن بيننا قد اثرت تصرفاته في سوريا سنة ١٩٦١ وأراد أن يستشهد على بعض ما اثرت من نقط ، فصعد إلى الدور الأعلى من بيته ، وعاد بمجموعة من الخطابات التي كتبها له « جمال عبد الناصر » بخط يده وأرسلها له في دمشق . واستأذنته في تصويرها ، وأذن - لكنه اشترط أن لا تخرج من بيته ، وأن يتم تصويرها داخله ، وهكذا دعوت بالتليفون مصورا من « الأهرام » قام بالتقاط صور لمجموعة الرسائل كاملة . وفي الملحق الوثائقي لهذا الكتاب وتحت أرقام ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ صفحات ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ . مقتطفات مصورة بخط « جمال عبد الناصر » للأجزاء التي تتصل بالسياق في هذا الفصل من الكتاب ، وهي منشورة في النص وفي الوثائق كما هي ، وبأية أخطأ لغوية أو إملائية وردت فيها .

- وكانت الرسالة الثالثة بتاريخ الاثنين ٢٨ ديسمبر (١٩٥٩) وقد استغرقت ثلاثاً وعشرين صفحة ، وحت صورة مفصلة للقاء بين « جمال عبد الناصر » والأستاذ « صلاح الدين البيطار » والسيد « أكرم الحوراني » (وهى رسالة حافلة بالتفاصيل والتعليقات الحية والنايضة) .
- وكانت الرسالة الرابعة بتاريخ الأربعاء ٣٠ ديسمبر (١٩٥٩) وقد استغرقت تسع صفحات ، وقد جعلها « جمال عبد الناصر » خلاصة لمقابلاته مع « أكرم الحوراني » و « صلاح البيطار » و « مصطفى حمدون » و « أحمد قنوت » ، وكذلك الانطباعات التى خرج بها .
- وأما الرسالة الخامسة ، وقد جاءت بتاريخ ٥ يناير (١٩٦٠) واستغرقت عشر صفحات ، فقد جاءت على حد تعبير « جمال عبد الناصر » . « تكملة مختصرة للصورة التى شرحتها لك فى رسائل السابقة » .



خرج حزب البعث السورى من حكومة الوحدة ، وبعد شهور تحول فى دمشق إلى حزب معارض ، وبطبيعة الأشياء وجد نفسه طرفاً فى جبهة متسعة تضم بقايا النظام السابق على الوحدة بما فيهم الأطراف الذين عارضوا قيامها أصلاً ، وبينهم الشيوعيون .

وظلت هذه الجبهة المعارضة تتسع حتى انضمت إليها أقوى الجماعات فى الطبقة المتوسطة خصوصاً بين التجار - على أثر صدور قرارات يوليو الاشتراكية التى شملت بين ما شملت تأميم الشركة الخماسية ، وكانت أكبر تجمع مالى سورى !

وأعيد تنظيم الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة ، وبرز على القمة رجلاً أصبح كلاهما نائباً لرئيس الجمهورية ، كان أحدهما هو المهندس « نور الدين كحالة » نائب رئيس الجمهورية لشؤون الإنتاج ، وكان الثانى هو السيد « عبد الحميد السراج » الذى أصبح نائباً لرئيس الجمهورية للشؤون الداخلية .

ولم يكن هناك مجال للمقارنة بين قوة كل من الرجلين ، فالأول - « نور الدين كحالة » فنى يعمل بأجهزته ، وكانت مسؤوليته الأولى فى ذلك الوقت تنفيذ مشروع سد الفرات ، أما نائب رئيس الجمهورية الآخر ، فقد كان سياسياً من رأسه إلى أخمص القدم ، وكان يجمع مفتاحين من المفاتيح الحاكمة فى العمل السياسى ، وهما التنظيم الشعبى الممثل فى الاتحاد القومى فى ذلك الوقت ، وجهاز الأمن الممثل فى المباحث والمكتب الثانى .

وساد في دمشق إحساس عام بأن « عبد الحميد السراج » أصبح واقعا وعملا حاكم سوريا ، ولعل « جمال عبد الناصر » أراد أن يتدارك هذا الوضع فطلب إلى المشير « عبد الحكيم عامر » أن يكون ممثلا له في سوريا .

كان مزاج كل من الرجلين اللذين قدر لهما أن يوجدوا على القمة في دمشق تلك الأيام متوتراً إلى أقصى درجة بحكم طبيعة وظروف كل منهما .

فـ « عبد الحكيم عامر » الذي كان نصف مكسور ونصف منكسر في القاهرة بعد أزمتته في السويس وجد في دمشق أجواء أخرى تتعامل معه وكأنه « نائب الملك » في دمشق ، ومن سوء الحظ أنه راح يتصرف على هذا الأساس ، فإذا بمحيطه في دمشق يتحول إلى شبه بلاط تزدحم فيه شبه حاشية ، وفي مثل هذه الأجواء فإن المقاييس تتزهل والقيم تنفك يوما بعد يوم ، وكان البعد عن مركز السلطة في القاهرة يشجع من حيث أنه يدارى - فما يصل إلى المركز يصبح مجرا أصداء يسهل الرد عليها بإرجاعها إلى الدس أو الافتراء (وكانت تلك كله أوضاعا تداعت عنها فيما بعد عواقب سوف يبدو أثرها على مجرى الحوادث) .

ومن ناحية أخرى فإن « عبد الحميد السراج » الذي كان قد تخلص من ضغوط حزب البعث التي ركزت عليه(*) لم يكن راغبا في أن يجد نفسه تحت رقابة « عبد الحكيم عامر » ، خصوصا وأن « السراج » كان في وضع يسمح له برؤية تصرفات « عامر » عن قرب . بل لعل ما كان يراه شجعه أكثر بدعوى الأمن على تشديد قبضة الأجهزة البوليسية على أهم المواقع في دمشق . ولما كان التنظيم النقابي ، والتنظيم السياسي (الاتحاد الاشتراكي) كلاهما بقرب اختصاص « السراج » فإن التداخل بين مقتضيات الأمن ومجالات العمل السياسي خلق حالة من التشابك زادت وطأتها .

وعلى أي حال فقد وقع - وكان لابد أن يقع - تناقض بين الرجلين ، خصوصا وأن ضباط مكتب المشير كانوا جميعا ممن يعتبرهم « السراج » أعداء

* كان « عبد الحميد السراج » على اقتناع كامل بأن حزب البعث السوري يريد الانفراد بالسلطة في دمشق ، وقد عجز عن الوصول إليها قبل الوحدة لأن القوى الرجعية التقليدية في سوريا اثبتت أنها أقوى منه . ولكن الجيش السوري تصدى للرجعية التقليدية وحال دون استيلائها على السلطة . ثم جاء « جمال عبد الناصر » وقاد الجيش بتسليم السلطة إليه بعد الوحدة . والآن في ظل الدولة الموحدة ، فإن البعث السوري راح يحاول أن يتسلم السلطة في سوريا بإذن « جمال عبد الناصر » ورضاه . وكانت تصرفات « عبد الحميد السراج » تصدر عن هذا الاقتناع ، ونتيجة لذلك اشتعل الخلاف بينه وبين حزب البعث السوري ، وتحول إلى معركة قصف شديد : « عبد الحميد السراج » يتحدث عن مؤامرات ومخططات ، وحزب البعث السوري يتحدث عن الدولة البوليسية لـ « عبد الحميد السراج » . وفي الفترة التالية مباشرة لقيام الوحدة كان « جمال عبد الناصر » حائرا بين هذه التيارات المتضاربة ، خصوصا وأنه كان يرى أن أصحابها ساهموا بنصيب في إقامة دولة الوحدة .

له ، وبالفعل فإن بعضهم أصبح ينظر إلى « السراج » ويتعامل معه باعتباره « العدو » . ومن جانبه ، فإن « عبد الحميد السراج » جعل المسائل أكثر صعوبة ، فقد راح بتصرفاته كل يوم يؤكد أنه « القوة الحقيقية » في سوريا . ووصلت الأمور بين الرجلين إلى حالة مهينة ليس لكرامة كليهما فقط ، ولكن للدولة التي يمكن أن تحسب عليها في النهاية تصرفاتهما معا .

ووصلت الأمور إلى نقطة الخطر في أوائل سبتمبر ١٩٦١ فقد بدأ « عبد الحكيم عامر » يقول إن رجال « عبد الحميد السراج » في الداخلية ، وفي الاتحاد القومي يهاجمونه علنا ، ثم هدد « عبد الحميد السراج » بالاستقالة حين أصدر المشير أمرا بنقل عدد من ضباطه إلى القاهرة ، وأضاف إلى تهديده بالاستقالة عبارة سرى رنينها في محافل دمشق ، فقد قال « إنه يستطيع إخراج « عبد الحكيم عامر » من دمشق مضروبا بـ « البنادورة » (الطماطم) ! »

وكان هناك آخرون يرون تدهور الأحوال بين الرجلين ، ويرتبون للنفاذ من الثغرة التي راحت تتسع بينهما كل يوم ، وكان هناك من يدفع المؤامرة ، ويدفع لها من الخارج ، وأصبح واضحا أن شيئا ما يمكن أن يحدث في دمشق .

وللإنصاف ، فإن « عبد الحميد السراج » أعد ذات يوم قائمة بأسماء ضباط يعتقد أنهم متورطون في الترتيب لانقلاب ، وكانت المشكلة أن عددا كبيرا من هؤلاء الضباط كانوا من أقرب أعوان المشير « عامر » ومن هيئة مكتبه ، وكان الرد السهل على هذه القائمة هو أنها محاولة للدس من جانب « عبد الحميد السراج » لا تستحق الالتفات ، فهو يريد أن يتخلص من خصومه بضربة واحدة .

ووصل « عبد الحميد السراج » إلى حد أن قال صراحة إنه إما أن يكون هو في دمشق ، أو يكون المشير « عامر » ، ثم أتبع ذلك ببرقية منه إلى « جمال عبد الناصر » صباح يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٦١ نصها بالحرف : « إنك سلمتني إلى من أهانني ، فأرجو إعفائي .

إمضاء : عبد الحميد السراج »

وطارت من القاهرة برقية تستدعي « عبد الحميد السراج » إلى مقابلة الرئيس . وجاء « عبد الحميد السراج » إلى القاهرة ، والتقى مع الرئيس « جمال عبد الناصر » لثلاث ساعات ، ولكن الكراهية المتبادلة بين « عبد الحميد السراج » و « عبد الحكيم عامر » غلبت كل شيء ، فقد صمم « عبد الحميد السراج » على أنه لم يعد هناك مجال للتعاون بينه وبين المشير ، وفي نفس

الوقت فإن « عبد الحكيم عامر » من دمشق كان يلح على قبول استقالة « السراج » ويؤكد أن الناس بعد خروجه سوف يتنفسون الصعداء ، فقد ضجوا جميعا من أسلوب التسلط والقمع الذى كان يمارسه .

كانت مؤامرة الانقلاب على وشك أن تطبق على دمشق وتمسك بها ، وكان الرجلان المسؤولان عن حمايتها فى شغل بصراع بينهما على من تكون له القوة ، ومن ينفرد بالنفوذ ؟ !

كانت المؤامرة تحت الإعداد والتخطيط منذ شهور ، وكانت ملايين الدولارات ترصد وتدفع ، وكانت الاتصالات والتحركات لتنفيذها قائمة ، ومع ذلك فإن الذين تعهدوا بها كانوا يخشون الإقدام والبدء بالخطوة التى لا رجوع بعدها . وعندما انفجر الخلاف بين « عبد الحكيم عامر » وبين « عبد الحميد السراج » انتهت الخشية وزالت كل أسبابها ، واندفعت المدرعات والدبابات إلى دمشق تتوجه لاحتلال مبنى القيادة العامة ، ومحطة الإذاعة والتليفزيون ، وإدارة البرق والبريد . كل المواقع التقليدية التى يبادر انقلاب عسكرى إلى احتلالها من الساعة الأولى حتى يحكم قبضته ، ويمكن لسيطرته !



دخل « جمال عبد الناصر » إلى مبنى الإذاعة المصرية ، وكان وقتها فى شارع الشريفيين بوسط القاهرة ، وتحول مكتب مدير الإذاعة إلى مقر قيادة مؤقت له . وكانت الساعة السابعة والنصف صباحا . وهناك كانت خطوط اتصالاته ثلاثة : الإذاعة مباشرة ، وأجهزتها الموجهة لالتقاط كل كلمة على الهواء فى المنطقة ، وأولها دمشق – ثم القيادة العامة للقوات المسلحة التى كانت لا تزال على اتصال مباشر بمبنى القيادة العامة فى دمشق – ثم مكتب الرئيس للمعلومات ، وكانت أجهزة المخابرات ووزارة الخارجية على اتصال دائم به . وعلم « جمال عبد الناصر » فور دخوله إلى المكتب الذى أصبح مقرا مؤقتا للقيادة بأن اتصالا تم إجراؤه بين القيادة العامة فى القاهرة ، والقيادة العامة فى دمشق . وطلب أن يحاولوا توصيله بالمشير « عبد الحكيم عامر »

بنفسه . وفى انتظار أن يتم الاتصال راح يقرأ نصوص البلاغات التى صدرت عن قيادة الانقلاب . والمؤكد أن أسئلة معينة كانت تلح على خواطره ، وربما كان أولها سؤال راح يحاول بشدة أن يطرده من فكره وهو « هل ما حدث فى دمشق من صنع عبد الحميد السراج ؟ وأن أسلوب الانقلاب كان رد السراج النهائى على خلافه مع عبد الحكيم عامر ؟ » وكان ورود هذا السؤال على خاطره يصيبه بألم شديد ، فقد كان رأيه فى « السراج » دائما أنه شاب وطنى أدى دوره فى إطار ظروفه ومن موقعه . ومع أنه كان يعرف حجم ومواقع النقد الذى كان يوجه إلى « عبد الحميد السراج » فقد كان يستهول أن يقوم « عبد الحميد السراج » بالمشاركة فى ضرب الوحدة التى شارك فى تحقيقها بصرف النظر عن أية مشاعر شخصية !

وبدأت بلاغات الانقلاب ترد إليه ، وراح يقرأ البلاغ رقم (١) بتدقيق واهتمام . كان نص البلاغ رقم (١) كما يلى :

« فى صباح هذا اليوم قام جيشكم الذى كان دائما ، وسيبقى دعامة وطنية راسخة . قام للحفاظ على أرض الوطن وسلامته وحريته وكرامته ، قام لإزالة الفساد والطغيان ورد الحقوق الشرعية للشعب ، وإننا نعلن أن هذه الانتفاضة الوطنية لا صلة لها بشخص أو بفتنة معينة ، وإنما هى حركة هدفها تصحيح الأوضاع الغير شرعية . فيا أيها الشعب العربى ثق بجيشك ، فإننا أقوياء بعون الله . وإننا قد طرقتنا كل باب للإصلاح قبل أن نتفجر ولم نجد وسيلة للتحرر من المستغلين واتباع طريق الحرية إلا القوة ، لكى تعود للشعب حريته وللجيش كرامته .

القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة «

ولاحظ « جمال عبد الناصر » أن البيان رقم (٢) حوى هجوما على القرارات الاشتراكية ، فجاء فيه بالنص :

« لقد صدرت قرارات سميت ثورية ، والثورة منها براء . قرارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب . كل ذلك ليخدعوا الكادحين من أبناء هذه الأمة وخاصة العمال والفلاحين » .



وقبل الساعة الثامنة بقليل استطاعت أجهزة الإذاعة مع أجهزة القوات المسلحة توصيل خط بين « جمال عبد الناصر » وبين « عبد الحكيم عامر » . وقد روى « عبد الحكيم عامر » أنه كان فى بيته ، ثم انتقل مع بعض ضباطه إلى القيادة العامة

حينما سمع بالأنباء الأولى عن تحركات قوات الانقلاب من معسكر « قطنة » . وبدأ أن « عبد الحكيم عامر » مرتبك في روايته لتطورات الحوادث بعد ذلك . وكان جل جهده أن يحاول إظهار أن الموقف « تحت السيطرة » . ولم يرتح « جمال عبد الناصر » لهذه العبارة ، « فالموقف لم يكن في رأيه تحت السيطرة إذا كانت إذاعة دمشق في يد الانقلابيين يذيعون منها بلاغاتهم واحدا بعد الآخر » . ولم يشأ « جمال عبد الناصر » أن يفقد أعصابه في هذه اللحظات الحرجة ، فسأل « عبد الحكيم عامر » عن الموجودين حوله من الضباط ؟ وحين عرف أن بينهم السيد « طعمة العودة الله » - طلب أن يتحدث إليه . ومنه بدأ « جمال عبد الناصر » يتلقى إجابات شبه محددة عن أسئلة محددة كان يريد أن يعرف إجاباتها .

١ - عرف أن الحركة الانقلابية جرت بزعامة مجموعة من الضباط الشوام (الدمشقيين) ، والظاهرون منهم حتى الآن هم : « عبد الكريم النحلاوي » ، و « عبد الغنى دهمان » ، و « موفق عصاصة » .

٢ - أن التحركات العسكرية الأساسية قامت بها قوات حرس البادية بقيادة « حيدر الكزبري » .

٣ - وأن « عبد الحميد السراج » لا دخل له بمحاولة الانقلاب .

٤ - وأن هناك انقساماً بين مجموعات الضباط في القيادة ، فبعضهم يخشى أن ينفلت زمام الأمور بأبعد مما قصدوا إليه .

٥ - وأن المشير « عبد الحكيم عامر » رغم أنه محاصر في مقر القيادة - يحاول الوصول إلى حل وسط بين مجموعات الضباط المختلفين .

وبعدها بدأت مصادر المعلومات تصب لتعطي صورة أكثر وضوحاً ، وأدق تفصيلاً .

وبنظرة واحدة على أسماء الضباط المشتركين في المحاولة عرف « جمال عبد الناصر » أن كثيرين بينهم هم في الواقع من أفراد مكتب المشير « عامر » ، وأن الاسم الظاهر والمتكرر باعتباره العقل المدبر للانقلاب ، وهو المقدم « عبد الكريم النحلاوي » كان منتدباً من عمله الأصلي كنائب لكاتم أسرار الجيش الأول - ليعمل كمدير لمكتب « عبد الحكيم عامر » . وهكذا فإن المؤامرة دبّرت ورسمت خطوطها ، وأعدت فرص نجاحها بما في ذلك تنقلات الضباط بين المواقع الحساسة - من داخل مكتب المشير وباسمه وبسلطته .



وتكررت اتصالات « جمال عبد الناصر » بـ « عبد الحكيم عامر » فقد تم اتصال بين الاثنين في الساعة العاشرة والنصف صباحا ، ثم في الساعة الواحدة بعد الظهر ، ثم في الساعة الرابعة إلا ربعا بعد الظهر . ولم يكن « جمال عبد الناصر » راضيا عن الطريقة التى تسير بها الأمور ، خصوصا عندما علم بتفاصيل الحل الوسط الذى توصل إليه « عبد الحكيم عامر » مع مجموعات الضباط التى توافدت على القيادة العامة للقوات المسلحة ، والتى صدر على أثرها بلاغ عن قيادة الانقلاب يحمل رقم (٩) جاء فيه بالنص :

« أيها الإخوة المواطنون »

إن القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة التى دفعها الشعور بالخوف على وحدة الصف العربى ، وحماسها للقومية العربية وتأييدها ودفاعها عن مقوماتها ، تعلن للشعب العربى الكريم أنها لا تنوى المس بما أحرزته القومية العربية من انتصارات ، وتعلن أنها لمست عناصر مخربة انتهازية تمد يد الإساءة إلى قوميتنا ، فقامت بحركتها المباركة تلبية لرغبة الشعب العربى وآماله وأهدافه . وأنها عرضت قضايا الجيش وأهدافه على سيادة المشير « عبد الحكيم عامر » نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة الذى تفهم أمور الجيش على حقيقتها ، واتخذ الإجراءات المناسبة لحلها لصالح وحدة وقوة الجمهورية العربية المتحدة . وقد عادت الأمور إلى مجراها الطبيعى اعتمادا على ثققتها بحكمة القائد العام للقوات المسلحة ، وقائد الجيش الأول اللذين يحققان أهداف القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة . »

وتبين أن الحل الوسط الذى صدر على أساسه هذا البيان يتضمن مجموعة من الشروط بينها : أن تكون قيادة الجيش الأول من الضباط السوريين وحدهم - ترحيل الضباط المصريين إلى مصر ، وإعادة الضباط السوريين من القاهرة إلى سوريا - إلغاء بعض القرارات الاشتراكية - إذاعة بلاغ من قيادة الانقلاب يعلن إنهاء العصيان المسلح - صدور بيان من « عبد الحكيم عامر » بموافقته على ذلك - سحب قوات الانقلاب التى تطوق مبنى القيادة - القيام بعرض عسكري فى اليوم التالى تشترك فيه كافة وحدات الجيش للتدليل على أن الأمور عادت إلى طبيعتها .



ولم يكن « جمال عبد الناصر » مستعدا لقبول كل هذه الحلول الوسط ، فقد كان رآيه أن الوحدة لا يمكن أن تعيش على المساومات ، فقد قامت على

مبادئ ، وإذا اعتمدت على المساومات لكي تعيش فإن الذي يتبقى ليس وحدة ، وإنما الذي يتبقى سوف يكون نصف دولة مشلولة وعاجزة كما كان الحال في سوريا قبل الوحدة . وقال رأييه بصراحة لـ « عبد الحكيم عامر » في آخر محادثة بينهما ، ثم عزز ذلك برسالة مكتوبة إليه يحدد فيها خطوط موقفه ، ويطلب استسلاما كاملا لقوات التمرد ، ومحاكمة المسؤولين عنهم . وجاء في هذه الرسالة ما يلي :

- ١ - إذا أصبحت المبادئ موضوع مساومة فقدت كل قداسة فيها - خصوصا عندما تجرى المساومة في ظل التمرد وتحت تهديد السلاح .
- ٢ - لا يمكن أن أقبل بتدخل الجيش في السياسة ، وكان هذا شرطا من شروطى الرئيسية لقبول الوحدة .
- ٣ - إن الأمة لم تتأخر عن تقديم أية توضيحات طلبت منها لكي يستطيع الجيش أن يؤدي واجبه .
- ٤ - لا أظن أن الأمة ، أو أن التاريخ يمكن أن يتسامح معي إذا قبلت اليوم مساومة تحفظ شكل النظام وإن كانت تسيء إلى جوهري .
- ٥ - إن عناصر التمرد تصرفت في هذا اليوم ، كما كانت تتصرف مع « شكرى القوتلى » ولا يمكن من أجل هيبة الدولة أن أقبل بهذا الحل الوسط .

ثم أذاع « جمال عبد الناصر » بالفعل على الأمة خطابا مرتجلا تضمن الخطوط الرئيسية لما بعث به لـ « عبد الحكيم عامر » حتى يعرف ضباط الانقلاب بموقفه مباشرة منه - فقد خشي في جو المساومات السائد في القيادة أن تنقل وجهة نظره على غير معناها الصحيح .

وعلى أى حال ، فقد كان الجو المحيط بالقيادة هو الآخر لا يسمح بالحل الوسط رغم كل الأوهام الحائرة داخلها ، ذلك لأن مجموعات الضباط الذين قاموا بالتحركات ، والذين كانوا ضالعين في التآمر مع قوى خارجية ، وجدوا أن أى حل وسط بعد بدء العملية فعلا يمكن أن تكون له عواقب خطيرة بالنسبة لهم ، وكان من بين هؤلاء العقيد « حيدر الكزبرى » قائد لواء البادية الذى بعث إلى القيادة ببرقية يطلب فيها لزملائه من المتمردين أن يسحبوا البلاغ رقم (٩) - (الحل الوسط) - وإلا فإنه سوف يهدم مبنى القيادة على رؤوسهم بمدفعه .



كان من الواضح أن هناك انقساماً في الجيش السوري ، ولم يكن مظهره هو ذلك الجو المفعم بالحيرة في مبنى القيادة العامة ، وإنما عبر الانقسام عن نفسه بطريقة أوضح عندما بدأت إذاعة حلب تذيع بيانات معارضة لإنقلاب دمشق ، وتعلن أن قواتها سوف تزحف على العاصمة لتطهيرها من المتمردين ، وللمحافظة على الوحدة . ثم أعلنت قيادة هذه القوات في اللاذقية أنها تطلب مدداً من الجمهورية العربية المتحدة لتقوم بـ « واجبها المقدس » .

وقرر « جمال عبد الناصر » تعزيز قوات اللاذقية ، وكان يشعر أن مسؤوليته تفرض عليه المحافظة على وحدة الجمهورية إلى آخر جهده . وصدر الأمر لوحدات من قوات الصاعقة بالنزول بالمظلات في اللاذقية . وبدأت مقدمات عمليات الإنزال فعلاً ، ثم حدث بعد ذلك أن إذاعة حلب توقفت ، وتبين أن قيادة المؤامرة كانت قد رتبت أمورها وواجهت قوات المظليين المصريين بكماثن تعترض طريقها ، ووجد « جمال عبد الناصر » نفسه في مواجهة موقف بالغ الصعوبة ، خصوصاً وأن قوات إضافية تحملها قطع الأسطول كانت على وشك الإبحار فعلاً من بورسعيد والاسكندرية في طريقها إلى اللاذقية لتعزيز الموقف هناك .

وكان ذلك ينطوى على احتمالين كلاهما مر :

□ أولهما - أن قتالاً دمويًا سيجري بين المصريين والسوريين - وهذا محذور يتحتم تجنبه .

□ والثاني - أنه على فرض نجاح العمليات العسكرية ، فإن دولة الوحدة بعد هذه العمليات سوف تجد نفسها محاطة بالدم ومعتمدة على قوة السلاح - وهذا بدوره مستقبل لا خير فيه .

وفي المساء ، وقبل أن يغادر « جمال عبد الناصر » مبنى الإذاعة عائداً إلى بيته^(١٠) أصدر قراراتين :

(١٠) لم يستطع « جمال عبد الناصر » ليلتها أن ينام ، فقد أرقته خواطره رغم أنه كان يملك خاصية غريبة ، وهي قدرته على النوم إذا أوى إلى فراشه ، وفي تلك الليلة دخل إلى فراشه ، وذهبت به أفكاره إلى كل اتجاه وناحية . وبعد نصف ساعة دق جرس التليفون السري في غرفة نومه ، وإذا عاملة تليفون تقول له إن هناك مكالمة له من « مغارة » ورد عليها بهدوء قائلاً . « النمرة غلط » ووضع السماعة . وبعد قليل دق جرس التليفون بجواره ، وكانت نفس العاملة تكرر له القول بأن هناك مكالمة له من « مغارة » وعاد فكرر قوله لها . « النمرة غلط » ، وسألته بجدّة عن نمرة تليفونه ، ورد بأنه لا يعرفها ، وراحت تلوم رجلاً لا يعرف رقم تليفونه . ولم يكن في الحقيقة يذكره لأنه لم يكن يطلب نفسه فيه ، وراحت عاملة التليفون تلاحقه . ورفع تليفوناً آخر وطلب توصيله بالدكتور « مصطفى خليل » وزير المواصلات وقتها ، ودهش وزير المواصلات وهو يسمع رئيس الجمهورية قرب الفجر يتصل به ، ويقول « مصطفى أريد مساعدتك ، فهناك عاملة تليفون عندكم مصممة فيما يبدو على مطاردتي لأن أحداً يطلبني من مغارة » وتصرف الدكتور « مصطفى خليل » على الفور . وأمكن معرفة عاملة التليفون ، وصعقت السيدة المسكينة حينما علمت أن ذلك الذي كانت تزعجه طوال تلك الليلة العاصفة كان هو « جمال عبد الناصر » !!

□ الأول - يقضى بعودة « عبد الحكيم عامر » على الفور إلى القاهرة إذا كان ذلك في مقدوره عمليا .

□ والثاني - إنهاء كافة العمليات العسكرية ، ووقف تعزيز قوات المظلات ، وإلغاء تحركات الأسطول المصرى فى اتجاه اللاذقية ، سواء ما بدأ منها فعلا ، أو ما هو موشك على البدء .

وفى تلك اللحظات كان الانقلاب الجديد يتلقى أول اعترافات رسمية به يتقدمها اعتراف من الأردن ، يليه اعتراف من الاتحاد السوفيتى ! وكانت بقية الاعترافات تعد على عجل .



وهكذا قام حكم الانفصال فى دمشق ، وتشكلت حكومة برئاسة السيد « مأمون الكزبرى » الذى كان من قبل ضالعا فى المؤامرات الأمريكية للانقلاب فى سوريا كما أثبتت المحاكمات والوثائق فى قضية « الدندشى » ، كما أعلن عن تعيين اللواء « عبد الكريم زهر الدين » قائدا عاما للقوات السورية المسلحة . وعاد منطق الانقلاب يفرض نفسه على التصرفات كما كان يحدث فى سوريا قبل الوحدة . وراح عدد من الساسة يتسابقون إلى تأييد الضباط المتمردين ، وربما كان بعضهم لم يعلم بعد بخفايا الدوافع التى حركت تمردهم . ولم يستغرب أحد فى القاهرة عودة هذا المنطق إلى فرض نفسه . وإن كان كثيرون توقفوا بدهشة أمام ما أذيع من راديو دمشق يوم ١٠ أكتوبر ١٩٦١ ، فقد أعلن أن السيد « مأمون الكزبرى » تلقى مكاملة تليفونية من الرئيس « شكرى القوتلى » « الموجود حاليا تحت العلاج فى المستشفى فى زيورخ » وقد أبدى « شكرى القوتلى » اغتباطه « لوثة الجيش المظفرة » كما أنه حمل « الكزبرى » تحياته وتمنياته إلى رجال الثورة الأشاوس ، وإلى السادة الوزراء ، وإلى أبناء الشعب جميعا . كذلك نوقف كثيرون فى القاهرة أمام بيان بتأييد الانقلاب صدر يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١ وكان يحمل توقعيات عدد من السياسيين بينهم « أكرم الحورانى » و« صلاح البيطار » .

وأعلن عن النية فى إجراء انتخابات عامة فى سوريا ، وعادت إلى الظهور على الساحة كل الوجوه القديمة التى كانت معروضة فى السوق السياسية قبل الوحدة . ولم تستطع هذه المظاهر كلها أن تقنع أحدا بوجود استقرار فى سوريا ، فقد كانت كل الشواهد تكشف أن النار تحت الرماد ، وأن هناك قوى كثيرة تحاول جمع صفوفها بعد صدمة الانفصال لى تتمكن من مقاومته ، وأن الأمور فى سوريا سائرة إلى انقسام خطير يمكن أن يهددها بالحرب الأهلية ، خصوصا وقد بدأ يتضح يوما بعد

يوم ما كان خافيا من شخصيات قادة الانقلاب ، وما كان مستورا من اتصالاتهم وعلاقاتهم .

وفي يوم ٥ أكتوبر حدد « جمال عبد الناصر » موقفه في خطاب رسمي حدد فيه عدة نقاط أهمها :

١ - إنه رفض الوسائل العسكرية كطريق إلى تدعيم الوحدة ، وإنه بنفس القوة يرفض أن تكون الحرب الأهلية طريقا لاستعادتها .

٢ - إن العدو الرئيسي للأمة العربية هو الاستعمار وإسرائيل ، وبالتالي فهولن يدخل في معارك جانبية .

٣ - إنه ليس من المحتم أن تبقى سوريا جزءا من الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن من المحتم أن تبقى سوريا .

٤ - إنه إزاء كل ما يذاع من إذاعة دمشق افتراء على عهد الوحدة ، فإنه على استعداد لقبول لجنة تحقيق من الجامعة العربية تتقصى الحقائق ، وتعلنها للأمة .

كان أول عمل لحكومة الانقلاب هو إعلان عزمها على إلغاء القرارات الاشتراكية ، وفصل مئات من المسؤولين وكبار الموظفين الذين شاركوا في رسم ، وتنفيذ السياسات التي طبقت في عهد الوحدة . وفي أقل من شهر واحد وصل عدد المعتقلين في سوريا إلى أكثر من خمسة آلاف معتقل .

وقبل أقل من شهرين بعد الانقلاب سقطت وزارة « مأمون الكزبري » وتألّفت وزارة برئاسة السيد « عزت النص » . وعندما أجريت انتخابات المجلس النيابي يوم أول ديسمبر كانت الدعوة لمقاطعتها عامة وشاملة ، ونقلت وكالات الأنباء العالمية صورا حية عن عملية تزوير الانتخابات كرد على دعوة المقاطعة . وفي يوم ١٣ ديسمبر أعلن عن إعفاء ٧٢ ضابطا من الجيش السوري . وفي يوم ١٤ ديسمبر أعلن عن انتخاب السيد « ناظم القدسي » - وهو من الساسة السوريين القدامى الذين كانوا محسوبين على « نوري السعيد » - رئيسا جديدا للجمهورية في سوريا . وتشكلت وزارة جديدة للمرة الثالثة خلال ثلاثة شهور ، وكانت برئاسة السيد « معروف الدواليبي » !



كان حكم الانفصال فترة من أعجب فترات التاريخ السوري وأشدّها غرابة . ولعل أهم شهادة على ما كان يجرى في داخله هي شهادة الرجل الذي عينه الانقلابيون قائداً للجيش السوري بعد انكسار الوحدة . ومن حسن الحظ أن اللواء « زهر الدين » كتب اعترافاته كاملة في كتاب نشره - كما قال فيما بعد - لتبرئة ذمته ، وحتى يخفف عن ضميره أثقال مما يتحمل به ، ويدفع عن نفسه اتهامات ظلت تلاحقه طوال حياته .

● قال اللواء « عبد الكريم زهر الدين » :^(١١)

« أتانا المقدم عبد الكريم النحلاوي في أحد الأيام حاملاً لائحة تضم أسماء ما يقارب مائة وعشرين ضابطاً ، طالباً إلينا إصدار الأوامر اللازمة لتسريحهم من الجيش ، أو نقلهم إلى الوزارات المدنية ، لأنهم ينتمون إلى أحزاب مختلفة ، وهو يقول بأن الجيش يجب أن يكون نظيفاً من الحزبية . طلب مني النحلاوي توقيع أوامر النقل والتسريح المذكورة فوراً إلا أنني رفضت البت بهذا الموضوع ، وبهذا الشكل الفردي ، بل قررت دراسة هذه القضية على صعيد مجلس الدفاع الكامل ، والذي كان يضم ما يقارب الخمسين عضواً ، وهم قادة الشعب في الأركان العامة ، وقادة المناطق العسكرية ، وقادة الألوية المحاربة ، ومدراء مصالح الجيش ، ومدراء مدارس الجيش^(١٢) . وأصدرت أمراً بعقد اجتماع لمجلس الدفاع المذكور ووافقت الأغلبية على التصفية ، وهنا طلب مني النحلاوي عن طريق الهمس بالأذن توقيع النشرة التي كان حضرها لهذه الغاية . »

● وقال اللواء « عبد الكريم زهر الدين » :^(١٣)

« لجأنا إلى تشكيل مجلس للأمن القومي لتوجيه سياسة البلد بصورة غير مباشرة ، إذ أن الأكثرية الساحقة من أعضائه كانت من العسكريين . ولذلك كان من المفروض أن تطبق السياسة التي كان يرغب بها العسكريون . غير أن دهاء والأعيب السياسيين كانت في غاية الاتقان بحيث كانت تتجاوز

(١١) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ١٧٤ .

(١٢) كانت هذه هي سلطة الحكم الحقيقية في سوريا بعد الانقلاب وإنشاء حكم الانفصال .

(١٣) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ١٨٤ .

المقررات التي كان يتخذها مجلس الأمن القومي . لاحظ العسكريون هذه السياسة ، فأخذوا يتذمرون بصورة علنية . وأذكر أنني استدعيت الأستاذ رشدي الكخيا في إحدى زيارتي إلى حلب لمقابلتي في نادي ضباط موقع حلب . وشرحت له الموقف ، وأوضحت له الأساليب التي تستعمل على صعيد الوزارة التي يرأسها معروف الدواليبي ، وعلى صعيد الرئاسة الأولى (ناظم القدسي رئيس الجمهورية) . وطلبت منه الذهاب إلى دمشق ، والاجتماع بالمسؤولين لشرح الموقف ، والتوعية ، ثم التحذير من الاستمرار بهذه السياسة التي قد تطيح بالحكم ، خاصة وأن الدعايات التي تروج في البلد حول استغلال الحكام لكثير من الأمور بدأت تشكل الحلقة الأولى من حلقات عناصر المقاومة ، وعناصر المعارضة ، وعناصر المحاربة الفاضحة للسياسة التي يتبعونها . »

● وروى اللواء « عبد الكريم زهر الدين »^(١٤) كيف عرف ضباط الانقلاب بالأموال التي دفعت من الخارج لبعض رفاقهم ولعدد من السياسيين السوريين الذين شاركوا معهم في الحكم ، وتمت اعتقالات وأجريت محاكمات سرية لكن وقائعها أصبحت حديث الناس في كل المحافل !

● وشرح اللواء « عبد الكريم زهر الدين »^(١٥) كيف احتدم الخلاف بين ضباط الانقلاب ، وبين السياسيين السوريين الذين وضعوا على مقاعد السلطة الرسمية بسبب القوانين الاشتراكية : السياسيون يريدون إلغائها ، والعسكريون يطالبون بالمحافظة عليها لأن الرأي العام في الجيش ، وفي الشعب متمسك بها !

● وأفاض اللواء « عبد الكريم زهر الدين »^(١٦) في تفاصيل ومسار الخلافات بين الطرفين ، وتدهور الأحوال بعد ثلاثة شهور من الانقلاب ، وإلى الحد الذي دعا ضباط القيادة إلى مقابلة رئيس الجمهورية ، وتقديم عدة مطالب إليه : إقالة حكومة « الدواليبي » - رفع الحصانة عن النواب المتهمين بالرشوة والتعامل مع دول عربية وأجنبية - اختصار مدة المجلس النيابي الجديد - إجراء انتخابات جديدة .

وعارض السيد « ناظم القدسي » قائلاً : « إنه لا يقدر أن يخالف الدستور الذي أقسم اليمين بالمحافظة عليه » ، وقدم له زعيم الانقلاب المقدم

(١٤) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » ، صفحة ١٨٥ .

(١٥) المصدر السابق صفحة ١٨٦ .

(١٦) المصدر السابق صفحة ١٨٨ .

« عبد الكريم النحلاوى » فتوى من أحد القانونيين مؤداها أن رئيس الجمهورية يستطيع مخالفة الدستور عندما يكون أمن البلد مهددا ، وطالما أن المخالفة هى للمصالح العام !

● ثم وصل اللواء « عبد الكريم زهر الدين »^(١٧) إلى النقطة التى استيقظ عندها بعض ضباط الانقلاب من غفلتهم ، فقال :

« كانت القيادة تدرس دوما المواضيع العربية ، وتبدى أسفها لفقدان الوحدة مع مصر . وكانت تفتش عن الوسيلة التى تمكنها من العودة إلى الوحدة ، ولكن بشروط تحول دون انحرافات الوحدة السابقة ، وبصورة تحقق الديمومة لهذه الوحدة والتوسع على الصعيد العربى . لذلك وبعد الدراسات المتتالية والاجتماعات التى كنا نعقدتها أحيانا مع السيد هانى الهندي ، والسيد فريد زين الدين وغيرهما من العناصر الوجودية ، قررنا أن نخطو الخطوة الأولى ، ونرسل وفدا من الضباط لمقابلة الرئيس عبد الناصر ، والتداول فى المواضيع العامة والمتعلقة بالأخطاء التى ارتكبت زمن الوحدة . وكان ما طلبناه من الوفد هو معالجة الأمور التالية :

- ١ - وقف المهارات الإذاعية فوراً .
 - ٢ - الاعتراف بالوضع الحاضر فى سوريا ليصار إلى الانتقال إلى معالجة عودة الوحدة على أسس جديدة .
 - ٣ - عقد اتفاق عسكرى مشترك ما بين مصر وسوريا لتطبيق الخطط العسكرية الموضوعية أثناء الوحدة .
 - ٤ - تصفية الأمور الإدارية المعلقة بين مصر وسوريا (أسلحة وسواها) .
- لقد قررنا تشكيل هذا الوفد من العناصر التى ساهمت بحركة ٢٨ أيلول ، وذلك للدلالة على سلامة النية والصدق فى الطوية . كما أطلعنا الدكتور ناظم القدسى رئيس الجمهورية على هذا القرار الذى اتخذته القيادة . وقد وافق رئيس الجمهورية على هذه الخطوة . غير أنه اشترط الاجتماع بعناصر هذا الوفد قبل السفر ، لتلقيهم المواضيع التى يجب طرحها على الرئيس عبد الناصر . إلا أن الوفد سافر فجأة دون علمى ، أو علم رئيس الجمهورية ، بل بإيعاز من عبد الكريم النحلاوى الذى ادعى بأنه فهم منى ،

(١٧) المصدر السابق صفحة ١٦٤ .

ومن رئيس الجمهورية بأن الوفد يتمكن من السفر في أى وقت يشاء . أى أن النحلوى أهمل رغبة رئيس الجمهورية عندما طلب الاجتماع بأعضاء الوفد قبل السفر . »



وفي الساعة الثانية والنصف من مساء يوم السبت ١٣ يناير ١٩٦٢ دخل إلى مكتب « جمال عبد الناصر » في بيته ثلاثة من ضباط قيادة الانفصال في دمشق هم العميد « زهير عقيل » ، والعقيد « محمد منصور » ، والرائد « فايز الرفاعى » .

طلبوا لقاء معه بواسطة الفريق « جمال فيصل » القائد السابق للجيش السوري وكان قد بقى في القاهرة بعد الانفصال ، وألح الفريق « جمال فيصل » ، وعلى أى حال فإن « جمال عبد الناصر » كان يريد أن يسمع بنفسه ، وأن يرى ، ولهذا وافق وحدد موعدا للقاء ، وجاء الثلاثة إليه في حالة ارتباك شديد .

وبدأ العميد « زهير عقيل » فقال : (١٨)

- « سيادة الرئيس ... إنه كرم منكم أن تتفضلوا بمقابلتنا بعد كل ما حدث ، وقد كنا نثق أن هذا سيكون موقفكم بالنسبة لما نعلمه من حكم سوريا وللشعب السوري ، وكان هناك من زملائنا من يقولون إن سيادتكم سترفضون الاستماع إلينا لأن ما حدث منا قد آلمكم ، ولكن - سيدى - نحن نقسم لكم أن كل ما حدث لم يكن في حسابنا ولا في تصورنا . »

□ الرئيس - « أنا أعلم أن بعضا منكم انساقوا في هذا الموضوع بحسن نية ، وغرر بهم ، وصورت لهم الأمور على غير صورتها الصحيحة ، ولكن ما حدث لم يعد مشكلة نوايا ... إنكم بما حدث ، مهما كان من نواياكم ، أسلمتم وطنكم إلى الرجعية المعادية لمصالح الشعب والمتعاونة مع الاستعمار . »

■ العقيد محمد منصور - « سيدى أقسم لكم أن بيننا كثيرين لا ينامون الليل وهم يشعرون أن الأمة العربية ترميهم بالانفصال والرجعية » .

■ الرائد فايز الرفاعى - « سيدى إن كثيرين بيننا واجهوا عقاب ضمائرهم قبل أن يواجهوا أى عقاب غيره » .

(١٨) تسجيل صوتي للحديث طلب « جمال عبد الناصر » ترتيبه ، وكان يفعل ذلك في بعض اللقاءات الهامة التي يريد العودة إلى وقائعها بعد ذلك بالتفصيل للدراسة - وشريط التسجيل محتفظ به في أرشيف إدارة المخابرات العامة ، وقد تم تفريغه وطبع نسخ محدودة منه .



عبد الناصر في لقائه بالوفد السوري ، وقد جلس

□ الرئيس - « إن الموضوع بالنسبة لي ليس موضوع عقاب .. إنه موضوع أكبر من ذلك ، إنه مسألة مبدأ . إنني في حرب مع الاستعمار والرجعية ولست في حرب معكم ، لقد استعملوكم ، وأنا أعرف أن بعضكم أخذ الأمور بالعاطفة السطحية » .

■ العميد زهير عقيل - « لهذا جئنا إليكم .. سيادة الرئيس ... إن سوريا في خطر . إن سوريا - سيدى - هي الهدف الذى يظن الاستعمار ، وأتباعه في المنطقة أنهم قاربوا الوصول إليه .

سوريا - سيدى - هي المقصودة بمحاولة الانقلاب في لبنان ، والذين دبروا محاولة الانقلاب في بيروت كانوا يريدون دمشق ، تمهيدا لمشروع الهلال الخصيب في أحضان الاستعمار وتحت سيطرته .



صلاح البيطار ، والى يساره الفريق محمد الصوفى وزير الدفاع .

ومن ناحية أخرى - سيدى - فإن إسرائيل زادت نشاطها المشبوه في المنطقة المنزوعة السلاح ، وهم تصوروا الانفصال فرصة سانحة للإسراع في تنفيذ تحويل مجرى نهر الأردن . «

■ الرائد فايز الرفاعى - « سيادة الرئيس هم يظنون أن سوريا واقفة وحدها . وذلك يبدو صحيحا سيدى ما دامت سوريا بعيدة عن مصر ، وإلا فمع من تتعاون سوريا ؟

العراق ؟ كان الله في عون العراق ، لم يعد فيه غير تصريحات حماسية تصدر كل يوم حتى ملها الناس ، وأصبحت لا تطمئن صديقا ، ولا تخيف عدوا !
الأردن ؟ أنتم - سيدى - تعرفون عن حسين أكثر مما نعرف !

الملك سعود ؟ هذا - سيدى - لا يملك شيئا غير « المصارى » يدفعها للرشاوى ، لكن الرشوة لا تقف دفاعا عن عقيدة !
ماذا يبقى لسوريا ؟ إمام اليمن ... هذا ... »

■ العميد زهير عقيل - « سيادة الرئيس هذا هو الموقف على حقيقته ، والحل الوحيد له ، كما نرى جميعا ، هو أن تعود الوحدة بصورة جديدة » !
□ الرئيس - « بهذه البساطة ؟ إن الوحدة ليست مسألة بسيطة إلى هذا الحد ، نقيم اليوم وحدة ، ونقوم غدا بانفصال ، ثم وحدة ... ثم انفصال ... إننا بذلك ندوخ الناس معنا » .

■ العميد زهير عقيل - « سيدى أقسم لكم مرة أخرى أن الانفصال ما كان في حسابنا . لقد كانت هناك بعض الأخطاء ، وكنا نسعى لتصحيحها » .

□ الرئيس - « سافترض معك جدلا أنه كانت هناك أخطاء ، وعلى أى حال ، فلقد قلت بنفسى بعد الانفصال إن تجربة الوحدة تعرضت لأخطاء كثيرة ، ولقد تكون الأخطاء التى عدتها هى الأخطاء التى رايتها أنتم وقد لا تكون ، المهم أنى سافترض وجود أخطاء ، وسافترض بالتبعية أن هذه الأخطاء كانت فى حاجة إلى تصحيح ، فهل يأتى الناس بالدبابات لتصحيح خطأ ... إن تحرك الدبابات معناه انقلاب شامل » .

■ العقيد محمد منصور - « حاشا لله سيدى ، والله ما خطر ببالنا أبدا أن نقوم بانقلاب عليكم أو على الوحدة ، أو على الاشتراكية ، أنتم تعرفون - سيدى - محبة الشعب السورى لكم وإيمانه بمبادئكم » .

■ العميد زهير عقيل - « لقد كان كل هدفنا أن نلفت الأنظار إلى بعض الأخطاء » .
□ الرئيس - « بالدبابات ؟ !

إن واحدا منكم وهو عبد الكريم النحلاوى كان مديرا لمكتب عبد الحكيم عامر ، وكان يستطيع أن يقول للمشير كل ما عنده ، بل إن واجبه كان يقتضيه ذلك . كذلك كان واحد منكم وهو هشام عبد ربه يتولى حراسة قصر الضيافة الذى كنت أنزل فيه بدمشق ، وكان فى استطاعته أن يجىء إلى إذا أراد » .

■ العميد زهير عقيل - « سيدى - لو تكرمتم بسؤال المشير فلسوف يقول لكم إن بعضنا قبله ظهر يوم الانقلاب ، وقال له إننا نتمسك برئاسة جمال عبد الناصر ، وصدر البلاغ التاسع على هذا الأساس » .

□ الرئيس - « إن الموضوع بالنسبة لى ليس موضوع رئاسة .. إنه مسألة قيم ومبادئ ، ومع ذلك ، فكيف تقبلون أن يكون رئيسكم طاغية ؟ »

■ العميد زهير عقيل - « طاغية ؟ حاشا لله سيدى ... من قال ذلك ؟ »

□ الرئيس - « إذاعة دمشق صباح يوم الانقلاب » !

■ العميد زهير عقيل - « سيدى هذا كلام صدر عن بعض المغرضين الذين اندسوا فى الإذاعة يومها ، أما نحن فإن تقديرنا لكم وإيماننا بالوحدة والاشتراكية لم يتزعزع فى أى وقت من الأوقات ... إن موقفنا واضح - سيدى - فى البلاغ التاسع » .

□ الرئيس - « إن البلاغ الثانى ملء بالطعن فى الوحدة والاشتراكية ، وهذا هو الذى أوضح بالنسبة لى شكل الانقلاب ، واتجاهاته الانفصالية الرجعية » .

■ العميد زهير عقيل - « سيدى ، صدقنى ، والله ما قرأنا هذا البلاغ الثانى » .

□ الرئيس - « ما قرأته ؟ .. كيف ؟ .. إنه يحمل توقيع ما اطلقتم عليه اسم « القيادة الثورية العربية العليا » ؟ »

■ العميد زهير عقيل - « سيدى ... والله ما قرأناه ، لقد كنا يومها فى دوامة تدور بنا . لقد شعرنا منذ الصباح الباكر أن هناك من استغلوا الموقف بناء على تدبير سابق ، ووجهوه وجهة ما أردناها له ! »

□ الرئيس - « إن مصفحات الانقلاب ذهبت فى الفجر إلى بيت عبد الحكيم عامر ، وأطلقت عليه النار من غير إنذار ، ولو كان عبد الحكيم عامر فى البيت لقتل ، كذلك فلقد كان أولاد عبد الحكيم عامر كلهم فى دمشق حتى ما قبل الانقلاب بيومين ، ولقد عادوا بالصدفة استعداداً لدخول المدارس ، ولو كانوا قد تأخروا لقتلوا جميعاً » .

■ العميد زهير عقيل - « سيدى ، هذا صنيع حيدر الكزبرى ، هذا جناح العقيد فيصل سر الحسينى ، ولم تكن على علم بمقاصدهم ، ثم اكتشفنا أنهم قبضوا من الخارج :

لقد اكتشفنا الحقيقة كلها والوقت متأخر .

بعد أيام من الانقلاب فاحت الرائحة ، وزكمت الأنوف . وظهرت في دمشق مئات الألوف من الليرات دفعها الملك حسين لفیصل وللکزیری ، وما كان لنا بها خبر . ولقد باشرنا بالتحقيق وعثرنا على الأدلة وضبطنا بعض أموال الرشاوى ، ووضعنا اثنين في سجن المزة ، وهما هناك هذه اللحظة » .

□ الرئيس - « وماذا كان رأيكم في ذلك ؟ »

■ العميد زهير عقيل - « سيدى ، هذه خيانة تامة ما في ذلك شك ... لكن اللجنة القضائية التى شكلناها للتحقيق في الموضوع عرقلت أمامنا فرصة محاكمتهم » .

□ الرئيس - « لماذا ؟ »

■ العميد زهير عقيل - « سيدى ، اللجنة القضائية قالت هؤلاء قبضوا قبل الانقلاب وبقصد الإعداد له ، والانقلاب أصبح حكومة شرعية ، ومن ثم لا تجوز محاكمتهم وإلا كانت المحاكمة هداما للوضع الشرعى القائم » .
(ضحك)

■ العميد زهير عقيل - « هيك قالوا بالضبط سيدى ! »

□ الرئيس - « أنا أصدقك بالطبع ... هذا منطق الرجعية تماما حين تسيطر على جهاز الدولة وتسخر كل شيء حتى القانون لتعزيز أوضاعها وخدمة مصالحها » .

■ الرائد فايز الرفاعى - « لكننا سيدى نقف لهم بالمرصاد ، إنهم يحاولون السيطرة لكنهم يعلمون أننا واقفون لهم ، وهم يلعبون الآن ، يريدون أن يأخذوا كل الحقوق الاشتراكية التى حصل عليها العمال والفلاحون .

إنهم يقفون الآن معا جبهة واحدة ، أصحاب رؤوس الأموال ، والإقطاعيون ، والأحزاب السياسية ، وعملاء الرجعية العربية ، وحتى الأحزاب التى تدعى التقدمية تشترك معهم في مناوراتهم ليخلو لها الجو ، بل العجيب أن الشيوعيين يقفون في نفس الجبهة . لكن الشعب متنبه ، ولا يرضى عن اتجاهاتهم ، وكذلك الجيش لن يسمح لهم بتحقيق أغراضهم » .

□ الرئيس - « وكيف تستطيع أن تمنعهم ما دامت الحكومة في أيديهم ، والمجلس التأسيسى منهم ... وما لدينا من معلومات يؤكد أن النية

متجهة إلى إلغاء القوانين الاشتراكية كلها ، وسلب الفلاحين والعمال مكاسبهم بها ؟ »

■ الرائد فايز الرفاعي - « سيدى ، نحن قادرون على الإطاحة بهم ، وهم يعرفون ذلك ، ويحاولون أن يمدوا مناوراتهم إلى الجيش » .

□ الرئيس - « لكن ذلك يصنع إزدواجية فى السلطة تعرض سوريا للخطر » .

■ الرائد فايز الرفاعي - « لذلك نقول - سيدى - إن الحل الوحيد المعقول هو عودة الوحدة على أسس جديدة » .

□ الرئيس - « وكيف نعيد الوحدة ؟ ... هل نعيدها بانقلاب جديد ؟ فى الحقيقة لا أتصور أن يحدث ذلك ، الوحدة عندى كهدف أعلى من أن أعرضها لأية مغامرة .

إن فكرة الوحدة تأثرت كثيرا بكل ما حدث حتى الآن . وصحيح أن عودة الوحدة بانقلاب قد ترضى شعورنا جميعا ، ولكن يجب أن نفكر الآن بما هو أعمق من مجرد مشاعرنا .

وإنا أتصور ماذا يمكن أن يحدث فى المنطقة الآن لو قام انقلاب وحدوى فى سوريا أعادها إلى الوحدة فورا . إن الجماهير العربية التى صدمها ما حدث سوف تلتهب حماسها مرة ثانية .

إن القوى الاستعمارية المتربصة فى المنطقة سوف تتلقى صدمة العمر .. إن العناصر الرجعية سوف تفقد صوابها ، وسوف ترتج عروش وتهتز تيجان .

إن إسرائيل ستجد نفسها فجأة أمام أكبر خيبة أمل منيت بها . إننى أكاد الآن أسمع المنطقة كلها تهدر ، وأكاد ألمح الجموع الشعبية تزحف رافعة أعلامها وشعاراتها .

ولكن ماذا بعد ذلك عن تجربة الوحدة ذاتها ، ماذا عن الناحية الإيجابية فيها ، وبها يرتبط المصير العربى كله ؟

كذلك فأنتم تريدون عودة الوحدة فى شكل جديد ... لقد قلتم لى هذا الآن ... وأنا أيضا أرى مثل هذا رأى ... أنا الآخر أطلب بشكل جديد للوحدة . إن كثيرين تصوروا أن إيمانى بالوحدة قد اهتز بعد كل

ما حدث ، لكننى أؤكد لكم أن إيمانى لم يهتز ، بل لقد ازدادت إيمانا .
لكنه من الزم الضرورى أن نستفيد من التجربة أن ندرسها وأن
نتعلم منها .

لو حكمت عواطفى كبشر ، فلربما نازعتنى العاطفة إلى عودة الوحدة
الفورية ، ذلك قد يمسح آثار طعنة أحسست بها فى الظهر ، وذلك قد
يرضى الكبرياء . لكنى أعتقد عن يقين أنه ليس من حقى أن أفكر على
هذا النحو . إن نظرتى إلى الأمور تختلف ... ربما لأنى أحسست أن
الأمة العربية كلها ، والشعب السورى بالذات قد أعطونى من الحب
أكثر مما حلمت به فى أى وقت من الأوقات . لقد أعطونى ما يشفى أى
جرح ، وما يزيل أى عقدة من عقد الكبرياء . وذلك فيما أشعر يلقى علىّ
واجبا أتمنى لو قدرت على الوفاء به . إن أول واجباتى فيما أشعر الآن
أن أنظر إلى المستقبل ، وإلى الأسس الثابتة التى يجب أن يقوم عليها ،
وليس من حقى فيما أتصور أن أترك انفعالات اللحظة ، واحتمالاتها
العاطفية المثيرة تشدنى . »

(فترة صمت) ...

□ الرئيس - قلت لكم إن إيمانى بالوحدة زاد بالتجربة ولم يقل . وقلت
لكم إننا فى حاجة إلى أن ندرس كل ما حدث ونتفهم معانيه . وقلت لكم
إن ذلك فى رأى - ورأيكم - سوف يفرض شكلا جديدا للتجربة . وكل
هذه أمور تستحق الدراسة بل وتتطلبها ضرورة حيوية للنجاح ،
ثم هناك مسائل أخرى أقولها لكم بصراحة . بينها النظام الاجتماعى ...
إننى لا أتصور أن تقوم وحدة بين مصر وسوريا وتكون القاهرة
اشتراكية بينما دمشق رأسمالية . كذلك بينها مسألتكم أنتم ...

مسألة الجيش فى أى دولة ... هل تتلقى الدولة من الجيش أوامرها ، أم
الجيش يتلقى من الدولة أوامره ؟

كل هذه مسائل لابد أن ندرسها ، وهى ما لا يمكن أن يتم بالانقلاب ،
وإنما مجال بحثها بين حكومات وطنية تلتقى فى الهدف وتتحد عليه . »

■ الرائد فايز الرفاعى - « سيادة الرئيس ، وهل تنتظر الأخطار المحيطة بسوريا
خصوصا من جانب إسرائيل ، حتى تجيء الفرصة لإقامة حكومة وطنية فى
سوريا تتذكر معكم فى هذه الأمور كلها ؟ »

□ الرئيس - « أريدكم جميعاً أن تعرفوا أنه مهما كان من أمر ما حدث ، أو ما سوف يحدث ، فإن الجمهورية العربية المتحدة ، بكل قواها المسلحة ، بكل إمكانياتها المادية والمعنوية وراء سوريا ... هذا موضوع خارج عن أى مناقشة ... وهو فوق أى بحث . وهذا أمر يجب أن تكونوا على ثقة منه واطمئنان . لن تكون سوريا وحدها في مواجهة إسرائيل أبداً ، ولست وحدي الذي أقول ذلك ، وإنما هي إرادة الأمة العربية كلها ، والشعب المصري ضمنها .

لذلك أقول لكم : في مواجهة إسرائيل قفوا دون تردد ولا تتصوروا لثانية واحدة أنكم بمفرديكم أمامها ، ففي لحظة الخطر ستكون كل القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة معكم في المعركة ...

ونحن على استعداد لهذا الأمر منذ اليوم الأول للانفصال ، وخططنا كلها مرتبة على أساسه ، ولسنا في حاجة إلى إصدار تصريحات حماسية بشأنه ، فانا واثق أن كل فرد في الأمة العربية يعرف موقفنا فيه كما يعرفه . »

(فترة صمت) ...

□ الرئيس - « لقد جعت ... هل تتعشون معي ؟ »

(خرجوا من بيت الرئيس الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة صباحاً) .

وتستكمل اعترافات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » بقية القصة فيقول : (١٩)

« كنا نعتقد اجتماعات طويلة وعديدة في مكاتب القيادة . حتى عقدنا اجتماعاً في

منزلي ضم العناصر التالية :

اللواء زهر الدين ، واللواء نامق كمال ، والمقدم عبد الكريم النحلاوي ، والمقدم مهيب الهندي ، والمقدم هشام عبد ربه ، والرائد فايز الرفاعي (٢٠) ، والاستاذ نهاد القاسم ، والدكتور فريد زين الدين .

وقد تناولنا في موضوع التقارب مع القاهرة ، ودرسنا مسألة إعادة الوحدة حتى لو أدى ذلك إلى انقلاب جديد .

(١٩) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ١٩٠ .

(٢٠) كل الضباط المشاركين في هذا الاجتماع هم من الضباط الذين خططوا وشاركوا في تنفيذ انقلاب الانفصال

(سبتمبر ١٩٦١) .

وهنا برزت فكرتان :

□ الأولى ، وهى فكرة العسكريين والدكتور فريد زين الدين ، وكانت تقضى بضرورة تشكيل حكومة انتقالية جديدة برئاسة الدكتور ناظم القدسي ، فيما إذا رغب ، وإلا فبرئاسة شخصية وحدوية معتدلة ، وذلك بعد إزاحة المجلس النيابي ، وإقالة الحكومة الحالية . ثم تشكيل وفد من الحكومة الجديدة ، وإعادة الوحدة بشكلها الجديد .

□ أما الفكرة الثانية ، وقد تبناها الأستاذ نهاد القاسم لوحده ، فكانت تقضى بتشكيل وفد وحدوى من عسكريين ومدنيين ، والذهاب برئاسة نهاد القاسم إلى القاهرة ، لمفاوضة الرئيس عبد الناصر ، قبل تشكيل أية حكومة في سوريا . وذلك للاستئارة برأيه حول الأشخاص الواجب إدخالهم في الوزارة الجديدة ، وحول الخطوات الواجب اتباعها ، من أجل الوصول إلى الاتفاق الكامل بخصوص الوحدة الجديدة . حتى أن الأستاذ نهاد القاسم قال إنه لا يتمكن من القيام بأى عمل قبل مقابلة الرئيس عبد الناصر ، وأخذ رأيه في كافة المراحل الواجب تنفيذها .

وهنا تصدى له اللواء نامق كمال . إذا كنت تعتبر عبد الناصر لا يزال رئيسك ، وأنت لا تريد أن تخطو أية خطوة إلا بأمره فنحن لسنا من رأيك ، ولا نريد أن نأتمر بأمرته .

غضب الأستاذ نهاد القاسم عند سماعه هذا الكلام ، وانسحب من الاجتماع . أما الدكتور فريد زين الدين ، فقد بقى معنا في المنزل حيث استعرضنا أسماء الوزراء في الحكومة المقبلة . وكان الأعضاء المقترحون بأغليبيتهم الساحقة من الوجدويين (بعثيين ، وقوميين عرب ، ووجدويين اشتراكيين) . وقد درسنا موضوع رئاسة الدولة في حال اعتذار الدكتور ناظم القدسي وتفضيله الانسحاب من الحكم بعد إقالة الوزارة وحل المجلس النيابي .

ماذا نفعل إذا استقال القدسي ؟

أكد الدكتور فريد زين الدين ضرورة إسناد المناصب الحساسة في الوزارة المزمع تشكيلها إلى العسكريين ، وذلك لإعطائها طابع القوة . ولهذا فهو يرى أن يسند منصب الرئاسة الأولى في الدولة لى أنا ، كما يرى أن احتفظ أيضا برئاسة مجلس الوزراء ، وذلك خلال المرحلة الانتقالية ، أى مرحلة المفاوضات مع الرئيس عبد الناصر .

لكنى رفضت فكرة استلام أى منصب مدنى ، وقلت بأننى سأحتفظ بقيادة الجيش فقط . وطلبت من الحاضرين التفتيش عن رئيس للدولة سوى .

وارجأنا البحث في قضية جهاز الحكم ، وانتقلنا إلى موضوع المباحثات المزمع إجراؤها مع الرئيس عبد الناصر . وكلفنا الدكتور فريد زين الدين بتحضير هذا الموضوع .

انفض الاجتماع ، وأخذ الدكتور فريد زين الدين يتردد على القيادة ليجتمع بالمقدم عبد الكريم النحلاوى ، وكل من هشام عبد ربه وشرف زعلالوى ومهيب الهندى وفايز الرفاعى ومحمد منصور . وكانت هذه الاجتماعات تعقد بصورة متقطعة في شعبة المخابرات ، وذلك لإنجاز الدراسة المتفق عليها .

باشرت بالتفرغ للأمور العسكرية . إذ كنا على أبواب معركة مع إسرائيل . وكنا نحضر العمليات العسكرية ، لأن المعلومات الموثوقة التى كنا نتلقاها كانت تشعرنا بقرب العاصفة . ولذلك فقد ابتعدت بعض الوقت عن جولات السياسة ، وتركت أمورها إلى النحلاوى ورفاقه .

وفي هذه الفترة عقدت اجتماعات القابون على مستوى كبير من الأهمية .

عقد اجتماعان في مدرسة المدرعات في القابون . وكان الاجتماع الأول بدون علمى أو حضورى . بل حضر هذا الاجتماع ضباط حركة ٢٨ أيلول ، بالإضافة إلى بعض قادة القطعات . وقد تداول المجتمعون في قضية إعادة الوحدة . وانقسم المجتمعون إلى قسمين ، منهم من قال بضرورة المناداة بإعادة الوحدة الفورية بلا قيد أو شرط ، ومنهم من رفض هذا النداء رفضا باتا ، حتى ورفض التفوه بأى حديث يتعلق بالوحدة . وأدى الخلاف إلى تأجيل الاجتماع إلى اليوم الثانى . كما اقترح أحد المجتمعين ، وهو العقيد تيسير الطباع ، الذى كان يقود أحد الألوية المدرعة ، ضرورة إعلامى بهذا الموضوع ، وضرورة عقد اجتماع آخر برئاسة ستى .

عقد الاجتماع الثانى برئاسة ستى . وقد استدعيت لحضوره المسؤولين في الجيش ، وذلك على صعيد القيادة العامة ، وصعيد قيادة القطعات المحاربة ، وصعيد قيادة المناطق والمصالح ومدراء المدارس العسكرية . ولا أزال أذكر من الذين حضروا هذا الاجتماع الذى عقد ليلا في مدرسة المدرعات بالقابون كلاما من :

اللواء زهر الدين ، والعميد مسلم صباغ ، والعميد عدنان العاقل ، والعميد زهير عقيل ، والعقيد زياد الحريرى ، والعقيد تيسير الطباع ، والعقيد محمود عودة ، والعقيد عبد الكريم العابد ، والعقيد عدنان شويكانى ، والعقيد محمد منصور ، والمقدم عبد الكريم النحلاوى ، والمقدم مهيب الهندى ، والمقدم هشام عبد ربه ، والرائد فايز الرفاعى . وقد حضر كثيرون غيرهم ، إلا أننى لم أعد أذكر أسماءهم .

استعرضنا في هذا الاجتماع موضوع إعادة الوحدة ، فادلى العقيد شرف زعلالوى نائب رئيس شعبة المخابرات برأيه القاضى بضرورة القيام بانقلاب تعاد على أثره الوحدة الفورية . واستند بذلك على الموقف الذى وصفه بأنه خطر . إذ قال بأن الجيش بكامله ناصرى ، وأن الشعب بنسبة ٩٠٪ منه ناصرى . ولذلك فهو يقترح سرعة القيام بهذه الحركة ، خوفا من المد الناصرى الذى قد يطيح بنا بصورة فجائية .

وهنا تعالت أصوات الاحتجاجات .

تدخلت في الموضوع وأعدت الهدوء ، ثم طلبت دراسة القضية بصورة متأنية ومفصلة حتى نصل إلى نتيجة . وقلت إذا اتضح لنا بأن كلام المخابرات واقعى ، فيجب الإسراع إلى الانضواء تحت لواء الوحدة الفورية بلا قيد أو شرط ، إذ يجب دوما أن ننحنى أمام رغبة وإرادة الأكثرية من الشعب . أما إذا ثبت لنا بأن تلك الأقوال غير مضبوطة ، فينبغى تحاشي الاصطدامات التى قد تنشأ من جراء القيام بأية حركة لا تكون الأكثرية مؤمنة بها . ووجهت سؤالاً إلى قادة القطعات المحاربة فيما إذا كانوا يؤيدون قول شعبة المخابرات من أن الجيش بكامله ناصرى ، وقد سألتهم واحداً واحداً ، فكانت إجاباتهم نافية نفيًا قاطعاً لحديث المخابرات ، وخاصة زياد الحريرى الذى استهجن هذا القول ، وأكد بأن لواءه خال من أى ناصرى . ثم سألت قادة المناطق عن الناحية المدنية . فاستنكروا قول شعبة المخابرات . وقالوا بأنه خال من الصحة . وأخذنا جميعاً باستعراض مختلف فئات الشعب ، حيث قلنا بأنه لا يمكن أن تكون النسبة التى حددها نائب رئيس شعبة المخابرات هى المضبوطة . إذ أن الشيوعيين هم غير ناصريين ، وجماعة أكرم الحورانى غير ناصريين ، والمسيحيون غير ناصريين ، والإخوان المسلمون غير ناصريين ، والتجار غير ناصريين ، ورجال الصناعة والاقتصاد غير ناصريين ، كما أن النسبة الكبرى من الفئات الأخرى كالعمال والفلاحين والطلاب غير ناصرية . لذلك لا يمكن أن تكون أقوال شعبة المخابرات صحيحة .

انتهى الاجتماع على أساس التروى والتريث في موضوع إعادة الوحدة ، لأنه من المواضيع الحساسة جداً ، ولا يمكن أن يتم بهذا الشكل السريع ، وإلا فربما انتكست الخطوة الثانية للوحدة ، وقضى على الوحدة هذه المرة قضاء مبرماً .

كان حديث الوحدة الفورية في القاهرة موقوفاً ، والآن توقف هذا الحديث في دمشق مؤقتاً على الأقل ، ولكن بقية الأحداث لم توقف ولم تتوقف ، وأولها حديث الانقلاب على الانقلاب .

وفي ٢٨ مارس ١٩٦٢ ، ولم تكن قد مضت على حكم الانفصال في دمشق ستة شهور كاملة ، جرى الانقلاب على الانقلاب ، وأذاع راديو دمشق عند الفجر البلاغ رقم ٢٦ - باعتبار أن الانقلاب الجديد هو امتداد للانقلاب القديم ، وإنما عن طريق التصحيح والمراجعة .

□ كان نص البلاغ الأول (رقم ٢٦) كما يلي :

« إن القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تحقيقاً لرغبات الشعب ، وحفاظاً على مكاسبه وأمنه واستقراره وحريته ، التي حققها له جيش الثورة في الثامن والعشرين من أيلول ، تعلن بأن الجيش استمرراً لهذه الثورة قد استلم زمام الأمور في البلاد ، اعتباراً من صباح هذا اليوم . وهي إذ تطلب من المواطنين الخلود إلى الهدوء والسكينة ، والانصراف إلى أعمالهم ، تحذر بأن كل محاولة للإخلال بالأمن أو إثارة الشغب ستقمع بمنتهى الشدة والحزم . »

□ ثم تلاه البلاغ رقم ٢٧ وكان نصه :

« تغلق المطارات والموانئ في كافة أنحاء الجمهورية العربية السورية حتى إشعار آخر .

« ١٩٦٢/٣/٢٨ »

□ وجاء البلاغ رقم ٢٨ وكان نصه :

« لما كان المجلس التأسيسي والنيابي لم يقم بالمهمة الموكولة إليه ، وقد عجز عجزاً تاماً عن تحمل المسؤولية وتوجيه الحكم ، وكل همه تأمين منافع ومصالح أعضائه الشخصية ، ولم يسع سعياً صادقاً لتحقيق أهداف ثورة الثامن والعشرين من أيلول التي هي أهداف الشعب ومصدر السلطات ، لذلك فإن القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تعلن حل المجلس التأسيسي والنيابي اعتباراً من تاريخ صدور هذا البلاغ .

« ١٩٦٢/٣/٢٨ »

□ ثم لحق البلاغ رقم ٢٩ بما سبقه من بلاغات :

« قدم السيد رئيس الجمهورية استقالته التالية وهذا نصها .

إلى القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة :

أسباب صحية تمنعني من الاستمرار بممارسة مهام رئاسة الجمهورية .
لذلك استقيل من مهام هذا المنصب في ٢٨ آذار ١٩٦٢ .
وقد قبلت هذه الاستقالة .

« ١٩٦٢/٣/٢٨ »

□ وأخيرا جاء البلاغ رقم ٣٠ :

« قدم السادة رئيس وأعضاء مجلس الوزراء استقالاتهم من مناصبهم ، وقد
قبلت منهم جميعا . »

واكتملت حلقات الانقلاب على الانقلاب .

وكانت دمشق تغل وتفور .

الفصل الثالث

نيران متفرقة !



تمالك « جمال عبد الناصر » نفسه من صدمة الانفصال بسرعة .
في أعقابها مباشرة كان شعوره على حد وصفه^(١) هو « أنه يجد نفسه في وضع قبطان سفينة انشطرت إلى نصفين في وسط البحر » . وقضى أياما طويلة يراجع نفسه ، ويستذكر تفاصيل تجربة الوحدة وآمالها ومشاكلها .
كان شعوره الداخلي أن التجربة جاءت قبل أوانها ، ولم يكن هناك أساس موضوعي صلب لتحقيقها في هذا الوقت بالذات - ومع ذلك فقد حدث أنها قامت وكان الحرص عليها واجبا .
وكان يراوده إحساس بأن الاحتفاظ بالوحدة مهما كانت الظروف كان يمكن أن يعرض سوريا لضرورات أمن لم يكن على استعداد لها وإلا وقع الضرر بهدف الوحدة نفسه .
وعندما كان يقرأ نشرات الاستماع إلى إذاعة دمشق التي كانت تظهر فرحة الشعب السوري بالانفصال كان قوله دائما :
« إنني أتمنى أن أصدق أن ذلك كله حقيقي . ولو صدقت لاسترحت . على

(١) مذكرات عن لقاء مع « جمال عبد الناصر » يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١

الأقل أعرف أن الذين أسلموني أمانتهم قد استردوا حقهم عندي ، وهم الآن مسؤولون عنه .

ويوما بعد يوم كانت الحقائق الواقعة على الأرض تفرض نفسها عليه وراح يستجيب لها ، ولم يكن لديه على أى حال خيار آخر .
ثم استطاع أن يتخطى أزمته .

ولقد تخلص بسرعة من عقد كثيرة ، وآخرها « عقدة الكبرياء الشخصية » - وحين أعلن في خطابه يوم ٥ أكتوبر ١٩٦١ « أنه ليس من المهم أن تبقى سوريا جزءا من الجمهورية العربية المتحدة ، وإنما المهم أن تبقى سوريا » فقد كانت ترجمة ذلك واقعا أنه يفتح الباب أمام النظام الذي قام بالانفصال في سوريا لكي يأخذ طريقه المستقل بغير عوائق ، بما في ذلك استعادة عضوية سوريا في الأمم المتحدة ، وفي جامعة الدول العربية .



وقد كتب إليه « نهرو » بعد أن قرأ خطابه في ٥ أكتوبر رسالة شخصية يقول له فيها : « إننى تابعت تطورات الموقف عندكم بكثير من التعاطف ، وأعجبت بما أبدىتموه من ضبط النفس ، وكان مسلككم مسلك رجل الدولة المسؤول . ونحن نعرف أن هدفكم هو ألا تتعرض الوحدة العربية إلا لأقل ضرر ممكن . فأنتم من مهندسي الوحدة ، ولذلك فقد كان موقفنا حيال تصرفاتكم مليئا بالتقدير » (٢).

وكتب إليه « تيتو » بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٦١ رسالة شخصية يبدي فيها تقديره للطريقة المسؤولة التي تصرف بها حيال الأحداث المؤلمة التي جرت في دمشق ، ويضيف إلى ذلك « أن أهمية ضبط النفس الذي أبداه تجيء من حقيقة أن ما جرى في سوريا ليس مجرد تمرد داخلي أو انقلاب ، وإنما هو جزء من مؤامرة كبرى » .

ورد عليه « جمال عبد الناصر » بعد يومين : « لقد أدركت أن ما واجهناه في سوريا ليس عملا داخليا ، وأحسست أن واجبي يقضى على عند مواجهتي للتطورات أن لا أقصر النظر على مقتضيات اليوم ، بل وضعت نصب عيني

(٢) اصول رسالتي « نهرو » و « تيتو » وردود « جمال عبد الناصر » عليهما محفوظة في أرشيف منشية البكري ، وتوجد نسخ من كل منها في وزارة الخارجية

ما يتطلبه المستقبل . ولقد كان همى فى اللحظات الحرجة أن لا أمكن المتأمرين من إشعال فتنة طاغية ليس فى الإمكان تقدير مداها . وعندما تبينت حدود الموضوع ، فقد أحجمت عن استخدام القوة . فقد وجدت أنها تمزيقا للجبهة الداخلية فى سوريا ، فى حين أن هذه الجبهة لم تكن فى حاجة إلى وحدتها قدر احتياجها إليها فى الظروف المقبلة . ثم وصل « جمال عبد الناصر » فى نهاية رسالته إلى القول بالنصر . « ومهما يكن من أمر ، فإننا نرقب بأعين مفتوحة تحركات الاستعمار وخطته » .

وبرغم تبادل الرسائل بين هؤلاء القادة الثلاثة لعدم الانحياز فى أعقاب أزمة أملت بأحدهم - فإن « نهرو » و « تيتو » قررا المجيء إلى القاهرة لاجتماع مع « عبد الناصر » يظهر فيه تضامن الدول غير المنحازة ، كما أنه يكون فرصة لدراسة الاتجاهات الجديدة فى مناطق التوتر .

وفى منتصف نوفمبر كان الثلاثة معا فى القاهرة . وعقدوا عددا من الاجتماعات خصص أولها لبحث تطورات المنطقة بما فى ذلك مسألة الانفصال . وأما بقية الجلسات فقد خصصت لدراسة قضايا أخرى بدت ملحة للمجتمعين . وقد تباينت آراء الثلاثة فى هذه القضايا وأهمية كل منها :

كانت القضية الملحة بالنسبة لـ « نهرو » لا تزال قضية الحرب والسلام ، وقد قال إنه يخشى أن الاتجاه إلى الحرب بدأ يزيد ، فهو يلاحظ أن الولايات المتحدة بدأت تنفذ مشروعا واسعا لبناء مضابىء ذرية .

وأما بالنسبة لـ « تيتو » فقد اعتبر أن الخطر القادم هو التورط الأمريكى فى جنوب شرقى آسيا ، فهو يلمح أن الرئيس الأمريكى الجديد « جون كيندى » يتدحرج خطوة بعد أخرى نحو التورط فى فيتنام .

وأما « جمال عبد الناصر » فقد كانت القضية التى تشغله هى قضية السياسة السوفيتية التى بدت له محيرة . وفى الجلسة التى أثار فيها « جمال عبد الناصر » هذا الموضوع راح « تيتو » يروى بالتفصيل وقائع خلافه مع « ستالين » . وكان تقييمه النهائى « أن الخطأ الذى يمكن أن يقع فيه أى طرف هو أن يتعامل مع الاتحاد السوفيتى باعتباره دولة شيوعية فقط » . ثم أضاف بالحرف : « إن الاتحاد السوفيتى قوة كبرى أولا وثانيا وثالثا - ويأتى بعد ذلك رابعا أنها دولة شيوعية » .^(٣)

(٣) محضر اجتماع بين الرؤساء الثلاثة عقد فى قصر القبة يوم ١٩ نوفمبر ١٩٦١ . وقد وردت هذه الملاحظة لـ « تيتو » فى الصفحة ٢٢ من هذا المحضر وقد أرسلت نسخة منه إلى وزارة الخارجية ، ونسخة أخرى إلى وزارة الحربية .

وقد انتهى اجتماع الثلاثة إلى اتفاقهم على أنه مهما كان تباين الآراء بينهم في أولويات القضايا التي تواجههم - فإنه من المحتم في المرحلة القادمة زيادة اليقظة والتنبه بين مجموعة دول عدم الانحياز . وتوجه الثلاثة إلى غداء شخصي في بيت « جمال عبد الناصر » قبل أن يسافر كل من « نهرو » و « تيتو » عائداً إلى بلاده . وعلى الغداء تركّز الحوار حول قضية الجزائر ، فقد أبدى الاثنان اهتماماً بما يجري فيها ، وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن الثورة الجزائرية أقرب إلى تحقيق انتصارها مما يتصور أحد ، وأن « ديغول » رغم ما يبديه حتى الآن من عناد يمهّد الطريق في الواقع للاعتراف بما لم يعد هناك مفر من الاعتراف به .



ويوماً بعد يوم راح « جمال عبد الناصر » يشعر أن الانفصال رغم كل ما انطوى عليه من آلام كانت له جوانبه الإيجابية ، فقد أعطاه حرية في العمل لم يشعر بها طوال سنين الوحدة . وقد عبر عن ذلك بقوله^(٤) : « إنني أقبلت على تجربة الوحدة مدفوعاً بعواطفى أكثر مما كنت مقتنعا بعقلى . كنت أتصور أنه في مقدورى أن أجنب سوريا مشاكل تناحر داخلى يمكن أن يؤدى بها إلى السقوط فريسة لمؤامرات الغرب عليها ... إلى حد ما فإننا استطعنا أن نمنع ذلك أو على الأقل نؤجله . لكننى طوال الوقت كنت أشعر أننى مقيد اليدين ، فقد كنا نتعامل بمنطق المساومة في سوريا ، فقد كان مفروضاً علينا أن نسترضى ، وليس أن نتصرف بما تقتضيه الحقائق ، وهذا معناه أننى أعمل بالأسلوب الحزبى ، وأنا رجل لا حزب لى . ولم يكن هناك ما يضطرنى إلى الاسترضاء إلا حرصى على أن لا أترك لأحد فرصة لاستغلال أى تصرف لنا في سوريا . هذا معناه أيضاً أننا كنا نعمل من أجل اللحظة الراهنة في سوريا ، وليس من أجل المستقبل . فعندما تكون السياسة مساومات واسترضاء لا يستطيع أحد أن يخاطر بفرض الأعباء والتكاليف التى يقتضيها صنع المستقبل » . ثم يضيف « جمال عبد الناصر » : « إننى ما زلت مؤمناً بالوحدة العربية ، ولكننى الآن واثق من أن تحقيق الوحدة هدف للمستقبل لا ينبغى أن نفقد إيماننا به ، ولكننا لا نملك أن نسبق ضرورة توافر شروطه الموضوعية » .

وكان قد بدأ يسمع ويتحقق من الخلافات داخل حكم الانفصال ، ويرى فيها مقدمات الانقلاب على الانقلاب ، وهكذا كان يضيف إلى تأملاته قوله : « وعلى أية حال فقد ثبت أن الوحدة ممكنة ، والآن يظهر - وغداً سوف يتحقق أكثر - أن الانفصال صعب » . وأخيراً يصل إلى نتيجة مؤداها :

(٤) مذكرة عن لقاء لى مع « جمال عبد الناصر » يوم ٢١ نوفمبر ١٩٦١

« الآن فإن تركيز العمل العربى يجب أن يكون فى مصر ، فمصر يجب أن تصبح بالفعل الدولة النواة فى الوحدة العربية الممكنة ، وأن تصبح النموذج الذى يمكن أن يقدم المثال لبقية الأمة ، فهى الآن بالتعبير العسكرى تمثل الـ Firm Base - أى القاعدة الحصينة التى يمكن الدفاع عنها والبناء فيها » .

ولعل هذا المنطق هو الذى قاده إلى أن يكون واضحاً فى موقفه حين التقى بضباط الانقلاب فى بيته يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦١ ليقول لهم بوضوح إنه « يرفض رفضاً قاطعاً عودة الوحدة عن طريق انقلاب عسكرى ! »



وكان هناك بالطبع كثيرون فى المنطقة وحولها لا يريدون له أن يتفرغ لعملية تعزيز القاعدة فى مصر - مدركين أنه ليس بمقدوره الانسحاب تماماً من الساحة العربية . وهكذا كان هدفهم أن يشغلوه بنوع من النيران المتقطعة قد لا تستطيع إصابته فى مقتل ، ولكنها بالتأكيد تستطيع إشغاله ، وتشتيت اهتمامه .

كان الملك « سعود » على سبيل المثال واحداً من الضالعين فى مؤامرة الانفصال برغم كل الوعود والعهود ، ورسائل الود المتزايدة فى معدلاتها قبل الانفصال مباشرة . وقد روى الأمير « محمد البدر »^(٥) ولى عهد اليمن فى ذلك الوقت أنه كان يزور الرياض ليلة الانقلاب ، وفوجئ بالملك « سعود » يطلبه إلى قصره ، فذهب إليه وإذا بالملك يقول له : « سوف تسهر معى إلى الصباح لكى تعرف ما يحدث للتسلط والاستعمار المصرى » . وعند الفجر كان الملك وضيافته وبعض رجال حاشيته حول جهاز راديو بينما راح أحد الفنيين يضبط مؤشرات على إذاعة دمشق . وحين بدأت إذاعة البيان الأول التفت الملك إلى « البدر » وقال : « وقع صاحبنا فى شر أعماله » . وكان الملك شديد الحماسة للبلاغات التى تصدر عن الانقلاب

(٥) رواية الأمير « محمد البدر » بنفسه لرئيس البعثة العسكرية المصرية فى اليمن .

لدرجة أنه طلب أن يجيء الإفطار له ولضيوفه ولحاشيته حيث يجلسون بجوار جهاز الراديو . ومضت الساعات ، وحين أذيع البلاغ رقم ٩ واشتم منه الملك احتمال التوصل إلى حل للأزمة كان تعليقه على الفور : « جاءكم الغم - اقفلوه » . وانصرف الأمير « البدر » ولم يكد يصل إلى بيت الضيافة الذى ينزل فيه حتى لحقه رسول من الملك يستدعيه مرة أخرى ، فعاد إلى القصر ، وبادره الملك بقوله : « الحمد لله تصححت الأمور ، المشير مقبوض عليه ، والراجح أن يتخلصوا منه قبل الصباح ، وهو الآن محطوط فى الحديد » .

وعندما عرف الملك بالانشقاق الذى حدث فى صفوف الانفصاليين بعد أسابيع قليلة من الانقلاب على الوحدة قرر أن يتدخل بنفسه فى هذه الخلافات . كان وقتها قد سافر إلى إسبانيا فى إجازة ، وقامت إحدى طائراته الخاصة تحمل سكرتيه الخاص فى ذلك الوقت ، وهو السيد « إسماعيل أبو خضرة » إلى دمشق يعرض أية مساعدات مالية تريدها حكومة « سوريا المستقلة » . وكذلك يبدى رغبة الملك فى لقاء عدد من القادة العسكريين ، واستعداده لإرسال طائرته الخاصة لمن يفوز منهم فى ذلك . وقد سافر إليه بالفعل ثلاثة من ضباط الانقلاب بينهم المقدم « هشام عبد ربه » ، ودار بينه وبينهم حديث طويل سألوه فيه عن أهدافه السياسية ، وكان رده : « أى شىء إلا عودة الوحدة بين سوريا ومصر » .



وفى اليوم الأخير من شهر ديسمبر ١٩٦١ حدثت محاولة انقلابية فى لبنان . فقد أحسّت بعض القوى أن حكومة اللواء « شهاب » تصرفت بطريقة ودية إزاء القاهرة بعد انقلاب الانفصال . فقد سهلت ترحيل المصريين من العسكريين والمدنيين الذين أخرجوا من سوريا بعد الانقلاب ، كما أن عناصر كثيرة فى الحركة الوطنية اللبنانية اعتبرت نفسها عيوننا وأذاننا للقاهرة على ما يجرى فى دمشق . وتحالف « كميل شمعون » الذى عاد من لندن قبل محاولة الانقلاب بثمان وأربعين ساعة - مع الحزب القومى السورى الذى يرأسه السيد « عبد الله سعادة » وجرّت المحاولة للاستيلاء على السلطة بالقوة المسلحة

واضطر اللواء « شهاب » إلى استخدام الطيران اللبنانى فى ضرب المؤامرة ، ودارت معارك بالدبابات ، وجرى اعتقال ألفين وخمسمائة من أعضاء الحزب القومى السورى وأنصارهم . وحاصرت قوات الأمن اللبنانية قصر « كميل شمعون » وثبتت

فيما بعد أن خطة المؤامرة رتبت في معهد اللغات البريطاني بشملان^(٦) ، ثم تأكدت هوية المؤامرة حين أذاعت وكالات الأنباء ، وبينها وكالة « رويتر » أن عددا من قادة المؤامرة الذين كان مطلوبا القبض عليهم قد فروا من ميناء « بيروت » بزورق حملهم إلى مدمرة بريطانية كانت واقفة خارج المياه الإقليمية ، ثم أدلى « عبد الله سعادة » رئيس الحزب القومي السوري باعترافات قال فيها : « إن هدف الانقلاب كان التمهيد لتحقيق مشروع الهلال الخصيب بتكوين اتحاد بين سوريا ولبنان والأردن والعراق » . كما قال إن حركته كانت موعودة باعتراف بريطاني فوري في حالة نجاح عملية الانقلاب .

وكان الهدف البريطاني من تأييد مشروع الهلال الخصيب ، هو تأكيد حصر مصر في أفريقيا ، وتصفية أي دور أو وجود لها في المشرق العربي .



وكانت الحكومة السورية التي ترى أمامها الانقسامات في الجيش السوري تشعر بورطة شديدة ، وكانت راغبة في أي إجراء من شأنه تحويل الأنظار في دمشق عما يجري في المعسكرات ، وفي المحافل السياسية . وفي ٢٧ يوليو ١٩٦٢ بعثت الحكومة السورية بمذكرة إلى الأمين العام للجامعة العربية تلفت نظره فيها إلى فقرة وردت في خطاب ألقاه « جمال عبد الناصر » في الاحتفال بالذكرى العاشرة لثورة ٢٣ يوليو جاء فيها بالنص : « النكسة التي حصلت السنة التي فاتت في سبتمبر هل أثرت على معنوياتنا ؟ لم تؤثر بأي حال على معنوياتنا . إننا اليوم أيها الإخوة ، ونحن نحتفل بأعيادنا ننظر إلى الشعب السوري في الاقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة ... فهل تمكنت هذه الرجعية ، وهل تمكن هذا الاستعمار ؟ او هل تمكنت أموال الراشيين والمرتشين من أن تقضى على روح الشعب السوري ؟ »

وبعد أن أوردت المذكرة السورية هذه الفقرة من خطاب « جمال عبد الناصر » أضافت بأن هذه الفقرة خطيرة ، وأنها في رأي الحكومة السورية تعني « أنه لا يزال يعتبر سوريا واقعة تحت سلطته لأنه يسميها بالاقليم الشمالي ، وأن مؤدى كلامه أنه يحرض الشعب والجيش على القيام بانقلاب أو الاقتتال وخلق البلبلة والفوضى وسفك الدماء . وعلى هذا النحو فإنها تشكل اعتداء صريحا على سيادة الجمهورية العربية السورية ، وكرامة شعبها » . وطلبت الحكومة السورية أن

(٦) كان معهد اللغات في شملان رسميا مركزا لتعليم اللغة العربية لاعداد من الدبلوماسيين البريطانيين والأمريكيين ، وقد تعدى نشاطه هذه الحدود بكثير إلى درجة جعلت الوصف الشائع له هو « معهد الجواسيس » .

يجتمع مجلس الجامعة العربية لبحث شكواها في أى بلد عربى غير مصر . وفي ١٦ أغسطس ١٩٦٢ رد الأمين العام للجامعة العربية بأنه قد دعا مجلس الجامعة العربية إلى الاجتماع يوم ٢٢ أغسطس في مدينة « شتورا » اللبنانية للبحث في الشكوى السورية .

وتحول مؤتمر « شتورا » إلى مناسبة للتشهير بمصر ، وأعدت الأطراف المشاركة في هذه العملية ما بدا لها أنه ضربة قاضية لأى محاولة مصرية للرد . فقد استطاعت أسرة « أبو الفتح » وكان « أحمد أبو الفتح » هو أنشط أفرادها في هذه الفترة - إقناع المقدم « زغلول عبد الرحمن » وهو من أقرباء أسرة « أبو الفتح » بالنسب المباشر وكان يشغل وظيفة الملحق العسكرى في بيروت (حتى تلك اللحظة !) بأن يترك منصبه في بيروت ، ويتوجه إلى « شتورا » حيث يظهر فجأة ، وبطريقة مسرحية أمام مجلس الجامعة العربية ليدلى بشهادته عن عمليات « التخريب المصرى » في سوريا ، وفي غيرها من البلاد العربية . وبالطبع فإن حديثه سوف يكون حديث خبير يعرف الخبايا من الداخل ، ولا يستطيع أحد أن يطعن في شهادته !

وقد ذكر اللواء « عبد الكريم زهر الدين » قائد الجيش السورى بعد الانفصال في اعترافاته ما يلى بالنص :^(٧)

« إن المقدم زغلول عبد الرحمن بعد أن ادلى بشهادته أمام مؤتمر شتورا عن الجرائم التى يرتكبها النظام المصرى توجه إلى دمشق ، وهناك اجتمع بالدكتور عبد الكريم العائدى ممثل الامانة العامة لجامعة الدول العربية وسلمه الأوراق الرسمية التى كان يحملها ، مع الأموال التى كانت فى صندوقه فى بيروت ، والتى جلبها معه خوفا من إخفائها بعد تركه لمكتبه واتهامه فيما بعد بسرقتها . لقد احسن المقدم زغلول جلب كافة الوثائق وتسليمها بصورة رسمية لقاء إيصالات إلى مندوب الجامعة الذى اعادها بدوره إلى السفارة المصرية فى بيروت . غير أن جرائد وإذاعة القاهرة رغما عن ذلك اتهمت زغلول بالسرقة وغيرها من الاتهامات .

ثم بقى المقدم زغلول فترة لا بأس بها فى دمشق . ولكنه عندما اظهر رغبته بإقامة مكتب ووسائل دعاية لصالح منظمة « مصر الحرة » اعتذرنا عن تلبية طلبه لأنه سبق لهذه المنظمة ، وبعد حركة ٢٨ ايلول (سبتمبر) مباشرة أن تقدمت بهذا الطلب ورفضناه ، لأننا علمنا بأن هذه المنظمة ممولة ومسيرة من قبل الاستعمار الفرنسى والانكليزى . وهو بعد ذلك سافر إلى أوروبا ولم نسمع عنه شيئا . »



(٧) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » ، صفحة ٣١٧ .

لم يسمع اللواء « عبد الكريم زهر الدين » (كما قال) شيئا عن « زغلول عبد الرحمن » بعد سفره من دمشق إلى أوروبا ، ولكن المخابرات المصرية^(٨) كانت تريد أن تعرف عنه كل شيء . وقد استطاع أحد ضباطها أن يحصل على تسجيل صوتي لمناقشة جرت بين « محمود أبو الفتاح » و « زغلول عبد الرحمن » في إحدى الغرف بفندق في ضاحية « أوستيا » القرية من روما عاصمة إيطاليا . وفي هذا التسجيل سمع صوت « زغلول عبد الرحمن » يقول لـ « محمود أبو الفتاح » : « انا حسيت إنه الناس اللي قابلتهم إمبراح مع أحمد (يقصد أحمد أبو الفتاح) هم في الحقيقة إسرائيليين ، وكانوا بيسألوا بإلحاح عن معلوماتي عن الصواريخ اللي بتتعمل في مصر » . وسمع في شريط التسجيل صوت « محمود أبو الفتاح » يرد عليه قائلا : « اسمع يا زغلول ، أنا مستعد اتعامل مع الشيطان ضد جمال (جمال عبد الناصر) » .

ويبدو على نحو أو آخر أن « زغلول عبد الرحمن » بدأ يشعر أنه تورط بأكثر مما أراد لنفسه . وبعد فترة من الزمن تخبطت فيها تحركاته بين روما وباريس وجنيف ولندن قرر أن الأفضل له أن يعود إلى القاهرة ، ويسلم نفسه . وقد جاء بالفعل وأدلى باعترافات كاملة عن تجربته ، ثم أعاد تكرار اعترافاته أمام مجلس عسكري عال شكل لحاكمته . وجاء في اعترافاته أمام المجلس العسكري^(٩) أن أسرته (أسرة « أبو الفتاح ») أغرته بالهرب ، وأنهم دفعوا له مبالغ لتسديد ديونه مقدما ، ثم راحوا بعد ذلك يدفعون له مرتبا شهريا قدره ثلاثمائة جنيه استرليني . وقال أيضا إنه خرج من بيروت يوم لجوئه إلى سوريا استعدادا لمؤتمر « شتورا » مختبئا في سيارة السفير السعودي في بيروت ، وأنه علم فيما بعد أن « أحمد أبو الفتاح » تسلم ٢٥٠ ألف جنيه استرليني من السعودية مقابل إغرائه على الهرب ، وأنه سلم « أحمد أبو الفتاح » ملفا كبيرا يحوى صوراً من كل ما كان لديه من أوراق .

وكان من أخطر ما جاء في اعترافات « زغلول عبد الرحمن » هو قوله « بأن شخصين من المخابرات البريطانية جاءا لمقابلته وأنه رفض في البداية ، إلا أن أحمد أبو الفتاح الح عليه ليلقاهما حتى لا يوقعه في

(٨) التقرير الصوتي ، ومرفق به تقرير ضابط المخابرات العامة الذي قام به موجود في أرشيف إدارة المخابرات العامة . وقد قامت الإدارة بتفريغها ، وطبعت منه ثلاث نسخ - احتفظت بواحدة منها في أرشيفها المركزي ، وقامت بإرسال الثانية إلى رئاسة الجمهورية ، والثالثة إلى مكتب المشير « عامر » .

(٩) محاضر جلسات المجلس العسكري العالی المشكل لحاكمة المقدم السابق « زغلول عبد الرحمن » - جلسة ١٣ أغسطس ١٩٦٥ .

خرج . فوافق على مقابلتهم ، ووجد أن اهتمامهما مركز كله على مسألة الصواريخ التي تصنعها مصر .



وفي أواخر عام ١٩٦١ وكانت الثورة الجزائرية تواجه أصعب ظروفها ، و « ديجول » يبذل قصارى جهده ليحول دون تحقيقها لانتصار كامل حتى يفرض على قيادتها موقفا « معتدلا » في مفاوضات الاستقلال - كان رأى « جمال عبد الناصر » أنه من الضروري تكثيف المساعدات للثورة الجزائرية حتى تستطيع تحقيق انتصارها كاملا ، وعلى نحو يحسم بشكل نهائى مطلبها فى الاستقلال الكامل . كان الأسطول الفرنسى يقيم حصارا شديدا حول الحدود الجزائرية مع تونس والمغرب لكى يحول دون وصول أية إمدادات حربية إلى المقاتلين فى اللحظات الفاصلة من القتال ، كما أن الأسطول الفرنسى كان يفعل نفس الشيء أمام الشواطئ الجزائرية . وبلغت دقة الموقف فى وقت من الأوقات إلى حد أن « جمال عبد الناصر » اتخذ قرارا باستعمال الغواصات فى نقل السلاح إلى الجزائريين حتى يتأكد لهم التفوق فى المعارك التى كانت تدخل مراحلها الأخيرة قبل المفاوضات . وبالتأكيد فإن « جمال عبد الناصر » اعتبر وقوفه إلى النهاية مع الثورة الجزائرية بمثابة الرمز الحى على أن التزامه بالقضايا العربية متين بصرف النظر عن الانقلاب فى سوريا ، وعن كل ما كان يتعرض له فى المشرق العربى !

وفى هذا الوقت قررت فرنسا أن تعمل مباشرة فى القاهرة ، وتمكن جهاز المخابرات المصرى فى ضربة من أكثر ضرباته توفيقا أن يلقى القبض على شبكة تجسس واغتيالات فرنسية كلفت بالعمل فى مصر تحت ستار مكتب رعاية المصالح فى السفارة التونسية بالقاهرة ، وكان المسؤول الأول عن هذه الشبكة موظف فرنسى يحمل جواز سفر دبلوماسيا يشير إلى أنه بدرجة سكرتير أول فى الخارجية الفرنسية اسمه « جان بول فرانسوا بليفييه » . وقد اشترك معه فى أعمال هذه الشبكة عدد من الفرنسيين والإيطاليين ، واستطاع جهاز المخابرات المصرية أن يتابع الشبكة الفرنسية ، ثم يقبض عليها فى حالة تلبس ، وأن يواجه رئيسها بما لديه من أدلة مصورة ومكتوبة . وجلس « بليفييه » صامتا لكى يكتب اعترافا خطيا جاء فيه :

« أنا الموقع على هذا « جان بول فرانسوا بليفييه » أقر باننى كلفت رسميا بتصفية الممتلكات الفرنسية فى مصر الموضوعة تحت الحراسة ، ولكنى فى نفس الوقت تلقيت الأمر بأن اجمع معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية عن الجمهورية العربية المتحدة ، وأن أقوم بإنشاء تنظيم يكفل حصولنا بانتظام على معلومات مخابرات

كنا نقوم بإرسالها بالحقيبة الدبلوماسية إلى الوزارة في باريس . وقد رسمنا خطة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر على أساس أن ذلك هو الحل الوحيد لتغيير سياسة الجمهورية العربية المتحدة . ولهذا الغرض أرسلوا إلينا من باريس ضابط مخابرات فرنسي هو المسيو « هنري جانيتز » ، وقد سبق له أن وضع خطة لاغتيال فرحات حشاد رئيس اتحاد النقابات التونسية . وقد قمنا بإعداد منشورات ضد نظام الحكم في مصر عملنا على توزيعها ، وكنا نتولى مهمة جانبية عملية جمع أخبار خاصة لمحنة إذاعة مصر الحرة التي نبت من مرسلينا ، والتي يديرها أحمد أبو الفتح . ويذيع منها مرتين كل يوم إذاعات موجهة إلى مصر كما أننا قمنا أيضا بتخريب أموال لعدد من المصريين المعروفين بصداقتهم لفرنسا ، والذين وضعوا تحت الحراسة في أواخر سنة ١٩٦١ .



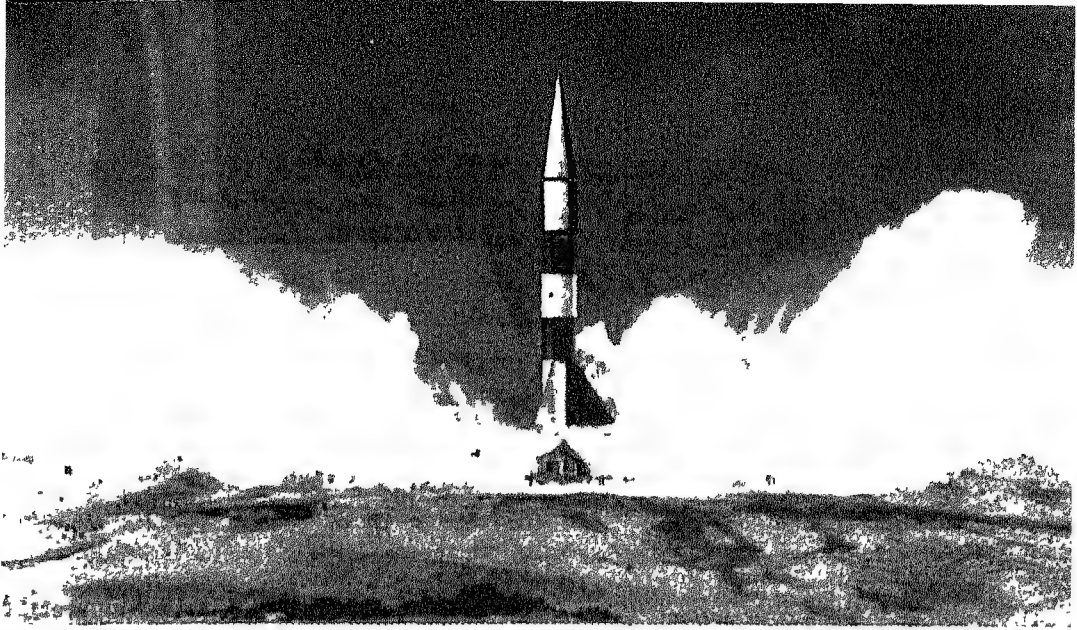
كان تقدير « جمال عبد الناصر » أن هذه العمليات كلها ، على تعدد اتجاهات القائمين بها ، وعلى اختلاف أهدافهم - هي نوع من النيران المتفرقة يقصد بها أن تشغله ، وتشتت اهتمامه ، وتضعه باستمرار على الدفاع في معارك صغيرة وجانبية . ولقد أدرك أن عليه أن يترك هذه المعارك لآخرين يتولون مواجهتها ، أما هو فيجب أن يتجه بكل جهده إلى تقوية « القاعدة الثابتة » . وطرح « جمال عبد الناصر » مشروع ميثاق العمل الوطني أمام مؤتمر للقوى الشعبية .

وبدا الإعداد والعمل لتنفيذ أول خطة خمسية للتنمية على أساس مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات ، وفي مركز الصدارة من الخطة : إتمام السد العالي بمراحلته ، والتصنيع الثقيل .

وجرت يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٢ تجربة لصاروخين مصريين هما « القاهرة » و « الظافر »^(١٠) . ومع أن تجربة هذين الصاروخين أثبتت نقصا لا بد من استكمالهما في أجهزة التوجيه ، فإن ظهور صواريخ مصرية كان حدثا في المنطقة ، وكان المشرف على مشروع الصواريخ هو أحد العلماء الألمان الذين شاركوا في صنع الصاروخ « ٧ » رقم (١) وهو الدكتور « وولفجانج بيلز » (وكان هو فيما بعد الذي أشرف على صناعة الصواريخ في الصين) .

وأعطيت دفعة كبيرة لصناعة الصواريخ ، وكان الإشراف عليها لعلماء ألمان من

(١٠) هذه الصواريخ - أو النماذج المتطورة منها - تقوم ساعة كتابة هذه السطور (بداية صيف ١٩٨٨) بدور كبير في الصراعات الدائرة في الشرق الأوسط .



الصاروخ « القاهر » لحظة انطلاقه ، الذى أحدث دويا سياسيا هائلا فى المنطقة رغم نواقصه .

الذين كانت تتسابق عليهم الدول العظمى ، وبينها ألاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية .^(١١)

وكان البرنامج النووى فى مصر قد دخل إلى عهد جديد بعد إتمام إنشاء مفاعل « أنشاص » ، وبدأت مصر تعد بجانب مصانع « كيما » للسماد مشروعا لإنتاج المياه الثقيلة ، كما أن طبقات من اليورانيوم تم اكتشافها فى الواحات ، وفى جنوب الصحراء الشرقية .



ولعل الثغرة الأساسية التى تركها « جمال عبد الناصر » وراءه فى هذه الظروف ولم يقطع فيها بطريقة حاسمة كانت هى قضية القيادة فى القوات المسلحة . كانت تجربة الانقلاب فى سوريا قد أوضحت له أن أحوال القيادة العامة بما فيها شخص القائد العام تحتاج إلى مراجعة . كان هذا الموضوع قد طرح نفسه فى أعقاب حرب السويس ، ثم عاد لي طرح نفسه بصورة أشد بعد الانفصال فى سوريا ، وكان لابد من البت فيه ، ولكن « جمال عبد الناصر » أثر

(١١) كان الدكتور « فون براون » منشئ صناعة الصواريخ فى الولايات المتحدة ، بما فيها الصاروخ الذى حمل أول إنسان إلى القمر - أحد هؤلاء العلماء

ناجيل البت فيه ، فقد تخرج من ناحية دفعا لمقولة إنه يتخلص من زملائه في مجلس قيادة الثورة واحدا واحدا ، ومن ناحية ثانية ، فلم يكن يريد إحداث هزة في الجيش في أعقاب الانفصال ، ومن ناحية ثالثة ، فإنه وهو مقبل على مرحلة يريد فيها تدعيم الجبهة الداخلية بتكثيف العمل في مجالات الإنتاج والخدمات - لم يكن مستعدا لأن يعرض الأداة الرئيسية للأمن القومي لأى خلخلة في وقت تتزايد فيه التحديات من حول الجمهورية .

وكان السكوت على الأوضاع السائدة في القوات المسلحة حلا وسطا ، ولم يكن بالضبط انقلابا « أبيض » - كما تقول بعض النظريات - وعلى أى حال فإن خطر الحل الوسط إزاء أوضاع من هذا النوع الذى كان سائدا لم يكن أقل من خطر انقلاب أبيض^(١٢)!



وكانت هناك قوى في العالم ترقب القاهرة وترصد حركتها ، قد ظن كثيرون أن مفاجآت الحوادث وذبولها سوف تعطلها على الأقل - إذا لم تصبها بالشلل - لفترة طويلة .

ثم لاحظ هؤلاء جميعا أن القاهرة تجاوزت صدمتها بسرعة ، واجتازت امتحانها بكفاءة ، ولعل بعضهم راح يفكر ، ولعل بينهم من وجد الفرصة سانحة لى يتحرك الآن وقبل أن تمشى الأمور إلى بعيد قد يصعب اللحاق به . وكانت التقديرات مختلفة باختلاف القوى كما أن التوجهات كانت متباينة بتباين مقاصد أصحابها . وربما كان البيت الأبيض الأمريكى أسرعهم إلى انتهاز الفرص في ذلك الوقت .

(١٢) الحقيقة اننى لست من انصار نظرية الانقلاب الأبيض التى تروج لها بعض الاجتهادات في محاولة ساذجة - في رأيي - لإعفاء جمال عبد الناصر من أى مسؤولية عن الجانب العسكرى سنة ١٩٦٧ - ولو كانت هذه النظرية صحيحة ، فلم يكن يحق لجمال عبد الناصر أن يقبل تحدى الحرب سنة ١٩٦٧ مهما كانت الظروف ، ولا كيف يدخل الحرب بجيش خارج عن طاعة قيادته السياسية^{١٤}!

يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦١ كتب « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى للرئيس « كنيدي » مذكرة إلى « دين راسك » وزير الخارجية^(١٣) جاء فيها بالنص :

« إن الرئيس مهتم كثيرا بالسياسة التى يمكن أن نتبعها إزاء مصر بعد الانقلاب فى سوريا . وهو يتساءل عما إذا كانت الصدمة التى تلقاها ناصر فى سوريا حتى وإن كانت صدمة مؤقتة سوف تدفعه إلى الانكفاء على الداخل ، وإلى خلق فرص لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ولو بقصد الحصول على مساعدات اقتصادية منها .

إن الرئيس يطلب تقريراً ، ويطلب - إذا استدعى الأمر - برنامجاً للعمل ، ويريد أن يكون ذلك عنده قبل يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٦١ .

إمضاء

ماك جورج باندى

وأحست القاهرة أن البيت الأبيض يفكر فى تحرك جديد تجاهها . واستطاع أحد الدبلوماسيين فى السفارة المصرية^(١٤) فى واشنطن أن يحصل على تقرير داخلى من تقارير وكالة المخابرات المركزية سلمه للسفير « مصطفى كامل » الذى بعث به بالحقيبة إلى القاهرة . وقد وردت فى هذا التقرير مجموعة من النقاط أهمها ما يلى :

١ - إن الوقت مناسب لتحرك أمريكى نشيط وخلاق تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، فهناك مجموعة من العوامل تؤثر فى رؤية ناصر للأمور وأهمها ضيقه الشديد من العرب بعد الانفصال فى دمشق ، وما تأكد له من مشاركة أطراف عربية فى تدبيره . وفى نفس الوقت فإن ناصر لا يزال على خلاف حاد مع الاتحاد السوفيتى ، وقد زادت مضاعفات هذا الخلاف من تأييد خالد بكداش للحكم الذى قام فى سوريا ، واعتبر ناصر أن بكداش لا يمكن أن يتخذ هذا الموقف بدون إجماع من الأحزاب الشيوعية العربية يؤيدها فيه الاتحاد السوفيتى الذى كان هو نفسه من أوائل الدول الرئيسية التى اعترفت بحكومة الانقلاب فى سوريا .

٢ - إنه من الواضح اعتماداً على معلومات مصادر موثوقة أن ناصر سوف يركز فى الفترة القادمة على العمل الداخلى ، وهو يرى أن العمل فى الداخل هو السبيل

(١٣) مذكرة عمل صادرة عن مجلس الأمن القومى برقم (١٠٥) بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٦١ وقد أرسلت صور منها إلى وزير الدفاع ، ووزير الخزانة ، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

(١٤) قصة هذا الدبلوماسى لغز من الألغاز الغامضة ، فقد ظهر فيما بعد أنه تعاون بشكل من الأشكال مع وكالة المخابرات المركزية ، وقد حاول دائماً إبعاد الشكوك عن نفسه بالحصول على بعض التقارير الداخلية لوكالة المخابرات المركزية ، ولم يكن معروفاً بشكل مؤكد إذا كانت الوكالة قد سمحت له أن يقوم بهذا الدور المزدوج ، أو أنه هو الذى اختار لنفسه هذا الدور . وقد كانت بعض تقاريره صادقة ، كما كان بعضها الآخر « مصنوعاً » ، وفى النهاية فإن هذا الدبلوماسى عندما فرض عليه أن يختار رفض أن يعود إلى القاهرة ، وقرر البقاء فى الولايات المتحدة ، وتم فصله من الخدمة . وإذا كنت لا أذكر اسمه صراحة فى هذه الحاشية - رغم أنه توفى إلى رحمة الله - فإن مبعث ذلك أنه آدين بالطريق الإدارى ، وليس بطريق المحاكمة .

المفتوح امامه في هذه الظروف لتقوية مركزه في مصر حتى يتسنى له أن يعود مرة أخرى إلى العالم العربي في ظروف مستجدة ، خصوصا إذا نجح رهانه على انتصار الثورة الجزائرية .

٣ - إن « ناصر قوى داخل حدوده » - قد لا يكون عنصرا معاديا للولايات المتحدة ، فخطره الحقيقي على مصالح الولايات المتحدة يجيء حين يخرج من حدود بلاده ، ويتدخل في الشؤون الداخلية لبلدان الشرق الاوسط الاخرى .

٤ - إن ناصر لا يزال عنصرا هاما في مقاومة الشيوعيين ونفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة - وهناك قدر معقول من الافتراض بأنه إذا تلقى مساعدات مناسبة ، فقد يجد أن من مصلحته الاستمرار في سياسة تكفل تحقيق العنصرين السابقين - أي بقاءه داخل حدوده وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخرين - إلى جانب استمراره في العداء للشيوعيين والاتحاد السوفيتي .

٥ - إن تفاعلات هذه العوامل التي سبقت الإشارة إليها قد تدفعه فيما بعد إلى رؤية الضوء بما يسهل عليه تجاوز عقدة استمرار الصراع مع إسرائيل . وإذا أمكن الوصول إلى سلام بين مصر وإسرائيل ، فليست هناك قوة عربية أو مجموعة قوى تستطيع أن تعرقل هذا الاتجاه .



وبدأ هجوم السلام الأمريكي على القاهرة يأخذ ملامحه ، وكانت بدايته خطابا بالغ الرقة من « جاكليين كنيدي » زوجة الرئيس الأمريكي الجديد والنجمة اللامعة في إدارته .

كانت حكومة الولايات المتحدة قد تبرعت لمشروع إنقاذ آثار أبو سمبل (من الغرق نتيجة لتنفيذ مشروع السد العالي) بمبلغ عشرة ملايين جنيه من فوائض مبيعات القمح الأمريكي لمصر . وتعبيرا عن تقدير مصر لهذا التبرع وافق « جمال عبد الناصر » على عرض بعض آثار « توت عنخ آمون » في الولايات المتحدة . كما أن مجلس الوزراء اتخذ قرارا بإرسال تمثال صغير لأحد النبلاء من عصر « توت عنخ آمون » وجدت عدة نسخ في مقبرته كهدية خاصة للبيت الأبيض . وكانت « جاكليين كنيدي » هي التي تولت الرد على هذه الهدية . وبتاريخ ٣ نوفمبر ١٩٦١ كتبت إلى « جمال عبد الناصر » الخطاب التالي نصه .^(١٥)

« عزيزي الرئيس »

لا اعرف كيف اعبر عن شكرنا العميق لك . إنك جعلت من الممكن لنا - على بعد محيطات كثيرة من مصر - أن نرى كنوز مقبرة توت عنخ آمون ، وكان ذلك كرما

(١٥) مجموعة وثائق البيت الأبيض - مكتبة الرئيس كنيدي .

رائعا ، وإشارة رقيقة من جانبك . لقد عشت حياتي كلها اتمنى أن أرى آثار مصر وهكذا يمكنك أن تتخيل مشاعري عندما وقفت أمام كنوز توت عنخ آمون قطعة بعد أخرى . ولقد وقفت أخيرا أمام التمثال الرائع الذى تفضلت بإهدائه إلى البيت الأبيض لأحد النبلاء من القرن الخامس قبل الميلاد . ووجدت نفسى أقف مشدوها لا أعرف ماذا أقول حتى لكاننى فقدت القدرة على النطق .

لقد أغرمت بفنون مصر أكثر من غرامى بأى فنون أخرى ، ومنذ أن كنت تلميذا صغيرة ، فلقد استطاع أساتذتى أن يفتحوا عينى على روائع الفن المصرى . وأنت تعرف مشاعر زوجى تجاه إنقاذ آثار المعابد البديعة الموجودة فى أعالي النيل ولا تستطيع أن تتخيل ما الذى يعنيه أن أجد عندنا فى البيت الأبيض نموذجا من آثار مصر . إنه جميل إلى درجة أننى لا أستطيع أن أشير إليه كشئ . إننى أشعر بالأسى له وهو يجد لنفسه بيتا جديدا بعيدا عن مصر ، ولكن لعله عزاء قليل له ولك أن تعلم أن طيفه سوف يظل معنا طوال حياتنا . وبالتأكيد فإن عمره سوف يكون أطول من أعمارنا ، وسيظل له دائما جلاله الذى لا يضاهى . وأنا واثقة أنه سوف يوقظ لدى كثيرين من الأمريكيين حبهم لحضارة بلادكم ، وربما كان فى ذلك بعض التعويض عن اغترابه . إننى أخشى يا عزيزى الرئيس أننى لن أستطيع أن أجد الكلمات التى أشكرك بها وأمل أن تقدر شعورى بالعرفان ، واتطلع بشوق إلى أن تتيح لى الظروف شرف لقائك فى يوم من الأيام .

المخلصه

جاكلىن كنىدى ،



من الغريب أنه فى الوقت الذى راح فيه « كنىدى » يطرق أبواب القاهرة - كاذ إسرائيل تبذل جهدا كبيرا لإقناع الولايات المتحدة باعتمادها وكيلا لها فى أفريقيا وبالذات فى الدول الحديثة الاستقلال . ويوم ٢١ نوفمبر كتب « ماثير فيلدمان مستشار الرئيس « كنىدى » للشؤون اليهودية مذكرة للرئيس جاء فيها ما نصه :^(٦)

« إلى الرئيس »

١ - تتذكر فى اجتماعنا قبل أسبوعين أنك سالتنى عن معلومات عن المساعدات التى تقدمها إسرائيل إلى الدول الأفريقية حديثة الاستقلال . وكان توجيهك أن نبحث مدى استعداد إسرائيل وأهليتها لهذه المهمة .

٢ - لقد اعترفنا منذ وقت طويل بالدور الهام الذى تقوم به إسرائيل فى الدول الأفريقية النامية ، وتقوم إسرائيل الآن بتنفيذ البرامج التالية

(١٦) مجموعة الوثائق السرية لمكتبة « كنىدى » وكذلك مجموعة وثائق مجلس الامن القومى

(١) تدريب عددا كبيرا من القادة الافريقيين والاسيويين ، ولديها الآن عشرة مراكز دائمة للتدريب في إسرائيل .

(ب) ترسل إسرائيل خبراء ومستشارين إلى عدد من الدول المهمة . وفي الشهور العشرة الأولى من سنة ١٩٦١ أرسلت إسرائيل ٢٠٥ خبراء إلى افريقيا وآسيا ، وستة خبراء إلى أمريكا اللاتينية ، ولديها الآن طلبات إضافية بـ ٦٥ خبيرا جديدا .

(جـ) تنظم إسرائيل مجموعات ومعدات تدريب في عدد من البلدان ، وهي تنشئ الآن خمسة مراكز للتدريب قادرة على استيعاب ٥٠٠ فرد في غرب إفريقيا .

(د) تقيم مشروعات مشتركة أبرزها شركة غرب افريقيا التي تستخدم الآن خمسة آلاف موظف محلي وإدارة إسرائيلية مكونة من خمسين خبيرا ومستشارا .

إن هذا النشاط يناسب الولايات المتحدة الأمريكية ، ويخدم أغراضها بأقل التكاليف للأسباب التالية .

١ - إن الخبرة الإسرائيلية رخيصة ، فالخبير الإسرائيلي لا يتكلف أكثر من ٨٠٠ دولار في الشهر في حين أن أي خبير أمريكي يحتاج إلى ضعف هذا المبلغ على الأقل .

٢ - لأن إسرائيل دولة أصغر ، فإنها يمكن أن تكون أكثر نفاذاً .

٣ - لأن ٥٠٪ من سكان إسرائيل من أصل آسيوي وإفريقي ، فإن ذلك يجعلهم قادرين بسرعة على التأقلم .

ونحن نقترح (بقية صفحات التقرير محذوفة لدواعي الأمن القومي المستمرة حتى الآن) . «



وفي يوم ١٠ يناير ١٩٦٢ رد وزير الخارجية « دين راسك » على التساؤل الذي وجهه له « ماك جورج باندى » وقد جاء في رده ما يلي :

١ - إنه يقترح إمداد مصر ببعض المعونات الاقتصادية لإبعادها عن أي اقتراب من السوفييت .

٢ - إن إحساس ناصر نتيجة للمعونة بأن لديه ما يفعله في بلاده سوف يغريه بعدم الخروج وراء حدوده .

٣ - إنه يقترح أن تكون المعونة لعدة سنوات لكي تعزز إمكانية الارتباط السياسي الطويل المدى .

٤ - إنه يقترح إجراء اتصالات مباشرة مع الحكومة المصرية عن طريق وفد سياسى يزورها ، وعن طريق بعثة خبراء تدرس أوضاعها .

٥ - إنه يقترح دعوة ناصر لزيارة الولايات المتحدة « ويرى أن ذلك أمر مرغوب فيه » لتهيئة فرصة لإجراء مواجهة شخصية معكم ، ولتعريفه بالولايات المتحدة ، وبالغرب عموما ، فهو لم يزر أى بلد غربى إطلاقا باستثناء حضوره الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٦٠ ، ثم للتغلب على شعور ناصر بأننا لا نريده ، وهو ما نعتقد أنه أثر على مسلكه تجاه الولايات المتحدة تأثيرا معاكسا . »

وختم « دين راسك » مذكرته بقوله :

« إننى على علم بأن هذه الخطوات ربما بدت تأييدا لنظام ناصر ، ولكن علينا أن نعرف أن الترتيب لهذه الأمور كلها سوف يستغرق وقتا طويلا نستطيع فيه أن نراجع موقفنا . وفى كل الأحوال فإننا يجب أن نأخذ مخاطر محسوبة . »
ويوم ٢٤ يناير ١٩٦٢ كتب الرئيس « كنيدي » إلى « جمال عبد الناصر » خطابا شخصيا كان نصه كما يلي :^(١٧)

« عزيزى الرئيس »

فى العام الذى مضى ، ومنذ تسلمت رئاسة الولايات المتحدة تبين لى أن هناك مشكلة كبيرة فى فهم آراء وشواغل اصدقائنا فى الخارج ، وأن مبعث ذلك هو أنه لا توجد صلات كافية بيننا وبين رؤساء الدول الأخرى . ومن الواضح امامى أن العالم يتغير بسرعة غير عادية ، والعام الحالى ، والعقد الحالى فى رأى حاسمان بالنسبة لنا جميعا بأكثر من أى عام ، أو أى عقد سبقا على مدار التاريخ . وأعرف انكم تشاطروننى الرأى فى أنه يتعين علينا أن نبذل كل ما فى طاقتنا لتحسين احتمالات السلام فى كل ركن من أركان العالم . ومن المقرر أن يقوم صديقى العزيز ومستشارى تشستر بولز برحلة إلى الشرق الأوسط وأفريقيا وبناء عليه يهمنى أن أطلب منه أن يبحث معكم بصراحة ، وبالنيابة عنى جميع أنواع القضايا العالمية المعقدة التى تسبب المتاعب لعالمنا الآن . وفى وسع السفير بولز التوقف لبضعة أيام فى القاهرة فى شهر فبراير لإجراء هذه المناقشة معكم . ويمكنه أن يصل فى اليوم الثالث عشر من فبراير إذا كان هذا الموعد ملائما لكم .

ولعلمكم تعرفون اننى قد عينت السفير بولز اخيرا ليكون ممثلى الشخصى ، ومستشارى بالنسبة لجميع جوانب علاقات الولايات المتحدة مع آسيا وأفريقيا

(١٧) مجموعة وثائق مكتبة « كنيدي » ومجلس الأمن القومى ، وكذلك مجموعة وثائق وزارة الخارجية الامريكية لسنة ١٩٦٢ .

وامريكا اللاتينية . وقد توافرت له خبرة واسعة النطاق في الشؤون الاقتصادية والسياسية لهذه الأجزاء من العالم . كما أن لديه فهما وتعاطفا عميقين بالنسبة للمشكلات المتشعبة للبلدان التي تسعى سعيا حثيثا في سبيل تنشيط عملياتها الخاصة بالتنمية الوطنية الذاتية . وإذا وافقتم على لقائه فسوف يتم الإعلان عن توقفه في القاهرة باعتباره فرصة لزيارة الجمهورية العربية المتحدة ليخرج بنفسه بانطباعات مباشرة عن مصر الحديثة . غير أن الغرض الحقيقي من زيارته للقاهرة هو أن يجتمع معكم ، وأمل أن تتحدثوا معه بمثل الصراحة التي يمكن أن تتحدثوا بها معي حول الموضوعات التي تمس العلاقات بين أمتينا ، والشرق الأوسط بصورة عامة ، والشؤون الدولية جميعا ، وسوف يكون بمقدوره أن ينقل إليكم آرائه الشخصية حول هذه الموضوعات كلها . وسأكون عظيم الامتنان لمعرفة رد فعلكم تجاه اقتراحى ، ويسعدنى أن أعرف مع تقديرى لكل اعبائكم ما إذا كان وقتكم سيتسع لمباحثات معه اعتقد أنها ربما برهنت على فائدتها القصوى لكلينا .

مع اطيب التمنيات .

المخلص

جون ف . كنيدي

وحين تسلم « جمال عبد الناصر » هذه الرسالة التي قدمها له السفير الأمريكى « جون بادو » كتب في أعلاها بخط يده بالنص :

« وافقت :

- ١ - على الزيارة ، ويكون ضيفا على الحكومة .
- ٢ - يتم الاتفاق مع السفير على برنامج الزيارة .
- ٣ - وافقت على مقابلته يوم ١٤ فبراير الساعة الثامنة مساء .



وتم اللقاء في موعده ، وتبعه لقاء ثان ، وسافر « تشستر بولز » من مصر بعد ذلك متوجها إلى أثيوبيا ، ومن عاصمتها « أديس أبابا » بعث ببرقية سرية إلى الرئيس « جون كنيدي » يعرض فيها نتائج لقاءاته مع « جمال عبد الناصر » :^(١٨)

٢١ فبراير ١٩٦٢

« سرى »

إلى الرئيس من تشستر بولز

لقد كانت الايام الخمسة التي قضيتها في القاهرة وحولها مشجعة أكثر مما قدرت . إننى عقدت لقاءين مع ناصر قضيت معه فيهما خمس ساعات اتاحت الفرصة

(١٨) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى ووزارة الخارجية الأمريكية .

لأعرض عليه بشكل مكثف مجملًا لسياسات الإدارة الأمريكية الجديدة ، ولكي أسمع منه وجهات نظره في القضايا الهامة بما فيها أزمت الشرق الأوسط ، وتوقعيات العلاقات المصرية الأمريكية . وكان حديثنا وديا طوال الوقت ولم يكن هناك اثر للانفعال في أى لحظة ، وكان ناصر متمكنا من نفسه ، وقد طرح آراءه بطريقة صريحة وواضحة . ومن الواضح لى أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تريد تحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة ، وقد اعتبروا أن زيارتي لمصر كممثل للرئيس فرصة لوضع أساس للتفاهم بيننا . وأريد أن أعرض هنا بعض انطباعاتي :

١ - إن مصر سوف تظل تلعب بالتأكيد دورا أساسيا في شؤون الشرق الأوسط بسبب موقعها ، وتأثيرها الثقافي في العالم العربي ، وأهميتها في العالم الإسلامي ، وحجم سكانها ، وثروتها الزراعية ، وكفاءة وشخصية قيادتها المثيرة للحماسة . وإذا كان علينا أن نواجه عداً من مصر ، فليست أرى كيف يتسنى لنا أن نتوصل إلى حل لمشكلة فلسطين ، أو أن نحقق أى هدف من أهداف الولايات المتحدة في المنطقة .

٢ - إن أية ترتيبات سياسية مؤقتة لن تقدم لنا أكثر من فرصة لالتقاط الأنفاس . فإذا كنا نريد أن نسعى لتحقيق سياسة بعيدة الأمد ، فيجب علينا أن نساعد على إيجاد حل لمشكلة زيادة السكان ، وزيادة تطلعاتهم مع وجود موارد اقتصادية محدودة - وإلا فإن الوقف في هذا البلد المؤثر في الشرق الأوسط سوف يصبح قابلاً للانفجار بما يؤثر على المنطقة كلها .

٣ - إن نجاحنا يتوقف على قدرتنا على إقناع ناصر بالإسك بالمحراث بدلا من الميكروفون . وبهذه الطريقة وحدها يمكن أن نضمن تقدم المنطقة سلميا إلى العالم الحديث .

ولقد خرجت من مقابلتي مع ناصر وبغيره من أعضاء حكومته بالانطباعات التالية :

١ - إن الحكومة في مصر تقودها مجموعة من الرجال شديدي الكفاءة ، ومعظمهم في سن الشباب ، مليئين بالعزم ، ولديهم تفان عميق لتحقيق أهدافهم .

٢ - مهما يكن من أمر انتقاداتنا لناصر ومساعديه ، فإنهم مخلصون في تفانيهم من أجل تحسين أحوال الشعب المصري ، وهم شديدي الوعي بالمظالم الاقتصادية التي حلت بمصر لأجيال متلاحقة ، وهم مصممون على إزالتها .

٣ - إن قادة الجمهورية العربية المتحدة - فيما أحسست ورايت - رجال عمليون يبحثون عن الأساليب التي تمكنهم من تنمية اقتصادهم ، والمحافظة على سياستهم . وقد كانت الصناعة المصرية تقليديا موجهة إلى تحقيق أكبر عائد ممكن في أقل وقت ممكن ، مع الاعتماد على الحماية دون نظر إلى الاستثمارات بعيدة المدى . وبرغم أن الحكومة حاولت بكل جهدها تشجيع رأس المال الأجنبي ، فإن النتيجة كانت مخيبة للآمال . وعندما فقد ناصر وزملاؤه ثقتهم في تحقيق أهدافهم على أساس نموذج رأسمالي حر ، فقد بداوا يتجهون نحو التخطيط المركزي . وربما كانت القرارات

التي اتخذت اخيرا لزيادة تركيز التوجيه الاقتصادي تعكس إحباط النظام وغضبه عقب انفصال سوريا ، وخوفا من حدوث انقلاب مماثل في مصر وبعد أن ساروا طويلا في اتجاه التخطيط المركزي يبدو لي الآن أنهم يعاودون التفكير .

٤ - إن رأى ناصر ومعاونيه في الاتحاد السوفيتي ، وفي الصين الشعبية يبدو لي رأيا عمليا غير ملتبس بأى اتجاهات عقائدية . فهم سوف يستعملون الاتحاد السوفيتي كمصدر للسلاح والاستثمارات بما يلائم مصالحهم - وبالطبع فإنهم سوف يتبعون نفس الأسلوب معنا

٥ - إن الجمهورية العربية المتحدة تنظر إلى إسرائيل كما تنظر الولايات المتحدة بالضبط إلى الاتحاد السوفيتي . ولن نتقدم بعيدا إذا حاولنا مجرد تسفيه هذا التقدير من جانبهم . وهم على اقتناع بأن حكومة الولايات المتحدة لا تستطيع الصمود أمام الضغوط الصهيونية في الولايات المتحدة .

٦ - وبنفس الطريقة ، فإن المصريين على اقتناع بأن البريطانيين والفرنسيين لم يتخلوا عن تصميمهم على تدمير ناصر ، وقد ذكروا لي أن مخابراتهم تعرف يقينا كثيرا من المعلومات عن التعاون البريطاني - الإسرائيلي . كما أنهم يعتقدون أن البريطانيين والأردنيين كان لهم دور في حوادث لبنان وهم مصممون على أن أعضاء البعثة الفرنسية في القاهرة والذين تجرى محاكمتهم الآن فيها كانوا يتآمرون لقتل ناصر .

٧ - إن هذا يقودني إلى الاعتقاد بأن النظرة الأمريكية لناصر وزملائه تتسم بتبسيط شديد ، كما أنه يشوبها الكثير من القصور . فلقد قللنا من أهمية الطابع الثوري لنظامه ، كما أننا في ضيقنا من أعمالهم وأقوالهم اتجهنا إلى التقليل من أهمية مصر وناصر في مستقبل الشرق الأوسط .

ولقد شرحت لناصر النقاط التالية :

١ - في حالة هجوم سوفيتي على الولايات المتحدة ، فنحن واثقون من قدرتنا على توجيه ضربات رادعة لا يمكن احتمالها للاتحاد السوفيتي . ولم يساورني شك في أن ناصر يدرك ذلك تماما .

٢ - أكدت له أننا لا نرغب في أن نفرض نظامنا على أى أمة أخرى ، وبرامجنا للمساعدة تشهد بذلك . وقد عرضت عليه أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، وأكدت له أننا لا نريد السيطرة على المنطقة ، ثم إننا لم نعد في حاجة ماسة إلى بترونها ، وكل ما يعيننا هو أن نساعد على تنمية المنطقة واستقلالها ليكون لها حق الاختيار في إطار ثقافتها الخاصة . وبالتأكيد فنحن لا نضغط على مصر ، ونحن على استعداد لقبول سياستها في عدم الانحياز شريطة أن تكون غير منحازة فعلا .

٣ - إننا ندرك الضغوط العاطفية المتولدة في كل من القاهرة وتل أبيب بسبب

الصراع العربي الإسرائيلي ، وندرك أن هذا لا يمكن أن يحل بين عشية وضحاها ، ولا نتوقع معجزات .

٤ - ونحن نعتقد أن ما يحدث في مصر سوف يؤثر ليس فقط على مستقبل ناصر وحكومته وإنما على المنطقة كلها ، وأن المستقبل لا يتوقف على الدعايات التي يبثها صوت العرب ، وإنما على قدرة الحكومة المصرية على حل مشاكل شعبها . وأن مستقبل ناصر في التاريخ سوف يتقرر بقدرته على مقابله هذا التحدي

وقد استمع ناصر إلى كل ما قلته باهتمام ، وبدأ لي أنه يتقبل خطوطه العريضة . وقد ركز في رده معي على النقاط التالية .

١ - إن الولايات المتحدة يجب أن تبني سياساتها على الشعوب وإمكانيات تطورها ، وقدرتها على التحقيق ، وليس على أشخاص بعينهم مهما كانوا أصدقاء لها .

٢ - إن إسرائيل خطر حقيقي وقائم على الجمهورية العربية المتحدة . والجمهورية العربية المتحدة لن تبدأ بالحرب ، ولكن إسرائيل أبدت تصميمها باستمرار على أن تفعل ذلك .

٣ - في موضوع العلاقات الإسرائيلية - العربية فهو لا يريد من الولايات المتحدة إلا أن تراعى مصالحها ، ولا تسمح لجماعات الضغط الخاصة ، أو للأقليات بأن ترسم لها سياستها .

٤ - إن المجتمع الإقطاعي التقليدي القديم في الجمهورية العربية المتحدة قد مات فعلا ، وإن الحكومة مؤيدة بالشعب مصممة على تصفية بقاياها .

٥ - إن هناك خلافات لاشك فيها بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، وليس هناك مجال لإنكار ذلك ، فهناك تصادم في الأهداف في بعض الأحيان ، ولكن لدينا رؤى مشتركة لكثير من الأمور ، وعلينا أن نحدد بالضبط أين نختلف وأين نتفق .

٦ - إن مخاوفنا من الشيوعية في المنطقة لا أساس لها ، فالنظام الشيوعي من ناحية سياسية واقتصادية غير قابل للتطبيق لا في الشرق الأوسط ولا في أفريقيا .

إمضاء

تشستر بولز»

ولم تمض إلا أسابيع حتى كان الدكتور « عبد المنعم القيسوني » يقود وفداً اقتصادياً إلى الولايات المتحدة ، ويوقع هناك اتفاقاً طويلاً المدى حصلت به الجمهورية العربية المتحدة على ما يساوي خمسمائة مليون دولار من القمح في أربع سنوات .



ولم يطل الصفاء في الجوطويلا ، فقد بدأ كثير من أصدقاء الولايات المتحدة العرب يحتجون على الولايات المتحدة لأنها تكافئ أعداءها على حساب أصدقائها . واضطر الرئيس « كنيدي » إلى أن يكتب خطابا للملك « سعود » ولغيره من رؤساء الدول العربية جاء فيه بالنص^(١٩) : « إننى لا أعرف ما إذا كانت سياستنا الجديدة إزاء القاهرة سوف تحقق النجاح ، ولكننى أعتقد أنه إذا حدث ذلك فإن أصدقاءنا في المنطقة سوف يكونون أول المستفيدين من المناخ في الشرق الأوسط » .

وكانت استجابة « كنيدي » لأصدقاء أمريكا من العرب متحفظة . ولكن استجابته لإسرائيل كانت أقل تحفظا . فقد بدأ « بن جوريون » يضغط على « كنيدي » من أجل الحصول على أسلحة أمريكية ادعى أنها لازمة لإسرائيل إزاء القوة النامية لمصر عسكريا واقتصاديا . وتحت ضغوط صهيونية مكثفة استجاب « كنيدي » في شهر أغسطس ١٩٦٢ لطلب إسرائيل بالحصول على صواريخ « هوك » الأمريكية . ولم يستطع « كنيدي » أن يقاوم هذا الضغط بسبب قرب موعد انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكى .

وحيثما تسربت أول أنباء عن هذه الصفقة قام الرئيس « جمال عبد الناصر » باستدعاء السفير الأمريكى « جون بادو » إلى مقابلته ، وأبلغه أنه يشعر أن القرار الأمريكى بتسليح إسرائيل بصواريخ « هوك » يعتبر بمثابة خطوة في اتجاه تغيير في سياسة الولايات المتحدة الجديدة في المنطقة ، وأنه ينظر إليه باعتباره تطورا خطيرا . وحاول السفير « جون بادو » أن يشرح الضغوط التى تعرض لها الرئيس الأمريكى ، ويضيف إلى ذلك « أن صواريخ الـ « هوك » هى في كل الأحوال أسلحة دفاعية ، وقد أراد الرئيس كنيدي إعطائها لإسرائيل حتى يصرفها عن أى تفكير في خيار نووى » ! ورد عليه « جمال عبد الناصر » بنقطتين^(٢٠) :

١ - «إننا إذا عدنا إلى منطق أن الضغط الصهيونى في الولايات المتحدة يستطيع أن يفرض على الرئيس الأمريكى سياسات لا يريدها « فإننى لا أعرف إلى أى مدى يقودنا ذلك ، وما هى عواقبه على المستقبل » .

٢ - «إنه من الغريب أن يقول له السفير الأمريكى إن صواريخ الهوك دفاعية ، وأن بين الأسباب التى تبرر إعطائها صرف نظر إسرائيل عن أى خيار

(١٩) مجموعة وثائق مكتبة « كنيدي » ومجلس الأمن القومى الأمريكى .

(٢٠) تقرير السفير « بادو » إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو ضمن مجموعة ملفاتها لسنة ١٩٦٢ .

نووى - فى الوقت الذى تتلقى فيه القاهرة تقارير تشير الشك حول قيام إسرائيل بمساعدة فرنسا ببناء مفاعل فى « ديمونة » .



وفى ذلك الوقت من شهر أكتوبر ١٩٦٢ وقعت أزمة الصواريخ التى وضعها الاتحاد السوفيتى على قواعد فى كوبا ، وتخرج الموقف العالمى إلى درجة تهدد سلامه بالخطر .

وفى يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٦٢ طلب السفير الأمريكى « جون بادو » موعدا عاجلا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان يريده فى نفس اليوم . ولم يتمكن « جمال عبد الناصر » من مقابله فى الموعد الذى طلبه بسبب ارتباطه بمشاغل أخرى . ومر السفير الأمريكى على بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » وترك له رسالة رسمية من الحكومة الأمريكية مرفقا بها خطابا موجها إليه من الرئيس « جون كنيدي » . وكان نص الرسالة التى تركها السفير الأمريكى على النحو التالى بالحرف : (٢١)

« السفارة الأمريكية

٢٣ أكتوبر ١٩٦٢

القاهرة - الجمهورية العربية المتحدة

عزيزى السيد الرئيس

بناء على طلب الرئيس كنيدي أرفق مع هذا خطابا منه يتعلق بالموقف فى كوبا ، وكذلك نص البيان الذى وجهه الرئيس كنيدي إلى الأمة الأمريكية مساء أمس ٢٢ أكتوبر ، وإنى رهن امر حكومتكم لآى مزيد من التفاصيل ترغبون فى معرفتها .

وهل لى أن انتهز هذه الفرصة لأنهى إليكم بصورة سرية أن علماء أمريكيين قاموا أخيرا بزيارة مفاعل ديمونة الذرى فى إسرائيل . واستنادا إلى زيارتهم ، والتفتيش الذى قاموا به تجدد حكومة الولايات المتحدة تأكيداتنا التى سبق أن قدمتها إليكم فى يونيو ١٩٦١ وهى أن نتيجة التفتيش الأمريكى تؤكد البيانات الإسرائيلية القائلة بأن المفاعل الذى يجرى إنشاؤه لا يصلح إلا للأغراض السلمية وحدها . ويجرى العمل فى هذا المفاعل بصورة عادية ، ولا يوجد دليل قط على استعداده لإنتاج اسلحة نووية .

باحترام

جون س . بادو

السفير الأمريكى

(٢١) صورة من خطاب السفير فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب صفحة ٩١٩ تحت رقم ٤٠

ثم تلت ذلك رسالة « كنيدي » الموجهة إلى « جمال عبد الناصر » وكان نصها :

« البيت الأبيض

عزيزي الرئيس

لقد طلبت من السفير بادو أن يسلم لكم شخصيا نسخة من خطاب للأمة سوف أوجهه إليها الليلة ، وهو يتعلق بالتطورات الخطيرة في كوبا ، وعن الإجراءات التي قررت اتخاذها . فمن الواضح لنا أن هناك قواعد للصواريخ النووية قد وضعت على الأرض الكوبية بواسطة الحكومة السوفيتية ، ونحن واثقون من صحة معلوماتنا ، وأنها ليست موضع شك . ثم إن معلوماتنا تؤكد أن هناك قواعد جديدة للصواريخ يجري بناؤها ، وقد طلبت من وزارة الخارجية أن تشرح لسفيركم هنا كل التفاصيل . واعتقادي أن هذا التصرف من جانب السوفيت يتناقض مع تصريحات المسترخوشوف ، ومع التأكيدات التي قدمها إلى شخصيا قبل أيام وزير الخارجية السوفيتي جروميكو ، والتي كان مؤداها أن الاتحاد السوفيتي لن يضع في كوبا غير أسلحة دفاعية .

وتذكرون أنني قلت قبل شهر في تصريح علني إنه « إذا تحول حشد القوات الشيوعية في كوبا ليصبح هجوما ، فإن الولايات المتحدة سوف تفعل كل ما في وسعها لحماية نفسها وأمنها وحلفائها .

ولهذا فإنني وجدت ضروريا أن افرض منطقة حجر نووي حول كوبا لأمنع وصول صواريخ هجومية أخرى بواسطة السوفيت ، واثق أن عملنا هذا سوف يؤدي إلى إزالة الصواريخ من كوبا .

إنني أبلغت المسترخوشوف بأمل في استئناف طريق المفاوضات السلمية . وقد وجهت وفدنا الدائم في نيويورك إلى أن يدعو مجلس الأمن ، وطلبت من سفيرنا ستيفنسون أن يعرض قرارا يدعو إلى سحب الصواريخ السوفيتية من كوبا تحت إشراف مراقبين من الأمم المتحدة ، وهذا وحده هو الذي سيجعلني أرفع حالة الحصار حول كوبا . وأتمنى أن تصدروا تعليماتكم إلى وفدكم الدائم في الأمم المتحدة ليتصرف ، ويتحدث مؤيدا لموقف الولايات المتحدة .

ولكم أن تطمئنوا إلى أن وزارة الخارجية هنا سوف تظل على اتصال دائم بسفيركم .

جون كنيدي «



كان العالم يقف على حافة الهاوية في أواخر شهر أكتوبر ١٩٦٢ عندما اكتشفت طائرات التجسس الأمريكية قواعد لإطلاق الصواريخ نصبها الاتحاد السوفيتي على الأرض الكوبية . وبدا أن الصدام يمكن أن يقع بين القوتين الأعظم ، وأن يكون نوويا ، لكنه وفي اللحظة الأخيرة - وكالعادة ! - أمكن تجنب الصدام ، ووصلت

القوتان الأعظم إلى حل رفعت فيه قواعد الصواريخ في كوبا في مقابل رفع بعض قواعد الصواريخ في تركيا ، إلى جانب تعهد أمريكي بأن لا تقدم الولايات المتحدة على غزو كوبا .

ولقد أوضحت هذه الأزمة للعالم أن القوتين الأعظم تعرفان لغة مشتركة بينهما للخطاب في وقت الأزمات ، وأن بقية الأطراف لا يعرفون هذه اللغة ، ولا يصنعون استخدامها ، ولربما كان أغرب ما حدث نتيجة للخطاب المباشر بين القوتين الأعظم في وقت الأزمة ، أن الاتحاد السوفيتي قرر فك قواعد الصواريخ في كوبا دون أن يتشاور ، أو يخطر الرئيس « فيدل كاسترو » زعيم كوبا الذي كانت الأزمة كلها تجري على أرض بلاده ، وكان من المحتم أن تكون هذه الأرض أول مسارح العمليات بين العملاقين إذا وقع المحذور .

وفي يوم ٣١ أكتوبر رد « جمال عبد الناصر » على رسالة « كنيدي » إليه حول الأزمة ، وجاء في نص خطابه ما يلي :

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة »

القاهرة في ٣١ أكتوبر ١٩٦٢

عزيزي الرئيس

تلقيت بكثير من الاهتمام كتابكم المؤرخ في الثاني والعشرين من أكتوبر الذي أرفق ببيانكم الرسمي إلى الأمة الأمريكية حول الوضع في كوبا . والواقع أنني أقدر جهدكم لتوضيح اتجاه السياسة الأمريكية أمام المعنيين بالتطور العالمي والمنشغلين بقضايا السلام .

واعتقد انه لم يعد هناك الآن مجال لمناقشة وجهات النظر المختلفة حول طبيعة القواعد المقامة في كوبا ، والتي أثارت ريبكم .

وفي الوقت عينه ، لم يعد هناك مجال الآن لمناقشة التدابير الأمريكية التي اتخذت لمقابلة هذا الوضع .

ولم يعد هناك مجال لمثل هذه المناقشة التي أصبحت - لحسن الحظ - بلا اثر . لأن اهتمام شعوب العالم بالسلام ، وانعقاد عزميتها على صيانتها وجهودها داخل الأمم المتحدة وخارجها ، وكذلك ما تميز به مسلك جميع أطراف النزاع من حكمة وتقدير سليم وشعور بالمسؤولية - هذه العوامل جميعا يحسن معها ، ومن الأجدى بالنسبة لها التطلع إلى المستقبل بدلا من التشبث بالماضي .

ويهنئ هنا ان أسجل بضع ملاحظات .

□ أولا - إننا لنقدر استجابكم لنداء السيد يوثانت الأمين العام بالنيابة للأمم المتحدة ، وكذلك التعاون الذي قدمه إليه وفد الولايات المتحدة في الأمم المتحدة .

وما زلنا نعتقد - ويشاطرنا في هذا الاعتقاد كثير من الشعوب المحبة للسلم - بأن التعاون المخلص في إطار الأمم المتحدة هو خير ضمان لحل المشكلات حلا سلميا .

□ ثانيا - إننا لنقدر تقديرا عميقا أن التدابير الأمريكية - بغض النظر عن رأينا فيها - قد تمت بطريقة خالية من التحريض العدواني .

□ ثالثا - إننا لنقدر وعدمكم بعدم القيام بغزو كوبا عسكريا ، ونشعر بأن هذا التعهد هو مساهمة صادقة في التخفيف من حدة التوتر .

ولنا هنا أن نعلن بثقة اعتقادنا بأن الولايات المتحدة ، وبما لها من قوة هائلة ، تستطيع أن تعزز السلام أكثر من سواها . وهي في هذا المقام تحمل مسؤولية تاريخية أمام البشرية بأسرها ، لأن السلم القائم على العدل هو مطلب إنساني يسبق كل ما عداه ، لأنه لا يصون الحياة وحسب ، بل هو يشرفها أيضا .

التوقيع

جمال عبد الناصر»

الفصل الرابع

ثورة في اليمن



ما كاد العالم يتنفس الصعداء بعد انتهاء أزمة الصواريخ الكوبية حتى انتبه فجأة ، فإذا هناك وضع جديد في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبدا هذا الوضع الجديد وكأنه يجيء معه باحتمالات تغيير في موازين القوة في الشرق الأوسط تلوح بالفعل بواورها . كانت مقدمات الحوادث التي أدت إلى هذا الوضع قد بدأت دون أن تلفت أنظارا كثيرة إلى إمكانيات تداعيتها ، وإلى دلالاتها الحقيقية .

سمع العالم وسط انشغاله بأزمة الصواريخ الكوبية أن هناك انقلابا وقع في اليمن ضد أسرة « حميد الدين » التي كانت قد عزلته عن العالم ، وفرضت عليه حجابا من ظلام القرون الوسطى . وفي وسط زحام الحوادث على المسرح العالمي لم يقدر أحد أهمية ما جرى ولا عواقبه . ثم بدأ العالم يلتفت بجذ حينما تبين بعد أسابيع قليلة أن هناك قوات مصرية قد عبرت البحر الأحمر ووصلت إلى اليمن . وكانت المعاني الواضحة لذلك على الفور .

١ - أن القوات المسلحة المصرية تمكنت بسرعة من السيطرة على خط مواصلات طويل - من شمال البحر الأحمر إلى جنوبه - على امتداد ما يزيد على ألفي كيلومتر .

٢ - أن مصر بهذه السيطرة قد أصبحت تمسك بمداخل البحر الأحمر عند

ملتقاه بالبحر الأبيض عند قناة السويس ، كما أنها تمسك بمخارجه الجنوبية عند نقطة لقائه بالمحيط الهندي .

٣ - أن مصر بهذه القفزة البعيدة قد أصبحت موجودة في شبه الجزيرة العربية ، وبالقرب من أهم مواطن البترول ومنابعه .

٤ - أن هذه العملية في حد ذاتها تعنى أن حركة القومية العربية التي بدت تفاعلاتها محصورة - أو على الأقل هادئة - لمدة عام في أعقاب انفصال سوريا ، قد عادت إلى نشاطها ، ثم إن هذا النشاط أصبح له جانب عسكري .

ولم يكن العالم مستعداً لهذه المفاجأة . والغريب أن مصر كانت هي الأخرى في حال المفاجأ بما حدث .



في صيف ١٩٦٢ كانت القاهرة مستغرقة في قضايا أخرى :

● كانت تلك هي الفترة الحرجة في حياة الثورة الجزائرية ، فبعد أن تم توقيع اتفاق مع فرنسا ، وقع الخلاف بين القيادة الجزائرية . ذلك أن الحكومة الجزائرية المؤقتة التي كان يرأسها السيد « يوسف بن خده » اختلفت مع قيادة جيش التحرير في الداخل ، واستحكم الخلاف إلى درجة تهدد بالحرب الأهلية حين تبني الزعيم الجزائري « أحمد بن بيلا » وهو القائد اللامع للثورة وجهة نظر العقيد « هواري بومدين » قائد جيش التحرير الجزائري . ورفض « بن بيلا » ومعه مجموعة من زعماء الثورة الذين خطفتهم فرنسا سنة ١٩٥٦ وبقوا في سجونها حتى سنة ١٩٦١ - أن يدخل إلى الجزائر مع الحكومة المؤقتة ليشترك في احتفالات يوم الاستقلال ، ويشارك بالتالي في الحكومة التي قامت بعده . وكانت جموع الشعب الجزائري التي صدمها الخلاف ورأته يدفع وطنها في فجر استقلاله إلى حافة الحرب الأهلية - خرجت إلى الشوارع وندأوها الوحيد : « سبع سنوات بركات » أي « سبع سنوات تكفى » - إشارة إلى أن الجماهير التي خاضت حرب الاستقلال ترفض أن تدفع إلى حرب أهلية . وتدخلت مصر بدورها المتميز في الخلاف ، وكان ذلك طبيعياً ، كما أنه تحول إلى مطلب شعبي جزائري . وبعد أيام عصيبة تراجعت الحكومة المؤقتة ، وأفسحت المجال للقيادة الشرعية للثورة الجزائرية ممثلة في « بن بيلا » ورفاقه ، وفي « بومدين » وجيشه . واستطاعت الجزائر أن تبدأ احتفالها الموعود بالاستقلال .

● وفي نفس هذا الصيف - في شهر يوليو ١٩٦٢ - انشغلت القاهرة لعدة ايام بمحاولة مولها الملك « سعود » وشارك في الإعداد لها عدد من اللاجئين المصريين في الخارج - وكان هدفها نسف المنصة التي كان مقررا أن يلقي « جمال عبد الناصر » منها خطابه في العيد العاشر للثورة بميدان الجمهورية - عابدين - وقد اكتشفت العملية واكتشف سلاحها - وهو قنبلة موقوتة - قبل ساعات من موعد بدء الخطاب .

● وفي شهر أغسطس ١٩٦٢ انشغلت القاهرة بأحداث في السعودية منها قيام مظاهرات وإجراء اعتقالات ، ثم وقع خلاف كبير بين الأسرة المالكة السعودية - فإن الأمير « طلال بن عبد العزيز » الذي كان قد اشترك في الوزارة - التي شكلها الملك « سعود » قبل شهور عندما قام بانقلابه الأول على الأمير « فيصل » - مع عدد من إخوانه الأمراء الشبان - أقيل بدون مقدمات ظاهرة من منصبه كوزير للمالية ، ثم سافر إلى جنيف ، ثم عاد من جنيف إلى بيروت ليعقد فيها مؤتمرا صحفيا يعلن فيه أنه لن يعود للسعودية ، ثم يبدأ في مهاجمة نظام حكم أخيه الملك « سعود » ويكشف عن حقائق وأوضاع في المملكة لم يستطع أن يسكت عليها . وأعلن الأمير « طلال » في مؤتمره الصحفي في بيروت عن أسباب خلافه مع الملك « سعود » وهي أسباب تتعلق بطريقة الحكم في المملكة ، وبالفساد المستشري في قصورها ، وبالأسلوب المتبع في حكمها . وقال « طلال » إن خلافه مع الملك ليس خلافا شخصيا ، وإنما هو خلاف يقوم على أسباب موضوعية ومبدئية . وتازم الموقف عندما انضم أربعة من الأمراء الشبان هم « عبد المحسن » و « بدر » و « فواز » و « سعد » (آل سعود) وشكلوا ما أسموه « حركة الأمراء الأحرار » وأعلنوا أنهم سوف يناضلون ضد الحكم القائم في الرياض . وأمر الملك « سعود » بسحب جوازات هؤلاء الأمراء المتمردين عليه ، ثم اتبع ذلك بمصادرة أموالهم واحتلال قصورهم . وفي يوم ١٩ أغسطس ١٩٦٢ وصل الأمراء الخمسة إلى القاهرة ، وفيها أعلن « طلال » أن « معركتهم ضد سعود ومن أجل تغيير الأوضاع في الرياض سوف تنتقل إلى داخل السعودية » .

● وكانت القاهرة منشغلة أيضا بعملية إعادة التنظيم الداخلي للحكم فيها . فقد أعلن « جمال عبد الناصر » يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢ أنه نقل كل سلطاته إلى مجلس لرئاسة الجمهورية ، وأن أعضاء هذا المجلس لن يتولوا سلطات تنفيذية ، وإنما يقومون هم بالإشراف على عمل مجلس تنفيذي جديد يرأسه السيد « على

صبرى . وبمقتضى هذا التنظيم صدر إعلان دستورى يستوحى روح ميثاق العمل الوطنى وينظم سلطات الدولة :

□ رئيس الدولة وهو رئيس الجمهورية يرأس مجلس الرئاسة ، ومجلس الدفاع القومى .

□ مجلس الرئاسة هو الهيئة العليا لسلطة الدولة ، وهو الذى يرسم السياسات .

□ المجلس التنفيذى هو الهيئة التنفيذية والإدارية العليا للدولة ، وهو الذى يقوم على تنفيذ السياسات .

● وفوق ذلك فقد كانت القاهرة منشغلة تلك الأيام باعتبارها طرفا فى قضايا السلام والحرب فى العالم ، وبحكم دورها الدولى - بمقدمات أزمة الصواريخ الكوبية .



وسط هذه المشاغل ، وفى منتصف شهر أغسطس ١٩٦٢ وصل إلى القاهرة تاجر يمنى من « تعز » - التقى بالسيد « أنور السادات » رئيس مجلس الأمة ، وكان قد تعرف إليه من أيام عمله أمينا عاما للمؤتمر الإسلامى ، وكان اسمه « عبد الغنى المطهر » . وسمع « أنور السادات » منه عن وجود تنظيم للضباط الأحرار وسط الجيش اليمنى يقوده ضابط شاب هو العقيد « على عبد المغنى » . وفهم « أنور السادات » من زائره أن تنظيم الضباط الأحرار فى اليمن يرتب للقيام بانقلاب على حكم الإمام « أحمد بن يحيى حميد الدين » الذى وصل طغيانه بأمر اليمن إلى حد لم يعد يحتمله لا الشعب ولا الجيش . وفى هذا اللقاء بين الاثنين توجه « عبد الغنى المطهر » بسؤال مباشر إلى « أنور السادات » يسأله عما تستطيع الجمهورية العربية المتحدة أن تفعله لمساعدة هذا التنظيم إذا ما قام بانقلابه واستطاع أن ينهى حكم أسرة « حميد الدين » . وكان رد « أنور السادات » أنه لا يستطيع أن يعد بشئ إلا بعد الرجوع إلى « جمال عبد الناصر » .

وكان رأى « جمال عبد الناصر » عندما عرض عليه السيد « أنور السادات » تفاصيل لقائه مع « عبد الغنى المطهر » يتلخص فى عدة نقاط . أولاها - أنه ليس متحمسا لهؤلاء الذين يبحثون عن المساعدات قبل أن يتحركوا للأهداف التى يؤمنون بها ، ثم كان رأيه بعد هذه الملاحظة المبدئية أنه لا يتوقع معارضة داخل اليمن لأى انقلاب يقع فيها ضد حكم الإمامة ، وأما عن الأخطار الخارجية ، فهو على استعداد لأن يتصور احتمالاتها من مصدرين . المصدر الأول هو السعودية ، وإن كان تقديره أن الملك « سعود » مشغول

بمشاكله الداخلية عن أى شىء يمكن أن يحدث فى اليمن وأما المصدر الثانى للخطر فهو الاستعمار البريطانى فى عدن ، وهو بدوره مشغول بالتورط التى تقودها نقابات العمال وعمال المصفاة فى الميناء الاستراتيجى الحساس . ولعل « جمال عبد الناصر » لم يأخذ كل ما سمعه من « أنور السادات » جدا . فقد كانت القاهرة تعرف رسلا كثيرين مثل « عبد الغنى المطهر » يفدون إليها من كل بلد عربى ، يحملون معهم آمالا وأحلاما تصل فى معظم الأحيان إلى حد الخيال المعلق فى الهواء لا يعرف له أرضا محددة يحط عليها .

وصباح يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ تسربت من اليمن أخبار تفيد أن الإمام « أحمد » قد مات ، وترددت إشاعات توحى بأنه قتل نتيجة لقيام أحد ضباط الجيش بإطلاق النار عليه . وما لبثت إذاعة صنعاء أن أذاعت نبأ وفاة الإمام رسميا ، وانتقال خلافته إلى ابنه الأمير « محمد البدر » ولى العهد . وبدأت الأمور طبيعية فى اليمن .

وصباح يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لم تعد الأمور طبيعية فى اليمن ، فقد أعلنت إذاعة صنعاء صباح ذلك اليوم عن قيام انقلاب قاده العميد « عبد الله السلال » وأن هذا الانقلاب استولى على السلطة بعد مقتل « البدر » فى معركة مسلحة دارت على أبواب قصره فى صنعاء . وبعثت السفارة المصرية فى اليمن ببرقية تقول فيها إن القادة الحقيقيين للانقلاب مجموعة من الضباط الشبان أبرزهم العقيد « عبد المغنى » .

وكان التأييد الشعبى الذى حصل عليه الانقلاب من اللحظة الأولى كاسحا ، فسجل أسرة « حميد الدين » لم يترك لأحد دموعا يذرفها عليه داخل اليمن ، أو خارجه !

ومساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ اعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالنظام الجمهورى فى اليمن ، وأعلنت أنها على استعداد لمساعدة اليمن وشعبه بما يمكن لهما من دخول العصر الحديث إلى هذا البلد العربى الذى تعرض لأقسى أنواع الاستبداد فى التاريخ مما عطل دخوله ، أو حتى اقترابه من مشارف العصر الحديث !



لم تكن العلاقات التاريخية بين « آل سعود » وبين أسرة « حميد الدين » فى اليمن طيبة فى أى وقت من الأوقات ، فإلى جانب المنافسات التقليدية بين الأسر الحاكمة فى شبه الجزيرة العربية كان بين الأسرتين صراع وصل إلى حد الحرب

بسبب الخلاف على منطقتي « جيزان » و « نجران » ، فالرياض مصممة على أنهما تحت ولايتها منذ تنازل « الشريف الإدريسي » عنهما للملك « عبد العزيز آل سعود » - بينما صنعاء تصر على أن المنطقتين امتداد طبيعي من اليمن ، وأن « الإدريسي » لم يكن يملك سلطة التنازل عنهما لأحد . ووصل الأمر إلى حد الحرب المسلحة بين الاثنين سنة ١٩٣١ حين قامت القوات السعودية باحتلال المنطقتين بقوة السلاح . وشهر إمام اليمن سيفه ، واستعر القتال يشتد حيناً ويهدأ حيناً أخرى حتى عقدت بين الطرفين معاهدة الطائف سنة ١٩٣٤ . وبعدها ظلت العلاقة بين البلدين الجارين علاقة فيها من التوتر المكثوم أكثر مما فيها من الصفاء الظاهر . وكان إمام اليمن طوال هذه السنين يحاول موازنة علاقاته مع السعوديين بعلاقة محسوبة ومحصورة مع مصر التي كانت هي أيضاً في ذلك الوقت على خلاف مع السعوديين . كانت أسباب خلاف مصر مع السعوديين تعود إلى رفض الملك « فؤاد » أن يعترف بضم الحجاز إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٢٤ ، وربما كان الدافع الحقيقي إلى موقف الملك « فؤاد » أن حلم الخلافة راوده في وقت من الأوقات ، ثم وجد أن استيلاء الملك « عبد العزيز » على الحجاز بما فيه الحرمين الشريفين تهديد لحلمه . وكانت نتيجة الخلاف على أي حال هي أن العلاقات بين البلدين توقفت بالكامل طوال عهد الملك « فؤاد » . ولم تعد العلاقة بين البلدين إلى حالها الطبيعي إلا في عهد مجلس الوصاية على عرش الملك « فاروق » بعد وفاة الملك « فؤاد » سنة ١٩٣٦ .

وفي الفترة التي كان فيها الرئيس الأمريكي « فرانكلين روزفلت » يرتب إرث بريطانيا في المنطقة ، تلقى الملك « فاروق » نصيحة مؤداها أنه قد يكون من المستحسن أن يتمكن هو والملك « عبد العزيز آل سعود » من ترتيب العلاقات بينهما بما يلائم بداية مرحلة جديدة في الشرق الأوسط . وبالفعل اجتمع الاثنان على ظهر يخت الملك « فاروق » في ميناء « ينبع » السعودي في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٥ .

وقد لاحظ الإمام « أحمد » أن علاقة وثيقة نشأت بعد ثورة ٢٣ يوليو بين « جمال عبد الناصر » وبين الملك « سعود » . وأحس بذكائه الفطري أن لعبة التوازن التقليدي بين الرياض والقاهرة تحتاج إلى مراجعة جديدة ، وهكذا فإنه انضم إلى معاهدة التحالف بينهما ، وهي المعاهدة التي وقعت في جدة سنة ١٩٥٥ . والحقيقة أنه لا « جمال عبد الناصر » ولا الملك « سعود » أخذوا توقيع إمام اليمن على اتفاقية التحالف مأخذ الجد . وإن لم يجد أيهما بأساً من توقيع الإمام معهما ، ولو حتى كرمز إلى قرب خروج اليمن من عزلته وراء حواجز الظلام .

وهكذا فإنه عندما أعلنت إذاعة صنعاء عن قيام ثورة في اليمن لم تكن القاهرة

قادرة على إجراء حساب دقيق لموقف السعودية ، وكيف يمكن أن يتصرف ا
« سعود » . وربما كان على القاهرة في ذلك الوقت أن تدرك مبكرا أن الملك لن يسك
فالظروف التي كانت تواجهه في الداخل تجعله في حالة من العصبية شديدة . كما
الحقائق الاستراتيجية في شبه الجزيرة العربية كان مقدرا لها أن تتخطى مشاعر
الأفراد بصرف النظر عما إذا كانت فاقدة أو متمالكة لأعصابها .

إن السعودية كان محكوما عليها موضوعيا ، وبصرف النظر عن العوا
الذاتية ، أن تتدخل ضد ثورة اليمن عمليا ، خصوصا عندما دخلت مد
لتأييدها معنويا في الأيام الأولى من قيامها .

صحيح أن الثورة في اليمن كانت ضرورية إنسانيا وقوميا وبكل المعايير
إلا أن الحكم في السعودية كانت له تقديرات أخرى .

١ - فالثورة في اليمن بكل أبعادها السياسية والاجتماعية احتمال عدو
مباشر لأنه ملاصق .

٢ - ثم إن التأييد المصري - حتى ولو كان معنويا - يحمل نذر أخط
مقبلة . فزيادة التأثير السياسي المصري في اليمن يعنى وجودا فاء
لأفكار ليست مطلوبة في شبه الجزيرة العربية ، ثم إنه إذا تحو
التأييد المعنوي المصري للثورة اليمنية إلى ما هو أكثر ، فإن ها
الوجود يخلق حالة تهديد قابلة للانفجار ، فالأسرة السعودية تتحس
باستمرار من القوة العسكرية المصرية ، وينذر أن يتحدث مسؤولو
سعودي عن العلاقات بين البلدين دون أن يشير إلى عمليات « محه
على » العسكرية في نجد في أوائل القرن الماضي ، وما كان من تدمر
« الدرعية » عاصمة السعوديين أيامها .

٣ - إن الثورة في اليمن سوف توقف من النوم العميق الكتلة الانساني
الأكبر في شبه الجزيرة العربية وهي الشعب اليمني ، وهو شعب ل
مواريثه الحضارية فضلا عن وزنه السكاني الذي يجعل منه ثقا
حقيقيا في أعماق أعماق شبه الجزيرة العربية .

٤ - إن دولة قوية في اليمن قد تعود إلى المطالبة بإعادة رسم الحدود م
السعودية بالذات في « جيزان » و « نجران » .

٥ - إن بقاء الحكم الإمامي في اليمن كان شهادة لصالح الحكم و
السعودية بمقتضى أية مقارنة .

وإذن فقد كان « لابد » من « انتظار » تدخل سعودي مباشر !



كان الأمير « الحسن » - شقيق الإمام « أحمد » الذى مات وعم الإمام « البدر » الذى أعلنت إذاعة صنعاء أنه قتل - موجودا فى ذلك الوقت فى نيويورك يرأس وفد اليمن إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة . وحين تلقى أنباء ما جرى فى بلاده اعتبر نفسه إمام اليمن الأحق بالخلافة ، وأعلن أنه عائد إلى بلاده ليتولى المسؤولية وليقمع الثورة ، ويقطع رؤوس قادتها . واختفى الأمير « الحسن » من نيويورك يوم ٢٨ سبتمبر ، وظهر فى اليوم التالى فى قصر الملك « سعود » فى الرياض .

وصباح يوم ٢ أكتوبر ١٩٦٢ فوجئ مطار « المازة » (بالقاهرة) بطائرة تقترب منه ، وتطلب حق النزول فيه قائلة : « إنها لديها معلومات خطيرة تهم القاهرة » . ونزلت الطائرة ، وكانت من طائرات النقل الأمريكية الكبيرة طراز « فير تشيلد ١٢٣ ب » تحمل علامات السلاح الجوى السعودى . ثم نزل منها ثلاثة من الطيارين السعوديين هم : الرئيس طيار « رشاد ششبة » والرئيس طيار « أحمد حسين » والفنى « محمد أزميرلى » ، وقال الثلاثة على الفور إن طائرتهم محملة على آخرها بالأسلحة والذخائر ، ثم بدأوا فى رواية التفاصيل . قالوا إنهم كلفوا بالتوجه إلى مطار جدة فى الساعة الواحدة من صباح الثلاثاء ٢ أكتوبر ، وهناك وجدوا طائرة النقل الكبيرة تشحن بصناديق من السلاح والذخيرة . وكانت الأوامر الصادرة إليهم أن يذهبوا بها على الفور إلى مطار « نجران » على الحدود السعودية اليمنية وسوف يجدون هناك من يتسلمها منهم . وأما هم فعليهم أن يعودوا بطائرتهم لأن أمامهم أن يكرروا الرحلة من « جدة » إلى « نجران » بحمولات مماثلة - ثلاث مرات فى نفس اليوم . وأضافوا أنهم بعد أن صعدوا بطائرتهم فى الجو تداولوا فيما بينهم ، واتفقوا على أن واجبهم القومى لا يسمح لهم بأداء ما كلفوا به ، فقد عرفوا بالطبع أن هذه الشحنة من الأسلحة ، وما سوف يليها موجهة ضد الثورة الجديدة فى اليمن . ولقد قرروا فيما بينهم أن الواجب القومى يفرض عليهم أن يجيئوا بطائرتهم وحمولتهم إلى القاهرة ، وهم بذلك يحققون هدفين : هدف الحيلولة دون وصول شحناتهم من السلاح إلى حيث تستعمل ضد ثورة اليمن ، ومن ناحية أخرى فإنهم بذلك يكشفون عمليا دليل التآمر لضرب هذه الثورة .

وبدا تفريغ شحنة الطائرة فى مطار « المازة » وكانت عشرين صندوقا من المدافع الرشاشة سريعة الطلقات تحتوى على ٢٤٠ مدفعا ، كما كانت هناك أعداد ضخمة من الصناديق الملأى بذخائرها . وكانت المفارقة أن كل هذه الصناديق تحمل

شارة كفين يتلاقيان ، وهى شارة المعونة الأمريكية . وطلب الطيارون السعوديون الثلاثة حق اللجوء السياسى إلى مصر .

ويوم ٣ أكتوبر ١٩٦٢ تكرر نفس المشهد ، وفى مطار أسوان هذه المرة ، فنزلت فيه طائرة حربية سعودية من نفس الطراز ، وكان فيها اثنان من الطيارين هما : الرائد طيار « محمد عبد الوهاب » والملازم طيار « محمد على الزهرانى » .

ويوم ٨ أكتوبر ١٩٦٢ تكرر نفس المشهد للمرة الثالثة ، ونزلت فى مطار « الماظلة » طائرتان سعوديتان مقاتلتان يقود الأولى الرائد طيار « أحمد موسى عواد » ويقود الثانية الرائد طيار « عبد اللطيف الغنورى » .

وتلقت القاهرة معلومات بأن الأمير « الحسن » عم الملك توجه إلى منطقة « نجران » وهناك وزع كميات من السلاح والذهب على بعض القبائل التى قامت بشن هجوم على مدينة « صعدة » ، وقد توجهت كتيبة من قوات الثورة للدفاع عن « صعدة » ، وفى المعركة التى دارت قرب أسوارها قتل العقيد « على عبد المغنى » . وأحدث قتله قلقا فى صنعاء . وتزايد الإحساس بالقلق فى العاصمة اليمنية الثائرة مع أخبار تقول بأن القوات البريطانية فى إمارة « بيحان » (من إمارات اليمن الجنوبي) قد بدأت بإطلاق النار فى اتجاه بلدة « البيضاء » اليمنية !

وفى هذه اللحظات من القلق توجهت الحكومة اليمنية بندا يطلب المساعدة العسكرية من الجمهورية العربية المتحدة .



ولثلاثة أيام متواصلة دارت فى القاهرة مناقشات واسعة ، وانتهت إلى رأيين مختلفين :

■ رأى يرى بوجوب مساعدة الثورة اليمنية باعتبارها ثورة قامت بإرادة حرة ، وبعد عصور من الكبت المظلم طويلة ، وأن المقاومة ضدها تجيء من الخارج كما ثبت من الطائرات السعودية المحملة بالأسلحة والذخائر ، ولجوء طيارىها إلى القاهرة وما حملوه معهم من وثائق تؤكد قيام العدوان ، كما أن توافق ذلك مع التحرشات العسكرية للقوات البريطانية فى بيحان يقطع بأن المخاطر على الثورة تجيء من وراء حدود بلادها ، ومن ثم فإن الخطر على الشعب اليمنى نفسه ، وليس على نظام فى بالانقلاب أو بالثورة .

وكان هذا رأى يضيف أن تردد الجمهورية العربية المتحدة فى نجدة شعب

اليمن سوف يعتبر تقاعسا عن أداء واجب ، وقد يحمل أمام الرأي العام العربى على محمل أن الجمهورية العربية المتحدة تخلت عن واجباتها القومية ، وأن هناك فارقا كبيرا بين الحرص على عدم التورط ، وبين التخلي عن ثورة وطنية لكى تقع ضحية للسلاح .

وكانت من أسانيد هذا الرأي :

١ - أن الجيش اليمنى يقاتل ، وقد فعل ذلك بالفعل وحده فى معركة « صعدة » .

٢ - وأن قبائل اليمن الكبرى « حاشد » و « بكيل » كلاهما فى صف الثورة ، ومعنى ذلك أن الخطر ليس كبيرا ، وإنما هو مركز فى عدد من القبائل الصغيرة التى يمكن شراء زعمائها ، وأن معظم هذه القبائل يتركز فى منطقة « صرواح » - كما أن مناطق « الشوافع » - السنة - فى السهول المحيطة بالمنطقة الجبلية التى يسكنها « الزيد » - كلها مؤيدة للثورة .

■ وكان هناك فى مقابل ذلك رأى آخر يرى أن تكون مساعدات الجمهورية العربية المتحدة أسلحة وذخائر ، على أن يتحمل الجيش اليمنى بمسؤولية القتال ، ذلك لأن أى وجود عسكري مصرى فى اليمن قد يفسر على أنه تدخل ، وبصرف النظر عن التحرشات التى تواجه ثورة اليمن من الشمال ومن الجنوب ، فإن العمليات بطبيعتها مسرحها سوف تكون أقرب إلى حرب العصابات ، وهى نوع من الحرب لم يتهىأ له الجيش المصرى إلى جانب أن هذا الجيش لا يعرف الكثير عن أوضاع اليمن ، ودخوله فيها على أى نحو مؤثر قد يراجعه بما لم يستعد له .

وكان السيد « أنور السادات » من المتحمسين للتدخل ، ولعله أحس أن « ثورة اليمن » كانت فى إطار اختصاصه منذ لقائه الأول مع « عبد الغنى المطهر » .

وأما « جمال عبد الناصر » فقد كان من أنصار المساعدة بالسلاح وانتظار التطورات^(١) ، وفى نفس الوقت قام بإرسال السيد « أنور السادات » والسيد « كمال

(١) كنت من أنصار هذا رأى ، فقد كنت اظن وقتها أن اوضاع الثورة فى اليمن لا تستطيع تحمل نقل الوجود العسكرى المصرى ، فالافكار مثل أى عملية نمو تحتاج إلى بنية أساسية (Infrastructure) لم تتوافر بعد فى اليمن ، وقد يؤدى عدم توافرها إلى مشاكل بلا حدود . وقد رجوت الرئيس « جمال عبد الناصر » أن يقرأ رسالة ماجستير قام بها الأستاذ « السيد مصطفى سالم » تحت إشراف الدكتور « شفيق غريمال » تعرضت لعمليات الجيش التركى فى اليمن (نشرت فيما بعد تحت عنوان « تكوين اليمن الحديث » ضمن مطبوعات معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٣) - وقد اشار الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى رأى منسوب إلى فى اجتماع لمجلس الوزراء ، وذكر أمر هذه الرسالة التى رجوته فى قراءتها . وقد كان لى بعد ذلك اقتراح وسط بين التدخل =

رفعت « لاستطلاع الموقف على الطبيعة في صنعاء . وكان معهما وفد من ضباط هيئة أركان الحرب كلف بدراسة التطورات المحتملة .

وعاد السيد « أنور السادات » من صنعاء إلى القاهرة بعد ست وثلاثين ساعة ، وكان تقديره أن ما تحتاج إليه الثورة هو سرب واحد من الطائرات ، وأن مجرد أزيده فوق مواقع التحرش بالثورة اليمنية كفيل ببعثرة المقاومة ضدها ، وأن هذه هي بالضبط خلاصة تجربة الانجليز في الجنوب العربي .

وبدأت الحوادث تتجه إلى هذا الاتجاه ، ثم تصنع لنفسها حركتها الذاتية ، فعندما يذهب سرب من الطائرات للعمل في بلد بعيد تكون هناك حاجة إلى حماية قاعدته على الأرض ، وهكذا فإن سرب الطائرات احتاج إلى كتيبة حماية أرضية ، وراحت الحركة الذاتية للحوادث تفرض نفسها .



وتطوع الأمير « طلال » فوجه بيانا إلى الشعب السعودي يوم ١١ أكتوبر ١٩٦٢ قال فيه :

« انتم طبعاً تتابعون الأحداث في العالم العربي .. هذه الأحداث التي اطلحت بطغاة ظلمة فاسدين . وهزت آخرين هم الآن في حالة لا يحسدون عليها .. وهذا هو منطق التاريخ ، وهذه هي إرادة الله وإرادة الشعوب ، ولكن حكام السعودية لا يعترفون بهذا المنطق ولا بإرادة الله وإرادة الشعوب .

وحسب معرفتي بهؤلاء الحكام لا أظنهم سيعترفون بهذا المنطق ، والدليل على ذلك قومتهم مع عم ملك اليمن السابق الحسن ..

الحسن هذا الذي عمل مع والده يحيى ، ومع أخيه أحمد على كبت شعب اليمن وحرمانه من كل شيء حتى من أبسط متطلبات الحياة .. إن شعب اليمن ثار من أجل حريته ، ومن أجل عيشه ، ومن أجل كرامته .. لماذا لا يثور شعب اليمن ؟ لماذا لا يثور وحكامه احتفظوا بكل شيء لأنفسهم ، وحرموه هو من كل شيء ؟ »

ومضى يقول :

« إن تصرفات حكام اليمن السابقين ضد شعب اليمن لا يمكن أن توصف إلا بأنها تصرفات إجرامية . قصد من ورائها القضاء على هذا الشعب يعني قتل الشعب

=الكامل وعدم التدخل ، وهو السماح بإنشاء فرقة من المتطوعين العرب يذهبون للقتال مع الثورة اليمنية ، كما حدث في الحرب الأهلية في إسبانيا سنة ١٩٣٦ ، وكان ظني أن هذا الاقتراح أقل في خطره من التدخل الكامل ، وأكبر في أثره من مجرد مراقبة التطورات وانتظارها . وربما أن مسار الحوادث فيما بعد أظهر أن تصوراتي كانت نوعاً من الرومانسية المخارقة للواقع في العالم العربي !

باساليب كثيرة منها ما كان بالسيف ، وغيرها كثير من الاساليب التى يجيدها عادة
جلادو الشعوب .. إن ديننا العظيم ، وإن قوانين الأرض لا يمكن أن تقر مثل هذه
الاعمال الإجرامية

لا شك أن الملك سعود قد طار عقله عندما سمع بثورة اليمن . ولا شك أنه فقد
أعصابه عندما جرؤ وتحدى إرادة شعب اليمن وأعلن مساندته لحكامه
السابقين . »

ثم وصل إلى طرح تساؤل :

« ما الذى حشر الملك سعود وجعله يتدخل فى شؤون اليمن الداخلية ؟ السبب أن
سعود يريد الإبقاء على الحكم الرجعى فى اليمن حتى يبقى هو نفسه .. أوليس من
الأفضل لسعود أن يحمى نفسه أولا قبل أن يساعد غيره ويحميه . وهذه المبالغ
الضخمة التى عودنا سعود على صرفها يميننا وشمالا على مؤامراته ودسائسه ،
ليست البلاد فى حاجة إلى كل قرش منها ؟ »



كان الأمير « فيصل » ولى العهد ووزير الخارجية فى نيويورك حينما أعلن عن
قيام الثورة اليمنية . كان قد قصد إلى نيويورك فى أوائل شهر سبتمبر لى يقوم بإجراء
فحوصات طبية رآها أطباؤه لازمة بعد عملية جراحية كبيرة أجريت له قبل ذلك
بسنوات . وقد أبلغ الملك « سعود » أنه سوف يسافر مبكرا لإجراء هذه الفحوص ،
وحتى يكون جاهزا بعد ذلك لرئاسة وفد السعودية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى
الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر ١٩٦٢ . ولم يكن الملك متحمسا لسفر الأمير
« فيصل » ، فالعلاقات بين الأخوين كانت قد توترت بشدة فى أثناء رئاسة « فيصل »
للوزارة ، ثم زاد توترها بعد ديسمبر ١٩٦١ حينما قرر « سعود » بعد أن أعاد تنظيم
صفوفه أن يمسك بنفسه برئاسة الوزارة مرة أخرى - وأعاد « فيصل » بالتالى إلى
وضع نائب الرئيس . ولعل « فيصل » كان يؤثر الاستقالة والابتعاد ، لكنه خشى من
عواقب ذلك ، وبالذات على المجموعات التى تحيط به من المستشارين والأصدقاء
والمرتبطين بالولاء له شخصيا .

والواقع أن الأمير « فيصل » حاول أن يحفظ المظاهر إلى أبعد حد مع أخيه الملك « سعود » وحتى في أثناء رئاسته للوزارة ، فقد كان لا يكلمه إلا مطرقا ولا يتحدث له إلا بصيغة « جلالتك ، طال عمرك » . وعندما كان الملك يريد في بعض المناسبات العامة أن يوجه إليه بعض التعليمات ، فقد كان « فيصل » ينحنى ليتلقى تعليمات الملك ، بل وأحيانا كان يجلس القرفصاء إلى جوار مقعده لكي يستطيع الملك أن يهمس في أذنه بما يريد . ولقد كان بين أسباب الهجوم الذي شنته مجموعة « الأمراء الأحرار » على « فيصل » - على هامش صراعهم مع « سعود » - أن الأمير « فيصل » في أثناء رئاسته للوزارة قام بتسديد ديون طائلة مستحقة على الملك ، وعلى أولاده من خزانة الدولة .

والآن كان « فيصل » يدرك أن كل ما فعله مع « سعود » ذهب سدى . فالأخ الأكبر يكره أخاه الذي برز عليه سواء في أثناء قيادته للقوات السعودية في القتال مع أسرة « حميد الدين » في اليمن ، أو في أثناء توليه العمل طوال فترة حياة والده كوزير للخارجية ، الأمر الذي حقق له شهرة في المجتمع الدولي ، وأعطاه تجربة لم تتوافر لأخيه الذي لم يتصل بالعالم .

ولقد أضيف إلى أسباب الكراهية أن الأمير « فيصل » كان في حياته الشخصية متباعدا ، فبعد زواجه من سيدة تنتمي إلى أسرة تركية طيبة انتظمت حياته على نحو مختلف ، بما في ذلك أن أبناءه قصدوا إلى الجامعات الكبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبالتالي أصبح ، وأصبحوا معه يمثلون نوعا من الارستقراطية النسبية في محيط الأسرة السعودية .

وأخيرا فإن الأمير « فيصل » أحاط نفسه بمجموعة من المستشارين والمساعدين بينهم في ذلك الوقت « عبد الرحمن عزام » (باشا) ، والسيد « عمر السقاف » (وكيل الخارجية السعودي) ، والسيد « كمال أدهم » الذي كان باعتباره شقيق زوجة « فيصل » (الأميرة « عفت ») موضع ثقة الأمير ومستودع أسراره ، وقد عينه « فيصل » مستشارا مشرفا على كل أجهزة الأمن بما فيها المخابرات والمباحث ، وبحكم هذا الموقع فإن « كمال أدهم » كان على صلة مباشرة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وتشير اتصالات « فيصل » في نيويورك إلى أن شاغله الأصلي كان في الواقع بحث الأوضاع في المملكة على ضوء تفرد « سعود » بالأمور فيها . ومن الواضح أن « فيصل » كان يلقي تشجيعا كبيرا من جانب مجموعة شركات « أرامكو » المسيطرة على بترول السعودية ، والتي كانت قد بدأت تضج من مسحوبات الملك « سعود » من عائدات البترول ، كما أنها انزعجت كثيرا لتصرفاته سواء في ذلك تحالفه لبعض الوقت

مع « جمال عبد الناصر » أو عدائه فيما بعد ضده ، وخصوصا منذ انكشفت محاولته الشهيرة مع « عبد الحميد السراج » سنة ١٩٥٨ وحتى دوره في ترتيب عملية الانفصال ، وهو دور كان كل عيبه في نظر هذه المجموعة من المصالح البترولية الكبرى - هو أنه كان دورا مكشوفاً بأكثر مما هو لازم للأمن والسلامة .

وكانت للأمير « فيصل » مجموعة من الأصدقاء الأقوياء في نيويورك خصوصا في دوائر شركات البترول والنقل والبنوك ، وكان يتزعم هذه المجموعة « تيرى ديوس » رئيس مجلس إدارة « أرامكو » وهو وقتها رجل نافذ التأثير في صنع القرار الأمريكي في الشرق الأوسط . كذلك كان الأمير « فيصل » يحظى بولاء « عبد الرحمن عزام » (باشا) إلى جانبه ، وهو وقتها السفير فوق العادة للسعودية في الولايات المتحدة . وكان « عبد الرحمن عزام » (باشا) وهو رجل يملك تجربة طويلة وخبرة سياسية غنية قد ألقى بثقله إلى جانب الأمير « فيصل » ، وزاد الارتباط بين الاثنين حينما تحققت مصاهرة بينهما بزواج أحد أبناء « فيصل » من ابنة « عزام » (باشا) . وقد قام « عزام » (باشا) بترتيب برنامج حافل لمقابلات يجريها الأمير « فيصل » حتى من قبل وصوله إلى نيويورك . وكانت هذه المقابلات متنوعة تشمل أقطاب عالم البترول والمال ، وكذلك أعداد كبيرة من المسؤولين الأمريكيين في وزارة الخارجية وغيرها ، وتمتد إلى عدد من الرجال الأقوياء داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بما فيهم المستر « جون ماكون » المدير الجديد لهذه الوكالة ، والذي عينه « كنيدي » على رأسها بعد أن قام بإعفاء « ألان دالاس » في أعقاب مهزلة « خليج الخنازير » في كوبا . وكان « ماكون » نفسه من أقرب الناس إلى صناعة البترول وما يتصل به ، فقد اهتم بشؤون البترول بعد رئاسته للجنة الطاقة الذرية ، ولعله في هذه اللجنة أدرك أن البترول سوف يظل لزمان طويل مصدر الطاقة الرئيسي . ولهذا فإنه بعد أن ترك لجنة الطاقة الذرية لم يلبث أن ظهر على رأس اتحاد شركات البترول القوية . وعندما أصبح « ماكون » مديرا لوكالة المخابرات المركزية ، فقد أصبح البترول ومناطق انتاجه وأحوالها أبرز اهتماماته والمجال الأولى بنشاطه .



وفي الأيام السابقة على قيام الثورة اليمنية يلاحظ أن الأمير « فيصل » تناول العشاء ليلتين متواليتين مع « جون ماكون » أولاها في جناح « عزام » (باشا) في فندق « بلازا » والثانية في جناح الأمير « فيصل » في فندق « والدورف استوريا » .

وتكشف وثائق البيت الأبيض في هذه الأيام عن مجالات اهتمام الأمير « فيصل » وعن تنوع هذه الاهتمامات يوما بعد يوم في الأسبوع الأخير من شهر

سبتمبر . ففى مذكرة لمجلس الأمن القومى برقم ٣٥٦٨ - ٤٩ جاء تحت عنوان
« الحديث مع الأمير فيصل »^(٢) ما يلى :

« إن فيصل يعتقد انه لابد من مساعدة النظام فى سوريا ضد ضغوط الجمهورية العربية المتحدة ، وهو يعتقد ان الولايات المتحدة الأمريكية يجب ان تساعد الحكومة السورية باكثر مما تساعدنا الآن . وقد بدا من الصعب إقناع الأمير فيصل ان الحكومة الأمريكية تحتفظ بمسافة بينها وبين الحكومة فى سوريا ، وتتردد كثيرا دون مبرر كاف فى مساعدتها للحكومة السورية . ويبدو ان السعوديين يرغبون فى زيادة نفوذهم فى سوريا ، وهم يريدون ان تكون السعودية هى الوسيط فى المساعدات الأمريكية لسوريا إذا كانت الحكومة الأمريكية لا ترغب فى الظهور علنا كمؤيد لدمشق . وقد مارس الأمير فيصل فى اثناء وجوده فى نيويورك ضغطا على مجموعة شركات « ارامكو » و « تابلاين » لكى يرتبوا مع بنك « مورجان جارانتى ترانست وشركاه » قرضا للحكومة السورية بمبلغ ٢٨ مليون دولار . ويبدو ان فيصل يريد ان يخفى عن الحكومة السورية دور ارامكو والتابلاين فى هذا القرض بحيث يظهر هو وكأنه المانح الحقيقى . ووزارة الخارجية (الأمريكية) لم تبد اى اعتراض على الصفقة معتبرة انها مسألة تخص ارامكو والتابلاين يقررون فيها على ضوء مصالحهما . وعموما فإننا نعارض اى تعامل مع سوريا من خلال وسطاء ، ونرى ان اى معونة لسوريا يجب ان يتم التفاوض عليها مباشرة مع الحكومة السورية . »

وتلت هذه المذكرة مذكرة ثانية من مجموعة وثائق البيت الأبيض يظهر فيها اهتمام الأمير « فيصل » بموضوع آخر ، وهى تحمل رقم ٣١ / ٣٥٧١ وقد جاء فيها ما يلى :

« موقف الأمير فيصل من مسألة العلاقات بين السعودية ، والجمهورية العربية المتحدة :

١ - إن العربية السعودية ترى انها محل هجوم مرير من ناصر الذى يحاول استعادة نفوذه بعد خسارته لسوريا .

٢ - إن المعونات الأمريكية السخية التى تقدمها الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة هى التى تساعد ناصر على الاستمرار فى السلطة ، بينما هو يبذل قصارى جهده لإضعاف مركز الأصدقاء الحقيقيين للولايات المتحدة فى المنطقة .

٣ - فى الوقت الذى يضعف فيه مركز ناصر - فإن الولايات المتحدة فيما يبدو تبنى سياستها على أساس انه الزعيم الطبيعى ، والذى لا بديل له فى المنطقة .

(٢) الوثيقة لا تحمل اى توقيع ، ويبدو انها مذكرة عمل ، ويظهر من نصوصها ان مصدرها هو وزارة الخارجية الأمريكية ، وانها ارسلت كـ « مذكرة عمل » إلى لجنة الشرق الاوسط فى مجلس الأمن القومى

٤ - في الوقت الذي لا تعارض فيه المملكة العربية السعودية أي معونات اقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ، فإنها تطلب منا على الأقل استعمال نفوذنا الذي حققناه مع ناصر لمنع من مواصلة هجومه على المملكة العربية السعودية .

ثم تجيء مذكرة ثالثة تشير إلى اهتمام الأمير « فيصل » بالتعاون بين السعودية والأردن ، وكانت علاقة الأمير « فيصل » وثيقة بالملك « حسين » ، فقد كانت حلقة الوصل بينهما رجلا مقربا من كليهما وهو السيد « كمال أدهم » - شقيق زوجة « فيصل » وصديق الملك « حسين » منذ كان الاثنان زملاء صف في كلية « فيكتوريا » بالاسكندرية (وكان من زملائهما في نفس الصف السيد « عدنان خاشقجي ») .

وفي هذه المذكرة عن اهتمام الأمير « فيصل » بالعلاقات مع الأردن جاء ما يلي :

« إن الأمير يعلق أهمية على اتفاقية الطائف التي عقدت بين البلدين يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٢ وهي تشمل مجالات سياسية واقتصادية وعسكرية ، وتستهدف في الواقع تحقيق تحالف عمل بين العرشين . وبرغم اهتمام فيصل بهذه الاتفاقية ، فنحن نراها بالدرجة الأولى عنصر طمأنينة نفسى بين الطرفين . وقد أبدى لنا الملك حسين مخاوفه على الأوضاع الداخلية في السعودية ، وهو يعتقد أنه ما لم تقم السعودية بتنفيذ برنامج سريع للتنمية فإن الموقف الداخلي فيها قد ينفجر . وبصفة محددة فإن الأردن يأمل أن يستبدل الخبراء والمدرسين المصريين بخبراء ومدرسين من الأردن ، كما أنه يأمل في أن يستطيع جذب سياح ورؤوس أموال سعودية ، وربما حاول الحصول على قرض سعودي للتنمية . وفي المجال العسكري ، فإن الأردنيين يخططون لاستعمال تسهيلات تدريب الطيارين التي أنشئت في السعودية لكي يتجنبوا تكاليف إنشاء نظائر لها في الأردن »

ثم تضاف مذكرة رابعة ، ومن الواضح أنها معدة للرئيس « كنيدي » تمهيدا لمقابلته للأمير « فيصل » وهي برقم ٢٥٦٧/٤١ وقد جاء فيها بالنص .

« ١ - إن هدف الأمير فيصل الأساسي من رحلته إلى الولايات المتحدة هو بالدرجة الأولى أن يقابل الرئيس وغيره من كبار المسؤولين في الولايات المتحدة . وفي الوقت الذي يعتبر فيه فيصل أن علاقة الصداقة بين السعودية والولايات المتحدة - هي حجر الزاوية في السياسة السعودية ، فإنه يحتاج إلى تأكيدات بأن سياستنا في الشرق الأوسط لن تتأثر بالمساعدات الاقتصادية التي تقدمها الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة ، وفي عشاء عمل مع وزير الخارجية استطاع الوزير أن يوضح بالتفصيل كثيرا من أهداف سياسة الولايات المتحدة في المنطقة على ضوء مسؤولياتها العامة . وقد أعرب فيصل عن عرفانه بهذه المبادرة على الثقة الشخصية به ، ومن المقرر أن يعود فيصل للاجتماع بوزير الخارجية ، ونحن نفوى أن نجعل من هذا الاجتماع فرصة لتوسيع آفاقه فيما يتعلق بالأوضاع الدولية .

٢ - إن آخر التقارير التي تلقيناها من اطباء الملك سعود تشير إلى أن الملك ليست لديه فرصة لأن يعيش أكثر من سنة واحدة بسبب تدهور أحواله الصحية . وطبقاً لذلك فإننا نرى أن اجتماعات فيصل الحالية في الولايات المتحدة هي فرصة مواتية لإعطاء كل التأكيدات اللازمة عن تأييدنا ، وصادقنا للرجل الذي سيصبح وريثاً للعرش ، وهي فرصة لا بد من انتهازها لكي نؤكد له أن ناصر ليس رجلاً المختار في المنطقة . وبالإضافة إلى ذلك ، فنحن نأمل أن نستطيع خلال وجود فيصل في الولايات المتحدة أن نؤثر على العوامل الإيجابية في السياسة الداخلية السعودية ، كما أننا نريد أن نقلل إلى أقصى حد ممكن تأثير بعض العوامل التي تضايقنا في سياسة السعودية ، وإهمها التمييز ضد اليهود الأمريكيين .

٣ - إن السياسة السعودية الأساسية هي الاعتماد على صداقة الولايات المتحدة ، وهذه الصداقة تأثرت في العام الأخير بسبب مساعدتنا للجمهورية العربية المتحدة التي ترى السعودية أنها مشتبكة معها في حرب باردة . وقد أبدى الملك سعود وولي العهد فيصل قلقهما من أن مساعدتنا تقوى مركز ناصر ضد نظامهم ، وهم يريدون منا أن نستعمل مساعدتنا لكي نرغم ناصر على أن يتخلى عن الهجوم عليهم . ولقد كنا سعداء لأن نستجيب لثلاثة طلبات محددة تقدموا بها إلى البيت الأبيض ، وهي عقد توريد سلاح ، ومحطة إذاعة قوتها ٥ كيلووات ، وفريق من خبراء التخطيط يدرس أحوال السعودية .



وفي يوم ٤ أكتوبر ١٩٦٢ كان الأمير « فيصل » على موعد لمقابلة الرئيس « جون كينيدي » والغداء معه في البيت الأبيض (كانت ثورة اليمن قد وقعت ، وتلتها التطورات التي تسارعت بعدها في آخر أيام سبتمبر وأوائل أكتوبر ١٩٦٢) . وكان هذا الاجتماع حساساً إلى درجة أن المحضر الخاص بوقعائه وضع في خزانة مكتب الرئيس ضمن الوثائق التي لا يمكن إذاعتها ، أو الحصول عليها بواسطة قانون حرية المعلومات . ومع ذلك فإن هناك مذكرة^(٣) أعدها المستر « روبرت كומר » وهو مساعد مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي المختص بالشرق الأوسط . وقد قدمها لـ « كينيدي » صباح يوم غدائه مع « فيصل » وفي الحقيقة فإنها تكاد تكون صورة عامة لما يمكن أن يكون قد دار في الاجتماع . وكان نص هذه المذكرة كما يلي بالحرف :

« ٤ أكتوبر ١٩٦٢ »

مذكرة إلى الرئيس - رجا الإطلاع عليها قبل الغداء .

إن فيصل هنا في الولايات المتحدة لكي يراك . إن لدينا مجموعة من التقارير المؤكدة

(٣) صورة من المذكرة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٤١ صفحة ٩٢٠

تشير إلى أن موقف سعود يتهاوى بسرعة فيصل هو الثاني في الصف . وهو هنا لكي يعرف منك كيف يمكن له ولبلاده أن يعتمدا على الولايات المتحدة . وتستطيع أن تتحدث بصراحة إليه (سطر محذوف) . النقطة المهمة أن فيصل يريد بشدة نصف ساعة في حديث خاص معك لا يحضره أيا من مرافقيه السعوديين . وهو يرغب في أن يتحدث إليك في مسائل تخص مستقبله الخاص . لماذا لا تأخذه إلى الدور العلوى لفنجان قهوة بعد الغداء مباشرة - إن إنجليزيتة معقولة ، وإذا أردت مترجما ، أو إذا أراد هو فسوف يكون صباغ مترجم الخارجية تحت طلبك ليقوم بالترجمة .

من سوء الحظ أن التمرد في اليمن أوصل المخاوف السعودية من الناصرية إلى نقطة الغليان . إن أسرة سعود تعتقد أنها قد تكون هدف ناصر التالى . إن فيصل يريد مساندتك من أجل جهد بريطانى - سعودى مشترك للعمل في اليمن ، وقد يكون من الصعب عليك أن تستجيب إلى طلبه في هذا الخصوص .

إن سياستنا الحالية في اليمن حتى الآن هي سياسة عدم التدخل . وليس في إمكاننا عمل شيء على أى حال في الوقت الراهن . كما أن نظام الإمام كان أكثر النظم تخلفا في العالم . ومن الواضح أن ناصر يؤيد التمرد كما أن إذاعاته لا تخفى عن سعود أنه الهدف التالى . ومن هنا فإن السعوديين يشعرون أنهم مضطرون لرد الفعل (ثلاثة سطور محذوفة) .

وعلى هذا الأساس ، فقد يكون من الأفضل توجيه اهتمام فيصل من اليمن إلى العلاقات الأمريكية السعودية . وفي هذا الصدد فإن إمامك :

□ أولا - أن تؤكد لفيصل مرة أخرى مساندتنا للأسرة السعودية .

□ ثانيا - سياستنا تجاه ناصر .

وإذا استطعت نقل هاتين النقطتين إلى فيصل بوضوح في أثناء الغداء ، فسوف يكون ذلك نجاحا كبيرا .

إن فيصل كان في وقت من الاوقات مواليا لناصر ، ولكنه الآن شأنه شأن سعود يكرهه ويخشاه ، وهو يشك في أننا غيرنا سياستنا العربية إلى سياسة تؤيد ناصر باعتباره رجلا المختار . وأنا أحتك على أن تطرد هذه الفكرة من ذهنه بطريقة لا تحتمل الشك . إن تاييدنا للسعودية مؤكد ، ومن ذلك فنحن لن نتعامل مع ناصر باعتباره السيد الكبير في العالم العربى . وتستطيع أن تشرح له أن سياستنا تجاه ناصر قد رسمت لتحقيق الأهداف التالية .

(١) رده إلى داخل بلاده .

(ب) زيادة إمكانياتنا في الضغط عليه ، وهذا هو هدف مساعدتنا له .

(ج) إذا لم نساعدنا نحن فسوف يتجه إلى السوفيت ، وهذا سوف يكون ضارا بمصالح اصدقائنا العرب في المنطقة .

وربما المحت له إلى أننا نتوقع من السعوديين انفسهم ان يتحركوا إلى الامام بعض الشيء في اتجاه التحديث والتنمية . إن بعض الإصلاحات الداخلية هي افضل طريق لمواجهة الناصرية ، ونحن سعداء ان هناك بعض المؤشرات المشجعة في هذا الاتجاه ، وإن كنا نتساءل عما إذا كانت سرعة إحداثها كافية .

اعتقد ايضا أنه يتعين عليك أن تثير مسألة التمييز ضد اليهود الأمريكيين في السعودية باعتبارها عاملا يؤثر على صداقتنا . إن سعود كان قد وعدك في فبراير الماضي أنه سيغير سياسته ، ولكننا لم نر اثرا لذلك . ونحن نفهم مشاعر السعوديين فيما يخص إسرائيل ، ولكننا نأمل أن يتمكنوا بدورهم من فهم مشاعرنا . ولك أن تشرح له أن اهتمامنا بهذه القضية لا ينبع من جماعات ضغط تمارس نفوذا على السياسة الأمريكية . وعليه أن يعرف منك أن إسرائيل هنا لتبقى ، وسوف نعارض أى هجوم عليها ، كما أننا سوف نعارض أى جهد إسرائيلي للتوسع . لا تجعل لديه أى شك في أننا سوف نواضل الوقوف بجانب اصدقائنا .

إمضاء

روبرت كומר

□ ملحوظة : مرفق مع هذا مجموعة من المذكرات تستطيع الاطلاع عليها إذا كان لديك وقت ، كما ان هناك تقريراً جديداً من الخارجية سوف يصلك عن آخر آراء فيصل ، وعن تعليقاتهم عليها .

ووصلت مذكرة في آخر لحظة من وزارة الخارجية الأمريكية ، وكانت تحمل بعض المعلومات الإضافية التي رأى « دين راسك » وزير الخارجية أن يكون الرئيس على علم بها قبل أن يقابل ولي العهد السعودي ، وكان أهم هذه المعلومات :

١ - إن الأمير « فيصل » تلقى معلومات بأن الإمام « محمد البدر » لم يقتل كما أذيع من قبل ، وإنما تمكن من الهرب برغم الحصار الذي فرضه الثوار على قصره ، ووصل إلى منطقة « حجة » ومن هناك استطاع الوصول إلى « نجران » في السعودية . وهو الآن يقود المقاومة ضد الثورة من هناك .

٢ - إن الأمير « فيصل » تلقى معلومات من الأمير « حسن » عم الإمام « البدر » بأنه على اتصال مع زعماء قبائل « حاشد » و « بكيل » في شمال شرق اليمن ، وأنهم أخبروه بأنهم لم يتعهدوا بالتأييد لانقلاب الجيش .

٣ - إن الأمير « فيصل » ليست لديه معلومات كافية عن موضوع التجاء الطيارين السعوديين بطائراتهم المحملة بالسلاح المشحون للملكيين في اليمن - إلى مصر . ولا يستبعد الأمير أن تكون هناك خلايا سرية بين الضباط السعوديين الشباب استطاع عملاء « ناصر » تجنيدها .

وقضى الأمير « فيصل » يوم ٤ أكتوبر ساعة ونصف الساعة داخل البيت الأبيض . كان أبرز وقائعها اجتماع ثنائى بينه وبين « كنيدي » بعد الغداء في الطابق العلوى على فنجان قهوة ، كما اقترح « روبرت كور » . ومع أنه لا توجد وثائق بتفاصيل هذا الاجتماع ، فإن هناك بعض الشواهد التى تشير إلى أن « فيصل » رغم اتفاهه مع « كنيدي » فى كثير من الأمور - لم يخرج مرتاحا بالكامل من نتائج هذا الاجتماع ، فقد ساوره الإحساس بأن « كنيدي » ينظر إلى علاقته مع « عبد الناصر » فى إطار الصراع الدولى أكثر مما ينظر إليها من منظور الصراع بين الجمهوريات والملكيات المحافظة فى المنطقة . وقد أعرب الأمير « فيصل » بعد ذلك عن قلقه من أن « كنيدي » أعطاه الإيحاء بأنه يفكر فى القيام بدور وساطة بينه وبين « جمال عبد الناصر » بغية التوصل إلى حل لأزمة اليمن ، وهو تفكير كان يراه الأمير « فيصل » خطرا ومؤذيا .



وتوحى تطورات الحوادث بأن « كنيدي » بعد لقائه بالأمير « فيصل » انشغل بالكامل فى أزمة الصواريخ الكوبية وعواقبها ، ولكن الأمير « فيصل » لم يتحول باهتمامه لحظة عن اليمن . وهكذا فإنه غادر الولايات المتحدة ، وتوقف لبضعة أيام فى لندن فى طريقه إلى السعودية .

وفى لندن كان التجاوب مع الأمير « فيصل » أقوى وأشد مما أحس به فى واشنطن . فبريطانيا التى كانت قد بدأت تحتك فعلا من محميتها فى عدن والجنوب العربى بالثورة اليمنية ، كانت على استعداد للتنسيق كطرف مهتم وفاعل ، وكان أى حديث عن الوساطة بالنسبة لها تخاذلا وضعفا .

والحقيقة أن لحظة وصول الأمير « فيصل » إلى لندن كانت اللحظة المواتية تماما ، فقد تزامنت مع بدء وصول طلائع القوات المصرية إلى اليمن . وهكذا فإن الطرفين وجدا أمامهما نفس العدو على الأرض يهددهما معا فى الأمن وفى المصالح ، ولم يكن اتفاقهما على مواجهته فى حاجة إلى مقدمات ، بل إن تنسيق العمل يكاد يكون قد بدأ تلقائيا . وكانت مقابلات الأمير « فيصل » فى لندن كلها تؤكد ذلك ، فلم تقتصر اجتماعاته على رئيس الوزراء « هارولد ماكميلان » ووزير الخارجية « دوجلاس هيوام »

وإنما امتدت فشملت مجموعة النواب المحافظين الذين اشتهروا باسم « مجموعة السويس » برئاسة « جوليان ايمرى » وهؤلاء كانت دعوتهم باستمرار « حتمية التصدى بالقوة لناصر » ولو كرد على « إهانة السويس » . كذلك من الدلالات الهامة أن الأمير « فيصل » اجتمع مع السير « دوجلاس وايت » رئيس جهاز الـ M.I.6 وكان الذى رتب هذه المقابلة هو « جوليان ايمرى » زعيم مجموعة السويس .

وقد كتب « جوليان ايمرى » بعد فترة قصيرة من هذه اللقاءات كتيباً صغيراً^(٤) عن « الصراع على اليمن » يفصح إلى حد ما عن طبيعة ما جرت مناقشته في هذه الاجتماعات . وكان أبرز ما قاله : « إن نجاح الكولونيل ناصر في الحصول على موطن قدم لمشروعاته الانقلابية في شبه الجزيرة العربية - وهى موطن أهم مصادر البترول واحتياطياته في العالم - هو نذير شؤم يجب أن يتعاون على مقاومته كل الأطراف الذين لهم مصلحة في ذلك داخل العالم العربى وخارجه . » وكان مؤدى التقديرات البريطانية في شأن الأزمة الناشبة في اليمن يتلخص في النقاط التالية :

- ١ - عدم الاعتراف بالنظام الجديد في اليمن مهما كانت الظروف ، ومحاولة التأثير على أكبر عدد من الدول لكى تحجب اعترافها عنه باعتبار أن ذلك ينتقص من شرعيته .
- ٢ - إن هذه الشرعية الناقصة من شأنها أن تشجع عناصر كثيرة في اليمن على إثارة المتاعب للنظام الجديد ، وفى أبسط الأحوال فإن هذه العناصر ، وفى مقدمتها قبائل اليمن الكبرى سوف ترفع ثمن ولائها للنظام الجديد بما يفرض عليه أثقالاً لا يستطيع احتمالها .
- ٣ - إن ذلك بدوره سوف يفتح المجال لأى نفوذ يستطيع أن ينفذ لهذه القبائل ، خصوصاً إذا كان هذا النفوذ معززا بضغط عسكري بريطانى في محمياتها في الجنوب العربى من ناحية ، وبالأذهب السعودى من ناحية أخرى .
- ٤ - إن التحالف الأردنى السعودى يستطيع أن يلعب دوراً مؤثراً في اليمن ، فالجيش العربى الأردنى بولاءاته التقليدية معباً ضد الأفكار الثورية الجديدة .



(٤) وزع هذا الكتيب في مجلس العموم ، ومجلس اللوردات في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر ١٩٦٢ وقد اشارت إليه صحيفة « ديلي تلجراف » واستشهدت بفقرات منه في إحدى افتتاحياتها في تلك الفترة .

وفي يوم ١٢ نوفمبر ١٩٦٢ هبطت في مطار القاهرة على غير انتظار طائرة من طراز « دى هافيلاند هورن » ذات أربعة محركات تحمل رقم (١٠٦) وكانت المفاجأة أن قائدها هو الطيار « سهل حمزة » قائد سلاح الطيران الأردني الذي طلب حق اللجوء السياسي إلى مصر . وفي اليوم التالي - ١٣ نوفمبر - هبطت في مطار القاهرة أيضا طائرتان أردنيتان من طراز « هوكر هنتر » ونزل منهما ضابطان ، وهما الطياران « تحسين صيمة » و « حربي صندوقه » وقد طلب كلاهما اللجوء إلى مصر . وكان دافع الطيارين الثلاثة هو نفس الدافع ، فكلهم لم يكونوا مستعدين لنقل الأسلحة والذخائر إلى حشود الملكيين في « جيزان » و « نجران » ولا كانوا مستعدين للاشتراك في عمليات عسكرية ضد الثورة اليمنية .

وقامت طائرة مصرية بعملية استطلاع فوق منطقة الحدود اليمنية - السعودية ، والتقطت صورا لحشود عسكرية تتجمع وتستعد للحركة . وطلبت الحكومة اليمنية عرقلة تقدم هذه الحشود إلى أطول فترة ممكنة ، وتمت الموافقة على طلبها ، وقامت طائرتان مصريتان بغارة على مواقع الحشود ، وكانت التعليمات تقضي بأن يكون هدف الغارة هو بعثرة الحشود لتخويفها . وبالفعل فإن كل ما أطلقته الطائرتان في هذه الغارة الأولى كان قنابل مشاعل مضيئة تحدث فرقة ووهجا بغير إصابات بشرية !



في أواخر شهر أكتوبر ، وأوائل شهر نوفمبر ١٩٦٢ كانت هناك اتصالات نشيطة على جانبي الأطلنطى بين الولايات المتحدة وبريطانيا . ولم تكن هذه الاتصالات مقصورة على القنوات الرسمية ، وإنما شاركت فيها بحكم طبائع الأمور قوى لها مصالح اقتصادية ومالية وحيوية في شبه الجزيرة العربية وثرواتها الطائلة .

كانت هناك بالطبع اتصالات عن طريق القنوات الرسمية ، فقد دخلت واشنطن ولندن في جدل اتسم بالحدة أحيانا حول الطريقة الأمثل لمواجهة الأزمة في اليمن ، فقد

كان « كنيدي » لا يزال ميالا إلى حل توفيقى ، فى حين أن الحكومة البريطانية كانت ترى ضرورة مواجهة « جمال عبد الناصر » بالحزم إلى درجته القصوى .

وقد فزعت الحكومة البريطانية عندما فهمت من المراسلات الدائرة بين وزارتي الخارجية فى البلدين أن هناك اتجاها أمريكيا لاعتراف مشروط بثورة اليمن . وكان ردها أن هذا الاعتراف ينطوى على مخاطر شديدة ، وأن الأجدر بالعواصم الغربية كلها أن تتخذ موقف رفض الاعتراف بمنطق « أنه ليس واضحا حتى الآن أن الحكومة الجديدة فى صنعاء تملك السيطرة الكاملة على كل التراب اليمنى » .

وكانت المصالح الاقتصادية والمالية الأمريكية فى نفس الاتجاه - مع الحكومة البريطانية - ذلك لأن شركات البترول ، وخطوط الأنابيب والنقل ، ومجموعات البنوك - كان رأيها قاطعا بأنه لا يمكن السماح « لأية اتجاهات ثورية أن توجد قرب منابع البترول ، أو تمثل تهديدا محتملا للنظم التى استقرت قواعد التعامل معها منذ سنوات طويلة ، وأن أى شيء غير ذلك قبول باحتمالات مجهولة وخطرة على حساب أوضاع معروفة ومأمونة » .

كان « كنيدي » لا يزال مترددا ، وانتهى تردده ، وقرر فى حوالى منتصف شهر نوفمبر أن يتحرك بمزيج من المرونة والحزم^(٥) ، وهكذا كتب يوم ١٧ نوفمبر خطابا إلى « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص :^(٦)

« البيت الأبيض - سرى . ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ »

السيد الرئيس

إننى حزين للخلافات التى نشأت بين دول ترغب الولايات المتحدة فى أن تحتفظ معها باوثق علاقات الصداقة . كما إننى شديد القلق من أن يؤدى الصراع على اليمن إلى تعريض استقرار المنطقة للخطر . وبناء على ذلك أناشد زعماء الدول المشتركة فى هذا الصراع الآن أن يفكروا فى المخاطر الكبرى التى يمكن أن تتحقق إذا ما سمحوا للتطورات الحالية بأن تمضى دون مراجعة . وبصورة شخصية وسرية ، فإننى أقترح عليكم تنفيذ الخطة التالية للعمل من أجل تطبيع الموقف . وإننى موجه رسائل مماثلة إلى جلالة الملك حسين ، وصاحب السمو الأمير فيصل^(٧) ، وصاحب السعادة عبد الله السلال .

(٥) كان « كنيدي » فى مراسلاته السابقة يوجه خطابه لـ « جمال عبد الناصر » بعبارة « عزيزى الرئيس » وفى هذه الرسالة الأولى بعد أزمة اليمن اختار أن يوجه الخطاب بعبارة « السيد الرئيس »^١
(٦) أصل الرسالة فى وثائق مكتبة « كنيدي » وأيضا فى مجموعة وثائق الخارجية الأمريكية
(٧) يلاحظ أن الرئيس « كنيدي » أسقط الملك « سعود » نهائيا كطرف يمكن توجيه الخطاب إليه فى الأزمة . وهذه علامة لها دلالتها .

تتمثل العناصر الرئيسية للخطة التي اقترحها فيما يلي :

١ - انسحاب القوات الأجنبية من اليمن على مراحل ، وإن تكن مراحل متسارعة .

٢ - إنهاء المساندة الخارجية للملكيين .

٣ - سحب القوات التي ادخلت بعد ثورة اليمن إلى المنطقة المجاورة للحدود السعودية اليمنية على مراحل ، وإن تكن متسارعة^(٨) .

واتصور عند القيام بالانسحاب أن يكون هناك اتصال مباشر بين الأطراف المعنية مع قيام طرف ثالث بمساع حميدة ، وقد يكون من الممكن أيضا إنشاء نظام للرقابة أو الإشراف على عملية فض الاشتباك بواسطة الأمم المتحدة . وسوف يكون ممثلو الولايات المتحدة في المنطقة على استعداد لبحث الخطط بحثا أوفى .

وإنى اقترح اتخاذ الخطوات المبدئية التالية :

١ - تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا يشير إلى استعدادها لإجراء فض للاشتباك متبادل وسريع تقوم على أساسه بسحب قواتها على مراحل على أن يتم في اثناء ذلك : (١) نقل القوات السعودية والأردنية من منطقة الحدود . (ب) وقف المساندة السعودية الأردنية للملكيين اليمنيين .

٢ - تؤكد الجمهورية العربية اليمنية مجددا وبصورة علنية نيتها على احترام الالتزامات الدولية ، والسعى لتطبيع علاقاتها مع جيرانها وإقامتها على أساس ودى ، والتركيز على الشؤون المحلية . كما توجه الجمهورية العربية اليمنية نداء إلى اليمنيين في المناطق المجاورة^(٩) ليتصرفوا كمواطنين ملتزمين بالقانون .

٣ - بمجرد إصدار البيانات المناسبة حسبما هو متصور فيما تقدم يمكن إعادة تنشيط عمل بعثة المعونة الأمريكية لليمن ، كما تبادر الولايات المتحدة بإعلان اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية .

وإثناء إجراء عملية فض الاشتباك المتصورة ، فلنا طبعاً أن نأمل في ألا يشترك طرف من الأطراف في أنشطة تتعارض مع روح هذا التفاهم .

(٨) تحمل هذه العبارة إشارة معناها أن هناك قوات غير سعودية دخلت إلى هذه المنطقة ، وراحت تشارك عسكرياً في العمليات

(٩) يقصد اليمنيين الموجودين في السعودية سواء من سكان « جيزان » و « نجران » أو غيرهم .

وإننى لآتمنى تعاونكم السريع والفورى فى هذه المهمة الحيوية قبل أن يدخل الصراع على اليمن مرحلة أشد خطورة . ولیمنحنا الله جميعا القوة والحكمة للسير بهذه المساعى الهامة إلى نهايتها الموفقة .

المخلص

جون ف . كنيدي



قام السفير « جون بادو » سفير الولايات المتحدة فى القاهرة بتسليم هذه الرسالة إلى « جمال عبد الناصر » مساء يوم ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ واستأذن الرئيس فى أن يضيف إلى رسالة « كنيدي » بعض انطباعاته . وكان « جمال عبد الناصر » يقدر خبرة الدكتور « بادو » الذى كان مستشرقاً عمل لسنوات طويلة كمدير للجامعة الأمريكية فى القاهرة ، واستطاع خلال هذه الفترة أن يتصل بمشاعر وأفكار أجيال من شباب المصريين العرب . ولعل السبب الوحيد للخلاف بين الاثنين فى ذلك الوقت هو إصرار الدكتور « بادو » على إجراء حواراته مع « جمال عبد الناصر » باللغة العربية . وفى بعض الأحيان كان « جمال عبد الناصر » يعجز عن فهم لكتته . وقد طلب إلى « بادو » أكثر من مرة أن يستعمل اللغة الانجليزية لأن القضايا التى يتحدث فيها كسفير بطبيعتها دقيقة وحساسة ، وأن أى خطأ أو لبس فى فهم معانى الكلمات قد يؤدى إلى سوء فهم لا لزوم له - لكن الدكتور « بادو » اعتبر الملاحظة تشكيكا فى قدرته على الحديث باللغة العربية ورجاه أن يتسامح معه ، وأن يأذن له فى استعمالها فى لقاءاته معه ، وتعهد ضمناً لتجنب سوء الفهم أن يبعث كتابة بعد كل اجتماع يتم بينهما ملخصاً وافياً لما قاله ولما سمعه .

وفى ذلك اليوم الذى سلم فيه « بادو » رسالة « كنيدي » بتاريخ ١٧ نوفمبر - قال « بادو » إنه يريد أن يشرح للرئيس أهمية العلاقات الأمريكية - السعودية ، وأنه لا يتردد فى أن يقول بصراحة بأن هذه العلاقة هى أهم علاقة عربية أمريكية على الإطلاق . فحجم المصالح المشتركة بين البلدين لا تدانيه ، أو تقترب منه مصلحة أخرى تربط الولايات المتحدة بأى بلد عربى . وبالتالي فهو يرجو من الرئيس أن يضع هذه الحقيقة فى حساباته ولا يتركها تغيب عنه .

ويوم ١٨ نوفمبر رد « جمال عبد الناصر » على « كنيدي » وجاء فى رده بالنص ما يلى :

« الجمهورية العربية المتحدة - الرئيس »

١٨ نوفمبر ١٩٦٢

الرئيس جون ف . كنيدي

إنى شاكر لكم خطابكم بتاريخ ١٧ نوفمبر ، وما فيه من دلائل على اهتمامكم بسير
الحوادث في العالم العربى

على انه لا بد لى ان لاحظ ان هذه اول مرة اسمح لنفسى فيها ان اناقش مشاكل العالم
العربى مع طرف من خارجه فلقد أثرت دائما ان تبقى الخلافات الداخلية للعالم
العربى فى نطاقها المحلى ، برغم المحاولات المتكررة من جانب غيرنا لإخراجها من هذا
الإطار .

وفى المشكلة التى طرات اخيرا بعد الثورة اليمنية ، وما نتج عنها من مضاعفات
وأثر على الحدود بين الجمهورية العربية اليمنية والمملكة العربية السعودية -
وجدت انه لا بد لى من الاستجابة لاهتمامكم ، نظرا لما اعرفه ، وما اكده لى السفير
الامريكى فى القاهرة الدكتور « جون بادو » ، من ارتباطاتكم الوثيقة بالمملكة العربية
السعودية .

واحب ان اؤكد لكم اننى قبلت من غير تردد اقتراحك البناء بتفادى الصدام على
حدود اليمن ، ولقد كان ذلك اصلا واساسا هو الهدف الذى من اجله ذهبت قوات
من الجمهورية العربية المتحدة إلى اليمن . ولقد حاولنا ذلك سلما بمختلف البيانات
التي صدرت عن الجمهورية العربية المتحدة وعبرت عن سياستها تجاه الثورة
الوطنية فى اليمن ، وابرزها البيان الذى اذيع من القاهرة فى الساعات الاولى من يوم
٢٧ سبتمبر بضرورة عدم التدخل الخارجى فى شؤون اليمن ، وترك الشعب اليمنى
حرا فى اعمال إرادته وصياغتها على النحو الذى يريده . ومن سوء الحظ ان صاحب
الجلالة الملك سعود اخذ الأمر على غير وجهته الصحيحة ، فلقد تصور الثورة فى
اليمن معركة بين النظامين الملكى والجمهورى ، ومن ثم فإنه بهذا التصور غير
الصحيح اندفع بكل طاقته وإمكاناته إلى محاولة لغزو اليمن من الخارج . ولعلكم
علمتم ان عددا من الطيارين السعوديين الأحرار الذين كلفوا بأعمال عدوانية ضد
ثورة اليمن قادوا طائراتهم إلى القاهرة بدافع من ضميرهم القومى ، وكانت هذه
الطائرات امريكية الصنع ، كما ان حملتها من الأسلحة والذخائر كانت لا تزال فى
صناديق المعونة الامريكية .

ولقد كان ذلك بالنسبة إلينا - فضلا عما ينطوى عليه من نوايا عدوانية - دليلا على
ان نداءنا للجميع بالابتعاد عن حدود اليمن وعدم التدخل فى شؤونه الداخلية ،
وتجنب فرض الحرب عليه من وراء الحدود - لم يجد اذنا صاغية فى الرياض . ومن
ثم كانت استجابتنا ضرورية لطلب حكومة الجمهورية العربية اليمنية بوضع

بعض قواتنا تحت تصرفها لتشارك معها في الدفاع ضد الهجمات العنيفة التي تتعرض لها حدودها الشمالية في منطقة «صعدة» في ذلك الوقت ، والتي اتخذت من منطقة نجران في السعودية قاعدة لها .

وأؤكد لك أن الجمهورية العربية المتحدة تملك الوثائق التي تثبت أن بعض الطيارين الأمريكيين اشتركوا في عمليات نقل العتاد والجنود ما بين الأردن والسعودية إلى حدود اليمن . على أننا نعرف أن هؤلاء الطيارين ، وقد كانوا في خدمة الخطوط الجوية السعودية ، كانوا يعملون تحت عقود ملزمة ، وفي إطار ظروف فرضت عليهم ما قاموا به . وربما لم تكن أبعاد المسؤولية عما فعلوا واضحة امامهم .

ومضى «جمال عبد الناصر» في رسالته إلى «كنيدى» يقول بالنص .

«إن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد حربا مع السعودية على حدود اليمن . فإن الخلاف التاريخي بين حكومة المملكة العربية السعودية ، وبين الجمهورية العربية المتحدة ليس خلافا من النوع الذى يحسمه الصدام المسلح ، وإنما هو خلاف يضرب بجذوره في أعماق الأوضاع الاجتماعية السائدة في العالم العربى ، ومحاولة آمال المستقبل أن تنزع نفسها من بقايا الماضى ورواسبه . فقد كنا - يعلم الله - حريصين على تجنب القوة حفاظا على كل نقطة دم عربية . ومن حسن الحظ أن القوات المسلحة في السعودية والأردن بذلت من جانبها جهدا واضحا لتحذير الراغبين في العدوان . وقد تجلى ذلك في مجيء طلائع من الطيارين الأردنيين إلى القاهرة حيث لحقوا بزملائهم السعوديين ، وكان يتقدمهم القائد العام لسلاح الطيران الملكى الأردنى .»

واستطرد «جمال عبد الناصر» بعد ذلك في رسالته ، فناقش مقترحات «كنيدى» وأبدى استعدادا للموافقة عليها بعد التشاور مع الحكومة اليمنية .



ويوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٢ بعث «جمال عبد الناصر» ببرقية شرفية عاجلة إلى الرئيس «عبد الله السلال» يقترح عليه فيها قبول المقترحات الأمريكية . ووافق «السلال» وفهمت القاهرة بعد ذلك أن الأطراف على الجانب الآخر قد وافقت أيضا ، فقد أعلن أن الرئيس «كنيدى» عين ممثلا خاصا له لتنفيذ مشروعه الخاص بحل الأزمة في اليمن ، وهو السفير المخضرم «النورث بانكر» ، كذلك كلفت الأمم المتحدة بإرسال هيئة مراقبين ، وطار مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهو الدكتور «رالف بانش» إلى صنعاء لترتيب إجراءات عمل فريق المراقبين الدوليين .

وبعد أن قام الدكتور « رالف بانث » بجولة سريعة في اليمن عاد إلى صنعاء ، وكان أول تعليق له هو قوله مرتاعا :

« لقد كنت حتى الآن أتصور أنني رأيت أسوأ صور التخلف في الكونجو ، ولكن ما رأيته هنا في اليمن أقنعني بأن هناك ما هو أسوأ في التخلف من الكونجو »^(١٠) .



وفي ساعة متأخرة من مساء يوم ١٩ ديسمبر أعلن الرئيس « جون كنيدي » أن حكومة الولايات المتحدة تعترف اعترافا فعليا وقانونيا بالجمهورية العربية اليمنية . وأحدث ذلك الاعتراف رضا عميقا في القاهرة ، وفي صنعاء ، وفي مواقع أخرى من العالم العربي . ولكن عواصف الغضب ثارت في عواصم عربية أخرى ، وفي مراكز للمصالح والنفوذ خارج العالم العربي !

(١٠) من لقاءات بين الدكتور « رالف بانث » و « محمد حسنين هيكل » جرت في صنعاء في أواخر شهر نوفمبر ١٩٦٢ .

الفصل الخامس

الحرب الأهلية باردة وساخنة



أى اتفاق ، على أى مستوى ، ينجح أو لا ينجح - ليس فقط بنصوصه ، وليس بنوايا أطرافه الأصليين ، وليس برغبتهم حتى وإن صدقت فى حسن تنفيذه - فكّر هذه عوامل مساعدة ، وأما الاختبار الحقيقى لأى اتفاق ، ففى مجالات أخرى غير النصوص والنوايا وصدق الرغبات !

● هناك - أولا - طبيعة المشكلة التى يتعرض لها الاتفاق ، وما إذا كانت واضحة حتى لدى أطراف الاتفاق أنفسهم قبل غيرهم ، بحيث يتأكد لهم بيقين أنها يتحدثون عن نفس الشيء على أساس توصيف مشترك يتحققون بواسطته مما إذا كانوا يملكون بالفعل عقد اتفاق نافذ بينهم فى موضوعه ؟

● وهناك - ثانيا - نوعية العناصر المؤثرة فى المشكلة ، وتركيبية هذه العناصر وقوتها وقدرتها على الحركة المستقلة بعيدا عن أطراف الاتفاق الأصليين ، بما فى ذلك تحدى رغبات هؤلاء الأطراف الأصليين إذا وجدت ذلك لازما .

● وهناك - ثالثا - رؤية هذه العناصر المؤثرة لمطالبها ، سواء من ناحية الأمن ، أو من ناحية المصلحة ، وهل تتحقق هذه المصالح ، أو لا تتحقق بالاتفاق ؟

● وهناك - رابعا - حقائق وتفاعلات المرحلة التاريخية التى يجرى فيها عقد الاتفاق ، فليس هناك حدث يستطيع أن يعيش خارج البيئة العامة لزمان ومنفصلا عنها .

● وهناك - خامسا - المواريث السياسية والفكرية ، والقناعات المسبقة لجميع سواء في ذلك أطراف الاتفاق الأصليين أو غيرهم من العناصر المؤثرة فيه ، الاتفاقات القادرة على الحياة لا تولد بين يوم وليلة ، وأى صفحة جديدة من كتاب يست قصته عند سطرها الأول !

وفي الاتفاق الذي جرى التوصل إليه بين « جون كنيدي » و « جمال عبد الناصر » حول أزمة اليمن ، والذي بمقتضاه تم اعتراف حكومة الولايات المتحدة بالجمهورية العربية اليمنية - فإن هذه الشروط الحقيقية والضرورية نجاح أى اتفاق - كانت غائمة ورمادية !



ولم يكن « كنيدي » و « عبد الناصر » يعرفان ما فيه الكفاية عن طبائع الأمور اليمن ، وكذلك كان حال معظم المحيطين بالاثنتين رجالا كانوا أو أجهزة .

كان « كنيدي » و « عبد الناصر » كلاهما مهتما بالاتفاق ، أو على الأقل تجنب صدام ، بينهما ، أو بين الولايات المتحدة وبين الجمهورية العربية المتحدة ، ولم ين ذلك صميم القضية ، فلا يمكن فصل صميم أى قضية عن موضوعها أى عن من في هذه الحالة .

ولم يكن أحدهما واضحا في تصوراته عن اليمن ، ولعل « كنيدي » كان يقيس قدار ما يعرف عن بلاد القلاقل والانقلابات وحتى الثورات في أمريكا اللاتينية ، بل « جمال عبد الناصر » كان يقيس بمقدار ما عرف عن سوريا أو السودان الجزائر ، ولم يكن القياس في الحالتين صحيحا .

ولقد فزع « كنيدي » وشكا لـ « جمال عبد الناصر » عندما لفتوا نظره إلى مريح للرئيس « السلال » غداة يوم اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الجديد في نعاء جاء فيه على لسان « السلال » أن « اليمن يملك صواريخ يستطيع أن يهدم قصور الرجعية في الرياض على رؤوس ساكنيها » !

وفزع « جمال عبد الناصر » ولم يجد من يشكو له حين قرأ مأساة أول بيد من الضباط المصريين في اليمن ، وهو الشهيد « نبيل الوقاد » واكتشف أن د زعماء القبائل المواليين للجمهورية باعه بيعا بعشرين قطعة من الذهب ، م بنفسه بإطلاق الرصاص عليه من الخلف !

ولم تهدأ مخاوفه عندما علم أنه لا يوجد طبيب مؤهل أو مدرس مؤهل مهندس من أبناء اليمن ، بل إن خزانة الحكومة اليمنية لا يوجد فيها ملهم واحد الخزانة كانت في جيب الإمام ، وعندما هرب كانت الخزانة معه !

ولم يكن المهتمون باليمن هم أطراف الاتفاق بين « كنيدي » و « عبد الناصر » وإنما كانت هناك عناصر أخرى ليست أقل قوة وقدرة من الأطراف الأصليين الذين وقعوا عليه ، فقد كانت السعودية عنصرا رئيسيا لا يمكن تجاهل أهميته بحكم الجوار ، وبحكم التشابك الجغرافي والإنساني ، وبحكم أوضاع قبلية غائرة في قرون الزمان . وكذلك كانت بريطانيا عنصرا رئيسيا بحكم وجودها العسكري في الجنوب العربي ، وهو حقيقة ، وبحكم استراتيجيتها في شرق السويس ، وبحكم نظرتها لحركة القومية العربية ، وبحكم عدائها لـ « جمال عبد الناصر » وهذه كلها أيضا حقائق .

كذلك كان الأردن ، وكذلك كان « قاسم » في العراق ، وكذلك كانت بقايا حكم الانفصال المتهاوى والآيل للسقوط في سوريا .

إيران كان لها دور رئيسي ، فقد كان الشاه يعتبر أن الشاطئ الآخر للخليج العربي وحتى مداخل البحر الأحمر منطقة أمن إيراني .

تركيا وباكستان أيضا كان لهما دور بحكم حلف بغداد .

فرنسا كانت قريبة ، فهي موجودة في جيبوتي ، وهي جريحة في الجزائر - ومن الطبيعي أن تهتم .

وإسرائيل كان محققا أن تجد لنفسها دورا بحكم تفاعلات الصراع في الشرق الأوسط .

وخارج إطار الدول كانت هناك عناصر مؤثرة أبرزها شركات البترول ، والبنوك والمؤسسات الاقتصادية المالية العالمية ذات الصلة بالبترول ، وهي كثيرة وكبيرة .

بل إن قبائل اليمن الكبرى ، وحتى الصغرى أصبحت من عناصر المعادلات التي لا يمكن نسيانها .

أخطر من ذلك ، فإن القرار الأمريكي معقد ومركب ، وفي كل الأحوال ، فإن صنعه لا يقتصر على البيت الأبيض وسيداه ، وإنما هناك قوى أخرى تصل في تأثيرها إلى حد أنها تستطيع اتخاذ سياسات مختلفة تخلق بها حقائق واقعة على الأرض تفرض على صانع القرار الرسمي في البيت الأبيض حتى وإن لم يكن مقتنعا بسلامتها .



وليس صحيحا أن الأطراف الأصليين في أي اتفاق يستطيعون فرضه على كل العناصر المهتمة في أزمة من الأزمات ، فعند لحظة معينة ، وعندما تكون رؤى المصالح والأمن معرضة للخطر ، فإن أطرافا ثانويين يستطيعون بشيء من المخاطرة أن يزيحوا

الأطراف الأصليين ، ويتقدموا هم إلى مواقع الصدارة في تحريك الحوادث . ذلك أن أى طرف مهما كان ثانويا يملك حجما من الإرادة المستقلة يكبر بمقدار استعداده لتحمل المخاطر منفردا .

وعلى سبيل المثال ، فإن بريطانيا التى أسلمت بقايا إمبراطوريتها للولايات المتحدة فى مؤتمر « برمودا » سنة ١٩٥٧ التى راحت تفكر بعد ذلك فى سحب قواتها شرق السويس معتمدة على الولايات المتحدة فى كل شىء - كانت على استعداد فى هذه اللحظة للخروج من تحت المظلة الأمريكية مهما كان الثمن لأنها وجدت نفسها مهددة عند آخر موقع بقى لها عند نقطة التقاء البحر الأحمر مع المحيط الهندى ، ولقد فضلت أن تواجه سوء تفاهم مع الولايات المتحدة - إذا كان ذلك ضروريا فى النهاية - على أن تسقط فى البحر أمام حركة القومية العربية من آخر موطئ قدم لها عند الطرف الشرقى الجنوبى من شبه الجزيرة العربية .

أى أن بريطانيا وغيرها من العناصر المؤثرة كانوا على استعداد عند لحظة الخطر لتحمل سوء فهم مع الولايات المتحدة يصل إلى درجة التحدى لحليفهم الكبير على أن يسايروا ثم يقعوا على الأرض من أول ضربة يوجهها إليهم عدوهم اللدود !



وعندما تكون هناك بحكم المراحل التاريخية حالة فوران يصل إلى درجة الغليان فى منطقة من مناطق العالم - فإن الاتفاقيات لا يمكن أن تكون ضابط التداعيات ولا رابطها .

وفى تلك الأيام كانت المنطقة العربية كلها - بل وكان العالم الثالث على امتداده - فى شبه حالة ثورية .

وكانت هذه الحالة غير مسبوقة فى التاريخ ، فقد تفجرت فى عالم تلاشت فيه الحدود والمسافات ، وتصارعت فيه قوى عظمى وعقائد ، وظهرت فيه وسائل وأسباب لم تتح من قبل لحركات الثورة فى التاريخ ، وأولها الإذاعة والتلفزيون ، وبالتالي فإن الأحلام استطاعت أن تجد لنفسها أجنحة تطير بها بعيدا عن أرض الواقع ، وكان هذا كله معززا بقفزة هائلة فى تكنولوجيا الأسلحة الصغيرة ، وبمدد من الذهب كأنه إناء بلا قاع !

وفى شبه الجزيرة العربية وما حولها ، فإن هذه الأجواء أحدثت متناقضات بدا بعضها مثيرا للضحك ، وبعضها داعيا إلى البكاء .



وراء سطور الاتفاق بين واشنطن والقاهرة ، فإن تجارب الماضى ورواسبه ك
تؤثر فى الطرفين . « جون كنىدى » و « جمال عبد الناصر » .
وعند أول لحظة شك - حتى ولو ثبتت البراءة فيما بعد - فإن اللحظة ك
تستدعى تلقائيا كل المخزون قبلها فى العلاقات ما بين البلدين .
وهكذا فإن الاتفاق بين الرجلين كان أشبه ما يكون بشمعة واحدة فى جو مظلا
ومعبأ ومسكون بالأشباح .

وكان كلا الرجلين يحاول ، وإن كان واقع الأمور يجعل المحاولة : نصف جه
بنصف اقتناع ، خطوة إلى الأمام ، ثم تردد وتلفت ، فى انتظار ما سوف يفعله الآخر
وكانت تلك هى الفترة التى غاصت فيها تحت سطح الأرض فى الشرق الأوسط الغام
يلبث بعضها أن تفجر سريعا فى حين ظل بعضها الآخر نائما فى انتظار أيام أخ
مازالت مواقيتها مؤجلة !



إن الطريقة التى تواصلت بها ، وتداعت وقائع الأحداث فى اليمن تكثف
بسياقها ومضاعفاتها حجم النتائج المأساوية التى يمكن أن تصيب أزمة من الأزم
نتيجة للفشل فى فهم طبيعتها وتوصيفها ، وتحديد أطرافها ورؤاهم ومصالح
وإنجازاتهم المسبقة .

وربما كان تتبع سياق الأحداث فى هذه الفترة الحساسة هو القادر أكثر من
أسلوب آخر على رسم الصورة الكاملة لأسابيع خطرة أصبحت مفترق طرق كثيرة
الشرق الأوسط ، وفى العالم العربى بأكثر مما كانت أى فترة أخرى فى تاريخ
الحديث :

● يوم ١٧ ديسمبر ١٩٦٢ ، وفى الوقت الذى كان فيه « جون كنىدى » :
وشك إعلان اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الثورى فى اليمن - كان « جم
عبد الناصر » غير مقتنع بصدق نوايا الرئيس الأمريكى ، وقد كتب بخط يده خطابا إ
« عبد الحكيم عامر » الذى ذهب إلى اليمن ليشرف على معركة لتطهير أطراف الحد
اليمنية من إغارات وقعت عليها ، وتمكنت من احتلال بعض أراضيها ، وبالذات
منطقة « الجوف » . وكانت صورة المخطط الكامل للهجوم على الجمهورية العرب
اليمنية أمامه كاملة ، فإن أجهزة التقاط الإشارات وحل الشفرات فى المخابرات العا
كانت تتابع الأجواء فى المنطقة ، وتتعب معظم الموجات العابرة فيها . وكتب « جم
عبد الناصر » من القاهرة بخط يده إلى « عبد الحكيم عامر » فى صنعاء يقول
بالحرف :

« عزيزى عبد الحكيم^(١) »

تقبل تحياتى . وأرجو من الله أن يوفقنا ، وقلبى معك ، وأشعر باطمئنان ، وسينصرنا الله لأننا نحارب بلا هدف إلا قضية الحرية وتأكيدا ، وقضية الثورة التى هى حق لكل شعب مغلوب على امره .

من تتبعى للإشارات الملتقطة أشعر أن العدو مستمر فى الحشد وتكديس السلاح والذخيرة والمفرقات فى نجران ، ومنها يحولها إلى عبد الله بن الحسن ، والحسن ، وعبد الله بن الحسين . كما أن هناك طائرات محملة بالسلاح والذخيرة من بلجيكا بدأت تصل إلى نجران . وصلت الطائرة الأولى أمس ، وستصل الثانية يوم ٢٨ ديسمبر ، والثالثة والرابعة يوم ٢٩ ديسمبر ، والخامسة يوم ٣٠ ديسمبر . والمفهوم أن هذه الطائرات ستصل إلى الطائف ومنها تنقل البنادق بالطائرات إلى نجران وجيزان ، والذخيرة بالسيارات . كذلك تكس الآن متفجرات فى نجران وجيزان ، كل هذا مع استمرار نقل الأسلحة والذخيرة إلى نجران وجيزان . وأنا الآن أشد اقتناعا أن علينا أن نهجم نجران وجيزان وننقل معركتنا من الدفاع إلى الهجوم . وفى رأى أن الوساطة الأمريكية كانت خدعة الغرض منها تخفيف حماسنا واندفاعنا ، ومنعنا من القيام بأى عمل ضد قواعد الحشد فى السعودية . «

● وفى اليوم التالى - ١٨ ديسمبر - تأكد « جمال عبد الناصر » أن « كنيدي » على وشك الاعتراف فعلا بحكومة الثورة فى صنعاء ، وأن هذا الاعتراف على وشك أن يعلن خلال ساعات . وكتب إلى « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ - وبخط يده^(٢) يقول له :

« عزيزى عبد الحكيم »

تقبل سلامى وتحياتى . اكتب إليك الآن فى المساء قبل سفر شمس^(٣) عن التطورات الأخيرة بالنسبة لاعتراف امريكا بالجمهورية اليمنية ، وكذلك الغرب وتأثير ذلك . قابل على صبرى السفير الأمريكى قبل ظهر اليوم . وتم الاتفاق على أن يعلن بياننا الساعة الحادية عشرة مساء ، وعلى أن يصدر البيان الأمريكى ظهر باكر بتوقيت « واشنجطن » أو الساعة السادسة بتوقيت القاهرة . وقد أبلغ على صبرى السفير الأمريكى أن سير الأمور فى الأراضى السعودية على حدود اليمن وخصوصا فى نجران تدل على أن السعودية لن تلتزم بما جاء فى جواب كنيدي عن

(١) الصفحتان الأولى والثانية من خطاب « جمال عبد الناصر » بخط يده منشورة فى الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٤٢ صفحة ٩٢٤

(٢) الصفحتان الأولى والثانية من خطاب « جمال عبد الناصر » بخط يده منشورة فى الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٤٣ صفحة ٩٢٦

(٣) يقصد شمس بدران الذى كان وقتها مديرا لمكتب القائد العام للقوات المسلحة .

الـdisengagement(*) لانهم يشنون الأسلحة والذخائر، الخ ويدفعون المتسللين ويدفعون الأموال، وكان الرد انهم سيضغطوا لإنهاء ذلك

عموما بعد اعتراف امريكا اعتقد ان ما جاء في جوابي بالأمس اصبح الآن سابق لوقته، او في حاجة لاعادة النظر من جديد. وفي رأيي ان الواجب ان نحاول سياسيا مرة اخرى للوصول إلى إيقاف النشاط السعودي. وإذا لم يتحقق ذلك، فالخطوة التالية تكون إنذار بهدم قواعد العدوان

إننى على يقين أن فيصل لن يسكت، ولكن بعد ظهور العامل الجديد باعتراف الغرب وفيه كسب معنوي، ومعناه أن الثورة اليمنية توطدت وعجزوا عن قهرها، فالتوقيت يحتاج لبحث من المهم وضع السلال في الصورة عن نشاط السعودية على الحدود وهذا واضح في تقارير المخابرات الملتقطة حتى لا يطمئن إلى أن أمريكا ستوقف كل شيء ضده في الحال. ففصيل سيعمل، والبدر، وكذلك الانجليز باستمرار للضغط على الجمهورية اليمنية.»

● في ذلك الوقت من أواخر شهر ديسمبر ١٩٦٢ كانت قوات الجيش المصري في اليمن قد استطاعت القيام بحركة واسعة في شرق وشمال اليمن تمكنت بها من تحقيق سيطرة الجمهورية العربية اليمنية على كل أطراف اليمن. وحين وصل الدكتور « رالف بانش » مبعوثا من « يوثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة، وطار فوق كل أرجاء اليمن، ونزل في عدد من قرى الحدود الرئيسية كان تقريره للأمين العام بعد ذلك أنه يرى أن النظام الثوري الجديد قد مد سلطته على كامل التراب اليمني. وأن القوى المعادية للثورة اليمنية كلها متمركزة الآن في قواعد خارج الأرض اليمنية. وربما بمقاييس ما هو عادي في أي بقعة من العالم بعيدا عن الشرق الأوسط وعن اليمن، فقد كان يمكن لأي مراقب أن يتصور أن الأزمة في طريقها إلى الحل. ولكن حجم المصالح في شبه الجزيرة العربية، وتشابك العلاقات بين الأطراف المعنية جعل من هذا التصور، أو أي شيء مماثل له ضربا من التعلق بالوهم.

● بدأ الرئيس الأمريكي « جون كينيدي » فور إعلان اعترافه بالحكومة اليمنية يتعرض لضغوط شديدة متعددة الاتجاهات. وكان أهم مصدر لهذه الضغوط شركات البترول والبنوك إلى جانب الحكومة البريطانية. وتلقى الرئيس « كينيدي » أكثر من رسالة من المنطقة ومن خارجها، ومن جهات سياسية واقتصادية ومالية وأجهزة مخابرات معلومات مؤداها أن النظام في السعودية، وفي غيرها معرض لأشد المخاطر إذا ما ترك الأمور في جنوب شبه الجزيرة العربية تتفاعل مبتدئة من النقطة التي جرى فيها الاعتراف الأمريكي بثورة اليمن. وذهب مجلس إدارة « أرامكو » بكامل هيئته تقريبا إلى البيت الأبيض،

(*) كتبها « جمال عبد الناصر » باللغة الانجليزية طبقا للتعبير الشائع، ومعناه « فك الاشتباك ».

وكان معهم ممثلون لمجموعة من البنوك الأمريكية أهمها بنك « تشيس مانهاتن » و « مورجان جارانتى » ، وهناك التقوا بـ « ماك جورج باندى » مستشار الرئيس للأمن القومى ، وانتهى لقاءهم إلى أن البيت الأبيض قد يكون له الحق فى ممارسة سياسته مع « ناصر » بالطريقة التى يراها ، وللأهداف التى يقدرها - ولكن الحكم فى السعودية يحتاج إلى عملية تدعيم لا شك فيها أمام الأصدقاء والأعداء معا . وقدم رئيس مجلس إدارة « أرامكو » لـ « ماك جورج باندى » رسالة شفوية من الأمير « فيصل » مؤداها أنه حينما التقى بالرئيس « كنىدى » قبل أسابيع - فإنه حصل من الرئيس على وعد مؤكد بأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقف بحزم لضمان أمن السعودية وسلامتها من أى تهديد . وأن الظروف الجديدة الواقعة فى اليمن الآن بما فيها الاعتراف الأمريكى والعملية العسكرية المصرية الناجحة تمثل جميعا تهديدا صريحا للسعودية ، يضاف إلى ذلك أن طائرات الاستطلاع المصرية دائمة التحليق قرب الحدود السعودية ، وأحيانا تقوم باختراقها .

ونقل « ماك جورج باندى » وقائع اجتماعه بمن قابلهم جميعا إلى الرئيس « كنىدى » واستقر رأى على تشكيل لجنة خاصة من مجلس الأمن القومى تتولى متابعة ، وتنسيق السياسة الأمريكية إزاء اليمن والسعودية بالاتصال والتعاون بين شركة « أرامكو » ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية . وعهد برئاسة هذه اللجنة إلى المستر « روبرت كومر » وهو مساعد « باندى » والمسؤول فى مجلس الأمن القومى عن أمور الشرق الأوسط وقتئذ .

وبعد أيام تقدم « كومر » بخطة للعمل أطلق عليها الاسم الرمزى « السطح الصلب » « Hard Surface » . وكان مجمل هذه الخطة يقضى بإجراء عرض للقوة الأمريكية فى السعودية يتمثل فى إجراءات :

أولهما - إرسال سرب واحد من الطائرات إلى السعودية للمرابطة فى أحد مطاراتها مع الاعلان عن ذلك بطريقة تلفت الأنظار إلى أن هناك تعهدا أمريكيا قاطعا بالدفاع عن أمن السعودية ونظامها . والإجراء الثانى - إرسال أسطول صغير من المدمرات الأمريكية يقوم بزيارات لموانئ المنطقة الشرقية لكى يكون من ذلك مزيد من التأكيد للضمان الأمريكى .

وفى الوقت الذى أعلنت فيه هذه الاجراءات وسط ضجة دعائية كبيرة كانت الحشود فى مناطق « نجران » و « جيزان » تزيد بطريقة ملفتة ، كما أن نشاط « البدر » و « الحسن » وعدد من المسؤولين السعوديين تركز بطريقة مريبة على الاتصال ببعض رؤساء القبائل فى اليمن ، كما أن معدل تهريب السلاح والذخيرة إلى

داخل اليمن بدأ يتصاعد بطريقة تدعو إلى الريبة والشك . وعاد نشاط الاستطلاع الجوى فوق مناطق الحدود السعودية ، وقامت إحدى الطائرات بإطلاق النار على بعض الحشود فعلا .

● وأمام هذه المحاولات وقف الرئيس « السلال » في اجتماع عام في اليمن يلقي خطابه المشهور عن « امتلاك الثورة اليمنية لصواريخ قادرة على ضرب قصور الرجعية في الرياض » . وراح الحوار بين الفعل ، ورد الفعل يدفع الأمور إلى درجة الانفلات من كل النواحي .

● ولم يكن مراقبو الأمم المتحدة قادرين على متابعة كل ما يجري على حدود اليمن ، ويبدو من مذكرات الجنرال السويدي « فان هورن » أنه كان مشغولا بمشاكله ومشاعره الشخصية ، فقد كتب نصف صفحة كاملة عن إحساسه وهو يركب سيارة الإمام « أحمد » التي وضعت تحت تصرفه كقائد لقوة المراقبين الدولية كما أنه كتب نصف صفحة أخرى في مذكراته عن الحصان الأبيض الذي كان يملكه إمام اليمن المخلوع ، وقدمته حكومة الثورة هدية له لكي يمارس به رياضته المفضلة في ركوب الخيل في ضواحي صنعاء .

● ولم تكن واشنطن والقاهرة قادرتين على الحوار المباشر والمفيد بينهما حول تطورات الأمور فقد كانت السفارة المصرية في واشنطن تعمل من منظور رؤيتها للموقف . كما أن القوات المصرية في اليمن لم يكن تحت تصرفها ضابط اتصال سياسى يتولى شرح السياسة العامة للقاهرة في اليمن وفق تعليمات محددة ، وهكذا على سبيل المثال كتب الجنرال « فان هورن » في أحد تقاريره أن أحد أبرز قادة القوات المصرية ، وهو اللواء « أنور القاضى » قال له ما فهم هو (أى الجنرال « فان هورن ») منه « أن القوات المصرية لن تنسحب تماما من اليمن . ومع أن القوة الرئيسية في الجيش سوف تعود إلى بلادها ، فإن هناك قوة مؤثرة سوف تبقى في اليمن حتى تطمئن القاهرة إلى سلامة الجمهورية العربية اليمنية بشكل نهائى وقاطع » . وعلق الجنرال « فان هورن » على ذلك بقوله : « إننى بدأت أعتقد أنه لا السعوديين ولا المصريين لديهم النية لفك الاشتباك . ويزداد اعتقادى يوما بعد يوم أن وجود مراقبين للأمم المتحدة في اليمن هو في الواقع عملية تغطية سياسية موجهة للرأى العام العالمى » .

● وفي ٤ فبراير ١٩٦٢ كتب « جمال عبد الناصر » خطابا جديدا بخط يده إلى « عبد الحكيم عامر » الذى كان قد عاد مرة أخرى إلى اليمن يقول له فيه بالنص :

« عزيزى عبد الحكيم »

تحياتى واشواقى وأرجو أن تكون بخير ، وسلامى واشواقى لأنور (يقصد أنور السادات الذى كان مع عبد الحكيم عامر عندما عاد إلى اليمن) ونحن فى انتظاركم فقد تركتم فراغا كبيرا

هناك اهتمام كبير الآن بأخبار اليمن حتى أن الاهتمام غطى على أخبار العراق . وأرجو الله أن ينتهى الأمر قريبا بالنصر الكامل . أكتب لك الآن ، وسأقابل السفير الأمريكى بعد ساعة ، وأظن أنه سيبحث موضوع الغارة على نجران ، وقد أبلغ أن عنده رسالة من كنيدي . وقد أبلغ السفير الأمريكى أن كنيدي سوف يرسل مندوبا خاصا ، وبصفة سرية جدا ليقابل فيصل لتسوية الأمر . وسيصل المندوب اليوم ٤ فبراير .

سعدت جدا بإنباء الانتصار وروح الجنود المعنوية العالية . وأظن أنك تعرف أن موضوع اليمن سبب لى فى الماضى الكثير من القلق ، ولكن الحمد لله على النتائج الأخيرة ، واعتقد أن وجودك كان ضرورى لتحقيق ذلك .

هناك موضوع مطلوب رأيك فيه على أن يصلنى فى الحال وهو أن الشيخ حافظ وهبة (سفير السعودية فى لندن والمستشار المقرب من الأمير فيصل) اتصل بالأمين العام للجامعة العربية ، وطلب منه الالتقاء مع كمال رفعت من أجل بحث العلاقة بين السعودية ومصر . وقد اتصل حسونة بالدكتور فوزى ليبلغه الرسالة وأريد أن أعرف رأيك .

● كان المندوب الأمريكى الذى بعث به الرئيس « جون كنيدي » إلى الأمير « فيصل » لـ « تسوية الأمور » هو السفير « الزورث بنكر » . وقد كانت المقابلة التى تمت بينهما مقابلة سيئة الحظ ، فقد انتهت بسوء تفاهم كامل بين الاثنين كاد يصل إلى درجة الأزمة ، فإن السفير « بنكر » قال للأمير « فيصل » إن مظاهره القوة الجوية والبحرية التى قامت بها الولايات المتحدة لإعلان مساندتها له تمت على شرط إيقاف التدخل السعودى فى اليمن ، وأن الطائرات الأمريكية الثماني المرابطة فى السعودية لن تشتبك مع أية قوات مصرية إلا فى حالة الدفاع الواضح والمحدد . ورد الأمير « فيصل » بحدة بأنه لم يفهم من كلام الرئيس « كنيدي » أن هناك شرطا عليه ، وأن كلمة « شرط » تبدو له غير مقبولة . وتدخل السفير الأمريكى فى السعودية وهو المستر « بيتر هارت » وكان يحضر المقابلة بين الأمير السعودى والمبعوث الرئاسى ، وقال إن هناك خطأ فى الترجمة فكلمة « شرط » باللغة العربية ليست هى ما عناه الرئيس « كنيدي » فى رسالته ، وأنه يفضل استبدالها بكلمة « فهم مشترك » ، ولكن محاولة السفير « هارت » لم تفلح لأن السفير « بنكر » ما لبث بعد ذلك أن أضاف إلى ما قاله « أن الرئيس كنيدي يرى أن يوجه الأمير فيصل بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية

في السعودية ، فالأوضاع في الأسرة ، وفي الدولة ليست على ما يرام ، وهناك جهود كثيرة مطلوبة لوضع هذا كله على مسار صحيح » . وانفعل الأمير « فيصل » قائلاً إن أمن أسرته وبلاده في خطر ، وهو غير مستعد لسماع نصائح تجيئه من مصادر بعيدة عن الواقع الذي يواجهه هو ويعانى آثاره كل يوم .

❷ وكانت قرون الاستشعار البريطاني في لندن ، وفي عدن ، متنبهة ومتحفزة وقد رأت على الفور أن الفرصة سانحة لتعاون أوثق مع السعودية وأصدقائها ، وكذلك مع بعض القوى والمصالح الهامة في الولايات المتحدة بصرف النظر عن استراتيجية أو تكتيك البيت الأبيض . وفي هذا الوقت توصلت لندن إلى نتيجة ظهرت واضحة في مذكرة صادرة عن إدارة الـ M.I.6 قدمت إلى السير « اليك دوجلاس هيوم » وزير الخارجية البريطانية ، وجاء فيها بالنص ما يلي :^(٤)

« في هذا المنعطف الهام من سير الأمور في اليمن ، فهناك ثلاثة حلول مطروحة للبحث ، ومن الصعب البحث عن خيار آخر خارج إطارها

١ - الاعتراف بالثورة اليمنية ، وقبول الأمر الواقع - وهذا احتمال لا يمكن قبوله ، واضرار له لا تحتاج إلى تفصيل .

٢ - وهناك إمكانية إقناع ناصر بسحب قواته من اليمن بصرف النظر عما يمكن أن يحدث للنظام الجديد في صنعاء - ومن الواضح أن هذه الإمكانية ميؤوس منها ، فإن ناصر بعد كل ما وصل إليه لتأييد التمرد في اليمن لا يستطيع أن يتراجع عند منتصف الطريق .

٣ - يبقى الاحتمال الثالث ، وهو قبول واقع الحال كما هو ، والعمل على استمراره - أي قبول بقاء الجيش المصري في اليمن ، ورفع تكاليف بقائه فيها بما يؤثر حتى على نظام ناصر في القاهرة - وهذا احتمال تكمن فيه فرص هائلة إذا أحسن استغلالها خصوصاً وإن طبيعة الأرض في اليمن وقبائله كما أثبتت تجارب الماضي بما فيها تجاربنا نحن ، تقدم ظروفًا مواتية للاستنزاف . »

وراحت حرب عربية أهلية بدأت باردة ، تتحول إلى حرب عربية أهلية تزداد سخونتها يوماً بعد يوم بمشاركة أطراف كثيرين بينهم غير العرب .

(٤) أرسلت نسخ من هذه المذكرة إلى مكتب المندوب السامي البريطاني في عدن ، وإلى قيادة القوات البريطانية في الجنوب العربي .



وكان « كنيدي » ما زال يحاول . وقد أحس مبكرا باحتمالات سوء الفهم التي يمكن أن تعرقل محاولته التي كانت تهدف أساسا إلى إقناع مصر بالانكفاء على الداخل ، وهكذا فإنه بعد أسابيع من الصمت - كتب إلى « جمال عبد الناصر » خطابا جاء فيه بالنص ما يلي :

« البيت الأبيض^(٥) »

عزيزي الرئيس

عندما انبريتم انتم وانا لما اعتبرناه معا علاقة منبذلة تبشر بالخير - اتفقنا على انه من الضروري ان تستند صلاتنا إلى أقصى حد من الصراحة من الجانبين . أما وقد تابعت عن كثب طريق العذاب الذي سارت فيه أحداث اليمن ، فقد بت أخشى أن تكون هذه المسألة قد أثارت أسبابا لسوء الفهم ، وما لم نتحدث بصراحة مع بعضنا البعض فيها ، فإن الإساءة قد تلحق بعلاقتنا الآخذة في النمو .

عندما وافقت الجمهورية العربية المتحدة على الاضطلاع بالتزامات معينة كان لدى الأمل بأننا أحرزنا تقدما كبيرا . لكنني الآن استشعر أن هناك شكوكا تثور عندكم من ناحية الولايات المتحدة . فقد تتصورون أن الولايات المتحدة بسبب امتناع المملكة العربية السعودية عن سحب مساندتها للملكيين - كانت تتبع في اليمن سياسة مزدوجة . دعني أؤكد لكم تأكيدا قاطعا بأن الأمر ليس كذلك . إننا عملنا ، وسنعمل كل ما هو ضروري لحماية مصالحنا الحيوية في شبه الجزيرة العربية ، ولكن حسابات ذلك قد تمت بأقصى دقة حتى لا يكون حرصنا على مصالحنا معناه في النهاية تأييد السياسات السعودية في اليمن .

ولعل ما هو أخطر من ذلك هو الإحساس المحتمل من جانب الجمهورية العربية المتحدة بأننا ينبغي أن نكون قادرين على إرغام السعوديين على فض الاشتباك في اليمن . ودعني أصارحك مرة أخرى بأننا كنا نحث فيصل على فض الاشتباك بإقناعه أن ذلك يحقق مصلحته الخاصة . على أنكم تعرفون حق المعرفة بأن استعمال الضغط الإرغامي على أي زعيم عربي من أصدقائنا ليس أسلوبا نأخذ به الولايات المتحدة ، ثم إن فيصل لن يستجيب له . وهو يرى في هذه اللحظة أن سياسته تجاه اليمن هي سياسة ضرورية للحفاظ على هيبة المملكة العربية السعودية بالذات .

(٥) مجموعة أوراق « كنيدي » في مكتبته ، وهذا الخطاب موجود في الجزء الخاص بالشرق الأوسط (الجمهورية العربية المتحدة) صندوق رقم ٤٦ .

وأخشى أن تكون أقوال وأفعال الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية هي التي ساعدت على إقناعه بهذا الأمر . والواقع أننا كلما شعرنا في كل مرة بأننا نحزن شيئا من التقدم نحو فض الاشتباك - وجدنا أنفسنا نرتد على أعقابنا بسبب عمليات مثل الغارة على نجران . ومن المتعين أن أقول لك بكل صراحة بأن هذه الأفعال - كما تبدو لنا من هنا - لا تؤدي إلى تخويف فيصل بل تؤدي إلى إثارة حنقه . وفي رأيي أن هذا الموقف يحتاج إلى صبر ، وإلى ممارسة تلك الحنكة السياسية التي أطريها نحن وغيرنا فيكم في مناسبات سابقة .

وبالمثل فإن أسباب التردد في الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية من جانب الحكومة البريطانية ، إنما تنبعث بوضوح من قلق هذه الحكومة حول عدن ، كما أن التهديدات المتكررة التي ردها السلال لن تؤدي إلا إلى زيادة هذه المخاوف ، في حين أنني أثق أن عبارات التطمين إنما تساعد على تحقيق اعتراف الحكومة البريطانية بالجمهورية العربية اليمنية وأنا أراغب رغبة صادقة في حدوث هذا الاعتراف ، ولكنني لست في وضع يسمح لي أن أضغط على الحكومة البريطانية لكي تعترف في مواجهة بيانات غير حكيمة تصدر من صنعاء .

وفي يقيني أننا قدمنا فعلا برهانا كافيا على صدق اهتمامنا بالعلاقات الطيبة مع الجمهورية العربية المتحدة وقد تذكرون أننا بذلنا كل جهد لكي نتأكد من أن مصالحنا الخاصة في عدن ، وفي شبه الجزيرة العربية مفهومة من جانبكم . وإذا استطعنا تحقيق الفهم الكامل على الناحيتين ، فإنني لا أرى سببا يعوق علاقات تبعث على الرضا بين بلدينا وأمل أن يكون في وسع الجمهورية العربية المتحدة ، والولايات المتحدة السعي إلى تحقيق هذا الهدف بثقة وفهم متبادلين ، وعلينا أن نهتدي إلى صبغة تهيةء لفيصل سنذا علنيا ومقبولا لفض الاشتباك . وفي وسع السفير بادو أن يوضح لكم أكثر ما يجول في خاطري وإنني لأمل أن يساعد هذا الخطاب على تصفية الجو بيننا علما بأنه يوجد في بلدينا كثيرون يشكون فيما إذا كان من الممكن فعلا قيام علاقات طيبة بيننا . وفي اعتقادي أن هؤلاء على خطأ ، ولكن علينا نحن أن نبرهن لهم بأنفسنا أنهم على خطأ .

المخلص

جون كنيدي

وفي ٣ مارس ١٩٦٣ بعث « جمال عبد الناصر » برده على « كنيدي » . وجاء في رسالته بالنص ما يلي :

« عزيزي الرئيس »

شكرا لكم على رسالتكم الأخيرة التي حوت إيضاحات قيمة تتعلق بالجهود التي تبذلونها لإيجاد حل للمشاكل التي أعقبت ثورة اليمن . والحقيقة أنني أحسست أن هذه الرسالة في حد ذاتها دليل على متابعة سليمة للموقف في الشرق العربي ومضاعفاته السياسية ، بل وحتى عقده النفسية .

والواقع ، كما لاحظت في رسالتكم ، أنه كانت هناك شكوك حول مساعي الولايات المتحدة في مشكلة اليمن ، وكانت هذه الشكوك تشغل بال عناصر وطنية عربية عديدة في المنطقة ، وكانت حجة هذه العناصر في شكوكها أن الولايات المتحدة لها ارتباطات مع قوى معادية للقومية العربية وللثورة العربية ، تؤثر في سياساتها تأثيرا لا سبيل إلى تجاهله . مع أنى شخصيا اتفق مع هذه العناصر الوطنية العربية في بعض ما تذهب إليه نتيجة لتجارب طويلة سبقت ، فإننى أريد أن أقول لكم إننى بالنسبة لمساعدكم في مشكلة اليمن ، كنت مطمئنا إلى سلامة مقاصدكم ، وكان منطقي في ذلك ، ولقد شرحت به بنفسى لكنيرين من رفاقى - يستند على إحساسى بأن صدور المسعى الأمريكى عنكم شخصيا لابد أن يستبعد من فكرنا كل شك في أن تكون المحاولة كلها مجرد مناورة سياسية ، وكان رأى ، وما زال أن الولايات المتحدة حتى وإن أرادت المناورة السياسية ليست في حاجة إلى الزج برئيس الولايات المتحدة نفسه في مثل هذه المحاولة .

ثم مضى الرئيس بعد ذلك يقول إنه يريد « تحديد بعض النقاط العملية لتكون أمامكم وتحت نظركم ، وهى على النحو التالى :

□ أولا - إن الجمهورية العربية المتحدة مازالت مفتوحة الفكر لكل مسعى يعزز السلام القائم على العدل .

□ ثانيا - إن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد أن تتدخل في الطريقة التى قد يحاولون بها إقناع إصدقائكم بما ترونه مناسبا حتى لمصلحتهم أنفسهم ، ولا تملك الجمهورية العربية المتحدة أن تفرض - ولا حتى أن تشير - بشئ في هذا الصدد بغية إقناع الأسرة المالكة السعودية بعدم جدوى العدوان ، أو بإقناع الحكومة البريطانية بعدم جدوى تجاهل الحقائق ، ونحن نؤمن أن حركة التاريخ سوف تتولى نيابة عنكم وعنا إقناعهم بحتمية التطور .

□ ثالثا - إن الجمهورية العربية المتحدة في إيمانها بحتمية التطور لا تجد نفسها بحكم مسؤولياتها العربية ، قادرة على الوقوف مكتوفة اليدين أمام محاولات متعددة وعدوانية للتصدى لحق شعوب الأمة العربية في صنع مستقبلها بالكرامة والحرية .

وفي الختام - يا عزيزى الرئيس - فإننا نسجل لكم بالتقدير العميق كل مشاعركم ومساعدكم الحميدة ، ونتمنى من قلوبنا أن يكتب لها النجاح الذى تستحقه .

إمضاء

جمال عبد الناصر



ولم يكن هذا كله قادرا على إيقاف تداعى الحوادث نحو الأسوأ في اليمن ، فالمصالح المتناقضة والمتصارعة كبيرة وهائلة ، والمهتمون بها أطراف عديدون ، ومن

مواقع وتوجهات مختلفة وأرض الصراع ذاتها أشبه ما تكون ببحر من الرما المتحركة .

وكان السفير « جون بادو » يحاول بكل جهده في القاهرة . وحاول سفير الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن أن يدخل في الصورة ، فطلب مقابلة « روبرت كومر » الذى كان يعرف أنه مسؤول البيت الأبيض الذى يتولى إدارة الأزمة في مجلس الأمن القومى . وبالفعل تم بين الاثنين (« كومر » والسفير « مصطفى كامل ») لقا يوم ١٨ مارس ١٩٦٣ . ولم يكن اللقاء موفقا ، وقد كتب « كومر » عن وقائعه مذكر إلى الرئيس « كنيدي » جاء فيها ما يلي بالحرف :

« سرى »

مذكرة عن حديث

بناء على دعوة من كامل سفير الجمهورية العربية المتحدة تناولت الشاى معه مدة ٤٥ دقيقة يوم الاثنين ١٨ مارس . وقد بدا لى أن غرضه الرئيسى هو أن يقول لى إنه يريد الاجتماع بالرئيس ، وهو موضوع ذكره ملحقه الصحفى بعد ذلك لتوم سورنسن (المساعد الشخصى للرئيس كنيدي) الذى نقله لى . وكانت حجة الملحق الصحفى أن لبادو في القاهرة اتصالا متواترا بناصر بحيث يتعين علينا هنا أن نولى كامل شيئا أكثر من الاعتبار . ولم يثر كامل الموضوع بهذه الكيفية ، ولكنه قال إنه يأمل أن تتاح له مرة أخرى فرصة التحدث مع الرئيس في القريب . وأشار إلى حديثه مع الرئيس ايزنهاور الذى استبقاه ، على حد قوله ، ٤٥ دقيقة فوق المدة الأصلية للزيارة وهى ١٥ دقيقة . ولم يكن لدى ما أقوله له سوى أننى أعتقد أن الرئيس قد يستفيد من إجراء جولة في الأفق مع كامل متى أصبح اليمن وراء ظهورنا .

وفيما عدا ذلك ، فإن كامل استمر يسمعنى مونولوجه الدرامى ساردا فيه بعثته الناجحة إلى واشنطن ، وهو كما يعرف ذلك جميع الذين يتحدثون مع كامل يعد نفسه الشخص الذى يكاد يعمل بمفرده في تحقيق التحول في سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة ابتداء من عام ١٩٥٩ . ومما أكده لى ضمن أمور أخرى أنه فيما يتعلق بمصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، والتي نعددها مصالح جوهريية - فإنه لا يرى في ذلك أى صعوبة محتملة بيننا . أما فيما يتعلق بإسرائيل ، فهي موضوعة داخل ثلاجة ومن الممكن بقاؤها فيها . وأما فيما يتعلق بالبتروى ، فقد حرص على أن يقول لى إن مصالح البتروى الأمريكية لن تعانى شيئا بغض النظر عن أى تغييرات سياسية في العالم العربى مثل مجيء أنظمة عربية « أكثر تحررا » . وقد أصر إصرارا شديدا على أنه لا حاجة بنا إلى القلق من هذه الناحية .

إمضاء

ر . و . كومر

وقامت في الصحف الأمريكية ، وعلى شبكات الإذاعة والتلفزيون حملات عنيفة تزعمها في جريدة «النيويورك تايمز» الصحفى الشهير «جوزيف ألسوب» وكان معروفا أن أهم مصادره هم كبار المسؤولين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وفي «البنّاجون» . وكتب «ألسوب» في هذه الفترة مقالا أثار ضجة جاء فيه أن «ناصر يستعد لغزو المملكة العربية السعودية ، وأن النشاط الذى يقوم به سلاح الطيران المصرى على مناطق الحدود سواء بالاستطلاع ، أو بغيره من الوسائل هو نوع من عمليات التمهيد العملى أو النفسى للغزو .

وتظهر وثائق البيت الأبيض أن الرئيس «كنيدى» قرأ مقالة «جوزيف ألسوب» ووضع على رأسها علامة استفهام ، وبعث بها إلى «روبرت كومر» . وكتب «روبرت كومر» مذكرة لـ «كنيدى» كان نصها كما يلي :^(٦)

« مذكرة إلى الرئيس »

إن هناك من الدخان أكثر مما هناك من النار في الكلام الذى كتبه جو السوب من أن ناصر سيغزو المملكة العربية السعودية ، وما قاله أيضا من أن البنّاجون يتلف على استخدام الأسطول السادس (الأسطول الأمريكى في البحر الأبيض) لردع ناصر ولكن السذج في وزارة الخارجية يعارضون ذلك .

لقد قمنا فعلا بالكثير في سبيل ردع الجمهورية العربية المتحدة عن التصعيد . وجعلنا المدمرات الأمريكية تزور ميناء سعودي وقاذفات القنابل تطير إلى هناك ، والآن يوجد في السعودية فريق لقوة خاصة . وقد اندرنا ناصر مرة بعد مرة بأن لا يدوس على أصابع أقدامنا . أما فيما يتعلق بلهفة البنّاجون على استعمال الأسطول السادس ضد ناصر (عبارة محذوفة) . إن الجنرال تيلور (يقصد الجنرال ماكسويل تيلور رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة) وهيئة أركان الحرب المشتركة نفسها ، وكذلك نيتز (يقصد بول نيتز مساعد وزير الدفاع) كانوا جميعا (عبارة محذوفة) . ويستدل من مراجعة سريعة قمت بها أنه ليس في البنّاجون حتى هذه اللحظة صقور حرب يمكن تحديدهم بالاسم .

صحيح أن ناصر ربما حاول برغم ذلك الضغط على السعوديين ضغطا اشد (عبارة محذوفة) . وقد قدرنا باستمرار ، وتقديرنا صحيح حتى الآن ، أن ناصر سيقوم بالتصعيد عوضا عن الخروج من اليمن . وها هو قد استأنف القصف فعلا ، واكتشفنا أن مظلات الجمهورية العربية المتحدة اسقطت مؤنا على من يفترض أنهم مشايعون لهم في الحجاز ، ويعتقد بعض (عبارة محذوفة) بأن الجمهورية العربية المتحدة قد تحاول إحداث ثورة في الحجاز ، أو الإغارة على مستودع سعودى للمؤن .

(٦) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى الأمريكى ، وهناك صورة من صفحات هذه الوثيقة منشورة في الملحق الونائفى لهذا الكتاب تحت رقم ٤٤ صفحة ٩٢٨

ونحن ننذر ناصر مرة أخرى (عبارة محذوفة) .

ولأن كان كل جهندا الحالى مؤلما وغير مؤكد ، وهو كذلك فعلا ، فلست أرى بديلا
عمليا فى الوقت الحالى (عبارة محذوفة)

إمضاء

ر . و . كومر «



وكان هذا الذى أشار إليه « كومر » فى مذكرته لـ « كنيدي » عن « إسقاط مؤن
على من يفترض أنهم مشايعون لهم فى الحجاز » - صحيحا إلى حد كبير . ولكنه كان
جهدا فرعيا قامت به المخابرات العسكرية المصرية استجابة لخطة طرحها الأمير
« طلال » .

كان الأمير « طلال » متحمسا « للعمل الثورى » فى السعودية . وفى اجتماع
شارك فيه مع اللواء « عبد القادر حسن » مساعد قائد القوات المصرية فى
اليمن ، واللواء « عماد ثابت » مدير المخابرات العسكرية وقتها ، عرض
الأمير « طلال » خطة للعمل العسكرى داخل السعودية . فقد أبدى أنه على
اتصال ببعض القبائل فى شمال السعودية ، وبالأذات فى منطقة « تبوك »
وما حولها . واقترح إنشاء معسكر تدريب فى سيناء لعدد من أبناء هذه
القبائل بهدف إنشاء قوة خاصة منهم يجرى إسقاطها بالمظلات بعد فترة
تدريب تستمر ثلاثة أشهر . واقترح أيضا أن يضم إلى هذه القوة الطيارون
السعوديون الذين لجأوا إلى الجمهورية العربية المتحدة بطائراتهم ، وبالتالى
فإن قوة العمل الخاص تصبح ممثلة للقبائل وللجيش فى السعودية .

وبدأ التحضير فعلا فى إطار المخابرات للقيام بهذا النوع من العمليات ،
ولولمجرد الإزعاج ، وتشيتيت التركيز الرسمى السعودى عن الجنوب إزاء
اليمن ، ولفته إلى الشمال فى منطقة « تبوك » . وفى إطار هذه العملية تمت
بالفعل عملية إسقاط مؤن فى مناطق القبائل المعنية ، وكان الترتيب أن تصل
إلى هؤلاء الذين قصدهم الأمير « طلال » فى خطته .

وعرف « جمال عبد الناصر » من قراءاته للبرقيات السعودية الملتقطة ، والتى
كسرت شفرتها وأمكن حلها بما حدث . وسأل عن أصل الموضوع ، وتلقى ردا من
القيادة العامة للقوات المسلحة بأن هذه العملية جرى إعدادها كعملية فرعية ضمن
التوجيه العام بالتعاون مع الأمير « طلال » وأشر عليها بخطه بجمله واحدة :
« لا داعى » .

وكتبت له إدارة المخابرات العسكرية مذكرة قالت فيها إنها كانت « تفكر في وقف العملية بسبب صعوبة التوفيق بين آراء الأمير طلال ، وبين الطيارين السعوديين اللاجئين للقاهرة ، فقد تعذر التوفيق بينهم لأن الطيارين مع تقديرهم لموقف الأمير طلال لم يكونوا على استعداد للتعامل مع الأمراء من أساسه » .

وهكذا على بعد المسافة بين القاهرة وواشنطن كان كل من « عبد الناصر » و « كنيدي » يجرب نفس الأسلوب : يستعمل إمكانياته إلى مداها ، ويفرق بين التكتيك والاستراتيجية ، ويحاول قدر ما يستطيع أن يحتفظ بحريته في الحركة داخل إطار معين لا يتجاوزه بحيث « لا يدوس على أطراف أصابع الطرف الآخر » - على حد التعبير الذي استعمله « كور » في مذكرته لـ « كنيدي » !



على ساحة الحرب في اليمن ظهر عنصر جديد ، لا يهمه أن يدوس على أطراف غيره ، ولم يكن ظهوره مرة واحدة ، وإنما تدرجت عملية ظهوره خطوة بعد خطوة حتى تحول إلى أمر واقع شديد الخطورة وباهظ التكاليف .

كان هذا العنصر هو جيش المرتزقة الأجانب الذين جرى استئجارهم من كل عواصم أوروبا ، لكي يقاتلوا ضد القوات المصرية في اليمن . وكان التفكير الذي قاد إلى هذه الظاهرة تفكيراً منطقياً من وجهة نظر أصحابه ، وقد تم التوصل إلى مقدماته مبكراً ، ومنذ الوقت الذي بدأ فيه لجوء الطائرات والطيارين السعوديين والأردنيين إلى القاهرة . وكانت الخطوات التي تداعى إليها هذا التفكير المنطقي من وجهة نظر أصحابه تجري على النحو التالي :

١ - إن هناك ضرورة لشن القتال ضد الثورة اليمنية ، وقوات الجمهورية العربية المتحدة التي تساندها .

٢ - إن القوات الأصلية للأطراف الراغبين في شن هذه الحرب ضد الثورة

اليمنية ليست مأمونة ولا يمكن الاعتماد عليها ، كما أثبتت التجارب العملية .

٣ - إن هناك وفرة في أهم الوسائل الضرورية للقتال وهي المال ، والمثل الفرنسي الشهير القائل بأن « المال هو الذى يصنع الحرب » - ماثل في الأذهان ، وهو صادق بتجارب كثيرة في التاريخ .

٤ - وإذن فإن الحل العملي لهذه المعادلة الصعبة يكمن في استخدام المال لتأجير مقاتلين يقومون بشن الحرب نيابة عن الراغبين فيها ، وغير القادرين عليها بأنفسهم ، ولديهم ما يكفي من المال لتأجير هؤلاء المقاتلين .

٥ - إن تجربة المرتزقة في الكونجو أثبتت أن استخدام المرتزقة على نطاق كبير ممكن ، كما أن هناك فائضا كبيرا في السوق من هؤلاء المرتزقة بعد هدوء الأحوال في الكونجو .



كانت بعض العواصم الأوروبية قد تحولت إلى أسواق للجنود والمرتزقة المستعدين للقتال بأجر للراغبين في خدماتهم . وهي حرفة ظهرت منذ أقدم أيام التاريخ ، وحين كان الملك يطمئنون إلى رعايا لهم في الحقول يحملون الفؤوس ، ولا يطمئنون إليهم يحملون السلاح في ميادين الحرب .

كانت لندن أهم هذه الأسواق ، وكانت لبريطانيا تجربة سابقة في هذا المجال بدأها في الواقع البريجادير « وينجيت » الذى اشتهر بغاراته الجريئة وراء خطوط القتال في الحرب العالمية الثانية . ولم يكن « وينجيت » مرتزقا مأجورا ، ولكنه كان صاحب مدرسة في حرب العصابات تقوم على فكرة إنشاء مجموعات مستقلة من المقاتلين المحترفين يستطيعون التسلل وراء خطوط القتال ، والعمل بطريقة مستقلة تماما لإرباك العدو من مؤخرته . وقد قام « وينجيت » وقواته المستقلة بعمليات بالغة الجرأة وراء الخطوط في الصحراء الغربية ، وفي وقت من الأوقات سنة ١٩٤٢ بلغت جرأة خططهم إلى حد مهاجمة بعض مراكز القيادة الألمانية في ليبيا ، كما أنهم في إحدى المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال المارشال « رومل » القائد الألماني الشهير .

وفي داخل القوة المستقلة للبريجادير « وينجيت »^(٧) ظهرت أسماء شهيرة مثل

(٧) خدم البريجادير « وينجيت » قبل الحرب العالمية في فلسطين ، وكانت آراؤه في قوات العمل الخاصة قد اثيرت على عدد كبير من قادة الحركة الصهيونية ، وكان « وينجيت » نفسه متعاطفا مع هذه الحركة ، وقد قام بمساعدة الوكالة اليهودية على تدريب بعض وحداتها العسكرية ، وهناك في إسرائيل من يعتبرون أن « وينجيت » هو العقل المنظم للقوات الإسرائيلية الخاصة منذ نشأة جماعة « شتيرن » الذى كان هو نفسه في وقت من الاوقات جاويزا مع « وينجيت » .

الكولونيل « ستيرلينج » الذى قاد وحدة من وحدات قوات العمل الخاصة تولت مهام عديدة فى مسارح العمليات من الشرق الأوسط إلى جنوب شرق آسيا ، وكذلك برز اسم اليريدادير « فيترزوى ماكليين » الذى قاد وحدة عمليات خاصة حققت شهرة كبيرة فى البلقان ، وبعد أن انتهت الحرب دخل « ماكليين » إلى حلبة الحياة السياسية ورشح نفسه لعضوية مجلس العموم ، وانتخب فعلا - ومع ذلك فإن حياة المغامرات ظلت تستهويه وتناديه .

وكان « فيترزوى ماكليين » صديقا مقربا من « جوليان ايمرى »^(٨) رئيس مجموعة نواب السويس ، والذى كان فى نفس الوقت زوجا لابنة « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء البريطانى ، وكانت مجموعة نواب السويس (كما سبقت الإشارة من قبل) أبرز قوى الضغط التى تحركت للعمل فى أعقاب ثورة اليمن ، وكان شعارها « إن عدن لن تلحق بالسويس » ، ولم تكتف المجموعة بإطلاق الشعارات ، وإنما اتجهت إلى العمل المباشر ضمن تحالف القوى التى تصدت لحرب ثورة اليمن .

وقد استطاع « جوليان ايمرى » وبعض أصدقائه أن ينشئوا مكتبا للاتصال والدفاع عن الإمامة فى اليمن . وفى أيام قليلة كان هذا المكتب قد تلقى اعتمادات ضخمة حولت إليه من الرياض ومن نيويورك ومن غيرهما من المراكز ، وبدأ يتصل ببعض الضباط المحترفين ، وبينهم الميجور « جون كوبر » الذى راح يتردد على بعض وكالات تاجير المرتزقة فى شارع سلون فى لندن ، ولم تمض بضعة أسابيع بعد ثورة اليمن والتجاء الطائرات إلى القاهرة بطيارياها - حتى كان « جون كوبر » قد وصل إلى نجران ، وتسلسل داخلا إلى منطقة الجوف ومعه قوة خاصة من مساعديه ، وهناك أنشأوا قاعدة للاستقبال والإعداد يتوجه إليها القادمون بعدهم ، وكان هناك منهم كثيرون تعطلوا بعد أن انتهت خدماتهم فى الكونجو !



فى نفس الوقت كان هناك نشاط مشابه فى باريس ، وقد كانت باريس ذات خبرة واسعة فى نشاط الجنود المرتزقة منذ تجربتها مع الفرقة الأجنبية

(٨) كانت أسيرة « ايمرى » من أصل يهودى ، وكانت مثل عدد من الأسرى المنحدرة من أصول يهودية من غلاة المتحمسين للوطنية البريطانية بصورتها الاستعمارية ، وقد كانت لدى « جوليان ايمرى » عقدة خاصة ، فشقيقه « جون ايمرى » تعاون مع الألمان فى أثناء الحرب عندما وقع فى أيديهم أسيرا ، وقد تولى تجنيد مجموعة منهم تعاونت مع النازى عندما تصور البعض أن انتصارهم مؤكد بعد سقوط فرنسا . وبعد الحرب قبض على « جون ايمرى » وحوكم ، وصدر الحكم بإعدامه ونفذ الحكم . وكان « جوليان ايمرى » إلى جانب ذلك صديقا لشاه إيران ، وقد باعه مجموعة من الصور الفارسية كانت فى ملكية أسرته عندما أراد الشاه أن يسترد كل روائع الفن الفارسى إلى إيران ، وكان الثمن قرابة نصف مليون جنيه استرلينى ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الوقت .

الفرنسية التي حققت لنفسها سمعة كريهة في كل حروب فرنسا الاستعمارية . كانت هذه الفرقة قد حلت رسميا وأصبح جنودها بلا عمل مستعدين لمن يدفع الثمن . وقد دخلت سوق المرتزقة أيضا في هذا الوقت بقايا الجيش السرى الفرنسى الذى فقد صوابه بعد ثورة الجزائر ، واعتبر أفرادها أن القتال في اليمن عودة إلى الثأر من ثورة الجزائر والذين انتصروا لها ، خصوصا وأن الأجر الشهى الذى كان معروضا في السوق للجندى المرتزق وصل إلى ما بين أربعمائة إلى خمسمائة جنيه أسترلينى .



وحدث في عدن شيء مشابه ، واختلف في تفاصيله عما جرى في لندن وباريس ، فهناك وجد بعض ضباط الاحتلال البريطانى في الجنوب العربى أن الفرصة سانحة أمامهم للقيام بأدوار قريبة من دور « لورنس » في حروب الصحراء مع قوات « الشريف حسين » في أواخر الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها ضد الأتراك . وهكذا تركوا وحداتهم وتسلموا إلى قرب الحدود اليمنية يتحينون الفرصة لدخولها ، والانضمام إلى قوات « الملكيين »



ومع خريف سنة ١٩٦٣ كان واضحا لقيادة القوات المصرية في اليمن أن هناك عنصرا جديدا يشارك في المعارك ، ولم تكن الحقيقة مؤكدة في بداية الأمر رغم أن الرئيس « قوامى نكروما » رئيس جمهورية غانا كتب خطابا شخصيا إلى « جمال عبد الناصر » حوى فقرة تقول بالحرف : « يهمنى أن تعرف أن عددا من الجنود المرتزقة الذين كانوا يعملون في جيش كاتنجا يجدون الآن عروضاً مغرية لكى يعملوا ضدكم في اليمن » ولكن الأمر كان يحتاج إلى دليل مادى . ولم تلبث إحدى دوريات الهليكوبتر المصرية العاملة في منطقة بيحان أن عثرت على هذا الدليل ، فقد قبضت الدورية على شخص كان يسير بين الجبال ويحاول التخفى ، وعندما قبض عليه ، وتم تفتيشه ظهر أنه كان يخفى في ملابسه مجموعة من الرسائل الموجهة إلى عدد من المرتزقة العاملين في جبال الحدود باليمن وقد وصلت إليهم عن طريق عدن ، وكان على حاملها أن يوصلها إلى مخبأ « عبد الله بن الحسن » في منطقة خولان .

وكانت الرسائل واضحة فيما تشير إليه ، فقد جاء في الرسالة الأولى منها .

« لندن في ٢٥ أكتوبر ١٩٦٣

عزيزى جون (الميجور جون كوبر)

أشرك على خطابيك بتاريخ أول أكتوبر و ٣٠ سبتمبر إلى « بيتر » و « جيم » على التوالي .

يبدو انك قائم بالعمل على خير وجه ، وسوف ارسل لك عامل لاسلكى وجهاز او جهازين للراديو لكى يكونوا فى خدمتك . وقد اتضح أن اجهزة الراديو الالمانية غير ناجحة إلى درجة أننا فى تقديرنا اسقطناها من حسابنا ، وقررنا إنشاء شبكة خاصة بنا ، وسيدخل الفرنسيون فيها حينما نحتاج إليهم ، ويفضل أن تكون كاجهزة الاتصال بين الوحدات أو الجيوش .

واخر الاخبار » .

ثم يمضى الخطاب عدة صفحات بعد ذلك ، وتلحق به خطابات أخرى كلها مليئة بالتفاصيل عن السلاح ، وعن الأجور والمرتبات وغيرها . وقام « الأهرام » بنشر هذه الخطابات كلها كوثنائق تثبت أن هناك قوات لمرتزقة أجنبى فى اليمن ، وأثار النشر ضجة كبيرة فى العالم ، وخصوصا فى بريطانيا ، وكان من أثر هذه الضجة أن الحقائق تأكدت بما لا يدع مجالا للشك ، وبمناقشات رسمية فى مجلس العموم^(٩) . فقد نقلت وكالة « رويتر » فى برقية لها من لندن أن رئيس وزراء بريطانيا قال فى مجلس العموم إنه علم « أمس » فقط أن أحد مساعدى المندوب السامى البريطانى فى عدن كان يهرب الأسلحة إلى داخل اليمن ، وقال : « إن الحاكم العام السابق لعدن السير كنيدي تريفاسكيس لم يكن على دراية بالنشاط الذى يقوم به ياوره الجوى » . ونشرت جريدة الأوبزرفر^(١٠) البريطانية تحقيقا عن الياور الطيار للمندوب السامى لعدن ، فقالت إن اسمه هو « أنتونى الكسندر بويل » وهو ابن ماريشال الجو البريطانى السير « ديرموت بويل » وكان يعمل فى سلاح الطيران الملكى البريطانى حتى آخر يناير عام ١٩٦٣ وكان يعمل منتدبا كياور للمندوب السامى فى عدن . ثم نشرت الأوبزرفر تحقيقا عما وصفته بأنه الفرقة الأجنبية التابعة لإمام اليمن المخلوع ، والتي يتولى قيادتها العامة ضابط بريطانى هو الميجور « جون كوبر » ، وقالت الأوبزرفر ما نصه :

« إن الميجور جون كوبر ، يعد من أعجب الشخصيات العسكرية ، وقد ظل يعيش قريبا من صوت طلقات المدافع منذ الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الذى كتبت فيه تلك الرسائل .

انضم كوبر إلى الجيش البريطانى كضابط ، ثم اشترك فى إنشاء « الفرقة الجوية الخاصة » ، التى فكر فى إنشائها الكولونيل دافيد ستيرلينج لكى تحارب وراء خطوط العدو فى الصحراء الغربية ، أثناء الحرب العالمية الثانية .

وقد الفت عنه فرجينيا كاولز كتابا فى سنة ١٩٥٨ باسم « الميجور الشبح » ، تحدثت

(٩) جلسة مجلس العموم بتاريخ الاثنين ٣ مايو ١٩٦٤ ، وكان ذلك هو الوقت الذى اذيعت فيه الوثائق رغم ان الوقائع المتعلقة بها كانت قد سبقت قبل ذلك باكثر من عام

(١٠) جريدة الأوبزرفر بتاريخ ٩ مايو ١٩٦٤ .

فيه عن مغامراته العسكرية ، وكيف أن كوبر كان ينظر إلى إية عملية جريئة أو طائشة من عمليات « الفرقة الجوية الخاصة » كمجرد « نزهة ممتعة » .

وبالنسبة لكوبر لم تنته هذه النزهات بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، إذ مضى يقاتل ويحارب كضابط في « الفرقة الجوية الخاصة » واشترك في محاربة رجال حرب العصابات الشيوعيين في الملايو في المدة من سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٥٩ .

ولما انهزم رجال حرب العصابات بالملايو ، نقلت « الفرقة الجوية الخاصة » نشاطها إلى الشرق الأوسط .

ويبدو أن كوبر ينتمي إلى ذلك الطراز من الانجليز الأشداء المتمسكين بمثل عليا معينة ويعملون على تحقيقها بطريقة رومانتيكية ، مثل لورنس وجلوب وغيرهما من الذين شدتهم خيالات الصحارى العربية ، وهو التعليل التقليدي الذي يذكر في مثل هذه الحالات .

وقد توجه كوبر إلى اليمن بعد قيام الثورة هناك بعدة أشهر (الثورة قامت في سبتمبر سنة ١٩٦٢) ، ومن المؤكد أنه يتكلم العربية بطلاقة ، وأنه من الخصوم الرئيس ناصر .

وفي اليمن وجد كوبر حربا وصفت ذات مرة بالعبرة التالية « القرن العاشر يحارب القرن العشرين » فقد كان خمسون الفا من رجال القبائل غير المدربين ، والتابعين للإمام المخلوع ، يتدققون لمحاربة الجنود المصريين المدربين تدريباً جيداً ، والمسلحين ببوابات روسية من طراز « ت - ٣٤ » .

وكان من رأى كثير من الانجليز الذين زاروا العناصر الملكية اليمنية ، ومن بينهم النائب المحافظ الكولونيل ماكلين ، أن سياسة بريطانيا القائمة على أساس عدم الاكتراث بما جرى في اليمن ، يستغلها المصريون بما يفيدهم في اليمن وفي الشرق الأوسط بوجه عام .

ولهذا قرر كوبر أن ينظم بنفسه برنامجاً خاصاً به ليقدم به مساعدات عسكرية إلى العناصر الملكية .

ويحيط الغموض بتفاصيل المنظمة التي أنشأها كوبر لهذا الغرض ، ولكن يبدو من الواضح أن الأموال اللازمة لدفع مرتبات الجنود المرتزقة الذين استعان بهم كوبر ، كانت تأتي من المملكة السعودية ، على أساس ٤٠٠ جنيه استرليني شهرياً لكل جندي .

ويبدو أن دافيد سترلينج ، القائد السابق لكوبر ، ورئيس جمعية جنود وضباط « الفرقة الجوية الخاصة » قدم نصائح لكوبر على الأقل فيما يتعلق بالجنود والأعوان الذين سيستعين بهم على تنفيذ برنامجه . وجدير بالذكر أن كوبر كان يتولى قيادة طائرة سترلينج في الصحراء الغربية في أثناء الحرب العالمية الثانية . «



وبعد هذه الضجة في بريطانيا كان لابد أن يهدأ هذا النوع من النشاط في لندن ، وقد هدأ في لندن وازداد بروزه في باريس ، وانضم إلى « الفرق الأجنبية في اليمن » عدد من « نجوم » المرتزقة بينهم المرتزق المشهور باسم « ميشيل المجنون » و « شرام » و « دينار » و « فولكس » . ويروي المؤلف البريطاني « أنتوني موكر » في كتابه الذي صدر في لندن بعنوان « المرتزقة » وفي الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب ، والذي كان عنوانه « من اليمن إلى بيافرا » (١١) .

« إن الضابط « هور » وهو أحد المرتزقة البريطانيين فكر في التعاون مع حكومة جنوب أفريقيا لكي يستولى على إحدى محميات الخليج ، ويعلمها إمارة مستقلة له ولأنصاره بعد أن أعلنت بريطانيا سياسة الانسحاب من شرق السويس . » !!

ولعل أخطر ما أسفر عنه هذا النوع من النشاط هو ظهور « نخبة قوة جديدة » في المشرق العربي ، فقد كان السيد « كمال أدهم » (شقيق زوجة الأمير « فيصل ») ومستشاره لشئون الأمن ، والمشرف بذلك على المخابرات وعلى المباحث في السعودية هو المسؤول عن أعمال وميزانية النشاط السري في اليمن ، وكانت اعتمادات تجنيد المرتزقة تحول بواسطته إلى لندن وباريس وغيرهما من العواصم . وعندما ظهرت الحاجة إلى السلاح استعان « كمال أدهم » بصديق وزميل له في كلية فيكتوريا في الاسكندرية ، وهو السيد « عدنان خاشقجي » الذي عرف تجارة السلاح من يومها .

وحول الاثنان ظهرت دوائر من الشبكات والأعوان ، واتسع المجال لأطراف جديدة مهتمة ، وكان لبعضها ارتباطات داخل مصر ذاتها !

وعندما أدلى السيد « عدنان خاشقجي » بشهادته في وقائع فضيحة « إيران جيت » سنة ١٩٨٧ وهي الفضيحة التي جرى فيها بيع سلاح إسرائيلي لايران ، وحولت فوائضه إلى جماعات « الكونترا » في نيكاراغوا - لغت الأنظار قوله إنه التقى بـ « شيمون بيريز » (مساعد وزير الدفاع الاسرائيلي وقتها ورئيس وزراء إسرائيل ووزير خارجيتها فيما بعد) وتعرف إليه لأول مرة في باريس سنة ١٩٦٣ !!

وقد تأكد فيما بعد أن إسرائيل شاركت فعليا في عمليات اليمن ، وتولت إسقاط أسلحة وذخائر لجيوب الملكيين المحاصرة في جبال اليمن ، وكانت تمارس هذا النشاط من قاعدة « جيبوتي » الواقعة تحت

الاحتلال الفرنسى فى ذلك الوقت وهى موقع حاكم فى مواجهة اليمن على الشاطئء الآخر للبحر الأحمر ، وكان الاسم الرمزى لدور إسرائيل فى عملية إسقاط الأسلحة والذخائر والمؤن على مواقع المرتزقة فى اليمن هو : « مانجو » !

وإلى جانب ذلك قامت إسرائيل بنشاط على جبهة أخرى ، فقد استطاعت إسقاط أعداد من اليمنيين اليهود الذين هاجروا إليها لكى يقوموا ببعض « العمليات الخاصة » فى المجهود الحربى ، ثم يكون عليهم بعد ذلك أن يتسللوا لكى يذوبوا وسط الجماهير اليمنية فى المدن أو القرى . وتتراوح تقديرات أعداد اليمنيين الاسرائيليين الذين جرى إسقاطهم بالمظلات ما بين ثلاثمائة وأربعمائة فرد .

كانت لندن وباريس وواشنطن جميعا تتابع ما يجرى ، ولعلها وجدته أكثر ملاءمة لها من ظروف تضطرها إلى التدخل المباشر . فهذا الذى يجرى فى اليمن - كالذى حدث قبله فى الكونجو - يحقق لها مزايا بدون تكاليف ، ويوفر لها مطالب بغير مسؤوليات مباشرة !



كان زمام المبادأة ينتقل تدريجيا من أيدي حكومات كبرى لكى يستقر فى أيدي مزيج غريب من القوى : أجهزة مخابرات - شركات بترول وسلاح وبنوك - تجار وسماسرة سلاح - مرتزقة - جماعات ضغط سياسى أوروبية وأمريكية - قبائل عربية وعشائر^(١٢) . . . الخ . . .

ولعل أكثر من راقب الصورة عن كثب ، واستطاع الاحاطة بتفاصيلها هو اللواء « فؤاد شهاب » رئيس جمهورية لبنان الذى وجد عاصمة بلاده « بيروت » وقد تحولت إلى مركز اتصالات وعمل مباشر وقريب من مسارح الأحداث .

وكانت مدة رئاسته للبنان قرب نهايتها ، واختار أن يبعث بأحد كبار ضباطه الموثوقين من المكتب الثانى اللبنانى (المخابرات)^(١٣) إلى القاهرة مباشرة . وبعد يومين من وصوله كان فى مكتب « جمال عبد الناصر » ينقل إليه - بأوامر من رئيس الجمهورية اللبنانية - صورة لما يجرى فى بيروت

(١٢) تكرر ظهور هذا المزيج من القوى فى مواقع أخرى من العالم فيما بعد ، واقترب نموذج له ما ظهر فى تحقيقات « إيران - كونترا » فى عهد الرئيس الأمريكى « ريجان » سنة ١٩٨٧ .
(١٣) هذا الضابط ما زال على قيد الحياة ، وهو اليوم لاجئ فى عاصمة أوروبية وليس من صالح امعه تحديد اسمه .

كانت القاهرة تعرف كثيرا عما يجرى في العاصمة اللبنانية ، ومع ذلك فإن بعض التفاصيل كانت مذهلة !^(١٤)



وكان المشهد في المنطقة بأسرها داعيا للانقباض . . .
 كأنه صفحة مستعارة من مشهد إحدى قصص « كافكا » المليئة بالعبثية
 والكآبة على أرضية لزجة وموحلة . . وأمام خلفية داكنة ومعتمة !

(١٤) تتعرض هذه المعلومات - إلى جانب ذلك - للنشاط الخارجى الذى اتخذ لبنان قاعدة له وتكشف تورط جهات لبنانية . صحف وساسة وشخصيات عامة وأكثر من ذلك ، فإنها تظهر أن عناصر في الأمن اللبناني نفسه دخلت رسميا إلى دائرة النشاط المكثف في بيروت ، وقد أوضح ممثل اللواء « شهاب » أن « رئيسه لا يريد أن يفتح على نفسه أبوابا لا يستطيع إغلاقها خصوصا وأن مدة رئاسته في نهايتها ، وأنه يوشك أن يترك مكانه في قصر « بعبداء » للرئيس المنتخب بعده ، وهو الأستاذ « شارل حلو » .
 (تم تسجيل اللقاء بين « جمال عبد الناصر » وبين الضابط اللبناني الذى حمل رسالة الرئيس « شهاب » ، والتسجيل في أرشيف المخابرات العامة المصرية ، وقد جرى تفرغته وطبعت منه عدة نسخ) .

الباب السادس

على سفوح البركان

« وقائع التاريخ الكبرى
عائمت جليد طرفها ظاهر
فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية
تحت سطحه ، ومن يريد
استكشافها عليه أن
يغوص ! »

الفصل الأول

شلال يتدفق على الصخور



في ربيع سنة ١٩٦٣ ، اتخذ مسار الحوادث في الشرق الأوسط منعطفا حادا لم يكن متوقعا من ظاهرات الأحوال على الأقل ، وبهذا المنعطف الحاد لاح وكأن الحوادث أصبحت أشبه ما تكون بشلال ماء يتدفق فوق صخور ، قوى وخطر ، فيه ما يثير الانبهار ، وما يستوجب الحذر في نفس الوقت .

بدأ الانعطاف الظاهر في مجرى الحوادث صباح يوم الجمعة ٨ فبراير ١٩٦٣ ، فقد كانت جماعات من القوى القومية قد حددت الساعة التاسعة والنصف صباحا لكي تكون ساعة الصفر في بدء تحركها ضد حكم « عبد الكريم قاسم » في العراق . كان هذا الحكم قد قاد العراق وشعبه إلى مذابح دامية ، وإلى ليل طويل من ظلام الاستبداد وجنون العظمة ، وكانت حبال الصبر قد تقطعت ، ولم يعد في وسع أحد أن يحول دون الثورة - وقد كان .

وفي ساعة الصفر المقررة للانقضاض على « عبد الكريم قاسم » بدأ سلاح الطيران الذي كان يقوده اللواء « عارف عبد الرزاق » يضرب وزارة الدفاع مقر قيادة « قاسم » ومسكنه بالصواريخ ، في نفس الوقت الذي كانت فيه عناصر من القوى السياسية المختلفة ، وفي مقدمتها البعثيون والقوميون يتحركون للاستيلاء على المواقع الحساسة في العاصمة العراقية ، كما كان واضحا أن وحدات عديدة من الجيش العراقي تؤيدهم ، وتستعد للعمل جنبا إلى جنب معهم .



عبد الكريم قاسم مضرجا في دماثة ، في مقر قيادته في وزارة الد

كان « عبد الكريم قاسم » معتادا على أن يسهر الليل متحسبا من حدوث انقلاب في الليل أو عند الفجر ، وحين بدأت في الساعة التاسعة والنصف صباحا لم يكن قد نام بعد ، وإنما أعوانه يراجع قائمة بأسماء ٥٨ ضابطا قرر إحالتهم إلى الاست معلومات عن نشاطهم ضده في الوحدات العسكرية . وحين انقض قادمة من قاعدة « الحبانية » وضربت مقر وزارة الدفاع ، وأصا يقيم فيه داخلها بصاروخين من صواريخها تصور « قاسم » أنه اغتيال فردى قام بها أحد الطيارين ، وأنه نجا منها ، وأن الطيار بعدها خارج الحدود .

وحاول « قاسم » أن يتصل تليفونيا بقاعدة « الحبانية » العقيد « وصفي طاهر » هو الذي يحاول إجراء هذه الة « عبد الكريم قاسم » في حالة عصبية شديدة .

ولم تمض دقائق حتى لحقت بالطائرة الأولى طائرة ثانية ، وطائرة ثالثة ، وبدأ المبنى الذى يقيم فيه « قاسم » يتعرض لضرب مركز ، ومع ذلك فإن « قاسم » ظل على اعتقاده أنه يواجه محاولة لاغتياله شارك فيها عدد من طيارى السلاح الجوى العراقى . وكان كل هم « قاسم » وقتها أن يتمكن من الاتصال بقائد القوات الجوية اللواء « جلال الأوقاتى » وهو ضابط شيوعى كان « قاسم » قد عينه مديرا لسلاح الطيران .

وكان الحزب الشيوعى العراقى الذى عرف بما يجرى فوق وزارة الدفاع وحولها قد دفع بعض أنصاره تحت شعار « الدفاع عن النظام » لكى يتوجهوا إلى مقر « قاسم » تأييدا له وتظاهرا لنصرته .

وفى هذه اللحظة بدأ هجوم المدرعات على وزارة الدفاع ، وكان يقوده العقيد الركن المظلى « عبد الكريم مصطفى نصرت » ، وحاول عدد من ضباط « قاسم » وحرسه أن يوقفوا زحف القوات ، فدخلوا فى اشتباك بالمدافع الرشاشة مع طلائعها ، ولكن المعركة كانت محسومة تماما .

وتدفقت على شوارع بغداد جماهير واسعة اشتعلت حماسيتها وراحت تزحف نحو وزارة الدفاع ، وهناك وقفت تراقب عملية ضرب وزارة الدفاع ، ثم وجدت نفسها مشتبكة فى قتال شوارع مع مظاهرات الشيوعيين التى جاءت تأييدا لـ « قاسم » . وحينما تقدمت القوات المدرعة القادمة من « الحبانية » كان ظاهرا أن الموقف كله يرتهن بالمعركة الدائرة بين حرس « قاسم » وبين القوات المهاجمة . ثم ما لبثت الأنباء أن تسربت بأن « عبد الكريم قاسم » قد قتل رميا بالرصاص داخل ستوديو خاص أقيم فى وزارة الدفاع لكى يسجل منه بياناته للإذاعة والتلفزيون . وحين داهمته القوات المهاجمة واقتحمت عليه معقله - فقد كان فى داخل هذا الاستوديو يحاول أن يسجل للتلفزيون بيانا يدعو فيه إلى مقاومة الثورة عليه . ولم تمض ثوان حتى كان « عبد الكريم قاسم » قد سقط قتيلا ، ومعه عدد من معاونيه بينهم ابن خالته العقيد « فاضل عباس المهداوى » ومدير مكتبه الخاص العقيد « وصفى طاهر » .

وفى الساعة العاشرة إلا ثلثا كانت إذاعة بغداد تذيع البيان الأول للثورة ، وجاء فيه :

« أيها الشعب العراقى الكريم

لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته التى

سخرت موارد البلاد ، وصادرت الحريات ، وداست الكرامات ، وخانت الامانات ، وعطلت القوانين ، واضطهدت المواطنين ، الخ . . . »

ثم توالى بيانات المجلس الوطنى لقيادة الثورة ، وتجلت توجهاتها الوطنية والقومية ، فقد تضمنت فصل كل أعوان « قاسم » وإعادة الاعتبار إلى كل الذين وقفوا ضده ، كما أن توجهاتها السياسية راحت تتضح مع كل بيان جديد .

وحينما أعلن عن تشكيل مجلس قيادة الثورة تأكدت هوية الثوار بطريقة قاطعة ، فقد كان الرئيس هو « عبد السلام عارف » كما كان الأعضاء عددا من قيادات حزب البعث إلى جانب عناصر من القوميين والناصريين .

وبشكل ما فإن القاهرة كانت على علم بالثورة ضد « قاسم » قبل حدوثها . ففي الخطاب الذى كتبه « جمال عبد الناصر » بخطه إلى « عبد الحكيم عامر ، الذى كان موجودا وقتها في اليمن بتاريخ ٩ فبراير ١٩٦٣ أى غداة يوم الثورة مباشرة كتب « جمال عبد الناصر » يقول :^(١)

« معذرة عن تأخرى في الرد على جوابك ، ففي الايام الاخيرة انشغلت بموضوع العراق وثورته إلى أقصى حد .

لقد اتصل بنا القوميون العرب منذ عدة اسابيع . حوالى أربعة اسابيع ، وأبلغونا ان الفئات القومية اتفقت - البعثيون ، القوميون العرب ، والناصريون - وشكلوا مجلس ثورة ووزارة ، وان الثورة يمكن ان تتم في أى وقت . وسألونا عن موقفنا ، وكان ردى اننا نؤيد أى ثورة عربية ، ولا يهم الأشخاص ، ولكن تهتم المبادئ .

وفي يوم الجمعة بدأت الثورة في بغداد الساعة التاسعة والنصف صباحا بتوقيت بغداد . وقد ساندناها منذ الدقائق الأولى مساندة واضحة ، وفي المساء أعلنت الحكومة ، وظهر من الإعلان ان بها النصف من البعثيين . وقد ظهر أن عبد السلام عارف لا يمثل القوى الحقيقية . إذ ان البعثيين لهم قيادة ويمثلون حزب سياسى ، أما الباقي فكل وحده ولا حزب يجمعهم . ومن هذا يظهر أن حزب البعث (جناح عفلق) يسيطر على الثورة لحد كبير نائب رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، ووزير الخارجية ، ووزير الدفاع ، ووزير التربية من حزب البعث .

ولكن قيادة الجيش من القوميين ، ولكن أيضا الحرس القومى من البعثيين . وأرى اتباع سياسة التروى ، فقد كان البعثيون في العراق على سياسة طيبة معنا . ولكن ماذا سيكون تأثير « ميشيل » ؟ وفي رأى أيضا أن الفئات القومية الأخرى لن تقبل بسهولة انفرد البعث ، وأن عارف لن يقبل بسهولة أن يكون صورة ونحن حتى الآن لا نعرف مجلس الثورة الجديد إذ أن الأسماء التى بلغت لنا منذ أربعة

(١) صورة من صفحات هذا الخطاب كما كتبه « جمال عبد الناصر » منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٤٥ صفحة ٩٣ .

أسابيع - في رأيي - ليست هي النهائية ، بل حصل تغيير في آخر وقت نتيجة ضغط البعث من أجل الحصول على عدد أكبر في المجلس وفي الوزارة ، ومن أجل الحصول على الوزارات الحساسة . ويتضح من الاتصال بالبعثيين في القاهرة شعورهم بالقوة أنهم الحركة العقائدية التي عملت وحدها ونجحت في القيام بالثورة ، وهذا مبالغ فيه جداً إذ أن عارف عبد الرزاق الذي قاد سلاح الطيران - وأنت تعرفه - قومي ، وكذلك عدد كبير من الضباط الذين اشتركوا في الثورة . ولكن كان من الضروري لنجاح الثورة أن تتحد كل العناصر القومية في جبهة واحدة .

استمع الآن إلى راديو بغداد الذي ينقل مشاعر الشعب . والشعب يهتف « بدنا وحدة عربية » واليوم منعوا في بغداد طبع صور جمال عبد الناصر^(٢) وعبد السلام عارف ، وكنا قد نبهنا على سفارتنا بعدم توزيع أى صور لجمال عبد الناصر بعد أن بدأ بعض الناس في طلبها .

واليوم أعلن علق أن الحوراني انتهزى منحرف لا مكان له في حزب البعث . ومن الملاحظ أن مجلس الثورة لا يرغب في إظهار عبد السلام عارف أو أى شخص آخر في الوقت الحاضر ، وهذا ضد طبيعة الأمور . ولابد من حصول معارك صامتة داخل مجلس الثورة . ومن غير الطبيعي أن تكون الثورة بدون قائد رغم وجود مجلس الثورة .

معلوماتي أن السوفيت أصيبوا بذهول لما حصل في العراق لقاسم ، ولما حدث للشيعيين المواليين له . ولاحظت أن صحافة الشيوعيين في بيروت تقول إن الثورة أمريكية ناصرية ، وهذا شيء غريب .

وكانت ملاحظة « جمال عبد الناصر » معبرة ، فإن الشيوعيين في العراق كانوا لا يواجهون رد فعل عنيفاً متوازياً مع فعلهم السابق حين تصوروا أن العراق قد سبج تحت سيطرتهم الكاملة .



وبدا أول اتصال رسمي مع النظام الثوري الجديد في العراق في مساء نفس يوم فبراير ، فقد بعث الرئيس « عبد السلام عارف » رسالة إلى « جمال عبد الناصر » بها : « إنني أخوك الوفي الباقي على العهد » .

ثم اتسعت دائرة الاتصالات واتسعت موضوعاتها واهتماماتها ، ثم فوجئت أمة برسالة من مجلس الثورة العراقي الجديد تقول إن المجلس يريد أن يشارك

(يلاحظ أن « جمال عبد الناصر » حينما كان يتحدث أو يكتب عن نفسه في معرض رواية سياسية كان تعمل الضمير الثالث ، وكأنه يتحدث أو يكتب عن شخص آخر تماماً ، وكذلك كان يفعل عندما يحكى بعض كات التي يسمعا ويكون هو موضوعها .

بعدد من أعضائه في احتفالات عيد الوحدة التي تقام عادة في القاهرة في ذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة (٢٢ فبراير) بين مصر وسوريا .

وفي يوم ٢٣ فبراير عاد « جمال عبد الناصر » يكتب إلى « عبد الحكيم عامر » الذي كان لا يزال في اليمن خطابا بخط يده يروى له فيه انطباعاته وآراءه بعد أن التقى بوفد مجلس قيادة الثورة العراقي الذي جاء فعلا للمشاركة في احتفالات ذكرى الوحدة . وقال « جمال عبد الناصر » في خطابه بالنص :

« إن الموقف في العالم العربي تغير بشكل كاسح بعد ثورة العراق ، ومع ذلك فانا ما زلت أشعر بالقلق ، فقد أرسل لي عبد السلام عارف عدة جوابات قبل وصول وفد مجلس قيادة الثورة الذي حضر لاحتفالات الوحدة وفي هذه الجوابات فهمت أن عبد السلام عارف متخوف من البعثيين ، ولكنه لم يذكر ذلك صراحة .

وقد وصل وفد العراق أول امس ، وهو مكون من :^(٣)

السعدى أمين عام حزب البعث ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو صريح مغرور . مندفع . كان في السجن وقت قيام الثورة ، وأظن أنك لاحظت أنه لم يذكر في خطابه اسم عبد السلام عارف بل تجاهله كلية ، كما تجاهله في المباحثات . ولكن انطباعي بالنسبة له أنه وطني مخلص .

والفريق على صالح عماشته وزير الدفاع ، وكان أيضا في السجن يوم الثورة . وهو هادئ ذكي ، وقد ارتحت جدا إليه . وهو من جماعة الحاج سري^(٤) ولكن انضج أخيرا إلى حزب البعث .

وطالب شبيب وزير الخارجية ، وهو بعثي ذكي لبق متحدث ، وقد استرحت إليه .

عمر الأول ٣٠ سنة ، والثاني حوالي ٣٨ سنة ، والثالث حوالي ٢٨ سنة . وضم الوفد ضابطين من مجلس الثورة ، وقد تكلمت معهم بصراحة في جلسة أول امس بعد الفطار^(٥) إلى الساعة الواحدة والنصف ، وامس بعد الصلاة إلى موعد الافطار .

ويظهر من كلامهم أنهم مقدرون المتاعب ويريدون علاقة وثيقة مع الجمهورية العربية المتحدة ، وقد قلت لهم إننا لا نريد منهم أى شيء سوى وحدة الهدف ، وإننا حتى لا نمانع إذا تحررت سوريا في أن تتحد مع العراق بل سنؤيد ذلك . وقد قال عماشته إن سوريا يجب أن تتحد مع مصر أولا . وأن أى اتحاد بين سوريا والعراق معناه منافسة بين بغداد والقاهرة أو مظهر منافسة . وبعد ذلك يتحدث

(٣) صورة من وصف « جمال عبد الناصر » بخط يده في خطابه لـ « عبد الحكيم عامر » للقائه ومحادثاته ،

الوفد العراقي منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٤٦ صفحة ٩٣٢

(٤) يقصد العقيد « رفعت الحاج سري » أحد القادة القوميين البارزين للتيار القومي في الجيش العراقي ، وأعدمه « قاسم » رميا بالرصاص لأنه عارض سياساته ، كما أعدم معه في نفس اليوم زميلا له هو العقيد « ناة الطبقجلى »

(٥) كان ذلك في شهر رمضان المعظم .

العراق وقد تكلمت معهم بصراحة عن الأخطاء - أخطاء حزب البعث ، وإن
أي ممارسة وتطبيق لأي هدف لابد أن تتعرض لأخطاء

إما الأكراد - وزير وممثل للبرازاني - فقد طلبوا أن يقابلوني على أفراد منفصلين
عن الآخرين . وقد وافق الوفد على ذلك . وقالوا لي في المواجهة إنهم لا يثقوا في
أي وعود من الحكومة إلا إذا ضمنت شخصيا تطبيق هذه الوعود . وهم يطالبون
بالحكم الذاتي وقد أوقفوا القتال بعد قيام الثورة وكان لهم اتصال مع رجال
الثورة وقتها وأخذوا وعود والملاحظ أن الحكومة تنهرب .

عموما المشاكل التي تجابه ثورة العراق كبيرة جدا . قال عماشة إن المجلس الوطني
قرر أنه لابد من موافقتنا على أي حل لمشكلة الأكراد وكذلك لمشكلة الكويت ، حيث
أن هذه الأمور تتعلق بالوحدة التي هي الهدف النهائي للثورة . وقال لي عماشة إنه
يوجد سبعة ألوية تحارب في المناطق الكردية ، وهم في حاجة إلى ذخيرة وقنابل
طائرات وأسلحة . وطلبوا أن يحصلوا على الذخيرة من عندنا لأن الاتحاد
السوفيتي موقفه عدائي جدا . ذخيرة الدبابات والمدفعية ، الخ وطلب إحياء
الاتفاقية العسكرية ، والحصول على طائرات من إنتاجنا ورشاشات بورسعيد
وبنادق ، الخ .

وقال عماشة إنهم اعتقلوا ٨٠٠ ضابط شيوعي منهم ١٥٠ طيارا لدرجة أن الأسراب
الآن بدون طيارين . وقد دمروا سرب « ميج ١٩ » موالي لقاسم ، واعتقلوا أربعة
آلاف شيوعي ، وقتلوا عددا كبيرا منهم بدون محاكمة في أول يوم

عموما الموقف أيضا في الجيش وبين الفئات القومية لا يدعو إلى الارتياح ، فمجلس
الثورة أغلبيه من البعثيين . وعارف عبد الرزاق ليس من ضمن المجلس والثورة
قام بما يقرب من ٩٠٪ منها القوميون في الجيش - غير البعثيين - و ١٠٪ بعثيين
وقد اعتمد البعثيين على الحرس القومي - ١٠٠٪ بعثيين . وفي رأيي أن الكل
متربص بالآخر . البعث يريد السيطرة الكاملة ، والكل متخوف من البعث .

وقد تكلمت معهم أمس في ضرورة جمع كل الفئات القومية حتى لا يعزلوا . وإن
أي نكسة لن تكون لصالح القوميين ، بل لصالح الرجعيين أو الشيوعيين . وكان
الرد أنهم يتجهون إلى المستقبل وينسون الماضي ، ويعملون على تجميع كل
القوميين . ولكن رغم ذلك فإن عماشة قال أمس لطلعت صدقي^(١) - في الأوبرج - إن
أمام عبد السلام عارف ثلاثة أشهر فقط ، ويفهم أن البعث يعتبر هذا التحالف
مرحلة . كما أن السعدي قال لطلعت في الأوبرج بعد أن شرب ١٤ كأس ويسكي -
إننا لا نريد أن نقابل الرئيس مرة أخرى لأنه بلشف الجميع بكلامه وتحليله . ورغم
ذلك فسأتقابل معهم أول يوم العيد بعد عودتهم من الجزائر وقبل سفرهم (إلى
بغداد) .

(١) ضابط سوري في مكتب الشؤون العربية ، وكان مسؤولا في ذلك الوقت عن تنظيم رحلات الوفود العربية في
جمهورية العربية المتحدة .

وفي رأيي انهم شباب يحتاج إلى رعاية وتوجيه . وقد لاحظت انهم في شدة التعب لدرجة ان السعدى نام في اول جلسة . عموما اعتقد رغم اخطاء البعث ان واجبنا ان نحافظ على ثورة العراق ، وليس امامهم إلا اللقاء معنا .

اما صديق شنشل فيقول إن عبد السلام عارف يترك لهم الأمور في هذه المرحلة التي سترتكب فيها اخطاء كثيرة ، وان هناك تجمع قومي من الجيش والفئات القومية الأخرى .



ورغم كل مخاوف « جمال عبد الناصر » فإن سقوط نظام « عبد الكريم قاسم » كان منعطفًا كبيرًا في مسار الحوادث على أرض المنطقة .



يوم ٨ مارس - أى بعد شهر بالضبط من سقوط نظام « عبد الكريم قاسم » في العراق - تحركت دمشق ، وأسقطت بقايا نظام الانفصال المتهاك الذي كان لا يزال يحاول الإمساك بالسلطة في سوريا .

في الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم قطع راديو دمشق إذاعته العادية ، وأذاع البيان الأول لقيادة الثورة التي تولت الأمور فيها بعد أن استولت القوات المسلحة السورية على السلطة عند الفجر . وكان نص هذا البيان كما يلي :

« منذ فجر التاريخ العربى وسوريا تلعب دورا إيجابيا مناضلا في حمل راية العروبة والوحدة . وكانت سوريا العربية وشعبها لا يعترفون بحدود قطرههم ، وإنما يعيشون دائما وأبدا ، في حدود الوطن العربى الكبير . حتى أن النشيد السورى لم يحو كلمة واحدة عن سوريا ، وإنما كلماته كلها تمجيد للعروبة وتخليد لمفاخر العرب وبطولاتهم . ولما قامت الجامعة العربية اندفعت سوريا تدعمها وتدفع بها للأمام ، ثم أتت وحدة مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة نموذجا لآمال شعبنا في تحقيق وحدته الكبرى . واندفع الشعب

العربى فى سوريا كلها بقلبه وروحہ وإيمانه معطيا إياها كل ما تريد من قوة وتدعيم .

ولكن الرجعية العميلة والاستعمار والانتهازية أبت إلا أن تكشف عن نفسها مستغلة الأخطاء فى تلك الحقبة ، فذهبت بالتأمر على تلك الجمهورية إلى أقصى ما تستطيع ، فكانت نكبة الانفصال .

أيها الشعب العربى فى سوريا . سنة ونصف مرت على الانفصال وأنت تعاني أصعب فترة مرت عليك - انتخابات الاستغلال أشرف عليها الاستعمار والرجعية ، وصحف مأجورة تنهش أمانيك ولا تعبر عن عقيدتك ومشاعرك ، وبعد عن الدول المتحررة يزداد يوما بعد يوم . حتى أضحت العزلة هى الطابع الأساسى لسوريا .

أيها الشعب العربى فى سوريا . كل ذلك وجيشك لم يكن بالجيش الغافل عن واجبه ، ولم يكن لنا فى قيادته المنحرفة المراوغة إلا مشجعا على تحقيق رغبة الشعب ، فقام فى صباح هذا اليوم بحركة ثورية ليعبر عن المبادئ الآتية الخ . . . »

ومضى البيان بعد ذلك يعدد هذه المبادئ بأنها الوحدة العربية ، والحياد الإيجابى ، وتأييد ثورة اليمن الشقيق ، ومباركة ثورة العراق ، واستعداد النظام الثورى الجديد لمده إلى القاهرة وبغداد وصنعاء والجزائر ، وإلى كل الأحرار فى كل مكان .

وتوالت بيانات الثورة بعد ذلك تشرح بالتفصيل حقائق حكم الانفصال ابتداء من ٢٨ سبتمبر ، والمحاولات المتكررة لتصحيح آثاره حتى جاءت ثورة ٨ مارس



كان يوما حافلا بالاثارة فى دمشق ، فقد جرى اعتقال اللواء « عبد الكريم زهر الدين » قائد الجيش السورى طوال فترة الانفصال ، وأعلن عن خلع السيد « ناظم القدسى » من رئاسة الجمهورية . والتجأ السيد « خالد العظم » رئيس الوزراء السورى إلى السفارة التركية فى دمشق مصطحبا معه أسرته ، وصدرت قرارات تعيد إلى الخدمة فى الجيش عشرات من الضباط الذين كانوا قد سرحوا منه بعد الانفصال وفى عهده . وراحت الأنباء المتسرية من دمشق تشير إلى أن القيادة التى قامت على رأس الجيش السورى والتى يبدو أنها قادت حركته تتمثل فى ثلاثة ضباط هم : العقيد « لؤى الأتاسى » الذى أعلنت ترقيته إلى رتبة الفريق ، وعين قائدا عاما للجيش السورى - والعميد « راشد قطينى » الذى أعلنت ترقيته إلى رتبة لواء ، وعين نائبا

للقائد العام - والعقيد « زياد الحريري » الذي أعلنت ترقيته إلى رتبة لواء ، وعين رئيساً لقيادة أركان حرب الجيش .

واتصل الرئيس « عبد السلام عارف » من بغداد بـ « جمال عبد الناصر » في القاهرة وأبلغه « أنهم قد استطاعوا تحقيق اتصال مباشر بالاسلكي مع قيادة الثورة في دمشق ، وأنهم أبلغوهم بأن العراق سوف يقف معهم إلى آخر المدى ، وأن أى عدوان عليهم سوف يعتبر بمثابة إعلان للحرب على العراق » . ثم قال الرئيس « عارف » لـ « جمال عبد الناصر » على التليفون : « إننا تلقينا من قيادة الثورة في سوريا الآن برقية قالوا فيها : الموقف جيد - نسيطر عليه - الموقف لا يستوجب أى عمل من ناحيتكم » . وبعد أن قرأ « عبد السلام عارف » على « جمال عبد الناصر » هذه الرسالة قال له : « إنهم يحاولون الاتصال بتليفونيا من بغداد بقيادة الثورة في دمشق ، وأنه سيعود إلى الاتصال به فور أن يتلقوا أية معلومات جديدة » .



كان « جمال عبد الناصر » يتابع من جانبه ما يجرى في دمشق منذ اللحظة الأولى ، وقد لاحظ ظاهرة لفتت نظره لأول وهلة ، فقد عرف أن العقيد « لؤى الأتاسي » الذي رقى إلى رتبة الفريق وعين قائدا عاما للجيش السوري - كان حبيسا في إحدى زنازانات سجن « المزة » عندما وقع الانقلاب . وكان نظام الانفصال قد اعتقله في هذا السجن بعد أن نفاه خارج سوريا لبعض الوقت ، ثم اكتشفت سلطاته أن « لؤى الأتاسي » عاد إلى دمشق بدون إذن - وهكذا جرى اعتقاله . وكانت ملاحظة « جمال عبد الناصر » هي أن « لؤى الأتاسي » لا ينتمى إلى أى حزب ، وهكذا فإن حقيقة وجوده في السجن وقت قيام الانقلاب معناها أنه لم يشترك في تدبيره أو تنفيذه ، وفي نفس الوقت فإن تعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة وللمجلس الوطني لقيادة الثورة بعد وقوعها يعنى أن هناك مساومات بين أطراف متعددة جعلتهم يلجأون إلى وضع طرف لم يشترك في العملية على رأس قيادتها . وهذا يعنى أن هناك ازدواجية في السلطة وصفقات بين أطراف تختلف أدوارهم ، وقد تختلف توجهاتهم . وكانت الملاحظة في موضعها ، فقد عرف بعد قليل أن قائد العملية الفعلي هو العقيد « زياد الحريري » الذي رقى إلى رتبة لواء وعين رئيساً لأركان الحرب .

ولم يكن لدى « جمال عبد الناصر » وقت طويل للتفكير في دلالات الأمور ، فقد كان تيار الحوادث الكاسح يجرف كل شيء أمامه . ومن ناحية إنسانية ، فقد كان ما يحدث في دمشق يمثل إلى حد كبير إنصافا لموقفه بعد الانفصال ، فها هو نظام الانفصال الذي قام في سوريا يسقط سقوطا نهائيا ، وأبطاله يقدمون

للمحاكمة ، والكثير من أسرارهِ ووقائعه يتكشف بحيث يتأكد العالم العربى ، والعالم الأوسع خارجه أن ما حدث فى سوريا يوم ٢٨ سبتمبر كان بالفعل مؤامرة . وربما أرضته إنسانيا أول برقية تلقاها من دمشق بعد نجاح الثورة ، وقد وصلته فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٨ مارس ، وكان نصها :
« الرئيس جمال عبد الناصر - القاهرة . .
لقد ثأرنا من الانفصال وغسلنا عاره .
المجلس الوطنى للثورة فى سوريا »



ويروى اللواء « عبد الكريم زهر الدين » الذى كان قائدا للجيش السورى طوال فترة الانفصال فى مذكراته^(٧) :

« إن الفئات الرئيسية التى قامت بحركة ٨ مارس هى : الناصريون ، والبعثيون ، والقوميون العرب ، والوحدويون الاشتراكيون . وكانت تجرى فيما بينها الاتصالات ، وكانت ترسم الخطط الاجمالية للحركة . لكن كل فئة منها كانت تضع لنفسها مخططا بعد نجاح الحركة . »

ويستطرد اللواء « عبد الكريم زهر الدين » فيقول^(٨) :

« كانت المؤامرة تحاك بصورة شبه علنية ، وكان اسم زياد الحريرى يتردد على كل لسان فى سوريا . غير أن رئيس شعبة المخابرات كان ينفى تلك الاشاعات ، ويحول الأنظار إلى عناصر أخرى مشهورة بإخلاصها وولائها للقيادة وممن كنت أعتد عليهم ، والذين كانوا يؤكدون لى الولاء والسهر الدائم على الوضع وعلى سلامة العهد . وكنت ويا للأسف أثق بأقوالهم ، وأهزأ من الاشاعات التى كانت تطلق حول زياد الحريرى وإمكانية قيامه بأية حركة . »

ثم يتطرق اللواء « عبد الكريم زهر الدين » إلى أسباب نجاح ثورة ٨ مارس فيقول^(٩) :

« لقد كثرت الأسباب والدوافع التى أدت إلى هذا الانقلاب الذى وضع حدا لعهد ما بعد الوحدة المصرية - السورية والذى لقب بعهد

(٧) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ٤١٦ .

(٨) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ٤١٨ .

(٩) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ٤١٩ .

« الانفصال » . والأسباب الرئيسية لتلك النهاية نوجزها فيما يلي :

١ - المد الودعوى : من أهم أسباب حركة ٨ مارس (آذار) هى الوحدة التى فقدتها كل من مصر وسوريا بصورة خاصة وعملية ، وفقدتها الدول العربية بصورة عامة ومعنوية . لقد أدت تطورات حركة ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ (الانفصال) - إلى انتكاسة ظالمة للمد العربى الذى كان قد شعر عند قيام الوحدة بأنه اهتدى إلى الطريق السلم الذى سيقوده إلى وحدة الوطن العربى بكل أطرافه وأجزائه .

٢ - محاولة القضاء على الخط الاشتراكى : فقد كانت الأغلبية الساحقة من الشعب ومن الجيش بصورة خاصة بتنادى بمبدأ الاشتراكية العادلة . وبما أن عهد ٢٨ سبتمبر قضى على هذا المبدأ عندما عدل القوانين الاشتراكية ، وخاصة قانون الإصلاح الزراعى ، فإن المقاومة ضده أصبحت شديدة .

وأضاف قائد الجيش السورى السابق إلى هذين السببين الرئيسيين عناصر أخرى تكررت الإشارة إليها فى مذكراته ، وهى ظهور الحقيقة عن القوى التى دبرت لمؤامرة الانفصال من خارج سوريا - وتكالب نظام الانفصال على المنافع الشخصية لأقطابه - وضعف هذا النظام إلى درجة شديدة نتيجة لافتقاره إلى أسس الشرعية .

ولقد كانت قرارات العزل التى أصدرها مجلس الثورة فى سوريا بمثابة تعرية لمؤامرة الانفصال قبل أن تكون عقابا للذين شاركوا فيه ، فقد شملت قوائم المعزولين ٧٤ شخصا يمثلون ست فئات على النحو التالى ، طبقا لنصوص القرارات :

● الفئة الأولى ، تضم الضباط الذين قبضوا أموالا من الخارج بطريق غير مباشر من أجل التدبير لمؤامرة الانفصال ، مثل العقيد « فيصل سر الحسينى » والعقيد « حيدر الكزبرى » وشقيقه « خلوصى الكزبرى » .

● الفئة الثانية ، وتضم الضباط الذين قاموا بتنفيذ المؤامرة ، وبينهم « عبد الكريم النحلاوى » و« موفق عصاصة » و« عبد الغنى دهمان » ، الخ .

● الفئة الثالثة ، وهى تضم رؤساء الجمهورية ، ورؤساء وزارات حكومات الانفصال ، وبينهم « ناظم القدسى » و« خالد العظم » و« مأمون الكزبرى » و« معروف الدواليبى » الخ .

● الفئة الرابعة ، وتضم الصحفيين والكتاب الذين هاجموا الوحدة ، وقاموا مع الرجعية وارتشوا منها لتكريس الانفصال .

- **الفئة الخامسة** ، وتشمل كبار الرأسماليين الذين حاولوا السيطرة على الدولة ونهب مواردها في فترة الانفصال
- **الفئة السادسة** ، وتضم كل الذين اشتركوا في مؤتمر « شتورا » الذي كرس للتشهير بالجمهورية العربية المتحدة



لم تلبث الظاهرة التي لفتت نظر « جمال عبد الناصر » لأول وهلة يوم قيام ثورة ٨ مارس في سوريا - أن كشفت عن نفسها بطريقة أصرح .

كان المجلس الوطني لقيادة الثورة في سوريا قد شكل وزارة برئاسة الأستاذ « صلاح البيطار » وكانت الوزارة تضم قوى التحالف الذي قام بإسقاط نظام الانفصال ، وهو التحالف الذي يضم مجموع القوى التقدمية الوحدوية في سوريا وهي : حزب البعث ، وحركة القوميين العرب ، وحركة الوحدويين الاشتراكيين ، والجبهة العربية المتحدة .

وكان الميزان يميل لصالح حزب البعث بحكم عنصرين برزا في الموقف ، وأولهما الأثر الذي نشأ عن ظهور دور حزب البعث في الثورة على « عبد الكريم قاسم » في بغداد ، وما حققه ذلك من ارتفاع في معنويات الحزب وأرصده على الساحة العربية بصفة عامة - والثاني أن رئيس الوزراء الجديد في سوريا وهو الأستاذ « صلاح البيطار » كان هو نفسه أحد مؤسسي حركة البعث .

وواجه الوضع الجديد في دمشق معضلة حرجة من أول لحظة ، فقد كانت الجماهير السورية فيما يبدو تتوقع بيانا يعلن استعادة الجمهورية العربية المتحدة كاملة بعودة الوحدة الفورية بين مصر وسوريا . وكان ذلك أملا مشروعا ، وربما كان شرعيا كذلك - ولكن الظروف الموضوعية كانت تقتضي عملا مدروسا يتكفل بوضع أساس صلب لأي محاولة وحدوية جديدة .

وهكذا فإنه بسبب التناقضات بين القوى المختلفة والتطلعات المتباينة ، ورواسب التجارب وشكوكها - فإن النظام الجديد في دمشق بدأ يواجه أزمة بعد أيام قليلة من قيامه . فقد وقع الخلاف بين حزب البعث من ناحية ، وبين بقية المجموعات المشتركة معه في الحكم بسبب ما أسمى وقتها بـ « ضرورة المشاركة المتكافئة في المسؤولية بين القوى الوحدوية والتقدمية » . وتطورت هذه الأزمة بسرعة إلى درجة أن ستة من الوزراء غير البعثيين قدموا استقالاتهم من الوزارة لكي يتركوا المسؤولية كلها للبعث يتصرف فيها أمام الجماهير السورية ، ويتحمل تبعاتها .

وكان طبيعيا أن يميل حزب البعث في بغداد إلى رفاقه في سوريا ، وأن يحاول دعمهم في دمشق ذاتها . وهكذا طار إلى دمشق يوم ١٠ مارس (بعد يومين من الثورة) وفد من حزب البعث العراقى يرأسه السيد « على صالح السعدى » أمين عام الحزب ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، والرجل القوى في البعث العراقى وقتها ، ومعه مجموعة من زملائه . وقد وصلوا إلى العاصمة السورية لكي يجدوا الجو فيها ساخنا إلى درجة تهدد بالاشتعال ، فقد سرى الشك بين جماهير واسعة ، وبين قوى سياسية متعددة بأن البعض في بغداد ودمشق يفكرون في وحدة بعثية أكثر مما يفكرون في وحدة عربية .

ويوم ١١ مارس وصل إلى القاهرة وزير الخارجية العراقى « طالب شبيب » قادما من دمشق حيث كان يشارك في اجتماعات الوفد العراقى الذى قصد إليها برئاسة السيد « على صالح السعدى » .

كان السيد « طالب شبيب » يريد أن ينقل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » صورة مما جرى في العاصمة السورية بالأمس ، وكانت الرسالة التى حملها السيد « طالب شبيب » معه هي أن « الاخوان العراقيين والسوريين الذين اجتمعوا أمس في دمشق يقترحون وحدة ثلاثية تضم مصر وسوريا والعراق - وأن هذه الوحدة في رأيهم هي الأمل الحقيقى والمرتجى للأمة العربية فضلا عن أنه أمل أصبح الآن ممكنا بفعل ما جرى في بغداد ، وما لحقه في دمشق » .

وفي يوم ١٤ مارس وصل إلى القاهرة وفد عراقى يرأسه السيد « على صالح السعدى » ، ولحق به وفد سورى يرأسه السيد « نهاد القاسم » نائب رئيس الوزراء الجديد في سوريا ، ويضم في عضويته اللواء « زياد الحريرى » والوزير البعثى الدكتور « عبد الكريم زهور » واللواء « راشد قطينى » والمقدم « فهد الشاعر » من أعضاء مجلس الثورة .

وفي يوم ١٥ مارس عقد « جمال عبد الناصر » في قصر القبة اجتماعا موسعا شاركت فيه وفود من الدول الثلاث : مصر والعراق وسوريا . وبعد يومين أعيد تشكيل الوفد السورى إلى هذه الاجتماعات ، وانضم إليه السيد « ميشيل علق » أمين عام حزب البعث ، والسيد « صلاح البيطار » رئيس الوزراء السورى ، والفريق « لؤى الأتاسى » رئيس مجلس الثورة السورى . ودخلت محادثات الوحدة الثلاثية (مصر وسوريا والعراق) طورا جديدا .



امتدت محادثات الوحدة الثلاثية فاستغرقت جلساتها ما تبقى من شهر مارس ، وامتدت لتشمل النصف الأول من شهر أبريل سنة ١٩٦٣ . وتتكفل الصفحات الأولى من محاضر الوحدة الرسمية برسم صورة دقيقة وكاملة لاختلاف الرؤى والتوجهات . وتجري الصفحات الأولى من محضر الجلسة الأولى للمحادثات على النحو التالي : (١٠)

□ السيد نهاد القاسم : « الحمد لله الذى حضرنا هنا . . سبق أن قلت لك يا سيدى الرئيس إن الزعيم البطل هو الذى ينزع من النكسة الانتصار ، وقد حضرنا لهنهناكم على النصر الذى أحرزه الشعب السوري ، ولنطمئن سيادتكم بأن ثورة سوريا الأخيرة هى ثورة وطنية وحدوية تقدمية اشتراكية . وقد حضر معنا ممثلون من ثورة العراق ، الثورة التى عجلت بثورة سوريا ، إن هذا الاجتماع التاريخي يجمع رجال ثلاث ثورات ، إننا متأكدون أن القاهرة ستستجيب لمطلبنا ، لقد حضرنا لنبحث معكم إقامة اتحاد أو وحدة اتحادية بين الجمهوريات الثلاث على أسس مدروسة سليمة » .

□ السيد على صالح السعدى : « لقد تبين لنا أنه يجب أن نخطو خطوات فعلية لتأخذ الوحدة مكانها فى الواقع ، ولتكون قاعدة لباقي الدول المتحررة ، فتتسع وتنضم إليها دول أكثر وأكثر . إن القضية الآن هى مسألة تقرير مصير ، إنها مسألة خطيرة وتتطلب دراسات فى شتى النواحي ، إن ما نطلبه الآن هو أن نعلن هذا الشيء للعالم . . وهو أننا نسعى فى سبيل الوحدة ، وأن تكون الأيام القادمة لتقرير الخطوات نحو الوصول للوحدة المطلوبة .

إننا نعتبر الانفصال نكبة وكارثة ، ولكنه فى نفس الوقت كان خيرا لنا إذ أنه عزز ويمكن من فكرة القومية العربية وجعلها على أسس راسخة ، وأثبت أنها ليست مجرد فكرة طارئة ، ولقد جننا إلى القاهرة لنعلن للعرب أننا سوف نسوى الوحدة » .

■ الرئيس جمال عبد الناصر : « لا شك أن هذا اليوم من أعز الأيام إذ نلتقى من أجل الوحدة ، وخاصة بين مصر والعراق وسوريا ، وإنى كنت أعتبر ذلك أملا يصعب تحقيقه بهذه السرعة . . ومنذ شهر كان السيد على صالح السعدى

(١٠) لقد قصدت أن استشهد بقرات طويلة من المحاضر لأنها فى اعتقادى تشرح ظروفها كثيرة ، وملابسات معدة يصعب شرحها باختصار وكفاءة كما تشرحها المحاضر ذاتها

موجودا معى فى نفس هذا المكان ولم نكن نعتقد أن الكلام عن الوحدة سيجىء بهذه السرعة .

نحن طلاب وحدة ، ووحديون عن اقتناع بدليل أننا قبلناها فى عام ١٩٥٨ والجميع يعلم أنها كانت صعبة .

إنى أرحب بالوحدة مع سوريا والعراق ، ولكننا نريدها وحدة لا انفصال مغلغا فى شكل وحدوى لأن الأمة العربية لا تحتل جريمة انفصالية أخرى ، لقد اكتوينا بنار الانفصال بدرجة لا توصف ، لقد تسببت عنها ردة فى مصر وكنت أخشى أن تصبح مصر انفصالية ، إن الوحدة أو الاتحاد المطلوب هو ما يتمناه الشعب ، ولكن لابد من أن نتناول الأمر بمنتهى الصراحة والوضوح .

إننا فى بداية علاقاتنا مع العراق ، وليست بيننا مشاكل ، ولكن مع السوريين لنا خمس سنوات ، وهناك عدة مواضيع لابد أن نعرضها بصراحة ، إن المسألة ليست مسألة أشخاص ولكنها مسألة الأمة العربية بأسرها .

هناك إقليمية فى مصر وأخرى فى سوريا ، ومن الخطأ أن نتجاهل هذا الاعتبار . . هذه مسألة .

ومسألة أخرى هى أننا لابد أن نتعامل على نور . . هل المطلوب منا الآن أن نقيم وحدة مع حزب البعث . . أم وحدة مع سوريا ؟ . إذا كان حزب البعث هو الذى يحكم سوريا وستكون الوحدة معه ، فأننا على غير استعداد للبحث على الإطلاق .

وحدة مع سوريا كلها أنا على استعداد لها .

وحدة مع حزب البعث سأقول لكم متأسف .

إن حزب البعث فى رأى انقلب على تجربة الوحدة وحاربها ، وكان من القوى التى مهدت للانفصال ! ولم يكتف بذلك بل أراد أن يؤثر فى الأوضاع فى مصر نفسها فى المرحلة الحرجة بعد الانفصال ، وأنا أعتبر ذلك جريمة . . كذلك لابد أن نتكلم عن الشعارات التى رفعت والتى رفعها حزب البعث فى تعميماته التى قرائها ينادى فيها بوحدة بدون عبد الناصر ، وكل مسألة فى رأى يمكن أن تحل ، حتى لو كانت مصلحة الأمة العربية فى وحدة بدون عبد الناصر ، فإننا نستطيع أن نجد حلا لذلك ، وأنا الآن لا أتكلم كعبد الناصر ولكنى أتكلم كرئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة . . وإنى لا أعقد الأمور ، فأننا شخصا أشد الناس تحمسا فى مصر لهذه الوحدة ، ولكن الموضوع يتعلق بمستقبل أمة .

ما هو المطلوب ؟

هل المطلوب وحدة أم وحدة اتحادية ؟

هل الاتحاد المطلوب صوري أم حقيقي ؟

هل المطلوب وحدة تنفذ أو وحدة مؤجلة ؟

كل هذه أسئلة مهمة . كذلك لابد أن نسأل : ما هو الوضع الآن في سوريا ؟

هل في سوريا ثورة أو في سوريا انقلاب ؟

هل الجيش في سوريا يحكم أم الوزارة في سوريا تحكم ؟

هل الحكم في سوريا بعثي أم الحكم في سوريا قومي ؟

ذلك ضروري أن يتضح لكي نتصرف جميعا على هدى .

لابد من عملية فحص وتدقيق ودراسة واسعة وجدية .

لنستعرض كل هذه الأمور . . وكل خطأ من الممكن تقويمه ، ولنرى ماذا

يمكن عمله ، وبهذا يمكن تنفيذ العملية .

هل هناك شكوك ؟ . . هناك شكوك بغير جدال !

وهناك أخطاء حدثت أثناء الوحدة السابقة ، ولكني أقول طالما أننا نعمل

فستحدث دائما أخطاء ، ستقابل الوحدة بقوى معادية كبيرة ، ستحاربها دول

الاستعمار كلها ، ودول حلف بغداد ، والرجعيات العربية ، والأحزاب

الشيوعية . . والشعبوية والانتهازية . .

ولا أنسى منذ الشهر الثالث للوحدة السابقة أنني سمعت اصطلاح

« الاستعمار المصرى » و « التسلط المصرى » من داخل الحكم ومن الذين

يشاركون في الوحدة . . من حزب البعث .

كيف إذن نطمئن هذه المرة . . ؟

قبل أن ندخل في وحدة يجب مناقشة جميع هذه النقاط

وفيما يتعلق بالتجربة السابقة ، فإنني لم أكن شخصا أحكم سوريا وإنما

كان يحكمها السوريون . . على سبيل المثال كان الحوراني رئيسا للمجلس

التنفيذى ، واتخذ قرارا برفع رسوم الجمارك على كل شيء في سوريا حتى على

الأكل ، واتخذ قرارا بغير علمي ومع ذلك تنصل هو من مسؤوليته وتنصل كل

واحد غيره .

قليل - كما قرأت في تعميمات حزب البعث - إن المطلوب وحدة ديمقراطية ، قليل



اجتماعات مناقشة الوحدة الثلاثية

وحدة اتحادية ، وقيل وحدة بدون عبد الناصر ، وقيل وحدة بدون الحكم الحالى فى مصر . . كل ذلك قيل ونحن على استعداد لبحث جميع هذه النقاط . . كذلك أريد أن أعرف ما هى الوحدة ، وما هى الحرية ، وما هى الاشتراكية ؟

لابد أن نلتقى على تعريفات لها وليس المطلوب أن نلتقى على شعارات فقط ، ولابد فى هذا الاجتماع أن نتكاشف بكل وضوح وصراحة ونبحث كيف نقيم الوحدة الجديدة - ما دامت هى غايتنا - سليمة قادرة على البقاء .

عايزين وحدة بدون انفصال ، عايزين وحدة أبدية تجمع باقى الدول العربية ، وعلينا أن نقرر هل نريد وحدة حقيقية أو صورية ، وعلينا أن نقرر هل نريد وحدة تقوم على مبدأ المشاركة أم وحدة وكل واحد يعمل الى عايزه .



بين مصر وسوريا والعراق

في هذا الاجتماع أنا أريد أن أسمع أكثر مما أتكلم . . موقفنا نحن تكلمنا فيه كثيرا ، نقدنا أنفسنا في التجربة السابقة ، وأنا مارست النقد الذاتي فيها علنا . . ونحن طلاب وحدة في كل وقت ، ولا أظن أحدا يشك في ذلك ، لهذا نريد أن نسمع من سوريا ومن العراق ، ونريد أن نسمع بالتفصيل عن الماضي وعن المستقبل . »

□ السيد علي صالح السعدي . « إننا فعلا لم نحضر إلا لنقيم ، وحدة لا تنفصم وطلبنا الآن هو أن تعلن الدول العربية الثلاث أنها في سبيل تحقيق وحدة اتحادية ثم تكون هذه الخطوة مفتاحا للدخول لهذا الشيء ، قد تطول الدراسة سنة أو سنتين أو ثلاثا ، ولكن المهم أن نعلن ذلك فورا وأن نباشر الدراسة في نفس الوقت . »

□ السيد نهاد القاسم . « إن ما قاله الأخ على صالح قد يكون مناسباً للوضع في العراق ولكن ليس بالنسبة لسوريا ، لذلك فإنني أتحفظ بالنسبة لما قاله ، إن الوضع في سوريا مختلف عنه في العراق نهائياً ، ففي سوريا من ينادى بوحدة فورية ، وهناك من يطلب وحدة بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة ، وإن ما صرح به الأخ على صالح يعتبر عملية تخدير لمطلب الوحدة وللرأى العام في سوريا ، والمهم هو أن ندرس الأخطاء ونتصالح إلى أبعد الحدود ، وأسجل أنني سبق أن قلت إن الأخطاء لم يكن المسؤول عنها جمال عبد الناصر فكلنا مسؤولون ، يجب أن نخرج من هنا بنتيجة إيجابية وبمشروع يباشر فوراً .

والشعارات الموجودة في سوريا الآن هي « لا درس ولا تدريس إلا بعد عودة الرئيس » ، « ناصر ناصر ناصر » .

□ السيد عبد الحليم سويدان : « لا شك أن الوصول إلى الوحدة يقتضى منا حرباً مريرة ، وفي هذه الحرب قد نخسر بعض المعارك ولكن في النهاية سنربح المعركة ، ولقد كان الشعب السوري أول من نادى بالقومية العربية والوحدة العربية ، لقد عاش هذا الشعب إبان الانفصال أشد تحمسا وتمسكا بالوحدة إيماناً منه بها ، وحرصاً عليها ، وفي صبيحة الثامن من آذار (مارس) مسحت الثورة آثار الخيانة والعار من جبين الجيش العربي والشعب العربي في سوريا وفرضت إرادة الشعب . إنها الثأر الأول لكارثة ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، وتعتبر ثورة اليمن الثأر الثاني لكارثة ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، وثورة ١٤ رمضان الثأر الثالث لها .

والآن توجد في سوريا هزة رائعة للوحدة العربية ، إن الوضع للثورات العربية الثلاث جعل الشعوب العربية تنظر إليها على أنها دعائم أساسية للوحدة العربية ، إن القسم الأعظم من الشعب في سوريا يعتقد أن الوحدة يجب أن تبدأ من هذا المنطلق الثلاثي ، لقد تفضلتم يا سيادة الرئيس بذكر أعداء الوحدة ، وعلى قدر قوتهم يجب أن نكون على مستوى الرسالة ، ولو خسرن الحرب الآن فلا شك أننا سنربحها في النهاية . »

□ السيد عبد الكريم زهور . « الحقيقة أن الوحدة العربية ليست حلماً فقط ، ولكنها طريق الخلاص الوحيد للأمة العربية ، الطريق الوحيد الذي يجعلها تقوى في هذا العالم ، ولقد ظهرت في سوريا القومية العربية بوضوح لأسباب واقعية خاصة بها ، وقبل أن تظهر على هذا المستوى في الأقطار العربية الأخرى ، ولم تكفر بها سوريا بتاتا .

بالطبع هناك خونة إلا أنهم لا يعبرون عن هذا الشعب أبداً ، وسوريا عام ١٩٥٨ أقبلت من تلقاء نفسها على الوحدة ، وما ذكره السيد الرئيس صحيح ، وأذكر

ذلك عندما كنت عضوا في الوفد البرلماني الذي حضر للقاهرة قبل الوحدة للتدارس مع إخوانه في مصر عنها .

وأذكر أنني سمعت قول سيادتكم بأن القومية العربية تصبح هدفا ماديا تصوب إليه السهام عندما تتجسم في الوحدة ، ولا شك أن هذا قول صحيح أيدته التجارب ، ولا شك أنه يجب أن تتم الوحدة تدريجيا شيئا فشيئا وفقا للدراسات الاقتصادية والعسكرية ، والوحدة السياسية آخر هذه المراحل . . ولقد سمعت من قبل بالنسبة للوحدة السابقة من السيد محمود رياض أنها تحتاج إلى خمس سنوات ، صحيح كانت هناك أزمة سياسية وقتئذ دفعت إلى الإسراع نحو الوحدة ، ولكنها لم تكن الدافع الوحيد لذلك إذ كانت القومية العربية هي المحرك الأساسي لها .

حدثت الوحدة وكانت تجربة رائدة وهامة ، وكان البعثيون أول من سمي الانفصال نكسة . فلنسأل لماذا حدثت النكسة . . كما قال السيد الرئيس يجب الفحص ، لقد علمتنا التجربة الماضية أن العواطف وحدها غير كافية ، لابد من دراسة الوحدة والانفصال والأخطاء وكما قال السيد الرئيس حتى لا تحدث أخطاء ، ولكن على الأقل لا نريد أن نقع في نفس الأخطاء القديمة ، لا أدري إذا كان من الممكن عمليا دراسة أخطاء الوحدة التي ساعدت على الانفصال ، وفي مشروع الوحدة القادمة يجب أن نتجنب كل تلك الأخطاء .

لقد تمت الوحدة السابقة عام ١٩٥٨ ونحن اليوم في عام ١٩٦٣ وقد تغيرت الظروف كثيرا وخاصة خلال السنة الماضية . اليمن ثار . وتدافع قوات الجمهورية العربية المتحدة مع قوات اليمن عن ثورته ، والعراق ثار . وها هي سوريا ثارت ، إذن هذا ظرف جديد ، ويقتضى التفكير بشكل جديد للوحدة . صورة جديدة للوحدة .

يا سيادة الرئيس هناك خطر دائم في المشرق العربي أن يظل العراق بعيدا ، أو أن تظل مصر بعيدة ، لذلك كان من اللازم العمل مخلصين لوحدة الأقطار الثلاثة حتى نسد الطريق أمام إمكان عودة الصراع لهذا المشرق العربي ، وأعتقد أننا لو نجحنا في التخطيط ، فسنجعل موضوع تحقيق وحدة المشرق العربي مسألة زمن لا أكثر ولا أقل ، لا شك أن السيد علي صالح بالغ عندما قال بدراسة الوحدة لمدة سنة أو سنتين أو ثلاث ، فإن القضية لا تحتتمل مثل هذا الزمن الطويل ، كذلك من غير المعقول أن نعلن الوحدة ثم إذا هي وحدة مرجأة ، يجب ألا تعلن إلا عند ممارستها وإلا نكون قد ضحكنا على أنفسنا ، ينبغي أن نعلن عن هذا الاجتماع التمهيدى أننا سائرون فيه نحو الوحدة ، لم نأت هنا لنهلي الناس ، ولكن لتشكيل لجنة من الأقطار الثلاثة لتبدأ الدراسة الفعلية للوحدة . وتنبثق عنها لجان فرعية لدراسة المسائل العسكرية والاقتصادية إلى آخره .

سيدى الرئيس . . لست أدافع عن البعث الآن ولكنها حقيقة ، إن البعثيين بعد الانفصال كانوا هم أشد الفئات تحمسا للوحدة ، أما عن الحورانى فوضعه معروف وقد أصدر الحزب قرارا بشأنه .

أما عن تساؤلات الرئيس ما هو الوضع في سوريا ؟ هل هو انقلاب أم ثورة ؟ من الذى يحكم سوريا ؟ الوزارة أم الجيش أم من ؟ . سؤال صحيح جدا . الحقيقة أن هناك انقلابا قد حدث ولكن دافعه ثورى ، لقد شن الانفصاليون حملة عنيفة قاسية ولكنها لم تؤثر على الشعب العربى إلا اندفاعا نحو الأمة العربية ، ولا يمكن أن نقول إن إخواننا الضباط قاموا بالانقلاب إلا لوجود دوافع شعبية ثورية .

شكل مجلس وطنى لقيادة الثورة وسيكون مختلطا من المدنيين والعسكريين ، ونتيجة للمشاورات يصدر قراراته ، هذا المجلس هو الذى يعبر عن الثورة ، القيادة فيه جماعية ، والقرارات بالأغلبية ، وهو الممثل الحقيقى للثورة .

نحن أتون بشكل جدى لكى نصل للوحدة لأن القضية بالنسبة لأمتنا قضية حياة أو موت ، الوحدة بالنسبة لنا قضية مصير .

□ اللواء راشد قطيبي : « سابدأ الحديث منذ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، لقد قامت بكارثة الانفصال فئة ساندتها الشعبوية والطبقية الرجعية اليمينية استولت على الحكم بطريق عاجل ، ومنذ اليوم الأول قابلها الشعب السورى بوجوم ، منذ اليوم الأول بدأت الاتصالات فى الجيش للوقوف فى وجه هذا التيار الانفصالى ، ومنذ فترة اجتمعت عدة فئات عسكرية قومية واتفقت فيما بينها على الثورة ، ولم يكن هناك فيما بينها وبين أية جهة مدنية أى اتصال ، وقد شكل مجلس قيادة الثورة من جميع الفئات والهيئات التى اتصلت ثم نفذت الثورة .

لقد أقسم المجلس منذ اليوم الأول أنه لا يوجد هدف للجيش فى الحكم ، ولقد درس موضوع قيام وحدة أو اتحاد ، وهناك رغبة جامحة لاقامة وحدة اتحادية بين الدول الثلاث ، وذلك للوقوف أساسا أمام الخطر الكبير الذى يبعد عن دمشق بما لا يزيد عن ستين ميلا ، لقد شكلت الوزارة على النحو المعروف لكم ، ورأسها واحد من الموثوقين ، وتمت إجراءات عنيفة لتطهير الجيش وأقصى منه كل من ليس بعربى ، وأصدرت الوزارة بيانها الوزارى الذى صدر أمس ، كما طلب المجلس تلبية لرغبة رأى العام تخصيص فقرة للوحدة الاتحادية بين الدول الثلاث .

ويؤمن الجيش بالفكرة ويطلب تحقيقها ، والرغبة الملحة أنه لا داعى أن ندخل من الآن فى تطويلات لتتجنب إرجاء الوحدة ، ولقد سبق أن أخطرنا السيد

طالب شبيب عند عودته من القاهرة منذ أيام بواسطة على صالح بضرورة سفر وفد سورى إلى القاهرة .

أما عن سؤال السيد الرئيس من يحكم سوريا ؟ إن الذى يحكم الآن مؤقتا هو لجنة مركزية من مجلس الثورة ، وتختص بالتوجيه السياسى والتخطيط العام ، وقد اجتمعت هذه اللجنة أمس وقررت أن تبدأ معكم فى محادثات عن الوحدة الاتحادية وليس مفاوضات ، إن رأى العام السورى لا ينتظر ولا يرحم ، إنه يريد أعمالا وليس أقوالا ، إنى أتكم باسم القيادة والجيش مؤمنا بضرورة البدء فوراً بتشكيل لجنة لوضع الأسس التى ستجمع هذه البلدان فى وحدة تدوم آلاف السنين . »

□ **اللواء زياد الحيرى :** « الموضوع ببساطة أننا فى الجيش قمنا بثورة لاقامة الوحدة ، لقد قام النحلاوى بعملية غدر ، وكان المسيطر فى ٨ أيلول (سبتمبر) الطبقة الرجعية ، ثم جاء ٨ آذار (مارس) وطالب الجيش بضرورة تصحيح الأوضاع . والطريق الصحيح لنا هو إقامة الوحدة المطلوبة ، وإنها بالنسبة لنا حياة أو موت ، لقد حدثت ثورة العراق يوم ١٤ رمضان ، ثم حدثت ثورة سوريا لتضعها فى مكانها الصحيح وبوجهها الصحيح ، ورغم الصعوبات فقد نجحت الثورة ، ومنذ اليوم الأول بدأنا دراسة إعادة الوحدة ، وقرر المجلس أنه بدلا من وحدة ثنائية أن تضم لها دولة ثالثة لتكون المنطلق الجديد للوحدة ، ولا ننسى أن العراق كان دائما إقليما منفصلا بعيدا عنا .

والمطلوب الآن يا سيادة الرئيس هو العمل بأقصى سرعة بما يحقق لنا الوصول إلى هدفنا . »

□ **المقدم فهد الشاعر :** « من الطبيعى أن يكون للوحدة أخطاء ، وإننا جميعا فى سوريا وفى مصر مسؤولون عنها ، ولكن لا ينبغى أن نبحث عن أساء ، ولكن يجب القضاء على كل إساءة لقد عم القوات المسلحة والجيش فى فترة الانفصال استياء عام وتذمر ، ولولا هذا لما نجحت الثورة . ونحن كعسكريين قد نخطئ أثناء المعركة ، ولكن المهم هو العمل على تفادى هذه الأخطاء لانجاح المعركة .

ولم يكن إيمان السوريين بوحدة بين قطر أو قطرين فقط ، وإنما هم يؤمنون بالوحدة الشاملة بين جميع الدول العربية ، وعلى هذا الأساس قام التنظيم العسكرى يدعمه الشعب مؤمنا بفكرة الوحدة العربية .

ولقد دخلت حركة التطهير فى القوات المسلحة بهدف الابقاء على العنصر العربى الذى يؤمن بهدف الثورة ، وهو الوحدة ، والتى لا يحميها إلا واقع عملى . . نحن الآن

نمثل ثلاثة أقطار عربية متحررة ، وهناك دول عربية أخرى مثل الجزائر واليمن وغيرهما ، ولذلك فإنه يتحتم على دولنا الثلاث العمل بشكل جدى ، وبدون تأجيل من أجل الوحدة ، لأن التأجيل ليس في صالحنا ، وأرى أن يتفق المجتمعون على مباشرة العمل السريع في هذا السبيل .

أما بالنسبة لطريقة البدء ، هل نبدأ بالوحدة السياسية ، أم بالوحدة الاقتصادية ، أم بالوحدة العسكرية . فلست أعتقد أن حل هذه الأمور بالأمر الصعب . فالشعب العربى فى كل قطر عربى شىء واحد ، فالفلاح الموجود فى الصعيد هو نفس الفلاح الموجود فى شمال سوريا ، وهونفس الفلاح الموجود فى جنوب العراق ، والاختلاف موجود فقط بين الطبقة المثقفة . إن الشعوب العربية لا تحتمل التأخير أو أى عبث ، ولندع الكلام المطاط ، ولننطلق فورا . »

□ السيد طالب شبيب : « إن ثورة ١٤ رمضان لم تكن فى الحقيقة ثورة عراقية إقليمية ، ولكن العراق عملت فيه الشعوبية والشيوعية لتحطيم الحس القومى ، ويوجد بالعراق مليون كردى لا يرحبون بالوحدة ، وهناك اختلاف طائفى إلى غير ذلك ، كذلك كانت القاهرة وبغداد فى أغلب الأحيان فى تنافر تنفيذاً لسياسة استعمارية قديمة ، ويجب وضع هذا موضع الاعتبار والتريث قبل اتخاذ قرارات سريعة .

ولا شك من ناحية أخرى أن الوحدة التى تمت بين مصر وسوريا تعد عاملاً أساسياً لدعم القوى القومية وتفجير الثورة فى ١٤ تموز (يوليو) فى العراق ، ولا شك أيضاً فى أن الأخطاء التى تعرضت لها الوحدة ستفيد حتما كتجربة فى وضع الأسس الجديدة ، لكننا يجب أن نضع فى الاعتبار أن الوحدة لا يجب أن تتأثر بعواطف الجماهير ، كذلك أريد أن ألفت النظر إلى أن العراق له مشاكله الداخلية الخاصة ، وهى مشاكل معقدة . »



وتشعبت المحادثات وطالت وبرزت آراء واجتهادات ، واتضحت أسرار وحقائق ، وبدأ واضحا لـ « جمال عبد الناصر » أن هناك « رغبة حقيقية ، وإن تكن مكبوتة » بين جناحى حزب البعث فى العراق وسوريا فى إنشاء « وحدة بعث » تكون هى الطرف الآخر فى الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولم يكن لدى « جمال عبد الناصر » فى أعماق أعماقه اعتراض على قيام وحدة بين العراق وسوريا ، كذلك كان يعتقد أن بعث العراق يختلف عن بعث سوريا ، وكان يشعر بأنه يفهم بعث العراق ويتعاطف معه أكثر - كما قال هو

بنفسه لـ « صالح السعدى » وكتب بخط يده لـ « عبد الحكيم عامر » - لكنه كان يشك في قدرة « وحدة الحزب » على إقامة « وحدة الدولة » بين العراق وسوريا ، وعلى أى حال فإذا كان ذلك ما تريده الحكومتان في بغداد ودمشق ، فليكن إعلانه صريحا من ناحيتهما حتى يعرف الناس بالضبط ما هم مقبلون عليه ، وفي هذه الحالة ، فلا داعى لاقحامه هو في الموضوع ، واستغلاله كستار لتصرفات غيره ، وفي كل الأحوال فإنه لم يكن على استعداد للدخول في تجربة وحدوية جديدة لا يستطيع أن يضمن مسارها ، ولا أن يتحمل نتائجها .

وصحيح أنه تم التوقيع في نهاية محادثات القاهرة على بيان مشترك لإنشاء جمهورية عربية متحدة تضم مصر والعراق وسوريا ، وتكون القاهرة عاصمتها ، لكنه كان يعرف منذ اللحظة الأولى أن هذا الميثاق لن يدخل حيز التنفيذ ، ومهما يكن من أمر ، فإن الأسابيع والشهور اللاحقة لم تلبث أن أنت بانقلابات سياسية لها مضاعفاتها في كل من بغداد ودمشق .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان عليه الكثير ، وكانت ضغوط الحوادث تفرض نفسها عليه ، وتتجاذب اهتمامه من اتجاهات شتى !

الفصل الثاني

... ومفاجآت إضافية !



كانت ردود الفعل إزاء هذه المتغيرات التي طرأت على موازين القوى في الشرق الأوسط بعد أحداث بغداد ودمشق - مختلفة باختلاف الأطراف وزاوية رؤيتهم . ولم يكن هناك شك لدى الجميع في أن ما حدث ينطوي على احتمالات لا يمكن الاستهانة بها ، خصوصا إذا وضعت هذه المتغيرات في مجرى السياق العام للحوادث : انتصار الثورة الجزائرية واستقلال الجزائر (يوليو ١٩٦٢) - يليه قيام وصمود الثورة في اليمن (سبتمبر ١٩٦٢) - ثم سقوط نظام « عبد الكريم قاسم » في العراق (فبراير ١٩٦٣) - ثم انهيار نظام الانفصال في دمشق بعد سلسلة من الهزات ضربت أساسه (مارس ١٩٦٣) .

كانت هناك ردود فعل متباينة في المنطقة العربية نفسها ، كما كانت هناك ردود فعل متباينة في العواصم العالمية المهتمة بالمنطقة :

■ ■ في السعودية بدا رد الفعل الأول وكأنه نوع من التردد ومراجعة النفس . وقد روى « جمال عبد الناصر » في خطاب كتبه بخط يده إلى « عبد الحكيم عامر »^(١) (الذي كان في اليمن) يقول له :

(١) نصوص حرفية من خطابين من « جمال عبد الناصر » إلى « عبد الحكيم عامر » ، بتاريخ ٤ فبراير و ٧ مارس ١٩٦٣ وهناك صور لهذه الصفحات في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت أرقام ٤٧ و ٤٨ صفحة

« اتصل الشيخ حافظ وهبة بالأمين العام للجامعة العربية ، وطلب منه الالتقاء مع كمال رفعت من أجل بحث العلاقة بين السعودية ومصر . وقد اتصل حسونة بالدكتور فوزى الذى تحدث معى فى الموضوع . وقد كان ردى ان الشيخ حافظ وهبة اتصل فعلا مع على خشبة^(٢) ، وإذا كان هناك ما يود إبلاغه فليكن عن طريق على خشبة . وكان قد اتصل بعلى خشبة تليفونيا . حدث هذا من ١٥ يوم تقريبا ، وتمت المقابلة مع على خشبة - أى بعد ثورة العراق بأسبوع . وقال فى حديثه إن فيصل ضد الحرب ، ولكن سعود هو الذى يصمم على الحرب ، وإن إخوة فيصل يلحون على إيقاف القتال خصوصا بعد ثورة العراق . وقال (حافظ وهبة) إن استمرار المعارك سيستنزف موارد مصر والسعودية . وأن الذى يستفيد من ذلك هو المستعمر . وقال حافظ وهبة إنه لا يرحب أن تقوم الوساطة لإيقاف القتال بين الجانبين عن طريق أجنبى بل كان يفضل أن يقوم بها العرب . وقال إننا يمكن أن نتفق على إيقاف القتال ثم سال هل نحن على استعداد للاستماع إلى ما يقول وهو مصرى لا يريد إلا الخير ، وكان الرد نحن على استعداد دائما أن نسمع . وبعد ذلك تمت مقابلة أخرى بين على خشبة وحافظ وهبة فهم منها على خشبة أن فيصل يخشى من تسلل المصريين واليمنيين إلى القبائل فى جنوب المملكة والمنطقة الشرقية . »

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » يروى لـ « عبد الحكيم عامر » تفاصيل المقترحات السعودية ، فقال بالحرف :

« إن حافظ وهبة قال إنه لا فائدة من زيارات « باناش » المقبلة (لليمن) وهو (أى الشيخ حافظ وهبة) يفضل أن تكون الحلول بين الطرفين الحقيقين المؤثرين فى المعركة ، وهما الجمهورية العربية المتحدة والسعودية ، وكانت هذه المقابلة حوالى ١٩ فبراير

وبعد ذلك حدثت مقابلة ثالثة يوم ٢٧ فبراير بناء على طلب الشيخ حافظ وهبة الذى قال إنه يفضل أن يسافر إلى السعودية لأن البرقيات قد لا تعطى صورة عن الواقع ، ولذلك فهو يرى أن يعرض الآتى :

١ - يجب تجاهل سعود وموقفه تجاهلا تاما ، وإن فيصل قد أفاق لنفسه بعد أن أدرك أنه مخلص قط فى يد الانجليز .

٢ - يمكن الاتفاق على إيقاف القتال من الجانبين على أن يبدأ التنفيذ يوم اجتماع مندوبين عن السعودية والجمهورية العربية المتحدة .

٣ - يرى أن يتم اجتماع للطرفين فى روما ، أو أى بلد آخر بعيدا عن الصحافة .

٤ - يمثل الطرف السعودى الامير سلطان ، والشيخ حافظ وهبة .

٥ - يبحث الطرفان كيفية تطبيق إيقاف القتال والانسحاب التدريجى ، وطريقة المراقبة والتنفيذ .

(٢) السفير « على خشبة » وقد جرى اللقاء بين الاثنين فى لندن على الأرجح .

٦ - يرى أن يكف الطرفان اثناء المفاوضات عن الهجوم الاذاعى والـ

٧ - يرى عدم التعرض للماضى اثناء المفاوضات ومحاولة نسيانه .

وخلص « جمال عبد الناصر » بعد ذلك بانه قرر الموافقة ، ورأى أن يكف الجمهورية العربية المتحدة في محادثات روما المقترحة برئاسة « كمال رفعت هذه الحالة » فسند طلب إرسال ضابط كبير من عندك للاشتراك في المفاوضات

■ ■ في الأردن كان رد الفعل مرتبكا ، فإن التغييرات التي حدثت في بغداد دمشق بعدها ، وما تلا ذلك من مفاوضات ثلاثية في القاهرة ، أحدث ه الجماهير في الأردن ، وقامت مظاهرات في عمان وفي المدن الكبير الضفة الغربية للأردن تطالب الحكومة بالالتحاق بمفاوضات الو القاهرة ، وكان ذلك أكثر مما تحتمله الظروف . ووقعت مصادمات اشتباكات سقط فيها قتلى وجرحى ، واستقالت وزارة السيد « التل » وعهد إلى « سمير الرفاعي » بتشكيل وزارة جديدة كان عل تواجه موقفا مشحونا بالتوتر . وأخطر ما في الأمر أن هذا الذي يجري في الأردن أثار ثائرة إسرائيل ، فبدأت في حشد بعض وحدات الخطوط ، وزاد الموقف ارتباكا .



■ ■ وفي إسرائيل كان القلق حقيقيا يختلف عن المرات التي تقوم فيها إـ بافتعال الخطر لكي تستغل الشعور به سواء داخلها أو خارجها ، وحيث الاهتمام بأمنها وضماناتها .

وفي ربيع ١٩٦٣ وبعد الشكل الذي أخذته الحوادث في الجزائر واليمن ، العراق وسوريا - فإن القلق في إسرائيل كان حقيقيا هذه المرة . وطوال شهر سنة ١٩٦٣ (الوقت الذي كانت تجرى فيه محادثات الوحدة في القاهرة) كان الوزراء الاسرائيلي في حالة انعقاد شبه دائمة ، سواء على مستوى المجلس بأ، أو على مستوى مجموعة الأمن والدفاع فيه .

وفي ٢٦ أبريل ١٩٦٣ كتب « دافيد بن جوريون » إلى الرئيس الأمريكى « كنيدي » خطابا يمكن أن تعتبر محتوياته ونقاطه تلخيصا قريبا إلى حد كبير لـ يدور في مناقشات مجلس الوزراء . وقد حدد « دافيد بن جوريون » في خطاب « كنيدي » أربع نقاط رئيسية :^(٢)

(٣) دراسة على وثائق العلاقات الامريكية الإسرائيلية قام بها الجنرال « مورديخاي جازيت » مدير المد العسكرية الإسرائيلية ، ونشرها معهد « شلواح » لدراسات الشرق الاوسط وافريقيا بجامعة تـ سنة ١٩٨٣

١ - إن التعهد بإقامة اتحاد عسكري بين الدول العربية الثلاث (مصر - سوريا - العراق) يتضمن وعدا بالعمل على تحرير فلسطين ، وهذا التحالف العسكري في حد ذاته سوف يؤثر سلبيا على استقرار ، وأمن إسرائيل .

٢ - إذا حدث اختبار للقوة ، فإن إسرائيل تعتقد أن في استطاعتها إلحاق الهزيمة بالدول الثلاث ، وإن كانت لا تتحرق شوقا إلى مثل ذلك .

٣ - إن المساعدات الغربية والأمريكية للجمهورية العربية المتحدة قد ساعدتها على أن تحصل على الأسلحة السوفيتية لأى عمل ضد إسرائيل دون أن يختصم ذلك من ميزانيات التنمية .

٤ - إن الحل الفعال الوحيد لدرء خطر مخططات الجمهورية العربية المتحدة يكمن في إعلان أمريكي - سوفيتي مشترك يضمن السلام الإقليمي والأمن لدول الشرق الأوسط ، ويترتب عليه قطع كل أنواع المساعدات الاقتصادية والعسكرية لأى طرف يرفض الاعتراف بجيرانه .

وقد ركز « بن جوريون » في خطابه على قوله : « إنه يعتبر الموقف خطيرا إلى درجة أنه على استعداد للقيام بزيارة سرية يلتقى فيها مع الرئيس كنيدي دون إعلان أو دعاية لبحث الموقف » . وأضاف إلى ذلك أنه « مع عرفانه الشديد لأهمية صفقة صواريخ الهوك التى قدمتها الولايات المتحدة لإسرائيل ، فإن مجلس الوزراء الاسرائيلي ليس في مقدوره أن يعتبر صواريخ الهوك رادعا كافيا في مواجهة الأسلحة الهجومية الجديدة التى يتزود بها جيران إسرائيل » .

ورد « كنيدي » على هذا الخطاب من « بن جوريون » وقام سفيره في إسرائيل « والورث باربور » بتسليم رده إلى رئيس وزراء إسرائيل « دافيد بن جوريون » الذى قرأه في حضور السفير ، ثم أبدى خيبة أمله . وحاول السفير الأمريكى أن يشرح لرئيس الوزراء الاسرائيلي أن أى رد أكثر صراحة على رسالته يمكن أن يحدث أثارا غير مواتية في الأردن ، وفي هذه الأوقات التى تثور فيها المتاعب في عمان . ورد « بن جوريون » على السفير « والورث باربور » قائلا : « إن هذه الاضطرابات الجارية في الأردن الآن تواجهنا باحتمال أن نستيقظ ذات صباح فإذا على الضفة الغربية أمامنا قوات من المصريين والعراقيين والسوريين . أو قد نجد أن الجيش الاردنى قد وضع تحت قيادة مصرية ، وهذا وضع لا يمكن احتماله بالنسبة لإسرائيل » .

وحاول السفير الأمريكى طمأنة رئيس الوزراء الاسرائيلى قائلا له : « إن تقديرات المخابرات الأمريكية تشير إلى أن الوحدة بين مصر وسوريا والعراق ليست وشيكة الوقوع كما يتصور ، وأن الوحدة العربية لن تتحقق لسنوات طويلة . وفي كل الأحوال ، فإن تحالف الدول الثلاث لن يؤثر كثيرا على التفوق الاسرائيلى . »

وخلال المناقشة أحس « بن جوريون » أن الرئيس الأمريكى ليس متحمسا لاقتراحه (أى اقتراح « بن جوريون ») بإصدار بيان أمريكى سوفيتى . وهكذا فى نفس الجلسة فإن « بن جوريون » اقترح أن يكون البديل - وهو يراه أكثر فاعلية - أن يكون هناك حلف دفاعى بين إسرائيل والولايات المتحدة تتعهد به الولايات المتحدة أن تقدم لإسرائيل من السلاح ما يوازى ما تحصل عليه مصر وبقية الدول العربية . وعند هذه النقطة استفاض « بن جوريون » فى الحديث عن المشروع النووى المصرى ، وعن مشروع صناعة الصواريخ فى مصر . وتوقف « بن جوريون » كذلك طويلا أمام العلماء الألمان الذين تستخدمهم مصر فى أبحاث صناعة الطائرات والصواريخ .



ولم تكن ضغوط إسرائيل و « بن جوريون » مقصورة على تبادل الخطابات والرسائل ، أو الحوار مع الرئيس « كنىدى » أو مع سفيره فى إسرائيل ، وإنما راحت إسرائيل تحرك كل الموالين والمتعاطفين معها فى واشنطن خصوصا فى الكونجرس ، وفى الصحافة والتلفزيون . وعندما عقد الرئيس « كنىدى » مؤتمرا صحفيا يوم ٢٦ أبريل ١٩٦٣ كانت معظم الأسئلة التى وجهت إليه تدور حول الخطر الذى تتعرض له إسرائيل ، وصناعة الصواريخ والطائرات فى مصر ، والعلماء الألمان الذين يعملون فيها .

وفى نفس الوقت كانت الريح تهب من الكونجرس على البيت الأبيض شديدة وصاخبة . ولم تقتصر مطالب الكونجرس على الإلحاح لتزويد إسرائيل بما تحتاجه من الأسلحة ، وإنما بدأ التوقيع على مذكرات تطالب الرئيس بوقف المساعدات الأمريكية عن الجمهورية العربية المتحدة . وقام « كنىدى » بإرسال مساعد وزير الخارجية « ايفريل هاريمان » المعروف بعلاقاته الوثيقة مع الكونجرس ، لى يستمع إلى أعضائه ويتحدث إليهم . ثم طلب « كنىدى » إلى مجلس الأمن إجراء تقييم جديد للأوضاع فى الشرق الأوسط . واقترح « روبرت

كومر»^(٤) ، وهو رئيس مجموعة العمل الخاصة في مجلس الأمن القومي المسؤولة عن الشرق الأوسط - أن يسافر بنفسه إلى المنطقة ، لكي يتحسس نبضها ويقيس درجة حرارتها بنفسه ، كما قال . وجاء « كومر » إلى المنطقة فعلا ، وزار عددا من العواصم العربية بما فيها القاهرة ، وكانت إسرائيل هي المحطة التي توقف فيها طويلا في أثناء جولته في المنطقة .



وبتاريخ ٢٧ مايو ١٩٦٣ بعث الرئيس « كنيدي » إلى « جمال عبد الناصر » خطابا يمكن اعتباره نقطة تحول في المراسلات الدائرة بين الرجلين . قبلها كان الموضوع المطروح على اهتمامهما هو الأزمة في اليمن . وكانت الاتصالات بينهما في هذا الشأن قد توقفت قرابة شهرين بدا خلالها أن ترتيبات فض الاشتباك في اليمن سائرة في طريقها برغم العثرات والعقبات .

والآن وفي الرسالة الجديدة (يوم ٢٧ مايو) لم يعد الموضوع هو أزمة اليمن فقط ، وإنما اتسع نطاق الموضوع فإذا هو يشمل إسرائيل والمفاعلات النووية والصواريخ وضغوط الكونجرس ، الخ . وكان « كنيدي » في نهاية خطابه يتقدم إلى « جمال عبد الناصر » باقتراح أن يوفد ممثلا شخصيا على مستوى عال لكي يقابله في القاهرة ، ويتباحث معه في هذه الموضوعات كلها . وكان نص رسالة « كنيدي » كما يلي :^(٥)

(٤) كان « روبرت كومر » شخصية غريبة ، وكانت خدمته كلها في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ومنها اختاره « ماك جورج باندى » مستشار الرئيس للأمن القومي لكي يعمل معه مختصا بالشرق الأوسط ، وكان ذلك هو الذي جعله مسؤولا عن مجموعة العمل الخاصة بالشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي . وفيما بعد عين « كومر » سفيرا للولايات المتحدة في أنقرة ، وسبقته إلى هناك سمعته بالخدمة في وكالة المخابرات المركزية ، وتسربت في ذلك الوقت وثيقة أكدت للأتراك دوره البارز في العمليات السرية لهذه الوكالة . واستقبلته في أنقرة مظاهرات عداوية ، واضطرت حكومته إلى سحبه والاعتذار رسميا عن تعيينه للحكومة التركية .

(٥) مجموعة أوراق « كنيدي » الخاصة ، وهي محفوظة في مكتبته ، وكذلك وثائق وملفات وزارة الخارجية الأمريكية ، وتوجد كذلك نسخة من هذه الرسالة في أرشيف منشية البكري ، كما توجد نسخ منها في وزارة الخارجية المصرية ، والقيادة العامة للقوات المسلحة .

« عزيزى الرئيس ناصر

رجوت السفير بادو بأن يقدم إليكم هذه الرسالة ويتحدث معكم في شأنها
أما وعملية فض الاشتباك في اليمن تقترب من بدايتها ، على ما هو مؤمل ، فقد بدا
من المستصوب أن أعاود الاتصال في ضوء تطورات بضعة الأشهر الأخيرة
إن سياسة الولايات المتحدة ، كما شرحتها لكم ، لم تتغير ، ولست أرى في الوقت
الحالي سببا لتغييرها . وطبيعى أن الكونجرس يضطلع أيضا بدور رئيسى في الامور
المتعلقة بالمعونة . ولكن سياستى تتحصل في مواصلة برامجنا المتعلقة بالمعونة
الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ، وأمل أن يواصل الكونجرس رؤية الامور
على هذا النحو أيضا .

لقد شدت انتباهى يا سيادة الرئيس عدة نقاط وردت في خطابكم الأخير إلى . إذ قلت
إن الجمهورية العربية المتحدة لا تعتبر أن رسالتها تتمثل في توزيع الثورة بطريقة
عشوائية على الشعوب الأخرى في العالم العربى ، وأعربتم عن اعتقادكم بأن أفضل
ما تستطيع الجمهورية العربية المتحدة تقديمه من حيث رسالتها الثورية إذا
العرب هو أن تكون نموذجا عمليا لقدرة العربى على تطوير حياته صوب مستعد
أفضل . وإننا لنتعاطف مع هذا الاعتقاد ، ولهذا السبب عينة حاولنا أن نكون عو
للجمهورية العربية المتحدة في إيجاد النموذج العملى ، وظللنا نسعى في ها
السبيل .

وفي الوقت عينه ، فإننى واثق من أنكم تشاطروننى قلقى خشية أن تحدث في الوقت
الحالية للمناورة والتقلب في الشرق الأدنى تطورات غير مواتية تسبب لكرب
مشكلات ، ولهذا السبب أود التعبير بصراحة عن « لماذا أنا قلق ؟ »

□ أولا - إنى لمزعج أشد الانزعاج لأنه إذا أصبح الأردن ميدانا لصراع عربى
فإن التدخل الاسرائيلى في الأردن كفىل بدمير سلام الشرق الأوسط بحجة المصالح
الامنية الخاصة لاسرائيل . وربما واجهنا امرا واقعا ، فإذا رات الدول العرب
الأخرى أنها ملزمة بالرد على مثل هذا الموقف ، فربما ترتب على ذلك صراع كبير
وهو صراع يوحى تقييما له بأن القوات العربية ربما كانت بلا أى مزية منه

□ وثانيا - إن سباق التسلح يحمل بذور الكارثة أيضا بالنسبة لنا جميعا ، وند
مغتبطون لأنه ليس بين دول الشرق الأدنى دولة استحدثت الأسلحة النووية
وسنواصل النصح بعدم اتباع هذه السياسة . وإن التقدم الجارى في استخد
الطاقة النووية في الأغراض السلمية في إسرائيل والجمهورية العربية المتحد
ليبشر بالرفاهية لشعوب المنطقة على أنه إن لم توجد ضمانات كافية ، فل
مفاعلات الطاقة تحول إلى اغراض عسكرية . ومن هنا تستطيع إسرائيل أن تمتد
القدرة على استحداث أسلحة نووية في بضع السنين المقبلة إذا ما حولت جهود
صوب هذا الاتجاه . إن القذائف الهجومية التى يجرى اليوم استحداثها في كل
إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة من شأنها بدورها أن تضيف بعدا جده
خطيرا ، ولا بد من درء هذه المخاطر بكيفية ما

□ وثالثا - الولايات المتحدة تدرس بصورة عاجلة ما يتعين عمله للمساعدة على تفادي حدوث اضطراب خطير في المنطقة . ونحن في هذا المسعى نضع نصب أعيننا آراء العرب ومصالحهم بكل شدة . وإذا كانت مسألة أمن إسرائيل ووحدة أراضيها - باعتبارهما من الاهتمامات العميقة والمستمرة للولايات المتحدة - لم تحل حتى هذه النقطة دون نمو علاقات ودية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، فإنني أمل ألا تحول دون ذلك في المستقبل . وأيا كان ما نستكشفه من تدابير أو ما نعيد إعلانه من سياساتنا مما نشعر باننا ملزمون بإجرائه بسبب الوضع الناشئ ، فلن يكون هذا معاديا للجمهورية العربية المتحدة ، ولا نحن ضد وحدة عربية يتم اختيارها بحرية على ما أوضحت لكم . وإننا لنؤيد عملية صبيغ العالم العربي بالصيغة العصرية ، كما اعتقد أننا أظهرنا ذلك في اليمن . على أننا مهتمون طبعاً بالآثار التي تكون هذه الحركات على حساب أمن إسرائيل ، أو الدول العربية التي إذ تأخذ نفسها بالنظم العصرية ، تفضل الإبقاء على انظمة الحكم الحالية فيها . وبالمثل فإذا كنا نعارض العدوان من دولة ضد دولة أخرى في المنطقة ، فالذي نعتبره ليس اعتداء العرب على إسرائيل وحسب ، وإنما نعتبره أيضاً أي اعتداء إسرائيلي ، وهو ما برهنا عليه في عام ١٩٥٦ ، وما نعتبره بنفس القدر في يومنا الحالي .

وصفوة القول أننا سنزن أقوالنا وأفعالنا بالدقة ، وبالقدر الذي تبدو ضروريته لكي نوضح المبادئ الأساسية لسياستنا . ويهمننا أن ننهج سبيلاً متعادلاً مع جميع أصدقائنا ، ونأمل ألا يصبح هذا الأمر صعباً علينا بلا ضرورة . ويهمننا ، بموافقتكم ، أن أوفد مساعداً موثقاً به لكي يقابلكم في القريب بشأن بعض من هذه الأمور .

المخلص

جون ف. كنيدي



ويوم ٧ يونيو رد « جمال عبد الناصر » على رسالة « كنيدي » وتعهد أن يكون رده عليها مفصلاً ، وكان نص خطابه إلى الرئيس الأمريكي كما يلي: (٦)

« عزيزي الرئيس كنيدي

تسلمت خطابكم بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٦٣ ، وقبل أن أبدى بعض الملاحظات عليه ، فإنني أود أن أكرر لكم شكري على كل الجهود التي بذلتموها وتبذلونها من أجل الوصول إلى حل للأزمة التي وقعت نتيجة لما تعرضت له الثورة اليمنية من تهديد وجه إليها من خارج الحدود .

(٦) أصل الرسالة موجود في أرشيف منشية البكري ، وتوجد نسخ منه في ملفات رئاسة الوزراء ، ووزارة الخارجية ، والقيادة العامة للقوات المسلحة .

وما من شك ان شعوب الأمة العربية تقدر كل جهد يبذل لتحقيق السلام القائم على العدل ، وليس يقلل من قيمة جهودكم في تقديرنا ان الطرف الآخر ما زال يحاول ، حتى الآن ، مواصلة نشاطه العدواني ضد ثورة اليمن - لقد بذلت جهودا مخلصه ، ونرجو ان تمكن إجراءات الرقابة الدولية من تدعيم هذه الجهود بما يحقق هدفها ، ولا يترك مجالا لاحتكاكات على حدود جمهورية اليمن يمكن ان تكون لها اثار بعيدة . وانتقل بعد ذلك إلى ما أود إبداءه من ملاحظات أرجو ان تتقبلوا صراحتي في عرضها ، فكل هدف منها هو تعميق التفاهم بيننا ، وتوضيح فكر كل منا امام الآخر على نحو محدد وامين .

□ أولا - لا بد لي أن اسجل عرفاني للمساعدات التي تقدمها لنا الولايات المتحدة الأمريكية ، إن هذه المساعدات ، بغير جدال ، تزيد من سرعة التقدم الذي يسطع به شعب الجمهورية العربية المتحدة ، ليكون ، فضلا عن قيمته الذاتية له ، نموذجا بناء في العمل الثوري امام كل الشعوب المتطلعة بحق إلى حرية الوطن وحرية الانسان المواطن .

ومن هنا فإن هذه المساعدات في رأينا لا تخدم الأمل العربي وحده ، وإنما هي تخدم أمل الانسان في كل البلاد المتطلعة إلى غد افضل . ولقد اشترمت إلى دور الكونجرس الأمريكي في تقرير المساعدات الأمريكية ، ولست أخفي عليكم ان تصريحات بعض اعضائه بصدده هذه المساعدات تحدث في بلادنا أثارا كان يمكن لها ان تقلل من حماسنا لها ، لكن ذلك يعوضه شعورنا بالجهد الذي تبذلونه لاقرارها - كذلك فنحن نفهم طبيعة الضغوط التي يتعرض لها بعض أعضاء الكونجرس من قوى تملك كل إمكانيات التأثير - وتصدر في اعمالها عن مصالح غير أمريكية ، على أننا نؤمن دائما بانتصار الحق مهما واجهته المصاعب .

□ ثانيا - لقد اشترمت إلى الاضطرابات التي حدثت في الأردن ، وأنا أود ان اتوجه بكل شرف إليكم بسؤال :

- ما الذي سبب هذه الاضطرابات ؟

إن هذه الاضطرابات كانت رد فعل مباشر للسياسة الخاطئة التي تورطت فيها حكومة الأردن ضد النظام الثوري في اليمن - هذه هي الحقيقة وليس من حقنا جميعا أن ننسأها .

إن تورط الحكومة الأردنية في الأعمال المعادية للثورة اليمنية أحدث تمزقا في القوات المسلحة الأردنية التي أمر أفراد منها بسفك دماء إخوة لهم في الوطن وفي المصير ، وقد عكس هذا التمزق نفسه في عملية مجيء قائد سلاح الطيران الأردني بنفسه إلى القاهرة لاجئا سياسيا ، وتبعه في اليوم التالي اثنين من طياريه بطائراتهم الحديثة من طراز « هنتر » يريدون الانضمام لصفوف الثورة في اليمن ويرفضون ، حتى وإن كان الأمر صادرا إليهم من حكومتهم ، أن يقفوا في الصف المعادي للثورة .

ولقد سرى رد الفعل الذى ظهر تمزقا فى القوات المسلحة فى سلسلة متداعية ، فظهر فى صفوف مجلس النواب الأردنى برغم كل الاجراءات التى اتخذت اثناء انتخاباته لضمان سيطرة الحكومة عليه - ثم تفجر ذلك كله غضبا شعبيا عبر عن نفسه بقوة ووضوح فى اول مناسبة مكنته الظروف منها .

واضيف إلى هذا تفصيلا اكثر .

لعلكم تعرفون انه كانت تربطنى شخصا فى يوم من الايام صداقة بالملك سعود ، وفى تلك الايام فلقد كنت اعرف ان هذه الصداقة تصادم مع الواقع الذى يمثلته كل منا ، لكنى مع ذلك كنت حريصا على هذه الصداقة لأسباب كثيرة ليست كلها مما يدخل فى باب العاطفة ، لقد كنت اعرف طبيعة النظام الملكى فى السعودية ، وكنت اعرف انه متعارض مع طبيعة العصر ذاتها ، ولقد كنت أتمنى لو استطاعت صداقتنا مع الملك سعود ان تنبئه تدريجيا إلى اتجاهات اكثر ملاءمة مع طبيعة العصر ، ويشهد الله أننى لم أقصر ابدا فى مصارحته بكل ما اعتقده خيرا له وخيرا لبلاده ، وكان أقصى منى لو استطاع الملك ان يمد بصره إلى بعيد ، وان يسبق التطور المحتوم ويمهد للتقدم ، ولا يعرض بلاده وأسرته لتجربة لا مفر منها إذا ما سارت الأمور فيما كانت تسير فيه ، خصوصا فى مثل الأوضاع التى تسود بلاده .

ومن سوء الحظ ان الملك لم يسمع ، واكثر من ذلك اندفع يحاول ان يفرض على المنطقة اتجاها معاكسا لاتجاه مسيرها التقدمى ، ومن هنا مشاكله ، ومشاكل كل النظم التى تسير فى طريق بعيد عن امانى شعوبها .

ولقد كنت وما زلت أؤمن انه خير ما يستطيعه هؤلاء الذين لا يستطيعون مسابرة التقدم ، هو ان يتواروا ولا يعترضوا مساره الحتمى .

إنهم بمحاولتهم التصدى للتقدم لا يحققون أكثر من تعويقه قليلا من الوقت ، لكنهم يعرضون انفسهم لمخاطر محققة .

وهكذا ، فإنه فى الأردن ، وفى السعودية تقع مسؤولية المتاعب الداخلية أولا واخيرا على الذين ينسبون انه لا شيء يستطيع التصدى لارادة الحياة الجديدة .

□ ثالثا - تحدثتم باستفاضة عن سباق التسلح فى الشرق الأوسط ، وعن احتمالاته الخطيرة ، ولقد تابعت على كل حال الضجة الكبيرة التى أثارت فى عواصم العالم كلها ضد الجمهورية العربية المتحدة بسبب ما نشر عن استعداداتها للدفاع عن نفسها ، وتحاول إسرائيل ، فى هذه الظروف بالذات ، ان تثير مسألة استعانة الجمهورية العربية المتحدة ببعض العلماء الألمان .

ولقد كنا نتوقع هذه الضجة ونحسب حسابها ، وفى ظننا انها سوف تزيد مرات عما هى عليه الآن بقصد التأثير على الراى العام الأمريكى ، وعلى مؤسساته الدستورية فى ظروف تقترب فيها الانتخابات العامة ، خصوصا انتخابات الرئاسة

إن هذه الضجة كلها تستهدف إحداث نتيجتين :

١ - زيادة حصيلة صناديق الجباية الاسرائيلية تحت إنذار الخطر الموهوم

٢ - الإساءة للعلاقات النامية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة والشعوب العربية بوجه عام .

إن إسرائيل تعرف أن جو الصداقة يفتح آفاق النية الحسنة ، وبالتالي يمكن ، التعاون الحر المثمر ، كما أنها تعرف أن جو الشك يصبح هو نفسه السياسة المفروضة على كل الأطراف مهما كانت نواياها .

ولقد لفتت نظري في خطابكم عبارة قلتم فيها « إنه في تقديركم إذا نشبت معركة مسلحة بين العرب وإسرائيل ، فإن القوات العربية قد لا تكون في مركز المتفوق »

إن هذه العبارة تدفع إلى تساؤلات كثيرة ، خصوصا إذا ما لاحظنا أن الجمهور العربية المتحدة لم تبدأ أبدا بعدوان وإنما كان العدوان دائما من الجانب الآخر المعادى لها .

هذه التساؤلات :

١ - إذا كانت الولايات المتحدة ترى تفوق إسرائيل في السلاح ، فلماذا تباع المزيد منه ، كما حدث أخيرا بتزويدها بالصواريخ من طراز « هوك » ؟

٢ - إذا كان الأمر كذلك ، ومع ثبوت نوايا العدوان الاسرائيلي بالتجارب ، تجرأ بعد تجربة ، الا يصبح من حق الطرف العربي أن يصحح موقفه ، وأن يكون استعداد لمواجهة الأسوأ ؟

□ رابعا - اشرتم إلى موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الصراع العربي الاسرائيلي ، ومحاولاتها الوصول به إلى حل ، وإنني لأسمح لنفسى هنا أن أذكر بما تشرفت بإبدائه لكم في خطاب سبق ، وهو أنني أصلي إلى الله من أجل يوم تواجد فيه الولايات المتحدة مشاكل الشرق العربي بوحى من المبادئ الأمريكية والمصالح الأمريكية . إن السلام لا يقوم - في رأينا - إلا على العدل ، وبغير عدل لا يكون سلام ، وسلام الأمر الواقع ليس سلاما حقيقيا ، وإنما هو هدنة يحكمها تغية موازين القوى التي تخلق امرا واقعا جديدا .

وليس يخالجنى شك أن ميزان القوى يتجه إلى صالح العرب ، فإن هنا ، في هذه المنطقة ، من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي ، أمة عربية سوف تتحد يوما مها طال عناؤها في سبيل وحدتها ، وذلك أمر جربته الأمة الأمريكية العظيمة ذاتها ، تجربة وحدتها . وإننى فأى سلام يمكن أن يقوم على الأمر الواقع اليوم ، ويقدر على مواجهة الغد إذا لم يكن على العدل سند ؟

إننى افتح لك قلبي مؤمنا بحقك على ، كصديق ، إن اضع أمامك صورة دقيقة لما أؤمن به .

وبعد فلقد اشرتم - يا عزيزي الرئيس - في ختام خطابكم إلى انكم تريدون إرساء

احد معاونيك لمقابلتي والتحدث إلى بشأن بعض ما اشترتم إليه في خطابكم ، وإنه ليسعدني دائما أن استقبل من ترون إرساله من معاونيك لهذا الغرض ، وسوف تكون حفاوتنا الحقيقية به ، كممثل لكم ، أن نتحدث إليه في صراحة الاصدقاء وإخلاصهم .

إمضاء

جمال عبد الناصر .



وفي ١٥ يونيو ١٩٦٣ رد « كنيدي » على رد « جمال عبد الناصر » عليه ، وكان نص رده كما يلي : (٧)

« عزيزي الرئيس ناصر

تلقيت رسالتكم المؤرخة في ٧ يونيو وقراتها باهتمام . وإنني لأرحب بالصراحة التي اعربتم بها عن آرائكم فيها . وكما اشترتم بحق ، فإنه بمثل هذه الصراحة يمكن تحقيق فهم افضل لمشكلاتنا المشتركة . وسابقى لا اقل صراحة في عرض المسائل التي تهتم حكومتى .

وبادئ ذي بدء ، دعنى يا سيادة الرئيس اعرب عن اغتباطى الشخصى لانه ترتب على الاجراء الذى اتخذه مجلس الأمن في ١١ يونيو أن اتخذ مراقبو الأمم المتحدة طريقهم الآن إلى اليمن . وبات الآن ميسورا الشروع بكل صدق في فض الاشتباك . وإن الدور البناء الذى قام به وفدكم في الأمم المتحدة ، وسفارتكم في واشنطن للمساعدة على تحقيق ذلك ، لهو دور جليل الفائدة . ولست أرى أى بديل عمل لكون جميع الاطراف تعمل على جعل فض الاشتباك المذكور عملا ناجحا .

ثانيا ، عند النظر في الدائرة الكاملة للمشكلات التي يواجهها كلانا ، فالذى انا مقتنع به هو انه لا يوجد ما هو اهم من مشكلة استمرار سباق التسلح في الشرق الأدنى . وفي الفترة الأخيرة شهدت كل سنة منقضية مزيدا من الأسلحة المتطورة تدخل إلى المنطقة . وما لم يتم كبح جماحها ، فقد تصبح حتى الأسلحة النووية امرا محتملا في المستقبل غير المفرط في نايه . واعتقد ، كما اوضحت في رسالتي المؤرخة في ٢٧ مايو ، أن من المفيد إرسال مساعد موثوق به لكى يقلب الرأى معكم فيما يمكن لنا القيام به سوياً لوقف هذا التصعيد الخطير في سياق التسلح .

وقد طاب لى أن اسمع من السفير بادو انكم ترحبون بزيارة هذا الممثل الشخصى ، وقد رجوت السيد جون ج. ماكلوى أن ينوب عنى في التحدث في هذا الشأن . والسيد ماكلوى هو من أبرز مواطنى امريكا ، وله في الخدمة العامة سجل طويل ، وفي مجال الحد من الأسلحة تجربة لا نظير لها . وهو يتمتع بثقتى الكاملة . والذى

(٧) مجموعة الاوراق الخاصة للرئيس الأمريكى « جون كنيدي » .

فهتمته هو انه يناسبكم استقبال السيد ماكلوى بين يومى ٢٦ يونيو و ٢٩ يونيو ،
وساطلب منه زيارة القاهرة فى هذه الفترة .

وسيرافق السيد ماكلوى اثنان من رجال وزارة الخارجية لمساعدته . وامل ان
توافقوا على عقد هذه المباحثات فى سرية تامة دون نشر شىء عنها رغبة فى ضمان
جدواها .

المخلص

جون ف. كنيدي



بدأ المستر « جون ماكلوى » المبعوث الخاص الذى اختاره الرئيس الأمريكى
« جون كنيدي » لبحث التطورات والأحوال فى الشرق الأوسط على الطبيعة وبعد كل
ما طرأ من المستجدات - يستعد لزيارة المنطقة ، وكانت وجهته الأساسية فى رحلته هى
مصر وإسرائيل بالذات . وقدم له « روبرت كומר » مجموعة من التقارير المتوافرة لدى
مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض . ومن جانبه قام « ماكلوى » بزيارة مقر وكالة
المخابرات المركزية الأمريكية فى ضواحي واشنطن ، وقد حضر اجتماعا مطولا للتعرف
على الحقائق والمعلومات عقد فى مكتب « جون ماكون » مدير الوكالة ، وكان أبى
الحاضرين فيه هو « جيمس أنجلتون » مساعد مدير الوكالة وزعيم التيار المناهض
داخل الوكالة بأن إسرائيل هى الصديق الحقيقى الذى يمكن الاعتماد عليه فى
المنطقة .

كان « جيمس أنجلتون » هو مدير العمليات الخاصة للوكالة إلى جانب كونه
مساعداً لمديرها ، وكان (وقد سبقت الإشارة إلى ذلك) هو المشرف على ميزانية
« الصندوق الاسرائيلى » الذى أنشئ من أيام الحرب العالمية الثانية لمساعدة اليهود
فى أوروبا ، ثم تحول بعد الحرب لكى ينظم عمليات جمع المعلومات التى تقوم بها بعض
العناصر اليهودية « التى تعيش فى البلدان الشيوعية بما فيها الاتحاد السوفيتى

وأثبتت هذه المهمة الجديدة فائدتها القصوى^(٨) ، وزادت قيمة « الصندوق الإسرائيلي » كما زادت بشدة سقف اعتماداته !

والآن وفي الاجتماع الذي عقد في مكتب « ماكون » أحس « جون ماكلوي » أن « جيمس أنجلتون » متحمس إلى درجة زائدة لمشروع إسرائيل النووي في « ديمونة » ، بل وسمع بعد الاجتماع من همسوا في أذنه بأن « أنجلتون » بالتعاون مع إسرائيل يشحن لها بعض المعدات والمواد اللازمة لمشروعها النووي ، ويصرف عليها من موازنة « الصندوق الإسرائيلي » .

ولقد أدرك « ماكلوي » أن مهمته أصعب مما قدر .

ورأى « ماكلوي » أن يفضي إلى الرئيس « كنيدي » ببعض مخاوفه ، وأولها أن تنجح إسرائيل في مشروعها النووي الأمر الذي سيفرض على العرب أن يبحثوا لأنفسهم عن مخرج نووي .

وتكشف الوثائق الأمريكية أن « كنيدي » طلب تقدير وكالة المخابرات المركزية عن قدرات إسرائيل النووية ، ولفت النظر أن رد الوكالة عليه كان غريبا في لهجته ، فقد جاء فيه بالنص ما يلي .^(٩)

« إن أي صرخات يطلقها العرب (حول المشروع النووي الإسرائيلي) سوف تنتهي بالاحباط ، ولن يجدوا أمامهم طريقا مفتوحا لمعادلة إمكانيات الانجاز الإسرائيلي . فنحن لا نعتقد أن الاتحاد السوفيتي على استعداد لتقديم سلاح نووي إلى الحكومات العربية . فليس معقولا من وجهة نظرنا أن يقدم الاتحاد السوفيتي إلى مثل هذه الأنظمة أنواعا من نظم السلاح لم يقدمها إلى توابعه في الكتلة الشرقية . إن الاتحاد السوفيتي ليس أمامه إلا محاولة استغلال الفرص السياسية » .



قبل أن يغادر « جون ماكلوي » واشنطن في طريقه إلى المنطقة وقع تطور لم يتحسب له في إسرائيل . ففي أواخر شهر يونيو قدم « دافيد بن جوريون » استقالته

(٨) استطاع اليهود في الاتحاد السوفيتي الحصول على نص الخطاب السري الذي إلقاه الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي (فبراير ١٩٥٨) والذي تضمن هجوما حادا على عهد « ستالين » والذي أحدث تسريبه بواسطة وكالة المخابرات المركزية ضجة كبرى في العالم أدت إلى حرج شديد للقيادة السوفيتية ، وللحزب الشيوعي السوفيتي .
(٩) نص من مذكرة وقعها رئيس لجنة التقديرات في الوكالة ، وهو المستر « شيرمان كنت » ، والنص الكامل للمذكرة موجود في مكتب الرئيس « جون كنيدي » بالصندوق رقم ١١٩ .

من رئاسة الوزارة في إسرائيل بعد أن استفحلت الصراعات والانقسامات بين الأحزاب والكتل المشاركة فيها - وقامت وزارة جديدة برئاسة « ليفى أشكول » .

واتصل « جون ماكلوى » بالرئيس « كنيدي » يسأله ما إذا كانت الظروف ما زالت مناسبة في رأيه للمضى في مهمته في الشرق الأوسط بعد استقالة « دافيد بن جوريون » أو أن الأنسب هو التأجيل حتى تستقر الوزارة الاسرائيلية الجديدة برئاسة « ليفى أشكول » وتقوم بـ « إعادة دراسة الملفات » . وقام الرئيس « كنيدي » بطرح المسألة من جديد في مجلس الأمن القومي ، وكان الغريب أن « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض اتصل بـ « ماكلوى » تليفونيا بعد جلسة مجلس الأمن القومي ، وأبلغه بأن « الرئيس يرى أن تمضى في مهمتك ، وأن تقتصر المهمة على القاهرة فقط لأن الاسرائيليين في ظروفهم السياسية الطارئة بالتغيير الوزارى ليسوا مستعدين بعد لاستقباله » .

بدأ الأمر غريبا في القاهرة عندما اتضح لها أنها المقصودة وحدها بمهمة « ماكلوى » ، وطلب « جمال عبد الناصر » من الدكتور « محمود فوزى » إعداد تقرير موقف سياسى لما يراه في هذا الوضع . وكتب الدكتور « فوزى » بخط يده مذكرة جاء فيها :

« السيد الرئيس »

١ - لقد فهمنا من رسالة كنيدي أن مهمة ماكلوى سوف تجرى بالتوازي على الناحيتين .

٢ - اقتصار هذه المهمة على القاهرة معناه أنهم يريدون الحصول منا على وعود دون مقابل لها من الطرف الآخر .

٣ - قد ترون مناسبا أن يكون موقفنا موقف من يفسح صدره لما يسمع دون أن يربط نفسه بقرار نهائى .

٤ - قد تذكرون أن التجارب أثبتت لنا أننا نمارس السياسة بنوايا طيبة ، وليس ذلك مسلك الطرف الآخر . ثم نجد أنفسنا ملزمين بعودنا ، وأما هم فلا يلزمون أنفسهم بعهد ، وإذا تعهدوا فالحمد وسيلة لكسب الوقت تساعد على السير اسرع فيما هم فيه سائرون . «



ووصل « جون ماكلوى » إلى القاهرة ، وعقد اجتماعا مطولا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » حضره الدكتور « محمود فوزى » .

وفي أثناء الاجتماع تجلى لحظة بعد لحظة أن مخاوف الدكتور « محمود فوزى » كان لها ما يبررها ، فقد تبدت مطالب « ماكلوى » في النهاية على النحو التالى : (١٠)

١ - إن الولايات المتحدة تطلب من مصر إيقاف برنامجها لانتاج الصواريخ .

[وسأله « جمال عبد الناصر » عن برنامج الصواريخ الاسرائيلى ، ورد « ماكلوى » بأنه سوف يذهب إلى إسرائيل في رحلة أخرى يقوم بها مستقبلا إلى الشرق الأوسط ، وسوف يحاول الحصول منها على وعد مماثل . وأضاف « ماكلوى » أنه لا يستطيع أن يضمن أن الرد الاسرائيلى سوف يكون في ذلك الوقت إيجابيا لكنه يعتقد أن حصوله على رد إيجابى من مصر الآن يعزز موقفه أمام الاسرائيليين حين يقابلهم ، كما أن مثل هذا الرد الإيجابى يثبت للرئيس « كنيدي » صدق نوايا الجانب المصرى ، كما يسهل موقفه إزاء الكونجرس في موضوع المساعدات الاقتصادية لمصر .]

٢ - طلب « ماكلوى » أن تقوم الجمهورية العربية المتحدة بالاستغناء عن خدمات عالم الصواريخ الألمانى الشهير الدكتور « وولفجانج بيلز » باعتباره نازيا سابقا ، وأضاف أن معلومات المخابرات الأمريكية أن « بيلز » كان هو الذى أشرف على تطوير صواريخ V-1 و V-2 التى وجهها « هتلر » إلى لندن في المراحل الأخيرة من الحرب العالمية الثانية . كذلك طلب « ماكلوى » أن تستغنى الجمهورية العربية المتحدة عن خدمات الخبراء الألمان الذين يعملون مع « بيلز » .

[ورد « جمال عبد الناصر » بأن العالم كله بما فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يستخدم الخبراء الألمان في الصواريخ . وأنه لم يسمع أن صوتا في الولايات المتحدة ارتفع مطالبا بإخراج الدكتور « فون براون » المشرف على مشروع الصواريخ الأمريكى بدعوى أنه نازى سابق في حين أنه كان كذلك ، وأكثر من الدكتور « بيلز » في حماسه لألمانيا الهتلرية . وأضاف قائلا إن صناعة الصواريخ في رأيه لا تعنى إنتاج الصواريخ كمجرد سلاح عسكرى ، وإنما هو يراها كما يرى صناعة الطائرات - محاولة عربية للتعرف على تكنولوجيا العلم الحديث . وأن مدرسة الخبراء المصريين المحيطين بالدكتور

(١٠) مذكرة كتبها الدكتور « محمود فوزى » بخط يده ، ثم تولت مكاتب الرئاسة طبعها على الآلة الكاتبة من خمس نسخ وزعت على : ارشيف منشية البكرى - رئيس مجلس الوزراء - وزير الحربية - وزير الخارجية - رئيس هيئة المخابرات العامة .

« بيلز » والذين يتعلمون منه ومن زملائه هي في رأيه أهم من مصنع الصواريخ .]

٣ - أشار « ماكلى » في حديثه إلى أن الولايات المتحدة ترى أنه يجب أن يكون لها فريق تفتيش على المنشآت النووية في مصر بما فيها مفاعل « أنشاص » يكون له الحق في زيارتها دوريا إلى جانب القيام بزيارات مفاجئة للتأكد من أنها باقية في إطار « الذرة من أجل السلام » .

[ورد « جمال عبد الناصر » بأنه يعتبر ذلك تدخلا في مسائل من صميم السيادة المصرية ، خصوصا وأنه يعلم بيقين أن الحكومة الاسرائيلية رفضت أن تعطي لحكومة الولايات المتحدة أية معلومات عن مفاعل ديمونة . بل إن الحكومة الاسرائيلية رفضت أن تسمح بزيارة وفد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى لمفاعل ديمونة رغم إلحاح أعضاء هذا الوفد على « دافيد بن جوريون » شخصا في أثناء زيارة أخيرة لهم لاسرائيل .]

وعاد « جون ماكلى » إلى واشنطن ليقول للرئيس « كنيدي » - في تقرير قدمه إليه - صراحة إنه لم يحرز تقدما يذكر في القاهرة ، وأنه يعتقد أن هذا التقدم لا يمكن إحرازه إلا إذا كان الجهد الأمريكى قادرا على أن يثبت وجوده في إسرائيل بحيث تتأكد القاهرة أن هناك نوعا من التوازن ، أو التوازن في المسعى الأمريكى .



كانت إسرائيل بكل ما تقدر عليه من وسائل ، وما يملكه أصدقائها من إمكانيات سياسية أو غير سياسية تحاول وقف برامج مصر غير التقليدية . ولم يكن اعتمادها على ما يبذله الرئيس « كنيدي » من جهود ، أو ما يقوم به مبعوثه الخاص من اتصالات . كانت في حالة مزاج سوداوى تزين لها العمل المباشر مهما كانت مخاطره .

وفي ذلك الوقت تلقت القاهرة تقريراً حصلت عليه المخابرات اليوجوسلافية من روما ، وكان التقرير يشير إلى الحملة الواسعة والمركزة التى تقوم بها إسرائيل ضد العلماء الألمان بالتحديد . ويقول التقرير : « إن هذه الحملة تحاول أن تثبت في أذهان الرأى العام العالمى ثلاث نقط يزداد الإلحاح عليها يوما بعد يوم :

١ - إن هؤلاء العلماء الألمان أثروا خدمة مصر استمرارا لتعصبهم ضد اليهود ، وقد كان في استطاعتهم الحصول على شروط وظروف أفضل للعمل في الولايات المتحدة ، أو الاتحاد السوفيتى .

٢ - إن هؤلاء العلماء الألمان يعملون في إنتاج أسلحة غير تقليدية بعضها محرم دوليا كالاشعاعات والأسلحة الكيماوية ، وهذا يجعلهم بمثابة مجرمي حرب .

٣ - إن إسرائيل لا تستطيع أن تقف موقف المحكوم عليه في انتظار الحكم ، وإنما يتعين عليها أن تتصرف قبل أن يفوت الأوان . »

ومضى التقرير اليوجوسلافي بعد ذلك يقول : « إن هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلي قدمت إلى رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » قبل استقالته خطة عمل يقوم به سلاح الطيران الاسرائيلي مرة واحدة بغارة مفاجئة ومركزة على مصانع وقواعد الصواريخ المصرية في الصحراء الغربية ، وتدميرها تدميرا كاملا وشاملا . »

ثم يستطرد التقرير فيقول : « إن الخيارات المفتوحة أمام مصر لمواجهة مثل هذه الغارة سوف تكون أحد احتماليين :

١ - إما أن تلجأ مصر إلى الأمم المتحدة بشكوى ضد إسرائيل ، وفي هذه الحالة تستطيع إسرائيل إبراز حقها في الردع المبكر في الدفاع عن النفس .

٢ - وإما أن ترد مصر بالحرب معتبرة أن الغارة الاسرائيلية ضربة أولى ، وفي هذه الحالة ، فإن التفوق العسكري سوف يسمح لاسرائيل بضربة إجهاض قبل أن تتغير خريطة الشرق الأوسط بالوحدة الثلاثية أو بأى عمل وحدوى غيرها ، وقبل أن يصل برنامج الصواريخ المصرى إلى حد النجاح الكامل . »

ولم يحدث ما توقعه التقرير ، ويبدو أن استقالة « بن جوريون » ومجىء « ليفى أشكول » بدلا منه غير الموقف على مستوى صنع القرار الاسرائيلي عند القمة ، ومع ذلك ، فإن أساليب العمل المباشر لم تتوقف .



وفي صيف ١٩٦٣ كان الدكتور « هاينز كروجر » وهو أحد مساعدى الدكتور « بيلز » قد سافر إلى ميونيخ في ألمانيا الغربية لاجازة مع أسرته . وفجأة اختفى الدكتور « كروجر » ولم يعثر له على أثر ، وتأكد أنه خطف في ميونيخ ، وأنه أرسل بطريقة ما إلى إسرائيل ، ومن يومها ضاع كل أثر له . وبعدها بأيام كان الدكتور « هانز كلاينفستر » وهو احدى مساعدى الدكتور « بيلز » يقوم

بنزهة في أحد منتجعات الغابة السوداء في ألمانيا الغربية - حين فوجيء
بمجموعة رجال مسلحين يطلقون النار عليه ، وقد أصيب بجراح ، ولكنه نجا
بمعجزة !

وفي أثناء احتفالات عيد الميلاد سنة ١٩٦٣ تلقت سكرتيرة الدكتور « بيلز »
الآنسة « هيلدا ايكبرج » طردا تصوريته يحمل هدية لها ، وكان بالفعل يحمل لها كتابا
صدر حديثا في ألمانيا . وفتحته ، وإذا بشحنة متفجرة تمزق وجهها وتصيبها بالعمى .

وكان الدكتور « بيلز » يقضى إجازة عيد الميلاد في ألمانيا ، وفوجيء برسالة
تدعوه إلى مقابلة المستشار الألماني « لودفيج إيرهارد » . وذهب « بيلز » إلى مواعده مع
المستشار ، وإذا هو يقول له : « إن الحكومة الألمانية ترى أن نشاطه في مصر
يعرضها لمشاكل كثيرة من جهات متعددة . وأنه يرجوه باسم الوطن أن يجد
لنشاطه مجالا آخر غير مصر » !!

الفصل الثالث

السحب الزاحفة



عندما وصلت محادثات الوحدة الثلاثية إلى الطريق المسدود الذي وصلت إليه مع بدايات صيف ١٩٦٣ - لم يكن معنى ذلك أن الحوادث سوف يتوقف زحامها وتدافعها . أو أن الموقف يمكن تثبيته عند النقطة التي كان عليها . كان طبيعياً أن تكون هناك ردود فعل لتعثر محادثات الوحدة الثلاثية سواء على مستوى العمل العربي العام ، أو على مستوى الأقطار التي كانت معنية بها ، خصوصاً إذا وضعت في الاعتبار حقائق التناقضات الداخلية القائمة بين الأطراف التي قامت بالتغيير في بغداد ودمشق .

والذي حدث أنه ما كادت محادثات الوحدة الثلاثية تقف أمام الباب المسدود ، حتى بدأ التراجع إلى مواقع الخلاف الذي لم يكن هناك سبيل إنساني لايقافه . وشهدت بغداد تقلصات عنيفة توقفت عند النقطة التي تمكن فيها الرئيس « عبد السلام عارف » من الانفراد وحده بالسلطة وإزاحة حزب البعث رغم دوره الكبير في حركة ٨ فبراير .

وفي سوريا تسارعت مشاهد الصراع بين الضباط الذين قاموا بحركة ٨ مارس قباختفى قائد هذه الحركة « زياد الحريري » ونفى إلى أوروبا ، كما أزيح الفريق « لؤي الأتاسي » الذي كان قائداً عاماً للقوات المسلحة ، ثم توالى عمليات السقوط

والاختفاء ، ولحققتها بالطبع عمليات الظهور والبروز لعناصر جديدة تحاول تأميم نفسها قبل أى اعتبار آخر .

وكانت تلك حالة تبعث على القلق فى الشرق العربى .



وفى جنوب شبه الجزيرة العربية كانت هناك شواهد كثيرة تدعو بدورها إلى القلق . وكانت جهود فض الاشتباك فى اليمن هى الأخرى أمام طريق مسدود فالأوضاع فى اليمن ما زالت هشة والعمليات العسكرية ما زالت تجرى ، وقد تعف الموقف العسكرى أكثر بظهور عنصر المرتزقة الأجانب . وكانت المشكلة الملحة أن فريق مراقبى الأمم المتحدة الذى أوكلت إليه مهمة الاشراف على فك الاشتباك فى اليمن لا يعد فى استطاعته العمل لاختلاط المواقع ، كما أن المدة المقررة لمهمته وهى ستة شهور كانت قرب نهايتها ، وكذلك كانت الاعتمادات المالية المخصصة لتمويل مهمة هذا الفريق قد أوشكت على النفاد .

وفى يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٣ استقبل « جمال عبد الناصر » السفير « جوبادو »^(١) الذى عاد قبل أيام من إجازته فى الولايات المتحدة ، والذى أراد أن ينقل إلى الرئيس المصرى تفاصيل لقاء له مع الرئيس الأمريكى « جون كيندى » جرى بينهم يوم ١٠ سبتمبر .

وقال السفير « جوبادو » للرئيس « جمال عبد الناصر » نقلا عن الرئيس « كيندى » :

« إن المشكلة المباشرة فى رأى الرئيس كيندى هى خطر انتهاء نشاط مراقبى الأمم المتحدة ، فعمل هذا الفريق سوف يتوقف تماما فى أوائل شهر نوفمبر اللهم إلا إذا تم عمل شيء لمد أجله . ولو حدث أن سقط دور الأمم المتحدة فى هذا المنعطف الحرج لكأنت النتيجة فى أقل القليل نوعا من الكارثة . ففى غياب نشاط مراقبى الأمم المتحدة فإن الاحتمال كبير بأن تحاول الحكومة السعودية زيادة دعمها على نطاق واسع للملكيين ، ولو حدث هذا فربما أدى إلى حدوث مصادمات متجددة على الحدود بين الجمهورية العربية المتحدة والقوات السعودية ، وهو امر يؤدى إلى استرجاع جميع المشكلات التى كانت قائمة فى الشتاء الماضى . وإذا حدثت مواجهة مباشرة بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية ، فلن يكون من شأن ذلك

(١) مذكرة كتبها السفير « جون بادو » عن وقائع المقابلة بتاريخ ٧ أكتوبر ، وعنوانها « مذكرة بمناقشة الموقف فى اليمن بين الرئيس جمال عبد الناصر ، والسفير الأمريكى جون س . بادو يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٣ » . وقد أرسل بادو نسخة منها إلى رئاسة الجمهورية ، وأصلها موجود فى أرشيف منشية البكرى ، كما أن هناك نسخا منها فى أرشيف وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المخابرات العامة .

إلا زيادة القلق الشديد ، وازدياد الانتقاد في الولايات المتحدة الملتزمة كما يعرف الرئيس جيدا باستقرار المملكة العربية السعودية . وعاد « بادو » بعد أن خلص من عرض محصلة حوار مع الرئيس « كنيدي » - إلى تسجيل بقية وقائع لقائه هو مع الرئيس « جمال عبد الناصر » فقال « لقد ألح السفير في اتخاذ الخطوات التي تكفل استمرار العمليات الحالية للأمم المتحدة . وقال إن تحقيق هذا يحتاج إلى قيام الأطراف المعنية - وهي الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية - بإبلاغ السكرتير العام للأمم المتحدة برغبتهم في أن تواصل الأمم المتحدة القيام بدورها كمراقب ، وكذلك فإن على هاتين الدولتين أن تعربا للسكرتير العام عن استعدادهما للاستمرار في تقديم مساهمتهما المالية اللازمة لعملية الأمم المتحدة في اليمن ، لأن الجوانب المالية عنصر أساسي في ذهن السكرتير العام الآن .

واتفق الرئيس « ناصر » على أن إنهاء عمل فريق مراقبي الأمم المتحدة في اليمن موضوع خطير ، وفي اعتقاده أن حكومته قد تؤيد ما اقترحه السفير من أسلوب عمل .

ثم قال السفير إن إجراء قدر من الانسحابات الجديدة لقوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن في المستقبل القريب يخدم مصالحها خدمة كبيرة ، ويساعد على تهدئة الموقف . كما قال إن آخر تقديرات المخابرات المتاحة للرئيس « كنيدي » تظهر أن الجمهورية العربية المتحدة ما زالت تحتفظ بنحو ٣٢ ألف جندي في اليمن .

وقال الرئيس إن الجمهورية العربية المتحدة قامت بسحب بعض قواتها فعلا ، ففي وقت من الأوقات وصل عدد القوات المصرية في اليمن إلى ٤٠ ألف جندي ، وهم الآن فعلا في الحدود التي ذكرها السفير . وهناك خطة الآن لسحب بعض الوحدات ، وليس في النية استبدالها . وقال السفير إنه سيعاود الاتصال بالرئيس بعد طلب تعليمات جديدة مفصلة من واشنطن .

وفي يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٣ بعث الرئيس « كنيدي » برسالة شخصية إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » قام بتسليمها له السفير « جون بادو » وجاء في نص الرسالة (٢):

« يتعين على بروح التبادل الصريح للآراء الذي اعتقد أن كلينا بات يقدر قيمته - أن أنهى إليكم قلقي الشخصي الشديد لتباطؤ الجمهورية العربية المتحدة حتى الآن على الاضطلاع بدورها في اتفاقية فض الاشتباك في اليمن . واعتقد أن من الانصاف أن أذكر أن السعوديين يضطلعون بالجانب الخاص بهم من الصفقة . وبناء عليه فلا أملك أي تأثير على فيصل عندما يتبين أنه ، وقد اضطلع بجانبه من الصفقة ،

(٢) مجموعة أوراق « كنيدي » وملفات الخارجية الأمريكية - كما توجد أيضا نسخة في أرشيف منشية البكري .

ما زال يرى القوات المصرية في اليمن ويسمع من القاهرة عبارات معادية . ومن ناحية أخرى ، لم تقم الجمهورية العربية المتحدة بانسحابات على مراحل ، وبالدرجة التي تتفق مع فهمنا لروح الاتفاقية . ونحن نفهم بعض الأسباب التي دعت إلى ذلك . ومع هذا فلا يسعنا أن نغمض العين إزاء حقيقة أن الجمهورية العربية المتحدة لا تقف بعهد قطعه للأمم المتحدة وتم بضمانة الولايات المتحدة باعتبارها صديقا للطرفين . وبسبب دورى الشخصى في هذا الأمر ، فاعتقد انكم تستطيعون فهم شعورى بالورطة حين ارى حكومة الولايات المتحدة تتعرض للنقد من الخارج والداخل على حد سواء . وليس امامى مفر من أن اقول لكم إن هذه المسألة تعقد جهودى الخاصة في الكونجرس لمواصلة سياستنا الودية في مجالات المصلحة المتبادلة . وإذا نحن سمحنا لليمن بأن تؤثر في مصالحنا الأكبر منها ، فإننا نكون بذلك فقدنا قدرتنا على تشكيل الحوادث وسمحنا لها بأن تطفئ علينا . »

وأحس « جمال عبد الناصر » أن الرسالة في بعض تعبيراتها تحمل مظنة تهديد ، وأبدى رأيه بذلك للسفير « جون بادو » . ثم أبدى بعد ذلك ملاحظة قال فيها :

« إنه على استعداد لأن يقدر الورطة التي يتحدث عنها الرئيس كنيدي لسياسته في اليمن . وهو على استعداد لأن يسلم بأن السعودية خففت بعض أوجه نشاطها المباشر في اليمن ، لكنه كان يتصور أن المخابرات الأمريكية التي أحصت عدد القوات المصرية الموجودة في اليمن وأبلغت به كنيدي - كان عليها أن تحصى أيضا عدد المرتزقة الأجانب العاملين في اليمن ، وتبلغ الرئيس الأمريكى بعددهم أيضا . » ثم اضاف « جمال عبد الناصر » : « إنه ليس مستريحا لبعض العبارات الواردة في رسالة كنيدي إليه ، وهو يؤثر أن يتغاضى عنها حرصا على العلاقات الأكبر التي يتحدث عنها الرئيس كنيدي ، ولكن الأطراف جميعها عليها أن تتحلّى بقدر من الصبر وضبط النفس لأن أزمة اليمن بطبيعة المسرح الذي تجرى عليه ، والمناخ السائد على هذا المسرح - تحتوى على عناصر وقوى تصعب السيطرة عليها من الناحيتين ! »



وكان الموقف في المغرب لا يقل مدعاة للقلق عنه في المشرق العربى ، أو في الجنوب العربى - فقد راحت القاهرة تتابع محاولات أمريكية لتدعيم وجودها في قاعدة « هويس » في ليبيا . وتظهر وثائق مجلس الأمن القومى في البيت الأبيض أن سياسة الولايات المتحدة في ليبيا كانت - إلى جانب أهداف أخرى متعددة - تسعى لتعزيز وجودها العسكرى قريبا من الجمهورية العربية المتحدة .

في ٢٨ سبتمبر ١٩٦٣ كتب « روبرت كומר » مذكرة^(٣) للرئيس « كنيدي » جاء فيها بالنص :

« سرى »

مذكرة إلى الرئيس

إنك سوف تقابل رئيس وزراء ليبيا الجديد « الفكينى » صباح يوم الاثنين المقبل ،
وعليك أن تتحدث إليه بركة ، وأن تقنعه بأن بلاده ليست في حاجة إلى مساعدات
أمريكية .

إن تعداد سكان ليبيا هو مليون وربع مليون نسمة ، وقد عاشوا حتى الآن على كرم
الولايات المتحدة التي أعطتهم في السنة المالية ١٩٦٣ - مساعدات قدرها ٢٠٦
ملايين دولار . والآن فإن ليبيا تعوم على بحر من رسوم إنتاج البترول فقط . وفي
السنة القادمة سوف يزيد هذا المبلغ إلى مائة مليون ، وفي السنة التالية سوف يصل
إلى ٣٠٠ مليون ، ويواصل الزيادة بعد ذلك . إن ليبيا على هذا النحو هي « كويت »
أخرى ، ولم تعد في حاجة إلى مساعدات أمريكية .

ولكن « الفكينى » يستعمل وجود قاعدة « هويلس » كحجة لطلب مساعدات منا ،
وهو يدعى أن وجود القاعدة يخلق مشاعر معادية لها (للقاعدة) ويتعلل بأن
الوسيلة الوحيدة لتخفيف حدة هذا العداء للقاعدة أن تكون هناك مساعدات
أمريكية في مقابلها .

في هذه النقطة عليك أن تتحدث له بصراحة بأن وجودنا في قاعدة هويلس شأنه
شأن وجود البريطانيين في قاعدة العظم (طبرق) هما خير ضمان لتأمين ليبيا ضد
أى محاولة للاستيلاء عليها من ناصر الذى يقف على الباب المجاور . إن وجودنا في
ليبيا هو الضمان الحقيقى لأمناها ، عليك أن تقول لرئيس الوزراء الليبى « إننا
لا نرى سببا يجعلنا ندفع لهم لميزة أننا نقوم بحمايتهم ، وعلى رئيس الوزراء الليبى
أن يواجه منتقديه بهذه الحجة القاطعة » . بجانب ذلك فعليك أن تذكره بأن
الاستثمارات الأمريكية هي التي أعطت ليبيا ثروتها من البترول ، وسوف يكون من
الصعب علينا أن نقنع الكونجرس بغير ذلك .

الفكينى أيضا قد يسمعك بعض النغمات المعادية لإسرائيل ، وعليك أن تكون حازما
معه ، وتواجهه بأننا لا ننوى أن نسمح للعرب بالهجوم على إسرائيل أو العكس .

لاحظ أنك تركت انطباعا عظيما على الفكينى عندما قابلته من قبل في أثناء عمله
كسفير لبلاده هنا ، وقد أبدت إمامه بعض الآراء السياسية العامة ، وسوف يكون
سعيدا إذا فعلت ذلك مرة أخرى .

« كומר »

(٣) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى - مكتبة الرئيس « كنيدي » برقم ٣٥٤٥ .

وراء ليبيا إلى الغرب كانت حكومة الجزائر المستقلة تواجه أوضاعا حرجة مع بداية عهد الاستقلال ، فقد كانت هناك أولا تناقضات الثورة بملايساتها الانسانية والسياسية والتاريخية . وكذلك كان هناك - ثانيا - الموقف الذى نشأ عن رحيل المستوطنين الفرنسيين تاركين مزارعهم للبوار . ثم كانت هناك - ثالثا - تطلعات الشعب الجزائرى الذى ضحى بمليون شهيد ، وكان أمله الآن أن يعيش السلام فى حين أن الوضع الاقتصادى العام كان مترديا .

وكتب « بن بيلا » إلى « جمال عبد الناصر » بحقيقة الأوضاع الاقتصادية فى الجزائر . ورد عليه « جمال عبد الناصر » برسالة كتب أصلها بخط يده وجاء فيها :

« شعرت بالقلق بعد اطلاعى على رسالتكم الخاصة بالحالة الاقتصادية لأن الأوضاع الاقتصادية لها التأثير الأول على الوضع السياسى .

نحن على استعداد لمعاونتكم بكل ما نستطيع لمواجهة الموقف . وأنا على استعداد لإيفاد الدكتور القيسونى فى الحال إليكم لشرح لكم رايه فى حل هذا الموقف .

ولمواجهة الموقف بسرعة أرى أن تأخذوا المبادرة ، وتكون الحركة على مراحل ومضى « جمال عبد الناصر » بعد ذلك يشرح مراحل العمل الذى يقترحه على « بن بيلا »^(٤) .



وفى هذه الظروف الصعبة من الناحية السياسية والاقتصادية والنفسية فى الجزائر ، نشب فجأة على الحدود بينها ، وبين المغرب نزاع على منطقة « تندوف » . وتطور النزاع على تخطيط الحدود بين البلدين بسرعة خطرة إلى حد يندر باللجوء للسلاح . وكانت القاهرة أقرب إلى الجزائر بتأثير علاقات خاصة ربطتها بالثورة الجزائرية من أول يوم . وقد قامت بإرسال بعض المساعدات للجزائر ، ولكن هذه المساعدات سبقتها رسالة من « جمال عبد الناصر » إلى « بن بيلا » جاء فيها بالحرف :

« إننى أناشدك أن تحول بكل جهدك دون تحول خلافكم مع المغرب إلى صراع مسلح . وأرجوك أن تعرف أن المساعدات التى هى فى الطريق إليكم لها هدف معنوى وسياسى بالدرجة الأولى ، ولذلك فإننى أدعوك إلى التزام أقصى درجات الحذر واليقظة فى هذه الظروف العاصفة . »

(٤) النص الكامل لرسالة « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى « بن بيلا » منشورة بالكامل فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٤٩ صفحة ٩٤١

وفي يوم ٢٧ أكتوبر طلب السفير الأمريكى « جون بادو » مقابلة عاجلة مع « جمال عبد الناصر » ليبلغه رسالة شفوية جديدة من الرئيس « كنيدي » إليه عن تطورات النزاع الجزائري - المغربى ، والدور المحتمل للجمهورية العربية المتحدة فيه . وجاء فى هذه الرسالة الشفوية^(٥) ما يلى :

« ١ - إن الولايات المتحدة تشعر بقلق شديد بسبب الخصومة الجزائرية - المغربية . وهناك دلائل تشير إلى أن هذه الخصومة قد تتحول إلى حرب ربما سيقب عليها دول أخرى .

٢ - إن الولايات المتحدة حرصت - كما حرص غيرها من الدول الغربية - على تفادي التورط فى هذه الأزمة برغم أن هناك انباء تواترت فى العالم على خلاف ذلك .

٣ - إن إعادة السلم إلى شمال افريقيا هو امر حيوى بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة .

٤ - إن الولايات المتحدة بناء على ذلك مستعدة لتأييد الأمم المتحدة ، او أى مبادرة دولية أخرى تبشر بحل عادل سلمى .

٥ - إن أى تدخل على نطاق واسع من جانب حلفاء الجزائر قد يؤدي إلى إثارة حرب شاملة يمكن أن تطغى فيها اعتبارات الدول الكبرى على المصالح المحلية .

٦ - بالنظر إلى قلق المملكة العربية السعودية من فشل فض الاشتباك فى اليمن - فإن أى تورط متزايد من جانب الجمهورية العربية المتحدة فى الجزائر قد يشجع السعوديين رغم الاحتجاجات القوية والمستمرة من جانب الولايات المتحدة على مناصرة الملكيين اليمنيين ، حتى على مستوى أعلى مما كان قبلا .

٧ - إن مجلس الشيوخ الأمريكى ، سوف يقتنع فى الأسبوع المقبل على قانون المساعدات الخارجية بعد مناقشات غير معتادة من حيث طولها ومرارتها . وقد تعرض موقف الجمهورية العربية المتحدة لضعف خطير بسبب فشلها فى فض الاشتباك بصورة جوهريه فى اليمن . وإن أى دليل على أن الجمهورية العربية المتحدة ترسل أسلحة أو مواد أو رجالا إلى الجزائر قد يؤدي فعلا إلى إجراء تشريعى يمنع الادارة من المضى فى تقديم معونة فعالة إلى الجمهورية العربية المتحدة .

٨ - إن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتصور أن الجمهورية العربية المتحدة ترغب فى توريث نفسها فى موقف من شأنه أن يزيد الصراع ويدعو إلى تدخل خارجى ، ويرهق الموارد الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ، ويعجل باتخاذ

(٥) كتب السفير « بادو » مذكرة عن النقاط التى أبلغها للرئيس « عبد الناصر » نقلا عن الرئيس « كنيدي » وبعث بنسخة منها فى اليوم التالى إلى رئاسة الجمهورية . واصل المذكرة محفوظ فى أرشيف منشية البكرى ، وقد أرسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المخابرات العامة .

إجراء من جانب الكونجرس الأمريكي من شأنه إضعاف العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية العربية المتحدة إضعافا خطيرا .

وأضاف السفير الأمريكي إلى ذلك من عنده أنه سمع عن معلومات تشير إلى أن كوبا الشيوعية تقوم بمساعدة الجزائر ، وهو لا يتصور أن القاهرة سوف تضع نفسها في ذات الموقع مع كوبا .

وأصغى « جمال عبد الناصر » إلى رسالة « كنيدي » الشفوية التي نقلها إليه « بادو » وقال له : « إنه يجدها رسالة هامة ، وتستحق ردا تكون معانيه والفاظه محددة بما لا يقبل مجالا للبس أو سوء الفهم ، وأن على صبرى سوف يسلمه في الوقت المناسب - وقريبا جدا - ردا مكتوبا منه على رسالة كنيدي . »

وفي يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٦٣ بعث السفير الأمريكي « جون بادو » بخطاب شخصي منه إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص :

« عزيزى السيد الرئيس

في اثناء نقاشنا الذى جرى يوم الأحد اشترت امامكم إلى معلومات سمعتها عن التأييد الكوبي لحكومة الجزائر في نزاعها الحالى مع المغرب . وقد راجعت بعناية آخر التقارير المتاحة من المخابرات ، ويتضح منها ان هناك سفينتين كوبيتين على الأقل دخلتا ميناء « وهران » وتواتر انهما تنقلان دبابات واسلحة . وهناك سفينة كوبية ثالثة وردت إلينا اخبار موثوقة بانها في الطريق .

واستنتج مما تقدم ان الكوبيين يحاولون تقديم عون عسكري ضخم إلى الرئيس بن بيل .

مع الاحترام .

جون س. بادو

السفير الأمريكى

وفي يوم ٣١ أكتوبر عاد « جون بادو » فكتب خطابا^(٦) آخر إلى « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص :

« عزيزى السيد الرئيس

واصلت عن كذب متابعة التقارير المتعلقة بالمساعدة الكوبية للجزائر ، ويؤخذ من آخر معلوماتى التى يعول عليها انه في الفترة بين ٢١ - ٢٣ أكتوبر قامت سفينة الشحن الكوبية « ارازيليا اجليسياس » بدخول ميناء وهران ، وانزلت منها معدات

(٦) صور من رسائل « بادو » ويتوقعه منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت ارقام ٥٠ و ٥١
صفحة ٩٤٤ ، ٩٤٥

عسكرية متنوعة ، منها دبابات ت - ٣٤ ، وسيارات لوري ، ومدافع هاوتزر من عيار ١٢٢ مم وذخائر . وفي يوم ٢٥ أكتوبر نزل من هذه السفينة بضعة مئات من الكوبيين يرتدون أزياء الجيش الجزائري . وفي ٢٢ أكتوبر هبطت طائرتا نقل كوبيتان من طراز « بريتانيا » في مطار الدار البيضاء في الجزائر ، ونزل منها ما جملته ٣٤٠ فردا من العسكريين .

باحترام .

جون س. بادو
السفير الأمريكي «



كان « جمال عبد الناصر » يعد مسودة رده على « كنيدي » - وكانت تتنازعها عوامل سياسية ونفسية متعددة . كان يريد أن يحتفظ بالعلاقات مع « جون كنيدي » ودية وبأسلوب الحوار طالما أن ذلك كان ممكنا ، وفي نفس الوقت لم يكن يريد أن يغامر بالمساعدات الأمريكية ببساطة في إطار خلافات عاصفة ، وإن كان يراها مؤقتة - لكنه في نفس الوقت لم يكن مرتاحا لنبرة التهديد التي بدأت تظهر في رسائل « كنيدي » ويتكرر ظهورها يوما بعد يوم . كما أن حرصه على المساعدات الأمريكية لم يكن في رأيه كافيا لجعله يتهاون في قبول أى قيد على حرية حركته . وكتب ثلاث مسودات لمشروع الرد ، ولم يرض عن أى منها .

وفجأة ، وفي الساعة التاسعة وعشر دقائق من مساء يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ - أصيب العالم كله بذهول ، وهو يستمع إلى نبا اغتيال الرئيس الأمريكي « جون كنيدي » بطلقات رصاص وجهها إلى ظهره « لى أوزوالد » في أثناء زيارة قام بها الرئيس الأمريكي لمدينة « دالاس » .

لم يكن « جمال عبد الناصر » قد التقى وجها لوجه بـ « جون كنيدي » لكن الرسائل المتصلة والمتبادلة خلقت بينهما نوعا من الصداقة الوثيقة رغم كل أسباب سوء الفهم ، وصعوبة القضايا التي كان عليهما مواجهتها معا .

كان « جمال عبد الناصر » يشعر إلى جانب أسفه الشخصي لاغتيال « كنيدي » - أن الموقف الدولي بعد غيابه عن المسرح سوف يتأثر على نحو أو آخر . وقد التقى بعد عدة أيام من اغتيال « كنيدي » بالسيدة « باندرا نايكا » رئيسة وزراء سيلان ، وأعرب لها عن مخاوفه من احتمالات الموقف الدولي بعد غياب « كنيدي » . وكان يتوقع مرحلة جديدة من الحرب الباردة يثبت فيها « ليندون جونسون » خليفة « كنيدي » في البيت الأبيض قدرته على إدارة شؤون العالم من منظور واشنطن ، ولم

يكن ما يسمعه ويقرؤه عن « جونسون » مشجعا . واقترح-« جمال عبد الناصر » على « باندرا نايكا » أن « الوقت قد حان لعقد مؤتمر جديد على مستوى القمة للدول غير المنحازة ، فأمام هذه الدول على الأرجح مرحلة جديدة من الحرب الباردة لابد أن تتأهب لها حتى لا تفاجأ بأية تطورات » .

وبعث « جمال عبد الناصر » برسالة إلى « نهرو » عن خواطره في هذا الشأن ، ورد عليه « نهرو » بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٦٣ برسالة شخصية جاء فيها :

« صديقي العزيز »

سلمنى سفيركم في دلهي خطابكم إلى وارانسي على اتفاق معك ومع رئيسة وزراء سيلان في ضرورة عقد مؤتمر آخر لبلدان عدم الانحياز في وقت ما في العام القادم . وسوف اظل على اتصال بسفيركم هنا لتطوير هذه المبادرة .

إن ما حدث مؤخرا من اغتيال الرئيس كنيدي ، أبعد عن الساحة الدولية واحدا من المهندسين الرئيسيين لسياسة الانفراج الدولي . وإذا كان الرئيس جونسون قد أعرب عن عزمه على مواصلة سياسات كنيدي ، فإن وفاة الرئيس كنيدي المبكرة وإبعاد يده المتزنة عن توجيه سياسات الولايات المتحدة ، ربما تؤدي إلى إبطاء سير عملية الانفراج .

جواهر لال نهرو «



مساء يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٣ عاد « جمال عبد الناصر » إلى بيته بعد منتصف الليل بعد أن انتهى لتوه من محادثات طالت إلى أكثر من ثلاث ساعات مع « شوين لاي » رئيس وزراء الصين الذي كان يقوم بزيارة رسمية إلى القاهرة وقتها . وممر بمكتبه في الدور الأول من بيته قبل أن يصعد إلى غرفة نومه في الدور الثاني ، لكي يحمل معه ملف التقارير اليومية الذي كان يحرص على الاطلاع عليه كل ليلة قبل أن يأتى إلى فراشه . ومع أنه كان يشعر بإرهاق شديد نتيجة لعمل يوم اتصل حتى منتصف الليل ، فإنه فيما يبدو أراد أن يلقي نظرة - ولو سريعة - على أحداث اليوم ، لكي يتأكد من أنه ليس هناك مسألة تقتضى قرارا عاجلا .

وأوى إلى فراشه وبجانبه ملف ضخمة ، وسحب منه أول مجموعة من الأوراق
يلقى نظرة عليها ، واستغرقه ما قرأ . وقضى الليل ساهرا حتى الصباح يفكر فيه .
كان ما قرأه يحمل عنوان « توصيات الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء
أركان حرب الجيوش العربية في الدورة السابعة غير العادية المنعقدة في المدة من ٧ -
٩ ديسمبر ١٩٦٣ » - وكان برفقة هذا التقرير بالتوصيات تلخيص لمحضر اجتماع
رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، ومجمل لوقائع المناقشات التي دارت بينهم .

لقد وضع أمامه أن رؤساء أركان حرب الجيوش العربية^(٧) يقفون أمام مأزق
لا يستطيعون تجاوزه . وكان المأزق سياسيا لأن الحكومات العربية عهدت إلى مجلس
الدفاع المشترك منذ أكثر من سنة بأن يدرس الوسائل الكفيلة بمنع إسرائيل من إتمام
مشروعها لتحويل مياه الأردن . ثم نسيت هذه الحكومات العربية كل شيء عن
الموضوع ، وانهمكت في خلافاتها الداخلية والعربية . وأحس « جمال عبد الناصر »
وهو يقرأ أوراقه أن رؤساء أركان الحرب يوجهون نداء استغاثة إلى السياسيين الذين
وضعهم أمام مهمة مستحيلة ، وتركوهم هناك وانصرفوا عنهم إلى شواغلهم
الصغيرة .

وعند الفجر طلب « جمال عبد الناصر » تليفونيا من مكتبه أن يتصل باللواء
« عبد المنعم رياض » وهو عضو في الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء أركان
حرب الجيوش العربية - حتى يجيء إلى مقابله في الساعة الثامنة صباحا ، لكي
يسمع منه تفصيلا حقائق ما دار في الاجتماع .

ووصل « عبد المنعم رياض » في موعده ، وبدأ على الفور يقدم تقريراً
شفويا إلى « جمال عبد الناصر » عما جرى في الاجتماعات . وكانت الصورة التي
رواها « عبد المنعم رياض » قاتمة ، فشعور قادة الجيوش العربية كله مرارة ،
وإحساسهم بالعجز شديد وهم يرون أنهم يكلفون بمهام لا يجدون تحت تصرفهم
وسائل تنفيذها ، في الوقت الذي يقوم فيه السياسيون بمزايدات هدفها إحراج
بعضهم البعض بينما إسرائيل ماضية في مشروعاتها بدون توقف .

يوم ١٦ ديسمبر حضر « جمال عبد الناصر » وكان معه « شوين لاي » احتفال
عيد العلم في جامعة القاهرة . ثم تحولت زيارة « شوين لاي » من زيارة رسمية إلى
زيارة شخصية لأن رئيس وزراء الصين كان يريد أن يخصص ثلاثة أيام للتعرف على
حضارة مصر القديمة .

(٧) اشترك في الاجتماعات رؤساء أركان حرب جيوش . الأردن والجزائر والسودان والعراق والسعودية
وسوريا ومصر واليمن والكويت ولبنان وليبيا مع الأمين العام لجامعة الدول العربية ، بالإضافة إلى مقرر الهيئة
الاستشارية العسكرية التابعة لمجلس الدفاع المشترك .

وتفرغ « جمال عبد الناصر » للموضوع الذى أصبح شاغله مستوليا على كل اهتمامه وفكره .

كان تفكيره يتحرك على الخطوط التالية :^(٨)

١ - إن الأوضاع فى العالم العربى تتطلب خطوة كبيرة تضعه على طريق آخر غير هذا الطريق الذى يسير فيه الآن .

٢ - إذا كنا نفكر ونعد لمؤتمر قمة لدول عدم الانحياز - فمن باب أولى أن نفكر ونحاول عقد مؤتمر على مستوى القمة للعالم العربى . خصوصا وأن أى تعديل أساسى فى المسار العربى لا يمكن تحقيقه الآن إلا على مستوى القمة . خصوصا وأن إمكانيات أى عمل وحدوى ليست متاحة فى الوقت الراهن ، ومن الصعب الاقتراب منها - كما أن سياسة المحاور لم تؤد فى الماضى إلا إلى زيادة الاستقطاب العربى .

٣ - إنه مهما كانت الصعوبات والحساسيات التى تحكم الموقف العربى الآن ، فإن المحاولة تستحق أى جهد يبذل فيها .

٤ - إنه إذا أمكن عقد مؤتمر قمة عربى ، فإن مثل هذا المؤتمر قد يكون الاطار الذى يمكن أن تتحقق فيه تصفية لمشاكل الماضى أو لبعضها (ويمكن أن يكون بينها مشاكل اليمن والصراع الجزائرى - المغربى ، الخ) .

٥ - إذا أمكن الوصول إلى ذلك ، أو إلى شئ قريب منه ، فإنه يمكن وضع برنامج عمل للمستقبل . خصوصا فيما يتعلق بأزمة تحويل مياه الأردن وبقية جوانب المشكلة الفلسطينية .

ويوما بعد يوم كان « جمال عبد الناصر » يزداد اقتناعا بإمكانيات فكرته . وكان على موعد مع جماهير بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ليتحدث فى احتفالات الذكرى السابعة لانتصار السويس سنة ١٩٥٦ . وانتهاز الفرصة ، وصارح الجماهير بما يشغل خواطره . تحدث عن مؤتمر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، وقال : « إننا وضعناهم فى حلقة مفرغة » ، ثم استطرذ ليقول : « إن العسكرية تابعة للسياسة » . ثم وصل إلى قوله : « لقد جاء الوقت لكى نتكلم جدا ، فنحن لا نستطيع أن نقول فى العلن إننا على استعداد لاستخدام القوة لمنع تنفيذ المشروعات الاسرائيلية ، ثم نقول فى الحجرات المغلقة إننا عاجزون عن

(٨) مجموعة أوراق تحوى تفاصيل مقابلة مع « جمال عبد الناصر » فى بيته فى الساعة التاسعة صباحا يوم ١٧ ديسمبر ١٩٦٣ .

استخدامها . لقد آن أن نكف عن المزايدات ، فإذا كنا نستطيع الحرب نحارب وإذا كنا لا نستطيع فعلينا أن نستعد ، وأنا لا أستحي من أن أقف أمامكم لأقول إننى لا أستطيع أن أحارب الآن . ولا أرضى لنفسى أن أقامر بالبلد فى مزايدة لا أعرف أولها ولا آخرها . ثم أعلن اقتراحه المحدد بالدعوة لاجتماع للملوك والرؤساء العرب على مستوى القمة لبحث كل قضايا المصير سياسيا حتى يكون رؤساء أركان حرب الجيوش على نور وثقة فيما يكلفون به .



وفى اليوم التالى لالقاء هذا الخطاب - أى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٣ - قامت وزارة الخارجية المصرية بإرسال نسخة منه إلى السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية ، ومعه خطاب رجته فيه أن يعتبر هذا الخطاب طلبا رسميا من حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتوجيه الدعوة إلى مؤتمر على مستوى القمة لدول الجامعة العربية .

وفى نفس اليوم أعلنت كل من العراق واليمن ولبنان والأردن وسوريا والكويت والجزائر موافقتها على عقد المؤتمر . ولم يصدر رد عن السعودية ، ومع ذلك فإن الأمين العام لجامعة الدول العربية أعلن أنه يقترح عقد المؤتمر يوم الاثنين ١٣ يناير ١٩٦٤ . وتلقى موافقات كل الدول العربية التى سبق لها الاعلان عن قبول الاقتراح الاصلى به . ومرة أخرى كان الصمت ينزل بالرياض ، وإن كانت الأنباء قد تسربت من العاصمة السعودية بوجود خلاف بين الملك « سعود » وبين نائب الملك الأمير « فيصل » حول أيهما يحضر الاجتماع ويمثل السعودية فيه . وكان « جمال عبد الناصر » يتمنى أن يكون الأمير « فيصل » هو رئيس الوفد السعودى ، فلم يكن هناك شك فى أن نائب الملك - وليس الملك - هو القوة الحقيقية التى تملك القرار السعودى . ولم يتحقق ما تمناه ، ولم تلبث السعودية أن أعلنت موافقتها على حضور الاجتماع ، ثم كان إعلانها بأن الملك « سعود » هو الذى سيرأس وفد السعودية إلى المؤتمر .

وَجرت عملية إعداد سريع للمؤتمر ، فتقرر أن تتم جلسات القمة فى مبنى جامعة الدول العربية - على أن يخصص فندق « هيلتون » المجاور له لإقامة الوفود . وتم بناء جسر مباشر بين الفندق ومبنى الجامعة العربية تنتقل عليه الوفود من مكان إقامتها إلى مقر عملها دون أن تتسبب مواكبها فى إرباك الحياة العادية فى القاهرة .



وفي الظروف الموضوعية التي انعقد فيها المؤتمر - فليس هناك شك في أن نتائجه كانت إيجابية . فقد استطاع في عمل عدة أيام أن يحقق عددا من النتائج الهامة كبدية يمكن أن تكون مبشرة بخير ، إذا أمكن المحافظة على قوة الاندفاع :

١ - وضع المؤتمر الخطوط العامة لمشروع عربى لتحويل مياه الأردن داخل البلاد العربية ، ودون التعرض للمشروع الاسرائيلي حتى لا تتذرع إسرائيل بدعوى الدفاع عن النفس . وكان تنفيذ المشروعات العربية كفيلا بالحصول على مياه الأردن قبل أن تصل إلى المشروعات الاسرائيلية ، وبالتالي فقد كانت تلك وسيلة لتحقيق المطلوب العربى من موقف الدفاع ، وليس من موقف الهجوم .

٢ - ووضع المؤتمر خطة لانشاء قيادة عربية موحدة تكون مهمتها حماية تنفيذ المشروعات العربية لتحويل مياه الأردن على الاراضى العربية - والتصدى لى استفزاز يصاحب عملية التنفيذ ، أو يحاول عرقلتها مباشرة أو بطريق غير مباشر . كذلك اعتمد المؤتمر الموارد المالية اللازمة للتسليح والتدريب والقيادة المشتركة ، كما خصص قوات من كل بلد لكى توضع تحت تصرف هذه القيادة المشتركة .

٣ - وضع المؤتمر مشروعا لاقامة كيان فلسطينى مستقل يستطيع أن يمثل الشعب الفلسطينى ويعبر عنه ، مع المحافظة في نفس الوقت على أمن الأردن الذى يملك أطول خطوط مواجهة مع إسرائيل . وقد عهد المؤتمر إلى السياسى الفلسطينى المخضرم الأستاذ « أحمد الشقيرى » ببدء العمل لانشاء هذا الكيان الذى تحول فيما بعد إلى « منظمة التحرير الفلسطينىة » .

ولم يكن ممكنا أن يصل المؤتمر إلى هذه القرارات إلا إذا كانت المقدمة لها رغبة جادة في تصفية الخلافات العربية ، وحوارا بناء لازالة رواسبها وشوائبها . وقد تحقق من ذلك شوط لا بأس به ، وإن كان غياب الأمير « فيصل » قد جعل مناقشة أزمة اليمن وإنهاء ذيولها رغبة مؤجلة لأن مثل هذا الجهد مع الملك « سعود » لم تكن هناك جدوى منه . ومع ذلك ، فقد تطوع العراق والجزائر لبذل وساطة مع الأمير « فيصل » حتى يمكن حل أزمة اليمن في إطار عربى - عربى يغنى عن الدور الأمريكى الذى راح يخلط بين أزمة اليمن ، وأزمات أخرى في المنطقة وفي العالم .

ولم تمض أيام بعد انتهاء مؤتمر القمة العربى حتى طار المشير « عبد الحكيم عامر » والسيد « أنور السادات » ومعهما الدكتور « شامل السامرائى » وزير الصحة العراقى ممثلا للرئيس « عبد السلام عارف » والسيد « أحمد توفيق المدنى » وزير

الأوقاف الجزائرى ممثلا للرئيس « أحمد بن بيل » . ودارت فى الرياض محادثات مكثفة ، ثم صدر بيان يعلن الاتفاق على عودة العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، مع اتفاق البلدين على التأييد المطلق لاستقلال اليمن وحرية شعبه ، والتعهد بحل أية خلافات بطريق الحوار الودى .

كان على القمة العربية أن تعود للاجتماع فى شهر سبتمبر فى الاسكندرية ، لكى تراجع ما تم فى تنفيذ مقررات اجتماعها الأول .

وفى الوقت الذى كان فيه العالم العربى يتابع ما يجرى ، وينتظر خطوات التنفيذ - لم تكن إسرائيل على استعداد للانتظار . وأصدر مجلس الوزراء الاسرائيلى بيانا أذاعه رئيسه « ليفى أشكول » يقول فيه : « إن قرارات مؤتمر القمة العربى تضمنت تهديدا باستعمال القوة المسلحة ضد إسرائيل ، وأنه - أى أشكول - على استعداد للسفر فورا إلى الولايات المتحدة ، لكى يبحث مع الرئيس الأمريكى الجديد ليندون جونسون مخاطر التهديدات التى تتعرض لها إسرائيل بسبب تجمع العالم العربى ضدها » .



كان « ليندون جونسون » الرئيس الجديد للولايات المتحدة الأمريكية شخصية من أعقد الشخصيات التى عاشت فى البيت الأبيض - رغم أن قائمة الذين سكنوا هذا البيت فريدة فى نوعها وداعية للتأمل !

كان وصول « جونسون » إلى الساحة السياسية فى العاصمة واشنطن قادما من حافة مدينة صغيرة فى « تكساس » - طريقا مليئا بالمنحنىات والتعرجات والالتواءات ، لدرجة أن مؤرخه الرسمى « روبرت كارو » لم يجد وصفا مهذبا للمخص تاريخ حياته إلا أنها « سلسلة من الصفقات معظمها بطريقة المقايضة » !

وقد عبر « روبرت كنيدي » - شقيق الرئيس « كنيدي » - عن ذلك بصورة أخرى اشتهرت عنه ، وهى قوله : « إن وصول « ليندون جونسون » إلى حيث وصل

ليس فقط دليلا على جدية الديمقراطية الأمريكية التى تسمح لأى من كان بالوصول إلى أى مكان - وإنما هو أيضا دليل على صحة القول بالفصل بين السياسة والأخلاق » .

ولقد وصل « ليندون جونسون » إلى حيث أصبح زعيما للأغلبية الديمقراطية ، ومن هناك راودته أحلام الرئاسة ، ولقد كان نفوذه يمكنه من الحصول على ترشيح حزبه للانتخابات ، ولكن مناخ الشك العام المحيط بشخصيته كان يجعل فوزه في الانتخابات مسألة غير مضمونة . فالحصول على ترشيح الحزب قد يكون مسألة « صفقات » ، ولكن الفوز في الانتخابات يتطلب « صورة » جذابة !

ولقد ظن الذين نظموا وأداروا حملة الحزب الديمقراطى في انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٠ أنهم توصلوا إلى المعادلة الصحيحة : « كنىدى » لمنصب الرئيس بصورته الجذابة ، و « جونسون » لنائب الرئيس بنفوذه خصوصا في الجنوب بما فيه معقله الأصيل في ولاية تكساس ، وكان هذا المزيج من الجاذبية والنفوذ ، يعطى الحزب الديمقراطى ميزة كبيرة على الحزب الجمهورى ، وقد حدث .

وكان كل المحيطين بـ « كنىدى » يكرهون « جونسون » وكان هو يبادلهم الكراهية أضعافا ، وكانت الهوة بين الفريقين واسعة ، فمجموعة « كنىدى » من رجال الفكر ، ومجموعة « جونسون » من رجال السوق ، وهما عنصران غير قابلين للامتزاج . وهكذا فإن مكتب الرئيس ، ومكتب نائب الرئيس في نفس الطابق من البيت الأبيض كانت بينهما مسافات شاسعة ، ولم يكن رجال الرئيس على أى حال مهتمين بمشاعر نائب الرئيس ، فهو رجل بلا مستقبل ، فرجلهم أصغر عمرا منه ، وإذا جرت الأمور في مسارها الطبيعى ، فإن « كنىدى » سوف يعيش بعد « جونسون » وبالتالي فإن « جونسون » سوف يقضى بقية عمره على الهامش مثل معظم نواب الرئيس في الولايات المتحدة . خصوصا إذا كانوا أكبر عمرا من رؤسائهم بحيث لا ينتظر لهم أن يرشحوا أنفسهم بعدهم .

وربما كان وجه الشبه الوحيد بين « كنىدى » و « جونسون » ، غرام كل منهما الزائد بالجنس الآخر ، ومع ذلك فقد كان الأسلوب لدى كل منهما مختلفا .

وكان « كنىدى » وهو في وسط معركة الرئاسة طرفا في غرام مع « مارلين مونرو » . وأما « جونسون » فقد دس نفسه عاريا في فراش سكرتيرة من مكتبه كانت نائمة في بيته في « تكساس » حيث ذهب إليه لأول إجازة بعد توليه الرئاسة ، وانتدبت هى لمرافقته كحلقة اتصال مع مكتبه في البيت الأبيض في واشنطن ، وحين تنبعت السكرتيرة إلى أن رجلا دخل معها إلى الفراش في غرفة

النوم ، وانتفضت لتقوم وجدت يدا تمسك بها ثم سمعت صوتا لاهنا يقول لها :
« اطمئنى يا طفلى هذا رئيسك » " Relax baby, this is your President " (٩)



وعندما دخل « ليندون جونسون » لأول مرة إلى المكتب البيضاوى رئيسا
للولايات المتحدة دعا كل رجال « كنىدى » إلى اجتماع معه ، وقال لهم بطريقة
مسرحة :

« أنتم أول من يعرف أننى أجهل كل شئ عن سياسات العالم ، فذلك لم يكن
مجال اهتمامى . إننى كنت دائما فى وسط السياسة المحلية ، وأعرف عنها الكثير ،
وأما خارج ذلك فليست لى وسيلة إليه غيركم أنتم . وأنا أريدكم أن تبقوا معى ليس
من أجلى ، ولكن من أجل الولايات المتحدة . »

ثم بدأ يمسح دموعا سالت من عينيه .

ويقول كبير مستشارى « كنىدى » وهو « ماك جورج باندى » :

« كنت أعرف أنه يمثل ، ولكن جهله كان حقيقة لا يمكن إنكارها . ولقد قبلت -
وقبل غيرى - أن نتعاون معه ، ولكننا فعلنا ذلك ليس لأننا اقتنعنا بحسن نواياه ،
ولكن لأنه لم يكن هناك بديل آخر . »

ومع ذلك ، فلم تكذ تنقضى شهور بعد وفاة « كنىدى » حتى بدأ معظم رجاله
يشعرون أن الحياة لا تحتل مع السيد الجديد فى البيت الأبيض ، وبدأوا يجدون
طريقهم إلى أبواب الخروج واحدا بعد الآخر .



ولقد كانت معرفة « جونسون » بالسياسة الداخلية للولايات المتحدة هى التى
قادتته إلى الاقتراب إلى حد الالتصاق بجماعات الضغط اليهودى فى الولايات المتحدة ،
فقد كان تأثير هذه الجماعات أقوى وأظهر ما يكون فى مجالات التبرعات بالمال
للحملات الانتخابية ، وعدد الأصوات التى ترجح الحساب فى الدوائر والولايات ،
وإمكانات التأثير غير الظاهر فى وسائل الاعلام .

وفى يوميات « ايزنهاور » خلال « أزمة السويس » إشارات متعددة لـ « ليندون

(٩) وردت الإشارة إليها فى كتاب « كارو » عن سيرة « جونسون » وهو المؤرخ الشخصى له ، كما نشرتها
صحيفة « نيويورك تايمز » ، ثم رددتها مجلة « تايم » ضمن مقال عن الحياة الشخصية للرؤساء الأمريكين .

جونسون « باعتباره « عمدة أصدقاء إسرائيل والمدافع عن وجهات متحمسا في البداية لترك البريطانيين والفرنسيين والاسرائيليين يقومون التي أعدوا أنفسهم للقيام بها » ثم مطالبا بعد ذلك بعدم مشاركة الولايات الامم المتحدة في ممارسة أى ضغط على إسرائيل للانسحاب من سيناء انسحاب البريطانيين والفرنسيين من بورسعيد . ويشعر القارئ « ايزنهاور » أنه لم يكن معجبا بـ « جونسون » ولكنه كان متحسبا ولم تكن علاقات « جونسون » الخاصة بإسرائيل غائبة عن القاهرة فإن أحدا لم يعتبرها عاملا مؤثرا لأن نائب الرئيس كان أبعد ما يكون وقتا صنع القرار ، وعندما أصبح القرار الأمريكي كله في يد « جونسون » القاهرة إليه ، وكان اهتماما مشوبا بكثير من الحذر والتوجس .



كانت بداية العلاقة بين « جونسون » والقاهرة سوء تفاهم أوجد البيت الأبيض في عهد « جونسون » . فبعد يومين من اغتيال « كنيدي الخارجية في القاهرة برقية رمزية من سفيرها في واشنطن الدكتور « مص » برقم ٦٩٩١ / ٣٩٥ جاء فيها :

« رسالة عاجلة لسكرتارية الرئيس :

١ - نشرت الصحف اليوم ان السيد الرئيس تفضل وارسل برقية الرئيس الراحل كنيدي .

٢ - لم تصل بعد برقية عزاء لرئيس الجمهورية الجديد .

٣ - اتصل بى مسؤول البروتوكول في البيت الأبيض مستفسرا عما إذا برقية عزاء إلى الرئيس ، فلم يصلهم من القاهرة شيئا حتى الآن . وقد اسما عما إذا كانت لدينا نسخة من برقية العزاء التي يفترض ان يكون السينا بعث بها إلى الرئيس جونسون .

٤ - نرجوكم إفادتنا بسرعة ما إذا كانت برقية عزاء قد ارسلت إلى رئيسر الجديد .

(١٠) رجاء مراجعة كتاب « ملفات السويس » صفحة ٥٨٤ والاشارة الواردة في يوميات « ايزز » ٣٨٧ .

ولم يكن هناك قصد متعمد في تأخير إرسال برقية عزاء لـ « جونسون » وإن كانت طبيعة المشاعر الانسانية قد استدعت التعجيل بإرسال برقية عزاء إلى « جاكليين كنيدي » قبل أى طرف آخر . وقد أبدى بروتوكول وزارة الخارجية دهشته من أن يلاحظ البروتوكول في البيت الأبيض تأخر وصول برقية عزاء من القاهرة إلى الرئيس الجديد وسط زحام البرقيات التى كانت تنهال على البيت الأبيض في ذلك الوقت . ومع ذلك لم يتوقف أحد طويلا أمام هذه الملاحظة .



وفي يوم ٦ فبراير ١٩٦٤ توجه الرئيس الأمريكى الجديد لأول مرة باهتمامه إلى شؤون الشرق الأوسط ، وكان اختياره للمنبر الذى قرر إظهار اهتمامه بالشرق الأوسط من خلاله منبرا غريبا . فقد ظهر في اجتماع لجمع التبرعات لمعهد « وايزمان » - وهو أرقى المعاهد العلمية في إسرائيل - لكى يعلن أن الولايات المتحدة قررت أن تتعاون مع إسرائيل في إيجاد طريقة رخيصة لتحويل مياه البحر المالحة إلى مياه عذبة صالحة للرى وللشرب ، وذلك ضمن سياسة استخدام الذرة من أجل السلام ، ثم أضاف « جونسون » إلى ذلك في خطابه إشارة إلى رسالة « ليفى أشكول » إليه في أعقاب مؤتمر القمة العربى ، والتى قال فيها « أشكول » إن « قرارات مؤتمر القمة العربى تضمنت تهديدا باستعمال القوة المسلحة ضد إسرائيل ، وأنه على استعداد للسفر إلى الولايات المتحدة لكى يبحث مع الرئيس الأمريكى الجديد مخاطر التهديدات التى تتعرض لها إسرائيل بسبب تجمع العالم العربى ضدها » . وعلق « جونسون » على ذلك بقوله : « إن الولايات المتحدة ستواصل سياستها الحيادية في الشرق الأدنى إلا أنها مستعدة للوقوف مع أى دولة في المنطقة يقع عليها عدوان من دولة أو دول أخرى في المنطقة » . ولم يكن في هذا القول على إطلاقه ما يدعو إلى القلق ولكن وروده في سياق خطاب في معهد « وايزمان » وفي أعقاب إعلان تعاون مع إسرائيل لتحلية المياه عن طريق الطاقة النووية - وكذلك في سياق الرد على رسالة « ليفى أشكول » - كان يحمل إيماءات يصعب تجاهلها .

ولم تشأ القاهرة أن ترد بسرعة على تصريحات « جونسون » وتقرر تشكيل لجنة عمل خاصة من وزارة الخارجية ، وهيئة الطاقة الذرية ، وهيئة المخابرات العامة لتقييم الدلالات الحقيقية التى ينطوى عليها بيان الرئيس الجديد ، وأهمها ما يتعلق باتفاق التعاون العلمى والفنى بين الولايات المتحدة وإسرائيل في مسألة تحلية مياه البحر . وطلب « جمال عبد الناصر » إلى الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية أن يقوم باستدعاء السفير الأمريكى « جون بادو » وبلغه بقلق حكومة الجمهورية العربية المتحدة الشديد إزاء تصريحات « جونسون » .

وكتب الدكتور « محمود فوزى » بعد اجتماعه بالسفير تقريراً عما دار بينهما جاء فيه بالنص: (١١)

« جاء السفير الأمريكى لمقابلتى بناء على دعوة منى . أبلغته بما لا يقبل اختلاف التفسير والاجتهاد قلق الحكومة من البيان الذى أعلنه الرئيس جونسون فى معهد وايزمان . قلت له مبتدئاً إن وايزمان كما لعله يتذكر هو مؤسس دولة إسرائيل ، وأن يختار الرئيس الجديد هذا المكان بالذات لبيان عن السياسة الأمريكية أمر لا يدعونا إلى التفاوض والغبطة . ونحن لا نستطيع أن نرد ما قاله الرئيس جونسون إلى ضرورات الحملة الانتخابية كما فعلنا إزاء تصريحات له سبقت من قبل فى اجتماعات حزبية . فهو الآن فى البيت الأبيض وفى مكان السلطة .

ومن الناحية الموضوعية ، فإن لدينا ملاحظات أجملتها للسفير الأمريكى فيما يلى :

١ - إننا إذا صدقنا ما قاله الرئيس جونسون - وليس إمامنا غير أن نصدقه ، فمعنى ذلك أن الولايات المتحدة سوف تقدم لإسرائيل مفاعلاً نووياً ضخماً يستطيع تنفيذ المطلب المتفق عليه .

٢ - إن النتيجة التى سوف تترتب على هذا هى أن الولايات المتحدة تعزز إتاحة الفرصة لعلماء إسرائيليين ، لكى يتدربوا على أيدى علماء أمريكيين على كيفية التعامل وإدارة مفاعل نووى ضخم .

٣ - بالتوازي مع ذلك فإن هذا الوضع سوف يتضمن - مهما كانت النوايا - فرصة أن يتعرف العلماء الاسرائيليون على الامكانيات الأمريكية بتعمق خاص ، وهى ميزة ليست متاحة للعرب

٤ - ونظراً لحجم مثل هذا المفاعل وقوته ، فسوف يكون استخدامه لليورانيوم عالياً ، وبالتالي فسوف تنتج عن التشغيل كميات من مادة البلوتونيوم التى قد تتيح الفرصة لإنتاج أسلحة نووية .

وعدنى السفير بأنه عائد إلى حكومته فمبلغها بقلقلنا ، ثم عائداً إلى بما يروونه من إيضاحات ملائمة .

إمضاء

محمود فوزى

وفى يوم ١٤ فبراير ١٩٦٤ طلب السفير الأمريكى « جون بادو » مقابلة الدكتور « محمود فوزى » وقدم إليه مذكرة مكتوبة بالرد على التساؤلات القلقة لحكومة الجمهورية العربية المتحدة .

(١١) أرشيف وزارة الخارجية المصرية ، وكان اصل هذا التقرير محفوظاً فى غرفة المحفوظات الخاصة بالوزير ، وهى مجاورة لمكتبه وتقع تحت السلم فى المقر الرسمى لوزارة الخارجية المواجه لمبنى الجامعة العربية .

وكان الرد الأمريكى كما يلى بالنص: (١٢)

« ينتاب حكومة الولايات المتحدة قلق بسبب ما يبدو من سوء فهم في دوائر الجمهورية العربية المتحدة بشأن اعتزام الولايات المتحدة مواصلة سياستها للتعاون مع جميع الدول في الشرق الأوسط دون تحيز . وهى تأسف بصورة خاصة لمحاولات الصحف العربية تفسير خطبة الرئيس جونسون بتاريخ ٦ فبراير بأنها تعنى تعديلا في سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط . لقد كان بيان الرئيس تأكيدا مجددا للرغبة المستمرة للولايات المتحدة في التعاون مع جميع دول المنطقة وليس حيادا عن هذه الرغبة

والولايات المتحدة رغبة في التعاون مع جميع البلدان في تكنولوجيا إزالة ملوحة مياه البحر ، سواء ما كان منها نوويا أو غير نووى ، ومما يدل على ذلك أن فنىي الولايات المتحدة من المقرر زيارتهم للمملكة العربية السعودية في الشهر المقبل لاستكشاف إمكانات إزالة ملوحة مياه البحر هناك . وإن الولايات المتحدة لترحب بالتعاون العلمى والتقنى بين حكومتينا . ونحن نعلم بأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة معنية في المقام الأول باستغلال مصادر مياه النيل ، إلا أن تحويل الماء المالح إلى ماء عذب بالفصل الغشائى الكهربائى بالاستعانة بالطاقة من السد العالى ، أو من (منخفض) القطارة هو مشروع يبدو أن له إمكانات للنجاح ، وبالمثل ربما برهن استخدام الموارد البترولية في منطقة البحر الأحمر في تغطية مياه البحر بالوميض المتعدد على أنه مشروع مجد .

وفيما يتعلق باستخدام الطاقة النووية في إزالة ملوحة المياه ، فإن حكومة الولايات المتحدة يهملها أن تؤكد سياساتها السلمية إلى التوصل إلى نزع سلاح خاضع للإشراف على أساس علمى ، وهى تعترض اعتراضا جازما على انتشار الأسلحة النووية . وتمشيا مع هذه السياسات ، فسنبقوم بتهيئة الضمانات المعتادة للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، أو أى ترتيبات مماثلة لأجراء الرقابة على أى مشروعات للمعونة تستخدم التكنولوجيا النووية .

وهكذا نقدم معونة غير متحيزة لجميع الدول التى ترغب في زيادة مواردها المائية من خلال إزالة ملوحة مياه البحر ، مع التأكيد في الوقت عينه عن طريق المراقبة الدولية من أن أى تكنولوجيا نووية داخلية في الأمر لن تستخدم إلا للأغراض السلمية . وهذا العرض يتمشى مع سياستنا العامة في الشرق الأدنى التى تسعى إلى تعزيز استقلال جميع الدول من خلال المعونة الاقتصادية ، وتحول في الوقت عينه دون أى صراع يمكن أن يمتد إلى خارج المنطقة . ونعتقد اعتقادا جازما بأن مصالحنا في هذه الأمور إنما تتساوى بصورة عامة مع مصالح جميع بلدان المنطقة ، ويهملنا ضمان ألا تؤول سياساتنا خطأ بأنها تتحيز لأى بلد واحد ، أو مجموعة من البلدان . »

(١٢) وثائق وزارة الخارجية الأمريكية ، وكذلك إرشيف منشية البكرى ، وإرشيف وزارة الخارجية المصرية

ومع أن الرد بدا مائعا ، فإن القاهرة أثرت الانتظار ومتابعة التطورات .



ويبدو أن « جونسون » أحس - وربما بتأثير بعض مستشاريه الباقين من عهد « كنيدي » - بأنه تصرف على نحو آثار الشكوك العربية إزاء إدارته بدون مبرر ، وفي وقت مبكر من رئاسته ، مما قد يحدث مضاعفات قد تؤثر على التوازنات الحرجة في المنطقة بدون ضرورة في هذه الظروف . وهكذا في ٢٧ فبراير ١٩٦٤ بادر « جونسون » إلى كتابة أول خطاب شخصي^(١٣) منه إلى « جمال عبد الناصر » ، وكان نصه كما يلي :

« البيت الأبيض

واشنطن

٢٧ فبراير ١٩٦٤

سرى

عزيزي السيد الرئيس

قرات بعناية مراسلاتكم المسهبة مع الرئيس كنيدي ، وإننى ماخوذ بما كشفت عنه من مقدار الاحترام والتفاهم المتبادلين ، كما أحسست بأن هناك إرادة صادقة للسير قدما فيما نستطيعه من مجالات ، تاركين جانبا القضايا التي نختلف فيها بحكم الضرورة ، وعاملين على الحد من وطأتها . ومن جانبى ، يهمنى استمرار هذا الشعور بالثقة المتنامية بين الجانبين ، وقطع الطريق على إساءة تفسير سياسات بعضنا البعض مما اضر بعلاقتنا في الماضى .

ويهمنى في هذا السبيل أنؤكد لكم شخصا باننا مصرون إصرارنا في أى وقت مضى على السير قدما بسياسات التعاون البناء داخل الأمم المتحدة ، وخارجها مع الحكومات الأخرى التي لها مثل هذه النية . ولهذا اطلع إلى استمرار التعاون المثمر مع حكومتكم ، ومع الحكومات الأخرى في الشرق الأوسط ، وإلى تبادل الآراء معكم حول مصالحنا المتبادلة .

وفي اعتقادى أن الاهتمام الرئيسى للزعماء في جميع الأمم ينبغى أن ينصب اليوم على الحيلولة دون تكاثف سحب الحرب . فقد اضاف العالم النووى إلى الحرب أبعادا جديدة مفزعة ، ولا سبيل إلى جعل العلم النووى علما سلميا عوضا عن تسخيرهِ عسكريا إلا بالتعاون والتفاهم الدوليين ، العميقين والدائمين . ولكم أن تثقوا في أننا سنظل نعارض الانتشار النووى في أى منطقة من العالم .

ولما كان لا معدى للامم عن أن تختلف ، ففي اعتقادنا إنه يتعين علينا أن نحاول بكل

(١٣) مجموعة وثائق مكتبة « ليندون جونسون » ، في تكساس ، وهذه الرسالة موجودة في الصندوق رقم ٩٤ ويضم أوراق « جونسون » الخاصة بالشرق الأوسط - وتوجد نسخ من الرسالة في أرشيف منشية البكرى ، ومكتب نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، إلى جانب نسخة ثالثة في مكتب وزير الخارجية .

مناورة إحراز ما يستطيع إحرازه من تقدم في تسوية القضايا المتنازع عليها . وعليها في الوقت عينه أن تركز على توسيع مجالات الاتفاق . وقد اغتبطت بالناكيد الأخير لزعماء العرب الذين اجتمعوا في القاهرة للنظرية القائلة إن على الأمم أن تحل خلافاتها بالوسائل السلمية . وإننا لنقر بالحنكة السياسية التي دعت إلى التضييق من أسباب المظالم خدمة للمصلحة العامة ، والتي أنشأت جواً من التعاون فيما بين الحكومات العربية المختلفة . وإننا لنرحب بإمكان عودة الأمور إلى حالتها الطبيعية في اليمن ، وضبط النفس في المشكلة العربية الاسرائيلية ، وتزايد إمكانات الجامعة العربية في التعاون البناء .

لهذا أمل أن نستطيع في الأشهر المقبلة العمل معاً لتوسيع مجالات المصلحة المشتركة ، وتضييق ما قد نختلف فيه . ويهمني في هذه الأثناء أن يستمر الحوار الصريح الودي الذي أسهم فعلاً في التفاهم بين حكومتينا . وستكون بضع السنين المقبلة عبئاً على كلينا ، ولكن للولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة الكثير الذي تكسبانه من خلال العلاقات الطيبة ، بحيث يتعين على كلينا الجهاد في سبيل المحافظة على (هذه المكاسب) والتوسع فيها عوضاً عن ترك امتينا تنجرقان إلى التبعاد .

المخلص

ليندون ب. جونسون

وانتظر « جمال عبد الناصر » عدة أسابيع قبل أن يرد على رسالة « جونسون » كان خلالها يحاول تقييم موقف الرئيس الأمريكي الجديد ، ويدرس طبيعة ارتباطاته السابقة والراهنة .

وكان هناك سبب آخر للانتظار ، فقد اتصل السفير الأمريكي « جون بادو » بالدكتور « محمود فوزي » وأبلغه أن مساعد وزير الخارجية الأمريكية « فيليبس تالبوت » ينوي زيارة القاهرة في الأسبوع الأول من شهر مارس ، ويرجو أن يقابل الرئيس لكي يؤكد له أنه ليس هناك تغيير في السياسة الأمريكية تجاه العالم العربي . ووصل « فيليبس تالبوت » إلى القاهرة يوم ٢ مارس ، والتقى بالرئيس « جمال عبد الناصر » يوم ٣ مارس ، وقضى معه ساعتين كاملتين . ولم يستطع « تالبوت » أن يخفف من شكوك « جمال عبد الناصر » ولعله نجح في تحقيق العكس ، فقد طرح مرة أخرى قضية الصواريخ المصرية ، وقضية صناعة الطائرات ، وقضية النشاط النووي في الجمهورية العربية المتحدة ، ثم عاد إلى ما سبق أن طرحه « جون ماكلوي » حول أفضلية قيام الولايات المتحدة بالتفتيش على المنشآت المصرية في هذه المجالات الثلاثة معاً .

وبعدها قرر « جمال عبد الناصر » أن يرد على رسالة « جونسون » وفي حدود ما أثاره الرئيس الأمريكي فيها فعلاً ، وتجاهل ما جاء به « فيليبس تالبوت » بعدها .

وكانت تلك مشورة الدكتور « محمود فوزى » الذى كان رأيه أن يرد الرئيس المصرى على رسالة الرئيس الأمريكى فى حدود ما تقتضيه دون التشعب إلى ما جاء به « تالبوت » ، وإذا أراد « جونسون » أن يتناول بنفسه إعادة إثارة الموضوعات التى طرحها « تالبوت » فليكن لذلك إطاره المستقل . وفى ٢٦ أبريل ١٩٦٤ كتب « جمال عبد الناصر » إلى « ليندون جونسون » رسالة شخصية أثر أن يشرح فيها رؤوس المسائل الهامة فى العلاقات العربية - الأمريكية ، والقضايا المفتاح فى مسيرة العالم العربى . وكان نصها كما يلى :^(١٤)

« عزيزى الرئيس »

تلقيت بكل اهتمام مبادرتكم الطيبة بالكتابة إلى استئنفا لاتصالات جرت بين سلفكم الراحل وبينى ، حاول كل منا بواسطة ان يقترب من فكر الآخر بالفهم .

ولقد اسعدنى ان اتاحت لكم مشاغلكم فرصة الاطلاع على المراسلات المتبادلة بينه وبينى حول العديد من المشاكل والموضوعات التى اثارت اهتمامنا المشترك ، سواء فى العلاقات المباشرة بين بلدينا ، أو فى الدائرة العالمية الأوسع بعدها ، وثقا أن ذلك سوف يضع تحت تصرفكم صورة صحيحة من فكر الجمهورية العربية المتحدة ، ودوافعها فى كل موقف اتخذته .

وإنى لأؤمن بجذوى الاتصال الشخصى المباشر بين رؤساء الدول ، واعتبر ان ذلك يمنح العلاقات الدولية نظرة إنسانية تستطيع دائما أن تتلمس ، حتى فى وسط الأزمات المحتملة اسبابا للاتصال .

وإنى لالتقى معكم فى كثير من المسائل التى تعرضت لها رسالتكم إلى .

التقى فى الآمال المعلقة على الأمم المتحدة ، والتعاون معها فى إطارها طريقا إلى عالم أكثر انسجاما وسلاما .

والتقى فى أهمية تطوير العلم الذرى لى يخدم السلم ولا يسخر للحرب ، وفى ضرورة حصر انتشار الأسلحة النووية .

والتقى فى ضرورة توسيع وتعميق العلاقات العربية - الأمريكية ، وفتح طريقها بالتفاهم وبالا احترام المتبادل .

والتقى فى ضرورة البحث دوما عن الطريق لتضييق مجال الخلاف قدر المستطاع ، وفى مقابلة ذلك توسيع مجال التعاون حيث يمكن أن تكون له فرصة وامل .

على أنى أريد أن اضيف بعض الملاحظات التى اشعر من خلال التجربة بحيوية دورها ، واشعر ايضا بضرورة ملاقاتها بالتقدير الكافى من جانب كل الذين يهتمهم

(١٤) مجموعة وثائق مكتبة ليندون جونسون ، وارشيف منشية البكرى ، وارشيف وزارة الخارجية ، وهناك تاشيرات تفيد ان نسخا ارسلت إلى وزارة الحربية ، وإلى رئاسة مجلس الوزراء ، وإلى هيئة المخابرات العامة .

استقرار السلام واستمراره . ولربما كان تركيزى الأكبر فى هذه الملاحظات على الشرق العربى بوجه خاص ، وعلى العالم الأفريقى الآسيوى بوجه عام .

□ أولا : إن هناك صراعا ضد الاستعمار ما زال قائما ، ولا يمكن إنكار وجود هذا الصراع ولا التقليل من أخطاره على السلام ، وأشير هنا على سبيل المثال إلى موقف بريطانيا فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وإلى موقف البرتغال فى أنجولا وموزمبيق .

□ ثانيا : إن هناك صراعا من أجل الوحدة ، باعتبارها تحقيقا للذات القومية لأمم عديدة ، بينها الأمة العربية ، أمم مزقتها مصالح الدول الاستعمارية الكبرى فى ظروف سابقة ، وما زال هذا التمزق فى الكثير من الأحيان قائما تتحصن وراءه رؤسب انفصالية تغذيها فعلا من الخارج نفس القوى صاحبة المصلحة فى التمزق .

□ ثالثا : إن هناك صراعا بين التقدم والتخلف ، بتعبير آخر بين الغنى والفقر ، ويمارس هذا الصراع دوره على مستوى الدول خصوصا مع التقدم العلمى والتكنولوجى العظيم اللذين أوجدا تناقضا طبيعيا ، وإن بدا للوهلة الأولى غريبا ، ذلك أنه يمنح المتقدمين الفرصة ليكونوا أكثر تقدما ، ويفرض على المتخلفين برغم كل ما يبذلونه من جهود أن يكونوا أكثر تخلفا ، ولو بالقياس إلى غيرهم من المتقدمين .

□ رابعا : إن هناك صراعا اجتماعيا فى داخل هذه الأمم المتنبهة حديثا إلى أبعاد القرن العشرين وآماله الواسعة . يستهدف إقامة حرية الإنسان على أوثق الضمانات ، ويربط الحرية السياسية وأى معنى قد يكون لها ، بالحرية الاجتماعية ومضمونها الأصيل ، وإنى لاستذكر فى هذا المجال ما ورد فى الميثاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة فى أن حرية تذكرة الانتخابات ترتبط بحرية رغيف العيش .

وإنى لأثق أنكم أول من يقدر شرعية هذا الصراع ، وضرورة مواجهته بكل مسؤولية الضمير الوطنى ، فلقد أثارت الإعجاب فى بلادنا حملتكم ضد الفقر فى الولايات المتحدة أغنى البلاد فى عالمنا المعاصر .

□ خامسا : بالنسبة للشرق العربى هناك صراع بين الأمة العربية ، وبين إسرائيل التى كان قيامها نتيجة للرغبة فى تمزيق وحدة العرب والحيلولة دون التقاء شعوبه من ناحية ، وإبقاء قاعدة وسط الأرض العربية لاستمرار تهديدها ، كما أثبتت بجلاء عملية التواطؤ بالعدوان على مصر سنة ١٩٥٦ .

ولربما كان يمكن تلخيص هذه الملاحظات التى أوردتها فى عبارة واحدة هى أن السلام لا يمكن أن يستقر ، أو يستمر حقيقة إلا إذا كان مدعما بالعدل ، وسلام الأمر الواقع مهما خلصت النوايا لا يستطيع غير أن يلعب دور الهدوء الذى يسبق العاصفة .

وإنى لأؤكد لك أن الجمهورية العربية المتحدة لا تتردد في بذل أى جهد من أجل تحقيق مثل هذا السلام القائم على العدل ، وتمد بغير تحفظ ، وبغير شروط يدها بالمحبة والامل والرغبة في التعاون الصادق إلى كل من يشغل بالهم مستقبل السلام وكفالتة .

وإنى لائق في نفس الوقت أن الولايات المتحدة الأمريكية وشعبها العظيم تعطى قضية السلام كل اهتمامها ، وليست هناك في هذا العصر مسؤولية تضارع مسؤولية الولايات المتحدة وقيادتها .

ومن صميم قلوبنا ، نحن نتمنى كل التوفيق للولايات المتحدة ، كما نتمنى لكم شخصيا كل النجاح في المسؤولية العظيمة التي تتحملون تبعاتها .
وتفضلوا بقبول موفور تحيتي .

إمضاء

جمال عبد الناصر «

وتحقق ما توقعه الدكتور « محمود فوزى » . فإن الرئيس « جونسون » ما لبث أن أثار بنفسه ذات الموضوعات التي جاء بها « تالبوت » وأصبح باديا أن هذه الموضوعات هي الهدف الرئيسى ، وأن ما حولها مما تضمنته المراسلات مجرد مقدمات دبلوماسية تمهد للقصد المطلوب .

ويوم أول مايو ١٩٦٤ اتصل السفير الأمريكى « جون بادو » بالدكتور « محمود فوزى » يطلب موعدا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وفي ٧ مايو تم اللقاء .

وفي بداية اللقاء قدم السفير الأمريكى رسالة مكتوبة من الرئيس « جونسون » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » ، وكانت الرسالة مقتضبة ومقصورة على دعوة « لرئيس الجمهورية العربية المتحدة » إلى أن يقدم تأكيدات بإمكان تجميد استحداث أى أسلحة جديدة (في مجالات الصواريخ والطائرات والمفاعلات النووية) عند المستوى الحالى لا تتجاوزه . وأضاف بعد ذلك أنه « طلب إلى سفيره جون بادو أن يناقش هذه المسائل شفويا مع الرئيس جمال عبد الناصر » . واستمع « جمال عبد الناصر » تفصيلا إلى ما قاله « بادو » وفي النهاية طلب منه إعداد مذكرة مكتوبة بتلخيص ما قاله له حتى يمكن دراسته على مهل وبتأن على أن يعود إلى مناقشته بالتفصيل معه في لقاء آخر يتم بينهما في موعد لاحق ، وبعد انتهاء زيارة « نيكيتا خروشوف » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الذى كان في طريقه لزيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة .

وبالفعل كتب « بادو » مذكرة بما عرضه على الرئيس « جمال عبد الناصر »

وبعث بها إلى رئاسة الجمهورية بتاريخ ١١ مايو ١٩٦٤ . وكان نص هذه المذكرة كما يلي :

« سفارة الولايات المتحدة

القاهرة

شخصى وغير رسمى^(١٥)

مذكرة غير رسمية عن مناقشات بين

الرئيس جمال عبد الناصر والسفير جون س. بادو

٧ مايو ١٩٦٤

في يوم ٧ مايو استقبل الرئيس جمال عبد الناصر السفير بادو في مقر إقامته في منشية البكري ، وسلم السفير إلى الرئيس عبد الناصر رسالة شخصية من الرئيس ليندون ب. جونسون . وبعدها قرأ الرئيس عبد الناصر الرسالة قال السفير إن الرئيس جونسون طلب منه أن يتقدم بعرض يتحصل في الموجز غير الرسمي التالي :

.....

إن الرئيس جونسون يقدر تقديرا عميقا الرسالة التي بعث بها إليه الرئيس عبد الناصر مؤخرا ، وقد لاحظ بصورة خاصة تأكيدات الرئيس عبد الناصر لمعارضة الجمهورية العربية المتحدة لانتشار الأسلحة النووية . والرئيس جونسون معنى بالوسائل العملية التي من شأنها الحد من الخطر النووي وتقليص سباق التسلح ، ورجا السفير أن يبحث هذا الموضوع مع الرئيس عبد الناصر من حيث الموقف في الشرق الأوسط . وأعاد السفير إلى الذاكرة أن هذا الموضوع قد ناقشه مع الرئيس عبد الناصر السيد جون ماكلوى الذى أوفده الرئيس كنيدي كمبعوث خاص . كما أشير إليه مرة أخرى من جانب مساعد وزير الخارجية تالبوت عند زيارته الأخيرة للرئيس عبد الناصر .

ولقد استبد بالرئيس كنيدي قلق عميق إزاء انتشار الأسلحة النووية ، وجاءت بعثة السيد ماكلوى نتيجة لهذا القلق . ويؤخذ ما قاله الرئيس جونسون في رسالته أنه راجع سجلات هذه اللقاءات ، وأنه يشاطر الرئيس كنيدي قلقه ، ويسعى في المضي قدما بأسلوب عملي يحول دون سباق التسلح النووي .

كما إن الولايات المتحدة مستمرة في قلقها الشديد إزاء حصول بلدان الشرق الأوسط على الأسلحة المتقدمة بسرعة متزايدة . وقد سرّ الرئيس جونسون أن يقف من

(١٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية - مكتب مساعد وزير الخارجية ، وتحمل خاتما بتاريخ ١٤ مايو ١٩٦٤ ، كما توجد نسخ أخرى منها في أرشيف منشية البكري ، ووزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المخابرات العامة

مساعد الوزير تالبوت على ما قاله الرئيس ناصر اثناء حديثه مع السيد تالبوت من ان الجمهورية العربية المتحدة لا تخطط الآن لاي نشر كبير للقذائف ارض - ارض .

إلا ان المشكلة ما زالت باقية . فكل تقدم في اسلحة الجمهورية العربية المتحدة يستدعى تقدما من ناحية إسرائيل ، ولدى إسرائيل كل من القدرة المالية والتقنية للحصول على ما تراه ضروريا من اى اسلحة متطورة مماثلة مع ما تحصل عليه الجمهورية العربية المتحدة - كما يتضح من بيان السيد ادزوبى في باريس (بما يعنى ضمنا ان إسرائيل تحصل على عدد قليل من قذائف ارض - ارض من فرنسا) .

ونخشى إذا استمر سباق التسلح الحالى ان تجد إسرائيل إغراء فى السعى لاستحداث اسلحة نووية . وستقوم الولايات المتحدة بمعارضة كل انتشار للأسلحة النووية معارضة قوية . ولكن برغم الضغط الأمريكى ، فإن إسرائيل قد تغرى باستحداث اسلحة نووية رداً على مضى الجمهورية العربية المتحدة فى تكديس قذائف ارض - ارض .

إذن ، فالذى يبدو انه يخدم مصالح جميع ذوى الشأن على خير وجه إنما يتمثل فى البحث فيما إذا كان مستطاعا إعداد ترتيب ما لتجميد سباق التسلح (ولا سيما فى مجال القذائف ارض - ارض) عند مستواها الحالى . ومن شأن هذا ان يقلل من الضغط للحصول على اسلحة نووية ، كما انه يخفف من العبء المالى الثقيل الذى لا شك فى ان سباق التسلح الدائم الاضطراب ينطوى عليه بالنسبة لجميع الأطراف .

والولايات المتحدة إذ تدرس هذا الاحتمال ، إنما تستشهد بتجربتها الخاصة . فقد قامت الولايات المتحدة ، بالإضافة إلى المعاهدة الرسمية لحظر التجارب ، بتخفيض الانتاج من المواد القابلة للانشطار ، وستمتنع عن وضع القنابل فى الفضاء الخارجى . واتخذ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية إجراء مماثلا دون اى اتفاق رسمى . وهذه القرارات المتقابلة لا تنطوى على اى تفتيش دولى او قيام بأعمال البوليس الدولى ، لأن لكل دولة من القدرة على الاستخبار ما يكفيها لتكون على علم بالاجراءات التى يتخذها الطرف الآخر .

وفى اعتقاد الرئيس جونسون انه ربما كان ممكنا للجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل انتهاز نهج مماثل . فإذا كان من الممكن التذرع بضبط النفس بإجراءات متبادلة ومتقابلة من الدولتين العظميين فى العالم ، وجب أن يكون ذلك مستطاعا بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة ، باعتبارها دولة عظمى فى الشرق الاوسط ، فتشارك بسلوك مماثل .

والذى يجول بخاطر الرئيس جونسون هو ان الجمهورية العربية المتحدة تستطيع ان تؤكد للولايات المتحدة فى هدوء بانها تعتزم تجميد استحداث القذائف ارض - ارض عند المستوى الحالى ، ويسرى هذا على كل من عدد القذائف ، وحالتها الحاضرة من حيث التطور التقنى . يضاف إلى ذلك انها تستطيع ان تؤكد للولايات

المتحدة بأن الجمهورية العربية المتحدة لا تعزز استحداث أسلحة نووية أو الحصول عليها .

وفي اعتقاد الرئيس جونسون بأنه من الممكن الحصول من إسرائيل على تأكيدات مماثلة . وبهذه الكيفية يخف الضغط على البلدان في أبواب الإنفاق المضطربة الزيادة في مجال الأسلحة ، ويقل إلى حد كبير خطر وجود أسلحة نووية في الشرق الأدنى . وتعترف الولايات المتحدة بأن للجمهورية العربية المتحدة احتياجات مشروعة إلى قوة دفاعية كافية ، غير أنه يعتقد بأن هذا التحرك المقترح لن يعرض أمن الجمهورية العربية المتحدة للخطر لأن من شأنه منع إسرائيل من استحداث قذائف وأسلحة نووية تشكل تهديدا مضطربا للنمو لكل من الجمهورية العربية المتحدة والعالم العربي .

وفيما يتعلق بالأسلحة النووية ، فإن الرئيس عبد الناصر قد أبلغ في مناسبات سابقة بأن الولايات المتحدة تحت إسرائيل تكرارا على قبول وضع ضمانات دولية على تطورها النووي . وستواصل الولايات المتحدة القيام بذلك اعتقادا منها بأن التطبيق العالمي (لقواعد) الوكالة الدولية للطاقة الذرية هو أنجع ضمان لتطوير الطاقة النووية السلمية بصورة سليمة مع الحرص على عدم استحداث الأسلحة النووية علنا أو سرا .

والولايات المتحدة متحيرة شيئا ما تلقاء بيانات ممثل الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر نزع السلاح في جنيف حول مقترحات الوكالة الدولية للطاقة الذرية . فقد اعترضت الجمهورية العربية المتحدة على ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية (المفروضة) على نقل المواد القابلة للانشطار والمعدات وفقا لما اقترحه وفد الولايات المتحدة في ٥ مارس وقد أشار الرئيس عبد الناصر أثناء الحديث الذي جرى يوم ٣ مارس مع مساعد وزير الخارجية تالبوت إلى أنه ربما أمكن للجمهورية العربية المتحدة قبول ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية في وقت مناسب . وربما ارتأت الجمهورية العربية المتحدة أن الترتيبات المقترحة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية هي ترتيبات شديدة الصعوبة أو التعقيد . فإن كان الأمر كذلك ، فإن الولايات المتحدة لترحب بوجهات نظر الرئيس عبد الناصر .

وإن الرئيس جونسون ليرحب بصورة خاصة بتأييد الجمهورية العربية المتحدة لمبدأ ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية لأن من شأن هذا أن يساعد جهدنا الدولي في حماية العالم من أي استحداث جديد للأسلحة النووية ، وحتى تبين الولايات المتحدة إخلاصها لبرنامج الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، فقد عرضت إجراء تفتيش على مفاعل من أهم مفاعلاتها النووية .

والولايات المتحدة إذ تبسط قضية ضبط النفس في استحداث الأسلحة بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل ، إنما تكرر بانها لا تفعل ذلك لكي تحمي إسرائيل أو تخدم المصالح الإسرائيلية . وهمها إنما ينصرف إلى التخفيف من التوترات في الشرق الأوسط ، والمساعدة في الضمان الذي يقي من مخاطر الحروب .

والولايات المتحدة على علم بان العالم العربى يعد إسرائيل دولة لا مفر من كونه توسعية . ولئن لم تشاطر الولايات المتحدة هذا الاعتقاد ، فإن السفير مخول با يقول بصفة قاطعة بان الولايات المتحدة ستعارض بشدة أى جهد تبذله إسرائيل لتوسيع حدودها ، كما أنه سيكون لها رد فعل إزاء التهديدات بالعدوان ع أى دولة فى منطقة الشرق الأوسط سواء داخل الأمم المتحدة ، أو فيما وراءها

وفى الختام ، الح السفير فى إبلاء المشكلة المعروضة فيما تقدم ادق قدر من التفكير والبادئ أن سباق التسلح ، سواء فى الأسلحة التقليدية ، أو فى الأسلحة الجدي المتطورة ، أخذ فى الازدياد . إن الوقت يمر حتما ، وإن لم تتخذ الآن خطوات إ أمام ، فقد تفلت المسألة من اليد . لهذا عاد السفير ، فاشار إلى رسالة الرئيس جونسون الذى قام بتسليمها وتساعل فيها عما إذا كان مستطاعا أن يبذل الرئيس عبد الناصر تأكيدات بان الجمهورية العربية المتحدة لا تعتزم الحصول ع الأسلحة النووية ، أما فيما يتعلق بإمكان تجميد استحداث الأسلحة عند مستوا الحالى ، فقد أعرب السفير عن الأمل فى أن يكون فى وسعه إجراء مناقشة أخرى حو هذا الموضوع بعد زيارة رئيس الوزراء خروشوف .

وقد اجاب الرئيس عبد الناصر بقوله إنه سيرد على رسالة الرئيس جونسون اما اقتراح تجميد مستوى الأسلحة فهو من الخطورة بحيث يحتاج إلى إمعان فكر وطلب من السفير أن يقدم إليه مذكرة غير رسمية عن المناقشة ، وأنه ، بعد زيا رئيس الوزراء خروشوف ، سيبحث الموضوع بحثا آخر .

جون بادو
سفير الولايات المتحدة

السفارة الأمريكية
القاهرة ، ج.ع.م.
١١ مايو ١٩٦٤ «



وتلت ذلك مفاجأة لم تكن متوقعة ، ففي يوم ١٧ مايو ١٩٦٤ أعلن السف الأمريكى فى القاهرة « جون بادو » أنه قدم استقالته من منصبه على أن تكون نافذة المفعول ابتداء من يوم ٩ يونيو - أى بعد أقل من شهر . وكان تفسير لهذه المفاجأة « أنه قرر العودة إلى مجال التعليم مرة أخرى ، فقبل منصب أستاذ فى جامعة كولومبيا » !!

ولم يكن سبب الاستقالة مقنعا ، والأرجح أن « بادو » راح يحس يوما به يوم أنه أصبح فى موقف مستحيل ، وأنه وضع بين شقى الرحى !!

وهكذا لم تتح له فرصة مناقشة مذكرته وما حوته من موضوعات خطير مع الرئيس « جمال عبد الناصر » - كما اتفقا - بعد انتهاء زيارة « خروشوف لمصر .

الفصل الرابع

عاصمة العالم الثالث



كان « نيكيتا خروشوف » الزعيم الأشهر للاتحاد السوفيتي في طريقه بالبحر - رحلة خمسة أيام من يالطا إلى الاسكندرية - على ظهر الباخرة « أرمينيا » - وشاعت الظروف أن أكون معه ، ضيفا عليه في بيته ليوم واحد قبل الإبحار من يالطا ، ثم مدعوا معه على ظهر الباخرة « أرمينيا » طوال أيام السفر الخمسة حتى الاسكندرية .

كان الترتيب لزيارة « خروشوف » قد بدأ قبل ذلك بشهور ، وبالتحديد حين وجد الاتحاد السوفيتي أنه مطالب بإعادة النظر في سياساته العربية بعد سلسلة الهزائم والتراجعات التي لحقت به في المنطقة .

فلقد فشلت سياسته في الاعتماد على الأحزاب الشيوعية العربية ، وتأكد له خطأ نظريته إلى قضية الوحدة العربية بعد أن سقط نظام الانفصال في دمشق . كذلك انهار أمامه في بغداد نظام « عبد الكريم قاسم » الذي توهمه قادرا على التصدي للقاهرة . وفوق ذلك فإن المذابح التي قام بها الشيوعيون في العراق ، وردود الفعل التي استدعتها بعد سقوط « عبد الكريم قاسم » أحدثت سلسلة من الصدمات في موسكو ، مما فرض على القيادة السوفيتية أن تبحث في الأسباب ، وفي الدوافع ، وفي أي من القضايا وأصولها .

لم يكن الاتحاد السوفيتي من الأساس معتقدا بصحة فكرة القومية العربية ، ولم يكن يرى في الشعوب العربية أمة واحدة سائرة في يوم من الأيام إلى تحقيق وحدتها ، وإنما كان يراها شعوبا مختلفة ودولا متفرقة بينها روابط ثقافية معينة تستطيع تحقيق نوع من التجانس والقرب ، ولكنها لا تصل إلى أكثر من ذلك أو أبعد . وصحيح أن الاتحاد السوفيتي أبدى في بعض الفترات قبولا ظاهريا للفكر القومي العربي ، ولكن ذلك كان من قبيل المجاملة السياسية ، ومنطق فض المجالس . ومن هنا فإنه وقف موقفا معارضا للوحدة بين مصر وسوريا ، ومؤيدا للانفصال ، ثم إنه اتخذ ما اتخذ من مواقف بعد ثورة ١٤ يوليو في العراق . ثم دخل من ذلك إلى خلاف ساخن ، ومشتعل في بعض اللحظات مع الجمهورية العربية المتحدة وقياداتها .

وعندما تغيرت الأوضاع في بغداد ودمشق ، وعندما بدأت محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق ، وجد الاتحاد السوفيتي نفسه أمام ظواهر تؤكد له ضرورة إعادة النظر في قناعاته ومنطلقاته ، وإلا كان عليه أن يواجه عزلة في المنطقة تؤثر على هيئته ، وعلى حركته في السياسة العالمية .

وفي أثناء اجتماع الحزب الشيوعي السوفيتي في مايو ١٩٦٣ أعيد طرح قضية الوحدة العربية مرة أخرى ، ودارت مناقشات معمقة شارك فيها كثير من العقائديين والسياسة في الحزب . وفيما يبدو فإنهم انتهوا إلى إقرار ورقة أعدها خبير الحزب المتخصص في قضايا حركة التحرر الوطني وهو « أوليانوفسكي » ، وكانت النتيجة التي توصل إليها في ورقته أن هناك بالفعل أمة عربية واحدة في طريقها إلى التكوين ، وأنه قد يكون من صالح الاتحاد السوفيتي أن يتعامل مع مشروع هذه الأمة ككل ، ومن مركز رئيسي واحد هو القاهرة ، دون أن يعنى ذلك بالضرورة إغلاق أية مسالك فرعية أخرى إلى عواصم عربية غير القاهرة . وذهب « أوليانوفسكي » في ورقته إلى أن « كنيدي » نفسه يتبع هذا الخط مع « جمال عبد الناصر » بينما الاتحاد السوفيتي مشتبك مع هذا « الزعيم البارز للعالم العربي » في معارك سياسية وإعلامية بسبب أحزاب شيوعية ضعيفة وهامشية !

وعلى هذا الأساس جرت إعادة النظر في سياسة الاتحاد السوفيتي ، وتم التوصل إلى اعتماد سياسة جديدة تستند على ورقة « أوليانوفسكي » وتبحث عن وسائل للتعبير عن نفسها عمليا . وأصبحت المشكلة المطروحة في موسكو هي كيف يمكن خلق فرص تتم فيها عملية جس نبض القاهرة ، ومعرفة مدى استعدادها لفتح صفحة جديدة في العلاقات توقف المعارك الاعلامية المتبادلة ، ثم تفتح الأبواب بعدها لمرحلة أخرى .



وكانت هناك علاقات ود تربطني بـ « أليكسي أدجوبى » رئيس تحرير صحيفة « ازفستيا » ، وكان « أدجوبى » فى نفس الوقت متزوجا من « رادا » ابنة الزعيم السوفيتى « خروشوف » . وفى هذه الفترة تلقيت خطابا من « أدجوبى » تحدث فيه مطولا عن قضايا سياسية وصحفية مما كانت تحتويه مراسلاتنا عادة ، ثم وصل فى نهاية الخطاب إلى فقرة قال فيها إنه قرأ فى بعض صحف الغرب عن مشروع مبنى « الأهرام » الجديد الذى فرغنا من دراسته وبدأنا تنفيذه ، وأنه كان يتمنى أن تتاح له الفرصة لكى يطلع على مشروعنا ، وأن تكون من ذلك فرصة لكى يرى الأهرام وأبو الهول والأقصر . وفى أول لقاء لى بعد ذلك مع « جمال عبد الناصر » أطلعته على خطاب « أدجوبى » وأبدت ملاحظة مؤداها أن فى رغبة « أدجوبى » لزيارة مصر إشارة واضحة ، وأننى أفكر فعلا فى توجيه دعوة إليه هو وزوجته لزيارة مصر . وبدأ على « جمال عبد الناصر » أنه تذكر شيئا ، وكان قوله بعد ذلك : « إن أدجوبى أبدى مثل هذه الملاحظة عندما كان فى وداع « هدى »^(١) فى مطار موسكو ، فقد قال لسفيرنا عند سلم الطائرة « إن السفر إلى مصر كان دائما حلما من أحلامه » . ثم وافق « جمال عبد الناصر » على فكرة توجيه الدعوة إلى « أليكسي » و« رادا » . وكانت فى رأيه محاولة لتصفية أجواء العلاقات العربية السوفيتية مما علق بها من آثار معارك سياسية دامت خمس سنوات ، وحن الوقت لانهاؤها .

وبعثت إلى « أدجوبى » بدعوة من « الأهرام » لزيارة مصر هو وزوجته ، وتلقيت قبولهما للدعوة عن طريق السفارة السوفيتية بالقاهرة فى ظرف أيام قليلة . وقبل أن يمر أسبوعان على توجيه الدعوة كان الاثنان فى القاهرة . وعندما ذهبنا جميعا فى أحد أيام الزيارة إلى منطقة الأهرامات ، وقف « أليكسي » أمام الهرم الأكبر ، وقال موجها كلامه لزوجته « رادا » متعمدا أن يكون كلامه باللغة الانجليزية : « ألا تظنين أن الرجل الكبير سوف يقف مبهورا أمام هذا المشهد ؟ » وكان واضحا أنه يعنى « خروشوف » وبشكل ما فقد أحسست أن جزءا من تساؤله موجه لى كما هو موجه إلى « رادا » . وقلت على الفور : « ولم لا ؟ » . وكان سؤاله بعدها ما إذا كنت أظن أن الرئيس « جمال عبد الناصر » على استعداد لتوجيه الدعوة لـ « خروشوف » لزيارة مصر ، وكان ردى أن هناك على حد علمى دعوة قائمة لـ « خروشوف » بزيارة مصر ، ردا على زيارتين قام بهما « جمال عبد الناصر » للاتحاد السوفيتى (زيارة رسمية فى أبريل ١٩٥٨ وزيارة سرية فى يوليو ١٩٥٨ فى أعقاب ثورة العراق) . ثم أضفت أنهما سيقابلان الرئيس معى غدا ، وأننا نستطيع أن نفتح الموضوع أمامه ونستطلع رأيه . وكان « جمال عبد الناصر » مستعدا للموضوع عندما أثير التساؤل فى

(١) الابنة الكبرى للرئيس « جمال عبد الناصر » وكانت قد عادت قبل اسابيع من رحلة إلى الاتحاد السوفيتى .

حضوره . كان جاهزا بمناسبة الدعوة ، وقد اختار لها شهر مايو في مناسبة إتمام تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع السد العالي .

وفي الأيام الأخيرة من أبريل ١٩٦٤ - كنت في اليمن أتابع الأحداث فيها حين تلقيت تليفونا من موسكو ، وكان المتحدث هو « أليكسي أدجوبى » الذى قال لى : « إن الرجل الكبير قادم إلى بلادكم كما تعرف بعد انتهاء احتفالات أول مايو في الاتحاد السوفيتى ، وقد كنا معه بالأمس نتحدث في شأن هذه الزيارة ، واقترح أن تجيء إلى الاتحاد السوفيتى لى تحضر معنا عيد أول مايو ثم تعود معه إلى مصر . إن لديه أسئلة كثيرة عن بلادكم ، وعن العالم العربى ، وهو يريد أن يناقشها بطريقة غير رسمية وبصراحة ، وقد اتفقنا جميعا على أن مناقشاته معك يمكن أن تكون مفيدة » . وسألته « إذا كان يعرف أنه يكلمنى وأنا فى صنعاء ؟ » وقال « إنه يعرف » ، وقلت إن « هذا هو اليوم الأخير فى شهر أبريل وغدا هو أول مايو ، ولا أستطيع عمليا أن أحضر احتفالات أول مايو » ، وكان رده « أنه يعرف ، وأنه ليس مهما أن أحضر استعراض أول مايو فقد شهدته من قبل ، ومع ذلك فقد يكون من الأنسب أن اذهب إليهم بأسرع ما أستطيع ، والحق بقية الاحتفالات التالية للاستعراض الكبير - ثم نعود جميعا إلى مصر » .

وفرغت من الحديث مع « أدجوبى » لأجد ضابطا من القيادة العامة للقوات المصرية فى اليمن يحمل إلى رسالة تلقىتها القيادة باللاسلكى من القاهرة موجهة إلى من الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان نصها : « اقترح السوفيت أن تسافر إلى موسكو ، وأن تعود مع خروشوف لأن لديه أشياء كثيرة سياسية وغير سياسية يريد أن يستوضحها منك - وأرى أن تعود فورا إلى القاهرة لى تتوجه إلى موسكو بعد أن تقابلنى » . وركبت أول طائرة من صنعاء إلى القاهرة ، وتوجهت مباشرة إلى بيت « جمال عبد الناصر » ومنه عدت إلى طائرة موسكو .



ولأيام متصلة من شهر مايو ١٩٦٤ وجدت نفسى أعيش مع « خروشوف » . وفى اليوم التالى لوصولى إلى العاصمة السوفيتية ، وجدتنى على مائدة الافطار معه ومع ضيفه فى احتفالات أول مايو الرئيس الجزائرى « أحمد بن بيل » . ومن الحق أن يقال إن « أحمد بن بيل » اضاف كثيرا إلى معلومات « خروشوف » عن دور مصر الخاص فى العالم العربى ، وعن مكانة « جمال عبد الناصر » المتميزة فى قيادة حركة القومية العربية .

كان « خروشوف » معجبا بكفاح الشعب الجزائرى وصلابة نضاله ، وكان « أحمد بن بيل » فى ذلك الوقت هو الرمز الحى لذلك الكفاح . ومن هذا الموقع ، فإن

« بن بيللا » كان أول زعيم عربى يحصل على وسام « بطل الاتحاد السوفيتى » وهو أعلى الأوسمة السوفيتية . وعندما قال « بن بيللا » بطريقة لا تحتمل اللبس لـ « خروشوف » إن « علاقاتكم مع مصر ومع جمال عبد الناصر هى المعيار لعلاقاتكم بالعرب جميعا » كان « خروشوف » يستمع ويهز رأسه باهتمام .

وبعد احتفالات أول مايو توجه « خروشوف » ومعه « بن بيللا » إلى القرم لإجازة مدتها ثلاثة أيام ، ثم لحقنا بهما جميعا في يالطا . وعاد « بن بيللا » من يالطا إلى الجزائر ، وبدأ المسافرون إلى القاهرة يستعدون لرحلته البحر إلى الاسكندرية . وكان الوفد السوفيتى المسافر مع « خروشوف » كبيرا على المستوى الرسمى والشخصى . كان من أعضاء الوفد الرسميين كل من « أندريه جروميكو » وزير الخارجية ، والماريشال « جريتشكو » وزير الدفاع ، و « نيكاروجنى » وزير الطاقة الكهربائية ، و « سكاتشكوف » وزير العلاقات الاقتصادية الخارجية ، و « أليكسى ادجوبى » رئيس تحرير « ازنستيا » ، و « ساتياكوف » رئيس تحرير جريدة « برافدا » ، وعلى الناحية الشخصية كانت هناك « نينا بيتروفنا » زوجة « خروشوف » ، و « رادا » ابنته ، و « سيرجى » ابن « خروشوف » وقرينته « جالينا » ، ثم « تانيا » ابنة « ساتياكوف » رئيس تحرير « برافدا » . وكانت دراسة لأداب اللغة العربية في جامعة موسكو .

كانت الحياة مع « خروشوف » خلال هذه الأيام - في بيته في يالطا ، وعلى ظهر الباخرة « أرمينيا » من البحر الأسود إلى جنوب البحر الأبيض - مثيرة إلى أبعد حد . فقد كان الرجل مليئا بالفضول تجاه العالم الغريب عنه والذي يوشك أن يزوره لأول مرة . ولم تنقطع أسئلته ولا ملاحظاته ، وكان معظمها يدور حول فكرة القومية العربية ، وحول الروابط الثقافية والتاريخية والسياسية بين شعوب هذه الأمة ، وحول إمكانياتها ومواردها واحتمال تطورها في المستقبل . وقد لفت نظرى بأكثر من أى مرة التقيته فيها سابقا ، كثير من جوانب شخصيته المتعددة الزوايا والألوان . وكذلك لفتت نظرى فيه ظاهرة لم تكن مألوفة في غيره من زعماء العالم الذين عرفتهم . فقد كانت تلقائيته مثيرة للدهشة في بعض الأحيان إلى حد يدعو للحرج .

وقد حدث على سبيل المثال عندما كانت الباخرة « أرمينيا » تعبر البسفور بين ضفافه التركية أن صعد قائد الأسطول التركى إلى ظهر الباخرة « أرمينيا » ليرحب رسميا بزعيم الاتحاد السوفيتى الذى يعبر المياه الإقليمية التركية . وقبل أن يستقر الأميرال التركى في مقعد أعد له على ظهر الباخرة بجوار « خروشوف » إذا هويافجا بـ « خروشوف » يقول له : « تعال يا سيدى الأميرال ، وانظر من خلال نظارتى

المكبدة إلى هذه الاستحكامات المقامة على شواطئكم . إننى أرى هناك بعض التحصينات وبعض أوكار المدافع ، وأسألكم لماذا تضيعون وقتكم فى مثل هذا الهراء الذى لا ينفع ولا يجدى . أنتم لم تتعلموا بعد طبيعة الحرب الحديثة ، ولا تدركون أن كل هذا الذى تحصنون به شواطئكم هو لعب أطفال تتكسر فى أول ثانية من الحرب » . وفوجئ الأميرال التركى ، ولم يستطع أن يجد كلمة يرد بها على زعيم الاتحاد السوفيتى .

وفى مثال آخر صعد « خروشوف » ليمشى على ظهر الباخرة « أرمينيا » ووجدنى هناك على جسرها ممسكا بجهاز راديو صغير أحاول أن ألتقط به إذاعة القاهرة . وأقبل علىّ بخطى سريعة ليسألنى عما أسمع ، وقلت له إننى أحاول أن ألتقط أيا من الاذاعات المصرية . وفوجئت به يقول لى : « اسمع ، أنا لا أستطيع أن أخفى ما بقلبى . لقد تلقيت قبل قليل تقريراً من القاهرة بأن الحكومة هناك تحاول تحجيم استقبال جماهير شعبكم لى ، وأنا لا أفهم هذا إلا إذا كنا ما زلنا أسرى خلافتنا القديمة » . وقلت له : « هل تأذن لى أن أرد عليك بصراحة كما سألتنى بصراحة » ورد علىّ قائلاً : « بالطبع وإلا فلماذا سألتك ؟ » وقلت له : « إن الذى كتب هذا التقرير واحد من اثنين : إما رجل يجهل الحقائق ، وإما أنه يقصد أن يخدعك » ثم استطردت « أرجوك أن تعرف أنك فى مصر سوف تكون ضيفاً على جمال عبد الناصر ، واستقبالك فيها ليس أمراً متعلقاً بقيمتك ، وإنما هو متعلق بمضيفك . وإذا كان استقبالك أقل مما تستحق ، فلن يكون هذا انتقاصاً من قدرك أنت ، وإنما انتقاص من قدر الرجل الذى أنت ضيف عليه - هكذا التقاليد العربية » . وكان « خروشوف » يصغى باهتمام ، وكان تعليقه « أن ما قلته له يبدو له معقولاً ، ومع ذلك فإنه كفلاح بالطبيعة يؤثر أن ينتظر حتى يرى بنفسه » .



وعندما وصل « خروشوف » إلى القاهرة كان استقباله فيها حافلاً ، وعندما دخل إلى قصر القبة بعد رحلته بالقطار من الاسكندرية ، وبعد أن اخترق شوارع القاهرة من محطة السكك الحديدية إلى قصر القبة كانت الدموع فى عينيه تأثراً وانفعالا . وكان أول ما فعله بعد أن دخل غرفة نومه أن طلب استدعائى ليقول لى : « إنك لم تكذب علىّ فأنا لم أر فى حياتى ما رأيته فى هذا اليوم » .

وكانت رحلة « خروشوف » إلى مصر ناجحة بكل المعايير ، ولم تشبها غير حادثتين جرت أولهما خلال الاحتفال الرسمى بتحويل مجرى النيل ، فقد وقف « خروشوف » ليخطب فى الاحتفال ، وكان خطابه باللغة الروسية بالطبع ، وكان يتوقف بين فقرة وأخرى لكى يستطيع مترجمه أن يعيد على الجماهير ما قاله رئيسه بلغة

عربية ركيكة لم تكن تثير سامعيه . وبعد أن انتهى « خروشوف » كان الدور على الرئيس « عبد السلام عارف » الذى كان هو الرئيس « بن بيلا » ضيوفاً في الاحتفال . والذى حدث أن الرئيس « عارف » ملأ خطابه باستشهادات من آيات القرآن الكريم ألهمت حماسة الجماهير المحتشدة في الاحتفال .

وعندما انتهت المراسم ، وعاد « خروشوف » إلى فندق « كاتاركت » للاستراحة فوجئت به يدعوني إلى غرفته . ودخلت لأجده ممدداً على سريره بملابسه الداخلية ، وقد تحول جسده الأبيض من تأثير حرارة شمس أسوان إلى لون الطماطم الحمراء . وفوجئت مرة أخرى به يقول : « لم أفهم حماستهم الزائدة لعارف » ، ثم راح يسألنى « هل ستظل العنزة معنا طوال الرحلة ؟ » وسألته عما يقصده بـ « العنزة » ومد يده إلى إحدى صحف الصباح التى كانت في غرفته ، وفي صفحتها الأولى صورة لضيوف احتفال السد العالى عند وصولهم بالأمس إلى أسوان ، وهو يقول لى : « عارف . . عارف . الا تراه هنا في هذه الصورة أشبه ما يكون بالعنزة » !!

ووقعت الحادثة الثانية على ظهر الباخرة « الحرية » التى انتقل إليها الجميع من أسوان إلى شاطئ البحر الأحمر ليوم نزهة بحرية كان مفروضاً أن تخصص لصيد السمك . وكان حظ السمك طيباً لأن اليوم كله ضاع في مناقشات عنيفة لم تسمح لأحد أن يمسك بسنارة صيد . كان « خروشوف » معباً ضد « عبد السلام عارف » وزاد من حدة مشاعره أنه قرأ عن تنفيذ أحكام بالاعدام في بعض الشيوعيين في بغداد قبل يومين اثنين . وهكذا فإنه عندما صعد إلى ظهر الباخرة « الحرية » الراسية في ميناء « برنيس » ووجد « جمال عبد الناصر » و « أحمد بن بيلا » و « عبد السلام عارف » في انتظاره على ظهرها - صافح « جمال عبد الناصر » و « أحمد بن بيلا » ثم سحب يده قائلاً لـ « عبد السلام عارف » إنه لا يستطيع أن يصافح الأيدي الملوثة بدماء الشيوعيين في العراق . وتوتر الجو إلى درجة خطيرة ، وتدخل « جمال عبد الناصر » وطلب إلى « خروشوف » أن يمد يده إلى « عبد السلام عارف » ثم يجلس لمناقشة الأمر في هدوء . وأحس « خروشوف » أن الموقف يمكن أن يتطور إلى حد لا يريده أحد ، فمد يده لمصافحة « عبد السلام عارف » وقال إنه يريد أن يسمع منه . وانبرى « بن بيلا » يقول لـ « خروشوف » : « بل ستسمع منى أولاً » . ثم بدأ « بن بيلا » يشرح التناقضات التى لا بد من الاعتراف بها بين عقائد العرب وجوهرها الاسلام ، وبين العقائد المادية للفكر الماركسى . ثم تطرق من ذلك إلى الحديث عن دور التنظيمات الشيوعية في العالم العربى مركزاً على دور الحزب الشيوعى في الجزائر ، وكيف أنه اعتبر نفسه امتداداً للحزب الشيوعى الفرنسى ولم يقم بأ :

جهد في النضال التحرري الجزائري ، بل إن العكس مع الأسف كان هو الصحيح . ثم حان الدور على « جمال عبد الناصر » لكي يتكلم . وراح بدوره يتحدث عن ضرورة الاتفاق على أن بين القوميين العرب ، وبين الشيوعيين خلاف يحسن بالاطراف جميعا أن يسلموا بوجوده ، وأن يتعلموا كيف يتعاملون مع بعضهم من خلال التسليم بحقائقه ، فالاسلام هو الجوهر الحضاري للقومية العربية ، والاسلام دين سماوى ، والمؤمنون به ليسوا مستعدين للمساومة فيه سياسيا مهما كان الثمن . ثم راح « جمال عبد الناصر » يعد أسباب التناقض واحدا بعد واحد منتهيا بأنه لا مستقبل للشيوعية في العالم العربى ، وأن هذا لا يقلل من التوجهات التقدمية لحركة القومية العربية . ثم راح يستعرض تصرفات الأحزاب الشيوعية العربية في مختلف بلاد العالم العربى واحدة بعد واحدة بادئا من مصر إلى سوريا إلى العراق قائلا في النهاية : « إنهم فقدوا أى مصداقية يمكن أن تكون لهم ، وأن الاتحاد السوفيتى يخطئ كثيرا إذا ربط سياساته في العالم العربى بالأحزاب الشيوعية » . ثم قال : « إنكم تستطيعون اعتبارهم أصدقاء عقائديين لكم تدعونهم إلى احتفالات اول مايو أو احتفالات ثورة أكتوبر ، فهذا حقكم لا ننازعكم فيه ، وأما هنا في العالم العربى ، فإنهم اختاروا العمل تحت الأرض ، وسوف يبقون في المكان الذى اختاروه لأنفسهم » .



وربما أضفت إلى هاتين الحادثتين حادثة ثالثة وقعت معى ، فقد كتبت في « الاهرام » سلسلة مقالات عن تجربة تلك الأيام مع « خروشوف » وجاء في أولها ، وقد نشرت في أثناء وجود « خروشوف » في مصر أنه « أشبه ما يكون بفلاح يطل برأسه من إحدى قصص « دوستوفسكى » ! »

ودعاني « خروشوف » إلى لقائه في يوم سفره من مصر ليعاتبني ، وقلت له : « إنك كررت لى أكثر من مرة أنك تعتبر نفسك « فلاحا » وتتصرف في كل موقف على هذا الأساس » . ورد بسرعة :

« لا أعاتبك لأنك قلت إننى فلاح ، وإنما أعاتبك لأنك قلت إننى فلاح من قصص « دوستوفسكى » - لماذا لم تجدنى فلاحا من قصص « تولستوى » - فلاح « دوستوفسكى » خبيث وشخصيته معقدة ، وأما فلاح « تولستوى » فطيب وشخصيته بسيطة ! »



وعندما غادر « خروشوف » القاهرة عائداً إلى موسكو كانت العلاقات العربية السوفيتية قد وضعت على أساس سليم ، وكانت احتمالات نموها في المستقبل قد تحددت واتضحت توجهاتها . وكذلك كانت نتائج العملية في مجالات التصنيع ، والتسليح ، واستصلاح الأراضي نتائج بالغة الأهمية والأثر .



لم تكد طائرة « خروشوف » تقلع من مطار القاهرة عائدة به إلى موسكو حتى كانت طائرة « ليفي أشكول » رئيس وزراء إسرائيل تهبط به في « فيلادلفيا » التي وصلها بادئاً زيارة رتبت على عجل للقاء بينه وبين الرئيس « جونسون » (٢) .

وفي يوم ٢ يونيو ١٩٦٤ كان « جونسون » في انتظار « أشكول » على أبواب البيت الأبيض مرحباً بعبارات لم يسمعها أحد من قبل صادرة عن رئيس أمريكي موجهة إلى رئيس وزراء إسرائيل ، فقد قال « جونسون » موجهة كلامه لـ « أشكول » : « إن إسرائيل لها أن تعرف وأن تثق بأن لها صديقاً وفيّاً وحميماً في البيت الأبيض ، وأن سلامة وأمن إسرائيل هما جزء لا يتجزأ من سلامة وأمن الولايات المتحدة » .

واجتمع ثلاثة عشر سفيراً عربياً في واشنطن ، وقرروا أن يذهبوا معاً إلى وزارة الخارجية ليسلموا احتجاجاً جماعياً باسم العرب جميعاً ، واستقبلهم هناك مساعد وزير الخارجية الأمريكية الذي قال لهم : « إن مواكب احتجاج السفراء العرب أن لها أن تتوقف ، وأنها أصبحت مثل مواكب الجنائزات » ، واعتبرها السفراء العرب استفزازاً ، وغادروا مكتب مساعد وزير الخارجية معلنين أنهم قرروا التشاور مع حكوماتهم فيما اعتبروه إهانة جماعية لحقت بهم (٣) .

وكان المحقق أن نجاح زيارة « خروشوف » لمصر لم يكن موضع رضا في واشنطن !

(٢) امتدت زيارة « أشكول » للولايات المتحدة اثني عشر يوماً ، وقد بدأت يوم ٣١ مايو وانتهت يوم ١١ يونيو .

(٣) تقرير مشترك من السفراء العرب إلى السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية ، فضلاً عن التقارير التي أرسلها كل سفير منهم إلى حكومته .



كانت زيارة « نيكيتا خروشوف » في شهر مايو ١٩٦٤ حدثا دوليا هاما ، ومع ذلك فإنها لم تكن الحدث الدولى الهام الوحيد الذى شهدته القاهرة في هذه السنة . فقبلها كانت القاهرة ملتقى لاجتماع القمة العربى (يناير ١٩٦٤) ، وبعدها بشهرين لحق بزيارة « خروشوف » للقاهرة مؤتمر على مستوى القمة لمنظمة الوحدة الافريقية شاركت في أعماله ٢٤ دولة من القارة السوداء .

كانت القاهرة منذ البداية أحد مؤسسى منظمة الوحدة الافريقية ، فقد كانت « الدائرة الافريقية » ضمن الدوائر الثلاث الشهيرة للعمل المصرى كما حدده « جمال عبد الناصر » في « فلسفة الثورة » . وهكذا قامت مصر بتكوين مجموعة الدار البيضاء التى مثلت الدول المتحررة في إفريقيا سنة ١٩٦١ ، ثم سعت بعد ذلك إلى دمج هذه المجموعة مع المجموعة الأخرى التى نشأت في مواجهتها ، وهى مجموعة دول الملاجش . ثم توصل العمل الافريقى وضروراته إلى دمج المجموعتين بتأسيس منظمة الوحدة الافريقية في اجتماع على مستوى القمة في أديس أبابا في مايو ١٩٦٣ .

وفي يوليو ١٩٦٤ كان موعد لقاء القمة الافريقى في القاهرة ، وكان هذا هو اجتماع العمل الأول - بعد اجتماع التأسيس في أديس أبابا - وقد تقرر عقده في القاهرة اعترافا بدورها في النضال الافريقى .

كانت القاهرة تريد أن تجعل من القمة الافريقية مؤتمرا ناجحا . ولكن الجلسة الأولى للمؤتمر كانت تعبيرا متجددا عن أحزان أفريقيا : الشكوى من الاحتكارات المسيطرة مثل احتكار « أوبنهايمر » الذى أثاره الرئيس « نكروما » وشرح في أثناء كلامه عنه كيف أن « أوبنهايمر » ابتلع ١٠٤ شركات تحتكر الآن فيما بينها ٨٠ في المائة من الماس في العالم - والشكوى من التمييز العنصرى ، وقد أثارها بانفعال الرئيس « موديبيوكيتا » رئيس مالى ، وزاد انفعاله وصوته يجلجل في قاعة المؤتمر « ألا تعرفون أيها السادة أن العنصرية هى الابنة الشرعية للعبودية ؟ » ثم انفجر يتحدث عن تجارة العبيد ، ولحقه الرئيس « نكروما » الذى قال إن بريطانيا كانت تاجر العبيد الأكبر في التاريخ ، وأنه وجد وثائق في « أكرا » من عهد الاحتلال تثبت له أن عدد العبيد الذين أسرههم البريطانيون وشحنوهم إلى مستعمراتهم ، أو تاجروا فيهم حيث شاءوا يصل تعدادهم إلى ما بين ٢٠ إلى ٥٠ مليونا من البشر .

وحتى ثائر جديد مثل الرئيس « بن بيللا » وجد نفسه يجارى هذه الأصوات المثقلة بالأحزان ، فتحدث عن الطريقة التى تصرف بها آخر مقيم فرنسى عام فى الجزائر قبل الاستقلال ، وقد وصل به الأمر إلى حد شحن كل ما كان موجودا فى القصور من تحف وأثاث ، حتى لقد حمل معه لمبات الكهرباء التى كانت تضىء مقره ، والذى تحول فيما بعد إلى قصر الشعب .

وتضامن الرئيس « نيريرى » مع هذا الشجن فوقف يتساءل هل يعقل أن بلدا مثل بلجيكا يستعمر بلدا مثل الكونجو وهو أكبر منه فى الحجم ٧٧ مرة ؟ والأسوأ من ذلك أن مستعمرة الكونجو كانت من أولها إلى آخرها ملكا شخصيا لـ « ليوبولد السادس » من سنة ١٨٧٦ إلى ١٩٠٨ وهذا جعله أغنى رجل فى العالم فى زمانه ، ومسيطرا على أهم مناجم الذهب والنحاس والماس ومزارع المطاط وتجارة العاج ، لكن أكثر من ٥ ملايين كونجولى ماتوا جوعا فى أسر عبوديته . ولم يسكت الرئيس « نيريرى » عند هذا الحد ، وإنما قفز من الماضى إلى الحاضر ليقول : « والآن أمامنا فى الكونجو الجنرال موبوتو ، وهو يزعم أن الله قد هداه فرأى النور . ولست مستعدا أن أصدق أن المعجزة التى حدثت للقديس بولس يمكن أن تتكرر مرة أخرى مع الجنرال موبوتو » .

وكانت بعض الاقتراحات التى قدمت للمؤتمر جامعة أو على الأقل سابقة لأوانها . وكان المتحمس الأكبر كالعادة هو الرئيس « نكروما » الذى طالب بالوحدة الأفريقية فورا « هنا والآن » . ثم تقدم باقتراح مكتوب ينص على إقامة حكومة اتحادية لكل إفريقيا ، وإنشاء قيادة عسكرية عليا لأفريقيا .



وأحس « جمال عبد الناصر » بالقلق من وقائع جلسات أول يوم للمؤتمر . وفى اليوم التالى وجد أن عليه أن يتكلم مرة أخرى ، فقد كان هو بوصفه رئيسا للدولة المضيفة قد افتتح المؤتمر بكلمة منه ، وكان المفروض بعدها أن يترك مجال الكلام فسيحا لغيره . وتسجل محاضر الجلسة الصباحية لليوم الثالث للمؤتمر ، وكانت جلسة مناقشات مفتوحة أنه قال : « إننى أردت أن أتحدث إليكم من دافع حرصى على نجاح هذا المؤتمر الذى تتطلع إليه أبصار الدنيا . والحقيقة أننى فى حاجة إلى أن أذكركم بأننا نريد أن نجعل من هذا المؤتمر إطلالة على مستقبل إفريقيا ، وليس مجرد نواح على أحزان ماضيها . فانا أول من يعرف ثقل الميراث الاستعماري ومصائبه ، ولكننى أعرف أيضا أننا إذا تركنا مشاعرنا للغضب فسوف توجهنا إلى الانتقام ، وهذا شئ سلبى لا يحقق لنا شيئا ، وإنما يتركنا

بكثير من المرارة في حلوقنا » . ثم قال إنه يجد نفسه حائرا بين نغمتين تترددان في المؤتمر : نغمة المطالبين بأكثر مما تحتمله الظروف مثل حكومة واحدة لكل أفريقيا وجيش واحد لكل أفريقيا - ونغمة المطالبين بقبول الأمر الواقع والرضا بأحكامه ، وهو يراها أقل كثيرا مما تسمح به الظروف . وظروف أفريقيا في الحقيقة تسمح لها بتحقيق أشياء عملية كثيرة . ونقطة البداية الصحيحة في رأيه أن تتمكن أفريقيا أولا من حل المشاكل الأفريقية - الأفريقية ، وفي مقدمتها مشاكل النزاع على الحدود . وأضاف : « إن كل دولة منا على نزاع مع جيرانها حول تقسيم الحدود . ونحن جميعا نسلم بأن هذه الحدود لا تمثل أى حقائق جغرافيا ، أو حقائق تاريخ ، أو حقائق أمن ، وأنها مجرد خطوط رسمت على خرائط بحدود الاستكشافات أو امتيازات الشركات الاستعمارية الكبرى المستغلة » . وقاطعه الرئيس « نكروما » عند هذه النقطة قائلا : « إن هذه الاستكشافات التي قام بها الرحالة الأوروبيون ، وادعوا بعدها أنهم « وضعوها على خريطة العالم » هي أيضا إهانة ، فانا لا أعرف كيف استكشفوا ما كان موجودا قبل أن يوجدوا هم . وعندما يجيء رجل مثل « ليفينجستون » ويقول إنه اكتشف الكونجو فإنني أشعر بنار تشتعل في رأسي . فالكونجو كان موجودا قبل أن يولد « ليفينجستون » وكان سكانه يعيشون على ضفافه منذ أقدم عصور التاريخ . كان الأجدر بـ « ليفينجستون » أن يقول إنه أول أوروبي وصل إلى الكونجو وطاف بأرجائه ، ولكن أن يقول إنه اكتشفه فهذه وقاحة ، وإلا فمن حقى وأنا أول غاني زار أمريكا أن أقول إنني اكتشفتها ، وأن اطالب بوضع تمثال لي أمام مبنى الكابيتول . » وضحك الملوك والرؤساء ، واستاذن « جمال عبد الناصر » في أن يكمل كلامه . واستطرد قائلا : « كنت أحدث عن نزاعات الحدود ، وأرى أن هذه النزاعات قد تسبب كوارث بيننا . ومع تسليمي بأنها هي الأخرى ميراث استعماري ورثناه ، فإنني لا أجد سبيلا إلى حلها غير وسيلة التفاوض والتوفيق ، وهذا أسلوب يجب أن نتفق عليه . »

والمشكلة الثانية التي أراها أمامنا هي مشكلة التخلف . فنحن من ناحية أمام موارد ومصادر للثروة منهوبة ، ولا تزال كذلك حتى الآن . ويضاعف من هذه المشكلة أننا لا نملك الكوادر الفنية والإدارية اللازمة لاستغلال ما لدينا ، حتى وإن قمنا باسترداده ممن يسيطرون عليه الآن . وهذه مشكلة لا حل لها في رأيي غير تعزيز إمكانيات التعاون بيننا ، بحيث يستطيع الذين سبقوا منا أن يساعدوا اللاحقين . وهنا فإن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لأن تضع ما لديها من إمكانيات وخبرة تحت تصرف قارتها . وفي كل الأحوال فنحن مقتنعون بأن الاستقلال هو مجرد « يافطة » وأن الحقيقة الفعلية وراء هذه اليافطة « اقتصاد » !

والمشكلة الثالثة ، وقد كان يحدثنى فيها وزير الاقتصاد عندنا ، وهو الدكتور القيسونى هى مشكلة شروط التجارة الدولية . فشروط التجارة الدولية الآن تلحق بنا غبنا شديدا من حيث أنها تضع مواردنا من المواد الخام تحت رحمة أسواق وبورصات الغرب ، وهذه مشكلة لا نستطيع أن نواجهها إلا مجتمعين على سياسة واحدة . وقد طلبت من الدكتور القيسونى أن يعد تقريرا حول هذه القضية ، وسوف نتقدم به إليكم قبل انتهاء جلسات المؤتمر .

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » : « هناك مسألة أخرى قد تبدو إجرائية ، فقد اقترح صديقى الرئيس نكروما أن نختم أعمالنا هنا بتوقيع اتفاقية ملزمة لكل دول أفريقيا ، واعتقادى أنه من الصعب الآن إلزام ٣٤ دولة إفريقية بأحكام اتفاقية عامة واحدة . ولذلك فإننى اقترح أن ننهى أعمالنا هنا بإعلان للمبادئ نتفق على خطوطه العريضة ، وليس باتفاقية تلزمنا نصوصها متوقعين أن يقبل الجميع بعد أن يعودوا إلى بلادهم بالبقاء داخل هذه النصوص . »

وكانت هناك مشكلة عملية أخرى معلقة من الاجتماع التأسيسى الأول ، وهى مشكلة اختيار المقر الدائم لسكرتارية منظمة الوحدة الافريقية . واقترح « جمال عبد الناصر » أن تكون أثيوبيا هى المقر الدائم لسكرتارية المنظمة .^(٤)

وبقيت مشكلة أخرى حرص « جمال عبد الناصر » على أن يستبقها إلى النهاية ، وهى مشكلة إسرائيل . وقد بدأ حديثه فيها قائلا : « إنه استبقى إلى النهاية مسألة يعرف أنها حساسة ، ومبعث الحساسية فيها أن هناك عددا من زملائنا واصدقائنا يتصورون أننا نلج على خطر إسرائيل من تأثير صراعنا كعرب معها ، وأنا نريد توريط أفريقيا فى مشاكلنا الإقليمية . ونحن نختلف مع أصحاب هذه النظرة ، فحين نثير قضية إسرائيل أمام أفريقيا فنحن نفعل ذلك من يقيننا من أن إسرائيل من نفس الطينة العنصرية التى وجدت منها جنوب افريقيا . وقد أعدنا تقريرا مفصلا لكم عن مجالات التعاون بين إسرائيل وجنوب افريقيا ، وهى مجالات تمتد من تجارة العبيد الأثمة ، وحتى ميدان التعاون النووى المشبوه . ومن جانبنا فإننا لا ننوى أن نطرح عليكم اتخاذ أية

(٤) لعله فى هذا كان يصدر عن اعتبار مصرى خاص يتعلق بالعلاقات مع أثيوبيا ، فلقد كان اعتقاده دائما أن مصر يتحتم عليها رعاية مشاعر اديس ابابا إلى أقصى حد ممكن ، وذلك فى إطار سياستها المائية ، فهضبة الحبشة هى المصدر الرئيسى لمياه الفيضان ، وهو ضرورة حيوية بالنسبة لمصالح مصر . وأنه بصرف النظر عن اعتراضات بعض الزعماء الافريقيين الجدد على شخص الامبراطور « هيلاسلاسى » الذى يبدو لهم وكأنه شخصية منزعجة من قلب أساطير القرون الوسطى - فإن احدا لا يحق له أن ينكر دوره فى الكفاح الأفريقى ، كما أن مصر عليها أن تامله إلى آخر الحدود حتى وإن كان حكمه الاقطاعى نقيضا متعارضا مع افكارها ودعوتها الثورية .

قرارات فيما يتعلق بأفريقيا . ونؤثر أن تجيء أى اقتراحات بهذا الصدد من افارقة غير عرب إذا هم اقتنعوا بمحض إرادتهم بأن إسرائيل خطر على أفريقيا بمقدار ما هي خطر على العرب . »

ونجح مؤتمر القمة الافريقي بأى معيار يمكن أن يقاس به نجاح قمة إفريقية ، وكان « جمال عبد الناصر » مستغرقا بالكامل فى مهمة إنجاز المؤتمر . ولعل مجموعة أوراقه وتوجيهاته فى أثناء جلسات المؤتمر تعطى فكرة كافية عن الأسلوب الذى عمل به من أجل بلوغ هذا النجاح^(٥) .



كانت مصر ملتقى للقمة طوال سنة ١٩٦٤ :

- مؤتمر قمة عربية فى القاهرة (١٣ يناير ١٩٦٤) .
- مؤتمر قمة عربية سوفيتية بين « خروشوف » و « جمال عبد الناصر » ، وشارك فى مرحلة لاحقة منه كل من الرئيس الجزائرى « بن بيلال » ، والرئيس العراقى « عبد السلام عارف » (مايو ١٩٦٤) .
- مؤتمر قمة إفريقي فى القاهرة أيضا (يوليو ١٩٦٤) .

والآن وفى يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٤ كان الموعد المحدد لانعقاد مؤتمر قمة عربى ثان تقرر هذه المرة أن يكون فى الاسكندرية . وكان مؤتمرا صعبا وشائكا ، ففى حين أن المؤتمر الأول فى يناير كان مؤتمرا استكشافيا لامكانيات القمة العربية^(٦) ، وقد توصل بالفعل إلى قرارات هامة فى قضايا محددة - فإن القمة الثانية لم تكن مجرد استكشاف ، وإنما كانت عملية ممارسة . فضلا عن أنها وجدت نفسها فى مواجهة نتائج وأثار القمة الأولى .

(٥) صور من أوراق وتوجيهات « جمال عبد الناصر » كتبها بخط يده فى أثناء انعقاد جلسات المؤتمر منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٥٢ صفحة ٩٤٦

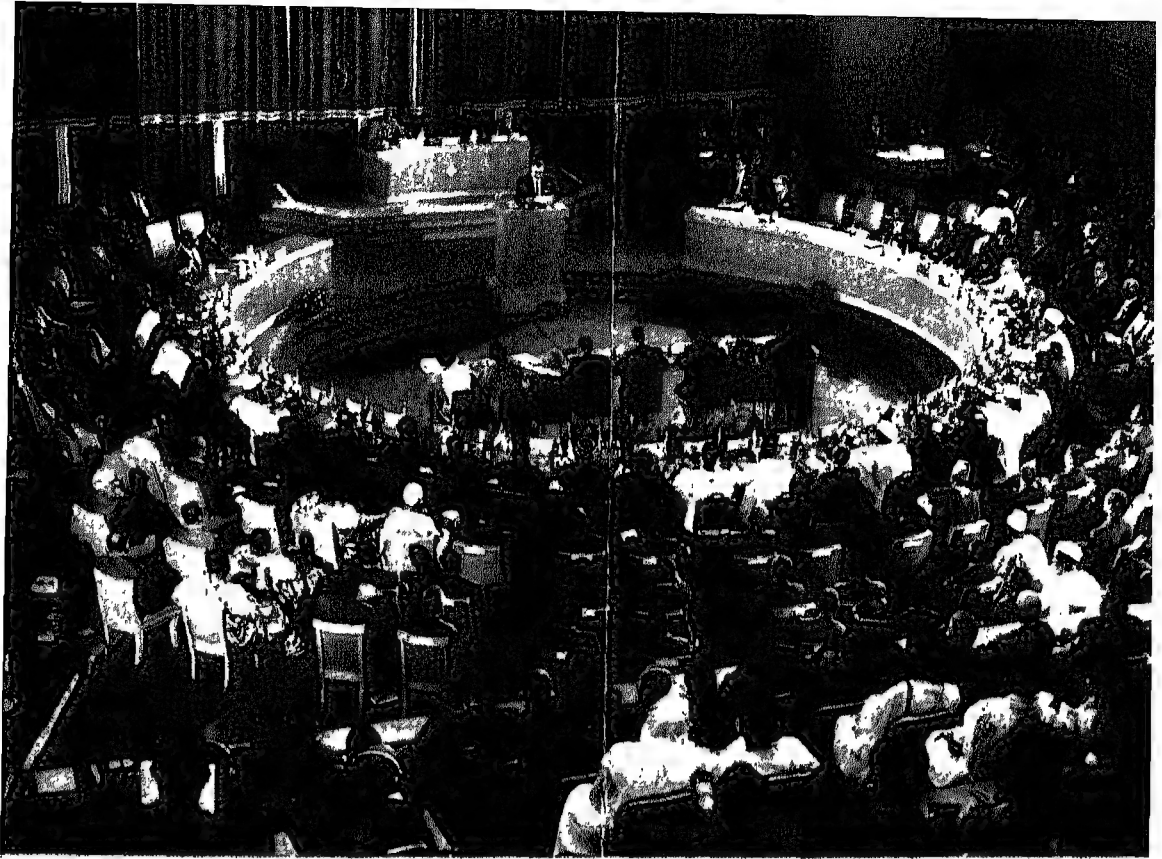
(٦) كانت محاولة القمة الوحيدة السابقة لذلك هى محاولة الملك « فاروق » فى اجتماع « انشاص » سنة ١٩٤٦ وكانت محاولة محدودة اقتصر على لقاء اجتماعى ، وصدر عنها بيان مقتضب اقتصر على إعلان نوايا .



بورقيبة والحسن وابن بيللا في جناح بورقيبة اثناء مؤتمر القمة في القاهرة

كانت العقبة الأولى أمام القمة العربية الثانية هي المشاكل المتعلقة من قرارات وتوصيات القمة العربية الأولى :

١ - كانت مشروعات تحويل مياه الأردن من داخل الأراضي العربية متعثرة لعدة أسباب مالية وعسكرية . فبعض الدول التي قبلت على نفسها بالتزامات مالية لم تنفذ ما وعدت به ، ثم إن حكومة لبنان ، وكذلك حكومة الأردن بعثتا إلى القائد العام للقيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية الفريق أول « على على عامر » بخطابات سرية تبلغه فيها أنها لا تستطيع السماح بدخول قوات دعم أو مساندة عربية لحماية تنفيذ مشروعات التحويل - لأن ذلك قد يعتبر استفزازا لإسرائيل تستغله للتدخل عسكريا ضد البلدان التي تسمح به مما يعرض هذه البلدان لخطر حال . في حين أن القوات المطلوبة لجيوش القيادة العربية الموحدة لم تتحقق بعد .



عبد الناصر يلقي خطاب افتتاح مؤتمر القمة الافريقي في القاهرة .

٢ - إن التقرير الذى قدمه السيد « أحمد الشقيرى » المكلف بإقامة الكيان الفلسطينى أشار إلى المصاعب التى تواجهها مهمته ، فقد ظهرت الحساسية - وحتى النفور - بسرعة بينه وبين السلطات الأردنية التى خشيت أن يكون من نشاطه تهديد للصفة الغربية الواقعة فى الوقت الراهن على الأقل تحت المسؤولية السياسية والعسكرية للأردن . ومن ناحية أخرى ، بدا أن التفكير الخطابى يشد الأستاذ « أحمد الشقيرى » إلى أبعد مما هو قائم عمليا . ومن نماذج ذلك ما كتبه فى الصفحة الرابعة من تقريره حيث قال « ومن الهتافات التى أطلقتها السنة الشعب فى كل مكان ذهبت إليه فى الضفة والقطاع ، وبصورة عفوية - هتافات « يا شقيرى بدنا سلاح - يا شقيرى هات سلاح وخذ رجال - يا شقيرى هات سلاح وخذ تحرير » . والمهم أن الدعوة إلى الكفاح لم تكن مجرد شعارات وعبارات ، ولكن كل الدلائل كانت صريحة فى أن وراءها تصميمًا قاطعا وعزمًا أكيدا على خوض معركة التحرير . »

٣ - وكانت أزمة اليمن لا تزال عقبة كؤوداً ، وزاد من تعقيد الأزمة أن الدور البريطاني في الحرب ضدها زاد بروزاً مما دعا السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يعد للمؤتمر مذكرة بدأها بقوله : « إن التآمر على سلامة الجمهورية العربية اليمنية ، ومحاولة القضاء عليها أصبحتا من السمات البارزة في السياسة البريطانية . وقد ظهر من تصريحات المسؤولين البريطانيين ، ومما تكتبه صحافة لندن أن ذلك يعود إلى خشية بريطانيا من الثورة اليمنية على مصير وجودها في الجنوب المحتل » - ثم امتد تقرير الأمين العام بعد ذلك إلى تسع صفحات حتى وصل في فقرته النهائية إلى القول : « لقد بلغ العدوان البريطاني على الجمهورية العربية اليمنية حداً بعيداً من الشراسة والضراوة تنفيذاً لمخططاتها الاستعمارية البعيد المدى ، والذي لا يقصد إلى النيل من الجمهورية العربية اليمنية فحسب ، بل يتناول المنطقة العربية بأسرها » .



وكانت العقبة الثانية هي أن ظهور واستمرار اللقاءات العربية على مستوى القمة فتح الباب أمام كل الأطراف لعرض سيل من القضايا والمشاكل والأزمات وجدها كل منهم جديرة باهتمام القمة :

١ - أرادت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تلفت نظر القمة إلى خطورة النشاط النووي لإسرائيل ، فقدمت إلى المؤتمر تقريراً من ثمانى صفحات يتحدث عن إمكانيات مفاعل « ديمونة » الذى بنته إسرائيل بمساعدة فرنسا ، وذكرت « أن هناك أنباء لدى إحدى دول المعسكر الشرقى تستوجب الاحساس بالخطر إزاء إمكانيات النشاط النووى فى إسرائيل » . ثم ذكر الأمين العام فى تقريره^(٧) أن ما بلغه من هذه المعلومات يظهر « أن مفاعل ديمونة يعمل فيه عدد كبير من الخبراء الفرنسيين جاءوا من فرنسا مع عائلاتهم ، وتحمل سياراتهم أرقاماً فرنسية ، وقد خصص لسكانهم سلسلة من الأبنية المتجاورة فى المدينة الذرية الإسرائيلية ، وهم غالباً ما يتجمعون فى مقهى فى بئر سبع أطلق عليه اسم المقهى الفرنسى (الشهير فى باريس) « كافيه دى لابييه » وصاحبه يهودى يونانى . كما أرسلت إسرائيل تباعاً عدداً من العمال الفنيين اليهود للتدريب فى المعاهد الذرية الفرنسية والعمل فى هذا المفاعل بعد عودتهم . وإلى جانب مفاعل « ديمونة »

(٧) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربى برقم د ٢ / ٢ / ١ - ج .

فهناك معاهد أخرى في إسرائيل تعمل لخدمة التطور النووي ، وهى : معهد « وايزمان بروخوبوت » ويشتمل على ٧١ مختبرا و ٦١ غرفة للدراسة . وفيه جهاز ذرى لانتاج الطاقة الكهربائية ، وجهاز آخر لانتاج المياه الثقيلة ، وميزانية المعهد تزيد على ١٠ ملايين دولار سنويا - ومعهد « التخنيون » (الهندسة التطبيقية) في حيفا ، وفيه يتخرج مهندسون ذريون - والجامعة العبرية ، وفيها جهاز لتوليد البروتونات والذرات الخفيفة بالتعاون مع جامعة « كورنيل » في أمريكا - ومركز ذرى مقام على جبل الكرمل بحيفا أقيم بواسطة خبراء أمريكيين يشرفون عليه ويدربون الاسرائيليين فيه .

٢ - وأرادت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أيضا أن تلتفت نظر الرؤساء العرب إلى خطورة التغلغل الصهيونى فى الدول النامية ، وبالذات فى إفريقيا .^(٨)

٣ - وإضافة إلى ذلك أرادت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تلتفت نظر القمة العربية إلى خطورة النشاط الاسرائيلى فى أمريكا اللاتينية ، وكان ذلك بناء على مذكرة من حكومة الأردن التى قام وزير خارجيتها بزيارة لأمريكا اللاتينية عاد منها وقد أزعجه ما رأى ، فالمسرح متروك لاسرائيل ، والوجود العربى ليس مؤثرا ، كما أن الجاليات العربية هناك « لا تؤدى مع الأسف ما عليها من واجب » .^(٩)

٤ - ثم أرادت الأمانة العامة أخيرا بناء على مذكرات من حكومة الكويت أن تلتفت نظر القمة إلى التغلغل الأجنبى فى منطقة الخليج العربى . وجاء فى مذكرة الأمين العام لجامعة الدول العربية^(١٠) « أن الحكومة البريطانية - على سبيل المثال - تمكنت بوسائل الضغط والخديعة أن تفرض على حكام المنطقة اتفاقيات ومعاهدات غير متكافئة لا يقرها عرف ولا قانون . فقد نصت هذه الاتفاقيات على تعهد الأمراء المشايخ ألا يسمحوا لوكلاء أية دولة غير بريطانية بالإقامة فى بلادهم ، أو حتى مكاتبهم ، وألا يمنحوا أية امتيازات تجارية أو بحرية إلا لبريطانيا . بل إنها فرضت عليهم ألا يستغلوا بأنفسهم ما قد يكتشف فى بلادهم من بترول إلا عن طريق بريطانيا أو بموافقتها ، وأن تتولى عنهم شئون الدفاع الخارجى والأمن الداخلى والعلاقات الدولية » .

(٨) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربى برقم د ١ / ٢ / ٢ - هـ .

(٩) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربى برقم د ١ / ٢ / ٢ - و .

(١٠) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربى برقم د ٦ / ٢ / ٢ .

٥ - وأرادت حكومة الكويت أن تلفت نظر القمة العربية إلى نشاط إيران في إمارات الخليج ابتداء من أبو ظبي إلى مسقط . وقد أشارت المذكرة الكويتية^(١١) إلى مظاهر نشاط عسكري واقتصادي وسياسي وثقافي يدعو إلى التخوف ، خصوصا وأنه يصاحبه نشاط إرهابي لا تخفى مقاصده ، ومن ذلك أنه قبض على إيراني يشعل حرائق عن عمد في دبي ، وقبض على أربعة إيرانيين أشعلوا أربعة حرائق في رأس الخيمة ، وشب حريق كبير في أبو ظبي ، واشتعلت حرائق كبرى في سلطنة مسقط ، وقد جرى إحراق ١٥٠٠ منزل في مدينة مطرح ، وهرب سكانها إلى داخل عمان . كما أن قاربا كان مفروضا أن يحمل أدوية للمستوصف الإيراني في مشيخة عجمان - ظهر في الواقع أنه يحمل أسلحة وذخائر أكثرها مسدسات . كما أن هناك إشاعات عن وجود ضباط إيرانيين بأثواب مدنية في دبي .



وكانت الشخصية التي ظهرت في قمة الاسكندرية ، ولفتت الأنظار إليها هي شخصية اللواء « أمين الحافظ » رئيس مجلس قيادة الثورة في سوريا . وكان ما لفت الأنظار إليه هو الأسلوب الذي تدخل به في أعمال المؤتمر . فقد بدأ يقول إن كل ما يسمعه مضيعة للوقت ، وأن مشاكل العرب كلها تبدأ وتنتهي بإسرائيل ، وأن القضاء عليها ممكن ومتاح إذا استطاع العرب تجميع أربعين لواء من القوات المسلحة ، وأنه كفيل بتقديم خطة إلى المؤتمر تضمن تحقيق هذا الهدف في أربعة أيام .

وبدا أن المؤتمر بدأ ينحرف إلى مزايدات عقيمة لن تصل بطبيعتها إلا إلى مزيد من الاحباط وضياح الجهود . كما بدا أن بعض الدول مهتمة بإنشاء مشروعات خاصة بها على حساب الخطر المشترك . وكذلك بدا أن هناك من يفضلون دور المتفرج على دور المشارك الفعلي في مسؤوليات العمل .

كان الأمير « فيصل » قد حضر القمة الثانية بعد أن تغيب عن القمة الأولى ، وكان واضحا أن الصراع الداخلي في السعودية قد حسم لصالحه ، وبدأ أن نوعا من التفاهم قد بدأ يعود إلى العلاقات بينه وبين « جمال عبد الناصر » . وكان الأمير « فيصل » هو الذي تدخل لمناقشة اللواء « أمين الحافظ » في خطته « بالقضاء على إسرائيل في أربعة أيام بأربعين لواء من القوات المسلحة » . فقد طلب الأمير « فيصل » من اللواء « أمين الحافظ » أن يضع خطته تفصيليا ثم تناقشها بعد ذلك

(١١) تقرير وزارة الخارجية الكويتية برقم ٦٤ / ٦٥٢ .

قمة عربية أخرى تنعقد في الرباط بعد شهور . وفي نفس الوقت تكون القيادة الموحدة للجيش العربية قد أعدت تقديراتها لامكانيات العمل المسلح من أجل فلسطين . وساعتها يمكن مقارنة الأوراق والخطط ، ويمكن الوصول إلى قرار أو قرارات .



في أجواء مؤتمر القمة العربية في الاسكندرية كان « جمال عبد الناصر » يشعر أن الأوضاع في العالم العربي راحت تتفاعل عند بعض التخوم بغير حسابات دقيقة ، وأن الظروف تفرض الامساك بزمام الحوادث ، وإلا تعتقد الأوضاع أكثر مما هي معقدة ، خصوصا بعد أن أصبحت القمة العربية الثانية مسرحا للمزايدات .

وقد حدث في هذه الأجواء أن وصل إلى القاهرة الدكتور « جورج حبش » زعيم حركة القوميين العرب وقتها ، والتقى بالسيد « سامى شرف » سكرتير الرئيس للمعلومات الذى كتب بعد اللقاء تقريرا يتضمن تقدير الدكتور « جورج حبش » للأوضاع في العالم العربى . وبلغت النظرة ما جاء في الصفحة الخامسة من هذا التقرير تحت بند :

« د - فلسطين »

اتصل بهم بعض الشباب الفلسطينيين في الكويت ، وذكروا لهانى الهندي (أحد اقطاب حركة القوميين العرب في ذلك الوقت) انهم قرروا إشعال ثورة شعبية مسلحة من داخل إسرائيل ، وإن لديهم تنظيم كامل مسلح ، كما أن هناك أسلحة ومخازن داخل إسرائيل . وإن ثورتهم قد تستمر من شهر ونصف إلى ستة أشهر ، وهم يرجون أن تتوسط حركة القوميين العرب لدى الجمهورية العربية المتحدة . كما أنهم على استعداد لإيفاد أشخاص للتفاهم حول هذا الموضوع . كما الحوا بأنهم إذا لم يتلقوا ردا مقنعا ، فإنهم قد يبدأون بالعملية سواء كانت الجمهورية العربية المتحدة توافق أو لا توافق ، وليضعوا المسؤولين العرب أمام امر واقع .

ذكر لى الدكتور جورج أن هؤلاء الشباب متصلون بالجزائر فعلا ، ولهم مندوب هناك على اتصال بالحزب ، وتصدر صورة من جريدتهم « فلسطيننا » بالجزائر ، وإن الدكتور جورج فهم أن اتجاه الجزائر بالنسبة لهذه العملية هو ترك الرأى النهائى فيها إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكنها في نفس الوقت تعتقد أن هذا هو الأسلوب الذى يجب أن تحرر به فلسطين .

الدكتور جورج وهانى الهندي سيلتقيان بمندوب هذه الحركة في خلال يومين أو ثلاثة حيث سيوضحوا له - بناء على طلبه - اتجاههم السياسى الغير واضح حتى الآن . وهم بالرغم من أنهم غير مرتاحين لطريقة هؤلاء الشباب التى يسودها عاطفة فقط دون تدبر أو روية في معالجة الموضوع إلا أنهم لا يريدون قطع الصلة أو صدهم ، ويريدون معرفة توجيهات سيادتكم .

ويتضح بالطبع أن هذه هي بدايات حركة « فتح » .

كان « جمال عبد الناصر » مؤمنا بالعمل المسلح ، مؤمنا به من الداخل ، فهناك في رأيه موقع الحسم ، ولكنه بشكل ما كان يشعر أن الظروف تحتاج إلى حسابات أدق - فالمسألة ليست « وضع المسؤولين العرب أمام أمر واقع » كما نقل الدكتور « حبش » - ولكنها نظرة أوسع على موازين الصراع وإمكانات تحريكها ، وفي أي توقيت ؟ وبشكل ما فإنه في هذه الفترة كان يشعر أن البؤر القابلة للانفجار في العالم العربي قد تناثرت بشكل يدعو إلى القلق ، وكانت هذه نتيجة طبيعية في تقديره لثورة آمال محبوسة - ومع ذلك فقد كان في أعماقه يحس بأن المسائل يجب أن « لا تنفلت » على حد تعبيره .

وكتب « جمال عبد الناصر » على هامش تقرير هذه المقابلة مع الدكتور « جورج حبش » تأشيرته بخطه جاء فيها بالحرف :

« أرى إرجاء هذه الحركة حتى عودة قواتنا الأساسية من اليمن حيث أن قواتنا (هناك) حوالى أربعون ألفا سنسحب منها بعد الاتفاق مع السعودية ٣٠ ألفا ، ويترك في اليمن ١٠ آلاف فقط » (١٢) .



وكانت الأوضاع في العراق تهتز تحت رئاسة الرئيس « عبد السلام عارف » . وما كاد مؤتمر القمة في الاسكندرية ينتهى حتى بعث الرئيس « عارف » برسالة مؤداها أنه يريد أن يعود إلى القاهرة بهدف إتمام الوحدة . وتلقى « جمال عبد الناصر » يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٦٤ رسالة بخط الفريق « طاهر يحيى » (١٣) رئيس وزراء العراق يقول في ختامها « إن الشعب يطالبنا الآن بإلحاح وإصرار بالتقدم به نحو هدفه الثانى ، وهو إعلان الوحدة مع شقيقته الكبرى العربية المتحدة » .

وفي تقدير « جمال عبد الناصر » وقتها ، فلم تكن الظروف مهياة لوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق بمقدار ما أن هذه الظروف لم تكن مهياة للعمل المسلح داخل إسرائيل بصرف النظر عن النتائج طبقا للآراء التى نقلها الدكتور « جورج حبش » عن تنظيم « فتح » .

(١٢) الصفحة السابعة من تقرير « سامى شرف » التى تتضمن هذه الفقرة ، وعلى هامشها تأشيرته « جمال عبد الناصر » بخطه منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٥٣ صفحة ٩٥٠ ، والأصل محفوظ في أرشيف منسبة البكرى .

(١٣) صورة من رسالة الفريق « طاهر يحيى » بخط يده منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٥٤ صفحة ٩٥١ ، والأصل مودع بأرشيف قصر عابدين .



ولم تكن القمة العربية الثانية آخر القمم في مصر سنة ١٩٦٤ . ففي ٥ أكتوبر ١٩٦٤ انعقد في القاهرة مؤتمر لرؤساء دول وحكومات الدول غير المنحازة ، وحضرته ٤٦ دولة إلى جانب إحدى عشرة دولة شهدت من موقع المراقب .

كان هذا المؤتمر أول قمة للدول غير المنحازة لا يحضره قطبها الكبير « جواهر لال نهرو » فقد توفى قبلها بعدة شهور تاركا وراءه وصية مؤثرة تليق بإنسان عظيم قضى حياته في النضال من أجل حرية وطنه ، ومن أجل سلام العالم وقد ختمها بقوله « إننى أريد أن يحرق جثمانى ، وأن تحمله طائرة تصعد به إلى الأجواء العليا ، وأن تلقى بذراته من الهواء لكى تنزل على الحقول التى يروىها عرق فلاح الهند ، وأتمنى أن تمتزج بتراب بلدى وتصبح جزءا لا يتجزأ منه » .

وكان هناك غائب حاضرا آخر عن المؤتمر وهو « مويس تشومبى » رئيس كاتانجا والشريك الرئيسى فى قتل « لومومبا » . وقد وصل إلى القاهرة دون دعوة لحضور مؤتمر عدم الانحياز ، وأصدر « جمال عبد الناصر » قرارا باحتجازه فى أحد القصور حتى تنتهى أعمال المؤتمر !



وربما بتأثير « نهرو » الحاضر الغائب فى المؤتمر ، فإن قمة عدم الانحياز كرسست جهدها لإصدار إعلان عن مبادئ السلام والتعاون الدولى . وقد طالب هذا الاعلان بعدة أهداف محددة يتحقق بها السلام ، وهى :

- ١ - عمل موحد من أجل تحرير البلاد التى لا تزال غير مستقلة للقضاء على الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية .
- ٢ - تأكيد احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، والتنديد باستخدام القوة ضد ممارسة هذا الحق .
- ٣ - مقاومة التمييز العنصرى ، وسياسة التفرقة العنصرية .
- ٤ - التمسك بالتعايش السلمى ، وتقنين مبادئه بواسطة الأمم المتحدة .
- ٥ - احترام سيادة الدول وسلامة أراضيها .

٦ - حل المنازعات بدون التهديد باستعمال القوة أو استخدامها وفقا لمبادئ الأمم المتحدة .

٧ - نزع السلاح العام الشامل ، واستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية ، وتحريم جميع تجارب الأسلحة النووية وإنشاء مناطق مجردة من الأسلحة النووية ، ومنع انتشار هذه الأسلحة تمهيدا لالغائها .

٨ - فك جميع الأحلاف والقواعد العسكرية .

٩ - تأكيد دور الأمم المتحدة في الشؤون الدولية ، والتمسك بتنفيذ قراراتها ، وتعديل ميثاقها إذا كان ذلك ضروريا .

١٠ - فتح كل الأبواب للتنمية والتعاون الاقتصادي بين الدول .

وتلقى السفير « محمد القونى » مندوب الجمهورية العربية المتحدة الدائم فى الأمم المتحدة تعليمات بأن يعقد اجتماعا موسعا لكل سفراء الدول المشتركة فى عدم الانحياز والمعتمدين لدى الأمم المتحدة لى يذهبوا جميعا فى موكب واحد ، ويقدموا إعلان برنامج السلام والتعاون الدولى الصادر عن قمة عدم الانحياز إلى « يوثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة ، ولكى يكون من هذه المظاهرة فى تقديم الاعلان إلى « يوثانت » رمزا لتصميم وإرادة أكبر مجموعة من الدول التقت على برنامج واحد فى العمل الدولى .



ولم يكن ذلك كله مقبولا فى البيت الأبيض الذى يجلس « ليندون جونسون » فى مكتبه البيضاءوى الشهير . فلم تكن كل هذه القرارات والاعلانات الصادرة عن قمم القاهرة متفقة مع آرائه ، أو مع سياساته ، أو مع مزاجه . ولم يكن سعيدا وهو يرى القاهرة وقد تحولت سنة ١٩٦٤ لتصبح اقرب ما تكون إلى عاصمة لا تنازع للعالم الثالث بأماله وطموحاته وحركته .

الفصل الخامس

الاقترب من فوهة البركان

وفي يوم أول نوفمبر كتب السفير « محمد القونى » المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة في نيويورك خطابا شخصيا إلى الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، وبعث به إليه في الحقيبة الدبلوماسية . وقرأه الدكتور « فوزى » ثم كتب لـ « جمال عبد الناصر » مذكرة قال فيها بالنص :^(١)

« السيد الرئيس »

تسلمت من السفير القونى خطابا جاء في مشتملاته جزء راي القونى ، ووافقته ، بان من المناسب ان اطلعكم عليه ، وقمت باستخراج هذا الجزء دون بقية الخطاب توفيراً لوقتكم حيث ان الخطاب في اصله شخصى ، ومما يكتبه الاصدقاء بعضهم لبعض .

مقدما لكم التحية ، مع موفور الاحترام .

محمود فوزى «



وكانت الفقرات التى اختارها الدكتور « فوزى » من خطاب السفير « القونى » - ليطلع الرئيس « عبد الناصر » عليها - كما يلى :

.....
.....

(١) اصل مذكرة الدكتور « محمود فوزى » ومرفقاته موجود في أرشيف وزارة الخارجية ، وفي أرشيف منشية البكرى ، وتوجد أيضا نسخة منه في اصول كتاب الدكتور « محمود فوزى » عن تجربته السياسية والذى اختار له عنوان « اما بعد » - ولم ينشر هذا الكتاب لان الدكتور « محمود فوزى » لم يكن قد فرغ من إعدادة كاملا .

بعد ما « وجعت راسك » بكل ما كتبته في هذه الصفحات لا يبقى عندي من اخبار الدورة غير مسالة اخيرة تركتها إلى نهاية الخطاب ، وأترك لك تقدير أهميتها من عدمه ، وإذا وجدت لها أهمية فربما تنتهز اى فرصة وتضعها تحت علم السيد الرئيس - هذا مع العلم اننى اجدتها مستوجبة للاهتمام ، وعلى العموم فإن الراى اولا واخيرا لتقديرى الذى نحترمه كلنا . والمسالة هى :

« اول امس كنا مدعوين لكوكتيل اقامه المسكر ادلاى ستيفنسون (رئيس الوفد الأمريكى الدائم إلى الامم المتحدة) وهو بالمناسبة يسلم عليك ويفتقد عدم حضورك للدورة الجديدة ، ويقول إن هذا اول موسم لا يراك فيه في الامم المتحدة ، وإن كان يأمل ان تسمح ظروفاك الجديدة^(٢) بحضورك ، ولو في جزء من الدورة .

كان المدعوين إلى الكوكتيل عدد كبير ، وفيهم كثير من معارفك وهم ايضا سألوا عنك . المهم كان بين المدعوين اللورد « هارليك » وهو كما تعرف السفير الانجليزى في واشنطن ، وهو متداخل جدا في اوساطها السياسية ، وكان كما تذكر من اقرب المقربين للبيت الابيض في إدارة كنيدي ، وهو الآن لا يتورع عن انتقاد « جونسون » ويقارن كثيرا بين الرجلين لمصلحة كنيدي بطبيعة الحال ، وقد وجدت انتقاداته شديدة ودهشت من انه لم يتحرج في إبدائها امام ستيفنسون وهو مهما يكون رئيس الوفد الأمريكى الرسمى ، ويمثل الرئيس الجديد كما كان يمثل الرئيس القديم . والذى لاحظته ودعائى إلى الاندهاش ان ستيفنسون كان يظهر عليه انه لا يعترض على ما يبديه اللورد هارليك ، حتى كدت اعتقد انه يوافقه على ما يقوله وإنما يتحرج من أن يقوله بنفسه .

الاهم بعد ذلك ان موضوع التصعيد الاخير في فيتنام كان هو الموضوع الذى يستولى على اهتمام الجميع ويتحدثون عنه ، ويناقدون تأثيره على اعمال الدورة الجديدة . وكان الجميع مستغربين لأمر جونسون بضرب فيتنام الشمالية مع ابتداء الدورة ، ويضربون اخماسا في اسداس عن الحقيقة في موضوع خليج تونكين ، وقد قال اللورد هارليك إن حادثة خليج تونكين^(٣) مدبرة ، لكى يستطيع جونسون أن يتخذها عذرا لتصعيد الحرب مع فيتنام . إن انه فيما يظهر سوف يجعل انتصار امريكا في فيتنام هو اساس حملته الانتخابية للرئاسة ، واثناء

(٢) كان الدكتور « محمود فوزى » قد ترك وزارة الخارجية ، وعين مساعدا لرئيس الجمهورية للشؤون الخارجية .

(٣) كانت حادثة خليج تونكين بالفعل مدبرة ، فقد اعلن جونسون أن مدفعية الشواطىء الفيتنامية ، اعتدت بمدافعها على قطع بحرية أمريكية خارج المياه الاقليمية الفيتنامية ، واتخذ من ذلك تكة لغارات مكثفة على فيتنام الشمالية دون الرجوع إلى الكونجرس ، وقد أثبتت تحقيقات السناتور فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكى هذه الحقيقة ، عندما قامت بمناقشة حرب فيتنام في جلسات استماع مفتوحة ، وكان انكشاف هذا التدبير بين الاسباب التى أرغمت جونسون على عدم ترشيح نفسه لمدة جديدة في انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٨ .

النقاش بيننا في هذه الأمور وجه اللورد هارليك حديثه إلى أمام ستيفنسون وبحضور سفير فرنسا وسفير بناما وسفير غانا ، وقال : « إن هذه المسألة تهمكم انتم في الشرق الأوسط على الخصوص لأن جونسون ليس عنده وقت الآن لمعالجة أمور الشرق الأوسط وازماته ، فهو يريد التفرغ لموضوع فيتنام ، وبما أنه لا يستطيع أن يهمل أو يستغنى عن الشرق الأوسط ، ولهذا فإنه بنصيحة أصحابه قرر أن يترك الزمام فيه لإسرائيل لأنها تعرف المنطقة وهي في وسطها وما يجرى فيها يهملها أكثر مما يهم غيرها ، كما وأنه مما لا شك فيه أن مصالح الاثنين (أمريكا وإسرائيل) ليست بعيدة عن بعضها . ولما أبديت له أنني أجد ما يقوله شيئاً غريباً ، شرح المسألة هكذا :

اساس المشكلة في تقديره أن الرئيس جونسون متضايق أشد الضيق من السياسة المصرية من كل النواحي ، وهو ينتقد سياسة كنيدي ناحيتنا ويراهم سياسة ضعيفة رسمها مستشارو كنيدي المتأثرون بالمدرسة الانجليزية ، وهو يقول إن في أيام لورنس لم يكن العرب ينتجون صواريخ وطائرات ويجيئون بعلماء المان وخلافه !

وقال اللورد هارليك إنه سمع هو شخصياً من أقرب المقربين إلى جونسون أنه متأزم من الدور الذي تقوم به مصر ، والظاهر من كلامه أن مؤتمرات القمة التي اجتمعت في القاهرة ضايق جونسون ، وكذا زيارة خروشفوف ، وكذلك مؤتمر عدم الانحياز . والمؤتمر الافريقي بالذات يظهر أنه أثار اعصابه (جونسون) وحسبه على أنه مؤثر بالضرر على مصالح أمريكا وحلفائها من ناحية المواد الخام الاستراتيجية .

والنقطة التالية في كلام اللورد هارليك أن عنصر الوقت مهم لأن مصر تأخذ مكاناً أكبر من مكانها وتقوم بحشر غيرها ، وإذا تركوها بدون تعرض ، فالمسألة قد تتفاقم أخطارها في المستقبل ويصعب تداركها أو تصبح أصعب وأصعب في كل يوم .

وتعبير اللورد هارليك كان أنه إذا وجد جونسون نفسه أمام مشكلة في الشرق الأوسط وليس لديه الوقت الكافي لعلاجها ، فمن طبيعة الحال أن يعتمد على صديق أو حليف أو نائب عنه بصفة وكيل .

وإسرائيل تقدم نفسها إليه بهذه الصفة ، وبصفة إخلاصها و صداقتها الموثوقة القديمة معه .

وتحدث اللورد هارليك عن الفوائد التي يعود بها هذا الحل على جونسون :

١ - هذا الحل يوفر الوقت لجونسون حتى يركز على فيتنام ، ويرتب كل الأوضاع في الشرق الأقصى - مستفيداً أيضاً من الخلاف الصيني السوفيتي .

٢ - وهذا الحل يوفر له تأييد اصدقاء إسرائيل في أمريكا ، ويجعلهم يقفون صفا واحدا مرصوصا وراء سياسة جونسون في فيتنام ، وهذا مهم من ناحية تأثير اليهود على التيارات الليبرالية في أمريكا .

٣ - وهذا الحل مهما تكون النتائج التى تنتج عنه لا يؤدى إلى تدخل دول كبرى أخرى فيما يحدث في المنطقة ، كما حدث في وقت السويس ، لأن المسألة سوف تكون في هذه الحالة مسألة محلية ومحدودة لا تستطيع أى قوة ، ولا حتى الاتحاد السوفيتي - ان تدعى انها أزمة عالمية .

٤ - إن هذا الحل بما معناه إطلاق يد إسرائيل في التصرف لن يؤدى إلى إغضاب كل العرب ، بل يمكن أن يكون فيهم من سيكونوا سعداء إذا استطاعت إسرائيل حصر الدور المصرى وخنقه ، وهذا على أى حال هو المطلوب الذى تبغيه السياسة الأمريكية .

٥ - ذكرنى اللورد هارليك كذلك بما كان يدعيه الاسرائيليون في السنوات الاخيرة من انهم كانوا يقدرون وحدهم على هزيمة مصر في سنة ١٩٥٦ وإن اشترك فرنسا وانجلترا لم يساعدهم كما كان يقال ، وإنما أضربهم دون شك . وقد ظلوا يقولون هذا ، ويطالبون الأمريكان « بأن يعطوهم الوسائل وهم يقوموا وحدهم بالمهمة Give us the tools and we finish the job . »

وقال اللورد هارليك إن عناصر كثيرة في البنتاجون والأمن القومى والمخابرات أصبحت تتبنى الدعوة إلى هذا الحل وتؤيده ، وإن هذا الحل هو أقرب ما يكون إلى استعداد الرئيس جونسون وميوله ما في ذلك شك .

هذا مجمل ما دار ، وإننى حرصت على أن يكون فيه شيء من التفصيل لكى تتمكن بنفسك من وزن قيمته والتصرف بما تجده مناسباً من جهة إطلاع السيد الرئيس بالطريقة التى تراها .

وكان يراودنى شك في كلام اللورد هارليك لأنى اعرف صداقته بجماعة كنيدي ونفوره من جماعة جونسون ، والمشاكل بين الطرفين الآن على أشدها - ولكن لأن تحليله فيه منطق . ولأنه مطلع ولا شك في هذا ، ولأن الكلام جرى كله أمام ستيفنسون ، وأمام سفراء دول ، فإننى قدرت ضرورة إخباركم بتفصيلاته .



قرأ « جمال عبد الناصر » هذه الفقرات من خطاب السفير « محمد القونى » إلى « محمود فوزى » يوم ٦ نوفمبر ١٩٦٤ .

وفى نفس اليوم تلقى الصورة الكاملة لنتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية ، وكانت قضية فيتنام هى الموضوع المركزى فيها ، وقد انتهت بفوز ساحق

لـ « جونسون » على منافسه « جولدووتر » وكان توزيع الأصوات ١٧٢٧١ : ٤١٠ صوتا
لـ « جونسون » في مقابل ٢٥٩١٦٢٥٨ صوتا لـ « جولدووتر » .

كان رد فعله الأول أن دعا الدكتور « محمود فوزى » إلى اجتماع معه في بيته
لمناقشة « سياسة جونسون » بعد عودته للرئاسة منتخبا بشخصه لأول مرة ، وليس
فقط باعتباره نائب الرئيس الذى أكمل مدة رئاسة سلفه الذى اغتيل بالرصاص
فجأة .



ويوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٤ حدثت معركة جوية فوق سوريا قام فيها الطيران
الاسرائيلى باختراق المجال الجوى السورى ، واستدراج الطيران السورى إلى
معركة مقاتلات . وفقد الطيران السورى الذى أخذ على غرة أكثر من عشر
طائرات . وتقدمت سوريا بشكوى عاجلة لمجلس الأمن الذى اجتمع يوم ١٦
نوفمبر لمناقشة العدوان . وكانت اللهجة التى تكلمت بها إسرائيل معبأة بنبرة
مبطنة بالاستعلاء . ولعلها كانت تقوم باستعراض للقوة يقنع واشنطن قبل
غيرها من العواصم ، بما فيها العواصم العربية ذاتها ، وهى المقصودة
بالضربة والدرس !



وعلى الأرض العربية - وتحت هذه الأجواء التى تقاطعت فيها خيوط
النار - فإن المشهد العام كان باعثا على القلق . مراحل من التاريخ والتطور
تتصادم مع مراحل . وأفكار وتجارب مشبكة مع تقاليد ومواريث . وصحارى
ونجوع فى حالة خصام مع وديان ومدن . ومعارك بالقنابل والرصاص والخناجر
تشابكت ، وتداخلت فيها مواقع الأطراف . وقوى خارجية لها مطالبها ، وبعضها
له خرائطه ، وتحركها نحو ما تريد كظواهر وفاعل فى بؤر ، وفاعل دون ظهور فى بؤر
أخرى !

وكانت هناك فى المنطقة حرب أهلية ساخنة ، وحرب خارجية باردة فى نفس
الوقت .

وكان هناك تغيير على وشك أن يطرا : الحرب الأهلية الساخنة بدأت تميل
إلى البرودة ، والحرب الخارجية الباردة بدأ يجرى تسخينها .

ثم إن هناك صراعا تتسع رقعته بمساحة قارات (خصوصا فى إفريقيا) ،
وأمالا تتجاوز بطموحاتها إمكانيات التحقيق ، وحتى إيقاع الزمن !

إلى جانب ذلك فإن الخطوط كانت قد طالت على كل الاتجاهات ، كما تكاثرت الجيوب التي تركتها عمليات الاختراق والتقدم والتطويق وراءها ، واتصلت بعض هذه الجيوب ببعضها ، واختلط الخارج بالداخل ، والعكس .

ولقد كان في وسع إطلالة سريعة على هذا المشهد أن تظهر بقدر كاف من اليقين أن المنطقة كلها تعيش على حافة بركان . وكان البركان قد عانى سنوات من الغليان ، وكان الغليان حتى الآن مكتوماً إلا من زفير بخار محبوس ، وتماوج أبخرة ساخنة متصاعدة ، وبقع حمم ملتهبة تتناثر أحيانا هنا وهناك من تأثير النار المكبوتة في الأعماق .

شواهد توحى كلها باحتمال انفجار !



شواهد بدا منها أن الصراع على الشرق الأوسط ، وفيه قد انتقل إلى البند الثاني من التقرير الشهير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية^(٤) الذي رأى أنه لا وسيلة إزاء مصر غير بديلين :

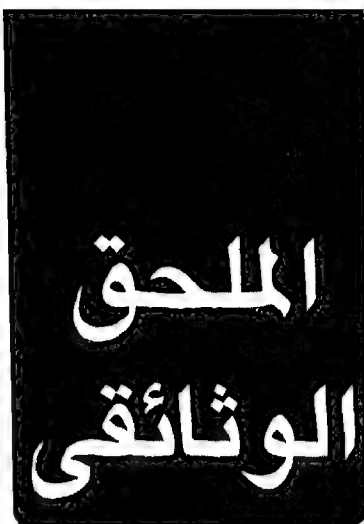
● إما الاغتيال

● وإما هزيمة ساحقة أمام إسرائيل

ولقد جرت تجربة الطريق الأول عمليا وسياسيا إلى مداه (وسراديبه ما زالت على أي حال مفتوحة !)

والآن (و « جونسون » يتفرغ لحرب فيتنام) فقد حان الأوان لتجربة الطريق الثاني .

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا التقرير على صفحة ١٨٦ . كما أن صورة من الصفحة الأولى فيه ، والتي تقدم ملخصا حاسما له منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ١٣ صفحة ٨٢٢



مقدمة

تتضمن الصفحات التالية من الكتاب ملحقا وثائقيا كاملا يعزز نصه الأصلي وفي بعض الأحيان يضيف إليه .

وتحسن الإشارة مقدما إلى بعض الملاحظات :

١ - كل الوثائق العربية التي يتضمنها الكتاب وملحقه الوثائقي مثبتة بمواضع حفظ أصولها في الملفات الرسمية ، وقد جرت الإشارة إليها جميعا في حواشي الصفحات وحيث استلزم الأمر ذلك . وربما لوحظت الإشارة المتكررة إلى أرشيف منشية البكرى ، وهذا الأرشيف كان موجودا في مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » في مبنى مواجه لبنيته ، وقد تقرر نقل محتويات هذا الأرشيف بأمر من الرئيس « أنور السادات » إلى قصر عابدين ، وتم بالفعل نقلها خلال شهرى يوليو وأغسطس ١٩٧١ .

٢ - كل الوثائق الأجنبية في هذا الملحق - وأهمها مجموعة الوثائق الأمريكية ، وبعضها تم الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات - سلمت إلى « مركز الأهرام للترجمة والنشر » ليقوم بترجمتها إلى اللغة العربية ، وكان ذلك من جانب مؤلف الكتاب ضمانا إضافيا لحياة الترجمة معنى ولفظا .

٣ - ومن داعى الحرص على عدم التكرار ، فإن الوثائق التي جرى استعمالها في النص الأصلي للكتاب لم ترد في الملحق الوثائقي ، وأما ما جاء في هذا الملحق فقد أشير إليه في موضعه مجرد إشارة رغبة في أن يكون الملحق الوثائقي جزءا من الكتاب يقرأ في حد ذاته ، ويؤدى دوره في إلقاء أضواء إضافية على جوانب مختلفة من الصورة العامة للأحداث .

٤ - يلاحظ في هذا الملحق كثرة وتعدد الوثائق المكتوبة بخط الرئيس « جمال عبد الناصر » نفسه ، وكان هذا مقصودا بحكم أن أدق شهادة على تصرفات أى رجل هى ما كتبه بنفسه وبخط يده وفي ظروف لم يكن نشر ما كتب مطروحا من قريب أو من بعيد .

الوثيقة رقم ١

محضر للحوار الذى دار بين المستر « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانى
والمستر « جون فوستر دالاس » وزير خارجية الولايات المتحدة يوم ١٠ ديسمبر
١٩٥٦ .

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF HER BRITANNIC MAJESTY'S GOVERNMENT

SECRET

Middle East (Secret) Cabinet Distribution

JE 1094/363G

Copy No. 13

RECORD OF A CONVERSATION BETWEEN THE SECRETARY OF STATE AND MR. DULLES ON MONDAY, DECEMBER 10, 1956, IN PARIS

The Secretary of State said that as a result of what we had been told by the United States Administration, and particularly the threat to sterling, we had agreed to withdraw our forces from Port Said virtually without conditions. He was, however, much concerned about the repercussions if in fact we obtained no satisfaction on any of the issues which were of concern to us. For instance, we had received certain assurances from the Secretary-General about clearance of the Canal. It now seemed that the Egyptians had obstructed General Wheeler's journey to Cairo and we had no indication that any of our salvage resources

هذه الوثيقة تخص حكومة جلالة ملكة بريطانيا

سرى

للتوزيع (السرى) على مستوى مجلس الوزراء بشأن الشرق الأوسط

النسخة رقم ١٣

JE 1094 / 363G

محضر للحوار الذى دار بين وزير الخارجية والسيد دالاس يوم الاثنين ١٠ ديسمبر

١٩٥٦ فى باريس .

قال وزير الخارجية إنه نتيجة لما ابلغتنا به حكومة الولايات المتحدة ، ولا سيما
التهديد المتعلق بالجنيه الاسترليني ، فقد وافقنا على سحب قواتنا من بور سعيد
بدون شروط من الناحية العملية . غير انه يشعر بقلق شديد للنتائج التى يمكن ان
تترتب على عدم حصولنا على ترضية بشأن اى قضية من القضايا التى تهمنا . وعلى سبيل

المثال ، فقد تلقينا تأكيدات معينة من السكرتير العام للأمم المتحدة بشأن تطهير القناة .
ويبدو الآن أن مصر عطلت سفر الجنرال هويلر إلى القاهرة ، ولم ننتلق ما يفيد أن أيا من
معدات الإنقاذ التابعة لنا سوف تستخدم . وليس في وسعنا أن نترك سفن الإنقاذ التابعة لنا
في بور سعيد بدون أطقمها البريطانية بعد خروجنا ، ونحن مضطرون بسبب عامل الوقت إلى
البدء في سحب تلك المعدات يوم الأربعاء ١٢ ديسمبر إذا لم يتم التوصل حتى ذلك الحين إلى
ترتيب مناسب لاستخدامها . وبذلك سينشأ موقف يتسم بطابع عبثي ينسحب فيه أسطول
ضخم للتطهير من القناة ، وسيكون من اللازم في بعض الحالات ترك بعض الحطام الذي رفع
جزئيا ليسقط إلى القاع مرة أخرى .

٢ - وفيما يتعلق بنظام القناة في المستقبل ، فقد كنا على استعداد لأن نأخذ رسالة
السكرتير العام المؤرخة في ٢٤ أكتوبر ، نقطة بدء لمحات جديدة ، لكن السكرتير العام نفسه
أبلغنا الآن أن موقف فوزى من هذه المسألة أصبح أكثر تشددا .

٣ - وهناك أيضا مسألة المطالبات ، والمطالبات المضادة التي لم يتم التوصل إلى إتفاق
بشأنها حتى فيما يتعلق بالإجراءات . فالمصريون ماضون في مصادرة الممتلكات البريطانية في
مصر ، واستولوا على المواد الموجودة في قاعدة القناة . ولا شك في أنهم سيقدمون لنا فاتورة
هائلة بسبب أضرار الحرب التي وقعت في بور سعيد وغيرها . ومن الواضح أنه ليس في
الوسع نسوية جميع هذه المطالبات ، والمطالبات المضادة قبل إتمام انسحابنا ، ولكن يمكن
على الأقل الاتفاق على تسويتها عن طريق التحكيم .

٤ - وكذلك فإن وضع الرعايا البريطانيين في مصر ، يبعث على القلق الشديد .
فالمصريون يلزمونهم بالمغادرة ، ومن المشكوك فيه للغاية أن تتخذ إجراءات مناسبة لحماية
ممتلكاتهم . وذلك بالإضافة إلى اعتقال نحو ٥٠٠ من المقاولين المدنيين في القاعدة . ولم ننتلق
أى تأكيد بالإفراج عنهم . وقد يكون هذا الجانب من الموضوع أكثر أهمية من الجوانب
الأخرى من وجهة نظر الرأي العام في المملكة المتحدة .

٥ - ولو أننا توصلنا إلى اتفاق مع المصريين بشأن انسحابنا كان الأرجح أن نسوى
جميع هذه المسائل كجزء من الاتفاق ، إلا أن تطور الأمور ، كما جرى في الواقع ضيع هذه
الورقة من يدينا . لكن قد لا يكون ذلك قد حدث بالفعل إذ أن الانسحاب لن يستكمل قبل
أسبوع ، أو عشرة أيام بل إن الفرنسيين كانوا حريصين ، لأسباب برلمانية ، على ألا يتم
الانسحاب حتى يوم ٢٢ أو ٢٣ ديسمبر ، وقد يكون في الوسع إتاحة هذه الأيام القليلة
الاضافية لهم عن طريق ترتيب إدارى يوضع مع الجنرال بيرنز . لكن يبدو لنا أنه من الأهمية
بمكان كبير التوصل إلى تسوية أو على الأقل تحقيق تقدم بشأن هذه المسائل الأخرى خلال هذه
الفترة . وقال وزير الخارجية : إنه يقترح تأكيد أهمية هذه المسألة للسكرتير العام ،
ويا حبذا لو سافر السكرتير العام بنفسه إلى القاهرة . وفيما يتعلق بالتطهير ، فإننا نقوم
بالفعل بالاتصال بالبلدان الأخرى المستخدمة للقناة .

٦ - ذكر السيد دالاس أن القول بأن « الولايات المتحدة طلبت منا أن نخرج » ليس دقيقا
تماما . إلا أنهم يتصورون أن كثيرا من النتائج السيئة التي تترتب على تحركنا يمكن أن تعالج
على نحو أفضل بعد انسحابنا من بور سعيد . وهم طبعاً لا يستطيعون أن يضمنوا ذلك ، غير

أن هناك أشياء معينة يستطيعون أن يفعلوها بأنفسهم ، مثل دعم الجنيه الأسترليني الذى وعدوا به الآن . وقال وزير الخارجية إنه لا يريد أن يظن أحد أننا لا نشعر بالامتنان لهذا العمل من جانب حكومة الولايات المتحدة . وقد أسعدنا البيان الذى صدر يوم الاثنين الماضى والكلمة التى ألقاها نيكسون نائب الرئيس . وقال السيد دالاس إنه شخصيا ناقش هذا الخطاب مع السيد نيكسون سلفا ، وأنه مطمئن إلى أن الجو فى الولايات المتحدة أفضل الآن بصورة عامة ، وأن الخطوة التى اتخذت لدعم الجنيه الأسترليني كان مصدرها اقتناعهم بأن مصالح البلدين مترابطة ولكنهم لم يكونوا يستطيعون أن يفعلوا ذلك قبل أن يتأكدوا من انسحابنا . وكان رد الفعل فى الكونجرس وبين الرأى العام مشجعا . وقال السيد دالاس إن العمل البريطانى الفرنسى فى مصر أثار الاستياء فى جميع أنحاء الولايات المتحدة ، ربما باستثناء بسيط ، فى السواحل الشرقية وفى صحف مثل نيويورك تايمز وهيرالد تريبيون . غير أن هذه الصحف لا تعبر عن مجموع الرأى العام فى الولايات المتحدة . ولكنه يعتقد أن الميدان أصبح الآن مهيبا لاستئناف علاقات وثيقة بين البلدين . وقد علم بأن الضغط على الجنيه الأسترليني قد توقف خلال اليوم أو اليومين الآخرين ، وذلك أمر من الواضح أن الثقة تلعب فيه دورا حاسما ، وأن الدعم الذى تقدمه حكومة الولايات المتحدة سيسبب لها صعوبات كبيرة فى وقت تواجه فيه مشكلة زيادة تكاليف الدفاع . وربما نجد أن السيد همفرى مازال متشددا إلى حد ما فى هذا الصدد ، وأنه سيسعى إلى إنقاص المساعدات الخارجية التى تقدمها الولايات المتحدة من أجل تعويض التكاليف الإضافية للدفاع . لكن السيد دالاس يعتقد أن هناك شعورا متزايدا بأنه يجب على بلدنا أن يعودا للاتفاق ، وهو على ثقة من أن الرئيس نفسه سيستخدم كل نفوذه الشخصى فى هذا الاتجاه ، ولا سيما فى خطابه فى افتتاح الكونجرس فى يناير .

٧ - وقال السيد دالاس : إن رد فعل الولايات المتحدة تجاه تحركنا فى مصر لم يكن راجعا إلى أى حب للمصريين ، إلا أن الولايات المتحدة لا ترى كيف كان للنظام العالمى أن يستقر لو أنها أغضت عينيه . وبعد وقوع ما حدث فى مصر ، شرع الرئيس رى ، وشيانج كاي شيك فى العمل معا على شن حرب فى آسيا عن طريق شن هجمات منسقة على كوريا الشمالية وأراضى الصين . وهو أمر من الواضح أنه يمكن أن يتسبب فى كوارث ، إلا أنه يبين نوع النتائج المحتملة حيث أصبح من المقبول أن تسوى المنازعات عن طريق القوة .

٨ - وقال السيد دالاس : إنه ليس من سياسة حكومة الولايات المتحدة استرضاء عبد الناصر ، أو التودد إلى العرب ، وإنما لا تثق بعبد الناصر ، وهى مستعدة للضغط عليه لتسوية المسائل الشبيهة بما أشار إليه وزير الخارجية . وقد يكون لحكومة الولايات المتحدة قدر من التأثير على عبد الناصر فى الوقت الحاضر لكن المتوقع أن يتناقص هذا التأثير عند عودة العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، خاصة وأن عبد الناصر لمس بنفسه أن دافع الولايات المتحدة لم يكن حبها له . وستكون حكومة الولايات المتحدة مستعدة لأن تفعل كل ما فى وسعها بشأن مسائل مثل تطهير القناة ووضع النظام الذى ستتبعه فى المستقبل . وقال دالاس بشأن هذه النقطة الأخيرة إن الشعور حاليا فى واشنطن هو أن أفضل السبل يتمثل فى أن يستأنف السكرتير العام المناقشات من النقطة التى قطعت عندها فى أكتوبر ، ولذا تميل الولايات المتحدة إلى إرجاء مشروع قرارها الخاص بتشكيل لجنة تابعة

للأمم المتحدة . وترى الولايات المتحدة أنه كلما عجل السكرتير العام ببدء المباحثات كان ذلك أفضل .

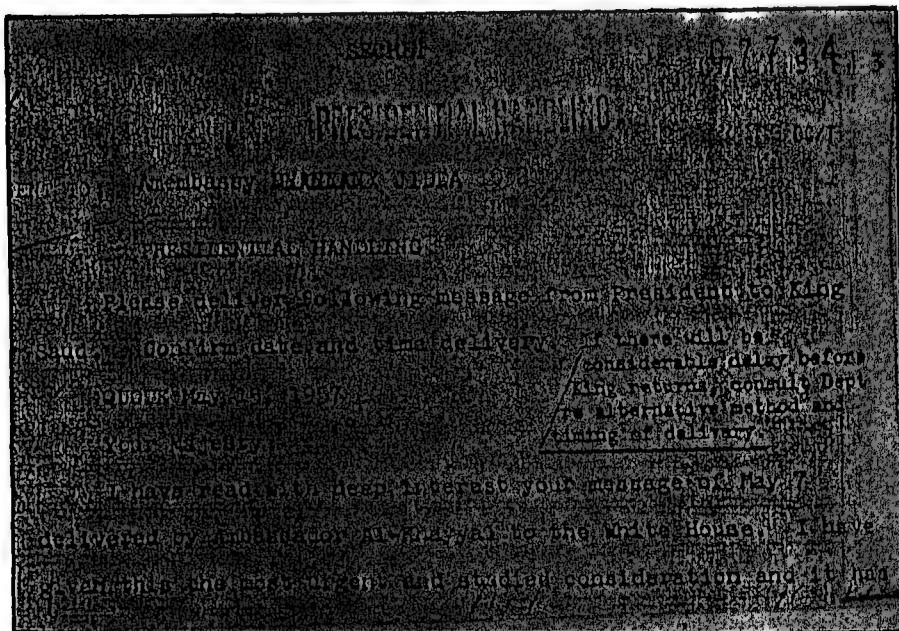
٩ - قال وزير الخارجية : إنه لا يريد أن يعود إلى أحداث الماضي ، فالمطلوب الآن هو راب الصدع ، وأنه على الرغم من الضغوط الشديدة التي تعرض لها ، أحجم عن توجيه أى لوم للولايات المتحدة في البيانات التي أدلى بها في البرلمان . وأنه لم يشر إلى مسألة الانسحاب الآن إلا لاعتقاده بأنه ليس من المصلحة ، لا للمملكة المتحدة ، ولا للصداقة الانجلو أمريكية أيضا ، أن يبقى ذلك النوع من المسائل التي أشار إليها بغير حل في الوقت الذي يتم فيه الانسحاب . فبعد الانسحاب قد يتشدد موقف عبد الناصر ، ويصبح من الصعب الوصول إلى تسويات مرضية . وقد تكون النتيجة أن يتفاقم هذا الشعور في المملكة المتحدة ، وينجحه الكثيرون إلى القول - الذي قد يكون مجرد ذريعة - بأنه لولا معارضة الولايات المتحدة لحققت عملياتنا نجاحا كاملا ، وأن جميع متاعبنا ترجع إلى الأمريكيين . وهو أمر يمكن أن يصيب العلاقات بين بلدينا بأبلغ الأضرار .

١٠ - قال السيد دالاس : إنه يوافق على ضرورة السعي للوصول إلى إتفاق مع المصريين على هذه المسائل قبل إتمام انسحابنا . وأن حكومة الولايات المتحدة ستضغط من أجل ذلك . وفي مسألة تطهير القناة فإنها ستسعى بلا إبطاء لمعرفة رأى الجنرال هويلر . وقال وزير الخارجية إننا لا نحاول أن نتصل من تعهدنا بالانسحاب . ويجب ألا نشعر بأن ذلك كان يمكن أن يحدث بدون الموافقة الضمنية على الأقل من جانب الولايات المتحدة إن لم يكن موافقتها العلنية . وقال السيد دالاس : إنه لا يستطيع أن يحلنا من تعهدنا في هذا الصدد لأن ذلك سيكون من قبيل النكث بالوعود من جانب حكومة الولايات المتحدة أمام الكونجرس والرأي العام الأمريكي . لكن الحكومة ستمارس أقصى ضغط ممكن على عبد الناصر خلال الأيام العشرة أو نحوها التي مازالت باقية ، سواء فيما يتعلق بالتطهير ، أو بمستقبل القناة .

واقترح وزير الخارجية أن تثار أيضا مسألة المعتقلين والاتفاق على التحكيم فيما يتعلق بالمطالبات ، وأنه ربما كان أفضل من يقوم بهذه المهمة هو سفير الولايات المتحدة في القاهرة . ووعده السيد دالاس بالنظر في هاتين النقطتين .

الوثائق أرقام ٢ ٣ ٤

صور كاملة من المراسلات السرية التي بعث بها الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » إلى الملك « سعود » ردا على الملك الذى تحمل مسؤولية قضية خليج العقبة . وقد سبق نشر رسائل الملك « سعود » إلى الرئيس الأمريكى في الملحق الوثائقى لكتاب « ملفات السويس » . والآن تتاح لأول مرة فرصة الحصول على ردود الرئيس الأمريكى على الملك السعودى . (ويلاحظ أن اهتمام ايزنهاور بدا يتناقص بالموضوع ، فقد أبدى اهتمامه الشديد في بداية المراسلات ، وانتهى باقتراح عرض القضية على محكمة العدل الدولية) .



Department of State

CONCLUSION

RESISTANCE FILM 173

For more information, contact Sandia on President
McGovern for delivery.

104-104-1957

Since the receipt of your message on March 31, we have been
 giving the situation in the Gulf of Agtha our most earnest con-
 sideration. We have appreciated the opportunity afforded by
 your presence at our suggestion of May 15 that the insti-

5411B

DECLASSIFIED

07/07/2006 18:56:24

10-5-61 CORN 4 1/2

1992

APPENDIX

The United States Government and the special representative of His Majesty King Saud have, during a series of discussions, considered various possibilities with respect to the Gulf of Aden.

The position of each Government has been explained and examined and means have been sought to relieve the current apprehensions of Saudi Arabia regarding the situation in the Gulf.

485

مرسل إلى : السفارة الأمريكية بجدة رسائل الرئيس

نرجو تسليم الرسالة التالية من الرئيس إلى الملك سعود ، ونرجو تأكيد تاريخ وساعة التسليم . وإذا كان هناك تأخير كبير قبل عودة الملك يرجى التشاور مع الوزارة بشأن وسيلة أخرى ووقت آخر للتسليم .

« ١٥ مايو ١٩٥٧ »

صاحب الجلالة :

قرأت باهتمام شديد رسالتكم المؤرخة في ٧ مايو والتي سلمها السفير الخيال إلى البيت الأبيض . وقد أوليتها اهتمامي العاجل والمتمعن ، وكانت موضع دراسة تفصيلية لدى حكومة الولايات المتحدة .

ونحن نقدر لجلالتكم أنكم تشاورتم معنا ، بروح التعاون التي تميز علاقاتنا في مسألة خليج العقبة المعقدة . كما نقدر لجلالتكم أنكم اتبعتم في مسائل أخرى سبيل الحل السلمي لمثل هذه القضايا . ونحن على ثقة من أنه يمكن العثور على وسيلة تتيح لنا أن نعمل معا لحل هذه القضية وغيرها مما يؤثر على السلم والاستقرار في الشرق الأوسط .

ورسالتكم المؤرخة في ٧ مايو تتناول مباشرة مشكلة مرور السفن الحربية الإسرائيلية في المياه الإقليمية للملكة العربية السعودية في خليج العقبة ، وقد أحطنا علما بأن جلالتكم رفعتم الأمر إلى مجلس الأمن وأنكم تنتظرون رأينا قبل اتخاذ إجراء آخر ، وموقفنا فيما يتعلق بنظر الموضوع في الأمم المتحدة يتوقف جزئيا على النهج والإجراء الذي تعترزم حكومتكم اتخاذه . ولذا قد يكون من المستصوب إجراء المزيد من المناقشات بيننا ، وربما مع ممثلي جلالتكم في هذا البلد .

ويمكن خلال هذه المناقشات أن نستعرض مع ممثلي جلالتكم مختلف الجوانب المتعلقة بعرض الموضوع على مجلس الأمن . ونحن نعترف بأنه قد تكون هناك فائدة في نظر مجلس الأمن في الموضوع ، ونعترف أيضا بأن هذا الخطر قد يتحول إلى جدل يفضى إلى تفاقم الوضع في المنطقة ، ويعطى الفرصة لمزيد من الأعمال الهدامة من جانب الاتحاد السوفياتي وقوى الشيوعية الدولية .

ويمكن أيضا خلال المزيد من التشاور مع ممثليكم أن نستعرض مسألة الوضع القانوني لخليج العقبة ومضايقات تيران التي تشير إليها رسالتكم المؤرخة في ٣١ مارس ، وتعرفون جلالتكم أن للدول المختلفة آراء مختلفة بشأن القانون الواجب التطبيق في هذه المسألة . ونحن نعرف أن آراء الولايات المتحدة التي شرحها الوزير دالاس وشرحها بنفسى عندما كنتم هنا ، والتي سجلت في مذكرة مؤرخة في ١١ فبراير ١٩٥٧ ونشرت في ١٧ فبراير ، تختلف عن آراء جلالتكم ، ولكنني أرجو أن نتمكن من مناقشة هذا الاختلاف في الرأي بروح الصداقة والتعاون التي ميزت علاقاتنا في الماضي . وقد وجدنا أن هذه المسألة يمكن أن تحال إلى محكمة العدل الدولية عن طريق حكومة ، أو عن طريق الأمم المتحدة . فإذا حدث ذلك ، فإن حكومة

الولايات المتحدة ستدخل في اعتبارها بطبيعة الحال قرار المحكمة أو رأيها فيما يتعلق بالمنطقة .

وكان في ذهننا دائما عند نظرنا في هذين الموضوعين صداقتنا الوطيدة مع المملكة العربية السعودية ، ورغبتنا في تجنب أى عمل ينطوى على تهديد لاستقلال مملكتكم ، أو سلامتها الإقليمية . ونحن نقدر ما أعربتم عنه في رسالتكم من قلق . وسوف نشير في علاقاتنا مع دول المنطقة بالتزام الاعتدال والحكمة وتجنب أى أعمال استفزازية أو عدوانية ، ولا سيما أية أعمال تمس الأماكن المقدسة التي تقومون جلالتم بحمايتها . وسوف نحيطكم علما بأى تطورات تصل إلينا عن المشكلتين اللتين أثرتهما يا صاحب الجلالة ، وسنبقى في الوقت نفسه على اتصال وثيق بممثلكم في الولايات المتحدة .

حفظكم الله ورعاكم .

صديقك المخلص
دوايت د . ايزنهاور

تراعى القواعد المتبعة في تسليم رسائل الرئيس
(إمضاء)
دالاس

وزارة الخارجية

إلى : السفارة الأمريكية في جدة
نرجو تسليم الرسالة التالية إلى الملك سعود من الرئيس ايزنهاور .
١٠ يوليو ١٩٥٧
صاحب الجلالة

منذ تسلمنا رسالتكم المؤرخة في ٣١ مارس ، كان الوضع في خليج العقبة موضع دراستنا الدقيقة . وقد قدرنا لجلالتكم الفرصة التي أحتموها بقبولكم اقتراحنا في ١٥ مايو أن تجرى مناقشة الجوانب المختلفة لهذه المسألة مع ممثلكم . وفي جميع أوقات المناقشة كنا مدركين على الخصوص لموقف جلالتم بوصفكم حامى الأماكن المقدسة للإسلام ، ولكونكم زعيم دولة عربية هامة على الخليج .

وقد أطلعنى وزير الخارجية دالاس باستمرار على مسار مناقشاته ومناقشات غيره من المسؤولين في الوزارة مع عزام باشا ، وأعتقد أن المحادثات كانت مفيدة في إيجاد وسائل ممكنة لتخفيف الوضع في الخليج . وقد أعد وزير الخارجية مذكرة تتضمن بعض السبل المقترحة سيسلمها إلى عزام باشا الذى أعتقد أنه سيتخذ الترتيبات اللازمة لتنظر فيها جلالتم مع مستشاريك .

وتهدف المذكرة إلى معالجة مصادر القلق الرئيسية التي بدت من رسالتكم ومن محادثاتنا اللاحقة مع عزام باشا ، وهى . وجود سفن حربية إسرائيلية فى الخليج ، ومسألة أمن الحجاج المسلمين المارين فى الخليج ، ومسؤوليات سفن الولايات المتحدة من السيادة الساحلية على الخليج ، والوضع القانونى لخليج العقبة والمضايق المؤدية إليه .

ونحن فى دراستنا لهذه المشكلة ، لا تغيب عن بالنا المسؤوليات الخاصة التى تحملونها جلالتم فى أثناء موسم الحج الحالى . وإنى أؤكد لكم كما أكدت فى الماضى أننا ندين بكل شدة أى إجراء يتخذه أى بلد يكون من شأنه المساس بالمرور الأمن للحجاج ، وإذا رأيتم جلالتم خلال مداولتكم مع ممثل الدول الإسلامية الأخرى فى أثناء الحج الحالى أنه من المفيد أن تذكروا تأكيدنا المتعلق بهذا الموضوع ، فإن لكم أن تفعلوا ذلك بلا تردد .

وإنى ممتن لجلالتم لما نبهتمونى إليه فى رسالتكم المؤرخة فى ٢٥ أبريل ١٩٥٧ من قلقكم الخاص لما ورد فى كتاب دورى أرسل إلى ملاك السفن بشأن الخليج . وقد شرحت وزارة الخارجية للسفير الخيال وعزام باشا الطبيعة الروتينية لهذا الكتاب الدورى ، وأنه لم يقصد منع الامتثال لشروط الإخطار المسبق الذى أصدرته الدولة الساحلية وفقا لمبادئ القانون الدولى .

ويقوم إعلاننا المتعلق بالوضع القانونى لخليج العقبة على الالتزام بالمبادئ والقانون الدولى . وذلك ما أهتدينا به فى تصرفاتنا فى أثناء أحداث أكتوبر ونوفمبر الماضيين . وحتى فى هذا الصدد فنحن لم نتمسك بأرائنا ونعتبرها غير قابلة للمناقشة ، بل ذكرنا أنه إذا اختلفت الآراء حول هذا الموضوع فإن الأمر برمته يمكن أن يحال إلى محكمة العدل الدولية فى لاهائى . ونحن على استعداد للالتزام بقرارها مقدما . وإنه لمن المؤسف حقا أن يؤدى إعلان هذا الموقف إلى اختلاف بيننا وبين المملكة العربية السعودية فى الوقت الذى يتجلى فيه اتفاق أهدافنا فى المنطقة بصورة أكثر وضوحا . وأمل أن يكون ما نقترحه سبيلا للحد من هذه الخلافات ، وإقرار السلام والهدوء اللذين نرجوهما كلانا للمنطقة بإخلاص .

حفظكم الله ورعاكم .

صديقكم المخلص
دوايت د. ايزنهاور

صاحب الجلالة

سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

نرجو إخطارنا بتاريخ وموعد التسليم .

تراعى القواعد المتبعة بالنسبة لرسائل الرئيس .

توقيع

دالاس

مذكرة

قامت حكومة الولايات المتحدة والممثل الخاص لجلالة الملك سعود ، خلال سلسلة من المناقشات ، بدراسة الاحتمالات المختلفة المتعلقة بخليج العقبة . وقد تم شرح وبحث موقف كل من الحكومتين ، والسعى إلى تبديد المخاوف الحالية التي تشعر بها المملكة العربية السعودية بشأن الموقف في الخليج .

وتسلم الولايات المتحدة بأن هناك خلافا في الرأي حول الوضع القانوني للخليج . وهي تشارك الملك سعود حرصه على صيانة السلام والهدوء في منطقة الخليج . وتعترف الولايات المتحدة بأهمية التاريخية للخليج بوصفه طريقا تقليديا للحجاج المسلمين إلى الأماكن المقدسة القائمة في المملكة العربية السعودية ، وتسلم بأن الوضع في الخليج مصدر قلق مشروع لجلالة الملك سعود ، لا بوصفه حاكما لإحدى الدول العربية الهامة والمشاطئة للخليج فحسب ، بل أيضا بوصفه حاميا للأماكن المقدسة للإسلام .

ومن رأى حكومة الولايات المتحدة أن خليج العقبة يعتبر مياها دولية . وأن للسفن التجارية لجميع الدول حق المرور الحر والبريء عبر مضيق تيران وفي الخليج . وأكدت الحكومة أن هذا الموقف يعتمد على مبادئ القانون الدولي المسلم بها ، مع المراعاة الواجبة لمصالح الولايات المتحدة بوصفها دولة بحرية . وقد كان مبدأ حرية البحار من النقاط الجوهرية في سياسة الولايات المتحدة منذ قيام الجمهورية . وليس المقصود بتطبيق الولايات المتحدة لهذا المبدأ على خليج العقبة إنشاء أى حق لأى أمة على الخليج ، أو أى أمة أخرى بدون أن يكون هذا الحق مقدرًا لها من قبل .

وسعت الولايات المتحدة إلى تحديد الطريقة التي يمكن أن تحل بها المسائل القانونية على يد هيئة محايدة مختصة ، وتحديد الخطوات العملية التي يمكن اتخاذها لصون السلام والهدوء .

وعلى وجه التحديد ، فإن الولايات المتحدة تقترح ما يلي .

١ - قد ترغب المملكة العربية السعودية في عرض مسألة الوضع القانوني لخليج العقبة على محكمة العدل الدولية . وفيما يتعلق بالسفن المسجلة لدى الولايات المتحدة فإن الولايات المتحدة ستلتزم بأى حكم أو فتوى تصدرها المحكمة .

٢ - وتدرك الولايات المتحدة أن المسألة الأساسية التي أثارها جلالته من قبل المحادثات الحالية ، هي تحرك القوات البحرية والجوية الإسرائيلية في المياه الإقليمية للدول الشاطئية الأخرى على الخليج . وليس من رأى الولايات المتحدة أن موقفها المعلن من طبيعة الخليج يعنى المرور غير المقيد للسفن الحربية في المياه الإقليمية للخليج في ظل الظروف الحاضرة . وتلبية لاهتمام جلالته الخاص بهذا الموضوع ، فإن الولايات المتحدة على استعداد ، لمصلحة صيانة السلام والهدوء في الخليج ، لأن تبحث بصورة مباشرة أو عن طريق وسيط مناسب القيود التي ينبغي أن توضع على استخدام القوات البحرية والجوية الإسرائيلية للخليج ، بما في ذلك تدابير مثل رباط السفن في إيلات ، أو إبعادها من الخليج .

٣ - والولايات المتحدة على استعداد ، إذا طلب منها ذلك لأن تطلب من السفن المسجلة في الولايات المتحدة أن تتجنب المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية عند مرورها في الخليج . كما أن الولايات المتحدة مستعدة لأن تطلب من ربان السفن المسجلة لدى الولايات المتحدة أن يقوموا بالإخطار بمرورهم عندما تشترط ذلك القواعد التي تضعها الدول الشاطئية بما يتفق مع القواعد المقبولة للقانون الدولي .

٤ - ربما ترغب المملكة العربية السعودية في أن ينظر مجلس الأمن مسألة سلامة الحجاج بقصد اتخاذ قرار ينشئ ممرا دوليا معترفا به للحجاج في مياه خليج العقبة . ومن شأن مثل هذا القرار أن يوفر ضمانات مناسبة للمرور الآمن للحجاج بتقييد الأنشطة التي تهدد سلامتهم . والولايات المتحدة مستعدة للتشاور مع حكومة المملكة العربية السعودية حول الشكل الذي يتخذه هذا القرار ، وأن تعزز الجهود المعقولة في هذا الاتجاه في مجلس الأمن . وتعترف الولايات المتحدة بأنه قد يتبين أن الطابع الخاص لطرق الحج التقليدية يمكن أن يكون أساسا لمعاملة خاصة .

والولايات المتحدة إذ تتقدم بهذه الاقتراحات ، تتصرف بروح الصداقة الوطيدة التي ميزت دائما العلاقات مع المملكة العربية السعودية . وتود الولايات المتحدة أن تقرر وتؤكد مرة أخرى ما سبق أن أكدته في مناسبات عديدة من أنها تؤيد بحزم استقلال المملكة العربية السعودية وسلامة أراضيها . كما أوضحنا أننا ننظر بقلق بالغ لأي تهديد للمرور الآمن للحجاج الدينيين المتجهين إلى الأماكن الإسلامية المقدسة . ولا شك في أن الولايات المتحدة لا تود أن تقوم بدور الدولة المعنية مباشرة بهذا الموضوع الذي يشمل حقوقا بحرية لدول عديدة ، وحقوقا إقليمية لعدد من الدول . ونحن على ثقة من أنه إذا توافر حسن النية أمكن حل الخلاف في الرأي بطريقة عملية وبوسيلة تتفق مع الاهتمامات المشروعة ، وتحمي المصالح العادلة لجميع الأطراف المعنية .

وزارة الخارجية
واشنطن

الوثيقة رقم ٥

الملك محمد السادس

في ١٦ أبريل ١٩٥٢

هوذا صا ح. لمان وزير لشؤون المستعمرات

انه المعتبر لهذه تقديم ٣ اللجنة لعلها لقا ومن اسبق والمصدر في الجريدة الرسمية اول ر
يستعمله فليس يتسرع الذين ينظم المصطفى المبرمك وهو المصطفى الذي يشترط
تلك المبادئ سلطان المظفر والذين هم من مبرمك ومنه تحت احوال المصطفى والمصطفى
وقد قامت صند من المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى

فيما يلي

(١) تشييد المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
(٢) صا ح. لمان وزير لشؤون المستعمرات هوذا صا ح. لمان وزير لشؤون المستعمرات
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
الى اتميم المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
(٣) تشييد المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى

(٤) تشييد المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى

أما المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى
مما تم الى صف المصطفى في وسائل قليلة المبرمك والمصطفى المصطفى المصطفى المصطفى

وثيقة بخط
اسماعيل صدقي
(باشا) رئيس
الوزراء سنة
١٩٤٦ وهي
تظهر الاهتمام
المبكر بقضية
ملكية الارض في
مصر، وهي
قضية لم تجد
الإرادة القادرة
على تنفيذها
إلا بعد قيام
ثورة يوليو
١٩٥٢

الوثيقة رقم ٦

صورة وثيقة تتضمن خطاباً بتوقيع « أبو الفتح » باسم « لجنة أحرار العرب » (مصر الحرة) وهو موجه إلى « أنتوني ايدن » رئيس الوزراء البريطاني . والوثيقة حافلة بآراء أسرة « أبو الفتح » ورأيها في التصرف مع مصر بما في ذلك دعوة الغرب إلى استعمال القوة المسلحة ضد مصر . كما تتضمن أيضاً طلب أموال من الغرب بطريقة مكشوفة لتمويل جهد شامل في الدعاية ضد « الخطر المصري » على المنطقة !

وتستحق هذه الوثيقة أن تقرأ بعناية شديدة لأن الخطوط الرئيسية التي احتوت عليها ما تزال سارية حتى الآن ، كما أن الإشارة واضحة فيها إلى عناصر تعمل مع أسرة « أبو الفتح » في الداخل وفي الخارج .

THE FREE ARAB COMMITTEE

Beirut, Lebanon

January 27, 1956

The Right Honorable Sir Anthony Eden
Prime Minister,
British Embassy
Washington, D. C.

Dear Mr. Prime Minister:

The writers of this letter asked one of their friends last June, to submit to you letters and a background note concerning the military dictatorship and the communist menace in Egypt. Since then the situation has deteriorated and the communist threat has reached grave proportions. We therefore feel duty-bound to write you once more on the matter.

The gravity of the situation and its internal and regional dangers are now fully recognized by the United States of America and the United Kingdom. In addition to a reinforced police state and its inherent instability, the situation in Egypt presents the West with a Russian-communist challenge, more complex than the one they faced in Guatemala. Indeed, unlike the latter, Egypt exercises great influence in its region, while Egypt's neighboring countries are much less protected against and more exposed to communist subversion and infiltration than Guatemala's.

Instead of appeasement, a firm policy should be instated. A show of force, such as sending some Anglo-American warships to the Middle East with the threat of taking military measures with a simultaneous outright support to all Western friends could be fruitful since it would enjoy the support of the captive people of Egypt.

لجنة أحرار العرب بيروت ، لبنان

٢٧ يناير ١٩٥٦

الرايت اونرابل سير أنتوني ايدن
رئيس الوزراء
السفارة البريطانية
واشنطن ، دى . سى .

عزيزى السيد رئيس الوزراء

طلب محرورو هذه الرسالة من أحد أصدقائهم فى شهر يونيو الماضى ، أن يقدم إليكم خطابات ومذكرة تحوى معلومات أساسية عن الدكتاتورية العسكرية والخطر الشيوعى فى مصر . وقد ازداد الوضع تدهورا منذ ذلك الحين ، ووصل التهديد الشيوعى إلى أبعاد خطيرة . ولذا نشعر أن الواجب يملى علينا أن نكتب لكم مرة أخرى فى هذا الموضوع .

إن الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة تعترفان الآن على نحو كامل ، بخطورة الوضع وما ينطوى عليه من مخاطر داخلية وإقليمية . فإلى جانب وجود دولة بوليسية قوية وما يصاحب ذلك حتما من عدم استقرار ، فإن الوضع فى مصر يواجه الغرب بتحد من جانب الشيوعية الروسية ، أكثر تعقيدا مما كان عليه الحال فى جواتيمالا . فمصر ، على غير الحال هناك ، لها تأثير كبير فى المنطقة ، كما أن جيرانها من البلدان أكثر تعرضا وأقل حصانة فى مواجهة التغلغل الشيوعى والأعمال الشيوعية الهدامة من جيران جواتيمالا .

السيد رئيس الوزراء ، ليس فى نيتنا أن نقدم إليكم النصيحة بشأن سياساتكم الخاصة بمصر والشرق الأوسط ، ولكننا كاشخاص يعنهم الأمر مباشرة ، نرى من واجبنا الوطنى أن نخاطبكم مرة أخرى ، ولا سيما فى هذه المرحلة الحاسمة وربما الفاصلة فى العلاقات العربية الانجليزية الأمريكية .

ونذكر ابتداء بكل احترام أن مسألة التوسع الروسى والإثارة الشيوعية فى الشرق الأوسط ترتبط ارتباطا وثيقا بالدكتاتورية البغيضة الطاغية فى مصر . ومن نافلة القول أن نذكر أنه لكى تبقى الدكتاتورية التى يلفظها الشعب ، والتى لا تحكم إلا بالقوة والتخويف

Prime Minister Eden

-8-

January 27, 1956

responsibility without your Government having an open part in it, provided that they receive the necessary financial assistance to build up an efficient organization for propaganda and counter-propaganda. Priority should be given to them to import and erect a powerful broadcasting station. No less important is the question of Western diplomatic representation in the Middle East with responsible and qualified diplomats.

.....

Britain is now spending millions of pounds yearly to retain a shaky footing in Jordan, - and America is spending millions of dollars to regain a doubtful friendship and initiate a constructive cooperation in the Middle East, -- Yet, American and Britain could, with a fraction of this money, help their friends there to create an effective and efficient propaganda service and defend the interests for which they are blackmailed into paying millions!

With our highest esteem,

For The Committee.

William A. Felt

Note: The Free Arab Committee was created recently in Beirut by leading and influential personalities representing Egypt, Syria, Iraq and Lebanon, whose identity cannot be revealed for the time being, -- they are however known to the American and British diplomatic mission in those countries.

وتستمر ، فإنها مضطرة لأن تستمر في سياستها المعادية للغرب . وفضلا عن ذلك ، فإنه لم يعد سرا أن دكتاتورية البكباشي عبد الناصر أصبحت الآن في قبضة الشيوعيين ، ومن نهج نهجهم بصورة نهائية .

وقد سبق أن تناولت هذا الأمر بالتفصيل المذكرة التي قدمها اصدقائنا إليكم في شهر يونيو الماضي . ولكننا نود أن نضيف هنا المعلومات التالية المستمدة من اوثق المصادر :

إن الساعد الأيمن للبكباشي عبد الناصر شيوعى متعصب . وهو اللواء عبد الحكيم عامر القائد الأعلى للجيش المصرى ووزير الدفاع . ورغم غرابة الأمر ، فإن عبد الناصر نفسه

كان عضوا في الحزب الشيوعي ، وقد ضمه إليه في ذلك الوقت أحمد فؤاد ، الذى عرفه عن طريق الصاغ خالد محيى الدين وهو يقر بشيوعيته . وكان عبد الناصر معروفا في الخلية الشيوعية بالقاهرة بوصفه رقم ١١٧ ، وشقيق خالد محيى الدين يشغل حاليا منصبى وزير الداخلية ورئيس المخابرات المصرية .

وهذا ما يفسر الدور الرئيسى الذى قام به أحمد فؤاد ، السكرتير العام للحزب الشيوعي المصرى ، بالتعاون مع شيوعى بارز آخر هو الدكتور راشد البراوى ، في استهلال الاصلاحات الاقتصادية والمالية لنظام عبد الناصر . ويسيطر هذان الشيوعيان أيضا على أهم بنكين في الحياة الاقتصادية للبلاد . وقد استقال أحمد فؤاد من الحزب شكليا ، ولكنه ما زال رغم ذلك عقله المفكر وأعلى قائد تنفيذى له من وراء الستار .

وبالإضافة إلى اللواء عامر وخالد محيى الدين ، هناك خمسة آخرون من أعضاء ما يسمى مجلس الثورة من الشيوعيين .

وهذه وقائع مزعجة حقا ، وجديرة بأن تلقى عنايتكم التامة .

وعلى ضوءها ، فإنه وهم أن نتوقع أن يعمل البكباشى عبد الناصر (بافتراض أنه شيوعى انتهازى) على التخلص من نفوذ هذه العقول المفكرة الشيوعية القوية ، وإن كانت تعمل في الخفاء ، بدون أن يعرض مصير دكتاتوريته للخطر .

ويستطيع الدكتاتور المصرى بطبيعة الحال أن يقوم من حين لآخر - لأسباب تكتيكية - باعتقال بعض « الشيوعيين » ، ولكنه لن يجرؤ في أى وقت على المساس بأنشطة القادة الحقيقيين للمؤامرة الشيوعية الذين يعيشون في خفاء كامل ويعملون تحت الأرض داخل الجيش ، وفي جميع الهيئات الحكومية تحت حماية الشيوعيين الأقوياء ، وأعاونهم من المحيطين بعبد الناصر .

وهذه الحقائق المذهلة هي وحدها التي تفسر الانجراف السريع للدكتاتورية المصرية نحو سياسة ما يسمى « الحياء » والتي تتسم عمليا بالتعاون البناء والودى مع العالم الشيوعى واتباع سياسة الابتزاز والعداء نحو الغرب .

وقد ظهر تأثير أولئك الشيوعيين المصريين على البكباشى عبد الناصر في صفقة الأسلحة التشيكية . إذا استغل الشيوعيون قيام الدول الغربية بتزويد العراق بالأسلحة وازدياد التوتر داخل الجيش المصرى ، فنصحوا عبد الناصر بالاتجاه إلى الروس . واقترح الشيوعيون في نفس الوقت ، وهم يتنبأون بدقة برد فعل المستر بايرون ، أن يقوم عبد الناصر بدعوة السفير الأمريكى وإنذاره بأنه سيسعى للحصول على الأسلحة من الروس إذا تخلت عنه الولايات المتحدة .

وكان الشيوعيون على يقين من أن المستر بايرون سيرفض هذا الإنذار باعتباره نوعا من الابتزاز أو التهويل ، وأن النفوذ الصهيونى في الولايات المتحدة لن يسمح أبدا بمثل هذه المساعدة ، ولم يكن السفير الأمريكى يعرف أن صفقة الأسلحة الشيوعية كانت بالفعل محلا للتفاوض عليها من قبل أن يستدعيه البكباشى عبد الناصر لمقابلته .

وعلى أى حال ، فإن الإعلان عن صفقة الأسلحة عزز مكانة عبد الناصر إلى حد ما داخل مصر (حيث ينحى الشعب باللائمة على الغرب ، لإعادة دكتاتورية عبد الناصر في مارس ١٩٥٤) ، ودعمت مكانته بدرجة أكبر في البلاد العربية الأخرى التي تهددها القوة المتزايدة للدولة اليهودية ، والتي لا يعنىها غير الانتقام لمأساة فلسطين .

لقد كان عبد الناصر هو أول حاكم عربى يجرؤ على صفع الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والسخرية منهم ، ويكسب من وراء ذلك ، وهو ما أكدته الزيارة غير العادية التي قام بها السيد جورج آلن إلى القاهرة في ذلك الحين .

ومن المهم إدراك أن ذلك كان ، في رأى العرب ، أول فوز يحصلون عليه من « الغرب القوى المتغطرس ، المعتز بقوته » ، والذي كان نادرا ما يتخذ موقفا وديا أو متفهما ، ويبدو أنه يتصور أن إلقاء بضعة ملايين من الدولارات إلى العرب من حين لآخر يكفي لضمان ولائهم وإمتنانهم .

وينبع العداء العربى للغرب من مصادر عديدة . ففي الماضى (ولا يزال هذا هو الحال في بعض الأراضى حتى الآن) كان السبب في هذا هو السيطرة التي كانت في كثير من الأحيان غير إنسانية وغير عادلة وغير متعاطفة ، وأدت إلى استغلال السكان والموارد استغلالا قاسيا . وفي البلدان التي كان الاستعمار فيها أقل وحشية ، أدى التمييز في المعاملة ، وإقامة النوادي والمناطق المغلقة على الأجانب ، وحاجز اللون ، إلى خلق شعور قوى من التذمر .

وإزداد العداء اشتعالا في السنوات الأخيرة نتيجة للقمع الوحشى للحركات الوطنية في كل مكان .

ولم يكن لروسيا في أى وقت مستعمرات في أفريقيا أو آسيا . وبينما كانت أمريكا تساعد الدول الاستعمارية وتؤيد إسرائيل بكل قواها ، وكان الأفارقة والآسيويون يشعرون بأن الديمقراطية الغربية متفقة على إدانة خضوعهما ، كان الروس يعلنون أنهم أنصار الحرية ، ودعاة السيادة لجميع الشعوب ، وأنهم محررو البشرية من العوز والمرض ، ومن الخوف والإذلال الذي كان الغرب يفرضه على أفريقيا وآسيا .

ومن ثم ، ينبغى إدراك أن العداء للغرب ، وليس الحب لعبد الناصر ، هو الذى حرك الشعوب العربية ضد حلف بغداد ، وضد قرار الأردن بالإنضمام إليه . ولو كان الذى دعا إلى هذا الحلف عبد الناصر وليس رئيس الوزراء نوري السعيد والعراق ، لكانت معارضة الشعوب العربية له أشد ، بسبب السجل الأسود لعبد الناصر ونظامه ، الذى يحكم الشعب بالتعذيب والقمع والعنف بدرجة لم يسبق لها مثيل في أى بلد عربى .

هذه هى أهم العوامل النفسية والسياسية التي يجب أن تؤخذ في الحسبان عند وضع تقييم واقعى للوضع الحال في الشرق الأوسط . وبالمثل ، ينبغى إدراك أن تسوية جميع المشاكل المتعلقة - سواء مسألة التغلغل الروسى ، أو مسألة فلسطين ، أو أمن الشرق الأوسط - تتوقف على المسلك الذى تود الولايات المتحدة والمملكة المتحدة أن تتخذانه تجاه النظام العسكرى في مصر .

ويبدو وفقا لتقارير جديرة بالثقة ، أن هناك المزيد من التنازلات التي ستقدم لاسترضاء

عبد الناصر ، إذ تعتزم الدبلوماسية الأمريكية البريطانية في هذه المرة أن تقدم له مساعدة اقتصادية ومالية كبيرة ، بالإضافة إلى تعديلات طفيفة تتعلق بأراضى فلسطين .

ويتطابق موقف محررى هذه المذكرة بشأن هذه المسألة الأخيرة مع الموقف الذى وافقت عليه دول الجامعة العربية وعبرت عنه بوضوح . ومن الخطأ تصور أن هذه المسألة يمكن أن يبت فيها نظام مصرى غير دستورى وغير شعبى . فالبكباشى عبد الناصر الذى يعنيه في المقام الأول أمن نظامه ، مضطر في الوقت الحالى ، كما كان في الماضى ، إلى أن يتمسك علنا بسياسته الداعية إلى « تحرير فلسطين » - بينما يستمر بشكل غير رسمى في تقديم أية وعود يتطلبها الأمر حتى يستمر في الحصول على الدعم الأنجلوأمريكى لنظامه .

وليست هناك حاجة إلى تذكير حكومة جلاله الملكة بالوعد الذى قدمها لها البكباشى جمال عبد الناصر قبل اتفاق السويس ولم يوف بها . ولابد أن التطورات الدبلوماسية الأخيرة في مصر قد كشفت لحكومة الولايات المتحدة عن القيمة الحقيقية لكلمة رجل يدين بنجاح انقلابه في ١٩٥٤ جزئيا إلى الدعم السياسى والاقتصادى الذى لقيه من الولايات المتحدة .

أما عن المعونة الاقتصادية لمصر ، فإننا كعرب نرحب بطبيعة الحال بأى جهد يمكن أن يساعد في تحسين ظروف معيشة الجماهير المحرومة . ومصر في أمس الحاجة إلى هذه المعونة التى نشعر بالامتنان لها . ولكن هل ستستخدم هذه المساعدة السخية لتعزيز نظام دكتاتورى حاد ، وبذلك يطول أمد معاناة أشقائنا المصريين .. ؟ أم أنها ستستخدم لأغراض بناءة .. ؟ نحن نخشى أنه إذا لم تربط هذه المعونة بشروط واضحة فإنها يمكن أن توجه لخدمة أغراض سياسية ، تسفر عن المزيد من العداء الشعبى للدول الغربية .

والدول الغربية إذ تلعب المباراة وفقا للقواعد التى يضعها عبد الناصر ، وإذا تستسلم لمطالبه ، لا يمكن أن تكسبه إلى جانبها ، بل إن الشعب المصرى سيفقد بذلك كل ما قد يكون قد بقى لديه من ثقة بالغرب ، ويتجه يائسا إلى الشيوعية على نحو ما فعل شعب الصين .

ومن شأن المزيد من التنازلات أن يشجع عبد الناصر على الاستمرار في سياسة الابتزاز من موقع أكثر قوة ، وستكون النتيجة الحتمية لذلك هى إضعاف مكانة وعزيمة الأصدقاء الحقيقيين للغرب في الدول العربية والإسلامية الأخرى .

وعندئذ سيجد القادة الموالون للغرب في العراق وباكستان وإيران وتركيا أنهم مضطرون ، خضوعا للضغط الشعبى المتزايد ، إما إلى إعادة النظر في سياستهم أو إلى ضياع مكانتهم ، وستكون هذه هى المعضلة التى يواجهها رجال من أمثال نوري السعيد باشا ، والدكتور فاضل الجمالى وغيرهما ، ممن تعرضوا - كما تعرضت الأسرة المالكة في العراق بشكل يبعث على الخجل - إلى حملات غير إنسانية لم يسبق لها مثيل من جانب الإذاعة والصحافة - المرتشية بأموال العملاء السعوديين والمصريين - لالئىء إلا لأنهم كانوا أصدقاءكم وحلفاءكم .

ويجب أن يتم تقييم سياسة الدكاتور المصرى على أساس تصريحاته العلنية لا على أساس « مساوماته السرية » . وحديث عبد الناصر عن « تحرير البلاد العربية » إنما يعنى

تحريرها من النفوذ الغربى ، وشعاره الغوغائى « أفريقيا للأفريقيين » إنما يعنى استبعاد السيطرة الأوروبية . هذه هى خطة الرجل الذى تأملون فى كسبه إلى جانبكم بتقديم مساعدات اقتصادية جديدة .

إن البكباشى عبد الناصر لا يمكن أن يصبح حليفا صادقا ونشيطا للغرب ، لأن من شأن ذلك أن يبدد المكانة التى اكتسبها بمشقة - وكان على استعداد لأن يفعل فى سبيلها أى شئ - كما أنه يرفع عنه عباءة « صلاح الدين » ، ويكشفه أمام العرب فى صورته الحقيقية كدكتاتور لا يرحم . وبطبيعة الحال ، فإنه سيكون فى أحاديثه غير الرسمية مستعدا لقبول أى اقتراح للحد من ارتباطاته بالبلدان الشيوعية و / أو التعاون الوثيق مع الغرب ، حتى فيما يتعلق بتصفية القضية الفلسطينية . بل إنه قد يوحى بأنه يؤيد تلك الاقتراحات جميعا على نحو ما فعل عندما التقى به السير أنتونى ايدن منذ فترة وتحدث معه عن تسوية النزاع مع إسرائيل .

وكما فعل فى الماضى ، فإنه سيطلب ثمنا لذلك ، وسيكون ثمنا باهظا ! وسيتشبث بالحصول على ذلك الثمن مقدما وبالكامل - وسيقدم حججا مختلفة لهذا الطلب - وما أن يحصل على مبتغاه ، حتى يجد ذرائع لعدم الوفاء بما وعد . ولكنه لن يقبل أبدا الالتزام بأى اتفاق رسمى .

لقد استخدم الدكتاتور هذا الأسلوب فى الماضى وبنجاح . وساعده فى هذا التكتيك دبلوماسيون غربيون أصبحوا بإراداتهم ، أو رغما عنهم أدوات فى يده . وكان ممن ساعدوه بغير إرادتهم أولئك السفراء الذين توصل إلى معرفة جوانب ضعف شخصية خطيرة بشأنهم عن طريق جهاز مخابرات شبيه بالجستابو ، وهددهم بأنه قادر على تدمير سمعتهم وهدم بيوتهم ومستقبلهم إذا لم يتعاونوا معه . ومن الأمور ذات الدلالة أن بعض هؤلاء الدبلوماسيين هم الآن من المؤيدين المتحمسين لعبد الناصر ، ويدافعون عنه حتى ضد مصالح بلادهم .

وفى اعتقادنا أن أى تسوية للوضع الراهن يجب فى آخر الأمر أن تستند إلى صداقة الشعوب العربية ، وليس إلى دكتاتور يرفضه شعبه نفسه ويدين بشعبيته فى البلاد العربية الأخرى إلى موقفه المناهض للغرب .

وليس ذلك هدفا بعيد المنال . فالسياسة الواقعية تحتاج إلى تأييد الشعب ، ولن تتمكن دول الغرب أبدا من مواجهة التحدى الشيوعى بسياسة الاستسلام لدكتاتورية موالية للروس أو تدعو للحيد .

وبدلا من الترضية والملاينة ، ينبغى استخدام سياسة متشددة . وقد يفيد فى ذلك استعراض القوة ، وذلك مثلا بإرسال سفن حربية إنجليزية وأمريكية إلى الشرق الأوسط مع التهديد باتخاذ تدابير عسكرية ، والإعراب فى الوقت ذاته عن التأييد الصريح لجميع أصدقاء الغرب ، لأن خطوة كهذه سوف تلقى تأييد الشعب المصرى المغلوب على أمره . وسيكون من الميسور ، باستخدام الوثائق ونشر التفاصيل ، تبديد الأسطورة التى نسجت حول عبد الناصر ونظامه على يد عدد من الصحفيين المرتشين والدبلوماسيين الذين خضعوا

للابتزاز . ومن المؤسف أن ينجح هؤلاء الدبلوماسيون والصحفيون في تضليلهم ، في الوقت الذي يغدو فيه وضع تقييم صحيح للوقائع أمرا جوهريا . وحقيقة الأمر هي أن النظام العسكرى المصرى لا يتمتع بأى تأييد شعبى في مصر ، وأن العالم العربى سيبقى فيما هو عليه الآن من القلق والاضطراب ما دام ذلك البلد محروما من الحياة الدستورية والطبيعية .

وختاماً ، فإننا نود أن نذكر ما يلى :

إن تجنب وقوع كارثة في الشرق الأوسط ، يستلزم الاتوحي سياسة الغرب بالتردد أو الضعف أو الاستسلام ، بل يجب أن تكشف عن القوة والعزم ، مصحوبتين بجهد صادق لكسب ثقة الشعوب وصدقتها . وفي وسعنا أن نقدم المشورة بشأن الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف الضرورى . ولا بد للدبلوماسية الانجلوامريكية أن تسترد من روسيا زمام المبادرة في الشرق الأوسط .

ويجب أن ترتكز هذه السياسة على اصدقاء الغرب ، وعلى مساعدتهم بكل وسيلة ممكنة لمواجهة الإثارة التى يقوم بها الشيوعيون والغوغاءيون . وأصدقاء الغرب هؤلاء قادرون على النهوض بهذه المسؤولية دون أن يكون لحكومتهم دور ظاهر فيها ، على أن يتلقوا المساعدة المالية اللازمة لإنشاء منظمة قادرة على بث الدعاية والدعاية المضادة . ويجب أن تكون لهم الأولوية في استيراد وإقامة محطة إذاعة قوية . ولا يقل عن ذلك أهمية أن يكون التمثيل الدبلوماسى للغرب في الشرق الأوسط قائما على دبلوماسيين مسؤولين ومؤهلين .

.....

إن بريطانيا تنفق الآن ملايين الجنيهات في كل سنة للاحتفاظ بنفوذها المهتز في الأردن ، وتنفق أمريكا ملايين الدولارات لتستعيد صداقة مشكوك فيها في الشرق الأوسط ولتقيم تعاوننا بناء مع بلدانه . ومع ذلك كانت أمريكا وبريطانيا تستطيعان ، بجزء من تلك الأموال ، مساعدة أصدقائهما في إنشاء جهاز فعال وكفء للدعاية والدفاع عن المصالح التى يضطر البلدان - بالابتزاز - إلى دفع الملايين للدفاع عنها !

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

عن اللجنة (توقيع)

□ ملاحظة . انشئت لجنة احرار العرب منذ وقت قريب في بيروت على يد شخصيات بارزة واسعة النفوذ ، تمثل مصر وسوريا والعراق ولبنان ، ولا يمكن الكشف عن أشخاص اعضاء اللجنة في الوقت الحالى ، غير انهم معروفون لدى البعثات الدبلوماسية الامريكية والبريطانية في هذه البلدان .



الوثيقة رقم ٧

وثيقة بتوقيع الأحرف الأولى من اسم السير « ايفون كيركباتريك » الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية عن المحادثات مع الحكومة الفرنسية حول الحكومات البديلة لمصر بعد سقوط « جمال عبد الناصر »

LE 1015/72 ✓ J

M. GAZIER said that he wished to raise the question of an Egyptian regime, if Nasser fell. He understood that we were disposed to favour the Waafd. But the French Government thought this a mistake. What was required was a new Egyptian Government based on progressive elements.

2. I said that I did not think we differed in our aims. We also would like to see a new democratic and progressive Government in Egypt. But the important thing was to get rid of Nasser and first things must come first. We did not believe that there was anyone in the progressive

« تقرير من السير ايفون كيركباتريك (٣)

رقم ٧٢/١٠١٥

١٥ نوفمبر ١٩٥٦

(١) قال لي المسيو جازييه إنه يريد أن يبحث معى مسألة النظام المصرى الجديد الذى يتعين إقامته عندما يسقط ناصر . وقال إنه فهم اننا نتجه إلى صالح تشكيل حكومة من الوفد . ولكن الحكومة الفرنسية ترى أن ذلك خطأ لأن الأمور تتطلب حكومة مصرية جديدة تقوم على عناصر تقدمية .

(٢) قلت إننى لا اعتقد اننا نختلف في أهدافنا ، فنحن أيضا نرغب في إقامة حكومة ديمقراطية وتقدمية في مصر . ولكن الشيء المهم أن نتخلص من ناصر لأن أولويات المسائل لها الأولوية . ونحن لا نعتقد أن هناك الآن في مصر أى شخص أو جهة تقدمية يمكن لها أن تشكل معارضة متجاسدة تقوم بقلب نظام ناصر . ونحن نتصور أن الوفد هو الوحيد الذى يستطيع ذلك .

(٣) قال المسيو جازييه إنه يظن أنه يستطيع أن يتفهم موقفنا فنحن من انصار الوفد ، ليس على أساس عقائدى ولكن لأننا نعتبر الوفديين هم أقرب العناصر التى يمكن أن تنجح في إسقاط ناصر . وقد أمنت على فهمه ذلك قائلا إن ذلك بالضبط موقفنا .

(التوقيع)

ايفون كيركباتريك «

الدقائق التى انتهت فيها الامبراطورية

الوثيقة رقم ٨

نص المحضر الرسمي والسرى لجلسة مجلس الوزراء البريطانى التى اخطر فيها السير « انتونى ايدن » زملاءه اعضاء مجلس الوزراء بعزمه على تقديم استقالته إلى الملكة . والوثيقة ترسم صورة حية لنهاية إمبراطورية

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF THE BRITANNIC MUSEUM'S GOVERNMENT

Printed for the Cabinet, January 1937

SECRET

C.M. (57)

4th Conclusions

Copy No. 36

CABINET

CONCLUSIONS of a Meeting of the Cabinet held at 10 Downing Street, S.W. 1, on Wednesday, 9th January, 1937, at 3 pm

Present:

The Right Hon Sir ANTHONY EDEN, M.P., Prime Minister	The Right Hon. R. A. BUTLER, M.P., Lord Privy Seal
The Most Hon The MARQUESS OF SALISBURY, Lord President of the Council	The Right Hon VISCOUNT KILMUIR, Lord Chancellor.
The Right Hon HAROLD MACMILLAN, M.P., Chancellor of the Exchequer	The Right Hon WILLIAM LLOYD-GLOVER, M.P., Secretary of State for the Home Department and Minister for Welsh Affairs.
The Right Hon SPURWYN LLOYD, Q.C., M.P., Secretary of State for Foreign Affairs	The Right Hon. Sir WALTER MONCKTON, Q.C., M.P., Paymaster General.
The Right Hon The EARL OF HOME, Secretary of State for Commonwealth Relations	The Right Hon DUNCAN SANDYS, M.P., Minister of Housing and Local Government
The Right Hon ANTHONY HADD, M.P., Minister of Defence	The Right Hon. D. HEATHCOTE AMORY, M.P., Minister of Agriculture, Fisheries and Food.
The Right Hon PETER FRIDMAYSON, M.P., President of the Board of Trade.	The Right Hon. IAIN MACLEOD, M.P., Minister of Labour and National Service.
The Right Hon Sir DAVID ECCLES, M.P., Minister of Education.	

The Right Hon PATRICK BUCHAN-HEPBURN, M.P., Minister of Works.

The following were also present:

The Right Hon LORD STRATHCLYDE, Minister of State, Scottish Office.	The Right Hon EDWARD HEATH, M.P., Parliamentary Secretary, Treasury.
---	--

Secretary.

The Right Hon. Sir NORMAN BROOK

CONTENTS

Sir Anthony Eden
Resignation.

51050--3

هذه الوثيقة تخص حكومة جلالة ملكة بريطانيا
طبعت لمجلس الوزراء ، يناير ١٩٥٧

سرى

النسخة رقم ٣٦

C.M. (57)

(النتائج) (المحضر الرابع)

مجلس الوزراء

النتائج التي خلص إليها اجتماع المجلس المنعقد في ١٠ داوننج ستريت ، ج. غ ١ يوم الاثنين ٩ يناير ١٩٥٧ ، الساعة ٥ مساء

الحاضرون :

الرايت أونرايل سير انتوني ايدن رئيس الوزراء

الموست أونرايل مركيز سالزيرى ، رئيس المجلس .	الرايت أونرايل ر. ١. بانكر ، عضو البرلمان وحامل
الرايت أونرايل هارولد ماكميلان ، عضو البرلمان	اختام الملكة .
وووزير المالية .	الرايت أونرايل الفيكوت كيلمور ، رئيس مجلس
الرايت أونرايل سلوين لويد ، عضو البرلمان	اللوردات والرئيس الأعلى للقضاة
ومستشار الملكة وووزير الدولة للشؤون الخارجية .	الرايت أونرايل وليم لويد جورج ، عضو البرلمان
الرايت أونرايل ايرل أوف هوم ، وزير الدولة	وووزير الدولة للشؤون الداخلية وووزير شؤون
لعلاقات الكومنولث .	ويلز .
الرايت أونرايل انتوني هيد ، عضو البرلمان وووزير	الرايت أونرايل سير والتر مونكتون ، مستشار الملكة
الدفاع .	وعضو البرلمان وووزير الدولة للخزانة .
الرايت أونرايل بيتر ثورن كروف ، عضو البرلمان	الرايت أونرايل دنكان سانديز ، عضو البرلمان وووزير
وووزير التجارة .	الإسكان والحكم المحلي .
الرايت أونرايل سير دايفيد اكليس ، عضو البرلمان	الرايت أونرايل د. هيتكوت امورى ، عضو البرلمان
وووزير التعليم .	وووزير الزراعة ومصايد الأسماك والأغذية .
	الرايت أونرايل إيان مكلويد ، عضو البرلمان وووزير
	العمل والخدمة الوطنية .

الرايت أونرايل باتريك بوكان هيبيرن

عضو البرلمان وووزير الأشغال

وحضر الاجتماع أيضا :

الرايت أونرايل لورد ستر اكلويد ، وزير الدولة
لشؤون اسكتلندا .
الرايت أونرايل ادوارد هيث ، عضو البرلمان وووزير
البرلمان .

وتولى أعمال السكرتارية

الرايت أونرايل سير نورمان بروك

المحتويات استقالة سير أنتوني إيدن

□ سير أنتوني إيدن الاستقالة

قال رئيس الوزراء إنه يأسف إذ يضطر لإبلاغ زملائه أنه غير قادر على الاستمرار في الاضطلاع بمسؤوليته . فبعد فترة الراحة التي حصل عليها قبل الكريسماس ، بناء على نصيحة الأطباء ، كان يأمل أن يسترد عافيته بما يسمح له بأن يواصل عمله لفترة طويلة . إلا أنه وجد بعد ذلك أنه بحاجة إلى استشارة طبية أخرى ، ووصل الأطباء الأربعة الذين استعان بهم إلى رأى إجماعى مؤداه أن صحته لم تعد تمكنه من الاستمرار في تحمل عبء العمل كرئيس للوزراء . وقد قرر على أساس ذلك أنه ليس أمامه بديل عن الاستقالة ، وأنه أبلغ الملكة بما استقر رأيه عليه عندما قام بزيارة قصر ساندرينجهام في اليوم السابق . وأنه سيقدم استقالته إلى جلالة الملكة رسميا عند استقبالها له بقصر كنجهام في وقت لاحق من نفس المساء .

وقال رئيس الوزراء : إن استقالته تعنى استقالة الحكومة بكاملها ، وأن الوزراء الآخرين ليسوا بحاجة إلى تقديم استقالاتهم للملكة ، ولكنهم ينبغي أن يضعوا وظائفهم تحت تصرف من سيخلفه ، وعليهم في الوقت ذاته أن يواصلوا إدارة شؤون وزاراتهم إلى حين تشكيل الحكومة الجديدة ، وأن الوزراء الإداريين الذين ليسوا أعضاء في المجلس ، ووزراء الدولة ، سوف يبلغون بذلك في اجتماع يعقده في وقت لاحق في نفس المساء . كما سيبلغ الأمر إلى الوزراء المساعدين بخطاب .

وقال رئيس الوزراء إنه يبقى عليه أن يعرب عن أسفه للقرار الذي اضطر إلى اتخاذه . فإنه لمن دواعى حزنه الشديد أن يفترق عن زملائه في هذا الوقت . وهو يعتقد أن الشهور المقبلة ، وإن كانت حافلة بالمصاعب إلا أنها تفتح الطريق أمام إمكانيات عظيمة ، وأنه كان يأمل أن يتمكن من المساعدة في تحويل تلك الإمكانيات إلى حقائق . وتمنى لزملائه حظا طيبا في المستقبل .

وقال اللورد الرئيس : إنه استمع لهذا القرار بأسف بالغ ، ولكن نظرا لتقرير الأطباء ، فإنه لا يستطيع أن يطلب من رئيس الوزراء أن يعيد النظر فيه . وهو شخصيا يشعر بمرارة شديدة للافتراق عن رئيس الوزراء بعد صداقة سياسية وثيقة استمرت أكثر من ثلاثين عاما . وأنهما مرآ خلال هذه الفترة بأوقات صعبة كثيرة ، ولكنهما لم يفترقا في أى وقت . وأن رئيس الوزراء كان بالنسبة للجميع نموذجا للشجاعة والاستقامة . وأن الشجاعة التي أبداهما خلال أحداث الشهور الستة الأخيرة ضاعفت من الحب والإعجاب اللذين يكنهما له البلد بأسره ، وأن زملاءه الذين سيواصلون عمله سيستمدون القوة عندما يذكرون قدوته وقيادته في السنوات المقبلة .

وقال حامل أختام الملكة : إن استقالة رئيس الوزراء ليست مجرد صدمة شخصية له ، بل إنها أيضا خسارة سياسية شديدة لحزب المحافظين . وأن جميع زملائه يودون أن يعربوا له عن تعاطفهم العميق ، وأملهم المخلص في أن يسترد عافيته كاملة حتى يمكن أن توضع مواهبه العظيمة مرة أخرى في خدمة بلده .

وقال وزير المالية : إنه يشعر بحزن عميق لاضطراره الآن إلى إنهاء الوشائج السياسية الوثيقة التي ربطته برئيس الوزراء في مجلس العموم لأكثر من ثلاثين عاما ، وكان مما يجمع بينهما في هذه الفترة الطويلة أنهما من القلائل الذين استمرا في العمل بعد الحرب العالمية الأولى التي مات فيها خيرة أبناء جيلهم . وفي اعتقاده أنه عندما يكتب تاريخ أزمة السويس ، سوف يعرف أن رئيس الوزراء كانت تحركه أسمى الدوافع الوطنية ، وإذا اقتفى زملاؤه خطاه ، فقد يحسنون الاستفادة بالإمكانات التي وفرتها سياسته وأعماله .

وقال رئيس الوزراء : إنه اتخذ قراره مع شعور بالأسف العميق ، وأن الكلمات التي قيلت قد أثبتت صدره . ولم يعد له إلا أن يشكر زملاءه لإخلاصهم ودعمهم الكامل طوال الفترة التي قضاهما في منصب رئيس الوزراء .

□ الحالة الاقتصادية

(المرجع السابق (57) C.M.

الاستنتاجات الأولى المحضر ٣)

قال وزير المالية* : إن أزمة السويس وما ترتب عليها من فقد الثقة بالجنيه الاسترليني كشفت عن الضعف الهيكلي لاقتصادنا في فترة ما بعد الحرب . وأن الوقت ما زال مبكرا لتقدير جميع النتائج الاقتصادية التي تمثلت في نقص الإنتاج ، وزيادة الإنفاق بالدولار للحصول على البترول وخدمة الديون الجديدة . ولكننا كنا مضطرين إلى تعبئة جميع الإمكانيات للحصول على القروض المتاحة حتى نحافظ على سعر الجنيه الاسترليني . وفي هذه الظروف التي يعاني فيها الاقتصاد الوطني من عبء الديون الخارجية والداخلية الذي تجاوز ٢٧٠٠٠ مليون جنيه استرليني ، لم يكن من المتوقع أن يتحمل هذا الاقتصاد الاعتمادات المتزايدة لأغراض الدفاع والإنفاق الأدنى في السنة المقبلة ، بالإضافة إلى تكاليف الاستثمار في الصناعات المؤممة . وقد كشفت التقديرات الموضوعة لعام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ عن عجز متوقع مقداره ٥٦٤ مليون جنيه تحت العجز والزيادة ، في مقابل عجز يقدر بمبلغ ٣٥٢ مليون جنيه في السنة الجارية . وإذا لم يمكن الحد من الإنفاق الحكومي بصورة فعالة ، فلن يكون في الووسع الاحتفاظ بالثقة الدولية بالجنيه الاسترليني . وإذا أريد حماية الجنيه الاسترليني في هذه الظروف بطريقة فعالة ، فإن النظرة المالية السليمة تقضي بزيادة الإيرادات في الميزانية ، وإنقاص المصروفات بالقدر الذي يسمح بالوصول إلى توازن إجمالي . وإذا كان من الصعب عمليا في رأيه إجراء خفض بهذا الحجم ، فإنه يعتقد أنه يمكن تحقيق خفض في النفقات المقدرة في حدود ٣٠٠ مليون جنيه استرليني ، إذ يأمل في خفض الإنفاق العسكري بمقدار ٢٠٠ مليون جنيه استرليني ، وخفض الاتفاق على الخدمات الاجتماعية بنحو ٨٠ - ١٠٠ مليون جنيه استرليني ، كما يتطلع إلى خفض كبير في الإنفاق على الدفاع المدني وعلى خدمات الصحة الوطنية . وأعرب عن أمله في أن يوافق المجلس على الاقتراح بأن تقدم وزارة المالية للسلطات المحلية اعتمادا إجماليا بدلا من النظام الحالي القائم على تقديم اعتمادات تفصيلية . وأن زيادة المبالغ التي يدفعها الآباء مقابل الوجبة الغذائية في المدارس يمكن أن توفر ١٠ ملايين جنيه استرليني أخرى . وإذا وضعت الميزانية على هذه الأسس فإنها ستحافظ على التوازن العام للاقتصاد ، وتسمح بقدر من الإعفاءات الضريبية الرامية إلى زيادة الكفاءة والإنتاجية .

أما الاستثمار في الصناعات المؤممة فإنه مشكلة قائمة بذاتها . فقد أبدت أكثر من لجنة من لجان تقص الحقائق في تقاريرها عن الصناعات المؤممة ، عدم ارتياحها للترتيبات التي تضعها تلك الصناعات لبرامج تمويلها . ولما كانت الصناعات المؤممة غير قادرة على الاقتراض من السوق اعتمادا على جدارتها الائتمانية الخاصة ، فإن الخزانة ملزمة بأن تتحمل المسؤولية عن تمويل احتياجاتها . لكن مجمل مسألة النفقات الرأسمالية لتلك الصناعات ، والجهاز المركزي للسيطرة عليها ، يحتاجان إلى مزيد من البحث للاطمئنان إلى أن الحصول على رؤوس أموال جديدة لا يتم إلا لمشروعات ، أو إضافات يرجح أن تحقق أرباحا .

وفي الدراسة الأولية للوضع الذي صورته مذكرة وزير المالية هذه ، ركز المجلس إهتمامه في المقام الأول على النفقات المتعلقة بالدفاع وبنفقات الخدمات الصحية الوطنية .

* سبق تسجيله في مرفق للتوزيع على نطاق محدود

□ الدفاع

قال وزير الدفاع : إن نفقات الدفاع تنقسم بالتساوي تقريبا بين توفير المعدات وتكاليف الأفراد العسكريين . وأن أى خفض كبير في الإنفاق على المعدات بدون خفض مناظرله في الإنفاق على الأفراد سيجعل القوات ضعيفة التسليح . وفي اعتقاده أن السياسة الدفاعية في الأجل الطويل يجب أن تقوم على مبدأ وجود قوات أصغر حجما مزودة بأحدث الأسلحة . وعلى ذلك فهو يقترح خفض العدد الإجمالي للذكري العاملين في الخدمة العسكرية من جميع الرتب من الرقم الحالي وهو نحو ٧٦٠٠٠٠ جندي إلى نحو ٤٥٠٠٠٠ جندي في نهاية المطاف . وهو يوافق على ضرورة تحقيق هذا الخفض في أقرب وقت ممكن ، ولكن هناك حدودا للقدرة على الإسراع بهذه العملية ، وسيكون الهدف في الأجل الطويل هو زيادة عدد الجنود النظاميين في القوات وإنقاص نسبة المتطوعين . وعلى ذلك فإن الخفض سيحدث في المقام الأول عن طريق إنقاص عدد المتطوعين . ومن وسائل تحقيق ذلك إنقاص مدة الخدمة المتصلة إلى ثمانية عشر شهرا أو سنة ، لكن ستتربط على ذلك صعوبات بالنسبة للقوات تتعلق بالتدريب وتوفير الأعداد اللازمة للوحدات المتمركزة فيما وراء البحار . وهنا إمكانية أخرى وهي إنقاص عدد المقبولين من المتطوعين . إلا أن هناك أسبابا عملية وسياسية تحول دون الامتناع الكامل عن قبول المتطوعين ، ولولفترة قصيرة ، لأنه لا بد من استمرار نوع من الخدمة الوطنية حتى إذا نقص حجم القوات . ومع ذلك ، فالمرجو أن يتم خفض مجموع العاملين في القوات المسلحة بنحو ٧٠ ألف جندي خلال السنة المقبلة . والوزير مقتنع بأن إنقاص حجم القوات هو السبيل السليم لتحقيق الوفرة في الإنفاق العسكري . فالمحاولات التي بذلت في الماضي لتحقيق الخفض عن طريق التراضي بين الأسلحة المختلفة على إنقاص اعتماداتها ، أو المبالغ المخصصة لشراء المعدات ، لم تؤد إلا إلى حلول وسط قصيرة الأجل . وحجم القوات مسألة يجب أن توضع لها سياسة طويلة الأجل ، وأن تنفذ تلك السياسة بإصرار ، وبذلك يمكن تحقيق وفورات كبيرة في المدى الطويل . إلا أن هناك صعوبات في تحقيق أى وفورات أخرى في المدى القصير . وقد كان من المقرر ، على أساس البرنامج الدفاعي الذي وضع منذ نحو ١٨ شهرا ، أن تكون الميزانية الدفاعية للسنة المقبلة في حدود ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني . وقد أمكن من خلال المناقشات التي أجريت مع الأسلحة الرئيسية ، ورؤساء الأركان خفض هذا الرقم الإجمالي إلى ١٥٥٠ مليون جنيه استرليني .

وذلك بالإضافة إلى ٥٠ مليون جنيه استرليني أخرى أسهمت بها القوات المسلحة في الوفورات التي تحققت خلال السنة المالية الجارية ، وبلغت ١٠٠ مليون جنيه استرليني . وفوق ذلك فإن التخفيضات الفعلية التي حققتها القوات المسلحة تبلغ أكثر من ذلك ، لأن الرقم الإجمالي الجديد يشمل التكلفة الكاملة لوجود القوات البريطانية في ألمانيا . ولم يأخذ في الحسبان أية مبالغ يمكن أن تسهم بها الولايات المتحدة على سبيل المساعدة . ولهذه الأسباب سيكون من الصعب زيادة خفض في حجم القوات المسلحة خلال السنة المالية المقبلة ، وأن المجال لإحداث خفض في الإنفاق على المعدات محدود أيضا بسبب التكلفة العالية التي تترتب على إلغاء التعاقدات . وهناك بديل آخر وهو تأجيل تسليم المعدات ، ولكن ذلك سينطوى على تبديد للموارد لأنه سيؤدي إلى زيادة تكلفة الأسلحة في النهاية . أما إذا أريد أن يكون خفض في تكاليف الخدمات ، فسيكون الجزء الأكبر منه في بند توفير مرافق جديدة لإيواء القوات وإعاشتها ، وهو أمر قد يضر بتجنيد العسكريين النظاميين الذين لا غنى عنهم لتحسين تشكيل القوات في المدى الطويل . ومع ذلك ، فإنه سيبحث إمكانات تحقيق وفورات أخرى خلال السنة المالية المقبلة ، وسيقدم إلى المجلس تقريراً آخر في اليوم التالي .

وخلال المناقشة أثارت مسألة أن نسبة أكبر مما ينبغي من جهود البحث والتطوير في مجال الصناعة في البلاد موجهة لأغراض الدفاع ، ويحسن أن يخف هذا العبء عن كاهل الصناعة حتى يمكن تحرير مزيد من الموارد للمجالات المدنية في البحث والتطوير ، للمساهمة في زيادة الكفاءة الصناعية والانتاجية .

□ الخدمات الصحية والوطنية

قال وزير الصحة : إنه لا يستطيع أن يحقق وفراً مقداره ١٥ مليون جنيه استرليني في النفقات التقديرية المتعلقة بالخدمات الصحية الوطنية بغير زيادة الرسوم ، أو إنقاص عدد أسرة المستشفيات بما يقرب من ٢٠ ألف سرير . ولما كان عدد من يتلقون خدمات الوزارة في أى وقت يبلغ نحو ٦٠٠ ألف شخص ، فإن زيادة تكاليف الخبز واللبن مثلاً ، وهى الزيادة التي ترتبت على التدابير الاقتصادية التي طبقتها الحكومة خلال السنة الحالية ، أدت بشكل مباشر إلى زيادة مقدارها ١٩ مليون جنيه استرليني في تقديرات تكاليف الخدمة الطبية . وذلك إضافة إلى أن الرقم يتضمن الزيادة في أجور العاملين ومرتباتهم ، وهى زيادة تقررت مؤخراً ضمن الزيادات الأخرى في الأجور ، والأمر يتطلب إقرار اعتمادات أخرى لزيادة أجور الأطباء . وأن تكاليف الخدمة الصحية الوطنية الآن ، قياساً إلى الدخل الوطنى ، أصبحت تقل بنسبة ١٢,٥ في المائة عما كانت عليه في عام ١٩٥١ ، وأن الإنفاق على الانشاءات في المستشفيات نقص بكثير عما كان عليه ولا سيما في مستشفيات الأمراض العقلية .

قائمة بمجموعة مراسلات « مايلز كوبلاند » :

□ ٢٩ نوفمبر ١٩٥٨ . برقية يعرض فيها مايلز كوبلاند استعداداه لجمع معلومات عن الأوضاع في العراق يقدمها إلى المخابرات المصرية .

(تلقى ردا بالاعتذار)

□ ١٦ مارس ١٩٦١ : رسالة من مايلز كوبلاند إلى مكتب الرئيس عبد الناصر يقترح فيها تكليفه بإنشاء مركز لتدريب بعض الشباب الأفارقة ، ويعرض في نفس الوقت استعداده لتقديم عرض لمعدات مكتبية لهذا المركز تشتريها الحكومة المصرية .

(تلقى من القاهرة ردا بالاعتذار)

□ ١٦ فبراير ١٩٦٢ : عرض بإقناع بعض أصحاب رؤوس الأموال الأجانب لإنشاء مصنع للمنتجات (آيس كريم) في مصر .

(لم يتلق من القاهرة ردا على عرضه)

□ ١٣ مارس ١٩٦٢ . طلب للسماح لشركة يمثلها بتصوير فيلم في مصر وعنها تتولى هذه الشركة تمويله . (لم يتلق ردا على عرضه)

□ ٢٣ مارس ١٩٦٢ . عرض من بعض المستثمرين الأجانب الذين اختاروه لتمثيلهم لإنشاء « صناعة سينما دولية » في مصر .

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ ٣١ أغسطس ١٩٦٢ : خطاب إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر يقترح فيه أن يعهد إليه بتأليف كتاب عن أفكاره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ ١٦ فبراير ١٩٦٣ : رسالة إلى مدير المخابرات المصرية يعرض فيها - مرة أخرى - جمع معلومات وتقديمها إليه عن الأحوال في العراق .

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ ١٢ مارس ١٩٦٣ رسالة إلى محمد حسنين هيكل يعرض فيها بيع مطابع لمشروع الأهرام الجديد من شركة « هاريس » التي « قال » إنها على استعداد لاعتماده وكيلها !

(تلقى ردا بالاعتذار لأن الأهرام اشترى ما يحتاج إليه فعلا من شركة « هاو »)

□ ٣ أبريل ١٩٦٦ : تقرير إلى مدير مكتب السيد زكريا محيي الدين يعرض فيه تأسيس نشرة أبناء خاصة في لندن توجه اهتمامها لرجال الأعمال والممولين المهتمين بأسواق الشرق الأوسط وأفريقيا .

(تلقى ردا بأن الموضوع سوف يبحث وسوف يخطر بالنتيجة ، ثم تلقى إخطارا بالاعتذار)

□ ٣ أبريل ١٩٦٦ : رسالة إلى مدير مكتب نائب رئيس الجمهورية يعرض فيها بيع أجهزة حاسبة طراز N.C.R. قائلا إنه مفوض .

(تلقى ردا بالاعتذار)

□ ٦ أبريل ١٩٦٦ : رسالة إلى مكتب الرئيس عبد الناصر يؤكد فيها إنه يستطيع أن يحصل لمصر على مساعدات مالية طائلة من الحكومة الكويتية ، ويقول إن له نفوذا على فوائض الأموال الكويتية لأنه « هو الذي قدم للحكومة الكويتية مشروعا لإنشاء صندوق التنمية الكويتي » !!

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ ٧ مايو ١٩٦٦ : رسالة إلى السيد سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات يعرض فيها أن يقوم بدور ضابط اتصال لمصر مع روبرت أندرسون الذي كلفه الرئيس جونسون بمهمة لتقصي الحقائق في الشرق الأوسط .

(لم يتلق ردا)

□ ٢٦ يناير ١٩٦٧ : تقرير بمعلومات عن الأوضاع في الشرق الأوسط ادعى أنه حصل عليه بصلاته القديمة من

وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وقد بعث به إلى مكتب عبد الناصر لإظهار مدى قدرته في الحصول على معلومات يستطيع أن يقدمها إلى المخابرات المصرية .

(لم يتلق ردًا)

□ ١٥ مارس ١٩٦٧ رسالة إلى مكتب السيد زكريا محيي الدين يطلب فيها تذكرة سفر من لندن إلى القاهرة لكي يستطيع أن يشرح أحواله .

(لم يتلق ردًا)

□ ٢٧ إبريل ١٩٦٧ : رسالة إلى السيد سامي شرف يقول فيها إنه يستطيع ترتيب اجتماع بين الرئيس عبد الناصر والرئيس الأمريكي ليندون جونسون .

(لم يتلق ردًا)

□ ٨ أغسطس ١٩٦٧ . رسالة إلى السيد سامي شرف يقترح فيها تكليفه بالوساطة بين مصر والمغرب .

(لم يتلق ردًا)

□ سبتمبر ١٩٦٧ : رسالة إلى مكتب نائب رئيس الجمهورية يطلب فيها مبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه تدفع لشركة أقامها مع بعض الأمريكيين والأوروبيين للإعلان والإدارة ، متعهدا بالدعاية للصناعات المصرية المؤممة إذا حصل على المبلغ لشركته التي أسماها شركة « أنترسير » .

(لم يتلق ردًا على عرضه)

□ ٧ يناير ١٩٦٨ : رسالة إلى مكتب السيد سامي شرف يقترح فيها أن « يتفضل الرئيس جمال عبد الناصر بتحديد موعد لمقابلة المستر فاندريك ممثل شركة بان أمريكان للبترول » ، قائلا إن هذه الشركة تستطيع أن تقوم بضغوط على الحكومة الأمريكية لكي تضغط بدورها على إسرائيل لتسهيل إعادة فتح قناة السويس .

□ ٥ إبريل ١٩٦٨ : رسالة إلى السيد سامي شرف يطلب فيها معلومات يستطيع أن يواجه بها الدعاية الموجهة للرئيس جمال عبد الناصر في الغرب ، ويقترح تكليفه بوساطة سرية مع إسرائيل .

□ ١٥ يناير ١٩٦٩ . تقرير مرفوع من سامي شرف إلى الرئيس عبد الناصر بخصوص مقابلة بينه وبين مايلز كوبلاند يعرض فيها الأخير قيامه بدور الوساطة بين مصر وإسرائيل .

□ ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ : رسالة إلى السيد سمير أحمد في السفارة المصرية في لندن يقول فيها إنه يستنكر أقوالا نسبت إليه تدعى عليه أنه قال إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت تعرف بموعد انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ويقول أن هذا الإدعاء عليه كذب ومحض هراء .

(في هذه الفترة حاول مايلز كوبلاند أن يجيء إلى مصر ، ووصل إلى مطار القاهرة فعلا ، وصدر أمر باعتجازه في المطار وترحيله في أول طائرة عائدة إلى لندن بعد أن تبين أنه يستغل صلات مزعومة له في القاهرة مع بعض الشركات الأمريكية) .

□ ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ رسالة إلى مكتب الرئيس عبد الناصر يقول فيها إنه أعد كتابا عن الثورة المصرية بعنوان « لعبة الأمم » ويعرض إرسال بروفات منه لكي يحذف من النص أوصافا إليه ما تشاء السلطات المصرية . (لم يتلق ردًا على عرضه ، واعتبرت محاولته نوعا من الابتزاز ، وساعد على ذلك أن بعض أجهزة الدعاية المعادية لمصر بدأت تستعين به فعلا)

□ ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩ : رسالة موجهة إلى محمد حسنين هيكل يقول فيها إنه كتب كتاب « لعبة الأمم » ووضع فيه وقائع يعرف أنها غير صحيحة ، ولكنه وضعها لكي يزيد من مصداقيته في الصحافة الأجنبية ثم يستطيع بعد ذلك استعمال هذه المصداقية في الدعاية لجمال عبد الناصر ... الخ ، الخ ، الخ ، ويقترح أن يأتي إلى مصر ويعيد كتابة النسخة الأجنبية .

□ ٢٦ نوفمبر ١٩٦٩ : رسالة من مايلز كوبلاند إلى محمد حسنين هيكل يعرض عليه تغيير ما يراه في كتابه « لعبة الأمم »

(لم يتلق ردًا)

□ ٦ إبريل ١٩٧٠ . رسالة من مايلز كوبلاند إلى محمد حسنين هيكل بشأن ترجمات كتابه « لعبة الأمم » التي نشرت في بيروت دون تصريح من كوبلاند

الوثيقة رقم ٩

خطاب من « مايلز كوبلاند » إلى الوزير المفوض « سمير أحمد » بالسفارة المصرية في لندن ذلك الوقت ، وهو بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ وفي الوقت الذي ظهر فيه كتابه « لعبة الأمم » وفيه يروى نواياه الحقيقية كما يتصورها من الكتاب ، كما يعرض خدماته . وأهم شيء في هذا الخطاب العبارة التي يقول فيها « إن أحد كتاب الإنارة واسمه اندرو تولي قد تسرع في جمع مواد لكتاب « يثبت » (وضع الأقواس للتشكيك في الكلمة وضعه مايلز كوبلاند بنص خطابه) - فيه « أن عبد الناصر بدأ انقلابه وهو عميل للمخابرات المركزية الأمريكية ، وأن المصريين كانوا يأوون ضباطا نازيين بالتواطؤ مع المخابرات المركزية الأمريكية » والكثير من هذا الهراء ! » .

PERSONAL AND CONFIDENTIAL

15 September 1969

Samir Ahmed, Esq.
U. A. R. Embassy
London

Dear Samir:

I started drafting a memorandum to Sami Sharraf, which I was going to ask you to send along to Cairo, when I called your office to learn that you were in Cairo yourself. Accordingly, I am asking your Embassy to pass this on to you, in the hope that while you are in Cairo you will be able to discuss the subject of the letter with Sami, Heykel, or whoever else you think ought to know about it, then bring me some answers when you return to London.

Here is a summary of the facts.

1. Over a year ago, the American oil company which employs me in Egypt said that there was nothing I could do directly for the company since all was going well. On the other hand, the company wanted to keep me "on tab" so that I would be in a position to help with government relations in case something went wrong. My oil company employer told me (and later told Sami Sharraf) that I was free to spend all my time at projects which would help the UAR "image" in the U. S., and that the company would pay my salary and expenses so that my talents would come to the U.A.R. free of charge, for whatever help your Government might want to get from me.

2. I discussed a number of projects with Sami, with Dr. Zayyat, and with others. It soon became apparent that there was only one field where I could be of real assistance: getting information into business confidential newsletters (these are highly influential in the U.S. under a Republican administration) which would assist the American businessmen and financiers to understand President Nasser's position, and to induce them to bring influence to bear on the President of the United States, key Congressmen, and others. But this wasn't enough. I wanted to get articles into influential magazines, and to develop a "name" for myself so that they would carry weight. For over a year now, I have been working at the book so as to develop this "name."

3. Two facts quickly became apparent: first, you can't make a name for yourself -- or, for that matter, you can't even get your articles accepted -- if you are openly pro-Egyptian or pro-Arab and anti-Israel. Second, even if you get your articles into print they don't carry much weight until you have established your objectivity and your credentials for knowing first hand what you are talking about. It was for this reason that I hit upon the idea of writing THE GAME OF NATIONS, a book which would show that I knew first hand what I was talking about but which would not be openly pro-Nasser. There was another reason why the idea seemed a good one: a sensational writer named Andrew Tully had been gathering material on which to write a book to "prove" that "Nasser started his camp as a CIA agent," that the Egyptians harbored Nazi officers with CIA connivance, and other such nonsense. It occurred to me that it would be

شخصى وسرى

١٥ سبتمبر ١٩٦٩

السيد سمير أحمد
سفارة الجمهورية العربية المتحدة
لندن

عزيزى سمير

كنت قد شرعت فى كتابة مذكرة موجهة إلى سامى شرف وفى نيتى أن أرجو منك إرسالها إلى القاهرة ، إلا أنى عندما سألت عنك فى مكتبك علمت أنك موجود بالفعل فى القاهرة . وعلى ذلك طلبت من سفارتكم توصيل هذه المذكرة إليك ، على أمل أن تتمكن فى أثناء وجودك فى القاهرة من مناقشة موضوعها مع سامى ، أو هيكل ، أو أى شخص آخر تعتقد أنه يجب أن يعرف بها ، ثم تاتينى برد عند عودتك إلى لندن .

وهذا ملخص للوقائع .

١ - منذ أكثر من عام مضى أبلغتني شركة البترول الأمريكية التى اشتغل لحسابها فى مصر أنه ليس هناك ما أستطيع أن أعمله لها بصورة مباشرة لأن جميع أمورها تسير على ما يرام ، لكنها أرادت من ناحية أخرى أن تستبقينى « بصفة احتياطية » بحيث أستطيع أن أقدم لها يد المساعدة فيما يتصل بالعلاقات الحكومية إذا ما حدثت أية مشاكل . وأخبرتني الشركة (وأخبرت سامى شرف فيما بعد) أن لدى الحرية الكاملة لقضاء وقتى كله فى المشروعات التى يمكن أن تساعد على تحسين « صورة الجمهورية العربية المتحدة فى الولايات المتحدة » وأن الشركة ستدفع مرتبى ومصاريفى بحيث تستفيد الجمهورية العربية المتحدة من كفاءتى فى كل ما يساعد حكومتكم بغير مقابل .

٢ - وقد ناقشت عددا من المشروعات مع سامى ، ومع الدكتور الزيات ، ومع آخرين . وسرعان ما اتضح أنه ليس هناك غير مجال واحد يمكن أن أقدم فيه مساعدة حقيقية : وهو نشر معلومات فى النشرات الإخبارية غير المخصصة للتوزيع العام والتى تعنى بأخبار دوائر الأعمال (وهى نشرات لها تأثير كبير فى الولايات المتحدة فى ظل حكومة الحزب الجمهورى) مما يمكن أن يساعد رجال الأعمال والمال الأمريكيين على فهم موقف الرئيس عبد الناصر ، ودفعهم إلى التأثير على رئيس الولايات المتحدة ورجال الكونجرس ذوى النفوذ ، وغيرهم من الشخصيات . لكن ذلك لم يكن كافيا ، فقد كنت أريد أن أنشر مقالات فى المجلات الواسعة النفوذ ، وأن يصبح لى « اسم » حتى يصبح لمقاتلى وزنها . وقد انقضى الآن أكثر من عام وأنا أشتغل فى الكتاب حتى أصنع هذا « الاسم » .

٣ - لم تلبث أن اتضحت حقيقتان : الأولى ، أن المرء لا يستطيع أن يصنع لنفسه اسما - بل ولن تقبل مقالاته أصلا - إذا كان مؤيدا لمصر علنا أو مؤيدا للعرب أو معاديا لإسرائيل . والثانية ، أنه حتى إذا نجح فى نشر مقالاته فلن يكون لها وزنها إلا إذا ثبتت موضوعيته ، وقدرته على الوصول إلى المعلومات من مصادرها دون وسيط . ولهذا السبب فكرت فى كتابة « لعبة الأمم » . وهو كتاب يبين أن معلوماتى فيما اتحدث عنه معلو

مباشرة ، ولكن دون أن أوضح صراحة تأييدى لعبد الناصر . وكان هناك سبب آخر حثب إلى الفكرة : فقد كان أحد كتاب الإثارة واسمه اندرو ثوللى قد تسرع في جمع المواد لإعداد كتاب « يثبت » فيه أن « عبد الناصر بدأ انقلابه وهو عميل للمخابرات المركزية الأمريكية ، وأن المصريين كانوا ياءون ضباطا نازيين بالتواطؤ مع المخابرات المركزية الأمريكية » والكثير من مثل هذا الهراء . وخطر لى انى ساسدى لحكومتم خدمة إذا أفسدت مشروع ثوللى بتأليف كتاب أقل عداء لعبد الناصر .

٤ - والآن بعد نشر كتابى ، تخلى ثوللى عن مشروع كتابه . كما أن مكانتى أصبحت مسلما بها . ففى إنجلترا بيعت الطبعة الأولى من « لعبة الأمم » بكاملها فى ثلاثة أيام . وطلب منى أن أظهر فى التلفزيون ، وأن أتكم فى الإذاعة ، وأن أكتب العديد من المقالات فى مجلات واسعة النفوذ ، وأن أحرر أعمدة توزع على الصحف فى نفس الوقت ، وأن أقوم بجولة لإلقاء محاضرات فى الولايات المتحدة فى شهر مارس ، عندما تصدر الطبعة الأمريكية من الكتاب . ولم تكن هناك غير مسألة واحدة مقلقة على الجانب الغربى للسور . وهى أن الخبراء الحقيقيين أدركوا أن الكتاب « مؤيد لعبد الناصر فى الواقع (حتى إذا لم يكن مؤيدا لعبد الناصر فى الظاهر) واتخذت كثير من المنظمات الصهيونية والإسرائيلية خطوات للتطليخ سمعتى لا بين الجمهور الواسع فحسب بل ولدى حكومتكم أيضا . فهم يستطيعون أن يقبلوا أى شخص يعلن صراحة وبوضوح انه موال للعرب ، ولكنهم يكرهون ويخشون أى شخص يدعى انه محايد أو موضوعى . (انظر مثلا عرض جون كيمش لكتابى) . وتذكر أيضا ما زعمته السفارة الإسرائيلية من انى لعبت « لعبة » اكسفورد بإذن صريح من الرئيس عبد الناصر - وذلك محض اختلاق . إلا أن ذلك لم يحدث ضررا حقيقيا بسمعتى ، وما زالت العروض تتدفق على .

٥ - لكن كثيرا من الأمور لم تسر على ما يرام على الجانب المصرى من الحوار . وعلى الرغم من انى شرحت مقدما لكثير من كبار المسؤولين فى حكومتكم بالدقة ما سيكون عليه كتاب « لعبة الأمم » ، وما كنت أرجو أن أحققه عن طريقه ، فإنه مع ذلك أثار استياء الكثيرين لديكم فقد رأوا أنه يسئ إلى الرئيس عبد الناصر فى العالم العربى ، ولم يفهموا النفسية الغربية بما يكفى لإدراك مدى ما يحققه له هذا الكتاب من خير فى العالم الغربى . كما كان هناك برنامج فى الإذاعة البريطانية (B.B.C.) قلت فيه أشياء اعتقدت أنها ترضى رجال الدعاية عندكم ، ولكن تبين أنها ليست الأشياء المطلوبة ، نظرا لأنه لم تتج لى الفرصة لناقشتها معهم مسبقا . وكان من نتيجة ذلك أنى عندما ذهبت إلى القاهرة فى آخر مرة منعنى ضباط إدارة الهجرة من الدخول .

٦ - وقد لا يكون هذا بالضرورة أمرا سيئا . فإذا حدثت الدعاية الصحيحة ، فإن منعى من دخول مصر يمكن أن يستخدم كدليل على انى لست داعية أسود (أى بطريق غير مباشر) للرئيس عبد الناصر ، وأن يكون هذا المنع أداة لتعزيز دعواى فى الحياء والموضوعية . ويجب فى الوقت ذاته أن تتم هذه الدعاية بعناية فائقة . وأن نتفق معا على ما يجب أن أقوله للصحفيين عندما يوجهون لى الأسئلة ، وماذا يكون رد فعلى لاية انتقادات عربية للكتاب . وهذه النقطة الأخيرة بالغة الأهمية . فالطبعة الأمريكية لكتابى ستصدر فى مارس المقبل ، وناشرى فى نيويورك يقوم بقدر كبير من الدعاية وأعمال العلاقات العامة مما يتيح للكتاب

أكبر فرصة ممكنة ليصبح من أكثر الكتب رواجاً . فإذا كانت هناك في الطبعة البريطانية أشياء يعترض عليها الرئيس عبد الناصر أو تعترض عليها حكومتكم ، يسعدني أن تتاح لي الفرصة لإدخال التعديلات اللازمة على الطبعة الأمريكية قبل أن يفوت الأوان . وبالمثل إذا كنت قد أدليت بأقوال تعتقد حكومتكم أنها ضارة ، فإنني على استعداد لتصحيحها لا بمجرد الاستعانة بوضعي الجديد الذي يسمح لي بكتابة مقالات باسمي مباشرة ، بل أيضاً بالإدلاء ببيانات لصحفيين كبار يمكن أن يعرضوا ما ساقدمه من تصحيح على أنه قصة إخبارية عادية . والخلاصة أن كل ما أريده هو فرصة لتصحيح أي خطأ ترى حكومتكم أنني وقعت فيه .

٧ - وهناك نقطة هامة أخرى . كان من نتيجة صدور كتابي ، وما صحبه من دعاية ، أن أصبحت الفرص تتاح لي الآن لإلقاء نظرة من الداخل على الجهود المأكرة التي يبذلها أعداء الرئيس عبد الناصر لاستخدام وسائل الدعاية غير المباشرة وغيرها من الأساليب لإحراجه ، ولبلث الفرقة بين القادة العرب الذين يسعى إلى توحيدهم ، وما إلى ذلك . وعلى سبيل المثال ، فقد اطلعت على كثير من مشروعات الدعاية التي تبدو في ظاهرها ودية نحو الرئيس عبد الناصر ، ولكنها تهدف بغير شك إلى الإضرار به - وذلك على خلاف كتابي الذي يبدو في ظاهره محايداً (بل وغير ودي في بعض الأجزاء) ولكنه في الواقع يساعد في تحسين صورته ، في بلدان الغرب على الأقل . بل إن الأمر أخطر من ذلك ، إذ أن تلك الجهود سترتبط بهجمات عسكرية إسرائيلية لن يكون الهدف منها كما تعرفون بغير شك ، تحقيق أغراض عسكرية خالصة بقدر ما هو إحداث إرتباك وإضعاف الروح المعنوية ، ولن تكون الهجمات وحدها قادرة على تحقيق هذا الغرض ، ولكنها إذا اقترنت بدعاية بارعة من نوع المصارعة اليابانية « جون جيتسو » فمن المحتمل أن تنجح .

٨ - عندما طلبت السلطات مني أن أغادر القاهرة كان ذلك في مساء الجمعة ، وهو أسوأ وقت ممكن للاتصال بأي شخص تليفونيا . وعلى ذلك لم تتح لي الفرصة لتبليغ هذا كله لأي إنسان - هذا كله وأشياء كثيرة أخرى لا أريد أن أسجلها كتابة . ولهذا السبب ، فإنني أقترح ما يلي . أن تعطوني تأشيرة للدخول إلى مصر لمدة أربع وعشرين ساعة فقط (أو الأفضل مدة أربع وعشرين ساعة بالإضافة إلى يوم أو نحوه لوضع برنامج ساقترحه في صورة مذكرة مكتوبة) ، ومقابلة سامي أو هيكل ، ثم أغادر البلد لأبدأ العمل في أي موضوع يتم الاتفاق عليه ، وإذا لم توافق حكومتكم على أي شيء فإنها لن تكون قد خسرت شيئاً أكثر من الساعة أو نحوها التي انقضت في سماع ما أريد أن أقوله .

وعلى أي حال فإنك يا سمير تؤدي في معروفاً كبيراً بتوصيل الرسالة التالية إلى هيكل أو سامي شرف ، أو أي شخص آخر تعتقد أنه ينبغي أن يسمعها : إذا كنت قد أسأت إلى الرئيس عبد الناصر ، أو إلى حكومتكم بكتابي « لعبة الأمم » فإنني شديد الأسف ، وسأنتهز كل فرصة لتصحيح ما ذكرته إذا ما حدد لي أحد التصحيح المطلوب . وليس لهذا أي علاقة بإمكانيات التعاون في المستقبل وحتى إذا لم يكن هناك تعاون ، وحتى إذا لم يصرح لي بالعودة إلى مصر ، فسيكون هذا شعوري وسابقي دائماً على استعداد للمساعدة .

أرجو أن تستمتع بإجازتك ، وأن أراك في لندن قريباً .

ولك احسن التمنيات .

مايلز

الوثيقة رقم ١٠

خطاب من «مايلز كوبلاند» إلى «محمد حسنين هيكل» بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩ وهو يعرض فيه تغيير أى شيء يكون موضع اعتراض في كتاب «لعبة الأمم» كما أنه يعرض خدماته. وأغرب فقرة في هذا الخطاب هي قوله في الصفحة الأولى منه بالحرف: «سوف يتضح أنه كانت هناك أوقات تشكك فيها من يرسمون السياسات العليا في حكومتى بشأن الجهة التي أمنحها ولائى الحقيقي، وعندما حدث التحول الكبير وانتقل «كيم» (روزفلت) وجميع الآخرين إلى السياسة المناهضة لعبد الناصر، بقيت وحدى منبوذاً وكان على أن استقيل».

PERSONAL AND CONFIDENTIAL

21 MAHLBOURGH PLACE
LONDON, N.W. 1

TELE JUN 0600

25 September 1969

Dear Heykel:

More than any of my other friends in Cairo, you in particular should be able to understand how my being kept out of Egypt makes me feel. I feel like a man who has been married for twenty-five years (the length of time I have been coming to Egypt) and who has been told by his wife that she doesn't love him any more, and that he should shove off. My relations with Egypt have been a love-hate sort of thing, it is true, but the love part has always been dominant, and my commitment to Egypt has been uncompromising and complete. When the official U. S. Government history of Egyptian-American relations comes out (it is now being written for official annals, but it will be released to the public during the seventies) it will show that there were times when top decision makers in my Government had doubts about where my true sympathies were. And when the Great Switch occurred, and when Kim and all the others swung over to an anti-Nasser policy, I was left high and dry and had to resign. Subsequently, when my life-on-the-outside ran into difficulties, the President (through Sami and others in his office) came to my rescue in a way which I will appreciate for the rest of my life. It would be unthinkable for me knowingly to do anything against the President's interests.

But I gather that some of my Egyptian friends, including yourself, think I have done just that. I am told that you and others think that my *Game of Nations*, my television and radio appearances in connection with it, and my other related activities have been damaging to U.A.R. interests. (This is strange, since the Zionists and Zionist sympathizers both in England and in the United States insist that my book is part of a pro-Nasser plot, and that it is "subtle pro-Nasser propaganda" -- which, in fact, it is intended to be.) You from long experience know two things about me: first, I wouldn't wiggle a little finger in a way to affect Egypt without first making certain, through some responsible official, that it was okay; second, when I check my proposed works with a responsible official I do not ask him to endorse them -- in other words, I do not ask him to join with me in responsibility so that if things go wrong I can get myself off the hook by saying, "I checked with So-and-so and he said there was no objection." Anyone in your Government can express a favorable opinion about any project I propose, and know that he doesn't have to worry from then on about the possibility of its backfiring and getting him into trouble.

Thus, if people in your Government don't like my book I must shoulder the entire responsibility. On my own I must do what I can to remedy any damage

شخصى وسرى

٢١ مارليورو بلاس
لندن ، ش . غ . ٨
تليفون : ٦٠٠
٢٤ سبتمبر ١٩٦٩

عزيزى هيك

لابد أنك أنت بالذات تدرك ، أكثر من أى من أصدقائى الآخرين فى القاهرة ، حقيقة مشاعرى بسبب اضطرارى للبقاء بعيدا عن مصر . إنى أحس بمشاعر الرجل الذى مر على زواجه خمسة وعشرون عاما (المدة التى كنت أتردد خلالها على مصر) ثم تقول له زوجته إنها لم تعد تحبه وأنه يجب أن يرحل . لقد كانت علاقتى بمصر من ذلك النوع الذى يختلط فيه الحب بالكراهية . وذلك لا شك فيه ، ولكن جانب الحب كان دائما هو الغالب ، وكان التزامى نحو مصر كاملا ولا يتزعزع . وعندما يخرج إلى النور التاريخ الرسمى الذى تعده حكومة الولايات المتحدة عن العلاقات المصرية الأمريكية (وهو يكتب الآن فى الحوليات الرسمية ، ولكنه سينشر على الجمهور خلال السبعينات) ، سوف يتضح أنه كانت هناك أوقات تشكك فيها من يرسمون السياسات العليا فى حكومتى بشأن الجهة التى أمنحها ولائى الحقيقى . وعندما حدث التحول الكبير ، وانتقل كيم وجميع الآخرين إلى السياسة المناهضة لعبد الناصر ، بقيت وحدى منبوذا وكان على أن استقيل . وعلى أثر ذلك ، وعندما اكتنفت المتاعب حياتى الظاهرة ، مد الرئيس يده لإنقاذى (عن طريق سامى وآخرين فى مكتبه) بطريقة سابقي ممثلى لها بقية حياتى . ولا يمكن أن يخطر بذهن أحد أنى أقدم متعمدا على شيء يتعارض مع مصلحة الرئيس .

ولكنى علمت أن بعض أصدقائى المصريين ، وأنت منهم ، يظنون أنى فعلت ذلك . وقيل لى : أنك وآخرون تظنون أن كتابى « لعبة الامم » والبرامج التليفزيونية والاذاعية التى ارتبطت به ، وغيرها من الأنشطة المتصلة بذلك كلها معادية لمصالح الجمهورية العربية المتحدة . (وهو أمر غريب ، لأن الصهيونيين ومن يتعاطفون مع الصهيونية ، سواء فى إنجلترا ، أو الولايات المتحدة ، يصرون على أن كتابى جزء من مؤامرة موالية لعبد الناصر ، وأنه « دعاية مأكرة مؤيدة لعبد الناصر » - وذلك فى الواقع هو المقصود به) . وأنت من خبرتك الطويلة بى تعرف عنى شيئين : الأول ، إنى لا يمكن أن أحرك أصبعا بما يمس مصر دون أن أؤكد أولا ، عن طريق شخص مسؤول ، أن ما سأقدم عليه لا ضرر منه . والثانى ، إنى عندما أعرض اقتراحا يتصل بعملى على شخص مسؤول لا أطلب منه أن يعتمد ذلك العمل - أى إننى لا أطلب منه أن يشترك معى فى المسؤولية بحيث أستطيع أن اتملص منها إذا تعقدت الأمور بأن أقول « إننى عرضت الأمر على فلان ، وقال إنه لا مانع » . وفى وسع أى شخص فى حكومتكم أن يبدى موافقته على أى اقتراح اتقدم به دون أن يخشى أن يتحول الأمر لغير صالحه ويجر عليه المتاعب .

ومن ثم ، إذا كان الناس فى حكومتكم غير راضيين عن كتابى ، فمن واجبى أن أتحمل المسؤولية كاملة . ويجب أن أقوم من جانبى بكل ما أستطيع لعلاج ما تسببت فيه من أضرار - أو ما يعتقد رجال حكومتكم أنى تسببت فيه من أضرار . لقد كنت أتصور أنى أقوم بعملية « دعاية غير مباشرة » ذكية لأقصى حد ، تهدف إلى عرض قضاياكم المختلفة فى منظور موات (أحسن منظور

ممكناً (وأن أكسب لنفسى فى الوقت ذاته مكانة ، يكون لها أثرها على كتاباتى المقبلة) حصلت على مبلغ كبير مقدما عن كتابى الجديد ، الذى سأعرضه بغير شك عليك ، وعلى غيرك سلفا ، كما جاءتنى عروض لكتابة عدد من المقالات) . وقد كتبت رسالة مطولة فى الموضوع وأرسلتها إلى أحد أصدقائنا المشتركين ، ومن ثم فلن أكرر ما جاء فيها . ولكنى أريد أن أقول إنى على استعداد للعودة إلى القاهرة لإعادة صياغة الكتاب كله تمهيدا لإصدار الطبعة الأمريكية (وموعدها فى مارس ، والمقدر لتوزيعها ١٠٠ ألف نسخة) ولعمل كل ما يطلب منى لتنظيف صفحتى .

وهناك أشياء عديدة أستطيع أن أقوم بها ، لا لمجرد تنظيف الصفحة بل أيضا للمساهمة مساهمة ايجابية فى الحرب النفسية المقبلة التى تتوقعها ، عن حق ، فى مقالاتك . فلا شك فى أن لى معرفة مباشرة بهذه الحرب ، وبما يمكن توقعه فيها . وقد تقدمت لحكومتم منذ أمد قريب باقتراح للاستفادة بهذه المعرفة ، وطلبت السماح لى بالعودة إلى مصر خلال ما يقرب من عشرة أيام لمناقشة هذا الاقتراح .

وأظن أن أول من يجب أن أقابله هو سامى شرف . غير أنى أود بعد ذلك مباشرة أن أتحدث طويلا معك لأشرح لك خلفية الكتاب ، وكيف كتب ، و « المؤامرة » الحقيقية التى يعتبر جزءا منها ، والمؤامرة الخبيثة التى يعارضها ، وما إلى ذلك . وأود أن أشرح لك خلال مناقشتنا كيف حدث أن ذكرت على النحو الذى ذكرت به (وكانت النسخة الأصلية تحوى كلاما كثيرا عنك) ولماذا تأخرت لمدة طويلة فى أن أرسل نسخة من التجارب غير المصححة للكتاب - وإن كان عليك يا صديقى هيك أن تسلم بأن الحصول على موعد معك فى مصر ليس من الأمور السهلة ، وأنى فى المرتين الأخيرتين اللتين حاولت أن أراك فيهما وجدتك غارقا إلى أذنيك فى مواعيد أخرى ، ولم أتمكن من رؤيتك .

وهناك شئ آخر : إذا لم أحصل على الإذن بالحضور إلى مصر خلال الأيام العشرة القادمة ستفصلنى شركة البترول التى أعمل معها ، ومن ثم لن أستطيع على الإطلاق أن أحضر إلى مصر . (جيم فاندربيك لم يعرف بعد أنى طردت من مصر) . ولذا فمن المهم أن أحصل على التأشيرة على الفور تقريبا . وسأكون ممتنا للغاية لما يمكن أن تفعله فى هذا الصدد .

وعلى كل حال ، فمهما يحدث ، وسواء حصلت على التأشيرة أم لم أحصل عليها ، وسواء أتيت لى الفرصة لتصحيح موقفى أم لم تتح ، فإنى أريدك أنت على الأخص أن تعرف أنه لن يكون فى نفسى غير أحر المشاعر نحو بلدكم الذى قضيت فيه كل هذا الوقت ، والذى منيت فيه بكثير من خيبة الأمل ، ولكنى قضيت فيه أيضا الكثير من الأوقات السعيدة . وأظن أن فى وسعنى أن أقول بأمانة ، إنه على الرغم من كل خيبة الأمل ، فإنى بقيت متفائلا على امتداد السنين ، وإنى أستطيع أن أشير إلى حالات كان تفاؤلى فيها صحيحا ومفيدا ، وما زلت على ثقة من أنه يمكن أن يكون مفيدا حتى الآن . وكل ما أطلبه هو أن تتاح لى فرصة جديدة .

وإليك أفضل تمنياتى الشخصية .

المخلص ،
مايلز

الوثيقة رقم ١١

خطاب من « مايلز كوبلاند » إلى « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٦٩ وهو يعيد فيه شرح موقفه ، ويعرض إجراء أى تغييرات في الكتاب .

21 MARLBOROUGH PLACE.
LONDON, N.W.8
TEL: JUN 0000

26 November 1969

Dear Heykel,

To an extent I never would have believed, Egyptian friends I have known for years have gone out of their way to tell me what a terrible book I have written and what I scoundrel I am for having written it. All I have from you is a cool silence, but others have used such phrases as "traitor" and "stab in the back." One Egyptian friend whose opinions I respect tells me that President Nasser was personally hurt by the book.

Why do such reactions surprise me? Well, unsophisticated and uninformed persons take everything at face value and assume that I mean, literally mean, everything I write in the same way they assume that you mean literally everything you write -- without regard to the motives behind the writing, that is. But Egyptians (and Americans and British) who understand me and who are in-the-know with respect to my motives should know better. It is inconceivable to me that President Nasser -- or you, or any of my other Egyptian friends -- could believe that I would do anything, knowingly, to do even the slightest damage to President Nasser. This should be especially true of those to whom I showed an advance copy of the book (and who had plenty of opportunity to object to it in time for me to make changes before it went to the printer), and who knew that (a) I believed it advisable to make enough of a "splash" in the journalistic world to ensure my getting future assignments, (b) that I would be of no value to you until I freed myself of my reputation of being a Nasserist apologist -- a tag which has for years dulled the effectiveness of all my representations in Washington, and (c) that my allegations which seemed "anti-Nasser" would be such that they couldn't conceivably do the President any real harm.

It never occurred to me that any of you would think I meant what I said when (for example) I said that staying in power was the President's first objective. Moreover, I thought you would all realize that such a remark is not complimentary when spoken of a Western leader in Western circles (to which, after all, the book was addressed) since it can be said of virtually every United States President and British Prime Minister except those who were visionary fools. Moreover, I believed -- and still believe -- it safe to assume that the remark would do no harm at all in Arab and Middle Eastern circles since it wouldn't get much reading there anyhow, and since the few who read it wouldn't like it or believe it anyhow.

There is no use going on with this, since I appear to have thought wrongly -- or, anyhow, it is clear that you and my other friends don't agree with me. All that is left for me to do is to do the best I can to remedy the situation.

With all best wishes,

PS You may have heard that I'm suing those people in Beirut who did the Arabic translation without my permission, and that Arabic rights are up for grabs. Want them? I'll give you freedom to translate any way you want.

٢١ مارلبورو بلاس
لندن ش.غ. ٨
تليفون : جون ٦٠٠
٢٦ نوفمبر ١٩٦٩

عزيزى هيكل

لدرجة لم أكن أصدقها أبدا ، تعتمد أصدقائى من المصريين الذين عرفتهم لسنوات طويلة الخروج على مالوف عاداتهم ليقولوا لى إن الكتاب الذى ألفته كتاب شنيع ، وانى اعتبر وعدا لإقدامى على كتابته . أما أنت فلا أجد منك إلا صمتا باردا ، فى حين استخدم الآخرون كلمات مثل « الخائن » و « الطعن فى الظهر » . وقد أخبرنى أحد الأصدقاء المصريين الذين احترم آراءهم ، أن الرئيس عبد الناصر شخصا يشعر بالاستياء من الكتاب .

ولماذا تدهشنى ردود الأفعال هذه ؟ الواقع أن غير المحنكين وغير المطلعين يأخذون كل شىء على ظاهره ، ويفترضون اننى أعنى ، وحرافيا ، كل كلمة أكتبها ، على نحو ما يفترضون أنك تعنى حرفيا كل كلمة تكتبها - أى بغير اعتبار للدوافع الكامنة وراء الكتابة . ولكن المصريين (وكذلك الأمريكيون والبريطانيون) الذين يفهموننى ، والمطلعون على دوافعى ، يجب أن يكون لهم موقف آخر .

ولا أتصور أن يصدق الرئيس عبد الناصر - أو أنت ، أو أى من أصدقائى المصريين الآخرين - اننى يمكن أن أفعل عمدا أى شىء يمكن أن يسبب للرئيس عبد الناصر أدنى ضرر . وينطبق ذلك بشكل خاص على من أطلعهم على نسخة سابقة من الكتاب (وكانت لديهم الفرصة كاملة للاعتراض عليه فى وقت يسمح بإدخال تعديلات قبل أن أرفع به إلى المطبعة) ومن كانوا يعرفون (١) اننى كنت أرى من المستحسن أن أحدث « فرقة » فى العالم الصحفى لأضمن تكليفى بأعمال أخرى فى المستقبل ، (ب) وانى لن أكون مفيدا لكم إلا إذا تخلصت من السمعة التى تلاحقنى بانى ناصرى متحمس - وهى بطاقة ظلت لسنوات طويلة تقلل من فاعلية كل ما أعرضه فى واشنطن ، (ج) أن اقوالى التى تبدو « معادية لعبد الناصر » مصاغة بحيث لا يمكن عقلا أن تضر به ضررا حقيقيا .

ولم يخطر لى فى أى وقت أن أحدا منكم يدور بخله انى أعنى ما أقول عندما أريد (مثلا) أن البقاء فى السلطة هو الهدف الأول للرئيس . وكنت فوق ذلك أظنكم جميعا تدركون أن قولا كهذا لا يعد بعيدا عن المديح إذا قيل عن قائد غربى فى الدوائر الغربية (وهى فى آخر الأمر الدوائر المقصودة بالكتاب) لأنه شىء يمكن أن يقال عن كل واحد من رؤساء الولايات المتحدة وعن كل من تولى رئاسة الوزارة فى بريطانيا ، فيما عدا أولئك الحمقى الحالمين . وفوق ذلك ، كنت أعتقد - وما أزال - أن هذه الملاحظة لا يمكن أن تحدث ضررا على الإطلاق فى الدوائر العربية ، ودوائر الشرق الأوسط ، ما دامت لن تقرا فيهما على نطاق واسع على أى حال ، وما دام القلائل الذين سيقراونها لن تعجبهم ولن يصدقوها .

وليس هناك جدوى من الاستمرار فى هذه الأقوال ، إذ يبدو اننى أخطأت التفكير ، أو أنكم وأصدقائى الآخرين لا تتفقون معى كما هو واضح . ولم يبق أمامى غير أن أبذل جهدى لتصحيح خطئى بقدر ما أستطيع . ولا شك فى أنكم علمتم الآن أن طبع الكتاب توقف عند ٢٠٠٠ نسخة (وهو عدد ضئيل حتى بالمقاييس البريطانية) . وقد أصبح من المستحيل الآن الحصول على نسخة منه فى إنجلترا . ووافق الناشر على إدخال تعديلات على الطبعة الجديدة (٥٠٠٠ نسخة فى البداية ، تضاف إليها ٥٠٠٠ نسخة أخرى إذا نفذت بسرعة) بشرط أن أدخل التعديلات قبل يوم ١٥ ديسمبر . وكذلك

ناجل إصدار الطبعة الأمريكية (٢٠ ألف نسخة في البداية ، مع وضع هدف للتوزيع هو ١٠٠ ألف نسخة في السنة الأولى) إلى شهر أبريل ، ويمكن أن ندخل عليها تعديلات جوهرية ، بشرط أن تدخل هذه التعديلات في موعد لا يتجاوز منتصف يناير ، إذ أن عملية الطباعة تحتاج إلى ثلاثة أشهر كحد أدنى .

وبصراحة ، فإننى أشعر أن ذلك كله أمر محزن ، لأننى اعتقد مخلصا أن الكتاب بصورته الحالية لا يضر الرئيس جمال عبد الناصر بأى شكل ، بل إنه يوضح للمقارئ الأمريكى ، ولا سيما القارئ المثقف ، المنطق الذى نبع منه سلوك الرئيس ، وهو منطق تقبله العقلية الأمريكية . وإصدقائى فى البيت الأبيض الذين قرأوا الكتاب يقولون ذلك عنه بلا مواربة ، وإتحداك أن تجد أمريكيا ذكيا (أو بريطانيا) واحدا يعتبر أن هذا الكتاب « معاد لعبد الناصر » . وإسأل مثلا ديك بومون ، أو أى واحد غيره من البريطانيين ، أو الأمريكيين الذين تعرفهم فى القاهرة ، فيما عدا أولئك الذين يكرهون الكتاب (أو يكرهونى) لأسباب بعيدة عن ذلك تماما . وعلى أى حال ، فإذا كان الكتاب يغضب أصدقائى المصريين ، فإننى على استعداد لتغييره بغير مزيد من المناقشة . بل إننى فى الوقت الحالى أشعر بالندم لدرجة أننى مستعد لإعادة صياغة الكتاب حتى يصبح مؤيدا للرئيس عبد الناصر صراحة إذا كان هذا هو ما تريدهونه جميعكم .

والمشكلة بطبيعة الحال هى الحضور إلى القاهرة . وكان طبيعيا أن يفصلنى زبائنى الذين كانوا يدفعون مصاريف سفرى ، فى نفس اللحظة التى عرفوا فيها أنى أصبحت ممنوعا من دخول بلدكم . غير أنى أستطيع أن أحملهم جزءا على الأقل من مصاريف السفر وذلك حتى أول يناير ، وهو الموعد الذى ينتهى فيه آخر عقودى . ولذا أود أن أحضر إلى القاهرة خلال الأسبوع القادم أو نحو ذلك - بتأشيرة سياحة عادية بطبيعة الحال - لغرض واحد هو أن اتحدث معك ومع سامى ، وربما أيضا مع محمد فايق ، حتى أعرف بدقة ماذا تريدون منى أن أفعل ، لا فيما يتعلق بتغيير الكتاب فحسب ، بل أيضا فى كتابة مقالات إضافية ، والقيام بأى عمل آخر مطلوب للحصول على غفران جزئى على الأقل . وكذلك فإن هناك خلفيات كثيرة تتعلق بالموضوع من ناحية واشنطن ، وأود أن أشرحها لك شخصيا - وكنت أظن أنك ستخمنها بنفسك ، ولكن من الواضح أن ذلك لم يحدث .

وبإيجاز ، فإننى ساطلب من سفارتكم خلال يوم أو نحوه أن ترسل برقية إلى القاهرة تطلب الإذن بمنحى تأشيرة سياحة ، وأمل أنك سترى من المناسب أن توصى بمنحها لى (وأقصد التوصية فى القاهرة ، وللجهة التى تبت فى مثل هذه الأمور) كما أمل أن تجد الفرصة لتحدث الرئيس عن خطابى ، وأن تذكر له فى أثناء ذلك أنى أسف أشد الأسف لكونى أقدمت على شيء لا يرتاح إليه . ولست أجد وسيلة أعبر لكم بها غير ألمى الشديد عندما عرفت أنى وقعت فى ذلك .
مع أفضل تمنياتى . .

مايلز

□ ملاحظة :

لعلك سمعت بانى رفعت قضية على أولئك الذين أصدروا فى بيروت ترجمة عربية لكتابى بدون إذننى ، وأن حقوق الطبعة العربية معروضة لمن يطلبها . هل تريدها ؟ إننى على استعداد لأعطائك حرية الترجمة بالشكل الذى تراه .

الوثيقة رقم ١٢

خطاب من « مايلز كوبلاند » إلى « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٦ أبريل ١٩٧٠ وهو يتحدث عن الترجمات التي نشرت في بيروت في ذلك الوقت ، وبينها جريدة « الحياة » التي نشرت ترجمة قامت بها للكتاب دون تصريح منه (واتجاهات جريدة « الحياة » وارتباطاتها في ذلك الوقت معروفة) .

21 MARLBOROUGH PLACE

LONDON, N.W 8

TEL JUN 0600

6th April 1970

Mohammed Hassanein Heykel, Esq.
el Ahran
Cairo
United Arab Republic

Dear Heykel,

You are no doubt up to date on the difficulties Ghassan Tuweini has been having with the Arabic translation of *The Game of Nations*. It wasn't my idea to publish in Arabic in the first place (the Hayat translation was totally unauthorized), but I did see it as an opportunity to straighten out misconceptions which arose in the Arab world from the English language edition. Last week, I wrote to their publishing house in Beirut, in which you have an interest, offering to donate to him ~~all~~ rights to edit and translate, but on condition that he get together with you to work out something that will not only be inoffensive but actually helpful.

I suppose that, like similar proposals I have made in the past, this particular one will get nowhere. None the less, I want to repeat it to you. It's simply this: I agree to turn over to you the right to edit, abridge, translate and publish *The Game of Nations* and to retain all income derived from it -- the part of such income which would normally come to me as author to be donated to any philanthropy of your choosing. My only condition is this: that you at least give me the privilege of discussing details of the book with you beforehand and explaining to you, for the benefit of President Nasser as of yourself, how the book came to be written in the first place. This would presumably mean getting me a tourist visa to visit Egypt, so there must be another condition: the visa must be in my hands not later than May 1st (or, preferably, a week earlier than that) so that there will still be time to hold up the Simon & Schuster publication if, after our talk, this appears to be advisable.

٢١ مارلبورو بلاس
لندن ش.غ. ٨.
تليفون : جون ٦٠٠ .
٦ أبريل ١٩٧٠

السيد محمد حسنين هيكل
الاهرام
القاهرة
الجمهورية العربية المتحدة
عزيزى هيكل

لا شك فى انك مطلع على الصعوبات التى واجهها غسان توينى فى
الترجمة العربية لكتاب « لعبة الأمم » . واصلا ، فإن فكرة نشر طبعة
عربية من الكتاب لم تكن فكرتى (وترجمة « الحياة » صدرت بدون
تصريح منى) ولكنى وجدتها فرصة لتصحيح المفاهيم الخاطئة التى انتشرت فى
العالم العربى نتيجة للطبعة الانجليزية . وفى الاسبوع الماضى ، كتبت إلى تلك الدار
فى بيروت ، والتى لها علاقة بكم (مصر) ، اعرض عليهم أن يكون لهم الحق المطلق
فى المراجعة والترجمة ، بشرط أن يتصلوا بك لتعملوا معا على ضمان الا يحوى
النص شيئا هجوميا بل وأن يكون نافعا .

ويخيل لى أن الاقتراح الذى ساقدمه هنا لن ينتهى إلى نتيجة ملموسة ، كما حدث مع
غيره من الاقتراحات التى قدمتها فى الماضى ، ومع ذلك ، فإنى أريد أن اكرر عليك امرا ، وهو
ببساطة ما يلى : إنى أوافق على أن أحول إليك حق تحرير كتاب « لعبة الأمم » واختصاره
وترجمته ونشره والاحتفاظ بجميع إيراداته - على أن تمنح الحصص المعتادة التى تؤول إلى
بوصفى مؤلفا لأى هيئة خيرية تختارها . وشرطى الوحيد هو : أن تتيح لى على الأقل فرصة
مناقشة تفاصيل الكتاب معك مسبقا ، وأن اشرح لك - لمعلومات الرئيس عبد الناصر
ولمعلوماتك - كيف ألف هذا الكتاب أصلا . واعتقد أن ذلك يعنى إعطائى تأشيرة سياحة
لزيارة مصر ، وبالتالي يكون هناك شرط آخر : أن استلم تلك التأشيرة فى موعد لا يتأخر عن
أول مايو (ومن الأفضل أن يكون قبل ذلك بأسبوع) حتى يكون هناك متسع من الوقت لإيقاف
الطبعة التى سيصدرها الناشر سيمون أند شوستر إذا رأينا بعد مناقشنا أن ذلك
مستصوب .

وإذا كانت أخبارى لا تزال تهكم ، فإنى أصبحت هذه الأيام بعيدا تماما عن مسرح
الشرق الأوسط ، وأحاول أن أركز أفكارى فى كتاب جديد ، وبضعة برامج
للتليفزيون ، وفيلم سينمائى . ومع ذلك ، فإنى اعترف بأن الأيام الماضية السعيدة
توحشنى من حين لآخر . ورغم أنه لم تعد لى مصالح عملية فى القاهرة ، فإنى
افتقدتها لأسباب عاطفية .

وإليك أفضل تمنياتى . .

مايلز

الوثيقة رقم ١٣

وثيقة تقرير «تقدير موقف مخابرات» صادر عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية برقم (٣٦/١/٥٥) عن إمكانيات الاستقرار في مصر، وهو يقول بوضوح إن النظام في مصر باقٍ إلا إذا واجه أحد احتمالين. اغتيال، أو هزيمة عسكرية أمام إسرائيل.

NATIONAL INTELLIGENCE ESTIMATE

NUMBER 36.1-32

THE OUTLOOK FOR EGYPTIAN STABILITY AND FOREIGN POLICY

Submitted by the

DIRECTOR OF CENTRAL INTELLIGENCE

The following intelligence organizations participated in the preparation of this estimate: The Central Intelligence Agency and the intelligence organizations of the Department of State, the Army, the Navy, the Air Force, and the Joint Staff.

100-443887-100

THE PROBLEM

To estimate probable trends in Egypt's foreign and domestic policies and in its internal stability over the next few years, and to assess the implications of these trends for US interests in the Middle East.

CONCLUSIONS

1. Barring such grave developments as assassination or military defeat by Israel, the Nasir regime is likely to remain in control of Egypt at least for the next year or so. The regime's power will continue to depend primarily on the support of the armed forces. (Paras. 19-20)

المشكلة (التي يتعرض لها التقرير)

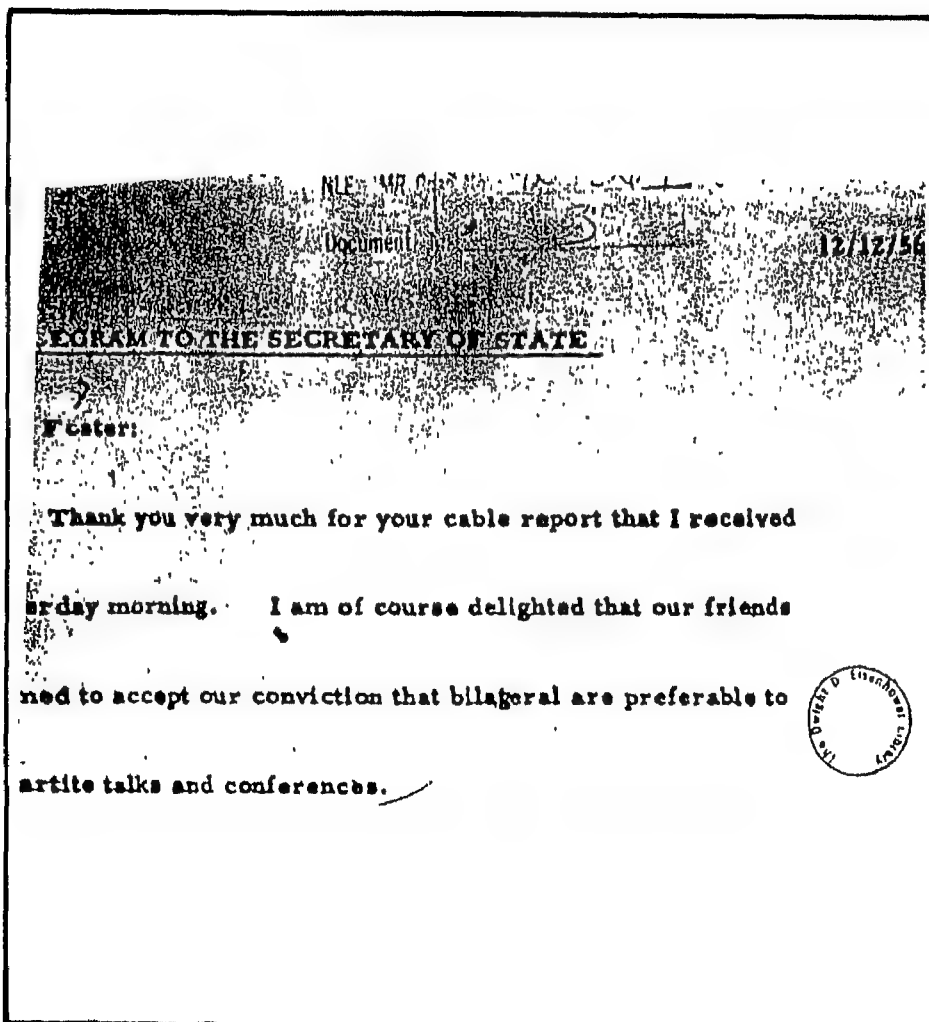
تقدير الاتجاهات المحتملة في سياسات مصر الداخلية والخارجية ، وكذلك احتمالات الاستقرار فيها للسنوات القليلة القادمة . وقياس تأثيرات هذه الاتجاهات على مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط .

المحصلة (التي توصل إليها التقرير)

ما لم تحدث تطورات خطيرة مثل الاغتيال ، أو هزيمة عسكرية أمام إسرائيل ، فإن نظام ناصر سوف يبقى مسيطرا على مصر على الأقل طوال السنة القادمة . إن قوة النظام سوف تظل مرتكزة أولا إلى تأييد القوات المسلحة .

الوثيقة رقم ١٤

الوثيقة التي تحوى نص رسالة « ايزنهاور » إلى « دالاس » بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٥٦ وحينما كان وزير الخارجية الأمريكى يحضر اجتماعا لوزراء حلف الأطلسى فى باريس . والوثيقة واضحة فى ضرورة إيجاد بديل لـ « جمال عبد الناصر » فى المنطقة .



٥٦/١٢/١٢

تلغراف إلى وزير الخارجية

فoster :

أشكر أجزل الشكر على تقريرك البرقى الذى تلقيته صباح أمس . ويسعدنى طبعاً أن يكون أصدقائنا مياالين إلى قبول اقتناعنا بأن المحادثات والمؤتمرات الثنائية أفضل من الثلاثية .

وأمل أن يفهم أصدقائنا فى منظمة حلف شمال الأطلسى بصورة واضحة بأنه ليست لدينا أى نية للموقف مكتوفى اليدين نتفرج على الجناح الجنوبى للمنظمة وهو ينهار انهياراً تاماً بسبب تغفل الشيوعيين إلى الشرق الأوسط ، ونجاحهم هناك فى حين أننا لا نعمل شيئاً إزاء هذا . وإنى لوانق من أنهم يعرفون بأننا نرى أن لناصر تأثير شرير . كما أعتقد بأننا بيننا بوضوح شديد بأننا وإن كنا نشاطر البريطانيين والفرنسيين آراءهم حول ناصر إلى حد كبير ، فنحن نصر على أنهم قد اختاروا الوقت والحادثه السيئتين للإقدام على تدابيرهم التصحيحية استناداً إليهما .

وأهم من كل شىء هو أملى فى أن يرى أصدقائنا فى أوروبا ، كما نرى ذلك نحن ، ضرورة الشروع سرا وعلى مستوى أركان الحرب لوضع سياسات وخطط يستطيع الغرب بمقتضاها العمل سوية على جعل الشرق الأوسط آمناً من التغفل السوفيتى . وليس يخالجنى أى شك فى أنه سيكون من المتعين علينا فى قابل الأيام ، ولو فى نظر الرأى العام على الأقل ، أن نكون رأس الحربه فى أى حركة من هذا القبيل . ولكن يبدو أننا سنستطيع فى خاتمة المطاف التوصل إلى اتفاق عام جيد جداً فيما بيننا بشأن ما يتعين عمله وكيف يتأتى لنا القيام به .

ويحدونى اعتقاد مستمر ، كما أظن بأنه يحدوكم ، بأن من بين الإجراءات التى يتعين علينا اتخاذها أن نقيم غريماً عربياً لناصر ، والاختيار الطبيعى هو على ما يبدو يتمثل فى الرجل الذى طالما تحدثت أنت وأنا عنه . فإذا استطعنا إقامته باعتباره الشخص الذى يستحوذ على خيال العالم العربى ، لم يعد المقام يطول بناصر .

وقد تلقيت من بضعة أيام خطاب بتوقيع الجنرال ويجاند والمارشال جوان أرسلت إلى على حد قولهما استناداً إلى سبق اشتراكنا فى زمالة السلاح . وأعتقد أن وزارة الخارجية ربما أبرقت اليك بمقتبسات معينة من الخطاب . وقد لا تكون له أهمية كبيرة ، ولكنه يبين ولوضرباً واحداً من ضروب التفكير السائدة فى أوروبا الغربية ، ولا سيما فى فرنسا .

موضوع جديد . أمس توقف رئيس الوزراء سان لوران فى أوجستا لزيارتى . ولئن كانت الزيارة زيارة اجتماعية إلى حد كبير ، فقد كانت لديه بعض أفكار عن الزيارة المقبلة لصديقنا الآسيوى - ولم يكن فى هذه الأفكار شىء جديد بصورة خاصة ، ولهذا لن أزعجك هنا بإعادتها . والأرجح أن أراك يوم السبت .

مع التحيات الفائقة الحرارة ، وأمل ألا تعانى شيئاً من الآثار المرضية عند عودتك إلى العمل بهذه السرعة بعد مرضك الأخير .


المخلص

د . أ .

٨٢٥

الوثيقة رقم ١٥

صورة من خطاب « جرينوود » إلى « محمد حسنين هيكل » بشأن تاجير قناة السويس ، وإعطاء قرض كبير لمصر ، وإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين ، وقد رفض العرض في القاهرة جملة وتفصيلا ، وخطاب « جرينوود » يشترح خيبة أملة من جراء ذلك . وقد أرسل خطابه من فندق « سميراميس » الذي كان يقيم فيه أثناء وجوده بالقاهرة .



ALL COMMUNICATIONS TO BE ADDRESSED TO THE MANAGER

مركز الفنادق المصرية

Semiramis Hotel

THE EGYPTIAN HOTELS LTD

CAIRO 121

Address: SEMIRAMIS CAIRO

CAIRO May 10, 1957

UNDER THE SAME MANAGEMENT
SHEPHERD'S HOTEL
CAIRO

Mr. Mohammed Hassanein Haikel
14 Chariah Chagaret El Dor
Zamalek, Cairo
Egypt

Dear Mohammed:

Sixty-two Senators, 116 Congressmen, 23 Governors and 44 leading United States business executives cannot all be wrong. This is the "score" of the people voicing an active interest in our Plans and Proposals up to the time I left Washington; and I am advised there are more than 200 letters received by our Washington office since I left.

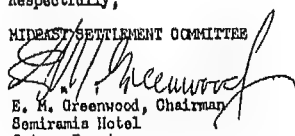
What greater proof do you want that the American people wish to cooperate with Egypt and are willing to implement the proposals I have submitted to President Eisenhower, Congress and our State Department pertaining to the commercial loan for Egypt.

I have asked you to help me call Dulles' hand by cooperating with me as much as possible while I am over here. Instead you are playing right into his hand by your "brush off" tactics.

If you are no longer interested in the loan we proposed, say so and we will stop wasting our time.

Respectfully,

HIGHEST SETTLEMENT COMMITTEE



E. M. Greenwood, Chairman
Semiramis Hotel
Cairo, Egypt

EMU:B

These letters are available for your inspection.

فندق سميراميس بالقاهرة
شركة الفنادق المصرية
القاهرة ١٠ مايو ١٩٥٧

السيد محمد حسنين هيكل
١٤ شارع شجرة الدر
الزمالك ، القاهرة
مصر

عزيزى ...

إن اثنتى وستين سناتورا ، و ١١٦ من رجال الكونجرس ، و ٢٣ من حكام الولايات ،
و ٤٤ من كبار رجال الأعمال فى الولايات المتحدة لا يمكن أن يكونوا جميعا مخطئين .
وهذه هى « حصيلة » الأشخاص الذين أبدوا اهتماما واضحا بخططنا واقتراحاتنا حتى
وقت مغادرتى واشنطن ، وقد علمت أن مكتبنا فى واشنطن تلقى أكثر من ٢٠٠ خطاب بعد
سفرى *** .

فأى دليل تريده أكبر من ذلك على أن الشعب الأمريكى يرغب فى التعاون مع مصر ، ومستعد
لتنفيذ الاقتراحات التى قدمتها إلى الرئيس ايزنهاور والكونجرس ووزارة الخارجية بشأن القرض
التجارى لمصر .

وقد طلبت منك أن تساعدنى فى غل يد دالاس بتعاونك معى إلى أقصى حد ممكن أثناء وجودى
هنا ولكنك بدلا من ذلك تساعد فى تحقيق أغراضه بتكتيك « الصد والرفض » الذى
تتبعه .

إذا كنت لم تعد مهتما بالقرض الذى اقترحناه فأخبرنا بذلك وسنكف عن تضييع
وقتنا .

وأرجو قبول فائق الاحترام ،

لجنة التسويات فى الشرق الاوسط

توقيع

أ . م . جرينوود ، رئيس اللجنة

فندق سميراميس

القاهرة ، مصر

* * * هذه الخطابات موجودة وتستطيع الاطلاع عليها .

خطة لتحقيق الفوز

- ١ - عقد قرض تجارى لمصر يحقق الاستقرار في الشرق الأوسط .
 - ٢ - ينبغي أن تعقد مصر هذا القرض عن طريق المصدر والوكيل الذى يستطيع أن يدافع بصورة بناءة عن قضيتها في الولايات المتحدة .
 - ٣ - هذا المصدر والوكيل يمكن أن يكون شخصية رئيسية في سياسة الولايات المتحدة ، وأن تكون له أهمية خاصة في المساعدة في اختيار رئيس جمهوريتها المقبل
 - ٤ - مع وجود صديق لمصر في البيت الأبيض يمكن إيقاف المصدرين الأساسيين للمعونة المالية لإسرائيل (التبرعات المخصصة من الضرائب والمعونة المباشرة) . كما يمكن تخفيف شروط الهجرة بحيث يصبح في وسع ٧٥٪ من اليهود أن يخرجوا من إسرائيل (وهو ما يرغبون فيه) .
- ليست هناك وسيلة متاحة لمصر لإحراز نصر تام على إسرائيل غير الخطوات المذكورة آنفا ، على أن تنفذ تنفيذا جيدا حتى نهايتها الموفقة .
- ولجنتنا الحالية المؤلفة من صغار رجال الأعمال يمكن أن تتحول إلى مؤسسة وطنية قوية تضم آلاف عديدة من الأعضاء (بدون حملات لجمع الأموال) تسعى من أجل مبادئ السلام الدائم مع العدل .
- وقد أرسلت خطط ومقترحات لجنتنا بالفعل إلى كل سنااتور وكل عضو في الكونجرس وكل حكام الولايات وكل المسؤولين الحكوميين وكل رابطة تجارية وكل نقابة عمالية في الولايات المتحدة . وكانت الاستجابة مشجعة للغاية ، ويمكن خلال وقت قصير تدعيم هذه القوى وتوجيهها نحو أهدافنا المشتركة ، وهى :
- ١ - إصدار « سندات السلام » لتمويل حملة عالمية واسعة النطاق من أجل السلام . السلام عن طريق الاستثمار - لا عن طريق الاستغلال .
 - ٢ - التخطيط على المدى الطويل للتعاون في المساعدات الخارجية على أساس تجارى عملى بدون شروط ، أو قيود سياسية . فلم يعد هناك محل للمنح التى تعطى على حساب دافع الضرائب الأمريكى .
 - ٣ - إعادة توطين اللاجئين من المناطق المتفجرة في المناطق الراكدة التى تحتاج إلى مهاجرين ، وإلى تنمية جيدة التخطيط .
 - ٤ - الاستفادة بموارد العالم الطبيعية غير المستغلة من أجل تمويل الأمن الوطنى والاقتصاد الداخلى لكل بلد .

الوثيقة رقم ١٦

أول وثيقة بتوقيع « إيزنهاور » بسريان قانون الأمن المتبادل على المملكة العربية السعودية .

E.O. 12356, Sec. 1.4(b)
HR 85-390 #3
By DJI Date 2/27/06

March 14, 1953

MEMORANDUM FOR THE DIRECTOR FOR MUTUAL SECURITY

In accordance with the recommendation contained in your memorandum of March 2, 1953, I hereby determine, pursuant to the authority vested in me by Section 202 of the Mutual Security Act of 1951, as amended, that it is essential for the purpose of that Act that the Government of Saudi Arabia be provided military assistance, pursuant to the provisions of the Mutual Defense Assistance Act of 1949, as amended. In making this determination, I find that (1) the strategic location of Saudi Arabia makes it of direct importance to the defense of the Near East area, (2) the assistance to be furnished is of critical importance to the defense of the free nations, and (3) the immediately increased ability of Saudi Arabia to defend itself is important to the preservation of the peace and security of the Near East area, and to the security of the United States.

The Secretaries of State and of Defense are to be notified by you of this determination.

DWIGHT D. EISENHOWER
The President

Recommended by: The Department of State-Walter B. Levitt	March 12, 1953
The Department of Defense-Frank C. Nash	March 12, 1953
The Director of the Budget-J.	March 12, 1953
The Director for Mutual Security-	March 12, 1953

000568/87

رفع عنها الحظر في ٢٧/٢/١٩٨٦

١٤ مارس ١٩٥٣

مذكرة لمدير الأمن المتبادل

عملاً بالتوصية الواردة في مذكرتكم المؤرخة في ٢ مارس ١٩٥٣ ، أقرر بناء على السلطة المخولة لي بمقتضى المادة ٢٠٢ من قانون الأمن المتبادل لعام ١٩٥١ بصورته المعدلة ، أن من الضروري لأغراض ذلك القانون ، توفير المساعدة العسكرية لحكومة المملكة العربية السعودية بمقتضى أحكام قانون المساعدة العسكرية المتبادلة لعام ١٩٤٩ بصورته المعدلة . وإنني إذ أتخذ هذا القرار أرى : (١) أن الموقع الاستراتيجي للمملكة العربية السعودية يجعل لها أهمية مباشرة في الدفاع عن منطقة الشرق الأدنى ، (٢) أن للمساعدة التي ستقدم أهمية قصوى للدفاع عن الأمم الحرة ، (٣) أن زيادة قدرة المملكة العربية السعودية على الفور على الدفاع عن نفسها له أهميته في صون السلام ، والأمن في منطقة الشرق الأدنى ، وأمن الولايات المتحدة .

وعليكم إخطار وزيرى الخارجية والدفاع بهذا القرار

دوايت د . ايزنهاور
رئيس الجمهورية

١٢ مارس ١٩٥٣

١٢ مارس ١٩٥٣

١٢ مارس ١٩٥٣

١٢ مارس ١٩٥٣

أوصت به : وزارة الخارجية - والتر ب . ليفيز

وزارة الدفاع - فرانك ك . ناش

مدير الميزانية

مدير الأمن المتبادل

الوثيقة رقم ١٧

صورة وثيقة بمذكرة صادرة من وزير الخارجية « جون فوستر دالاس » إلى الرئيس « ايزنهاور » بشأن بدايات الحملة على سوريا .

THE SECRETARY OF STATE
WASHINGTON .

August 20, 1957

MEMORANDUM FOR THE PRESIDENT
THE WHITE HOUSE



On the Syrian matter, I think it important that you avoid any statement or implication that you have as yet determined that Syria is now "controlled by International Communism" within the meaning of the Middle East Resolution. On the other hand, I would avoid any statement that you think it is not so controlled. The situation is still confused. There is a tight censorship. Our Embassy is virtually blockaded and we cannot yet make a clear political judgment as to the actual extent of Communist penetration.

For your confidential information, Ambassador Moose, who is here in Washington, feels it possible that the change has not been as great as appears on the surface, and that the Leftist take-over is not yet complete.

I think it important that you should say nothing which would encourage Israel, for example, to stimulate an incident with Syria on the theory that we have judged Syria to be Communist controlled. On the other hand, we would want to keep freedom of action to make such a decision under certain contingencies. We would like to keep the Syrian Government uncertain as to our intentions.

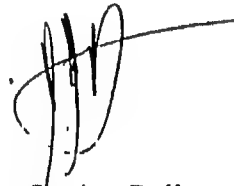
I suggest that the line to take is that recent charges against the United States have been a smokescreen for anti-Western and pro-Soviet elements to seek to strengthen their control in the government. There is evidence in Syria of the development of a dangerous and classic pattern. The Soviets first promise and extend aid, military and/or economic. With this aid they promote the control of any positions by pro-Soviet persons. The end result sought is that the country will fall under the control of International Communism and become a Soviet satellite, whose destinies are directed from Moscow. All of this is under a smokescreen of false charges that others are conspiring, e.g., the United States.

002094 - 1987

Authority MR 86-434
By bc NLS Date 3/20/87

We do not yet know how far along this pattern Syria has yet gone, but certainly what has already happened is a sign of danger and should be a warning to others who are sought to be lured by the Communist technique.

The Middle East, as we know, has recently become a prime target of Communist aspirations. The Soviet and Chinese Communists have sought every opportunity to promote instability and disunity in this area. We are following with concern developments in Syria as they affect the peace, tranquillity and prosperity of the area.



John Foster Dulles



وزارة الخارجية واشنطن

٢٠ أغسطس ١٩٥٧

سرى

مذكرة للعرض على الرئيس البيت الأبيض

في موضوع سوريا ، أعتقد أنه من المهم أن تتجنبوا الادلاء
بأى تصريح ، أو تلميح يفهم منه أنكم وصلتم إلى قرار بأن
سوريا أصبحت الآن « تحت سيطرة الشيوعية الدولية »
بالمعنى المقصود في القرار الخاص بالشرق الأوسط . ومن الناحية
الأخرى ، فلنتجنب أى تصريح بأنكم تعتقدون أنها ليست تحت تلك
السيطرة . فما زال الموقف غير واضح . والرقابة صارمة . وسفارتنا
تحت الحصار من الناحية العملية ، ولا نستطيع حتى الآن أن نصدر
حكما سياسيا واضحا بشأن مدى التغلغل الشيوعى .

ولمعلوماتكم الخاصة ، فإن السفير موس ، الموجود حاليا في واشنطن ، يرى أنه من المحتمل ألا يكون التغيير كبيرا بقدر ما يبدو على السطح ، وأن التحول إلى اليسار ليس كاملا حتى الآن .

وأعتقد أنه من المهم ألا تقولوا شيئا يشجع إسرائيل مثلا على افتعال حادث مع سوريا ، اعتمادا على نظرية أننا حكمنا بأن سوريا خاضعة للسيطرة الشيوعية . ونحن من الناحية الأخرى نريد أن نحفظ بحرية اتخاذ مثل هذا القرار في ظروف معينة . ونريد الآن أن تبقى الحكومة السورية غير متأكدة من نوايانا .

وأقترح أن يكون الخط الذي نتبعه هو أن الاتهامات التي وجهت إلى الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة كانت ستارا تستخدمه العناصر المعادية للغرب ، والمالية للسوفيت لتعزيز سيطرتها على الحكومة . وهناك دلائل على أن ما يجري في سوريا يسير وفقا لنمط كلاسيكي خطر . فالسوفيت يبدأون بتقديم الوعود ، ثم بتقديم المساعدة العسكرية ، أو الاقتصادية أو كليهما . ومن خلال هذه المساعدة يعملون على أن يسيطر أشخاص موالون للسوفيت على أية مواقع كانت . والنتيجة الأخيرة المرجوة هي أن يسقط البلد تحت سيطرة الشيوعية الدولية ، ويدور في الفلك السوفيتي ، وتدار مصائره من موسكو . ويجري ذلك كله وراء ستار من الاتهامات الكاذبة بأن هناك آخرين يتآمرون ، ومن أمثالهم الولايات المتحدة .

ونحن لا نعرف حتى الآن إلى أي مدى ذهبت سوريا في هذا السبيل ، ولكن لا شك في أن ما حدث بالفعل مؤشر على الخطر ، ويجب أن يكون إنذارا للآخرين ممن تعمل الأساليب السوفيتية على جذبهم .

وقد أصبح الشرق الأوسط كما نعرف هدفا أساسيا للتطلعات الشيوعية في الآونة الأخيرة . وقد استغل الشيوعيون السوفيت والصينيون كل فرصة متاحة ، لبث التفرقة ، وعدم الاستقرار في المنطقة . ونحن نتابع التطورات الجارية في سوريا بقلق إذ أنها تمس سلم المنطقة ، وهدوءها ، ورخاءها .

توقيع

جون فوستر دالاس

الوثيقة رقم ١٨

صورة وثيقة تتضمن خطاباً من « جون فوستر دالاس » إلى « سلوين لويدي » وهي البداية الحقيقية لعملية حصار سوريا .

OUTGOING TELEGRAM		Department of State	
INDICATE <input type="checkbox"/> COLLECT <input type="checkbox"/> CHARGE TO		TOP SECRET	
2890		157 AUG 21 PM 7 59 11730 DE/1	
SENT TO	Embassy LONDON MIAC 1491		
CITY	LIMIT DISTRIBUTION		
SS	Please deliver following personal message from Secretary to Foreign		
NR	Foreign Minister:		
C	CITE Dear Selwyn:		
3P	We are deeply concerned, as I know you are, about developments in		
C	Syria. It seems to us that there is now little hope of correction from within		
R	and that we must think in terms of the external assets reflected by the deep		
NEA	concern of the Muslim Moslem States having common borders with Syria. We		
	must perhaps be prepared to take some serious risks to avoid even greater		
	risks and more dangers later on. We are giving this matter our most		
	concentrated attention and will no doubt want to exchange views with you		
	tomorrow or Friday.		
	Sincerely yours,		
	Foster UNQTE		
	DULLES		
	DECLASSIFIED 2008-06-12 #5		
	Authority: 2008-06-12 #5		
	By: 2008-06-12 #5		
	002090/87		
S JF Dulles:ma	Telegraphic transmission and classification approved by:		SFDULLES
Classified by NEA - Rountree			
TOP SECRET			
REPRODUCTION FROM THIS COPY, IF CLASSIFIED, IS PROHIBITED.			

وزارة الخارجية

سرى جدا

برقية صادرة

المرسى إليه : السفارة الأمريكية فى لندن

التوزيع محدود

أرجو إبلاغ الرسالة الشخصية التالية من وزير الخارجية (الأمريكية) إلى وزير الخارجية (البريطانية) . .
« عزيزى سلوين :

إننا نشعر بقلق شديد للأحداث الجارية فى سوريا ، وأعرف أنها تسبب لك القلق أيضا . ويبدو لنا أنه ليس هناك أمل فى التصحيح من الداخل ، وعلينا أن نفكر فى الامكانيات الخارجية التى تتمثل فى القلق الشديد الذى تشعر به الدول الإسلامية التى لها حدود مشتركة مع سوريا . وقد يلزم أن نكون مستعدين لتحمل قدر من المخاطرة الجديدة تجنباً لمخاطر وأخطار أكبر فيما بعد . ونحن نؤى هذا الأمر أشد الاهتمام ، وسنكون فى حاجة - بغير شك - إلى تبادل الرأى معكم غدا ، أو يوم الجمعة .

« المخلص

فوستر »

الوثيقة رقم ١٩

صورة وثيقة تتضمن خطابا موجها من « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكي إلى « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء البريطاني ، وهي تعزيز لخطابه إلى « سلوين لويد » وتفصيل أكثر لعملية الضغط على سوريا .

OUTGOING TELEGRAM
INDICATE [] collect
[] CHIPS [] NO

2091

TOP SECRET

PRESIDENTIAL HANDLING

SENT TO: Amembassy LONDON **PRIORITY** **NIACT 1509**

August 22, 1957
QTE/ Dear Harold,

Please pass following to Prime Minister:

This supplements my message to Selwyn of yesterday which our Embassy tells me was given to you as Acting Foreign Secretary in Selwyn's absence.

After reviewing the situation fully with the President we have decided to ask Loy Henderson, who is my principal deputy on administrative matters, to accelerate his proposed visit to some of our Embassies and to put Ankara first on the list. This will enable him in addition to his normal firsthand function ~~task~~ to get at ~~firsthand~~ information in Turkey about the attitude

Authority MR 86-435 #4
By bc NLE Date 3/20/67

36
00
SS

2

12 22 12 46

12 03/5

2

« تصرف رئاسي »

عزیزى هارولد

بعد دراسة الموقف دراسة وافية مع الرئيس قررنا أن نطلب من لوى هندرسون وهو وكيل الأول أن يعجل بزيارته المقترحة لبعض سفاراتنا ، وأن يضع أنقرة على رأس القائمة . وسوف يتيح له ذلك بالإضافة إلى أعماله العادية أن يحصل في تركيا على معلومات مباشرة عن موقف بعض جيران سوريا من التطورات الجارية هناك . وقد علمنا أن العراقيين ، وربما الأردنيين سيكونون هناك في ذلك الوقت ، وسوف يتصل لوى بسفيركم في أنقرة .

وقد أرسلت أمس رسالة شخصية إلى بن جوريون أعرب فيها عن الأمل في أننا نستطيع أن نتصرف مفترضين أنه لن يتخذ إجراء يربط المسألة السورية بجوانب النزاع العربي الإسرائيلي ، ففي رأيي أن هذا شرط لا غنى عنه حتى يمكن الوصول إلى حل بناء تحت رعاية عربية وإسلامية .

كما بعث الرئيس رسالة إلى الملك سعود يعرب فيها عن الأمل في أن يستخدم الملك بوصفه حامى الأماكن الإسلامية المقدسة نفوذه الكبير لمنع تمركز العقيدة الشيوعية الملحدة في أحد المراكز الرئيسية في العالم الإسلامى .

ويسرنى أن أعرف رأيكم في هذا الموقف ، واعتقد أنه من المهم ألا تمتنع إسرائيل فقط عن التدخل في التطورات المحتملة في سوريا ، بل وأن تمتنع عن ذلك الدول الغربية أيضا . ويكفى أن يعرف جيران سوريا أنهم سيلقون منا كل تأييد معنوى لآى تدبير دفاعى يرون أن عليهم اتخاذه .

المخلص

فoster «

٢٠

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تتضمن تقريراً من السفير الأمريكي في إسرائيل « باكستر » إلى وزير الخارجية الأمريكي « جون فوستر دالاس » بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٥٧ وهي تتضمن تفاصيل لقاء بين السفير الأمريكي و « دافيد بن جوريون » رئيس الوزراء الإسرائيلي . والتحريض الإسرائيلي على سوريا واضح في الوثيقة ، وكذلك رغبتها في المشاركة في العمليات الموجهة ضد سوريا .

NG TELEGRAM		Department of State	
TOP SECRET			
FROM: Tel Aviv	Control: 14109	Rec'd: August 22, 1957	
TO: Secretary of State		6:25 p.m.	
NO: 175, August 22, 6 p.m.			
NIAGT	att		
Re DEPTel 146			
<p>Ben Gurion, whom I saw at his Tel Aviv office within hour receipt reference telegram, said he could gladly give assurances requested, if-USG meant that it wished to be assured Israel had no intention of initiating trouble with Syria, and expressed warm gratitude for Secretary's desire to exchange views on Syria. He made following points.</p>			

« قال لي بن جوريون الذي قابلته في مكتبه بتل أبيب بعد ساعة من تسلم برقيتيكم إنه يستطيع أن يعطي بسرور التأكيدات المطلوبة إذا كانت الحكومة الأمريكية تعني أنها تريد تأكيداً بأن إسرائيل لا تعتزم أن تكون البادئة بالمقايعة مع سوريا . واعرب عن شكره الحار لرغبة الوزير في تبادل الآراء معه بشأن سوريا . وابدأ النقاط التالية .

١ - إنه يشاطر الولايات المتحدة القلق من التطورات الجارية في سوريا لأنه في رايه يستحيل التمييز بين « سوريا وروسيا » . فإسرائيل هي الهدف النهائي للأسلحة التي تتدفق من الاتحاد السوفيتي على سوريا ، وإن كان من الممكن أن يقال نظرياً إن هذه الأسلحة تهدد

لبنان أو دولاً عربية أخرى . وهو يود أن يعرف ما ستفعله الحكومة الأمريكية إذا تعرضت إسرائيل لهجوم من روسيا عن طريق سوريا .

وقال إن الصحف السوفيتية التي لا تنشر أبداً شيئاً بدون غرض كانت بشعة في الهجوم على إسرائيل في الآونة الأخيرة ، واستشهد على ذلك بأنباء تقول إن إيلات قد سلمت للولايات المتحدة لتجعل منها قاعدة بحرية على خليج العقبة ، وأن فرنسا وإسرائيل تستعدان للهجوم على سوريا .

كما استشهد بن جوريون في حديثه معي بملاحظة يبدو أن حكومته تتوجس منها بشكل خاص ، إذ أن السفير السوفيتي أبراموف قال لعضو المابام حزان أثناء لقاء بينهما ما نصه : « إن المدن الإسرائيلية لم تعرف بعد معنى التعرض للقذف بالقنابل » .

(راجع رسالة إيبان إلى وكيل الوزارة هيرتر في ٢٥ / ٧ / ١٩٥٧)

٢ - وقال بن جوريون . « إن المطلوب هو تحرك أمريكي قوى على غرار التحركات التي أوقفت السوفيت عند حدهم ، كما حدث مؤخراً عندما اقترب الأسطول الأمريكي السادس من الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط تاييدا للأردن ، والتصريح الأمريكي الذي سبق ذلك لتأييد فورموزا » .

٣ - وقال بلهجة عتاب معتدلة : « إن سوريا تتلقى من روسيا كميات هائلة من الأسلحة تشكل خطراً على إسرائيل أكثر من أي بلد آخر . وبينما تقوم الولايات المتحدة بتزويد لبنان والمملكة السعودية والعراق بالأسلحة ، فإنها ما زالت تمنع الأسلحة عن إسرائيل تنفيذاً - فيما يبدو - لقرار الأمم المتحدة الصادر في ٢ نوفمبر (١٩٥٦) - « وإن كان لماذا ، لست أدري » ؟

وتمضى برقية السفير الأمريكي في إسرائيل بعد ذلك لتصل إلى البند الخامس الذي روى فيه السفير نقلاً عن « بن جوريون » قوله « إنه يرحب بوجه خاص بأن يفهم ماذا يعني بعبارة « حل بناء » . » ثم أضاف السفير إلى مقابلته مع « بن جوريون » إضافة من عنده قال فيها :

« تعليق . ربما كانت الطلاقة التي تكلم بها بن جوريون بعد قراءته للرسالة مباشرة دليلاً على أنه أعطاني خلاصة مركزة لتفكير الحكومة الإسرائيلية الذي وصلت إليه بعد أيام متوالية من المتابعة المستمرة للأوضاع في جارتها الشمالية . وقد دار حديثنا بلهجة معتدلة وبغير انفعال . ولكنه كان يردد كثيراً عبارة « نحن قلقون ، قلقون للغاية » . وقد قال لي : « إننا سنتلقى رداً رسمياً على رسالة وزير الخارجية في المستقبل القريب ، عندما تكون الفرصة قد اتاحت له لمناقشة الموضوع مع إيبان الذي كان ينتظر في الغرفة المجاورة عندما غادرت المكتب بعد محادثتنا التي استمرت عشرين دقيقة » .

واتفقنا على أننا سنرد على أسئلة الصحفيين بأن المقابلة تمت بناءً على طلبى لناقش الأمور الجارية ذات الاهتمام المتبادل . فإذا سألنا عما إذا كانت سوريا بين موضوعات المناقشة ، ساجيب بأن بلدنا يهتمان بطبيعة الحال بالتطورات في سوريا .

إمضاء

باكستر ،

٢١

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تتضمن تقريراً من السفير الأمريكي في إسرائيل عن اتصالات قام بها في وزارة الخارجية الإسرائيلية تتعلق بالآزمة في سوريا .

WING TELEGRAM . Department of State

1

SECRET

Control: 18033
Rec'd: August 28, 1957
5:33 p.m.

FROM: Tel Aviv .

TO: Secretary of State

٥٥ 2٥93 /87

NO: 199, August 28, 8 p.m.

٥١

PRIORITY

SENT NIACT BEIRUT 57, DEPARTMENT PRIORITY 199, REPEATED INFORMATION AMMAN 29, ANKARA 8, BAGHDAD 18, CAIRO 31, DAMASCUS 25, JIDDA 15, PARIS 24, LONDON 33, MOSCOW 4.

BEIRUT FOR HENDERSON

At Israeli initiative I called at Foreign Ministry today for talk about Syria with Herzog, Comay and Shiloah latter now functioning in newly created position of adviser to Foreign Minister on political and policy planning affairs.



وزارة الخارجية

برقية واردة

من : تل أبيب

إلى : وزارة الخارجية

رقم المراجعة : ١٨٠٣٣

تاريخ التسلم في : ٢٨ أغسطس ١٩٥٧

٣٣ . ٥ مساء

الرقم : ١٩٩ ، ٢٨ أغسطس ، ٨ مساء

أرسلت صورة إلى بيروت ٥٧ ، ، أولوية الوزارة ١٩٩ ، أرسلت للعلم إلى عمان ٢٩ ، انقرة ٨ ، بغداد ١٨ ، القاهرة ٣١ ، دمشق ٢٥ ، جدة ١٥ ، باريس ٢٤ ، لندن ٣٣ ، موسكو ٤ .

بيروت ، تسلم لهندرسون

بناء على طلب الجانب الإسرائيلي توجهت اليوم إلى وزارة الخارجية لمناقشة المسائل المتعلقة بسوريا مع هرتزوج ، وكوماي ، وشيلواح الذي يشغل الآن وظيفة انشئت حديثاً كمستشار لوزير الخارجية لشؤون التخطيط السياسي وتخطيط السياسات .

عندما قلت إننى أرحب بهذه الفرصة للاستماع إلى آرائهم ، ولكن الدراسة الجارية حالياً للموقف من جانب واشنطن لم تسفر عن تصفية الآراء الأمريكية بحيث يمكن نقلها إلى حكومة إسرائيل ، ذكرنا أن هذا الإعلام السلبي نفسه يزيد من عدم تشجيعهم ، ويضيف إلى تقديرهم غير المتفائل بالنسبة لاحتمالات المستقبل . وهم يرون أن للوقت أهمية خاصة فكل يوم يتأخر فيه التعبير عن رد فعل قوى وإيجابى من جانب الولايات المتحدة بوصفها زعيمة للعالم الغربى ، يزيد من الاحتمالات الخطرة بالتغاضى عن خطورة التهديد الذى تمثله سوريا . فإذا لم تكن هناك دلائل على أن ثمة خطوات يجرى بحثها للتحرك من أجل عكس اتجاه الأحداث الحالية في سوريا ، فقد يؤدى التفكير بالأمانى إلى قبول النظرية الخطرة التى تود سوريا والكرملين نشرها ، ومؤداها إن الهزة التى وقعت في سوريا لا تزيد عن أن تكون تغييرا في الحكومة ، تم بالوسائل الدستورية ، وأسفر عن اتجاه إلى اليسار ولكنه لم يسفر عن خلق دولة شيوعية ، أو بلد يدور في الفلك السوفيتى على نحو ما كان يخشى في البداية . وقال شيلواح . إن الموقف شبيه بما حدث مع مصر في ١٩٥٥ ، عندما حاول الغرب أن يقلل من أهمية صفقة الأسلحة التشيكية بناء على اعتقاد ، ثبت الآن خطؤه ، بأنه ما زال في وسع الغرب أن يتعامل مع عبد الناصر ، وأن إتخاذ موقف قوى إزاء الصفقة التشيكية ربما يؤدى إلى الإسراع بدفعه إلى المعسكر السوفيتى . كما تعتقد الحكومة الإسرائيلية أن التصور بأن عبد الناصر يشعر بالقلق لأحداث سوريا إنما هو من قبيل طمأنة النفس . وهو ربما حاول إعطاء هذا الانطباع للدبلوماسيين الغربيين ، لكنه هو بذاته الذى أقنع القوتلى بالعدول عن قراره بالاستقالة .

و في رأى « خبراء الشؤون العربية » في الحكومة الإسرائيلية أن تحوّل سوريا إلى بلد يدور في الفلك السوفيتى أسهل بكثير من تحوّل مصر . ورغم أن عبد الناصر أداة طيعة للسوفيت ، فإنه يصير على أن يعملوا من خلاله ، ولديه سيطرة قوية على جميع العناصر في الحكومة المصرية . أما في سوريا فهناك حركة شيوعية قوية ، وخلاياها على استعداد لتولى جميع الوظائف والعمل في جميع المستويات الحكومية . وإذا لم يعمل شيء لمنع ذلك ، يجب أن نتوقع تطهيرا يجرى خطوة بعد خطوة ، ويسفر عن قيام نهجاري أخرى لا يكون الغرب قادرا على التحرك ضدها . لكن الحكومة الإسرائيلية ترى أنه ما زال هناك بعض الوقت الذى يمكن فيه تقديم المساعدة للعناصر السورية المعارضة للمسار الحالى ، وتشجيعها على عكس الاتجاه ، وأن ذلك إذا تم بسرعة وبتشجيع علنى ، أو سرى من جانب الولايات المتحدة وأصدقائها في المنطقة ، يمكن إنجازه بغير نشوب حرب واسعة ، وبغير اللجوء إلى « استخدام الولايات المتحدة للقوة الغاشمة » .

وأكد ممثلو وزارة الخارجية أن إسرائيل أيضا جزء من المنطقة ، وهى كغيرها من بلدان المنطقة تشعر بقلق بالغ لاحتمال وجود « قاعدة سوفيتية » على حدودها . وأن هندرسون أرسل في مهمة خاصة ليسمع آراء بعض جيران سوريا « ، وقد أجرى بالفعل اتصالاته مع تركيا والعراق والأردن ، ويقال الآن إنه سيسافر إلى بيروت . وربما ينشأ الانطباع قريبا بأن الولايات المتحدة لا تعتبر إسرائيل « جزءا من المنطقة ، أو من جيران سوريا » .

وعندما قال شيلواح إن تركيا ، والأردن ، والعراق لابد قد عرفت من هندرسون شيئا من الآراء المبدئية للوزارة ، أو اتجاه تفكيرها ، وهى أمور غير متاحة لإسرائيل لتساعدها في مناقشتها للموقف ، ذكرت إننى اعتقد أن بعثة هندرسون هى بالضبط ، كما جاء في الصحف ، لا تزيد عن كونها بعثة لتقصي الحقائق ، ولإبلاغ آراء زعماء المنطقة بصورة مباشرة إلى وزير الخارجية ، لمساعدة الوزارة في تقييم التطورات الجارية في سوريا . ودون أن يسأل عما إذا كان في نية هندرسون أن تكون إسرائيل جزءا من جولته ، تطوع بالقول بأن الحكومة الإسرائيلية يسعدها أن تستقبله إذا رغب في الحضور .

باكستر

٢٢

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تتضمن رسالة موجهة من « لوى هندرسون » المبعوث الخاص « لايزنهاور » إلى الشرق الأوسط بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٠٣٧ ، وهي تحتوي على نتيجة مباحثاته مع وزير الخارجية اللبناني الدكتور « شارل مالك » حول الموقف في سوريا .

2095
ING TELEGRAM Department of State

1

~~TOP SECRET~~

Control: 18037
Rec'd: August 28, 1957
5:43 p.m.

FROM: Beirut

TO: Secretary of State

NO: 563, August 28, 9 p.m. (SECTION ONE OF THREE)

WIACT

FROM HENDERSON

(1) I arrived Beirut 11 a.m. Ambassador Heath met me airport and took me directly Foreign Office meet Foreign Minister Malik then visit Prime Minister Sami Solh for brief meeting thence to President Chamoun for more detailed conversation.



٢٨ أغسطس ١٩٥٧

٤٣ : ٥ مساء

« وزارة الخارجية »

سرى جدا - من بيروت - إلى وزير الخارجية
الرقم : ٥٦٣ (الجزء الأول من ثلاثة)

من هندرسون إلى الوزير :

(١) وصلت إلى بيروت ١١ صباحا قابلني السفير هيث في المطار ، واخذني مباشرة إلى وزارة الخارجية حيث استقبلنا وزير الخارجية مالك ، ثم قمنا بزيارة قصيرة لرئيس الوزراء سامى الصلح ، وبعدها انتقلنا لمقابلة الرئيس شمعون لمحدثه أكثر تفصيلا .

(٢) شرحت لملك أن من أغراض زيارتي للشرق الأوسط أن أناقش سفراءنا ، وأن أتحدث مع أعضاء الحكومات الصديقة في الشرق الأوسط حول المشاكل الناشئة عن التطورات الأخيرة في سوريا . وقد تبادلت الرأي في استانبول مع رئيس وزراء تركيا ، ومع الملك حسين ، والملك فيصل ، وولي عهد العراق وغيره من القادة العراقيين . وأنى مستعد لأناقش معه آراء حكومتنا ، ولكنى أكون شاكرا لو أعطانى قبل ذلك آراءه بشأن التأثير المحتمل للتطورات الجارية في سوريا على لبنان .

(٣) قال ملك وهو يقرأ من مذكرات معدة سلفا ، إن هناك ثمانى نقاط يريد أن يبيدها بشأن الحالة في سوريا .

(١) الموقف خطير للغاية ، ويتطلب أن تتشاور جميع البلدان العربية والغربية المعنية ، وأن تتصرف بطريقة موحدة .

(ب) إذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للعراق ، والأردن ، وتركيا ، ولبنان ، وإلى حد ما المملكة العربية السعودية ، وجميعها لا توافق على النظام السوري الحاضر ، وإذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للولايات المتحدة ودول الغرب الرئيسية غير قادرة على الوصول إلى حل للمشاكل السورية ، فلا بد أن هناك ضعفا مخيفا في العالم الغربى .

(جـ) إن الاقتحام الشيوعى في سوريا هو نمو طبيعى لسنوات من التحضير الشيوعى ، وهو جزئيا نتيجة لمبدأ ايزنهاور . وأضاف بين قوسين أن هذا النبات كان سيصل إلى مرحلة الازدهار على أى حال ، ولكن مبدأ ايزنهاور عجل بالعملية

(د) إن الرد المناسب على هذا التطور الشيوعى في سوريا حتمى وملح .

(هـ) إن التعايش بين سوريا « المحايدة » (على الطريقة اليوجوسلافية) والمتجهة إلى الشيوعية ، وبين لبنان المتجه إلى الغرب مستحيل . فاجلا ، أو عاجلا لابد أن يختفى أحدهما . وينتج من ذلك بالنسبة لنا في لبنان أن حياد سوريا ، أو اتجاهها إلى الشيوعية هو بالنسبة لنا مسألة حياة ، أو موت بكل معنى الكلمة .

هيث

□ ملاحظة : تم إخطار السيد بورديت (الشرق الأدنى) في ٨،١٠ مساء ، ٢٨/٨/٥٧ . «

٢٣

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تتضمن تقريراً عن محادثات «لوى هندرسون» في بيروت بتاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٢٠٧ ، وهي تحتوي على نتائج محادثاته مع كل من وزير الخارجية اللبناني ، ورئيس الجمهورية في ذلك الوقت وهو «كميل شمعون» .

FROM: Beirut		Control: 18207
TO: Secretary of State		Rec'd: August 29, 1957
NO: 563, August 28, 9 p.m.		2:17 p.m.
SECTION TWO OF THREE		38
<p>NIACI</p> <p>If Lebanon is overwhelmed by "nationalism", anti-Westernism, etc. we believe everything except Sovietism will be a threat.</p> <p>Danger to Lebanon from subversion fomented and directed by a malignant Communist movement or nationalism or anti-Westernism in Syria is greater than danger of direct aggression from that country.</p>		

٢٩ أغسطس ١٩٥٧

١٧ : ٢ صباحاً

سرى جدا - من بيروت - إلى وزير الخارجية

الرقم : ٥٦٣ (الجزء الثاني من ثلاثة)

(تكلمة المقابلة مع « شارل مالك »)

(و) إذا اجتاحت لبنان نزعة « الحياد » أو معاداة الغرب أو الشيوعية سيخرج الجميع خاسرين ، فيما عدا الاتحاد السوفيتي .

(ز) إن الخطر الذي يتعرض له لبنان من الأعمال الهدامة التي تحركها ، أو توجهها اتجاهات خبيثة ، شيوعية ، أو حيادية ، أو معادية للغرب في سوريا ، أكبر من خطر عدوان سورى مباشر .

(ح) إن الاعتبار الوحيد الهام الطيب هو أن الأغلبية الساحقة من الشعب السوري تنفر من النظام الحاضر .

(٤) شكرته ، وقلت إنى وافق من أن الحكومة الأمريكية تتفق معه تماما ، ثم أعطيته تحليلنا للموقف في سوريا ، وأوضحته أنه إذا ظل النظام السوري الحالى فى السلطة ، فمن المحتم تقريبا أن تتحول سوريا خلال وقت قصير إلى دولة تدور فى فلك السوفيت ، وتستخدم كقلعة شيوعية مدججة بالسلاح فى الشرق الأوسط . وأن قرون الاستشعار الممتدة من ذلك البلد التابع ستتغلغل فى البلدان المجاورة ، وتضعف مؤسساتها ، وتجذبها فى النهاية إلى الفلك السوفيتى . وعلى ذلك فإن استمرار العملية الجارية الآن فى سوريا سيكون معناها خسارة العالم الحر للشرق الأوسط ، وتهديد السلام العالمى . وقال مالك إن حكومته توافق على هذا التحليل موافقة تامة .

(٥) أعرب رئيس الوزراء الذى قمنا بزيارته بعد ذلك عن القلق الشديد للتطورات الجارية فى سوريا ، وقال إنه وقد أقام فى سوريا لفترة طويلة لديه اصدقاء سوريون كثيرون ، وأنه يستقبل الآن سيلا من الزائرين السوريين الذين يعربون له - جميعهم تقريبا - عن الانزعاج للأحداث الجارية فى سوريا . وكانت زيارتنا لرئيس الوزراء أقرب إلى زيارة المجاملة ، ولم يذكر فيها شيء له أهمية سياسية .

(٦) ثم أخذنا مالك لمقابلة الرئيس شمعون . فشرحت للرئيس مرة أخرى الغرض من زيارتى للشرق الأوسط ، وطرحت عليه آراءنا ، وقلقنا بشأن الوضع فى سوريا .

(٧) قال الرئيس ، إنه يوافق تماما على تقديرنا للموقف . وأن ما يجرى الآن فى سوريا إنما هو المرحلة الأخيرة مما كان جاريا منذ سنتين . وأنه حذرنا فى ١٩٥٥ من أن سوريا تتحول إلى منصة عسكرية وسياسية للسوفيت . ويستطيع المرء أن يقول الآن إنه لم يعد هناك وجود لحكومة سورية ، فالرئيس القوتلى مجرد من السلطة ، والبلد الآن فى يد مجموعة من العسكريين ، هم بدورهم تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى . وهذا الوضع مصدر للقلق الشديد ، ولاسيما فى لبنان ، والأردن . وقد تلقى للتو رسالة من الملك حسين يعبر فيها عن الانزعاج للموقف . وقد تحدث بالأمس مع وزير خارجية العراق الذى يرى الموقف خطيرا بالمثل . والسفير السعودى الذى عاد لتوه من الرياض يقول : إن الملك سعود يشعر أيضا بالقلق الشديد . غير أن الرئيس لم يشر إلى جزء من الرسالة التى حملها السفير السعودى معه ، والتى كان مالك قد ذكرها لنا فى أثناء محادثتنا السابقة . فوفقا لما قاله مالك ، فإن السفير السعودى ، بعد أن أشار إلى ما أبداه الملك من اشمئزاز من السياسات السورية الحالية ، ذكر مع ذلك أنه من الخطأ أن يحاول جزء من العالم العربى أن يعزل سوريا ومصر . وقال الرئيس شمعون إن الحقيقة أن الملك سعود يخشى إذاعة القاهرة التى إذا هاجمته يمكن بسهولة أن تخلق له المتاعب ، بل وربما تشعل ثورة . ونظرا لوجود عدد كبير من الضباط والمعلمين والفنيين المصريين ، فإن لمصر تأثيرا كبيرا على المملكة السعودية . وأكد الرئيس أن المشكلة التى تواجهنا لا تتعلق بسوريا وحدها ، فالحقيقة أن السوفيت يحاولون الاستيلاء على العالم العربى .

« هيث »

٢٤

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تتضمن بقية تقرير « لوى هندرسون » عن محادثاته في بيروت بتاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٢٠٨ مع الرئيس « كميل شمعون » .

TELEGRAM Department of State

TOP SECRET

Control 13208

Re: August 29, 1957

Secretary of State

161, Avenue 28, 9, P.T. 11111 THREE OF THREE

Egyptian regime while perhaps not pro-Communist was in effect playing Communist game. Situation in Syria is really becoming dangerous. Saudi Ambassador, Beirut reported that recently Saudi had warned them against dealing with Soviet arms. Special messenger who taking Saudi's to Iraq with this warning had reported that

وزارة الخارجية

برقية واردة

رقم المراجعة : ١٨٢٠٨

تاريخ التسلم في : ٢٩ أغسطس ١٩٥٧

٢٢ : ٧ صباحا

من : بيروت

إلى : وزير الخارجية

الرقم : ٦٦٣ ، ٢٨ أغسطس ، ٩ مساء (الجزء الثالث من ثلاثة)

« (٨) ربما لا يكون النظام المصري مواليا للشيوعية ولكنه يلعب في الواقع لعبة الشيوعيين . والموقف في اليمن قد أصبح خطرا حقا . وقد ذكر السفير السعودي أن الملك سعود نبه الإمام مؤخرا إلى وصول أسلحة سوفيتية . وأن المبعوث الخاص الذي أرسله الملك سعود إلى الإمام بهذا التحذير ذكر أنه شخصيا رأى ١٠٠ طائرة سوفيتية في

اليمن ، واسلحة لم يتم تفريغها من صناديقها . وذكر الرئيس أن اليمنيين يحتاجون إلى مائة سنة ليتعلموا قيادة هذه الطائرات . وقد لاحظ مبعوث الملك السعودي وصول عدة مجموعات من الفنيين السوفيت . وحتى إذا كان هذا التقرير عن شحنات الأسلحة السوفيتية مبالغاً فيه فإن الوضع يدعو للانزعاج ، خاصة وأن الروس لابد أنهم يعتزمون إحضار طيارين سوفيت ، أو طيارين دربهم السوفيت لقيادة تلك الطائرات .

(٩) إن الأعمال الشيوعية الهدامة الموجهة من سوريا بدأت تصبح ملموسة بالفعل في لبنان . وإن حرس الحدود يعتقلون باستمرار شباناً لبنانيين عائدين من سوريا ، وقد حملهم الضباط السوريون منشورات هدامة وذخائر . وأن هذه العملية كانت تجرى منذ عدة شهور ، ولكنها زادت بدرجة كبيرة في الأسابيع الأخيرة . ويبدو الآن أنها أصبحت نشاطاً منظماً بعناية . والشبان اللبنانيون المعنيون هم عملاء لسوريا ، ومن الواضح أنهم ليسوا من الشيوعيين العاملين . كما أنهم لا يعملون على ابتلاع سوريا للبنان في الوقت الحالي ، ولا يطلب منهم السوريون غير الإطاحة بالحكومة اللبنانية الحالية ، وإقامة حكومة أخرى تتبع خطى سوريا في السياسة الخارجية . وعند ذلك تدخل مالك قائلاً إنه إذا لم تتخذ خطوات قوية دون إبطاء ، فإن العالم الحر سيفقد لبنان والشرق الأوسط ، كما فقد الصين من قبل .

(١٠) قال الرئيس شمعون إن الكارثة ستقع إذا لم يوضع حد للتطورات الجارية في سوريا . فإما « أن نصبح أقوى ، وسوريا أضعف ، أو أن ننهار » . ثم أعرب كل من الرئيس ومالك عن الأمل في ألا يكون معنى البيان الصحفي الذي أدلى به الرئيس في ٢١ أغسطس بشأن سوريا ، أن تعتقد الولايات المتحدة أن بلدان الشرق الأوسط يمكن أن تتعايش مع سوريا ذات الاتجاه الشيوعي . وأكدت لهما أنه لا يمكن استخلاص شيء كهذا من بيان الرئيس .

(١١) وقلت إنه من الواضح أن حكومتينا تتفقان تماماً على أن استمرار وجود النظام الحالي في سوريا يشكل خطراً على الشرق الأوسط ، وعلى السلام العالمي . وسالت عما إذا كانت لديه اقتراحات لوقف الاتجاهات الحالية في سوريا ، وقلت إنني لا أتوقع منه أن يقدم اقتراحات محددة

محددتنا الأولية ، وأننا يمكن أن نناقش الأمر في مقابلة ثانية . وسالت عما إذا كانت لديه تعليقات يريد أن يبديها في الوقت الحالي .

(١٢) قال الرئيس إنه يود أن يناقش معنا هذا الأمر فيما بعد .

هيث »

الوثيقة رقم ٢٥

صور من مجموعة الشيكات التي تلقاها « عبد الحميد السراج » من الملك « سعود » وهي عبارة عن ثلاثة شيكات ، أولها بمبلغ مليون جنيه استرليني ، والثاني بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه استرليني ، والثالث بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه استرليني ، وكلها مسحوبة لأمر حامله - وكذلك صور لإشعارات الإيداع في البنك العربي المحدود في جنيف ، وهي صادرة باسم السيد « ع . س . » (والمقصود بالطبع « عبد الحميد السراج »)

ARAB BANK LTD. £7000000

Arab Bank Limited

No A 85903/58

Riyad, 26th February 1958
Saudi Arabia.

PAY TO THE BOUNDER Bearer

THE SUM OF Seven Hundred Thousand Pounds Sterling Only.

To Midland Bank Ltd., Overseas Branch, 122, Old Broad Street, London E.C. 2.

£700,000/-

البنك العربي
المستقر

م. م. الحارثي
م. م. الحارثي

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن انا لينا لحسابكم ما يلي :

تاريخ : ١٩٥٠ / ٧ / ٢٥

فلط عليا مدركه من راسد في داره في داره

البنك العربي

نوع رقم :

ARAB BANK LTD. **£200000**
Arab Bank Limited

No A 85904/59 Riyad, 26th February, 1958.
Saudi Arabia.

PAY TO THE ORDER OF Bearer.....

THE SUM OF TWO Hundred Thousand Pounds Sterling Only.....

TO Midland Bank Ltd., Overseas Branch, FOR ARAB BANK LIMITED,
122, Old Broad Street,
London, E.C. 2.

M. K. Karaman
W. M. M. J.

Amount £ 200,000/-

ARAB BANK LTD. **£1000000**
Arab Bank Limited

No A 85902/52 Riyad, 20th February, 1958.
Saudi Arabia.

PAY TO THE ORDER OF Bearer.....

THE SUM OF ONE Million Pounds Sterling Only.....

TO Midland Bank Ltd., Overseas Branch,
122, Old Broad Street,
London, E. C. 2.

M. K. Karaman
J. H. M. J.

Amount £ 1,000,000/-

ARAB BANK LTD. **£1000000**
Arab Bank Limited

No A 85902/52 Riyad, 20th February, 1958.
Saudi Arabia.

PAY TO THE ORDER OF Bearer.....

THE SUM OF ONE Million Pounds Sterling Only.....

TO Midland Bank Ltd., Overseas Branch,
122, Old Broad Street,
London, E. C. 2.

M. K. Karaman
J. H. M. J.

Amount £ 1,000,000/-

٢٦

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تتضمن توجيهها لرؤساء البعثات الدبلوماسية في الشرق الأوسط ودهم ، ومؤدي ما تحتويه ان سياسة الولايات المتحدة في المنطقة لم تتغير سواء بالنسبة لعزل مصر أو لكسر الوحدة بينها وبين سوريا ، وأن أي تغييرات ظاهرة في السياسة الأمريكية هي نوع من التكتيك لا يؤثر على الاستراتيجية .

ING TELEGRAM

AMERICAN EMBASSY, BAGHDAD

CONFIDENTIAL
SECURITY INFORMATION

CLAPP (2)

CONTROL 2279

RECD: April 18, 1958
10 40 AM

FROM:

WASHINGTON

ACTION:

BAGHDAD, CIRCULAR 11 April 17, 5 30 PM

This circular letter is being sent by the State Department to all U.S. diplomatic representatives in the Middle East on the subject of the United States' policy in regard to the United Arab Republic.

The State Department reaffirms that the basic objectives of the U.S. policy in relation to the U.A.R. remain unchanged. It stresses anew that expansion of Egypt's sphere of influence is counter to the Joint Resolution of the Congress on the Middle East, strengthens Arab nationalism, encourages anti-Western and particularly anti-American tendencies in the Middle East and Africa, undermines the Baghdad Pact, an important link in the strategic network of the free world, and impairs the position of Israel the interests of which the U.S. can in no way ignore.

2. The fact that actual control over the transportation of Middle East oil to Europe both through the Suez Canal and via all the pipelines to the Mediterranean is now concentrated in Cairo seriously endangers American interests in this area. The U.A.R. is now in a position to exert pressure upon the U.S. and other Western powers. This possibility can become a formidable weapon in the hands of President Nasser if he happens to fall back on the Soviet bloc in the future.

« سرى للغاية (١٧)

تسجيل : ١٨ إبريل ١٩٥٨

توجيه رقم : ٢٢٧٩

خاص ولعلم رؤساء البعثات الأمريكية في الشرق الأوسط ودهم
سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة

١ - إن وزارة الخارجية تؤكد أن الأهداف الأساسية لسياسة الولايات المتحدة في علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة ، باقية من غير تغيير .

إنها تؤكد من جديد أن ازدياد نفوذ مصر يتعارض مع القرار المشترك للكونجرس عن الشرق الأوسط . ويؤدي إلى تقوية القومية العربية ويشجع الاتجاهات المضادة للغرب ، وبالتحديد الاتجاهات المضادة لأمريكا ، في الشرق الأوسط وفي أفريقيا ، ثم هو يؤثر على هيئة حلف بغداد ، الذي يعتبر حلقة هامة في شبكة الدفاع عن العالم الحر ، ويمس بالضرر موقف إسرائيل ومصالحها ، الأمر الذي لا تستطيع الولايات المتحدة أن تتجاهله .

٢ - إن وجود السيطرة على مواصلات نقل بترول الشرق الأوسط إلى أوروبا ، سواء عن طريق قناة السويس ، أو عن طريق أنابيب البترول المتجهة إلى البحر الأبيض - تحت السيطرة الفعلية للقاهرة ، يعرض المصالح الأمريكية في المنطقة لخطر أكيد ، فإن ذلك يجعل الجمهورية العربية المتحدة الآن في

وضع يمكنها من ممارسة ضغط على الولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية ، وهذا الاحتمال يمكن ان يتحول إلى سلاح مخيف في يد الرئيس ناصر .

٣ -

٤ - وفي الظروف الحالية ، فإن متابعة الأسلوب السابق تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، لن يؤدي إلا إلى مضاعفة سخط العرب ، ودفعهم إلى احضان السوفيت ، وهذا يتطلب بعض التغييرات في أسلوب متابعة سياستنا ، ومن هنا تجيء مسألة « تخفيف » علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولا يتضمن الأمر إعادة تقدير أساسى لسياستنا ، وإنما هناك تحول تكتيكى مؤقت تفرضه الضرورة ، وعليه فإن الإفراج عن أرصدة مصر من الدولارات المجمدة في الولايات المتحدة ، وتخفيف بعض القيود المفروضة على التجارة ، وبعض الخطوات الأخرى ، تجرى دراسته في الوقت الحاضر .

وإذا نجحنا في أن نقنع ناصر أن الولايات المتحدة ، قد وطدت نفسها على حكمه ، وأنها الآن على استعداد للاستجابة لبعض شروطه ، فإن النتيجة الحتمية لذلك ستكون فتورا في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والكتلة السوفيتية .

وإن احتمال نجاح تطور على هذا النحو موجود ويستدل عليه من تصريحات صادرة عن مصر - بينها تصريحات من ناصر نفسه - بما معناه أن الصلات القريبة بين مصر وروسيا قد استمدت جذورها من رفض الغرب أن يتفاوض مع مصر على أساس الشروط المصرية ، وهكذا فإن تحسنا في العلاقات بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة ، يمكن أن يؤدي - على المدى البعيد - إلى إثارة الشكوك في الكرملين ، ثم إلى إضعاف العلاقات العربية السوفيتية ، إن لم يؤد إلى قطعها تماما .

٥ - يتحتم أن تظل جهودنا متجهة إلى مهاجمة فكرة الوحدة بين مصر وسوريا ، ولا يجب أن نتوقف جهودنا لإيجاد فاصل بين البلدين ، وينبغي أن يظل ذلك من أبرز أسس سياستنا في المنطقة .

وهناك قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته ، كما أن هناك قوى خارجية يمكنها في أى لحظة ملائمة أن تتدخل ، وينبغي تدعيم هذه القوى من غير كلل ، وينبغي أن نذكر دائما أن أى تفسخ في الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر ، وإنما سوف يجعل من السهل أيضا محاربة القومية العربية ، في أى شكل تتخذه في الشرق الأوسط .

٦ - ولسوف تكمل جهودنا بالنجاح أكثر إذا أمكن عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى العالم العربى ، وبالنسبة لهذه المهمة ، فإن ممثلى الولايات المتحدة ، سواء في الأقسام الدبلوماسية أو في أقسام الاستعلامات والدعاية في العالم العربى ، عليهم أن ينشروا الاعتقاد العام بأن الجمهورية العربية المتحدة تشكل خطرا مباشرا على كل الحكومات العربية .

وفي البلاد الملكية علينا أن نشرح بقوة أن تدعيم الجمهورية العربية المتحدة قد يؤدي إلى سقوط حكم جميع البيوت الحاكمة ، كما أنه في الجمهوريات يمكن بث الخوف من ابتلاع القاهرة لهذه الجمهوريات .

وفي النهاية ، ينبغي انتهاز كل فرصة لتقوية الاتحاد العراقى الاردنى الذى سوف يستمر في الحصول على تأييد الولايات المتحدة ضد الاتحاد السورى المصرى .

٧ - إن هذا المنشور يقدم تصورا عاما لبعثات الولايات المتحدة الدبلوماسية في الشرق الأوسط ، وتتلقى كل بعثة منها بالذات تعليمات مفصلة تناسب مكانها .

توقيع
راونترى «

الوثيقة رقم



ذو القعدة سنة ١٢٨٠

على يد
د. محمد
الدول
حاشا
الحسين
الشيخ
قصر
لحمه
لحمه
عن
على


139



ذو القعدة سنة ١٢٨٠


[illegible]

(٧)


 دولة فلسطين العربية
 دولة فلسطين العربية

نداء الحزب العربي
 للاراضة اللبنانية (بغض)
 الخبايا الدورية
 المستعبد العربي
 من اجل الحرية
 (على) ~~فلسطين~~
 الحزب العربي
 العمل لبلدنا
 الحزب العربي
 الحزب العربي
 الحزب العربي
 الحزب العربي
 الحزب العربي

(٨)


 دولة فلسطين العربية
 دولة فلسطين العربية

نداء الحزب العربي
 للاراضة اللبنانية (بغض)
 الخبايا الدورية
 المستعبد العربي
 من اجل الحرية
 (على) ~~فلسطين~~
 الحزب العربي
 العمل لبلدنا
 الحزب العربي
 الحزب العربي
 الحزب العربي
 الحزب العربي
 الحزب العربي

اعلن الرئيس جمال
عبد الناصر ان احتلال
القوات الامريكية للبنان
يشكل خطرا على السلام في
الشرق الاوسط ويعتبر
تهديدا للدول العربية التي
رفضت ان تخضع
للاستعمار وصممت على ان
تتبع سياسة مستقلة .

وقال الرئيس انه من
الواضح ان الحكومة
الامريكية اتخذت من
الثورة الداخلية اللبنانية
التي مضى على بقائها
سبعة اسابيع ذريعة
تحقق عن طريقها غرضها
في احتلال لبنان وتهديد
الدول العربية المستقلة
وبعد اعلان تقرير مراقبي
الامم المتحدة عن ثورة
لبنان واقرارهم انها ثورة
داخلية واعلانهم عن عدم
وجود اى دليل على تدخل
من الجمهورية العربية
المتحدة فان احتلال امريكا
للاراضة اللبنانية (يفضح
النوايا الامريكية تجاه
الشعوب العربية المستقلة
ومحاولاتها لاختضاعها
والسيطرة عليها) .

ان الجمهورية العربية
المتحدة ستقوم بالتزاماتها
كاملة تجاه جمهورية
العراق وفقا لميثاق الضمان
الجماعي العربي وان اى
عدوان على جمهورية
العراق يعتبر عدوانا على
الجمهورية العربية
المتحدة .

٢٨

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تقدير موقف أعدته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحت
عنوان « القومية العربية كعامل مؤثر في الموقف في الشرق الأوسط » ، والتقرير
برقم ٥٨٣٣٠ .

14-00000
118
JUN 20 3 58
176 JUN 1958
274
SPECIAL
NATIONAL INTELLIGENCE ESTIMATE
NUMBER 30-3-58
ARAB NATIONALISM AS A FACTOR IN THE
MIDDLE EAST SITUATION

Submitted by the
DIRECTOR OF CENTRAL INTELLIGENCE

The following intelligence organizations participated in the preparation of this estimate: The Central Intelligence Agency and the Intelligence Organizations of the Departments of State, the Army, the Navy, the Air Force, and the Joint Staff.

Reviewed by the
INTELLIGENCE AUTHORITY COMMITTEE

on 12 August 1958. Concurring were The Director of Plans, Arms and Research, Department of State; the Assistant Chief of Staff, Intelligence, Department of the Army; the Director of Naval Intelligence; the Assistant Chief of Staff, Intelligence, USAF; and the Deputy Director for Intelligence, USAF. The Joint Staff Concurrence Agreement was signed by the JAC and the Assistant Secretary of Defense for Intelligence. The Assistant Secretary of Defense for Intelligence concurred in the estimate being submitted by the Director.

تقرير خاص ٥٨٣٣٠
٢ أغسطس ١٩٥٨

تقرير خاص شامل من المخابرات
العدد ٥٨٣٣٠

القومية العربية بوصفها من العوامل المؤثرة في الوضع في
الشرق الأوسط

تقرير أعده مدير المخابرات المركزية
القومية العربية بوصفها عاملا مؤثرا في الوضع
في الشرق الأوسط

المشكلة

تقدير الوضع الحالي للقومية العربية باعتبارها عاملا مؤثرا
في الوضع في الشرق الأوسط.

المناقشة

أولا : الوضع الحالى
(الفقرة بكاملها محذوفة)

٢ - أوجد تدخل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في لبنان والأردن قدرا من الاستقرار المؤقت في هذين البلدين ، وربما ساعد في ردع عبد الناصر وأنصاره عن تشجيع حدوث انتفاضات ثورية قورية في أماكن أخرى من المنطقة خوفا من الاصطدام بقوات الدول الغربية . غير أن النتيجة النهائية لثورة العراق وغيرها من الأحداث التى وقعت في الآونة الأخيرة هى تعزيز مركز الراديكاليين من دعاة الوحدة العربية .

٣ - وفوق ذلك ، فإن التعارض طويل الأمد والمستمر بين النظم الوطنية الراديكالية والنظم المحافظة التى يؤيدها الغرب ، فتح الطريق أمام الاتحاد السوفيتى للحصول على نفوذ له يزايد باضطراد في المنطقة بمساندته للنظم الراديكالية .

ثانيا : القومية العربية - أغراضها وأهدافها :

٤ - القومية العربية حركة طال عليها الأمد ، لها جاذبية عاطفية هائلة ، ترمى إلى بعث الشعوب العربية واستعادة سيادتها ووحدتها وقوتها ومكانتها . وقد شجع عليها منذ الحرب العالمية الثانية اتجاه شعوب المناطق المتخلفة في أنحاء العالم إلى مناهضة « الاستعمار » والمطالبة بحق تقرير المصير . وقد أعلن كل من الوطنيين المحافظين القدامى ، وأنصار الحركة الراديكالية الجديدة بقيادة عبد الناصر هدف التخلص من النفوذ « الاستعماري » الغربى ، وانفقوا على العداء لإسرائيل . إلا أن المحافظين قبلوا عادة المساعدة من الدول الغربية ، وتعاونوا مع الغرب بالرغم من كابوس ارتباط الغرب بإسرائيل . ويرجع ذلك جزئيا إلى أن مصالحهم التجارية أو الثقافية تقع مع الغرب ، وجزئيا إلى أنهم يحتاجون مساندة الغرب للبقاء في السلطة . أما الوطنيون الراديكاليون فكانوا أقل ثقة بالغرب ، وأكثر تصميمًا على إزالة القيود الغربية الباقية في الحياة السياسية والاقتصادية العربية . وكانوا أكثر جدية في العمل لتحقيق هدف الوحدة العربية (وعدم الاكتفاء بالإشادة به) . وفوق ذلك أضاف الوطنيون الراديكاليون إلى المبادئ القديمة للقومية العربية نظرية في الثورة الاجتماعية والإصلاح ، وبذلك تعارضت دعوتهم مع الطبقات العليا التقليدية ومع النظم الاجتماعية والاقتصادية في العالم العربى التى تستند إليها سلطة المحافظين . وأخيرا ، فإن الوطنيين الراديكاليين على خلاف المحافظين ، سعوا للحصول - وحصلوا - على تأييد الكتلة السوفيتية في صراعهم مع الدول الغربية ، ومع النظم العربية المؤيدة للغرب .

٥ - وكانت القومية العربية ترتبط دائما بالولاء « للأمة » العربية في مجموعها ، لا إلى واحدة أو أخرى من الدول العربية القائمة ، والتي كان كيانها مصطنعا في كثير من الحالات . ولكن من الناحية العملية كانت قوة القادة المحافظين تقف عقبة في سبيل هدف الوحدة العربية الذى رفعتة الحركة الوطنية ، وكان هذا الهدف ينطمس وراء اختلاف الأوضاع الاقتصادية والجغرافية والثقافية في العالم العربى ، وكذلك وراء المصادمات بين الدول والقادة المتنافسين . وقد أبعدت الخلافات السياسية والثقافية مصر عن منطقة الهلال

الخصيب التي تقع إلى شمالها ، حيث ترفض المنطقة إدعاء مصر بزعامة العالم العربى ، كما ان الثقافة الاسلامية المحافظة في شبه الجزيرة العربية لم تجد ما يربطها بثقافة الدول العلمانية الأكثر تقدما على ساحل البحر المتوسط . غير أن حيوية الحركة الوطنية الراديكالية ، وضعف المحافظين في وجهها أديا خلال العامين الماضيين إلى الحد من أهمية هذه العوائق . وقد تزامنت هذه النهضة مع ظهور جمال عبد الناصر كرمز وقائد لها ، وهى تعتمد عليه إلى حد كبير ، واسهم التأييد السوفيتى بدور ملموس في رفع مكانة عبد الناصر وزيادة إمكاناته . وقد اتخذت تحت رعايته خطوات نحو الوحدة العربية كانت تبدو في حكم المستحيل منذ عامين اثنين .

٦ - وهكذا ثبت أن لفكرة الوحدة قوة هائلة وجاذبية شديدة في كافة أنحاء العالم العربى تقريبا ، وأن لها قوة دفع لا ينتظر أن تفقدها في المستقبل القريب . إلا أننا لا نعتقد أن توحيد الدول العربية ودمجها في إمبراطورية مركزية موحدة ممكن في المستقبل المنظور فهناك في المنطقة ظروف وأوضاع سوف تتحرك ضد النجاح النهائى لأقامة دولة عربية مركزية ، وذلك بمجرد تحقيق الهدف الأساسى للتضامن العربى ، ألا وهو التخلص من السيطرة الأجنبية . فعلى رغم وجود بعض أوجه التشابه الاثنى والدينى ، هناك مصالح عديدة - وطنية وثقافية وتجارية واقتصادية - يمكن أن تكون عوامل تفرقة في أى دولة عربية موحدة ، بل وفي أى نوع من الاتحاد الفيدرالى . فسوريا والعراق مثلا بينهما في الجوانب التجارية والاقتصادية وغيرها من المصالح رابطة أقوى مما بين أى منهما ومصر وصلات التقارب الطبيعية يمكن أن تعمل بمرور الوقت ضد قبول التفوق المصرى ، أو تعمل على إحياء الخوف من « الاستعمار » المصرى . وربما لا يقبل كثير من صانعى الثورة العراقية أن تكون القاهرة هى المصدر النهائى والوحيد للسلطة في شؤون العراق ، وقد يحدث نزاع بينهم وبين الناصريين . وفوق ذلك ، فحتى إذا قبلت بعض البلدان الغنية بالبتروال أن تتقاسم أرباحها مع البلدان العربية الأخرى ، فمن المؤكد أن ينشا تعارض المصالح حول هذه القضية .

٧ - غير أننا نعتقد أن العوامل المختلفة المؤدية إلى التفرقة في المنطقة سوف تختفى لبعض الوقت نتيجة للجاذبية العاطفية القوية لحركة الوحدة العربية ، وخاصة إذا استمر وجود بعض أجزاء من العالم العربى تحت سيطرة الدول الغربية أو نفوذها . وفوق ذلك ، فإن وجود إسرائيل سيستمر في إحداث تأثير توحيدى قوى بين العرب .

٨ - دور عبد الناصر : واكتسب عبد الناصر مكانته كبطل وطنى عربى شعبى نتيجة لسلسلة من الأحداث أحرز فيها ، أو بدا على الأقل أنه أحرز فيها انتصارات للقومية العربية ضد معارضيه ، مثل نجاحه في الحصول على أسلحة سوفيتية ، وتأميمه لشركة قناة السويس ، واستعادته مكانته بعد الهجوم الاسرائيلى البريطانى الفرنسى في أواخر ١٩٥٦ ، والوحدة مع سوريا . كما أنه عزز نفوذه في المنطقة عن طريق استخدامه البارع والقسى للأعمال الهدامة والدعاية . وهذه هى الأسلحة الطبيعية لحركة ثورية ، ومن المستبعد أن يتخلى عن استخدامها - بغض النظر عن حالة علاقاته مع الغرب - ما دامت أهدافه الثورية لم تتحقق . وهو يرى - ومعه أغلبية أنصاره - أن معظم الحدود الوطنية في المنطقة ، وجميع الحكومات المحافظة ، كيانات مصطنعة خلقتها قوى خارجية ، وبالتالي فإنهم لا يفتننون

11. *Nasser's Objectives.* We believe that Nasser's position and his objectives are essentially as he has stated them. He intends to eliminate all vestiges of special foreign positions and to bring the resources of the Arab world completely under Arab nationalist control. He aims at uniting the entire Arab world with a common foreign policy and a common program of modernization, development, and reform. We believe that Nasser, in pursuit of these objectives, will continue to use the instruments of propaganda, subversion, and assistance to local forces of Arab nationalism. We do not believe that Nasser has a precise schedule or a detailed blueprint for the unified Arab state toward which he is working. We believe that he will wish to avoid direct conflict with Western, Turkish, or Israeli forces and will probably be prepared to accept a considerable degree of local autonomy in states which may affiliate with the UAR and UAS.

بالحجج الداعية إلى الإبقاء عليها . وفوق ذلك فإن عبد الناصر مقتنع بأن الغرب ، ولا سيما الولايات المتحدة ، يقوم بنشاط هدام ودعايات واسعة ضده في المنطقة العربية .

٩ - ومع ذلك ، ورغم قوة عبد الناصر ومكانته ، فإن سيطرته على حركة الوحدة العربية الراديكالية - خارج مصر على الأقل وبدرجة أدنى في سوريا - ليست سيطرة مطلقة . وفيما يتعلق بالشؤون الداخلية لكل دولة على حدة في المنطقة ، فإن سلطته ليست كاملة ، وهناك مجال واسع للخروج على إرادته . وفي اعتقادنا أن نفوذه يعتمد على الجاذبية العاطفية لبرنامج ، وعلى شخصيته ، وعلى كفاءة دعايته ، أكثر مما يعتمد على أي تنظيم ياتمر بأمره ، سواء كان سوريا أم علنيا .

١٠ - ومع ذلك ، فإننا نعتقد أنه من الضروري في كافة الأمور العملية تصور عبد الناصر والجماهير الوطنية العربية كوحدة لا تنقسم . فقد توحد بوضوح مع أعظم انتصارات القومية العربية بحيث لا ينتظر أن ينافس أحد إلا إذا تعرض لسلسلة من الهزائم . وليس هناك ما يدل على وجود جماعة لها أهميتها معادية لعبد الناصر داخل حركة الوحدة العربية . وفوق ذلك ، فحتى في حالة اختفاء عبد الناصر ، من المستبعد أن تنقسم الحركة الوطنية العربية بسماوات مختلفة جوهريا ، لأن عبد الناصر ربما كان أداة للحركة بقدر

ما هو قائدها . بل إن خليفته يمكن أن يكون أقل قدرة منه على كبح جماح الوطنيين العرب ، وأقل حذرا في علاقاته مع الكتلة السوفيتية .

١١ - أهداف عبد الناصر : نعتقد أن موقف عبد الناصر وأهدافه هي في جوهرها كما أعلنها بنفسه . فهو يعترم القضاء على جميع بقايا المواقع الأجنبية الخاصة ، ووضع موارد العالم العربى بالكامل تحت تصرف القوى الوطنية العربية ، وهو يهدف إلى توحيد العالم العربى قاطبة وراء سياسة خارجية مشتركة وبرنامج مشترك للتحديث والتنمية والإصلاح . ونعتقد أن عبد الناصر ، في سعيه لتحقيق هذه الأهداف ، سيستمر في استخدام وسائل الدعاية والنشاط الهدام ومساعدة القوى المحلية للقومية العربية . ولا نعتقد أن لدى عبد الناصر برنامجا محددا ، ولا خطة مفصلة للدولة العربية الموحدة التى يعمل لإقامتها . ونعتقد أنه سيكون راغبا في تجنب الصدام المباشر مع القوى العربية أو التركية أو الاسرائيلية ، وربما يكون على استعداد لقبول درجة كبيرة من الاستقلال الذاتى المحلى تتمتع به الدول التى قد ترتبط بالجمهورية العربية المتحدة أو الدول العربية المتحدة .

١٢ - وأهداف القومية العربية الراديكالية لا تتعارض دائما مع المصالح الأمريكية . وهكذا ، فإن الهدفين العربيين المتمثلين في صون الاستقلال ، واستخدام أرباح البترول العربى ، يتفقان مع اثنين من المصالح الأساسية للولايات المتحدة ، وهما عدم خضوع المنطقة للسيطرة السوفيتية ، واستمرار الغرب في الحصول على بترول الشرق الأوسط . إلا أن هناك مصالح أخرى للولايات المتحدة ، مثل المحافظة على إسرائيل ، يبدو الأسبيل إلى التوفيق بينها وبين أهداف الحركة القومية العربية . وينطبق نفس القول على المحافظة على سيطرة الغرب على بترول المنطقة (وذلك غير القدرة على الحصول على البترول) والقدرة على استخدام القواعد العسكرية . وفوق ذلك فإن طموح عبد الناصر لا يقتصر على العالم العربى . فهو يعترم القضاء على السيطرة الأوروبية على أجزاء من أفريقيا وإدخالها في كتلته المحايدة . والأرجح أن يكون هناك صدام مستمر في المصالح بسبب تأثير النفوذ الثورى لعبد الناصر في مناطق أخرى من العالم الإسلامى : السودان وليبيا وشمال أفريقيا ، وأجزاء أخرى من أفريقيا وإيران . ولعله يضع في المدى الأطول خططا لإقامة مركز مستقل للقوى ، يتخذ قاعدته في مصر ، ويرتفع به إلى موقع قيادة كتلة افروآسيوية .

١٣ - ونحن لا نعتقد أن عبد الناصر شيوعى أو متعاطف مع العقيدة الشيوعية . وهو يعارض الشيوعيين العرب لأنهم يمثلون تحديا لسلطته . وهو يرى أن الاتحاد السوفيتى دولة كبرى لها مصالح وسياسات في الشرق الأوسط تصادف أنها تتفق في هذه المرحلة ، مصالحه وسياساته . وهو سيستمر في التطلع إلى الاتحاد السوفيتى في طلب المساعدة ويستجيب للمزاعم السوفيتية المناهضة للغرب . وفي اعتقادنا أنه ما زال يأمل في حماية الوحدة العربية التى يسعى لإقامتها عن طريق موازنة النفوذ السوفيتى ، والنفوذ الغربى في المنطقة العربية ، بالرغم من أحداث السنوات الثلاث الأخيرة التى عمقت - بغير شك - رغبة عبد الناصر تجاه الغرب ، وربما انقصت عدم اطمئنانه إلى السوفيت .

الوثيقة رقم ٢٩

صورة خطاب إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥٨ بتوقيع اللواء « فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبناني ، والذي انتخب بعد الازمة رئيسا لجمهورية لبنان ، وقد كانت تلك أول رسالة يكتبها الرئيس الجديد ، وقد كتبها على الاوراق الرسمية لقائد الجيش .

الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني
قائد الجيش
اركان الحرب (الغرفة)

سيادة الاخ الرئيس

٢٨٢
٥٨/٩/٨٠

من دواعي اغتباطي الشديد ان تكون اول رسالة كتبها بعد وقوع اختيار مواطني اللبنانيين على شخصي للقيام بمهام رئاسة الجمهورية ، هي التي اوجبهها الى سيادتك .

واذا كنت أرى هذه الفاتحة ولادة الامر الطبيعي اكثر مما هي ولادة الصدفة ، فاني لأجد فيها رمزا عفويا لما ارجوه من عهد جديد بين الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة ولبنان .

لقد قامت الجمهورية الشقيقة بخطوات ايجابية للمعاونة على تصفية الجو بينها وبين لبنان ، واني وكل من امكنه ان يطلع على الوقائع كما اطلعت لنعرف في هذه الخطوات رغبتكم وتدخلكم الشخصي ونسجل فيه فصلكم الكبير .

ويسعدني انكم تعرفون ما عندي من رغبة مماثلة . وتقدر انني سأبذل اقصى الجهد لازالة التوتر الذي اصاب علاقات بلدنا الاخوية ، واعادتها الى اصغي مما كانت عليه في سابق العهد وامتن ، تحقيقا لحيرهما جميعا ، ولسلامة وحدة الصف العربي كله وتراضيه .

ان تلك الخطوات الاخيرة من قبل الجمهورية الشقيقة ، تشجعني على البحث منذ الان ، أي قبل تسلي رسما مقاليد الرئاسة ، في خطوات ايجابية اخرى من جانبها تساعد كثيرا على دخول بلدنا دون ابطاء في عهد من التعاون العملي المبني على الاخلاص والصراحة .

.../...

الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني
قائم الجيش
اذكان الحرب (الفرقة)

٢

ولقد عهدت الى الصديق العزيز السيد علي بزي ان يعرضها لسيادتك ، وهو محل
ثقتنا وتقديرنا الشخصية وثقة وتقدير جميع من عرفوا تجرد ومزاياه الكثيرة ، ووطنيتهم الصادقة
التي دفعتهم دائما للسمعي من اجل قيام اوثق التعاون والنصافي بين لبنان وكل بلد عربي بنوع
عام ، وبينه وبين الجمهورية العربية المتحدة بنوع خاص .
واني وانا اعرب عن أمتي ، بل ثقتي ان يلتقي لدى سيادتك ما يكمل سعيه بالنجاح ،
ارجو ان تتفضلوا يا سيادة الرئيس بقبول اصدق مواطني الاخوية متمنيا لشخصكم الكريم التوفيق
والسود ، ولشعب الجمهورية الشقيقة السعادة والمجد . /

الدكتور فؤاد سراج
فؤاد سراج

٣٠

الوثيقة رقم

صورة لمسودة خطاب من الرئيس « جمال عبد الناصر » وبخط يده إلى الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » وهو يتضمن ردا من الرئيس على رسالة من « خروشوف » حملها المشير « عبد الحكيم عامر » .

عزيزى الرئيس
نيكيتا خروشوف

الرئيس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عزيزي نيكيتا خروشوف

تلقيت رسالتكم الدرجة المتبركة

التي جاء فيها ما دل على حسن النية التي أبدتها
لكم مع مصر وتعبيرت عن تقديركم لجهودكم

عامة ما هيأتكم به من الدعم الذي حظيتم به في
مجالكم على وجه الخصوص اعطاهم فتحه لستة اشهر
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت

التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت

التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت

التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت

التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت

التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت

التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت
التي امكنكم فيها كسر عترة ٢٤٤ التي كانت

تلقيت رسالتكم الودية
التي حملها المشير
عبد الحكيم عامر
ولا يسعني إلا أن أعبر
لكم عن مزيد شكرى
وتقديرى لاحتفالكم
بالمشير عامر واهتمامكم
ببحث الأمور التي طلبتها
ج . ع . م . وكان لموافقكم
على إعطاء قرض لتمويل
مشروع السد العالي صدق
كبير عند شعب ج . ع . م
الذى ينظر إلى الاتحاد
السوفياتى نظرة الصديق
للصديق ، وإن هذا العمل
من جانبكم إنما جاء تأكيدا
لمساندة الاتحاد
السوفيتى دائما
للجمهورية العربية
المتحدة سواء في كفاحنا
من أجل الاستقلال ورد
العدوان أو في مجهودات
التنمية الاقتصادية .
ولا شك أن مساندة الاتحاد
السوفيتى لنا في العام
الماضى من أجل العمل في
تنفيذ مشروع الخمس
سنوات الاول للتصنيع
كان له أكبر الأثر في تحقيق
هدفنا من أجل إزالة جميع

٣١

الوثيقة رقم

صورة اطول خطاب كتبه « جمال عبد الناصر » إلى الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » وكان ذلك بعد أن استفحلت الخلافات بين الاثنين في ربيع سنة ١٩٥٩ . وقد جاء هذا الخطاب ردا على خطاب سبقه من « خروشوف » ويحتوى نص رد « جمال عبد الناصر » على كل النقاط التي اثارها « خروشوف » في رسالته الاصلية .



الرئيس

صاحب السعادة السيد نيكيتا م. خروشوف
رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي

عزيزى الرئيس

بهذه ان اوضح لكسم في بداية هذا الرد على خطابكسم بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩٥٩ هـ ان الأخير لم يقدده وارساله اليك لم يكن له من صواب الا ان هذاكم اثار طائفة من القضاة والقضاة استخرجت دراستها وبراجتها واثباتها .

وبعد ذلك فان أكباد امسوا أن التفسير الذي ارسله اليكم ساهركم في القاهرة السيد ديمتري كيميلف من الاجتماع الذي سلمني به هذا الخطاب هـ وما ورد في حديثي مع السفير هـ حتى قبل أن نتاح لي فرصة الاطلاع على تفاصيله هـ قد حوى جزء كبيراً من ردنا عليه هـ .

وسبب ذلك هـ انه وان كان الظلام قد بدأ يهود العلاقات بيننا كما مبرهن من ذلك في خطابكم هـ بمراجعة حقوق هـ لان الاحباب التي أدت الى هذا الظلام هـ والمحنة ظاهرة هـ .

والي لأجد لزماً على قبل أن استطرد الى ذكر وجهة نظرنا ليس

(٢٦)

صاحب السعادة نيكيتا س . خروشوف
رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي
عزيزي الرئيس

ينبغي أن أوضح لكم في بداية هذا الرد على خطابكم بتاريخ ١٢ أبريل سنة ١٩٥٩ ، أن التأخير في إعداده وإرساله إليكم لم يكن له من سبب إلا أن خطابكم أثار طائفة من النقط والوقائع استغرقت دراستها ومراجعتها وقتا طويلا .

ومع ذلك فاني أكاد أتصور أن التقرير الذي أرسله إليكم سفيركم في القاهرة السيد ديمتري كيسيليف عن الاجتماع الذي سلمني فيه هذا الخطاب ، وما ورد في حديثي مع السفير ، حتى قبل أن نتاح لي فرصة الاطلاع على تفاصيله ، قد حوى جزءا كبيرا من ردنا عليه .

وسبب ذلك ، انه وإن كان الظلام قد بدأ يسود العلاقات بيننا كما عبرتم عن ذلك في خطابكم - بصراحة وبحق - فإن الأسباب التي أدت إلى هذا الظلام - واضحة ظاهرة . واني لأجد لزاما على قبل أن أستطرد إلى ذكر وجهة نظرنا في هذه الأسباب ، أن أقرر أنه ليس هناك من هو أكثر مني أسفا على الحالة التي وصلت إليها علاقتنا .

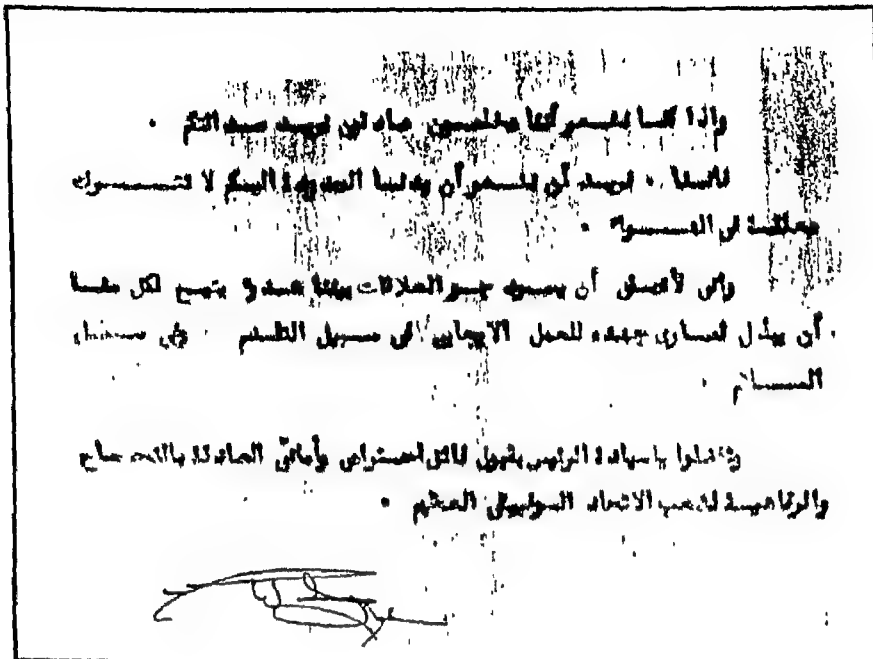
فلقد كنت - ومازلت - أعتر بالصدقة التي جمعت بين بلدينا - واستطعنا في إطارها أن نواجه طائفة من المصاعب التي اعترضت سبيل التطور التاريخي نحو الاستقلال الوطني في الشرق الأوسط والتي كادت في كثير من الأحيان أن تتطور إلى تهديد خطير للسلام العالمي كله .

كذلك كنت - ومازلت - أعتر بأننا في العلاقات بيننا ، رسمنا لدول كثيرة غيرنا من الدول الصغرى في أفريقيا وآسيا نموذجا للعلاقات الدولية بين بلدين تتفاوت مراتب القوة بينهما ، وتتباعد النظم الاجتماعية فيهما ، ومع ذلك فانهما وجدا أرضا للقاء مشترك قائم على المساواة .

ولقد كنا نشعر أن المدى الذي وصل إليه تعاوننا المتكافئ لا يلتزم حدود بلادنا فحسب ، وإنما هو يتعداها ليكون مثالا لغيرنا من الشعوب التي تمر بنفس ظروفنا ، وأظنكم يا سيادة الرئيس تستطيعون أن تجدوا في تطورات علاقتكم مع دول كثيرة في أفريقيا وآسيا شواهد متعددة على الأثر الذي أحدثه النموذج الحي الذي صنعناه بالعلاقات بيننا .

ولم تكن نرضى بسهولة أن نفرط في هذا الكسب العظيم الذي حققناه في ميدان العلاقات الدولية تطبيقا لمبادئ باندونج .

وفق ذلك ، فانكم لتعلمون يا سيادة الرئيس إنه إذا كانت قوة الدول الكبرى تقاس بأرصدها من الأسلحة النووية والقاذفات عابرة القارات ، فإن الدول الصغرى - في المعترك العالمي - تقاس قوتها بأرصدها من الصداقات الدولية ، ولقد كانت صداقتنا معكم بندا هاما في رصيدنا الدولي ، بحيث لم يكن من المتصور أن نتطوع بتبديد أي قسط منها ، الأمر الذي يزداد وضوحا إذا ما راجعتم ما تعلمونه أكثر مني عن موقف الاستعمار من القومية العربية ،



وتربص به ، لكي يسترد منها ما انتزعتة شعوبها من انتصارات ضده في منطقة ظل يعتبرها ميدانا لنفوذ منذ قرون ، ثم ليثبت هذا النفوذ بعد ان يسترد ما ضاع منه .

وحتى لو لم يكن ذلك موقف الاستعمار المتربص بنا ، فإن حرصنا على صداقتكم في حد ذاتها يكفي لكي نبذل لتأمينه ، ولصيانتها ، كل جهد .

وانكم لتعرفون يا عزيزي الرئيس - ان صداقتنا معكم كانت بالنسبة لنا فرصة التعاون الوثيق معكم - ولم تكن هذه الصداقة بالنسبة لنا نقطة مساومة ، ولا كانت عملية مضارية ضد كتلة دولية قوية بكتلة دولية اخرى تتوازن معها في القوة .

ولقد كانت هذه المبادئ ، وما تعرضنا له بسبب ايماننا بها هي التي فتحت لكم طريق معرفتنا على النحو الصحيح ، رغم انكم في بداية ثورتنا القومية سنة ١٩٥٢ - ناثرتم بما كانت تروجه الجماعات الشيوعية في بلادنا ضد هذه الثورة - ومن ثم تجدون سيادتكم في اذاعتكم وفي صحفكم خلال هذه الفترة الاولى من سنين ثورتنا القومية إشارات لها باعتبارها حركة فاشستية ، وكنا في ذلك الوقت كما تذكرون نحارب معركة لا هوادة فيها ضد الاستعمار البريطاني .

ولكن هذا الموقف البدائي عن ثورتنا ، لم يغير من ايماننا بمبادئنا ، وكذلك لم يغير من تقديرنا لكم حين اقتنعتم بمنطق الحوادث ذاتها بخطأ الصورة التي نقلت إليكم ، ولقد خضنا - يا سيادة الرئيس - معركة ضد الاحلاف العسكرية الاستعمارية ، وكانت هذه الاحلاف

موجهة دون موارد إلى بلادكم وشعوبكم ، وتستهدف تطويقها بالقواعد العسكرية والمطارات المعدة لقاذفات القنابل الذرية .

ولقد رفضنا بوحى من مبادئنا وحدها ومن غير إتصال بيننا كما تعلمون سيادتكم أن نكون إحدى حلقات الحصار الذرى من حولكم بل ولعلكم يا سيادة الرئيس تذكرون أن حربنا ضد الاحلاف الاستعمارية التى يتجه عدوانها إليكم ، لم تقتصر على حدود بلادنا ، وإنما كنا نحارب المعركة من أجل مبادئنا فى منطقة بأكملها تحيط بنا ويرتبط تاريخها بتاريخنا ، ومصيرها بمصيرنا .

وفى ذلك الوقت ، وفى تلك الظروف ، يا سيادة الرئيس وجهت إلينا التهم من غير حساب ، من ناحية الدوائر الاستعمارية والصهيونية التى تعرفونها جيدا .

واتهمنا فى ذلك الوقت بأننا لا نعرف مصلحتنا ، وكانت مصلحتنا فى منطق الاستعمار أن نتحول إلى قواعد عسكرية ومطارات ذرية .

واتهمنا فى ذلك الوقت بأننا نخرق وحدة العرب ، وكانت وحدة العرب فى منطق الاستعمار أن نساير الذين أقاموا حلف بغداد الاستعماري أو فى القليل نهاذهم .

واتهمنا فى ذلك الوقت بأننا نتدخل فى الشؤون الداخلية لغيرنا ، وكان اقناعنا عن التدخل فى منطق الاستعمار أن نتركه يضم الدول العربية واحدة بعد واحدة إلى حلف بغداد وأن يجر شعوبها واحدا بعد الآخر إلى ميدان الحرب الباردة ، وأن يقامر بها فى مغامرة الحرب الساخنة التى كانت احتمالاتها تزداد خطرا لو أن حلف بغداد العدوانى حقق مآربه وتوصل إلى أغراضه ، ولكن إيماننا يا سيادة الرئيس - بعدم الانحياز - حتى من قبل باندونج - جعلنا نقف من مشاريع الاستعمار العدوانية موقف المناضل العنيد .

كذلك كان إيماننا بالقومية العربية هو الذى جعلنا نمد حدود المعركة خارج بلادنا دفاعا عن أمة ينص دستورنا كما تعلم يا سيادة الرئيس على أن شعبنا جزءا منها ، كذلك كان ينص دستور سوريا قبل الوحدة ، وكذلك ينص الآن دستور العراق بعد ثورته الوطنية فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

وانكم لتذكرون أن المعارك بمختلف أشكالها فرضت علينا فرضا حتى نتحول عن الايمان بمبادئنا .

ولقد حاولت قوات الإحتلال البريطانية التى لم يهدأ كفاح شعبنا ضدها خلال عشرات السنين ، أن تعزل منطقة من أرضنا فحملنا السلاح لكى نجعل حياة جنود الإحتلال فى هذه المنطقة جحيما لا يحتمل .

ثم حاول الدهاء البريطانى على مائدة المفاوضات أن يأخذ منا باليسار ما كان يوهمنا أنه يعطيه إلينا باليمين ، ولكن الدهاء البريطانى اضطر أن يوقع على اتفاقية الجلاء فى خريف ١٩٥٤ .

وحين رفضنا أحلاف الاستعمار بدأت محاولات اخضاعنا باحتكار السلاح ، ومنعه عنا ، وتحريض إسرائيل ، كما جرى فى الغارة على غزة بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٥ - أن نعتدى على أرضنا .

ثم كان التضيق الاقتصادي علينا تمهيدا للحصار الكامل ثم كانت حرب الدعاية ضدنا وتشويه مقاصد ثورتنا وأهدافها ، هذه الحرب التي وصلت ذروتها في إبان معركتنا الأولى لإسقاط حلف بغداد في الشهور الأولى لسنة ١٩٥٥ .
وخلال هذا كله ، كما لابد تذكرون يا سيادة الرئيس لم تكن الصلات بيننا قد توثقت ، ولا كان التعاون بين بلدينا قد ترابطت عراه .

وإنما كان الأمر بالنسبة لنا أمر مبادئ أمننا بها ، ووجدنا واجبنا الوطني أن ندافع عنها بكل ما في طاقتنا من القدرة على التضحية والصمود بل والعناد وهي صفة أجد الآن مع الأسف ، أنها لم تعد تلق الفهم الذي كانت تلقاه ، وتحولت في تقديركم إلى عيب كبير ، وكانت من قبل ، في ظروف أخرى ، مزية كبيرة .

ولو أن الإصرار على التضحية والصمود - بل والعناد - كانت أقل ما هي فعلا - لكان من العسير علينا يا سيادة الرئيس أن نواجه الاستعمار بمثل ما واجهناه به من رفض للمساومة في استقلالنا ومن إغراض عن مشاريعه العدوانية ، ومن حرب على هذه المشاريع كيلا تنجح في بلادنا ، ومن تحمل للتضيق الاقتصادي ، ومن مواجهة لحرب الأعصاب والدعاية ، ومن احتكار للسلاح .

ولولا هذا الإصرار والصمود ، بل والعناد يا سيادة الرئيس ما كانت أيدينا قد وجدت الشجاعة أن تمتد لكي تطلب منكم السلاح الذي قبلتم مشكورين في ذلك الوقت أن تبيعهوا لنا - بعد أن تبين لكم في غير شك أو تردد أن ثورتنا الوطنية لا تضرب جذورها إلا في أرض آبائنا .

وهكذا يا سيادة الرئيس ، تكفلت التجربة العملية ، وتكفلت الحوادث نفسها ، بأن تغير موقفكم من ثورتنا الوطنية ، فاصبحت تعرفونها على حقيقتها ، وليس كما حاولت بعض الجماعات التي ترفع الاعلام الشيوعية ، والتي فشلت في استغلال الثورة الوطنية في مصر لصالحها ، أن تصورها لكم .

وهذا تجلّى في تعاملكم معنا اثر هذه المعرفة ومن ثم بدأت العلاقات بين بلدينا تدخل طوراً جديداً من أطوارها تقوم أسسه على مبادئ التعايش السلمي .

وانكم لتعلمون - يا سيادة الرئيس - أن الاستعمار وقد هاله التأثير البعيد المدى لهذا النموذج الذي حاولنا أن نرسمه في العلاقات الدولية - قد حاول بعدها بكل ما وسعه الجهد أن يقطع هذه الصلات التي قامت بيننا .

هكذا راح الاستعمار يتهمنا بأننا أصبحنا منطقة لنفوذكم . بل مستعمرة لكم .

ثم راح الاستعمار يحاول تشكيكا فيكم وهو يصور لنا انكم ما مددتم يد التعاون إلينا إلا لانكم تريدوننا لعبة في الحرب الباردة .

بل راح الاستعمار يقدم إلينا من المغريات ما يباعد طريقنا عن التعاون معكم ، وفي تلك الظروف كما تعلمون تقدم إلينا عرض المساهمة والمساعدة ، في تمويل مشروع السد العالي ، ولكن التكتيك لم يلق غير الفشل .

وكذلك لم يستطع الاغراء - مهما بلغت شدته - أن يجعلنا نفرط فيما نؤمن أنه مبدأ وعقيدة .

وهكذا دخلت علاقاتنا مع الاستعمار في مرحلة عنيفة بدأت بمحاولة عقابنا على كل ما اصررنا عليه وصمدنا وعاندنا ، وكان من ذلك سحب عرض المساهمة - والمساعدة - في تمويل السد العالي - وبالطريقة التي تم بها هذا السحب ، وغير خاف عليكم يا سيادة الرئيس ما كان هذا السحب ، والطريقة التي تم بها ، تستهدفه من تأثير في الأوضاع الداخلية لجمهورية مصر في ذلك الوقت

وكان أمامنا - إما أن نستسلم لكل هذه الأنواع من الضغط يا سيادة الرئيس ، ومن ثم يضيع كل ما حققناه ، وتنهار مبادئ الثورة الوطنية في مصر وهي الركيزة القوية للقومية العربية ، وتعود المنطقة كلها كما كانت منطقة نفوذ للاستعمار دون منازع ، وقاعدة عسكرية هائلة لأحلافه العسكرية العدوانية .

وإما أن نصمد وأن نستنجد بكل ما في طاقتنا من الإصرار على التضحية والصمود ، بل والعناد أيضا ، لكي نحبط خطة الاستعمار ونفوت عليه هدفه .

وعادت قناة السويس إلى الشعب الذي حفرها بشقائه وعنائه عادت إليه لتساهم في بنائه ورخائه ، وكانت تلك كما تعلمون سيادتكم ضربة لا إلى الاستعمار وحده وإنما إلى كل القوى التي تحركه وفي مقدمتها الاحتكارات المتخلفة من أفكار القرن التاسع عشر .

ولقد قمنا بهذه الخطوة وحدنا كما تذكرون سيادتكم لم نتشاور فيها معكم ولا حملناكم شيئا من تبعات ما يمكن أن نواجهه نتيجة لها ، وكنا ندرك منذ البداية أن المعركة ستكون عنيفة مضنية ، ولكنها كانت بالنسبة لنا معركة دفاعية لا مفر منها ، ولا بديل عنها إلا أن نستسلم للأمر الواقع كما يريد الاستعمار أن يفرضه .

ولقد كان عرفاننا عميقا ، وتقديرنا بالغا ، لما أعلنتم بعد ستة وثلاثون ساعة من تأميم قناة السويس أنكم تؤيدون موقفنا .

ولقد كنا ندرك خلال الساعات التي سبقت إعلان رأيكم أن من حقكم أن تدرسوا التطور الكبير الذي كان مفاجأة لكم ، وأن تقدرُوا نتائجهُ بأنفسكم قبل أن تحدّدوا موقفكم منه .

ولقد حاولنا بعد التأميم بكل طاقتنا أن نشرح للرأي العام العالمي موقفنا وأن نحبط خطط العدوان الاستعمارية التي بدأت نذرها تملأ الجو من حولنا وذهبنا إلى الأمم المتحدة نحتكم للعقل حتى لا يكون الاحتكام للمدافع وما قد يجره ذلك على السلام العالمي من أخطار .

ولا نستطيع يا سيادة الرئيس أن نصل إلى هذا الحد من استعراضنا للأمور - دون أن نعود للاشادة بما كان لكم . ولدول أخرى صديقة في طليعتها جمهورية الهند ، من جهد بارز في محاولة الوصول إلى حل سلمي لذلك الموقف الذي بدأ العالم يسمع فيه قعقعة السلاح .

ولكن الاستعمار الذي فقد قاعدته في بلادنا ، وفقد نفوذه في المنطقة من حولنا ، والذي ضيع مع هذه الهزائم منطق الحق والعدل لم يجد باقيا في يده من وسائل العمل غير السلاح .

وانى لاستبيحك العذر - يا سيادة الرئيس - اننى اعيد عليك هذا كله الآن ، ولكنى اجد هذا امرا لا مفر منه في هذه المرحلة من علاقاتنا إذا كنا نريد بإخلاص وصدق أن نبديد الظلام الذى بدأ يسود علاقاتنا .

فإنه ما لم توضع المسائل كلها بوضوح ، وما لم يترابط سياقها في غير مجال اللبس فإننا سنتعرض للمذى يبدو لى أننا تعرضنا له فعلا من سوء الفهم أو سوء النقل ولست أخفى عليك أننى بعد أن فرغت من قراءة خطابك لى بتاريخ ١٢ أبريل تملكتنى الدهشة لبعض ما ورد فيه حتى لقد أحسست أمام بعض الفقرات أننى أقرأ مقالا في إحدى صحف الغرب ، حيث تنحرف الوقائع عن أصلها ، وحيث تمتلئ الفجوات بين الحوادث بالتصورات وحيث تعز الحقائق على الكتاب فيلجأون إلى الخيال .

وإن التفسير الوحيد الذى أجده في قدرتى لذلك الوضع هو أن أخطاء لا تغتفر قد وقعت في الفهم ، أو في النقل ، أو في الترجمة ولعلك لم تنس يا سيادة الرئيس أنك قلت لى مرة أثناء اجتماعنا في شهر مايو سنة ١٩٥٨ أن أخطاء في الترجمة كانت من أهم أسباب الخلافات بينكم وبين الماريشال جوزيب بروز تيتو رئيس اتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية الاشتراكية الشعبية .

ويظهر أن هذا السبب ، سوء الترجمة على أرجح الفروض ، قد عاد يفعل نفس التأثير المدمر في أزمة العلاقات بين بلدينا .

لهذا فإننى كما قلت لك - حريص في هذه المناسبة أن لا أضيع هذه الفرصة ، في هذه اللحظات الحاسمة ، لكى أشرح لك باستفاضة وتفصيل كل وجهة نظرى كما أراها وأسجل ذلك كتابة على الورق لا أتركه لذاكرتك أو لذاكرتى ، ولا لقدرة مترجم يقدر أو يعجز عن التعبير .

عزيزى الرئيس ..

وإنكم لتذكرون كيف جاءنا العدوان على غير انتظار ، أنه وقت كنا فيه نعتقد - وكانت المعلومات التى أتيتم بها إلينا في ذلك الوقت تساند هذا الاعتقاد - بأن ذروة الأزمة قد مرت بسلام ، وأن المفاوضات التى تقرر أن تستمر في جنيف والثى حدد لها يوم ٢٩ أكتوبر تحت إشراف الأمم المتحدة قد قضت إلى حد كبير على احتمالات التدخل العسكرى المسلح . ولكن العدوان كما تذكرون سيادتكم جاء في نفس الوقت الذى كنا نستعد فيه للمفاوضات في جنيف .

ولقد وجدنا أنفسنا فجأة نتعرض لعدوان بشع لا أجد في وصفه أبرع ولا أدق من العبارات التى وصفته في أحاديثكم العديدة وفي خطبكم التى نقلتها الأنباء إلينا في ظروف تلك الأزمة العصبية والثى كان لها من الوقع في نفس الشعب المصرى وفي نفوس الشعوب العربية ، وفي نفسى كمواطن عربى ، أثرا لا أظننى أقدر على أن أفيه حقه من الوفاء والوقار .

ودعنى هنا يا سيادة الرئيس أوضح نقطة اشتد فيها الجدل بيننا والنقاش .

لقد قلت في خطبة القيتها في دمشق أننا نقف في مواجهة العدوان الثلاثى في ميدان القتال وحدنا ننتظر معونة أحد .

ولكن هذه العبارة على ما أحسست من خطابك ومن تصريحاتك لك - لم تقع منك موقع الرضا .

وأحب أن أقول أنه لم يخطر في بالي ، ولا في بال أحد من أعضاء حكومتى أن يقلل من قيمة الإنذار الذى وجهه رئيس الوزراء السوفييتى فى ذلك الوقت ، ولكن هذا لا يعنى أن الحقيقة التى أوردتها فى خطابى بدمشق ليست صحيحة إلى أبعد الحدود .

لقد كنا فى ميدان القتال وحدنا .

كان جنودنا فى سيناء يحاربون على أرض سيناء وحدهم .

وكان جيشنا وشعبنا فى بورسعيد يحاربون فى شوارع بورسعيد وحدهم .

ولم نكن نؤمل فى عون إلا من الله .

ولعلك يا سيادة الرئيس تذكر أنه فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر ، تصادف أن زار الاتحاد السوفييتى وقتها السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وأنه وجد بدافع التضامن العربى وبحافز الأخوة المخلصة أن يتباحث مع أقطاب حكومتكم فيما يمكن أن تقدمه بلاككم لنا من مساعدة .

وكان العدوان الثلاثى ضدنا كما تذكرون سيادتكم قد بدأ يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ وكانت زيارة الرئيس شكرى القوتلى تبدأ يوم ٣٠ أكتوبر ، ثم أتاحت له فرصة التباحث مع رئيس الوزارة السوفييتية السيد نيكولاى بولجانين بحضور عدد من قادة الاتحاد السوفييتى وكبار مارشالاته العسكريين ، ثم تلقيت رسالة بعث بها إلى الرئيس شكرى القوتلى حددت موقفكم من العدوان وكانت هذه الرسالة تمثل الموقف كما حدده الرئيس القوتلى بعد اجتماعاته بقيادة الاتحاد السوفييتى .

وكان واضحا فى هذه الرسالة :

١ - أن الاتحاد السوفييتى غير مستعد لدخول حرب عالمية .

٢ - أنه على هذا الأساس لا يستطيع الاتحاد السوفييتى أن يتدخل عسكريا ولا حتى بإرسال متطوعين .

٣ - أن أقصى ما يمكنه عمله لمساعدتنا هو إرسال بعض المعدات إلينا ومعها بعض الفنيين .

وأؤكد لك يا سيادة الرئيس - أننى قدرت هذه الرسالة حق قدرها ولم يخطر ببالي حتى فى الجو المكفهر الذى كان يحيط بوطننا وقتها أن احملكم فوق ما تقررون أنكم قادرون على احتماله .

ولقد كان كل ما فعلته وأسمح لى أن أذكرك هذا السر الآن أننى نزعته هذه الرسالة من الملف الذى كان يضمها ووضعها فى جيبى لأنى لم أشأ أن يطلع عليها من قد تتأثر روحه المعنوية بقراءتها .

ولم تخرج هذه الرسالة من جيبى إلا بعد أن كانت المعركة قد انتهت فامرت أن تعاد إلى مكانها فى الملف كإحدى وثائق الدولة وشواهد التاريخ .

وما زلت أعتقد أن هذه الوثيقة شرف كبير لنا ، إذ هي خير دليل على أننا حاربنا ولم تكن في ميدان القتال وحدنا فقط ، وإنما كنا ندرك أيضا أننا سنظل وحدنا .

ولعلك تدرك يا سيادة الرئيس أن الإنذار السوفييتي الذي لا يستطيع أحد أن ينكر أثره قد صدر من موسكو مفاجأة لنا بعد أن مرّت تسعة أيام كنا فيها في ميدان القتال وحدنا ، ولقد كان يمكن أن نفقد عزيمتنا ، ولقد كان يمكن أن يشد اليأس بنا ، ولقد كان جائزا يا سيادة الرئيس أن نستسلم أمام ثلاث دول هاجمتنا فجأة وبينها دولتان من الدول العظمى - كان يمكن أن نستسلم بعد يومين أو ثلاثة ، أو أسبوع بل لقد كان يجوز أن نستسلم صباح اليوم الذي صدر فيه إنذاركم من موسكو وماذا كان يجدي الإنذار يومها يا سيادة الرئيس إذا كان موضوعه قد انتهى وسقط .

وإذن فإن الأمر على حقيقته لم يكن فقط أن الشعب المصري حارب وحده في الميدان ، ولم يكن فقط يعرف أنه سيظل وحده في الميدان بل كان كل شيء حتى الإنذار السوفييتي الذي صدر بعد تسعة أيام من بدء القتال يتوقف على صمود هذا الشعب واستعداده للتضحية ، بل وتصميمه على العناد .

ومع ذلك فلقد أشدنا بالإنذار السوفييتي وأثره ، ولم تكن نمل الحديث عنه عرفانا وإقرارا .

لقد كانت إشاراتنا بأثر هذا الإنذار من أسباب تعرضنا بعد العدوان لحملة عنيفة اتهمنا خلالها بأننا نسيينا الموقف الذي اتخذته الأمم المتحدة ، ونسيينا دور الضمير العالمي في وقف العدوان .

ولقد كان الأمر الذي استوجب التصريحات التي لم تقع منكم موقع الرضا عن الحقيقة في أمر العدوان - أن إذاعات كثيرة تنطق باسمكم وصحف تصدر في بلادكم راحت وسط مناقشات بيننا وبين الحزب الشيوعي السوري تعود بالفضل كله إلى هذا الإنذار وتصور الأمر على نحو يبدو معه أن الشعب المصري لم يقاتل والشعب السوري لم يهب ، والشعوب العربية كلها لم تتحفز ، وإنما هي جميعا قبعت ساكنة في انتظار أن ينقذها هذا الإنذار .

ولقد كان واجبا على أن أحق الحق وأرد الأمر إلى نصابه وأن أضع دور شعبنا في مكانه الصحيح باعتبار أنه كان الجيش الحقيقي بل الجيش الوحيد في ميدان القتال ، ولست أرى أنه يمكن إنكار هذه الحقيقة كذلك لست أرى أنه ينبغي الإقلال من قيمتها أو تجاهلها .

أما الحديث هنا عن دور الله في المعركة والتساؤل الذي ورد في خطابكم - وتكرر قبل خطابكم في بعض إذاعاتكم - في معرض التساؤل عما فعله الله وعما فعله الاتحاد السوفييتي ، فإنني أسمح لنفسى أن أقول أننا لا نفصل الدور الذي قام به الله في معركتنا عن الدور الذي قمنا به بأنفسنا ، ذلك أن إيماننا العميق هو أن روح الله كانت في قلوبنا تشد عزائمنا وتقوى بأسنا .

وليست هذه يا سيادة الرئيس محاولة للتبشير بالدين ، وإنما هي محاولة لإظهار أن المقاييس المادية لا تكفي وحدها لوزن الأمور في كثير من الأحيان .

ولو أن هذه المقاييس المادية وحدها طبقت في ظروف العدوان لكان حتما علينا أن نستسلم ولا نقاوم ، وأين هو العقل الذي يقبل أن يقف شعب صغير في مواجهة دولتين من

الدول العظمى معهما دولة ثالثة من صنائعهما ، جاءوا من كل ناحية حولها وسدوا مداخل البحر - وكان لابد أن يسدوها بأساطيلهم ، وسيطروا على الجو وكان حتما أن يسيطروا عليه . وانك لتذكر أن المعلومات التي توافرت لديكم أثناء ما ذكرت - كما ورد في ذلك الوقت في إذاعاتكم بأن ما اشترك من طائرات عدونا في العمل ضدنا وصل إلى أكثر من ألف وخمسمائة طائرة .

وكنا وحدنا في مواجهة هذا كله يا سيادة الرئيس حتى من الناحية الجغرافية ، وهبوا جدلا انكم أردتم وقتها أن تسيروا جيوشكم لنجدتنا فكيف كانت تصل إلينا وبيننا وبينكم بحار وبلاد تعيش فيها دول بعيدة عن موضوع النزاع .

ودعنى أعود فأكرر أننا كنا نقدر موقفكم ونفهم دوافعه ، ولم يخطر ببالنا في أى وقت أن نطلب منكم - أو نتوقع - أن تدخلوا حربا عالمية من أجلنا .

واننا لندرك بانكم تزنون الأمور حق وزنها ، وما من منطق يرضى أن تتولى تجارب بلادنا ، أن تفرض عليكم موعد الحرب العالمية الثالثة وإنما لظروفكم اعتباراتها الخاصة ، ولقاييسكم أسبابها ، وينبغي أن يكون أصدقاؤكم أول من يفهم ويقدر ، ولقد كنا - ولازلنا - يا سيادة الرئيس نعتبر أنفسنا من أصدقاؤكم ، ولذلك حاولنا أن نكون أول من يفهم ويقدر . ولقد تعرضنا كما تذكرون بعد العدوان مباشرة لمحاولات أخرى حاولت أن تحقق نفس أهداف العدوان بأساليب أكثر هدوءا وأقل صخبا .

ولكن هدف الاستعمار بقى نفس الهدف وهو أن يقضى على بلادنا وعلى الركيزة التي رست في أرضها حركة القومية العربية .

وكل الفارق بين المحاولات الجديدة والمحاولات السابقة هو الفرق بين محاولة قتل فرد بالرصاص وقتله بالجوع .

ولربما كان القتل بالرصاص أكثر صخبا .

ولكن محاولة القتل بالجوع كانت أشد قسوة .

وفي الوقت نفسه بدأت كما تذكرون محاولة عزلنا عن باقى الدول العربية المحيطة بنا . اشتد الحصار الاقتصادي علينا ، وبذرت الشكوك بيننا وبين اخواننا ، بل ولفقت ضدنا الأدلة المزيفة .

وما أكثر ما تردد في ذلك الوقت يا سيادة الرئيس أننا نتدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد أو ذاك من البلاد المحيطة بنا . .

ولقد قيل في ذلك الوقت أننا نتدخل في شؤون لبنان الداخلية وقيل في ذلك الوقت أننا نتدخل في شؤون الأردن الداخلية ، بل وجرى الإدعاء على حد إتهامكم معنا في مؤامرة تستهدف السيطرة على الأردن واتخذ ذلك ذريعة للقيام بانقلاب على الحكم الوطنى في الأردن . وقيل في ذلك الوقت أننا نتدخل في شؤون المملكة العربية السعودية الداخلية وفي شؤون السودان وفي شؤون ليبيا ، وفي شؤون تونس .

ومن عجب يا عزيزى الرئيس أنكم في رسالتكم بتاريخ ١٢ أبريل أكملت الطريق إلى الحد الذى اهتمونا فيه بالتدخل في شؤون الاتحاد السوفييتى الداخلية .

وبالذات من طريق طويل ، ذلك الذى قطعه تدخلنا المزعوم فى الشؤون الداخلية لغيرنا منذ بدانا نحاوله فى الأردن وحتى وجدنا الجراة على أن نمارسها فى الاتحاد السوفيتى ذاته . وعلى أى حال فقد كان موقفكم من تهم التدخل التى وجهت إلينا فى الماضى تختلف عن موقفكم الآن ، ولقد كان واضحا فى ذلك الوقت أنكم تعرفون دور الاستعمار وتدون خطته ، وكانت إذاعاتكم وصحفكم بل وتصريحاتكم شخصا فى ذلك الوقت ، من أكبر العوامل الفعالة فى كشف المؤامرة الموجهة إلى عزل مصر عن العالم العربى والتى اشتهرت باسم مشروع ايزنهاور .

بل ولقد مضيتم يومها فى مشاركتنا فى دفع خطر هذه المحاولة لتحقيق أهداف العدوان بوسائله المختلفة إلى حد إيجابى ، حينما استجبتم لما طلبناه منكم فى إرسال بعثة من بلادنا توجهت إلى عاصمتكم برئاسة المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية يطلب منكم المساهمة فى تمويل مشروعاتنا الصناعية التى وجدنا أنه لابد لنا من القيام بها لمواجهة الحصار الاقتصادى وحرب الجوع الموجهة إلينا .

ولقد تمكنا بفضل روح التعاون التى لقيتها بعثتنا فى عاصمتكم ، وبفضل الجهود التى كنتم تبذلونها شخصيا ، من الوصول إلى اتفاقية للتعاون الاقتصادى ثم توقيعها فى ١٨ من نوفمبر ١٩٥٧ ، وبمقتضاها وضعت تحت تصرفنا مبلغا يساوى ٦٢ مليوناً من الجنيهات قرضا يسد على آجال طويلة ويخصص لمشروعات التنمية الاقتصادية فى بلادنا .

وينبغى أن أذكر لك هنا ونحن نتحدث بهذه الصراحة فى محاولة جادة لتصفية أسباب الظلام الذى بدأ يسود علاقتنا - أن البعثة المصرية فى موسكو واجهت بعض ما أثار انتباهها فلقد جرى حديث بين السيد تسائيسيف رئيس قسم الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية السوفيتية وقتها ، وهو يتولى منصب السفير السوفيتى فى العراق الآن - وبين ثلاثة أفراد من أفراد البعثة المصرية هم اللواء حافظ إسماعيل نائب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، واللواء عبد العزيز مصطفى قائد المشروعات ، واللواء جمال عفيفى مدير العمليات فى سلاح الطيران - وفى هذا الحديث الذى دار فى قصر الكرملين سمع الثلاثة من السيد تسائيسيف ما ملخصه :

« أن الحياء الدولى خرافة » .

وأنه يتعين على مصر أن تختار معسكرا دوليا تنضم إليه وأنها لن تجد القوة الحقيقية إلا إذا انضمت لمعسكر قوى ثم استطرد السيد تسائيسيف يقول لهم :

« لماذا تخافون من الشيوعية ، تقبلوها ونحن نقويكم وندافع عنكم ، إن الحياء لعب على الحبل لا يطول أمره » . ولقد رأى المشير عبد الحكيم عامر رئيس البعثة المصرية بعد أن نقل إليه هذا الحديث أن لا يثيره على نطاق واسع خوف التأثير الذى يمكن أن يلحقه بالعلاقات بيننا ، وفضل ، وفضلت معه - حين وصلنى الأمر - أن لا نصنع منه أزمة تكرر العلاقات بيننا .

وعلى أى حال فقد أقنعنا التعاون - الذى بدأ خلال مفاوضات التعاون الاقتصادى ، والنتائج التى انتهت إليها - بأن السيد تسائيسيف كان يتحدث بآرائه الشخصية ، ومن سوء الحظ أن بعض التطورات الأخيرة والجهود التى يبذلها السيد تسائيسيف نفسه كسفير

للاتحاد السوفيتي في العراق ، قد بدأت توحى بأن الأمر أكثر من مجرد الآراء الشخصية لسفير .

ولقد مضى برنامج التعاون الاقتصادي بيننا على أى حال وبدأ يحقق الآمال المعلقة عليه وكانت مناقشته في مجلس الأمة المصري فرصة اتخذناها للتعبير مجدداً عن شكرنا للاتحاد السوفيتي .

وهنا ينبغي - يا سيادة الرئيس - أن أرد على ملاحظتكم التي وردت في خطابكم عن المساعدة الاقتصادية وكيف أنكم لا تفرضونها على أحد لا يريد .

وأحب أن أؤكد لك يا سيادة الرئيس أننا نحن الذين سعيينا إلى معونتكم الاقتصادية وطلبناها بشجاعة وشرف .

وأؤكد لك أيضاً أننا لازلنا نتمسك بها ولا نعتبرها قيدياً على حريتنا ، نقول لك ذلك بشجاعة وبشرف أيضاً .

والدليل على ذلك أنها لم تمنعنا أن نبدي لك رأينا - بشجاعة وبشرف - فيما بدا لنا من مواقفكم تجاهنا .

وسيطل ذلك دائماً موقفنا ، من غير إدعاء ومن غير ضعف ، وإننا نتصور أنك خلال معرفتك بتاريخنا تتفق معنا في هذا الرأي .

وعلى أى حال فقد بدأ العمل بيننا بوضع اتفاقية التعاون الاقتصادي موضع التنفيذ .

وهنا أيضاً حرصنا على أن نضعها أمام الرأي العالمي كنموذج حتى من نماذج تطبيق روح باندونج للتعاون الدولي غير المشروط في سبيل التنمية الاقتصادية .

وإن الأحاديث الصحفية ، والخطب ، ومقالات الصحف ، وإذاعات الجمهورية العربية المتحدة ، لتحفل في تلك الفترة بالإشادة بكم وبتعاونكم المخلص على أساس التعايش السلمي مع الدول التي تختلف عنكم في مناهجها الاجتماعية .

وحاولنا ، بل ونجحنا تماماً ، في أن نزيل من أذهاننا كل أثر للملاحظات السيد تسائيسيف ولكن سوء الحظ قضى أن تعود التطورات إلى تذكيرنا بها ، إذ راح ما حدث في موسكو يتكرر على نمط متشابه مع ما بدأ يحدث في دمشق حين أخذ موضوع الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا طابعاً عملياً في بداية عام ١٩٥٨ .

ولقد كان من حقنا أن نتساءل عن حقيقة موقفكم من هذه الخطوة التي تضع حلماً عربياً خالداً موضع التنفيذ بعد كفاح طويل مرير استغرق مئات السنين .

كان من حقنا يا سيادة الرئيس أن نتساءل والشواهد أو مظاهرها تشير إلى أن الاتجاه الجديد إلى الوحدة لا يلائم ميولكم ورغباتكم .

ولقد كان مما يشير إلى هذا تلك الأقوال والملاحظات والعبارات التي صدرت عن أفراد سفارتكم في دمشق ، ولعلمكم تذكرون يا سيادة الرئيس أنني في هذه الفترة بعثت إليكم بنماذج مما جاءنا نقلاً عن هؤلاء الأفراد من سفارتكم ولعلمكم تذكرون أنني سألتكم عما إذا كان ذلك يعبر عن رأى الحكومة السوفيتية وكان الرد الذي تلقيته بالنفي .

وكان مما يشير إلى اتجاهكم من الوحدة موقف الحزب الشيوعي السوري الذي عز عليه

أن يتقبل الإجماع الشامل للشعب السوري ، وكان النائب الشيوعي هو النائب الوحيد الذي فضل أن يهرب من البلاد كلها كي لا يرى الشعب يحقق بنفسه ما يريد .

ولقد تأكد لنا أن تصرفات هذا النائب الشيوعي تشير إلى اتجاهكم عندما وجدناه يلجأ إلى بعض بلدان الكتلة الاشتراكية ، ثم زاد على ذلك أخيرا أن وقف بجواركم في احتفال المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي وراح يتهم على حكومة بلاده الأمر الذي سبب لنا مزيدا من القلق والانزعاج ومبعث هذا القلق والانزعاج ليس فيما يمكن أن يحدثه كلام هذا الهارب ، فإن نتيجة الاستفتاء على الوحدة في سوريا كانت بمثابة تصفية نهائية لكل ما يدعيه وإنما كان مبعث القلق والانزعاج أن تنتهك مبادئ التعايش السلمي بهذا الشكل العلني ، وأن يضار شعور إجماع الشعب ، من أجل فرد ثبت أنه لا يمثل من الأمة شيئا .

كذلك كان مما يشير إلى اتجاهكم أن الاتحاد السوفيتي بعد إعلان الوحدة في أول فبراير من القاهرة ظل أكثر من أسبوعين حريصا على الامتناع عن إبداء رأيه فيها سواء عن طريق رجاله الرسميين أو عن طريق إذاعته وصحافته التي تنطق دائما بوجهة النظر الرسمية .

وعلى أي حال فلقد كان لحكم الطبيعة وحكم التاريخ وحكم المستقبل أن يأخذ مجراه فتحققت الوحدة .

وبدأت انطلع إلى فرصة نجتمع فيها ونتبادل فيها وجهات النظر ونتعرف معا على مشاكل كل منا ونظراته للأمور ، لذلك كانت سعادتي غامرة أن اتاحت لي فرصة زيارة بلدكم العظيم في شهر أبريل من سنة ١٩٥٨ ، وكانت تلك أول زيارة لي خارج بلادي بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد كنت انطلع إلى حديث مفيد وإلى مناقشات مجدية وإلى استقرار في العلاقات بين بلدينا وإلى دعائم من الفهم المستنير تقوم عليها هذه العلاقات .

والعجيب يا سيادة الرئيس أنني عدت إلى وطني وفي تصوري أن جزءا كبيرا من ذلك قد تحقق ، ولكنني وجدت أخيرا أن الصواب لم يكن معي فيما تصورت .

ولقد هالني يا سيادة الرئيس - أؤكد لك - أن اقرا في خطابك الأخير بعض ما تبين أنك فهمته مما قلته لك في الاجتماعات بيننا في بلادك .

وأؤكد لك أنني لا أستطيع أن أتصور أن أي أخطاء في الترجمة مهما كانت فداحتها كان يمكن أن تؤدي إلى هذا التباين بين ما دار بيننا كما أراه ، وبين ما رأيته أنت على حد ما جاء في خطابك لي .

وينبغي أن أقول لك في صراحة أنني لم أجد نفسي ولا وجدت آرائي التي أؤمن بها في بعض ما ورد في خطابك ، وإنما واستسمحك العذر ، وجدت شيئا أقرب ما يكون إلى روايات صحف الغرب في حملاتها العنيفة التي كانت تستهدف تشويهنا .

من ذلك مثلا ما تناول حديثنا في موسكو عن الأوضاع في البلاد العربية المجاورة لنا .

ولقد رويت أنني سألتك عما يمكن عمله لتغيير الأوضاع في هذه البلاد بالقوة وأنني سألتك العون وأنك أسديت لي بأن امتنع عن التدخل إلى آخر ما جاء في خطابك حول هذا الموضوع .

لقد هالتنى - أؤكد لك يا سيادة الرئيس - هذه الرواية كما جاءت في خطابكم فإنها في سياقها وتفصيلها أبعد ما تكون عن الحقيقة .

ولقد كان ما حدث ولعلكم تعيدون التحقق من المترجم الذى كان ينقل حديثنا - اننى سألتك :

- ماذا سيكون موقف الاتحاد السوفييتى إذا حدثت محاولة من الداخل لتغيير الأوضاع في البلاد القريبة منا والتي تخضع لنفوذ الاستعمار ؟
بل لقد حددت سؤالى بعد ذلك صراحة أثناء المناقشة .

- هبوا أن ثورة حصلت في العراق أو في الأردن ثم تبعها تدخل إسرائيل بالاشتراك مع الدول الاستعمارية ، فماذا يكون موقف الاتحاد السوفييتى في هذه الحالة ؟
ولعلك تذكر يا سيادة الرئيس وانى لأذكر قطعاً أنك قلت لى :

- أننا نفضل أن لا يحدث شئ ، ونفضل أن يتم أى تغيير بالوسائل السلمية وقلت لك :
- أن احتمالات حدوث حركة داخلية بالوسائل السلمية في هذه البلاد التي يسيطر عليها الاستعمار والرجعية قليل ، والخوف هو أن نفاجا بامر واقعى من جماعات وطنية متحمسة لا تستطيع أن تترك الاستعمار يضربها ويسحق آمالها وقلت لى :
- إذا كنت تستطيع الإتصال بهذه الجماعات فاستعمل نفوذك معها لكى لا تتحرك .
وقلت لك .

- إن الذى يفكر في عمل من هذا النوع لا يتصل بى وإنما الذى أخشاه أن نفاجا بامر واقعى لم نتأهب له .

ولقد انتهت مناقشتنا دون أن أحصل منك - كما لعلك تذكر - على رد إيجابى للمشكلة التي كان واضحا أننا سنواجهها يوماً ما في الشرق الأوسط ، ولقد تحقق ما كنا نتوقعه فعلاً ، بل واثبتت التطورات أننا لم نكن نتعجل الحوادث .

ومن العجيب أن ما ورد في خطابك يبين أنك تصورت الأمر على عكس ما كنت اقصد ، فلم يخطر ببالي على الإطلاق أن نكون في موقف المهاجم وإنما كنت أريد أن نكون في وضع المستعد للدفاع ، وكيف كان يخطر ببالي مثلاً أن اتصدى لمهاجمة الأوضاع بالقوة في بلاد يسيطر عليها حلف بغداد بكل الإمكانيات العسكرية له وللدول المشتركة فيه .

كذلك لم يخطر ببالي أن يرتفع سلاح عربى ضد بلد عربى ولقد واجهت في الماضى من الاستعمار استفزازات لا حد لها عسى أن تفلت منا أعصابنا ونخرج عن قاعدة التزمنا بها خلال تاريخ طويل ، ولقد خابت استفزازات الاستعمار واحدة بعد واحدة .

وإنه ليدهشنى أنك تصورت انى أريد عونك في مغامرة عسكرية ضد بلاد عربية ، وكيف يمكن أن يستقيم ذلك ونحن نعتبر أى تهديد لأى بلد عربى مهما كانت ظروفه تهديداً لنا ، وإذن فكيف يمكن أن ندفعك إلى مكان نجد أنفسنا مرغمين على التصدى لك فيه - تضامناً مع شعوب أمتنا - حين تتعرض لتهديد منكم .

كذلك لو أن تغيير الأوضاع بالقوة في العراق أو في الأردن كان مما يمكن أن يخطر ببالي لما كان أسهل محاولته على الأقل ولقد كان الجيش السورى في الأردن وما كان أسهل إصدار

الامر بالقتال ولكن ذلك شيء لا تاباه مبادئنا فقط بل تنكره كل قطرة من الدم العربى الذى يسرى فى عروق شعبنا .

وانى لآخالك ايضا يا سيادة الرئيس ، تستبعد ان يكون الحديث فعلا قد جرى بيننا على النحو الذى يروييه خطابكم وذلك فى رأى سبب إصراركم على تكرار انكم تعتمدون على المحاضر التى كتبها المترجمون خلال اجتماعاتنا اما أنا فقد كنت اعتمد على ذاكرتى .

والواقع اننى لم اكن احمّل ذاكرتى فوق ما تطيق فإنى كنت دائما بعد كل اجتماع من اجتماعاتى بكم أعقد لجنة من وفدنا أروى لها ما حدث ونسجله فى محاضر ولقد كانت دهشة افراد هذه اللجنة لبعض ما ورد فى خطابكم عميقة ومن هؤلاء السيد أكرم الحورانى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة الذى أبدى استغرابه لما جاء فى خطابكم من اننى شكوت لكم منه وهو امر غير جائز الحدوث لا من ناحية المبادئ التى أوّمن بها وإنما من الأخلاق التى لا تنفصل فى رأى عن السياسة ولعل أكثر ما عانيناه فى تجاربنا السياسية اننا كنا لا نساوم على المبادئ ولا نفصل الكرامة عن المصالح .

وانى لاذكر تماما ، ويذكر زملائي ، وتسجل المحاضر التى امليتها فى أعقاب اجتماعاتنا مباشرة ، ذلك الحديث الذى دار بيننا وجرى فيه ذكر الوحدة .

ولست اذكر انك لم تبد رضائك الكامل عن الوحدة ولم يكن بيدى ما افرض به عليك الاقتناع ، ولقد حدثتني عن زعماء الأحزاب فى سوريا وقلت لك ان العناصر الوطنية فى سوريا كلها على وجه التقريب تشترك معى فى الوزارة وعددت لك هذه الأسماء ، وسالتك من غير هؤلاء الذين عدتهم لك تعنيه بإشارتك وقلت لى ولعلك تذكر : العظم .

وفهمت انك تشير إلى السيد خالد العظم .

ولم اسمح لنفسى أن امضى فى مناقشة معك حول الأشخاص فانقلقنا من الموضوع إلى غيره .

وإذا كان ما ورد فى خطابكم عن اجتماعنا الأول فى موسكو قد هالنى فلقد هالنى ايضا وبطريقة أشد ما ورد فى هذا الخطاب عن اجتماعى الثانى بكم فى موسكو فى يوم ١٦ يوليو فى أعقاب ثورة العراق .

ولقد كان الاجتماع بكم أول ما خطر ببالي بعد أن وقعت الثورة فى العراق وهو امر كنت اتوقعه على نحو ما دار بيننا من مناقشات فى اجتماعنا الأول فى موسكو .

لقد قامت عناصر وطنية من جيش العراق بما كنا نحسب حسابه ، ولم يكن جائزا فى تصورنا ان نترك الاستعمار يسحق الثورة الوطنية فى مهدها ، ولقد كان موقفنا واضحا فى أننا سنقف بجانب هذه الثورة مهما كانت النتائج .

أما موقفكم منها ومنا فى هذه الحالة فلقد خطر ببالي انه ربما تكون الظروف ملائمة بعد التطور الجديد لكى أسمع منكم ردا واضحا على السؤال الذى وجهته لكم افتراضا فى اجتماعنا الأول فى موسكو خصوصا وقد تكلفت الحوادث بتحويله من مجرد افتراض إلى امر واقع .

وكان هذا السبب المباشر فى اننى طلبت ان أجتمع بكم فى أى مكان يناسبكم وقررت ان يتم اجتماعنا فى موسكو ومن سوء الحظ اننى لم أستطع ان احصل منكم على جواب واضح

عن السؤال ، الذى طرحته من قبل كما قلت لكم افتراضا فى شهر أبريل ، ثم طرحته الحوادث واقعا فى شهر يوليو وانكم الآن تعلقون عدم حصولي على إجابة وافية منكم عليه لأنكم كنتم تخشون من أن تشجعنى معرفتى بمساعدتكم غير المحدودة على الاندفاع إلى عمل عسكرى يزيد الموقف خطرا .

ومع أن هذا التعليل لا يقنعنى فإننى أود أن أتعامل ما هو العمل العسكرى الذى كان يمكن أن اندفع إليه ؟ ولقد كنا وقتها وكانت ثورة العراق الوطنية فى مهدها ، نقف موقفا دفاعيا بحتا . وكان الأسطول الأمريكى السادس يقذف بحارته على الشاطئ اللبنانى ، كما كان جنود المظلات البريطانىون يهبطون فى الأردن فهل كان العقل يتصور أنه فى إمكاننا أن نقوم بإجراءات هجومية .

هل كان من المتصور مثلا يا سيادة الرئيس - لو أننا علمنا أنكم على استعداد للوقوف معنا - أن نبادر بالهجوم على الأسطول الأمريكى السادس بوحدهاته المسلحة بالأسلحة النووية والقذائف الموجهة .

أو هل كان من المتصور مثلا أن نهاجم مناطق احتشاد جنود المظلات البريطانيين فى الأردن ، أو القواعد التى يطيرون منها فى قبرص .

لعلك يا سيادة الرئيس توافقنى أن تلك كلها تعليقات تدعو إلى الاستغراب . كذلك يدعو إلى الاستغراب ما جاء فى خطابك أنك فهمته عن طلباتنا العسكرية فى ذلك الوقت .

ولقد طلبت منكم عددا من قاذفات القنابل وهذا صحيح وهو طلب عادى للسلاح . وطلبت منكم أيضا بعض صواريخ المدفعية متوسطة المدى ، ولقد قلت فى خطابك وهذا حق أننى طلبت صواريخ إلى مدى ٥٠ أو ٧٠ ميلا ولقد أدهشنا أيضا تعليقك على هذا الطلب بأنك قلت لى أن الصواريخ المتوسطة التى بملكها الاتحاد السوفيتى هى لمدى من ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ آلاف ميل ، فلقد حددت ما طلبت وحددت مداه ولعل الترجمة واللبس بين كلمة Rockets وهو ما طلبته ، وكلمة Missiles وهو ما لم أطلبه ، هو المسئول عن هذا الخطأ ، وإن كان من الصعب الاطمئنان إلى هذا التفسير فى هذه الواقعة بالذات على ضوء هذه السلسلة من الاختلافات بين الواقع كما جرى ، وبين روايتكم له كما جاءت فى خطابكم بتاريخ ١٢ أبريل .

ومهما يكن من أمر فلقد عدت بعد لقائنا من موسكو إلى دمشق وكان الموقف كما لخصته للوزراء فى الجمهورية العربية المتحدة حين اجتماعى بهم .

« إن علينا أن نعمل لأحسن الاحتمالات ، وأن نستعد لأسوأها » .

ولقد كنا دائما نؤمن بالسلام ، إن لم يكن إيماننا من المبادئ فلاننا على الأقل لا نملك سلاح الحرب ، ولكن إيماننا بالسلام ، والسلاح المحدود الذى نملكه ، لم يكن يمنعا أن نستعد باتخاذ الوسائل الدفاعية ضد من يتربص بسلامة بلادنا .

ولقد كانت ثورة العراق بداية فى نفس الوقت للضرورة الطارئة على علاقاتنا ، وإن كان

الكثير مما ورد في خطابكم قد فتح عيوننا إلى أن أسباب سوء الفهم بيننا كانت تمتد - على غير علم منا وعلى غير قصد وعلى غير أساس - إلى ما قبل هذه الثورة بكثير كما أوضحت لسيادتكم في مناقشة مارويتموه عن اجتماعاتنا الأولى والثانية في موسكو والتصادم الشديد بيننا وبين الحقيقة التي يؤيدها منطق الحوادث نفسها من غير اعتماد لا على ذاكرتكم ولا على ذاكرتي .

ولقد كنت أتصور انكم أول من يقدر موقفنا المجرد من الأنانية في نصرة ثورة العراق ، فلقد لمستم بانفسكم استعدادنا للتضحية ، كذلك كنتم أنتم أول من لفت أنظارنا إلى المخاطر التي تعرضنا لها في هذه الفترة ، واني لاستعيد الآن في ذاكرتي الجهود التي بذلتموها لتأمين سلامة عودتي إلى الوطن وكيف أنكم طرحتم أمر هذه السلامة على مخابراتكم لترتيب خطة لها تولى أمرها الجنرال سيروف وزير الأمن لديكم في تلك الظروف ، كذلك استعيد في ذاكرتي مشاهد حفاوتكم الحارة بي إلى الحد الذي دفعكم مشكورين وقتها أن تقترحوا شرب نخبى كزعيم لجميع العرب ، وأود أن أعقب لكم هنا في صراحة وإمانة أنني عدت النخب مجاملة كريمة لي لا أكثر ولا أقل ، فليست زعامة جميع العرب هدفا أسعى إليه ، كذلك فإن هذه الزعامة لا تخلع على أى عربى من خارج الوطن العربى ولا من غير الشعوب العربية ، وإنما ذكرت هذه الواقعة لأنها هى الأخرى تتصادم مع ما ورد في خطابكم من أننى حاولت بعد ثورة العراق أن افرض على شعبه قيادة معينة وإن هذا من أسباب الأزمة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين جمهورية العراق وبالتالي كان هذا بدوره أحد مسببات الظلام الذى بدأ يسود علاقاتنا .

قلت لسيادتكم اننى كنت أتصور أن تكونوا أول من يقدر موقفنا المجرد من الأنانية في نصرة ثورة العراق ، كنت أتصور ذلك لا لأنكم كنتم قريبين من الحوادث التي أحاطت بالآثار التي ترتبت فجأة على قيام الثورة فحسب ، ولكن لأننى كنت أتصور انكم أقدر من غيركم على فهم طبيعة الحوادث في المنطقة وعلى فهم تيارات التاريخ الكبرى وعلى فهم التفاعلات النفسية والاجتماعية العميقة التي تصنع التطورات .

ولقد كان أول دليل عملي يؤكد تصورنا هذا هو موقفكم الظاهر منا في أزمات مفتعلة اثارها الاستعمار ، واتهمنا فيها تجاه دول عربية معينة بنفس ما يتهمنا به الحزب الشيوعى في العراق اليوم بالنسبة للعراق .

في تلك التجارب السابقة يا سيادة الرئيس ، وفي مواجهة مثل الحملات التي نتعرض لها الآن ، كان موقفكم يعكس إدراكا صحيحا للدوافع التي تملئ على الاستعمار حملات التشهير التي يقوم بها .

ومن ناحية أخرى يا سيادة الرئيس فقد كنت أتصور أن المرات التي يتيح لي فيها أن أحدثكم عن القومية العربية استطاعت أن تضع أمامكم صورة أجلى لحقيقة ايماننا بالقومية العربية .

ومن عجب اننا الآن نسمع من دوائر مختلفة هجوما على القومية العربية كاساس . ومن الناحية العلمية - إذا جاز لي أن أنتهز فرصة هذا الخطاب لمناقشة علمية - فما هى عناصر القومية .

في رأيي انها باختصار ، عقل مشترك ، وضمير مشترك .

فاما عقل الامة فهو اللغة
واما ضميرها فهو التاريخ .

وفي حالة القومية العربية فانكم لتجدون أن شعوب المنطقة فضلا عن اعتبارات شتى ، مادية وروحية ، تشترك في أكبر ما يمهد للقومية الواحدة ، العقل الواحد ، والضمير الواحد .

كذلك فانني واثق انك تذكر ، ولقد قلت لك ، وكثرت ما قلته في عديد من الخطب التي القيتها في مناسبات مختلفة وهي أن القومية العربية في رأيي تضامن ، وليست إطارا دستوريا بحال من الأحوال ، ولقد يجوز أن تتحول بإرادة الإجماع إلى إطار دستوري ، ولكن التضامن هو الأساس الأول .

وانى لأشعر أن سجل استعدادنا للتضامن مع ثورة العراق هو مما يحق لنا أن نفخر به ، ولقد بدأ هذا التضامن منذ وقت طويل ، أنا واثق يا سيادة الرئيس أنك تعلم أن عددا من قادة ثورة العراق ، وبينهم اللواء عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية قد اتصلوا بنا قبل الثورة وطلبوا أن نساعدهم في تخطيطها كما سألونا عن الضمانات التي يمكن أن نقدمها إليهم في حالة فشلها ، ولم تكن نصيحتنا إليهم هي نصيحة من يريد التدخل في شؤون غيره أو يفرض عليهم وصاية ، وإنما كانت نصيحتنا لهم أن يحفظوا أمرهم سرا حتى علينا ، وأن لا ينشدوا العون إلا من شعبهم ، وأن لا يتولى وضع خطة الثورة الا الذين سوف يقع عليهم عبء تنفيذها ، كذلك قلنا لهم ان الثورة في العراق يجب ان تظل فكرا وتصميما وعملا وحييا عراقيا خالصا .

وبعد أن نجحت ثورة العراق ، وبذلنا كل ما بذلناه لتأمينها ، لم يتغير رأينا ، ولقد ظلت نصيحتنا الصداقة الأخوية لهم ، وكان السيد كامل الجادرجي آخر من سمعها منا من سياسة العراق ، هي أن لا يشغلوا أنفسهم في الوقت الحاضر بالصور الدستورية للوحدة أو الإتحاد وإنما الأجدى لهم وللأمة العربية كلها أن يتوافروا على إنجاح الثورة داخل العراق وذلك بدفع أهدافها الحقة إلى خدمة الجماهير على أن أقصى ما نطلبه منه هو التضامن العربي في شكل اتفاقيات اقتصادية وثقافية وعسكرية تنسق نشاط الشعبين بما يعود بالخير المشترك عليهما وعلى الأمة العربية كلها .

ومن سوء الحظ يا سيادة الرئيس أن الحزب الشيوعي في العراق - الذي عاد أفراداه من المخابىء التي هربوا إليها في حكم نوري السعيد - أراد انتهاز الفرصة للسيطرة على ثورة العراق ودفعها إلى الوجهة التي تناسب ميوله فاستغل خلافا شخصيا نشب بين اللواء عبد الكريم قاسم ، وبين نائبه العقيد عبد السلام عارف لكي يخلق جو من البلبلة يساعده على تحقيق أغراضه ، وهو خلاف كان رأينا وتصرفاتنا العملية شاهد على ذلك ودليل ، أنه ينبغي أن يترك اللواء عبد الكريم قاسم قائد ثورة العراق يسويه على النحو الذي يجده أكثر ملاءمة لأهداف الثورة وسلامتها ، ولكن الحزب الشيوعي في العراق بدأ يثير الفتنة لا بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وحسب ، وإنما مد نشاطه إلى الإساءة للعلاقات بين جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك باثارة مناقشة مفتعلة عن المفاضلة

بين الوحدة والاتحاد ، مالبثت أن تطورت إلى هجوم سافر ضد فكرة الوحدة الأمر الذي اظهر ان الهدف هو التأثير في الأوضاع في سوريا ، ولقد تجلى ذلك بوضوح خلال التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي السوري ، ثم اتخذ هذا التعاون شكل نشاط سافر سواء في الاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة او في جمهورية العراق .

ولقد بدأت في الاقليم السوري تحركات مريبة تستهدف تعكير صفو الاستقرار واتخذ ذلك في بعض الأحيان اشكالا لا يسهل تصديقها للوهلة الأولى ومن بين النماذج على ذلك هجوم الحزب الشيوعي السوري على قانون الإصلاح الزراعي ، الذي كان هدفه أن يتيح لأكثر عدد من الفلاحين في سوريا فرصة ملكية الأرض ، كذلك كان هدفه تحطيم الإقطاع ، ومن ذلك أيضا نشاط الحزب ضد الوحدة وهو نشاط كان واضحا انه ليس موجها ضد الاستعمار ، ولعلك توافقني يا سيادة الرئيس أن قيام الجمهورية العربية المتحدة كان تنويعا للكفاح ضد الاستعمار ، وكان الحصن الكبير الذي تلتصق الحماية لديه ، كل حركات التحرير في الوطن العربي .

ووصل الأمر بالحزب الشيوعي السوري إلى حد أن رئيسه بدأ يدلي بتصريحات علنية نشرتها صحف تنطق بلسان الاستعمار كما تعلمون ، كذلك روجت لها إذاعات بعض الدول الاشتراكية ، وصورت هذه التصريحات هجوما عنيفا على الوحدة قصد به تقويض دعائمها وهو أمر لا يختلف انسان من العرب في أنه لا يتوجه إلى حرب الاستعمار .

وفي تلك الفترة وكان السيد نور الدين محيي الدينوف يزور القاهرة سمحت لنفسى ان احده في هذا الموضوع صراحة وسالته عما إذا كان نشاط الأحزاب الشيوعية في سوريا وفي العراق يعكس وجهة نظر الاتحاد السوفييتي ولقد كانت اجابته على صراحة هي النفي والإنكار .

ولابد أنك علمت بما دار بيننا من مناقشات ولعلك تذكر ان موضوع نشاط الأحزاب الشيوعية المحلية في منطقتنا كان موضوع مناقشة بيننا في اجتماعنا الأول في موسكو في ابريل ١٩٥٨ .

ولعلك يا سيادة الرئيس تذكر انني اشترت في حديثي معك إلى نشاط الأحزاب الشيوعية في الجمهورية العربية المتحدة وهو نشاط كنا نعتبر أنه يخرج عن الخط الوطني في بعض الأحيان بحيث لا يخدم إلا مصالح أعداء وطننا ، وكنت أخشى أيضا أن يفسر أى إجراء نتخذه ضد هذه الأحزاب على أنه موجه إلى الاتحاد السوفييتي لذلك رأيت رعاية لمشاعركم واحتراما لها أن اثير الموضوع مبتدئا معكم في موسكو ولقد قلت لكم وقتها :

« اننى أرجو ان لا يفسر أى إجراء نتخذه ضد الأحزاب الشيوعية في بلادنا بأنه عمل عدائى ضد الاتحاد السوفييتي » .

ولقد قلت لك أن كثيرين منهم ينتمون في الواقع إلى أسر إقطاعية ورأسمالية وأنه ليس يكفي أن يضع أى واحد منهم لافتة فوق رأسه بأنه شيوعي ومن ثم يصير شيوعيا واضفت أن لدينا في الاقليم المصرى مثلا ثلاثة أحزاب شيوعية أو هكذا تدعى وكل منها في منشوراته يتهم الآخر بالمروق والانحراف ويصل تبادل التهم بينهم إلى حد الخيانة ، ولا نستطيع نحن أن

نحدد من هو الشيوعي الحقيقي ومن هو غير الشيوعي ، ونكاد في خاتمة المطاف نصدق فيهم جميعا ما يقولونه في بعضهم جميعا

وانى لاذكر أنك نظرت إلى في ذلك اليوم وهزئت رأسك ، ولم أجد أن أطيل في مناقشة هذا الموضوع معك ، واعتبرت أنني أخطرتك بحقيقة موقفي حتى لا نفاجا يوما حين نضطر إزاء نشاطهم المعادى لمصالح الشعب إلى إجراءات ضدهم وحينئذ قد يتبادر إلى الأذهان أى تفسير لا ينطبق على الحقيقة خصوصا وأنه في ذلك الوقت سوف تحاول صحف الاستعمار ودوائره أن تضيف من الملاحظات على تصرفنا ما قد يفسر في ظاهره على أنه فتور في العلاقات يومئذ .

ولقد أدهشنى يا سيادة الرئيس أنه في مناقشتك في خطابك بتاريخ ١٢ أبريل ، لما قلته في إحدى خطبى من أن الشيوعيين أتباع يتلقون التعليمات من الخارج ، أنك عدت إلى مناقشتنا في موسكو وذكرت ما قلته لك وقتها عن انقسام الشيوعيين في الاقليم المصرى إلى ثلاثة احزاب ثم عقت على ذلك بقولك : « انهم لو كانوا يتلقون التعليمات من الخارج لكان أول ما ينصحون به أن يوحدا وجهتهم » .

ومن عجب أنه ما كاد النشاط الشيوعي في الجمهورية العربية المتحدة يشد ، حتى توحدت الأحزاب الثلاثة وتناست ما بينها .

ولقد كان ذلك هو الذى فرض على في يوم الاحتفال بالجلء عن بور سعيد في يوم ٢٣ ديسمبر أن أشير إلى النشاط المعادى للوطن الذى تقوم به المنظمات الشيوعية أو التى تدعى أنها شيوعية ، وقصرت كلامى على هذه المنظمات في حدود الجمهورية العربية المتحدة ، ولم تستغرق إشارتى أكثر من عشر سطور ولقد قصدتها أن تكون تحذيرا واضحا بأننى لست على استعداد لأن اسمح داخل الجمهورية العربية المتحدة بأى نشاط لا يخدم إلا أهداف الاستعمار .

وفي هذا كان حديثى يتجه إلى المنظمات الشيوعية داخل الجمهورية العربية المتحدة ، ولم أرض في ذلك الوقت حتى أن أشير إلى النشاط الشيوعي في العراق ، وهو نشاط لم يكن يتجه مع الأسف إلى حرب الاستعمار ، وإنما كان مع الأسف أيضا يهادن الاستعمار ليتفرغ بطاقته كلها لضرب الجمهورية العربية المتحدة ، بل وفكرة القومية العربية أساسا ولعلكم لو طلبتم تقريراً عما كانت تنشره الصحف العراقية في تلك الفترة لخليل إليكم أن الجمهورية العربية المتحدة ، وليس بريطانيا هي التى كانت تحتل العراق قبل الثورة وهي التى كانت تقيم صنائعها لحكم العراق ، ولخليل إليكم أيضا أن الجمهورية العربية المتحدة هي التى غللت شعب العراق بقيود حلف بغداد .

ولقد كانت الهدنة مع الاستعمار كاملة وكانت الحرب مع القوى الوطنية في المنطقة على أشدها ، وتلك حقيقة لا مجال لإنكارها ولا يكفى لدحضها أن يقال جزافا أن الشيوعيين هم طليعة الصف المناضل ضد الاستعمار ، فان الشيوعيين كغيرهم من البشر كما لعلكم تذكرون ، عرضة للخطأ بل عرضة للانحراف .

ولقد أحسست من تقرير بعث به إلى سفيرنا في موسكو عن حديث له مع السيد نور الدين محيى الدينوف أن إشارتى إلى النشاط الشيوعي في الجمهورية العربية المتحدة في

خطاب ٢٣ ديسمبر قد حملت على غير محطها الصحيح فبعثت إلى السفير كما طلبت من كل وسائل التوجيه في الجمهورية العربية المتحدة أن تشرح وجهة نظرنا في الأمر تلافياً لأي سوء فهم .

وهكذا كرّسنا جهوداً كبيرة لكي نشرح أن هجومنا لا يتجه على الشيوعية كعقيدة لأن ذلك ليس شأننا ، ونحن نقضل أن نشرح عقيدتنا الخاصة وتبلورها ، ولا نظن أنها تكسب كثيراً بمحاولة هدم العقائد الأخرى .

كذلك كرّسنا جهوداً كبيرة لكي نشرح أن هجومنا لا يتعدى هؤلاء الذين يدعون الشيوعية في بلادنا والذين نرى في نشاطهم ضرراً يلحق بوحدة الشعب ، وأنه لا يخرج عن هذا الحد إلى المساس بأي شيوعي غيرهم بل وعدنا في هذا المجال أن ثمة أفراداً ممتازين من الشيوعيين تقدرهم شعوبنا حق قدرهم وكنت أنتم يا سيادة الرئيس على رأس القائمة من هؤلاء الأفراد الممتازين .

ومن سوء الحظ مرة أخرى أن محاولتنا على ما يبدو لنا الآن لم تكن كافية لشرح وجهة نظرنا ، فأننا ما لبثنا أن وجدناكم تتعرضون للموضوع في خطابكم في الحفل الافتتاحي للمؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي .

ورغبة منا في عدم توسيع شقة الخلاف - رغم ما ورد في خطابكم من عبارات - ورغم بعض الملاحظات التي أحاطت بظروف إلقاء خطابكم ومنها أن جلس معكم على المنصة بعض الهاربين من الشيوعيين من بلادنا - وتعرض أحدهم بما لا يليق بنائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة - فإننا قصدنا أن لا نتعرض لهذا الخطاب بما قد يزيد سوء الفهم استحكاماً . ولقد نشئ أحد الصحفيين مقالاً ناقش فيه عباراتكم بالفاظ ملؤها التقدير والاحترام - والتزم فيها الجانب الموضوعي التزاماً دقيقاً - فإذا صحف رسمية في بلادكم وإذاعات تتهمه بأنه عميل أمريكي ، ومع ذلك فلقد شئنا أن لا نفتح باباً للخلاف لا يفيد منه إلا الاستعمار .

وكان ذلك أيضاً هو حافزي حين بعثت إليكم برسالة مع السيد ديمتری كيسيليف أشرح لكم فيها أن صداقة الشعوب العربية لكم لا ترجع إلى نشاط الأحزاب الشيوعية ، بل هي بالرغم من هذه الأحزاب الشيوعية ، وأنه لا يتفق مع الصواب في تقديري أن تنحازوا داخل بلادنا إلى أقلية لا تمثل شيئاً من مجموع الشعب وتغامرون بتقدير الإجماع الساحق للشعب لكم .

وكان ذلك أيضاً هو حافزي حينما سلمني القائم بأعمال السفارة السوفييتية في القاهرة في يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٩ خطاباً منكم تردون فيه على الملاحظات التي حملها إليكم سفيركم في القاهرة ، وبادرت باستعمال فقرات منه على الفور - قبل أن تمضي أربع وعشرون ساعة على تسليمه إليّ ، وذلك في خطابي يوم ٢١ فبراير لكي أقفل نهائياً باب الخلاف بيننا وبينكم ، وهو باب كنت أرى أن الاستعمار ، وأن الأحزاب الشيوعية في بلادنا مع الأسف الشديد تساعد في ذلك ، يحاول جاهداً أن يفتحه على آخره .

ولقد كان يقال ، كما تعرفون ، أنكم كنتم تتقفون معنا لمواجهة حلف بغداد ، فلما إنهار حلف بغداد ، لم تعد لكم فائدة من الوقوف معنا .

وكان يقال ، كما تعلمون ، أنكم إنما كنتم تستعملون القومية العربية لأغراض تكتيكية في الحرب الباردة ، فلما تحققت لكم هذه الأغراض تغير موقفكم .

وكان يقال ، كما تعلمون ، أنكم كنتم تتقبلون فكرة الحياد لما كانت المعركة بين الاستعمار وبين القومية العربية ، فلما وجهت الضربة القاضية إلى الاستعمار ، بعد الثورة في العراق ، وبدأ بعدها النشاط الشيوعي يشتد في المنطقة ، بدأت تخرجون عن تقبل فكرة الحياد في المنطقة .

وكنا نرفض أن نصدق ذلك وغيره . رغم ما كانت الشواهد تشير إليه مما ينشر في صحف العراق . وما يروجه الحزب الشيوعي في الاقليم السوري ، وما تردده ، نقلا عنها ، إذاعات وصحف عديدة في بلاد الكتلة الاشتراكية .

لذلك ، يا سيادة الرئيس تلقيت من خطابكم بعض الفقرات التي ترجح حسن النية من جانبكم ، وإذعتها في خطابي بتاريخ ٢١ فبراير وكان هدي ، كما شرحت لكم ، أن أسد الثغرة بيننا ، وأن أفوت على الاستعمار فرصة تصور أنه على وشك الظفر بها .

ولقد سافرت بعد ذلك الخطاب إلى الاقليم السوري ، وألقيت أكثر من عشرين خطابا ، لم أشر فيها بغير الود إلى الاتحاد السوفييتي ، بل وكذلك قللت جهد الامكان من الإشارة إلى المنظمات الشيوعية ، حتى تتاح الفرصة لأعضابنا جميعا أن تستوعب ضرورة العمل على سد الثغرة ، وعلى ضرورة استعادة الثقة الكاملة فيما بيننا .

وكنا نحاول ما وسعنا الجهد في ذلك الوقت أيضا أن نصفي الخلافات التي لا سبب لنا ولا أصل ولا أساس . والتي اتصلت اتصالا بيننا وبين اللواء عبد الكريم قاسم ، ومضينا في هذه المحاولة إلى حد أننا اقترحنا أكثر من مرة أن نجتمع باللواء عبد الكريم قاسم في أي مكان ، حتى نصفي أسباب التوتر ، وحتى تتاح لنا الفرصة لنؤكد له أننا لا نريد أن نفرض عليه شيئا لا يريده ، ونبين له بالدليل العمل أننا لا نقصد غير التضامن العربي ، وأننا على استعداد لأن نسير مع كل بلد عربي إلى المدى الذي يرتضيه هذا البلد العربي ، وعلاقاتنا باليمن حتى مع قيام الاتحاد ، مثال حي لما نقول .

ولكن هذا الاجتماع ، مع الأسف ، لم يتم ، كما شوهدت في صحف العراق ، التي تنطق بلسان الحزب الشيوعي ، مقاصدنا من ورائه ، حتى فقد إدعى إدعاء أننا نريد أن نعيد عصر تقرير مصائر الشعوب بالاجتماع بين الحكام ، وهو أمر لم يخطر لنا على بال .

كذلك حاولنا في خطب علنية ، أذيعت على الرأي العام العربي كله ، أن نناشد اللواء عبد الكريم قاسم أن يصد صوت الفتنة عن أذنيه ، حتى لا تكون الفرقة بيننا ، واني لأحيلكم في هذا الصدد على خطب عديدة أقيمتها في مدينة المنيا وفي القاهرة وفي دمشق .

ثم كان ما وقع في الموصل ، وهو أمر تنطق كل تفاصيله بأنه كان من وحي العاطفة المندفعة أكثر ما كان وحيا لتدبير متآمر ، فلقد استفزت مجموعة من الضباط الشبان استفزازا

دفعهم دفعا إلى ما أقدموا عليه ، وكانت المفاجأة لنا أن الحزب الشيوعي في العراق ، حتى قبل أن تتاح الفرصة الكاملة لتحقيق ما حدث في الموصل وتقصى دوافعه ، بادر على الفور إلى اتهام الجمهورية العربية المتحدة ، الأمر الذي كان يدفع إلى زيادة العلاقات بيننا وبين العراق سوءا ، ولا يخدم مرة أخرى غير أهداف الاستعمار .

ومن سوء الحظ ، أن الحكومة العراقية انسأقت ، ببعض أجهزتها الرسمية ، بما في ذلك إذاعة بغداد ، والمحكمة العسكرية فيها ، إلى هذا التيار ، وهكذا أصبحنا أمام أزمة عنيفة بالغة الخطر .

وفي ذلك الوقت ، كان خطابكم في حفل تكريم الوفد العراقي بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٩ الذي أجد من واجبي أن اصارحكم بأنه لا يتناقض فقط مع الحقيقة . وإنما يتناقض أولا مع كل ما كان يصدر منكم قبل ثورة العراق .

ولقد أثار هذا الخطاب في نفوسنا - فضلا عما حواه من التجني - ما لم يكن يسعنا عن أن نسكت عليه ، وما من شك في أنه بدا لنا نقطة تحول خطيرة في علاقتنا .

وينبغي أن اصارحكم أن الاحتمالات التي رسمها أمامنا هذا الخطاب بدت قائمة وقوية . ولقد كان بين هذه الاحتمالات أنكم الآن غيرتم موقفكم تماما فبعد أن كنتم قبل ثورة العراق ، ويوم لم تكن الأحزاب الشيوعية عنصرا بارزا في الميزان تتعاملون مع القوى الوطنية ، بدأنم الآن تفضلون ، وقد خرجت الأحزاب الشيوعية إلى النشاط الصريح ، أن تتعاملوا معها ، مهما تضاعل ما تمثله في الكيان الشعبي .

كذلك كان بين هذه الاحتمالات ما بدا واضحا أمام شعوبنا أنكم رميتم بكل ثقلكم إلى جانب الأحزاب الشيوعية ، فلقد استمعت شعوبنا وشاهدت مدى ما يبذله هؤلاء من نشاط هدام ضد أوطانهم ومع أننا قابلنا ذلك بالصبر شهورا طويلة امتدت من أعقاب ثورة العراق مباشرة ، فاننا ما كدنا نفصح نشاطهم في يوم ١٩ مارس ونسلط عليه الأضواء حتى خرجتم بعد أربعة أيام فقط إلى نصرتهم ، ولم تقتصر صراحتكم إلى مجرد نصرتهم ، وإنما امتدت المحاولة إلى إتهام الوطنيين بأنهم يتكلمون بلسان الاستعمار ، ثم تعرضتم للقومية العربية ذاتها ، وزدتم عليه التعرض للأوضاع الداخلية في بلادنا .

ومعنى ذلك ، أن منطلقكم كان يرتضى أن يهاجمونا فإذا ما رددنا بعد الصبر الطويل ، أنبريتم للدفاع عنهم .

كذلك كان بين هذه الاحتمالات ، أنكم توقفون الفكرة التقدمية حكرا على الشيوعيين وحدهم ، ناسون أن الأفكار التقدمية تستطيع أن تجد لها مجالا فسيحا للازدهار في مجتمعات لا تؤمن بالشيوعية وهو أمر يتناهى في غرابته ، كما لعلك توافقني ، إذا ابتعدنا عن التعصب الفكري ، كل منا لعقيدته .

وأنه لمن العجيب أن يكرس الشيوعيون في الاقليم السوري جزءا كبيرا من نشاطهم لمقاومة الإصلاح الزراعي ، وما اظن ذلك - في أي مقياس - يمكن أن يعتبر عملا تقدميا .

كذلك لا استطيع أن اتصور أن السكوت على الاستعمار ، وهو ما لا يزال الحزب الشيوعي العراقي متلبسا به في وضوح الشمس ، عملا تقديما .

وإذا كانت هذه التصرفات كلها من الشيوعيين في بلادنا عجيبة ، فلقد كان الأعجب منها أن تتصدى بنفسك ، ولك من المكانة في نفوسنا ما تعرفه ، للدفاع عنهم ، وتبرير تصرفاتهم ، الأمر الذي لم يكن مفر من أن يربط بينهم وبين الاتحاد السوفييتي في أذهان الناس في بلادنا ، وما يترتب على ذلك من آثار لا يمكن أن تخدم مصلحة العلاقات بين بلادنا .

ولقد حوت خطبتك بتاريخ ١٦ مارس ، كما حوى خطابك الشخصي لى بتاريخ ١٢ أبريل ، دفاعا عن النظرية الشيوعية وشرحا واقيا لها .

ولست أريد أن أناقشك فيما قلت ، فإن احترام العقائد الأخرى من سمات مجتمعنا ، وإنما دعنى أؤكد لك أننا نحاول - وبمنهاج قد يختلف عن منهاجكم - أن نلبى حاجيات الجماهير الأساسية .

ولعلك ترى معنى أن ذلك يستغرق منا عملا وجهدا وفكرا تجعلنا نعزف عن الدخول في مناقشات لا طائل من ورائها ، وأنت لتدرك يا سيادة الرئيس أن ثورة أكتوبر ، وقد مضى عليها الآن أكثر من أربعين عاما لم تصل بعد إلى ما تريدون تحقيقه تلبية لمطالب الجماهير .

ولقد بدأت تجربتنا معا عن طريق المنهاج الاشتراكي الديمقراطي التعاوني منذ أقل من سبع سنوات ، ضاع منها جزء طويل كما تعلمون في مواجهة مؤامرات الاستعمار وعدوانه ، ومع ذلك ، فإن ما حققناه ، سواء للفلاحين أو للعمال ، يمكن اعتباره بداية لبناء إيجابى ، خصوصا بعد أن تمكنا في هذه الفترة من القضاء تماما على سيطرة الاقطاع ، وعلى سيطرة رأس المال على الحكم .

وإذا كنا في هذه المرحلة نمنع قيام الأحزاب صيانة لوحدة الشعب ، ونعبيء نضاله الوطنى داخل اتحاد قومى ، فإن ذلك كان حريا بأن يجد لديكم من رحابة الفهم ، خصوصا وقد مررتم في الاتحاد السوفييتى بتجربة مماثلة ، وليس يجدى ، يا سيادة الرئيس ، أن يقال أن انعدام الأحزاب في الاتحاد السوفييتى يمكن أن يبرره أن مجتمعكم قد قضى على الطبقات ، ولعلك تذكر أنه بعد ثورة أكتوبر ، تعرضت الثورة السوفييتية لأعاصير من الداخل ومن الخارج عرضتها لأقصى الاخطار كما لا يمكن أن يقال اطلاقا أن إلغاء الطبقات قد تم بين يوم وليلة .

ومما يثير التساؤل مثلا أن الحزب الشيوعي في العراق ، وكان دفاعكم عنه من أسباب أزمة العلاقات بيننا ، وهو الحزب الذى لا يفتأ يندد بالأوضاع الداخلية في بلادنا بسبب عدم سماحنا بقيام أحزاب لم يجد ما يعلق به على خطاب رسمي لرئيس الحكومة العراقية ، نبذ فيه فكرة الأحزاب وهاجمها ، وطالب كما تطالب بفترة انتقال تصبح فيها الأمة كلها على حد ما قال « حزب الله » .

كذلك ، فلقد أشدتم غير مرة ، يا سيادة الرئيس ، بجهودنا في تنمية الانتاج ، وتنشيط الثقافة ، ارساء لقواعد مجتمع متحرر .

ولذلك ، كانت دهشتنا لما ورد في خطابك من قولك أننا نواجه مصاعب جمة نتصور أننا نستطيع مواجهتها بشن حرب صليبية ضد الشيوعية .

وأؤكد لك ، يا سيادة الرئيس ، أننا لا نرى أمامنا مصاعب جمة ، وإنما نرى أمامنا عملا شاقا .

والصعوبة الحقيقية أن يتخبط المرء فلا يجد طريقه ، وليست الصعوبة أن يجد الطريق ، ثم يجده طويلا .

وإننا لندرك أن الطريق أمامنا شاقا ، وإننا لندرك أن سبيلنا عليه هو العمل ، وهو المعركة المستنيرة الدائبة .

وليس هجومنا على الشيوعيين حلا يقصر الطريق - نحن نوافقك في ذلك - وإنما هجومنا كان لأن الشيوعيين حاولوا إقامة العقبات على هذا الطريق .

ولقد احسست ، يا سيادة الرئيس ، أن جزءا كبيرا من ضيقك بهجومنا على الشيوعيين كان مبعثه الحرص على الفكرة التي ينسبون أنفسهم إليها أن تضار بسبب الهجوم عليهم . ولست أدري في الحقيقة كيف كان يمكن أن تكشف أعمالهم دون أن نسبهم بالصفة التي ادعواها لأنفسهم .

وأؤكد لك ، وما اضلننى في حاجة إلى تأكيد ، أنني حريص على مشاركتك ، لا كصديق فقط ، وإنما بصفتك مؤمن بالفكرة الشيوعية ولكن حقيقة لا اعرف كيف يمكن أن أتعرض للتصرفات التي قام بها الشيوعيون دون أن أسمهم شيوعيون ؟

ولقد ساعد على تعقيد الأمر ، ما صدر عنكم من تصريحات وما صدر عن صحفكم واذاعاتكم ، بل لقد وجدنا أنفسنا فجأة في وجه حملة منظمة تمتد على جبهة عريضة واسعة ابتداء من جريدة الديلي ووركر التي تصدر في لندن إلى جريدة الراية الحمراء التي تصدر في الصين .

ومع ذلك ، فحتى بعد هذا كله ، كنا حريصين بكل قوانا أن نحصر جبهة الخلاف ، ولعلكم تلاحظون مثلا أننا لم نتعرض على الإطلاق لكل ما وجه إلينا من الصين الشعبية .

وفي الجبهة الضيقة ، التي حاولنا فيها أن نرد على ما وجه إلينا ، كان موقفنا دفاعيا بحتا ، في وجه عمل هجومي لم يقتصر على حد العدوان بالدعاية بل كاد يصل إلى حد العدوان الفعلي ، واضلنكم تسلمون أن العمل لهدم الوحدة بين مصر وسوريا وهدم الأساس الذي تقوم عليه الجمهورية العربية المتحدة هو عدوان كامل على بلادنا . وهكذا فإن الموقف ، يا سيادة الرئيس ، أصبح يتلخص فيما يلي :

١ - لقد وجدنا أنفسنا مرغمون على الدفاع عن بلادنا ضد نشاط المنظمات الشيوعية داخل حدود الجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك هدف حديثي بتاريخ ٢٣ ديسمبر .

٢ - ثم وجدنا أنفسنا مرغمون على الدفاع عن أنفسنا ضد مساندتك شخصيا لهذا الحزب ، ولقد تجلى ذلك في خطابك في المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ، وإن كان واضحا أن دفاعنا عن أنفسنا في هذه الحالة ، لم يتعد مقالا واحدا نشره أحد الصحفيين .

٣ - ثم وجدنا أنفسنا مرغمين - بعد استفزازات طال صبرنا عليها - على الدفاع عن أنفسنا ضد هجوم الحزب الشيوعي العراقي علينا واتهامه لنا ، ومحاولته الواضحة لتكدير العلاقات بيننا وبين شعب العراق .

٤ - ثم وجدنا أنفسنا مرغمين على الدفاع عن أنفسنا ضد مساندتك لهذا الحزب فيما يقوم به ، ولقد تجلى ذلك في خطابك بتاريخ ١٦ مارس .

٥ - ثم وجدنا أنفسنا مرغمين على الدفاع عن أنفسنا في وجه الحرب العنيفة التي خرجت علينا بها الاحزاب الشيوعية والمنظمات الشيوعية في العالم كله ، وهي حرب مازالت مستمرة حتى هذه اللحظات .

وهكذا ندور الآن في حلقة مفرغة .

فالواضح أننا لا نستطيع السكوت بأى حال على هذا الذى يوجه ضد مبادئنا ومعتقداتنا بل ضد سلامة وطننا .

لا نستطيع ان نسكت عليه ، حين يقوم به أفراد من بلادنا ، ولا نستطيع ان نسكت عليه حين يجد هؤلاء الأفراد قوة من الخارج تسندهم ، وتعين أزرهم وليس يجدى في تخفيف اثر ذلك يا سيادة الرئيس ان نبدي الأسف ، لانك انسقتم وراء هؤلاء الأفراد ، كذلك ليس يجدى التساؤل - المقرون بالأسف أيضا - عن الحجج التى ساقها اليكم هؤلاء الأفراد ، ودفعوكم دفعا إلى هذا الموقف الصعب الذى تقفونه الآن في حكم الراى العام العربى ، بل والراى العام في كل افريقيا وآسيا ، وما من شك أنها كانت حججا لا تقوم على أساس ، ومعلومات لا تستند إلا إلى التضليل ، ومن سوء الحظ ان جزءا كبيرا من الضرر الذى وقع سوف يقتضى ازالة آثاره جهودا كبيرة .

والواضح ان هجومنا ضد الشيوعية ليس هجوما على عقيدة ، وإنما هو دفاعا عن أنفسنا ضد حملة عنيفة موجهة إلينا .

والواضح أيضا أنه ليس أمامنا مفر من استعمال صفة هؤلاء المهاجمين في محاولة دفاعنا عن أنفسنا .

والواضح أيضا أنك تعتبر كل هجوم على الشيوعيين هجوما عليك وتجد نفسك مضطرا إلى الاشتراك في المعركة ، وهو أمر أؤكد لك أننا لا نريده ولا نسعى إليه .

ولقد كنا نهاجم نوري السعيد وهو مسلم ، بل كنا نهاجم الأسرة المالكة في العراق وهى سليله نبي الاسلام ، ولكننا كنا نهاجم انحرافات أشخاص ، ولا نقصد مهاجمة العقيدة التى يؤمنون بها ، بل وكان الأمر في حالتنا معهم أكثر تعقيدا منه في حالتنا معك ، فان الدين الذى كانوا ينتمون اليه هو نفس الدين الذى نتشرف باعتناقنا له .

وكذلك ندور في الحلقة المفرغة .

واننى أؤكد لك صادق النية بنفس العزم على أنه لا شئ أحب إلئ من أن نخرج من هذه الحلقة المفرغة إلى استقرار يسود العلاقات بين بلدينا ، وهى علاقات أكدت لكم ومازلت أؤكد انها من دواعى فخرنا واعتزازنا .

وما أظننى فى حاجة إلى أن اعدد لكم المبررات التى تحبب إلى أن يعود الصفاء بيننا ،
وهى أبرز وأوضح من أن تحتاج إلى مزيد تكرار .

إننا نؤمن بالتعايش السلمى ونحن نؤمن بال صداقة بين الشعوب ، ونحن نرفض
الحرب لأنها تتنافر مع مبادئنا . سواء فى ذلك الحرب الساخنة أو الحرب الباردة ، بل نحن
لا نملك كما تعلم أسلحة الحرب الساخنة ولا نملك الوقت الذى نضيعه فى الحرب الباردة
بسبب سعيينا للحاق بالتقدم البشرى الذى أرغمنا على التخلف عنه بفعل الاستعمار .

ثم إننا نقدر تمام التقدير موافقكم منا منذ بدأ التعاون الوثيق بيننا فى سنة ١٩٥٥ حتى
بدأت الأوضاع التى يملكنا الأسف الشديد لوقوعها فى نهاية ١٩٥٨ وبداية ١٩٥٩ .
ولكنك تدرك أن فى الأمر طرفين ، ولقد استعملت يا سيدى الرئيس ، مثلاً روسيا شائعا
فى خطابك ، فاسمح لى أن استعمل مثلاً عربياً شائعاً يقول أن « يدا واحدة لا تصفق » .
وإذا كنا نشعر أننا مخلصون صادقون نريد صداقتكم .
فإننا ، نريد أن نشعر أن يدنا الممدودة إليكم لا تترك معلقة فى الهواء .

وإنى لأتمنى أن يسود جسر العلاقات بيننا هدوء يتيح لكل منا أن يبذل قصارى جهده
للعمل الإيجابى فى سبيل التقدم وفى سبيل السلام .
وتفضلوا يا سيادة الرئيس بقبول فائق احترامى وإمانى الصداقة بالنجاح
والرفاهية لشعب الاتحاد السوفيتى العظيم .

امضاء

جمال عبد الناصر



الوثيقة رقم

صورة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى الرئيس الأمريكى « جون كنيدي » بتاريخ أول اغسطس ١٩٦١ ردا على أول خطاب اثار فيه الرئيس « كنيدي » فجاة ، وبدون مقدمات ، قضية فلسطين ورغبته في إجراء صلح بين العرب وإسرائيل .

عزيزى الرئيس جيون • ف • كنيدي

لقد تلقيت بمزيد من الارتياح والتقدير خطابكم الىّ بتاريخ ١١ مايو ١٩٦١ ، والذي تفضلتم فيه باثارة بعض جوانب المشكلة ، ذات الأهمية البالغة ، والخاصة ، بالنسبة للأمة العربية على اختلاف شعوبها ، وهى - دون شك - قضية فلسطين •

وإذا كنت قد تأخرت في الرد على هذا الخطاب فلقد كان باعث التأخير هو اعطائه ما يستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتأنية •

ولعل مبعث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيت خطابكم ، كما أشرت فى العبارة الأولى من هذا الخطاب ، أننى كنت من جانبى أقلب النظر فى فكرة الاتصال بكم بشأن نفس هذه القضية التى أترسم فى خطابكم بعض جوانبها •

ولقد كان فكرى فى الاتصال بكم ، يرتكن على مجموعة من العوامل :

أولها - أن ماتم بالفعل من تبادل المراسلات بيننا فى عدد من مختلف المشاكل العالمية كان واضحا فى دلالته على أنكم تحاولون فتح

(يتبع)

عزيزى الرئيس جون . ف. كنىدى

لقد تلقيت بمزيد من الارتياح والتقدير خطابكم إى بتاريخ ١١ مايو ١٩٦١ ، والذي تفضلتم فيه بإثارة بعض جوانب المشكلة ، ذات الأهمية البالغة ، والخاصة ، بالنسبة للأمة العربية على اختلاف شعوبها ، وهى - دون شك - قضية فلسطين .

وإذا كنت قد تأخرت فى الرد على هذا الخطاب فلقد كان باعث التأخير هو إعطائه ما يستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتأنية .

ولعل مبعث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيت خطابكم ، كما اشرت فى العبارة الأولى من هذا الخطاب ، اننى كنت من جانبى إقلب النظر فى فكرة الإتصال بكم بشأن نفس هذه القضية التى اترتم فى خطابكم بعض جوانبها .

ولقد كان فكرى فى الإتصال بكم ، يرتكن على مجموعة من العوامل :

اولها - ان ما تم بالفعل من تبادل المراسلات بيننا فى عدد من مختلف المشاكل العالمية كان واضحا فى دلالة على انكم تحاولون فتح ابواب التفاهم - وابقائها مفتوحة - بينكم وبين عدد من الشعوب الأخرى التى تولى قضايا السلام اهتمامها الأول ، حفاظا على هذا السلام وصونا للجنس البشرى مما يهدده من أخطار ، وفى اعتبارنا ان الوصول إلى التفاهم المشترك بين الشعوب ، هو فى الوقت نفسه إقامة فرص للسلام على امتن الاسس واصليها .

ثانيا - ان قضية فلسطين وما تفرع عنها من مشاكل هى ، بجانب كونها من القضايا الرئيسية التى تمس السلام العالمى مباشرة فى عصرنا ، فهى فى الوقت نفسه ذات إتصال وثيق بالعلاقات ما بين شعبيها ، واحب هنا ان اضيف اننى لا اربط احتمالات التفاهم بيننا بضرورة التقاء وجهات نظرنا فى هذه المشكلة على نحو كامل التطابق ، وإنما الذى أقوله هو أنه من الأمور الحيوية فى هذا الصدد ان تكون لدى كل منا صورة واضحة للحقيقة ، بقدر ما يمكن ان يبدو منها انسانيا من وراء ضباب الزمان ، ودخان الأزمتا .

ثالثا - اننى تابعت باهتمام كل مرة تعرضتم فيها لهذه المشكلة سواء فيما القيم من خطابات فى الكونجرس حين كنتم تمثلون ولاية « ماساشوسيتس » او ما صدر عنكم خلال حملة انتخابات الرئاسة ، ولست اخفى عليكم اننى قبل ان يصلنى خطابكم كنت - من تأثير فكرة الإتصال بكم فى موضوع فلسطين - احاول ان استشف صورة لموقفكم منه خلال سطور كتابكم عن استراتيجية السلام - ولقد كان احساسى بما قرأت عنكم مباشرة ، او بما نسب إليكم فى هذا الموضوع - يجعلنى أعتقد ان هناك زوايا كثيرة فى المشكلة تستحق مزيدا من الضوء .

على انى برغم هذا كله تصورت انه ربما كان المناسب ان ارجىء الإتصال بكم فى هذا الأمر باعتبار ما كان يواجهكم من مشاكل ضخمة ذات طابع ملح وعاجل فى الميدان الدولى .

ومن هنا - كما قلت لكم - اثار ارتياحى انكم اخذتم المبادرة وكتبتم إى فى بعض زوايا الموضوع الذى كان بودى ان أحدثكم من جانبى فى صورته الكاملة كما نراها هنا على الناحية العربية منها ، ولست أريد هنا ان املأ هذا الخطاب بالوثائق ومعانيها ، والقرارات واحكامها ، فذلك كله قد يكون له مجاله ، وإنما انا هنا احاول ان انقل إليكم تصورنا العام للمشكلة ، واسمح لى هنا انؤكد لك ان هذا التصور لا يقوم على اساس عاطفى ، وإنما ما حدث ماديا ، هو اساسه الوحيد .

سيادة الرئيس

اسمحوا لي أن اضع أمامكم هذه الملاحظات التالية ، عليها تساعد مترابطة ، على توضيح صورة سريعة للمشكلة :

١ - لقد اعطى من لا يملك ، وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان « من لا يملك » و « من لا يستحق » ، بالقوة وبالخدعة ، أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه ، فيما يملكه وفيما يستحق .

تلك هي الصورة الحقيقية لوعد بلفور ، الذى قطعتة بريطانيا على نفسها ، وأعطت فيه - من أرض لا تملكها ، وإنما يملكها الشعب العربى الفلسطينى - عهدا بإقامة وطن يهودى فى فلسطين .

وعلى المستوى الفردى - يا سيادة الرئيس - فضلا عن المستوى الدولى ، فإن الصورة على هذا النحو تشكل قضية نصب واضحة تستطيع أى محكمة عادية أن تحكم بالإدانة على المسؤولين عنها .

٢ - ومن سوء الحظ يا سيادة الرئيس أن الولايات المتحدة وضعت ثقلها كله فى غير جانب العدل والقانون فى هذه القضية ، مجافاة لكل مبادئ الحرية الأمريكية والديموقراطية الأمريكية ، وكان الدافع لذلك مع الأسف هو اعتبارات سياسية محلية لا تتصل بالمبادئ الأمريكية بل ولا بالمصلحة الأمريكية على مستواها العالمى ، ولقد كانت محاولة اكتساب الأصوات اليهودية فى انتخابات الرئاسة هى ذلك الدافع المحلى ، ولقد قرأنا لأحد السفراء الأمريكين السابقين فى المنطقة أن سلفكم المستر هارى س . ترومان لمالقى بكل قوته ، وفيها بالقطع قوة منصبه الخطير ، على رأس الأمة الأمريكية ضد الحق الواضح فى مستقبل فلسطين لم يكن له من حجة إزاء الذين لفتوا نظره من المسؤولين إلى خطورة موقفه غير قوله .

هل للعرب اصوات فى انتخابات الرئاسة الأمريكية ؟

٣ - أن خرافة الانتصار العسكرى ، الذى تحاول بعض العناصر أن تقيم على أساسه حقا مكتسبا للدولة الإسرائيلية فى فلسطين ، ليست إلا وهما صنعتها الدعايات التى بذلت جهدها لإخفاء معالم الحقيقة .

ولست أريدك أن تسمع - فى هذا المجال - شهادتى كجندى عاش هذه التجربة بنفسه ، وإنما وثائق الأمم المتحدة وتقارير وسيط الهدنة الدولية فى فلسطين ، ولجانها ، تستطيع أن تثبت لك أن القوات الإسرائيلية لم تستطع إحتلال ما احتلته من الأراضى خلال المعارك ، وإنما من العجيب أن ذلك كله تم خلال الهدنة ، ولقد كان ما فعله العرب فى ذلك الوقت أنهم أحسنوا الظن بالأمم المتحدة ، وتصوروها قوة قادرة على فرض العدل ، خصوصا إذا كان العدل أساسا هو كلمتها وقرارها ، ولقد ظن العرب أن الجانب الاسرائيلى سوف يعاقب على خرقه لاحكام الهدنة الدولية ، وأن ما تسلس إليه من الأرض تحت ستار الهدنة سوف يعاد إلى مكانه الأصلى ، ومن سوء الحظ أننا عوقبنا فيما بعد على أن نظرتنا إلى الأمم المتحدة كانت نظرة مثالية تنبع من الثقة .

٤ - أن الخطر الإسرائيلى بعد ذلك كله ، لا يمثل مجرد ما تم حتى الآن من عدوان على الحق العربى ، وإنما هو يمتد إلى المستقبل العربى ويهدده بأفدح الأخطار ، وإذا ما لاحظتم استمرار الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وتشجيعها وفتح الأبواب أمامها رأيتم معنا أن هذه الهجرة تصنع ضغطا

داخل إسرائيل لابد له أن ينفجر ويتجه إلى التوسع ، ولعل ذلك هو التفسير المنطقي للحالف القوى بين إسرائيل وبين مصالح الاستعمار في منطقنا ، فإن إسرائيل منذ قيامها لم تبعد كثيرا عن الفكر الاستعماري وكان واضحا أنها تشعر بترابط مصالحها مع الاستعمار ، كذلك كان الاستعمار من ناحيته يستخدم إسرائيل كأداة لفصل الأمة العربية فصلا جغرافيا عن بعضها ، وكذلك كان يستخدمها كقاعدة لتهديد أى حركة تسعى للتحرر من سيطرته ولست في حاجة للتدليل على ذلك الا بتذكيركم بالظروف التي تم فيها العدوان الثلاثي علينا ، والتواطؤ الذي سبقه سنة ١٩٥٦ .

من هذا العرض السريع للصورة في خطوطها العامة اردت ان اقول لكم ان موقفنا من إسرائيل ليس عقدة مشحونة بالعواطف وإنما هو :

عدوان تم في الماضي

واخطار تتحرك في الحاضر

ومستقبل غامض محفوف بأسباب التوتر والقلق معرض للانفجار في أى وقت .

ولكى أكون منصفا فإنه يبدو لي ان بعض العناصر العربية قد ساهمت في تصوير المشكلة لديكم باعتبارها شحنة عاطفية ، واذكر في هذا المجال ان سلفكم الرئيس دوايت ايزنهاور قال لي عندما كان لي شرف لقائه في نيويورك في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٠ ان بعض السياسة العرب كانوا يدلون بتصريحات علنية متشددة في موضوع فلسطين ثم يتصلون بالحكومة الأمريكية يخفون من وقع تشدهم قائلين ان تصريحاتهم كانت موجهة للاستهلاك المحلي العربي .

وإنى لأسف حقيقة ان هذه الأصوات المتخاذلة المترددة استطاعت ان تجد من يسمعها في بلادكم ، وإن كانت في بلادنا - مهما تظاهرت بالتصلب في الحق - لم تجد من يسمعها أو يثق بها - ولقد اثبتت الحوادث فيما بعد على أى حال ان هؤلاء الذين خدعوكم لم يتمكنوا من خداع شعوبهم .

سيادة الرئيس

لقد حاولت أن أكون صريحا إلى أبعد حدود الصراحة في حديثي إليكم ، ولقد يبدو من اصول اللغة الديبلوماسية التقليدية - أنني جاوزت ما تفرضه اعتبارات المجاملة ، ولكنى أؤكد لكم انه في اعتباري لا يوجد أشرف في تكريم الصديق والحفاوة به خيرا من التعبير الصادق كما يحس به صاحبه ، ومن هذا الأساس فاني استاذنكم بعد ان عرضت للصورة - من ناحيتها الإسرائيلية - ان استطرده للناحية الأمريكية منها .

واسمحوا لي أولا أن أؤكد لكم أن ايماني العميق - كان ولا يزال - أن الوصول إلى تفاهم عربي أمريكي هدف هام بالنسبة لنا يستحق أن نبذل من أجله كل الجهود ، ونحاول من أجله ولا نياس من المحاولة أو نمل .

ونحن في هذا نصدر عن تتبع واع لمجرى التاريخ الأمريكي ، وعن إعجاب عميق بخصائص الأمة الأمريكية ، وعن مشاركة مخلصه في كثير من مبادئ النضال التي استهدت بها أمتكم العظيمة في صنع مكانها .

والآن استاذنكم في إبداء هذه الملاحظات :

١ - لقد حاولنا دائما ، ومازلنا نحاول ، وسوف نصر دائما على المحاولة ، أن نمد أيدينا للأمة

الأمريكية ، وأؤكد لكم أنه مما يحز في نفوسنا إلى أبعد الحدود أننا في كثير من الأحيان نجد يدنا معلقة وحدها في الهواء .

ولقد تفضلتم - يا سيادة الرئيس - واشترتم في خطابكم إلى دور الرئيس وودرو ويلسون ، وفرانكلين روزفلت ، في بروز دول عربية مستقلة ذات سيادة متكافئة في المجتمع الدولي .

وأسمحوا لي أن أقول أن الرئيسين الكبيرين لا يمثلان في بلادنا آمالا تحققت ، بقدر ما يمثلان آمالا لم تتحقق .

لقد كانت في بلادنا ثورة وطنية عارمة تطلب حق تقرير المصير ، ولما أعلن الرئيس ويلسون نقطه الأربعة عشر المشهورة كان صداها على الثورة الوطنية العارمة في بلادنا قويا وفعالا .

ولقد ذهب وفد يمثل الثورة الوطنية في مصر - في ذلك الوقت - إلى باريس ليحضر مؤتمر الصلح وينادي بحق مصر في تقرير مصيرها وكان هذا الوفد يرفع - بين ما يرفع من الأعلام - نفس مبادئ الرئيس وودرو ويلسون ويستند عليها ، ولكن الرئيس ويلسون رفض مقابلة هذا الوفد ، كما أن هذا الوفد لم يجد فرصة يشرح فيها قضية بلاده أمام مؤتمر الصلح في باريس ، ولم يكن أمام هذا الوفد وإمام الشعب الذي أرسله إلى باريس غير المقاومة الشعبية المسلحة ضد الاستعمار ، وكانت القوة القاهرة سلاح الاستعمار لقمع الثورة الشعبية خلافا مع كل دعوى عن تقرير المصير .

كذلك استطاعت مبادئ الاطلنطي التي أعلنها الرئيس روزفلت سنة ١٩٤١ عن تحرير الشعوب أن تشد إليها آمال شعبنا ولربما كان سوء حظنا أن الرئيس روزفلت لم يعيش ليرى يوم انتهاء الحرب حتى تتاح له الفرصة لوضع قوته الضخمة وقوة وطنه وراء المبادئ التي أعلنها وقت محنة الطغيان الفاشيستي .

٢ - كانت الصدمة الكبرى في العلاقات العربية الأمريكية ، هي غلبة اعتبارات السياسة المحلية الأمريكية ، على اعتبارات العدل الأمريكي والمصلحة الأمريكية في تقرير موقفكم من الظروف التي أهدر فيها الحق العربي في فلسطين أهدارا كاملا ولقد سبقت لي الإشارة إلى هذا الأمر حين تعرضت لمشكلة فلسطين من جانبها الإسرائيلي .

٣ - احتدم الخلاف بيننا ، وزادت حدته ما بين سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٥٥ بسبب التباين بين نظرة كل منا إلى مشكلة واحدة ، هي مشكلة الدفاع عن الشرق الأوسط .

كان رأينا أن الأحلاف العسكرية ، خصوصا تلك التي تستند على قوى عالمية كبرى ، لا تكفل الدفاع عن الشرق الأوسط ، وإنما هي تزيد تعرضه للخطر بمقدار ما تزج به إلى الحرب الباردة .

وكان رأينا أن الدفاع الحقيقي عن الشرق الأوسط تقوم به بلدان هذا الشرق الأوسط وأن ميدانه ليس الخطوط الدفاعية بقدر ما هو الجبهات الداخلية للشعوب ، وكان الاستقلال الحر غير المشروط ، والاتجاه المجدي إلى التطوير الوطني البناء هو خير ضمان لسلامة الشرق الأوسط ضد أي عدوان كيفما كان مصدره ، ولقد أتيت لي أن أشرح بنفسى موقفنا هذا للمستتر جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الوقت عندما أتيت لي فرصة لقائه سنة ١٩٥٣ في القاهرة .

٤ - في غمرة المناقشة الكبرى حول الدفاع عن الشرق الأوسط ، وقعت الحادثة التي كانت بمثابة نقطة التحول في اتجاهات الحوادث وأعني بها الغارة على غزة في فبراير ١٩٥٥ ، حيث قام

الجيش الإسرائيلي بغارة هجومية وحشية على مدينة غزة الفلسطينية ، ولست أريد أن أصف هذه الغارة بأكثر مما وصفته بها وثائق الأمم المتحدة ، وقد وصفتها بأنها غارة « وحشية ومدمرة » ومع ذلك فإن وزير الدفاع الإسرائيلي ، ورئيس الوزراء الحالي ، بعث بتهنئته إلى الذين قاموا بها بناء على أمره ، ومواصلة نفس الخطة العدوانية على مصر - في ذلك الوقت - هذه الخطة التي كانت تستهدف الجبهة الداخلية لمصر - على حد ما تشهد به الوقائع المتسربة مما يسمونه عملية لافون في إسرائيل والتي اتضح منها أن الهدف كان تفجير القنابل في بلادنا وتدمير منشأتنا وإساءة العلاقات بيننا وبين دول صديقة بينها الولايات المتحدة الأمريكية التي وضع العملاء الإسرائيليون القنابل الحارقة أمام مكاتبها في القاهرة - وفي نفس الوقت كانت هذه الخطة تستهدف خطوط الهدنة كما تجلى في الغارة على غزة .

ولقد دفعنا ذلك إلى الاحساس بأن انهماكنا في عملية التطوير الوطني لا يجدي أزاء العدوان وتحتم أن نوجه جزءاً من الاهتمام - بجانب التطوير - إلى الاستعداد المسلح لرد العدوان إذا ما تحرك ضدنا .

ولقد كان من هنا أن بدأنا بطلب شراء السلاح من الولايات المتحدة بالحاح ، ولما ووجهنا بالمماثلة ثم بالرفض كان أن اتخذت قرار شراء السلاح من الاتحاد السوفييتي ، وأؤكد لك أنني سوف أظل احتفظ بكثير من الوفاء لحكومة الاتحاد السوفييتي ، وأتصور أنك لو كنت مكاني لكان ذلك نفس شعورك وانت ترى التهديد يحيط بوطنك وتجد في الوقت نفسه أنك لا تملك وسيلة إنزال العقاب بالمعتدين .

٥ - كان من أثر ذلك أن مرت العلاقات بيننا بفترة عاصفة وجرت محاولة تشويه سياستنا الوطنية عن عمد وتعرضنا لألوان من الحرب النفسية بينها توجيه عدد من محطات الإذاعة السرية توجه دعاياتها المسمومة إلى شعبنا بغية تحويله عن الصمود وراء حكومته الثورية ، ثم كانت ذروة الحرب النفسية هنا ، هو ذلك القرار الذي اتخذ بسحب عرض المساهمة الأمريكية في تمويل سد أسوان العالي ، وهو العرض الذي كانت الحكومة الأمريكية قد تقدمت مختارة مشكورة به ، ثم تبع ذلك انسحاب البنك الدولي من عملية تمويله ، ولم يكن هناك شك في أن الطريقة التي تم بها سحب هذا العرض كانت تنطوي على الكثير مما لا يرضى الشعب العربي في مصر لنفسه أن تتقبله .

٦ - قدرنا للولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك موقفها في محاولة إيجاد حل سلمي للمشكلة التي ثارت في ذلك الوقت بعد تأميم شركة قناة السويس ، كذلك كان تقديرنا فائقاً للتأييد العظيم الذي لقيته قضية الحرية في بلادنا من جانب الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي وكان ذلك حينما كشفت مؤامرة التواطؤ على بلادنا من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، ثم حينما بدأت عملية الغزو - يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ - في نفس اليوم الذي كان محددًا لبدء المفاوضات في جنيف بغية الوصول إلى حل نهائي على ضوء قرارات مجلس الأمن بشأن قناة السويس .

ولقد كان احساسنا أن الشعب الأمريكي يشعر بموقفنا من ذكريات تجاربه في بيرل هاربور ، وصدق احساسنا ومن سوء الحظ أن التحسن الكبير الذي طرأ على علاقاتنا في ظروف المحنة الدامية بدأ يتعرض لنكسة خطيرة ، فإن سياسة الولايات المتحدة اتجهت في أعقاب إنهاء معركة السويس بهزيمة العدوان ، إلى عزل مصر ومحاولة تحقيق أهداف العدوان بوسائل سلمية ، وكان ذلك عن طريق مشروع أيزنهاور الذي أراد معاملة الشرق الأوسط - على حد تعبيركم أثناء المناقشة بصده في الكونجرس الأمريكي - كما لو كان مقاطعة أمريكية .

٧ - تعرضت سوريا بعد ذلك لأزمة خطيرة تهدد سلامتها ، وكان ذلك بتأثير تجمع عدد من دول حلف بغداد ، سواء بمجموعهم كأعضاء منظمة ، أو بجهودهم المنفردة ، وكان الهدف هو ضرب الجبهة الداخلية الوطنية لسوريا ، وهو أمر كان يمكن أن تنتج عنه أخطر العواقب على سلامة الشرق الأوسط كله ، ولقد حاولنا مرارا أن نلفت نظر الحكومة الأمريكية إلى خطورة مثل هذه الجهود الهدامة من جانب حلف بغداد ودوله .

٨ - انهار حلف بغداد ، وكان يوم الثورة في العراق ، هو اليوم الفاصل في أمره ، وبانهيار هذا الحلف إنهارت كذلك سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية وأصبحت الحاجة ماسة إلى سياسة جديدة واعية تستلهم الماضي تجربته ، وتقدر على مواجهة الحاضر وعلى ملاقات المستقبل .

ولقد كان أملنا كبيرا أن تهيأ الفرصة أمام الولايات المتحدة لتدرس المنطقة على ضوء نظرة جديدة غير متأثرة بالاعتبارات القديمة ، وغير خاضعة لارتباطات لا تمثل الأمان الحقيقية للشعوب العربية .

ولقد كان مؤلما حقيقة أن لا تسال حكومة الولايات المتحدة نفسها بعد انهيار حلف بغداد فيما يتعلق بصلة الشعوب العربية به .

« لماذا تحولت السياسة الأمريكية إلى انقراض على هذا النحو ؟ » .

« لماذا اختفى معظم الأصدقاء التقليديين للسياسة الأمريكية وحكمت عليهم شعوبهم ؟ » .

« لماذا تقف الولايات المتحدة ، وهي دولة قامت على الحرية وعلى الثورة ، ضد نزعة الحرية ونزعة الثورة وتجد نفسها مع القوى الرجعية والعناصر المعادية للتقدم ، في صف واحد ؟ » .

٩ - بدأت بعد ذلك مرحلة من التحسن في العلاقات العربية الأمريكية ، ولكن التحسن كان بطيئا ، وكانت الصدمات تتربص له دائما بتأثير دوافع غير أمريكية على الإطلاق ، وأذكر منها مقاطعة الباخرة العربية كليبواترة على أرصفة ميناء نيويورك .

ولقد أتيت لي بعد ذلك في سبتمبر ١٩٦٠ أن التقى بسلفكم الجنرال دوايت أيزنهاور ، وإن اتحدث إليه في العلاقات ما بين بلدينا وفي تطوراتها وفي ضرورة النظر إليها على ضوء جديد يتماشى مع ما نتطلع إليه جميعا من سلام قائم على العدل ، ولكن ذلك كان كما تذكرون في أواخر مدة رئاسته ، ومن ثم لم يتح للمحاولة الجديدة أن توضع موضع الاختبار .

سيادة الرئيس

وليس معنى ذلك بحال من الأحوال أن علاقاتنا خلال هذا كله لم تعش لحظاتها المشرقة .

كان هناك في تاريخ الأمة الأمريكية ما يشدنا إلى الكثير من المبادئ الأمريكية وإلى ما أعطته الثورة الأمريكية للتراث الانساني من التجارب العميقة ومن الرجال الأبطال .

وكان هناك موقف بلادكم منا وقت العدوان علينا انتصارا للمبادئ وهو موقف أشدنا به دائما ، ولسوف يظل يحظى بعرفاننا مهما كان من تطورات العلاقات بيننا .

كذلك كانت هناك مساعداتكم القيمة لنا عن طريق تصدير القمح أو عن طريق قروض صندوق التنمية ، كذلك لا يفوتني هنا أن أشيد بمساهماتكم القيمة في مشروع إنقاذ آثار النوبة ، ولقد كانت رسالتكم إلى الكونجرس في هذا الصدد تحية كريمة تقبلها شعبنا بمزيد من التقدير والرضا .

وأؤكد لك - بشرف - أن ما يحكم موقفى ونظرتى الى قضية فلسطين ليس هو كونى
رئيس للجمهورية العربية ، وانما الأصل والأساس هنا ، هو موقفى ونظرتى ، كوطنى
عربى ، كواحد من ملايين الوطنيين العرب .
وتقبلوا ياسيادة الرئيس عميق احترامى وتقديرى .

(امضاء)

الوثيقة رقم (٣٣)

صورة خطاب من الملك « سعود » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٥٨ وهو يدور حول خبر غير صحيح نشر عن تلحين القرآن . وقد ظهرت على الملف الذي حفظ فيه الخطاب أصلا مجموعة تاشيرات للرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده ، وكذلك ملاحظة بخط السيد « علي صبري » وزير شؤون رئاسة الجمهورية وقتها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض في ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ
الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٥٨ م



من سعود بن عبد العزيز آل سعود إلى حفرة صاحب الجامعة السيد جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة حفظه الله

حفرة الأُحّ الكريم :

السرم عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد ارجو لسيادة الأُحّ توفير الصحة والعافية وأن يديم الولي
طينا نعمة ويوفنا جميعا لما فيه الخير والبر والنعمة انه سمح بحجب
راجعتي كبار المشايخ والعلماء في البلاد بخصوص ما اطلعوا عليه اعتبرا في الصحف المصرية
من وحوادث فكرة لدى بعض الأوساط بغير تلحين القرآن العظيم على الآلات الموسيقية وانعاشها
وامان وبني بناء قد حصل لهم اضطراب وتشويش عليهم من ذلك ، حوثا من ان تحدث هذه الحقاوة تعمرة
كبيرة في الدين ، لقد دعاني هذا الحادث لما فيه من الحياورة ان اراجع سيادة الأُحّ والنسب
بأنه ، راحيا سه لنا اعلم فيه من حفاقة الرأي وصدق العقيدة ان يحصل بغيره الكثير على سبيل هذا الامر
الذي لا سأتى منه الا التفرقة والشقاق بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، والذي نحن في ضي
عه ، اني اعتقد انكم توافقوني بأن اعداء الاسلام والعروبة سيحدون في هذا السجال مرتعا خصبا
لست سدوم القتالة ، وهي فرصة ذهبية لا يجدونها في كل وقت ، وبالأخص في الدور الذي نحتاز
من العرب ، ولذلك صأني لا رجو حلاصا بأس سكن جميعا من يحافظ ويدافع عن قدسية
كتاب الله وبحريره على كرامته من أي عبث مراد به ، وانني لأمئن بأنه سوف لا ينال احد منه شيئا
وند وقد وعدوا الواعد وقال في منبره الحكيم ((انا نحن نزلنا الذكر واما له لحافظون)) .

في انتظار ما يطمئن الحار في هذا الحوض .

امسك البكم بأطيب تحياتي ، بقولته باحل امامي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

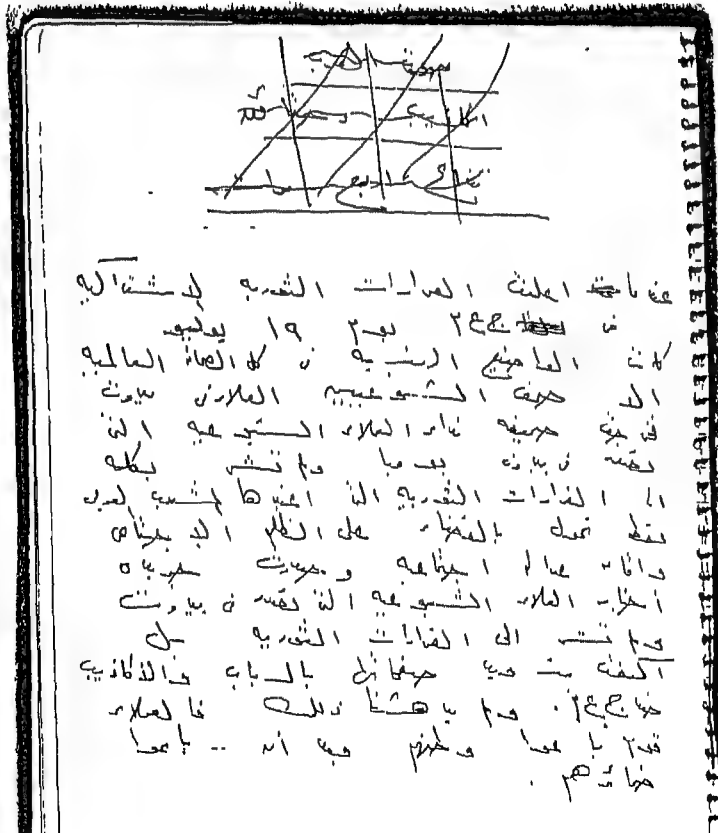
أخوكم
سعود (السعود)

۱۸۸۵
 ۱۸۸۶
 ۱۸۸۷
 ۱۸۸۸
 ۱۸۸۹
 ۱۸۹۰
 ۱۸۹۱
 ۱۸۹۲
 ۱۸۹۳
 ۱۸۹۴
 ۱۸۹۵
 ۱۸۹۶
 ۱۸۹۷
 ۱۸۹۸
 ۱۸۹۹
 ۱۹۰۰
 ۱۹۰۱
 ۱۹۰۲
 ۱۹۰۳
 ۱۹۰۴
 ۱۹۰۵
 ۱۹۰۶
 ۱۹۰۷
 ۱۹۰۸
 ۱۹۰۹
 ۱۹۱۰
 ۱۹۱۱
 ۱۹۱۲
 ۱۹۱۳
 ۱۹۱۴
 ۱۹۱۵
 ۱۹۱۶
 ۱۹۱۷
 ۱۹۱۸
 ۱۹۱۹
 ۱۹۲۰
 ۱۹۲۱
 ۱۹۲۲
 ۱۹۲۳
 ۱۹۲۴
 ۱۹۲۵
 ۱۹۲۶
 ۱۹۲۷
 ۱۹۲۸
 ۱۹۲۹
 ۱۹۳۰
 ۱۹۳۱
 ۱۹۳۲
 ۱۹۳۳
 ۱۹۳۴
 ۱۹۳۵
 ۱۹۳۶
 ۱۹۳۷
 ۱۹۳۸
 ۱۹۳۹
 ۱۹۴۰
 ۱۹۴۱
 ۱۹۴۲
 ۱۹۴۳
 ۱۹۴۴
 ۱۹۴۵
 ۱۹۴۶
 ۱۹۴۷
 ۱۹۴۸
 ۱۹۴۹
 ۱۹۵۰
 ۱۹۵۱
 ۱۹۵۲
 ۱۹۵۳
 ۱۹۵۴
 ۱۹۵۵
 ۱۹۵۶
 ۱۹۵۷
 ۱۹۵۸
 ۱۹۵۹
 ۱۹۶۰
 ۱۹۶۱
 ۱۹۶۲
 ۱۹۶۳
 ۱۹۶۴
 ۱۹۶۵
 ۱۹۶۶
 ۱۹۶۷
 ۱۹۶۸
 ۱۹۶۹
 ۱۹۷۰
 ۱۹۷۱
 ۱۹۷۲
 ۱۹۷۳
 ۱۹۷۴
 ۱۹۷۵
 ۱۹۷۶
 ۱۹۷۷
 ۱۹۷۸
 ۱۹۷۹
 ۱۹۸۰
 ۱۹۸۱
 ۱۹۸۲
 ۱۹۸۳
 ۱۹۸۴
 ۱۹۸۵
 ۱۹۸۶
 ۱۹۸۷
 ۱۹۸۸
 ۱۹۸۹
 ۱۹۹۰
 ۱۹۹۱
 ۱۹۹۲
 ۱۹۹۳
 ۱۹۹۴
 ۱۹۹۵
 ۱۹۹۶
 ۱۹۹۷
 ۱۹۹۸
 ۱۹۹۹
 ۲۰۰۰
 ۲۰۰۱
 ۲۰۰۲
 ۲۰۰۳
 ۲۰۰۴
 ۲۰۰۵
 ۲۰۰۶
 ۲۰۰۷
 ۲۰۰۸
 ۲۰۰۹
 ۲۰۱۰
 ۲۰۱۱
 ۲۰۱۲
 ۲۰۱۳
 ۲۰۱۴
 ۲۰۱۵
 ۲۰۱۶
 ۲۰۱۷
 ۲۰۱۸
 ۲۰۱۹
 ۲۰۲۰
 ۲۰۲۱
 ۲۰۲۲
 ۲۰۲۳
 ۲۰۲۴
 ۲۰۲۵
 ۲۰۲۶
 ۲۰۲۷
 ۲۰۲۸
 ۲۰۲۹
 ۲۰۳۰
 ۲۰۳۱
 ۲۰۳۲
 ۲۰۳۳
 ۲۰۳۴
 ۲۰۳۵
 ۲۰۳۶
 ۲۰۳۷
 ۲۰۳۸
 ۲۰۳۹
 ۲۰۴۰
 ۲۰۴۱
 ۲۰۴۲
 ۲۰۴۳
 ۲۰۴۴
 ۲۰۴۵
 ۲۰۴۶
 ۲۰۴۷
 ۲۰۴۸
 ۲۰۴۹
 ۲۰۵۰
 ۲۰۵۱
 ۲۰۵۲
 ۲۰۵۳
 ۲۰۵۴
 ۲۰۵۵
 ۲۰۵۶
 ۲۰۵۷
 ۲۰۵۸
 ۲۰۵۹
 ۲۰۶۰
 ۲۰۶۱
 ۲۰۶۲
 ۲۰۶۳
 ۲۰۶۴
 ۲۰۶۵
 ۲۰۶۶
 ۲۰۶۷
 ۲۰۶۸
 ۲۰۶۹
 ۲۰۷۰
 ۲۰۷۱
 ۲۰۷۲
 ۲۰۷۳
 ۲۰۷۴
 ۲۰۷۵
 ۲۰۷۶
 ۲۰۷۷
 ۲۰۷۸
 ۲۰۷۹
 ۲۰۸۰
 ۲۰۸۱
 ۲۰۸۲
 ۲۰۸۳
 ۲۰۸۴
 ۲۰۸۵
 ۲۰۸۶
 ۲۰۸۷
 ۲۰۸۸
 ۲۰۸۹
 ۲۰۹۰
 ۲۰۹۱
 ۲۰۹۲
 ۲۰۹۳
 ۲۰۹۴
 ۲۰۹۵
 ۲۰۹۶
 ۲۰۹۷
 ۲۰۹۸
 ۲۰۹۹
 ۲۱۰۰
 ۲۱۰۱
 ۲۱۰۲
 ۲۱۰۳
 ۲۱۰۴
 ۲۱۰۵
 ۲۱۰۶
 ۲۱۰۷
 ۲۱۰۸
 ۲۱۰۹
 ۲۱۱۰
 ۲۱۱۱
 ۲۱۱۲
 ۲۱۱۳
 ۲۱۱۴
 ۲۱۱۵
 ۲۱۱۶
 ۲۱۱۷
 ۲۱۱۸
 ۲۱۱۹
 ۲۱۲۰
 ۲۱۲۱
 ۲۱۲۲
 ۲۱۲۳
 ۲۱۲۴
 ۲۱۲۵
 ۲۱۲۶
 ۲۱۲۷
 ۲۱۲۸
 ۲۱۲۹
 ۲۱۳۰
 ۲۱۳۱
 ۲۱۳۲
 ۲۱۳۳
 ۲۱۳۴
 ۲۱۳۵
 ۲۱۳۶
 ۲۱۳۷
 ۲۱۳۸
 ۲۱۳۹
 ۲۱۴۰
 ۲۱۴۱
 ۲۱۴۲
 ۲۱۴۳
 ۲۱۴۴
 ۲۱۴۵
 ۲۱۴۶
 ۲۱۴۷
 ۲۱۴۸
 ۲۱۴۹
 ۲۱۵۰
 ۲۱۵۱
 ۲۱۵۲
 ۲۱۵۳
 ۲۱۵۴
 ۲۱۵۵
 ۲۱۵۶
 ۲۱۵۷
 ۲۱۵۸
 ۲۱۵۹
 ۲۱۶۰
 ۲۱۶۱
 ۲۱۶۲
 ۲۱۶۳
 ۲۱۶۴
 ۲۱۶۵
 ۲۱۶۶
 ۲۱۶۷
 ۲۱۶۸
 ۲۱۶۹
 ۲۱۷۰
 ۲۱۷۱
 ۲۱۷۲
 ۲۱۷۳
 ۲۱۷۴
 ۲۱۷۵
 ۲۱۷۶
 ۲۱۷۷
 ۲۱۷۸
 ۲۱۷۹
 ۲۱۸۰
 ۲۱۸۱
 ۲۱۸۲
 ۲۱۸۳
 ۲۱۸۴
 ۲۱۸۵
 ۲۱۸۶
 ۲۱۸۷
 ۲۱۸۸
 ۲۱۸۹
 ۲۱۹۰
 ۲۱۹۱
 ۲۱۹۲
 ۲۱۹۳
 ۲۱۹۴
 ۲۱۹۵
 ۲۱۹۶
 ۲۱۹۷
 ۲۱۹۸
 ۲۱۹۹

الوثيقة رقم ٣٤

وثيقة تتضمن ردا كتبه « جمال عبد الناصر » بنفسه لكي يذاع من إذاعة « صوت العرب » ردا على موقف الشيوعيين من قرارات يوليو الاشتراكية كما عبرت عنه صحفهم الصادرة في بيروت .

لقد كان الرد الذي كتبه « جمال عبد الناصر » بخط يده موجها في ظاهره إلى ما نشرته صحف الحزب الشيوعي في بيروت ، ولكن الرد في جوهريه كان موجها في الحقيقة إلى شرح الاختلافات الفكرية والتطبيقية التي تفرق ما بين رؤية الحركة القومية العربية لعملية التحول الاجتماعي ، وبين رؤية الحركة الشيوعية . ومن هنا فإن هذا الرد وثيقة فريدة من نوعها في وصف الخلاف الواسع ما بين موقفين ورؤيتين وتقديرين لتوجهات العمل الاجتماعي سواء على مستوى الغايات ، أو الوسائل .



بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وآله
 أما بعد
 فقد تم بحمد الله
 إعداد هذا الكتاب
 الذي هو منوعة
 من الكتب النافعة
 في معرفة الله
 ورسوله وآله
 والسير في
 تاريخهم وأحوالهم
 وما هم في
 الدنيا والآخرة
 من شأنهم
 وما هم في
 الدنيا والآخرة
 من شأنهم
 وما هم في
 الدنيا والآخرة
 من شأنهم

عندما اعلنت القرارات الثورية الاشتراكية في ج.ع.م. يوم ١٩ يوليو كانت المواضيع الرئيسية في كل الصحافة العالمية إلا صحف الشيوعيون العملاء في بيروت فخرجت صحيفة نداء العملاء الشيوعية التي تصدر في بيروت يوميا ولم تشر بكلمة إلى القرارات الثورية التي اعتبرها الشعب العربي نقطة تحول بالقضاء على الظلم الاجتماعي وإقامة عدالة اجتماعية . وصدرت جريدة أخبار العملاء الشيوعية التي تصدر في بيروت ولم تشر إلى القرارات الثورية بل اكتفت بتسويد صفحاتها بالسباب والأكاذيب ضد ج.ع.م. ولم يدهشنا ذلك فالعملاء قوم باعوا وطنهم بعد أن باعوا ضمائرهم .

ولكن جرائد الشيوعيين التي تصدر في بيروت - خرجت يوم الأحد الماضي بعد اثني عشر يوما من إعلان القرارات الثورية الاشتراكية الانسانية وسودت صفحاتها بحملة ضد ج.ع.م.

ما معنى ذلك كله ؟ .

معناه ان الشيوعيين العرب قد أفلسوا إفلاسا كاملا .

لقد كشفت الأمة العربية الأحزاب الشيوعية في بلادها . وبوعى الأمة العربية الأصيل عرفت حقيقتهم . وأن الشعارات التي أطلقوها ليست إلا خداع لتخدير الشعوب يمكنها من الانتفاض على الشعوب العربية الطيبة لتغرقها في بحار من الدماء كما حصل في العراق .

ولكن الشعب العربي عزل الأحزاب الشيوعية .

ماذا قالت جريدة الأحزاب الشيوعية العربية ؟ قالت .

« إن الشروط الرئيسية للاشتراكية كما تحددها المبادئ العلمية هي الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج الرئيسية وضمان سلطة البروليتاريا المتألفة مع جماهير الفلاحين . ثم قالت أن الاشتراكية تتطلب القضاء على كل أساس للرأسمال الفردي » .

هذا ما قالته جريدة الشيوعيين .

وردنا على ذلك واضح ان اشتراكيتنا اشتراكية إنسانية فهي كما تعمل لإقامة عدالة اجتماعية وإنهاء الظلم الاجتماعي تحترم الانسان وترفض أن تجرده من آدميته . إن اشتراكيتنا التي أعلنت الثورة عنها في أول يوم لها في المبادئ الستة تهدف إلى القضاء على الإقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال وإقامة عدالة اجتماعية ولكنها ترفض أن يكون الانسان كالألة الصماء لا مجال له في الحياة . إن اشتراكيتنا تضع قيمة الانسان في الاعتبار الأول فهو حر وله مجال للحركة والنشاط على أساس من مصلحة المجتمع وذلك بمنع الاحتكار والاستغلال وسيطرة رأس المال .

كما أن اشتراكيتنا في طابعها الانساني تيسر في طريق ينبع من طبيعة الشعب العربي .

إن اشتراكيتنا تهدف إلى بناء مجتمع متحرر من الاستغلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي بالوسائل السلمية لا بالهدم والقتل ، نريد إقامة العدالة الاجتماعية والمساواة بدون أن تسود طبقة على طبقة بدون انتقام . ونحن نؤمن أن هذا ممكن . بل أن تجربة الممارسة والتطبيق في ج.ع م تثبت ذلك .

إن الطبقة العاملة والفلاحين في ج.ع.م. وهي تحصل على حقوقها وذلك بإنهاء دكتاتورية رأس المال والاستغلال والإقطاع والاحتكار وبالمشاركة في الادارة والمشاركة في الحصول على ٢٥٪ من الأرباح استطاعت أن تقفز قفزة كبيرة في زمن أقل من القفزات التي حققها الشيوعية في بعض البلدان مع فرق واحد أساسي نحن لم نذبح الطبقة الرأسمالية أو الإقطاعيين نحن لم ننقم منهم ولم نحولهم إلى معدمين لأننا نؤمن أن الاشتراكية لا بد أن تكون إنسانية ولأننا نؤمن بإمكان حل التناقضات في المجتمع بالوسائل السلمية ولأننا نؤمن بالإنسانية والعدالة الاجتماعية في إطار الوحدة الوطنية . ولأننا نؤمن أن هدم وقتل الطبقة التي تملك هيبتها وسيادة طبقة جديدة أمر يتنافى مع طبيعتنا ومع إنسانيتنا أمر لا ينتج عنه إلا إضعاف لبلدنا وإدخال تسعين في دوامة الإرهاب الطبقي . أن شعبنا سيفرح دائما ويرتاح بحريته لأنه يطبق الاشتراكية على أسس إنسانية ولأنه لم يتخل عن أي فرد من أبنائه ولم يذبح جزء منه ولم يستعبد أي من أفراده أو يشرده لا لسبب إلا لأنه خلق في مجتمع ورث الإقطاع والرأسمالية

إن شعبنا سيبني المجتمع الاشتراكي الجديد بدون دم وبدون حقد وبدون انتقام سيبنيه على أسس إنسانية . إن الشعب العربي يرى في الاشتراكية بعثا جديدا للإنسان لكل إنسان ولا يقبل أن تكون الاشتراكية تجريدا للإنسان من آدميته . إن التطورات الضخمة التي شهدتها ج.ع.م. في ميدان التطبيق الاشتراكي منذ أول الثورة حتى الآن تتم بطريقة سلمية وبدون حقد للوصول إلى مجتمع تسوده العدالة والمساواة . مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات .

إن شعب ج.ع.م. يحقق المجتمع الاشتراكي بالوسائل السلمية بالمحبة والعمل ويرفض أن يكون سبيله إلى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية عن طريق الحرب الطبقيّة داخل صفوف الشعب أو عن طريق الحرب الأهلية .

يرفض شعب ج.ع.م. تغذية الصراع الطبقي داخل صفوف الشعب بفرض دفع التناقض إلى أقصى درجاته لإثارة حربا أهلية تؤدي إلى تدمير الطبقة التي تملك من أجل إقامة مجتمع المساواة عن طريق تمزيق شعبي داخلي عنيف ولكن شعب ج.ع.م. يريد أن يحقق الاشتراكية بطريقة أخرى فيها الإيمان الكامل بضرورة المساواة والعدالة الاجتماعية والقضاء على التناقض الطبقي دون حرب أهلية . إن اشتراكيّنا العربيّة ننادي بإذابة الفوارق بين الطبقات بالوسائل السلمية .

فإذا كانت الحرب الأهلية الطبقيّة بالنسبة للماركسية الطريق الوحيد للاشتراكية أو الطريق الذي تقره حتمية التاريخ والذي يجب أن يخضع له كل الاشتراكيين فإن ج.ع.م. في تجربتها الاشتراكية تؤمن أن الحرب الأهلية الطبقيّة ليست أمرا حتميا للوصول إلى الاشتراكية . إن شعب ج.ع.م. الذي يؤمن بالمحبة والعمل والوحدة الوطنية يعمل وهو يسير في طريق الاشتراكية على إزالة التناقض الطبقي في إطار من الوحدة الوطنية وإذا كان من الممكن الوصول إلى الاشتراكية دون أن تعاني الأمة من الصراع الطبقي الدموي الذي يمزق المجتمع بقسوة فلماذا الإصرار على إثارة الحرب الأهلية الطبقيّة واعتبارها أمرا لا مفر منه . ولماذا الإصرار في أن تسود طبقة البروليتاريا وتحتطم وتسحق كل الطبقات إذا كانت الاشتراكية تحقق المساواة والعدالة الاجتماعية لصالح مجموع الشعب . إن شعب ج.ع.م. وهو يعمل للتحويل الاشتراكي وهو يرفض إثارة الحرب الأهلية الطبقيّة يصمم على انتزاع حقوق الطبقة العاملة بالوسائل السلمية كما يصمم على تطهير المجتمع من الإقطاع والاستغلال وسيطرة رأس المال . إن الاشتراكية التي نعمل بها لا تستهدف تجميد النضال الطبقي وتثبيت الاستغلال والتحكم والسيطرة بل تهدف إلى إزالة الاستغلال وسيطرة رأس المال والإقطاع وإقامة المساواة والعدالة الاجتماعية بدون تعريض المجتمع لحرب طبقيّة مدمرة . يقول الشيوعيون أن هذا مستحيل والاشتراكية الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال ثورة طبقيّة تمحو بالدم كل آثار الاستغلال .

إن ثورة ج.ع.م. أثبتت إمكان إقامة مجتمع اشتراكي دون إشعال الحرب الطبقيّة المدمرة داخل صفوف الشعب كما أثبتت إمكان إقامة مجتمع اشتراكي في إطار من الوحدة القومية .

قالت جريدة الاخبار البيروتية الناطقة باسم الشيوعيين :

« إن التدابير التي اتخذتها ج.ع.م أبقت جميع الأسس الرأسمالية فما زال هناك حق الملكية الكبيرة هناك حق ملكية ١٠٠ فدان وهذا يعنى استثمار الإنسان للإنسان » .

وردنا على جريدة الشيوعيين بسيط واضح . لقد فقد الشيوعيون رؤوسهم حينما شعروا أن الاشتراكية تطبق بدون حرب طبقية وبدون حمامات الدم وبدون قتل الطبقات التي تملك . هل يذكر الشيوعيون أن ملكية الأرض في ألمانيا الشرقية الشيوعية ٢٥٠ فدان وما رأى فلاسفتهم في هذا التطبيق . إن الاشتراكية لا يمكن أن تكون نظاما واحدا ثابتا أو نظرية شاملة مخطوطة معدة للتطبيق في كل مكان حتى المعسكر الشيوعي نفسه انقسم الرأى فيه حول مفهوم الاشتراكية الصحيح . إن اشتراكية لينين غير اشتراكية ستالين غير اشتراكية خروشوف غير اشتراكية ماوتسى تونج وغير اشتراكية تيتو .

وهناك اتهامات متبادلة بالانحراف فالشيوعيون الصينيون يعلنون عن عزمهم على تطبيق اشتراكية ماركس بحرفيتها لبلوغ الشيوعية .

إن لكل بلد من الأسباب ما يجعله أقدر على معرفة الاشتراكية التي تناسبه . إن اشتراكية ج.ع.م منبثقة من ظروف شعبنا وأهدافه وحاجاته وتكوينه وطبيعته أنها ليست اشتراكية ماركس أو لينين أو ماوتسى تونج أو تيتو أو حزب العمال البريطانى . إن اشتراكتنا هي الحل الصحيح لمشاكل المجتمع في بلدنا .

إن الماركسية تنص على أن الانتقال للشيوعية أو الاشتراكية لا يتم إلا بعد أن يتحول المجتمع الإقطاعى إلى مجتمع برجوازى أى نتيجة لتطور الصناعة وزيادة الطبقة العاملة وأن الثورة الشيوعية ستحدث في بلد صناعى . ولكن لينين خالف هذه النظرية وصمم على الانتقال للشيوعية راسا وقد عارضه كبار الشيوعيين في حزبه ولكنه قال أن الهدف هو الوصول إلى الحكم وعن طريق الحكم سيطبق الشيوعية بل هل طبق لينين الشيوعية إنه حافظ على الكولاك حتى يحصل للشعب على حاجته من القمح وحتى لا تطيح المجاعة بالحكم .

إن أكبر عار يحيط بالشيوعيين العرب أنهم قفلوا على عقولهم بأغلال التبعية فالاشتراكية بالنسبة لهم ليست إلا أن يتحول الفرد إلى عميل ، أما مفهوم الاشتراكية أما القضاء على الظلم الاجتماعى وإقامة عدالة اجتماعية فأمور لا تعنيهم بشيء ولو طبقت أى بلد الشيوعية بحدافيرها ورفضت التبعية فإن الشيوعيين لن يقبلوا فالتبعية دينهم الوحيد وكل ما يقال غير ذلك ليس إلا خداعا وتضليلا .

وتستمر جريدة الأخبار الناطقة باسم الشيوعيين العرب العملاء فتقول :

« إن هذه التدابير تدخل ضمن نطاق ما يسمى برأسمالية الدولة . ثم تقول أن البرجوازية ترى في هذا القطاع العام تعبيرا عن مصالحها . فهي تضعف تراكم الراسمال لديها ولعدم قدرتها على بناء مشاريع كبيرة كمحطات توليد الكهرباء والسدود ومشاريع الرى وسكك الحديد والأساطيل البحرية والنهرية تشجع الدولة على القيام بهذه المشاريع لكى تستخدمها فيما بعد بأسعار رخيصة ومن هنا تظهر ناحية هامة وهى ارتباط محتوى وصفه القطاع العام بالسلطة القائمة ففى كل سلطة البروليتاريا يعتبر قطاع الدولة مؤسسة اشتراكية لأنه لا يوجد لصالح الجماهير أما في ظل سلطة البرجوازية فهذا القطاع لا يتصف

بهذه الصفة أبدا . وهو موضوع نضال بين البرجوازية التي تحاول دائما تسخير مصالحها وبين الجماهير الشعبية التي تعمل لإنقاذه وجعله في خدمة المصالح الشعبية العامة .

الا يظهر من هذا القول أن الشيوعيين فقدوا عقولهم .

هل إشراك العمال في الإدارة رأسمالية الدولة ؟

هل اشتراك العمال في ٢٥٪ من الأرباح رأسمالية الدولة ؟

هل التأميم لصالح البرجوازية كما يقول الشيوعيون ؟

هل التأميم والقطاع العام لصالح الاحتكارات كما يقول الشيوعيون ؟

إن ما يعنيه الشيوعيون أن القطاع العام لا يعتبر مؤسسة اشتراكية إلا في حالة واحدة فقط وهي حكم البروليتاريا أي حكم الحزب الشيوعي . أما تطبيق الاشتراكية بغير الحزب الشيوعي فامر محرم لا يرضى به الشيوعيون الذين قفلوا عقولهم ولا يمكن أن يتصوروا أن الاشتراكية يمكن أن تطبق بدون حمامات الدم وبدون الحرب الأهلية الطبقية .

يقول الشيوعيون أن القطاع العام لخدمة البرجوازية والاحتكار لأن السلطة برجوازية . هذا هو الموضوع . السلطة . كل ما يتم حلال وصحيح إذا كانت السلطة شيوعية . القتل مباح إذا كانت السلطة شيوعية . السحل مباح إذا كانت السلطة شيوعية . الإرهاب مباح إذا كانت السلطة شيوعية . الظلم مباح إذا كانت السلطة شيوعية . معسكرات الاعتقال مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . الحزب الواحد مباح إذا كانت السلطة شيوعية . المحاكم الخاصة مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . الملكية مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . ملكية ٢٥٠ فدان مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . حتى الملكية الرأسمالية أبيضحت في السلطة الشيوعية . كل شيء مباح على شرط أن يتربع الحزب الشيوعي في الحكم . على شرط أن تسود البروليتاريا التي يمثلها الحزب الشيوعي . أما الاشتراكية أما العدالة الاجتماعية فلا يباح لغير الشيوعيين أن يمارسوها مهما بلغت عدالتها ومهما بلغت في التطبيق لأن الشيوعيين هدفهم الأمية قبل الاشتراكية والأمية هي حركة عالمية لا تقوم على المساواة بل تقوم على التبعية . إننا نطالب الشيوعيون أن يدلونا على الاحتكاريين في بلادنا أو يدلونا على سيطرة رأس المال لصالح البرجوازية في بلادنا . إنها شعارات بالية شبع الشعب من سماعها وكشفها بل كشف الشيوعيين عن طريقها . إن الشيوعيين يريدون السلطة يريدون الحكم ولو تحالفوا مع الرجعية والإقطاع . إن الشيوعيين لا مبدأ لهم فالغاية تبرر أي فعل . تبرر الطعن في أشرف ثورة عربية . إن الشيوعيين يريدون العمل من أجل الجماهير من أجل العمال والفلاحين احتكارا لهم حتى يستخدموا الطبقة العاملة في الوصول إلى الحكم وحتى يجعلوا من بلدهم بلدا تابعا .

قالت جريدة الأخبار لسان حال الشيوعيين العرب :

« إن الحكم في ج . ع . م حكم إرهابي موجه ضد جماهير العمال والفلاحين وضد البرجوازية الوطنية في سوريا » .

الم يفقد الشيوعيون العقول ؟ ألم يفقدوا المنطق ؟ هل تحديد الملكية الزراعية على الاقطاع موجه ضد الفلاحين ؟

لصالح من ؟ لصالح الإقطاع ؟ هل تأميم ٨٠٪ من وسائل الإنتاج موجه ضد العمال
لصالح من ؟ لصالح رأس المال أو لصالح البرجوازية ؟

ثم يكشف الشيوعيون أنفسهم وهدفهم حينما يتملقون البرجوازية السورية - إن الأمر واضح وضوح الشمس . إن حقد الشيوعيين مرض مزمن خطير ولا يمكن أن يبرأوا منه . لقد فقدوا أملهم في الحكم ففقدوا أملهم في سوريا بعد أن كشفهم الشعب . إن الشيوعيين أفلسوا . لن تنفع شعاراتهم ليس أمامهم إلا البرجوازية والإقطاع ليتحالفوا معهم لا لهدف إلا الوصول إلى الحكم . ولكن اشتراكيتنا تسير في إطار من الوحدة الوطنية . ومهما تباكى الشيوعيون على البرجوازية الوطنية فإن الكل يعرف أنهم لو وجدوا الفرصة لذبحوهم جميعا بل لذبحوا بعضهم البعض في سبيل شيء واحد السلطة . الحكم .
ثم تستمر جريدة الأخبار الشيوعية في هذيانها فتقول .

«إن الراسمال الاستعماري يشارك في القطاع العام ويجثم خطر توسع الاستغلال الاستعماري للشعب في إقليمي الجمهورية عن طريق هذا القطاع . ويمكن القول أن الراسمال الاستعماري التي كانت سوريا مغلقة أمامها أمكن دخولها تحت ستار هذا القطاع . »
ثم تستمر في الهذيان وتقول :

« إن قضية تأميم التجارة الخارجية ستكون عاملا مفيدا لاقتصاد البلاد إذا ترافق بتوسيع التعامل مع المعسكر الاشتراكي . أما إذا اتجه لتوسيع التعامل مع المعسكر الراسمالي - وهذا ما هو ملحوظ حاليا فإن الوضع سيتردى كثيرا - أما القروض فهي وسيلة استثمار أخرى . »

حقا لقد فقدتم عقولكم أين هو الراسمال الاستعماري سواء في سوريا أو في مصر . لقد أممنا كل المؤسسات البريطانية وكل المؤسسات الفرنسية وكل المؤسسات البلجيكية - ثم أممنا ٦٠٪ من شركة البترول البريطانية . أين الراسمال الغربي الذي دخل سوريا بعد عام ٥٨ بعد الوحدة للاستثمار .

لم يدخل سوريا رأسمال للاستثمار أما مصر فإن استثمار رأس المال الأجنبي مشروط بصور قرار جمهوري . ما دخل مصر منذ أول الثورة حتى الآن لا يزيد عن ثمانية ملايين من الجنيهات من مجموع استثمار ٨٠٠ مليون جنيه سنويا وفق سنة ٦١ / ٦٢ .

وهل نسى الشيوعيون أن لينين بعد نجاح ثورته طالب بالراسمال الأجنبي وأباحه . وهل ينسى الشيوعيون أن لينين بعد الثورة حاول بكل الوسائل أن يحصل على قروض أجنبية من الدول الغربية لينقذ الاقتصاد المنهار . أما عن التجارة فلماذا يريد منا الشيوعيون أن نتاجر مع لا نتاجر إلا مع المعسكر الاشتراكي . لماذا حلال على دول المعسكر الاشتراكي أن نتاجر مع الدول الرأسمالية مع أمريكا وألمانيا وإنجلترا وإيطاليا وفرنسا ولماذا يحرم علينا أن نتعامل مع العالم على قدم المساواة . ألم يوقع الاتحاد السوفييتي إتفاقية مع بريطانيا منذ عدة أسابيع اشترى عن طريقها المصانع والآلات . هذا مباح . أما نحن فغير مباح لنا ذلك . ألم تحصل بولندا على مساعدات من أمريكا . فائض القمح والمواد الغذائية بما يبلغ ٦٠٠ مليون دولار . هذا مباح لبولندا . أما لنا فغير مباح وفق رأى الشيوعيين إلا أن نتعامل مع المعسكر

الاشتراكي نرضى بما يعطينا ولا مجال لنا في أن نخرج من هذه الدائرة . هذا منطق العملاء . إن القروض نبنى بها بلدنا وندفعها من عملنا . إننا نتاجر مع العالم كله . نأخذ احسن الاسعار . تجارنا مع العالم كله بلا قيد ولا شرط . نفترض من العالم كله بلا قيد ولا شرط . اما كلامكم فهو قول الاتباع الذين لا تهمهم مصالح بلادهم او رفاهية شعوبهم وكل ما يهمهم ان يكونوا عملاء .

واستمرت جريدة الشيوعيين في هذيانها فقالت :

« هناك شكل خطير يطبق في الصناعة في ج.ع.م إذ تقوم صناعات مشتركة تساهم فيها شركات استعمارية مع رأسمالية الدولة مثل صناعة السيارات . فهذه الصناعة المتفق عليها مع شركات ألمانيا وإيطاليا تقوم على تصنيع الأجزاء الرئيسية للسيارة في الخارج وتجمع في ج.ع.م وتستثمر اليد العاملة بواسطة الشركات الأجنبية الغربية وتعفى من الجمارك والضرائب وتحتكر السوق وتجنّي أرباحاً طائلة تحت ستار قطاع الدولة » .

وردنا على ذلك أن الشيوعيين يتبعون أسلوبهم المبني على التجرد من كل أخلاق .

إن صناعة السيارات في ج.ع.م صناعة عربية خالصة . إن الاتفاق مع الشركات الألمانية هو اتفاق لبناء مصنع لعربات النقل والأمنيوس . ونص في الاتفاق على أن يقوم التصنيع على مراحل ثلاث كل مرحلة سنة واحدة في السنة الأولى نصنع ٣٠٪ من السيارة وفي الثانية نصنع ٧٠٪ من السيارة وفي الثالثة نصنع ٩٥٪ من السيارة . وكذلك في عربات الركوب ستقوم الشركة الإيطالية ببناء المصنع وبعد ثلاث سنوات يتم تصنيع ٩٦٪ من السيارة في ج.ع.م .

واستمرت جريدة الشيوعيين فقالت :

« إن أخطر ظاهرة في الاستقراض من الدول الاستعمارية استخدام القروض في الدول الأخرى أيضاً . وفي القرض الألماني الغربي الأخير بند يقول بإمكان التعاون في توظيف كميات من هذا القرض في البلدان الأخرى وهذا يعني أن قطاع الدولة في ج.ع.م سيكون ستارا للاستعمار الألماني الغربي للتغلغل في البلدان الأفريقية التي يصعب عليه الدخول فيها » .

وردنا على ذلك أن الشيوعيين لم يكتفوا بنشر الأكاذيب لخلق الشكوك في داخل الأمة العربية بل يحاولون أن ينشروا الشك في أفريقيا . أن ج.ع.م وهي تعطي القروض للدول الأفريقية إنما تحارب نفوذ الاستعمار بكل أشكاله ونفوذ إسرائيل . وهي تعطي هذه القروض من أموالها .

أما النص الذي نشرته صحيفة الشيوعيين العملاء عن بند يسمح بإعطاء جزء من قروض ألمانيا إلى أفريقيا فلا يوجد إلا في رؤوس الشيوعيين . لا يوجد نص بهذا الشكل ولا يسمح للجمهورية العربية المتحدة بأن تصرف القرض في بلد آخر . هناك نص يقول يمكن لألمانيا أن تحصل على القرض من بلد آخر أما نحن فلا نحصل على القروض أموال سائلة سواء من روسيا أو ألمانيا ولكننا نحصل عليها على شكل آلات . إن حقد الشيوعيين يدفعهم لأن يسهلوا الطريق لإسرائيل في أفريقيا لتسيطر فهذا لا يهم الشيوعيين في شيء أما ما يقلق الشيوعيين فهي ج.ع.م لأنها تسير في طريق الاشتراكية المستقلة ، لأنها لا تقبل طريق التبعية .

ثم تقول صحيفة الشيوعيين .

« إن الغرض من التأميم وضع اليد على ودائع البنوك وشركات التأمين لأغراض التنمية . ومن المعروف أن نتائج السنة الأولى لخطة التنمية لم تنجح تماما وفي سوريا لم ينفذ أكثر من ٤٠٪ مما هو مرسوم في الخطة » .

الا يدعو هذا الكلام إلى السخرية وإلى الضحك ؟

إذا تركنا البنوك قلتم احتكارات برجوازية . إذا أممنا البنوك قلتم ما الغرض ؟ الغرض استخدامها في التنمية .

الغرض مرض ومرضكم معروف . مرضكم الفشل المريع . مرضكم الانعزال عن الشعب العربي . من سوء حظكم أن الخطة نجحت في مصر . ومن بلاء حظكم أنها نجحت في سوريا أيضا . إن الخطة للسنة الأولى في مصر تم منها تنفيذ ٨٥٪ والباقي في طريق التنفيذ . وما نفذ حتى الآن يمثل ضعف ما نفذ في العام الماضي . أما في سوريا فإن الخطة للسنة الأولى نفذ منها ٧٥٪ والباقي في طريق التنفيذ . وما نفذ أكثر من ضعف ما نفذ في العام الماضي .

ثم تقول جريدة الشيوعيين :

« إن الغرض من هذه التدابير هو الوفاء بأعباء القروض المختلفة فإن العربية المتحدة لجأت إلى سياسة الاستقراض بشكل واسع وخاصة من الدول الاستعمارية وهي مدينة لألمانيا الغربية وحدها بأكثر من ٢٠٠ مليون جنيه وللولايات المتحدة بأكثر من ٣٠٠ مليون جنيه عدا ديون إيطاليا وإنجلترا واليابان وتعويض حملة أسهم قناة السويس وأصحاب الأملاك الانجليزية والفرنسية والبلجيكية المؤممة . إن العربية المتحدة أمام موقف دقيق ولا بد من وسيلة لجمع الأموال للإيفاء بهذه الأعباء » .

هذا ما يقوله الشيوعيون فهو كلام يقال إما عن جهل أو سوء نية . إن ج . ع . م حصلت على قروض قيمتها ٤٠٠ مليون جنيه . منها ٢٠٠ مليون من الاتحاد السوفييتي استخدم منها حتى الآن ٥٠ مليون فقط ومنها ٢٠٠ مليون من الدول الغربية استخدم منها ٢٥ مليون لألمانيا .

١٠ مليون لليابان .

والباقي لم يستخدم حتى الآن .

أما قروض أمريكا فهي نتيجة شراء حاصلات بالعملة المحلية .

أما أموال المؤسسات البريطانية والفرنسية المؤممة فقد دفعت بالكامل . أما تعويض

تأميم قناة السويس فقد دفع عدا قسط واحد .

هذه هي الحقيقة . .

ثم تقول جريدة الشيوعيين :

« إن من الأسباب القابضة وراء هذا التدبير - تقوية الطابع الاحتكاري للاقتصاد والتناقض بين الزمرة الحاكمة وبعض الاحتكاريين المصريين لأن الزمرة الحاكمة في مصر منذ ٩ سنوات أصبحت لها أسس ومصالح اقتصادية » .

وردنا على ذلك أن الشيوعيين يتخبطون . هل توزيع الأرض على الفلاحين تقوية للطابع

الاحتكارى ؟ هل قوانين تحديد الدخل والضرائب التصاعدية تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل التاميم تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل تحديد الملكية فى الشركات تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل إشراك العمال فى الإدارة تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل إشراك العمال فى الأرباح وتوزيع ٢٥٪ منها عليهم تقوية للطابع الاحتكارى ؟ ونسال الشيوعيين ما هى المصالح الاقتصادية للزمرة الحاكمة كما تقولون .

إن هذا القول لا دافع له إلا الحقد الذى تنفعل به قلوبكم بعد أن آمن الشعب العربى بالاشتراكية العربية القومية ونقض أساليب الشيوعيين لأنه كشفهم . لقد كشف الشعب العربى تضليل الأحزاب الشيوعية وأصبحت الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية معزولة ومنبوذة . وبعد ثورة العراق كان أى شيوعى يخرج فى الطريق يتابعه الأحرار بهتاف دخل التاريخ . شيوعى فوضوى عميل . وقالت جريدة الشيوعيين :

« ضمن القرارات التى صدرت قرار يقول بمنح ٢٥٪ من صافى الأرباح للعمال وهذا القرار أكثر القرارات تضليلاً وهو الكذبة الكبرى » . وقالت الجريدة « وسيرافق كل ذلك محاولات لانعدام الصراع الطبقي » . وردنا على ذلك أن الشيوعيين فقدوا كل الأرض التى تصوروا أنهم يقفون عليها وهم يصرون على النضال الطبقي والحرب الأهلية ولا يهتمهم بحال تحسين حالة العمال أو مشاركتهم فى الإدارة نتيجة عملهم بدلاً من استمرار الإدارة مقصورة على أصحاب رأس المال .

لا يهتم أن يأخذ العمال ٢٥٪ من الأرباح بدلاً من قصر الأرباح جميعها على رأس المال . ليس هذا انحرافاً عن جميع الأفكار الاشتراكية - لقد صدق الشيوعيون لأن هذه الخطوة الجبارة تعتبر نقطة تحول عظمى بالنسبة للعمال فى العالم أجمع . بل إن العامل فى الدول الشيوعية لم يحصل على هذه الامتيازات . إنها امتيازات تنصف بالصفة الإنسانية . فالعامل ليس آلة بل إنسان يشارك فى الإدارة ويشارك فى الأرباح ولا يريد الشيوعيون للعمال إلا أن يكون آلة ضمن المصنع لا إنسانية له ولا آدمية . كل ما يطلبون هو الصراع الطبقي حتى تصل البروليتاريا إلى الحكم وتهدم المجتمع بالعرف . وإذا حصل العامل على هذه الامتيازات تبخرت آمال الشيوعيين فى حتمية الصراع الطبقي وضاع أملهم فى الحكم وضاع أملهم فى هدم المجتمع بالقوة والعنف وأصبحوا فى وضع منعزل .

وقالت جريدة الشيوعيين :

« إن عبد الناصر وعد بتحقيق يوم العمل بالسبع ساعات ثم قالت إن هذا قول ستجرى المماثلة حوله ولن يتم ومن الواضح أن هذا التدبير يهدف إلى تشغيل عدد من العاطلين عن العمل » .

وردنا على هذا القول أن الشيوعيين صدقوا من هذا الإجراء فإن الدول التى تطبق يوم العمل بالسبع ساعات لا تزيد عن ثلاث دول أو أربع والكثير من الدول الشيوعية لا زالت تطبق معسكرات العمل والثمان ساعات . هل هذا ما تريدون أن نطبقه فى بلدنا .

إن الصناعة فى ج.ع.م سارت فى تطورها وتضاعف إنتاجها فى سبع سنوات وأن الآلات الحديثة التى تستخدم والأتوميشن تستدعى عدداً أقل من العمال لتشغيل الماكينات وهذا

سبب لتخفيض ساعات العمل . أما البطالة التي يتشدد بها الشيوعيون فهي نتيجة الاستعمار وحكم أعوان الاستعمار . فكيف حلتها الشيوعية . أو كيف يقترح الشيوعيون الحلول لها . إن البطالة استمرت في الاتحاد السوفييتي بعد الثورة الشيوعية إلى ما بعد عام ٣٢ - ولكن اشتراكيتنا ستقضى على البطالة بمضاعفة الإنتاج كل خمس سنوات ومضاعفة الدخل القومي كل عشر سنوات وبتقليل ساعات العمل . ولن تبقى البطالة سيفاً مصلطاً كما يقول الشيوعيون . من أجل القضاء على البطالة نتوسع في التصنيع ونحصل على القروض التي لا يرضاها الشيوعيون . إن الشيوعيين يهاجمون التوسع التجاري في أفريقيا ويقولون هذه سياسة توسعية ويهاجمون الحصول على القروض من الدول الرأسمالية ويقولون اقصروها على الدول الشيوعية . ثم يقولون أن هناك بطالة . بأى منطق يتكلم الشيوعيون . ثم يقول الشيوعيون في جريدتهم :

« إن أمراً هاماً يجب ذكره في هذا المجال ففي سجون ج . ع . م . عدد كبير من الشيوعيين وهؤلاء هم أشد أنصار الاشتراكية فكيف يمكن التوفيق بين إدعاء الاشتراكية وحبس الشيوعيين » .

وردنا على هذا أننا نحبس الشيوعيين لأنهم عملاء تنكروا لوطنهم وشعبهم وقوميتهم وعروبته . وهل هناك دليل على هذا أوضح من هذا البيان الذي نشرتموه . إن الاشتراكية ليست احتكاراً . إن الاشتراكية ملازمة للقومية . تنكرتم للوطنية وتنكرتم للقومية بل تريدونها حرباً أهلية طبقية تهدم وتقتل لتسيل بحار الدماء .

إن الاشتراكية مرادفة للإنسانية وأنتم تنكرتم لكل قيمة إنسانية . هدفكم الحكم والهدم والقتل . إن الاشتراكية ملازمة للأخلاق وأين الأخلاق منكم إن الغاية تبرر الوسيلة . الغاية الحكم أما الوسيلة فلا حد لها . إن مكان العملاء في بلادنا هو السجن أما العمل فهو للشرفاء .

وهاجمت جريدة الشيوعيين كل هذه الإجراءات وقالت أنها سابقة لأوانها بالنسبة لسوريا . فقد تناولت تدابير التأميم أو توسيع القطاع العام عدداً من الشركات الصناعية السورية ومعروف أن سوريا ظروفها الخاصة وهنا يطرح سؤال : اليس وراء هذه التدابير ابتلاع سوريا نهائياً .

وردنا على ذلك أن المنطق ينقصكم . لماذا تتمسحون وتتملقون البرجوازية في سوريا . لماذا تتناسون برامجكم التي تطبقونها إذا وصلتكم للحكم . ألا ينص برامجكم على هدم الطبقات البرجوازية بالقوة والقضاء عليها وتجريدها من كل ما تملك . سيادة البروليتاريا . ألم تطبق الشيوعية ذلك ؟ لماذا تذرّفون دموع التماسيح على البرجوازية في سوريا ولو وقعت في يديكم لذبحتموها وجردتموها من كل ما تملك .

إن أملككم في ابتلاع سوريا ضاع ولهذا تتملقون البرجوازية عسى أن تسانذكم وتحالف معكم لتوصلكم إلى هدفكم فتقلبوا عليها بعد هذا وتهدمونها وتقتلونها وتسلبوها كل ما تملك . ولكن هل تغفل هذه الحيل . إن الاشتراكية العربية تبني مجتمعا إنسانيا بلا قتل ولا هدم . بالوسائل السلمية . وهذا يجردكم من كل أسلحتكم التي استخدمت لإثارة الصراع الطبقي لاستخدامه للوصول إلى الحكم . إنكم أعداء للوحدة العربية ولهذا تقولون أن هذه الإجراءات ستبتلع سوريا .

ولكن ما راىكم بالأممية بل ما راىكم بالتبعية ؟ إن هذا واضح فى برامجكم . الأممية ترضونها والتبعية ترضونها إما الوحدة العربية . أما القضاء على الحدود المصطنعة التى خططها الاستعمار فلا توافقون عليها .

ثم يستمر الشيوعيون فيقولون « إن مبدأ الضريبة التصاعدية مبدأ صحيح ولكن مبادئ العدل تتطلب بالدرجة الأولى إلغاء الضرائب غير المباشرة » .

هل المجتمع الاشتراكى يعتمد أصلا على الضرائب المباشرة ؟ لنأخذ الاتحاد السوفييتى مثلا : إن ٨٥٪ من الضرائب غير مباشرة . أما بالنسبة لأسعار المواد الاستهلاكية كالسكر أو الكماليات وهذا امر طبيعى فالضرائب المباشرة تطبق على الملكيات الكبيرة . وفى النظام الاشتراكى لا توجد ملكيات كبيرة .

إن نظامنا الاشتراكى يعتمد على الضرائب المباشرة وغير المباشرة .

إن الأنظمة الشيوعية تعتمد أساسا على الضرائب غير المباشرة .

ثمان كيلو السكر عشر أضعاف ثمنه فى ج.ع.م .

ثمان الملبوسات عشر أضعاف ثمنها فى ج.ع.م .

ليس كلامكم كله تضليل ؟

ثم يقول الشيوعيون فى جريدتهم :

« إن تقوية الجبهة الوطنية أمر هام جدا ويجب توسيع النشاط بتوحيد جميع القوى الوطنية المختلفة من أجل إعادة النظر فى أسس الوحدة ونشر الديمقراطية وسلوك سياسة وطنية » .

لقد كشف الشيوعيون انفسهم مرة أخرى فهدفهم الأول هو كسر الوحدة العربية ولو تحالفوا مع البرجوازية ومع الإقطاع والرجعية . الأمر للشيوعيين ليس إقامة عدالة اجتماعية بل الأمر بالنسبة لهم أمر واحد : السيطرة الشيوعية .

لقد اكتسح تيار القومية العربية الشيوعية . لقد اكتسح التيار الاشتراكى العربى الشيوعيين . فاين أصبحوا الآن ؟ نسوا كل ما تكلموا عنه وذكروا شيئا واحدا لابد من سيادة الحزب الشيوعى وهدم كل الأمة بكل مقوماتها بالقوة والعنف . هذه هى الديمقراطية . أن يحكم الحزب الشيوعى وأن يقتل كل من يعارضه . الديمقراطية فى عرفكم معسكرات العمل والسخرة . الديمقراطية فى عرفكم أن يكون الإنسان كالألة لا مجال له إلا ما يقرره الحزب الشيوعى . إن الشعب العربى كشف الشيوعية وعرفها وكشف الشيوعيين وسيسير فى طريق الاشتراكية الإنسانية .

الوثيقة رقم ٣٥

٣٦

الوثيقة رقم

صورة للصفحة الأولى من خطاب ثان كتيبه الرئيس « جمال عبد الناصر »
بخط يده بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٥٩ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذي كان
لا يزال في دمشق ، وهو يروى فيه تفاصيل الأزمة الممتدة مع حزب البعث
السوري . ويلاحظ في هذا الخطاب قول الرئيس « جمال عبد الناصر » : « أرجو
أن تجهز ترشيحاتك (للموارة الجديدة) على أن يكون فيها مدنيين إذ انني
لاحظت أنك رشحت عسكريين فقط » .

الأحد ٢٧ ديسمبر

عزيزي عبد الحكيم
أهديك تحياتي
وأشواقي وأرجو أن تكون
بخير استلمت جوابك الآن
الساعة الرابعة بعد
الظهر - حيث كان عندي
قنوت حتى الساعة
الثالثة - وأنا لا أشعر بأى
ضيق ولكن من الضروري
أن أطلعك على كل ما يقال
في هذه المقابلات تفصيليا
حتى تعطيني رأيك بسرعة
إذا كان هناك رأى جديد
أو فكرة جديدة - . وأنا
سأقابل اليوم الساعة
الثامنة صلاح البيطار
وبكر ظهرا أكرم
الحوارنى - وسأعلن مساء
قبول الاستقالة - أرجو أن
تجهز ترشيحاتك على أن
يكون فيها مدنيين إذ انني
لاحظت أنك رشحت
عسكريين فقط .

للمرئس
السلامة والبركة
هذه هي الحكيمة
أصلها
أنا تكتبه بيا - أنت جوابك الذي
الساعة الرابعة بعد الظهر - حيث كان
عندي قنوت حتى الساعة الثالثة -
أنا لا أشعر بأى ضيق ولكن من الضروري
أن أطلعك على كل ما يقال في هذه المقابلات
تفصيليا حتى تعطيني رأيك بسرعة إذا كان
هناك رأى جديد أو فكرة جديدة - . وأنا
سأقابل اليوم الساعة الثامنة صلاح البيطار
وبكر ظهرا أكرم الحوارنى - وسأعلن مساء
قبول الاستقالة - أرجو أن تجهز ترشيحاتك
على أن يكون فيها مدنيين إذ انني لاحظت أنك
رشحت عسكريين فقط -

الوثيقة رقم

صورة للصفيحة السادسة من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٥٩ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذي كان لا يزال في دمشق ، وهو يحتوى على جزء من مناقشة بين الرئيس والاستاذ « صلاح البيطار » حول تجربة الوحدة مع سوريا .

للزينة
هذا ملحق كطراز اليطار له
سواء . وببذله ثاقفته
فكلا - فقلت له - هل تذكر ان
نفعه الاستغفار - الله لست عبيده
حاشي شايه وكان في موجوده بعد الموت
بمرويا فهايد به الالاف الاضداد
نظمت مله فذلك على الله ان
كانت تزدسه البعيتيه فقال نعم
وقلت له انكم انتم حقيقه حقيقه
للزينة تم انتم حقيقه حقيقه
فانا انتم حقيقه حقيقه . الاله الاله - ان
كانت ضاربه انه حقيقه حقيقه حقيقه
وعينا هذا الذي انتم حقيقه حقيقه
لكل حقيقه - انكم حقيقه حقيقه حقيقه
وكلا حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه
وان نطقه حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه
حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه
حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه
انا الله حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه
فكان حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه حقيقه

هذا ملخص لكلام
البيطار لمدة ساعة . وبعد
ذلك ناقشته في كلامه -
فقلت له - هل تذكر أن
نخمة الاستعمار المصري
ليست جديدة وانها قديمة
وكانت موجودة بعد
عودتي من روسيا في مايو
من العام الماضي واني
تكلمت معك في ذلك على
اساس انها كانت ترد من
البعثيين فقال نعم وقلت
له انكم اتبعتم طريقة
سلبية للضغط ثم اتبعتم
طريقة اللمز ولذلك فانا
اغلقت جريدة « الرأي
العام » التي كانت تحاول
ان تبين مصرى وسورى
وحيثما بحثنا الامر اقترح
ميشيل ان تشكل لجنة من
احرم وميشيل والبيطار
وثلاثة من مصر يكون لها
السلطة في كل شئ واني
رفضت ذلك وقلت اني لن
اقبل لجنة وصاية وهناك
دستور ومنظمات يمكن ان
تكون ليكون جهاز الحكم

لقد كانت هذه فكرة ميشيل
وانا لم

طبيعى أما اللجنة السرية
فسيكون ضررها بالغا فقال

٣٨

الوثيقة رقم

صورة للصفحة الثامنة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٥٩ ويلاحظ فيها إلحاحه على تفضيل المدنيين في الوزارة ، كما يلاحظ فيها طلبه في التخفيف من إجراءات « الدولة البوليسية » بعد أن سمع من كثيرين عن نشاط وزارة الداخلية في سوريا .

الرئيس
جلست في دمشق والأمر بالنسبة
١٣ من شهر يناير
أمر دواته أن أشكركم
أن شئت إلى هذه المدة
أنظر الرئيس أن يكون في
الرئيس -
وإذا كان له يكلمه فبما أن
حيث بالمدنى فبما أن
الاسم الذي ذكره في السنة العاشرة
وأهم سنة يكون عليه الأمر
هو السيد البوليسية وذا أنه في
أنه تمتع بداره الداخلية في السنة
المدنى - ويجب منع الاعتقالات كلية
أنه بقرار منكم ويجب منع أي شيء
أو تعذيب -
كما أن السيد البوليسية
الاداب بالمدنى من نطاه الموضوعات

بحملتهم في دمشق والأمر
بالنسبة لهم مسألة حياة
أو موت .
أعود وأقول أنني أترك
أمر الترشيحات الجديدة
لك ولكن أفضل المدنيين
أو أكثرية من المدنيين .
وهذا كله لن يكون مفيد
أو مجدى ما لم نعمل
بسرعة على إزالة الأسباب
التي تؤدي إلى النقد
العام .
وأهم شيء يركزون عليه
الآن هو الدولة البوليسية
ولذا فمن الضروري أن
تخفف وزارة الداخلية في
أسلوبها في العمل - ويجب
منع الاعتقالات كلية
إلا بقرار منك ويجب منع
أي ضرب أو تعذيب .
كما أن الأساليب التي
يتبعها بوليس الاداب
بالرغم من تفاهة
الموضوعات

٣٩

الوثيقة رقم

صورة للصفحة الأخيرة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٥ يناير ١٩٦٠ ويلاحظ فيها قول الرئيس بعد الخلافات مع البعث السوري « وأنا الآن خائف على نفسي خائف من أن أكفر بالقومية والعروبة والوحدة - لأن هؤلاء الناس قرفوني كل واحد يشتم في الثاني ويسبه في كل شيء » .

الرئيس

وأنا الآن خائف خائف
خائف من أن أكفر بالقومية والعروبة
والوحدة - لأن هؤلاء
الناس قرفوني كل واحد يشتم في الثاني ويسبه
في كل شيء
جمال عبد الناصر
٥ يناير ١٩٦٠

وأنا الآن خائف على نفسي خائف من أن أكفر بالقومية والعروبة والوحدة -
لأن هؤلاء الناس قرفوني كل واحد يشتم في الثاني ويسبه في كل شيء
أرجو لك التوفيق

جمال

طية قصاصة من الوحدة يظهر فيها الدس

جمال

٥ يناير ١٩٦٠

٤٠

الوثيقة رقم

صورة من خطاب بعث به السفير الأمريكى فى القاهرة المستر « جون بادو » بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩٦٢ موجه إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » . وأهم ما فيه تأكيدات عن المفاعل الذرى الاسرائيلى فى « ديمونة » وأنه ليس ثمة دليل على التاهب لإنتاج أسلحة نووية .



American Embassy,
Cairo, United Arab Republic,
October 23, 1962.

My dear Mr. President:

At President Kennedy's request, I am with this delivering to you the text of a letter concerning the situation in Cuba and also the text of President Kennedy's address to the American nation, made last evening (October 22). I am at the disposal of your Government further to discuss this matter if so required.

May I take this occasion to inform you confidentially that recently American scientists visited the Dimona atomic reactor in Israel. On the basis of their visit and inspection, the United States Government renounces its assurance of June 1961 that these observations confirm Israeli statements that the reactor is intended for peaceful purposes only. Work on the reactor is progressing normally and there is no evidence of preparation for nuclear weapons production.

Respectfully yours,

John G. Badoan
American Ambassador

His Excellency
Gamal Abdel Nasser,
President of the United Arab Republic,
Cairo.

السفارة الأمريكية

القاهرة - الجمهورية العربية المتحدة

٢٣ اكتوبر ١٩٦٢

عزيزى السيد الرئيس

بناء على طلب الرئيس كيندى أرفق مع هذا نص كتاب يتعلق بالوضع فى كوبا وكذلك نص خطاب الرئيس كيندى إلى الأمة الأمريكية الذى ألقاه مساء أمس (٢٢ اكتوبر) . وإنى رهن حكومتكم للاستزادة من بحث هذا الموضوع إذا رغبت فى ذلك .

وهل فى أن انتهز هذه الفرصة لأنهى إليكم بصورة سرية أن علماء أمريكيين قاموا أخيراً بزيارة مفاعل ديمونة الذرى فى اسرائيل . واستناداً إلى زيارتهم وتقدمهم تجدد حكومة الولايات المتحدة تأكيدات التى اعطتها فى يونيو ١٩٦١ وهى أن هذه الملاحظات تؤكد البيانات الاسرائيلية القائلة إن المفاعل لا يراد إلا للأغراض السلمية وحدها . ويجرى العمل فى هذا المفاعل بصورة عادية وليس ثمة دليل على التاهب لإنتاج أسلحة نووية .

باحترام
جون س . بادو
السفير الأمريكى

صاحب الفخامة جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة القاهرة

الوثيقة رقم ٤١

صورة وثيقة تتضمن مذكرة كتبها « روبرت كومر » مستشار الامن القومي في البيت الابيض الامريكي المختص بالشرق الاوسط - إلى الرئيس « جون كينيدي » وهي تتحدث عن اللقاء المرتقب بين الامير « فيصل » ولي عهد المملكة العربية السعودية والرئيس الامريكي « جون كينيدي » .

~~SECRET~~

*Ret. & from Mr. [unclear]
[unclear] 10/4
October 4, 1962*

MEMORANDUM FOR

THE PRESIDENT

Faisal is in the US primarily to see you. We've had numerous reports that Saud is rapidly failing. Faisal, next in line, is probably here to find out how much he and his country can rely on US support. You can talk frankly to him, [REDACTED]

Most important, Faisal wants very much a half hour privately with you, without any other Saudis present. He may want to say a few things about his own future. Why not take him upstairs for coffee right after luncheon. His English is fair (or you can ask along our own Arab interpreter, Sabbagh, to translate).

Unfortunately, the Yemen revolt has brought to a boil all Saudi fears of Nasserism (the house of Saud well knows it might be next). Faisal wants US backing for the UK/Saudi counter-effort in Yemen. It will be hard to satisfy him on this score.

Our current Yemen policy is one of non-involvement. We can't do much anyway, and the Imam's regime was one of the most backward in the world. However, Nasser clearly backed the revolt and his radio is telling Saud he'll be next. So the Saudis feel compelled to react. [REDACTED]

Therefore, it would be best to steer Faisal off Yemen and on to US-Saudi relations. Here the important thing is to reassure Faisal as to our firm backing of the House of Saud and as to our policy toward Nasser. If you can get just these two points across at luncheon, it will be a great success.

Faisal was once pro-Nasser, but now (like Saud) hates and fears him; He suspects we have really changed our Arab policy to one of supporting Nasser as our chosen instrument. I urge disabusing him in no uncertain terms. We are not backing Nasser against the other Arab states, with whom we have longstanding cordial relations. If this were the case, why are we continuing to be helpful to Saudis, ~~and giving major new aid to Syria, plus underwriting the independence of~~ and giving major new aid to Syria, plus underwriting the independence of ~~and giving major new aid to Syria, plus underwriting the independence of~~ Those actions are totally inconsistent with any suggestion we are backing Nasser as Mr. Big in the Arab world.

003566/87
SECRET

٤ أكتوبر ١٩٦٢

مذكرة إلى الرئيس - رجاء الإطلاع عليها قبل الغداء .

إن فيصل هنا في الولايات المتحدة لكي يراك . إن لدينا مجموعة من التقارير المؤكدة تشير إلى أن موقف سعود يتهاوى بسرعة . فيصل هو الثاني في الصف . وهو هنا لكي يعرف منك كيف يمكن له ولبلاده أن يعتمدوا على الولايات المتحدة . وتستطيع أن تتحدث بصراحة إليه (سطر محذوف) . النقطة المهمة أن فيصل يريد بشدة نصف ساعة في حديث خاص معك لا يحضره أيا من مرافقيه السعوديين . وهو يرغب في أن يتحدث إليك في مسائل تخص مستقبله الخاص . لماذا لا تأخذه إلى الدور العلوي لفنجان قهوة بعد الغداء مباشرة - إن انجليزيتة معقولة ، وإذا أردت مترجما ، أو إذا أراد هو فسوف يكون صباغ مترجم الخارجية تحت طلبك ليقوم بالترجمة .

من سوء الحظ أن التمرد في اليمن أوصل المخاوف السعودية من الناصرية إلى نقطة الغليان . إن أسيرة سعود تعتقد أنها قد تكون هدف ناصر التالي . إن فيصل يريد مساندتك من أجل جهد بريطاني - سعودي مشترك للعمل في اليمن ، وقد يكون من الصعب عليك أن تستجيب إلى طلبه في هذا الخصوص .

إن سياستنا الحالية في اليمن حتى الآن هي سياسة عدم التدخل . وليس في إمكاننا عمل شيء على أي حال في الوقت الراهن . كما أن نظام الإمام كان أكثر النظم تخلفا في العالم . ومن الواضح أن ناصر يؤيد التمرد ، كما أن إداعاته لا تخفى عن سعود أنه الهدف التالي . ومن هنا فإن السعوديين يشعرون أنهم مضطرون لرد الفعل (ثلاثة سطور محذوفة) .

وعلى هذا الأساس فقد يكون من الأفضل توجيه اهتمام فيصل من اليمن إلى العلاقات الأمريكية السعودية . وفي هذا الصدد فإن أمامك

أولا - أن تؤكد لفيصل مرة أخرى مساندتنا للأسرة السعودية .

ثانيا - سياستنا تجاه ناصر .

وإذا استطعت نقل هاتين النقطتين إلى فيصل بوضوح أثناء الغداء فسوف يكون ذلك نجاحا كبيرا .

إن فيصل كان في وقت من الأوقات مواليا لناصر ، ولكنه الآن شأنه شأن سعود يكرهه ويخشاه ، وهو يشك في أننا غيرنا سياستنا العربية إلى سياسة تؤيد ناصر باعتباره رجلا المختار . وأنا أحتك على أن تطرد هذه الفكرة من ذهنه بطريقة لا تحتمل الشك . إن تأييدنا للسعودية مؤكد ، ومن ذلك فنحن لن نتعامل مع ناصر باعتباره السيد الكبير في العالم العربي . وتستطيع أن تشرح له أن سياستنا تجاه ناصر قد رسمت لتحقيق الأهداف التالية :

أ - رده إلى داخل بلاده .

ب - زيادة امكانياتنا في الضغط عليه ، وهذا هو هدف مساعدتنا له .

ج - إذا لم نساعد نحن فسوف يتجه إلى السوفيت ، وهذا سوف يكون ضارا بمصالح اصدقائنا العرب في المنطقة .

وربما المحت له إلى أننا نتوقع من السعوديين أنفسهم أن يتحركوا إلى الامام بعض الشيء في اتجاه التحديث والتنمية . إن بعض الإصلاحات الداخلية هي أفضل طريق لمواجهة الناصرية ، ونحن سعداء أن هناك بعض المؤشرات المشجعة في هذا الاتجاه ، وإن كنا ننتسأل عما إذا كانت سرعة إحداثها كافية .

أعتقد أيضا أنه يتعين عليك أن تثير مسألة التمييز ضد اليهود الأمريكيين في السعودية باعتبارها عاملا يؤثر على صداقتنا . إن سعود كان قد وعدك في فبراير الماضي أنه سيغير سياسته ولكننا لم نر أثرا لذلك . ونحن نفهم مشاعر السعوديين فيما يخص إسرائيل ، ولكننا نأمل أن يتمكنوا بدورهم من فهم مشاعرنا . ولك أن تشرح له أن اهتمامنا بهذه القضية لا ينبع من جماعات ضغط تمارس نفوذا على السياسة الأمريكية . وعليه أن يعرف منك أن إسرائيل هنا لتبقى وسوف نعارض أى هجوم عليها ، كما أننا سوف نعارض أى جهد إسرائيلي للتوسع . لا تجعل لديه أى شك في أننا سوف نواصل الوقوف بجانب اصدقائنا .

إمضاء

روبرت كومر

□ ملحوظة : مرفق مع هذا مجموعة من المذكرات تستطيع الإطلاع عليها إذا كان لديك وقت ، كما أن هناك تقريرا جديدا من الخارجية سوف يصلك عن آخر آراء فيصل وعن تعليقاتهم عليها .

~~SECRET~~

2.

Indeed, our policy toward Nasser is designed (a) to turn him inward; and (b) to increase US leverage on him so that we can encourage policies less antagonistic to our interests and those of our friends. We do not think US aid (mostly food) is keeping Nasser in power. If we didn't help, he'd merely turn more to the Soviets, which would be emphatically against US and Arab interests.

The other side of the coin is to convince Faisal that we still strongly support the Saudi regime. We met all three requests made to you by Saud last February: (1) an arms credit--for \$13.5 million; (2) a gift of three radio transmitters; and (3) an economic survey team (Saudis have the report). We've also met the Saudi request that we keep our Military Training Mission there, and are ready to sell an excellent new fighter, the F-5A. We're ready to provide further experts in specialized fields (though we'd prefer Saudis to pay for them; we also doubt any US loans are needed in light of their \$300 million oil revenues).

But we think the Saudis themselves must press forward with modernization and development. Deliberate, controlled internal reform is the best antidote to Nasserism. We're pleased with the signs of progress to date, but wonder if it's fast enough.

I also think you should brace Faisal on the discrimination issue, as one factor which puts a real strain on our ability to pursue a friendly policy. Saud told you last February that he intended to apply the policy followed by other Arab states, but we've seen no signs yet. We know how deeply the Saudis feel about Israel, but they must understand our feelings too. This is not just a matter of a US pressure group influencing our policy, but of a fixed position of the US government. Israel is here to stay and we will oppose any efforts to attack it, just as we will oppose any Israeli effort at expansion.

Finally, you might give Faisal a personal, oral message to take back to Saud, i.e. let there be no doubt that we continue to stand by our friends.

R. W. Komer
R. W. KOMER

Read Tabs I-A and III-A of attached briefing book if you have time, but State is sending over a supplementary memo giving their last-minute views.

~~SECRET~~

الوثيقة رقم ٤٢

صورة للصفحتين الأولى والثانية من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٦٢ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذي كان في اليمن وقتها . وهذا الجزء من الخطاب يتعرض لعمليات المساعدات الخارجية الموجهة ضد الثورة اليمنية .



للمرئس

عزيزي عبد الحكيم

تقبل ثمان وأربعين سنة الله ان يوفقنا
وتلك طلبة وأنت بالأمم
وأنه نال الله لنا ما به
الذي نغيبه الحية ونأكلها ونفخه
الثورة التي هي حرة لكل
على أنه

من تبعه في شأنا المنقطة

أمر أنه المعبود مني

من الحية وتلك الحية والذين

الصفحات من ثمان وثلاثين

الى عبد الله الحية والحسن

و عبد الله الحية كما أنه

الحيات محمد الحية والذين

من بلجيا

عزيزي عبد الحكيم
تقبل تحياتي وأرجو من
الله أن يوفقنا وقلبي معك
وأشعر بالاطمئنان
وسينصرنا الله لأننا
نحارب بلا هدف إلا قضية
الحرية وتأكيدا وقضية
الثورة التي هي حق لكل
شعب مغلوب على أمره .

من تتبعى للإشارات
الملتقطة أشعر أن العدو
مستمر في الحشد وتكديس
السلاح والذخيرة
والمفرقات في نجران ومنها
يحولها إلى عبد الله
بن الحسن والحسن
وعبد الله ابن الحسين كما



الرئيس

بانت نقل الى جيران وحملت
الطائرة الاولى الى نقل
الثاني يوم ٢٨ ربيع ثلثة
والرابع يوم ٢٩ ربيع ثلثة
يوم ٢٠ ربيع د. لعمرو
انه هذه الطائرات نقل
الى الحائث ونقل نقل البنادق
بالطائرات الى جيران
والنقل الى الحائث
كله الذي منجيات في جيران
للحائث نقل نقل
والنقل الى جيران وحجبان

ان طائرات محملة بالاسلح
والذخيرة من بلجيكا بدأت
تصل إلى جيران وصلت
الطائرة الاولى امس
وستصل الثانية يوم ٢٨
ديسمبر والثالثة والرابعة
يوم ٢٩ ديسمبر والخامسة
يوم ٣٠ ديسمبر والمفهوم
ان هذه الطائرات ستصل
إلى الطائف ومنها تنقل
البنادق بالطائرات إلى
جيران وجيزان والذخيرة
بالسيارات . كذلك تكس
الآن متفجرات في جيران
وجيزان كل هذا مع
استمرار نقل الاسلحة
والذخيرة إلى جيران
وجيزان .

٤٣

الوثيقة رقم

صورة للصفحتين الأولى والثانية من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » أثناء وجوده في اليمن ، وقد جاء هذا الخطاب في اعقاب محاولة الرئيس « كنيدي » للوصول إلى حل وسط في اليمن .



الرئيس
١٨ ديب ١٩٦٢
عن يده عبد الحكيم

١٨ ديسمبر ١٩٦٢
عزيزي عبد الحكيم
تقبل سلامي وتحياتي
اكتب إليك الآن في المساء
قبل سفر شمس عن
التطورات الأخيرة
بالنسبة لاعتراف أمريكا
بالجمهورية اليمنية وكذلك
الغرب وتأثير ذلك . قابل
على صبرى السفير
الأمريكي ظهر اليوم وتم
الإتفاق على أن يعلن بياننا
الساعة الحادية عشر
مساء اليوم وعلى أن يصدر
البيان الأمريكي ظهر باكر
بتوقيت واشنطن
أو الساعة السادسة
بتوقيت القاهرة . وقد بلغ
على صبرى السفير
الأمريكي . أن سير الأمور

تقبل حبه ومناة أكتب
إليك هذه الأخبار قبل سفرك
هذه الخطوات الأخيرة بالنسبة
للمعان الأمريكية بالجمهورية اليمنية وكذلك
العرب وتأثير ذلك . قابل على
حبه السفير الأمريكي ظهر اليوم
وتم الاتفاق على أنه يعلن بياننا لحام
الحادية عشر مساء اليوم وعلى
أن يصدر البيان الأمريكي ظهر باكر
بتوقيت واشنطن
أو الساعة السادسة
بتوقيت القاهرة . وقد بلغ
على صبرى السفير الأمريكي . أن سير
الأمور في الداخل يسود به



الرئيس

على حورر اليك وحضرتي ياف
 تال دال انه سعودي له تلت
 بما جاز ن جواب كسبه من ال
 Disengagement
 لذي حيوته الذك والحرية ال
 ونيته لطلبه ونيته الاموال
 وكال ارد انهم سيخولوا لذل
 ذلك
 عموما بعد اعتراف امريكا
 انه با جاز ن جواب بالذات احب
 الذنه سبه لوقته او ن حليج
 له عاده انظره من جيبه . وفي
 - اي انه العاجب انه تامل سب
 به اخرى للوحد ال ايقاف نشاط
 السعودي

في الأراضي السعودية على
 حدود اليمن وخصوصا في
 نجران تدل على أن
 السعودية لن تلتزم
 بما جاء في جواب كينيدي
 عن ال Disengagement
 لأنهم يشنون الأسلحة
 والذخائر الخ ويدفعون
 المتسللين ويدفعون
 الأموال . وكان الرد أنهم
 سيضغطوا لإنهاء ذلك .
 عموما بعد اعتراف
 امريكا . اعتقد أن ما جاء
 في جوابي بالأمس أصبح
 الآن سابق لوقته أو في
 حاجة لإعادة النظر من
 جديد . وفي رأيي أن
 الواجب أن نحاول سياسيا
 مرة أخرى للوصول إلى
 إيقاف النشاط السعودي

الوثيقة رقم (٤٤)

صورة وثيقة تتضمن مذكرة من « روبرت كومر » مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض الأمريكي المختص بالشرق الأوسط - وفيها يشير إلى حملات صحفية تثيرها وزارة الدفاع والبنّاجون بخصوص الموقف في اليمن . ويشير « كومر » في مذكرته إلى تواجد عسكري بحري وبري وجوى للولايات المتحدة الأمريكية في شبه الجزيرة العربية .

MEMORANDUM FOR THE PRESIDENT

There's more smoke than fire in Joe Alsop's reputed line that Nasser is going to invade Saudi Arabia and that the Pentagon's plan to use the Sixth Fleet but the softheads in the State Department are opposed.

We've already done a lot to deter the UAR from escalating. We've had destroyers visit Saudi port, bombers flying in, now a Special Forces team is there. We've warned Nasser again not to step on our toes. As to Pentagon eagerness, however,

Taylor, the JCS, and Nitz were a quick check indicates no identifiable war hawks in the Pentagon.

True, Nasser may still try greater pressure on Saudi, ~~anyway~~ We've consistently estimated (dead right so far) that Nasser would escalate rather than quit in Yemen. He's already resumed bombings, and we discovered UAR parachute drop of supplies to presumed partisans in Hejaz. Some think UAR may try to prompt a revolution in the Hejaz or a raid on Saudi supply dumps.

We're warning Nasser again.

Painful and uncertain as it is, I see no alternative to our present effort.

R. W. KOMER

LY 10/17/67 NAME DATE PKC

مذكرة مرفوعة

إلى الرئيس

إن هناك من الدخان أكثر مما هناك من نار في السطر المشهور الذي كتبه جو السوب من أن ناصر سيفزو المملكة العربية السعودية ، وإن البنتاجون قتلهم على استخدام الأسطول السادس ولكن السذج في وزارة الخارجية يعارضون ذلك .

لقد قمنا فعلا بالكثير في سبيل نهى الجمهورية العربية المتحدة عن التصعيد . وجعلنا المدمرات تزور ميناء سعودي ، وقاذفات القنابل تطير إلى هناك ، والآن هناك فريق لقوة خاصة . وقد انذرنا ناصر مرة أخرى بالأيديوس على أصابع أقدامنا . أما فيما يتعلق بلهفة البنتاجون (عبارة محذوفة) فإن تيلور والـ ج . سي . س . ونيتز كانوا (عبارة محذوفة) . ويستدل من مراجعة سريعة أنه ليس في البنتاجون صقور حرب يمكن تحديدهم .

صحيح أن ناصر ربما حاول برغم ذلك الضغط على السعوديين ضغطا اشد (عبارة محذوفة) . وقد قدرنا باستمرار (وهو تقدير صحيح حتى الآن) أن ناصر سيقوم بالتصعيد عوضا عن الخروج من اليمن . وما هو قد استأنف القصف فعلا ، واكتشفنا أن مظاهرات الجمهورية العربية المتحدة اسقطت مؤنا على من يفترض أنهم مشايعون لهم في الحجاز ، ويعتقد بعض (عبارة محذوفة) بأن الجمهورية العربية المتحدة قد تحاول إحداث ثورة في الحجاز أو الإغارة على مستودع سعودي للمؤن .

ونحن ننذر ناصر مرة أخرى (عبارة محذوفة) .

ولئن كان جهدنا الحالي مؤلما وغير مؤكد ، كما هو حاله ، فلست أرى له بديلا .
(عبارة محذوفة) .

ر . و . كومر

وذلك على وزير الادارة
 ذلك تارة الجبهة في القومية
 ذلك ايضا الجبهة الثورية في البعثيين
 وصح فيهم البعثيين .
 هناك في السنة الماضية انما
 باسم الدولة . وكان البعثيون
 في السنة على يد حبيب نضال .
 ذلك ماذا سيكون نائب ميشيل
 ودرنا انما انما الفئات
 القومية الاخرى لم تقبل ببعث
 فكل البعث . وانه كانت
 لم تبني حربه انه يكون حربه
 وانه حتى انما لندمته على
 الثورة الجبهة انما انما
 البعثية لنا في البعثيين
 - ن- ا- ب- البعثية صوالح
 في جبهة البعث في آخذت تبني خيفة
 البعث في البعث على عدد اكبر
 في البعث في الدمار في البعث
 البعث على الدمار في البعث

الثورة العربية السورية
 الرئيس

ربيع في الزمان البعثيين في الثامن
 شعورهم بالثورة والامر الحكم
 البعثيين التي على يد حبيب
 وبعث في الثورات بالثورة وضا
 بان في جبهة انما انما
 انما انما جميع البعثيين كانت قد
 فتمت وبعث في البعثيين في
 انتدبا في الثورة . ذلك كان
 في الثورة في البعث في البعث
 في البعث في البعث في البعث

يجمعهم ومن هذا يظهر ان
 حزب البعث (جناح
 عفلق) يسيطر على الثورة
 إلى حد كبير نائب رئيس
 الوزراء ووزير الداخلية
 ووزير الخارجية ووزير
 الدفاع ووزير التربية من
 حزب البعث . وكذلك وزير
 الإرشاد .
 ولكن قيادة الجيش من
 القوميين ولكن ايضا
 الحرس القومي من
 البعثيين وهم يجندون
 البعثيين .
 وارى في الوقت الحاضر
 إتباع سياسة التروى
 وكان البعثيون في العراق
 على سياسة طيبة معنا .

ولكن ماذا سيكون تأثير
 ميشيل .
 وفي رأيي ايضا ان
 الفئات القومية الاخرى لن
 تقبل بسهولة تسلط
 البعث . وان عارف لن
 يقبل بسهولة ان يكون
 صورة .
 ونحن حتى الآن
 لانعرف مجلس الثورة
 الجديد إذ ان الاسماء التي
 بلغت لنا منذ اربعة
 اسابيع - في رأيي - ليست
 هي النهائية بل حصل
 تغيير في آخر وقت نتيجة
 ضغط البعث من أجل
 الحصول على عدد اكبر في
 المجلس وفي الوزارة ومن

أجل الحصول على
 الوزارات الحساسة .
 ويتضح من الإتصال
 بالبعثيين في القاهرة
 شعورهم بالقوة وانهم
 الحركة العقائدية التي
 عملت وحدها ونجحت في
 القيام بالثورة وهذا مبالغ
 فيه جدا . إذ ان عارف
 عبد الرزاق الذي قاد
 سلاح الطيران وانت
 تعرفه قومي وعدد كبير من
 الضباط الذين اشتركوا في
 الثورة . ولكن كان من
 الضروري لنجاح الثورة
 ان تتحد كل العناصر
 القومية في جبهة واحدة .

الوثيقة رقم ٤٦

صور لعدد من الصفحات من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٦٣ يصف فيها انطباعاته عن أعضاء الوفد العراقي الذي جاء إلى القاهرة بعد الثورة ضد « عبد الكريم قاسم » .

والفريق على صالح
عماشه وزير الدفاع وكان
أيضا في السجن يوم
الثورة وهو هادئ ذكي .
وقد ارتحت جدا إليه .
وهو من جماعة الحاج
سرى ولكن انضم أخيرا
إلى حزب البعث .

وطالب شبيب وزير
الخارجية وهو بعثي ذكي
ليق متحدث وقد استرحت
إليه .

عمر الأول ٣٠ سنة
والثاني حوالي ٣٨ سنة
والثالث حوالي ٢٨ سنة
وضم الوفد ضابطين من
مجلس الثورة .

وقد تكلمت معهم
بصراحة في جلسة أول
أمس بعد الفطار إلى
الساعة الواحدة والنصف
وأمس بعد الصلاة إلى
موعد الإفطار .

ويظهر من كلامهم أنهم
مقدرون المتاعب ويريدون
علاقة وثيقة مع ج.ع.م .
وقد قلت لهم أننا لا نريد
منهم أي شيء سوى وحدة

قيام الثورة وأظن أنك
لاحظت أنه لم يذكر في
خطابه اسم عبد السلام
عارف بل تجاهله كلية كما
تجاهله في المباحثات ولكن
انطباعي بالنسبة له أنه
وطني مخلص .

وقد وصل وفد العراق
أول أمس وهو مكون من
السعدى أمين عام حزب
البعث ونائب رئيس
الوزراء ووزير الداخلية
وهو صريح . مغرور .
مندفع كان في السجن وقت

الثورة العربية في الثورة
الرئيس

دقة وصل وثالثه اول امس وهو
تكره به السبعه اسب عام حزب البعث
دائج سبب الوزراء در شيد الذا خرنج
دعوه هادئ . مغرور . مندفع .
في السبعه رثته في ٢٢ الشهر وانهم
المعه لد هضك انه لم يكر في خطابه
اسب عبد السعدى عامر بله بجاهل
لميه كما بجاهله في المباحثات
دلكه انطباعي بالنسبة له انه وطني مخلص

لا بد من موافقتنا على أى حل لمشكلة الاكراد . وكذلك لمشكلة الكويت . حيث أن هذه الأمور تتعلق بالوحدة التى هى الهدف النهائى للثورة . وقال فى عماشة انه يوجد سبعة ألوية تحارب فى المناطق الكردية وهم فى حاجة إلى ذخيرة وقنابل طائرات واسلحة . وطلبوا أن يحصلوا على الذخيرة من عندنا لأن الاتحاد السوفييتى موقفه عدائى جدا ذخيرة الدبابات والمدفعية . الخ . وطلب إحياء الإتفاقية العسكرية والحصول على طائرات من إنتاجنا . ورشاشات بورسعيد وبنادق . الخ .

وقال عماشة أنهم اعتقلوا ٨٠٠ ضابط شيوعى منهم ١٥٠ طيار لدرجة أن الاسراب الآن بدون طيارين . وقد دمروا سرب ميج ١٩ موالى لقاسم واعتقلوا أربعة آلاف شيوعى وقتلوا عددا كبيرا منهم بدون محاكمة فى أول يوم .

عموما الموقف أيضا فى الجيش وبين الفئات القومية لا يدعو إلى الارتياح فمجلس الثورة أغلبه من البعثيين وعارف

الثورة العربية السورية
الرئيس

سنفعل به الخ خيرة ونا
وانه الذى يذبحه . ونالوا
لأن الخ الخيرة لا يذبحون
المدى من المدى إلا إذا خيرة
سوريا فليس هذا المدى
صم بل لينة الخ الخيرة ونا
او نال الخ الخيرة بغير الخيرة
ولنا الخ الخيرة مع ربال الخيرة
بنا نال الخ الخيرة مدى الخيرة
ان المدى نال .

منا نال الخ الخيرة نال
المدى كيرة نال نال عماشة
ان الخيرة المدى نال ان نال
نا نال نال نال نال الخيرة
نال نال الخيرة . حيث ان
هذه النال نال الخيرة

الثورة العربية السورية
الرئيس

النا هو النال الخيرة
نال نال عماشة ان نال نال
المدى نال نال الخيرة
نال نال نال الخيرة ونال
لنات نال نال نال نال
نال نال الخيرة نال نال نال
المدى النال نال نال نال
نال نال النال نال نال نال
نال نال النال نال نال نال
والمدى نال نال نال نال
نات نال نال نال نال
نال نال نال نال نال
٨٠٠ نال نال نال نال
نال نال نال نال نال نال

الرئيس الرئيس

بده الحاربي . حده دسدا
سج بجه ١٩ ماله لقا
حاجتوا ارب الدن شيجه
حاجتوا عدا كيا نهم بده
قاله ن اول بده
عما الدنه اقبانه البشه
دبج الثالث القويه لده ماله
الدنياح نبع القدره اقله نه
البشيه دعاره عدا الزمان فاشطيان
دبج نه حن البشه . دالشه نا
مايقده نه ٩٠٪ من القويين
ن البشه - غير البشه - ١٠٪
بشيه . حده اعنه البشه بل
الحب القدره ٩٠٪ حبشيه و
راي ا- الكا دشه بالاحز

الرئيس الرئيس

البشه بده البشه الكاله
والكا دندن نه البشه وشبهه
وقد فكله سم البشه نه موده
بجج لل الثالث القويه من
لدبدا رانه البشه نه
تدنه كمال القويه بل كمال
ال حبشيه اذ البشه
وكاله الدد البشه بل
حجج دسجه الماين .
وبلده بل بجه لل البشه . ولبشه
شرب ذلك ناه ماله ناه البشه
كلمته حوده - ناه البشه - انه
انا عدا البشه ماله ١٩ شرب
دبج انه البشه لبعنه لسا البشه
معه - كاه انه البشه ناه
كلمته ناه البشه ماله ١٩

عبد الرزاق قائد الطيران
ليس من ضمن المجلس .
والثورة قام بما يقرب من
٩٠٪ منها القوميون في
الجيش - غير البعثيين -
و ١٠٪ بعثيين . وقد
اعتمد البعثيين على
الحرس القومي ١٠٠٪
بعثيين وفي رأي ان الكل
متربص بالآخر البعث
يريد السيطرة الكاملة
والكل متخوف من البعث
ومتربص وقد تكلمت معهم
امس في ضرورة جمع كل
الفئات القومية حتى
لا يعزلوا وان اى نكسة لن
تكون لصالح القوميون بل
لصالح الرجعيين
او الشيوعيين وكان الرد
انهم يتجهون إلى المستقبل
وينسون الماضي .
ويعملون على تجميع كل
القوميين . ولكن رغم ذلك
فان عماشه قال امس
لطلعت صدقي - في
الأوبرج - ان امام
عبد السلام عارف ٣ اشهر
فقط ويفهم ان البعث
يعتبر هذا التحالف مرحلة
- كما ان السعدي قال
لطلعت في الأوبرج بعد ان
شرب ١٤ كاس ويسكي -
اننا لانريد ان نقابل
الرئيس مرة اخرى لانه
بلشف الجميع بكلامه
وتحليله . ورغم ذلك
فساتقابل معهم اول يوم

العيد بعد عودتهم من
الجزائر وقبل سفرهم .

وفي رأيي أنهم شباب
يحتاج إلى رعاية وتوجيه .

وقد لاحظت أنهم في
شدة التعب لدرجة أن
السعدى نام في أول
جلسة .

عموما اعتقد رغم
اخطاء البعث أن واجبنا
أن نحافظ على ثورة العراق
وليس أمامهم إلا اللقاء
معنا .

أما صديق شنشل
فيقول أن عبد السلام
عارف يترك لهم الأمور في
هذه المرحلة التي سترتكب
فيها اخطاء كثيرة وأن
هناك تجمع قومي من
الجيش والفئات القومية
الأخرى .

الأخيرة العربية الثورية
الرئيس

لأنه ديك - أنا لست
أنا نظام الرئيس هو الرئيس
لأنه يملك الجميع بكلامه وميله .
ورغم ذلك من تأجيلهم أول
بعض اليه به عودتهم من الجزائر
وبذلك قد صم .
ون - أين أنهم شباب يحتاج
إلى رعاية وتوجيه .
دفع له خطته الأولى من
التي لرجه أنه لست أنا في
أول جلسة .
عما اعتقد أنهم اخطاء بعث
أنه واجبنا أن نحافظ على قدره لأنهم
دليلهم أمامنا إلا اللقاء معنا .

الأخيرة العربية الثورية
الرئيس

أما حبيب شنشل فيقول
أن عبد السلام عارف يترك
لهم الأمور في هذه المرحلة التي
سترتكب فيها اخطاء كثيرة
وأنه هناك تجمع قومي من
الجيش والفئات القومية الأخرى .

الوثيقة رقم

صورة للصفحة الثانية من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٤ فبراير ١٩٦٣ وهو يشير فيه إلى رسالة جاءت من الرئيس « كنيدي » بشأن اليمن ، كما يشير أيضا إلى إتصال قام به الشيخ « حافظ وهبة » السفير السعودي في لندن بشأن نفس المشكلة .

[illegible]

وقد ابلغ السفير
الامريكي سامى ان كينيدي
سيرسل مندوبا خاصا
بصفة سرية جدا ليقابل
فصيل لتسوية الامر .
وسيصل المندوب اليوم ٤
فبراير .

سعدت جدا بنبا
الانتصار وروح الجنود
المعنوية العالية . واطن
انك تعرف ان موضوع
اليمن سبب لي في الماضي
الكثير من القلق ولكن
الحمد لله على النتائج
الاخيرة . واعتقد ان
وجودك كان ضروري
لتحقيق ذلك .

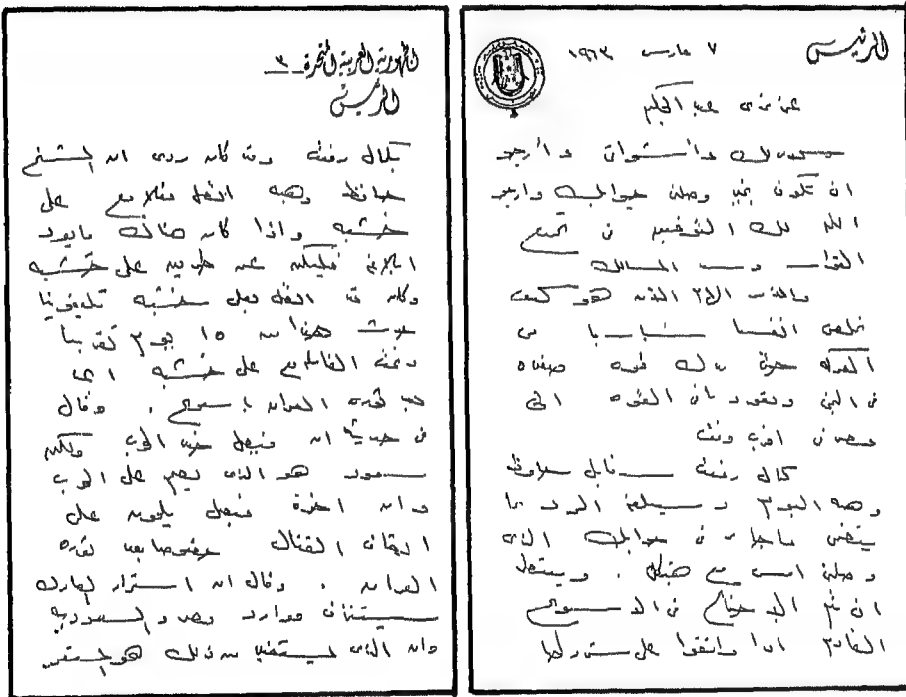
هناك موضوع مطلوب
رايك فيه على أن يصلني في
الحال . وهو اتصل الشيخ
حافظ وهبة بالأمين العام
للجامعة العربية وطلب
منه الالتقاء مع كمال رفعت
من أجل بحث العلاقة بين
السعودية ومصر . وقد
اتصل حسونة .

٤٨

الوثيقة رقم

صورة من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٧ مارس ١٩٦٣ وهو يشرح فيه كل المقترحات التي عرضها الشيخ « حافظ وهبة » باسم الأمير « فيصل » تمهيدا لحل الأزمة في اليمن .

ويلاحظ أن الصفحة الثانية من هذا الخطاب مفقودة لسوء الحظ من النصوص الأصلية لهذه المجموعة من الخطابات التي بعث بها الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى المشير « عبد الحكيم عامر » أثناء وجوده في اليمن .



وصلني أمس مع هيك .
وينتظر أن يتم الاجتماع في
الأسبوع القادم إذا وافقوا
على شروطنا بكمال رفعت
وقد كان ردى أن الشيخ
حافظ وهبة اتصل فعلا مع
على خشبة وإذا كان هناك
ما يود إبلاغه فليكن عن

سياسيا في المعركة حتى
نترك قوة صغيرة في اليمن
وتعود باقي القوة إلى مصر
في أقرب وقت .
كمال رفعت سيقابل
حافظ وهبة اليوم
وسيبالغ الرد بما يتضمن
ما جاء في جوابك الذي

عزيزى عبد الحكيم
سلامى لك واشواقى
وأرجو أن تكون بخير
وصلني جوابك وأرجو الله
لك التوفيق في تجميع
القوات وسد المسالك .
والامر الهام الآن هو
كيف نخلص أنفسنا

طريق على خشبة وكان قد
اتصل بعلى خشبة تليفونيا
حدث هذا من ١٥ يوم
تقريبا وتمت المقابلة مع
على خشبة أى بعد ثورة
العراق بأسبوع . وقال فى
حديثه أن فيصل ضد
الحرب ولكن سعود هو
الذى يصمم على الحرب
وأن أخوة فيصل يلحون
على إيقاف القتال خصوصا
بعد ثورة العراق . وقال
إن استمرار المعارك
سيستنزف موارد مصر
والسعودية وأن الذى
يستفيد من ذلك هو
المستعمر .

وقال حافظ وهبة أنه
لا يرحب أن تقوم الوساطة
لإيقاف القتال بين
الجانبيين عن طريق أجنبى
بل كان يفضل أن يقوم بها
العرب وقال أننا يمكن أن
نتفق على إيقاف القتال .
ثم سال هل نحن على
استعداد للاستماع إلى
مايقول وهو مصرى
لا يريد إلا الخير وكان
الرد نحن على استعداد
دائما أن نسمع وبعد ذلك
تمت مقابلة أخرى بين على
خشبة وحافظ وهبة فهم
منها على خشبة أن فيصل
يخشى من تسلل المصريين
واليمنيين إلى القبائل فى
جنوب المملكة والمنطقة
الشرقية وأن ضرب

قال حافظ وهبة ان لى حبيب
انه تقدم اليه لوديعه لثالث
بى الجانبى مع لوديعه اجنوبى بل
كان ينفذ انه يتقدم الى العرب وقال
اننا يمكن ان نسمع على ايمان لثالث .
ثم قال هل من على يستعد
الى مايقول وهو مصرى
لدينا الد الجى ولله السر
ان على يستعد دائما ان نسمع
رسم ذلك من طالب اجنوبى بل
حزبه وحافظ وهبة
منه على خشبة انه ينفذ
انه تسلم العربى واليمنيين الى
الملك اجنوبى الملكة والمنطقة
الشرقية وانه حيز الطمان
لرأى وجوان بين الرأس الى
خز خبيل كما انه فله حيا
بى المكان الذى الملكة بالثالث

الملك لوديعه لثالث

قال انه لثالث وه
انته التل وهو (اسم)
حافظ وهبة انه تقدم الملك
بى الجانبى لثالث
نس التل وهو (اسم)
ركان هتم لثالث حوان ١٩
ثالث

وهو ذلك حوشه مقابل ثالث
بى لثالث ثالث على ملك
الملك لثالث ثالث
انه ينفذ انه يتقدم الى العرب
لثالث لثالث لثالث حوشه
الداينج لثالث لثالث لثالث
الذ لثالث
بى لثالث لثالث لثالث
لثالث لثالث لثالث لثالث
لثالث لثالث لثالث لثالث
لثالث لثالث لثالث لثالث

الطيران لنجران وجيزان
يثير الرأي العام ضد
فيصل كما انه قلق جدا
بعد اكتشاف الأسلحة
الملقاة بالمظلات .

وقال أن لافائدة من
زيارات بانثش المقبلة وهو
(اى الشيخ حافظ)
يفضل أن تكون الحلول
بين الطرفين الحقيقيين
المؤثرين في المعركة وهما
ج.ع.م. والسعودية
وكانت هذه المقابلة حوالى
١٩ فبراير .

وبعد ذلك حدثت مقابلة
ثالثة يوم ٢٧ فبراير بناء
على طلب الشيخ حافظ
وهبة الذى قال أنه يفضل
أن يسافر إلى السعودية
لأن البرقيات قد لا تعطى
صورة عن الواقع ولذلك
فهو يرى أن يعرض
الآتى :

١ - يجب تجاهل سعود
وموقفه تجاهلا تاما وأن
فيصل قد أفاق لنفسه
بعد ما أدرك أنه مخلب قط
في يد الانجليز .

٢ - يمكن الإتفاق على
إيقاف القتال من الجانبين
على أن يبدأ التنفيذ يوم
اجتماع مندوبين عن
السعودية وج.ع.م .

٣ - يرى أن يتم
اجتماع للطرفين في روما
أو أى بلد آخر بعيدا عن
الصحافة .

٤ - يمثل الطرف
السعودى الأمير سلطان
والشيخ حافظ وهبة .

٥ - يبحث الطرفان
كيفية تطبيق إيقاف القتال
والانسحاب التدريجى
وطريقة المراقبة والتنفيذ .

٦ - يرى أن يكف
الطرفان أثناء المفاوضات
عن الهجوم الإذاعى
والصحفى .

٧ - يرى عدم التعرض
للماضى أثناء المفاوضات
ومحاولة نسيانه .

٨ - إذا تمت الموافقة
على ذلك وسيكون وفدنا
من كمال رفعت وسنطلب
إرسال ضابط كبير من
عندك للاشتراك .

الجواب المرسل مشترك
لأنور ولك وهو يحوى كل
شئ عندنا تقريبا .

عموما غيبتمك الطويلة
تركتم عندي هنا فراغ كبير
وفى انتظاركم بفارغ صبر .
العائلة بخير وسلامى
لك واشواقى .

جمال عبد الناصر
١٩٦٣ / ٣ / ٧

- ١ - يوم الاثنين ١٥ ابريل ١٩٦٣
٢ - يوم الاثنين ١٦ ابريل ١٩٦٣
٣ - يوم الاثنين ١٧ ابريل ١٩٦٣
٤ - يوم الاثنين ١٨ ابريل ١٩٦٣
٥ - يوم الاثنين ١٩ ابريل ١٩٦٣
٦ - يوم الاثنين ٢٠ ابريل ١٩٦٣
٧ - يوم الاثنين ٢١ ابريل ١٩٦٣
٨ - يوم الاثنين ٢٢ ابريل ١٩٦٣

يكون مثالا كان
رسمك رسمك اى
حالة كذا كذا
الرجاء لمزيد من
اللائحة دلتك دلتك
تتم بها تقريبا .
هذا غيبتمك الطويلة
عموما غيبتمك الطويلة
تركتم عندي هنا فراغ كبير
وفى انتظاركم بفارغ صبر .
العائلة بخير وسلامى
لك واشواقى .

الوثيقة رقم ٤٩

صورة من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى الرئيس الجزائري « أحمد بن بيل » بتاريخ أول ديسمبر ١٩٦٢ وهو يقترح فيه على « بن بيل » خطة عمل لمواجهة الموقف الاقتصادي في الجزائر .

إلى الرئيس أحمد بن بيل .	الاول على الوضع السياسي . نحن على استعداد لمعاونتكم بكل ما نستطيع لمواجهة الموقف . وأنا على استعداد لإيفاد الدكتور القيسوني في الحال إليكم ليشرح لكم رأيه في حل هذا الموقف . ولمواجهة الموقف	بسرعة أرى أن تأخذوا المبادرة وتكون الحركة على مراحل . المرحلة الأولى إصدار بيان منكم شخصيا موجها إلى جميع الدول العربية يطلب معاونتها للجزائر في هذه المرحلة للتغلب على الوضع الاقتصادي الذي
شعرت بالقلق بعد اطلاعي على رسالتكم الخاصة بالحالة الاقتصادية لأن الأوضاع الاقتصادية لها التأثير		

<p>ألفته ليدعني مني الرئيس</p> <p>المبادأة وتكسبه الحركة على مراحل .</p> <p>المسألة الدار في احسان بيانكم شخصيا معبراً الى جميع الدول العربية لمعاونتها في هذه المرحلة للتغلب على الوضع الاقتصادي الذي ورثته الدولة بعد الاستقلال ولما بهمة البطالة وتنف ليعمل على انهاء هذه البطالة</p> <p>هذا البيان سنعلنه في القريب ان شاء الله</p>	<p>ألفته ليدعني مني الرئيس</p> <p>الى الرئيس أحمد بن بيل .</p> <p>شعرت بالقلق بعد اطلاعي على رسالتكم الخاصة بالحالة الاقتصادية لأن الأوضاع الاقتصادية لها التأثير</p> <p>بسرعة أرى أن تأخذوا المبادرة وتكون الحركة على مراحل . المرحلة الأولى إصدار بيان منكم شخصيا موجها إلى جميع الدول العربية يطلب معاونتها للجزائر في هذه المرحلة للتغلب على الوضع الاقتصادي الذي ورثته الدولة بعد الاستقلال ولما بهمة البطالة وتنف ليعمل على انهاء هذه البطالة</p>
---	---

لأخوة في الثورة
لأخوتي

الجزائر قد تم تيمنه عشرة
ملايين من الجنيهات بدون
فائدة يسدد على اثني عشر
سنة بعد سنتين من
الاستخدام .
في تقديرى ان العراق
ستوافق على إعطاء
الجزائر قرض مماثل .
وان الكويت ستوافق
على قرض مماثل .
بالنسبة لنا لا يوجد مجزأ هنا
على وجهه بل نحن نأمل ولكن

ورثته الثورة عند
الحصول على الاستقلال .
ولمواجهة البطالة
وتعويض عائلات
الشهداء .

بعد هذا البيان سنعلن
في القاهرة اننا قررنا إعطاء
الجزائر قرض قيمته عشرة
ملايين من الجنيهات بدون
فائدة يسدد على اثني عشر
سنة بعد سنتين من
الاستخدام .

في تقديرى ان العراق
ستوافق على إعطاء
الجزائر قرض مماثل .
وان الكويت ستوافق
على قرض مماثل .

بالنسبة لنا لا يوجد
عندنا عملة صعبة بل نحن
في أزمة ولكن على
استعداد لأن أرسل لكم كل
طلباتكم من إنتاجنا
ولو على حساب الاستهلاك
المحلي .

وفي تقديرى ان الكويت
والعراق تستطيع أن تدفع
بالعملة الصعبة لأن
عندهما احتياطي .

وفي رأيي أن ترسلوا في
الحال بعد البيان وفد
حكومي إلى القاهرة
وبغداد والكويت ومعه
خطاب منكم .

لأخوة في الثورة
لأخوتي

على استعداد لهذه الرسل
لكم كل طلباتكم من إنتاجنا
ولو على حساب الاستهلاك
المحلي .
وفي تقديرى ان الكويت
والعراق تستطيع أن تدفع
بالعملة الصعبة لأن
عندهما احتياطي .
وفي رأيي أن ترسلوا في
الحال بعد البيان وفد
حكومي إلى القاهرة
وبغداد والكويت ومعه
خطاب منكم .

المرحلة الثانية بيان إلى الرئيس

جميع الدول لمعاونة الجزائر
في مواجهة الموقف الاقتصادي الذي ورثته
اليوم الاستقلال مماثل
للبيان الأول. يرسل إلى
سكرتير الأمم المتحدة وإلى
جميع الدول بطلب
معونات أو قروض بلا قيد
ولا شرط.

وفي رأيي أن الحركة
السريعة لازمة لحل
الموقف وقد جابهنا هذه
المشكلة بقبول القروض من
كل الدول ومن البنك
الدولي. بمعنى قبول
المساعدة والقروض من
أمريكا ومن روسيا ومن
بريطانيا وفرنسا
ويوغوسلافيا وكل الدول
الغربية والشيوعية.

ويمكن للدكتور
القيسوني أن يخبركم كيف
واجهنا هذه المشاكل.
بالنسبة لنا نحن على
استعداد من الآن لوضع
القرض موضع التنفيذ
كخطوة أولى. أرجو قبول
أحسن تمنياتي لكم
ولشعب الجزائر المجاهد.

والسبب لنا نحن على استعداد
من الآن لوضع القرض موضع التنفيذ
كخطوة أولى. أرجو قبول
أحسن تمنياتي لكم
ولشعب الجزائر المجاهد.

المرحلة الثانية بيان إلى الرئيس

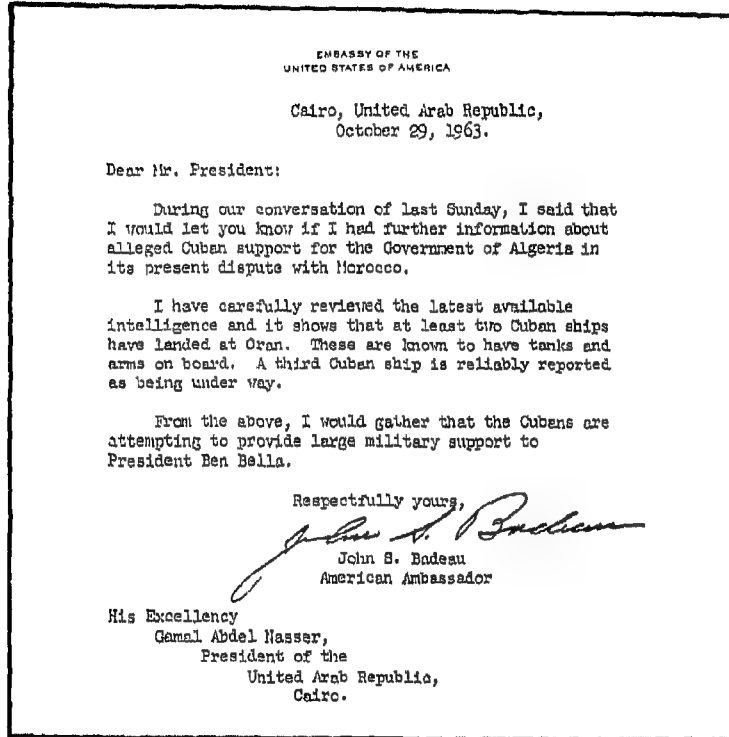
جميع الدول لمعاونة الجزائر
في مواجهة الموقف الاقتصادي الذي ورثته
اليوم الاستقلال مماثل
للبيان الأول. يرسل إلى
سكرتير الأمم المتحدة وإلى
جميع الدول بطلب
معونات أو قروض بلا قيد
ولا شرط.

وفي رأيي أن الحركة
السريعة لازمة لحل
الموقف وقد جابهنا هذه
المشكلة بقبول القروض من
كل الدول ومن البنك
الدولي. بمعنى قبول
المساعدة والقروض من
أمريكا ومن روسيا ومن
بريطانيا وفرنسا
ويوغوسلافيا وكل الدول
الغربية والشيوعية.

ويمكن للدكتور
القيسوني أن يخبركم كيف
واجهنا هذه المشاكل.
بالنسبة لنا نحن على
استعداد من الآن لوضع
القرض موضع التنفيذ
كخطوة أولى. أرجو قبول
أحسن تمنياتي لكم
ولشعب الجزائر المجاهد.

الوثيقة رقم ٥٠

صورة وثيقة تتضمن مذكرة من السفير الأمريكي في القاهرة « جون بادو »
بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٦٣ حول مخاوف الولايات المتحدة من النشاط الكوبي في
الجزائر .



« عزيزي السيد الرئيس »

في أثناء نقاشنا الذي جرى يوم الأحد أشرت إمامكم إلى معلومات سمعتها عن التأييد الكوبي
لحكومة الجزائر في نزاعها الحالي مع المغرب . وقد راجعت بعناية آخر التقارير المتاحة من
المخابرات ، ويتضح منها أن هناك سفينتين كوبيتين على الأقل دخلتا ميناء « وهران » وتواتر أنهما تنقلان
ديابات وإسلحة . وهناك سفينة كوبية ثالثة وردت إلينا أخبار موثوقة بأنها في الطريق

واستنتج مما تقدم أن الكوبيين يحاولون تقديم عون عسكري ضخم إلى الرئيس بن بيللا .

مع الاحترام

جون س . بادو
السفير الأمريكي

٥١

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تتضمن مذكرة ثانية من السفير الأمريكي في القاهرة « جون بادو » بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٦٣ وهي تضيف معلومات جديدة عن النشاط الكوبي في الجزائر .

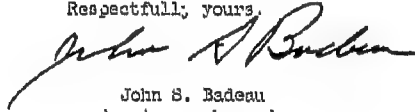
EMBASSY OF THE
UNITED STATES OF AMERICA

Cairo, United Arab Republic.
October 31, 1963.

My dear Mr. President:

I have continued to follow closely reports of Cuban assistance to Algeria. My latest dependable information indicates that between October 21 and 23 at the port of Oran the Cuban freighter ARACILIA IGLESIAS unloaded various military equipment, including T-34 tanks, lorries, 122 mm howitzers, armored cars, and ammunition. On October 25 several hundred Cubans dressed in Algerian army uniforms were disembarked from this ship. On October 22 two Cuban transport aircraft (Britannias) landed at the Maison Blanche Airport in Algiers and discharged a total of about 340 military personnel.

Respectfully yours,



John S. Badeau
American Ambassador

His Excellency
Gamal Abdel Nasser,
President of the
United Arab Republic.
Cairo.

« عزيزي السيد الرئيس »

واصلت عن كثب متابعة التقارير المتعلقة بالمساعدة الكوبية للجزائر، ويؤخذ من آخر معلوماتي التي يعول عليها أنه في الفترة بين ٢١ - ٢٣ أكتوبر قامت سفينة الشحن الكوبية « ارازيليا اجليسياس » بدخول ميناء وهران ، وانزلت منها معدات عسكرية متنوعة منها دبابات ت - ٣٤ ، وسيارات لوري ومدافع هاوتزر من عيار ١٢٢ مم وذخائر . وفي يوم ٢٥ أكتوبر نزل من هذه السفينة بضعة مئات من الكوبيين يرتدون أزياء الجيش الجزائري . وفي ٢٢ أكتوبر هبطت طائرتا نقل كوبيتان من طراز « بريتانيا » في مطار الدار البيضاء في الجزائر ، ونزل منهما ما جملة ٣٤٠ فردا من العسكريين .

باحترام .

جون س . بادو
السفير الأمريكي «

الوثيقة رقم ٥٢

صور من مجموعة أوراق صغيرة تحمل تعليمات كتبها الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده وبعث بها إلى مكتبه ، وكان مكتبه قد اتخذ مركزا مؤقتا في مبنى الجامعة العربية أثناء جلسات مؤتمر القمة الإفريقي ، وهي تتعرض لملاحظات مختلفة طرأت للرئيس خلال الجلسات الطويلة للمؤتمر .

□ الدكتور حاتم
مطلوب عمل كتاب
يجمع الخطب التي أقيمت
في المؤتمر بترتيب إلقائها
باللغات العربية
والفرنسية والانجليزية
طبعة فاخرة على أن يصدر
قبل انتهاء المؤتمر
أو اليوم الأخير ليوزع على
جميع الوفود جميع
الأعضاء .

جمال

توزع جريدة مجلة
المجملات نشرة
الاستعلامات يوميا على كل
الوفود العربية
وموروتانيا والصومال
وباقى الوفود .

الرئيس
الدكتور حاتم
مطلوب عمل كتاب
يجمع الخطب التي أقيمت
في المؤتمر بترتيب إلقائها
باللغات العربية
والفرنسية والانجليزية
طبعة فاخرة على أن يصدر
قبل انتهاء المؤتمر
أو اليوم الأخير ليوزع على
جميع الوفود جميع
الأعضاء .
جمال

الرئيس

سأب

نبداء كلمة ب يا رئيس
الصحف والاذاعة
جمال

□ سامي

تبرز كلمة بن بيلال في
الصحف والاذاعة .
جمال

الرئيس

سأب

مطلوب تجهيز ترجمة
عربية سليمة لخطاب
تكملة ما قاله وقت
العمل في ليبيا مع
السكرتارية أنني سألقى
خطاب ختامي ويرد عليه
أحدث دولة أفريقية
مستقلة كما حدث في أديس
أبابا .
جمال

□ سامي

مطلوب تجهيز ترجمة
عربية سليمة لخطاب
تكملة ما قاله وقت
العمل في ليبيا مع
السكرتارية أنني سألقى
خطاب ختامي ويرد عليه
أحدث دولة أفريقية
مستقلة كما حدث في أديس
أبابا .
جمال

ويعمل ترتيب مع
السكرتارية أنني سألقى
خطاب ختامي ويرد عليه
أحدث دولة أفريقية
مستقلة كما حدث في أديس
أبابا .
جمال

جمال

الرئيس

□ سامي

اتفقت مع رئيس تشاد
على إنشاء تمثيل دبلوماسي
لنا في اقرب وقت وإرسال
بعثة برئاسة نائب رئيس
وزراء إلى تشاد في آخر
سبتمبر لبحث الأمور
الاقتصادية والثقافية
لعمل الترتيب .
جمال

من هو نائب رئيس
الوزراء الذي يرافق رئيس
تشاد .

اتفقت مع رئيس تشاد
على إنشاء تمثيل دبلوماسي
لنا في اقرب وقت
وارسال بعثة برئاسة
نائب رئيس وزراء
تشاد في آخر
سبتمبر لبحث
الأمور الاقتصادية
والثقافية
لعمل الترتيب
جمال

سعد الله رئيس الوزراء
رئيس تشاد

الرئيس

سلامة

□ حاتم

يعمل موضوع في
الجازيت والصحف
الفرنسية عن إنتاجنا من
الطائرات النفاثة ويذكر في
المقال كل ما نشر عن
الطائرة الجديدة مع
صورتها وذلك يوم ٢٠
أو ٢١
جمال

لعمل موضوع في الجازيت
والصحف الفرنسية عن
إنتاجنا من الطائرات
النفاثة ويذكر في
المقال كل ما نشر عن
الطائرة الجديدة مع
صورتها وذلك يوم
٢٠ أو ٢١
جمال

الوثيقة رقم ٥٣

صورة وثيقة تتضمن تقريراً بخط السيد « سامى شرف » بتاريخ ٧ أبريل ١٩٦٤ عن حديث له مع الدكتور « جورج حبش » وهو يتضمن إشارة إلى بدايات حركة « فتح » . وتوجد تاشيرة على حافة التقرير بخط يد الرئيس « جمال عبد الناصر » وهو يرى فيها إرجاء الحركة حتى عودة القوات المصرية الأساسية من اليمن .



رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
مكتبة الرشد للعلوم

2

لحمه بعلية صد ترك ابراهيم في اية الخ
وكل من نفس العفة نصفا انه هذا هو
الذي يجب انه يحرم في اية
التي هي في اية الخ
هذه اية في اية الخ
له - في اية الخ
وصم بالشم في اية الخ
التي هي في اية الخ
الضيق في اية الخ
ويرجوه معرفة تدجيل في اية الخ

۱.۳. اہل حق پر کثرت سے جو حج حبشہ آئے وہاں سے یہودیہ صلیب (الکین) اور کبدر) ہم یہودیہ پر صرف عیسا ہی ... کیا نام

۱.۴. اہل حق کے لئے ہم کیا نام مقابلہ سے حج قبل وصول ہائی وہ

۱.۵. اعتبار سے دیکھا مگر نہ وہ نام اور نہ صورت

الوثيقة رقم ٥٤

صورة من خطاب كتبه السيد « طاهر يحيى » رئيس وزراء العراق إلى الرئيس
« جمال عبد الناصر » بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٦٤ يلج فيه على طلب العراق إقامة
وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

عدد ١٩٦٤ / ٩ / ٣٠

سيد زعيم الشعب الرئيس عبد الناصر

السيد عظيم رجليه وكراماته ، وبعد
بأننا نحن العرب في العزلة قد بدأنا نضيق ذراعنا على الرغم من أننا نعلم أن
١٨ شعبنا في كل لحظة يتوق إلى الوحدة ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
سواء في الحدود أو في الداخل ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
الليبي ، العالم العربي الذي يفتخر له أو ما فيه الفلاح في الحرية وروادنا في الوحدة .

والتي لها فضل عظيم ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
ما نعلمه من قبلنا من قبلنا ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
في تونس (تونس) ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
الرئيس ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
رما فكلنا في الوحدة ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
شركاء ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
التي هي في الوحدة ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
مركباً من ذلك .

سيد زعيم الشعب ... إنه السيد الذي بعد أن وضع فينا قوته الطامحة في كل شيء
في السنة الأولى من المطامير بالقدرة في كل شيء في كل شيء في كل شيء
أكثر من العزلة ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
سيد زعيم الشعب ... إننا نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
عمرنا في كل شيء ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
والتي هي في الوحدة ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
عظمنا في كل شيء ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
تقناً حريتنا من كل شيء ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
معدنا في كل شيء ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا
رئيسنا في كل شيء ، ونحن نعلم أن ما يقابلنا من قبلنا من قبلنا

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٨٨ / ٨٣٥٣

مطابع الأهرام التجارية القاهرة - مصر

سنوات الغليان

جمال عبد الناصر □

محمد نيز □

كما أن الطرق إلى وقائع التاريخ الكبرى
قطعة من نسيجها !

وبغير ذلك تصبح صراعات الأمم
وحروبها أساطير وحكايات ويتناول التاريخ
عن أن يكون حركة تدافع قوى انسانية
هائلة - لكى يتحول إلى شبه مغامرات
فردية : رصاص يرد على رصاص ومدافع
تصرخ أمام مدافع ودبابات تتناطح مع
بعضها فى الصحارى أو فى الوديان .

... لكن بعضهم يؤثر رواية معركة

سنة ١٩٦٧ باعتبارها وقائع تلك الأيام
السنة من شهر يونيو سنة ١٩٦٧ ،
وبعضهم يبدأها من يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ مع
ظهور الحشود الاسرائيلية أمام سوريا أما
قبل هذا اليوم أو ذاك فلم يكن هناك شيء
وفجأة جاءت القارعة !

وليس هذا صحيحا ولا يمكن أن يكون ،
فإن الجسور إلى المعارك جزء لا يتجزأ منها



التوزيع فى الداخل والخارج : وكالة الاهرام للتوزيع
ش الجلاء - القاهرة

مركز الاهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الاهرام

مطابع : اهرام التجارية القاهرة - مصر